



الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
ISLAMIC UNIVERSITY OF MADINAH

مجلة الجامعة الإسلامية

للغة العربية وآدابها

مجلة علمية دورية محكمة

سبتمبر - ديسمبر ٢٠٢٢ م

الجزء : ١

العدد : ٦



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

معلومات الإيداع

في مكتبة الملك فهد الوطنية

النسخة الورقية:

رقم الإيداع ١٤٤٣/٣٢٨٣ بتاريخ ١٤٤٣/٠٤/٠٢ هـ

ردمد: ١٦٥٨-٩٠٧٦

النسخة الإلكترونية:

رقم الإيداع ١٤٤٣/٣٢٨٤ بتاريخ ١٤٤٣/٠٤/٠٢ هـ

ردمد: ١٦٥٨-٩٠٨٤

الموقع الإلكتروني للمجلة

<http://journals.iu.edu.sa/ALS/index.html>

ترسل البحوث باسم رئيس تحرير المجلة إلى البريد الإلكتروني:

asj4iu@iu.edu.sa

البحوث المنشورة في المجلة تعبر عن آراء الباحثين

ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة

جميع حقوق الطبع محفوظة للجامعة الإسلامية

هيئة التحرير

د. عبدالرحمن بن دخيل ربه المطرفي

(رئيس التحرير)

أستاذ الأدب والنقد المشترك بالجامعة الإسلامية

د. إبراهيم بن صالح العوفي

(مدير التحرير)

أستاذ النحو والصرف المشترك بالجامعة الإسلامية

أ.د. عبدالعزيز بن سالم الصاعدي

أستاذ النحو والصرف بالجامعة الإسلامية

د. إبراهيم بن محمد علي العوفي

أستاذ اللغويات المشترك بمعهد تعليم اللغة العربية
بالجامعة الإسلامية

د. مبارك بن شتيوي الحبوشي

أستاذ البلاغة المشترك بالجامعة الإسلامية

أ.د. محمد بن صالح الشنطي

أستاذ الأدب والنقد بجامعة جدرا-الأردن

أ.د. علاء محمد رأفت السيد

أستاذ النحو والصرف والعروض-جامعة القاهرة

أ.د. عبدالله بن عويقل السلمي

أستاذ النحو والصرف-جامعة الملك عبدالعزيز بجدة

قسم النشر: د. عمر بن حسن العبدلي

الهيئة الاستشارية

أ.د. محمد بن يعقوب لثركستاني

أستاذ أصول اللغة بالجامعة الإسلامية

أ.د. محمد محمد أبو موسى

أستاذ ورئيس قسم البلاغة بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر

أ.د. تركي بن سهو العتيبي

أستاذ النحو والصرف بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

أ.د. عبدالرزاق بن فراج الصاعدي

أستاذ اللغويات بالجامعة الإسلامية

أ.د. سالم بن سليمان الحماش

أستاذ اللغويات في جامعة الملك عبدالعزيز

أ.د. محمد بن مريسي الحارثي

أستاذ الأدب والنقد في جامعة أم القرى

أ.د. ناصر بن سعد الرشيد

أستاذ الأدب والنقد بجامعة الملك سعود

أ.د. صالح بن الهادي رمضان

أستاذ الأدب والنقد. تونس

أ.د. فايز فلاح القيسي

أستاذ الأدب الأندلسي في جامعة الإمارات العربية المتحدة

أ.د. عمر الصديق عبدالله

أستاذ التربية وتعليم اللغات بجامعة أفريقيا العالمية-الخطوم

د. سليمان بن محمد العبيدي

وكيل وزارة الإعلام سابقاً

قواعد النشر في المجلة (*)

- أن يكون البحث جديداً؛ لم يسبق نشره.
- أن يتسم بالأصالة والجدة والابتكار والإضافة للمعرفة.
- أن لا يكون مستقلاً من بحوثٍ سبق نشرها للباحث.
- أن تراعى فيه قواعد البحث العلميّ الأصيل، ومنهجيتته.
- أن يشتمل البحث على:
 - عنوان البحث باللغة العربية وباللغة الإنجليزية.
 - مستخلص للبحث لا يتجاوز (٢٥٠) كلمة؛ باللغتين العربيّة والإنجليزية.
 - كلمات مفتاحيّة لا تتجاوز (٦) كلمات؛ باللغتين العربيّة والإنجليزية.
 - مقدّمة.
 - صلب البحث.
 - خاتمة تتضمّن النتائج والتوصيات.
 - ثبت المصادر والمراجع باللغة العربية.
 - رومنة المصادر العربية بالحروف اللاتينية في قائمة مستقلة.
- في حال (نشر البحث ورقياً) يمنح الباحث نسخة مجانية واحدة من عدد المجلة الذي نُشر بحثه فيه، و (١٠) مستلات من بحثه.
- في حال اعتماد نشر البحث تؤول حقوق نشره كافة للمجلة، ولها أن تعيد نشره ورقياً أو إلكترونياً، ويحقّ لها إدراجه في قواعد البيانات المحليّة والعالمية - بمقابل أو بدون مقابل - وذلك دون حاجة لإذن الباحث.
- لا يحقّ للباحث إعادة نشر بحثه المقبول للنشر في المجلة - في أي وعاء من أوعية النّشر - إلّا بعد إذن كتابي من رئيس هيئة تحرير المجلة.
- نمط التوثيق المعتمد في المجلة هو نمط (شيكاغو).

(*) يرجع في تفصيل هذه القواعد العامة إلى الموقع الإلكتروني للمجلة: <http://journals.iu.edu.sa/ALS/index.html>

محتويات العدد

م	البحث	الصفحة
(١)	جهود التركستاني في التأصيل اللغوي: كتاب في أصول الكَلِمَاتِ نموذجاً نوال بنت نفاع بن حماد المطرّفي	٩
(٢)	عقد جواهر في الكلام على سورة الكوثر لسراج الدين عمر بن إبراهيم بن نجيم (ت ١٠٠٥هـ) دراسة وتحقيق د. عادل بن محمد بن جليوي الرفاعي	٩٧
(٣)	ما تردد الجوهري في الحكم عليه بالمولد د. أحمد بن عواد بن سلامة العبدى الشمري	١٥٥
(٤)	إحداث قول ثالث في الدرس النحوي" دراسة أصولية تطبيقية د. طارق بن هندي الصاعدي	٢٢٣
(٥)	المشهد اللغوي في مدينة الرياض: دراسة وصفية تحليلية للغة المستعملة في لافتات المحلات التجارية د. فهد بن صالح العليان	٢٧٥
(٦)	انتصار ابن عصفور لسيبويه على المبرد د. سعود بن أحمد بن عبد الرحمن المنيع	٣١٣

م	البحث	الصفحة
(٧)	التماسك المعجمي في سورة (الإنسان) في ضوء علم اللغة النصي لتعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها د. مصطفى سعد عبد الرحمن الخضر	٣٦٧
(٨)	استراتيجيات الخطاب النبوي مقاربة تداولية في سياق غزوة تبوك د. علي بن يحيى نصر عبد الرحيم	٤١٣
(٩)	بلاغة التمثيل في القصص النبوي د. نورة بنت عبد الرحمن الحربي	٤٨١
(١٠)	السياقات المجتمعية ودورها في استلاب الذات في القصة القصيرة "قراءة نقدية تحليلية في حواف الأعمال الكاملة للأديب إبراهيم شُجبي" د. ابتسام علي رويح الصُّبُحي	٥٢٧
(١١)	التناسع العنوانية ودلالته في ديوان مزاجها زنجبيل لفواز اللعبون دراسة سيميائية د. فاطمة بنت سعيد أحمد العمري	٥٨١
(١٢)	فن الاحتجاج بالعواطف في الشعر الشاكي لامية الراعي النميري نموذجا د. أسماء بنت عوض الجميعي	٦٢٣

جهود التركستاني في التأصيل اللغوي: كتاب في أصول الكلمات نموذجاً

The Efforts of al-Turkistāni in Linguistic Rooting,
the Book *Fi Usūl al-Kalimāt* as a case study

نوال بنت نفاع بن حماد المطرفي

إدارة تعليم المدينة المنورة - معلمة في الابتدائية الثانية والتسعون

البريد الإلكتروني: nanw-123@hotmail.com

المستخلص

يعد علم التأصيل اللغوي من العلوم العربية التي تتضح فيها أعمال وجهود التركستاني اللغوية، لا سيما فيما يتعلّق بالألفاظ؛ إذ أخرج في خدمة هذا العلم نتائجاً علمياً ليس باليسير خلال مسيرته الأكاديمية التي تجاوزت الأربعين سنة. ويسعى هذا البحث إلى الوقوف على طرق التأصيل اللغوي للألفاظ عند التركستاني ضمن مستويات اللغة الثلاثة (الصوتية والصرفية والدلالية)، وبيان آرائه وترجيحاته فيها.

وقد التزم البحث قدر الإمكان بسمات البحث العلمي وعناصره، وكانت طبيعته تقتضي السير على المنهج الوصفي - في أكثر جوانبه - واتّخذه طريقة له في عرض شيء من هذه الجهود ومناقشتها.

وقد وقف من خلال مباحثه على نتائج مهمة، إذ يتبين اهتمام التركستاني بالتأصيل اللغوي لكثير من الألفاظ، وموافقته لما ذكره سابقوه من علماء اللغة، فلم يخرج عن خط سيرهم من حيث الاعتناء باللغة، والعمل على إثبات مرونتها في كل زمان ومكان، كما دلّل على أن العديد من الألفاظ في اللهجات المحلية اليوم لها صلة قوية ووثيقة بما كان في العربية قديماً، إضافة إلى أنّ أصل بعضها يعود إلى لغات سامية.

كما بيّن أن تعدّد الظواهر الصوتية في اللفظ الواحد عائداً إلى التطور الذي لحق بها خلال حقب زمنية مختلفة، وتعدّد القبائل، والاختلاف القائم بينها في النطق. وما هذا البحث إلا إشارات عابرة حول جهود التركستاني وطريقته في مجال التأصيل اللغوي للألفاظ الواردة في كتابه (في أصول الكلمات)؛ ويوصي الباحثين بتناول جميع ما قدمه في هذا المجال من نتائج علمية، والاستفادة منه، ودراسته بصورة أشمل وأوسع وأدق.

الكلمات المفتاحية: التركستاني، التأصيل اللغوي، جهود، اللغة.

Abstract

Linguistic etymology is one of the Arabic sciences in which the works and linguistic efforts of Al-Turkistani's are well noticed, especially with regard to words. He made tremendous efforts in the service of this science through the works he during his academic career which exceeded forty years.

This research seeks to identify the ways of linguistic rooting of words by Turkistani within the three levels of language (phonetic, morphological and semantic), and to explain his opinions and preferences in them.

The research adhered as much as possible to the characteristics and elements of scientific research, and its nature required following the descriptive approach - in its most aspects - and considering it a method to present and discuss some of these efforts.

The research was concluded by mentioning the most important findings, as it was evident that Turkistani's interest in the linguistic rooting of many words, and his agreement with what his predecessors of linguists mentioned, he followed their path in showing a great concern about the language, and working to prove its flexibility in every time and place, as he indicated that many of the words in local dialects today have a strong and close connection with that of the ancient Arabic, in addition to the fact that the origin of some of them goes back to Semitic languages.

He also showed that the multiplicity of phonetic phenomena in a single pronunciation is due to the development that took place during different periods of time, the multiplicity of tribes, and the difference between them in pronunciation.

This research is only a passing reference about the efforts of Turkistani and his method in the field of linguistic establishment of the words contained in his book (Fī Uṣūl al-Kalimāt); The researchers are urged to take all of his scholarly works in this field, benefit from it, and study it more comprehensively, broadly, and accurately.

Keywords: Turkistani, Linguistic establishment, efforts, language.

المُقدِّمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين؛ سيدنا محمد عليه من الله أزكى الصلاة وأتم التسليم.
"إنَّ أشرف ما عُني به بعد كتاب الله - عز وجل - لغات العرب وآدابها، وطرائف حكمها؛ لأن الله - تبارك وتعالى - اختارها من بين اللغات لخير وأشرف أمة." (١).
لقد نالت اللغة عناية كبيرة منذ القدم، خاصة التي تتعلق بدراسة الألفاظ وتأصيلها، فالخليل بن أحمد الفراهيدي، وابن سينا من أوائل القدماء الذين تناولوا دراسة الألفاظ.

لم تقف الجهود عند أولئك فحسب، بل امتدت حتى عصرنا الحالي بالرغم من سيادة العربية المعاصرة على حياتنا في الوطن العربي، إلا أن جُلَّ ألفاظها يعود للفصح. فاللفظ وإن طرأ عليه تغيير؛ إلا أن له أصلاً في الفصحى، وهذا ما أثبتته علماء اللغة في عصرنا الحالي، ومنهم: محمد يعقوب التركستاني، وما له من جهود عظيمة في خدمة اللغة، بدايةً من رسالته في لغات طيء التي وقفت على بعضها كإرهاصات أولى لمساهماته، ومن ثمَّ جهوده الظاهرة في كلِّ من: التحقيق، والتأليف، وكتب التأصيل. لعل كتابه "في أصول الكَلِمَاتِ" أحد أوائل مؤلفاته ذات الأثر الكبير في إضاءة جوانب من تاريخ الألفاظ، والوقوف على أصولها، وما طرأ على بعضها من تغيير، ولأهميته فقد اخترته ليكون موضوعاً لدراستي الموسومة ب: جهود التركستاني في التأصيل اللغوي: كتاب في أصول الكَلِمَاتِ نموذجاً.

فقد جاءت هذه الدراسة لتبيِّن جهوده في جانب التأصيل اللغوي لكثير من الألفاظ على اختلاف مستوياتها.
والدافع لاختيار هذا الكتاب ليكون مجالاً لدراستي يعود لعدة أسباب، منها:

(١) ابن الحداد، كتاب الأفعال، ت. حسين محمد محمد شرف، مراجعة. محمد مهدي علام، القاهرة - جمهورية مصر العربية: مؤسسة دار الشعب للطباعة والنشر، ١٣٩٥هـ، ١ / ٥١.

- ١- القيمة العلمية للكتاب التي تظهر في التأصيل اللغوي للألفاظ.
 - ٢- أهمية التأصيل اللغوي للألفاظ، وارتباط الكثير منها بالفصحى.
 - ٣- عدم وجود دراسة سابقة لهذا الكتاب.
 - ٤- الاهتمام باللغة العربية، وحث الدارسين على العناية بها.
 - ٥- ردُّ الفضل لأهل الفضل عن طريق ذكْرهم، وتخصيص الأبحاث التي تُوثق جهودهم في مجال اللغة.
- ويسعى هذا البحث إلى الوقوف على الجهود المبذولة في التأصيل اللغوي في كتاب (في أصول الكَلِمَات).
- كما يسعى إلى تحقيق أهداف أخرى منها:
- ١- التمهيد بالسيرة العلميّة والعملية للمؤلف، والتعريف بكتابه (في أصول الكَلِمَات).
 - ٢- تناول جهود المؤلف في التأصيل اللغوي في كتابه (في أصول الكَلِمَات).
 - ٣- الوقوف على أهم الطرق التي اتبعها المؤلف في التأصيل اللغوي.
- وقد حرصت في هذه الدراسة على الرجوع إلى أهمّ الكتب وأشهرها قديماً وحديثاً، واقتضت طبيعة البحث أن أسير على المنهج التحليلي لبعض النماذج؛ وذلك بالإشارة إلى بعض طرق التأصيل اللغوي الواردة في كتاب (في أصول الكَلِمَات).
- وسيتّم في البحث إجراءات منها:
- ١- ذكْر بعض المفردات اللغوية الواردة في كتابه (في أصول الكَلِمَات).
 - ٢- تتبُّع ما ورد حول هذه المفردات في كتب المعاجم واللغة.
 - ٣- شرح المفردات اللغوية من كتب اللغة.
 - ٤- عزو الشواهد الواردة في الكتاب إلى مظانها.

خطة البحث

خطة البحث جاءت على النحو الآتي:

المقدمة.

التمهيد، ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: (حياة التركستاني، ومؤلفاته).

المطلب الثاني: كتابه (في أصول الكَلِمَاتِ) ومنهجيته.

المطلب الثالث: منهجه في التأصيل.

المبحث الأول: جهود التركستاني في جانب التأصيل الصوتي:

المطلب الأول: أسس التأصيل الصوتي والدلالة الصوتية.

المطلب الثاني: نماذج على التأصيل الصوتي.

المطلب الثالث: التأصيل الصوتي: (المنهج والعرض، الآراء والترجيحات).

المبحث الثاني: جهود التركستاني في جانب التأصيل الصرفي:

المطلب الأول: أسس التأصيل الصرفي والدلالة الصرفية.

المطلب الثاني: نماذج على التأصيل الصرفي.

المطلب الثالث: التأصيل الصرفي: (المنهج والعرض، الآراء والترجيحات)

المبحث الثالث: جهود التركستاني في جانب التأصيل الدلالي:

المطلب الأول: أسس التأصيل الدلالي.

المطلب الثاني: نماذج على التأصيل الدلالي.

المطلب الثالث: التأصيل الدلالي: (المنهج والعرض، الآراء والترجيحات).

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج، والتوصيات التي توصلت إليها.

الفهارس الفنية: (فهرس المصادر والمراجع، فهرس الموضوعات).

المطلب الأول: حياة التركستاني ومؤلفاته

محمد بن يعقوب بن أحمد التركستاني يكنى أبا فِهر، وُلِدَ هذا العالم الجليل سنة ١٣٦٩هـ، فقد تلقى تعليمه الابتدائي في المدرسة الفيصلية بمكة المكرمة، والمتوسط في مدرسة خالد بن الوليد بمكة، والثانوي في المدرسة العزيزية بمكة. تخرج في كلية الشريعة في مكة المكرمة، بدرجة (البكالوريوس) في اللغة العربية سنة ١٣٩١هـ بتقدير (ممتاز)، وكان الأول على دفعته.

حصل على درجة (الماجستير) في فقه اللغة العربية من كلية الشريعة في مكة المكرمة في ١٢/٣/١٣٩٧هـ عن رسالته بعنوان: (السيوطي وجهوده في الدراسات اللغوية) بتقدير (ممتاز)، مع التوصية بطبع الرسالة على نفقة الجامعة، كما حصل على درجة (الدكتوراه) في فقه اللغة العربية من كلية اللغة العربية في جامعة أم القرى في ١٢/١١/١٤٠٢هـ عن رسالته في (لغات طي: أصواتاً وبنيةً ونحوًا ودلالة) بتقدير (ممتاز).

صفاته:

اتصف بصفات جليلة أكسبته وقار العالم وتواضع المتعلم؛ منها: هدوء الطباع، ورجاحة العقل، وقلة الكلام في غير منفعة، عليه سيما الوقار والسكينة، يتحدث بأسلوب جميل، ولا يكاد يلحن، يقول عنه تلميذه عبد الرزاق الصاعدي: "للدكتور محمد يعقوب هيبه وإجلال، وتكتنف محاضراته سكينة، ويعلوها وقار قلّ مثيله، فمن النادر أن تسمع صوتاً أو تشويشاً، فكأن الوقار ينتقل إلينا من أستاذنا، أو ينزل علينا نزولاً من سقف القاعة، وحتى أشد الطلاب حيوية ومشاغبة ومداعبة ومرحاً وصحباً؛ تعزبه السكينة المفاجئة في محاضرات الدكتور، فالكل -بلا استثناء- يلتزم الهدوء والوقار، بعقد غير مكتوب ولا منطوق".

لقد كان إنساناً عاملاً، لا يتكلم إلا كلاماً مفيداً، ويقابل الإساءة بالصبر

جهود التركستاني في التأصيل اللغوي: كتاب في أصول الكَلِمَاتِ نموذجاً، د. نوال بنت نفاع بن حماد المطرّفي

والصمت، ويتعامل مع كتابه بالكلمة النافعة؛ دون النظر إلى الأسماء والألقاب (١).

شيوخه وتلاميذه

١. شيوخه:

من الذين تلمذ لهم، وتلقّى العلم عنهم؛ في الحرم المكي الشريف، وفي مراحل التعليم العام، وفي قسم اللغة العربية، وفي كلية الشريعة والدراسات الإسلامية في مكة المكرمة، وفي دُوَرهم التالية أسماءهم:

إبراهيم بندقجي.	عبد الرحمن حبنكة الميداني.	محسن جمال الدين.
أحمد علم الدين الجندي.	عبد العزيز برهام.	محمد إبراهيم أحمد علي.
أحمد مكي الأنصاري.	عبد العزيز ناصر المانع.	محمد أمين كتي.
حسن بدوي.	عبد الغني الصائغ.	محمد القاسمي.
حسن محمد باجودة.	عبد القادر أبو سليم.	محمد غفوري.
خليل محمود عساكر.	عبد الله حلمي.	محمد متولي الشعراوي.
رشيد عبد الرحمن العُبيدي.	عبد الله يمان.	محمود حسن زيني.
سعيد عطية أبو عالي.	عدنان محمد سلمان.	محمود محمد شاكر.
سيد أحمد صقر.	قاصد الزيدي.	نوري حمودي القيسي.
صالح محبوب.	كمال أبو النجا.	يحيى وهيب الجبوري.
عبد الحكيم حسان.	كمال بشر.	

٢. تلاميذه

عالم في مجال اللغة كالتركستاني يتبعه وينهل من علمه تلاميذ كثر؛ فقد تتلمذ على يديه عدد غير يسير من الطلبة منهم: عبدالرزاق بن فراج الصاعدي، حسن عبدالمنعم العوفي، عبدالله بن محمد العتيبي، بدر بن محمد الجابري، الزبير بن محمد أيوب، عبدالرحمن بن عيسى الحازمي، إبراهيم بن سالم الصاعدي، عبدالله بن عثمان اليتيمي، ماهر بن مهمل الرحيلي، صالح بن عويد العمري، عبدالرحمن بن دخيل ربه المطرّفي، محمد بن هادي مباركي، عبدالعزيز بن سالم الصاعدي، ناجي عبدالجليل،

(١) يُنظر: محمد حبيب دخيل الترجمي، محمد يعقوب التركستاني: آراؤه وجهوده في خدمة العربية، مجلة الجامعة للغة العربية وآدابها، ١٤٤٢هـ، (مقبول للنشر)، ص ٩.

عبدالعزیز عاشور، نصار حمید الدین، وأغلبهم عمل أو لا يزال يعمل في الجامعة الإسلامية.

أما الذين يعملون خارج هذه الجامعة فمنهم: أحمد بن سعيد قشاش، والكاتب الصحفي أحمد العرفج، إبراهيم بن سالم الجهني، سليمان بن سالم السناني، عماد بن حمزة الربيع، محمد بن سلمان الرحيلي، والمذيع الإعلامي جبريل أبو دية، وحسين محمد بافقيه، حسن إبراهيم قابور، وخليفة ياسين بن عربي، ودوكوري ماسبيري، وعبد أحمد قزان^(١) وغيرهم.

تدرجه الوظيفي

شغل التركستاني مناصب عدة خلال مسيرته الوظيفية؛ فقد عُين معيداً في كلية اللغة العربية في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، ١٣/٩/١٣٩٦هـ، ثم محاضراً فيها في ١٩/٣/١٣٩٧هـ، ثم أستاذاً مساعداً فيها في ٢٩/١٢/١٤٠٢هـ، ثم أستاذاً مشاركاً فيها في ٢١/١/١٤١٣هـ، ثم أستاذاً فيها في ٩/١١/١٤١٨هـ. كما أُعيرت خدماته (لظروف والده الصحية) من الجامعة الإسلامية إلى جامعة الملك عبد العزيز لمدة ست سنوات، عضو هيئة التدريس في قسم اللغة العربية، في كلية الآداب.

شارك في مناقشة رسائل لـ (الماجستير) و(الدكتوراه)، وأشرف على عدد منها، كما شارك في تحكيم بحوث الترقية، والنشر في مجلات علمية، ومن تلاميذه الذين أشرف على رسائلهم:

عبدالرزاق بن فراج الصاعدي، عبدالرحمن بن عيسى الحازمي، عبدالعزیز بن عاشور بن حسن بن عبيدان، محمد عاشق الرحمن بن محمد طيب الرحمن، من بنغلاديش، ضياء القمر آدم علي، من الهند، خالد مقبل ناشي الصاعدي، وهو آخر

(١) يُنظر: محمد الترمي، محمد يعقوب التركستاني: آراؤه وجهوده في خدمة العربية، ص ١٠ وما بعدها، ومحمد الرحيلي، جامعة طيبة، (قسم اللغة العربية)، ١٤٤٣هـ، "اتصال شخصي".

جهود التركستاني في التأصيل اللغوي: كتاب في أصول الكَلِمَاتِ نموذجاً، د. نوال بنت نفاع بن حماد المطرفي

من أشرف عليهم الدكتور؛ متعه الله بالصحة والعافية^(١).
وكان تقاعده من تاريخ الحادي والعشرين من شهر ذي الحجة من عام أربعين
بعد الأربعمائة والألف من الهجرة.

المواد التي يدرسها

برع التركستاني في كثير من علوم العربية، ونقلها إلى طلاب العلم في عزيمة المحب
لهذه اللغة الجليلة، ولِعِظَم مكانتها في نفسه نجده يتنقل في عطائه هذا بين كل من:

١- دراسات في كتب اللغة.

٢- اللسانيات الحديثة.

٣- فقه اللغة العربية.

٤- علم الأصوات.

٥- علم الدلالة.

٦- علم المعاجم.

٧- القراءات القرآنية.

من اهتماماته

لم تكن جهود التركستاني محصورة فقط فيما يقدمه بين صفوف طلابه، بل
نجده يتجاوز ذلك باهتمامه لكل ما يرتبط باللغة العربية، ومن ذلك:

١- تحقيق نصوص التراث اللغوي.

٢- لغات قبائل العرب القديمة.

٣- اللهجات العربية الحديثة.

٤- التأصيل اللغوي في المعجم العربي.

أعماله الإدارية

شغل التركستاني عدة أعمال إدارية؛ منها ما يلي:

(١) يُنظر: المرجع السابق، ص ٢٦.

- ١- رأس قسم التحقيق والنشر في مركز البحث العلمي في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة (لفترتين).
- ٢- تولّى أمانة المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية (لفترتين).
- ٣- عُين مديرًا لتحرير مجلة الجامعة الإسلامية (لثلاث فترات).
- ٤- عُين أمينًا لمجلس الجامعة الإسلامية (لفترتين).
- ٥- عُين عميدًا لشؤون المكتبات بالجامعة الإسلامية (لثلاث فترات).
- ٦- عُين عميدًا لكلية اللغة العربية بالجامعة الإسلامية (لفترتين).
- ٧- اختير عضوًا بمجمع اللغة العربية الافتراضي، وعضوًا بمجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية^(١).

كتبه ومؤلفاته

- للدكتور محمد بن يعقوب التركستاني تأليف عدّة في فنون متنوعة في مجال اللغة العربية تجاوزت الـ ١٥٠ مؤلفًا، أتت في أزهى حلّة، منها ما جاء في التحقيق كالاتي:
- ١- مخارج الحروف وصفاتها: لأبي الأصبع السُّماتي الأشبيلي؛ المعروف بابن الطحان (توفي بعد ٦٥٠)، محمد يعقوب تركستاني، براج وخطيب، بيروت ١٤١٢هـ.
 - ٢- كتاب تحصيل الهمزتين الواردتين في كتاب الله من كلمة أو كلمتين: لابن الطحان، محمد يعقوب تركستاني، براج وخطيب، بيروت ١٤١٢هـ.
 - ٣- الجوهر الفرد في الكلام على أما بعد: لعبدالله بن علي بن سويدان الدمليجي (ت ١٢٣٤هـ)، محمد يعقوب تركستاني، دار البخاري، المدينة المنورة ١٤١٦هـ.

(١) يُنظر: محمد الترجمي، محمد يعقوب التركستاني: آراؤه وجهوده في خدمة العربية، ص ١٢، ومحمد الرحيلي، جامعة طيبة، (قسم اللغة العربية)، ١٤٤٣هـ، "اتصال شخصي".

٤- غاية المراد في معرفة إخراج الضاد: لشمس الدين المقرئ المعروف بابن النجار (ت ٨٧٠هـ)، محمد يعقوب تركستاني، دار البخاري، المدينة المنورة ١٤١٦هـ.

٥- ياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن: لأبي عمر الزاهد، المعروف بـغلام ثعلب (ت ٣٤٥هـ)، محمد يعقوب تركستاني، معهد البحث العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤٣٦هـ.

٦- منهج من ألف فيما يرسم بالياء ويرسم بالألف (في الأسماء والأفعال والحروف المختومة بالألف)، لمحمد علي بن محمد علان البكري الشافعي (المتوفى ١٠٥٧هـ)، محمد يعقوب تركستاني، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ١٤٤٢هـ.

٧- المزهري في علوم اللغة وأنواعها: لجلال الدين السيوطي، (تحت الإعداد)^(١).

٨- وسيلة الطلاب إلى قواعد الإعراب للدِّمَلِيَّجِيِّ، محمد يعقوب تركستاني، من منشورات النادي الأدبي بالمدينة، دار منظور، ١٤٤٢هـ. ومنها ما كان من تأليفه كالاتي:

١- في أصول الكلمات، محمد يعقوب تركستاني، براج وخطيب، بيروت ١٤١٢هـ.

٢- في مشكلة الخلط بين الضاد والظاء، محمد يعقوب تركستاني، دار البخاري، المدينة المنورة ١٤١٥هـ.

(١) أفاد في "اتصال شخصي" بحصوله على تسع وثلاثين نسخة للكتاب بعد التدقيق فيها جميعها انتهى إلى ثمان نسخ نادرة إحداها بخط السيوطي وعمل على مقارنة النسخ ببعضها وتحديد الاختلافات فيما بينها لكون الاختلاف بينها كبيراً جداً؛ إما بالزيادة أو الحذف، وإما بالتغيير أو إنشاء مباحث ومسائل وتفريعات جديدة؛ وهو ما يؤكد حقيقة أن "المزهر" تعرض لمراجعة" السيوطي" نفسه فيه؛ بالتنقيح والتصحيح، والزيادة والتذييل، كما تعرض لتغييرات وزيادات أجراها بعض مالكيه، أو ناسخيه، ولا يزال في مرحلة الإعداد له.

- ٣- في العاميات والفصحى المخففة، محمد يعقوب تركستاني، مكة المكرمة، ١٤٢٠هـ.
- ٤- سلام الإخوان إلى مواهب الرحمن في أوزان الأسماء والأفعال، محمد يعقوب تركستاني، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٤٢٥هـ.
- ٥- فروق لغوية مغفول عنها في فصحانا المعاصرة، محمد يعقوب تركستاني، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٣٧هـ.
- ٦- العاميات الفصحى في لهجاتنا العربية المعاصرة، محمد يعقوب تركستاني، مجمع اللغة العربية، مكة المكرمة، ١٤٤١هـ.
- ٧- في فقه اللغة العربية، محمد يعقوب تركستاني، دار الميمنة، المدينة المنورة، ١٤٤١هـ.
- ٨- أخطاء شائعة في فصحانا المعاصرة، محمد يعقوب تركستاني، النادي الأدبي الثقافي بجدة.
- ٩- في أصول التعبيرات الاصطلاحية في فصحانا المعاصرة، محمد يعقوب تركستاني، مركز البحوث والتواصل المعرفي بالتعاون مع مجمع الملك عبد العزيز للمكتبات الوقفية بالمدينة المنورة، ١٤٤٢هـ.

أعماله الأخرى

- ١- أشرف على (ملحق التراث) في جريدة المدينة المنورة، خلال مدة صدوره فيها لمدة عشرين سنة بانتظام (من ١٣٩٦هـ)، وأشرف عليه في جريدة البلاد من (١٤٢٣هـ) لمدة ثلاث سنوات بانتظام.
- ٢- أشرف على مشروع فهرست مخطوطات عمادة شؤون المكتبات في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة (ثمانية عشر مجلدًا).

جهود التركستاني في التأصيل اللغوي: كتاب في أصول الكَلِمَاتِ نموذجاً، د. نوال بنت نفاع بن حماد المطرفي

٣- أعد وقدم برامج لغوية أسبوعية بانتظام عبر أثر إذاعة البرنامج الثاني، لنحو أربعة عقود؛ من ١٤٠١هـ إلى ١٤٣٨هـ، ومنها: اللغة الخالدة، العاميات في اللغة العربية، لغتنا الجميلة.^(١)

المؤتمرات التي حضرها وشارك فيها

حَضَرَ وشارك في عدد من المؤتمرات والندوات والملتقيات التي تناولت قضايا اللغة العربية؛ وما يتعلّق بها، وفي بعض محاورها؛ كالتّي انعقدت في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وفي جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض؛ ومنها:

١- ندوة مناهج اللغة العربية في التعليم ما قبل الجامعي: ونظمتها جامعة الإمام في الرياض، سنة ١٤٠٥هـ.

٢- ندوة حوار الأديان: ونظمتها الجامعة الإسلامية، في ماليزيا، سنة ١٤٣٤هـ.

٣- ندوة مكانة اللغة العربية: ونظمتها الجمعية العلمية السعودية للغة العربية مع نادي مكة الأدبي، سنة ١٤٣٤هـ.

٤- ندوة القرآن الكريم في الدراسات الاستشراقية: ونظمتها مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، في المدينة المنورة سنة ١٤٢٧هـ.^(٢)

مكانته العلمية وأبرز ما قيل فيه

يُعدُّ التركستاني صاحب مكانة علمية مميزة منذ أن بدأ مسيرته؛ إذ يقول الأديب الدكتور عاصم حمدان علي: "عندما قدمت مكة في مطلع التسعينيات الهجرية دارساً، كان عدد من أبناء هذا الوطن المعطاء قد سبقنا في التحصيل والدرس العلمي، وكان من بين هؤلاء هذا الأخ الكريم الزميل -عالم اللغة والمتبحر في فقهها-

(١) محمد تركستاني، الجامعة الإسلامية (قسم اللغة العربية)، ١٤٤١هـ، (اتصال شخصي)، والمجمعيون، مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية، تاريخ النشر ٨-٢-٢٠١٥م، استرجع بتاريخ ١٥-١١-٢٠٢٠ من موقع:

<https://www.m-a-arabia.com/site/8820.html>

(٢) محمد تركستاني، (اتصال شخصي).

الدكتور محمد يعقوب تركستاني، وكان مثل زملائه الكرام الدكتور عبد الله باقازي ومحمد العمري، ومحمد العثيمين، والفقيه الشريف عبد الله الحسيني البركاتي -رحمه الله- كانوا وغيرهم قد التحقوا بقسم الدراسات العليا العربية دارسين، ولقد سبقت كلية الشريعة -جامعة أم القرى لاحقاً- رصيفاتها في افتتاح أقسام الدراسات العليا في علوم الشريعة وحقول الأدب واللغة وسواها مما سوف يدوّنه التاريخ -يوماً- وإنما أردنا أن نلّم بشيء من هذا التاريخ توطئةً أو تمهيداً للحديث عن ضيف جريدة المدينة، وابنها البار منذ ما يقرب من ثلاثة عقود ونيف، كان فيها كاتباً بصفحة الأدب التي كان يجرها المرحوم سباعي عثمان، ثم سبّاقاً لتقديم أول ملحق متخصص في التراث، وصدر عن هذه الصحيفة العريقة عام ١٣٩٦هـ، إلا أنه سبق تقديمه في صفحة واحدة عام ١٣٩٤هـ، ثم في صفحتين ١٣٩٥هـ، واكمل في ٩٦هـ.

لقد كان يهتم بالنقطة والفاصلة كاهتمامه بالكلمة والعبارة، ويشرف على الإخراج والصف، وسواهما من ضروب التقنية الصحافية، ولا يداعب الكرى أجفانه حتى تتم ولادة الملحق من بين ماكينات الطباعة في المقر القديم لصحيفة المدينة بطريق مكة^(١).

ويقول أيضاً: "بقي أن أقول: إن قلة في الساحة من يعرفون أن أخانا التركستاني كان يكتب شعراً رقيقاً في مطلع حياته، وأن شاعرنا الكبير السيد محمد حسن فقي كان معجباً بتلك الإبداعات الشعرية، وأثمرت العلاقة الوثيقة بين الرائد الفقي، وبين رائد التراث عن بحث قيم كتبه الدكتور التركستاني عن شاعرية الفقي..."^(٢).

كما يقول عنه عبد العزيز الحربي في مقدمته لكتابه العاميات الفصاح: "المصنف -حفظه الله- محمد يعقوب تركستاني، علّم من أعلام اللغة العربية، وفحلّ"

(١) المقالات الصحفية، صحيفة المدينة، الأربعاء، ١٠ صفر ١٤٢٥هـ - ٣١ مارس ٢٠٠٤م، (نقلاً

عن: الأعمال الكاملة للأديب الدكتور عاصم حمدان علي، ن. عبد المقصود محمد خوجة،

جدة، ط. ١، ١٤٢٦هـ، ٥٧٧/٤ وما بعدها.

(٢) المرجع السابق.

جهود التركستاني في التأصيل اللغوي: كتاب في أصول الكَلِمَاتِ نموذجاً، د. نوال بنت نفاع بن حماد المطرني

من فحولها، الذين عُرفوا بالتحقيق، والدقة والضبط، والتأصيل، وحُسن التأليف،
وقديماً كان له ملحق تراثي بصحيفة المدينة، كان منهلاً للمختصين بالتراث ومحبي
العربية، وحظيَّ حيناً من الدهر بالمشاركة فيه، وكان إبَّان تأسيس الجمع اللغوي
المكي من المرشحين لعضوية الجمع من أول يوم.

وإنني باسم مجلس أمناء الجمع وأعضاء الجمع وباسمي لأشكر للمؤلف -أمد
الله في حياته، وبارك فيها في حسن عمل- ما قدّمه من خدمة جليلة للغة العربية
وأهلها، وأشكر له أيضاً اصطفاء الجمع وإيثاره على غيره بهذا السفر الجليل^(١).

يقول عنه علي محمد الحسون: "لقد كان يأتي إلى مكاتب التحرير دون
صخب، بل يأتي في هدوء، ويروح يراقب حركة الزملاء في صمت، ولكنه ذلك
الصمت الذي يقول فيه صاحبه كلاماً كثيراً، دون أن ينطق بكلمة من فيه... وهو
من أولئك الذين يستطيعون السيطرة على من يتعاونون معه بأدبه ورقته، التي لم تكن
مصطنعة، بل هي من سلوكه الذي شربه من طفولته، فهو صاحب تربية (بيتوتية)،
فهي ليست مكتسبة، بل هي أصيلة فيه... ومع هذا لديه قدرة على استيعاب المزاح
الذي لا يחדش حياء، ولا يسيل دماً، إنه من أولئك الشباب الجادين في حياتهم،
الصابرين على كل ما قد يواجههم من صعوبات"^(٢).

كما قال عنه عبد الرحمن بن عيسى الحازمي في إحدى مقالاته: "بأنه ابن
جني زمانه"^(٣).

المطلب الثاني: كتابه (في أصول الكلمات) ومنهجيته

كتاب (في أصول الكَلِمَاتِ) من مطبوعات (مكتبة براج وخطيب - بيروت -

(١) ينظر: محمد تركستاني، العاميات الفصح في لهجاتنا العربية المعاصرة، مجمع اللغة العربية، مكة
المكرمة: (١٤٤١هـ)، ص ٨.

(٢) محمد الحسون، شخصيات وذكريات، ص ٢١٣ وما بعدها، (نقلاً عن: محمد يعقوب التركستاني
آراؤه وجهوده في خدمة العربية)، ص ٩.

(٣) ينظر: ملحق الأربعاء، جريدة المدينة، ١٠-٢-١٤٢٥هـ، ص ٧.

١٤١٢ هـ)، جاء في خمسمائة وسبعة صفحة يحمل بين صفحاته مائة وثلاثة وأربعون لفظة، والمتأمل فيه يلاحظ منذ بداية قراءته الكثير من الجهود اللغوية التي تبرز وتنظم في مستويات اللغة على اختلافها؛ فلا تكاد تخلو صفحة من صفحاته من لفظ لغوي؛ يخضع في دراسته لمستويات اللغة الصوتية، والصرفية، والدلالية؛ إذ يمتلك مؤلفه حظاً وافراً من اللغة تدل على سعة علم، واتساع اطلاع؛ الأمر الذي يمكنه من تحليل اللفظ من كل جوانبه بتمكّن واقتدار، وذكر لما فيه من إشارات لغوية بأسلوب بليغ يغلب عليه الإيجاز والوضوح الكافي.

يتناول هذا الكتاب دراسة معاني الكلمات، ويهدف إلى وصل الفصحى المعاصرة بالعربية الفصحى في شيء مما تجري به استعمالات الناس من الألفاظ، ويمتاز بمنهج مميز في تقسيمه، كما أشار الدكتور محمد أجمل الإصلاحي^(١)؛ فقد ذكر بأن الكتاب حوى بين طياته جموعاً من المقالات الممتعة التي كانت تصدر في ذات الملحق، وينقسم إلى قسمين:

القسم الأول منه: تناول الكلمات والتعبيرات التي تجري على ألسنة الناس في كافة تعاملاتهم من غير فهم لحقيقة معناها نحو: تَرَبَّتْ يَدَاهُ، وَمَا هَذِهِ التُّرَهَاتُ؟، وَأَثَلَجَتْ صَدْرِي، وَفُلَانٌ حَاطِبٌ لَيْلٍ، وغيرها.

بعضها كلمات انحرفت على ألسنة الناس وكتابتهم عن الوجه الصحيح قديماً أو حديثاً، وقف على أصلها وبيّن الصواب في استعمالها مثل: نَحْوُ وَرْهَاءَ، وَحَوَّلَ وَحَوَالِي، وَكَلَامٌ سَفْتُهُ بِفَصِّهِ وَنَصِّهِ، وَالظِّلُّ وَالْفَيْءُ، وَأَعْدَقَ، وَدَخَلَ فُلَانٌ فِي حُمَارِ

(١) ينظر: ملحق التراث، جريدة المدينة، ١٠-٧-١٤١٤ هـ، جده، العدد السادس والثلاثون من السنة السابعة عشرة. وكاتب المقال: د. محمد أجمل الإصلاحي المولود في مديرية "أعظم كر" بالهند سنة ١٣٧٣ هـ. جده لأمه الشيخ أخت أحسن الإصلاحي، ومن شيوخه: احتشام الدين الإصلاحي، ومحمد أويس النجرامي. له عناية بالإمام الفراهي وتراثه، وله العديد من المشاركات المقالية والبحثية، وقد عمل في المملكة العربية السعودية فترة من الزمن. من مؤلفاته: رسالته لنيل الدكتوراه في تحقيق كتاب مفردات القرآن للفراهي بجامعة لكنؤو، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. "اتصال شخصي".

النَّاسِ، وَفُلَانٌ شَاعِرٌ مُفْلِقٌ.

يعد هذا الجانب من القسم هو الغالب على الكتاب، وقد خصَّه بالذكر في مقدمته؛ فقد اختار طائفة من الكلمات الشائعة في الفصحى المعاصرة، يرى أنها بحاجة إلى رصد ما تطورت إليه، وحاول -قدر ما يستطيع- أن يذهب في بحثها مذهباً تاريخياً؛ فعرض لاشتقاقها، واستشهد لها بالآيات القرآنية، أو الأحاديث النبوية، أو الشعر، وذكر أقوال العلماء فيها، واعتمد على أقوال أهل التفسير وعلماء القراءات، ونَبَّه إلى ما عُدل فيه عن الصواب، ولم يكن له دليل من كلام العرب، ووجه بعض ما نُسب إلى أخطاء العامة في استعمال الكلمات بما يحتمل التأويل، أو يوافق لغة من لغات العرب، ولو كان غيره أفصح منه وأشهر.

أما القسم الآخر: فيتناول ألفاظاً وردت في بعض لغات العرب بمعانٍ تبدو مباينة لمعانيها في سائر لغاتهم، أو تختلف اختلافاً يسيراً؛ فوضَّح أصولها، وأجاد في البحث عن الروابط التي تجمع بين معانيها، وتمت معالجة العديد من القضايا اللغوية في هذا القسم نحو، التضاد، والترادف، والاشتراك اللفظي، والاشتقاق الأكبر، والإبدال نحو: أُفٍّ، وَجَرَنَ بَيْنَ أَخْلَقَ وَوَلَانَ، وَهُوَ بِإِدَائِهِ، وَالْحَوَزُ: الْقَاعُ وَالنُّقْصَانُ وَالرُّجُوعُ، وَسَدِّكَ بِهِ، السَّمَرُ الظُّلْمَةُ، الْمَبِينُ فِي تَفْسِيرِ الضِّدِّيَّةِ بَيْنَ الْكَلِمَتَيْنِ، الْقَلِيصُ: الْبَارِدُ وَالْمُنْقَبِضُ وَالْمُرْتَفِعُ، وَالْإِنْسَانُ وَالْإِنْسَانُ، وغيرها.

سار في كتابه على ذات الطريق التي سار عليها القدماء في بحث دلالة الألفاظ، رتَّب مواد الكتاب على حروف المعجم، وفقاً للحرف الأول من الكلمة الأم في كل مادة، وعرض مواد الكتاب على المعاجم مادةً مادةً، وضبطها بالحركات؛ ليثبتها صحيحة موثوقاً بها؛ مستفيداً من كتب اللغة المتنوعة، وكتب متن اللغة المعتمدة، وذلك بالرجوع إلى مائة وأربعة وعشرون مرجعاً في إثبات أصالة مائة وثلاثة وأربعون لفظة، يسير في كتابه في تسلسل منتظم في ترتيب الأفكار، والموضوعات مع عمق في المعنى فغايته تعليمية.

بدأ بالتصدير للكتاب بتمهيد حول الكلمة، ودورها في اللغة، ودلالاتها، وعناصرها الثلاثة: الدالّ والمدلول والدلالة، ودلالاتها الثلاث: الصوتية، والصرفية،

والمعجمية، وعناية اللغويين بتتبع ما طرأ عليها من تغيير في الأداء، أو المعنى لتهيئة ذهن القارئ للكلمات التي سيتناولها في مادته بصفحات قاربت الثمانين، وقد أبلى بلاءً حسنًا في إخراج كتاب يوازي جهده في التأليف من حيث الضبط لمادة الكتاب وتصويبها، الذي حرص فيه على أن يكون موافقًا لضبط المصحف الشريف قدر المستطاع^(١).

ثم انتقل بعد ذلك إلى موضوع الكتاب؛ وهو الألفاظ العربية المعاصرة وارتباطها بالفصحى منتهجًا في ذلك أسلوبًا سيرًا مميّزًا، فنجده يستشهد بالقرآن الكريم في ستة عشر موضعًا، والحديث الشريف في اثنا عشر موضعًا، والأشعار في ثلاثة وثلاثون موضعًا، وذكر لآراء بعض العلماء.

قدم له الدكتور خليل أحمد عمارة بمقدمة جليلة تناولت جهود السابقين له، ثم أعقبها بعبارات تناولت قيمة هذا السفر الثمين، مشيرًا في ذات الوقت إلى الفئات التي يمكنها أن تفيد مما جاء فيه، ومنهم: الطلبة المتخصصون في اللغة العربية، والباحثون عن موضوعات لدراساتهم العليا، أو الذين يبحثون عن معرفة الفرق بين لفظ وآخر، أو معرفة معنى لفظ يدور على ألسنة عامة الناس من دون معرفة معناه، أو معرفة أصول الألفاظ التي تطورت دلالاتها^(٢).

عُني التركستاني فيه بجوانب من الدرس اللغوي؛ تقريبًا لله، وعنايةً بلغة القرآن، واختتم مقدمته بالدعاء إلى العليّ القدير أن ينفع الله بهذا العمل.

المطلب الثالث: منهجه في التأصيل

يُعدّ التأصيل بمثابة دوران المادة اللغوية في كافة استعمالاتها، فالمعنى في دلالاته الأصلية يعود إليه، فهو ذو قيمة عظيمة في الفكر اللغوي عند العرب، وقد نال عناية

(١) ينظر: ملحق التراث، جريدة المدينة، ص ٣.

(٢) ينظر: محمد تركستاني، في أصول الكلمات، الجامعة الإسلامية، (المدينة المنورة: ١٤١٢هـ)، ط. ١، ص ٧-١٧.

طائفة كبيرة من العلماء أمثال: الخليل، وابن دريد، وابن قتيبة، وأبو الطيب، وابن فارس، وغيرهم. بذلوا في ذلك جهداً كبيراً برز في ربطهم اللفظ بالمعنى من خلال العودة به إلى جذوره اللغوية، وصيغ بنائه الصحيحة، وذكر ما تفرع من استعمالاته على مرّ الزمن جمع أهل اللغة -إلا من شذ عنهم- أن للغة العرب قياساً، وأن العرب تشتق بعض الكلام من بعض، فاسم الجنّ مشتق من الاجتنان، وأن الجيم والنون تدلّان أبداً على الستر، وتقول العرب للدّرع: جُنّة، وأجنة الليل، وهذا جنين، أي هو في بطن أمّه أو مقبور^(١)، وفي ذلك يقول الدكتور السيد عبد ربه محمد رجب: "تتجلّى قيمة التأصيل في سعة دلالاته وعموم ربطه ألفاظ اللغة بعضها ببعض، فهو أعم وأشمل من تعليل التسمية والاشتقاق في الربط بين الألفاظ وإيجاد الصلة بين المعاني، فكل من الاشتقاق وتعليل التسمية يُعدّ صورة جزئية من صور هذا الربط، بينما يعد التأصيل صورة للربط الكلي بين ألفاظ اللغة"^(٢).

كما أن طبيعة التأصيل تختلف باختلاف مسافاتهما من الأصل؛ فمنها: القريب، ومنها: البعيد الذي يحتاج إلى جهد كبير في فهم دلالاته، من خلال استحضار المعنى الأصلي بالرغم من بُعد المسافة بينهما^(٣).

لم تقف الجهود في ذلك عند القدماء، بل امتدت إلى علمائنا المعاصرين، ومنهم: التركستاني؛ معتمداً في تأصيله للألفاظ على أمرين كما ذكر:

أولهما: رد العاميات إلى الفصحى الموحدة المختارة، وإلى لغات قبائل العرب الفصيحات، وإلى تراث المولد والمغرب والدّخيل الذي أقره علماءنا، واقتفاء أثرهم فيه.

ثانيهما: التفريق - في التأصيل - بين: التأصيل للفظ في العاميات؛ كضبط نطقه، أو ورود معناه بصورة من الصور؛ كلفظ: نِحْن، حِن، إْحْن، إْحْن. وكلفظ: أَهْل بمعنى:

(١) ينظر: ابن فارس، **الصاحبي**، محمد علي بيضون، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، ط.١، ص ٣٥-٣٦.

(٢) ينظر: السيد عبد ربه محمد رجب، **التأصيل عند الراغب الأصفهاني في تفسيره على ضوء ما ذكره ابن فارس**، دراسة موازنة، جامعة الأزهر، حولية كلية اللغة العربية بنين بجرجا، العدد.

١٨-١٤٣٥هـ، ج/٣، دار الكتب المصرية، ص ٢١٨٦.

(٣) ينظر: **المرجع السابق**، ص ٢١٨٧.

زوجة؛ مما لا تُبنى عليه قاعدة عامة يُقاس عليها؛ فُيراعى في وضعها كثرة الشواهد، والتأصيل لبنية صرفية عامية أو تركيب عامي؛ كبنية: وَفَيَاتِ وَوَفَيَاتِ، وكالتركيب العامي: مُحَمَّدٌ وَأَحْمَدٌ رَاحُوا؛ مما يلزم أن يسير على قاعدة عامة يُقاس عليها، ويُراعى في وضعها كثرة الشواهد؛ وهي قواعد النحو والصرف.

فهو يرى أن أي محاولة في التأصيل للعاميات لا تأخذ بهاتين الآليتين في إقرار ما هو فصيح منها ستوقع التأصيل في الاضطراب؛ وهو ما يحدث الآن بين كثير من المشتغلين بتفصيح العاميات، وفي كتب تلحين العوام، والأخطاء الشائعة. ويرى أن بناء المعجم الموحد الحديث؛ الذي يجمع الجديد إلى القديم لا بد أن يقوم على مفهومٍ صحيحٍ مُسَلَّمٍ به في التأصيل اللغوي للعاميات، وتكون آليات العمل فيه واحدةً؛ ليعكس لنا هذا المعجم: ثبات العربية على أصولها، ويعكس مرونتها وقدرتها على التطور على مرّ الزمان^(١).

(١) محمد تركستاني، (اتصال شخصي).

المبحث الأول: جهود التركستاني في جانب التأصيل الصوتي

يقول الجاحظ: "الصوت هو آلة اللفظ، والجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه يوجد التأليف، ولن تكون حركات اللسان لفظاً ولا كلاماً موزوناً أو منشوراً إلا بظهور الصوت، ولا تكون الحروف كلاماً إلا بالتقطيع والتأليف"^(١).

ويعد ابن جني من أوائل العلماء الذين أصلوا لهذه الدلالة، فعقد باباً في تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني، وهو تقارب الحروف لتقارب المعاني مثل: (أز، وهز)؛ إذ يتقاربان في معنييهما كما تقاربا في صوتيهما، وباباً آخر في إمساس الألفاظ أشباه المعاني، وهو محاكاة اللفظ لمعناه، ومنه المحاكاة الصوتية كتسمية الأشياء بأصواتها مثل: (البط) لصوته، وباباً في قوة اللفظ لقوة المعنى^(٢).

كما يُعد الوقوف على الدلالة الصوتية للألفاظ خير معين في معرفة أصولها وتأصيلها. لا سيما إذا استندت في ذلك على دراسات تاريخية تبين أصل استخدام اللفظ، والمعنى الذي يؤدّيه منذ النشأة الأولى له في اللغة^(٣).

المطلب الأول: أسس التأصيل الصوتي والدلالة الصوتية

وضع القدماء الأسس الأولى في دراسة الناحية الصوتية للمفردة، وابن جني في كتابه الخصائص من أوائل الذين تناولوا هذا العلم قبل أن يتوسع فيه علماء اللسانيات في عصرنا الحديث، ولعل التركستاني - كما يشير في مقدمته - يسير في ذات الطريق التي شقّها سابقوه من القدماء في علوم اللغة تجاه دراسة الألفاظ اللغوية؛ متتبّعاً تاريخها، وما طرأ عليه من تغيير في مختلف جوانبها، ومن ذلك: الجانب الصوتي معتمداً في ذلك على أسس أهمها ما يأتي:

(١) الجاحظ، البيان والتبيين، (بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٤٢٣هـ)، ١٢/١.

(٢) ينظر: ابن جني، الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط. ٤، ١٤٧/٢ وما بعدها.

(٣) ينظر: هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي، تقديم: علي الحمد، دار الأمل للنشر والتوزيع، إربد، الأردن: ١٤٢٧هـ، ط. ١، ص ٦٥ وما بعدها.

- ١- إن الكلمة لديه تمثل أداة المعنى، فهي أصغر وحدة في الكلام، وتنقسم إلى حروف وحركات، وتكمن حدودها في استقلاليتها، أو وظيفتها في حال دخولها في الجملة، وتمثل في الاسم والفعل والحرف من جانبها المادي، أما المعنوي فتتمثل في ثلاثة عناصر: الدال وهو اللفظ، والمدلول وهو المعنى، والدلالة وهي العلاقة القائمة بين اللفظ ومعناه^(١)، إذن الكلمة عبارة عن: "مجموعة من الوحدات الصوتية المؤلفة بطريقة معينة لكي ترمز إلى الأشياء الحسية والأفكار المجردة"^(٢)؛ سواء أكانت مركبة في جملة أم مفردة.
- لنأخذ مثلاً كلمة (ضَرَبَ) من الضرب لن يتضح المعنى لها إلا فيما لو رُكبت في جملة تامة^(٣)، وكلمة (الْيَتِيم) تطلق للدلالة على من مات أبوه من الناس^(٤).
- ٢- إن الدلالة الصوتية تنقسم إلى دلالة مطردة، ودلالة غير مطردة^(٥).
- أ- الدلالة المطردة: وهي التي تخضع لنظام معين أو قواعد مضبوطة كإبدال حرف بحرف، مثل: (هُوَ بِإِدَائِهِ) بدلاً من (هُوَ بِإِرَائِهِ)، و(الْأَنْوْفُ) بدلاً من (الْمَنْوْفُ)؛ إذ إن العلاقة الصوتية بين كل من (الدال والزاي وكذلك الهاء والهمزة) تسمح بالتبادل بينهما، كما في لفظ (النَّضْح) و(النَّضْحُ)، ودلالة ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ الرحمن: ٦٦ أي: فؤارتان^(٦).

(١) ينظر: محمد تركستاني، في أصول الكلمات، ص ٣٧ وما بعدها.

(٢) ينظر: حلمي خليل، الكلمة، دراسة لغوية معجمية، دار المعرفة الجامعية، ط. ٢، ١٩٩٨م، ص ٣٣.

(٣) ينظر: ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، ترجمه وقدم له وعلق عليه: كمال بشر، مكتبة الشباب، ص ٤٨، (الهامش).

(٤) ينظر: محمد تركستاني، في أصول الكلمات، ص ٤٧٩.

(٥) ينظر: المصدر السابق، ص ٥١.

(٦) ينظر: ابن أبي زمنين المالكي، تفسير القرآن العزيز، ت: أبو عبد الله حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفى الكنزي، (مصر - القاهرة: الفاروق الحديثة، ط. ١، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م)، (٣٣٤/٤).

أما إبدال الحركة بحركة مثل: (الهُتُوفُ) بالفتح بدلاً من (الهُتُوفُ) بالضم؛ أبدل الناس فيه ضمة الهاء فتحة تظرفاً وتخففاً؛ لكون بعض القبائل تجنح إلى تسهيل النطق باللفظ^(١).

ب- الدلالة الصوتية غير المطردة التي تتمثل في: (النبر والتنغيم) ومثال ذلك: لا أُبَالِي بِهِ ولا أُبَالِيهِ، ومجئها على صيغ كثيرة كالبألة، والمبألة، والتبألي، ولا أُبَالِي، ولا أُبَالِيهِ^(٢).

فهي لا تخضع لنظام معين أو قواعد مضبوطة أثناء النطق^(٣).

٣- ضرورة الاعتماد على النبر في أداء دلالات الكلمة من حيث الضغط على أحد المقاطع ليعلو ويبرز عند النطق به، ومثال لذلك عند السؤال عن شيء ما ومن فعله فإنه يقال: أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا؟ فلو ضغطنا على أنت يُفهم أن السؤال قصد به القائل، أما إذا ضُغَطَ على قلت أثناء طرح السؤال يفهم أن المقصود القول^(٤)، ويؤكد ذلك ما ذكره ابن جني "وأنت تحسّ هذا من نفسك إذا تأملتته، وذلك أن تكون في مدح إنسان والثناء عليه، فتقول: سألتناه فوجدناه إنساناً، وتمكّن الصوت بإنسان وتفخّمه، فتستغني بذلك عن وصفه بقولك: إنساناً سمحاً أو جواداً أو نحو ذلك"^(٥).

٤- الارتفاع والانخفاض في درجة الجهر بالكلام، وهو المسمى بالتنغيم أو موسيقى الكلام، كما يسميها إبراهيم أنيس للتعبير عن الحالات النفسية والمشاعر والانفعالات المختلفة بحسب ما يقتضيه المقام؛ ذلك أن النغمة تعطي دلالة وظيفية للمعنى تبين مدى تأثيرها، فنحن نقول: لا! ونقول: نعم!

(١) ينظر: محمد تركستاني، في أصول الكلمات، ص ٤٥٨ وما بعدها.

(٢) ينظر: محمد تركستاني، في أصول الكلمات، ص ١٤٦ وما بعدها.

(٣) ينظر: المصدر السابق، ص ٥٣.

(٤) ينظر: المصدر السابق.

(٥) ابن جني، الخصائص، ٢ / ٣٧٣.

ونقول: يا سلام! بنغمات مختلفة كل منها تعطي دلالة قصدها المتكلم^(١)، لذلك يعد التنغيم بمثابة الإطار الصوتي للمقام^(٢)؛ إذ يؤدي وظيفة صوتية تتمثل في انسجام الأصوات؛ بحيث تكتمل فيه النغمات وتتآزر لتؤدي المعاني والمقاصد.

٥- إن الترقيم في الكتابة عند التركستاني لا يقوم بوظيفة التنغيم، بل يعين على بيان المعنى فنحن حين نقول: (لا. شَقَاكَ اللهُ)، سواء بنقطة أو بدونها يتضح المعنى بأنه دعاء للشخص لا عليه من نعمة السياق للجملة؛ فالتنغيم أوضح في الدلالة على المعنى الوظيفي للكلمة في الجملة^(٣)؛ مخالفاً ما ذكره تمام حسان من أن الترقيم يقوم بتلك الوظيفة^(٤).

المطلب الثاني: نماذج من التأصيل الصوتي

مما يميز اللغة العربية أن عامياتها ليست كعاميات اللغات الأخرى؛ فهي ما تزال على اتصال كبير بها؛ فما أصابها على ألسنة الناس من تحريف وتغيير وتوليد؛ قليل أو كثير في أصواتها لم يخرجها عن دائرة الأصل. حيث ساعدها في ذلك استقرار اللغة الأم (الفصحى)، وكذلك احترام الناس لها؛ كونها لغة الإسلام والمسلمين.^(٥)

إن البحث في أصول اللفظ من خلال المعالجة اللفظية الدقيقة له هو النهج الذي سار عليه في تناوله للألفاظ التي تجري على ألسنة العامة موضحاً ما طرأ عليها ببيان أصلها الفصيح، ومرتبها في الفصاحة من خلال تاريخها، ومن ثم نسبتها اللهجية الأولى، ثم انتقالها في الأمصار المختلفة، واستعمالها في الأزمان المتلاحقة، ونسبتها في اللهجات الحديثة، ومدى عمومها، وما طرأ عليها من تغير؛ بحيث يصبح لدينا تصوّر

(١) ينظر: محمد تركستاني، في أصول الكلمات، ص ٥٥.

(٢) ينظر: المصدر السابق، ص ٥٩.

(٣) ينظر: محمد تركستاني، في أصول الكلمات، ص ٥٩.

(٤) ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، طبعة ١٩٩٤م، ص ٢٢٦.

(٥) ينظر: محمد تركستاني، العاميات الفصحى، ٤٠/١.

كامل عن كل ظاهرة، وتفسير للتغيرات اللغوية التي صاحبها^(١).

من أمثلة تلك الصور ما يلي:

أولاً- الإبدال:

يُعد الإبدال بين الأصوات من التغيرات الصوتية التي تصيب الأصوات في اللغة العربية، خاصة لو كان هناك تآلف وتناسق بين صوتين متجاورين مع بقاء دلالة المعنى قبل الإبدال؛ فهو من أسباب توسع الثروة اللفظية في العربية، مع باقي العوامل كالتوليد، والاشتقاق، والتعريب، ويُعد أحد قضايا الدرس الصوتي التي تعرض لها العلماء قديماً وحديثاً سواء في جانب الصوامت أم الصوائت^(٢)، ومنهم التركستاني. وفيما يلي بعض من تلك الألفاظ التي أوردتها:

١- إبدال الزاي دالاً في (هُوَ بِإِدَائِهِ)

يقول التركستاني^(٣): إن قبائل العرب اليمينية المتبدية؛ تميل إلى إبدال الزاي دالاً؛ في قولهم: (هُوَ بِإِدَائِهِ) عَوْضًا عن (هُوَ بِإِرَائِهِ)؛ كونها تؤثر التخفف في نطق الأصوات الشديدة؛ بدلاً من الأصوات الرخوة؛ لأن الأصوات الشديدة تتناسب مع سمات اللغات البدوية.

وإذا تأملنا المثال السابق نلاحظ إبرازه لظاهرة الإبدال التي لحقت اللفظ، لعدة أسباب منها: الاقتباس من اللغات، والتغيير فيها لتتناسب مع بيئاتها، والفرار من الأصوات الرخوة إلى الأصوات الشديدة التي تتناسب مع طبيعة البدوي، فطية من القبائل البدوية المتوغلة في بداوتها، لذلك يقولون: (هُوَ بِإِدَائِهِ) بدلاً عن (هُوَ بِإِرَائِهِ)، فتبدل الزاي دالاً ليكون اللفظ مناسباً لنطقها، ولو نظرنا إلى الدال والزاي لوجدنا

(١) المرجع السابق، ٧٢/١، (بتصرف).

(٢) ينظر: أحمد مفرح أحمد السيد، البحث الصوتي في (البيان في غريب إعراب القرآن) لأبي البركات الأنباري، إبدال الأصوات أمودجاً، جامعة الأزهر، حولية كلية اللغة العربية بنين

بجرجا، ١/ج، العدد. ٢٥-١٤٤٢هـ، ص ٧٧٩.

(٣) محمد تركستاني، في أصول الكلمات، ص ١٢٢ وما بعدها.

أنهما صوتان مجهوران متقاربان في المخرج، إلا أن الأول من الأصوات الشديدة، والثاني من الأصوات الرخوة، كما أن الدال من الحروف النطعية؛ لخروجها من قرب نطق الفم، وهو بداية غار الحنك الأعلى، ومن صفاتها: الجهر والشدة، أما الزاي: فهو من الحروف الأسلية^(١).

هذه الصفات المشتركة بين الصوتين جعلت من اليسير الإبدال بينهما في بعض اللهجات؛ خاصة تلك المتوغلة في البداوة، والتي تفرّ من الأصوات الرخوة للأصوات الشديدة بما يتناسب مع طبيعتها البدوية رغبة في التخلص من عبء النطق^(٢)، وطالما أن الإبدال يقوم في حال وجود علاقة بين المبدل والمبدل منه، كما يقول عبد الصبور شاهين مثل: قرب المخرج، أو الاشتراك في بعض الصفات الصوتية كالجهر، والهمس، والشدة، والرخاوة^(٣)؛ فلا غرابة من إبدال الزاي دالاً في القبائل المتبدية.

٢- إبدال النون ياء في (الإِنْسَان) و (الإِيْسَان)

يقول التركستاني: إن بعض قبائل العرب القديمة؛ كطيء؛ تطلق على (الإِنْسَان) لفظة (إِيْسَان) في حين أن سائر العرب تقول: (الإِنْسَان)^(٤). وشاهد ذلك قول (عامر بن جرير الطائي)^(٥):

فَيَا لَيْتَنِي مِنْ بَعْدِ مَا طَافَ أَهْلُهَا هَلَكْتُ، وَلَمْ أَسْمَعْ بِهَا صَوْتِ إِيْسَانِ

وقوله تعالى ﴿يَس ۝ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾ يس: ١ - ٢ يريد: يا إنسان. فقد عدّ اللغويون هذا ضرباً من الإبدال؛ في حين يراه التركستاني من باب الترادف أيضاً،

(١) ينظر: أبو الطيب، قراءة في كتاب الإبدال، ت. عز الدين التنوخي، ١٣٧٩هـ، ٣٦٦/٢.
(٢) محمد تركستاني، في فقه اللغة العربية، دار الميمنة، ١٤٤١هـ، ط. ١، ص ٦٩٢ وما بعدها.
(٣) ينظر: عبد الصبور شاهين، القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٦٦م)، ص ٧٣.
(٤) محمد تركستاني، في أصول الكلمات، ص ١٣٢ وما بعدها.
(٥) البيت من الطويل، وهو لعامر بن جوين، ابن عصفور، الممتع في التصريف، ت. فخر الدين قباوة، ج/١، ن. دار المعرفة، ١٤٠٧هـ، ط. ١، ٣٧١/١.

جهود التركستاني في التأصيل اللغوي: كتاب في أصول الكَلِمَاتِ نموذجاً، د. نوال بنت نفاع بن حماد المطرفي

وطالما أن صيغتي: (إِنْسَان) و(إِنْسَان) منحدرتان عن قبيلتين من العرب فهما لغتان مختلفتان؛ وضعهما واضعان لا يعرف أحدهما عن الآخر شيئاً، وهو أحد أسباب وقوع المترادف عند أهل الأصول^(١).

أما من عدّها من الإبدال؛ فلأن النون صوت أسناني لثوي أنفي مجهور، متوسط بين الشدة والرخاوة، شبيه لأصوات اللين؛ إذ كان من أوضح الأصوات الساكنة في السمع^(٢). أما الياء فصوت مجهور متوسط بين الشدة والرخاوة؛ من الأصوات الشجرية؛ التي تخرج من شجر الفم، ووصفه القدماء بأنه من أنصاف الحركات؛ لاقتربه من الحركات في صفاته؛ إذ كان نوعاً من الكسرة، هذه العلاقة بين الصوتين هي التي سمحت بإبدال أحدهما من الآخر، أضف إلى ذلك أنّ (النون) تتميز بتأثيرها بما يجاورها من أصوات، ومنها الصوت الساكن مما يؤدي إلى الفناء، وترك أثر الغنة في الصوت وبخاصة الياء وبالتالي يحدث الإدغام، لهذا ربما تأثرت (النون) بالهمزة المكسورة قبلها في: (إِنْسَان)؛ لتصبح: (إِنْسَان)^(٣)، فالعرب تقول: الْإِنْسَانُ، إِلَّا طَيِّبًا؛ فإنهم يجعلون مكانَ النونِ ياءً، فيقولون: إِنْسَانٌ، ويجمعون: أَيَّاسِينُ^(٤)، وقد قال الفراء: "طِيَّء تقول: إِنْسَان، بالياء، للإنسان، ويقولون في الجمع: أَيَّاسِين. فيجوز أن تكون النون بدلاً من الياء؛ وذلك لأنهم يجعلون النون بدلاً من العين، وهم يجترئون عليها، فيقولون: {أَنْطَيْتَ}، في: {أَعْطَيْتَ}، وجاء في قراءة ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾^(٥) الكوثر: ١ {إِنَّا أَنْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ} بالنون^(٥). ويَعْدُه

(١) ينظر: السيوطي، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، ت. فؤاد علي منصور، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ)، ط. ١، ١/٣١٩.

(٢) ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، نخصة مصر، ص ٢٧ وما بعدها.

(٣) ينظر: محمد تركستاني، في فقه اللغة، ص ٦٨٩ وما بعدها.

(٤) الفراء، كتاب فيه لغات القرآن، ضبطه وصححه. جابر بن عبد الله السريع، ١٤٣٥هـ، ص ١٤٩.

(٥) ينظر: ابن خالويه، إعراب القراءات السبع وعللها، ت. عبد الرحمن العثيمين، مكة المكرمة - جامعة أم القرى، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط. ١، ١٤١٣هـ)، ٢/٥٣٧.

ابن عصفور هنا إبدالاً على غير اللزوم^(١).

٣- إبدال السين شيئاً في (الطَّسْتُ والطَّشْتُ)

يقول التركستاني: إن (الطَّشْتُ) المستعملة في عامية الحجاز؛ وهو الإناء المعروف المسمى بـ (الطَّسْتُ) من آثار "الوتم" في حمير، وطيء، وقضاعة، وبعض أهل اليمن، وبعض الأنصار؛ حيث أبدلت العامة السين شيئاً؛ إذ الأصل (طسّ)، ثم صارت (طسْتُ) ف (طشْتُ) وتكون -على هذا- انحدرت من بعض لغات القبائل العربية القديمة؛ لا معربة عن الفارسية.

إن إبدال الوتم الواضح في إبدال السين تاء في لفظة (الطَّسَّ والطَّسْتُ) ناتج عن ميل تلك القبائل للأصوات الشديدة التي تتناسب مع بيئتها البدوية، وربما كانت لفظة (الطَّشْتُ) من قبيل ذلك الإبدال؛ لوجود تلك العلاقة؛ لا كما ذكر البعض من أنها معربة عن الفارسية^(٢)؛ إذ نصت بعض كتب اللغة على أنها معربة عن الفارسية، كما ذكر الثعالبي والسيوطي أن (الطَّشْتُ) تُطلق على الخوان والطبق والقصعة الشُّكْرَجَةُ^(٣)؛ في حين ذكرها الزبيدي والبستاني بأنها لغة في (الطَّسْتُ) بالسين المهملة^(٤).

ولعل ما ورد في معجم النبات في جبال السراة والحجاز يؤكد وجود ظاهرة هذا التبادل من خلال ألفاظ لبعض النباتات كقوله: (العشْبِقُ والعشْبِقُ)، و(السَّدَابُ والشَّدَابُ)؛ إذ هي لغة يمانية قديمة يعود أصلها إلى اللغة المهرية؛ لغة أهل ظفار،

(١) ينظر: ابن عصفور، الممتع، ص ٣٧١.

(٢) ينظر: محمد تركستاني، في أصول الكلمات، ص ٣٢٨ وما بعدها.

(٣) ينظر: (الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية، ت. عبد الرزاق المهدي، إحياء التراث العربي، ط. ٢، ١٤٢٢ هـ، ص ٢٠٨، والسيوطي، المزهرة، مرجع سابق، ٢١٧/١.

(٤) ينظر: الزبيدي، تاج العروس، ت. مجموعة من المحققين، دار الهداية، ٥/٥، البستاني، محيط المحيط، مكتبة لبنان: طبعة جديدة، ١٩٨٧ م)، ص ٥٥١.

وجزيرة سقطرى^(١).

كما أن السين والشين صوتان احتكاكيان، وكلاهما صوت مهموس، وهذا ما يسوغ الإبدال بينهما^(٢)، وأمثلة ذلك كثيرة في العربية؛ فقد جاء عن الفراء: (أتيته بسُدْفَة، وبسُدْفَة أي: بظلمة)، ويقال: (جَاحَسَه في القتال وجَاحَشَه)^(٣)، ويقال: اللطس واللطش^(٤)، ومعناه الضرب، ويقال: (النَّهْسُ والنَّهْشُ) في وصف أخذ اللحم بمقدم الأسنان، ومن ذلك قول الكميت^(٥):

وغادرنا على حُجْرٍ بنِ عَمْرٍو قَشَاعِمَ يَنْتَهَشُنَ وَيَنْتَقِينَا

يروى بالسين والشين جميعاً، ولا يكاد يقتصر الإبدال بين هذين الحرفين على العربية فقط بل في اللغات السامية جميعها^(٦).

٤ - إبدال الهاء من الهمزة في (الهُنُوف) و(الهُنُوف) و(الأُنُوف)

يقول التركستاني: من الأسماء التي شاع إطلاقها على البنات؛ اسم: الهُنُوف - بفتح الهاء - على زنة: الأُنُوف؛ والأصل (الهُنُوف) بضم الهاء - هو الضحك فوق التبسم^(٧).

-
- (١) ينظر: قشاش، معجم النبات في جبال السراة والحجاز ١٤٢٧، ١/٣٢١ وما بعدها.
(٢) فاطمة كاظم خضير راشد، صوت السين في العربية في ضوء لهجات شبه الجزيرة العربية، دراسة لغوية موازنة، رسالة ماجستير، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد كلية التربية للبنات، ٢٠١٦، ص ٦٩.
(٣) ينظر: أحمد علم الدين الجندي، اللهجات العربية في التراث، الدار العربية للكتاب، طبعة جديدة، ١٩٨٣، القسم ٢/٤٥٦.
(٤) ينظر: إبراهيم السامرائي، التطور اللغوي التاريخي، دار الأندلس، ط. ٢، ١٤٠١هـ، ص ١٧١ وما بعدها.
(٥) البيت من بحر الوافر، ينسب إلى الكميت في المزهري، ٤٢٧/١.
(٦) ينظر: أمينة الزعبي، التغير التاريخي للأصوات في اللغة العربية واللغات السامية، (إربد، الأردن: دار الكتاب الثقافي، ٢٠٠٨م)، ص ١٥٢.
(٧) ينظر: محمد تركستاني، في أصول الكلمات، ص ٤٥٦ وما بعدها.

ومنه قول الشاعر^(١):

تَعْضُّ الْجُفُونَ عَلَى رَسْلِهَا بِحُسْنِ الْهِنَافِ، وَخَوْنِ النَّظْرِ

فهو لا يستبعد أن يكون أصل (الهُنُوفِ) هو: (الهُنُوفُ) أُبدلت فيه ضمة الهاء فتحة للتظرف والتخفيف؛ مثل: (هُنُودٍ) والصواب (هُنُودٍ)؛ لأنه جمع (هندي) نسبة إلى (الهند) ومثل: (حُلْدُونَ) مع أن الصواب هو (حُلْدُونَ)، لأنه من: (الحُلْدِ) هو دوام البقاء، ثم زيدت في آخره الواو والنون، ولربما كان أصل (الهُنُوفِ) هو الأَثُوفُ، بالهمز؛ فالعلاقة الصوتية بين الهاء والهمز تسمح بالتبادل بينهما؛ لكونهما صوتين حنجريين مهموسين، وقد ورد في الشافية صوراً لهذا الإبدال مثل: هَرَحْتُ الدابة أي: أرحتها^(٢)، وقولهم: هَرَقْتُ الماءَ وَأَرَقْتُهُ^(٣).

كما ورد التبادل بين الحركات الثلاث في عدة كلمات، وكل واحدة تمثل لغة قبيلة من العرب؛ والذي يعد من باب المثلثات اللغوية التي تتفق في المعنى، ومنها:

○ (الجِدَاذَة، الجِدَاذَة، الجِدَاذَة)

يقول التركستاني^(٤): (الجِدَاذَة، الجِدَاذَة، الجِدَاذَة).

الأولى: (الجِدَاذَة)، بضم الجيم وهي أعلاها، وقد قرأ بها القراء السبعة ماعدا الكسائي.

الثانية: (الجِدَاذَة)، فقد قرأ بها الكسائي.

الثالثة: (الجِدَاذَة): وقد قرأ بها ابن عباس، وأبو نعيم، وأبو السَّمال.

(١) جاء الشاهد في التهذيب ٦ / ١٧٢، واللسان ٩ / ٣٥٠، والتاج ٢٤ / ٥٠١، من غير نسبة ولم أقف على قائله.

(٢) ينظر: الأسترابادي، محمد بن الحسن، شرح شافية ابن الحاجب، ت. محمد نور الحسن، محمد الزفراف، ومحمد محيي الدين عبد الحميد، القسم الأول، ج/٣، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان: ١٤٠٢ هـ. ٢٢٢/٣.

(٣) ينظر: كراع النمل، المنجد في اللغة، ت. أحمد مختار عمر، وضاحي عبد الباقي، ن. عالم الكتب، القاهرة، ط. ٢، ص ٣٥٥.

(٤) محمد تركستاني، في أصول الكلمات، ص ١٧٠.

جهود التركستاني في التأصيل اللغوي: كتاب في أصول الكلمات نموذجاً، د. نوال بنت نفاع بن حماد المطرني

ومنه قوله تعالى ﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَثِيرًا لَّهُمْ لَعَالَهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴾
الأنبياء: ٥٨.

قرئ بضم الجيم من (جذاذ) وكسرهما وفتحها (١).

فأما قراءة الضم، ووجهها أنها جمع جذاذة مثل: زجاج وزجاجة، وأما من قرأها بالكسر، ووجهها أنها جمع جديذ، ككريم وكرام، وأما من قرأها بالفتح ووجهها أنها مصدر بمعنى المجذوذ، كالحصاد بمعنى المحصود (٢).

ومن حالات الإبدال في الحركات تؤدي إلى تغير المعنى:

○ (أخذ فلان الشيء برمته)

يقول التركستاني (٣): هناك من يقول في (أَخَذَ فُلَانٌ الشَّيْءَ بِرُمْتِهِ) (أخذ فلان الشيء برمته) بكسر الراء بدلاً من ضمها، وهذا من إبدال في الحركات خاطئ؛ لاختلاف دلالة المعنى بين الكلمتين، فقولنا: (برمته) تعني أخذ الشيء بجملته في حين (برمته) تعني العظام البالية (٤)، وليس لها معنى في قول: (أَخَذَ فُلَانٌ الشَّيْءَ بِرُمْتِهِ).

ثانياً- الإتياع:

يُعد الإتياع من الظواهر الشائعة في اللغة العربية، ويعود في حقيقته إلى الانسجام الموسيقي بين الأصوات، وهو أن تأتي كلمتان متواليتان على رويٍّ واحدٍ، ويأتي على قسمين: رجعي يتأثر فيه الصوت الأول بالثاني، والآخر: تقدمي يتأثر فيه الصوت الثاني بالأول، وهذا أقيس أنواع الإتياع؛ كما ذكر ابن جني (٥)، ومما ورد في

(١) ينظر: ابن خالويه، إعراب القراءات، ٦٤/٢.

(٢) ينظر: الأندلسي، تحفة الأقران فيما قرئ بالتثنية من حروف القرآن، (المملكة العربية السعودية: كنوز أشبيلية، ط. ٢، ٢٠٠٧ م)، ص ٦١.

(٣) محمد تركستاني، في أصول الكلمات، ص ٢٦٢.

(٤) ينظر: الفراهيدي، العين، ت. د مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ٢٦٠/٨.

(٥) ينظر: (ابن فارس، الإتياع والمزاوجة، ت. كمال مصطفى، (القاهرة - مصر: مكتبة الخانجي، ٢٨)، وإبراهيم أنيس، الأصوات، مرجع سابق، ص ١٠٩.

ذلك قولهم:

١- (وقع فلانٌ في حيصٍ بيصٍ)

يقول التركستاني^(١): تعد لفظتا (حَيْصٍ) و(بَيْصٍ) من ألفاظ الإتياع المؤكدة، وقد حكاها أبو الطيب اللغوي وابن فارس إذ يُقال: وَقَعَ فِي حَيْصٍ بَيْصٍ، وَحَيْصٌ بَيْصٌ، وَيَأْتِي عَلَى ضَرْبَيْنِ: الْأَوَّلُ: يَكُونُ فِيهِ الثَّانِي بِمَعْنَى الْأَوَّلِ فَيُؤْتَى بِهِ تَأْكِيدًا؛ لِأَنَّ لَفْظَهُ مُخَالَفٌ لِلْفِظِ الْأَوَّلِ، وَالْآخِرُ: فِيهِ مَعْنَى الثَّانِي غَيْرَ مَعْنَى الْأَوَّلِ. صور الإتياع في العربية كثيرة منها قولهم: أَسْوَانٌ أَتْوَانٌ، فِي الْحَزَنِ، وَأَسْوَانٌ مِنْ قَوْلِهِمْ: أَسِيَّ الرَّجُلِ يَأْسَى أَسَىً: إِذَا حَزَنَ، وَرَجُلٌ أَسِيَانٌ وَأَسْوَانٌ أَي حَزِينٌ، وَأَتْوَانٌ مِنْ قَوْلِهِمْ: أَتَوْتَهُ أَتْوَهُ، بِمَعْنَى أَتَيْتَهُ أَتَيْهِ، وَهِيَ لُغَةٌ لَهُذِيلٌ^(٢).

٢- (قَبِلْتُ فُلَانًا بِعُجْرِهِ وَبُجْرِهِ)

يقول التركستاني: تُعد لفظتا (العُجْرَ) و(البُجْرَ) من ألفاظ الإتياع والشواهد كثيرة على ذلك منها قولهم: حَاجَةٌ وَلَا دَاجَةٌ؛ ففِي هَذَا الْمَوْضِعِ إِيْتَابٌ^(٣)، وَقَوْلُهُمْ: حَسَنٌ بَسَنٌ، وَعَطَشَانٌ نَطَشَانٌ وَشَيْطَانٌ^(٤).

المطلب الثالث: التأصيل الصوتي

أولاً: المنهج:

للتركستاني منهج يسير ومَرِنٌ ومَحْكَمٌ فِي تَنَاوُلِ اللَّفْظِ، سِوَاءَ كَانَ مَفْرَدًا أَمْ مَرْكَبًا

(١) محمد تركستاني، في أصول الكلمات، ص ٢٢٠.

(٢) ينظر: (أبو الطيب، الإتياع، ت. عز الدين التنوخي، مجمع اللغة العربية، دمشق: ١٣٨٠هـ، ص ١٤، و أبو علي القالي، الإتياع، ت. كمال مصطفى، (القاهرة-مصر: مكتبة الخانجي)، ص ٧١، ابن فارس، الإتياع، ص ٥١.

(٣) ينظر: محمد تركستاني، في أصول الكلمات، ص ٣٤٥.

(٤) ينظر: ابن قتيبة، غريب الحديث، ت: عبد الله الجبوري، ن. مطبعة العاني - بغداد، ط. ١، ١/ ٤١٠.

في جملة؛ فهو يقوم بتتبع المادة اللغوية وجمعها ودراستها، ثم العودة باللفظ ذي الأصول العربية إلى المصادر العربية المختلفة، بعد التأكد مما لحقه من تحريفٍ سواء أوقع في حرف أم في حركة منه؛ مثل: (زُمَّتِه ورَمَّتِه)، (أَيُّ وَأَيِّ)، (الخِطَّةُ والحِطَّةُ) أو إبدال؛ مثل: (إِدَائِه وإِزَائِه)، (الإِنْسَانُ والإِيسَانُ)، (طَحَا ودَحَا)، أو إدغام وإبدال؛ مثل: (طَسَّ وطَسَّتْ وطَسَّتْ)، أو مترادف لا قلب؛ مثل: (شُدِه ودُهَشْ)؛ (الهُنُوفُ والهُنُوفُ والهُنُوفُ)؛ لتحديد الصواب اللغوي.

أخذ يتتبع كل ما يحيط بها: أصلها القديم، وفرعها المعاصر، والمعنى المشترك بينهما، وصور المبنى والمعنى المتباينة لها في لغات العرب القديمة، وكذلك أقوال اللغويين فيها، مع توضيح ما أشكل منها، وتوجيه استعماله، ثم إقرار صححة ما صح منها من ألفاظ بالرجوع للمصادر العربية، وتخطئة ما كان خاطئاً وذكر وجه الصواب؛ ويتم التعليل لذلك مع الاستشهاد له بما يثبت صحة القول من نصوص القرآن الكريم، والقراءات، والحديث الشريف، ولغات العرب والأمثال، والأقوال ومعاجم العربية، وكتب اللغة والأدب، ودواوين الشعر^(١)؛ مراعيًا في ذلك دقة الضبط، والتشكيل، وضبط النطق في عرضه وتحليله وكذلك الاكتفاء في حال تأصيل اللفظ مفردًا بشاهد واحد جاء لإثباتها، أما في جانب التأصيل التركيبي فيعتمد على كثرة الشواهد والفاشي منها عند العرب^(٢).

ثانيًا: العرض:

للتركستاني طريقة في عرض المادة اللغوية تجذب القارئ لمتابعة تحليله للفظ، ومن ذلك:

١- ذكر اللفظ، مع التعليل على اختلافه في لغة من لغات العرب، ومسوغ ذلك الاختلاف، مثل: (هُوَ بِإِدَائِهِ)^(٣).

(١) ينظر: محمد تركستاني، العاميات الفصح، ص ١٤ وما بعدها.

(٢) مركز التميز في اللغة العربية، (١١-١٢)، أبريل ٢٠١٢م، ورشة عمل، المعجم العربي الجديد بين الوحدة والتنوع والمنهج، جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية.

(٣) ينظر: محمد تركستاني، في أصول الكلمات، ص ١٢٣.

٢- ذكر اللفظ، والمعنى الدال عليه، وبيان أصله، ثم الإشارة لما لحقه من تغير في الحركات، وذكر الرأي، ثم الأقوال واللغات الذي جاء عليه، والاستدلال بالشواهد مثل: (أَفِّ لَكَ)^(١).

٣- ذكر اللفظ، وصيغته، واللغات الواردة فيه، وعرض الرأي في ذلك، مثل: (الإنسان) و(الإيسان)؛ فالذين عزوا صيغة (الإيسان) إلى قبيلة طيء، وعزوا صيغة (الإنسان) إلى سائر قبائل العرب عدّوا ذلك ضرباً من الإبدال في حين يرى التركستاني أنه من باب الترادف، فهما لغتان وضعهما واضعان لا يعرف أحدهما عن الآخر شيئاً^(٢).

٤- ذكر اللفظ، وتصنيفه ضمن باب المثلثات اللغوية مثل: (صنوّان، صنوّان، صنوّان)^(٣).

هناك العديد من أساليب العرض التحليلية للكلمة تخللت الكتاب؛ إلا أننا هنا لم نوردنا لكون الغرض من عرضها الاستدلال وليس الحصر.

ثالثاً: الترجيح:

على الرغم من كثرة ما ورد في الكتاب من ألفاظ ترتبط بأصولها في الفصحى، وعرضها وتحليلها؛ إلا أنه في بعض الألفاظ يختمها التركستاني بتعقيب منه، فيذكر رأيه الشخصي إما في صورة ترجيح، أو تجويد لأحد الآراء، أو تقريب، ومن ذلك:

١- إن الأجود في لفظ (يا أبت) و(يا أمت) الكسر من غير ياء في حال الوصل^(٤).

٢- إن (الإنسان والإيسان) تُعدّ من باب الترادف، إضافة إلى كونها ضرباً من الإبدال كما ذكر بعض اللغويين وضعهما واضعان لا يعرف أحدهما عن الآخر شيئاً^(٥).

(١) ينظر: محمد تركستاني، في أصول الكلمات، ص ١٢٥ وما بعدها.

(٢) ينظر: المصدر السابق، ص ١٣٢ وما بعدها.

(٣) ينظر: المصدر السابق، ص ٣١٤.

(٤) ينظر: المصدر السابق، ص ١١٧.

(٥) ينظر: المصدر السابق، ص ١٣٣ وما بعدها.

- ٣- إن (الحِطَّة والحِطَّة) من أصل واحد؛ لدالتهما على الأثر يمتد امتداداً^(١).
- ٤- إن صيغة الضم في (جُدَادَة) أجود الصيغ^(٢).
- ٥- إن العِلْم من أصل الحِلْم أبدلت فيه الحاء عيناً، وهذا إبدال سائغ صوتياً؛ لأن العين والحاء صوتان حلقيان متقاربان في المخرج^(٣).
- ٦- إن (الدَّنْدَنَة) بمعنى أصوات الذباب على لغة بعض قبائل العرب قد تكون هي الأصل؛ لأن في اللغة طنين الذباب، وهو صوته من طنطن طنطنة؛ بقلب الدال طاء^(٤).
- ٧- إن (رَمَيْتِه) بكسر الراء خطأ، وصوابه (رَمَيْتِه) بضم الراء؛ لأن الرُّمَّة قطعة من الحبل بالية^(٥).
- ٨- إن (شُدِّهت أي: دُهِّشت) لغتان وأصلان متساويان؛ وليس أحدهما أصلاً لصاحبه، وليس لكل منهما معنى ليس في الآخر^(٦).
- ٩- إن (طَشَّت) المستعملة في عامية الحجاز بمعنى الإناء من آثار التوهم في حمير، وطيء، وقضاعة، وبعض أهل اليمن، وبعض الأنصار؛ أبدلت العامة السين شيناً؛ إذ الأصل طس، ثم صارت طست، وبذلك تكون طشت انحدرت من بعض القبائل العربية القديمة، لا معربة من الفارسية كما ذكر بعض أهل اللغة^(٧).
- ١٠- في قولهم؛ عند وصف شاعر مجيد: (هو شَاعِرٌ مُفَلِّقٌ) بفتح الفاء واللام؛ مع تشديد اللام، والأصوب أن يقال: (هو شَاعِرٌ مُفَلِّقٌ)؛ بإسكان الفاء، وكسر اللام المخففة^(٨).

(١) ينظر: المصدر السابق، ص ٢٢٩.

(٢) ينظر: المصدر السابق، ص ١٧١.

(٣) ينظر: محمد تركستاني، في أصول الكلمات، ص ٢١١.

(٤) نظر: المصدر السابق، ص ٢٤٠.

(٥) نظر: المصدر السابق، ص ٢٦٣.

(٦) نظر: المصدر السابق، ص ٣٠٧.

(٧) ينظر: المصدر السابق، ص ٣٢٨.

(٨) ينظر: المصدر السابق، ص ٣٩٠.

جهد التركستاني في التأصيل الصوتي لم يقف عند هذا الحد من الشواهد، بل نجده يقف على ألفاظ عدة يقدم فيها تحليلاً وافياً لما جاء فيها من ظواهر مثل: (شُدِهْتُ، وُدِهْتُ)، وأن الراجح فيها أن تكون لغتين متشابهتين في اللفظ والمعنى؛ لا كما ذكر آخرون أنها من باب المقلوب بمعنى أنه يتقارب معناهما لتقارب لفظاهما، لا لانقلاب أحدهما من الآخر^(١)، وأن هذه الظاهرة تسمى بالقلب لتقريبها للنشأة من باب التعليم^(٢)، مما دعا بعضهم إلى القول بالقلب فيهما.

إضافة إلى ذلك وقوفه على حركات اللفظ وتفسيرها وأثرها الذي تحدثه في اللفظة، فقد أشار إلى أن كل لغة من اللغات العربية تحتفظ بنظام للحركات العربية في معاجمها يختلف عن غيرها من بقية القبائل، فمنهم من يطيل، ومنهم من يجانس ويقرب صوتاً من صوت، نحو لفظة: (حُطَّةٌ وَخِطَّةٌ)^(٣) و(طَسَّ وَطَسَّ)^(٤) في الحركات القصيرة، ولا يبعد هذا أيضاً في مجال الحركات الطويلة.

لذا يعد سبب ميل القبائل البدوية إلى الضمة والواو في كونها تميل للصوت الشديد دائماً، في حين أن القبائل الحضرية تميل للكسرة والياء تلك التي تأثرت أثناء تطورها وآثرت الاقتصاد في المجهود العضلي أثناء النطق، إضافة إلى الكثير من النماذج التي تخللت الكتاب في جانب التأصيل الصوتي.

(١) ينظر: ابن درستويه، **تصحیح الفصح** وشرحه، ت. محمد بدوي المختون، (القاهرة: ١٤١٩هـ)،

المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ص ٩٥.

(٢) ينظر: محمد تركستاني، **في فقه اللغة**، ص ٦٣٥.

(٣) ينظر: محمد تركستاني، **في أصول الكلمات**، ص ٢٢٨.

(٤) ينظر: **المصدر السابق**، ص ٣٢٨.

المبحث الثاني: جهود التركستاني في جانب التأصيل الصرفي

التصريف: هو التلاعب بالحروف الأصول لما يُراد فيها من المعاني المفادة منها^(١)، يقضي إلى تصيير الكلمة على خلاف ما كانت عليه في الصيغة، ويندرج تحته القياس اللغوي، والاشتقاق، وأبواب التصريف من إعلال وإبدال وزيادة وحذف وإدغام^(٢)، فهو علم يبحث في تحويل الكلمة إلى أبنية مختلفة لأداء ضروب من المعاني^(٣)، كما يبحث في التغيير أي: تغيير الكلمة عن أصلها بدون أن يكون هذا دالاً على معنى طارئ على الكلمة نحو، (قَوْلٌ وَقَالَ)^(٤)، وميدانه دراسة نوعين من الكلمة: الاسم المتمكن والفعل المتصرف^(٥). ويمثل المقياس الذي وضعه العرب لمعرفة أحوال بنية الكلمة، الذي يُعرف بالميزان الصرفي أفضل ما عُرف في قياس ضبط اللغات، وقد جعلوه مكوناً من ثلاثة أصول هي: (ف ع ل)؛ لأن أكثر كلمات العربية يتكون من ثلاثة أحرف^(٦)، فنستطيع عن طريقه التعرف على بنية الكلمة وحروفها الأصلية، وما أصابها من تغيير.

إذن لبنيّة الكلمة أهمية في تحديد معناها؛ فعن طريق البنية وصيغها المختلفة تبرز المعاني وتُحدّد^(٧). وسماها البعض: "الوظائف الصرفية للكلمة"، وعرفت بأنها: "المعاني المستفادة من الأوزان والصيغ المجردة"^(٨).

بهذا يتبين أن للصيغ الصرفية دلالات، وهذه الدلالات لها أثر كبير في إثراء

(١) ابن جني، التصريف الملوكي، (شركة التمدن الصناعية بمصر، ط.١)، ص ٣.

(٢) هنداي، مناهج الصرفيين، دار القلم، ١٤٠٩هـ، ط.١، ص ١٦.

(٣) خلف القيسي، الوجيز في مستويات اللغة العربية، (دار يافا للنشر، ١٤٣١)، ط.١، ص ٢٧.

(٤) ينظر: ابن عصفور، الممتع، ص ٣٣.

(٥) عبده الراجحي، التطبيق الصرفي، دار النهضة العربية، ص ٨ وما بعدها.

(٦) المرجع السابق، ص ٨ وما بعدها.

(٧) عليان الحازمي، علم الدلالة عند العرب، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية

وأدائها، ج/١٥، العدد ٢٧ جمادى الآخرة، ١٤٢٤هـ، ص ٧١٢.

(٨) حلمي خليل، الكلمة دراسة لغوية معجمية، (دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٨م)، ط.٢، ص ٥٦.

اللغة وغناها لفظياً، وتعدد المعاني التي تنتج من تعبير أوزان الكلمة.

المطلب الأول: أسس التأصيل الصرفي والدلالة الصرفية

للقدماء جهود عظيمة في الجانب الصرفي؛ فقد نشأ الصرف والتصريف مع النحو في منتصف القرن الأول الهجري، تبلور وتشكّل على يد الخليل وسيبويه وابن جني وغيرهم، سائر في ذلك على أساس ومنهج وميزان صرفي مستمدّ من الملاحظة والاستقراء، ثم وضع القواعد من المصادر التي اعتمدوا عليها أثناء استنباطهم المقاييس، وهي: القرآن الكريم، والحديث النبوي، وكلام العرب، متّخذين من القياس منهجاً للبحث في الجانب الصرفي^(١)، والتركستاني كما ذكر يسير في طريقه على نهج القدماء وسابقه، عند دراسة الألفاظ، مراعيًا الأسس التي اعتمدها عند تناول اللفظ من الجانب الصرفي أثناء معالجته له ومنها ما يلي:

- ١- إن اختلاف حركة أحد الحروف يؤدي إلى اختلاف دلالة الكلمة نحو، (مَفْعَل) بفتح الميم الزائدة، تختلف عن (مِفْعَل) بكسرها كمَذْهَب ومِطْرَق^(٢).
- ٢- إن المثلثات اللغوية التي تتفق أوزانها وتختلف معانيها وتتعادل أقسامها وتتساوى في الترتيب؛ تختلف فيها دلالة الكلمة نحو: المَهْلُ بالفتح يعني: الرَّفْق، والمَهْلُ بالكسر يعني: الصديد والقريح، والمَهْلُ بالضم يعني: النحاس الذائب، وقد تختلف الحركات في الكلمة الواحدة، ولا يختلف المعنى، مثل: (ذُرْوَة)، (ذُرْوَة)، (ذُرْوَة) و (يَأْرُز)، (يَأْرُز)، (يَأْرُز)، و (دَلَالَة)، (دَلَالَة)، (دَلَالَة).
- ٣- إن الألفاظ المتقاربة في الأوزان والأقسام والأصول مما ليس له صفة صرفية واحدة ولا تركيب حرفي واحد، وإنما جمع بينه وبين ما يشبهه اتفاق الأوزان وتعادل الأقسام وتقارب الأصول مثل: (صَامِتٌ ومُصَاتِمٌ)، و(القَرْنُ والقَرْوُ والقَرْيُ).

(١) ينظر: حسن هندراوي، **مناهج الصرفيين**، ص ٧٧ وما بعدها.

(٢) ينظر: محمد تركستاني، **في أصول الكلمات**، ص ٦٠ وما بعدها.

٤- إن علم الصرف في درس الدلالة الصرفية يأتي على عدة مباني: الاسم، والصفة والفعل؛ كونها قوالب تُصاغ فيها الألفاظ على قياسها، وعلى مباني: الضمير، والمخالفة، والظرف، والأداة؛ لكونها لها معانٍ وظيفية تقتصر على السماع. كما جاء على مباني: التكلم، والخطاب، والغيبة، والإفراد، والتثنية، والجمع، والتذكير والتأنيث، والتعريف والتنكير؛ لكونها معاني يعبر عنها بواسطة اللواحق والزوائد^(١).

٥- إن التصريف قسمان: الأول جعل الكلمة على صيغ مختلفة لضروب من المعاني، كالتصغير والنسب، وسائر المشتقات، والآخر: تغيير في بنية الكلمة من غير أن يكون دالاً على معنى طارئ نحو: الإعلال، والإبدال، والإدغام^(٢).

٦- إن الدلالة الصرفية في الرتبة تأتي بعد الدلالة اللفظية، والدلالة المعنوية فأقواها الدلالة اللفظية، ثم الصرفية، ثم المعنوية^(٣).

٧- إن تغيير البنية في لغات العرب المختلفة الناتج عن تغيير أصواتها، يُعد تغييراً طفيفاً ليس من الصعب معه التعرف على الكلمة في صورتها الأصلية؛ كونه يعتبر ضمن نظام الصرف؛ لالتزام المتكلمين به في بيئة معينة، فلا يعدو إلى غيره بحيث يكون محدوداً؛ كون الذي تغير هو عنصر من عناصر النظام، وفي ضوء استعمال واحد من الاستعمالات وليس النظام.

٨- لا ترد لغة من لغات العرب بلغة أخرى، وإنما تقوى عليها من خلال القياس واتساعه الناتج من تغيير عناصر النظام؛ نحو: قلب الألف ياء في الإضافة إلى ياء المتكلم في لغات بعض العرب كهذيل فتقول: (عَصَايَ وَقَفَايَ) (عَصَيَّ وَقَفَيَّ) في حين الجمهور يُبقي اللفظتين كما هما من غير تشديد. فهذا

(١) ينظر: المصدر السابق، ص ٦٢-٦٣.

(٢) ينظر: محمد تركستاني، في أصول الكلمات، ص ٦٣.

(٣) ينظر: المصدر السابق، ص ٦٢ وما بعدها.

اختلاف طفيف في عنصر من عناصر النظام في الصرف العام، وكان مطردًا في أصحابه، وأقره اللغويون.

المطلب الثاني: نماذج من التأصيل الصرفي

١ - صَامِتٌ وَمُصَاتِمٌ:

رَجَّحَ التُّرْكِسْتَانِي أن يكون لفعل السكوت صورتين (صَمَتَ) عند سائر العرب و(صَاتِمٌ) في بعض القبائل التي تستخدم اسم الفاعل (مُصَاتِمٌ) على زنة المشاركة، ومقصودهم مدلول (صَمَتَ)، وعليه يكون وزن (مُصَاتِمٌ): مفاعِل، والذي حمله على هذا الترجيح اختلاف الدلالة في (صَمَتَ) عن (صَمَتَ) ^(١).

صيغة اسم الفاعل من الفعل (صَمَتَ) أي: سَكَتَ إذ لم يتكلم عند سائر العرب هي (صَامِتٌ) على وزن (فَاعِلٌ)، ومنه: صَمَتَ صَمْتًا وُصْمُوتًا وُصْمَاتًا فهو صَامِتٌ ^(٢)، وكذلك منه قول الله تعالى: ﴿أَمَّا أَنْتُمْ صَمِيمُونَ﴾ الأعراف: ١٩٣.

جاء اللفظ "صَامِيمُونَ" اسم فاعل من صمت بمعنى السكوت ^(٣)؛ إلا أن بعض القبائل القديمة استعملت اسم الفاعل من الفعل صمت صيغة أخرى وهي (مُصَاتِمٌ) كقول طيء: بَاتَ فُلَانٌ مُصَامِيمًا ^(٤) أي: لم يتكلم إذا بات صَامِيمًا؛ لأنه أُثِرَ عنها استعمالها اسم الفاعل على زنة المشاركة مثل: مُقَاتِلٌ مِنْ قَاتِلٍ؛ إذ تُزَادُ الألف بين الفاء والعين دلالة على أن الفعل حدث من الفاعل والمفعول معًا ^(٥)، ولو نظرنا للفعل

(١) ينظر: محمد تركستاني، في أصول الكلمات، ص ٣١١.

(٢) ينظر: الفيومي، المصباح المنير، المكتبة العلمية - بيروت، كتاب الصاد، مادة: (صمت)، ٣٤٦/١.

(٣) ينظر: الشافعي، تفسير حدائق الروح والريحان في روائى علوم القرآن، إشراف ومراجعة. هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، (بيروت - لبنان، ١٤٢١ هـ)، ط. ١، ٣١٨/١٠.

(٤) ينظر: الشيباني، الجيم، إبراهيم الأبياري، مراجعة. محمد خلف أحمد، (الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٣٩٤ هـ)، باب الصاد، ١٩١/٢.

(٥) ينظر: عبده الراجحي، التطبيق، ص ٣٥.

جهود التركستاني في التأصيل اللغوي: كتاب في أصول الكلمات نموذجاً، د. نوال بنت نفاع بن حماد المطرفي

(صَمَتَ) ووزنه (فَعَلَنَ) كان اسم الفاعل منه عند سائر العرب (صَامِتَ)، في حين أن بعض القبائل التي أُثِرَ عنها استخدامها زنة أفعال المشاركة لاسم الفاعل: تقول (مُصَاتِمَ) على وزن (مُفَالِعِ) فيكون الفعل منه في هذه القبائل (صَاتِمَ) ووزنه فَالِعِ دلالة على السكوت لا (صَمَتَ).

زيدت الألف بعد فاء فعلها وقلبت لام الفعل عيناً وهو ما يسمى بالقلب المكاني بين أحرف الفعل والواقع كذلك في وزنه؛ إذ لو نظرنا لدلالة الفعلين لوجدناها أفادت السكوت في حين أن دلالة الفعل (صَمَتَ) تفيد معنى آخر غير السكوت فالصنم: ما عَظُمَ وَثَمَّ واشتدَّ، نحو: حَجَرَ صنمًا، وَبَيْتَ صنمًا وَجَمَلَ صنمًا^(١).

٢ - بَعْدَ الَّتِي وَاللَّتِيَا:

برى التركستاني أن ضم اللام الثانية حال التصغير لغة في اللتيا بفتح اللام؛ نظرًا لأن اللغة قياس وسماع استنادًا على من أجاز ذلك^(٢).

فالعرب تُقر في تصغير الاسم المبهم ومنه: (الذي، والتي) فتح الأول منهما على القياس؛ لأنها تصغر على صيغتها بزيادة ألف في آخرها عوضًا عن ضم الأول، وهذا منهج الكثير من اللغويين؛ لكونهم يرون أن الضم في لام اللتيا الثانية من صور اللحن والخلط؛ لأنها لغة خارجة عن تصغير المبهم خارجة على القياس في المتمكن؛ فتصغير الَّتِي وَاللَّتِيَا وَاللَاتِ اللَّتِيَا وَاللَّتِيَا، بالفتح والتشديد؛ وفي ذلك قال العجاج^(٣):

بَعْدَ اللَّتِيَا وَاللَّتِيَا وَالَّتِيَا إِذَا عَلَّتْهَا نَفْسٌ تَرَدَّتْ
أراد العجاج باللَّتِيَا تصغير الَّتِي، وهي الداهية الصغيرة، وَالَّتِي الداهية الكبيرة^(٤)؛ إلا أن الأخفش حكى ذلك سماعًا، فقال: وقد ضمَّ بعضهم^(٥)، وقال بذلك ابن

(١) ينظر: الفراهيدي، العين، حرف الصاد، مادة: (صتم)، ١٠٧/٧.

(٢) ينظر: محمد تركستاني، في أصول الكلمات، ص ٤١٧.

(٣) البيت منسوب للعجاج كما في الكتاب، ٣٤٧/٢.

(٤) ينظر: ابن منظور، اللسان، فصل اللام، مادة: (لتا)، ١٥ / ٢٤٠.

(٥) ينظر: ابن عقيل، المساعد على تسهيل الفوائد، ت. محمد كامل بركات، (جامعة أم القرى، دار

الفكر، دمشق - دار المدني، جدة، ١٤٠٠ - ١٤٠٥ هـ)، ط. ١، ٥٢٩/٣.

السكيت أيضاً فأهل البصرة يقولون: اللُّتيا بضم اللام في تصغير التي، وكذلك اختارها الفراء^(١)، فضم لام اللُّدَيَا واللُّتِيَا لَعَةً لِبَعْضِ الْعَرَبِ^(٢).

٣ - ٣ - الإنسَان والإِنْسَان على وزن فِعْلَان:

عَدَّ التَّرْكَسْتَانِي الإنْسَان والإِنْسَان من باب التَّرَادُف^(٣)، فصِيغَةُ فِعْلَان: صِيغَةُ لاسم جنس إفرادي، وهو ما صدق على القليل والكثير^(٤)، ولم يرد على هذه الصيغة في القرآن الكريم إلا لفظ واحد؛ وهو إنسان في خمسة وستين موضعاً، أولها قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وِخْلِقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا﴾ ﴿٢٨﴾ النساء: ٢٨، بالرغم من اختلاف المدرستين في أصل اشتقاقه^(٥).

فقد ذهب الكوفيون إلى أن "إنسان" وزنه إِفْعَان، وذهب البصريون إلى أن وزنه فِعْلَان، وإليه ذهب بعض الكوفيين^(٦).

ولفظ الإنْس: لفظ يطلق على البشر، الواحد منه: إنسي وأنسي.

قال العجاج^(٧):

(١) ينظر: الصغاني، التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق ج/٦، محمد أبو الفضل إبراهيم، ومحمد مهدي علام، السنة ١٩٧٩ م، (مطبعة دار الكتب، القاهرة)، ص ٥٠٤.

(٢) ينظر: السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، ت. عبد الحميد هندراوي، ن. المكتبة التوفيقية - مصر، ٣/٣٩٠.

(٣) ينظر: محمد تركستاني، في أصول الكلمات، ص ١٣٣.

(٤) ينظر: محمد الطنطاوي، تصريف الأسماء، مكتبة لسان العرب، ط. ٦، ص ٢٣٧.

(٥) ينظر: حسين عبد المهدي، و كاطع جارالله سظام، صيغة فعلان في القرآن الكريم، دراسة صرفية دلالية، مجلة كلية التربية الأساسية، العدد، ١٠٤، المجلد/٢٥، ٢٠١٩ م، ص ١٣٨٥.

(٦) ينظر: أبو البركات الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، (٢/٦٦٧).

(٧) البيت من أرجوزة للعجاج كما ورد في خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، البغدادي، ت. عبد السلام محمد هارون، ن. مكتبة الخانجي، القاهرة، ط. ٤، ١٤١٨ هـ، ٣/٣١٢.

وبلدة ليس بها طوري ولا خلا الجن بها إنسي والجمع منه: أناسي، قال الله تعالى: ﴿وَأَناسِي كَثِيرًا ۖ﴾ ﴿٤٩﴾ الفرقان: ٤٩، إلا أن الكسائي ويحيى بن الحارث قرؤها: "وأناسي" بتخفيف الياء^(١)، حيث أسقطا الياء التي تكون فيما بين عين الفعل ولامه، مثل قَرَأَ قَرَأَ قَرَأَ. ويبين جواز أناسي - بالتخفيف - قولهم: أناسية كثيرة.

وقال الفراء: واحد الأناسي إنسي، وإن شئت جعلته إنساناً ثم جمعته أناسي، فتكون الياء عوضاً من النون^(٢)، والعرب تقول: الإنسان، إلا طينياً؛ فإنهم يجعلون مكان النون ياءً، فيقولون: إنسان، ويجمعون: أياسين^(٣) فيجوز أن تكون النون بدلاً من الياء، وذلك لأنهم يجعلون النون بدلاً من العين، وهم يجترئون عليها، فيقولون: أنطيت، في: أعطيت، وجاء في قراءة ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ ﴿١﴾ الكوثر: ١ { إِنَّا أنطيناك الكوثر } بالنون^(٤)، ولقبت هذه اللهجة بالاستنطاء.

إن بعض اللغويين الذين عزوا صيغة الإنسان إلى طيء، وعزوا صيغة الإنسان إلى سائر العرب عدوها لغتين مختلفتين، فتقدير إنسان: صيغة فعّالان، وإنما زيد في تصغيره ياءً كما زيدت في تصغير رجل فقيل زويل. وقال قوم: أصله إنسيان - على إفعالان - حذفت الياء استخفافاً؛ لكثرة ما يجري على الألسنة، فإذا صغروه ردوها؛ لأن التصغير لا يكثر، ودليل ذلك قول ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال: إنما سمي إنساناً لأنه عهد إليه فنسي^(٥).

في حين أن صيغة (إنسان) صيغة سامية الأصل؛ كما يقول (أنوليتمان) وهي تقارب كلمة (إيشون) العبرية، التي تعني: الإنسان، وطالما أن صيغتي: (إنسان)

(١) ينظر: أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، ت. صدقي محمد جميل، ن. دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ، ١١٦/٨.

(٢) ينظر: الصغاني، العباب الزاخر، د. ط، حرف السين، مادة: (إنس)، ١/٦٠.

(٣) ينظر: الفراء، كتاب فيه لغات القرآن، ص ١٤٩.

(٤) ينظر: ابن خالويه، إعراب القراءات السبع وعللها، ٥٣٧/٢.

(٥) ينظر: الصغاني، العباب، ١/٦١.

و(إِسَانٌ) منحدرتان عن قبيلتين من العرب فهما لغتان مختلفتان؛ وضعهما واضعان لا يعرف أحدهما عن الآخر شيئاً، وهو أحد أسباب وقوع المترادف عند أهل الأصول^(١).

المطلب الثالث: التأصيل الصرفي

أولاً: المنهج

للتركستاني منهج دقيق ويسير، ومحكم في تناول اللفظ من جانبه الصرفي. نجده يهتم بالأبنية، واستعمالاتها في دلالاتها على الوجه الصحيح المراد منه. إضافة إلى عنايته بمعاني الصيغ، والفروق الدقيقة فيما بينها؛ إذ إنه يهتم بالمعنى العام لبعض الأبنية: كالمصادر، والصفة المشبهة، وأبنية المبالغة؛ فلكل صيغة ومبنى وحركة معنى في العربية. ومثال ذلك: (بِرْمَتِهِ وَبِرْمَتِهِ)، فكانيهتم بالصيغة كما يقتضيه المعنى المراد منها لتحقيق الغاية من ورائها. مراعيًا الظواهر والخصائص التي لحقت بصيغ اللفظ كالإبدال، والإدغام، والإعلال، والقلب أثناء التطور، وما أنتجته من صور متعددة ومتجددة للصيغ وتوالد للدلالات الجديدة.

ثانياً: العرض:

تتمثل طريقة عرضه في محاولته استقراء معاني أبنية الألفاظ واستخراج شواهدا من المعاجم، ومن ثمّ دراستها من خلال النظر إلى الاستعمال القرآني لأبنية بعض الألفاظ ما أمكن، وكذلك أثر لغات قبائل العرب القديمة في الأبنية ومعانيها، وأثر اللهجات العربية الحديثة، والصلة بين أبنية العربية وأبنية اللغات السامية؛ إذ للأبنية معانٍ محددة على من يستعملها أن يراعيها، فلا يعدل عن بناء إلى آخر إلا إذا أراد

(١) ينظر: السيوطي، المزهري، ١/ ٣١٩.

معنىً مختلفًا ما لم يكن ذلك لغة لقبيل من العرب^(١).
كان يقدم عرضًا محكمًا بالدلائل التحليلية الثابتة الأصل حول نقطة ما، دلالة على الإمام بكافة نواحي المسألة، ففي أثناء تناوله للفظ تتضح معرفته بكافة أوضاعه في مختلف لغات العرب الفصاح.
فيأتي بصيغته في سائر قبائل العرب، وكذلك صيغته الأخرى في قبيل منها اختلف عنها في الصيغة، ومن ذلك اسم الفاعل وصيغته في سائر قبائل العرب هو صَامِتٌ من الفعل صَمَتَ، ووزنه فَاعِلٌ من فَعَلَ. في حين يلاحظ أن اسم الفاعل في قبيلة كطية هو مُصَاتِمٌ من الفعل صَاتَمَ وزنه مُفَالِعٌ من قَالَع^(٢).

ثالثًا: الترجيح:

كان التركستاني يحرص على إبداء رأيه حول ما يراه في تحليله اللفظ، ويرجح ما كان منه صوابًا لما يتوفر لديه من أدلة؛ فنجده يعلل للصواب الذي يراه والرأي الذي يرجحه، ومما ورد له من ترجيح في الجانب الصري ما يلي:

- ١- رجح أن تكون صورة الفعل (صَمَتَ) عند سائر العرب هي (صَاتِمٌ) في لغات بعضها؛ لكون دلالة كلمة (صَمَتَ) مختلفة عن دلالة (صَمَتَ)^(٣).
- ٢- رأى أن (اللُّتِيَّ) بضم اللام الثانية إنما هي لغة في (اللُّتِيَّ)، وكذلك (اللُّذِيَّ) كون اللغة قياسًا وسماعًا^(٤).

٣- أن لفظي (الإِنْسَانُ والإِنْسَانُ) تعدد من باب الترادف منحدرتان عن قبيلتين من العرب فهما لغتان مختلفتان؛ وضعهما واضعان لا يعرف أحدهما عن الآخر شيئًا^(٥).

(١) ينظر: محمد تركستاني، سلام الإخوان، التادمكي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة- ١٤٣٣هـ، ص ٧ وما بعدها.

(٢) ينظر: محمد تركستاني، في أصول الكلمات، ص ٣١٢.

(٣) ينظر: محمد تركستاني، في أصول الكلمات، ص ٣١٢.

(٤) ينظر: المصدر السابق، ص ٤١٨.

(٥) ينظر: المصدر السابق، ص ٤١٧.

وجهود التركستاني في جانب التأصيل الصرفي للألفاظ كثيرة، فهو يعرض لصيغ اللفظ عند إيراده بما يخدم التوضيح له، ومن ذلك: بَطَّنْتُ الرجل - أَبْطَنْتُ الرجل - وأنت أَبْطُنُّ - فالزيادة وتغير وزن الكلمة يؤدي إلى تغير معناها المقصود أثناء الأداء، وكذلك قوله: بَلَدٌ يَبْلُدُ بُلُودًا واتخذهُ بَلَدًا أَبْلَدَهُ أَي: أَلْزَمَهُ، وَبَلَدَةٌ، وَبَلَدَةٌ، وَبَلَادَةٌ، كلها أيضًا دلالات صوتية أفضت إلى دلالات صرفية من خلال تغيير حركة الكلمة والحروف فيها، وهي دلالة مطردة نَوَّه إليها التركستاني في كتابه، وكذلك قوله: (لا أُبَالِي بِهِ)، و(لا أُبَالِيهِ) فالصرف هنا اختلاف أوزان الكلمة، ولكنها تحمل نفس المعنى من دون تغاير في المعنى، ولكن السياق يحملها إلى معان أخرى حسب رأيه، فهو يرى أن بعض الظواهر التي تلحق باللفظ تؤثر في صيغته الصرفية مما ينتج عنها صيغة تطورت عن الأصل، ولعل من أهمها ما يلي:

١- الإبدال الصرفي، كما في الإبدال القائم بين النون والياء في لفظ (الإِنْسَان، والإِنْسَان)^(١).

٢- القلب المكاني، كما في (صَامِتٌ وَمُصَاتِمٌ)^(٢).

٣- الإدغام، كما في إدغام المتماثلين، كما في (الطَّسَّسُ وَالطَّسَّسْتُ)^(٣).

٤- الاشتقاق الأكبر، كما في (الْقَرْنُ وَالْقَرْوُ وَالْقَرِي)^(٤).

(١) ينظر: محمد تركستاني، في أصول الكلمات، ص ١٣٣.

(٢) ينظر: المصدر السابق، ص ٣١١.

(٣) ينظر: المصدر السابق، ص ٣٢٨.

(٤) ينظر: محمد تركستاني، في أصول الكلمات، ص ٣٩٣.

المبحث الثالث: جهود التركستاني في جانب التأصيل الدلالي

عُرِفَت الدَّلَالَةُ والإِسْتِدْلَالُ والدَّلِيلُ لدى اللغويين العرب منذ القدم، وهو نوع من التفكير الموروث عن علماء اليونان.

عرّفها الشريف الجرجاني بأنها: "كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر"، والشيء الأول هو الدال، والثاني هو المدلول، وكيفية دلالة اللفظ على المعنى باصطلاح علماء الأصول محصورة في عبارة النص، وإشارة النص، ودلالة النص، واقتضاء النص^(١).

كما أن مختلف علوم التراث المعرفي العربي تشترك إلى حدّ بعيد في أدوات البحث؛ خاصة تلك التي تبحث في أصالة الألفاظ وتأصيلها، ولم يقف الاهتمام بالدلالة على القدماء بل امتد ليشمل المتقدمين من العلماء العرب؛ فشملت ميادين مختلفة من المعارف والعلوم كالمنطق والفلسفة، وأصول الفقه، والتاريخ، والنقد^(٢).

إن هذه الجهود اللغوية في التراث العربي لأسلافنا الباحثين، وتلك الأبحاث التي اضطلع بها اللغويون القدامى، فتحت كلها منافذ كبيرة للدرس اللغوي الحديث، وأرست قواعد مهمة في البحث الألسني والدلالي، استفاد منها علماء اللغة المحدثون^(٣)؛ لا سيما في المجال اللغوي المرتبط بالتأصيل الدلالي للألفاظ وما تتم عنه.

المطلب الأول: أسس التأصيل الدلالي

للدلالة أنواع منها: الدلالة اللفظية تلك التي تُستفاد من اللفظ (أصوات اللفظ الأصلية)، وتُعد أقوى الدلالات، يليها الدلالة الصناعية، وتتمثل في صيغة اللفظ،

(١) ينظر: الشريف الجرجاني، **التعريفات**، ت. ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، بيروت - لبنان: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ، ط.١، مادة: (دل)، ١/١٠٤، بطرس البستاني، **المحيط**، مادة: (دل)، ص ٢٨٩.

(٢) منقور عبد الجليل، **علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي**، اتحاد الكتاب العرب، (دمشق، ٢٠٠١م)، ص ٢٧ وما بعدها.

(٣) ينظر: منقور، **علم الدلالة**، ص ١٦ وما بعدها.

والدلالة المعنوية وهي تلك التي ينتقل منها من معنى اللفظ الأصل إلى معانٍ أخرى تفرعت عنه، ومثال ذلك لفظ (ضَرَبَ) فدلالته اللفظية هي دلالة أصوات (ض ر ب) على الضرب، أما دلالته الصناعية هي دلالة صيغة فَعَلَ على الفعل والزمان، في حين تكون دلالته المعنوية دلالة الضرب على الفاعل والمفعول به وأداة الضرب^(١).

كما أن العلاقة بين الدال ومدلوله تقتضي صوراً ثلاثاً:

١- دلالة لفظية عرفية، وهي التي تنعقد باللفظ والمعنى، وما بينهما من ارتباط يُفضي لإدراكها العلم المسبق بطبيعة الارتباط بين الدال ومدلوله.

٢- دلالة منطقية، ويكون العقل فيها مدرِّكاً لطبيعة العلاقة بين الدال ومدلوله كدلالة الدخان على النار.

٣- دلالة طبيعية، وتعتمد في إدراكها على علاقة طبيعية بين الدال ومدلوله؛ إذ فيها ربط بين حقيقة ظاهرة وأخرى غائبة من خلال رابطة الحس الناتجة عن السنن الكونية التي تسيّر وفقها الطبيعة^(٢). كإحساس الإنسان بتقلص في معدته فيعلم بكونه جائعاً^(٣).

كما قدمت المعاجم قديماً وحديثاً ولا زالت الكثير من الجهود في مجال دلالة الألفاظ من خلال أسس انتهجها مؤلفوها، ولعل التركستاني التزم بمنهج وأسس القدماء في إيضاح دلالة اللفظ، ومن ذلك:

١- اختيار اللفظ المراد دراسته مما شاع استخدامه في الفصحى المعاصرة ببيان الأصل فيه ومن ذلك: (الأَصَالَةُ) و(البِطَانَةُ) و(الثَّرَهَاتُ) و(أَثَلَجُ)، وغيرها كثير.

٢- البحث عن دلالة اللفظ المعجمية الأصل، والتعليل لما حدث في بعضها من

(١) ينظر: سالم الخماش، المعجم وعلم الدلالة، ص ١٨.

(٢) ينظر: منقور، علم الدلالة، ص ٦٥ وما بعدها.

(٣) ينظر: محمد تركستاني، في أصول الكلمات، ص ٤٠.

اتساع أثناء تطورها أو انتقالها من المعنى الحسي إلى المجازي؛ وذكر ما ورد فيها من لغات وآراء، ومن ذلك: ما ذكره في معنى لفظ الأصالة، ومعناها في اللغة جودة الرأي، والعقل من (أصل) أي: ثبت وقوي، وجاد واستحكم، ومنه: أسفل كل شيء^(١)، وكذلك في أصل البطانة فالأصل من (البطن) وهو خلاف الظهر ثم استعمل توسعاً على أنسي الشيء، والمقبل منه، وعلى الجوف والدخيلة والسريرة وصفي الرجل وبطانة الثوب^(٢).

أما عن أصل (التُرّهات) فهي: القفار البعيد، وكذلك الطرق الصغيرة، ثم أطلقت من باب الاستعارة على الأباطيل والأقوال التي لا طائل لها^(٣).

أما عن (أثلج) فالأصل منه ثلج الماء ثلوجاً إذا برد والثلج الذي يسقط على فطرته فلم يُستعمل، وجاء طاهراً بريئاً جميلاً مما يدعو لراحة النفس وسعادتها^(٤).

٣- الأخذ بدلالة اللفظ في السياق، كما في قولنا: لم أفعل كذا أصلاً بسبب جودة الرأي والعقل. وبطانة الرجل وبطن فلان الأمور، وفلان لا يخوض في التُرّهات، أي التوافه، وأثلجت صدري من لفظ أثلج، وما يحمله من دلالة الراحة والسعادة، والحكم عليه.

المطلب الثاني: نماذج من التأصيل الدلالي

يقول العقاد: "إن الدلالة هي قوام اللغة ووظيفتها ومقياس ارتقائها"^(٥)، فلا يمكن لهذا العلم أن ينتظم إلا بعدة بحوث، ومن أهمها: البحث في معاني الألفاظ، ومصادرها، واختلافها بين اللغات على مر العصور؛ الأمر الذي يؤدي إلى موت بعض المعاني، وظهور معاني جديدة.

(١) ينظر محمد تركستاني، في أصول الكلمات، ص ١٢٤.

(٢) ينظر: المصدر السابق، ص ١٤١.

(٣) ينظر: المصدر السابق، ص ١٥٩.

(٤) ينظر: المصدر السابق، ص ١٦٣.

(٥) ينظر: العقاد، أشنات مجتمعات في اللغة والأدب، العقاد، (مؤسسة هنداوي)، ص ٥٥.

والآخر: البحث والتقصي في اشتقاقات الألفاظ وتصريفاتها وتغيّر أبنيتها بتغيير المعنى^(١).

وقد عالج التركستاني في كتابه (في أصول الكَلِمَات) قضايا تأصيلية للألفاظ من جانب الدلالة، معتمداً على أهم الأصول اللغوية المرتبطة بهذا الجانب، ومنها: الاشتقاق، والتباين والترادف، والتطور الدلالي سواء بالتخصيص أم التعميم، ودلالة اللفظ على عدة معانٍ من خلال المشترك اللفظي، وكذلك التضاد.

من أمثلة تلك الصور ما يلي:

أولاً - ألفاظ متباينة لامترادفة:

إن صلة اللفظ المفرد بمعناه تأتي على أربعة صور: لفظ مفرد تحد فيه اللفظ مع المعنى مثل: (الله)، ولفظ متباين يتعدد فيه اللفظ والمعنى مثل: الإنسان والفرس، ولفظ مرادف تعدد فيه اللفظ إلا أن معناه واحد كالحِنْطَة والبرّ والقَمْح، ولفظ مشترك وهي المتحدة في اللفظ المتعددة في المعنى مثل: الأمة^(٢).

فالألفاظ المترادفة هي الألفاظ المفردة الدالة على مسمى واحد باعتبار واحد، أما اللفظان إذا دلّ على شيء واحد باعتبار صفتين؛ فإنهما من الألفاظ المتباينة^(٣). هناك العديد من الألفاظ ظن العرب أنها من المترادف؛ لالتحاد دلالتها على شيء واحد، وهي ليست كذلك؛ إذ يقول قطرب: "إنما أوقعت العرب اللفظتين على المعنى الواحد ليدلوا على اتساعهم في كلامهم..."^(٤)، ومن هذه الألفاظ ما يلي:

١ - العَاشِقُ وَالْوَامِقُ:

- (١) ينظر: وافي، علم اللغة، (نخضة مصر، ٢٠٠٤م)، ط. ٩، ص. ٨.
(٢) ينظر: الرماني، الألفاظ المترادفة المتقاربة المعنى، ت. فتح الله المصري، (دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع)، ص. ٦.
(٣) ينظر: فخر الدين الرازي، المحصول، ت. طه جابر فياض العلواني، (مؤسسة الرسالة، ط. ٣، ١٤١٨ هـ)، ٢٥٣ / ١.
(٤) ينظر: السيوطي، المزهر، ٣١٥ / ١.

جهود التركستاني في التأصيل اللغوي: كتاب في أصول الكَلِمَاتِ نموذجاً، د. نوال بنت نفاع بن حماد المطرني

أشار التركستاني بأنه ليست كل الألفاظ اللغوية من ألفاظ الترادف بالنظر إلى اتحاد دلالتها على الشيء الواحد إذ يقع هذا نتيجة اختلاف اللغات التي انحدرت منها العربية الفصحى، بل من الألفاظ المتباينة التي لا بد من مراعاة الفروق الدقيقة بينها عند استعمالها ومن ذلك: العاشق والوأمق^(١)، وبالوقوف على أصل اللفظ في بعض كتب اللغة تبين الآتي:

(العشوق) العين والشين والقاف أصل صحيح يدل على تجاوز حد المحبة، وهو فرط الحب، قال الفراء: يقولون امرأة محب لزوجها: عاشق، وعشق الرجل المرأة للحب والنكاح^(٢).

(المحبة) محبة الوالد لولده والأخ لأخيه، والصاحب لصاحبه، والوأمق: المحب، والمفرط في المحبة^(٣).

وقد قال أبو ريش: مفرقاً بين الوماق والعشوق، الوماق محبة لغير ربية، والعشوق محبة لربية^(٤).

وأنشد جميل^(٥):

وَمَادَا عَسَى الْوَأْشُونَ أَنْ يَتَحَدَّثُوا سِوَى أَنْ يَقُولُوا: إِنَّنِي لَكِ عَاشِقٌ

(١) ينظر: محمد تركستاني، في أصول الكلمات، ص ٣٥٢.

(٢) ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م، باب العين والشين، مادة (عشوق)، ٤ / ٣٢١، الفارابي، الصحاح، ت. أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت: ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م، ط. ٤، فصل العين، مادة: (عشوق)، ٤ / ١٥٢٥، ابن سيده، المخصص، ت. خليل إبراهيم، (دار إحياء التراث العربي - بيروت: ١٤١٧ هـ)، ط. ١، ٢ / ٣١٣، ٣ / ٤٢٧، والحموي، معجم الأدباء، ت. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، (بيروت: ١٤١٤ هـ)، ط. ١، حرف العين، ٤ / ١٤٨٣.

(٣) ينظر: أبو الطيب، الإتياع، ت. عز الدين التنوخي، (مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٣٨٠ هـ - ١٩٦١ م). ص ١٠٥، معجم الأدباء، مرجع سابق ٤ / ١٤٨٣.

(٤) ينظر: ابن منظور، اللسان، فصل الواو، مادة: (ومق)، ١٠ / ٣٨٥.

(٥) البيت من الطويل وهو لجميل بثينة في ديوانه، (دار بيروت للطباعة والنشر: ١٤٠٢ هـ)، ص ٩٥، وجاء بقافية (وامق) كما في شرح ديوان الحماسة، للمرزوقي ٣ / ١٣٨٣.

وَقَوْلُ جَرِيرٍ (١):

إِنَّ الْبَلِيَّةَ مَنْ تَمَلُّ حَدِيثُهُ فَانْتَعَفَ فَرَادَكَ مِنْ حَدِيثِ الْوَامِقِ
فالوالمق غير العاشق وإن كانا مجتمعين في أمر المحبة؛ إلا أن هناك فرقاً دقيقاً في
معناهما، فالمعنى المقصود من العاشق يختلف عن المقصود من الوامق، ومما يدل على
هذا الاختلاف قول عثمان بن قيس عند نزوله في ضيافة أروى بنت كريب في مكة
باعثاً لها بالسلام نظير ما قدمت (٢):

فَحَلَّفَ عَلَى أَرْوَى السَّلَامَ فَإِنَّمَا جَزَاءُ النَّوِيِّ أَنْ يَعِفَّ وَيَحْمَدَا
سَأرَحَلُّ عَنْهَا وَامَقًّا غَيْرَ عَاشِقٍ جَزَى اللَّهُ خَيْرًا مَا أَعَفَّ وَأَمَجَدَا

فكلاهما لفظان متباينان يؤدي كل واحد منهما معنىً مستقلاً عن معنى الآخر،
وهذا ما أشار إليه التركستاني عندما عدّ هذين اللفظين من الألفاظ المتباينة لا
المترادفة.

٢- اللدغ واللسع والنهش:

أشار التركستاني أن هناك ألفاظ تُسهل في أمرها حتى عُدت مترادفة، وجرى
التبادل فيما بينها منذ القدم (٣)، في حين أن الصواب أن نقول: "لسعته" العقرب،
وكذلك كل ما يضرب بذنبه كالزُّنبور، فأما ما يضرب بفيه كالحية فيقال فيه: "لدغ"،

(١) محمد الصاوي، شرح ديوان جرير، مطبعة الصاوي، ط. ١٠ ٣٩٧، والبيت من الكامل كما جاء
في الدر الفريد وبيت القصيد، المستعصي، ت. كامل سلمان الجبوري، (دار الكتب العلمية،
بيروت - لبنان، ١٤٣٦هـ)، ط. ١، ٤٠٥/٤.

(٢) البيت لعثمان بن قيس، الأندلسي، تذكرة النحاة، ت. عفيف عبدالرحمن، (مؤسسة الرسالة)
ص ١٦١، وهو من الطويل كما جاء في نور القبس، لليغموري، بدون طبعة، ص ٨٤.

(٣) ينظر: محمد تركستاني، في أصول الكلمات، ص ٤٢٤.

ويقال لما يأخذ بأسنانه كالسبع والكلب: "نَهَش"؛ إلا أن العوام لا تفرّق^(١)، لدقة ما بينها من فروق^(٢).

أن (اللُدغ) يكون بالناب، وفي بعض اللغات تُلدغُ العُقرب، فاللُدغَةُ جامعة لكل هامة تُلدغُ لُدغًا^(٣)، فاللام والداد والغين كلمة واحدة.

يقال: لَدَغٌ يَلدغُ، وهو مَلدوغٌ ولَدِيعٌ، ولَدَعْتُهُ بكلمة، إذا نزعته بها^(٤)، فما كان بالفم فهو اللدغ مثل الحيات وما أشبههن^(٥)، فلدغته الحية لدغا أي: عضته^(٦).

أما (اللُسع) فقيل: العقرب تَلسَعُ بالحمة، والحية تلسع أيضاً، فمن الحيات ما تلسع بلسانها كلسع الحمة وليس لها أسنان^(٧)، ومنه لسع العقرب والزنبور لسعته العقرب لسعًا فهو لَسِيعٌ ومَلْسُوعٌ، ثم كثر ذلك حتى قالوا: فلان يَلسَعُ الناس بلسانه، إذا كان يؤذيهم ومنه قول بعض السلف لرجل ذكر عنده رجلاً بسوء فسجع في كلامه فقال: أراك سَجَاعًا لَسَاعًا، أما علمت أن أبا بكر -رضي الله عنه- نضنض لسانه ثم قال: هذا أوردني الموارد^(٨).

وزعم أعرابي أن من الحيات ما يلسع بلسانه كلسع حمة العقرب، وليست له أسنان، والمسموع من العرب أن اللسع لذوات الإبر من العقارب والزناير. فأما الحيات فإنها تَنهَش وتعض وتُحْدِب وتُنشِط، ويقال للعقرب: قد لسعته

(١) ينظر: ابن الجوزي، تقويم اللسان، ت. عبد العزيز مطر، ن. دار المعارف، ط. ٢، ٢٠٠٦م، ص ١٦٠.

(٢) محمد تركستاني، في أصول الكلمات، ص ٤٢٣.

(٣) ينظر: الأزهرى، التهذيب، أبواب الغين والداد، مادة: (لدغ)، ٩٢ / ٨.

(٤) ينظر: ابن فارس، المقاييس، كتاب اللام، مادة: (لدغ)، ٢٤٣ / ٥.

(٥) ينظر: ابن سيده، المخصص، ٣١٣ / ٢.

(٦) ينظر: ابن الحداد، كتاب الأفعال، ١٢٨ / ٣.

(٧) ينظر: الفراهيدي، العين، باب العين والسين واللام، مادة: (لسع)، ٣٣٥ / ١.

(٨) ينظر: ابن دريد، جمهرة اللغة، ت. رمزي منير بعلبكي، (دار العلم للملايين - بيروت، ١٩٨٧م)، ط. ١، باب السين والعين، مادة: (سعل)، ٨٤٢ / ٢.

وأبرته ووكعته وكوته^(١). فاللام والسين والعين كلمة واحدة. يقال: لَسَعْتُهُ الحَيَّةُ تَلْسَعُهُ لَسْعًا، ويستعار فيقال: لسعه بلسانه^(٢).

و(التَّهَش) بالفم كالتَّهَس، إلا أن التَّهَش تناول من بعيد، كنهش الحية، والتَّهَس: القبض على اللحم ونتفه^(٣)، فالتَّهَش: دون التَّهَس^(٤). قال الكميت^(٥):

وَعَادَرْنَا عَلَى حُجْرِ بَنِ عَمْرٍو قَشَاعِمَ يَنْتَهَشْنَ وَيَنْتَقِينَا
يروى بالشين والسين جميعًا^(٦).

فالنون والهاء والشين أصل صحيح، ومعناه معنى الذي قبله قال ابن دريد: قال الأصمعي التَّهَس والتَّهَش واحد، وهو أخذ اللحم بالفم، وخالفه أبو زيد فقال: التَّهَش: بمقدم الفم^(٧).

وقال أبو عباس: التَّهَس بأطراف الأسنان والتَّهَش بالأضراس، وقال النضر: يقال نهشت عضده أي ذقتها، وروى منهوس العقبين بالسين غير معجمة أي قليل لحمها والتَّهَش: أخذها على العظم من اللحم بأطراف الأسنان^(٨)، وَهَشَّ يَنْهَشُ

-
- (١) ينظر: الأزهرى، التهذيب، باب العين والسين مع اللام، مادة: (لسع) ٥٩ / ٢.
(٢) ينظر: ابن فارس، المقاييس، باب اللام والسين وما يثلاثهما، مادة: (لسع)، ٢٤٦ / ٥.
(٣) ينظر: الفراهيدي، العين، باب الهاء والشين والنون، مادة: (ن ه ش)، ٤٠٢ / ٣.
(٤) ينظر: الأزهرى، التهذيب، مادة: (تهش)، ٥٤ / ٦.
(٥) ديوان الكميت، محمد نبيل طريقي، (دار صادر بيروت، ٢٠٠٠م)، ط. ١، ٤٤٣، والبيت من الوافر كما ورد في المزهري ٤٢٧/١.
(٦) ينظر: الفارابي، الصحاح، ١٠٢٣ / ٣.
(٧) ينظر: ابن فارس، المقاييس، مادة: (تهش)، ٣٦٣ / ٥.
(٨) ينظر: الهروي، الغريبين في القرآن والحديث، ت. د. أحمد فريد المزدي، قدم له وراجعته: أ. د. فتحي حجازي، (مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، ١٤١٩هـ، - ١٩٠٠م)، ط. ١، ص ٦.

جهود التركستاني في التأصيل اللغوي: كتاب في أصول الكلمات نموذجاً، د. نوال بنت نفاع بن حماد المطرقي

وَيَنْهَشُ نَهْشًا: تناول الشيء بفمه ليعضه فيؤثر فيه ولا يجرحه، وكذلك نهش الحية^(١). هذه الكلمات مما استعمله الناس كما لو كان مترادفًا مثلها مثل: (قدّ، وقطّ، وقطّع). ومثل: (قَضَم، وحَضَم)^(٢)؛ إذ يستعمل واحده مكان آخر تساهلاً كما لو كان رديفًا له كون المعنى واحد كما أشار بذلك بعض اللغويين.

٣- الظلُّ والقيءُ:

يرى التركستاني أن التسمح والتساهل والتيسير الناتج عن التطور اللغوي الذي صاحب اللغة هو ما جعل بعض اللغويين يعدّ اللفظين الظلُّ والقيءُ^(٣) مترادفين، والصواب أنهما ليسا كذلك.

إذ يعدّ الترادف من نتائج تطور الدلالة ومما يدل على ذلك استخدام لفظي: الظلُّ والقيءُ في موقع واحد.

يذهب بعض الناس إلى أنهما شيء واحد، والأرجح أنها ليس كذلك؛ لأن الظل يكون عُدْوَةً وَعَشِيَّةً، ومن أول النهار إلى آخره، ومن معانيه البِئْتَرُ، ومنه قول النَّاسِ: "أنا في ظِلِّكَ" أي: في ذَرَاكَ وَسِتْرِكَ، ومنه ظِلُّ الليل: سواده؛ لأنه يستر كل شيء. قال ذو الرُّمَّة^(٤):

قَدْ أَعْسِفُ النَّازِحَ الْمَجْهُولَ مَعْسِفُهُ فِي ظِلِّ أَحْضَرَ يَدْعُو هَامَهُ الْبُومُ
والقيء لا يكون إلا بعد الزوال، ولا يقال لما قبل الزوال: قيء، وإنما سمي العشي فيئًا؛ لأنه ظلُّ فاء عن جانب إلى جانب، أي: رجع عن جانب المغرب إلى جانب المشرق، والقيء هو الرجوع، وما ردّه الله -تعالى- على أهل دينه من أموال من

(١) ينظر: ابن سيده، المحكم، ت. عبد الحميد هندراوي، ن. دار الكتب العلمية - بيروت، ط. ١، ١٤٢١هـ / ٤ / ١٨٩.

(٢) ينظر: ابن جني، الخصائص، ٦٥/١ وما بعدها.

(٣) ينظر: محمد تركستاني، في أصول الكلمات، ص ٣٤٠.

(٤) ديوان ذي الرمة، شرح أبي نصر الباهلي رواية ثعلب، ت. عبد القدوس أبو صالح، مؤسسة الإيمان (جدة، ١٩٨٢ م)، ط. ١، ٤٠١/١، والبيت من البسيط كما ورد في غريب الحديث، للدينوري، ٣٦٢/١.

خالفهم في الدّين بلا قتال^(١)، ومنه قول الله عزّ وجلّ ﴿حَتَّى تَقِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ﴾^(٢)
الحجرات: ٩ أي: ترجع إلى أمر الله.
وقال امرؤ القيس^(٣):

تَيَمَّمَتِ العَيْنُ التي عندَ ضارِحٍ يَفِيءُ عليها الظلُّ عَرْمَضُهَا طامٍ
أي: يرجع عليها الظل من جانب إلى جانب؛ فهذا يدل على معنى الفِئء^(٤).
فالظل يكون ليلاً ونهاراً، ولا يكون الفِئء كذلك^(٥).
قال المبرد^(٥): "الفِئء ما نسخته الشمس؛ لأنه الراجع، والظِّل: ما كان قائماً لم
ينسخه ضوء الشمس".

وعليه فالظِّلُ أعمُّ من الفِئء، يقال: ظِلُّ اللَّيْلِ، وَظِلُّ الجَنَّةِ، ويقال لكلِّ موضع
لم تصل إليه الشمس: ظِلٌّ، ولا يقال الفِئءُ إلا لما زال عنه الشمس، والفِئءُ لا يقال
إلا للراجع^(٦).

والفِئء: ما ينسخ الشمس، وهو من الزوال إلى الغرب^(٧).
كم يشار إليهما بـ"الأبردان"؛ وهما: الظِّل والفِئء^(٨).

(١) الجرجاني، التعريفات، ص ١٧٠.

(٢) ديوان امرؤ القيس، محمد أبو الفضل إبراهيم، ن. دار المعارف، ط. ٤، ١٩١٩م، ١٥٥٥د،
وهو من بحر الطويل.

(٣) ابن قتيبة، أدب الكاتب، ت: محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، ص ٢٦-٢٧-٢٨.

(٤) العسكري، الفروق اللغوية، ت. محمد إبراهيم سليم، (دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع القاهرة-
مصر)، ص ٣٠٧.

(٥) العسكري، معجم الفروق اللغوية، الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، ن.
مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ب (قم)، ط. ١، ١٤١٢هـ، ص ٣٤١.

(٦) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ت. صفوان عدنان الداودي، (دار القلم، الدار
الشامية - دمشق بيروت)، ط. ١، ١٤١٢هـ، ص ٥٣٥.

(٧) الجرجاني، التعريفات، ١٧٠، والكفوي، الكليات، ت. عدنان درويش - محمد المصري،
(مؤسسة الرسالة - بيروت)، ص ٥٩٥.

(٨) ابن سيده، المحكم، ٩ / ٣٢٠.

قال الشَّمَاخُ^(١):

إِذَا الْأَرْطَى تَوَسَّدَ أَبْرَدَيْهِ خَدُودُ جَوَازِي بِالرَّزْلِ عَيْنِ

ولكون الظل نقيض الضح أي ضوء الشمس لا يكون إلا بالعداة والقيء بالعشي^(٢).

إنَّ لفظي الظل والقيء يُستخدمان في التعبير عن دلالة واحدة فهما يشتركان في الدلالة عن وضع حال لم تكن عليه الشمس؛ إلا أن مواضع استخدامهما ليست واحدة؛ لأن لكل منهما اعتباراً محددًا يختلف عن الآخر.

ثانياً- ألفاظ من المشترك اللفظي:

هناك عوامل أدت إلى نشأته في اللغة، منها: اختلاف اللهجات العربية، وانتقال قسم من الألفاظ من معناها الأصلي إلى معان مجازية أخرى لعلاقة ما، ثم الإكثار من استعمالها حتى يصبح إطلاق اللفظ مجازاً في قوة استخدامه حقيقة، والتطور الصوتي لبعض الألفاظ، واقتراض الألفاظ من اللغات المختلفة، إضافةً إلى تطور دلالة الألفاظ^(٣). إذن موجود في اللغة، وله دور في تحديد دلالة الألفاظ، ومن ذلك ما يلي:

١- الإيغال: الإمعان والفرار:

أشار التركستاني إلى أن الإيغال لفظ أفاد معنيين: الإمعان، والفرار في لغات العرب سواء أفي الفاشي منها أم المرتبط بلغة قبيلة معينة؛ لاجتماع صلة الدلالة المعنوية الواحدة بين اللفظين وهي التعمق والتواري في الشيء والذهاب فيه بعيداً حتى يصل إلى عمقه والفرار والهروب إليه. ففي اللغة الموحدة يكون بمعنى: الإمعان والبعد والمبالغة والإسراع والسير في الأمر، في حين يكون في بعض قبائل العرب اليمينية بمعنى:

(١) أحمد الأمين الشنقيطي، ديوان الشماخ، مطبعة السعادة، ١٣٢٧هـ، ٩٤ وهو من بحر الوافر كما جاء في جمهرة اللغة، ١/٢٩٥.

(٢) البركتي، قواعد الفقه، الصدف بيلشرز، (كراتشي: ١٤٠٧هـ)، ط. ١، ١/٣٦٧.

(٣) ينظر: حاتم الضامن، فقه اللغة، مكتبة دار مازن المبارك، ١٤١١هـ، ص ٦٨ وما بعدها.

الفرار والهروب في الشيء^(١).

جاء الإيغال بمعنى: السير الشديد، والإمعان فيه، أو الدخول والتواري في الشيء. يُقال: وَعَلْتُ أَغْلًا وَغَوْلًا وَوَعْلًا^(٢).
ومنه قول ذي الرمة^(٣):

كَأَنَّ أَصْوَاتَ مَنْ إِيغَالِهِنَّ بِنَا
وَمِنْهُ قَوْلَ الْأَعْشَى يَذْكُرُ نَاقَتَهُ^(٤):
بِنَوَاجٍ سَرِيعَةٍ إِيغَالِ
تَقْطَعُ الْأَمْعَزَ الْمَكْوَكِبَ وَحَدًّا

أو ما جاء على لغات قبيل من العرب، ومنها قولهم: وَعَلَّ فُلَانٌ، بمعنى: فر وهرب.
قال أبو زيد: وَعَلَّ فِي الْبِلَادِ، وَأَوْعَلَ بِمَعْنَى وَاحِدٍ؛ إِذَا ذَهَبَ فِيهَا^(٥)، وذكر
الشيباني أنه بمعنى: الفراؤ^(٦).

٢ - جَرْنٌ: بَيْنَ أَخْلَقٍ وَوَلَانٍ

أشار التركستاني إلى كافة أنواع الدلالة التي اجتمعت في لفظ جَرْنٌ، منها ما كان
سائدًا في جمهور قبائل العرب، ومنها ما كان قائمًا في بعض القبائل بذاتها، إلا أن الأصل

(١) ينظر: محمد تركستاني، في أصول الكلمات، ص ٤٧٣.

(٢) ينظر: (تهذيب اللغة، باب الغين واللام، مادة: (وغل)، ٨ / ١٧٢، سر صناعة الإعراب، دار
الكتب العلمية بيروت-لبنان: ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ١ / ٢٣، أساس البلاغة، ت. محمد
باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان: ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م، ط. ١، كتاب
الواو، مادة: (وغل)، ٢ / ٣٤٦.

(٣) ديوان ذي الرمة، ٢ / ٩٩٦ وهو من بحر البسيط كما ورد في شرح المفصل لابن يعيش، قدم له:
الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م،
ط. ١، ١ / ٢٥٧.

(٤) ديوان الأعشى الكبير، شرح وتعليق محمد حسين، مكتبة الآداب بالجماميز، المطبعة النموذجية،
ص ٧ وهو من بحر الخفيف.

(٥) الأزهري، التهذيب، باب الغين واللام، مادة: (وغل)، ٨ / ١٧٢.

(٦) ينظر: الشيباني، الجيم، باب الواو، ٣ / ٣٠٤.

في معنى هذا اللفظ كما يرى هو ما كان عليه جمهور العرب، وهو دلالة اللفظ على معنى: لان ثم اتساعه وانتقاله من المعنى الحسي إلى المعنوي على سبيل المجاز^(١). يأتي لفظ جَرَنَ للدلالة على عِدَّةٍ معانٍ؛ منها: أخلق بمعنى: بلي. والآخر بمعنى لَانَ، أو بمعنى استقام وثبت، ومما ورد في ذلك قول: الفريري: قد جَرَنَ سقاؤكم، إذا أخلق، يَجْرُنُ جُرُونًا، وذلك لسقاء اللبن، وقول المزني: الجَرِينُ: البيدر، وهي الجِرْنَةُ؛ وجُرْنٌ، ومَجْرُنٌ^(٢)، فالجيم والراء والنون أصل واحد، يدلان على اللين والسهولة^(٣)، والجِرَان: باطن العنق، وقيل: مقدم العنق من مذبح البعير إلى منحره، وقيل: هي جلدة تضطرب على باطن العنق من ثغرة النحر إلى منتهى العنق في الرأس، وجَرَنَ الثَّوْبَ والأديم يَجْرُنُ جُرُونًا، فَهُوَ جَارِنٌ وَجَرِينٌ أَي: لَانَ وانسحق، وسقاء جَارِنٌ أَي: يبس وَغَلِظَ من الْعَمَلِ، والجَارِنُ: ولد الْحَيَّةِ من الأفاعي^(٤)، ومن المجاز المنقول من الكناية من قولهم: ضرب البعير بِجِرَانِهِ، وألقى جِرَانَهُ إذا برك، ويقال: ألقى فلان على هذا الأمر جِرَانَهُ إذا وَطَّنَ عليه نفسه ومرَّهَا^(٥). وقد قالت عائشة: ^(٦) -رضي الله عنها-: (حَتَّى إِذَا صَرَبَ الدِّينَ بِجِرَانِهِ)، أرادت أن الحق استقام وقر في قراره، كما أن البعير إذا برك واستراح مد جِرَانَهُ على الأرض، وقال الأصمعي: "إنما سمعت في الكلام ألقى عليه جِرَانَهُ والجميعُ جُرْنٌ، وهو باطن العنق"^(٧).

(١) محمد تركستاني، في أصول الكلمات، ص ١٧٥.

(٢) ينظر: الشيباني، الجيم، باب الجيم، ١ / ١٢١.

(٣) ينظر: ابن فارس، المقاييس، مادة: (جرن)، ١ / ٤٤٧.

(٤) ينظر: ابن سيده، المحكم، حرف الجيم، الجيم والراء والنون، مادة: (جرن)، ٧ / ٣٨٤.

(٥) ينظر: الزمخشري، الأساس، كتاب الجيم، مادة: (جرن)، ١ / ١٣٥.

(٦) الطبراني، المعجم الكبير، باب خطبة عائشة، رقم ٣٠٠، ت. حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة

ابن تيمية، القاهرة، ط. ٢، ٢٣ / ١٨٤.

(٧) ينظر: الأزهري، التهذيب، مادة: (جرن)، ١١ / ٢٧ وما بعدها.

ثالثًا - التضاد:

تسمى الألفاظ التي تقع على الشيء وضده في المعنى أضدادًا^(١)، وهو من سنن العرب في كلامهم إذ يقول ابن فارس: "من سنن العرب في الأسماء أن يسموا المتضادّين باسم واحد. مثل: (الجَوْن) للأسود و(الجَوْن) للأبيض"^(٢). ولهذا يجوز وقوع اللفظة على المعنيين المتضادين؛ لأنها يتقدمها ويأتي بعدها ما يدل على خصوصية أحد المعنيين دون الآخر، ولا يراد بها في حال التكلم والإخبار إلا معنى واحد^(٣).

ومن ذلك قول الشَّاعِرِ^(٤):

كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا الْمَوْتَ جَلَلٌ وَالْقَتَى يَسْعَى وَيُلْهِيه الْأَمَلُ
وهو نوع من المشترك فمجرى حروف الأضداد مجرى الحروف التي تقع على المعاني المختلفة، وإن لم تكن متضادة، فلا يعرف المعنى المقصود منها إلا بما يتقدم الحرف ويتأخر بعده مما يوضح تأويله، مثل: حمل، لولد الضأن من الشاء، وحمل اسم رجل، وهذا الضرب من الألفاظ، وهو من القليل الظريف في كلام العرب^(٥).
من هذا التضاد ما جاء على الحقيقة، ومنه ما جاء على المجاز ولا يكون إلا في اللفظ المفرد، ومما ورد من هذه الألفاظ ما يلي:

المُتَيْنُ فِي تَفْسِيرِ الضَّدِيَّةِ بَيْنَ الْكَلِمَتَيْنِ.

مما يراه التركستاني أن (المُتَيْنِ) من ألفاظ الأضداد التي أقر بها العرب بمعنيين

(١) ينظر: أبو الطيب، الأضداد في كلام العرب، ت. عزة حسن، المجمع العلمي العربي بدمشق، ١٩٩٦م، ط. ٢، المقدمة ص ١٨.

(٢) ابن فارس، الصحاح، ص ٦٠.

(٣) ابن الأنباري، الأضداد، ت. محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، (بيروت - لبنان: ١٤٠٧هـ)، ص ٢.

(٤) البيت من بحر الرمل ونسب في أضداد الأصمعي للبيد، ص ٩.

(٥) ابن الأنباري، الأضداد، ص ٣-٦.

جهود التركستاني في التأصيل اللغوي: كتاب في أصول الكلمات نموذجاً، د. نوال بنت نفاع بن حماد المطرني

متضادين، فالمنين بمعنى القوة وبمعنى الضعف في لغات من القبائل، والمنين البطيء والسريع في بعض منها وفي السرعة قوة، كما في البطء ضعف^(١).

تأتي المنة بمعنى البطء، ومنه يقال في بعض لغات قبائل العرب: إنه لمنين إذا كان بطيئاً مكيثاً^(٢). ففي البطء معنى الضعف، وفي السرعة معنى القوة.

قال الحارث بن حلزة^(٣):

فترى خلفها من سرعة الرجوع والوقف مع منيناً كأنه إهباء

في حين تأتي المنة في بعض القبائل الأخرى بمعنى: القوة والضعف^(٤).

وهو حرف من الأضداد؛ قال جماعة من أهل اللغة: يقال: حبل منين إذا كان قوياً. فالمنة تقع على معنيين متضادين، يقال للقوة: منة، وللضعف منة.

قال الشاعر^(٥):

فلا تفعّدوا وبكم منة كفى بالحوادث للمرء غولاً

والمنين والممنون: القوي والضعيف.

قال الراعي^(٦):

(١) ينظر: محمد التركستاني، في أصول الكلمات، ص ٤٣٨.

(٢) الشيباني، الجيم، باب الباء، ٣ / ٢٤١.

(٣) ينظر: ديوان الحارث بن حلزة، مروان العطية، (دار الإمام النووي، ١٤١٥هـ)، ط. ١، ص ٧٨،

وهو من بحر الخفيف في أضداد السجستاني، ص ٩٠. وروى: وترى خلفهن من سرعة الرج

ع منينا كأنه إهباء

(٤) الأضداد للأصمعي والسجستاني وابن السكيت، نشرها. أوغت هغتر، المطبعة الكاثوليكية للأدباء

اليسوعيين، (بيروت ١٩١٢م)، ص ٢٤٥.

(٥) البيت من بحر المتقارب، وهو لبشامة بن عمرو في شرح اختيارات المفضل، الخطيب التبريزي،

ج/١، ت. فخر الدين قباوة، (دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤٠٧هـ)، ط. ٢،

ص ٢٩٨.

(٦) البيت من بحر الوافر.

ينظر: ديوان الراعي، ت. راينهرت فايبرت، فرانتس شتاينر، (بيروت، ١٤٠١هـ)، ص ٢٦٨.

وَمَصْنَعَةٍ هُنَيْدًا أَعْنَتْ فِيهَا عَلَى لَذَائِحِ الثَّمَلِ الْمَنِينَا
وقد سمع أبو العباس يقول: حبل منين إذا كان ضعيفًا قد ذهب مُنْتَهُ، أي
قوّته (١).

كما يقال: منته السير إذا أجهده وأضعفه (٢).

ومنه قول الشاعر (٣):

عَلَامٌ تَقُولُ السَّيْرُ يُقَطِّعُ مِنِّي وَمِنْ حُمْرِ الْحَاجَاتِ عَيْرٌ بِدِرْهَمٍ
والمنون: الدهر سمي منونًا لأنه يُبْلِي وَيُضْعِفُ ويذهب بِمُنْهِ الْأَشْيَاءِ (٤).

رابعًا - الاشتقاق:

يعد الاشتقاق وسيلة من وسائل نمو اللغة واتساعها (٥)، فهو نزع لفظٍ من
آخر، بشرط مناسبتها معنىً وتركيبًا، ومغايرتها في الصيغة (٦).
ويأتي على أنواع:

الاشتقاق الصغير نحو: ضارب، من: ضَرَبَ. الاشتقاق الكبير وهو الاشتقاق
الأكبر عند ابن جني، نحو: تقاليب (ك ل م). الاشتقاق الأكبر وهو الإبدال اللغوي،
نحو: سِرَاطٌ، صِرَاطٌ (٧). والاشتقاق الكُبَّار (النحت)، كالحيلة، والبسمة، والطلبقة
ومما ورد من الألفاظ وعده التركستاني من هذا الباب ما يلي:

(١) ابن الأنباري، الأضداد، ص ١٥٥.

(٢) الأضداد، للأصمعي وللجستاني ولابن السكيت، ص ٩٠.

(٣) ينظر: الأنباري، الأضداد، ص ١٥٦.

(٤) الأضداد، للأصمعي وللجستاني ولابن السكيت، ص ١٩٤ وما بعدها.

(٥) ينظر: حاتم الضامن، فقه اللغة، ص ٧٨.

(٦) ينظر: الشريف الجرجاني، التعريفات، ص ٢٧.

(٧) ينظر: حاتم الضامن، فقه اللغة، ص ٧٩ وما بعدها.

الْقَرْنُ وَالْقَرُوُّ وَالْقَرِيُّ.

يرى التركستاني أن القَرْنَ مادته قَرَنَ، أما القَرُوُّ والقَرِيُّ فهما من مادة قَرَأَ^(١).

الأصل في لفظ القَرْنَ: قَرَنُ الثور، ومنه القَرْنَ في السن: اللدة، والقَرْنَ: الأمة، والقَرْنَ: الحبل يقرن به، وهو القِران أيضاً.
قَالَ جَرِيرٌ^(٢):

بَلِّغْ حَلِيفَتَنَا إِنْ كُنْتَ لَأَقِيَهُ أَيْ لَدَى الْبَابِ كَالْمَصْفُودِ فِي قَرْنِ
وَالْقِرَانِ: حبل يشد به البعير كأنه يقوده، وجمعه قرن^(٣).

فالقاف والراء والنون أصلاً صحيحان، أحدهما يدل على جمع شيء إلى شيء، والآخر شيء ينتأ بقوة وشدة^(٤)، والإفتزان كالازدواج في كونه اجتماع شيئين، أو أشياء في معنى من المعاني.

قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَأِكَةُ مُقْتَرِينَ﴾ الزخرف: ٥^(٥).

أما القَرُوُّ والقَرِيُّ.

فالقَرُوُّ: كل شيء على طريقة واحدة. وقَرَوْتُ إليهم أقرؤ قَرُوًّا أي قصدت نحوهم.

ويقتري مسلماً ويقرؤه أي يتبع، ويقتري أيضاً ويستقرئها ويقرؤها إذا سار فيها ينظر حالها وأمرها. وما زلت أستقري هذه الأرض قرية قرية^(٦).

وقَرِي: القاف والراء والحرف المعتل أصل صحيح يدل على جمع واجتماع. من

(١) محمد تركستاني، في أصول الكلمات، ص ٣٩٣.

(٢) البيت من بحر البسيط، شرح ديوان جرير، ص ٥٨٨.

(٣) ينظر: الفراهيدي، العين، باب القاف والراء والنون، ١٤٠/٥.

(٤) ينظر: ابن فارس، المقاييس، مادة: (قرن)، ٧٦/٥.

(٥) ينظر: الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص ٦٦٧.

(٦) ينظر: الفراهيدي، العين، باب القاف والراء والواو، ٢٠٣/٥.

ذلك القرية، سميت قرية لاجتماع الناس فيها.
وَالْقَرْوُ: حوض معروف ممدود عند الحوض العظيم، ترده الإبل، وهو كالمعصرة.
قَالَ الْأَعَشَى (١):
أَرْمِي بِهَا الْبَيْدَاءَ إِذْ أَعْرَضَتْ وَأَنْتَ بَيْنَ الْقَرْوِ وَالْعَاصِرِ
وهو كل شيء على طريقة واحدة. تقول: رأيت القوم على قرو واحد (٢).
وَالْقَرْوُ وَالْقَرِيُّ، كَعَيٍّ: كل شيء على طريق واحد. يقال: ما زال على قَرْوٍ
وَاحِدٍ أَوْ قَرِيٍّ وَاحِدٍ (٣).

المطلب الثالث: التأصيل الدلالي

أولاً: المنهج:

يقول التركستاني: إن العربية لغة اشتقاق، فلا بد من معرفة الأصل الاشتقائي
للكلمة وذلك في ضوء أربعة أمور؛ هي:

١- حذف الزائد.

٢- رد المحذوف.

٣- تصحيح المعتل.

٤- فك المدغم (٤).

فالمشتقة يزال عنها التغيير الذي لحق أصلها، والمزيدة تحذف منها حروف
الزيادة، والمقلوبة تُعاد إلى ما كانت عليه، والمبدلة يُعاد إليها الحرف الذي أبدل منها،
ولا بد من الاعتناء بالصلة فيما بين المعاني؛ تيسيراً للمتكلم بالعربية حتى وإن لم يكن

(١) البيت من بحر السريع، للأعشى في ديوانه ص ٢٤٥، (نقلا عن: معجم مقاييس اللغة، ابن

فارس، ت. إبراهيم شمس الدين، ٩-٣-٢٠١١م، ص ٣٩٦.

(٢) ينظر: ابن فارس، المقاييس، مادة: (قري)، ٧٨/٥.

(٣) ينظر: الزبيدي، التاج، مادة: (قرو)، ٢٩٥/٣٩.

(٤) ينظر: محمد تركستاني، في فقه اللغة العربية، ص ١٠٩.

جهود التركستاني في التأصيل اللغوي: كتاب في أصول الكلمات نموذجاً، د. نوال بنت نفاع بن حماد المطرفي

استعملها أو أدرك معناها من قبل^(١)، فهو بذلك يرسم خط سير اللغوي والباحث في عمله على تأصيل الألفاظ من الجانب الدلالي لها.

ثانياً: العرض:

اعتمد التركستاني في كتابه على التأصيل الاشتقاقي حينما كان يشرح اللفظ ودلالته المعنوية، فنجده يذكر الأصل المعنوي للعديد من الألفاظ أثناء تحليلها وشرحها؛ وبيان ما حدث لها من اتساع، إما عن طريق التصريح بالدلالة الاشتقاقية للفظ من خلال استعماله لمسميات على رأسها مصطلح الأصل، إما على صيغة سؤال أو جملة تعريفية أو استخدام مصطلحات أخرى كقوله: مأخوذة من أو منسوبة إلى، وأخرى لا يقوم بالتصريح، بل يوحي بها من خلال الاستعمالات لها في لغات العرب.

أ- التصريح بالدلالة الاشتقاقية:

سار التركستاني على ما سار عليه سابقه حينما كان يعبر عن الدلالة الاشتقاقية أو الأصل المعنوي للفظ، من أظهرها مصطلح الأصل. التصريح بالدلالة الاشتقاقية عن طريق مصطلح (الأصل).

من الأمثلة التي استخدم فيها مصطلح الأصل ما يلي:

١- (هَذَا أَطْمٌ مِنْ ذَاكَ). تعني أعظم بلية وأشد خطراً وأصله من: طَم الشيء

طُمُومًا إذا كثر حتى عظم أو عمّ، أو حتى غلب^(٢).

٢- (فُلَانٌ حَاطِبٌ لَيْلٍ). في وصف المخلّط في كلامه أو عمله، وأصله من:

الاحتطاب وهو: جمع الحطب، وهو الوقود، ثم حمل عليه ما شبهوه به مجازاً^(٣).

٣- (هُمُ أَسَاطِيئُ الْعِلْمِ). يُطلق على الثقات، والأعلام، والراسخين في العلم،

وأصله من (سَطَنَ) أي: طال وارتفع^(٤).

(١) ينظر: محمد تركستاني، في أصول الكلمات، ص ٩٨.

(٢) ينظر: محمد تركستاني، في أصول الكلمات، ص ٣٣٢.

(٣) ينظر: المصدر السابق، ص ٢٠٥.

(٤) ينظر: المصدر السابق، ص ٢٨٦.

ففي هذه الأمثلة نجد بصريح يشكل مباشر، عن الأصل الدلالي للفظ من خلال استخدامه مصطلح الأصل للفظ.

ب- التصريح بالدلالة الاشتقاقية باستعمال (مصطلحات أخرى).

عبر التركستاني عن الدلالة الاشتقاقية لبعض الألفاظ باستخدام مصطلحات أخرى منها قوله: (مأخوذة من، أو منسوبة إلى). فمما ورد فيه مصطلح مأخوذة من قوله:

١- (هُوَ عَرَبِيٌّ فُحٌّ). اللفظة مأخوذة من فحاح الأرض، وهو ما ظهر منها؛ ولم

يكن فيه نبت يغطيه، أو شيء يحجب رؤيته^(١).

٢- (الْقَرْنُ). هو: الحبل الذي يقرن به البعيران، مأخوذ من: الاقتران ومنه القرن،

وهو: الكف والنظير، ومنه القرين وهو: الصاحب^(٢).

ومما ورد فيه مصطلح منسوبة إلى قوله:

٣- (الْكُوفِيَّةُ). هي كلمة مولدة؛ منسوبة إلى (الكُفَّة)؛ وهي: كل ما استدار، أو

منع^(٣).

الإيحاء بالدلالة الاشتقاقية:

يتضح استخدامه لأسلوب الإيحاء بالدلالة الاشتقاقية من خلال ذكر استعمالات المادة اللغوية المختلفة التي تُشتق منها اللفظ المراد شرحه بحيث توحى بالأصل اللغوي للفظ من دون التصريح بمصطلح مباشر يعبر به عن هذا الأصل، ومن أمثلة ذلك ما يلي:

١- (وَقَعَ فُلَانٌ فِي حَيْصٍ بَيْصٍ). حَيْصٌ أي عدل وحاد، ومنه المحيصُ أي:

المحيد، ويقال: ما عنه محيصٌ، أي: عنه مهرب، ويقال: خاص القوم، أي:

جالوا حوله يطلبون الفرار والمهرب، ومنه حايصٌ، أي: راوغ، ويقال: حايصٌ

(١) ينظر: المصدر السابق، ص ٣٩١.

(٢) ينظر: المصدر السابق، ص ٣٩٣.

(٣) ينظر: محمد تركستاني، في أصول الكلمات، ص ٤١١.

فلان الموت، أي: حرص على الفرار منه، ويقال: فلان حايصٌ بَاطِصٌ، أي: في مأزق أو اختلاط لا يحيص عنه^(١).
فكل استعمالات المادة اللغوية للفظ (حيص) ودلالته تدور حول الحياء والمراوغة والهروب.

٢- (مِنْ مَعَايِنِ السَّمَرِ). ظل القمر، أو لون ضوء القمر، واسم لساعة من الليل، والليلة التي ليس فيها قمر، والليل، وحديث الليل بخاصة، ومجلس السُّمار، واجتماع القوم ليلاً. ففي هذا المثال نلاحظ أن كل استعمالات المادة اللغوية (سَمَر) ودلالته تدور حول معنى واحد وهو الظلمة^(٢).

ثالثاً: الترجيح:

عمد التركستاني إلى إبداء رأيه حول ما يراه في معنى اللفظ، ويرجح ما كان منه صواباً لما يتوفر لديه من أدلة فنجده يعلل للصواب الذي يراه، والرأي الذي يرححه، ومما ورد له من ترجيح في معاني الألفاظ المؤصلة من الجانب الدلالي ما يلي:

١- إن (بَلَدَ: بمعنى دَرَسَ، أو ذَهَلَ) لا يوجد بينهما فرق شاسع من ناحية المدلول؛ لأنه يتوفر فيهما جميعاً معنى الذهاب^(٣).

٢- إن معنى (التَّبَيُّتُ) في سائر اللغات العربية باستثناء قبيلة طيء، وبعض القبائل اليمنية تعد أثراً من آثار التطور الدلالي للفظ، فقد جاء بمعنى: التبديل، والتغيير والتقدير، والتدبير، وكل أمر قُضِيَ بليلى، وقد دلَّ على ذلك أنهم يقرنون الفعل منه بلفظ الأمر فيقال: بَيَّت الأمر^(٤).

٣- إن (جَرَنَ) بمعنى أخلق على لغة بعض قبائل العرب. تأتي انتقالاً من معناها الحسي إلى المعنوي؛ كونه فرعاً من لين العنق، وفي ذات الوقت يحمل معنى

(١) ينظر: المصدر السابق، ص ٢٢١.

(٢) ينظر: المصدر السابق، ص ٢٩٧.

(٣) ينظر: المصدر السابق، ص ١٤٥.

(٤) ينظر: محمد تركستاني، في أصول الكلمات، ص ١٥١.

الاستقرار^(١).

٤- إن العَرِيفَةَ بمعنى النعل هي النعل المقطوعة يجزها صانعها ويقطعها فتكون نعلًا، قال الطرماح^(٢):

خَرِيعَ النَّعْوِ مُضْطَرِبِ النَّوَاحِي كَأَخْلَاقِ العَرِيفَةِ ذِي عُضُونِ

٥- إن الوَذِيلَةَ التي تعني في دلالتها المعنوية النشيطة يرى أن لها أصل آخر غير الوَذِيلَةَ بمعنى المرآة أو السبيكة المجلوة من الفضة، أو قطعة الشحم، والألية^(٣).

٦- للسَّهْوَةُ دلالة مختلفة في بعض قبائل العرب؛ كطيء إذ تعني الصخرة. في حين دلالتها لدى سائر العرب الليونة والسهولة؛ فالعلاقة بينهما علاقة ضدية كون معنى الصخرة يدل على الصلابة والقسوة، في حين يدل المعنى الآخر على الليونة والسهولة^(٤).

٧- إن التساهل في استعمال بعض الألفاظ مثل: (اللَّدْعُ اللَّسْعُ والنَّهْشُ)، وكأُهَا مترادفة أدّى إلى وجود التبادل فيما بينها منذ القدم؛ لكون بعض اللغويين يعدونها في معنى واحد^(٥).

عالج التركستاني أغلب الألفاظ التي تناولها في كتابه من الجانب الدلالي، ومن ذلك: (بؤس: اشتدَّ وهزل)، فالبؤس تحمل معنى الشدة والقوة في الحرب؛ فنقول: اشتدَّ بأسه، ونقول أيضًا للشخص: لا بأس عليك، كأن كلام الرجل لعدوه ينفي عنه البأس؛ لأنه آمنه، وتحمل الكلمة من الهزل بمعنى الضعف كما في قولهم بؤسَّتْ أموالهم، وبؤسَّتْ حال فلان، ولها ثمة معنى آخر بين الكلمتين، وهو التضاد المستخدم في

(١) ينظر: المصدر السابق، ص ١٧٦.

(٢) البيت للطرماح في ديوانه، عزة حسن، (دار الشرق العربي، ١٤١٤هـ)، ط. ٢، ص ٢٩٠.

(٣) ينظر: محمد تركستاني، في أصول الكلمات، ص ٦٧.

(٤) ينظر: المصدر السابق، ص ٣٠١.

(٥) ينظر: المصدر السابق، ص ٤٢٤.

جهود التركستاني في التأصيل اللغوي: كتاب في أصول الكَلِمَاتِ نموذجاً، د. نوال بنت نفاع بن حماد المطرفي

سياق المعنى من القوة والضعف وهو الهزل والبؤسَى والبأساء ضد النعمى والنعماء؛ كما ذكر في اللسان.

وقوله: (أَيَّ هَكَذَا حُلِقْتُ) فدلالته أن الأمر غير قابل للنقاش أصله في اللغة أن هذا الكلام أنه أتى في مجلس يونس بن حبيب بضم الياء وفتحها، وبالنظر لأقسام أي الستة الشرطية والاستفهامية والصفة والحال لمعرفة والموصولة والنداء، نلاحظ أن كل هذه المعاني تُفهم من السياق؛ إذًا للدلالة السياق دور مهم في فهم المعنى، ويكون إعرابها بحسب وقوعها في الجملة، وعليه كانت لغة العرب الفصيحة المستخدمة قديماً، ومثال: ذلك (لَأَضْرِبَنَّ أَيْهَمُّمَ أَوْ أَيْهَمُّمَ يَفُومُ). وغير ذلك الكثير مما تناوله مبيناً دلالته في لغات العرب.

كان يعتمد على عدة مقاييس في جانب التأصيل الدلالي؛ منها: الوقوف على أصل اللفظ بالتصريح أو الإيحاء، ومن ثم معرفة الاشتقاق الحاصل في أصل اللفظ، أو توضيح التباين والترادف والتضاد، من خلال تتبع مظاهر التطور الدلالي للفظ، سواء بالتخصيص أم التعميم، وذكر دلالة اللفظ على عدة معانٍ من خلال المشترك اللفظي، وتحليل اللفظ حسب ما يقتضيه المقياس المستعمل أثناء التحليل له، وتوضيح الفرق من حيث المعنى اللغوي، كما في (اللَّدْعُ اللَّسْعُ والتَّهْشُ).

وأضاف إلى دراسته بعض التعبيرات الاصطلاحية، وتوضيح صور المجاز فيها بتحديد معاني ألفاظها الرئيسة والوقوف على العلاقات الدلالية التي تجمعها، ومن ذلك قول: (ناهيك بفلان)، و(فلان حاطب ليل)، و(فلان ما يدري ما طحاها) وقولهم: (ليس هذا بضربة لأرب)، و(سفت الكلام بفصه ونصه)، و(قلب لنا ظهر المجن)، وغيرها كثير.

الخاتمة

الحمد لله الذي بحمده تزيد النعم ظاهرة وباطنة، والثناء عليه ثناء المنيب لخالقه، والصلاة والسلام على خير خلقه، وآله وصحابه ومن سار على منهجيته ودربه. وبعد: فمن نعم الله عليّ أن أتم لي هذا العمل مفضيًّا - بين طياته - إلى العديد من الفوائد والنتائج، ومنها:

- ١- يتبين من خلال دراسة كتاب (في أصول الكَلِمَاتِ) ومحاولة المؤلف تأصيل ما جاء فيه من ألفاظ تنوعت ظواهرها بين الصوتية والصرفية والدلالية أنه سار في تحليلها بناءً على ما جاء في العربية قديمًا وحديثًا؛ محتكمًا لقواعدها وأقيستها.
- ٢- يُعدّ تعدّد الظواهر الصوتية في اللفظ الواحد عائدًا إلى التطور الذي لحق بها خلال حقبة زمنية مختلفة، وتعدد القبائل، والاختلاف القائم بينها في النطق.
- ٣- نسبة التركستاني إبدال السين شيئًا إلى لغات العرب القديمة وأن لها شواهدا في العربية.
- ٤- يرى التركستاني أن ما ورد عن العرب زمن الفصاحة، سواء أعرُفت تلك القبيلة أم لم تُعرف مما يعتد به.
- ٥- أثبت التركستاني أن كثيرًا من الظواهر الموجودة في لهجاتنا المحلية لها صلة قوية ووثيقة بما كان في العربية قديمًا إضافة إلى عودة البعض منها إلى لغات سامية.
- ٦- يُعدّ اختلاف لهجات العرب من أسباب حدوث القلب المكاني؛ إذ إن هناك حروفًا تأتلف عند بعض القبائل في حين نجدها عند أخرى غير مؤتلفة.
- ٧- التركستاني عالم لغوي أجاد في مجال تأصيل الألفاظ، وكتبه تُمثل دليلًا على إجادته، خاصة ما يرتبط منها بالتأصيل.
- ٨- موافقة التركستاني في تأصيله للألفاظ ما ذكره سابقوه من علماء اللغة، فلم يخرج عن خط سيرهم من حيث الاعتناء باللغة، والعمل على إثبات مرونتها في كل زمان ومكان.

٩- اهتم التركستاني عند تأصيله للمادة اللغوية بإيراد مجموعة من اشتقاقاتها الدلالية تأكيداً منه على صحة معانيها التي تفرعت إليها وارتباطها بالمعنى الأصل.
وفي ختام هذا البحث يُوصَى بما نبّه وأوصى به المؤلف في بعض مؤلفاته التي أمكنني الاطلاع عليها في معالجة اللفظ وتأصيله، ومن ذلك:

١- أهمية رصد الكلمات والصيغ والتراكيب في العامية العربية، وضمها إلى حقل العربية؛ كلٌّ في مكانه.

٢- تناول جميع ما قدمه التركستاني في هذا المجال من نتاج - المسموع والمقروء - والاستفادة منه، ودراسته بصورة أشمل وأوسع وأدق.

٣- أهمية قيام المجامع اللغوية بجمع المادة اللغوية التي تدور على ألسنة العوام من جميع الأقطار العربية؛ من خلال إسناد هذا العمل إلى مجموعة من اللغويين، ثم معالجتها وتصحيحها لإعادة تمها إلى الفصحى أو الفصيحة وفق ضوابط اللغة المقررة. بذلك ستتمو العربية في العصر الحديث، وتتقارب العاميات من الفصحى تحت رقابة جهة مسؤولة كمجامع اللغة^(١).

وبعد؛ فالله أسأل أن أكون قد وُفِّقْتُ في عملي هذا، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وإن كان ذلك فهي نعمة تستوجب الحمد والثناء، وإن لم أصب فحسبي في ذلك أني عملت واجتهدت، والكمال لله وحده، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعه إلى يوم الدين.

(١) ينظر: محمد تركستاني، العاميات الفصحى، ص ٧٨.

المصدر والمراجع

المصدر:

التركستاني، محمد يعقوب، في أصول الكلمات، الجامعة الإسلامية، (المدينة المنورة: ١٤١٢هـ)، ط. ١.

المراجع:

أولاً- الكتب:

ابن الأنباري، محمد بن القاسم، الأضداد، ت. محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت - لبنان: ١٤٠٧هـ.

الأنباري، أبو البركات، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ١٤٢٨هـ.

ابن الجوزي، جمال الدين، تقويم اللسان، ت. عبد العزيز مطر، دار المعارف، ٢٠٠٦م، ط. ٢.

ابن الحداد، سعيد بن محمد، كتاب الأفعال، ت. حسين محمد محمد شرف، مراجعة: محمد مهدي علام، مؤسسة دار الشعب للطباعة والنشر، القاهرة - جمهورية مصر العربية: ١٣٩٥هـ.

ابن جني، أبو الفتح عثمان، التصريف الملوكي، شركة التمدن الصناعية بمصر، ط. ١.

ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط. ٤.

ابن جني، أبو الفتح عثمان، سر صناعة الإعراب، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان: ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

ابن خالويه، الحسين بن أحمد، إعراب القراءات السبع وعللها، حققه وقدم له. د عبد الرحمن العثيمين، مكة المكرمة - جامعة أم القرى، مكتبة الخانجي - القاهرة، ج/٢، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، ط. ١.

ابن دُرُسْتَوَيْه، عبد الله بن جعفر، تصحيح الفصيح وشرحه، ت. محمد بدوي المختون، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة: ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

ابن دريد، محمد بن الحسن، جمهرة اللغة، ت. رمزي منير بعلبكي، دار العلم

- للملايين، بيروت: ١٩٨٧م، ط.١.
- ابن سيده، علي بن إسماعيل المخصص، ت. خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، ط.١.
- ابن سيده، علي بن إسماعيل، المحكم والمحيط الأعظم، ت. عبد الحميد هندواوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ط.١.
- ابن عصفور، علي بن مؤمن، الممتع في التصريف، ت. فخر الدين قباوة، ج/١، دار المعرفة.
- ابن عقيل، بهاء الدين، المساعد على تسهيل الفوائد، ت. محمد كامل بركات، جامعة أم القرى دار الفكر، دمشق - دار المدني، جدة: ١٤٠٠ - ١٤٠٥هـ، ط.١.
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد، الإتياع والمزاوجة، ت. كمال مصطفي، مكتبة الخانجي، القاهرة - مصر.
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد، الصاحي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، محمد علي بيضون، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، ط.١.
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد، معجم مقاييس اللغة، ت. إبراهيم شمس الدين، ٩-٣-٢٠١١م.
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد، معجم مقاييس اللغة، عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، أدب الكاتب، ت. محمد الدالي، مؤسسة الرسالة.
- ابن قتيبة، غريب الحديث، ت. عبد الله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، ط.١، ١٣٩٧هـ.
- ابن منظور، أبو الفضل محمد، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ، ط.٣.
- ابن يعيش، أبو البقاء، شرح المفصل، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ط.١.
- أبو الطيب، عبد الواحد بن علي، الإتياع، ت. عز الدين التنوخي، مجمع اللغة العربية، دمشق: ١٣٨٠هـ - ١٩٦١م.

أبو الطيب، عبد الواحد بن علي، الأضداد في كلام العرب، ت. عزة حسن، ط. ٢، ١٩٩٦م، المجمع العلمي العربي بدمشق.

أبو الطيب، عبد الواحد بن علي، قراءة في كتاب الإبدال، ت. عز الدين التنوخي، ١٣٧٩هـ.

أبو الفضل، إبراهيم محمد، ديوان امرئ القيس، دار المعارف، ١٩١٩م، ط. ٤.
أبو صالح، عبد القدوس، ديوان ذي الرمة، شرح أبي نصر الباهلي رواية ثعلب، مؤسسة الإيمان جدة: ١٩٨٢م، ط. ١.

الأزهري، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، ت. محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ٢٠٠١م، ط. ١.

الأستراباذي، محمد بن الحسن، شرح شافية ابن الحاجب، ت. محمد نور الحسن، محمد الزفزاف، ومحمد محيي الدين عبد الحميد، القسم الأول، ج/٣، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان: ١٤٠٢هـ.

الأندلسي، أبو حيان، البحر المحيط في التفسير، ت. صدقي محمد جميل، ن. دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.

الأندلسي، أبو جعفر أحمد، تحفة الأقران فيما قرئ بالثلث من حروف القرآن، كنوز أشبيلية، المملكة العربية السعودية: ٢٠٠٧م، ط. ٢.

الأندلسي، أبو حيان محمد، تذكرة النحاة، ت. عفيف عبد الرحمن، مؤسسة الرسالة. أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، نهضة مصر.

أوغت هغتر، الأضداد للأصمعي وللجستاني ولابن السكيت، المطبعة الكاثوليكية للأدباء اليسوعيين، بيروت ١٩١٢م.

البركتي، محمد، قواعد الفقه، الصدف ببلشرز - كراتشي، ١٤٠٧هـ، ط. ١.

البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، ت. عبد السلام محمد هارون، ن. مكتبة الخانجي، القاهرة، ط. ٤، ١٤١٨هـ.

البستاني، بطرس، محيط المحيط، مكتبة لبنان، طبعة جديدة، ١٩٨٧م.

جهود التركستاني في التأصيل اللغوي: كتاب في أصول الكلمات نموذجاً، د. نوال بنت نفاع بن حماد المطرفي

التركستاني، محمد، العاميات الفصح في لهجاتنا العربية المعاصرة، مجمع اللغة العربية، مكة المكرمة: ١٤٤١هـ.

التركستاني، محمد، سلام الإخوان إلى مواهب الرحمن، شرح منظومة في أبنية الأفعال، محمد التادمكي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة - ١٤٣٣هـ، ط. ١.

التركستاني، محمد، في فقه اللغة العربية، دار الميمنة، ١٤٤١هـ، ط. ١.

الثعالبي، أبو منصور، فقه اللغة وسر العربية، ت. عبد الرزاق المهدي، إحياء التراث العربي، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، ط. ٢.

الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، عام النشر. ١٤٢٣هـ.

الجندي، أحمد علم الدين، اللهجات العربية في التراث، الدار العربية للكتاب، طبعة جديدة، ١٩٨٣هـ.

حسان، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، طبعة ١٩٩٤م، دار الثقافة.

حسن، عزة، ديوان الطرماح، دار الشرق العربي، ١٤١٤هـ، ط. ٢.

حسين، محمد، ديوان الأعشى الكبير، مكتبة الآداب بالجماميز، المطبعة النموذجية. حمدان علي، عاصم، الأعمال الكاملة، عبد المقصود محمد خوجة، جدة، ج/٤، ١٤٢٦هـ، ط. ١.

الحموي، ياقوت، معجم الأدباء، ت. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت: ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، ط. ١.

الخطيب التبريزي، أبو زكريا يحيى، شرح اختيارات المفصل، ج/١، ت. فخر الدين قباوة، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان: ١٤٠٧هـ، ط. ٢.

خليل، حلمي، الكلمة، دراسة لغوية معجمية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٨م، ط. ٢. خماش، سالم، المعجم وعلم الدلالة، جامعة الملك عبد العزيز، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية، جدة: ١٤٢٨هـ.

الدينوري، أبو محمد عبد الله، غريب الحديث، ت. عبد الله الجبوري، مطبعة العاني - بغداد، ط. ١.

- ديوان جميل بثينة، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٤٠٢ هـ.
- الراجحي، عبده، **التطبيق الصرفي**، دار النهضة العربية.
- الرازي، فخر الدين، **المحصل**، ت. الدكتور طه جابر فياض العلواني، مؤسسة الرسالة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، ط. ٣.
- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم، **المفردات في غريب القرآن**، صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق بيروت: ١٤١٢ هـ، ط. ١.
- راينهت فايرت، فرانتس شتاينر، **ديوان الراعي**، بيروت: ١٤٠١ هـ.
- الرماني، أبو الحسن، **الألفاظ المترادفة المتقاربة المعنى**، ت. فتح الله المصري، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع.
- الزبيدي، محمد مرتضى، **تاج العروس من جواهر القاموس**، ت. مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- الزعي، أمانة، **التغير التاريخي للأصوات في اللغة العربية واللغات السامية**، دار الكتاب الثقافي، إربد، الأردن: ٢٠٠٨ م.
- الزحشري، محمود بن عمر، **أساس البلاغة**، ت. محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان: ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، ط. ١.
- السامرائي، إبراهيم، **التطور اللغوي التاريخي**، دار الأندلس، ١٤٠١ هـ، ط. ٢.
- ستيفن أولمان، ترجمة: بشر، كمال، **دور الكلمة في اللغة**، مكتبة الشباب.
- سيبويه، عمرو بن عثمان، **الكتاب**، ت. عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة: ١٤٠٨ هـ، ط. ٣.
- السيوطي، عبد الرحمن، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، ت. فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م، ط. ١.
- السيوطي، عبد الرحمن، **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع**، ت. عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، مصر.
- الشافعي، محمد الأمين، **تفسير حدائق الروح والريحان في روائع علوم القرآن**،

جهود التركستاني في التأصيل اللغوي: كتاب في أصول الكَلِمَاتِ نموذجاً، د. نوال بنت نفاع بن حماد المطرني

- إشراف ومراجعة: هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت
- لبنان، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م، ط.١.
- شاهين، عبد الصبور، **القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث**، مكتبة الخانجي بالقاهرة.
- الشريف الجرجاني، علي بن محمد، **التعريفات**، ت. ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان: ١٤٠٣ هـ، ط.١.
- الشنقيطي، أحمد الأمين، **ديوان الشماخ**، مطبعة السعادة، ١٣٢٧ هـ.
- الشيبياني، أبو عمرو، **الجيم**، ت. إبراهيم الأبياري، راجعه: محمد خلف أحمد، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة: ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م.
- الصاوي، محمد، **شرح ديوان جرير**، مطبعة الصاوي، ط.١.
- الصغاني، الحسن بن محمد، **التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق الجزء السادس. محمد أبو الفضل إبراهيم، راجعه محمد مهدي علام، السنة ١٩٧٩ م، مطبعة دار الكتب، القاهرة.
- الصغاني، **العباب الزاخر**، د.ط.
- الضامن، حاتم، **فقه اللغة**، مكتبة دار مازن المبارك، ١٤١١ هـ.
- الطبراني، سليمان بن أحمد، **المعجم الكبير**، باب خطبة عائشة، رقم ٣٠٠، ت. حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط.٢.
- طريفي، محمد نبيل، **ديوان الكميت**، دار صادر بيروت: ٢٠٠٠ م، ط.١.
- الطنطاوي، محمد، **تصريف الأسماء**، مكتبة لسان العرب، ط.٦.
- عبد الجليل، منقور، **علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي**، اتحاد الكتاب العرب، (دمشق: ٢٠٠١ م).
- العسكري، أبو هلال، **الفروق اللغوية**، ت. محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع القاهرة - مصر.
- العسكري، أبو هلال، **معجم الفروق اللغوية**، الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ب (قم)،

١٤١٢هـ، ط. ١.

- العطية، مروان، ديوان الحارث بن حلزة، دار الإمام النووي، ١٤١٥هـ، ط. ١.
- العقاد، أشتات مجتمعات في اللغة والأدب، مؤسسة هنداوي.
- الفارابي، أبو نصر، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ت. أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت: ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م، ط. ٤.
- الفراء، أبو زكريا يحيى، كتاب فيه لغات القرآن، ضبطه وصححه: جابر بن عبد الله السريع، عام النشر. ١٤٣٥هـ.
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين، ت. د مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
- الفيومي، أحمد بن محمد، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية - بيروت.
- القالبي، أبو علي إسماعيل، الإتياع، ت. كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة - مصر.
- قشاش، أحمد سعيد، النبات في جبال سراة والحجاز، السروات، هـ ١٤٢٧ - م ٢٠٠٧.
- القيسي، خلف الوجيز في مستويات اللغة العربية، دار يافا للنشر، ١٤٣١هـ، ط. ١.
- كراع النمل، أبو الحسن، المنجد في اللغة، ت. أحمد مختار عمر، ضاحي عبد الباقي، ن. عالم الكتب، القاهرة، ط. ٢، ١٩٨٨ م.
- الكفوي، أبو البقاء، الكليات، ت. عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت.
- المالكي، ابن أبي زَمَنِين، تفسير القرآن العزيز، ت: أبو عبد الله حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفى الكنز الفاروق الحديثة، مصر - القاهرة: ١٤٢٣ هـ - م ٢٠٠٢، ط. ١.
- المرزوقي، أبو علي، شرح ديوان الحماسة، نشره: أحمد أمين وعبد السلام هارون،

جهود التركستاني في التأصيل اللغوي: كتاب في أصول الكَلِمَاتِ نموذجًا، د. نوال بنت نفاع بن حماد المطرقي

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، مكتبة لسان العرب، ١٣٧٢هـ، ط.١.
المستعصمي، محمد بن أيدير، **الدر الفريد وبيت القصيد**، ت. كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان: ١٤٣٦هـ، ط.١.
نهر، هادي، **علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي**، تقديم: علي الحمد، دار الأمل للنشر والتوزيع، إربد، الأردن: ١٤٢٧هـ، ط.١.
المهروي، أحمد، **الغريبين في القرآن والحديث**، ت. أحمد فريد المزيدي، قدم له وراجعته: فتحي حجازي، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، ١٤١٩هـ، ط.١.

هنداوي، حسن، **مناهج الصرفيين ومذاهبهم**، دار القلم، ١٤٠٩هـ، ط.١.
وافي، علي عبد الواحد، **علم اللغة**، نخضة مصر، ٢٠٠٤م، ط.٩.
اليغموري، أبو المحاسن، **نور القبس**، دون تاريخ طباعة.
ثانيًا- الرسائل الجامعية:

١. السيد، أحمد مفرح أحمد، **البحث الصوتي في (البيان في غريب إعراب القرآن) لأبي البركات الأنباري**، إبدال الأصوات أمودجًا، جامعة الأزهر، حولية كلية اللغة العربية بنين بجرجا، ج/١، العدد. ٢٥-١٤٤٢هـ.
٢. محمد رجب، السيد عبد ربه، **التأصيل عند الراغب الأصفهاني في تفسيره على ضوء ما ذكره ابن فارس**، دراسة موازنة، جامعة الأزهر، حولية كلية اللغة العربية بنين بجرجا، العدد. ١٨-١٤٣٥هـ، ج/٣، دار الكتب المصرية.
٣. راشد، فاطمة كاظم خضير، **صوت السين في العربية في ضوء لهجات شبه الجزيرة العربية**، دراسة لغوية موازنة، رسالة ماجستير، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد كلية التربية للبنات، ٢٠١٦.

ثالثًا- الجرائد والمجلات:

١. جريدة المدينة، **ملحق التراث**، ١٠-٧-١٤١٤هـ، جدة، العدد السادس والثلاثون من السنة السابعة عشرة.

٢. الحازمي، عليان، علم الدلالة عند العرب، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج/١٥، العدد. ٢٧ جمادى الآخرة، ١٤٢٤هـ.
 ٣. حسين عبد المهدي، و كاطع جارالله سظام، صيغة فعلاان في القرآن الكريم، دراسة صرفية دلالية، مجلة كلية التربية الأساسية، العدد، ١٠٤، المجلد/٢٥، ٢٠١٩م.
 ٤. الترجمي، محمد حبيب دخيل، محمد يعقوب التركستاني آراؤه وجهوده في خدمة العربية، مجلة الجامعة للغة العربية وآدابها، ١٤٤٢هـ.
 ٥. ملحق الأربعاء، جريدة المدينة، ١٠-٢-١٤٢٥هـ.
- رابعاً- الاتصالات الشخصية وورش العمل ومواقع الويب:
١. الجمعيون، مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية، تاريخ النشر ٨-٢-٢٠١٥م، استرجع بتاريخ ١٥-١١-٢٠٢٠م. من موقع: <https://www.m-a-arabia.com.site.8820.html>
 ٢. محمد أجمل الإصلاحي، الجامعة الإسلامية سابقاً، (قسم اللغة العربية)، ١٤٤٣هـ، "اتصال شخصي".
 ٣. الرحيلي، محمد سلمان، جامعة طيبة (قسم اللغة العربية)، ١٤٤٣هـ، "اتصال شخصي".
 ٤. التركستاني، محمد يعقوب، الجامعة الإسلامية سابقاً، (قسم اللغة العربية)، ١٤٤١هـ، "اتصال شخصي".
 ٥. مركز التميز في اللغة العربية، (١١-١٢)، أبريل ٢٠١٢م، ورشة عمل، المعجم العربي الجديد بين الوحدة والتنوع والمنهج، جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية.

Bibliography

Sources:

Al-Turkistānī, Muhammad Ya‘qoub, "Fī Usūl al-Kalimāt", (in Arabi)
The Islamic University of Medina, 1412 AH, first edition.

References:

First books:

- Ibn al-Anbārī, Muhammad ibn al-Qasim, "al-‘Aḍḍāḍ" Investigated by:
Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, modern library, Beirut -
Lebanon: 1407 AH.
- Al-Anbārī, Abu Al-Barakāt, "al-Insāf fi Masā’il al-Khilāf bayna al-
Nahwiyyīn al-Baṣriyyīn wa al-Kūfiyyīn" (in Arabi) Al- modern
Library, Beirut, 1428 AH.
- Ibn al-Jawzi, Jamāl al-Din, "Taqwīm al-Lisān" (in Arabic) Investigation:
‘Abd al-‘Aziz Maṭar, Dār al-Ma‘ārif, 2006, second edition.
- Ibn al-Ḥaddād, Sa‘eed bin Muhammad, "Kitāb al-Af‘āl" (in Arabic)
Investigation: Husain Muhammad Muhammad Sharaf, reviewed:
Muhammad Mahdi ‘Allam, muasasat Dār al-Sha‘b, Cairo - Arab
Republic of Egypt: 1395 AH.
- Ibn Jinnī, Abu al-Fath ‘Uthman, "Al-Tasrif al-Mulūkī", (in Arabic)
Al-Tamdu Company in Egypt, first edition.
- Ibn Jinnī, Abu Al-Fath ‘Uthman, "Al-Khassais", (in Arabic) the
Egyptian General Book Organization, 4th edition.
- Ibn Jinnī, Abu Al-Fath ‘Uthman, "Sirr Ṣanā‘at al-I‘rāb" (in Arabic)
Dār al-Kutub al-‘Ilmiyya, Beirut-Lebanon: Year: 2000.
- Ibn Khālawaih, al-Husain bin Ahmad, "I‘rāb al-Qirā‘āt al-Sab‘ wa
‘Ilaliḥā", (in Arabic) Investigation: Dr. ‘Abd al-Rahman al-
Uthaymeen, Mecca - Umm Al-Qura University, first edition, 1992.
- Ibn Durastawaih, ‘Abdullah bin Ja‘far, "Tashih al-Faṣīḥ wa Sharhuhu"
(in Arabic) Investigation: Muhammad Badawi al-Mukhton,
Supreme Council for Islamic Affairs, Cairo, 1998.
- Ibn Duraid, Muhammad Ibn al-Hasan, "Jamharat al-Lugha" (in
Arabic) Investigation: Ramzi Munir Ba‘labaki, Publisher: Dār Al-
‘Ilm for Millions, first edition, Beirut: 1987.
- Ibn Sīdah, ‘Ali bin Ismā‘īl, "Al-Mukhaṣṣṣ". Investigation: Khalil
Ibrahim Jaffal, Dār Ihyā al-Turāth al-‘Arabi, Beirut: First
Edition: 1996.
- Ibn Sīdah, ‘Ali bin Ismā‘īl, "Al-Muhakkam wa Al-Muhīt Al-A‘zam".
Investigation: ‘Abd al-Hamid Hindawi, Dār al-Kutub al-Ilmiyya,
Beirut: First Edition: 2000.
- Ibn ‘Usfūr, ‘Ali bin Mu‘min, "Al-Mumti‘ fi Al-Taṣrīf". Investigation:
Fakhr al-Din Qabāwah, vol. 1, Dār al-Ma‘rifa.
- Ibn ‘Aqil, Bahā al-Din, "al-Musā‘id ‘alā Tashīl al-Fawā‘id",
Investigation: Muhammad Kamil Barakāt, Umm Al-Qura

- University, Dār Al-Fikr, Damascus - Dār Al-Madani, first edition: Jeddah: 1405 AH.
- Ibn Fāris, Abu Al-Husain Ahmad, "al-Itbā' wa al-Muzāwajah". Investigation: Kamāl Mustafa, Al-Khanji Library, Cairo - Egypt.
- Ibn Fāris, Abu Al-Husain Ahmad, "al-Ṣāhibī fi fiqh al-Lugha al-'Arabia wa Masā'ilihā wa sunan al-'Arab fi Kalāmihā". Investigation: Muhammad 'Ali Beydoun, first edition 1997.
- Ibn Fāris, Abu Al-Husain Ahmad, "Maqāyīs Al-Lugha", Investigation: 'Ibrahim Shams al-Dīn, 2011.
- Ibn Faris, Abu Al-Husain Ahmad, "Maqāyīs Al-Lugha", 'Abd al-Salam Muhammad Harun, Dār al-Fikr, 1979.
- Ibn Qutaibah, 'Abdullah bin Muslim, "Adab al-Kātib", Investigation: Muhammad Al-Dāli, Mu'ssasah al-Resālah.
- Ibn Qutaibah, "Gharīb al-Hadith" Investigation: 'Abdullah Al-Jubouri, Al-Ani Press, Baghdad, first edition 1397 AH.
- Ibn Manzour, Abu al-Fadl Muhammad, "Lisān al-'Arab", Dār Sadir, Beirut, third edition, 1414 AH.
- Ibn Ya'īsh, Abu al-Baqa, "Sharh al-Mufaṣṣal". Investigation: Dr. Emile Badi' Ya'qoub, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut - Lebanon, first edition 2001.
- Abu al-Tayyib, 'Abd al-Wāhid bin 'Ali, "Al-Itbā'". Investigation: Izz al-Din al-Tanoukhi, Academy of the Arabic Language, Damascus: 1961.
- Abu al-Tayyib, 'Abd al-Wāhid bin 'Ali, "Al-Aḍḍād fi kalām Al-'Arab". Investigation: 'Azza Hasan, second edition, Publisher: The Arab Scientific Academy in Damascus, 1996.
- Abu al-Tayyib, 'Abd al-Wāhid bin 'Ali, "Qirā'atun fi Kitāb al-Ibdāl". Investigation: 'Izz al-Din al-Tanoukhi, 1379 AH.
- Abu al-Fadl, Ibrahim Muhammad, "Dīwān Umru al-Qais", Dār al-Ma'ārif, fourth edition, 1919.
- Abu Saleh, 'Abd al-Quddous, "Dīwān Dhī Al-Ruma". Publisher: Al-Iman Foundation, Jeddah, first edition 1982.
- Al-Azhari, Muhammad bin Ahmad, "Tahadhib Al-Lugha". Investigation: Muhammad Awad Mur'ib, Dār Ihyā al-Turath al-'Arabi, Beirut, first edition 2001.
- Al-Istrabadhi, Muhammad bin Al-Hasan, "Sharh Shāfiyat ibn Al-Hajib". Investigation: Muhammad Nour Al-Hasan, Muhammad Al-Zafzaf, and Muhammad Muhyi Al-Din 'Abd al-Hamid, V/3, Dār Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut, Lebanon: 1402 AH.
- Al-Andalusi, Abu Hayyan, "Al-Bahr Al-Muheet fi Tafsir". Investigation: Sidqi Muhammad Jamil. Dār Al-Fikr, Beirut, 1420 AH.
- Al-Andalusi, Abu Ja'far Ahmad, "Tuhfat al-Aqrān fi mā Quri be al-Tathlith min huruf al-Qur'an". Saudi Arabia, 2nd edition 2007.

- Al-ndalusi, Abu Hayyan Muhammad, "Tadhkirat Al-Nuhāt".
Investigation: 'Afif 'Abd al-Rahman, Mu'ssasat Al-Resala.
- Anis, Ibrahim, "Al Aswāt Al-Lughawiyah". Nahda Misra,
Ught Hegter, "al-Aḏḏād li Al-Asma'ī". Al-Matbaeat Alkathulikia B.
1912.
- Al-Barakti, Muhammad, "Qawā'id Al-Fiqh". Al-Sadf Publishers -
Karachi, first edition, 1407 A.H.
- Al-Baghdadi, "Khizānat al-Adab wa lubb lubāb Lisān Al-Arab",
Investigation: 'Abd al-Salam Muhammad Haroun, Al-Khanji
Library, Cairo, 4th edition, 1418 AH.
- Al-Bustani, Boutros, "Muhīt al-Muhīt", Library of Lebanon, new
edition, 1987.
- Turkistānī, Muhammad, "al-Āmiyāt Al-Fisāh fi Lahajatinā al-‘Arabia
al-Mu‘āsirah", The Arabic Language Academy, Makkah Al-
Mukarramah 1441 AH.
- Al-Turkistānī, Muhammad, "Salālim al-Ikhwān, "Sharh Manzumat fi
Abniyat al-Af‘āl", Muhammad Al-Tadmaki, Science and
Governance Library, Medina, first edition - 1433 AH.
- Al-Turkistānī, Muhammad, "Fi Fiqh Al-Lugha", Dār Al-Maymanah,
1441 AH.
- Al-Tha‘ālibī, Abu Mansour "Fiqh al-Lugha wa Sirru Al-‘Arabia",
Investigation: 'Abd al-Razzaq Al-Mahdi, Ihya al-Turath Al-
‘Arabi, second edition 2002.
- Al-Jahiz, 'Amru bin Bahr, "Al-Bayān wa al-Tabyeen", Al-Hilal
Library, Beirut, 1423 AH.
- Al-Jundi, Ahmad 'Alam Al-Din, "Al-Lahajāt Al-‘Arabia fi al-Turath",
Dār Al-‘Arabiya, new edition, 1983.
- Hasan, Tammam, "Al-Lugha Al-‘Arabia ma‘nāhā wa mabnāhā", Dār
al-Thaqāfa, 1994.
- Hasan, 'Azzah, "Diwān Al-Tarmah", Dār Al-Sharq Al-Arabi, second
edition, 1414 AH.
- Husain, Muhammad, "Diwān Al-Asha Al-Kabeer", Maktab Al-Adab
fi Al-Jamamiz, the model printing press.
- Hamdan 'Ali, 'Āšim, "Al-A'lā m al-Kāmilah", investigated by: 'Abd al-
Maqsoud Muhammad Khoja, first edition, Jeddah, V/4, 1426 AH.
- Al-Hamawi, Yaqout, "Mu'jam al-Udabā", Investigation: Ihsan
'Abbas, Dār al-Gharb al-Islami, Beirut, first edition 1993.
- Al-Khatib Al-Tibrīzī, Abu Zakaria Yahya, "Sharh Ikhtiyārāt al-
Mufadala", vol. 1, Investigation: Fakhr al-Dīn, Dār al-Kutub Al-
'Imiya, Beirut - Lebanon, second edition 1407 AH.
- Khalil, Helmy, "Al-Kalimah", a lexical linguistic study, Dār Al-
Ma'rifa Al-Jami'iyah, second edition 1998.
- Khamāsh Salim, "Al-Mu'jam wa 'Ilm Al-Dilāla", King Abdulaziz
University, College of Arts and Humanities, Department of

- Arabic Language, Jeddah: 1428 AH.
- Al-Dinawari, Abu Muhammad 'Abdullah, "Ghareeb Al-Hadith", Investigation: 'Abdullah Al-Jubouri, Al-Ani Press - Baghdad, first edition.
- "Diwān Jamil Buthaina", Dār Beirut li Tibā'at wa al-Nashr, 1402 AH.
- Al-Rajhi, Abduh, "Al-Tatbīq al-Ṣarfi", Dār Al-Nahda Al-'Arabiya.
- Al-Razi, Fakhr al-Dīn, "Al-Mahsoul", Investigation: Dr. Taha Jabir Fayyad Al-'Alwani, Mu'ssah Al-Resalah, 1418 AH – 1997.
- Al-Rāghib Al-Isfahānī, Abu Al-Qasim, "Al-Mufradāt fi Ghareeb al-Qur'ān", Safwan 'Adnan Al-Daoudi, Dār Al-Qalam, Damascus Beirut: Third Edition 1412 AH.
- Raynhart Faybirt, Frantis Shtaynir, "Diwān al-Rā'ī", Beirut: 1401 AH.
- Al-Rummanī, Abu Al-Hasan, "Al-Alfāz Al-Mutarādifāt Al-Mutaqāribah Al-Ma'nā", Investigation: Fathullah Al-Masry, Dār Al-Wafā for printing, publishing and distribution.
- Al-Zubaidi, Muhammad Murtada, "Tāj Al-'Arous min Jawahir Al-Qamous", Investigation: A group of investigators, Dār Al-Hedaya.
- Al-Za'bi, Amna, "Al-Taghayyur Al-Tārīkhī li al-Aṣwāt fi al-Lughat Al-'Arabiyya wa al-Lughat Al-Sāmiyāt", Dār Al-Kitāb Al-Thaqāfi, Jordan: 2008.
- Al-Zamakhshari, Mahmoud bin 'Umar, "Asās Al-Balāgha", Investigation: Muhammad Basil Oyouun al-Soud, Dār al-Kutub al-'Ilmiyya, first edition, Beirut - Lebanon: 1419 AH – 1998.
- Al-Sāmūrā'i, Ibrahim, "Al-Tatawur Al-Lughawī Al-Tārīkhī", second edition, Dār Al-Andalus, 1401 AH.
- Stephen Ullman, "Dawr Al-Kalimāt fi Al-Lugha", (in Arabic) translated by: Bishr, Kamal, Youth Library.
- Sībawaih, 'Amr bin 'Uthman, "Al-Kitāb", Investigation: 'Abd al-Salam Muhammad Haroun, Al-Khanji Library, Cairo, third edition 1408 AH.
- Al-Suyouti, 'Abd al-Rahman, "Al-Muzharr fi 'Uloum Al-Lugha wa Anwā'ihā", investigation: Fuād 'Ali Mansour, Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah, Beirut, first edition, 1418 AH-1998.
- Al-Suyouti, 'Abd al-Rahman, "Ham' Al-Hawāmi' fi Sharh Al-Jam' Al-Jawāmi'". Investigation: 'Abd al-Hamīd Hindāwī, Al-Tawfiqiyyah Library, Egypt.
- Al-Shāfi'i, Muhammad Al-Amin, "Tafsir Hadā'iq Al-Rouh wa al-Rayhan fi Rawābi' 'Uloum Al-Qur'ān". Supervised and reviewed by: Hashim Muhammad 'Ali bin Husain Mahdi, Dār Tuq Al-Najāt, first edition: Beirut - Lebanon, 1421 AH – 2001.
- Shāheej, 'Abd al-Sabour, "Al-Qirā'at al-Qur'āniyyah fi Daw' 'Ilm Al-Lugha Al-Ḥadīth". Al-Khanji Library, Cairo.
- Al-Sharif Al-Jurjānī, 'Ali bin Muhammad, "Al-Ta'rīfāt". Supervised

- and reviewed by: A group of scholars, Dār al-Kutub al-‘Ilmiyya, first edition, Beirut - Lebanon: 1403 AH.
- Al-Shinqītī, Ahmad Al-Amin, "Diwān Al-Shamākh", Madba Al-Sa‘āda, 1327 AH.
- Al-Shaibānī, Abu ‘Amr, "Al-Jīm". Investigation: Ibrahim Al-Abyari, Cairo: 1394 AH – 1974.
- Al-Ṣawī, Muhammad, "Sharh Diwān Jarīr", Maṭba‘ Al-Ṣawī, first edition.
- Al-Sāghānī, Al-Hasan bin Muhammad, "Al-Takmilat wa al-Dhayl wa al-Ṣilāt li Kitāb Tāj Al-Lugha wa Ṣahih Al-‘Arabiya". Investigation: Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, Dār Al-Kutub, Cairo. 1979.
- Al-Sāghānī, "al-‘Ubāb al-Zākhir".
- Al-Ḍāmin, Ḥatim, "Fiqh al Al-Lugah". Dār Māzin Al-Mubarak Library, 1411 AH.
- Al-Ṭabarānī, Sulaimān bin Ahmad, "Al-Mu‘jam Al-Kabīr". Investigation: Hamdi ‘Abd al-Majīd Al-Salafī, second edition, Ibn Taymiyyah Library, Cairo.
- Ṭuraifi, Muhammad Nabil, "Diwān Al-Kumait". Dār Sadir, Beirut: first edition, 2000.
- Al-Ṭanṭāwi, Muhammad, "Taṣrīf Al-Asmā", Lisān Al-‘Arab Library, Sixth Edition.
- ‘Abd al-Jalīl, Manqour, "‘Ilm al-Dilālah ‘Usuluh wa Mabāhithuh fi al-Turāth Al-‘Arabī". Arab Writers Union, Damascus: 2001.
- Al-‘Askarī, Abu Hilal, "Al-Furuq Al-Lughawiyah". Investigation: Muhammad Ibrahim Salim, House of Science and Culture, Cairo - Egypt.
- Al-‘Askarī, Abu Hilal, "Al-Furuq Al-Lughawiyah", Muasasah al-Nashr al-Islāmī, 1412 AH.
- Al-‘Atṭiyah, Marrwān, "Diwān Al-Hārith bin Haladha", first edition, Dār Al-Imam Al-Nawawi, 1415 AH.
- Al-‘Aqqād, "Ashtāt Mujtama‘āt fi al-Lugha wa al-Adab", Muasasah Hindawi.
- Al-Fārābī, Abu Nasr, Al-Ṣiḥāḥ "Tāj al-Lugha wa Ṣiḥāḥ Al-‘Arabiyyah". Investigation: Ahmad ‘Abd al- Ghafour ‘Attār, Dār Al-‘Ilm, fourth edition, Beirut: 1407 AH – 1987.
- Al-Farrā, Abu Zakaria Yahya, "Kitāb fi Lugha Al-Qur‘ānī". Investigation: Jabir bin ‘Abdillāh Al-Sari’ 1435 AH.
- Al-Farāhīdī, Al-Khalil bin Ahmad, "Al-‘Ain". Investigation: Dr. Mahdi Makhzoumi and Dr. Ibrahim Al-Samurā’i, Al-Hilal Library.
- Al-Fayyūmī, Ahmad bin Muhammad. " Al-Misbāh al-Munir Fi Ghareeb Al-Sharh Al-Kabeer", Al-Maktabat Al-‘Ilmiyyah - Beirut.

- Al-Qālī, Abu 'Ali Ismā'īl, "Al-Itbā'". Investigation: Kamāl Mustafa, Al-Khanji Library, Cairo - Egypt.
- Qashash, Ahmad Sa'eed. "Al-Nabāt fi Jibāl Sarāt wa al-Hijāz". 2007.
- Al-Qaisi, Khalaf. "al-Wajīz fi Mustawayāt al-Lugha Al-'Arabia". Dār Yafa Publishing, first edition, 1431 AH.
- Qurā' Al-Naml, Abu al-Hasan, "Al-Munjid Fī Al-Lugha". Investigation: Ahmad Mukhtar 'Umar, Dhahi 'Abd al-Bāqi, 'Ālam Al-Kutub, second edition, Cairo 1988.
- Al-Kafawī, Abu Al-Baqā, "Al-Kulliyāt", Investigation: 'Adnan Dārwish - Muhammad Al-Masry, Mu'ssah Al-Resala, Beirut.
- Al-Mālikī, Ibn Abi Zamanīn, "Tafsīr Al-Qur'ān Al-'Azīz" Investigation: Abu 'Abdullah Husain bin 'Ukāsha - Muhammad bin Mustafa Al-Kanz Al-Farouq Al-Haditha, Egypt - Cairo-2002.
- Al-Marzouqī, Abu 'Ali, "Sharh Dīwan Al-Hamāsa". Published by: Ahmad Amin and 'Abd al-Salam Haroun, Lisan Al-'Arab Library, 2nd edition 1372 AH.
- Al-Musta'simi, Muhammad bin Aydmār, "Al-Durr Al-Farīd wa Bait Al-Qaseed". Investigation: Kāmil Salman al-Jubouri, Dār al-Kutub al-'Ilmiyya, first edition, Beirut - Lebanon: 1436 AH.
- Nahr, Hādī, "Ilm Al-Dilālah Al-Tatbīqī fi Al-Turāth Al-'Arabī". Presented by: 'Ali Al-Hamad, Dār Al-Amal Irbid, Jordan: First Edition 1427 A.H.
- Al-Harawī, Ahmad, "Al-Gharibeen fi al-Qur'ān wa al-Hadith". Investigation: Ahmad Farīd Al-Mazeedi, revised by: Fathi Hejazy, Nizar Mustafa Al-Bāz Library, Saudi Arabia, first edit 1419 AH.
- Hindāwi, Hasan, "Manāhij al-Ṣarfīyīn wa Madhahibuhum", (in Arabic) Dār Al-Qalam, first edition, 1409 AH.
- Wāfī, 'Ali 'Abd al-Wāhid, "Ilm Al-Lugha". Nahda Egypt's ninth edition, 2004.
- Al-Yaghmouri, Abu Al-Mahasin, "Nour Al-Qabas" without printing date.

Second- Undergraduate Theses:

- Al-Sayyid, Ahmad Mufarreh Ahmad, al-Baḥth al-Ṣawtī (Bayān Fi Gharīb Al-Qur'ān) by Abu Al-Barakat Al-Anbārī, "Ibdāl al-Aṣwāt unmoudhajan", Al-Azhar University, College of Arabic Language for Boys in Gerga, Vol/1, No. 25-1442 AH.
- Muhammad Rajab, Al-Sayyid 'Abd Rabbo, "al-Ta'sīl 'enda al-Rādgib al-Aṣfahānī fī Tafsirihi 'alā Ḍaw'i mā Dhakarahu Ibn Fāris" (Dirāsah Muwāzinah), Al-Azhar University, Faculty of Arabic Language for Boys in Gerga, No. 18-1435 AH, Vol/3, Egyptian Book House.

Rashid, Fatima Kazim Khudair, “Şawt al-Sīn fī al-‘Arabiyyah fī Daw’i Lahjāt Shibh al-Jazīrah al-‘Arabia - Dirāsah Lughawiyyah Muwāzinah”, Master’s thesis, Ministry of Higher Education and Scientific Research, University of Baghdad, College of Education for Girls, 2016.

Third- Newspapers and magazines:

Al-Madina newspaper, Al-Turath, 10-7-1414 A H, Jeddah.

Al-Hazmi, ‘Ulayan, “‘Ilm al-Dilālah ‘enda al-‘Arab”, Umm Al-Qura University Journal of Sharia Sciences and Arabic Language and Literature, Vol/15, issue27. Jumada al-Akhirah, 1424 AH.

Husain ‘Abd al-Mahdi, and Jarallah Sattam, “Şīghat Fi’lān fī al-Qur’ān al-Karīm, Dirāsah Şarfiyyah Dilāliyyah”, Journal of the College of Basic Education, Issue, 104, Volume/25, 2019.

Al-Tarjami, Muhammad Habib Dakhil, “Muhammad Yaqoub Al-Turkistani’s Views and Efforts in Serving Arabic Language”, (in Arabic), Journal of Arabic Language and Literature, 1442 AH.

Al-Madina Newspaper 10-2-1425 AH.

Fourth- Personal Communications, Workshops and Websites:

Al-Mu‘jamiyoun, "The Academy of the Arabic Language on the World Wide Web", published on February 8, 2015, retrieved on 11-15-2020, from the [website: https://www.m-arabia.com/site.8820.html](https://www.m-arabia.com/site.8820.html)

Muhammad Ajmal Al-Islah, the former Islamic University, (Arabic Language Department), 1443 AH, "Personal Call".

Al-Ruhaili, Muhammad Salman, Taibah University (Department of Arabic Language), 1443 AH, "Personal Call."

Turkistani, Muhammad Yaqoub, the former Islamic University, (Department of Arabic Language), 1441 AH, “Personal Call”.

Workshop "The New Arabic Lexicon between Unity, Diversity and Curriculum", Center of Attamauzz in Arabic Language, (11-12), Mohamed bin Zayed University for Human Sciences, April 2012.

عقد جواهر في الكلام على سورة الكوثر

لسراج الدين عمر بن إبراهيم بن نجيم (ت ١٠٠٥هـ)

دراسة وتحقيق

‘Aqd Jawhar fi Al-Kalam ‘Alaa Surat Al-Kawthar

By Siraj Al-Din Omar Bin Ibrahim Bin Nojaim died (1005 AH)

Study and Investigation

د. عادل بن محمد بن جليوي الرفاعي

الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة طيبة

البريد الإلكتروني: adelmohammed1@hotmail.com

المستخلص:

هذا تحقيق لرسالة فريدة في موضوعها وبإمها للشيخ العلامة سراج الدين عمر بن نجيم المتوفى سنة ١٠٠٥ هـ، وقد سمي رسالته هذه: "عَفْدُ جَوْهَرٍ فِي الْكَلَامِ عَلَى سُورَةِ الْكُوْثَرِ"، وهي تدرس سورة الكوثر، فتبحث فيها من حيث اللغة والإعراب، والبلاغة والمعاني والبيان، إلى غير ذلك من حيثيات البحث التي نجدتها في الرسالة. وقد ظهرت شخصية سراج الدين عمر بن نجيم واضحة في رسالته هذه، فتراه يناقش ويعترض ويرد أقوالا، كل ذلك بالأدلة التي يسوقها لتدعيم رأيه، لأجل ذلك كله قمت بإخراجها، وتحقيقها تحقيقا علميا، مع دراسة موجزة عن حياة المؤلف، وعن الرسالة من حيث تحقيق عنوانها ونسبتها، ومنهج مؤلفها ومصادره فيها، فعسى الله أن ينفع به العلماء والباحثين، ويكتب له القبول، ويكتب لنا الأجر على خدمة هذه الرسالة.

الكلمات المفتاحية: إعجاز، بلاغة، سورة الكوثر، علم المعاني، عمر بن نجيم.

Abstract:

This is an investigation of a treatise that is unique in its subject and field, by the great scholar Siraj Al-Din Omar Bin Ibrahim Ibn Nojaim who died in the year 1005 AH. He named his treatise 'Aqd Al-Jawhar fi Al-Kalam 'Alaa Surat Al-Kawthar, It talks about Surat al-Kawthar, it examines it from the perspectives of language and grammar, and rhetoric, semantics and eloquence.

The author Ibn Nojaim's character was obvious in this treatise, this is why he is seen discussing, critiquing and giving objections to certain opinions. He does all this along with providing evidence in support of his view.

For all of this, the author decided to publish the treatise, and investigate it in a scholarly way, with a brief study on the life of the author, and about the treatise in terms of confirming its title and its attribution to its author, the method of its author and the sources on which he relied.

Keywords: Miracle, rhetoric, Surat Al-Kawthar, Semantics, Omar bin Nojaim.

المقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَتُوبُ إِلَيْهِ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ
أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مِنْ يَهْدِيهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلِّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.
أَمَّا بَعْدُ.

فإن العلماء ألقوا في إعجاز القرآن الكريم كُتُبًا كثيرة، ورسائل عديدة، وتنوعت
هذه المؤلفات، فمنها ما تحدّث عن إعجاز سورة واحدة من سور القرآن الكريم،
ومنها ما تحدّث عن إعجاز القرآن الكريم كاملا، ومن تلك المؤلفات والرسائل التي
تحدّث عن الإعجاز والأسرار في القرآن الكريم في سورة واحدة هذه الرسالة التي بين
أيدينا، وكتبتها هو سراج الدين عمر بن إبراهيم بن نجيم (ت ١٠٠٥هـ)، وهي في
إعجاز سورة الكوثر، وعنوانها: (عقد جواهر في الكلام على سورة الكوثر)، وهي
رسالة أجاد فيها المؤلف، وأفاد من معين علوم مختلفة .

ويمكن إيجاز أبرز ملامح المنهج الذي سرت على هديه في تحقيق هذه الرسالة
في النقاط الآتية:

١- اعتمدت منهج النص المختار، ولم أجعل مخطوطة واحدة بعينها أصلا، مع
أن المتبادر إلى الذهن أن تُعتمد النسخة التي كُتبت في حياة المؤلف، إلا أن
وجود شطب وأخطاء فيها صرفني عن اعتمادها أصلا وحدها.

٢- اعتنيت بالنص المحقق، وبذلت وُسعي في تصحيحه وإخراجه على الوجه
المرضي.

٣- عزوت الآيات القرآنية إلى سورها، مع بيان أرقامها، وكتابتها بالرسم
العثماني.

٤- خرجت الأحاديث النبوية الشريفة، وعزوتها إلى مصادرها من كتب السنة.

٥- وثقت الشواهد الشعرية من المصادر المعتمدة، وذكرت قائلها إن أغفل

المؤلف ذكر القائل، ووقفت عليه.

٦- التزمت قواعد الرسم والإملاء الحديثة، بقطع النظر عما في النسخة الخطية من قواعد إملائية التزمت فيها.

٧- الاهتمام بوضع علامة الترقيم، وتفكير النص؛ لما في ذلك من إعانة كبيرة على فهم النص وإدراكه، وشكلت وضبطت ما يحتاج إلى تشكيل وضبط من كلمات النص.

٨- وثقت النقول التي ذكرها المؤلف من مصادرها التي استطعت الوصول إليها.

٩- علقت على بعض المواضع من الرسالة، كتعريف بكلمة غريبة، وتوضيح مسألة قد أجهمت، وترجمة مختصرة للأعلام الواردة فيها.

النشرات السابقة:

إنَّ رسالة (عَفْدُ جَوْهَرٍ فِي الْكَلَامِ عَلَى سُورَةِ الْكَوْثَرِ) لم تُدرَس من قَبْل ولم تُحقَّق -والله أعلم-.

جهود السابقين لابن نجيم حول سورة الكوثر:

إنَّ المتتبع للإعجاز القرآني وللدراسات الأدبية والنقدية واللغوية يجد أنَّ كُتُبًا وأبحاثًا ورسائل ذات صلة بموضوع هذه الرسالة، وهو الحديث عن سورة الكوثر وبيان إعجازها اللُّغويِّ والبَلَّغيِّ، ومن تلك الرسائل والأبحاث:

١- إعجازِ سُورَةِ الْكَوْثَرِ، للزمخشري، محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري، جار الله، أبو القاسم المتوفي: (٥٣٨هـ). وهي محققة مطبوعة.

٢- الرَّوْضُ الْأَزْهَرُ فِيمَا تَضَمَّنَتْهُ سُورَةُ الْكَوْثَرِ مِنْ وُجُوهِ الْبَلَاغَةِ وَفُنُونِ الْفَصَاحَةِ وَالْبَرَاغَةِ، لأبي العباس أحمد بن سعيد النقاوسي الجزائري المتوفى بعد: (٧٦٥هـ). وهي محققة مطبوعة.

٣- عَفْدُ الدَّرِّ وَالْجَوْهَرِ فِي نُبْدَةٍ مِنْ أَسْرَارِ سُورَةِ الْكَوْثَرِ، لأبي إسحاق، برهان الدين، إبراهيم بن محمد بن أبي بكر بن علي بن أيوب المقدسي المصري الشافعي، المعروف بابن أبي الشريف (٨٣٦ - ٩٢٣ هـ). وهي محققة

مطبوعة.

خطة البحث:

كان العمل في هذا البحث على النحو الآتي:

- مقدمة.
- النشرات السابقة.
- قسم الدراسة: وفيه مبحثان:
 - المبحث الأول: ترجمة المؤلف سراج الدين عمر بن نجيم ترجمةً وافية، اشتملت على: اسمه ونسبه ولقبه، وعام مولده، ومنزله العلمية، ومكانته في عصره، وشيوخه وتلاميذه، ومؤلفاته، وسنة وفاته.
 - المبحث الثاني: عقدُ جوهرٍ في الكلام على سورة الكوثر وفيه: تحقيق عنونها، وتوثيق نسبتها إلى مؤلفها، ومنهج المؤلف في رسالته، ومصادره من كتب وأعلام، وبيان منهج التحقيق، والنسخ الخطية وتوصيفها.
- قسم التحقيق: وفيه النص المحقق للرسالة كاملةً.
- الخاتمة: وفيها ذكرُ أبرز النتائج.
- قائمة المصادر والمراجع.

قسم الدراسة

المبحث الأول: ترجمة المؤلف سراج الدين عمر بن نجيم

لم أجد معلومات كثيرة عن العلامة عمر بن نجيم، ولا ترجمة شافية له، وقد بذلت قصارى جهدي في لَمَّ شَتَاتِ تَرْجَمَتِهِ مِنْ بَطُونِ الْكُتُبِ^(١)، فَحَصَلْتُ عَلَى المعلومات الآتية عنه:

اسمه ونسبه ولقبه:

هو الإمام العلامة الفقيه المحقق المدقق عُمَرُ بن إبراهيم بن محمد بن محمد بن أبي ليلة^(٢)، الملقب بسراج الدين، والمشهور أيضا بابن نجيم، الفقيه، الحنفي، المصري. ويكنى بـ(ابن نجيم) وهي نسبة إلى أحد أجداده واسمه نجيم، كما ذَكَرَ تَقِي الدين التميمي^(٣)، أَمَّا لَقَبُهُ (سراج الدين) وَجَرَّتِ الْعَادَةُ عَلَى تَلْقُيْبِ مَنْ اسْمُهُ عُمَرُ بسراج الدين أو بشجاع الدين أو بتقي الدين^(٤).

عام مولده:

(١) موارد ومصادر ترجمته مرتبة بحسب تواريخها هي: الطبقات السننية في تراجم الحنفية، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، رد المختار على الدر المختار (حاشية ابن عابدين)، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، معجم المؤلفين.

(٢) هكذا أورد أحمد ابن نجيم نسب عمه زين الدين في المخطوطة ض، ق ٨ ب، ولكن أورد تقي الدين التميمي في كتابه الطبقات السننية في أثناء ترجمة أخيه زين الدين ابن نجيم هكذا: زين الدين بن إبراهيم بن محمد بن محمد بن محمد، فلعل أبا ليلة الذي ذكره أحمد بن نجيم اسمه محمد، انظر: التميمي، تقي الدين بن عبد القادر الغزي، الطبقات السننية في تراجم الحنفية، تحقيق عبد الفتاح الحلوة، الطبعة الأولى، دار الرفاعي، ١٩٨٣ م، (٢٧٥/٣).

(٣) التميمي الغزي، الطبقات السننية، (٢٧٥/٣).

(٤) مرتضى الزبيدي، أبو الفيض محمد بن محمد البلكرامي، تحفة الأجباب في الكنى والألقاب، تحقيق محمد فاتح قايا، الطبعة الأولى، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ٢٠٠٩ م، ص ٣٠.

عقد جوهر في الكلام على سورة الكوثر لسراج الدين عمر بن إبراهيم بن نجيم -دراسة وتحقيق، د. عادل بن محمد الرفاعي

لم أقف على نص صريح في تحديد سنة مولده، وقد ذكر ابن عابدين أن من شيوخ عمر بن نجيم الشيخ العلامة مفتي الحنفية في مصر أحمد ابن الشلي المتوفى سنة ٩٤٧هـ، وهذا يدل دلالة قاطعة على أن ابن نجيم ولد قبل سنة ٩٤٧ حتى يتمكن من التلمذة على يد ابن الشلي، وإذا فرضنا أن السن المناسب لتلقي الفقه والعلم هو ١٥ سنة تقريبا، فهذا يجعلنا نميل إلى أن ابن نجيم وُلِدَ في حدود سنة (٩٣٢هـ). وسيأتي ذكر ابن الشلي عند الحديث عن شيوخ ابن نجيم.

منزلته ومكانته العلمية:

وَصَفَ الْمَحِّي فِي الْخُلَاصَةِ مَنْزِلَتَهُ وَمَكَانَتَهُ الْعِلْمِيَّةَ فَقَالَ: "المحقق الرشيق العبارة الكامل الاطلاع، كان متبحرا في العلوم الشرعية غَوَاصا على المسائل الغربية محققا إلى الغاية سَيَّال البراع، نَدَّ به في التحرير، جامعا لأدوات التفرد في حُسْنِ أسلوبه، جَمَّ الفائدة، وجيها عند الحكام في زمنه مُعَظَّمًا عند الخاص والعام...أربي... في حسن السبك للعبارات والتنقيح التام" (١).

شيوخه وتلاميذه:

أ- شيوخه:

لا شك أنَّ عالما كبيرا مثل سراج الدين ابن نجيم قد تلقى العلم على عدد كبير من أفاض علماء عصره، وأعلامهم، ولكن - بكل أسف وأسى - لم نُؤَقِّفْنَا المصادُرُ إلا على اسم شيخين من شيوخه:

١- أخوه الإمام العلامة زين الدين ابن نجيم (٩٢٦هـ-٩٧٠هـ): قد نص السراج ابن نجيم على كون أخيه زين الدين شيخا، فقال في مقدمة كتابه النهر الفائق: "...منبها على أوهام وقعت لبعض الناظرين، ولا سيما شيخنا الأخ زين الدين ختام

(١) المحي، محمد أمين بن فضل الله، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، دار صادر، بيروت، (٢٠٦/٣).

المتأخرين" ١ هـ. (١) كما نص المحيي أيضا (٢) على أنه تلقى العلم عن أخيه.

٢- الإمام العلامة شهاب الدين أحمد بن يونس ابن الشلبي (ت ٩٤٧هـ): ذكر محمد عابد السندي (٣) وابن عابدين (٤) أن السراج ابن نجيم أخذ الفقه عن ابن الشلبي، وهذا الشيخ هو قديم الوفاة، وبما أن ابن نجيم قد تلقى عنه الفقه فلا بد أن يكون عمره يسمح له بتلقي مثل هذا العلم الدقيق، ولا يكون هذا إلا في عمر ١٥ سنة فصاعدا، وهذا يعيننا في محاولة تقريب سنة ولادة ابن نجيم كما ذكرت سابقا.

ب- تلاميذه

وَقَفْتُ على عدد قليل من تلاميذ سراج الدين عمر بن نجيم، وهم:

١- أحمد الخطيب الشوبري (ت ١٠٦٦هـ) إمام الحنفية في عصره، وكان يلقب بأبي حنيفة الصغير، وقد نص المحيي على كونه قد أخذ العلم عن عمر بن نجيم (٥).

٢- محمد بن يوسف بن عبد القادر الدمياطي (ت ١٠١٤هـ) كان إماما مبرزا في الفقه، ومفتي الحنفية، ذكر المحيي أنه كان تلميذا لعمر بن نجيم (٦).

٣- الإمام أبو الأمداد الملقب برهان الدين إبراهيم اللقاني المالكي (١٠٤١هـ): أحد الأعلام المشار إليهم بسعة الاطلاع في علم الحديث والدراية والتبحر في

(١) ابن نجيم، سراج الدين عمر بن إبراهيم، *النهر الفائق شرح كنز الدقائق*، تحقيق أحمد عزو عناية، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م، (١٧/١).

(٢) المحيي، *خلاصة الأثر*، (٢٠٦/٣).

(٣) السندي، محمد عابد، *حصر الشارد من أسانيد محمد عابد*، تحقيق خليل بن عثمان السبيعي، الطبعة الأولى، مكتبة ابن رشد، الرياض، ١٤٢٤هـ، (٤٠٢/١).

(٤) ابن عابدين، محمد أمين بن عمر، *رد المختار على الدر المختار* (حاشية ابن عابدين)، تحقيق عادل عبد الموجود، وعلي معوض، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، (٧٢/١).

(٥) المحيي، المصدر نفسه، (١٧٤/١).

(٦) المحيي، المصدر نفسه، (٢٠٧/٤).

الكلام وكان إليه المرجع في المشكلات والفتاوي في وقته، نص المحيي على أنه تلقى العلم عن ابن نجيم (١).

٤- جمال الدين عبد الغفار بن يوسف القدسي الحنفي المعروف بالعجمي (١٠٥٧هـ): مفتي بيت المقدس وكان من أعيان علماء عصره، وجيها متواضعا، وقد ذكره المحيي في ضمن طلاب ابن نجيم (٢).

مؤلفاته:

- ١- إجابة السائل باختصار أنفع الوسائل: كتاب في الفقه، اختصر فيه سراج الدين ابن نجيم كتاب "أنفع الوسائل" لنجم الدين أبي اسحاق إبراهيم بن علي الطرسوسي المتوفى سنة (٧٥٨) هـ. ولا يزال مخطوطا.
- ٢- تكملة كتاب الأشباه والنظائر لأخيه زين الدين. وهو مطبوع.
- ٣- عقد جوهر في الكلام على سورة الكوثر: وهي رسالتنا هذه التي نحن بصدد تحقيقها.
- ٤- الكشف واليقين في حلقة "إن كان الله يعذب المشركين": رسالة صغيرة في الفقه. وما يزال مخطوطا.
- ٥- النهر الفائق شرح كنز الدقائق في الفقه الحنفي، وهو كتاب مشهور مطبوع.
- ٦- حاشية على شرح قطر الندى: مات ولم يكملها كما ذكر ابنه أحمد. وما يزال مخطوطا.

سنة وفاته:

كانت وفاته يوم الثلاثاء سادس شهر ربيع الأول سنة خمس بعد الألف بدرب الأتراك، ودفن عند أخيه الشيخ زين بجوار السيدة سَكِينَة، قيل مات مسموما من بعض النساء، ويدل على ذلك كثرة تزوجه وعدم مرضه (٣).

(١) المحيي، المصدر نفسه، (٧/١).

(٢) المحيي، المصدر نفسه، (٤٣٣/٢).

(٣) المحيي، المصدر السابق، (٢٠٧/٣).

المبحث الثاني: رسالة "عقدُ جَوْهرٍ في الكَلَامِ عَلَى سُورَةِ الْكُوْثِرِ" وفيه:

تحقيق عنوان الرسالة ونسبتها إلى مؤلفها:

أثبت المؤلف ابن نجيم عنوان رسالته في مقدمتها، وسماها: عِقْدُ جَوْهَرٍ فِي الْكَلَامِ عَلَى سُورَةِ الْكُوْثِرِ، وجاء العنوان في غلاف نسخة مكتبة أضنة التي هي بخط ابنه أحمد هكذا: عقد الجوهر في تفسير إنا أعطيناك الكوثر، فنلاحظ أنه أدخل أل التعريف على كلمة جوهر، بينما خلت الكلمة منها في عبارة المؤلف نفسه، ونلاحظ أيضا أنه قال في تنمة عنوان الرسالة: في تفسير إنا أعطيناك الكوثر، بينما تنمة العنوان عند المؤلف هو: في الكلام على سورة الكوثر، ولا شك أن كلام المؤلف يقدم على كلام غيره، فلذا اعتمد الباحث كلامه، وسمى الرسالة بـ(عِقْدُ جَوْهَرٍ فِي الْكَلَامِ عَلَى سُورَةِ الْكُوْثِرِ).

وهذه الرسالة ثابتة النسبة إلى مؤلفها سراج الدين عمر بن نجيم، وذلك للأدلة

الآتية:

١- أثبتتها له ابنه أحمد بن عمر بن نجيم، إذ نسخها هي ورسائل أخرى لوالده ونسبها إليه تصرّحاً لا تعريضاً.

٢- أثبتتها له عدد من المؤرخين كحاجي خليفة في كشف الظنون^(١)، وإسماعيل البغدادي في هدية العارفين^(٢)، وغيرهما، بل قد ذكر حاجي خليفة مفتتحها، وذكر أن مؤلفها انتهى من تأليفها سنة ٩٩٣هـ، وهي عين السنة المذكورة في نسخة فاضل الكوبريلي.

٣- أن النسخة التي كتبت في حياة المؤلف نسبت الرسالة صراحة إلى سراج

(١) حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون المؤلف، د.ط، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٤١، (١١٥/٢).

(٢) البغدادي، إسماعيل الباباني، هدية العارفين، دط، وكالة المعارف الجليلية، إسطنبول، ١٩٥١م، (٧٩٦/١).

الدين عمر بن نجيم.

منهج المؤلف في رسالته

بدأ ابن نجيم رسالته بالحديث عن مكان نزول هذه السورة الكريمة، وسبب نزولها، ونقل أقوال العلماء والمفسرين واختلافهم في ذلك، ثم تناول بعد ذلك آيات هذه السورة آية آية، فأخذ الآية الأولى، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر / ١] فتحدث عن المؤكدات التي في هذه الآية، ثم تحدث عن بلاغة استعمال الضمير نا، وتحدث بعد ذلك عن استعمال الفعل أعطى، والفرق بين أعطى وآتى، وعن مجيء هذا الفعل بالزمن الماضي، وعن معاني كلمة الكوثر، وهكذا تناول الآية الثانية، ثم الآية الثالثة، فكان يأخذ كل كلمة في الآية (اسما وفعلا وحرف معنى) ويشرحها من جانب اللغة والبلاغة وأحيانا من جانب النحو. ويمكن إجمال منهجه في النقاط الآتية:

١- حرص ابن نجيم كل الحرص على نسبة الأقوال إلى قائلها، ولا تخطئ عين من ينظر في رسالته هذه من أن تجد في كل صفحة منها تقريبا أمثلة على هذا، والغالب أنه يصرح باسم القائل، وفي أحيان قليلة كان يقول: قال بعضهم، من غير تصريح باسم هذا البعض، وهذا يدل على أمانته، وتحريه في النقل.

٢- يذكر أقوال العلماء، فتارة يوافقها، وتارة أخرى يخالفها، ومن أمثلة موافقته لأقوال بعض العلماء، أنه نقل كلام الإمام التفتازاني في مسألة تأكيد الحكم مبالغة في تحقيقه، فعقب عليه بقوله: وما نحن فيه مما هو جدير بأن يبالغ في تحقيقه أيضا، ومن أمثلة مخالفته للعلماء ما ذكره عن أبي البقاء العكبري من أنه جوز كون الضمير في قوله تعالى: "هو الأبت" توكيدا لشانك، فذكر أن هذا غلط لأن الاسم الظاهر لا يؤكد بضمير.

٣- كان يوجه كلام العلماء ويفسره، ويوضحه تجلية وبيانا له، ومن أمثلة ذلك أنه بعد أن نقل كلام سعد الدين التفتازاني، قال: يعني: لأنها أبلغ وهي

تصريحاً لذكر المشبه به وكمال له لأن الاستعارة أبلغ.

٤- اتسمت لغة المؤلف ابن نجيم في أكثر الأحيان بالسهولة والوضوح.

٥- على الرغم من وجازة هذه الرسالة فقد أكثر المؤلف فيها من ذكر أبيات

وأحاديث ذات علاقة بموضوعه، وقد يؤخذ عليه أنه أورد بعض أحاديث

ليست في كتب الحديث كحديث: "ما في الجنة بستان إلا وفيه من الكوثر

نهر جار"، فهو ليس في كتب الحديث وإن ورد في كتب بعض المفسرين.

٦- أورد المؤلف بعض القراءات القرآنية، وذلك حين حديثه عن كلمة أنطيناك

بقلب العين نونا.

مصادره من كتب وأعلام:

اعتمد ابن نجيم في رسالته هذه على كثير من العلماء والمؤلفات، ومن أبرز

الذين نجد أسماءهم فيها: سيبويه، والزمخشري، والرازي (ويُعبّر عنه بلفظ الإمام دائماً)،

وابن هشام، والتفتازاني، والسيد الشريف الجرجاني، وابن عصفور، وعصام الدين

الإسفرائيني، وغيرهم من الأعلام.

ومن أبرز المؤلفات التي ذكرها في رسالته هذه: تفسير الكشاف للزمخشري،

والمطول للتفتازاني، والمغني لابن هشام، وشرح صحيح مسلم للنووي، والإتقان في

علوم القرآن للسيوطي، وشرح التلويح للتفتازاني، وغير ذلك.

وصف النسخة المخطوطة:

بعد بحث طويل في فهرس المخطوطات العربية والعالمية عن نسخ لهذا

المخطوط، فإني لم أحصل إلا على نسختين فقط، وقد حاولت جاهداً في العثور

ولو على نسخة ثالثة ولكني لم أفلق في ذلك، أما النسخة الأولى فهي في مقتنيات

مكتبة فاضل باشا الكوبريلي، ورقمها في تلك المكتبة ١٥٨٢، وهي في مجموع

يضم ٢٢ رسالة، ورسالتنا هي الرسالة الثالثة، وتقع في ١٨ ورقة، تبدأ من الورقة

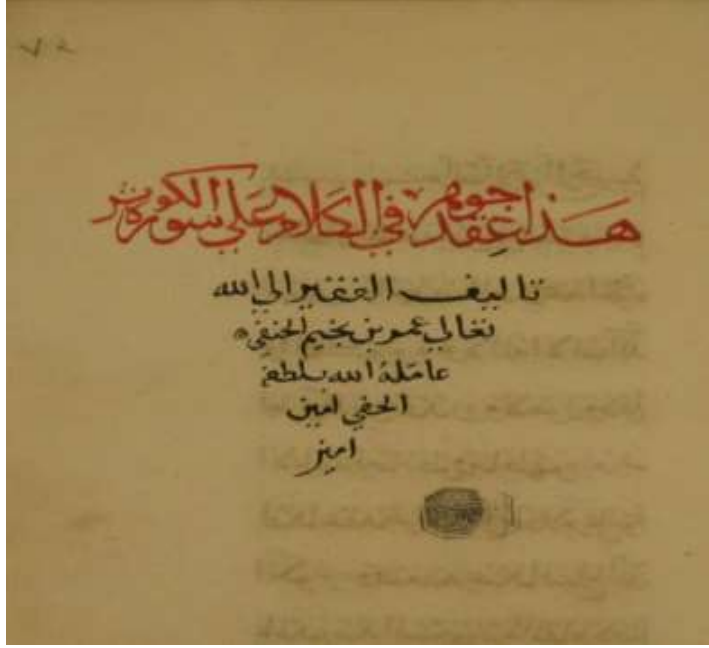
٧٣ب إلى الورقة ٩٥أ، وهي بخط نسخي واضح جداً ومقروء، وعدد الأسطر في

كل صفحة ٩ أسطر، وكتبت بعض كلماتها بالحمرة، وهي منسوخة في حياة

المؤلف ابن نجيم في جمادى الأولى سنة ٩٩٣، ولم يذكر اسم ناسخها، وقد رمزنا

إلى هذه النسخة بالحرف س.

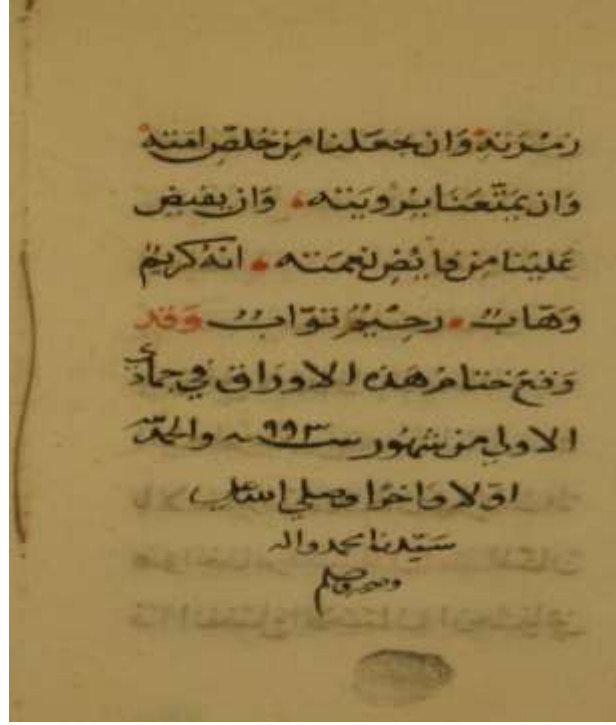
أما النسخة الثانية فهي من محفوظات مكتبة أضنة في تركيا، ورقمها هناك ١١٢١، وهي تقع في ضمن مجموع يضم ٤٧ رسالة للإمامين زين الدين بن نجيم، وأخيه سراج الدين عمر بن نجيم، منها ٤١ رسالة لزين الدين، و٦ رسائل لسراج الدين، وهي بخط أحمد بن سراج الدين عمر بن نجيم، وقد نسخه بعد وفاة أبيه سراج الدين، ورسالتنا هي الرسالة هي الرسالة الأولى من رسائل سراج الدين، وتقع في ٨ أوراق، تبدأ من الورقة ١٧٠ب، وتنتهي في الورقة ١٧٧أ، وهي بخط واضح مقروء وعدد أسطر كل صفحة ٢١ سطرا، وليس عليها تاريخ نسخ، ولكنها بعد وفاة عمر بن نجيم سنة ١٠٠٥، وقد رمزنا إلى هذه النسخة بالرمز ض.



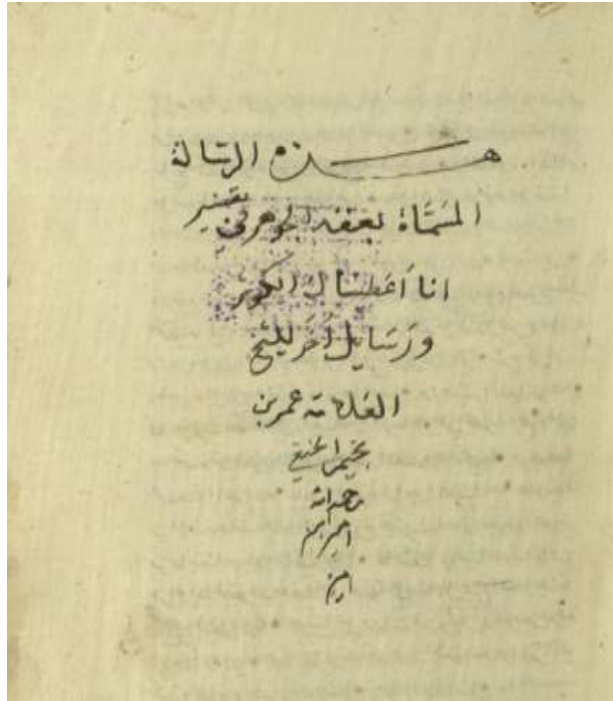
عنوان الرسالة في النسخة س



مفتتح النسخة س



مختتم النسخة س



عنوان الرسالة في النسخة ض



مفتتح النسخة ض



مختتم النسخة ض

عقد جوهري في الكلام على سورة الكوثر
لسراج الدين عمر بن إبراهيم بن نجيم (ت ١٠٠٥هـ)
قسم التحقيق

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان المفيض على صفيه بما لا يُحصَر، الذي اصطفى محمداً من البشر فكل رسول به بشر، سبحان من اختص بالعظمة، والكبرياء استأثر، والحمد لله الذي منح صفيه الحوض والكوثر، ولا إله إلا الله الذي هو من كل شيء أكبر، أجرى كل شيء بقدر، ولا حول ولا قوة إلا بالله فيما بطن وما ظهر، وبعد:

فهذا عقْدُ جوهر في الكلام على سورة الكوثر، وضعت عند افتتاح الدرس بالمدرسة الشيخونية^(١) المقام الأفضل مقام الكَمَل، كالكمال والأكمل^(٢)، راجيا من الله سبحانه الاندراج في سلك أولئك الأخيار، والفوز بالنعيم المقيم في دار القرار.

(١) الشيخونية مدرسة بمصر نسبت إلى الأمير شيخون أحد أمراء مصر وهو: شيخون بن عبد الله العمري الناصري مدبر الممالك الإسلامية بالديار المصرية أنشأها سنة ٧٥٦هـ انظر: ابن تغري بردي، جمال الدين يوسف، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٣٦٨، ١٩٤٩، (١٠/٣٢٤-٣٢٥).

(٢) المقصود بالكمال هنا هو كمال الدين محمد بن عبد الواحد ابن الهمام (ت ٨٦١ هـ) الإمام العلامة الحنفي، وقد كان شيخاً للشيخونية كما ذكر المؤرخون، انظر ترجمته في: السخاوي، محمد بن عبد الرحمن، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، (٨/١٢٧-١٣٢).

والمقصود بالأكمل هو أكمل الدين محمد بن محمد بن محمود البابرتي (ت ٧٨٦ هـ)، وهو أول شيخ للمدرسة الشيخونية، انظر ترجمته في: اللكنوي، عبد الحي، الفوائد البهية في تراجم الحنفية، عني بتصحيحه محمد بدر الدين النعساني، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ص (١٩٥-١٩٧).

عقد جوهر في الكلام على سورة الكوثر لسراج الدين عمر بن إبراهيم بن نجيم -دراسة وتحقيق، د. عادل بن محمد الرفاعي

سورة الكوثر مَكِّيَّةٌ جزم به الزمخشري^(١) وغيره^(٢)، ورواه البيهقي^(٣) عن عكرمة^(٤)، وقال الواحدي^(٥): عن ابن عباس إنها نزلت في العاص بن وائل^(٦) دخل المسجد وفيه صنابير من قريش، فوجد النبي - صلى الله عليه وسلم - يريد الخروج منه، فتحدث معه، فلما انصرفا قيل للعاص: من ذا تحدث؟ فقال ذاك الأبتى. وقد كان مات ولده عبد الله بعد القاسم، وكانوا يسمون من لا عقب له بذلك، فنزلت^(٧).

(١) هو: محمود بن عمر بن محمد، أبو القاسم الخوارزمي الزمخشري، النحوي، المعتزلي، صاحب الكشاف والمفصل وغيرهما. توفي سنة (٥٣٨هـ). انظر: الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت ٧٤٨هـ)، سير أعلام النبلاء، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥، (١٥١/٢٠).

(٢) الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، ط ٢، بيروت، لبنان، ١٤٢١ هـ، ٢٠٠١ م، (٨٠٦/٤). ومن قال إنها مكية غير الزمخشري: مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي في تفسيره

(٣) هو: أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر الخراساني الشافعي الحافظ (ت: ٤٥٨هـ) من مصنفاته: "السنن الكبرى" و"شعب الإيمان". انظر: الذهبي، المصدر السابق، ١٦٣/١٨.

(٤) هو أبو عبد الله عكرمة مولى عبد الله بن عباس، كان من المبرزين في التفسير، توفي سنة (١٠٤هـ). انظر: الذهبي، المصدر السابق، (١٢/٥).

(٥) هو علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، (ت ٤٦٨هـ). انظر: سير أعلام النبلاء، (٤٥٣/١٣)، والزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط ٦، ١٩٨٤، (٢٥٥/٤).

(٦) ابن هاشم، السَّهْمِي الْقُرَشِي، أحد الحكام في الجاهلية، أدرك الإسلام وظلَّ على الشرك، وهو والد الصحابي عمرو بن العاص (ت: ٣ ق هـ). الزركلي، الأعلام، ٢٤٧/٣.

(٧) الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد، أسباب نزول القرآن، تحقيق عصام بن عبد المحسن الحميدان، (ط ٢، الدمام، دار الإصلاح، ١٤١٢ هـ/١٩٩٢ م، ص ٤٦٦.

ومعلوم أن موته إنما كان بمكة، وقد نقل بعض الحفاظ^(١) أن أولاده الذكور كانوا ثلاثة القاسم وُلِد قبل النبوة، وبه كُتِب عليه وسلم، وعبد الله هذا، ويلقب بالطيّب والظاهر لأنه ولد بعد النبوة، وهما من خديجة رضي الله عنها، وكذا بناته الأربعة: زينب وفاطمة ورقية وأم كلثوم، ثم جاءه في المدينة إبراهيم صلى الله عليه وسلم عليه وعلى والده من ماري القبطية، ومات سنة عشر، وهو ابن سبعة عشر شهراً.

قال الإمام^(٢): وكونها مكية هو الأصح^(٣)، وكون القائل هو العاص بن وائل هو قول عامة المفسرين^(٤)، وقيل هو أبو جهل^(٥)، وقيل أبو لهب^(٦)، ولا يبعد أن يكون القول صدر من الكل، غير أنه عن العاص قد اشتهر، ومن ثم اقتصر عليه من اقتصر.

(١) كالحافظ جمال الدين يوسف المزي، انظر كتابه تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٠ - ١٩٨٠، (١/١٩٢-١٩١).

(٢) يقصد به الإمام فخر الدين الرازي صاحب تفسير "مفاتيح الغيب"، وانظر كلامه في: مفاتيح الغيب، ٣٢٠/٣٢، وقد تصرف المؤلف ابن نجيم في بعض عبارات الإمام الرازي.

(٣) انظر: الواحدي، أسباب نزول القرآن، ص ٤٦٦.

(٤) كمجاهد بن جبر المخزومي في تفسيره، تحقيق: محمد عبد السلام أبو النيل، (ط ١، مصر، دار الفكر الإسلامي الحديثة، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م)، ص ٧٥٧، وعبد الرزاق بن همام الصنعائي في تفسيره، تحقيق: محمود محمد عبده، (ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ)، ٤٦٧/٣. ومحمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط ١، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م). ٦٥٦/٢٤. والفخر الرازي، مفاتيح الغيب، إعداد مكتب تحقيق دار إحياء التراث العربي، ط ٣، بيروت، ١٤٢٠هـ، ٣٢١/٣٢. وأبو بكر عبد الله القرطبي (ت ٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط ١، بيروت، لبنان، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٧، (٢٠٠٦)، ٢٢٢/٢٠. وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد بن سلامة، ط ٢، الرياض، دار طيبة، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م. ٥٠٤/٨.

(٥) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٢٢٢/٢٠. وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٥٠٤/٨.

(٦) المراجع السابقة.

فإن قلت: فما معنى قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ [سورة الأحزاب / ٤٠] أفلا كان أباً لمن تقدم من أولئك الأشراف؟ قلت: نعم، ولكن أخرجوا من حكم النفي بقوله: "من رجالكم" من وجهين: أحدهما أن هؤلاء لم يبلغوا مبلغ الرجال، الثاني أنه قد أضاف الرجال، وهؤلاء رجاله لا رجالهم، ثم المراد ولده خاصة لا ولد ولده لقوله تعالى: ﴿وَوَخَّاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ يعني لو كان له ولد بالغ مبلغ الرجال لكان نبيا كما قال عليه الصلاة والسلام في إبراهيم: "لو عاش لكان نبيا" (١)، لكنه لم يكن (٢).
وقيل: بل مدنية لما في مسلم (٣): "بيننا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا إذ أغفى اغفاءً، ثم رفع رأسه متبسماً، فقال: قد أنزل الله عليّ آناً سورة، فقراً: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّا أَنْعَمْنَا عَلَىكَ الْكَوْثَرَ﴾ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ (٢) إِنَّ شَانِكَ هُوَ الْأَبْتَرُ (٣)﴾ [سورة الكوثر / ١-٣] حتى ختمها" (٤).

(١) حديث صحيح، ولكنه بهذه العبارة ورد موقوفاً على الصحابي عبد الله بن أبي أوفى، وأخرجه

البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب من سُمِّيَ بأسماء الأنبياء، ورقمه (٥٨٤١).

(٢) نقل المؤلف ابن نجيم هذه الفقرة من الزمخشري في تفسيره الكشاف، فانظر: تفسير الكشاف (٥٤٤/٣).

(٣) هو: ابن الحجاج بن مسلم، أبو الحسين القشيري النيسابوري الحافظ (ت: ٢٦١هـ) صاحب الصحيح، كان من علماء الناس، ومن أوعية العلم، ومن مؤلفاته: "الأسماء والكنى" و"التمييز" و"العلل" و"المسند الكبير". انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، (١٢/٥٥٧).

(٤) صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (١/٣٠٠) (٤٠٠).

قال النووي في شرحه^(١): وهو الصحيح^(٢)، وفي الإتيان أنه الصواب^(٣)، ولا يبعد نزولها مرتين كالفاتحة، وقد التزم بعضهم في شرحه ذلك في آية الوضوء^(٤) فإنها مدنية اتفاقاً، وفرض الصلاة كان بمكة إجماعاً^(٥). وفي ﴿أَرَأَيْتَ﴾ [الماعون / ١] قبلها قولان، وقيل نزل بعضها بمكة وبعضها بالمدينة، ومن بديع المعاني ما قيل إنها اشتملت على وصف الكافر - وهو العاص بن وائل - بالبخل المشار إليه بقوله

(١) هو: يحيى بن شرف بن مري، أبو زكريا، محيي الدين النووي الشافعي، حافظ، زاهد، ولد في (نوا) من قرى حوران بسورية وإليها نسبته، من كتبه: المنهاج شرح صحيح مسلم، رياض الصالحين، الأذكار، التبيان في آداب حملة القرآن، شرح المهذب للشيرازي، تهذيب اللغات والأسماء. توفي سنة (٦٧٦هـ). وزاد في (ض): "وقال الإمام"، ولم أجد للرازي ذكراً كون هذه السورة مدنية.

انظر: السبكي، تاج الدين، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي، عيسى البابي الحلبي، ط ١، (٣٩٥/٨)، النجوم الزاهرة (١/٢٧٨)، الأعلام (١٤٩/٨)..

(٢) لم أجد ترجيحاً للنووي عند شرحه للحديث في شرحه على صحيح مسلم (٤/١١٣). لكني وجدت الحافظ في الفتح هو الذي رجح ذلك واستدل بالحديث المذكور. ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق: محب الدين الخطيب، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، المطبعة السلفية، مصر، ٤١/٩. ولعل ابن نجيم هنا كان ينقل من الاتقان للسيوطي.

(٣) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، الإتيان في علوم القرآن، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية، (ط ١)، المملكة العربية السعودية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، الأمانة العامة، الشؤون العلمية، ٤٢٦هـ، (٨١/١).

(٤) يقصد قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ. [سورة المائدة الآية ٦].

(٥) قال الإمام السيوطي: "وقال غيره - يقصد غير ابن عبد البر - يحتمل أن يكون أول الآية نزل مقديماً مع فرض الوضوء ثم نزل بقيتها" اهـ، ولكنه لم يعين المقصود بهذا الغير، انظر: السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، لباب النقول في أسباب النزول، ضبطه وصححه: الاستاذ أحمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ص ٧٧.

تعالى: ﴿يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾ [الماعون / ٢]، وترك الصلاة والرياء بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون / ٥]، ومنع الزكاة ونحوه - أي الصدقة - بقوله تعالى: ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ [الماعون / ٧]، كالفأس قوبلت هذه الصفات في السورة التالية - أعني سورة الكوثر - بأربعة تضادها اتصف بها صاحب الكوثر وهي الكرم المشار إليه بالكوثر أي: الخير الكثير فأعطى الكثير وهذا كان دأبه صلى الله عليه وسلم وعادته، وإدامة الصلاة بقوله تعالى: ﴿فَصَلِّ﴾، والإخلاص بقوله تعالى: ﴿لِرَبِّكَ﴾، والصدقة بقوله تعالى: ﴿وَأَنْحَرْ﴾ أي أضحيتك، وتصدق بلحمها.

قال الإمام^(١): لما زيف - صلى الله عليه وسلم - أديانهم، ودعاهم إلى الإيمان اجتمعوا عنده، وقالوا: إن كنت تفعل هذا طلباً للمال، فنعطيك منه ما تصير به أغني الناس، وإن كان مطلوبك الزوجة زوجناك أكرم أنسابنا، فنزلت^(٢). ولا مانع من تعدد الأسباب.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر / ١] اعلم أن هذه الجملة تضمنت مؤكدات، الأول: أنه يصح أن يكون جواب قسم محذوف كما في المغني دل عليه (إن) المكسورة؛ لأنها يتلقى بها القسم، [بل في المغني]^(٣) "اختلف في نحو: إن زيداً لقائمٌ أو قائمٌ، هل يجب أن يكون جواباً لقسمٍ أو لا"^(٤). وهذا ظاهر في أن الصحة متفق عليها^(٥).

(١) يقصد به الإمام فخر الدين الرازي.

(٢) الرازي، مفاتيح الغيب (٣٢/٣١٠). وفيه "نسائنا" مكان "أنسابنا".

(٣) زيادة من (س).

(٤) ابن هشام، جمال الدين عبد الله بن يوسف، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: د.

مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، بيروت، ط ٦، ١٩٨٥، (١٤٦).

(٥) قوله: "وهذا ظاهر في أن الصحة متفق عليها" ليست في (س).

الثاني: توكيدها بـ(إِنَّ) المكسورة المؤذنة بتأكيد الخبر فإن قلت: قد قرر أهل المعاني^(١) أن المخاطب إذا كان خالي الذهن عن الحكم استغني عن التأكيد، وإن تردد فيه حسن، أو أنكره وجب، ولا خفاء أنه - صلى الله عليه وسلم - كان خالي الذهن عن هذا الحكم، فما هذا التأكيد؟

قلت: لم تنحصر فائدة توكيد الحكم بـ(إِنَّ) فيما ذُكر، بل "قد يترك تأكيد الحكم المنكر؛ لأن نفس المتكلم لا تساعد على تأكيده؛ لكونه غير معتقد له، أو لأنه لا يروج منه ولا يتقبل^(٢)، ويؤكد الحكم المسلم لصدق الرغبة والرواج، وعلى ذلك جاء قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾ [البقرة / ١٤]، وقد يؤكد الحكم المسلم عند المخاطب مبالغة في تحقيقه^(٣) ومنه ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾ [المنافقون / ١] أو لأن المقام مقام مبالغة، كذا في المطول^(٤)، وما نحن فيه مما هو جدير بأن يبالغ في تحقيقه^(٥) أيضا، فلا جرم ومن ثم أكد. فإن قلت: قد يُنزّل غير المنكر منكرا وهذا ممكن هنا^(٦)، قلت: ذاك إذا^(٧) لاح عليه شيء من أمارات الإنكار، أو كفاك شاهدا قوله: [بجر السريع]

(١) كعبد القاهر الجرجاني والسكاكي والخطيب القزويني والبهاء السبكي والتفتازاني وغيرهم، انظر مثلا: السبكي، بهاء الدين، عروس الأفراح شرح تلخيص المفتاح، تحقيق الدكتور عبد الحميد هندراوي الناشر، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت - لبنان الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م، (١ / ١١٩-١٢٠).

(٢) في ض: لا يرد حينئذ معه ولا يقبل، والمثبت من س هو الموافق لما في كتاب المطول.

(٣) في التفتازاني: تحقيقه

(٤) التفتازاني، سعد الدين مسعود بن عمر، المطول، حققه سعيد عرفانيان، دار الهجرة. ١٣٩١ هـ، ص (١١٦-١١٧).

(٥) في التفتازاني: تحقيقه

(٦) في س: فإن قلت: هلا كان من تنزيل غير المنكر منزلة المنكر.

(٧) في النسختين (إذ) ولعل ما أثبتته هو الصواب والله أعلم.

جاء شقيق عارضاً رمحه إن بني عمك فيهم رماح^(١)

الثالث: من المؤكّدات بناء الفعل على الاسم^(٢)، دون العكس لإفادة الإسناد مرتين^(٣)، ويجوز أن يكون للتخصيص أي أعطيناك لا غيرك^(٤).

(١) البيت لحجّل بن نُضلة، أحد بني عمرو بن عبد بن قتيبة بن معن بن أعصر. انظر: الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، الطبعة ٧، مكتبة الخانجي، ١٤١٨هـ، (٣/٣٤٠). والعباسي، عبد الرحيم بن عبد الرحمن، معاهد التنصيص شرح شواهد التلخيص، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب - بيروت، (٧٣/١). وعارضاً رمحه: حاملاً له بالعرض، والشاهد فيه: مجيء شقيق واضعاً رمحه بحيث يكون عرضه في جهة الأعداء على ما هو عادة من ليس منتهيًا للحرب، علامة على اعتقاده أنه لا رمح في بني عمه الخصوم له، فنزل بسبب هذه العلامة منزلة المنكر مع أنه لا ينكر أن في أعدائه من بني عمه رماحا، وخوطب بقوله: "إن بني عمك فيهم رماح" على وجه التأكيد كالمنكر.

(٢) يقصد به جعل هذه الجملة جملة اسمية وتقديم الاسم، وجعل خبرها فعلا، ولم يعكس الأمر فلم تجعل جملة فعلية.

(٣) إسناد الضمير نا، ففي المرة الأولى أسندنا إليه الخبر الجملة، باعتباره اسم إن، وفي المرة الثانية أسندنا إليه الفعل الماضي أعطى باعتباره فاعلا، قال الإمام سعد الدين التفتازاني موضحا هذه المسألة: "وقد يأتي تقديم المسند إليه لتقوي الحكم وتقريره في ذهن السامع... نحو: هو يعطي الجزيل، قصدا إلى تحقيق أنه يفعل إعطاء الجزيل، ونحو: أنت لا تكذب؛ لما فيه من تكرر الإسناد" انتهى. وقد عبّر عن ذلك الإمام عبد القاهر الجرجاني أيضا، فقال: "...إنك أردت أن تُحقّق على السامع أنه قد فعل، وتمنعه من الشك، فأنت لذلك تبدأ بذكره، وتوفّعه أولاً ومن قبّل أن تذكّر الفعل في نفسه، ... ومثاله قولك: "هو يعطي الجزيل"، و "هو يُحبّ الثناء... تريد أن تُحقّق على السامع أنّ إعطاء الجزيل وحُبّ الثناء دأبه، وأن تُمكن ذلك في نفسه".

انظر: الجرجاني، عبد القادر بن عبد الرحمن، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، الطبعة ٣، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، ص (١٢٨-١٢٩)، والتفتازاني، سعد الدين مسعود بن عمر، مختصر المعاني (مطبوع في ضمن شروح تلخيص المفتاح)، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، دت، (١/٤٠٠-٤٠٢).

(٤) قال عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز ص (١٢٨) موضحا معنى التخصيص: "هو أن يكون الفعل فعلاً قد أردت أن تُنصّ فيه على واحد فتجعل له، وترغم أنه فاعله دون واحد آخر، أو دون كلّ أحد، ومثال ذلك أن تقول "أنا كتبتُ في معنى فلانٍ وأنا شفعتُ

وأتى بـ(نون العظمة) دون أن يقول "إني أعطيتك" دلالة على عِظَمِ الْمُعْطِي والمُعْطَى له؛ إذ القليل من العظيم عظيم وتعظيم، فما بالك بالكثير! قال المولى سعد الدين^(١): "وقد كَثُرَ في الواحد من المتكلم لفظ الجمع تعظيماً له؛ لِعَدِّهِمُ الْمُعْظَمَ كالجماعة، ولم يَجِئْ ذلك للغائب والمخاطب في الكلام القديم، وإنما هو استعمال المولدين.^(٢) كقوله^(٣): [بجر الطويل]

بأي نواحي الأرض أبغي وصالكم وأنتم ملوك ما لقصدمكم نحو^(٤)
قال عصام الدين^(٥): "ولا يخفى أنه جاء إطلاق جمع الغائب على الواحد كما

في بابه"، تُريد أن تدَّعي الانفرادَ بذلك والاستبدادَ به، وتُزيل الاشتباهَ فيه، وتردَّ على من زعم أنَّ ذلك كان من غيرك، أو أنَّ غيرك قد كتب فيه كما كتبت".

(١) هو الإمام العلامة مسعود بن عمر التفتازاني، ذاع صيته في مختلف الفنون من زمانه إلى زماننا، وترك مؤلفات عظيمة، كالمطول وشرح العقائد النسفية، وتهذيب المنطق والكلام، والإرشاد في النحو، وشرح تصريف العزي الذي ألفه وعمر ١٦ سنة، توفي سنة ٧٩٢هـ. انظر: الشوكاني، محمد بن علي، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار المعرفة، بيروت، (٣٠٣/٢).

(٢) زاد بعد هذا الكلام جملة شطبت باللون الأحمر وهي: " انتهى، وأما قوله تعالى: "رب ارجعون". ولعله خطأ في النسخ لأن المؤلف ينقل من كتاب المطول نصاً.

(٣) البيت منسوب لأبي بكر الشبلي، انظر: الصفدي، صلاح الدين خليل بن أبيك، الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث - بيروت، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، (٢٧٧/٤). ورواية عجز البيت عنده:

وأنتم ملوك ما لقصدمكم سبلُ

(٤) المطول، ص ٢٥٥. ثمة سقط طويل في (ض) يبدأ من: كقوله بأي نواحي... إلى: كأنه متعدد من المرض، انتهى.

(٥) هو: إبراهيم بن محمد بن عرب شاه الإسفراييني، عصام الدين الحنفي (ت: ٩٤٣ هـ)، صاحب (الأطول) في شرح تلخيص المفتاح للقزويني، في علوم البلاغة. ولد في إسفرايين (من قرى خراسان). انظر: الزركلي، الأعلام (١/٦٦).

في: ﴿فَنَعَمَ الْمَهْدُونَ﴾ ﴿٤٨﴾ [الذاريات/٤٨]، فإن الاسم الظاهر غائب، ويخالفه ما في الكشاف^(١) من أنه يجوز أن يكون الخطاب^(٢) في قوله تعالى: ﴿فَالْمُرَّ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ [هود / ١٤] للنبي وحده، ويكون جمع الضمير تعظيمًا له كما في قوله: [بحر الطويل]

فإن شئتِ حرمتُ النساءِ سواكم^(٣)

وما فيه في قوله تعالى: "رب ارجعون" أنه جمع الضمير تعظيمًا كما في قوله:

[بحر الطويل]

فإن شئتِ حرمتُ النساءِ سواكم

وقوله: [بحر الطويل]

أَلَا فَارْحَمُونِي يَا إِلَهَ مُحَمَّدٍ^(٤)

ولا يبتعد أن يجعل للواحد لفظ الجمع؛ لكونه بمنزلة جمع لا في العظمة، بل غيرها نحو: ضربنا، للمبالغة في كثرة ضربه، حتى إنه كالضارين، وكمرضنا، للتنبيه على شدة مرضه كأنه متعدد من المرض "انتهى"^(٥).

فإن قلت: لم لم يقل: آتيناك الكوثر، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ

سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي﴾ [الحجر/٨٧]؟ قلت: لأن الإعطاء يؤذن بالتمليك المؤذن

(١) زاد في الأطول: "في سورة هود".

(٢) في الأطول: "المخاطب".

(٣) البيت للعرجي، وهو في ديوانه، (ص ١٠٩). وتماه: (وإن شئت لم أطعم نقاخا ولا بردا)

(٤) وتماه: فَإِنْ لَمْ أَكُنْ أَهْلًا فَأَنْتَ لَهُ أَهْلٌ. دون نسبة في: الزمخشري، الكشاف (٣/٢٠٥).

(٥) الإسفراييني، عصام الدين الحنفي، الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، حققه وعلق عليه د.

عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م، (١/٤١٨).

بالاختصاص، بخلاف الإيتاء^(١)، وأيضاً الإعطاء يقال على القليل -ومنه: "وأعطى قليلاً وأكدى" - والكثير، بخلاف الإيتاء، إذ لم يستعمل إلا في العظيم ومنه: ﴿وَعَاتَهُ اللَّهُ الْمَلْكَ﴾ [البقرة/٢٥١] ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا﴾ [سبأ/١٠]، فكأنه قيل: هذا المعطى وإن كان كثيراً في نفسه إلا أنه قليل بالنسبة إلى ما أعددناه لك من الدرجات العلية، والإفاضات الرحمانية قاله الإمام^(٢). ولقائل أن يقول كون الإيتاء لا يؤذن بالتمليك ممنوع، فقد صرحوا في قوله تعالى: ﴿وَعَاتُوا الزَّكَاةَ﴾ وقوله تعالى ﴿وَعَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ [الأنعام/١٤١] أنه يقتضيه ومن ثم جعل الفقهاء ركنها تمليك المال ولم يكتفوا بالإباحة فيها، ويمكن أن يجاب بأن متعلقه مما يقبل التمليك^(٣) بخلاف السبع المثاني فتدبر. ^(٤) وعبر بالماضي عن المستقبل مجازاً مرسلًا إيداناً بتحقيق وقوعه، وقال

(١) ذكر العسكري معنى الإعطاء، فقال: الإعطاء هو اتصال الشيء إلى الآخذ له، ألا ترى أنك تعطي زيدا المال ليرده إلى عمرو وتعطيه ليتجر لك به،، ثم كثر استعمال الإعطاء حتى صار لا يطلق إلا على التمليك، فيقال: أعطاه مالا إذا ملكه إياه والأصل ما تقدم. انظر: العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله، الفروق اللغوية، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، دت، ص ١٦٧.

(٢) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، (٣١٢/٣٢).

(٣) الإيتاء في الزكاة متعلق بالمال والزروع وأمثالها، وهذه الأشياء يصح أن تمتلك، بخلاف السبع المثاني فإنها مما لا يصح أن يمتلك.

(٤) هذا من س وفي ض: ولقائل أن يقول: كون الإيتاء لا يؤذن بالتمليك ممنوع، كيف وقد استدلل الفقهاء على أن ركن الزكاة تمليك المال، بقوله تعالى: ﴿وَعَاتُوا الزَّكَاةَ﴾ وقوله تعالى ﴿وَعَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ [الأنعام/١٤١]، ويمكن أن يجاب عنه بأن متعلقه مما يقبل التمليك، بخلاف السبع المثاني.

بعضهم^(١): "الأحسن أن يكون استعارة من تشبيه غير الحاصل بالحاصل"^(٢). انتهى، يعني: لأنها أبلغ^(٣) وهي تصريحية لذكر المشبه به^(٤) وكماله لأن الاستعارة أبلغ^(٥).

(١) في س: صدر الشريعة، وهو خطأ لأن العبارة للتفتازاني.

(٢) هذه عبارة الإمام سعد الدين التفتازاني في كتابه شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح، والتوضيح هو للإمام صدر الشريعة المحبوبي، ونص عبارته بتمامها هو: "والأحسن أن يقال: التعبير عن الماضي بالمضارع، وعكسه من باب الاستعارة على تشبيه غير الحاصل في تحقق وقوعه وتشبيهه الماضي بالحاصل في كونه نصب العين، واجب المشاهدة، ثم استعارة لفظ أحدهما للآخر". انتهى. انظر: التفتازاني، سعد الدين مسعود بن عمر، شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح، دار الكتب العلمية، دت، دط، (٧٥/١).

(٣) قال الخطيب القزويني: "أطبق البلغاء على أن المجاز والكناية أبلغ من الحقيقة والتصريح، ... وعلى أن الاستعارة أبلغ من التشبيه...". انتهى. ثم أضاف الصبان على العبارة السابقة: "والاستعارة أبلغ من المجاز المرسل؛ لما فيها من دعوى الاتحاد" انتهى. ويقصد بالاتحاد بين المشبه والمشبه به وادعاء أن المشبه صار فرداً من أفراد جنس المشبه به. انظر: القزويني، محمد بن عبد الرحمن، تلخيص المفتاح، الطبعة ١، مكتبة البشري، باكستان، ٢٠١٠، ص (١١٣)، والصبان، محمد بن علي، الرسالة البيانية (مطبوعة مع حاشية عlish)، تحقيق أحمد فريد المزيدي، الطبعة ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م، ص (٢٦٧).

(٤) ويقال في تقرير هذه الاستعارة: شبه الإعطاء المستقبل بالإعطاء في الماضي، بجامع التحقق في كل منهما، فاستعير الإعطاء في الماضي للتعبير عن الإعطاء في المستقبل، ثم اشتق منه أعطيناك بمعنى سنعطيك استعارة تصريحية تبعية.

(٥) قوله "وكماله لأن الاستعارة أبلغ" ليست في س.

وقرأ الحسن^(١) وابن محيصن^(٢): "إنا أنطيناك"^(٣)، قيل^(٤) أبدل من العين نونا^(٥)، قال السمين: "إن أريد البدل الصناعي فممنوع؛ لأن كُلاً من المادتين مستقلة بنفسها بدليل كمال تصريفها، وإن أُريدَ أنَّ هذه وَقَعَتْ مَوْقِعَ هذه فمُسَلَّم، ولا شك أنها لغة ثابتة، وهي لغة العرب العاربة من قريش، وجاء في السُّنَّة: "اليد العليا المنطية واليد

(١) ابن أبي الحسن (يسار)، أبو سعيد البصري التابعي مولى زيد بن ثابت، ثقة فقيه (ت: ١١٠). انظر: ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الزهري، الطبقات الكبرى، (ط ١)، بيروت، دار صادر، ١٩٦٨ م، ١٥٦/٧، والسير ٥٦٣/٤.

(٢) محمد بن عبد الرحمن بن محيصن، أبو عبد الله السُّهْمِي المكي المقرئ، من القراء الأربعة عشر (ت: ١٢٣هـ). انظر: الذهبي، طبقات القراء، تحقيق: د. أحمد خان، (ط ١)، الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ٨٩/١. وابن الجزري، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد، غاية النهاية في طبقات القراء، عني بنشره ج. برجستراسر، طبع لأول مرة بنفقة الناشر ومكتبة الخانجي بمصر، ١٣٥٢، ١٩٣٣، (١/٥٠٨) ١٦٧/٢.

(٣) وتسمى هذه اللغة: الاستنطاء، وهي لغة بني سعد بن بكر وهذيل والأزد وقيس والأنصار تجعل العين الساكنة نونا إذا جاورت الطاء كأنطي في أعطي. انظر: السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة ١، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، (١/١٧٦).

(٤) قائل هذا الكلام هما أبو الفضل الرازي وأبو زكريا التبريزي، كما ذكر أبو حيان الأندلسي. انظر: أبو حيان، محمد بن يوسف أثير الدين الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، تحقيق صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ، (١٠/٥٥٦).

(٥) انظر: الهُدَلِي، أبو القاسم يوسف بن علي المغربي، الكامل في القراءات والأربعين الزائدة عليها، تحقيق: جمال بن السيد بن رفاعي الشايب، مؤسسة سما للتوزيع والنشر، ط ١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، (٦٦٣)، وانظر: السمين الحلبي، أحمد بن يوسف، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق د. أحمد محمد الحُرَّاط، دار القلم، دمشق، ط ١، ١٤٠٧، ١٩٨٧، ١٢٥/١١.

السفلى المنطاة" (١).

"والكوثر: فَوْعَلٌ، صِبْغَةٌ مُبَالِغَةٌ فِي الْمُفْرِطِ الْكَثْرَةِ، قِيلَ لِأَعْرَابِيَةٍ وَقَدْ قَدِمَ ابْنُهَا مِنْ سَفَرٍ: يَمْ آبَ ابْنُكَ؟ قَالَتْ: بِكَوْثَرٍ" (٢). "وهي صفة لمحدوفٍ حُدِفَ؛ لِأَنَّ فِي حُدْفِهِ مِنْ فَرْطِ الشِّيَاعِ وَالْإِبْهَامِ مَا لَيْسَ فِي إِثْبَاتِهِ وَ(أَل) فِيهِ لِلِاسْتِغْرَاقِ" قاله السمين (٣).

وفيه أقوال وصلها الرازي إلى خمسة عشر قولاً (٤)، وكونها للاستغراق لا يأتي إلا على بعضها كما ستراه. وكأنه بناء على أن المراد به الخير الكثير (٥)

الأول: قول عامة المفسرين أنه نهر في الجنة (٦)؛ لما ورد من قوله صلى الله عليه وسلم: "أتدرون ما الكوثر؟ إنه نهر في الجنة وعدنيه ربي، فيه خير كثير" (٧)، وفي السنة أيضاً: "هو أحلى من العسل، وأشد بياضاً من اللبن، وألين من الزُّبْدِ، حافته الزبرجد،

(١) السمين الحلبي، الدر المصون، ١١/١٢٥. والحديث أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، (ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م) (٧٩٣٠) ٤/٣٦٣. ولفظه: «مَا أَعْنَاكَ اللَّهُ فَلَا تَسْأَلِ النَّاسَ شَيْئًا، فَإِنَّ أَيْدِيَ الْعُلْيَا هِيَ الْمُنْطِئَةُ وَإِنَّ أَيْدِيَ السُّفْلَى هِيَ الْمُنْطِئَةُ، وَإِنَّ مَالَ اللَّهِ تَعَالَى لَمَسْئُولٌ وَمُنْطَى». وعبارة السمين مأخوذة من عبارة شيخه أبي حيان الأندلسي في تفسير البحر المحيط، انظر: أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، (١٠/٥٥٦).

(٢) السمين الحلبي، الدر المصون ١١/١٢٦.

(٣) المرجع السابق ١١/١٢٨.

(٤) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب ٣٢/٣١٣-٣١٦.

(٥) العبارة المثبتة: "وكانه بناء على أن المراد به الخير الكثير" من ض.

(٦) كالطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٤/٦٤٥-٦٤٦ والزجاج، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، (ط١، بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)، ٥/٣٦٩، والرازي، مفاتيح الغيب ٣٢/٣١٣، والزنجشيري، الكشف ٤/٨٠٧، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٨/٥٠٢.

(٧) أخرجه مسلم من رواية المختار بن فلفل عن أنس في أثناء حديث ذكره في أوائل الصلاة. (١/٣٠٠) (٤٠٠).

وأوانيه من فضة عدد نجوم السماء، فيه طيور خضر لها أعناق كأعناق البخت، من أكل من ذلك الطير، وشرب من ذلك الماء فاز برضوان من الله تعالى" (١)، سمي بذلك إما لكثرة مائه، فقد جاء: "ما في الجنة بستان إلا وفيه من الكوثر نهر جار" (٢)، أو لكثرة الشاربين منه، وفي السنة: "أن أول وارديه فقراء المهاجرين، الدنسو الثياب، الشعث الرؤوس، الذين لا يزوجون المنعمات، ولا تفتح لهم أبواب السدد، يموت الواحد منهم وحاجته تتلجلج في صدره، لو أقسم على الله لأبره" (٣).

(١) رواه الحاكم في كتابه المستدرک من حديث أبي برزة رفعه "حوضي ما بين أيلة إلى صنعاء: عرضه كطوله. فيه ميزابان يصبان من الجنة، ورق والآخر أحلى من العسل، وأبرد من الثلج وأشد بياضا من اللبن، وألين من الزبد، فيه أباريق عدد نجوم السماء - الحديث"، وقال عنه: حديث غريب صحيح على شرط مسلم، انظر: الحاكم، محمد بن عبد الله النيسابوري، المستدرک على الصحيحين، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م، (١/١٤٨).

(٢) لم أجد هذا الحديث في كتب الحديث، ولكنه ورد في بعض التفاسير، كتفسير الإمام الرازي مفاتيح الغيب ٣٢/٣١٣.

(٣) من أول هذا الحديث إلى قوله: ولا تفتح لهم أبواب السدد أخرجه الترمذي في سننه، باب ما جاء في صفة أواني الحوض، من حديث ثوبان رضي الله عنه، ورقم الحديث عنده 2444. انظر، الترمذي، الحافظ محمد بن عيسى، سنن الترمذي (الجامع الكبير)، تحقيق بشار عواد معروف، الطبعة ١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٦م، (٤/٢٣٦-٢٣٧).

أما الجزء الثاني من الحديث: "يموت الواحد منهم... فقد أخرجه الإمام في المسند من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، ورقمه ٦٥٧٠، ولفظه عنده "ويموت أحدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاء".

انظر: ابن حنبل، أحمد بن محمد، المسند، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين، الطبعة ١، مؤسسة الرسالة بيروت، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، (١١/١٣١).

وقال الإمام الطيبي موضحا معنى السدد: "السدد جمع سدة، وهي الباب ها هنا. «وفي النهاية»: "السدة كالظلة على الباب لتقي الباب من المطر، وقيل: هي الساحة بين يدي الباب، وقيل: هي الباب نفسه، أي: لا تفتح لهم الأبواب".

=

الثاني: أنه الحوض، والأخبار فيه كثيرة شهيرة ووفق بينهما بأن ما في الحوض من النهر، ويحتمل أن الأنهار تسيل من ذلك الحوض فهو كالمنبع لها^(١).

الثالث: أنه أولاده - صلى الله عليه وسلم -، والمعنى: نعطيك نسلًا يبقون على ممر الزمان^(٢)، وفي الكشف^(٣): "كل من يولد إلى يوم القيامة فهم أولادك وأعقابك"^(٤)، "وقرأ ابن مسعود: "الني أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم"^(٥). وقال مجاهد: كل نبي فهو أبو أمته، ولذا صار المؤمنون إخوة لأنه صلى الله عليه وسلم أبوهم [في الدين]^(٦) "يعني: "فيما يرجع إلى وجوب التوقير والتعظيم له عليهم، ووجوب الشفقة والنصيحة لهم عليه، لا في سائر الأحكام الثابتة بين الآباء والأبناء"^(٧)، فلا يرد ما يومئ^(٨) قوله تعالى: **قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ**

انظر: الطيبي، الحسين بن عبد الله، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، تحقيق مجموعة من الباحثين، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم الطبعة: الأولى، ٢٠١٣م، (١٦/٥٠٢).

(١) الرازي، مفاتيح الغيب ٣٢/٣١٣.

(٢) الرازي، مفاتيح الغيب ٣٢/٣١٣.

(٣) في (س): وقال العلامة. ويقصد به الزمخشري.

(٤) الزمخشري، الكشف، ٤/٨١٣.

(٥) انظر تخريج هذه القراءة في البحر المحيط (٥/٢٤٦) و(٧/٢١٢). وانظر: الخطيب، عبد اللطيف، معجم القراءات، الطبعة ١، دار سعد الدين، دمشق، (٧/٢٥١). وهي قراءة تفسيرية شاذة ليست بمتواترة ولا صحيحة.

(٦) في س: "ومن هنا جاءت أخوة الإيمان لما أنه يجمعهم أب واحد يعني"، انظر: الزمخشري، الكشف ٣/٥٣٢.

(٧) انظر: الزمخشري، الكشف ٣/٥٣١.

(٨) في س: فلا تنافي بين هذا وما تلونا من قوله سبحانه "ما كان محمد..."

عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ [الأحزاب / ٤٠].

الرابع: القرآن^(١).

الخامس: الإسلام^(٢).

السادس: نهر النبوة^(٣).

السابع: هو العلماء من أمته^(٤).

الثامن: هو العِلْمُ^(٥) الذي أُوتِيَهُ - صلى الله عليه وسلم - ^(٦).

التاسع: هو الخُلُقُ الحَسَنُ المشار إليه^(٧) بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ

عَظِيمٍ ﴿٤١﴾ [القلم / ٤١]، فَاسْتَعْظَمَ خُلُقَهُ لِفِرْطِ احْتِمَالِهِ لِأَذَى قَوْمِهِ، وَحَسَنَ مَخَالَفَتِهِ، وَمَدَارَاتِهِ لَهُمْ^(٨).

(١) الرازي، مفاتيح الغيب ٣٢/٣١٥.

(٢) الرازي، مفاتيح الغيب ٣٢/٣١٥.

(٣) الرازي، مفاتيح الغيب ٣٢/٣١٣.

(٤) الرازي، مفاتيح الغيب ٣٢/٣١٣.

(٥) الرازي، مفاتيح الغيب ٣٢/٣١٥.

(٦) زاد في (س) ترجيح القول والذي سيأتي بعد عرض الأقوال الخمسة عشر. [قالوا: وَحَمَلَهُ عَلَى هَذَا أَوْلَى لِأَنَّهُ هُوَ الْخَيْرُ الْكَثِيرُ، وَقَدْ سَمِيَ اللَّهُ الْحِكْمَةَ خَيْرًا كَثِيرًا، فَقَالَ تَعَالَى: "وَمَنْ يَأْتِ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أَوْتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا"، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ تَعْقِيْبُهُ بِقَوْلِهِ: "فَضْلٌ"، إِذِ الْمَعْرِفَةُ قَبْلَ الْعِبَادَةِ قَالَ تَعَالَى: أَنْ أَنْذَرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ، وَقَالَ: "إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي"] انظر: الرازي، مفاتيح الغيب ٣٢/٣١٥-٣١٦. قال بعد ذلك: "فَقَدَّمَ فِي السُّورَتَيْنِ الْمَعْرِفَةَ عَلَى الْعِبَادَةِ، وَلِأَنَّ فَاءَ التَّعْقِيْبِ فِي قَوْلِهِ: فَضْلٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ إِعْطَاءَ الْكَوْثَرِ كَالْمَوْجِبِ لَهُنَّ الْعِبَادَةَ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْمَوْجِبَ لِلْعِبَادَةِ لَيْسَ إِلَّا الْعِلْمُ".

(٧) في س: العظيم المومى إليه.

(٨) الرازي، مفاتيح الغيب ٣٢/٣١٦.

العاشر: هو نفس السورة؛ لإعجازها مع قصر آياتها^(١).
الحادي عشر: كثرة الأتباع^(٢)، ومن فسره بالأولاد عني بهم نسله^(٣).
الثاني عشر: هو الفضائل الكثيرة؛ لأنه باتفاق أفضل الأنبياء^(٤).
الثالث عشر: هو رفعة الذكر^(٥).
الرابع عشر: هو المقام المحمود، الذي هو الشفاعة^(٦).
الخامس عشر: هو الخير الكثير^(٧).
كل هذه الأقوال على التمام في تفسير الإمام. قالوا^(٨): وحمله على أنه العلم أولى لأنه هو الخير الكثير، وقد سمي الله الحكمة خيراً كثيراً، فقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة/٢٦٩]، ويدل عليه أن المعرفة قبل العبادة تعقبه^(٩) بقوله تعالى: "فصل"، ولذا قال تعالى: ﴿أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ [النحل/٢]، وقال تعالى: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ

(١) الرازي، مفاتيح الغيب ٣٢/٣١٦.

(٢) الرازي، مفاتيح الغيب ٣٢/٣١٥-٣١٦.

(٣) مرر معنا في القول الثالث.

(٤) في ض: الثاني عشر هو النيف. ولا معنى والمثبت من (س) ومن الرازي. الرازي، مفاتيح الغيب ٣٢/٣١٥.

(٥) الرازي، مفاتيح الغيب ٣٢/٣١٥.

(٦) الرازي، مفاتيح الغيب ٣٢/٣١٦.

(٧) الرازي، مفاتيح الغيب ٣٢/٣١٦.

(٨) قاله الإمام الرازي في تفسيره والقسطلاني في المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، لأحمد بن محمد القسطلاني، شرحه وعلق عليه مأمون بن محيي الدين الجنان، ط ١، دار الكتب العلمية، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ٢/٤١٢. وقاله غيرهما.

(٩) في ض: تعقبه.

لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي ﴿ طه / ١٤ ﴾ .

وظاهر ما في الكشف يومئ إلى اختيار القول الأخير؛ إذ قد نقله عن ابن عباس، قال سعيد بن جبیر: قلت لابن عباس: إن ناسًا يقولون: هو نحر في الجنة، فقال: هو من الخير الكثير^(١).

﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ ﴾ [فيه التفات من التكلم إلى الغيبة^(٢)]، إذ لم يقل: لنا، قيل: واللطفة فيه التحريض على امتثال المأمور به من الصلاة والنحر أداءً لحق الربوبية^(٣)، والفاء للتعقيب والسببية، ولا تلازم بينهما، بل قد تكون لمحض السبب^(٤)، نحو: إن يُسَلِّم فهو يَدْخُلُ الْجَنَّةَ^(٥).
فإن قلت: هذه الجملة معطوفة على جملة "إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ"، فَيَلْزِمُ عَطْفُ الْإِنْشَاءِ

(١) قال في الكشف: "وعن ابن عباس أنه فسر الكوثر بالخير الكثير، فقال له سعيد بن جبیر: إن ناسًا يقولون: هو نحر في الجنة! فقال: هو من الخير الكثير. والنحر: نحر البدن، وعن عطية: هي صلاة الفجر بجمع، والنحر بمعنى. وقيل: صلاة العيد والتضحية. وقيل. هي جنس الصلاة. والنحر: وضع اليمين على الشمال، والمعنى: أعطيت مالا غاية لكثرة من خير الدارين الذي لم يعطه أحد غيرك، ومعطى ذلك كله أنا إله العالمين، فاجتمعت لك الغبطتان السنتين: إصابة أشرف عطاء وأوفره، من أكرم معط وأعظم منعم، فاعبد ربك الذي أعزك بإعطائه، وشرفك وصانك من ممن الخلق، مراغما لقومك الذين يعبدون غير الله". الزمخشري، الكشف ٨/٨٠٧.

(٢) انظر: القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، (ط٣، بيروت، دار الجيل) ٨٨/٢. والسبكي، عروس الأفراح، ١/٢٧٤.

(٣) زيادة من (س).

(٤) في ض: ولا تلازم بكون المخصص السبب نحو إن يسلم....

(٥) انظر: ابن هشام، مغني اللبيب ص ٢١٤.

عقد جوهر في الكلام على سورة الكوثر لسراج الدين عمر بن إبراهيم بن نجيم -دراسة وتحقيق، د. عادل بن محمد الرفاعي

على الإخبار^(١)، وهو ممنوع عند البيانين^(٢)، وعليه جرى ابن مالك^(٣) في شرح التسهيل^(٤)، ونقله ابن عصفور^(٥) عن الأكثرين^(٦)، وأيضاً في جواز عطف الفعلية على الاسمية خلاف^(٧).

(١) انظر تفصيل آراء العلماء في مسألة عطف الخبر على الإنشاء في: الدسوقي، محمد بن عرفة، حاشية الدسوقي على مختصر المعاني (مطبوع في ضمن شروح التلخيص)، دط، دار الكتب العلمية، بيروت، دت، (١/٦٤-٦٥)، وابن هشام، مغني اللبيب، ص٥٢٧.
(٢) كعبد القاهر الجرجاني، فقد قال: لا يعطف الخبر على الاستفهام. انظر: دلائل الإعجاز، ص ٢٣٣.

(٣) محمد بن عبد الله بن عبد الله، أبو عبد الله الطائي الأندلسي الشافعي النحوي المقرئ (ت: ٦٧٢هـ)، من مؤلفاته: (الخلاصة) المعروفة بالألفية، (تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد). انظر: غاية النهاية ١٨٠/٢، بغية الوعاة ١٣٠/١.

(٤) انظر قوله في: ابن مالك، محمد بن عبد الله الطائي الجبالي، شرح تسهيل الفوائد المؤلف، تحقيق د. عبد الرحمن السيد، ود. محمد بدوي المختون، الطبعة ١، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م)، (٢/٢٥٠).
(٥) علي بن مؤمن بن محمد، أبو الحسن الحضرمي الأشبيلي النحوي (ت: ٦٦٣هـ)، من مؤلفاته: (المتع في التصريف)، (المقرب). انظر: فوات الوفيات ١٠٩/٣، بغية الوعاة ٢١٠/٢.

(٦) تطرق ابن عصفور في كتابه المفتاح في شرح أبيات الإيضاح إلى مسألة عطف الخبر على الاستفهام، انظر: ابن عصفور، علي بن مؤمن الأشبيلي، المفتاح في شرح أبيات الإيضاح، رسالة لنيل الدكتوراة، إعداد الطالب رفيع بن غازي السلمي، بإشراف الدكتور محسن بن سالم العميري، جامعة أم القرى، السعودية، ١٤٢٩، ص (٢٣٨).

(٧) "في عطف الجملة الاسمية على الفعلية وبالعكس ثلاثة أقوال: "أحدها" الجواز مطلقاً وهو المفهوم من قول النحويين، في نحو: "قام زيد وعمرو أكرمته". إن نصب "عمرو" أرجح× لأن تناسب الجملتين أولى من تخالفهما.

و"الثاني" المنع مطلقاً. و"الثالث" لأبي علي يجوز في الواو فقط". علي بن محمد بن عيسى، أبو الحسن، نور الدين الأشموني الشافعي (ت: ٩٠٠هـ)، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، (١ط)، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ٤٠٦/٢.

قلت: يصح أن تكون معطوفة على جملة الخبر وقد صرح السيد^(١) بأنه لا امتناع في^(٢) عطف الجملة الإنشائية على الخبرية في الجمل التي لها محل من الإعراب لكونها واقعة مواقع^(٣) المفردات، ولا عبرة بنسبتها زائدة^(٤) بالنقل عن العلامة؛ إذ لا يشك من له أدنى مُسكة في حُسن قولنا: زيد أبوه عالم وما أَجْهَلُهُ، وعمرو أبوه بخيل وما أجودُهُ. انتهى^(٥)

والمعنى: نحن معطون وتصلي لنا، وقد أجاب^(٦) في التلويح عن لزوم عطف الإخبار على الإنشاء في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور / ٤]، حتى عطفه بعضهم على جملة: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾، بأنَّ عطف الإخبار على الإنشاء سائغ^(٧) عند اختلاف الأغراض^(٨).

(١) هو السيد الشريف علي بن محمد بن علي الحسيني الجرجاني عالم الشرق ولد سنة ٧٤٠ تلقى العلم في بلاده وفي القاهرة وبلاد الروم، وصار إماما في جميع العلوم العقلية وغيرها متفردا بها مصنفا في جميع أنواعها متبحرا، وطار صيته في الآفاق وانتفع الناس بمصنفاته في جميع البلاد وهي مشهورة في كل فن يحتج بها أكابر العلماء وينقلون منها، فمن مصنفاته المشهورة شرح المفتاح وشرح المواظف العضدية الهيئة وشرح فرائض الحنفية وشرح الوقاية وشرح الكافية بالعجمية وله من الحواشي حاشية على أوائل الكشاف، وحاشية على المطول، انظر ترجمته في: الشوكاني، البدر الطالع، (١/٤٨٨).

(٢) في ض: من.

(٣) في ض: موقع.

(٤) في ض: ولا عبرة بتهاويه بالنقل. ولم يظهر المقصود بتهاويه.

(٥) السيد الشريف، علي بن محمد الجرجاني، الحاشية على المطول، تحقيق رشيد أعرضي، الطبعة ١، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٨م، ص (٣٨).

(٦) أي الإمام التفتازاني في كتابه التلويح على التوضيح.

(٧) في المطبوع من كتاب التلويح: شائع.

(٨) هذه الفقرة ليست في (ض)، التفتازاني، التلويح على التوضيح لمتن التنقيح، (١/١٠٢).

ثم المراد بالسبب هو سببية العبادة، والمعنى: أَعْطَيْتُ مَا لَا غَايَةَ لِكَثْرَتِهِ مِنْ حَیْرِ الدَّارِينَ الَّذِي لَمْ يُعْطَهُ غَيْرِكَ، والمعطي لذلك أنا ربُّ العالمين، فاعبد ربك الذي أعزك بإعطائه، وَشَرَّفَكَ وَصَانِكَ مِنْ مَنِّ الخَلْقِ مُرَاغِمًا لِقَوْمِكَ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ غَيْرَ اللَّهِ تَعَالَى. وَجَوَّزَ الإمامُ ^(١) كونه تَرَكَ المبالاة، وكأَنَّهُ لما قالوا له: إنك أبت، فقبل له: إنما أنت مُنْعَمٌ عَلَيَّ فَاشْتَغَلْ بِطَاعَتِنَا، وَلَا تَبَالِ بِهَذَايُنْهَم، ولم يقل: فاشكر؛ لاشتمال الصلاة عليه. وقال مجاهد وغيره: المراد نفس الشكر الذي هو فعل ينبئ عن تعظيم المنعم؛ لكونه مُنْعَمًا، سواء أكان ذِكْرًا بِاللِّسَانِ، أو حِجْبَةً ^(٢) بِالْجَنَانِ، أو عملا وخدمة بالأركان، وعليه فيكون ممثلا بنحو الحمد، وأتى بالفاء إيدانًا بأنَّ شُكْرَ النعمة يجب عَقِبَهَا ^(٣).

وقيل: فادعُ، وكأنه قيل: مَنَحْنَاكَ قَبْلَ سؤَالِكَ، فكيف بعد سؤالك؟! والأول أولى لأنه أقرب إلى عرف الشرع.

وقيل: "أراد الصلاة المفروضة، ولم يُدْكَرْ كيفيتها؛ لأنها كانت معلومة قَبْلَ" ^(٤)، وقيل: "أراد بها صلاة العيد، وبالأمر بالنحر: الأضحية؛ لأنهم كانوا يقدمونه ^(٥) على الصلاة، فَنَزَلَتْ، وَرُدَّ بِأَنَّ الوَاوَ لَا تَفِيدُ تَرْتِيبًا" ^(٦).

وقال ^(٧) سعيد بن جبیر ^(٨): صَلَّى الفَجْرَ بالمزدلفة وانحر بمنى، والأول أقرب؛ إذ لا

(١) في ض: وأبدى الإمام وجهها ثانيا هو سببية ترك المبالاة كأهم لما قالوا له ". مفاتيح الغيب ٣١٧/٣٢.

(٢) في ض: سجية.

(٣) لأن الفاء من حروف العطف الدالة على الترتيب والتعقيب.

(٤) الرازي، مفاتيح الغيب، ٣١٨/٣٢. قال الرازي في اثناء ذلك: "أَجَابَ أَبُو مُسْلِمٍ وَقَالَ: أَرَادَ بِهِ الصَّلَاةَ الْمَفْرُوضَةَ أَعْنَى الحُمْسِ وَإِنَّمَا لَمْ يَذْكَرِ الكَيْفِيَّةَ، لِأَنَّ الكَيْفِيَّةَ كَانَتْ مَعْلُومَةً مِنْ قَبْلُ".

(٥) في س يقدمونها.

(٦) المصدر السابق، ٣١٨/٣٢.

(٧) هذا هو القول الثالث.

(٨) ابن هشام، أبو محمد الأسدي الكوفي العلم المفسر من أئمة الإقراء والتفسير (ت: ٩٥ هـ). انظر: السير ٣٢١/٤، طبقات المفسرين للدواودي ١٨١/١.

يلزم من اقتران^(١) النحر بالصلاة حَمَلها على ما يقع يومه^(٢).

وفي قوله: ﴿لِرَبِّكَ﴾ دون أن يقول "لنا" التفات من ضمير المتكلم إلى الغائب؛ لأنَّ "الكلام إذا نُقِلَ من أسلوب إلى آخر كان أحسن تطرية لنشاط السامع، وأكثر إيقاظاً للإصغاء إليه"^(٣).

ولم يقل "الله" دلالة على أنه المصلح المرابي، وانحر لربك وباسمه البدن مخالفا لهم في عبادتك والنحر للأوثان.

فإن قلت: فُرِنَت الصلاة بالزكاة في نيف وثمانين موضعاً من الآيات القرآنية، فما بالها لم تُقَرَّن بها هنا؟ قلت لأنَّ الخطاب فيها لما كان لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - وما كان يَمْلِكُ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا بِقَدْرِ الْحَاجَةِ، فلا يجب عليه زكاة^(٤)، بخلاف الأضحية، هذا إن أريد بالصلاة جنسها، أمّا إن أريد بها صلاة العيد، أو الفجر بمنى فالقرآن ظاهر^(٥)، وكذا على رأي الفراء^(٦) مِنْ أَنَّ المراد: استقبل بنحرك أي: صدرك ولا تلتفت يمينا ولا شمالاً، و"قال عطاء^(٧): اقعد بين السجدين حتى

(١) في س: قران

(٢) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ٣٢/٣١٨..

(٣) انظر: الرمخشري، الكشاف، ١٤/١، والرازي، مفاتيح الغيب، ٣٢/٣١٨..

(٤) في س: "فلا جرم لم تجب عليه زكاة".

(٥) في ض: "هذا إنما يرد على أن المراد بالصلاة جنسها، أما على أن المراد بها صلاة العيد، أو الفجر بمنى فالأمر ظاهر. وقال الفراء أي استقبل بنحرك أي صدرك ولا تلتفت يمينا ولا شمالاً".

(٦) يحيى بن زياد بن عبد الله، أبو زكريا الكوفي النحوي (ت: ٢٠٧هـ)، من مؤلفاته: "معاني القرآن"، "البهي" في الفصيح. انظر: إنباه الرواة ٧/٤، والسير ١٠/١١٨. وانظر قوله في كتابه معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف النجدي وآخرون، (ط١، مصر، دار المصرية للتأليف والترجمة)، ٢٩٦/٣.

(٧) هو عطاء بن أبي رباح القرشي مولى أبي خثيم الفهري واسم أبي رباح أسلم كُنِيْتُهُ أَبُو مُحَمَّدٍ مولده باليمن وَنَشَأَ بِمَكَّةَ، وَكَانَ مِنْ سَادَاتِ التَّابِعِينَ فَقْهًا وَعِلْمًا وَوَرَعًا وَفَضْلًا، لَمْ يَكُنْ لَهُ فِرَاشٌ إِلَّا =

يبدو نحرك^(١)، وقيل: "ارفع يديك عقب الدعاء إلى نحرك"^(٢)، والأكثر على أن المراد به نحر البدن^(٣).

﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ ﴿٣﴾ يصح أن يكون جواب قَسَمٍ أيضاً، يقال: شَنَأْتُ يَشْنُؤُ شَيْنًا وَشَيْنَانًا مِثْلِي الشين^(٤) فهذه ست لغات، واسم الفاعل شَانِئٌ أي: مُبْغَضٌ، وبه قرأ العامة^(٥)، فإن كان بمعنى الحال أو الاستقبال فهو مضاف إلى مفعوله، وإن كان بمعنى الماضي فالكاف في محل جر بالإضافة^(٦). وقرأ ابن عباس: "إِنَّ

المسجد الحرام إلى أن مات سنة أربع عشرة ومائة وقد قيل إنه مات سنة خمس عشرة ومائة وكان مولده سنة سبع وعشرين. انظر، الذهبي، سير أعلام النبلاء، (٥/٧٨-٨٨).

(١) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ٣٢/٣١٨.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) انظر: الزبيدي، مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق عبد الستار فراج وآخرين، الطبعة الأولى، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، دولة الكويت، مادة ش ن أ (١/٢٨٥).

(٥) أي جمهور القراء.

(٦) بالإضافة ليست في (ض).

إذا كان اسم الفاعل بمعنى الحال أو الاستقبال، عمل فعله، فنصب المفعول به، نحو: هذا ضاربٌ زيدًا الآن أو غدًا، ويجوز في هذا الحالة إضافته إلى مفعول، نحو: هذا ضارب زيد الآن أو غدًا، ويكون زيد مجرورًا لفظًا، منصوبًا في المعنى، أما إذا كان اسم الفاعل بمعنى المضى، فلا يجوز أن ينصب مفعوله، بل يجب إضافته دائمًا، نحو: هذا ضارب زيد أمس. انظر: الخضري، محمد الدمياطي، حاشية الخضري على شرح ابن عقيل، تحقيق تركي فرحان المصطفى، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٩م، (٢/٧-٨). والصبان، أبو العرفان محمد بن علي، حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، الطبعة ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م، (٢/٤٤٣).

شنيك"، فقليل يجوز أن يكون صيغة مبالغة، وقد أثبتته سيبويه^(١). ولم يقل الشَّانئ؛ فَيَعْمَ^(٢) كلَّ من اتصف بهذه الصفة، وإن كان المراد مُعَيَّنًا. ولم يُقَلِّ الَّذِي آذَكَ تُبْغِضُهُ أَشَارَ إِلَى أَنَّهُ لَمْ يَتَّصِفْ إِلَّا بِهَذِهِ الصِّفَةِ فَقَطْ، مِنْ عَبَّرَ أَنْ يُؤَثِّرَ بِبُغْضِهِ شَيْئًا أَلْبَتَّةَ.

"هو الأبتَر" جملة مُعَرَّفَةٌ الطرفين في محل رفع على الخبرية،^(٣) ويجوز أن يكون

(١) عمرو بن عثمان بن قنبر، أبو بشر الفارسي الأصل البصري، إمام النحو (ت: ١٨٠هـ)، انظر: تاريخ بغداد ١٩٥/٢، بغية الوعاة ٢٢٩/٢.

ويقصد ابن نجيم بقوله: "وقد أثبتته سيبويه" أن سيبويه أثبت وزن فعيل للمبالغة، وخالفه غيره في هذا، قال سيبويه في كتابه: "وأجروا اسم الفاعل، إذا أرادوا أن يبالغوا في الأمر، مجراه إذا كان على بناء فاعل، لأنه يريد به ما أراد بفاعل من إيقاع الفعل، إلا أنه يريد أن يحدث عن المبالغة، فمما هو الأصل الذي عليه أكثر هذا المعنى: فعول، وفعال، ومفعال، وفَعَل، وقد جاء: فعيل، كرحيم وعليم وقدير وسميع وبصير"

قال أبو سعيد السيرافي شارحا كلام سيبويه: ... جمع سيبويه الأبنية التي تكون للمبالغة، فقال: فعول، وفعال مفعال وفعل، وفعيل انتهى. ثم قال بعدها: "اعلم أن النحويين قد خالفوا سيبويه في تعدي فعل، وفعيل، وجريهما مجرى الأفعال، فقالوا: لا تتعدى، ولا تعمل عمل الفعل. فلا يقال: رجل حذر عمرا، ولا زيد رحيم أخاه."

انظر: سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، الطبعة ٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، (١/١١٠). وانظر: السيرافي، أبو سعيد حسن بن عبد الله، شرح كتاب سيبويه، تحقيق علي سيد علي وأحمد حسن مهدي، الطبعة ١، دار الكتب العلمية، (١/٤٤٠-٤٤٢).

(٢) في س: "ولم يعينه؛ ليعمَّ كلَّ من اتصف بهذه الصفة، وإن عيّن في نفس الأمر، وفيه أنه لم يتصف بهذه الصفة من غير أن يؤثر بغضه شيئا فيه ألبتة".

(٣) صياغة الجملة في ض هكذا: "ويجوز أن يكون الضمير ضمير فصل، وفائدته الإعلام من أول الأمر فإن ما بعده خبر لا تابع وتقوية الكلام وتوكيده واختصاص المسند إليه بالمسند دون غيره، والتأكيد: وهذا الثالث يأتي على أنه مفيد أيضا لإفادة الإسناد مرتين لذلك، وجوز أبو البقاء أن يكون تأكيدا".

الضمير للفصل، وعلى كلِّ ففيه قصر المسند على المسند إليه، وفائدة ضمير الفصل أيضاً الإعلام من أول الأمر بأن ما بعده خبر لا تابع، وتقوية لكلامه، وجوّز أبو البقاء^(١) كونه توكيداً لشانئك، وعُلِّط بأنَّ المظهر - أعني شانئك - لا يُؤكِّد بالمضمّر، وأجاب ابن هشام^(٢) في المعني بجواز أن يريد أنَّه تأكيد للمستكّن في اسم الفاعل، لا له^(٣).

والأبتر: الذي لا عقب له، وهو لأصل الشّيء المقطوع من بتره: قَطَعَهُ، وجمارٌ أبترٌ: لا ذنب له، ورجلٌ أبترٌ - بضم الهمزة - قاطعٌ رحمته^(٤)، و (أل) فيه لاستغراق خصائص الأفراد أي الكامل في هذه الصفة، وأتى ب(أفعل التفضيل) دلالة على التناهي في هذه الصفة، ولما كان تمام النعمة لا يتهيأ إلا بقهر الأعداء فلا جرّم وعده بذلك، وكأنه يقول: لا أقتله؛ لكي يرى بعض أسباب دولتك فيقتله العيظ^(٥).

(١) عبد الله بن الحسين بن عبد الله، محب الدين العكبري اللغوي المتوفى سنة (٦١٦هـ)، انظر: السير، ٩١/٢٢، وحاجي خليفة (ت١٠٦٧هـ)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مكتبة المثنى، بيروت، (١٦٠٧/٢). وانظر قوله في كتابه: التبيان في إعراب القرآن، وضع حواشيه محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٩، ١٩٩٨، ١٣٠٦/٢.

(٢) عبد الله بن يوسف بن أحمد، أبو محمد، جمال الدين الأنصاري، النحوي، المتوفى (٧٦١هـ). انظر: ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد سيد جاد الحق، دار أم القرى، القاهرة، ط١، ١٤١٥/٢، بغية الوعاة، ٦٨/٢، كشف الظنون، ١٩٣٥/٢.

(٣) لا له ليست في ض. معني اللبيب ص (٦٤٦).

(٤) انظر: السيراني، شرح كتاب سيبويه، (١٤٢/٥)، والزبيدي، تاج العروس مادة: ب ت ر (٩٧/١٠-٩٨).

(٥) في ض: "ولما كان تمام النعمة لا يشبهها الأبتر الأعضاء، وكأنه يقول لا أقتله، ولكن يركب بعض أرباب دولتك فيقتله العيظ".

والحاصل أن هذه السورة بدأت بالبشارة، بإفاضة النعم عليه، وحثمت بالرد على الأعداء، وإبطال ما نُسب إليه، ولم يعكس تقديمًا للبشارة، بالإنعام، وبذلك كان قهرُ الأعداء هو الختام.

فَنَسَأَلُ اللَّهَ الْمَنَّانَ، ذَا الْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ، أَنْ يَخْشُرَنَا فِي زُمْرَتِهِ، وَأَنْ يَجْعَلَنَا مِنْ خُلَاصِ أُمَّتِهِ، وَأَنْ يُتَبِّعَنَا بِرُؤُوسِهِ، وَأَنْ يُفِيضَ عَلَيْنَا مِنْ فَائِضِ نِعْمَتِهِ، إِنَّهُ كَرِيمٌ وَهَّابٌ، رَحِيمٌ تَوَّابٌ، وَقَدْ وَقَعَ خَتَامُ هَذِهِ الْأُورَاقِ فِي جُمَادِي الْأُولَى مِنْ شَهْرِ سَنَةِ ٩٩٣، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ أَوْلَىٰ وَأَخْرَأَ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

المصادر والمراجع:

- الإسفراييني، عصام الدين الحنفي، الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، حققه وعلق عليه د. عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.
- الأشعري، علي بن محمد الشافعي، شرح الأشعري على ألفية ابن مالك، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
- البغدادي، إسماعيل الباباني، هدية العارفين، دط، وكالة المعارف الجلييلة، إسطنبول، ١٩٥١م.
- الترمذي، الحافظ محمد بن عيسى، سنن الترمذي (الجامع الكبير)، تحقيق بشار عواد معروف، الطبعة ١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٦م.
- ابن تغري بردي، جمال الدين يوسف، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٣٦٨هـ، ١٩٤٩م.
- التفتازاني، سعد الدين مسعود بن عمر، شرح التلويح على التوضيح لمن التنقيح، دار الكتب العلمية.
- مختصر المعاني (مطبوع في ضمن شروح تلخيص المفتاح)، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، دت.
- المطول، حققه سعيد عرفانان، دار الهجرة، ١٣٩١هـ.
- التميمي، تقي الدين بن عبد القادر الغزي، الطبقات السننية في تراجم الحنفية، تحقيق عبد الفتاح الحلوي، الطبعة الأولى، دار الرفاعي، ١٩٨٣م.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، الطبعة ٧، مكتبة الخانجي، ١٤١٨هـ.
- الجرجاني، عبد القادر بن عبد الرحمن، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، الطبعة ٣، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

ابن الجزري، أبو الخير محمد بن محمد، غاية النهاية في طبقات القراء، عني بنشره ج. برجستراسر، مكتبة الخانجي بمصر، ١٣٥٢هـ، ١٩٣٣م.

حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله كاتب جلي، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، د.ط، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٤١.

الحاكم، محمد بن عبد الله النيسابوري، المستدرک على الصحيحين، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، تحقيق: محمد سيد جاد الحق، دار أم القرى، القاهرة.

ابن حنبل، أحمد بن محمد، المسند، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين، الطبعة ١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، تحقيق صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.

الخضري، محمد الدمياطي، حاشية الخضري على شرح ابن عقيل، تحقيق تركي فرحان المصطفى، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٩م.

الدسوقي، محمد بن عرفة، حاشية الدسوقي على مختصر المعاني (مطبوع في ضمن شروح التلخيص)، دط، دار الكتب العلمية، بيروت.

الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، طبقات القراء، تحقيق: د. أحمد خان، الطبعة الأولى، الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية،

١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

الرازي، فخر الدين، مفاتيح الغيب، إعداد مكتب تحقيق دار إحياء التراث العربي، ط٣، بيروت، ١٤٢٠هـ.

الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق عبد الستار فراج وآخرين، الطبعة الأولى، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، دولة الكويت.

عقد جوهر في الكلام على سورة الكوثر لسراج الدين عمر بن إبراهيم بن نجيم -دراسة وتحقيق، د. عادل بن محمد الرفاعي

الزبيدي، محمد مرتضى، **تحفة الأحاباب في الكنى والألقاب**، تحقيق محمد فاتح قايا، الطبعة الأولى، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ٢٠٠٩م.

الزركلي، خير الدين، **الأعلام**، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ٦، ١٩٨٤.
الزحشري، محمود بن عمر، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، ط ٢، بيروت، لبنان، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م.

السبكي، بهاء الدين أحمد بن علي بن عبد الكافي، **عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح**، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط ١، بيروت، المكتبة العصرية، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

السخاوي، محمد بن عبد الرحمن، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.

ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الزهري، **الطبقات الكبرى**، ط ١، بيروت، دار صادر، ١٩٦٨م.

السمين، أحمد بن يوسف الحلبي، **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، تحقيق د. أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، ط ١، ١٤٠٧، ١٩٨٧.

السندي، محمد عابد، **حصر الشارد من أسانيد محمد عابد**، تحقيق خليل بن عثمان السبيعي، الطبعة الأولى، مكتبة ابن رشد، الرياض، ١٤٢٤هـ.

سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر، **الكتاب**، تحقيق عبد السلام هارون، الطبعة ٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

السيد الشريف، علي بن محمد الجرجاني، **الحاشية على المطول**، تحقيق رشيد أعرضي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٨م.

السيرافي، أبو سعيد حسن بن عبد الله، **شرح كتاب سيبويه**، تحقيق علي سيد علي وأحمد حسن مهدي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٨.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية، الطبعة الأولى، المملكة العربية السعودية، مجمّع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، الأمانة العامة، الشؤون العلمية، ١٤٢٦هـ.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، تحقيق فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة ١، ١٤١٨هـ. ١٩٩٨م.

الشوكاني، محمد بن علي، **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**، دار المعرفة، بيروت.

الصبان، محمد بن علي، **حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك**، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

الصبان، محمد بن علي، **الرسالة البيانية (مطبوعة مع حاشية عlish)**، تحقيق أحمد فريد المزدي، الطبعة ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، **الوافي بالوفيات**، تحقيق أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث - بيروت، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

الصنعاني، عبد الرزاق بن همام، **تفسيره**، تحقيق: محمود محمد عبده، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٩.

الطبري، محمد بن جرير، **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

الطبي، الحسين بن عبد الله، **فتوح الغيب في الكشف عن قناع الرب**، تحقيق مجموعة من الباحثين، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم الطبعة: الأولى، ٢٠١٣م.

ابن عابدين، محمد أمين بن عمر، **رد المختار على الدر المختار (حاشية ابن عابدين)**، تحقيق عادل عبد الموجود، وعلي معوض، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت.

عقد جوهر في الكلام على سورة الكوثر لسراج الدين عمر بن إبراهيم بن نجيم -دراسة وتحقيق، د. عادل بن محمد الرفاعي

العباسي، عبد الرحيم بن عبد الرحمن، **معاهد التنصيص شرح شواهد التلخيص**،

تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب - بيروت.

العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله، **الفروق اللغوية**، حققه وعلق عليه: محمد

إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، دت.

ابن عصفور، علي بن مؤمن الإشبيلي، **المفتاح في شرح أبيات الإيضاح**، رسالة لنيل

الدكتوراة، إعداد الطالب رفيع بن غازي السلمي، بإشراف الدكتور محسن بن

سالم العميري، جامعة أم القرى، السعودية، ١٤٢٩هـ.

العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين الحنبلي، **التبيان في إعراب القرآن**، وضع

حواشيه محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١،

١٤١٩-١٩٩٨.

الفراء، يحيى بن زياد، **معاني القرآن**، تحقيق: أحمد يوسف النجاشي وآخرون، ط١،

مصر، دار المصرية للتأليف والترجمة.

القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: عبد الله بن

عبد المحسن التركي، ط١، بيروت، لبنان، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٧، ٢٠٠٦.

القزويني، محمد بن عبد الرحمن، **الإيضاح في علوم البلاغة**، تحقيق: محمد عبد المنعم

خفاجي، ط٣، بيروت، دار الجيل.

القزويني، محمد بن عبد الرحمن، **تلخيص المفتاح**، الطبعة ١، مكتبة البشرية،

باكستان، ٢٠١٠.

ابن كثير، إسماعيل بن عمر الدمشقي، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي بن محمد

بن سلامة، ط٢، الرياض، دار طيبة، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

اللكنوي، عبد الحي، **الفوائد البهية في تراجم الحنفية**، عني بتصحيحه محمد بدر

الدين النعساني، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

ابن مالك، محمد بن عبد الله الطائي الجبالي، **شرح تسهيل الفوائد**، تحقيق د. عبد

الرحمن السيد، ود. محمد بدوي المختون، الطبعة ١، دار هجر للطباعة والنشر

والتوزيع والإعلان، القاهرة، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

المحبي، محمد أمين بن فضل الله، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، دار صادر، بيروت.

المخزومي، مجاهد بن جبر، تفسير مجاهد، تحقيق: محمد عبد السلام أبو النيل، ط١، مصر، دار الفكر الإسلامي الحديثة، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.

المزني، جمال الدين يوسف، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٠ - ١٩٨٠.

ابن نجيم، سراج الدين عمر بن إبراهيم، النهر الفائق شرح كنز الدقائق، تحقيق: أحمد عزو عناية، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

ابن هشام، جمال الدين عبد الله بن يوسف، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، بيروت، ط٦، ١٩٨٥.

الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد، أسباب نزول القرآن، تحقيق عصام بن عبد المحسن الحميدان، (ط٢، الدمام، دار الإصلاح، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م).

Bibliography:

- Al-Abbasi, Abd al-Rahim ibn Abd al-Rahman, **Maahid Al-Tansis Sharh Shawahid Al-Talkhis**, investigated by Muhammad Muhyi al-Din Abd al-Hamid, the world of books – Beirut, 1989.
- Ibn Abidin, Muhammad Amin bin Omar, **Radd Al-Muhtar Alaa Al-Durr Al-Mukhtar**, investigation by Adel Abdel-Mawjood, and Ali Moawad, first edition, Dar Al-Kutub Al-Ilmia, Beirut.
- Al-Ashmouni, Ali bin Muhammad Al-Shafi'i, **Sharh Al-Ashmouni aela Alfiyyat Ibn Malik**, first edition, Beirut, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, 1419 AH-1998 AD.
- Ibn Asfour, Ali bin Mo'men Al-Ishbili, **Al-Miftah fi Sharh Abyat Al-'Tidah**, a doctoral thesis, prepared by the student Rafi' bin Ghazi Al-Salami, under the supervision of Dr. Mohsen bin Salem Al-Amiri, Umm Al-Qura University, Saudi Arabia, 1429 AH.
- Al-Askari, Abu Hilal Al-Hassan bin Abdullah, **Al-Furuq Al-Lughawiah**, edited and commented on by: Muhammad Ibrahim Salim, House of Science and Culture for Publishing and Distribution, Cairo.
- Al-Baghdadi, Ismail Al-Babani, **Hadiyyat Al-Arifeen**, wakalat almaearif aljalilah, Istanbul, 1951 AD.
- Al-Desouki, Muhammad bin Arafa, **hashiyat Al-Desouki ealaa Mukhtasar Al-Maani**, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut.
- Al-Dhahabi, Muhammad bin Ahmed bin Othman, **Tabaqat Al-Qurra'a**, investigation: Dr. Ahmed Khan, first edition, Riyadh, King Faisal Center for Research, and Islamic Studies, 1418 AH / 1997 AD.
- Al-Farra', Yahya bin Ziyad, **Meaniy Al- Qur'an**, achieved by: Ahmed Youssef Al-Najati and others, 1st edition, Egypt, Dar Al-Mesriyya for authoring and translation.
- Ibn Hanbal, Ahmed bin Muhammad, **Al-Musnad**, investigated by Shuaib Al-Arnaout and others, Edition 1, Al-Resala Foundation, Beirut, 1417 AH - 1997 AD.
- Al-Hakim, Muhammad bin Abdullah Al-Nisaburi, **Al-Mustadrak ealaa alsahihayn**, verified by Mustafa Abdul Qadir Atta, first edition, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut Edition, 1411 AH - 1990 AD.
- Ibn Hajar, Ahmed bin Ali Al-Asqalani, **Al-Durar Al-Kaminat fi 'aeyan Al-miat Al-thaamina**, investigated by: Muhammad Sayyid Jad Al-Haq, Umm Al-Qura House, Cairo.
- Abu Hayyan, Muhammad bin Yusuf Al-Andalusi, **Al-Bahr Al-Muhit**, investigated by Sidqi Muhammad Jamil, Dar Al-Fikr, Beirut, 1420 AH.

- Hajji Khalifa, Mustafa bin Abdullah, Kateb Chalabi, **Kashaf Alzununan 'Asamy Alkutub Wa-lFunun**, Al-Muthanna Library, Baghdad, 1941.
- Ibn Hisham, Jamal Al-Din Abdullah bin Yusuf, **Mughni Al-Labib aen Kutub Al-Arabiya**, investigated by: Dr. Mazen Al-Mubarak and Muhammad Ali Hamdallah, Dar Al-Fikr, Beirut, 6th edition, 1985.
- Al-Isfaraini, Issam Al-Din Al-Hanafi, **al'atwal sharh talkhis miftah aloloum**, edited, and commented by Dr. Abd al-Hamid Hindawi, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, first edition, 1422 AH, 2001 AD.
- Ibn Taghri Bardi, Jamal al-Din Youssef, **alnujum alzaahirah fi muluk misr walqahirah**, Dar al-Kutub al-Masriyyah Press, 1368 AH, 1949 AD.
- Al-Jahiz, Abu Othman Amr bin Bahr, **Al-Bayan wa Al-Tabyeen**, achieved by Abdul Salam Haroun, 7th edition, Al-Khanji Library, 1418 AH.
- Ibn al-Jazari, Abu al-Khair Muhammad ibn Muhammad, **Ghayat Alnihayah fi Tabaqat Alqurra'a**, achieved by c. Bergstrasser, Al-Khanji Library in Egypt, 1352 AH, 1933 AD.
- Al-Jurjani, Abdul Qadir bin Abdul Rahman, **Dalayil Al-'Iejaz**, achieved by Mahmoud Muhammad Shaker, Al-Madani Press, 3rd Edition, 1413 AH - 1992 AD.
- Ibn Katheer, Ismail bin Omar Al-Dimashqi, **Tafsir Al-Qur'an Al-azim**, investigation: Sami bin Muhammad bin Salama, 2nd Edition, Riyadh, Dar Taiba, 1420 AH, 1999 AD.
- Al-Khudari, Muhammad Al-Demyati, **Hasheyit Al-Khudari ealaa Sharh Ibn Aqeel**, investigated by Turki Farhan Al-Mustafa, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut, 2019.
- Al-Laknawi, Abdel-Hay, **Al-Fawaed Al-Bahiyya fi Tarjem Al-Hanafiyyah**, corrected by Muhammad Badr Al-Din Al-Na'asani, Dar Al-Kitab Al-Islami, Cairo.
- Al-Makhzoumi, Mujahid bin Jabr, **Tafsir Mujahid**, investigation: Muhammad Abdul Salam Abu Al-Nile, (1st edition, Egypt, Dar Al-Fikr Al-Haditha Al-Islamiah, 1410 AH / 1989 AD).
- Ibn Malik, Muhammad bin Abdullah Al-Ta'i Al-Jayyani, **Sharh Tashil Al-Fawayid**, investigated by Dr. Abdel Rahman El-Sayed, Dr. Muhammad Badawi Al-Makhtoun, Edition 1, Dar Hajar for printing, publishing, distribution and advertising, Cairo, 1410 AH - 1990 AD.
- Al-Mizzi, Jamal Al-Din Yusuf, **Tahdhib Al-Kamal fi 'Asma' Al-Rijal**, investigated by Dr. Bashar Awwad Maarouf, The Message Foundation, Beirut, first edition, 1400-1980.

- Al-Mohebbi, Muhammad Amin bin Fadlallah, **Khulasat Al-'Athar fi 'Ayan Al-Qarn Al-Hadi Ashar**, Dar Sader, Beirut.
- Ibn Nojaim, Siraj Al-Din Omar Bin Ibrahim, **Al-Nahr Al-Fa'iq**, investigated by Ahmed Izzo Inaya, first edition, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut, 1422 AH-2002AD.
- Al-'Okbri, Abu Al-Baqa Abdullah bin Al-Hussein Al-Hanbali, **Al-Tibyan fi 'Ierab Al-Quran**, put in footnotes by Muhammad Hussein Shams Al-Din, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut, Lebanon, 1, 1419-1998.
- Al-Qazwini, Muhammad ibn Abd al-Rahman, **Al-'Iidah fi Ulum Al-Balagha**, Investigation: Muhammad Abd al-Moneim Khafaji, 3rd Edition, Beirut, Dar al-Jeel.
- Al-Qazwini, Muhammad bin Abd al-Rahman, **Talkhis Al-Miftah**, 1st Edition, Al-Bushra Library, Pakistan, 2010.
- Al-Qurtubi, Muhammad bin Ahmed bin Abi Bakr, **Al-Jamie Li'Ahkam Al- Qur'an**, investigation: Abdullah bin Abdul Mohsen Al-Turki, 1, Beirut, Lebanon, Al-Resala Foundation, 1427, 2006.
- Al-Razi, Fakhr Al-Din, **Mafatih Al-Ghayb**, prepared by the Investigation Office of the House of Revival of Arab Heritage, 3rd Edition, Beirut, 1420 AH.
- Ibn Sa'ad, Muhammad bin Saad bin Manee'a Al-Zuhri, **Al-Tabaqat Al-Kubra**, 1st Edition, Beirut, Dar Sader, 1968 AD.
- Al-Sabban, Muhammad bin Ali, Al-Hashiyah Ala Sharh Al-Ashmouni, first edition, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut, 1417 AH -1997 AD.
- Al-Sabban, Muhammad bin Ali, **Al-Risalah Al-Bayaniyyah**, investigation by Ahmed Farid Al-Mazeedi, Edition 1, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut, 2001.
- Al-Safadi, Salah al-Din Khalil bin Aybak, **Al-Wafi Bilwafyat**, investigated by Ahmad Al-Arnaout and Turki Mustafa, Heritage Revival House - Beirut, 1420 AH - 2000 AD.
- Al-Sakhawi, Muhammad bin Abdul Rahman, **Al-Daw' Al-Laamie li'ahl Al-Qarn Al-Taasie**, Al-Hayat Library Publications, Beirut.
- Al-Sameen, Ahmed bin Yousef Al-Halabi, **Al-Durr Al-Masoon fi Ulum Al-Kitab Al-Maknuun**, investigated by Dr. Ahmad Muhammad Al-Kharrat, Dar Al-Qalam, Damascus, 1, 1407, 1987.
- Al-San'ani, Abd al-Razzaq ibn Hammam, **Tafsir Abd al-Razzaq**, investigation: Mahmoud Muhammad Abdo, first edition, Beirut, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, 1419 AH.

- Al-Sayyid Al-Sharif, Ali bin Muhammad Al-Jurjani, **Al-Hashiyah ealaa Al-Mutawwl**, investigated by Rashid Ardi, first edition, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, 2008 AD.
- Al-Shawkani, Muhammad bin Ali, **Al-Badr Al-Tali' fi Mahasin Al-Qarn Al-Saabi**, Dar Al-Maarifa, Beirut.
- Sibawayh, Amr bin Othman bin Qanbar, **Al-Kitab**, investigated by Abdel Salam Haroun, 3rd edition, Al-Khanji Library, Cairo, 1408 AH - 1988 AD.
- Al-Sindi, Muhammad 'Abed, **Hasr Al-Shared min Asanid Muhammad 'Abed**, investigated by Khalil bin Othman Al-Sabaie, first edition, Ibn Rushd Library, Riyadh, 1424 AH.
- Al-Sirafi, Abu Saeed Hassan bin Abdullah, **Sharh Kitab Sibawayh**, investigated by Ali Sayed Ali and Ahmed Hassan Mahdali, first edition, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, 2008.
- Al-Subki, Bahaa Al-Din Ahmed bin Ali bin Abdul Kafi, **Earus Al-'Afrah fi Sharh Talkhis Al-Miftah**, investigation: Abdul Hamid Hindawi, first edition, Beirut, Al-Maktaba Al-Asriyah, 1423 AH / 2003 AD.
- Al-Suyuti, Jalal al-Din Abdul Rahman bin Abi Bakr, **Al-'Itqan fi Ulum Al-Qur'an**, achieved by: Center for Qur'anic Studies, first edition, Kingdom of Saudi Arabia, King Fahd Complex for the Printing of the Noble Qur'an, General Secretariat, Scientific Affairs, 1426 AH.
- Al-Suyuti, Jalal Al-Din Abdul Rahman bin Abi Bakr, **Al-Mozher fi Ulum Al-Lughat wa 'Anwaaha**, investigated by Fouad Ali Mansour, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya - Beirut, Edition 1, 1418 AH 1998 AD.
- Al-Tabari, Muhammad bin Jarir, **Jami' al-Bayan fi Ta'wil al-Qur'an**, investigation: Ahmed Muhammad Shakir, 1, Beirut, Al-Resala Foundation, 1420 AH / 2000 AD.
- Al-Taftazani, Saad Al-Din Masoud bin Omar, **Sharh Altalweeh ealaa Altawdih limatn altanqih**, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut.
- Al-Taftazani, Saad Al-Din Masoud bin Omar, **Mukhtasar Al-Maani**, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut.
- Al-Taftazani, Saad Al-Din Masoud bin Omar, **Almutawwal**, edited by Saeed Irfanian, Dar Al-Hijrah, 1391 AH.
- Al-Tamimi, Taqi Al-Din Bin Abdul Qadir Al-Ghazzi, **Altabaqat Alsaniyah fi Taraajim Alhanafiyyah**, achieved by Abdul Fattah Al-Helou, first edition, Dar Al-Rifai, 1983 AD.
- Al-Teeybi, Al-Hussein bin Abdullah, **Fotouh Al-Ghayb fi Al-Kashf ean Qinae Al-Rayb**, achieved by a group of researchers, Dubai International Holy Quran Award Edition: First, 2013 AD.

- Al-Tirmidhi, Al-Hafiz Muhammad bin Issa, **Sunan Al-Tirmidhi**, Edited by Bashar Awwad Maarouf, Edition 1, Dar Al-Gharb Al-Islami, Beirut, 1996 AD.
- Al-Wahidi, Abu Al-Hasan Ali bin Ahmed, **Asbab Nuzul Al-Qur'an**, achieved by Essam bin Abdul Mohsen Al-Humaidan, 2nd Edition, Dammam, Dar Al-Islah, 1412 AH / 1992 AD
- Al-Zabeedi, Muhammad Murtada, **Taj Al-Earus Min Jawahir Al-Qamus**, achieved by Abdul Sattar Farraj and others, first edition, the National Council for Culture, Arts and Letters, State of Kuwait.
- Al- Zabeedi, Muhammad Murtada, **Tuhfat Al-'Ahhbab fi Al-Kunaa wal'alqab**, investigated by Muhammad Fateh Kaya, first edition, Dar Al-Bashaer Al-Islamiyyah, Beirut, 2009.
- Al-Zamakhshari, Mahmoud bin Omar, **Al-Kasshaaf ean Haqayiq Al-Tanzil waeuyun Al-'Aqawil fi Wujuh Al-Taawil**, investigated by Abdul Razzaq Al-Mahdi, House of Revival of Arab Heritage, 2nd Edition, Beirut, Lebanon, 1421 AH, 2001 AD.
- Al-Zerakli, Khair Al-Din, Al-Alam, Dar Al-Ilm for Millions, Beirut, Lebanon, 6th edition, 1984.**

ما ترددَ الجوهريُّ في الحكمِ عليه بالمولد

Al-Jawhari's Hesitation in Issuing a
Ruling Regarding the Generative Words

د. أحمد بن عواد بن سلامة العبدى الشمري

أستاذ المعاجم واللسانيات المساعد بجامعة حائل

البريد الإلكتروني: att7666@hotmail.com

المستخلص

تتبع في هذه الدراسة القصيرة الألفاظ التي تَرَدَّدَ فيها الجوهري في معجم الصحاح، وقد بلغت الألفاظ التي تَرَدَّدَ الجوهري في توليدها (١١) لفظة، وتعددت أساليب التردد عند الجوهري بين الظنّ والقول والتخيير والشبيهة بالمولَّد.

وسعت الدراسة في المبحث الأول إلى تحديد مصطلح المولد بشكل عام وعند الجوهري بشكل خاص، ثم أشكال المولد عند الجوهري. وقامت الدراسة في المبحث الثاني برصد الألفاظ التي تردد الجوهري في توليدها وتبيان النسب المفويّة لألفاظ التردد.

وجعلت المبحثين الثالث والرابع لدراسة الألفاظ المولدة التي تَرَدَّدَ فيها الجوهري دراسة معجميّة تحليلية معرّجًا على آراء المعجميين واللغويين خاتمًا بالرأي الذي تَرَجَّحَ لديّ، وجاء المبحث الخامس لتأثّر الجوهري بأحكام اللغويين الذين سبقوه.

الكلمات المفتاحية: التوليد-الظنّ-التردد-المعجمية

Abstract

In this short study, I traced the words which al-Jawhari hesitated regarding their being generative words in his dictionary *al-Ṣiḥāḥ*, these words reached (11) words, al-Jawhari's method of hesitation varied between guessing, stating, choice, and semi-generated.

The first chapter sought to define the term *al-Muwallad* (generative words) generally, according to Al-Jawhari particularly and the types of *al-Muwallad* according to al-Jawhari.

In the second chapter, the study monitored the generative words which al-Jawhari hesitated, and indicated the percentage of hesitating words.

The third and the fourth chapter of the study included the generative words which al-Jawhari hesitated as a lexical-analytical study and a reference to the opinions of the lexicographers and linguists, concluding with the opinion that I favored, while the fifth chapter showed how al-Jawhari was affected by the ruling of the linguists who preceded him.

Keywords: Generating- Guessing- Hesitate - Lexicography.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

يُعدُّ معجم الصحاح من أعجب مؤلفات الجوهريِّ، وجوهرة من جواهر التأليف المعجمي في القرن الرابع الهجري الذي يعدُّ العصر الذهبي في صناعة المعجم العربي، وهو من أهم معاجم عصره لما حواه من مادة علمية غزيرة وآراء حصيفة، مودِعًا فيه خلاصة علمه وحصيلة جمعه.

وقد لقي الصحاح حظوة لم يسبق إليها عند المعجميين العرب والعجم، فألفت حوله التعليقات والخواشي والتكمالات والاستدراكات والمختصرات والترجمات.

وكنت أثناء قراءتي ورجوعي الدائم لمعجم الصحاح أجد أن الجوهري يتردد في بعض المواقف عن إعطاء حكم يقطع بصحة الألفاظ سواء بالتوليد أو التعريب، وبعد بحث عن الكتب المؤلفة في المولد والمعرب وجدت الخفاجي في شفاء الغليل والمحيبي في قصد السبيل أثارا هذه القضية حيث ذكرا أن الجوهري يتردد في الجزم بصحة الألفاظ^(١)، فحاكت في نفسي عدّة أسئلة عن أسباب تردّد الجوهري، وسيحاول البحث الإجابة عن إبهام يعد من الإشكالات في الأعمال المعجمية القديمة بشكل عام والصحاح بشكل خاص، وهي ظاهرة الظن والتردد والتشكك.

وتعد ظاهرة التردد في الحكم على الألفاظ سواء بالتوليد أو غيره من

(١) الخفاجي، شهاب الدين، شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م) ص (٥٦)، والمحيبي، محمد الأمين، قصد السبيل فيما في اللغة العربية من الدخيل (الرياض، مكتبة التوبة، ١٩٩٤م)، ص (١/١٦٠).

الظواهر التي ظهرت في مؤلفات المعجميين القدامى ولم تكن بدعاً من الجوهري في صحاحه، فأول معجم وصل إلينا هو معجم العين للخليل الفراهيدي، وقد تردّد في الحكم على صحّة بعض الألفاظ كما سيأتي، ثم جاء ابن دريد في معجم الجمهرة وظهرت عنده ظاهرة التردّد بجلاء وكثرة ظاهرين، وسار على خطاهما واقتفى أثرهما الأزهري في تهذيبه والصاحب في محيطه.

ومما أثار انتباهي أن الجوهري في الصحاح سار سير سلفه من اللغويين حيث أجمّم بعض حكايات القول، وتردّد في الحكم على بعض الألفاظ، ولم أجد دراسة تناولت ظاهرة التردّد في الحكم على الألفاظ بالتوليد عند الجوهري؛ فاغتنمت الفرصة وأمضيت الزّماع على دراسة هذه الألفاظ دراسة معجمية تحليلية.

أسئلة البحث:

- سيحاول البحث الإجابة عن عدّة أسئلة وهي:
- س ١/ ما المواضع التي تردّد الجوهري في الحكم عليها بالتوليد ظناً؟
- س ٢/ من المعنّي بقول الجوهري: (ويقال: هو مولد)؟
- س ٣/ هل المولّد والمُعرب مصطلحان مترادفان في عُرف الجوهري؟
- س ٤/ ما أشكال التوليد في معجم الصحاح؟
- س ٥/ هل تتوافق أحكام الجوهري في توليد الألفاظ مع من سبقه من المعجميين؟

- س ٦/ هل الأحكام التي أطلقها الجوهري في المولّد الظني أثرت في من جاء بعده من المعجميين؟
- س ٧/ هل تأثر الجوهري بمنهج من سبقه من المعجميين في التردّد والتشكك في الحكم على الألفاظ؟

أهداف البحث:

- ١- محاولة كشف أسباب تردّد الجوهري في معجم الصحاح.
- ٢- رصد الألفاظ التي ظنّ الجوهري أنها مولدة.

ما تَرَدَّدَ الجَوْهَرِيُّ فِي الحُكْمِ عَلَيْهِ بِالمَوْلَدِ، د. أحمد عواد بن سلامة الشمري

٣- تتبَّع المواطن التي تردد الجوهري في الحكم عليها بالمولد وبيان مواقف اللغويين منها سواء في المعجمات أو كتب اللغة أو كتب المعرَّب والمولَّد.

الدراسات السابقة:

كتب حول الصحاح الكثير من الدراسات والبحوث والرسائل العلميَّة، ولم أقف بعد لأي وببحث عن دراسة تناولت: "ما تردد الجوهري في الحكم عليه بالمولَّد" ولكن وجدت دراسات مقارنة لهذه الدراسة وهي كالآتي:

١- نظرية صحة الألفاظ عند الجوهري في "تاج اللغة وصحاح العربية" تأليف: أ.د. عامر بن باهر الحيايالي، كتاب يتكون من ٢٥٥ صفحة، صدر عن رابطة الكتاب والأدباء والناشرين العرب، صدرت الطبعة الأولى منه سنة ١٤٤١هـ، قسّمه مؤلّفه إلى بابين: الأول: يتناول معايير صحة الألفاظ عند الجوهري في الصحاح، والثاني: يتناول معايير صحة الألفاظ عند الجوهري في الصحاح نقد وتقويم، وقد أشار في المطلب السادس من الباب الأول إلى المولَّد عند الجوهري في حدود ٣ صفحات، وأشار أيضًا إلى استشهاد الجوهري بشعر الشعراء المولدين، وهي إشارات مقتضبة لم يتكلم فيها عن مفهوم التوليد وأشكاله، ولم يقدّم بحصر الألفاظ المولدة أو التي تردّد فيها الجوهري.

٢- لغة العامة في الصحاح دراسة لغوية، تأليف: د. عبدالله بن ناصر القرني، وهو بحث منشور في مجلة جامعة طيبة للآداب والعلوم الإنسانيَّة، السنة الثانية، العدد: الرابع، ١٤٣٥هـ.

وتختلف هذه الدراسة عن هذا البحث في كونها تسلط الضوء على ما حدّه الجوهري بـ"لغة العامة" أما دراستي فتتناول الألفاظ التي تردد الجوهري في توليدها.

٣- "ما تشكّك فيه ابن دريد في جمهرة اللغة عرض ومناقشة" رسالة دكتوراه في قسم اللغويات بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة للدكتور: ماجد بن حسني الحارثي نوقشت بتاريخ ٢٤-٤-١٤٣٨هـ.

وهذه الدراسة تناولت جميع ما تشكّك فيه ابن دريد في معجمه "جمهرة

اللغة" وهذه الدراسة تقاطعت مع بحثي في تناولها للألفاظ التي لم يقطع بحكمها، وهي تخالف هذا البحث

في كونها تدرس الألفاظ التي تشكك فيها ابن دريد في جمهرة اللغة، أما بحثي فيدرس الألفاظ المولدة التي تردّد الجوهري في الحكم عليها في معجمه "تاج اللغة وصحاح العربية".

وجميع هذه الدراسات لم تتطرق لتردّد الجوهري في الحكم على الألفاظ بالتوليد، ولم أقف على دراسة تناولت ظاهرة التردّد عند الجوهري في معجم الصحاح؛ ولذا أمضيت الرّماع على دراسة هذه الألفاظ دراسة معجمية تحليلية.

منهج البحث:

المنهج الذي سار عليه هذا البحث هو المنهج الوصفي التحليلي مع التعرّيج على الإحصاء للوقوف على أهم النتائج.

خطة البحث:

قسمت هذا البحث إلى مقدمة وخمسة مباحث وخاتمة وثبت للمصادر والمراجع على النحو التالي:

المقدمة: وفيها أسئلة البحث، وأهداف البحث، والدراسات السابقة، ومنهج البحث.

المبحث الأول: مصطلح المولّد وأشكاله في معجم الصحاح.

المبحث الثاني: التردّد في الحكم على الألفاظ المولدة عند الجوهري "وصف وإحصاء".

المبحث الثالث: التعبير بأسلوب الظنّ والشبيه بالمولّد وحكاية القول.

المبحث الرابع: التعبير بأسلوب الشكّ والاحتمال.

المبحث الخامس: تأثر الجوهري في أحكامه.

الخاتمة: وتشتمل على أهم نتائج البحث.

ثبت المصادر والمراجع.

المبحث الأول: مصطلح المولد وأشكاله في معجم الصحاح

أ- مصطلح المولد.

المولد مشتق من الفعل "وَلَدَ" بتشديد اللام، وهو اسم مفعول من التَّوْلِيدِ بمعنى إخراج شيءٍ من شيءٍ آخر أصلي^(١)، وتتمحور معاني "وَلَدَ" حول: الوَضْعِ والوِلَادَةِ والنَّجْلِ والنَّسْلِ^(٢)؛ فالمَوْلَدَةُ هي الجارية التي وُلِدَتْ بين العرب^(٣)، والمولد أيضاً المُحَدَّث من كل شيءٍ ومنه المولدون من الشُّعْرَاءِ سموا بذلك؛ لحدوثهم^(٤).

ومعاني الفعل "ولد" الدَّال على الوَلَدِ والحَمَلِ موجودٌ بنفس المعنى في الساميات القديمة كالعبرية والآرامية والسريانية^(٥).

والتعريف الاصطلاحي للمولّد عند القدامى له تعريفات كُثُر، منها:

قول السيوطي: "ما أحدثه المولدون الذين لا يحتج بألفاظهم"^(٦).

وقول الهيثمي: "هو اللفظ الذي وَلَدَهُ الناسُ بمعنى اخترعوه ولم تَعْرِفْه

(١) التهانوي، محمد بن علي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، (بيروت: مكتبة لبنان

ناشرون، ١٩٩٦م)، (١٦٧١/٢).

(٢) القزويني، أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، (دار الفكر، ١٩٧٩م) "ولد" (١٤٣/٦).

(٣) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، (دار صادر - بيروت، الطبعة الثالثة -

١٤١٤هـ)، "ولد" (٤٦٩/٣).

(٤) مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، (مكتبة الشروق، الطبعة الرابعة

٢٠٠٤م)، "ولد" (١٠٥٦/٢).

(٥) خليل، حلمي، المولد في العربية دراسة في نمو اللغة العربية وتطورها بعد الإسلام،

(دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٥م) ص (١٥٤).

(٦) السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، (مكتبة دار

التراث-القاهرة، الطبعة الثالثة)، (٣٠٤/١).

العرب" (١)

وقول التهانوي: "لفظ استخرجه المولّدون من اللغة الأصلية مع شيء من التصرف وليس مستعملاً في كلام الأعراب، مثل: بداية بياء تحتانية المأخوذ من: بداءة" (٢).

والمولّد عند الشهاب الخفاجي هو ما عُرب بعد عصور الفصاحة والاحتجاج حيث قال: "ما عرّبه المتأخرون يعد مولّداً وكثيراً ما يقع مثله في كتب الحكمة والطب" (٣).

ب- المولد عند الجوهري.

لم يكن العرب يعرفون ظاهرة التوليد في الجاهليّة؛ لأنهم تكلموا بسليقتهم التي لا تشوبها شائبة من شوائب الألفاظ المحدثّة، فالمولد مصطلح يُطلق على الألفاظ التي وُلدت بعد عصور الفصاحة والاحتجاج، وفي ذلك قال ابن فارس: "كَانَتْ الْعَرَبُ فِي جَاهِلِيَّتِهَا عَلَى إِرْثٍ مِنْ إِرْثِ آبَائِهِمْ فِي لُغَاتِهِمْ وَأَدَابِهِمْ وَنَسَائِكِهِمْ وَقَرَائِينِهِمْ، فَلَمَّا جَاءَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِالْإِسْلَامِ حَالَتْ أحوالٌ، وَنُسِخَتْ دِيانَاتُ، وَأَبْطُلَتْ أُمُورٌ، وَنُقِلَتْ مِنَ اللُّغَةِ أَلْفَاظٌ مِنْ مَوَاضِعَ إِلَى مَوَاضِعَ أُخَرَ" (٤).

ومصطلح المولد من المصطلحات الشائكة التي تعددت مفاهيمها

(١) الهيثمي، أحمد بن محمد، تحفة المحتاج في شرح المنهاج، (المكتبة التجارية الكبرى بمصر، ١٣٥٧ هـ)، (٣/٣٠٥).

(٢) التهانوي، محمد بن علي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم "مرجع سابق"، (١٦٧١/٢).

(٣) الخفاجي، شهاب الدين، شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، (٣٣).

(٤) ينظر: القزويني، أحمد بن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها (الناشر: محمد علي بيضون، الطبعة الأولى ١٩٩٧ م)، (٤٤).

ما تَرَدَّدَ الجَوْهَرِيُّ فِي الحُكْمِ عَلَيْهِ بِالمَوْلَدِ، د. أحمد عواد بن سلامة الشمري

وتداخلت مع مصطلحات أخرى كـ"الدخيل" والمعرب" ولن يخوض البحث في تعدد مفاهيم التوليد عند القدامى والمحدثين، وسيقتصر على مفهوم المولد عند الجوهري، ويمكن أن يطرح البحث تساؤلاً محاولاً الإجابة عنه وهو: هل الجوهريُّ أراد بمصطلح المَوْلَدِ المعرب؟

والجواب: مصطلح المَوْلَدِ عند الجوهري لا يمت بصلة للمعرب، فالجوهري لغوي بارع والناظر في معجم الصحاح يقف على عقلية فذة ومعرفة واسعة مكنته من حمل لواء مدرسة القافية بعد سلفه البندنجي، واقتفاء كثير من المعجمات على السير وفق ترتيبه ومنهجه^(١) فكيف يستقيم القول بخلطه بين مصطلحين متغايرين؟! ويمكن الاستدلال على ذلك بوجهين:

١- فرّق الجوهري بين مفهوم المَوْلَدِ والمعرب، فالمولد عنده عربيٌّ ولكنه ليس محضاً؛ ولذلك قال: "وعربيّة مَوْلَدٌ، ورجلٌ مَوْلَدٌ، إذا كان عربيّاً غير محض" ^(٢) والمعرب عنده أعجميٌّ ولكن العرب أخضعته لأقيستها وقوانين كلامها، قال: "وتعريب الاسم الأعجمي: أن تنفوه به العرب على منهاجها، تقول: عربته العرب وأعربته أيضاً"^(٣).

٢- مما يستدل به أيضاً أن الجوهري تَرَدَّدَ في الحكم على بعض الألفاظ بين التعريب والتوليد - كما سيأتي بيانه - فلم يعط حكماً جازماً بأحدهما، فلو لم يفرّق بينهما لما تَرَدَّدَ فيهما، وهذا بخلاف الكلمات التي يجزم بتعريبها أو توليدها.

(١) العطار، أحمد عبدالغفور، مقدمة الصحاح، (دار العلم للملايين، الطبعة الثالثة ١٩٨٤م) ص (١١٠) "بتصرف".

(٢) الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، (دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة، ١٩٨٧م)، "ولد" (٢/٢٥٥).

(٣) المرجع السابق، "عرب" (١/١٧٩).

ج- أشكال المولد عند الجوهري.

لم يحدّد الجوهري في معجمه ضوابط وأسس للمولّد، ويمكن من خلال النماذج التي أوردها أن نستشف أشكال التوليد التي جاءت في معجم الصحاح، وهي كالآتي:

١- المولّد الدلالي.

إن بعض مشتقات المواد المعجمية تعود في أصلها إلى معنى عام واحد يجمعها، وإن خالفت لفظة الدلالة المحوريّة للجذر أو الاشتقاق التأصيلي حكم عليها بأنّها مُحدثة؛ لأن لكلام العرب مقاييس صحيحة وأصولاً تتفرّع منها الفرع كما نصّ ابن فارس^(١).

والمراد بالمولّد الدلالي هو: التغير الذي طرأ على معنى الكلمة المتعارف عليها بعد عصور الفصاحة والاحتجاج "حيث يقوم أفراد الجماعة اللغوية بتوليد معان جديدة تحمل قيما دلالية جديدة لأبنية معجمية موجودة من قبل"^(٢) فالألفاظ التي اكتست معانٍ جديدة بعد هذه العصور ليست من محض العربية، وقد سُئل ثعلب عن التغير فقال: التغير كل شيءٍ مولّد، وعلق السيوطي على ذلك بقوله: "وهذا ضابط حسن يقتضي أن كلّ لفظ كان عربيّ الأصل ثمّ غيرته العامة..."^(٣).

والجوهري في صحاحه لم يذكر ضوابط للتوليد الدلالي، ويمكن من خلال استقراء النماذج التي أوردها أن نقف على الألفاظ المولّدة دلاليّاً، وهي:

- (١) القزويني، أحمد بن فارس، مقاييس اللغة "مرجع سابق"، (١).
- (٢) البهنساوي، حسام، التوليد الدلالي دراسة للمادة اللغوية في كتاب شجرة الدر لأبي الطيب اللغوي، (مكتبة زهراء الشرق-القاهرة، ٢٠٠٣م)، ص (١٠).
- (٣) السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، (مكتبة دار التراث-القاهرة، الطبعة الثالثة)، (١/٣١٠-٣١١).

ما تَرَدَّدَ الجَوْهَرِيُّ فِي الحُكْمِ عَلَيْهِ بِالمَوْلَدِ، د. أحمد عواد بن سلامة الشمري

- لفظه "القَصْفِ" وقد رواها الجوهرى على أنها بمعنى "اللعب واللهو" وقال: "يقال: إنها مولدة"^(١) فالمولدون استعملوها بمعنى: اللهو واللعب، ودلالة الكلمة القديمة التي دوّنتها المعاجم تدور حول الكَسْر^(٢).

- ومن ذلك لفظه "القَحْبَة" وقد ذكر الجوهرى أنها مؤلدة^(٣) وهي في لغة اليمن بمعنى "المرأة المُسِنَّة"^(٤) والقَحْبَة: التي فَسَدَ جَوْفُهَا من داءٍ؛ ولذلك اشْتُقَّتْ ألقاحِرَة منه^(٥).

- ويدخل تحته الألفاظ المستحدثة كالألفاظ الطَّبِيَّة والألفاظ الدِّينِيَّة والعِلْمِيَّة التي تبدّلت دلالاتها، وقد زدنا الجوهرى بطائفة من الألفاظ التي تغيرت دلالاتها بفعل الزمن، ولم يعرفها العرب قديماً، ومن ذلك لفظه: "الجَبْر" التي ضِدُّ القَدْرِ^(٦) والنسبة إليه جَبْرِي وجَبْرِي^(٧) وهو مذهب فقهي يعرف بالمرجئة^(٨) ودلالة الجذر العربي القديم المدوّن في المعاجم تعود إلى الاستقامة

(١) الجوهرى، إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، "مصدر سابق"، "قصف" (١٤١٦/٤).

(٢) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين، (دار ومكتبة الهلال)، (٦٦/٥)، وابن دريد، أبو بكر محمد، جمهرة اللغة، (دار العلم للملايين-بيروت، ١٩٨٧م) ص (٨٩١/٢)، والصحاح، "قصف" (١٤١٦/٤) ومقاييس اللغة، "قصف" (٩٢/٥).

(٣) الصحاح، "قحب" (١٩٨/١).

(٤) الأزهرى، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة (دار إحياء التراث العربى - بيروت، ٢٠٠١م)، ص (٤٧/٤).

(٥) جمهرة اللغة، (١١١٥/٢).

(٦) الصحاح، "جبر" (٦٠٨/٢).

(٧) الخفاجي، شهاب الدين، شفاء الغليل، (١١٧).

(٨) الشهرستاني، محمد بن عبدالكريم، الملل والنحل، (مؤسسة الحلبي وشركاؤه-القاهرة، ١٩٦٨م)، (١٣٩/١).

والعظمة والعلو^(١).

ومن الألفاظ الطبيّة المولّدة "السَّرْم" لمخرَجِ الثُّقَلِ^(٢) وهو مَعِيٌّ يعرف بالمستقيم^(٣)، والمعنى المُدَوَّن في المعاجم يحوم حول: الرَّجْرَجُ وَالْوَجَعُ، ومن ذلك: السَّرْمُ: وَجَعُ الْعَوَاءِ، وَهِيَ الدُّبْرُ، وَيَطْلُقُ أَيْضًا عَلَى زَجْرِ الْكِلَابِ^(٤).
ومن الألفاظِ العِلْمِيَّةِ المستحدثة التي ذكرها الجوهري لفظة "الطَّوِيلِ"
وهي جنسٌ من العَرُوضِ^(٥).

٢- المولّد الصوري أو الشكلي.

وضابط هذا النوع أن التغيير الذي يحدث في بنية الكلمة أو تركيبها أو شكلها الذي تكلمت به العرب يؤدّي إلى القول بتوليدها أو حداثتها، ومن طرائقه: الاشتقاق ومخالفة القياس والنحت والتعريب والمجاز والارتجال.
وتوليد المفردات أو الأبنية مرحلة سابقة لتوليد التراكيب أو الجمل؛ لأن التراكيب تُولّد باعتماد الأبنية التي يشتمل عليها معجم الجماعة اللغوية^(٦).
وقد أعطانا الجوهري مجموعة من الألفاظ التي وُلّدت بتغيير بناء الكلمة عن طريق الاشتقاق، ومن ذلك لفظة: "التَّاسُوعَاءُ" التي وُلّدت بالاشتقاق من التَّاسِعِ؛ مقابلة لـ "عاشوراء"، فعاشوراء عرفها العرب أما التاسوعاء فلم تُعرف،

(١) مقاييس اللغة، "جبر" (٥٠١/١).

(٢) الصحاح "سرم" (١٩٤٥/٥).

(٣) ابن سينا، الحسين بن عبدالله، القانون في الطب، (دار الكتب العلمية-بيروت، ١٩٩٩م) ص (٥٨١/٢).

(٤) الأزهري، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، (٢٩٠/١٢).

(٥) الصحاح، "طول" (١٧٥٤/٥).

(٦) ابن مراد، إبراهيم، مقدمة لنظرية المعجم، (دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٧م)، ص (١٣٤).

ما تَرَدَّدَ الجَوْهَرِيُّ فِي الحُكْمِ عَلَيْهِ بِالمَوْلَدِ، د. أحمد عواد بن سلامة الشمري

ومثلها "باحوراء" التي تطلق على شِدَّة الحرِّ في تَمَّوز^(١).
ومنه لفظة "المُلَبَّنُّ" أوردها الجوهري في الصحاح على أنها الفَلَاتِحَ وظنَّ
أنها مولدة^(٢) وهي مشتقة من الجذر "لبن" الذي تتمحور معانيه حول اللبن
المشروب^(٣).

ومن ذلك أيضاً: "المَحْرَقَةُ" التي ذكر الجوهري أنها مولدة^(٤) وهي من
ألفاظ الحيلة والتمويه مأخوذة من مَحَارِيقِ الصَّبِيان^(٥) التي تقابل "المَحْلَقَةُ"
و"المَشْرَقَةُ"^(٦).

وهناك نوع من التوليد الصُّوري يمكن أن يُطلق عليه تحوُّلاً بـ(الاشتقاق
من البنية المعرَّبة) وهو ما اشتقَّه المولدون من الألفاظ المعرَّبة القديمة فبنوا منه
أفعالاً جديدة لم تعرفها العرب، ومنه في الصحاح: "زَرَفَن صُدَّعِيهِ"^(٧) فالفِعْلُ
"زَرَفَن" مُشْتَقٌّ من اللفظة المُعَرَّبَةُ "الرُّزْفِين أو الرُّزْفِين" والثاني أصح كما ذكر
الأزهري، وهي لفظة فارسيَّة معرَّبة وتعني: حلقة الباب^(٨).

(١) الصحاح، "بجر" (٥٨٦/٢).

(٢) الصحاح، "لبن" (٢١٩٢/٦).

(٣) مقاييس اللغة "لبن" (٢٣١/٥).

(٤) السابق، "خرق" (١٤٦٨/٤).

(٥) الأزهري، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة "مرجع سابق"، (٢٥٨/٧)، والزبيدي، محمد
مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، (مطبعة حكومة الكويت، بتحقيق
مجموعة من المحققين) "مخرق" (٣٨٠/٢٦).

(٦) الفارابي، إسحاق بن إبراهيم، ديوان الأدب، (مؤسسة دار الشعب، القاهرة،
٢٠٠٣م)، ص (٢٨٥/١).

(٧) الصحاح، "زرفن" (٢١٣١/٥).

(٨) تهذيب اللغة، (١٩٧/١٣).

وهناك نوع من التوليد الشكلي يطلق عليه (مخالفة القياس)^(١) وقد ذكر الجوهري أن الأطباء يُسَمُّون التَّعْيِيرَ الذي يَحْدُثُ لِلْعَلِيلِ دَفْعَةً فِي الْأَمْرَاضِ الْحَادَّةِ يَوْمَ بَاحْوَرِيٍّ، وَيَوْمَ بَحْرَانَ بِالإِضَافَةِ وَالتَّعْبِيرَانَ مُوَلَّدَانِ؛ لِأَنَّهُمَا خَالَفَا الْقِيَاسَ كَمَا ذَكَرَ الْجَوْهَرِيُّ^(٢).

ومن المولد في الصحاح: التَّغْيِيرُ بِتَرْكِ الْهَمْزِ وَغَيْرِهِ، وَقَدْ جَعَلَ الْجَوْهَرِيُّ التَّرْكِيبَ: "لَقَيْتَهُ لِقَاءً وَاحِدَةً" مِنْ كَلَامِ الْمَوْلَدِينَ^(٣) وَقَدْ أَوْرَدَهَا ابْنُ السَّكِّيتِ فِي بَابِ "مِمَّا يَصِحُّ قَوْلُهُ وَمَالًا يَصِحُّ"^(٤).

ويخبرنا الجوهري أن أناسًا تصرّفوا في "تيس" و"كيف" فقالوا: في فلان تَيْسِيَّةٌ، وَنَاسٌ يَقُولُونَ: تَيْسُوسِيَّةٌ وَكَيْفُوفِيَّةٌ^(٥) وَقَدْ شَكَّ فِي صَحَّتِهِمَا، لِأَنَّ التَّيْسِيَّةَ وَرَدَتْ عَلَى الْقَاعِدَةِ، وَالْمَرَادُ بِهَا حَالَةٌ مَنْسُوبَةٌ إِلَى التَّيْسِ، وَهِيَ دَمٌّ، وَالتَّيْسُوسِيَّةُ شَاذَةٌ^(٦) كَقَوْلِهِمْ: "اسْتَنَوَقَ الْجَمَلُ"، أَمَا الْكَيْفِيَّةُ فَهِيَ مَوْلَدَةٌ كَمَا نَصَّ الْخَفَاجِيُّ^(٧) فَالاسْمُ مُشْتَقٌّ فِيهَا مِنْ أَدَاةِ الِاسْتِفْهَامِ^(٨) وَالْكَيفُوفِيَّةُ مُصَدَّرٌ

(١) خليل، حلمي، المولد في العربية، "مرجع سابق"، (١٦٦).

(٢) الصحاح، "بجر" (٥٨٦/٢).

(٣) الصحاح، "لقا" (٢٤٨٤/٦).

(٤) ابن السكيت، يعقوب بن إسحاق، إصلاح المنطق، (دار إحياء التراث، ٢٠٠٢م)، ص (٢٢٢).

(٥) الصحاح، "تيس" (٩١١/٣).

(٦) الشدياق، أحمد بن فارس، الجاسوس على القاموس (مطبعة الجوائب - القسطنطينية، ١٢٩٩هـ)، ص (١٣١).

(٧) الخفاجي، شهاب الدين، شفاء الغليل، "مرجع سابق"، (٢٦٣).

(٨) ابن مراد، إبراهيم، مسائل في المعجم: (دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٧م) ص (٨٨).

ما تَرَدَّدَ الجَوْهَرِيُّ فِي الحُكْمِ عَلَيْهِ بِالمُولَدِ، د. أحمد عواد بن سلامة الشمري

صناعي وكثر عند المولدين الذين جاؤوا بعد عصور الاحتجاج اللغوي حيث تشبعت العلوم واضطروا إلى وضع صيغ تدل على ما يحيط باسم الجنس من أحوال فقالوا: كيفية وماهية ومفهومية^(١).

(١) كحيل، أحمد حسن، التبيان في تصريف الأسماء، دار أصدقاء المجتمع - بريدة، ١٤٢٤هـ، ص (٥٢).

المبحث الثاني: التردد في الحكم على الألفاظ المولدة عند الجوهري "وصف وإحصاء".

يعد الجوهريّ من المعجميين المتشددين في معيار الصّحّة والفصاحة، فلم يودع كتابه إلا ما صحّ عنده من كلام الأعراب الذين شافهم في العراق وفي بوادي العرب العاربة، ولذلك قال: "أودعت هذا الكتاب ما صحّ عندي من هذه اللغة"^(١) وقد أخذ المعجميون عليه اقتصاره على الصحيح وتركه ما عداه، ولذلك ألّف الحسن الصغاني كتابه "التكملة والذيل والصلة" جامعاً فيه ما أهمله الجوهري في معجمه، ومن الآخذين عليه اقتصاره على الصحيح وتركه ما عداه الفيروز آبادي حيث قال: "ولما رأيتُ إقبال النَّاسِ على صحاحِ الجَوْهَرِيِّ، وهو جديرٌ بذلك، غَيَّرَ أَنَّهُ فَاتَهُ نِصْفُ اللُّغَةِ أَوْ أَكْثَرُ، إِمَّا بِإِهْمَالِ المَادَّةِ، أَوْ بِتَرْكِ المَعَانِي الغَرِيبَةِ النَّادَّةِ"^(٢).

ويبدو لي أن الجوهريّ لما ألّف كتابه وأدخل فيه كلام العاقمة والمغرب والدخيل والمولّد كان حريصاً على تحريّ الدّقة في معيار الفصيح والأفصح والأعجمي والمُحدّث؛ فلذلك تردّد في بعض الألفاظ ولم يعط حكماً قاطعاً بتعريبها أو توليدها أو صحّتها، فهي مبهمّة لم يقطع بحكمها، ولذلك تنبّه المحيي لذلك عند إيراده للفظة الأتون، حيث قال: "قلت: والجوهريّ تردّد فيه وغيره"^(٣).

وقد استخدم الجوهري عدّة أساليب في التردّد وهذا ظاهر بشكل كبير

(١) الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح، مقدمة المصنف، (٣٣/١).

(٢) الفيروز آبادي، مجد الدين، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، (٢٠٠٥م)، مقدمة المؤلف (١٧).

(٣) المحيي، محمد الأمين، قصد السبيل، "مرجع سابق"، (١٦٠/١).

ما تَرَدَّدَ الجَوْهَرِيُّ فِي الحُكْمِ عَلَيْهِ بِالمُولَّدِ، د. أحمد عواد بن سلامة الشمري

في الكلمات المولَّدة والمعربة، ويعيننا في هذا البحث الألفاظ المولدة، ويمكن تقسيمها على النحو التالي:

أ-التعبير بالظَّن: ومن ذلك قوله: "وأظنه مولدًا".

ب-حكاية القول: ومنها: "يقال هو مولدٌ" وكأن الجوهري هنا يتردد في إعطاء حكمٍ بعربيَّة هذه الألفاظ بخلاف الألفاظ التي يقطع بتوليدها.

ج-التعبير بأسلوب الشكِّ والاحتمال "التخيير": وهي مما أجمه الجوهري وتردد فيه كقوله: "وهو مُعَرَّبٌ أو مُولَّدٌ".

د-التعبير بأسلوب الشبيه بالمولد: ومنه قوله: "شبيه بمولد، وليس بعربي محض".

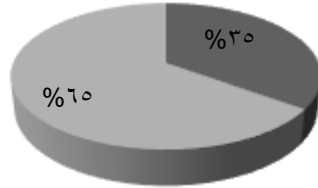
وقد بلغ مجموع الجذور في معجم الصحاح (٥٦٣٩) جذراً^(١) وعدد الألفاظ المولَّدة في معجم الصحاح تبلغ (٣١) لفظة، ولذا فإن نسبة الألفاظ المولدة في معجم الصحاح بالنسبة للمجموع الكلي للجذور تبلغ حوالي (٠,٥٪).

وقد بلغت أساليب التردد عند الجوهري (١١) أسلوباً، وهي تشكل ما نسبته (٣٥,٤٪) من مجموع الألفاظ المولدة في معجم الصحاح، ويمكن تمثيلها بالشكل الآتي:

(١) موسى، علي حلمي، دراسة إحصائية لجذور معجم الصحاح باستخدام الكمبيوتر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٨م)، (١١).

النسب المئوية

■ مجموع الألفاظ المولدة ■ أساليب التردد



الشكل (١)

وما حكم عليه بالمولد ظناً (٥) ألفاظ، وما حكي القول بأنه مولد (٣) ألفاظ، وللتخيير لفظتان، ووردت لفظة واحدة للشبيه بالمولد، وتوزعت حسب الجذور الآتية في الجدول:

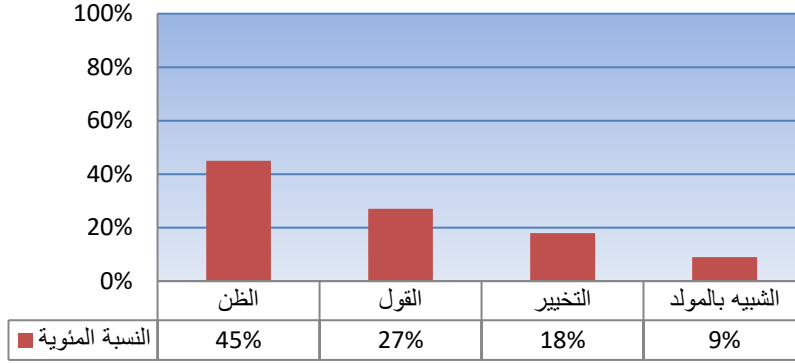
أتن	برجس	تسع
طرش	عجج	عرف
فسر	قصف	لبن
طنز	ميش	

وجاءت أساليب "التردد" حسب النسب الآتية التي في الجدول والشكل:

الأسلوب	وروده	نسبته
الظن	٥	٤٥%
حكاية القول	٣	٢٧%
الشك والاحتمال "التخيير"	٢	١٨%
الشبيه بالمولد	١	٩%

ما تَرَدَّدَ الجَوْهَرِيُّ فِي الحُكْمِ عَلَيْهِ بِالمُولَّدِ، د. أحمد عواد بن سلامة الشمري

أساليب التردد



الشكل (٢)

وقبل أن أودع هذا المبحث أود الإشارة إلى أمرين:
أحدهما: هناك ألفاظ تَرَدُّ في الصحاح على أنها صحيحة فصيحة ولم يَنْبَهِه
الجوهري على توليدها أو عدم صِحَّتِها، وقد أشار غيره من اللغويين إلى أنها
مُولَّدة، وهي كالتالي:

مجلة الجامعة الإسلامية للغة العربية وآدابها - العدد: ٦ | الجزء: ١

الكلمة المولدة	عبارة الصحاح	عبارة القائل بتوليدها	المصدر
الرُّبْيَلَا	جنس من الهوام، ويُمد أيضا.	وأما الرُّبْيَلَاءُ، والمُخَيَّطَاءُ فمن كلام المُولِّدِينَ.	كراع النمل، المنتخب من غريب كلام العرب، ص (٥٧٦/٢)
الحُسْبَان	الحُسْبَانُ أيضًا: سهام صغارٍ الواحدة حُسْبَانَةٌ	فأما الحسبان الذي يرمى به هذه السهام الصغار فمُولَّد.	ابن دريد، جمهرة اللغة، (٢٧٧/١)
المَطْمُورَةُ	خفرة يُطمر فيها الطعام، أي: يخبأ.	وَبَنَى فُلَانٌ مَطْمُورَةً، إذا بنى دارًا في باطن الأرض أو بيتًا، وهي كلمة مَوْلَّدة	ابن دريد، جمهرة اللغة (٧٥٩/٢).
بَرَّهَنَ	الرُّبُهَانُ: الحجَّة، وقد بَرَّهَنَ عليه، أي أقام الحججة.	وقولهم: بَرَّهَنَ فُلَانٌ: إذا جاءَ بالرُّبُهَانِ، مَوْلَّد	الأزهري، تهذيب اللغة، (١٥٧/٦)
الرَّخْوُ	شيءٌ رَخْوٌ ورَخْوٌ بكسر الراء وفتحها، أي: هشّ	والرَّخْوُ -بفتح الراء - مَوْلَّد	الفراء والأصمعي، روى ذلك الأزهري في تهذيب اللغة، (٢٢١/٧).
تَعَلَّيْتُ	والغالية من الطيب... تقول منه: تَعَلَّيْتُ بالغالية	قال الفراء: تَعَلَّيْتُ بالغالية، وكلّ شيءٍ أَلَصَّفْتُهُ بِجِلْدِكَ، وأصول شعرك، فَقَدَّ تَعَلَّيْتُهُ. قَالَ: وَتَعَلَّيْتُ: مَوْلَّدَةٌ.	الفراء، وروى ذلك الأزهري في التهذيب، (٢٣/٨).
مَكَالٌ "للكَيْلِ"	ما في بُرِّكَ مَكَالٌ	أما مكالٌ فمن لغة المولدين	الأزهري في تهذيب اللغة، (١٩٣/١٠).
التَّشْوِيشُ	التَّشْوِيشُ: التَّخْلِيطُ، وقد تشوَّشَ عليه الأمرُ	وأما التشويش فإن اللغويين أجمعوا على أنه لا أصل له في العربية وأنه من كلام المولدين، وأصله التَّهْوِيشُ، وهو التَّخْلِيطُ	الأزهري في تهذيب اللغة، (٣٠٥/١١)
شَكَّلْتُ الْكِتَابَ	وشكَّلْتُ الكتاب: قيَّدته بالإعراب.	شكَّلْتُ الْكِتَابَ... إذا قيَّدتَه بعلامات الإعراب فليست أحسبه من كلام العرب العاربة، وإنما هو شيءٌ ذكره أهلُ العربية، وهو من الألقابِ المَوْلَّدَةِ	ابن فارس، مقاييس اللغة، "شكل" (٢٠٥/٣)
الهاضوم	الهاضومُ الذي يقال له: الجوارش؛ لأنه يهضم الطعام.	الهاضومُ: الذي يَهْضِمُ الطعامَ، وأراه مَوْلَّدًا	ابن فارس، مقاييس اللغة "هضم" (٥٥/٦).

ما تَرَدَّدَ الجَوْهَرِيُّ فِي الحُكْمِ عَلَيْهِ بِالمُولَّدِ، د. أحمد عواد بن سلامة الشمري

ويستنتج من الجدول السابق أمور، وهي:

١- يمكن القول أن الجوهري عوّل كثيراً على المعيار السّماعي، ولعله سمّع هذه الألفاظ من كلام أهل البادية فأقرّه وأحقّه، وكثيراً ما يقول: "سألت عنه بالبادية" و"لأن ذلك لا يكاد يكون بالبادية" وإذا لم يسمعها منهم ضعّفها وقال: "ليس من كلام أهل البادية".

٢- هناك ألفاظ شكّ ابن دريد في توليدها فقال: "أحسبه مولدًا" وهي أربعة ألفاظ وهي: "الحوك والقشام والمثقال والكابوس"^(١) وقد أوردها الجوهري ولم يُنبّه على توليدها، مع أنه نبّه على ألفاظ أُخر جاءت بصيغة: "يقال هو: مولد" كما سيأتي.

٣- يرى البحث بأن الجوهري لم يطلّع على بعض المعاجم التي سبقته كالتهذيب والمنتخب.

والآخر: استشهد الجوهريّ بشعر المولّدين- وهم شعراء الطبقة الرابعة- وذلك في تسعة مواضع، تعقبه العلماء على واحدٍ منها، ولم ينسبها إلى أصحابها، وهي لمجموعة من الشعراء منهم على سبيل التمثيل: أبو نواس، وإسحاق بن إبراهيم الموصليّ، وبشار بن برد، وقد نبّه على ذلك أحد الباحثين^(٢).

(١) ابن دريد، أبو بكر محمد، جمهرة اللغة "مرجع سابق" على الترتيب، (١/٥٦٥) و(٢/٨٧٥) و(٢/٩٤٠)، و(١/٣٣٩).

(٢) الحياي، عامر باهر، نظرية صحة الألفاظ عند الجوهري في معجمه تاج اللغة وصحاح العربية، (رابطة الكتاب والأدباء والناشرين العرب، الطبعة الأولى ٢٠٢٠م)، ص (٢٢٢).

المبحث الثالث: التعبير بأسلوب الظنِّ والشبيه وحكاية القول

(أتن) قال الجوهري: "والأْتُونُ، بالتشديد: هذا الموقد، والعامَّةُ تُحَقِّقُهُ، والجمْعُ الأَتَاتِينُ، ويُقالُ هو مُؤَلَّدٌ"^(١).

تردَّد الجوهري في صحَّة هذه اللفظة، ولم يُعرِّف بقائلها، وقد تشكَّك بها ابن دريد وابن خالويه أيضاً ولم يعطيا حكماً في عربيَّتها^(٢) وتبعهما ابن سيده^(٣)، وسكت عنها الخليل^(٤) والأزهري^(٥) والفيروز آبادي^(٦)، وضعَّف الفيومِيُّ قولَ الجوهريِّ مستندلاً على النَّقل الصحيح عن العرب؛ بدليل جمعه على "أتاتين"^(٧)، وقد أشار الخفاجي والمحيِّي إلى تردَّد الجوهري بهذه اللفظة^(٨). ويرى البحث أن سبب تردَّد الجوهري في صححة هذه الكلمة يعود إلى أمرين:

- ١- أنها من كلام العامَّة ولم يجزم بتوليدها، وقال: "يقال: هو مُؤَلَّد".
- ٢- المعيار النَّقلي، والبحث يرى أن صاحب القولة التي أجمها الجوهريُّ

(١) الصحاح "أتن" (٢٠٦٧/٥).

(٢) الجمهرة، (١٠٣٣/٢)، ولسان العرب، "أتن" (٧/١٣) نقلاً عن ابن خالويه.

(٣) ابن سيده، علي بن إسماعيل، المحكم والمحيط الأعظم، (دار الكتب العلمية-بيروت، ٢٠٠٠م) "أتن" (٥١٢/٩).

(٤) العين، "أتن" (١٣٧/٨).

(٥) تهذيب اللغة، (٢٣٢/١٤).

(٦) القاموس المحيط، "أتن" (١١٧٤).

(٧) الفيومي، أحمد بن محمد، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، (دار المعارف، ١٩٧٧م)، "أتن" (٣/١).

(٨) الخفاجي، شهاب الدين، شفاء الغليل، (٥٦)، والمحيِّي، قصد السبيل، (١٥٩-١٦٠).

ما تَرَدَّدَ الجَوْهَرِيُّ فِي الحُكْمِ عَلَيْهِ بِالمَوْلَدِ، د. أحمد عواد بن سلامة الشمري

هو ابنُ دريد؛ لكثرة النقل عنه في الصحاح^(١).
ولفظة الأتون مقترضة من الفارسية، ولعل أول من أشار إلى فارسيّتها
النسفي^(٢) ونصّ المطرزي كذلك على أنّها فارسية ويقال لها بالفارسية: كلخن^(٣)
وتبعهم المحيي وقال: "فضّع ما قيل إنه مولد"^(٤).
واختلف المحدثون في أصلها فقال البطريق: سريانية^(٥) وقال ألتونجي:
فارسية وهي بالفارسية: "كلخن: أتون الحمّام"^(٦) وذكرت جهينة نصر أنّها
آرامية^(٧).
(برجس) قال الجوهرى: "البُرْجاسُ: عَرَضٌ فِي الهَوَاءِ يُرْمَى بِهِ، وَأَظْنَهُ
مَوْلَدًا"^(٨).
ووافق الجوهرى في تشككه الصغائى في العباب وزاد عليه "على رأس ربح

-
- (١) ولم يقف البحث على نُقول عن ابن خالويه.
(٢) النسفي، نجم الدين، طلبة الطلّبة في الاصطلاحات الفقهيّة، (المطبعة العامرة-مكتبة
المتنى ببغداد، ١٣١١هـ)، ص (١٢٩).
(٣) المطرزي، ناصر بن عبد السيد، المغرب في ترتيب المغرب، (دار الكتاب العربي،
بيروت-لبنان)، (١٨).
(٤) قصد السبيل، (١/١٥٩).
(٥) أغناطيوس، البطريق مار، الألفاظ السريانية في المعاجم العربية، (مجلة المجمع العلمي
بدمشق)، المجلد (٢٣) الجزء (٢) ص (١٧٢).
(٦) ألتونجي، محمد، المعجم الذهبي (فارسي/عربي)، (دار العلم للملايين، ١٩٨٠م)،
(٥٠٨).
(٧) علي، جهينة نصر، المغرب والدخيل في المعاجم العربية دراسة تأثيلية، (دار طلاس-
دمشق، ٢٠٠١م)، (٣٦).
(٨) الصحاح، "برجس" (٣/٩٠٨).

أو خشبة طويلة^(١)، وحزم الفيروز آبادي بتوليده^(٢) وسكت عنها الأزهري^(٣) وذكر الزبيدي أن العامّة تكسرهما^(٤) ولم يذكرها الجواليقي في المعرب. وذكر الأزهري في تهذيب اللغة قولاً لابن الفرج روى فيه أن لفظة "البرجاس" بمعنى: الحجر الذي يُرمَى به في البئر وردت في شعر سعد البارقي وهو جاهلي^(٥).

واللفظة معرّبة وليست مولدة أو عاميّة، وتعريبها عن الفارسيّة أو اليونانية؛ ولعلّ أوّل من أشار إلى فارسيّتها الخفاجي^(٦)، وهي في الفارسية "برجاس" ومعناها: هدف السهم. وقد أشار إلى فارسيّتها من المحدثين: آدي شير، ورفائيل نخلة والكرملي وسعدي الضناوي وجهينة نصر^(٧). وقد ذكر الكرملي أنه في أوّل وضعه كان برجاً أو بناءً رفيعاً يوضع في

-
- (١) الصغاني، الحسن بن محمد، العباب الزاخر واللباب الفاخر، (مركز البحوث والتواصل المعرفي-الرياض، ٢٠٢٢م)، "برجس" (٧/٢٢٤).
- (٢) القاموس المحيط، "برجس" (٥٣٢).
- (٣) تهذيب اللغة، أبو منصور الأزهري، (١١/١٦٦).
- (٤) تاج العروس، "برجس" (١٥/٤٤٥).
- (٥) تهذيب اللغة، (١١/١٦٦).
- (٦) شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، (٨٨).
- (٧) الكلداني، آدي شير، الألفاظ الفارسية المعربة، (المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين بيروت ١٩٠٨م)، (١٨)، نخلة، رفائيل، غرائب اللغة العربية، (دار المشرق، الطبعة الرابعة) (٢١٨)، والكرملي، أنستاس ماري، معجم المساعد (دار الحرية للطباعة-بغداد، ١٩٧٦م) (٢/١٨٥)، والضناوي، سعدي، المعجم المفصل في المعرب والدخيل، (دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م)، (٧٥)، وعلي، جهينة نصر، المعرب والدخيل في المعاجم العربية دراسة تأليلية (١١٧).

ما تَرَدَّدَ الجَوْهَرِيُّ فِي الحُكْمِ عَلَيْهِ بِالمَوْلَدِ، د. أحمد عواد بن سلامة الشمري

أعلاه ذلك الغرض ثم استغنوا عن البناء بوضع الغرض فوق السارية أو الرمح وأن لفظها الفارسي "دار كدو" والتركي "قپاق أغاچي" واليوناني "purgos"^(١).

ويستظهر البحث أن الجوهرى تشكك في صحة هذه اللفظة؛ لكونها من الأبنية النادرة الاستعمال^(٢).

ويمكن القول أن العريية اقترضت هذه اللفظة من الفارسية وليس العكس كما أشار د. محمد عبدالمنعم^(٣)؛ لكون التعريب الطارئ عليها تعريياً صوتياً بنقل الحركة من الكسر إلى الضم؛ ولذلك ينطقها العوام بلفظها ومعناها التي اقترضت منه^(٤).

(تسع) قال الجوهرى: "التَّاسُوعَاءُ قَبْلَ يَوْمِ العَاشُورَاءِ، وَأَظَنُّهُ مُؤَلَّدًا"^(٥). ذكر ابن سيده هذه اللفظة وعَرَّفَهَا ولم يُشْرَ لصَحَّتِهَا^(٦) وجزم الصغاني بتوليدها وقال: "والتَّاسُوعَاءُ قَبْلَ يَوْمِ العَاشُورَاءِ وَهُوَ مُؤَلَّدٌ"^(٧) ووافقه الفيروز آبادي في القاموس^(٨) وخالفهم الزبيدي؛ لكون اللفظة وردت في حديث النبي

(١) والكرملي، أنستاس ماري، معجم المساعد، (١٨٥/٢)

(٢) ابن خالويه، الحسين بن أحمد، ليس في كلام العرب، (دار العلم للملايين، ١٩٧٩م)، (١٠١).

(٣) عبد المنعم، محمد نور الدين، معجم الألفاظ العربية في اللغة الفارسية، (عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ٢٠٠٥م)، (٢٤٩/١).

(٤) تاج العروس، "برجس" (٤٤٥/١٥).

(٥) الصحاح، "تسع" (١١٩١/٣).

(٦) المحكم والمحيط الأعظم، "تسع"، (٤٧٤/١).

(٧) العباب الزاخر واللباب الفاخر، "تسع" (٤٨/١٠).

(٨) القاموس المحيط، "تسع" (٧٠٧).

صلى الله عليه وسلم فأئني يتصور فيها التّوَلِيدُ^(١) وذهب الفيومي إلى أن اللفظة إن استعملت مع عاشوراء فهي قياس العَرَبِيّ؛ لأجل الازدواج وإن استُعملت وَخَدَهَا فمسلّمٌ إن كانت غير مسموعة^(٢).

ولعل سبب تشكُّك الجوهريّ في هذه اللفظة يعود إلى المعيار السَّماعيّ، قال ابن دريد: "وعاشوراء: يوم تُسمّى في الإسلام ولم يُعرف في الجاهليّة، قال أبو بكر: وليس في كلام العرب فاعولاء ممدودًا إلا عاشوراء"^(٣) وقال أبو بكر الزبيدي آخذًا على الخليل إيرادها: "لم أسمع بالتّاسوعاء"^(٤) ولم يقف البحث على التّاسوعاء في مطبوعات العين وتُسخه الخطيّة.

وذهب بعض المتأخرين إلى القول بأن الكلمة مأخوذة من السريانية؛ لأن بناء "فاعول" و"فعلوت" مما اختصّت به السريانيّة^(٥)، وقد ردّ ذلك الدومنيكي بأنه لا مقابل لها في السريانية على وزن "فاعول" إنما يُقال فيها: "نُشِيعَايَا"^(٦). والبحث يرى بأن التّاسوعاء عربية صحيحة؛ لورودها في الحديث: "لَئِنْ

(١) تاج العروس، "تسع" (٣٩٣/٢٠).

(٢) المصباح المنير، "تسع" (٧٥/١).

(٣) جمهرة اللغة، (٧٢٧/٢).

(٤) الزبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن، استدراك الغلط الواقع في كتاب العين، (مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٩٩٩م) (٥٥).

(٥) الكلداني، أدي شير، الدواعي لغنى اللغة العربية، (مجلة المشرق، السنة الثالثة، العدد: ١٦، أغسطس ١٩٠٠م) (٧٢٣)، وأغناطيوس، البطريك، الألفاظ السريانية في المعاجم العربية، (٣٢١)، والسامرائي، إبراهيم، اللؤلؤ النثير في التعليق على النهاية لابن الأثير، (دمشق، دار القلم، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م)، (١٣٦).

(٦) الدومنيكي، مرمجي، معجميات عربية سامية، (مطبعة المرسلين اللبنانيين-لبنان، ١٩٥٠م)، (١٢٩).

ما تَرَدَّدَ الجَوْهَرِيُّ فِي الحُكْمِ عَلَيْهِ بِالمَوْلَدِ، د. أحمد عواد بن سلامة الشمري

بَقِيَتْ إِلَى قابِلٍ لأصومَنَ تاسوعاء" (١).

(طرش) قال الجوهرى: "الطَّرَشُ: أَهْوُنُ الصَّمَمِ، يُقَالُ هُوَ مُوَلَّدٌ" (٢).

اختلف في كلمة الطَّرَشِ على أربعة مذاهب:

الأول: يرى أنها عربيَّة، وهو قول الأنصاري نَقْلًا عن بعض اللغويين (٣).

الثاني: يرى أنها مُعَرَّبَةٌ، وبه جزم الشهاب الخفاجي (٤) وتشكُّك الحري في

فارسيَّتها (٥).

الثالث: يرى أنها مُوَلَّدَةٌ، وهو مذهب ابن دريد (٦) والحري (٧).

الرابع: يرى أنها دخيلة، وبه قال العوتبي (٨).

والبحت يرى صِحَّةَ مذهب ابن دريد، ويرى أيضًا أنه المعنيُّ بقول

الجوهرى: "يُقَالُ هُوَ مَوْلَدٌ".

ولم يقف البحت على نصوص من الشعر القديم تُعصِّدُ فصاحة هذه

(١) وهذه الرواية ذكرها الجزري، مجد الدين أبو السعادات، النهاية في غريب الحديث

والأثر، (المكتبة العلمية-بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م) (١/١٨٩).

(٢) الصحاح، "طرش" (٣/١٠٠٩).

(٣) الخفاجي، شهاب الدين، درة الغواص للحري وشرحها وحواشيها وتكملتها، (دار

الجيل-بيروت، مكتبة التراث الإسلامي-القاهرة، ١٩٩٦م)، (٣٩٦).

(٤) شفاء الغليل، (٢٠٥).

(٥) الجواليقي، موهوب بن أحمد، المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم،

(دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى ١٩٩٠م)، (٤٤٢).

(٦) جمهرة اللغة، (٢/٧٢٦).

(٧) الحري، القاسم بن علي، درة الغواص للحري وشرحها وحواشيها وتكملتها، (دار

الجيل-بيروت، مكتبة التراث الإسلامي-القاهرة، ١٩٩٦م)، (٣٩٣).

(٨) الصحاري، سلمة بن مسلم الإبانة في اللغة العربية (وزارة التراث القومي والثقافة-

مَسْقَط، ١٩٩٩م)، (١/١٠٦).

اللفظة، ولم يعثر كذلك على ما يُؤكّد تعريبها في معاجم اللغة الفارسيّة. ويلحظ من أسلوب الجوهري في صحاحه أنّه إذا قال: "يقال: هو مولد" فإنه يعني ابن دريد صاحب الجمهرة؛ لأن ابن دريد تردّد كثيراً في تعيين المعرّب والمولّد والدخيل ولم يقطع بحكمه عليه، ومن أمثلته قوله: "الفتحة: التيه والتكبر وأحسبها مولدة" (١) وقوله "فأما الجريب من الأرض فأحسبه معرباً" (٢) وكذا "فأما الآس المشموم فأحسبه دخيلاً" (٣) وأحسب أن هذا الملحظ مما فات دارسي معجم الصحاح؛ ويمكن تفسير تردّد الجوهري في الحكم بأصالة هذه اللفظة بأمور منها:

١- أمانة الجوهري وحرصه على إيراد الصحيح في كتابه، فالألفاظ التي يشكّ في صحتها يُصدرها بـ"يقال" أو "قيل".

٢- يرى البحث أن الجوهري يتردّد في إطلاق الأحكام على الألفاظ التي لم يسمعها عن فصحاء العرب الذين شافهم وروى عنهم في نجد والحجاز والعراق، أو الألفاظ التي لم يسمعها عن شيوخه الذين سمع منهم سماعاً مباشراً. والسؤال الذي يثيره البحث: ما سبب عدم عزو الجوهري للرأي إلى ابن دريد؟ لعل الذي قاده إلى ذلك أمران:

أحدهما: تأثره بأستاذه أبي علي الفارسي وأبي سعيد السيرافي اللذين انتقدا ابن دريد وكتابه الجمهرة (٤)؛ ولذلك يتردّد الجوهري في عزو بعض الآراء

(١) جمهرة اللغة، لابن دريد (٣٨٦/١).

(٢) السابق، (٢٦٦/١).

(٣) السابق، (٥٧/١).

(٤) ينظر: الفارسي، الحسن بن أحمد، المسائل المشكّلة المعروفة بالبغداديات، (مطبعة العاني-بغداد) (٩٦)، وابن جني، أبو الفتح عثمان، بقية الخطايات، (مطبعة الضباع، ١٩٩٢م) ص (٤٥)، والتوحيد، أبو حيان، البصائر والذخائر، (دار

ما تَرَدَّدَ الجَوْهَرِيُّ فِي الحُكْمِ عَلَيْهِ بِالمَوْلَدِ، د. أحمد عواد بن سلامة الشمري

إلى ابن دريد حتى وإن جَزَمَ ابنُ دريد بتوليدها، وقد مرَّ سابقاً أن الجوهري لم يحكم على لفظتي "الحُسابان" و"المطمور" بالتوليد مع أن ابن دريد جزم بتوليدهما.

والآخر: تردَّد ابن دريد نفسه في الحكم على صِحَّة بعض الألفاظ، كقوله: "ولا أُدْرِي ما صِحَّة ذلك" وقوله "ولا أُدْرِي أعجمي هو أم عربي" و"ولا أُدْرِي ما حَقِيقَتُهُ" وغيرها من ألفاظ التشكك والظن^(١).
(عجج) "والعُجَّةُ بالضَّمِّ: هذا الطَّعامُ الذي يُتَّخَذُ مِنَ البَيْضِ، أَظْنُهُ مُوَلَّدًا"^(٢).

تشكك الجوهري في صِحَّة العُجَّة، وسكت عنها البندنيجي^(٣) وابن سيده^(٤) والحسن الصغاني^(٥)، وجزم الفيروز آبادي بتوليدها^(٦) وتبعه الزبيدي وذكر أنها لغة شامية^(٧)، وقال المحيِّي: العامة تسميه "عُوبِنات" وهو الذي عناه القائل:

=

صادر-بيروت، ١٩٨٨م) (٢٠/٩).

(١) ينظر على سبيل التمثيل لا الحصر: جمهرة اللغة، (٥٥/١) و(٨٠/١) و(١٠٢/١) و(١٠٥/١) و(١٥٧/١) و(١٥٩/١) و(١٨٦/١) و(١٨٨/١) و(٢٠٧/١) و(٧٠٩/٢) وغيرها الكثير.

(٢) الصحاح، "عجج"، (٣٢٧/١).

(٣) التقفية في اللغة، (٢٤١).

(٤) المحكم والمحيط الأعظم، "عجج" (٦١/١).

(٥) العباب الزاخر، "عجج" (٢٤٦/٣).

(٦) القاموس المحيط، "عجج" (١٩٧).

(٧) تاج العروس، "عجج" (٩٠/٦).

جاءتْنا بِعُجَّتِها عَجوز لها في القلبِ حِسٌّ أي حِسٌّ^(١)

وهذه اللفظة من الألفاظ التي أوردها ابن دريد في بابين مختلفين، وهما:

١- باب الثنائي الصحيح تحت معكوس الجذر "ج ع ع" وقال في تعريفها: "العُجَّة: ضرب من الطعام، لا أدري ما حدّها"^(٢).

٢- باب الجيم من الثلاثي الصحيح تحت جذر "ج ع هـ" وعرفها كالأتي: "العُجَّة: ضَرْب من الطَّعام عَرَبِيَّة صَحِيحَة ولا أعرف حَقِيقَة وصفها إلا أبا سَمِعْتُ أبا عمران^(٣) الكِلابِي يَقُول: هو دَقِيق يعجن بسمن ثم يُشَوَى"^(٤).

ولم يقف البحث على من قال بتوليد "العُجَّة" قبل الجوهري، ولعل الالتباس وقع في مصطلح ابن دريد الذي قال فيه: "لا أدري ما حدّها" فالذي يظهر أن مراد ابن دريد بمصطلح الحدِّ الوصفُ.

(عرف) قال الجوهري: "وقول الناس: نزلنا عرفة شبيه بمولد، وليس بعربي محض"^(٥).

(١) لم أقف على قائله، وهو في شفاء الغليل (٢٢٠)، وقصد السبيل، (٢٨٥/٢).

(٢) جمهرة اللغة، (٩٠/١).

(٣) في اللسان "عجج" ٣١٩/٢: (أبا عمرو) وهو تحريف انتقل إلى تاج العروس أيضًا "عجج" ٩٠/٦، ويظهر أن صاحب اللسان لما نقل هذه المادة من حواشي المصري، ابن بري "التنبيه والإيضاح" ظنَّ أن المراد هو أبو عمرو الشيباني، وليس كذلك بل المراد أبو عمران الكلابي وهو كذا في أقدم نسخ الجمهرة التي ذكرها فؤاد سركين كنسخة كوبريللي ذات الرقم ١٥٤١ ونسخة بني جامع ذات الرقم ١٥٢٤.

(٤) جمهرة اللغة، (٤٨٦/١).

(٥) الصحاح، عرف" (١٤٠١/٤).

ما تَرَدَّدَ الجَوْهَرِيُّ فِي الحُكْمِ عَلَيْهِ بِالمَوْلَدِ، د. أحمد عواد بن سلامة الشمري

هذا القول للفراء^(١) نقله الجوهرى للاستدلال على استعمال هذا التركيب عند المولدين بقولهم "نزلنا عرفة"، ويظهر أن الجوهرى يُقر برأيه، ويرى أن اللفظة مُولَّدة وتابَع الجوهري في قوله الصغاني^(٢) والبعلي^(٣) والفيروز آبادي^(٤)، وتعقبهم الدماميني؛ لثبوته في الحديث: "الحج عرفة" ولأن دلالتها واحدة فليس ثمة أماكن متعددة كل منها عرفة لتُجمَع على عرفات^(٥).
أما الحديث: "الحج عرفة" فالمراد به اسم الزمان، وهو اليوم التاسع من ذي الحجة؛ فهو هنا للزمان وليس للبقعة، وهو قول البدر العيني والخفاجي والألوسي^(٦).

-
- (١) ذكر الحموي، ياقوت في معجم البلدان (١٠٤/٤) ما نصّه: "قال الفراء: عرفات لا واحد لها بصحة، وقول الناس اليوم يوم عرفة مولد ليس بعربي محض" وفي مطبوعة الصحاح وضع المحقق الأستاذ أحمد العطار نقطة بعد قوله: "بصحة" مما يوهم أن الكلام بعده كلام الجوهرى، ثم علّق عليه في الحاشية.
(٢) العباب الزاخر، الصغاني، "عرف" (٣٥٩/١١)
(٣) البعلي، محمد بن أبي الفتح، المطلع على ألفاظ المقنع، (مكتبة السوادى للتوزيع، ٢٠٠٣م)، (١٣٨).
(٤) القاموس المحيط، "عرف" (٨٣٦).
(٥) الدماميني، محمد بن بدر الدين، تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد، (الطبعة الأولى ١٩٨٣م)، (١٤١/١).
(٦) العيني، بدرى الدين، عمدة القاري في شرح صحيح البخاري، (دار الطباعة المنيرية ودار الفكر)، (٢٥٩/٢) والخفاجي، شهاب الدين، عناية القاضي وكفاية الرازي على تفسير البيضاوي، (دار صادر-بيروت)، (٢٩٠/٢)، والخفاجي، شهاب الدين، شفاء الغليل، (٢١٨-٢١٩)، والألوسي، شهاب الدين محمود بن عبدالله، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ)، (٤٨٣/١).

وذهب ياقوت إلى أن "عرفة وعرفات واحد عند أكثر أهل العلم وليس كما قال بعضهم إن عرفة مؤلّد"^(١)، وقال في موضع آخر: "عَرَفَات بالتحريك وهو واحد في لفظ الجمع"^(٢).

والعبارة التي ساقها الجوهري - رحمه الله - عن الفراء مخالفة لما حكاه ياقوت عن الفراء في معجمه حيث قال ياقوت: "وقال الفراء: عرفات لا واحد لها بصحّة، وقول الناس: اليوم يومٌ عرفة مؤلّد وليس بعربي محض"^(٣) ووجه الخلاف بين الروایتين كالآتي:

- رواية الجوهري عن الفراء جاءت للدلالة على أن الحكم بتوليد اللفظة لدلالاتها على المكان؛ ولهذا قال: "نزلنا"^(٤)، لذا فإن الرواية التي ساقها ياقوت عن الفراء لا توليد فيها؛ لدلالة عرفة على الزمان، والفراء لم يشير إلى أن اسم الزمان مؤلّد لقوله: "ويوم عرفة لا تدخل فيه الألف والسلام، لا تقول: العرفة"^(٥).

- رواية الجوهري عن الفراء تدل على أن الفراء تردّد فيها بدليل قوله: "شبيه بمولّد" وهذا بخلاف رواية ياقوت عنه.

ومراد الفراء والجوهري ومن تابعهم بالشبيه بالمؤلّد هو لفظة "عَرَفَة" التي أطلقها المولّدون على اسم البُقعة، ووجه التوليد فيها أنها استعملت مُفردةً لا مجموعةً للدلالة على ذلك المكان، وهناك سؤال مفاده: هل عرفات اسم مشتق أم مرتجل؟

(١) الحموي، ياقوت، معجم البلدان، (دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م)، (١٠٤/٤).

(٢) المرجع السابق، (١٠٤/٤).

(٣) المرجع السابق.

(٤) وقد أشار إلى ذلك الخفاجي، شهاب الدين، شفاء الغليل، (٢١٨).

(٥) الفراء، يحيى بن زياد، الأيام والليالي والشهور، (٧٩).

ما تَرَدَّدَ الجَوْهَرِيُّ فِي الحُكْمِ عَلَيْهِ بِالمُولَّدِ، د. أحمد عواد بن سلامة الشمري

ذكر السمين الحلبي الخلاف فيها، فالزحششري يرى أن اللفظ مرتبط لموضع واحد^(١) وقال غيره: إنه مشتق واختلف في اشتقاقه على أوجه كثيرة ذكرها الرازي^(٢).

وبناء على ما سبق ذكره فإن لفظة "عَرَفَة" في رأي مَنْ قال بتوليدها تحتمل وجهين:

الأول: إن كانت "عَرَفَات" اسم البقعة لفظ مرتبط وليس مشتقاً، فإن قولهم: "نزلنا عرفة" من باب التوليد بالاشتقاق، فهو توليد شكلي؛ لأن الاشتقاق المرتجل يدخل في معنى المُولَّدِ^(٣) فـ"عَرَفَات" الدالة على المكان لفظ مرتبط، والمولدون اشتقوا منه اسماً مفرداً للدلالة على ذلك المكان، ويقوي ذلك قول ابن عاشور: "والذي يظهر أن أحد الاسمين أصل والآخر طارئ عليه وأن الأصل (عرفات) من العربية القديمة وأن عرفة تخفيف جرى على الألسنة"^(٤).

الثاني: أن "عَرَفَة" اسمٌ جاء للدلالة على الزمان وهو اليوم التاسع من ذي الحِجَّة؛ للدلالة الحديث "الحج عرفة" عليه، ثم نقل المولدون دلالة ذلك الاسم ليدلّ على المكان أيضاً، فقالوا: "نزلنا عَرَفَة"، فالتغيير الحاصل هنا في مجال استعمال الكلمة، وقد ذكر الجوهري الوجهين، فقال: "هذا يومٌ عرفة غير منون"^(٥) وهذا هو أصل استعمالها، ثم ذكر المعنى المُولَّد كما مر، فالتوليد

(١) الحلبي، السمين، الدر المصون، (٢/٣٣٠).

(٢) الرازي، محمد بن عمر، مفاتيح الغيب، (دار إحياء التراث، بيروت ١٤٢٠) ص

(٣٢٥/٥). وينظر: الحلبي، السمين، الدر المصون، (٢/٣٣٠-٣٣١)

(٣) عكاشة، محمود، البناء الصرفي في الخطاب المعاصر، (الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، ٢٠٠٩م) (٤٤).

(٤) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، (٢/٢٣٩).

(٥) الصحاح، "عرف" (٤/١٤٠١).

الحاصل هنا توليد دلاليّ.

(فسر) قال الجوهري: "والْفَسْرُ: نَظَرُ الطَّبِيبِ إِلَى المَاءِ، وكذلك التَّفْسِيرَةُ، وَأَظْنُهُ مُؤَلَّدًا"^(١).

ذكر الخليل والأزهري وابن فارس وابن سيده والزمخشري التَّفْسِيرَةَ ولم يشيروا إلى توليدها^(٢)، وتشكَّك الصغاني في صِحَّتِها بدليل قوله: "وقيل: مُؤَلَّدَةٌ"^(٣) وجزم الفيروز آبادي والمحيي بتوليدها^(٤) وقول الزبيدي: "التَّفْسِيرَةُ، مُؤَلَّدَةٌ، قَالَه الجَوْهَرِيُّ"^(٥) ليس دقيقًا؛ لأن الجوهري لم يجزم بتوليدها. واختلف في دلالة هذه اللفظة، فصنَّاع المعاجم ذهبوا إلى أنه اسم للبول ينظر فيه الأطباء، وفسَّرها الراغب الأصفهاني والكفوي بالقارورة التي تعرض على الطَّبِيبِ يكون فيها البول^(٦) وتُسمَّى دليلًا أيضًا كما ذكر البستاني^(٧). والعجيب أن الشهاب الخفاجي لم يردفها في "الشِّفاء" مع الألفاظ المؤلَّدة، والأقرب أن اللفظة مؤلَّدة وليست عربية أصيلة.

(١) الصحاح، "فسر" (٧٨١/٢).

(٢) العين، (٢٤٨/٧)، وتحذيب اللغة، (٢٨٣/١٢)، ومجمل اللغة، "فسر" (٧٢١/١)، ومقاييس اللغة، "فسر" (٥٠٤/٤)، والمحكم والمحيط الأعظم، "فسر" (٤٨٠/٨) - (٤٨١)، وأساس البلاغة، "فسر" (٢٢/٢).

(٣) العباب الزاخر، "فسر" (٢٦٢/٦).

(٤) القاموس المحيط، "فسر" (٤٥٦).

(٥) تاج العروس، "فسر" (٣٢٣/١٣)، وقصد السبيل، (٣٣٧/٢).

(٦) ينظر: الأصفهاني، الحسين بن محمد، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، (شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، ١٤٢٠م) ص (٣٩٣/٢)، والكفوي، أيوب بن موسى، الكليات، (مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٩٩٨م) (٥١١).

(٧) البستاني، بطرس، محيط المحيط، (مكتبة لبنان، بيروت، طبعة جديدة، ١٩٨٧م) "فسر" (٦٨٩).

ما تَرَدَّدَ الجَوْهَرِيُّ فِي الحُكْمِ عَلَيْهِ بِالمَوْلَدِ، د. أحمد عواد بن سلامة الشمري

(قصف) قال الجوهرى: "والقصف: اللهو واللعب، يُقال: إنها مُولَّدةٌ"^(١).

ذكر الخليل والأزهري وابن عبَّاد وابن سيده والزخشي القصفَ بمعنى: اللهو واللعب ولم يذكروا شيئاً عن صِحَّتِها^(٢) ولم ينصَّ ابن دريد إلى أنها مُولَّدةٌ وصريح عبارته: "فَلَا أَحْسَبُهُ عَرَبِيًّا صَحِيحًا"^(٣) وتبعه ابن فارس والصغاني^(٤) وتردَّد صاحب اللسان-على غير عادته- في عزوها إلى الجوهرى مع أنه أحد مصادره الخمسة^(٥).

وعبارة الفيروز آبادي صريحة القول بأن اللفظة دخيلةٌ وليست عربيَّةً^(٦) واعترض عليه ابن الطيب الفاسي، حيث قال: "قلت: سيذكره آخر المادة فيقول: التَّقْصُفُ: الاجْتِمَاعُ واللَّهْوُ واللَّعِبُ عَلَى الطَّعَامِ فَيُظْهَرُ لَكَ تَنَاقُضُ كَلَامِهِ واخْتِلَالُ نِظَامِهِ"^(٧).

ولم يقف البحث-بعد طول تتبُّع-على المَعْنَى بقول الجوهرى، ويرى البحث أن المعنى هو ابن دريد^(٨).

أما الخفاجي في الشفاء فيرى أن المولدين استعملوها؛ بدليل ورودها في

(١) الصحاح، "قصف" (١٤١٦/٤).

(٢) العين، (٦٦/٥)، وتهذيب اللغة، (٢٩٠/٨)، والمحيط في اللغة، (٤٤٥/١)، والمحكم والمحيط الأعظم، "قصف" (٢١٠/٦)، وأساس البلاغة، "قصف" (٨٤/٢).

(٣) جمهرة اللغة، (٨٩١/٢).

(٤) مجمل اللغة، "قصف" (٧٥٥/١)، والعباب الزاخر، "قصف" (٤١٦/١١).

(٥) لسان العرب، "قصف" (٢٨٣/٩).

(٦) القاموس المحيط، "قصف" (٨٤٥).

(٧) الفاسي، ابن الطيب، إضاءة الراموس وإضافة الناموس على إضاءة القاموس، (نسخة خطية محفوظة بمكتبة راغب باشا برقم: ١٤١٨)، "قصف" (٢٩١/٢-ب).

(٨) جمهرة اللغة، (٨٩١/٢).

أشعارهم^(١).

ويظهر أن الكلمة وُلدت توليداً دلاليّاً أو صوتيّاً، فأما التوليد الدلالي فطريقه أن الكلمة انتقلت من دلالتها الحسيّة التي هي بمعنى الكسّر إلى الدلالة المعنويّة التي هي بمعنى اللعب واللهو؛ ويؤيده ما ذكره الراغب عن انتقال دلالة الكلمة بقوله: "ورعد قاصفٌ: في صوته تكسّر، ومنه قيل لصوت المعازف: قَصْفٌ، ويتجوّز به في كلّ لهو"^(٢).

وأما التوليد الصوتي فطريقه أن الكلمة قُلبت عن "القُفص" والقُفص: قرية شهيرة بين بغداد وعكبرا كانت من مواطن اللهو ومعاهد النزّه ومجالس الفرح، تنسب إليها الخمور الجيدة والحانات الكثيرة^(٣).

(لبن) قال الجوهري: "والمُلبّن بالتشديد: القلاتج، وأظنه مؤلّداً"^(٤).

لم يقف البحث على ذكر اللفظة "المُلبّن" عند صنّاع المعاجم قبل الجوهري، وهي من الألفاظ التي ذكرها ابن بطوطة أثناء رحلته للشام حيث قال عند حديثه عن الدّيس: "وتصنع منه الحلواء ويجعل فيها الفستق واللوز، ويُسمّون حلواءه بالمُلبّن ويُسمّونها أيضاً بجلد الفرس"^(٥).

وذهب ابن الحشّاء إلى أن الجوهري فسّر مجهولاً بأغمض منه [يُرِيد أنه

(١) شفاء الغليل، للخفاجي، (٢٣٦).

(٢) الأصفهاني، الراغب، المفردات في غريب القرآن، (دار القلم-دمشق، ٢٠٠٩م)، ص (٦٧٣/١)، والزبيدي، تاج العروس "مرجع سابق"، "قصف" (٢٦٢/٢٤).

(٣) الحموي، ياقوت، معجم البلدان، (دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م)، (٣٨٣/٤).

(٤) الصحاح، "لبن" (٢١٩٢/٦).

(٥) ابن بطوطة، محمد بن عبدالله، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار=رحلة ابن بطوطة، (مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية-الرباط، ١٩٩٧م)، (٢٩٥/١).

ما تَرَدَّدَ الجَوْهَرِيُّ فِي الحُكْمِ عَلَيْهِ بِالمَوْلَدِ، د. أحمد عواد بن سلامة الشمري

فسر المُلَبَّنَ المجهول بالفلاتج]، ونَقَلَ ابن الحشَّاء رواية عن ابن رضوان أن "المُلَبَّنَ" يُتَّخَذُ من عصير العنب والدقيق^(١)، وفي مخطوط جامع التعريب للبشبيشي: "المُلَبَّنُ: قال الخوارزمي هي الفراتج^(٢) وهي فارسية مُعَرَّبَةٌ"^(٣). وذكر الكرملي أن هذه اللفظة من تفرُّدات الجوهرى التي لم يذكرها أصحاب المعاجم المتأخرة كاللسان والقاموس والأقيانوس وتاج العروس^(٤). ولم يقف البحث على ذكرٍ لهذه اللفظة عند الجواليقي والخفاجي والمحيبي. ويلاحظ أن لفظة "المُلَبَّنَ" وُلِّدَت توليدًا شكليًّا بالاشتقاق من الجذر (لبن)؛ لأنها تجيء على شكل قطع اللبن^(٥)، والبحث يوافق الجوهرى في قوله، ويرى بأن اللفظة مولدة شامية^(٦).

-
- (١) ابن الحشَّاء، أحمد بن محمد، مفيد العلوم ومبيد الهموم (المطبعة الاقتصادية، الرباط-المغرب، ١٩٤١م)، (٧٥).
- (٢) كذا في المخطوط، ولعلها تحريف. وذكر آدي شير في الألفاظ الفارسية المعربة (١٢٠): الفلاتج: كعك يعمل من الحليب والجوز وغير ذلك تعريب فلاته.
- (٣) البشبيشي، جمال الدين، جامع التعريب بالطريق القريب لجمال الدين البشبيشي، (نسخة خطية بمكتبة نور عثمانية بتركيا، ورقمها: ٤/٤٨٨٤)، (١٨٦-أ).
- (٤) الكرملي، أنستاس ماري، أغلاط اللغويين الأقدمين، (طبع في بغداد بمطبعة الأيتام، ١٩٣٣م)، ص (١٦٥).
- (٥) ابن بطوطة، تحفة النظار، "مرجع سابق"، ح (١٥٢) ص (٢٩٥/١).
- (٦) الحموي، ياقوت، معجم البلدان، "مرجع سابق"، (٢٤٩/٤).

المبحث الرابع: التعبير بأسلوب الشك والاحتمال

(طنز) قال الجوهري: "الطَّنَزُ: السُّخْرِيَّةُ. وَطَنَزَ يَطْنُزُ فَهُوَ طَنَّازٌ، وَأُظْنَهُ مَوْلَدًا أَوْ مُعَرَّبًا"^(١).

تردد الجوهري في كلمة "الطَّنَزِ" فلم يقطع بتعريفها أو توليدها ونصّ ابن دريد في الجمهرة على "أنها ليست من كلام العرب"^(٢)، وذكر الصغاني رواية عن الليث: "الطَّنَزُ: كَلَامٌ يُشْبِهُ السُّخْرِيَّةَ، يُقَالُ: طَنَزَ بِهِ يَطْنُزُ بِالضَّمِّ إِذَا كَلَّمَهُ بِكَلَامٍ غَيْرِ جَيِّدٍ شَبِهَ الاسْتِهْزَاءَ، وَهُوَ دَخِيلٌ لَيْسَ بِعَرَبِيَّةٍ مَخْصَّةٍ"^(٣) ولم أقف عليه في مطبوعة العين.

وهي في جملة المسكوت عنه عند خاله الفارابي والأزهري وابن عبّاد^(٤) والعجيب أن الفيروز آبادي سكت عنها ولم يجزم بتوليدها أو تعريفها^(٥)، ويلحظ البحث أن الفيروز آبادي في قاموسه يميل إلى الجزم بتوليد الألفاظ عندما يتردد الجوهري في الحكم عليها ويصدرها بعبارة الظن بقوله: "أظنه مولدًا" إلا في كلمة واحدة وهي "المُلبَّن"، ويتوقف الفيروز آبادي عن إيراد الحكم على الألفاظ عندما يتردد الجوهري بين التوليد والتعريف.

ولفظة "الطَّنَزِ" مختلف فيها بين اللغويين على أقوال هي كالآتي:
القول الأول: يرى أن اللفظة مُعَرَّبَةٌ، وهو ظاهر كلام ابن دريد كما مرّ،

(١) الصحاح، "طنز" (١٨٣/٣).

(٢) جمهرة اللغة، (٨١٤/٢).

(٣) العباب الزاخر، "طنز" (٩٩/٧).

(٤) ديوان الأدب، (١١٤/٢)، وتهذيب اللغة، (١٢٥/١٣)، والمحيط في اللغة، (٢٩٢/٢).

(٥) القاموس المحيط، "طنز" (٥١٥).

ما تَرَدَّدَ الجَوْهَرِيُّ فِي الحُكْمِ عَلَيْهِ بِالمُؤَلَّدِ، د. أحمد عواد بن سلامة الشمري

وصرَّحَ نشوان الحميري بتعريبها^(١).

القول الثاني: يرى أنها دخيلة، وهو قول الخليل كما مرَّ، والزبيدي^(٢)، والسرقسطي^(٣)، والبشبيشي^(٤).

القول الثالث: يرى أنها مُؤَلَّدَة، وهو قول القنوجي^(٥).

ولا يلائم الجوهرى في تردُّده في الحكم على الكلمة سواءً بالتعريب أو التوليد؛ ذلك أن الأصوات الأسنانية اللثوية وهي (الطاء، والتاء، والسين، والزاي، والبدال، والصاد) إذا ائتلف منها حرفان في كلمة كانت من قبيل المعرَّب أو المُؤَلَّد حسب استقراء أحد الباحثين^(٦).

وذكر استينجاس في معجمه: "الطنز: In joke. Jeeringly. tanz-an: Ironi-cally" وهي بهذا المعنى فارسيَّة معرَّبة^(٧).

(١) الحميري، نشوان، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، (دار الفكر المعاصر، بيروت-لبنان، دار الفكر، دمشق-سورية، ١٩٩٩م)، (٤١٦٥/٧).

(٢) الزبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن، مختصر العين، (رسالة ماجستير، تحقيق: محمد بن سلمان الرحيلي) (٤٤٥/٢).

(٣) السرقسطي، سعيد بن محمد، الأفعال، (الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٧٥م)، (٢٦٩/٣).

(٤) البشبيشي، جمال الدين، جامع التعريب بالطريق القريب، "مرجع سابق" (٨٠-ب).

(٥) صديق خان، محمد حسن، البلغة إلى أصول اللغة، (طبع في الجوائب في القسطنطينية، ١٢٩٦هـ)، (٥١).

(٦) المساعفة، خالد، ائتلاف الصوامت في بنية الكلمة العربية، (مجلة الدراسات اللغوية بمركز الملك فيصل)، المجلد (١٨) العدد (٢) ص (٢١٣).

(٧) استينجاس، المعجم الفارسي الانجليزي = معجم استينجاس، (نشرة لندن، ١٩٦٣م)، (٨٢٠).

(ميش) قال الجوهري: "والمائشُ حَبٌّ، وهو مُعَرَّبٌ أو مُؤَلَّدٌ"^(١). ذكر الخليل الماش رواية عن الضَّرير أنها حب كالعَدَس إلا أنها أشدَّ استدارة منه، وشرحها في حرف الجيم من المضاعف "مَجَّ"^(٢) وقال الأزهري العرب تُسمِّيها: الخُلزُ والزَّين^(٣). وروى ابن سيده عن أبي حنيفة الدينوري أنه أعجميٌّ ولم يُجَلِّه^(٤)، وفي العباب "الماش: هذا الحب المعروف"^(٥) ولم يشر إلى تعريبها أو توليدها، وقد ذكر الخوارزمي أن من أمثال المولدين قولهم: "فلانٌ يخلط المائشَ بالدَّرْمائش"^(٦). وقد تردَّد الجوالقي في الحكم عليها تبعًا للجوهري^(٧) وعبارة الخفاجي التي قال فيها: "معرب عن الجوهري" غير دقيقة؛ لأن الجوهري لم يجزم بتعريبها^(٨) وقد تكون ساقطة؛ لأن المحي أوردتها كما في الصحاح^(٩) وغير خاف أن المحي ينقل عبارات الخفاجي بنصها. والجوهري أورد الكلمة في الأجوف اليائي خلافا للصغاني والفيومي وتبعهما الزبيدي^(١٠).

(١) الصحاح، "ميش" (١٠٢٠/٣).

(٢) العين، (٢٩/٦).

(٣) تهذيب اللغة، (٢٧٨/١٠).

(٤) ابن سيده، علي بن إسماعيل، المخصص، (١٨٧/٣).

(٥) العباب الزاخر، "موش" (١٦٠/٨).

(٦) الخوارزمي، محمد بن عباس، الأمثال المولدة، (المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٤٢٤هـ)، (١٧٠).

(٧) المعرب من الكلام الأعجمي "مرجع سابق"، (٦٠١).

(٨) شفاء الغليل، (٢٧٤).

(٩) قصد السبيل، (٤٣٣/٢).

(١٠) ينظر على الترتيب: العباب الزاخر، "موش" (١٦٠/٨)، والمصباح المنير، "موش"

=

ما تَرَدَّدَ الجَوْهَرِيُّ فِي الحُكْمِ عَلَيْهِ بِالمَوْلَدِ، د. أحمد عواد بن سلامة الشمري

والعجيب أن الجوهري ذكرها في موضعين من صحاحه فأوردها في جذر "مجح" وحكم بأنها مُعَرَّبَةٌ عن الفارسية وتعريبها "ماش" (١) ثم أعاد ذكرها في "ميش" وتردد فيها.

وذهب آدي شير أن الكلمة معرّبة عن الفارسية (٢) وهي بذلك معرّبة لفظاً ومعنى، وذكر ف. عبد الرحيم أنها فارسية وفارسيته "ماش" وأصلها من السنسكريتية "ماشك" (٣)، وقولهما أقرب للصحة.

=

(٢/٥٨٥)، وتاج العروس، "موش" (١٧/٣٩٢).

(١) الصحاح "مجح" (١/٣٤٠).

(٢) الألفاظ الفارسية المعرّبة، (١٤٣).

(٣) المعرب من الكلام الأعجمي، (٦٠١).

المبحث الخامس: تأثير الجوهري في أحكامه

ظاهرة التردد لم تكن بدعاً من الجوهري، وليست مقصورةً على صحاحه، فقد سبقه جمعٌ من المعجميين العرب يأتي في مقدمتهم الخليل في معجمه العين حيث قال في مادة (همق): "الهُمَّقَاتُ، واحدها: همقاة بوزن فُعْلالة ولا أظنه إلا دخيلاً من كلام العَجَم" (١).

أما معجم جمهرة اللغة لابن دريد فقد نال حظاً موفوراً من ظاهرة التردد؛ لأن فيه ما يزيد عن "أربعمئة كلمة أو دلالة شكّ فيها ابن دريد وأبقاها في معجمه، وليس لها مصدر قبله" (٢) ومن ذلك تردده في الحكم على الألفاظ بالتوليد كقوله: "والكباسة: العذق وربما سمي هذا الذي يقع على النَّائم الكابوس وأحسبه مُؤَلِّداً" (٣).

ويروي لنا ابن عباد عن الخارزنجي البشتي صاحب "تكملة العين" أنه تردد في بعض المرويات اللغوية ومنها رواية المثل "لا تُكُنْ حُلُواً فَتُسْتَرْطَ ولا مُرّاً فَتُعْقِي" حيث ذَكَرَ رواية ابن السكّيت وأبي عبيد ثم قال: "ولا أدري أيقال أَعْقَيْتُهُ لَفَظْتُهُ لِمَرَارَاتِهِ أو عَقَيْتُهُ" (٤).

وقد تردد ابنُ عباد أيضاً برواية الخارزنجي التي رواها على القُلب عند تفسيره للفظه "حِطَج" التي تُقال للعُنز إذا استعصت عند الحلب حيث قال:

(١) العين، للخليل، (٣/٣٧٢).

(٢) الصاعدي، عبدالرزاق بن فراج، فوائت المعاجم، (الدار العصرية، جدة، الطبعة الأولى ٢٠١٦م)، (١/١١٨).

(٣) جمهرة اللغة، لابن دريد، (١/٣٣٩). وغيرها الكثير.

(٤) الصاحب، إسماعيل بن عباد، المحيط في اللغة، (عالم الكتب: بيروت ١٩٩٤م)، (٢/٨٤).

ما تَرَدَّدَ الجَوْهَرِيُّ فِي الحُكْمِ عَلَيْهِ بِالمَوْلَدِ، د. أحمد عواد بن سلامة الشمري

"وَحَكَاهُ الحَازِرُجِيُّ: حِطْحُ، بِتَقْدِيمِ الجِيمِ، وَلَا أُدْرِي أَيُّهُمَا أَصَحُّ"^(١).
وحكى أبو علي القالي عن الخليل قوله: " تقول العُجْهُوم طائر من طير
الماء كأن منقاره جَلْمُ الخياط " ثم قال: " ولا أدري ما صِحَّتُهُ"^(٢) وأورد الأزهرِيُّ
هذه الرواية منسوبة لابن الأعرابي^(٣).

ولم يكن الأزهرري في "تهذيبه" بمنأى عن من سبقوه، فقد تشكك في
صِحَّة كثير من الألفاظ التي رُويت عن أئمة اللغة قبله وعارضت سماعته عن
العرب، ومن ذلك قوله عند تفسيره للفظه "الكَشْمَخَة" التي رواها الليث حيث
قال: " قلتُ: قد أقمْتُ في رمال بني سعدٍ دَهْرًا، فما رأيتُ بها كَشْمَخَةً وَلَا
سمعتُ بها وأحسبُها نَبْطِيَّةً وَمَا أَرَاهَا عَرَبِيَّةً"^(٤) وقال عند إيرادهِ للغنج "قلت:
قاله ابنُ الأعرابيِّ وغيره بالعين، ولم أسمعهُ بالعينِ من أحدٍ يُرجع إلى علمه، ولا
أدري ما صِحَّتُهُ"^(٥) وروى رواية عن الليث عند تفسيره لكلمة "البرَّادة" وتعقبه
بقوله: " قلتُ: ولا أدري أهي من كلام العَرَبِ أو من كلام المَوْلَدِين"^(٦).

وقد بنى ابن فارس نظرية "المعنى المحوري" أو "التأصيل الاشتقائي" في
المقاييس على أصول تفرّعت عنها فروعٌ كما ذكر، وجعل ابن فارس من موانع
تحقق نظرية المعنى المحوري الألفاظ التي يشكُّ في صحتها أو تكون محدثة^(٧)

(١) المرجع السابق، (٣٩٥/٢).

(٢) القالي، أبو علي، البارع في اللغة، (مكتبة النهضة بغداد - دار الحضارة العربية بيروت
١٩٧٥م)، (١٧٦).

(٣) تهذيب اللغة، (١٧٠/٣).

(٤) تهذيب اللغة، (٢٥٨/٧).

(٥) المصدر السابق، (٢٤٣/١).

(٦) السابق (٧٧/١٤).

(٧) الحمزي، عارف بن محمد، نظرية أصول المعاني في مقاييس اللغة لابن فارس، (عمادة
البحث العلمي - الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ٢٠١٦م)، (٣٦١-٣٦٢).

ليست في اللغة القديمة أو الأصيلة كما نصّ، ومن ذلك قوله: " فأما تسميتهم العَقَارَ ضَيْعَةً فما أَحْسَبُهَا من اللغة الأصيلية، وأظنه من مُحَدَّث الكلام" (١) وقوله: " فأما قولهم: شَكَلْتُ الْكِتَابَ أَشْكُلُهُ شَكْلًا، إذا قَيَّدْتَهُ بعلامات الإعراب فلستُ أَحْسِبُهُ من كلام العَرَبِ العارِبة" (٢).

والتساؤل الذي يطرح هنا هل تأثر الجوهري بمنهج من سبقه في التردد والحكم على الألفاظ بالتوليد؟

والجواب عن ذلك: أن الجوهري تأثر في حكمه على الألفاظ بمن سبقه من اللغويين وتفرد في الحكم على بعض الألفاظ التي لم أقف عليها في كتب اللغة قبله؛ وبذلك فقد اعتمد الجوهري على أمرين في إطلاق أحكامه، وهما:

١- سماعته التي دَوَّنَهَا في معجمه ومنها: سماعته عن أبي الغوث الأعرابي، وسماعته من أهل البادية، وسماعته عن قبائل العرب كبنو سليم وبنو تميم، وسماعته عن شيوخه، وتارة يُصَرِّحُ باسم مَنْ سَمِعَ مِنْهُ كقوله: " وعجيز أنبجان، وهذا الحرف في بعض الكتب بالخاء معجمة، وسماعي بالجيم عن أبي سعيد وأبي الغوث وغيرهما" (٣) وأخرى بلا تصريح كقوله: " البَصْع: الجمع، سَمِعْتُهُ من بعض النحويين ولا أدري ما صحته" (٤) وقوله: " وحبزٌ مُصَمَّغٌ... وهذا الحرف لا أدري ممن سمعته" (٥).

٢- المصادر التي سبقته.

وسيعرض البحث في الجدول التالي الألفاظ والأساليب التي تردد فيها

(١) القزويني، أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، (٣/٣٨٠).

(٢) السابق، (٣/٢٠٥).

(٣) الصحاح، "نبج" (١/٣٤٣).

(٤) السابق، "بضع"، (٣/١١٨٦).

(٥) السابق، "صمغ" (٤/١٣٢٣).

ما تَرَدَّدَ الجَوْهَرِيُّ فِي الحُكْمِ عَلَيْهِ بِالمُولَدِ، د. أحمد عواد بن سلامة الشمري

الجوهري موازناً بينها وبين المعاجم المؤلفة قبله^(١):

ألفاظ وأسايب التردد	العين للخليل	الجيم لأبي عمرو	البارع لأبي علي القالي	جمهرة اللغة	المنتخب لكراع	ديوان الأدب للفارابي	الحيط في اللغة	تحذيب اللغة للأزهري
الأتون	س	هـ	هـ	تر	هـ	س	س	س
البرجاس	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	س	س
التاسوعاء				هـ				
الطَّرَش	س	هـ	هـ	م	هـ	هـ	س	س
العُجَّة	هـ	هـ	هـ	ف	هـ	هـ	هـ	هـ
نزلنا عرفة				هـ				
الْفَسْرُ والتَّفْسِرَة	س	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	س
المُلبَّن				هـ				
القَصْفُ	س	هـ	هـ	تر	هـ	هـ	س	س
طنز مطبوعة العين	هـ في مطبوعة العين	هـ	هـ	م	هـ	س	س	س
الماش	س	هـ	س	هـ	هـ	س	س	س

*الرموز: "ع" ← معرب، "م" ← مولد، "د" ← دخيل، "ف" ← فصيح، "س" ← مسكوت عنه، "تر" ← تردد في صحته، "هـ" ← إهمال الدلالة.

١- يمكن القول إن الجوهري وقف على عدة مصادر معجمية ومنها:

العين، وجمهرة اللغة، وقد صرح باسم الخليل وابن دريد.

٢- يرى البحث أن الجوهري تأثر في معجم الجمهرة وذلك في (٤)

(١) انتخبت منها ثمانية.

ألفاظ من أصل (١١) لفظاً، وهي: (الأتون، والطرش، والقصف، والطنز) ولم يقف البحث على من شك بصحة هذه الألفاظ قبل الجوهري إلا ابن دريد في معجمه "جمهرة اللغة"، ولم يُصرح الجوهري بالنقل عن ابن دريد في المواضع الأربعة السابقة، وأبهم العبارة بقوله: "يقال هو مولد" وجاءت في (٣) ألفاظ وهي: "الأتون-الطرش-القصف"، وعبر بأسلوب الظن في موضع واحد وهو "الطنز" ويمكن توضيحها بالجدول الآتي:

اللفظ والأسلوب	عبارة الصحاح	عبارة جمهرة اللغة
الأتون	والأْتُونُ، بالتشديد: هذا الموقد، والعائَةُ تُخْفِقُهُ، والجمعُ الأَتَاتِينُ، ويقال: هو مولد. (الصحاح "أتن" ٢٠٦٧/٥)	فأما الأتون الذي يُعمل فيه الآجِرُ أو الخزف فلا أدري ما صحته في العَرَبِيَّةِ، (الجمهرة ١٠٣٣/٢).
الطرش	الطَرَشُ: أَهْوُنُ الصَّمَمِ، يُقَالُ هو مَوْلَدٌ (الصحاح "طرش" ١٠٠٩/٣)	والطَرَشُ لَيْسَ بعربي مُحَضَّ، بل هُوَ من كَلَامِ المولدين، وَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الصَّمَمِ عندهم. (الجمهرة ٧٢٦/٢)
القصف	والقَصْفُ: اللهُو واللَّعِبُ، يُقَالُ: إنها مَوْلَدَةٌ. (الصحاح "قصف" ١٤١٦/٤)	فأما القصف من اللهُو فلا أحسبه عَرَبِيًّا صَحِيحًا. (جمهرة اللغة "٨٩١/٢").
الطنز	وطَنَزَ يَطْنُزُ فهو طَنَازٌ، وأظنه مولدًا أو مُعَرَّبًا. (الصحاح "طنز" ٨٨٣/٣)	فأما الطنز فليس من كلام العرب. (جمهرة اللغة ٨١٤/٢)

ويلحظ البحث أن الجوهري حكى القول في (٣) ألفاظ حاكياً القول بتوليدها؛ وبالنظر إلى عبارات ابن دريد التي قال فيها "فلا أدري ما صحته- ليس بعربي محض- فلا أحسبه عربياً" يرى البحث أن ابن دريد تردد في لفظتين وهما: الأتون والقصف، وحكم على الطرش بأنها مولدة؛ فإن كان المعنى بحكاية

ما تَرَدَّدَ الجَوْهَرِيُّ فِي الحُكْمِ عَلَيْهِ بِالمَوْلَدِ، د. أحمد عواد بن سلامة الشمري

القول التي أوردها الجوهري هو ابن دُرَيْدٍ-وهو ما يقره البحث- فحكاية القول غير مطابقة لما ورد في الجمهرة.

أما لفظة "الطنز" فقال فيها ابن دريد "ليس من كلام العرب" ولذا تردّد فيها الجوهري؛ لكونها حمالة لوجهين وهما:
أ- أن تكون من كلام المولّدين.

ب- من كلام العجم.

٣-أورد الجوهري لفظة التأسوعاء ولعله وقف على "نسخة أبي بكر الزبيدي" من كتاب العين للخليل فقد وردت في مختصر العين^(١) وفي استدراك الغلط^(٢) ولم أقف عليه في نسخة العين المطبوعة وفي مختصري الخوافي والإسكافي.

٤-صرّح الجوهري بالتقل عن الفراء في قولهم: "نزلنا عرفة" وهو أحد مصادره في الحكم على الألفاظ بالتوليد^(٣)، والجوهري متابع للفراء في تردده بقوله: "شبيه بمولّد".

٥-تردّد الجوهري في كلمة "الماش" بين التعريب والتوليد؛ ولذلك أوردها في مادّتين كما مرّ، ويستظهر البحث أن الجوهري تأثر بأبي حنيفة الدينوري في كتابه "النبات" وهو أحد مصادره التي عاد إليها ونقل منها^(٤) ومن ذلك لفظة

(١) الزبيدي، أبو بكر، مختصر العين، (رسالة ماجستير بتحقيق: عبدالعزيز الحميد) (١٣٢).

(٢) الزبيدي، أبو بكر، استدراك الغلط الواقع في كتاب العين، (٥٥).

(٣) ومن ذلك أيضا قول الجوهري: "قال الفراء: هذا كلام العرب، والمولّدون يقولون شَمَعٌ بالتسكين" الصحاح، "شمع" (١٢٣٨/٣).

(٤) ومن ذلك قول الجوهري في الصحاح "سبع" (١٤٩٦/٤): "السَّنْبَقُ: نبتٌ خبيث الريح، عن أبي حنيفة" وقد وردت بنصّها فيما تبقى من كتاب الدينوري، أبو حنيفة

=

"الماش" التي نصّ ابن سيده على أنها أعجميّة عند أبي حنيفة^(١).
٦- تردد الجوهري في كلمة "العُجَّة" للطعام الذي يُتخذ من البَيْض وظنّ أنها مُولّدة^(٢) مع أن ابن دريد في الجمهرة نصّ على أنها عربيّة صحيحة^(٣) ولم يقف البحث على من قال بتوليدها أو تشكّك في صحتها قبل الجوهري، ويميل البحث إلى القول إن تكرارها في جذرين مختلفين في معجم الجمهرة أوقع الجوهري في الشكّ في صحتها أو أنه لم يطلع على الموضوع المكرور في معجم الجمهرة.
٧- هناك ألفاظ تردّد الجوهري في الحكم عليها بالتوليد وصدرها بعبارة الظنّ بقوله: "وأظنه مُولّداً" وهي: "الفسر والتّفسرة" و"البرجاس" و"المُلبّن" ولم يقف البحث على من قال بتوليدها قبل الجوهري سواء في المعاجم أو كتب اللغة التي سبقته، ويرى البحث أنها من آرائه وتحليلاته التي تفرّد بها.

=

- النبات في باب الروائح الطيبة والمنتنة (٢٢٣/٣).
(١) ابن سيده، علي بن إسماعيل، المخصص، (١٨٧/٣).
(٢) الصحاح "مصدر سابق" "عجج" (٣٢٧/١).
(٣) ابن دريد، أبو بكر محمد، جمهرة اللغة، (٤٨٦/١).

الخاتمة:

توصل البحث إلى نتائج عدة وكان من أبرزها:

١- فَرَّقَ الجَوْهَرِيُّ بَيْنَ مَفْهُومِ المُولَّدِ والمَعْرَبِ، فالمولد عنده عربيٌّ ولكنه ليس محضًا، والمعرَّب عنده أعجميٌّ ولكن العرب أخضعته لأقيستها وقوانين كلامها.

٣- لم يحدِّد الجوهري في معجمه ضوابط وأسس للمولَّد، ويمكن أن يستشف من النصوص المولدة التي أوردها أن المولد عنده ينقسم إلى: مولد دلالي، ومولد صوري أو شكلي.

٤- هناك نوع من التوليد الصوري أو الشكلي يمكن أن يُطلق عليه تجوُّزًا بـ "انزياح البنية المعرَّبة" وهو ما اشتقَّه المولدون من الألفاظ المعرَّبة القديمة فَبَنُوا منه أفعالًا جديدة لم تعرفها العرب، ومنه في الصحاح: "رَزَقَن صُدْعِيه" فالفعل "رَزَقَن" مُشْتَقٌّ من اللفظة المُعْرَبَة "الرَّزَقِين" أو الرَّزَقِين".

٥- لما أَلَّفَ الجَوْهَرِيُّ معجمه وأدخل فيه كلام العامَّة والمعرَّب والدخيل والمولَّد كان حريصًا على تَحْرِي الدَّقَّة في معيار الفصيح والأفصح والأعجمي والمُحدَث؛ فلذلك تَرَدَّدَ في بعض الألفاظ ولم يعط حكمًا قاطعًا بتعريبها أو توليدها أو صِحَّتْها.

٦- استخدم الجوهري (٤) أساليب عند ترده في الحكم على الألفاظ المولدة وهي: التعبير بالظن، وحكاية القول والتعبير بأسلوب الشكِّ والاحتمال والتعبير بالشبيه بالمولد.

٧- مجموع الألفاظ المولدة في معجم الصحاح تبلغ (٣١) لفظة، ولذا فإن نسبة الألفاظ المولدة في معجم الصحاح بالنسبة للمجموع الكلي للجدور تبلغ حوالي (٠,٥٪).

٨- تَرَدَّدَ الجَوْهَرِيُّ فِي توليد (١١) لفظة، وهي تشكل مانسبته (٣٥,٤٪)

من مجموع الألفاظ المولدة، كان نصيب ألفاظ الظن منها (٥) ألفاظ، وللقول (٣) ألفاظ، وللتخيار لفظتان، وجاء الشبيه بالمولد مرة واحدة.

٩- يلحظ من أسلوب الجوهري في صحاحه أنه إذا قال: "يُقَال: هو مولد" أو "يُقَال: هو مُعَرَّب" فإنه يعني ابن دريد صاحب الجمهرة؛ لأن ابن دريد تردّد كثيراً في تعيين المولد.

١٠- هناك ألفاظ تردّد الجوهري في الحكم عليها بالتوليد ولم يقف البحث على من حكم عليها بالتوليد قبله، وهي: "البرجاس" والتفصرة" و"الملبّن" وجميع هذه العبارات مُصدرة بالتعبير بالظنّ.

١١- يرى البحث أن الفيروز آبادي في قاموسه يميل إلى الجزم بتوليد الألفاظ عندما يتردّد الجوهري في الحكم عليها ويصدرها بعبارة الظنّ بقوله: "أظنّه مولدًا" إلا في كلمة واحدة وهي "المُلبّن"، ويتوقف الفيروز آبادي عن إيراد الحكم على الألفاظ عندما يتردّد الجوهري بين التوليد والتعريب.

١٢- تأثر كثير من أصحاب مدرسة القافية كالصغاني وابن منظور والفيروز آبادي والزبيدي بمنهج الجوهري في الحكم على الألفاظ المولدة.

١٣- هناك ألفاظ تُرد في الصحاح على أنها صحيحة فصيحة ولم ينبّه الجوهري على توليدها أو عدم صحتها، وقد أشار غيره من اللغويين إلى أنها مولدة.

المصادر والمراجع:

أ- المصادر المخطوطة:

البشبيشي، جمال الدين، جامع التعريب بالطريق القريب لجمال الدين البشبيشي، نسخة خطية بمكتبة نور عثمانية بتركيا، ورقمها: ٤/٤٨٨٤.
الفاصي، ابن الطيب، إضاءة الراموس وإفاضة الناموس على إضاءة القاموس المحيط لابن الطيب الفاسي، نسخة خطية محفوظة بمكتبة راغب باشا برقم: ١٤١٨.

ب- المصادر المطبوعة

الأزهري، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة بتحقيق: محمد مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.
استينجاس، المعجم الفارسي الانجليزي = معجم استينجاس، نشرة لندن، ١٩٦٣م.

الأصفهاني، الحسين بن محمد:

-محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠م.
-مفردات ألفاظ القرآن الكريم، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم - دمشق، الطبعة الرابعة ٢٠٠٩م.

أغناطيوس، البطريرك مار، الألفاظ السريانية في المعاجم العربية، مجلة المجمع العلمي العربي، المجلد الثالث والعشرون، الجزء الثاني، ١ نيسان سنة ١٩٤٨م، ٢٢ جمادى الأولى سنة ١٣٦٧هـ.

التونجي، محمد، المعجم الذهبي (فارسي/عربي)، دار العلم للملايين، الطبعة

الثانية ١٩٨٠م.

الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المحقق: علي عبد الباري عطية**، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

البيستاني، بطرس، **محيط المحيط**، مكتبة لبنان، بيروت، طبعة جديدة، ١٩٨٧م.

ابن بطوطة، محمد بن عبد الله، **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار=رحلة ابن بطوطة**، تحقيق: عبد الهادي التازي، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية-الرباط، ١٩٩٧م.

البعلي، محمد بن أبي الفتح، **المطلع على ألفاظ المقنع**، تحقيق: محمود الأرنؤوط وياسين محمود الخطيب، مكتبة السوادى للتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

البندنجي، اليمان بن أبي اليمان، **التقفية في اللغة**، تحقيق: د. خليل إبراهيم العطية، مطبعة العاني-بغداد، ١٩٧٦م.

البهنساوي، حسام، **التوليد الدلالي دراسة للمادة اللغوية في كتاب شجرة الدر لأبي الطيب اللغوي**، مكتبة زهراء الشرق-القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م.

التهانوي، محمد بن علي، **كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، تحقيق: د.علي دحروج، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، مكتبة لبنان ناشرون-بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٦م.

التوحيدي، أبو حيان، **البصائر والذخائر**، تحقيق الدكتورة: وداد القاضي، دار صادر-بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٨م.

الجزري، مجد الدين أبو السعادات، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية-بيروت،

ما تَرَدَّدَ الجَوْهَرِيُّ فِي الحُكْمِ عَلَيْهِ بِالمُؤَلَّدِ، د. أحمد عواد بن سلامة الشمري

١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

ابن جني، أبو الفتح عثمان، بقیة الخاطريات، تحقیق: محمد الدالي، مطبعة الضباع، ١٩٩٢م.

الجواليقي، موهوب بن أحمد، المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، تحقیق: د. ف. عبد الرحيم، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى ١٩٩٠م.

الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقیق: أحمد عطار، دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة، ١٩٨٧م.

الحريري، القاسم بن علي، درة الغواص للحريري وشرحها وحواشيها وتكملتها، تحقیق: عبد الحفيظ فرغلي القرني، دار الجيل-بيروت، مكتبة التراث الإسلامي-القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩٦م.

ابن الحشاء، أحمد بن محمد، مفيد العلوم ومبيد الهموم، تحقیق: ج.س. كولان، المطبعة الاقتصادية، الرباط-المغرب، ١٩٤١م.

الحمزي، عارف بن محمد، نظرية أصول المعاني في مقاييس اللغة لابن فارس، عمادة البحث العلمي-الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى ٢٠١٦م.

الحموي، ياقوت: -معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقیق: إحسان عبّاس، دار الغرب الإسلامي-بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٣م.

-معجم البلدان، نشر: دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م.
الحميري، نشوان، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقیق: د. حسين بن عبد الله العمري ومطهر بن علي الإيراني ود. يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر، بيروت-لبنان، دار الفكر، دمشق-سورية، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

الحيالي، عامر باهر، نظرية صحة الألفاظ عند الجوهري في معجمه تاج اللغة وصحاح العربية، رابطة الكتاب والأدباء والناشرين العرب، الطبعة الأولى ٢٠٢٠م.

ابن خالويه، الحسين بن أحمد، ليس في كلام العرب، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
الحفاجي، شهاب الدين:

- حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي = عناية القاضي وكفاية الرازي على تفسير البيضاوي، دار صادر - بيروت.

- شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، تحقيق: محمد كشّاش، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.

خليل، حلمي، المولد في العربية دراسة في نمو اللغة العربية وتطورها بعد الإسلام، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٥م.
الخوارزمي، محمد بن عباس، الأمثال المولدة، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٤٢٤هـ.

ابن دريد، أبو بكر محمد، جمهرة اللغة، المحقق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.

الدماميني، محمد بن بدر الدين، تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد، تحقيق: محمد المفدى، الطبعة الأولى ١٩٨٣م.

الدومنكي، مرمجي، معجميات عربية سامية، مطبعة المرسلين اللبنانيين - لبنان، ١٩٥٠م.

الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود، كتاب النبات، (الجزء الثالث والنصف الأول من الجزء الخامس) تحقيق: برنهارد لفين، نشر: فرانز شتاينر بفيسبادن، ١٩٧٤م.

الرازي، محمد بن عمر، تفسير الفخر الرازي المشهور بالتفسير الكبير أو

ما تَرَدَّدَ الْجَوْهَرِيُّ فِي الْحُكْمِ عَلَيْهِ بِالْمَوْلَدِ، د. أحمد عواد بن سلامة الشمري

مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثالثة،
١٤٢٠هـ.

الزبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن:

-استدراك الغلط الواقع في كتاب العين للزبيدي، تحقيق: عبدالعلي
الودغيري وصلاح الفرطوسي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق،
١٩٩٩م.

-مختصر العين، تحقيق: عبدالعزيز الحميد، رسالة ماجستير جامعة الإمام محمد
بن سعود الإسلامية، ١٤١٢هـ.

-مختصر العين، تحقيق: محمد الرحيلي، رسالة ماجستير، جامعة أم
القرى، ١٩٩٩م.

الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، نشر: مطبعة
حكومة الكويت، بتحقيق مجموعة من المحققين.

الزنجشري، محمود بن عمرو، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود،
دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
زيدان، جرجي، تاريخ آداب اللغة العربية، طبع بمطابع مؤسسة دار الهلال.
السامرائي، إبراهيم:

-اللؤلؤ النثير في التعليق على النهاية لابن الأثير، دمشق، دار القلم، الطبعة
الأولى، ٢٠٠٢م.

-دراسات في اللغتين السريانية والعربية، دار الجليل-بيروت، مكتبة
المحتسب-عمان، الطبعة الأولى ١٩٨٥م.

السرقسطي، سعيد بن محمد، الأفعال، المحقق: حسين محمد محمد شرف،
الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

ابن السكيت، يعقوب بن إسحاق، إصلاح المنطق، المحقق: محمد مرعب،
دار إحياء التراث، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م.

السمين الحلبي، أحمد بن يوسف، **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، تحقيق: أحمد الخراط، دار القلم، دمشق.

ابن سيده، علي بن إسماعيل:

-**المحكم واخيط الأعظم**، تحقيق: عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

-**المخصص**، قدّم له: خليل إبراهيم جفال، اعتنى بتصحيحه: مكتب التحقيق بدار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

ابن سينا، الحسين بن عبدالله، **القانون في الطب**، وضع حواشيه: أمين الضناوي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.

السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، تحقيق: جاد المولى بك، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي البجاوي، مكتبة دار التراث - القاهرة، الطبعة الثالثة.

الشدياق، أحمد بن فارس، **الجاموس على القاموس**، مطبعة الجوائب - القسطنطينية، ١٢٩٩هـ.

الشهرستاني، محمد بن عبدالكريم، **الملل والنحل**، تحقيق: عبد العزيز الوكيل، مؤسسة الحلبي وشركاؤه - القاهرة، ١٩٦٨م.

الصاحب، إسماعيل بن عباد، **الخيطة في اللغة**، تحقيق: محمد آل ياسين، عالم الكتب - بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٤م.

الصاعدي، عبدالرزاق بن فراج، **فوائت المعاجم الفوائت القطعية والفوائت الظنيّة**، الدار العصرية، جدة، الطبعة الأولى ٢٠١٦م.

الصحاري، سلمة بن مسلم **الإبانة في اللغة العربية** تحقيق: مجموعة من المحققين، وزارة التراث القومي والثقافة - مسقط، الطبعة الأولى ١٩٩٩م.

صديق خان، محمد حسن، **البلغة إلى أصول اللغة**، طبع في الجوائب في

ما تَرَدَّدَ الجَوْهَرِيُّ فِي الحُكْمِ عَلَيْهِ بِالمَوْلَدِ، د. أحمد عواد بن سلامة الشمري

القسطنطينية، ١٢٩٦هـ.

الصغاني، الحسن بن محمد، العباب الزاخر واللباب الفاخر للحسن الصغاني،
تحقيق: فير المخدومي وتركبي بن سهو العتيبي، مركز البحوث والتواصل
المعرفي-الرياض، الطبعة الأولى ١٤٤٣هـ-٢٠٢٢م.

الضناوي، سعدي، المعجم المفصل في المعرب والدخيل، دار الكتب العلمية،
بيروت، ٢٠٠٤م.

عبد المنعم، محمد نور الدين، معجم الألفاظ العربية في اللغة الفارسية، عمادة
البحث العلمي-جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى
٢٠٠٥م.

عطار، أحمد بن عبدالغفور، مقدمة الصحاح، دار العلم للملايين، الطبعة
الثالثة ١٩٨٤م.

عكاشة، محمود، البناء الصرفي في الخطاب المعاصر، الأكاديمية الحديثة
للكتاب الجامعي، ٢٠٠٩م.

علي، جهينة نصر، المعرب والدخيل في المعاجم العربية دراسة تأصيلية، دار
طلاس للدراسات والترجمة والنشر-دمشق، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.

العيني، بدري الدين، عمدة القاري في شرح صحيح البخاري، دار الطباعة
المنيرية ودار الفكر.

الفارابي، إسحاق بن إبراهيم، ديوان الأدب، تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر،
مراجعة: دكتور إبراهيم أنيس، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة
والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م.

الفارسي، الحسن بن أحمد، المسائل المشككة المعروفة بالبغداديات، تحقيق:
صلاح الدين السنكاوي، مطبعة العاني-بغداد.

الفراء، يحيى بن زياد، الأيام والليالي والشهور، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار
الكتاب المصري-القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٠م.

- الفراهيدي، الخليل بن أحمد، **العين**، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
- الفيروز آبادي، مجد الدين، **القاموس المحيط**، تحقيق: مكتب تحقيق التراث بمؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثامنة ٢٠٠٥م.
- الفيومي، أحمد بن محمد، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، تحقيق: د. عبد العظيم الشناوي، دار المعارف، الطبعة الثانية، ١٩٧٧م.
- القالبي، أبو علي، **البارع في اللغة**، تحقيق: هشام الطعان، مكتبة النهضة بغداد - دار الحضارة العربية بيروت، الطبعة الأولى ١٩٧٥م.
- القزويني، أحمد بن فارس:
- **الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها**، الناشر: محمد علي بيضون، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.
- **مجمّل اللغة**، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٩٨٦م.
- **مقاييس اللغة**، تحقيق وضبط: عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- كحيل، أحمد حسن، **التبيان في تصريف الأسماء**، دار أصدقاء المجتمع للنشر والتوزيع - القصيم - بريدة، الطبعة الثامنة، ١٤٢٤هـ.
- الكرملي، أنستاس ماري:
- **أغلاط اللغويين الأقدمين**، طبع في بغداد بمطبعة الأيتام، ١٩٣٣م.
- **المساعد، حقه: كوركيس عواد وعبد الحميد العلوجي**، دار الحرية للطباعة - بغداد، ١٩٧٦م.
- الكفوي، أيوب بن موسى، **الكليات**، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٨م.

ما تَرَدَّدَ الجَوْهَرِيُّ فِي الحُكْمِ عَلَيْهِ بِالمُؤَلَّدِ، د. أحمد عواد بن سلامة الشمري

الكلداني، أدي شير:

-الألفاظ الفارسية المعربة، المطبعة الكاثوليكية لآباء اليسوعيين بيروت
١٩٠٨م.

-الدواعي لغنى اللغة العربية، بحث منشور بمجلة المشرق، السنة الثالثة،
العدد: ١٦، أغسطس ١٩٠٠م.

ابن كمال باشا، أحمد بن سليمان، رسالة في تحقيق تعريب الكلمات
الأعجمية، تحقيق: محمد سواعي، المعهد العلمي الفرنسي للدراسات
العربية، دمشق ١٩٩١م.

مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق، الطبعة الرابعة
٢٠٠٤م.

الحبي، محمد الأمين، قصد السبيل فيما في اللغة العربية من الدخيل، تحقيق:
د. عثمان محمود الصيني، مكتبة التوبة-الرياض، الطبعة الأولى ١٩٩٤م.
ابن مراد، إبراهيم:-مسائل في المعجم: دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى
١٩٩٧م.

-مقدمة لنظرية المعجم، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.
المساعفة، خالد، ائتلاف الصوامت في بنية الكلمة العربية، مجلة الدراسات
اللغوية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، المجلد (١٨)
العدد (٢)، مارس ٢٠١٦م.

المطرزي، ناصر بن عبد السيد، المغرب في ترتيب المعرب، دار الكتاب
العربي، بيروت-لبنان.

ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر - بيروت، الطبعة
الثالثة - ١٤١٤هـ.

موسى، علي حلمي، دراسة إحصائية لجذور معجم الصحاح باستخدام
الكمبيوتر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٨م.

نخلة، رفائيل، غرائب اللغة العربية، دار المشرق، الطبعة الرابعة.
النسفي، نجم الدين، طلبة الطلبة في الاصطلاحات الفقهية، المطبعة العامرة -
مكتبة المثني ببغداد لصاحبها: قاسم الرجب، ١٣١١هـ.
الهيتمي، أحمد بن محمد، تحفة المحتاج في شرح المنهاج، روجعت وصححت:
على عدة نسخ بمعرفة لجنة من العلماء، المكتبة التجارية الكبرى بمصر،
١٣٥٧هـ.

Bibliography

Scripts

al-Bashbīshī, Jamāl al-Dīn, **Jāmi‘ al-Ta‘rīb be-al-ṭarīq al-qarīb**, written copy in the Nur Osmaniye Library in Turkey, and its number: 4/4884.

al-Fāsī, Ibn al-Ṭayyib, **Idā‘ah al-Rāmūs wa ‘fātah al-Nāmūs ‘alā Idā‘ah al-Qāmūs al-muḥīṭ**, written copy preserved in Ragheb Pasha Library No: 1418.

Publications

al-Azharī, Muḥammad ibn Aḥmad, **Tahdhīb al-lughah**, investigated by: Muḥammad Mur‘ib. Dār Ihyā’ al-Turāth al-‘Arabī – Beirut, 1st edition 2001.

Steingass, al-Mu‘jam al-Fārisī al-Ingilīzī = Mu‘jam Steingass, London publications, 1963.

al-Aṣfahānī, al-Ḥusayn ibn Muḥammad:

Muḥādrāt al-Udabā’ wa-muḥāwarāt al-shu‘arā’ wa-al-bulaghā’, Sharikat Dār al-Arqam ibn Abī al-Arqam – Beirut, 1st edition, 1420 AH.

Mufradāt Alfāz al-Qur‘ān al-Karīm, investigated by: Ṣafwān ‘Adnān Dāwūdī, Dār al-Qalam-Damascus, 4th edition, 2009.

al-Farrā’, Yaḥyā ibn Ziyād, **al-Ayyām wa-al-layālī wa-al-shuhūr**, investigated by : Ibrāhīm al-Abyārī, Dār al-Kitāb, Egypt-Cairo, 2nd edition, 1980.

Aghnātyūs, al-Baṭriyark Mār, **Syriac Words in the Arabic Dictionaries**, (in Arabic). al-Majma‘ al-‘Ilmī al-‘Arabī Journal, Volume Twenty-Third, Part Two, April 1, 1948, Jumada al-Ula 22, 1367 AH..

al-Tūnjī, Muḥammad, **al-Mu‘jam al-Dhahabī** (Fārisī / ‘Arabī), Dār al-‘Ilm lil-Malāyīn, 2nd edition, 1980.

al-Alūsī, Shihāb al-Dīn Maḥmūd bin Abdullāh, **Rūḥ al-ma‘ānī fī tafsīr al-Qur‘ān al-‘Aẓīm wa-al-Sab‘ al-mathānī**, investigated by: ‘Alī ‘Abd al-Bārī ‘Aṭīyah, Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, Beirut, 1st edition, 1415 AH.

al-Bustānī, Buṭrus, **Muḥīṭ al-Muḥīṭ**, Maktabat Lebanon, Beirut, new edition, 1987.

Ibn Baṭṭūṭah, Muḥammad ibn ‘Abdillāh, **Tuḥfat al-nuzzār fī gharā’ib al-amṣār wa-‘ajā’ib al-Asfār=Reḥlat Ibn Baṭṭūṭah**, investigated by: ‘Abd al-Hādī al-Tāzī, Publications of the Academy of the Kingdom of Morocco - Rabat, 1997.

al-Ba‘lī, Muḥammad ibn Abī al-Faṭḥ, **al-Muṭli‘ ‘alā Alfāz al-Muqni‘**, investigated by: Maḥmūd al-Arnā’ūt and Yāsīn

- Maḥmūd al-Khaṭīb, Maktabat al-Sawādī, 1st edition, 1423 AH-2003.
- al-Bandanījī, al-Yamān ibn Abī al-Yamān, **al-Taḥfīyah fī al-lughah**, investigated by: Dr. Khalīl Ibrāhīm al-‘Aṭīyah, Maṭba‘at al-‘āny-Baghdad, 1976.
- al-Bahnasāwī, Husām, **al-Tawfīd al-Dalālī dirāsah lil-māddah al-lughawīyah fī Kitāb Shajarat al-Durr li-Abī al-Ṭayyib al-lughawī**, Maktabat Zahrā’ al-Sharq- Cairo: 1st edition, 2003.
- al-Tahānawī, Muḥammad ibn ‘Alī, **Kashshāf iṣṭilāḥāt al-Funūn wa-al-‘Ulūm**, investigated by: Dr. ‘Alī Daḥrūj, introduction, supervised and revised: Dr. Rafīq al-‘Ajam, Maktabat Lebanon - Beirut, 1st edition, 1996.
- al-Tawḥīdī, Abū Ḥayyān, **al-Baṣā’ir wa-al-Dhakhā’ir**, investigated by: Dr. Widād al-Qāḍī, Dār ṣādir, Beirut, al-1st edition, 1988.
- al-Jawharī, Ismā‘īl ibn Ḥammād, **al-Ṣiḥāḥ Tāj al-lughah wa-ṣiḥāḥ al-‘Arabīyah**, investigated by: Aḥmad ‘Aṭṭār, Dār al-‘Ilm lil-Malāyīn, 4th edition, 1987.
- al-Jazarī, Majd al-Dīn Abū al-Sa‘ādāt, **al-Nihāyah fī Gharīb al-ḥadīth wa-al-athar**, investigated by: Ṭāhir Ahmad al-Zāwī and Maḥmūd Muḥammad al-Ṭanāḥī, al-Maktabah al-‘Ilmiyyah, Beirut, 1399 AH-1979.
- Ibn Sīnā, al-Ḥusayn ibn ‘Abdillāh, **al-Qānūn fī al-ṭibb**, footnotes written by: Amīn al-Ḍannāwī, Dār al-Kutub ‘Ilmiyyah, Beirut, 1st edition, 1999.
- Ibn Jinnī, Abū al-Faṭḥ ‘Uthmān, **Baqīyat al-Khāṭiriyāt**, investigated by: Muḥammad al-Dālī, Maṭba‘at al-Ḍabbā’, 1992.
- al-Jawālīqī, Mawḥūb ibn Aḥmad, **al-Mu‘arrab min al-kalām al-‘Ajāmī ‘alā ḥurūf al-Mu‘jam**, investigated by: Dr. F. ‘Abd al-Raḥīm, Dār al-Qalam, Damascus, 1st edition, 1990.
- al-Ḥarīrī, al-Qāsīm ibn ‘Alī, **Durrat al-Ghawwāṣ lil-Ḥarīrī wa-Sharḥuhā wa-ḥawāshihā wa-takmilatuhā**, investigated by: ‘Abd al-Ḥafīz Farghalī al-Qarnī, Dār al-Jeel, Beirut, Maktabat al-Turāth al-Islāmy, Cairo, 1st edition, 1996.
- al-Ḥamzī, ‘Arīf ibn Muḥammad, **Nazarīyat Uṣūl al-Ma‘ānī fī Maqāyīs al-Lughah li-Ibn Fāris**, Deanship of Scientific Research - Islamic University of Madinah, first edition 2016.
- al-Ḥamawī, Yāqūt
-**Mu‘jam al-Udabā’** = **Irshād al-Arīb ilá Ma‘rifat al-Adīb**, investigated by: Iḥsān ‘Abbās, Dār al-Gharb al-Islamī, Beirut, 1st edition 1993.

- Mu‘jam al-Buldān**, Dār Ṣādir, Beirut, 2nd edition, 1995.
- al-Ṣāhib, Ismā‘īl ibn ‘Abbād, **al-muḥīṭ fī al-lughah**, investigated by: Muḥammad Āla Yāsīn, ‘Ālam al-Kutub-Beirut, 1st edition, 1994.
- al-Qālī, Abū ‘Alī, **al-Bāri‘ fī al-Lughah**, investigated by: Hishām al-Ṭa‘ān, Maktabat al-Nahḍah, Baghdad, Dār al-Ḥaḍārah al-‘Arabīyah, Beirut, 1st edition, 1975.
- al-Ḥimyarī, Nashwān, **Shams al-‘Ulūm wa-Dawā’ kalām al-‘Arab min al-Kulūm**, investigated by: Dr. Ḥusain ibn ‘Abdillāh al-‘Umarī, Muṭṭaharr ibn ‘Alī al-‘Iryānī and Dr. Yūsuf Muḥammad ‘Abdillāh, Dār al-Fikr al-Mu‘āṣir, Beirut-Lebanon, Dār al-Fikr, Damascus-Syria, 1st edition, 1420 AH-1999.
- al-Ḥayālī, ‘Āmir Bāhir, **Nazarīyat Ṣiḥḥat al-Alfāz ‘inda al-Jawharī fī Mu‘jamīhi Tāj al-lughah wa-Ṣiḥḥat al-‘Arabīyah**, Rābiṭat al-Kitāb wa-al-Udabā’ wa-al-nāshirīn al-‘Arab, 1st edition, 2020.
- Ibn al-Ḥashā’, Aḥmad ibn Muḥammad, **Mufīd al-‘Ulūm wa-Mubīd al-Humūm**, investigated by: J. S. Colan, al-Maṭba‘ah al-iqtisādīyah, Rabat-Morocco, 1941.
- Ibn Khālawayh, al-Ḥusayn ibn Aḥmad, **Laysa fī Kalām al-‘Arab**, investigated by: Aḥmad ‘bdālghfwr ‘Aṭṭār, Dār al-‘Ilm lil-Malāyīn, al-Ṭab‘ah al-thānīyah 1399h-1979m.
- al-Khafājī, Shihāb al-Dīn **-Ḥāshiyat al-Shihāb ‘alā tafsīr al-Baidāwī=‘Ināyat al-Qāḍī wa Kifāyat al-Rāḍī ‘alā Tafsīr al-Bayḍawī**, Dār ṣādir-Beirut.
- Shifā’ al-Ghalīl fīmā fī kalām al-‘Arab min al-Dakhīl**, investigated by: Muḥammad kshshāsh, Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, 1st edition, 1998.
- Khalīl, Ḥilmī, **al-Muwallad fī al-‘Arabīyah dirāsah fī numūw al-lughah al-‘Arabīyah wa-taṭawwurihā ba‘da al-Islām**, Dār al-Nahḍah al-‘Arabīyah, Beirut, 2nd edition, 1985.
- al-Khawārizmī, Muḥammad ibn ‘Abbās, **al-Amthāl al-Muwalladah**, al-Majma‘ al-Thaqāfī, Abou Dabi, 1424 AH.
- Ibn Duraid, Abū Bakr Muḥammad, **Jamharat al-lughah**, investigated by: Ramzī Munīr Ba‘labakkī. Dār al-‘Ilm lil malāyīn-Beirut, 1st edition, 1987.
- al-Damāmīnī, Muḥammad ibn Badr al-Dīn, **Ta‘liq al-Farā’id ‘alā Tashīl al-Fawā’id**, investigated by: Muḥammad al-Mufaddā, 1st edition, 1983.
- al-Shahrastānī, Muḥammad ibn ‘Abd-al-Karīm, **al-Milal wa-al-Nihal**, investigated by: ‘Abd al-‘Azīz al-Wakīl, Mu’assasat al-Ḥalabī wa Shurakā’uh-Cairo, 1968.

- al-Dūminikī, Marmarjī, **Mu‘jamiyāt ‘Arabīyah Sāmiyah**, Maṭba‘at al-Mursalīn allbnānyyn-lbnān, 1950.
- al-Dīnawarī, Abū Ḥanīfah Aḥmad ibn Dāwūd, **Kitāb al-Nabāt**, (the third volume and the half of the fifth volume) investigated by: Bernhard Lafin, Frānz Shtāynir bfysbādn, 1974.
- al-Zubaydī, Abū Bakr Muḥammad ibn al-Ḥasan
-Istidrāk al-ghalaṭ al-wāqi‘ fi Kitāb al-‘Ayn, investigated by: ‘Abd al-‘Ali al-Wadghīrī and Ṣalāḥ al-Farṭūsī, Maṭbū‘āt Majma‘ al-lughah al-‘Arabīyah -Damascus, 1999.
- Mukhtaṣarr al-‘Ayn**, investigated by: ‘Abd-al-‘Azīz al-Ḥamīd, a master’s thesis at al-Imām Muḥammad ibn Saud Islamic university, 1412 AH.
- Mukhtaṣarr al-‘Ayn**, investigated by: Muḥammad al-Ruḥaylī, a master’s thesis at Umm al-Qura university, 1999M
- al-Zabīdī, Muḥammad Murtaḍá, **Tāj al-‘Arūs min Jawāhir al-Qāmūs**, publications of the Kuwait Government, investigated by: a group of investigators.
- al-Zamakhsharī, Maḥmūd bin ‘Amr, **Asās al-Balāghah**, investigated by: Muḥammad Bāsil ‘Uyūn al-Sūd, Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, Beirut-Lebanon, al-Ṭab‘ah al-ūlá, 1419h-1998M.
- Zaydān, Jirjī, Tārīkh ādāb al-lughah al-‘Arabīyah, Ṭubi‘a bi-Maṭābi‘ Mu’assasat Dār al-Hilāl.
- al-Sāmurrā‘ī, Ibrāhīm
-al-Lu‘Lu‘ al-Nathīr fi al-Ta‘līq ‘alā al-Nihāyah li-Ibn al-Athīr, Damascus, Dār al-Qalam, 1st edition, 2002.
- Dirāsāt fi al-Lughatain al-Siryāniyah wa-al-‘Arabīyah**, Dār al-Jeel, Beirut, Maktabat al-Muhtasib - Oman, 1st edition, 1985.
- al-Saraqustī, Sa‘īd ibn Muḥammad, **al-Af‘āl**, investigated by: Ḥusain Muḥammad Muḥammad Sharaf, al-Ḥay‘ah al-‘Āmmah li-Shu‘ūn al-Maṭābi‘ al-‘Āmīriyah, Cairo, 1395 AH-1975.
- Ibn al-Sikkīt, Ya‘qūb ibn Ishāq, **Iṣlāḥ al-mantiq**, investigated by: Muḥammad Mur‘ib, Dār Iḥyā’ al-Turāth, 1st edition, 2002.
- al-Samīn al-Ḥalabī, Aḥmad ibn Yūsuf, **al-Durr al-Maṣūn fi ‘Ulūm al-Kitāb al-Maknūn**, investigated by: Aḥmad al-Kharrāt, Dār al-Qalam, Damascus.
- al-Kaffawī, Ayyūb ibn Mūsa, **al-Kullīyāt**, investigated by: ‘Adnān Darwīsh and Muḥammad al-Miṣrī, Mu’assasat al-Risālah – Beirut, 2nd edition, 1998.
- al-Rāzī, Muḥammad ibn ‘Umar, **Tafsīr al-Fakhr al-Rāzī al-Mashhūr be Tafsīr al-Kabīr aw Mafātīḥ al-Ghayb**, Dār Iḥyā’ al-Turāth al-‘Arabī – Beirut, 3rd edition, 1420 AH.

- Ibn Sīdah, ‘Alī ibn Ismā‘īl:
-al-Muḥkam wa-al-Muḥiṭ al-A‘zam, investigated by: ‘Abd al-Ḥamīd Hindāwī, Dār al-Kutub ‘Ilmiyyah-Beirut, 1st edition, 1421 AH-2000.
- al-Mukhaṣaṣ, introduced by: Khalīl Ibrāhīm Jaffāl, revised by: office of investigations at Dār Iḥyā’ al-Turāth al-‘Arabī, Beirut, 1st edition, 1417 AH-1996.
- al-Suyūṭī, ‘Abd-al-Raḥmān ibn Abī Bakr, **al-Muzhir fī ‘Ulūm al-luġha wa-Anwā‘uhā**, investigated by: Jād al-Mawlā Bik, Muḥammad Abū al-Faḍl Ibrāhīm, and ‘Alī al-Bajāwī. Maktabat Dār al-Turāth-Cairo, 3rd edition.
- al-Shidyāq, Aḥmad ibn Fāris, al-Jāsūs ‘alā al-Qāmūs, Maṭba‘at al-Jawā’ib – al-Qusṭanṭīniyah, 1299 AH.
- al-Ṣā‘idī, ‘Abd-al-Razzāq ibn Farrāj, **Fawā’it al-Ma‘ājim al-Fawā’it al-Qaṭ‘iyah wa al-Fawā’it al-Zaniyyah**, al-Dār al-‘Aṣriyah, Jeddah, 1st edition, 2016.
- al-Ṣaḥārī, Salamah ibn Muslim, **al-Ibānah fī al-luġhah al-‘Arabīyah**, investigated by: a group of investigators, Ministry of National Heritage and Culture - Muscat, first edition, 1999.
- Ṣiddīq Khān, Muḥammad Ḥasan, **al-Bulġhah ilā uṣūl al-luġha**, printed at al-Jawā’ib in al-Qusṭanṭīniyah, 1296.
- al-Ṣaġhānī, al-Ḥasan ibn Muḥammad, **al-‘Ubāb al-zākhir wa-al-lubāb al-fākhir**, investigated by: Fīr al-Makhdūmī and Turkī ibn Sahw al-‘Utaybī, Center for Research and Knowledge Communication - Riyadh, first edition 1443 AH-2022.
- al-Ḍannāwī, Sa‘dī, **al-Mu‘jam al-Mufaṣṣal fī al-Mu‘arrab wa-al-Dakhīl**, Dār al-Kutub al-‘Ilmiyah, Beirut, 2004.
- Abd al-Mun‘im, Muḥammad Nūr al-Dīn, **Mu‘jam al-Alfāz al-‘Arabīyah fī al-Luġha al-Fārisīyah**, Deanship of scientific research Imam Muhammad bin Saud Islamic university, 1st edition, 2005.
- ‘Aṭār, Aḥmad ibn ‘Abd al-Ghaffār, **Muqaddimat al-Ṣiḥāh**, Dār al-‘Ilm lil-Malāyīn, third edition, 1984.
- ‘Alī, Juhaynah Naṣr, **al-Mu‘arrab wa-al-Dakhīl fī al-Ma‘ājim al-‘Arabīyah dirāsah ta’tḥilīyah**, Dār Ṭalās lil-Dirāsāt wa-al-Tarjamah wālnshr-Damascus, al-Ṭab‘ah al-ūlā 2001M.
- al-‘Aynī, Badr al-Dīn, **‘Umdat al-Qārī fī sharḥ Ṣaḥīḥ al-Bukhārī**, Dārat al-Ṭibā‘ah al-Munīriyah wa-Dār al-Fikr.
- al-Fārābī, Ishāq ibn Ibrāhīm, **Dīwān al-Adab**, investigated by: Dr. Aḥmad Mukhtār ‘Umar, revised by: Dr. Ibrāhīm Anīs,

- Mu'assasat Dār al-Sha'b, Cairo, 1st edition, 2003.
- al-Fārisī, al-Ḥasan ibn Aḥmad, **al-Masā'il al-Mushkilah al-Ma'rūfah be al-Baghdadiyāt**, investigated by: Ṣalāḥ al-Dīn al-Sankāwy, Maṭba'at al-'āny-Baghdad.
- al-Farāhīdī, al-Khalīl ibn Aḥmad, **al-'Ayn**, investigated by: Dr. Maḥdī al-Makhzūmī, Dr. Ibrāhīm al-Sāmurrā'ī, Dār wa-Maktabat al-Hilāl.
- al-Fayrūz Ābādī, Majd al-Dīn, **al-Qāmūs al-Muḥīṭ**, investigated by: office of investigating heritage at Mu'assasat al-Risālah, supervised by: Muḥammad Na'im al-'Arqasūsy, Mu'assasat al-Risālah, Beirut, 8th edition, 2005.
- al-Fayyūmī, Aḥmad ibn Muḥammad, **al-Miṣbāḥ al-Munīr fī Gharīb al-Sharḥ al-Kabīr**, investigated by: Dr. 'Abd al-'Azīm al-Shinnāwī, Dār al-Ma'ārif, 2nd edition, 1977.
- al-Qazwīnī, Aḥmad ibn Fāris
- al-Ṣāḥibī fī Fiqh al-Lughah al-'Arabīyah wa-Masā'ilihā wa-sunan al-'Arab fī kalāmihā**, published by: Muḥammad 'Alī Bayḍūn, 1st edition, 1997.
- Mujmal al-Lughah**, investigated by: Zuhayr 'Abd al-Muḥsin Sulṭān, Mu'assasat al-Risālah, 2nd edition, 1986.
- Maqāyīs al-Lughah**, investigated by: 'Abd al-Salām Hārūn, Dār al-Fikr, 1399 AH-1979.
- Kuḥayl, Aḥmad Ḥasan, **al-Tibyān fī Taṣrīf al-Asmā'**, Dār Aṣḍā' al-mujtama' - al-Qasim - Buraida, 8th edition, 1424 AH.
- al-Kirmilī, Anistās Mārī
- Aghlāṭ al-Lughawīyīn al-Aqdamīn**, printed in Baghdad, Maṭba'at al-Aytām, 1933.
- al-Musā'id**, investigated by: Kūrķīs 'Awwād and 'Abd al-Ḥamīd al-'Alūjī. Dār al-ḥurrīyah - Baghdad, 1976.
- al-Kildānī, Adī Shīr
- al-Alfāz al-Fārisīyah al-Mu'arrabah**, al-Maṭba'ah al-Kāthūlīkīyah lil-Ābā' al-Yasū'īyīn, Beirut 1908.
- al-Dawā'ī li-Ghnā al-Lughah al-'Arabīyah**, published research at al-Mashriq Journal, 3rd year, issue: 16, August 1900.
- Ibn Kamāl Bāshā, Aḥmad ibn Sulaymān, **Risālat fī Taḥqīq Ta'rīb al-Kalimāt al-A'jamīyah**, investigated by: Muḥammad Sawā'ī, the French scientific institute for Arabic studies, Damascus 1991.
- Majma' al-Lughah al-'Arabīyah be-al-Qāhirah, **al-Mu'jam al-Wasīṭ**, Maktabat al-Shurūq, 4th edition, 2004.
- al-Muḥibbī, Muḥammad al-Amīn, **Qaṣḍ al-Sabīl fīmā fī al-Lughah al-'Arabīyah min al-Dakhīl**, investigated by: Dr. 'Uthmān Maḥmūd al-Ṣīnī, Maktabat al-Tawbah - Riyadh,

- 1st edition, 1994.
- Ibn Murād, Ibrāhīm -**Masā'il fī al-Mu'jam**: Dār al-Gharb al-Islāmī, 1st edition, 1997.
- Muqaddimatun li-Nazarīyat al-Mu'jam**, Dār al-Gharb al-Islāmī, 1st edition, 1997.
- Al-Musā'ifah, Khālid, **I'tilāf al-Ṣawāmit fī Binyat al-Kalimah al-'Arabīyah**, Journal of Linguistic studies, King Faisal center for researches and Islamic studies, volume (18) issue (2), March 2016.
- al-Muṭarrizī, Nāṣir ibn 'Abd al-Sayyid, **al-Maghrib fī Tartīb al-Mu'arrab**, Dār al-Kitāb al-'Arabī, Beirut-Lebanon.
- Ibn Manzūr, Muḥammad ibn Mukarram, **Lisān al-'Arab**, Dār Ṣādīr – Beirut, 3rd edition - 1414 AH.
- Mūsá, 'Alī Ḥilmī, Dirāsah **Iḥṣā'iyyah li-Judhūr Mu'jam al-Ṣiḥāḥ be-Istikhdām al-kumbiyūtar**, al-Hay'ah al-Miṣrīyah al-'Āmmah lil-Kitāb, 1978.
- Nakhlah, Rafā'īl, **Gharā'ib al-Lugha al-'Arabīyah**, Dār al-Mashriq, 4th edition.
- al-Nasafī, Najm al-Dīn, **Ṭalabat al-Ṭalabah fī al-Iṣṭilāḥāt al-Fiqhīyah**, al-Maṭba'ah al-'Āmiriyyah-Maktabat al-Muthannā -Baghdad li-ṣāhibihā: Qāsim al-Rajab, 1311 AH.
- al-Haytamī, Aḥmad ibn Muḥammad, **Tuḥfat al-Muḥtāj fī Sharḥ al-Minhāj**, revised by: many manuscripts with the knowledge of the committee of scholars, al-Maktabah al-Tijārīyah al-Kubrā, Egypt, 1357 AH.
- 'Ukāshah, Maḥmūd, al-Binā' al-Ṣarfī fī al-Khitāb al-Mu'āṣir, al-Akādīmīyah al-ḥadīthah lil-Kitāb al-Jāmi'ī, 2009.

"إحداث قول ثالث في الدرس النحوي" دراسة أصولية تطبيقية

Creating a Third Saying in the Arabic
Grammar Lesson - An Applied Study

د. طارق بن هندي الصاعدي

أستاذ اللغة المساعد بجامعة الطائف بالكلية الجامعية في الخزعة

الريد الإلكتروني: tar004iq@gmail.com

المستخلص

تناول هذا البحث صورة من صور مخالفة الإجماع، وهي مسألة إحداث قول ثالث، بعد الإجماع على قولين سابقين، وهو ما يسمّى بالإجماع الضمني أو الإجماع السكوتي عند الأصوليين، على خلاف بينهم. فبيّنت في هذا البحث أنواع الإجماع، وحجّيته، والفرق بين مسألة إحداث قول ثالث ومسألة تركيب المذهب؛ لشدة الشبه بينهما، وذكرت العلوم التي تناولت هذه المسألة؛ كونها من المسائل المشتركة بين أكثر من علم، مع التفريق في الحكم عليها جوازاً أو منعاً؛ لاختلاف العلوم ومقاصدها وغاياتها وصلتها بالحكم الشرعي.

ثم جاءت الدراسة الأصولية، مبيّنة حكم إحداث قول ثالث وآراء العلماء فيه، إمّا تصريحاً في المسألة، أو تضميناً من اختياراتهم وتطبيقاتهم في كتبهم. وأعقبها بالدراسة التطبيقية، ذاكراً صورة المنع رجحاناً، وصور الجواز، مع ذكر أمثلة تطبيقية لكل صورة، ثم ختمت البحث بالنتائج والتوصيات. وقد خلص البحث إلى نتائج، منها: أنّ هذه المسألة من المسائل المشتركة بين علوم مختلفة، فيختلف الحكم عليها حينئذ لاختلاف طبيعة العلوم، ومنها: أنّ من أسباب الخلاف في هذه المسألة تنازعهم هل الخلاف على قولين إجماع على منع إحداث قول ثالث، أم تسويغ للخلاف فيها، ومنها: جواز إحداث قول ثالث ما لم يبطل حكماً سابقاً، أو يؤثر في حكم شرعي مجمع عليه، ومنها: ظهور الأثر العقدي في القول بجواز إحداث قول ثالث عند بعض اللغويين.

الكلمات المفتاحية: إحداث-قول-ثالث-الإجماع-النحو.

Abstract

This research dealt with a form of violating the consensus, which is the issue of creating a third or more saying, after consensus on the two previous sayings, which is called *al-Ijmā' al-Ḍimnī* (implicit consensus) or *al-Ijmā' al-Sukūṭī* (a silent consensus) among the scholars of Uṣūl (principles of Jurisprudence), in a disagreement among them. In this research, I explained the types of consensus, its validity, and the difference between the issue of creating a third saying and the issue of constructing schools of thought; Due to the similarity between them, also, I mentioned the sciences that dealt with this issue; since it is one of the common issues to more than one science, with differentiation in ruling whether it is permissible or prohibited; Because of the different sciences, their purposes and objectives and their connection to the legal ruling. Then the study of the Principles of Jurisprudence came explaining the ruling on creating a third saying and the opinions of scholars on it, either as a statement on the issue, or as an inclusion of their choices and applications in their books.

It was followed by an applied study, mentioning the forms of preponderance prohibition, forms of permissibility, with practical examples for each form, and then concluded the research with findings and recommendations.

The research concluded with findings, including: That this issue is one of the issues common to different sciences, so the ruling on it differs at that time due to the different nature of the sciences. Also, it includes: that one of the causes of disagreement on this issue is their dispute whether the disagreement over two sayings is a consensus to prevent the creation of a third saying, or justification for disagreement in it. Also, it includes the permissibility of creating a third saying so long as it does not invalidate a previous ruling, or affect a legal ruling that is consensus agreed upon, including: the emergence of the nodal effect in saying that a third saying is permissible according to some linguists.

Keywords: third saying – consensus - grammar.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أمّا بعد:

فإنّ دراسة أصول العلوم مقدّمة على دراسة جزئياتها، فمن أراد تحصيل علم من العلوم فلا بدّ من تحصيل أصوله التي بُني عليها ومراعاتها، وأولى العلوم بالتحصيل ما يوصل إلى فهم كلام الله -تعالى- وكلام نبيّه صلّى الله عليه وسلم. ولما رأيت مكتبة أصول النحو تعاني عجزاً وقلّة في الدراسات الأصولية؛ إذ لم تنصرف جهود القدماء إلى إنضاجه مقارنة بعلماء أصول الفقه، أردت كتابة بحثٍ يضاف إلى هذه المكتبة، فاخترت مسألة "إحداث قول ثالث" (١)، تلك المسألة المتعلقة بأصلٍ من أهم الأصول ألا وهو الإجماع، الأصل الذي عني المحققون بالاحتجاج به تطبيقاً، وإن كان أقلّ شأنًا وأخصر تناولاً من قسيمه السماع والقياس تأصيلاً وتفصيلاً في كتب الأصول عند ابن جني والسيوطي.

هادفاً إلى تحرير المسألة ودراستها دراسة أصولية وتطبيقية، ذاكراً الأقوال في المسألة، معزّزاً الصور بالأمثلة التطبيقية الموضّحة لها، مبرزاً أثر المذهب العقدي في هذه المسألة، مبيّناً فيها موقف العلماء المتقدمين.

(١) يدخل في حدّ المسألة إحداث قول ثالث فأكثر، فالعبرة بالأقوال المحدثّة بعد اختلاف أهل الاجتهاد في عصر واحد على قولين مختلفين.

أهمية البحث وأسباب الاختيار

- ١- إنَّ مسائل أصول النحو لم تأخذ حقها في العناية والتفصيل كأصول الفقه، أو علم النحو، فلا تزال المكتبة الأصولية النحوية بحاجة إلى دراسات تحدد أوجه التمايز بينها وبين أصول الفقه.
- ٢- في دراسة أصول العلوم ضبط لها، ولطريقة الاستدلال، وما أخذه، وما يصح الاستشهاد به وما لا يصح.
- ٣- إنَّ هذه المسألة لم تُفرد في دراسة مستقلة، ولم تأخذ حقها من تناول في ثنايا الرسائل العلمية، فأكثر الباحثين الذين تناولوها في ثنايا أبحاثهم لم يزيدوا على ما ذكره السيوطي في الاقتراح.

الدراسات السابقة

بعد البحث في أوعية الرسائل والأبحاث العلمية المنشورة لم أجد من أفرد هذا الموضوع بالبحث والدراسة، وإنما وقفت على ثلاث رسائل قيِّمة في بابها، إلا أنَّها عرضت لهذه المسألة بإيجاز واختصار، مع تشابه بينهم في الأمثلة، وهي:

- ١- أصول العربية بين متقدمي النحاة ومتأخريهم، دراسة في فكر أبي إسحاق الشاطبي، للباحث: أحمد فتحي البشير، وهي رسالة ماجستير من إصدارات دار الذخائر سنة: ١٤٣٩هـ، وقد تناول الباحث هذه المسألة باختصار من الصفحة ٣٣١-٣٣٤.
- ٢- الإجماع في النحو، للدكتور: دخيل بن غنيم العواد، وأصلها رسالة ماجستير، من إصدارات مكتبة الرشد سنة ١٤٤١هـ، وقد تناول هذه المسألة تناولاً مختصراً في خمس صفحات، من الصفحة (٢٢٤) إلى (٢٢٨)، معتمداً على ما ذكره السيوطي في الاقتراح.
- ٣- المسائل المشتركة بين أصول الفقه وأصول النحو، وأصلها رسالة دكتوراه، للباحث: المثني بن عبدالعزيز الجرباء، من إصدارات مكتبة الرشد سنة ١٤٤١هـ، وقد تناول هذه المسألة في نحو صفحتين، من

إحداث قولٍ ثالثٍ في الدرس النحوي" -دراسة أصولية تطبيقية، د. طارق بن هندي الصاعدي

الصفحة (٢١٢) إلى (٢١٤)، مكتفياً بالنقل عن السيوطي أيضاً. ومن البحوث التي تناولت هذه المسألة في غير أصول النحو بحثٌ بعنوان: "إحداث وجه جديد في التفسير بين المجيزين والمانعين، دراسة تأصيلية تطبيقية"، للدكتور: أمين المزيني، وهو بحث منشور في مجلة تبيان في العدد (٣١) سنة ١٤٤٠هـ، ويختلف عن بحثي بأمرين: أحدهما: أنه يُعنى بالمسألة من ناحية أصولية تفسيرية، إذ المسألة مشتركة بين عدة علوم.

الآخر: يقصد الباحث بالوجه الجديد كلَّ قولٍ محدث ولو كان بعد الإجماع على قول واحد، بخلاف بحثي الذي يقصد بالقول الجديد ما كان ثالثاً فأكثر، أي بعد الإجماع الضمني، وهو -هنا- إجماع أهل البصرة والكوفة على قولين مختلفين أو أكثر.

منهج البحث

١- اتبعت المنهج الاستقرائي الوصفي في جمع المادة المتعلقة بالمسألة من كتب أصول النحو، مع الإفادة من بعض كتب أصول الفقه التي أشارت إليها من ناحية علم العربية.

٢- استقرأت مسائل الخلاف بين الكوفيين والبصريين في كتب الخلاف النحوي، والموسوعات النحوية، ثم تتبعت من أحدث قولاً بعدهم في المسألة، وصورته، وبيان حكمه، وموقف العلماء منه قبولاً أو رفضاً.

خطة البحث

يتكوّن البحث من مقدمة، وأربعة مباحث، ثم الخاتمة وفيها النتائج والتوصيات، ويليهما فهرس المصادر والمراجع. **المقدّمة:** وفيها: أهمية البحث وأسباب الاختيار، والدراسات السابقة، ومنهجه، وخطته.

المبحث الأول: وفيه: تعريف الإجماع، وأقسامه وحجّيته.

المبحث الثاني: وفيه: المراد بإحداث قولٍ ثالثٍ، وأثر حجّية الإجماع في

مسألة إحداء قول ثالث، والفرق بين إحداء قولٍ ثالثٍ وتركيب المذاهب، والعلوم التي تناولت المسألة وأثرها فيها.

المبحث الثالث: الجانب التأصيلي، وفيه: حكم إحداء القول الثالث.

المبحث الرابع: الجانب التطبيقي، وفيه: صور إحداء الثالث.

ثم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: تعريف الإجماع، وأقسامه، وحجته

لما كانت مسألة إحداث قول ثالث من المسائل المندرجة تحت باب الإجماع تطلب البحث بيان معنى الإجماع، وأقسامه، وحجته، وأثر ذلك في مسألة إحداث قول ثالث في النحو.

أولاً: تعريف الإجماع لغةً واصطلاحاً:

الإجماع لغة: مصدرٌ يُطلق على عدّة معانٍ، منها: الاتفاق، ونفي الخلاف، قال ابن فارس: "الجيم والميم والعين أصل واحد يدل على تضام الشيء"^(١)، وفي القاموس: "الإجماع الاتفاق"^(٢).

الإجماع اصطلاحاً: تعددت تعريفات الإجماع في أصول النحو، وكلُّها متقاربة في معناها، وترجع إلى المعنى اللغوي، ولم يخرج كثير ممن عرّفه عن قول ابن جني: "اعلم أنّ إجماع أهل البلدين..."^(٣)، فقال السيوطي: " والمراد به إجماع نخاة البلدين، البصرة والكوفة"^(٤).

وقال ابن علان: "اتفاق أئمة العربية المعوّل على آرائهم، والمرجوع إليها، على أمرٍ ما"^(٥).

وقال الفاسي: وعند النحويين ما أشار إليه-يعني السيوطي-من اتفاق أهل البلدين^(٦).

وفي قولهم: "أهل البلدين"، و"نخاة البلدين"، لا يفهم منه تقييد الإجماع بهم، فقد بيّن الشاطبي المراد فدكر: "أنّ النحويين ليسوا بمنحصرين في هاتين

(١) مقاييس اللغة ٤٧٩/١

(٢) القاموس المحيط ٧١٠.

(٣) الخصائص ١٩٠/١.

(٤) الاقتراح ٦٦.

(٥) داعي الفلاح ٢٣٢.

(٦) ينظر: فيض نشر الانشراح ٦٩٩/٢.

الفرقتين من أهل البصرة والكوفة، إلا أنه اقتصر عليهما؛ إذ يرجع غيرهم إليهم غالباً؛ لأنهم الذين تجردوا لضبط كلام العرب من بين سائر الناس، فهم المنفردون فيه بالتقدم^(١).

ثانياً: أقسام الإجماع:

إذا نظرنا إلى الإجماع النحوي نجده ينقسم إلى قسمين:

• الأول: الإجماع السكوتي:

تعريفه: هو أن يقول العلماء المجتهدون أو بعضهم قولاً، ويبلغ هذا القول غيرهم ويشتهر، فيسكتون عليه، إقراراً منهم^(٢).
ومثاله قول سيبويه في باب الإضافة: "وذلك عدة وزنة، فإذا أضفت قلت: عدي وزني... وكذا قول يونس، ولا نعلم أحداً يوثق بعلمه قال بخلاف ذلك"^(٣).
وقال الزجاجي: "فأول ما نذكر من ذلك إجماع النحويين على أن الكلام اسم وفعل وحرف، وحقق القول بذلك وسطره في كتابه سيبويه، والناس بعده غير منكرين عليه ذلك"^(٤).

فإجماع النحويين على أن أقسام الكلمة ثلاثة إجماع سكوتي.

• الثاني: الإجماع الضمني:

تعريفه: هو أن يختلف أهل الاجتهاد في عصر على قولين أو أكثر، فيدل ذلك على اتفاقهم على أن ما خرج من تلك الأقوال باطل^(٥).
ومثاله: اختلاف العلماء في صوغ فعل التعجب من "أفعل"، بين الجواز

(١) المقاصد الشافية ٣/١٩٣.

(٢) أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله ١٢٦.

(٣) الكتاب ٣/٣٦٩.

(٤) الإيضاح في علل النحو ٤١.

(٥) ينظر: أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله ١٢٦.

إحداث قولٍ ثالثٍ في الدرس النحوي" -دراسة أصولية تطبيقية، د. طارق بن هندي الصاعدي
مطلقاً، وهو مفهوم كلام سيبويه^(١)، والمنع وهو اختيار جماعة من المتقدمين^(٢).
ثم نقل ابن عصفور التفصيل في المسألة، فإن كانت الهمزة للتعدية فلا
يجوز، وإلا فيجوز^(٣)، وهذا خروج عن القولين السابقين.
وزاد السيوطي فجعل الإجماع على نوعين، أحدهما إجماع النحويين،
والآخر: إجماع العرب، فقال: "وإجماع العرب أيضاً حجة"، أي: كإجماع أهل
العربية، ومثّل له بالإجماع السكوتي، فقال: "استدلّ على جواز توسيطِ خبر ما
الحجازية ونصبه بقول الفرزدق:

فأصبحوا قد أعاد الله نعمتهم إذ هم قريشٌ وإذ ما مثلهم بشرٌ^(٤).
وردّه المانعون بأنّ الفرزدق تمييُّ تكلم بهذا معتقداً جوازه عند الحجازيين
فلم يُصب، ويُجاب بأنّ الفرزدق كان له أضدادٌ من الحجازيين والتميميين، ومن
مُناهم أن يظفروا له بزلّة يشنعون بها عليه مبادرين لتخطئته، ولو جرى شيءٌ
من ذلك لنقل؛ لتوفّر الدواعي على التحدُّث بمثل ذلك إذا اتفق، ففي عدم
نقل ذلك دليل على إجماع أضداده الحجازيين والتميميين على تصويب
قوله"^(٥).

وتابعه بعض الباحثين^(٦)، فجعل إجماع العرب داخلاً في الإجماع
النحوي، ومثاله كلُّ ما حكى أئمة النحو إجماع العرب عليه بعد استقراء،

(١) ينظر: الكتاب ١/٧٣.

(٢) ينظر: المقاصد الشافية ٤/٤٦٦.

(٣) نُسب هذا القول لابن عصفور في المقاصد ٤/٤٦٦ وغيره، والصواب أنّ هذا القول
حكاه ابن عصفور في شرح الجمل ١/٥٩١-٥٩٢ وردّه، والصحيح عنده أنّ
التعجب منه شاذٌ ولا يقاس عليه.

(٤) البيت من البسيط، وهو في شرح ديوانه ١٦٧.

(٥) الاقتراح ٦٧.

(٦) هما: الدكتور دخيل العواد، والباحث أحمد البشير. ينظر: الإجماع في النحو ٣٠٧،
وأصول العربية بين متقدمي النحاة ومتأخريهم ٣٦٠.

كقول سيبويه: " فأما المفرد إذا كان منادى فكلُّ العرب ترفعه بغير تنوين"^(١)، وقول ابن جني: " ثم رأيناهم كلهم مع هذا مجتمعين على فتح آخر هلمَّ"^(٢)، وقول الشاطبي في إعراب "الفم" بغير ميم، و"ذا" بمعنى صاحب: " فإنَّ العرب متفقون فيها على الإعراب بالحروف"^(٣)، فجعلوا هذا النوع داخلاً في الإجماع النحوي.

والذي يظهر أنَّ عدَّهم إجماع العرب من الإجماع النحوي فيه نظر؛ إذ الإجماع المحكي هنا يدخل في باب السماع لا الإجماع؛ لأنَّ " من اعتمد في نقل الإجماع على قيام الدليل القاطع فإنَّ الحجة حينئذ تكون في الدليل القاطع، والإجماع فائدته دفع ما يتوهم من التأويل"^(٤)، وإجماع العرب دليل سماعي قاطع. والله أعلم.

• ثالثاً: حجية الإجماع النحوي:

اختلف العلماء في حجية الإجماع، فذكروا فيه ثلاثة أقوال:

القول الأول: أنَّ الإجماع حجَّة، ومعنى حجيته: هو الحكم على مخالفه بالخطأ، وقد صرَّح بهذا جماعة منهم، فقال ابن الحاجب: " وإجماع أهل العربية مقطوع به في تفاصيل العربية"^(٥)، وقال الرازي: " إجماع أهل العربية في المباحث اللغوية حجَّة"^(٦)، ويقول الشاطبي: " وخرقُ الإجماع ممتنع، وصاحبه مخطئ

(١) الكتاب ١٨٥/٢.

(٢) الخصائص ٣٩/٣.

(٣) المقاصد الشافية ١٤٨/١.

(٤) ينظر: أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله ١٢٩.

(٥) الإيضاح في شرح المفصل ٣٥٩/١.

(٦) المحصول ٤٦٠/٥.

إحداث قول ثالث في الدرر النحوي" -دراسة أصولية تطبيقية، د. طارق بن هندی الصاعدي

قطعا؛ لأن يد الله مع الجماعة"^(١)، وقال أيضا: "مخالفة إجماع النحويين كمخالفة إجماع الفقهاء، وإجماع الأصوليين، وإجماع المحدثين، وكل علم اجتمع أربابه على مسألة منه فإجماعهم حجة، ومخالفتهم مخطئ"^(٢).

وقد السيوطي جعل الإجماع حجة ودليلاً معتبراً من أدلة النحو في كتابه الاقتراح^(٣).

القول الثاني: عدم حجتيته، قال ابن جني: "اعلم أن إجماع أهل البلدين إنما يكون حجة إذا أعطاك خصمك يده ألا يخالف المنصوص، والمقيس على المنصوص، فأما إن لم يعط يده بذلك فلا يكون إجماعهم حجة عليه"^(٤). ووافق ابن مضاء، فقال في أثناء حديثه عن مسألة القول بالعامل: "فإن قيل: فقد أجمع النحويون عن بكرة أبيهم على القول بالعوامل...، قيل: إجماع النحويين ليس بحجة على من خالفهم"^(٥).

ونسب هذا الرأي-أيضاً-للشاطبي في معرض إنكاره على ابن جني، فقيل: "ومع هذا النكير عليه من أجل تجويزه لمخالفة إجماع النحاة، فيظهر من الأستاذ أبي إسحاق أن رأيه لم يستقر على أن إجماع الصنائع والعلوم حجة؛ وذلك لأنه بعد أن وضع في مسائل الموافقات أن إجماعهم إجماع صحيح أسقط ذلك، وكتب بإزائه: سقطت هذه، بل فيها نظر... فالله أعلم بما تلخص

(١) المقاصد الشافية ٥/٥٢٦.

(٢) المرجع السابق ٩/١٩٣.

(٣) ينظر: الاقتراح ٦٧.

(٤) الخصائص ١/١٩٠. ونسب إليه القول بعدم حجية الإجماع الشاطبي في المقاصد

الشافية ٩/١٩٣-١٩٤.

(٥) ينظر: الرد على النحاة ٧٤.

عند الأستاذ أبي إسحاق في هذا الأصل^(١).

القول الثالث: التفصيل، فإن كان الحكم النحوي متعلقًا بالشرع كان الإجماع حجة، وإلا فلا، قال الزركشي: "إذا أجمعت الأمة على أمر لغوي فإن كان له تعلق بالدين كان إجماعًا معتدًا به، وإلا فلا"^(٢)، والظاهر أن حجتيه -حينئذٍ- لصلته بالحكم الشرعي، وهذا القول الراجح.

(١) روضة الأعلام ٢/٧٢٤.

(٢) ينظر: البحر المحيط للزركشي ٤/٥٢٣.

المبحث الثاني: المراد بإحداث قول ثالث، وأثر حجية الإجماع في مسألة إحداث قول ثالث، والفرق بين إحداث قول ثالث وتركيب المذاهب،

والعلوم التي تناولت هذه المسألة

• أولاً: المراد بإحداث قول ثالث:

مسألة إحداث قول ثالث من المسائل المشهورة في باب الإجماع، وصورتها: أن يختلف العلماء المجتهدون في عصر من العصور في مسألة واحدة على قولين، فيأتي من بعدهم ويُحدث قولاً ثالثاً خارجاً عن قولهم. ومثالها: قول أبي البقاء: " جاء في الشعر (لولاي) و (لولاك) فقال معظم البصريين: الياء والكاف في موضع جر، وقال الأخفش والكوفيون: في موضع رفع، قال أبو البقاء: وعندني أنه يمكن أمران آخران: أحدهما: ألا يكون للضمير موضع؛ لتعذر العامل، وإذا لم يكن عامل لم يكن عمل، وغير ممتنع أن يكون الضمير لا موضع له كالفصل. ويمكن أن يقال: موضعه نصب؛ لأنه من ضمائر المنصوب، ولا يلزم من ذلك أن يكون له عامل مخصوص؛ ألا ترى أن التمييز في نحو (عشرين درهماً) لا ناصب له على التحقيق، وإنما هو مشبّه بالمفعول حيث كان فضلة، وكذلك قولهم: لي ملؤه عسلاً، فهذا منصوب، وليس له ناصب على التحقيق، وإنما هو مشبّه بما له عامل، ومثل ذلك يمكن في (لولاي) و (لولاك) وهو أن يجعل منصوباً حيث كان من ضمائر المنصوب.

فإن قيل: الحكم بأنه لا موضع له وأن موضعه نصب خلاف الإجماع، إذ الإجماع منحصر في قولين: إمّا الرفع وإمّا الجر، والقول بحكم آخر خلاف الإجماع، وخلاف الإجماع مردود.

فالجواب عنه من وجهين:

أحدهما: أن هذا من إجماع مستفاد من السكوت، وذلك أنهم لم يصرّحوا بالمنع من قول ثالث، وإنما سكتوا عنه، والإجماع هو الإجماع على

حكم الحادثة قولاً.

والثاني: أن أهل العصر الواحد إذا اختلفوا على قولين جاز لمن بعدهم إحداث قول ثالث، هذا معلوم من أصول الشريعة، وأصول اللغة محمولة على أصول الشريعة.

وقد صنع مثل ذلك من النحويين على الخصوص أبو علي فإن له مسائل كثيرة قد سبق إليها بحكم، وأثبت هو فيها حكماً آخر، منها أن لفظه (كل) لا يدخلها الألف واللام في أقوال الأول، وجوز هو فيها ذلك، وقد أفردا بمسألة في (الحلبيات) واستدل على ذلك بالقياس، فغير ممتنع أن يذهب ذاهب هنا إلى مذهب ثالث؛ لوجود الدليل عليه^(١).

● ثانياً: أثر حجية الإجماع في مسألة إحداث قول ثالث:

اختلف العلماء في مسألة إحداث قول ثالث، أهي فرع عن الإجماع السكوتي كما فعل السيوطي^(٢)، أم فرع عن الإجماع الضمني كما يظهر في تعريف الإجماع الضمني.

فإن عُدَّ من الإجماع السكوتي فقد اختلف العلماء في حجته على

قولين:

أحدهما: هو حجة؛ لأنَّ سكوت العالم عن حكم غيره يدل على موافقته إيَّاه، فحينئذ يمنع إحداث قول ثالث.

وقيل: ليس بحجة؛ إذ لا يمكن انعقاد الإجماع مع سكوت بعض العلماء، بل لا بدَّ من تصريح الكل^(٣). فيجوز إحداث قول ثالث حينئذ.

وإن كانت المسألة فرع عن الإجماع الضمني، فقد اختلف العلماء في

حجته على قولين أيضاً:

(١) لم أجدها في المسائل الحلبيات، وينظر: الاقتراح ٦٨.

(٢) ينظر: الاقتراح ٦٨.

(٣) ينظر القول بالحجية وعدمها في أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله ١٣٠.

إحداث قول ثالث في الدرس النحوي" -دراسة أصولية تطبيقية، د. طارق بن هندي الصاعدي

أحدهما: هو حجة، وهذا مذهب أكثر الأصوليين. فعليه لا يجوز
إحداث قول ثالث.

الآخر: ليس بحجة؛ لأن أصحاب العصر السابق اختلفوا على قولين،
والإجماع لا يؤخذ من الخلاف^(١). فحينئذ يجوز إحداث قول ثالث.
والذي يظهر أن مسألة إحداث قول ثالث فرع عن الإجماع الضمني، لا
عن الإجماع السكوتي كما يرى السيوطي. والله أعلم.

• ثالثاً: تركيب المذاهب:

مما يشبه مسألة إحداث قول ثالث التلفيق بين المذاهب أو تركيب
المذاهب، وهو أن يضمّ النحويّ المذاهب بعضها إلى بعض، ويُنتج بين ذلك
مذهباً جديداً، وقد عقد له ابن جني باباً وشبّهه بتداخل اللغات^(٢).

ومثاله: أن المازني كان يعتقد مذهب يونس في ردّ المحذوف في التحقير،
وإن غني المثال عنه، فيقول في تحقير (يضع) اسم رجل: (يويضع)، وسيبويه إذا
استوفى التحقير مثاله لا يرد، فيقول: (يضيع)، وكان المازني يرى رأي سيبويه في
صرف نحو (جوار) علماً، ويونس لا يصرفه.

فقد تحصّل -إذن- للمازني مذهب مركب من مذهب الرجلين، وهو
الصرف على مذهب سيبويه، والرّد على مذهب يونس، فيقول في تحقير اسم
رجل سمّيته (يرى) رأيت يريئياً، فردّ الهمزة من (يرى) إذا أصله (يرأى) على قول
يونس، ويصرف على قول سيبويه، ويونس يرد ولا يصرف، فيقول: رأيت
يرئياً، وسيبويه يصرف ولا يرد فيقول: رأيت يريئياً؛ بإدغام ياء التحقير في الياء
المنقلبة عن الألف، فقد عرف تركيب مذهب المازني عن مذهب الرجلين^(٣).

ومن ذلك -أيضاً- المضارع، قال البصري: إعرابه فرع، وأعرّب لمضارعه

(١) ينظر: المرجع السابق ١٣٢.

(٢) ينظر: الخصائص ٧٤/٣.

(٣) ينظر: الاقتراح ٦٨.

الاسم في الإبهام والتخصيص، وقال الكوفي: إنَّه أصلٌ فيه؛ لاعتوار معانٍ عليه تفتقر إلى الإعراب، كالمعاني المعتورة على الاسم^(١).

فذهب ابن مالك إلى موافقة البصريين في فرعية إعرابه، وموافقة الكوفيين في مقتضى إعرابه، فقله بإعرابه لاعتوار المعاني مذهبٌ مركَّب من المذهبين المذكورين^(٢).

وتركيب المذاهب شديد الشَّبه بمسألة إحداث قول ثالث، حتى سوَّى بينهما بعض العلماء فقال: "والحقُّ في مسألة التلفيق أنَّها كمسألة إحداث قول ثالث فيما إذا اختلفوا على قولين فقط"^(٣)، وسيأتي الحديث عن الفرق بينهما لاحقاً.

● رابعاً: الفرق بين إحداث قول ثالث وتركيب المذاهب:

مسألة تركيب المذاهب من مسائل الإجماع المشهورة، وهي شديدة الشَّبه بمسألة إحداث قول ثالث كما يتضح في المثالين السابقين، ووجه الشبه أنَّ كلاً منهما فيه إحداث قولٍ جديد مخالف لإجماع المجتهدين السابقين على قولين، ويفترقان في أمورٍ منها:

١- التركيب بين المذاهب يكون بين قولين مختلفين، وإيجاد صورة جديدة مركَّبة منهما، بخلاف إحداث قول ثالث؛ فيكون بطرح القولين السابقين والإتيان بقولٍ جديد.

٢- التركيب بين المذاهب لم يحصل نزاع بين العلماء في جوازه، فقد ذكره ابن جني، وشبَّهه بتداخل اللغات، ونقله عنه السيوطي ولم يستدرِك عليه؛ إذ ليس فيه خرقٌ للإجماع، فلا يرفع القولين السابقين، وإن كان مخالفاً لهما، فهو يوافق أحدهما في وجهه، ويخالفه من وجه آخر،

(١) تنظر المسألة في الإنصاف ٥٥٠/٢.

(٢) ينظر: شرح التسهيل ٣٤/١.

(٣) ينظر: سلم الوصول لشرح نهاية السؤل ٦٢٩/٤.

إحداث قولٍ ثالثٍ في الدرس النحوي" -دراسة أصولية تطبيقية، د. طارق بن هندي الصاعدي

بخلاف حكم مسألة إحداث قول جديد، فالخلاف فيه مشهور.

٣- التركيب بين المذاهب وإحداث قولٍ ثالثٍ بينهما عموم وخصوص، فكلُّ تركيبٍ إحداث قولٍ، وليس كلُّ قولٍ محدثٍ تركيباً بين المذاهب. والله أعلم.

• خامساً: العلوم التي تناولت هذه المسألة:

مسألة إحداث قول جديد من المسائل المشتركة بين عدة علوم، فقد تطرق لها علماء أصول الفقه في باب الإجماع، وهي من القواعد المشتهرة في مصنفاتهم، فلا يكاد يخلو مصنف من هذه المسألة^(١).

وممن تناول هذه المسألة -أيضاً- بعض علماء التفسير، ويتجلى ذلك عند ابن جرير الطبري، فكثيراً ما يحكي الخلاف في تفسير آية، ويستعمل مضمون هذه المسألة في ردِّ القول الجديد، كقوله: "وهذا قول لا نعلم له قائلاً من متقدمي العلم قاله، وإن كان له وجه، فإن كان ذلك كذلك، وكان غير جائز عندنا أن يتعدى ما أجمعت عليه الحجة، فما صحَّ من الأقوال في ذلك إلا أحد الأقوال التي ذكرناها عن أهل العلم"^(٢).

وتبعه ابن تيمية، راداً على من يفسِّر القرآن بالاحتمالات اللغوية فقال: (وهذا خطأ؛ فإنهم إذا أجمعوا -يعني السلف- على أن المراد بالآية إمّا هذا وإمّا هذا، كان القول بأن المراد غير هذين القولين خلافاً لإجماعهم)^(٣).

وممن تناول مسألة إحداث قول جديد بعض علماء العقيدة، فقد ردُّ بها على المخالفين في باب الأسماء والصفات، كقول ابن تيمية في الردِّ على من أوَّل صفة الاستواء بالاستيلاء: "وقد طالعت التفاسير المنقولة عن الصحابة،

(١) ينظر مثلاً: العدة في أصول الفقه ٤/١١١٣.

(٢) ينظر: جامع البيان ٢٣/١٧٩.

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى ١٥/٩٥.

وما رووه من الحديث، ووقفت من ذلك على ما شاء الله -تعالى- من الكتب الكبار والصغار أكثر من مئة تفسير، فلم أجد عن أحد من الصحابة أنه تأوّل شيئاً من آيات الصفات أو أحاديث الصفات بخلاف مقتضاها المفهوم المعروف، بل عنهم من تقرير ذلك وتثبيته وبيان أنّ ذلك من صفات الله ما يخالف كلام المتأولين ما لا يحصيه إلاّ الله" (١). ويقال في باقي الصفات كما قيل في هذه الصفة.

ومن العلوم التي تناولت مسألة إحداث قول جديد علم أصول النحو، وقد أكثر الشاطبي من ذكر هذه المسألة، والتفصيل فيها، في كتابه المفقود "أصول العربية"، ثم في المقاصد الشافية، نقلاً عن علماء أصول الفقه، كالغزالي وابن الحاجب (٢)، فذكر في بناء فعل التعجب من (أفعل) ثلاثة أقوال: الجواز مطلقاً، والمنع مطلقاً، وفرّق ابن عصفور بين أن تكون الهمزة للتعدية أو لا، فإن كانت للتعدية فلا يجوز، وإلاّ جاز، ثم قال: وأمّا ابن عصفور فيكفيه في الردّ مخالفته للإجماع، بناء على أنّ إحداث قول ثالثٍ حرقٌ للإجماع. (٣)

وقال في حكم الإخبار بظرف الزمان عن الجثة: " وإن سئل الإجماع فليس في مسألة يبنني عليها حكم، بل هو في تأويل، ويجوز الخلاف فيه وإحداث قول آخر غير ما أجمع عليه على الصحيح عند أهل الأصول" (٤). وتبعه السيوطي وتطرق للمسألة بإيجاز في اقتراحه (٥).

(١) المرجع السابق ٦/٣٩٤.

(٢) ينظر: المقاصد الشافية ٣/٧٧ و ٩/٤٦.

(٣) المرجع السابق ٤/٤٦٦ و ٤٧١.

(٤) المرجع السابق ٢/٣٢.

(٥) ينظر: الاقتراح ٦٨.

المبحث الثالث: الدراسة التأصيلية، حكم إحداث القول الثالث

عند الحديث على مسألة إحداث قول ثالث في النحو ينبغي التمييز بين هذه المسألة في علم أصول النحو، وعلم أصول الفقه؛ فلا تُنزل الأقال والمذاهب والعلل المذكورة عند علماء أصول الفقه على علم النحو؛ لسببين: **أولهما:** أنَّ العصمة من اجتماع الأمة على ضلالة-وهذا أقوى أدلة المانعين-إنما جاء من جهة الشرع، كما في حديث: "أن لا يجمع أممي على ضلالة"^(١)، ولم يرد مثل هذا في العربية إلا إن ترتب على الخلاف فيها انتهاك حكم شرعي.

السبب الثاني: أنَّ علم العربية علم منتزع من استقراء كلام العرب، ولا يحيط بالعربية إلا نبي، فكم ترك الآخر للأول، ولا يقال مثل هذا في أصول الفقه؛ إذ يلزم منه نسبة الأمة في عصر من العصور إلى الضياع والغفلة. وكما اختلف العلماء في إحداث قول جديد بعد انعقاد الإجماع على قولين أو أكثر بين الجواز مطلقاً، والمنع مطلقاً، والتوسط، في أصول الفقه أو التفسير اختلفوا في علم العربية، فعند التأمل في المسائل التي قيل فيها بقول ثالث نجد أنَّ هذا القول لا يخرج عن صورتين:

إحدهما: أن يكون القول حكماً جديداً.

والأخرى: أن يكون القول تأويلاً جديداً، ويُحمل على التأويل ما كان في حكمه، كالقول بدليل جديد، أو التعليل بعلة جديدة، أو القول بقيد جديد، أو تفصيل جديد، أو دلالة جديدة، أو غير ذلك.

وقد اختلف العلماء في هذه المسألة على ثلاثة مذاهب:

المذهب الأول: جواز إحداث قول جديد مطلقاً، سواء أكان القول حكماً أم غير حكم، والظاهر أنَّ حججهم أنَّ الإجماع لا يمكن أن يؤخذ من

(١) الحديث في مسند الإمام أحمد ٢٠٠/٤٥، وصححه الشيخ الأرنؤوط في الحاشية.

الخلاف، وأصحاب العصر السابق اختلفوا، فكيف يُستدل باختلافهم على الإجماع، بل يُستدل باختلافهم على أنّ المسألة خلافية، والخلاف فيها سائغ، فلا يُمنع من إحداث قولٍ جديد^(١).

والقول بالجواز مطلقاً هو الظاهر من مذهب أبي علي الفارسي، إذ حُكي إجماع العلماء على أنّ لفظه "كل" و"بعض" لا يدخلهما الألف واللام، وأجاز هو ذلك، فلمّا أجاز خرق الإجماع على قولٍ واحدٍ في هذه المسألة، أجاز إحداث قولٍ ثالثٍ من باب أولى^(٢).

وتبعه تلميذه ابن جني فقال: "اعلم أنّ إجماع أهل البلدين إنّما يكون حجة إذا أعطاك خصمك يده ألا يخالف المنصوص، أو المقيس على المنصوص، فأما إن لم يعطِ يده بذلك فلا يكون إجماعهم حجة عليه"^(٣).

فعدم مخالفة المنصوص أو المقيس على المنصوص إنّما جاءت قداسته من النصّ، وهو السماع غير المحتمل تأويلاً أو ضرورة، لا من الإجماع، وقد صرح ابن جني بجواز مخالفة الإجماع في مسألة: (هذا حجر ضبّ خرب) فقال: "فمّمّا جاز خلاف الإجماع الواقع فيه منذ بدئ هذا العلم وإلى آخر هذا الوقت ما رأيته أنا في قولهم: هذا حجر ضبّ خرب. فهذا يتناوله آخر عن أوّل، وتالٍ عن ماضي على أنّه غلطٌ من العرب، لا يختلفون فيه ولا يتوقفون عنه، وأنه من الشاذ الذي لا يحمل عليه ولا يجوز ردُّ غيره إليه.

وأما أنا فعندي أنّ في القرآن مثل هذا الموضع نيقاً على ألف موضع؛ وذلك أنه على حذف المضاف لا غير، فإذا حملته على هذا الذي هو حشو الكلام من القرآن والشعر ساغ وسلس وشاع وقبل.

وتلخيص هذا أنّ أصله: هذا حجرٌ ضبّ خربٍ جحره، فيجري "خربٍ

(١) تنظر الحجة في أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله ١٣٣.

(٢) ينظر: الاقتراح ٦٩.

(٣) الخصائص ١/١٩٠.

إحداث قول ثالث في الدرس النحوي -دراسة أصولية تطبيقية، د. طارق بن هندي الصاعدي

"وصفًا على "ضِبِّ" وإن كان في الحقيقة للجحر، كما تقول: مررت برجلٍ قائمٍ أبوه، فتجري "قائمًا" وصفًا على "رجل" وإن كان القيام للأب لا للرجل لما ضُمَّن من ذكره.

والأمر في هذا أظهر من أن يؤتى بمثال له أو شاهد عليه، فلما كان أصله كذلك حذف الجحر المضاف إلى الهاء، وأقيمت الهاء مقامه فارتفعت؛ لأنَّ المضاف المحذوف كان مرفوعًا، فلما ارتفعت استتر الضمير المرفوع في نفس "خرب" فجري وصفًا على "ضِبِّ" -وإن كان الخراب للجحر لا للضِبِّ- على تقدير حذف المضاف على ما أرينا^(١).

ومَّا يدل على أنَّ مذهب ابن جني جواز مخالفة الإجماع مطلقًا في الأحكام أو غيرها عدم إنكاره على المبرِّد قوله بجواز تقدم خبر (ليس) عليها فقال: "فأحد ما يحتج به عليه أن يقال له: إجازة هذا مذهب سيويه وأبي الحسن وكافة أصحابنا، والكوفيون -أيضًا- معنا، فإذا كانت إجازة ذلك مذهبًا للكافة من البلدين وجب عليك -يا أبا العباس- أن تنفر عن خلافه، وتستوحش منه، ولا تأنس بأول خاطر يبدو لك فيه.

ولعمري إنَّ هذا ليس بموضع قطع على الخصم، إلا أنَّ فيه تشنيعًا عليه وإهابة به إلى تركه وإضافة لعذره في استمراره عليه وتهالكه فيه، من غير إحكامه وإنعام الفحص عنه، وإنما لم يكن فيه قطعٌ لأنَّ للإنسان أن يرتجل من المذاهب ما يدعو إليه القياس ما لم يلو بنصٍّ أو ينتهك حرمة شرع^(٢). فهنا يشير -مرة أخرى- إلى منزلة السماع (النص) وحجيته وقداسته.

ووافق أبو البقاء العكبري أبا علي وابن جني في هذا المذهب؛ إذ أجمع النحويون على أنَّ الكاف في (لولاك) إمَّا في موضع رفع، أو موضع جر، وأجاز هو قولين آخرين، أحدهما: ألا يكون للضمير موضع، والآخر: أن

(١) المرجع نفسه ١/١٩٢.

(٢) المرجع نفسه ١/١٨٩.

يكون في موضع نصب؛ وحجته في ذلك أمران: أحدهما: أنّ هذا الإجماع مستفادٌ من السكوت، فلم يصرّحوا بمنع قولٍ ثالث. والآخر: أنّ مخالفة الإجماع ليس بممتنع؛ بدليل فعل أبي علي الفارسي^(١).

المذهب الثاني: المنع المطلق، وهذا مذهب السيوطي تنظيرًا، حيث قال في شروط المستنبط: "أن يكون عالماً بلغة العرب، محيطاً بكلامها... وإجماع النحاة كيلاً يُحرق، وبالخلاف كيلاً يحدث قولاً زائداً خارقاً إذا قلنا بامتناع ذلك"^(٢).

ووافقه الفارسي فقال: "ومرَّ أنّه المختار عند أولي التحقيق"^(٣).

المذهب الثالث: التفصيل، فإن كان في القول الثالث إحداهُ حكمٍ جديدٍ، أو رفعٌ للقولين السابقين مُنْع، وإلا جاز، وهذا الظاهر من مذهب الجمهور، وإليه تدلُّ اعتراضاتهم واستدراكاتهم على بعضهم البعض، فجُلُّها في تأويلٍ أو علةٍ أو قيدٍ وشرطٍ ونحو ذلك، وقد نصَّ على هذا المذهب الشاطبي في أحد قوليه، فتجده يعتذر عمَّن أحدث قولاً إذا كان القول تأويلاً، كما في مسألة (عندك ووراءك)، إذ حُكي الإجماع بإعرابهما، وقيل: مبنيتان، فقال: (فإن سلمناه - يعني الإجماع - فليست المخالفة للإجماع في حكمٍ من الأحكام المتقررة التي يلزم عنها المخالفة في قياسٍ أو سماع، لأنَّ (عندك، ووراءك) ونحوهما مع القول بالإعراب والبناء على حد سواء، فإنما حقيقة الخلاف في تأويلٍ لا في حكمٍ، إذ كانت هذه الأشياء لازمةً للإضافة لا يجوز إفرادها، فلم يظهر فيها فرق بين الإعراب والبناء.

وأما لو كانت المخالفة فيما يوجب حكماً ظاهراً لكانت المخالفة حينئذٍ

(١) لم أجده فيما بين يدي من كتب العكبري. وينظر: الاقتراح ٦٩.

(٢) المرجع نفسه ١٣٢.

(٣) فيض الانشراح ١١٦٢/٢.

إحداث قولٍ ثالثٍ في الدرس النحوي" -دراسة أصولية تطبيقية، د. طارق بن هندي الصاعدي

محظورة: وعلى هذا النحو جاءت مخالفة ابن جني في نحو: هذا جحر ضب خرب، إنما خالفهم في تأويل لا في نفس حكم قياسي أو سماعي، وقد نص الأصوليون، في مسألة إحداث دليلٍ أو تأويلٍ مخالفٍ لما أجمعوا عليه مع الموافقة في محصول الحكم، على الخلاف، ورجح المحققون منهم الجواز؛ إذ لا مخالفة في الحكم^(١).

وفي همزة (إنَّ) إذا وقعت جوابًا للقسم وليس معها اللام ذهب الكوفيون إلى جواز الفتح والكسر والفتح عندهم أجود، وعند البصريين وجوب الكسر^(٢)، فذهب ابن مالك إلى قول ثالثٍ مخالفٍ لما تقدم، وهو جوازهما وتساوي الوجهين، فاعتذر له الشاطبي بقوله: "وأما مخالفته للناس فاختراعٌ لقولٍ لم يره أحدٌ من النحويين، فهو مخالفٌ للإجماع... ويجاب عن ذلك أنَّ إحداث قولٍ ثالثٍ إذا أجمع الناس على قولين لا يكون خرقًا للإجماع عند جماعة من أهل الأصول، فلا عتَبَ عليه"^(٣).

ويمتنع إحداث قولٍ جديدٍ إن كان هذا القول يرفع القولين السابقين، كما في مسألة أصل الاشتقاق المصدر أم الفعل، وأيهما الأسبق^(٤)، فذهب البصريون إلى أن المصدر هو الأصل، والفعل مشتقٌّ منه، قال الخليل: "والمصدر أصل الكلمة الذي تصدر عنه الأفعال، وتفسيره: أنَّ المصادر كانت أوَّل الكلام، كقولك: الذهاب والسمع والحفظ، وإتّما صدرت الأفعال عنها، فيقال: ذهب ذهابًا، وسمع سمعًا وسماعًا، وحفظ حفظًا"^(٥).

(١) ينظر: المقاصد الشافية ٥/٥٢٦.

(٢) ينظر مذهب البصريين والكوفيين في شرح الألفية لابن الناظم ١٦٦.

(٣) المقاصد الشافية ٢/٣٣٢ و٣٣٣. والذي يظهر أنَّ هذه المسألة ألصق بتركيب المذاهب منها بإحداث قولٍ ثالثٍ، وجعلها الشاطبي من باب إحداث قولٍ ثالثٍ لقوة الشبه بينهما.

(٤) تنظر المسألة في الإنصاف ١/٢١٧.

(٥) العين ٧/٩٦.

وتبعه سيويوه فقال: "وأما الفعل فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء... والأحداث نحو الضرب والقتل والحمد"^(١).

وخالفهم الكوفيون فذهبوا إلى أنَّ الفعل الأصل والمصدر مشتق منه، قال ابن المؤدب: "اعلم أنَّ المصدر مشتقُّ من الفعل الماضي ومأخوذ منه... وهو قول هشام بن معاوية الكوفي"^(٢).

ونقل عنهم الزجاجي بأنَّ: "المصدر مأخوذ من الفعل، والفعل سابق له، وهو ثانٍ بعده"^(٣).

وبعد انقضاء إجماع البصريين والكوفيين على القولين السابقين حكى ابن عقيل قولين آخرين:

أحدهما: أنَّ المصدر أصلٌ، والفعل مشتقُّ منه، والوصف مشتقُّ من الفعل، فجعل الوصف فرعاً عن الفعل لا مساوياً له^(٤)، وهو في الحقيقة تفصيلٌ لقول البصريين، وراجع إليه.

القول الآخر: أنَّ كلاً من المصدر والفعل أصلٌ برأسه، فليس أحدهما مشتقاً من الآخر، ونسبه ابن عقيل إلى ابن طلحة، وهذا القول الذي يعنينا في مسألتنا، فلمَّا رفع هذا القول القولين السابقين مُنع على ما ذهب إليه الأصوليون^(٥).

(١) الكتاب ١/١٢.

(٢) دقائق التصريف ٤٤.

(٣) الإيضاح في علل النحو ٥٦.

(٤) ينظر: ارتشاف الضرب ٣/١٣٥٣.

(٥) ينظر: المقاصد الشافية ٩/٤٦.

المبحث الرابع: الدراسة التطبيقية، صور أحداث القول الثالث

المتأمل في كتب النحو يرى أقوالاً كثيرة حُكي فيها الإجماع، وحجيتُه، ووقوعُه، ونقضُه، وقليلًا ما يشار إلى مسألة أحداث قول ثالث بعد الإجماع على قولين سابقين، وسببِ إحدائه، وصوره، وحكمه.

وسأقف في هذا المبحث (التطبيقي) مع بعض المسائل المتعلقة بإحداث قول ثالث، مبيِّنًا بعض صورها، محاولًا استجلاء أسبابها، وقد جاء القول الثالث في خمسة صور، تحت كل صورة منها مثال أو أكثر.

الصورة الأولى: إحداث حكم جديد.

من الصور الممتنعة في مسألة أحداث قولٍ ثالثٍ ما إذا كان في القول حكمٌ جديدٌ، قال الشاطبي: "مخالفة الإجماع إنما تكون محذورة إذا خالفه في إحداث قولٍ بحكمٍ يخالف ما قالوه"^(١).

وقال في موضع آخر: "أما لو كانت المخالفة فيما يوجب حكمًا ظاهرًا لكانت المخالفة حينئذ محظورة"^(٢).

ومن أمثلة أحداث حكم جديد اختلاف النحويين في حكم المضاف إلى ياء المتكلم في نحو (غلامي) من حيث البناء أو الإعراب، فذهب قوم إلى أنه معرَّبٌ في الأحوال الثلاثة، ونسبه أبو حيان إلى جمهور النحويين^(٣)، إذ لا شبه بالحرف يوجب البناء، وذهب آخرون إلى أنه مبني^(٤)، وعلَّله العكبري

(١) المقاصد الشافية ٧٧/٣.

(٢) المرجع نفسه ٥٢٦/٥.

(٣) ينظر: ارتشاف الضرب ١٨٤٧/٤.

(٤) أوردها العكبري في كتاب التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين ١٥٠ ولم ينسب الأقوال إلى المذاهب، وفي الباب ٦٧/١ و٩٥/٢ نسب القول بالبناء إلى الجمهور وقال المحقق: "والصواب خلافه".

بإضافته إلى المبني، فاكسب البناء منه^(١)، وخالفه ابن الحاجب في هذه العلة؛ إذ "الإضافة إلى المبني لا توجب بناء"^(٢)، وتبعه الرضي في الإنكار فقال: "ومن أين لهم أن الإضافة إلى المبني مطلقاً سبب البناء، بل لها شرط"^(٣).

وخالفهم ابن جني فأحدث قولاً ثالثاً، وجعل المضاف إلى ياء المتكلم في منزلة وسطى بين البناء والإعراب، فقال في باب "في الحكم يقف بين الحكمين": "هذا فصلٌ موجود في العربية لفظاً، وقد أعطته مقادراً عليه وقياساً، وذلك نحو كسرة ما قبل ياء المتكلم في نحو: غلامي وصاحبي، فهذه الحركة لا إعراب ولا بناء؛ أمّا كونها غير إعراب فلأنّ الاسم يكون مرفوعاً ومنصوباً وهي فيه، نحو: هذا غلامي، ورأيت صاحبي، وليس بين الكسر وبين الرفع والنصب في هذا ونحوه نسبة ولا مقارنة، وأمّا كونها غير بناء فلأنّ الكلمة معربة متمكنة، فليست الحركة إذن في آخرها ببناء؛ ألا ترى أن (غلامي) في التمكن واستحقاق الإعراب كغلامك وغلامهم وغلامنا.

فإن قلت: فما الكسرة في نحو: مررت بغلامي، ونظرت إلى صاحبي، إعراب هي أم من جنس الكسرة في الرفع والنصب؟

قيل: بل هي من جنس ما قبلها وليست إعراباً، ألا تراها ثابتة في الرفع والنصب. فعلمت بذلك أن هذه الكسرة يُكره الحرف عليها، فيكون في الحالات ملازماً لها، وإنما يستدل بالمعلوم على المجهول، فكما لا يشك أن هذه الكسرة في الرفع والنصب ليست بإعراب، فكذلك يجب أن يحكم عليها في باب الجر؛ إذ الاسم واحد، فالحكم عليه إذاً في الحالات واحد"^(٤).

ومن أمثلة إحداه قول ثالث في الأحكام إختلافهم في حكم الضمير

(١) ينظر: اللباب ٢/٩٥.

(٢) الإيضاح في شرح المفصل ١/٤٣١.

(٣) شرح الكافية ١/١٠٠.

(٤) الخصائص ٢/٣٥٨-٣٥٩.

إحداث قولٍ ثالثٍ في الدرس النحوي" -دراسة أصولية تطبيقية، د. طارق بن هندي الصاعدي

بعد (لولا)، نحو: (لولاي) و (لولاك) فقال معظم البصريين: الياء والكاف في موضع جر، وقال الأخفش والكوفيون: في موضع رفع، قال أبو البقاء: وعندني أنه يمكن أمران آخران:

أحدهما: ألا يكون للضمير موضع؛ لتعذر العامل، وإذا لم يكن عامل لم يكن عمل، وغير ممتنع أن يكون الضمير لا موضع له كالفصل.

ويمكن أن يقال: موضعه نصب؛ لأنَّه من ضمائر المنصوب، ولا يلزم من ذلك أن يكون له عامل مخصوص؛ ألا ترى أن التمييز في نحو عشرين درهماً لا ناصب له على التحقيق، وإنما هو مشبه بالمفعول حيث كان فضلة، وكذلك قولهم: لي ملؤه عسلاً، فهذا منصوب، وليس له ناصب على التحقيق، وإنما هو مشبه بما له عامل، ومثل ذلك يمكن في (لولاي) و (لولاك) وهو أن يجعل منصوباً حيث كان من ضمائر المنصوب.

فإن قيل: الحكم بأنَّه لا موضع له، وأنَّ موضعه نصب خلاف الإجماع، إذ الإجماع منحصر في قولين: إما الرفع وإما الجر، والقول بحكم آخر خلاف الإجماع وخلاف الإجماع مردود. فالجواب عنه من وجهين:

أحدهما: أن هذا من إجماع مستفاد من السكوت، وذلك أنهم لم يصرحوا بالمنع من قول ثالث، وإنما سكتوا عنه، والإجماع هو الإجماع على حكم الحادثة قولاً.

والثاني أن أهل العصر الواحد إذا اختلفوا على قولين جاز لمن بعدهم إحداث قول ثالث، وهذا معلوم من أصول الشريعة، وأصول اللغة محمولة على أصول الشريعة^(١).

(١) ينظر: الاقتراح ٦٨.

الصورة الثانية: إحداث تأويل جديد.

من الصور التي أجازها جمهور الأصوليين في مسألة إحداث قول ثالث ما إذا كان القول تأويلاً جديداً، قال الشاطبي: "أمّا إذا أحدث تأويلاً لم يقل به أحدٌ من أهل الإجماع فهذا ليس بمحذور عند أكثر الأصوليين"^(١). وقال في موضع آخر: "وقد نص الأصوليون، في مسألة إحداث دليل أو تأويل مخالف لما أجمعوا عليه مع الموافقة في محصول الحكم، على الخلاف، ورجح المحققون منهم الجواز؛ إذ لا مخالفة في الحكم، وهذه المسألة مذكورة في الأصول"^(٢).

ومن أمثلة إحداث تأويل ثالث بعد انحصار الإجماع في قولين اختلافهم في المضاف إلى ياء المتكلم، فذهب قوم إلى أنه معربٌ مقدَّرٌ فيه الحركات الإعرابية في الرفع والنصب والجر؛ لانشغال المحل بحركة المناسبة، وذهب آخرون إلى أنه مبني^(٣).

ووافقهم الجرجاني في الحكم، فلم يخرج عن قولهم، وخالفهم في التأويل، فأحدث تأويلاً جديداً، إذ جعل المضاف إلى ياء المتكلم - في هذه المسألة - ظاهر الحركة الإعرابية حالة الجر، مقدَّرٌ فيه حالة الرفع والنصب، فقال: "فيكون إعراب غلامي لفظياً في حالة الجر كما هو الأصل"^(٤).

وتبعه ابن مالك فقال: "والأصح بقاء إعراب المعرب إذا أضيف إلى ياء المتكلم ظاهراً في المثنى مطلقاً، وفي المجموع على حدّه غير مرفوع، وفيما سواها مجروراً، ومقدَّراً فيما سوى ذلك"^(٥)، قال أبو حيان: ولا أعرف له - أي لابن

(١) المقاصد الشافية ٣/٧٧.

(٢) ينظر: المرجع نفسه ٥/٥٢٦.

(٣) ينظر: التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين ١٥٠، واللباب ١/٦٧.

(٤) ينظر: حاشية الجرجاني على شرح الرضي ٣٤.

(٥) تسهيل الفوائد ١٦١.

إحداث قولٍ ثالثٍ في الدرس النحوي" -دراسة أصولية تطبيقية، د. طارق بن هندي الصاعدي

مالك-سلفًا في هذا المذهب^(١)، والصواب أنَّ القول قول الجرجاني قبله. ومن أمثلة إحداهن تأويل ثالث بعد انحصار الإجماع في قولين اختلافهم في (لكنَّ)^(٢)، فذهب البصريون إلى أنَّها بسيطة، وذهب الكوفيون إلى أنَّها مركبة، واختلفوا في تركيبها على قولين، فذهب الفراء إلى أنَّ أصلها لكنَّ وأنَّ، فطُرحت همزة أنَّ، وسقطت نون لكنَّ حيث التقت مع ساكن. وذهب بعض الكوفيين إلى أنَّ أصلها (لا) و(أنَّ)، فحُذفت الهمزة تخفيفًا وزيدت الكاف، وعلى هذين الحكمين إجماع أهل البصرة والكوفة. ووافقهم السهيلي في أصل الحكم فلم يخرج عن القولين، وخالفهم في التأويل فأحدث قولًا جديدًا؛ إذ ذهب إلى أنَّ أصلها (لا) و(كأنَّ)، والكاف للتشبيه، و(أنَّ) على أصلها.

ومن أمثلة إحداهن تأويل جديد اختلافهم في (منذ)، فقال البصريون: بسيطة. وقال الكوفيون: مركبة. ثم اختلفوا، فقال الفراء: أصلها من ذو: من الجارة، وذو الطائية. وقال بعضهم: أصلها من إذ: من الجارة، وإذ الظرفية، ووافقهم محمد بن مسعود الغزني، فلم يخرج عن هذين الحكمين، وخالفهم في التأويل، فقال: أصلها من ذا: من الجارة، وذا اسم إشارة، قال المرادي: ولهم في تقرير هذه الأقوال تكلفات واهية^(٣).

الصورة الثالثة: إحداهن دليل جديد:

اختلف العلماء في حكم إحداهن دليل جديد غير الذي أُجمع عليه، فذهب جمهور الأصوليين إلى جواز ذلك؛ لأنَّ الإجماع والاختلاف في الحكم على الشيء لا الدليل.

وذهب بعض العلماء إلى المنع؛ لأنَّ الإجماع يكون على الدليل كما

(١) ينظر: ارتشاف الضرب ٤/١٨٤٧.

(٢) تنظر الأقوال في ارتشاف الضرب ٣/١٢٣٧ والجنى الداني ٦١٧.

(٣) تنظر الأقوال في الجنى الداني ٥٠١.

يكون على الحُكْم، وأجيب عنه: بأنَّ المطلوب من الأدلة أحكامها لا أعيانها. وفصل بعضهم فقال: إن نضُّوا على إبطال الدليل الأوَّل مُنْع، وإلَّا جاز؛ لأنَّ إحدَث دليل جديد يؤيِّد ما استُدلَّ به^(١).

ومن أمثلة هذه الصورة اختلافُ النحويين في حكم تقدُّم التمييز على عامله، فأجازهُ الكوفيون، واستدلُّوا له بقول الشاعر:

أتهجر ليلي للفراق حبيبها وما كان نفسًا بالفراق تطيب^(٢).
ومنعه البصريون، وزعموا أنَّ الرواية:

"وما كان نفسي بالفراق تطيب"^(٣).

وحُكي أنَّه لم يرد في هذه المسألة غير هذا البيت على اختلاف الرواية، قال ابن السِّيد: "ولا حجة فيه لوجهين؛ أحدهما: أنَّه ضرورة؛ بدليل أنَّه لم يُسمع إلَّا في هذا البيت"^(٤)، وقال ابن عصفور: "لم يجرى إلَّا في بيت واحد من الشعر"^(٥).

وجاء ابن مالك فروى أدلَّة أخرى في هذه المسألة، أحدها قول الشاعر:

أنفسًا تطيب بنيل المنى وداعي المنون ينادي جهازًا.
والآخر قوله:

ضيّعت حزمي في إبعادي الأملأ وما ارعويت وشيئًا رأسي اشتعلا^(٦).

(١) تنظر الأقوال في الإحكام في أصول الأحكام ٢٣٧/١، وإرشاد الفحول ٢٣٠/١.

(٢) البيت من الطويل، وهو للمخبل السعدي ضمن "عشرة شعراء مقلون" ٥٨.

(٣) تنظر المسألة في الإنصاف ٣١٣/٢.

(٤) كذا في التذييل ٢٦٣/٩، وفي الحلل لابن السيد ٣٣٢: "ولم يُسمع إلَّا في الشعر".

(٥) ينظر: التذييل ٢٦٤/٩.

(٦) البيت الأوَّل من المتقارب، والثاني من البسيط، وذكرهما في شرح التسهيل ٣٨٩/٢ بلا نسبة، ولم يروهما أحدًا قبله.

ووافقه أبو حيان ولم ينكر عليه الإحداث^(١).

الصورة الرابعة: إحداث علة جديدة:

مما يشبه إحداث دليل جديد إحداث علة جديدة، ولقد اختلف العلماء في حكم تعدد العلل، فمنعه قوم؛ لأن العلة النحوية مشبهة بالعلة العقلية، والعلة العقلية لا يثبت الحكم فيها إلا بعلة واحدة، وأجازه آخرون^(٢)، فقد حكى الزجاجي: "أن الخليل بن أحمد رحمه الله، سئل عن العلل التي يعتل بها في النحو، فقبل له: عن العرب أخذتها أم اخترعتها من نفسك؟ فقال: إن العرب نطقت على سجيته وطباعها، وعرفت مواقع كلامها، وقام في عقولها علله، وإن لم يُنقل ذلك عنها، واعتلت أنا بما عندي أنه علة لما علته منه، فإن أكن أصبت العلة فهو الذي التمسست، وإن تكن هناك علة له فمثلي في ذلك مثل رجل حكيم دخل داراً محكمة البناء، عجيبة النظم والأقسام، وقد صحّت عنده حكمة بانيها، بالخبر الصادق أو بالبراهين الواضحة والحجج اللائحة، فكلماً وقف هذا الرجل في الدار على شيء منها قال: إنما فعل هذا هكذا لعله كذا وكذا، ولسبب كذا وكذا، سنحت له وخطرت بباله محتملة لذلك، فجائز أن يكون الحكيم الباني للدار فعل ذلك للعلة التي ذكرها هذا الذي دخل الدار، وجائز أن يكون فعله لغير تلك العلة، إلا أن ذلك مما ذكره هذا الرجل محتمل أن يكون علة لذلك، فإن سنح لغيري علة لما علته من النحو هو أليق مما ذكرته بالمعاول فليات بما"^(٣).

ووافقه ابن جني وأفرد في الخصائص باباً بعنوان: "حكم المعلول بعلتين"، رأى فيه جواز إحداث علة جديدة^(٤)، وقال في موضع آخر: "يكثر الشيء

(١) ينظر: التذييل ٢٦٦/٩.

(٢) ينظر: لمع الأدلة ١١٧.

(٣) الإيضاح في علل النحو ٦٥.

(٤) ينظر: الخصائص ١/١٧٥.

فيسأل عن علته كرفع الفاعل ونصب المفعول، فيذهب قوم إلى شيء ويذهب آخرون إلى غيره، فقد وجب إذا تأمل القولين واعتماد أقواهما، ورفض صاحبه، فإن تساويا في القوة لم ينكر اعتقادهما جميعاً، فقد يكون الحكم الواحد معلولاً بعلتين^(١).

ومما انتهى فيه الإجماع على علتين وأحدث بعده قول ثالث علّة بناء "الآن"^(٢)، فقد ذهب البصريون إلى أنه مبني لمشابهته اسم الإشارة إلى الوقت الحاضر، فقولك: "الآن" كقولك: هذا الوقت، واسم الإشارة مبني، فكذلك ما أشبهه.

وذهب الكوفيون إلى أنه مبني لدخول الألف واللام على فعلٍ ماضٍ من قولهم: "آن يئين"، والألف واللام بمعنى الذي، فقولك: الآن، بمعنى: الوقت الذي آن.

وخالفهم أبو علي الفارسي فأحدث علّة ثالثة وقال: إنما بُني لأنّه حُذف منه الألف واللام وضُمّن الاسم معناهما، وزيدت فيه ألف ولام أخريان". وجاء بعده السيرافي وأحدث علّة أخرى فقال: "إنما بني لأنّه لما لزم موضعاً واحداً أشبه الحرف؛ لأن الحروف تلزم مواضعها التي وضعت فيها في أوليتها، والحروف مبنية؛ فكذلك ما أشبهها".

وهكذا علّل كلُّ بما سنع له، ولم ينكر بعضهم على بعض؛ إذ لم يترتب على اختلاف تعليلاتهم حكم مؤثّر.

ومن أمثلة إحداث علّة ثالثة بعد انتهاء الإجماع على قولين اختلافهم في علّة دخول ميم (اللهم)، أهي عوض عن حرف النداء أم لعلّة أخرى؟ فقد ذهب البصريون إلى أنّ ميم (اللهم) عوض عن ياء النداء، وخالفهم الكوفيون فذهبوا إلى أنّ الميم المشددة ليست عوضاً عن الياء؛ إذ أصل

(١) المرجع نفسه ١/١٠١.

(٢) تنظر المسألة والأقوال في الإنصاف ٥٨، ٥٥/٢.

إحداث قولٍ ثالثٍ في الدرس النحوي" -دراسة أصولية تطبيقية، د. طارق بن هندي الصاعدي

الكلام: "يا الله أمنا بخير"، فحذفوا بعضه لكثرة الاستعمال طلباً للخفة، كما قيل: "ويلمه" في "ويل أمه" وغيرها، ولكل فريق أدلته واعتراضاته^(١).
وخالفهم ابن عاشور في العلة، فقال: "والظاهر أنَّ الميم علامة تنوين في اللغة المنقول منها كلمة (اللهم) من عبرانية أو قحطانية، وأنَّ أصلها (لا هم) مرادف إله، ويدلُّ على هذا أنَّ العرب نطقوا بها هكذا في غير النداء"^(٢).

الصورة الخامسة: إحداث تفصيل جديد:

من صور إحداث قول ثالثٍ أن يكون القول تفصيلاً للمسألة بعد إجمالٍ في حكمٍ سابق من الفريقين البصريين والكوفيين، ومن أمثلته خلافهم في حكم تقدم شبه الجملة المتعلقة بالصلة على الموصول، سواء مع "أل" أو غيرها، إذ ذهب البصريون إلى المنع مطلقاً، ويقدرُون محذوفاً دلَّت عليه الصلة فيما يوهم وروده، فيقدرون في نحو قوله تعالى: ﴿وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾^(٣): وكانوا زاهدين فيه من الزاهدين.

وخالفهم الكوفيون، فأجازوا تقدّم شبه الجملة المتعلقة بالصلة على الموصول مطلقاً^(٤).

وبعد إجماع الفريقين على القولين السابقين جاء ابن الحاجب فأحدث تفصيلاً جديداً، وذهب إلى الجواز مع "أل" خاصّة، والمنع مع غيره^(٥).
ثم جاء ابن مالك -بعده- وفصّل في المسألة أيضاً، وقيد اختيار ابن الحاجب، وذهب إلى الجواز مع "أل" إذا جُرّت بمن كما في الآية، والمنع في "أل" إذا لم تُجر، وفي غيرها مطلقاً^(٦).

(١) ينظر قول الصريين والكوفيين في الإنصاف ٣١٧/١

(٢) التحرير والتنوير ٢١٢/٣.

(٣) سورة يوسف، جزء من الآية (٢٠).

(٤) ينظر مذهب البصريين والكوفيين في همع الهوامع ٣٠٤/١.

(٥) ينظر: أمالي ابن الحاجب ٢٨٣/١

(٦) ينظر: شرح التسهيل ٢٣٧/١.

ومن أمثلة إحداث قول ثالث بعد انتهاء العصر الأول على قولين
اختلفهم في إبدال الهمزة من حروف اللين في نحو (مفاعل)، وذلك إذا وقعت
ألفه بين حرفي لين.

فذهب سيبويه إلى الإبدال مطلقاً بلا شرط، سواء أكان حرفا اللين
واوين أم ياءين، وسواء أكانت الكلمة مفردة أم جمعا^(١).

واشترط الأخفش الإبدال بشرطين: أحدهما: أن يكون حرفا اللين
واوين. والآخر: أن تكون المدة ألف جمع^(٢). وعلى هذين القولين انتهى
الإجماع.

وجاء ابن مالك ففصل في المسألة، وفرّق بين الجمع والمفرد، فيهمز في
الجمع مطلقاً سواء أكان حرفا اللين واوين أم ياءين، ولا يهمز في المفرد مطلقاً،
فيوافق الأخفش في نفي الحكم عن المفرد، ويوافق سيبويه في إثباته في الجمع
مطلقاً^(٣).

قال الشاطبي: "وليس إحداث قول ثالث في المسألة بخرق إجماع عند
طائفة من الأصوليين، لا سيما إن كان القول المحدث لا يرفع ما اتفقوا عليه
كهذا الموضوع، فإنه مفصل في القولين، فيوافق الأخفش في نفي الحكم عن
المفرد، ويوافق سيبويه في إثباته في الجمع مطلقاً، فكل قول لا يرفع ما اتفقوا
عليه فقد أجاز إحدائه طائفة ممن منع الإحداث، وهو الذي اختار ابن
الحاجب"^(٤).

الصورة السادسة: إحداث قيد جديد:

من صور إحداث قول ثالث إحداث شرط أو قيد جديد، ومنه

(١) ينظر: الكتاب ٤/٣٦٩.

(٢) ينظر: المقاصد الشافية ٩/٤٣-٤٤.

(٣) ينظر: تسهيل الفوائد ٣٠١.

(٤) المقاصد الشافية ٩/٤٦.

إحداث قولٍ ثالثٍ في الدرس النحوي" -دراسة أصولية تطبيقية، د. طارق بن هندي الصاعدي

اختلافهم في شروط زيادة "من"، فلقد أجمع البصريون والكوفيون على صحّة زيادتها، واختلفوا في شروطها، فذكروا شرطين: أحدهما: أن تقع في نفي أو شبهه، وهذا مذهب البصريين، خلافاً للأخفش والكوفيين^(١).

الثاني: أن تدخل على نكرة، وهذا الشرط بإجماع البصريين والكوفيين عدا الأخفش^(٢).

وذهب الأخفش، إلى جواز زيادتها في الواجب، ومن غير اشتراط نفي أو شبهه^(٣).

وعلى هذين الشرطين انتهى إجماع العصر الأول من أهل البصرة والكوفة، ولم يذكروا شرطاً ثالثاً، وهو ما يُسمّى بالإجماع الضمني.

وجاء ابن مالك فاشتراط شرطاً ثالثاً وهو أن يراد بالنكرة العموم، كما فهمه الشاطبي من قوله: "ما لباغٍ من مفر"^(٤)، فلا يجوز في نحو: (ما قام رجل واحد بل اثنان) زيادة "من"؛ لعدم الاستغراق، وصرّح ابن أبي الربيع بهذا الشرط في البسيط^(٥).

ومن أمثلة إحداث شرطٍ جديدٍ اختلافهم في شروط جواز إجراء القول مُجرى الظن، فقد اتفق البصريون والكوفيون على أربعة شروط لجوازه^(٦)، وهي: أن يكون فعل القول مضارعاً، ومسنداً للمخاطب، ومسبوqاً باستفهام، وأن لا يُفصل بين الاستفهام وفعل القول بفاصل سوى شبه الجملة أو معمول الفعل،

(١) ينظر: الكتاب ٢٢٥/٤ وارتشاف الضرب ١٧٢٣/٤.

(٢) ينظر: المقاصد الشافية ٦٠٤/٣.

(٣) ينظر: معاني القرآن للأخفش ٢٤٠/١.

(٤) ينظر: المقاصد الشافية ٦٠٥/٣.

(٥) ينظر: البسيط ٨٤١/٢.

(٦) تنظر الشروط في شرح الجمل لابن عصفور ٤٧٩/٢، وجمع الهوامع ٢٤٦/٢.

وهذه الشروط مأخوذة من نصّ سيويوه^(١)، ووافق الكوفيون. واختلفوا في كون الفعل بصيغة الأمر فأجاز الكوفيون خلافاً لسيويوه، وأجاز الكوفيون والبصريون عدا سيويوه والأخفش الفصل بالضمير نحو: أنت تقول زيداً منطلقاً^(٢). هذا ما اشترطه البصريون والكوفيون وانتهى عليه الإجماع الضمني في عصرهم.

ثم جاء السيرافي فأجاز كون الفعل بصيغة الماضي^(٣)، وجاء السهيلي وشرط شرطاً جديداً، وهو ألا يتعدى فعل القول باللام، نحو: أتقول لزيد عمرو منطلقاً؛ لأنّ اللام تبعده عن معنى الظن^(٤). ثم جاء ابن مالك فأحدث شرطاً جديداً، واشترط في الفعل المضارع أن يكون دالاً على الحال لا الاستقبال، فقال: "ويخصُّ أكثر العرب هذا الإلحاق بمضارع المخاطب الحاضر"^(٥)، قال أبو حيّان: "ولم يذكره غيره - فيما أعلم - إنما قالوا: يشترط فيه المضارع، والمضارع يكون للحال والمستقبل، ولم يقولوا: شرط المضارع أن يكون للحال، بل الظاهر من حيث شرط الاستفهام أنّه يكون مستقبلاً"^(٦).

الصورة السابعة: إحداهن دلالة جديدة.

من المعلوم أنّ اللغة مبناه على الرواية والنقل، وقد دوّن اللغويون ما بلغهم من اللغات على اختلاف درجاتها، فظهر التفاوت بينهم، ممّا أدّى إلى استدراك بعضهم على بعض، وهذا السبب من أبرز الأسباب في إحداهن قول

(١) ينظر: الكتاب ١/١٢٢-١٢٣.

(٢) ينظر القولان في التذييل ٦/١٣٦ و ١٣٩.

(٣) ينظر: شرح السيرافي ١/٤٥٨.

(٤) ينظر: التذييل ٦/١٤٠.

(٥) تسهيل الفوائد ٧٣.

(٦) التذييل ٦/١٣٧.

إحداث قول ثالث في الدرس النحوي" -دراسة أصولية تطبيقية، د. طارق بن هندي الصاعدي
جديد، ومن الأسباب -أيضاً-المذهب العقدي وأثره في القول بدلالة جديدة
لأداة من الأدوات، ومن صور إحداث دلالة جديدة لبعض الأدوات النحوية
ما يأتي:

اختلافهم في دلالة اللام في قوله تعالى: ﴿فَالْتَقَطَهُ آءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ
لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾^(١)، فقد ذهب البصريون إلى أن اللام هنا بمعنى العاقبة،
قال النحاس: "لما كان التقاطهم إياه يؤول إلى هذا قيل التقطوه له، كما يقال
لمن كسب ماله فأوبقه إنما كسبه ليهلكه، وهذا مذهب الخليل وسيبويه ومن
يرضى قوله من النحويين وهو كثير في كلام العرب"^(٢)، وجعلها الكوفيون بمعنى
الصيرورة، قال الزجاجي: "باب لام العاقبة، وهي التي يسميها الكوفيون لام
الصيرورة"^(٣)، والخلاف بينهما اصطلاحى.

وذهب الأخفش من البصريين إلى أنها بمعنى الفاء، حيث قال: "وهم لم
يلقطوه ليكون لهم عدوا وحزناً وإنما لقطوه فكان، فهذه اللام تجيء في هذا
المعنى"^(٤).

ولما كان حملها على أحد المعنيين السابقين مخالفاً لعقيدة المعتزلة في
مسألة خلق أفعال العباد^(٥)، حيث يوجبون أن يجري الله لخلقه ما فيه صلاح
لهم، وأن ما وجد من خلاف ذلك كان من اختيارهم وإرادتهم لا بمشيئة الله
تعالى أحدث الزمخشري قولاً جديداً فجعلها بمعنى التعليل، قال الزمخشري: "اللام
في لايكون هي لام كي التي معناها التعليل، كقولك: جئتكم لتكرماني،
سواء بسواء، ولكن معنى التعليل فيها وارد على طريق المجاز دون الحقيقة؛ لأنه

(١) سورة القصص جزء من الآية (٨).

(٢) معاني القرآن ١٥٨/٥.

(٣) اللامات ١١٩.

(٤) معاني القرآن ٣٧٧/١.

(٥) تنظر عقيدتهم في متشابه القرآن ١٧٥.

لم يكن داعيهم إلى الالتقاط أن يكون لهم عدوًّا وحرزًا، ولكن: المحبة والتبني، غير أنّ ذلك لما كان نتيجة التقاطهم له وثمرته، شبه بالداعي الذي يفعل الفاعل الفعل لأجله، وهو الإكرام الذي هو نتيجة المحبة، والتأدب الذي هو ثمرة الضرب في قولك: ضربته ليتأدّب. وتحريره: أن هذه اللام حكمها حكم الأسد، حيث استعيرت لما يشبه التعليل، كما يستعار الأسد لمن يشبه الأسد^(١).

ومن صور إحداث دلالة جديدة اختلافهم في دلالة "ربّ" بين التقليل والتكثير، وكلا القولين نُسب للبرصيين والكوفيين، وقيل فيه أقوال أُخر، ملخصة فيما يأتي:

القول الأوّل: تفيد التكثير، وهو ظاهر كلام الخليل في قوله: "وربّ: كلمةٌ تفرد واحدًا من جميع، يقع على واحدٍ يُعنى به الجميع، كقولك: ربّ خير لقيته"^(٢)، ونسبه ابن مالك إلى سيبويه^(٣)، ونُسب هذا القول إلى الكوفيين^(٤).

القول الثاني: أنّها تفيد التقليل، ونُسب هذا المذهب إلى جمهور النحويين من البرصيين والكوفيين أيضًا، قال ابن السّيد: "وجدت كبراء البرصيين ومشاهيرهم مجمعين على أنّها للتقليل، وأنّها ضد (كم) في التكثير... وكذلك جلُّ الكوفيين"^(٥).

القول الثالث: هي من الأضداد، فتكون للتقليل أو التكثير، ونُسب

(١) الكشاف ٣/٣٩٨.

(٢) العين ٨/٢٥٨.

(٣) ينظر: شرح التسهيل ٣/١٧٧.

(٤) ينظر: التذليل والتكميل ١١/٢٨٦.

(٥) رسائل في اللغة ١١٥-١١٧.

إحداث قولٍ ثالثٍ في الدرس النحوي" -دراسة أصولية تطبيقية، د. طارق بن هندي الصاعدي

للكوفيين والفارسي^(١).

القول الرابع: للتكثير غالبًا، والتقليل بما نادر، وهذا مذهب ابن مالك في التسهيل خلافًا لشرحه^(٢).

القول الخامس: أنها أكثر ما تكون للتقليل، والتكثير بما نادرًا، نُسب للفارابي، واختاره السيوطي قائلاً: "ثالثها-وهو المختار عندي وفاقًا للفارابي أبي نصر وطائفة-أَنَّها للتقليل غالبًا، والتكثير نادرًا"^(٣).

وهذه الأقوال كلها في الجملة لم تخرج عن دلالة التقليل والتكثير، وحكى أبو حيان قولاً جديدًا، وهو أَنَّها لا تدل على شيء في نفسها، واختاره فقال: "والذي نختاره هذا المذهب، وهو أَنَّه لا دلالة لها على تكثير ولا تقليل، وإنما يُفهم ذلك من خارج"^(٤).

(١) ينظر: التذييل والتكميل ٢٨٠/١١.

(٢) ينظر: تسهيل الفوائد ١٤٧.

(٣) همع الهوامع ٤٣١/٢.

(٤) التذييل والتكميل ٢٨١/١١.

النتائج والتوصيات

- ١- مسألة إحداث قول ثالث مسألة مشتركة بين علوم أصول الفقه وأصول التفسير وأصول العقيدة وأصول النحو، ومع هذا لا يمكن إنزال حكم واحد عليها كلّها؛ إذ إجازتها في العلوم الثلاث الأولى يؤدي إلى القول بجواز إجماع الأمة على ضلالة، فحجّة الإجماع فيها جاءت من نصوص الشرع، بخلاف الإجماع في علوم العربية.
- ٢- من أسباب الخلاف في هذه المسألة تنازعهم هل اختلاف علماء العصر الواحد على قولين إجماعاً فيمنع إحداث قول ثالث، أم خلاف فيسوغ الخلاف فيها.
- ٣- كلُّ ما حكاه النحويون من إجماع العرب يدخل في باب السماع، ويستمد قدسيته من النص لا من الإجماع كما توهم بعض الباحثين.
- ٤- حُكي إنكار المعتزلة لحجية الإجماع، وربّما للمذهب العقدي أثر عند أبي علي الفارسي وابن جني في إنكار الإجماع.
- ٥- التشابه الشديد بين تركيب المذاهب وإحداث قول ثالث، والذي يظهر أن بينهما عموم وخصوص، فكلُّ تركيبٍ إحداثٌ قولٍ، وليس العكس.
- ٦- أوصي أن تُدرس الأصول النحوية دراسة تأصيلية تطبيقية، كلُّ على حده، مع إبراز التمايز بينها وبين أصول الفقه، إذ اهتمت كثير من الدراسات بالتداخل والتشارك بينهما، وقليل من تناول التمايز.

المصادر والمراجع

- ابن الحاجب، أبو عمرو عثمان، الإيضاح في شرح المفصل، تحقيق: موسى العليلي، الناشر: مطبعة العاني، بغداد.
- ابن الحاجب، أبو عمرو عثمان، أمالي ابن الحاجب، تحقيق: الدكتور فخر قداره، الناشر: دار الجيل، بيروت، ودار عمار، عمان.
- ابن حنبل، أحمد بن محمد، المسند، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، د.ط، د.ت.
- ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، الناشر: الدار التونسية للنشر، سنة: ١٩٨٤م.
- جمعها: ابن قاسم، عبدالرحمن بن محمد، مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، د.ط، سنة: ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.
- ابن مالك، جمال الدين محمد بن عبدالله، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، تحقيق: محمد بركات، الناشر: دار الكاتب العربي، سنة: ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م.
- ابن مالك، جمال الدين محمد بن عبدالله، شرح تسهيل الفوائد، تحقيق: عبدالرحمن السيد ومحمد بدوي المختون، الناشر: هجر للطباعة والنشر، ط: الأولى، سنة: ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
- ابن الناظم، بدر الدين محمد بن جمال الدين، شرح ألفية ابن مالك، تحقيق: عبدالحميد السيد، الناشر: دار الجيل، بيروت، د.ط، د.ت.
- أبو الفتح، عثمان بن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط: الرابعة، سنة: ١٩٩٩م.
- أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف، ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق: رجب عثمان، الناشر: مكتبة الخانجي، ط: الأولى، سنة:

١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف، التذليل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، تحقيق: حسن هندراوي، الناشر: كنوز إشبيلية، ط: الأولى، سنة: ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

الأخفش، سعيد بن مسعدة، معاني القرآن، تحقيق: هدى فراعة، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: الأولى، سنة/ ١٤١١هـ-١٩٩٠م.

الاستراباذي، رضي الدين محمد بن الحسن، شرح الكافية، تحقيق: يوسف عمر، منشورات جامعة قار يونس، د.ط، سنة: ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.

الإشبيلي، أبو الحسن علي ابن عصفور، شرح الجمل تحقيق: الدكتور صاحب أبو جناح، الناشر: عالم الكتب، بيروت، ط: الأولى، سنة: ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

الإشبيلي، عبيدالله بن أحمد ابن أبي الربيع، البسيط في شرح جمل الزجاجي، تحقيق: عياد الثبتي، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: الأولى، سنة: ١٤٠٧هـ.

الأمدي، علي بن محمد، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: عبدالرزاق عفيفي، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، ط: الثانية، سنة: ١٤٠٢هـ.

الأنباري، أبو البركات كمال الدين لمع الأدلة، لأبي البركات ابن الأنباري، تحقيق: سعيد الأفغاني، الناشر: دار الفكر، دمشق، د.ط، د.ت.

الأنباري، كمال الدين أبو البركات، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، مطبعة السعادة، ط: الرابعة، سنة: ١٣٨٠هـ-١٩٦١م.

الأنصاري، عبدالله جمال الدين بن يوسف، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت، د.ط، سنة: ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

إحداث قولٍ ثالثٍ في الدرس النحوي" -دراسة أصولية تطبيقية، د. طارق بن هندي الصاعدي

البشير، أحمد بن فتحي، أصول العربية بين متقدمي النحاة ومتأخريهم، دراسة في فكر أبي إسحاق الشاطبي، الناشر: دار الذخائر، ط: الأولى، سنة: ١٤٣٩هـ.

البطليوسي، عبدالله بن محمد بن السيد رسائل في اللغة، تحقيق: وليد السراقي، مطبوعات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط: الأولى، سنة: ١٤٢٨هـ.

البطليوسي، عبدالله بن محمد بن السيد، الحلل في شرح أبيات الجمل، تحقيق: مصطفى إمام، الناشر: مكتبة المتنبّي، ط: الأولى، سنة: ١٩٧٩م. البغدادي، القاضي أبو يعلى، العدة في أصول الفقه، تحقيق: أحمد المباركي، ط: الثالثة: سنة: ١٤١٤هـ.

حاشية الشريف الجرجاني على شرح الرضي، من مطوعات المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية، د.ط، د.ت.

الحاوي، إيليا، شرح ديوان الفرزدق، الناشر: دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط: الأولى، سنة: ١٩٨٣م.

الرازي، أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق: عبدالسلام هارون، الناشر: دار الفكر، د.ط، سنة: ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، المحصول في علم أصول الفقه، تحقيق: طه العلواني، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط: الثانية، سنة: ١٤١٢هـ.

الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السري، ما ينصرف وما لا ينصرف، تحقيق: هدى قراعة، القاهرة، د.ط، سنة: ١٣٩١هـ.

الزجاجي، أبو القاسم عبدالرحمن، الإيضاح في علل النحو، تحقيق: مازن المبارك، الناشر: دار النفائس، ط: الأولى، سنة: ١٣٩٤هـ.

الزجاجي، أبو القاسم عبدالرحمن، اللامات، تحقيق: مازن المبارك، الناشر: دار الفكر، دمشق، ط: الثانية، سنة: ١٤٠٥هـ.

الزركشي، بدر الدين محمد بن بهادر، البحر المحيط، تحقيق: عمر سليمان

- الأشقر، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الكويت، ط:
الأولى، سنة: ١٤٠٩هـ.
- الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق التنزيل وعبون الأفاويل في
وجوه التأويل، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث
العربي، بيروت، ط: الثانية، سنة: ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
- السلمي، عياض بن نامي، أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله، الناشر:
دار التدمرية، ط: الأولى، سنة: ١٤٢٦هـ.
- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان، الكتاب، تحقيق: عبدالسلام هارون،
الناشر: مكتبة الخانجي، ط: الثالثة، سنة: ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- السيرافي، أبو سعيد الحسن بن عبدالله، شرح كتاب سيبويه، تحقيق: أحمد
مهدي وعلي سيد، الناشر: دار الكتب العلمية، ط: الأولى، سنة:
١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
- السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر، الاقتراح في أصول النحو،
تحقيق: الدكتور أحمد الحمصي والدكتور محمد قاسم، الناشر: جروس
برس، ط: الأولى، سنة ١٩٨٨م.
- السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر، همع الهوامع في شرح جمع
الجوامع، تحقيق: عبدالسلام هارون، وعبدالعال مكرم، مؤسسة الرسالة،
ط: الثانية، سنة: ١٤٠٧هـ.
- الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى، المقاصد الشافية في شرح الخلاصة
الكافية، تحقيق: مجموعة من المحققين، منشورات جامعة أم القرى، ط:
الأولى، سنة: ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.
- الشوكاني، محمد بن علي، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول،
تحقيق: أحمد عزو عناية، الناشر: دار الكتاب العربي، دمشق، ط:
الأولى، سنة: ١٤١٩هـ.
- الصدريقي، محمد علي بن محمد، داعي الفلاح لمخبات الاقتراح، تحقيق: جميل

إحداث قولٍ ثالثٍ في الدرس النحوي" -دراسة أصولية تطبيقية، د. طارق بن هندي الصاعدي

عويضة، د.ط. سنة: ١٤٣٢هـ.

الضامن، حاتم، عشرة شعراء مقلون، من إصدارات جامعة بغداد، د.ط، سنة:

١٤١١هـ

الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: الدكتور

عبدالله التركي، الناشر: هجر للطباعة والنشر، ط: الأولى، سنة:

١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

عبدالجبار، القاضي أبو الحسن متشابه القرآن، تحقيق: عدنان زرزور، الناشر:

دار التراث، القاهرة، د.ط، د.ت.

العكبري، أبو البقاء عبدالله بن الحسين، التبيين عن مذاهب النحويين البصريين

والكوفيين، تحقيق: عبدالرحمن العثيمين، الناشر: دار الغرب الإسلامي،

بيروت، ط: الأولى، سنة: ١٤٠٦هـ.

العكبري، أبو البقاء عبدالله بن الحسين، اللباب في علل البناء والإعراب،

تحقيق: غازي طليمات، الناشر: دار الفكر المعاصر، بيروت، ودار

الفكر، دمشق، ط: الأولى، سنة: ١٤١٦هـ.

العواد، دخيل بن غنيم، الإجماع في النحو، الناشر: مكتبة الرشد، ط: الأولى،

سنة: ١٤٤١هـ.

الغرناطي، محمد بن علي بن الأزرق، روضة الأعلام بمنزلة العربية من علوم

الإسلام، تحقيق: سعيدة العلمي، منشورات كلية الدعوة الإسلامية،

طرابلس، ط: الأولى، سنة: ١٤٢٩هـ.

الفاصي، محمد بن الطيب، فيض الانشراح من روض طي الاقتراح، تحقيق:

محمود فجال، الناشر: دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث،

دبي، ط: الأولى، سنة ١٤٢١هـ.

الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم

السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال، د.ط، د.ت.

الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق: محمد

- العرقسوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط: الثامنة، سنة: ١٤٢٦هـ -
٢٠٠٥م.
- القرطبي، أحمد بن عبدالرحمن ابن مضاء، الرد على النحاة، تحقيق: محمد البناء،
الناشر: دار الاعتصام، ط: الأولى، سنة: ١٣٩٩هـ.
- المبرد، محمد بن يزيد، المقتضب، تحقيق: عبدالخالق عزيمة، الناشر: وزارة
الأوقاف، القاهرة، د.ط، سنة: ١٣٩٩هـ.
- المرادي، بدر الدين الحسن بن القاسم، الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق:
الدكتور فخر الدين قباوه ومحمد نديم فاضل، الناشر: دار الكتب
العلمية، بيروت، ط: الأولى، سنة: ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- المطيعي، محمد بن بخيت، سلم الوصول لشرح نهاية السؤل، الناشر: عالم
الكتب، د.ط، د.ت.
- المؤدب، محمد بن سعيد، دقائق التصريف، تحقيق: حاتم الضامن، الناشر: دار
البشائر، ط: الأولى، سنة: ١٤٢٥هـ.
- النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد، معاني القرآن، تحقيق: محمد علي
الصابوني، منشورات جامعة أم القرى، ط: الأولى، سنة: ١٤٠٨هـ -
١٩٨٨م.

Bibliography

- Ibn al-Hajib, Abu 'Amr 'Uthman, **al-Idhah fi sharh al-Mufassal**, investigated by: Musa al-'Allilī, MaTba'at al-'Āni, Baghdad.
- Ibn al-Hajib, Abu 'Amr 'Uthman, **Amāli Ibn al-Hajib**, investigated by: al-Dr. Fakhr QaDār ah, Dār al-Jil, Beirut, Dār 'Ammar, Oman.
- Ibn Hanbal, Ahmad ibn Muhammad, **al-Musnad**, investigated by: Shu'ayb al-Arnā'out, Mu'assasat al-Risalah.
- Ibn 'Ashur, Muhammad al-Tahir, **al-Tahrir wa-al-Tanwir**, al-Dār al-Tunisiyah lil-Nashr, 1984.
- ibn Taymiyah, Ahmad bin 'Abd al-Ḥalim, **Majmou' al-Fatāwā**, compiled by: Ibn Qasim, 'Abd-al-Rahman ibn Muhammad, King Fahd complex for printing the Noble Qur'an, 1416 AH-1995.
- Ibn Mālik, Jamal al-Din Muhammad ibn 'Abdillah, **Tashil al-Fawā'id wa-Takmil al-Maqāsid**, investigated by: Muhammad Barakat, Dār al-Katib al-'Arabi, 1387 AH - 1967.
- Ibn Mālik, Jamal al-Din Muhammad ibn 'Abdillah, **Sharh Tashil al-Fawā'id**, investigated by: 'Abd-al-Rahman al-Sayyid and Muhammad Badawi al-Makhtun, Hajar lil-Tiba'ah wa-al-Nashr, 1st edition, 1410 AH -1990.
- Ibn al-Nāzim, Badr al-Din Muhammad ibn Jamal al-Din, **Sharh Alfiyat Ibn Mālik**, investigated by: 'Abd-al-Hamid al-Sayyid, Dār al-Jil, Beirut.
- Abu al-Fath, 'Uthman ibn Jinni, **al-Khasā'is**, investigated by: Muhammad 'Ali al-Najjar, al-Hay'ah al-Misriyah al-'Ammah lil-Kitab, 4th edition, 1999.
- Abu Hayyān al-Andalusi, Muhammad ibn Yousuf, **Irtishaf al-Ḍarab min Lisān al-'Arab**, investigated by: Rajab 'Uthman, Maktabat al-Khanji, 1st edition, 1418 AH -1998.
- Abu Hayyān al-Andalusi, Muhammad ibn Yousuf, **al-Tadhyil wa-al-Takmil fi Sharh Kitāb al-Tashil**, investigated by: Hasan Hindawi, Kunuz Ishbiliya, 1st edition, 1419 AH -1998.
- al-Akhfash, Sa'id ibn Mas'adah, **Ma'āni al-Qur'an**, investigated by: Huda Qurra'ah, Maktabat al-Khanji, Cairo, 1st edition, 1411 AH -1990.
- al-Istarabadhi, Riḍa al-Din Muhammad ibn al-Hasan, **Sharh al-Kāfiyah**, investigated by: Yousuf 'Umar, Qar Yunis University publications. 1398 AH -1978.
- al-Ishbīli, Abu al-Hasan 'Ali Ibn 'Usfur, **Sarh al-Jumal**, investigated by: Dr. Šāhib Abu Janāh, 'Ālam al-Kutub, Beirut, 1st edition, 1419 AH-1999.

- al-Ishbīli, ‘Ubaidallāh ibn Ahmad Ibn Abi al-Rabi’, **al-Basīt fi Sharh Jumal al-Zajjaji**, investigated by: ‘Iyyad al-Thubayti, Dār al-Gharb al-Islāmi, Beirut, 1st edition, 1407 AH.
- al-Āmidi, ‘Ali ibn Muhammad, **al-Ihkām fi Usūl al-Ahkām**, investigated by: ‘Abd-al-Razzaq ‘Afifi, al-Maktab al-Islami, Beirut, 2nd edition, 1402 AH.
- al-Anbāri, Abu al-Barakāt Kamāl al-Din, **Luma‘ al-Adillah**, investigated by: Sa‘id al-Afghani, Dār al-Fikr, Damascus.
- al-Anbāri, Kamāl al-Din Abu al-Barakāt, **al-Insāf fi Masā’il al-khilaf bayna al-Nahwiyyīn al-Basriyyīn wa-al-Kufiyyīn**, investigated by: Muhammad Muhyi al-Din ‘Abd-al-Hamid, Matba‘at al-Sa‘adah, 4th edition, 1380 AH -1961.
- al-Ansāri, ‘Abdullah Jamāl al-Din ibn Yousuf, **Mughni al-Labib ‘an kutub al-A‘arib**, investigated by: Muhammad Muhyi al-Din ‘Abd-al-Hamid, al-Maktabah al-‘Asriyah, Beirut, 1428 AH -2007.
- al-Bashir, Ahmad ibn Fathi, **Usūl al-‘Arabiyah bayna Mutaqadimī al-Nuhah wa al-Muta’akhirīn, Dirasah fi Fikr Abi Ishaq al-Shaṭībī**, Dār al-Dhakha’ir, 1st edition, 1439 AH.
- al-Batluyosi, ‘Abdullah ibn Muhammad ibn al-Sayyid, **Rasā’il fi al-Lugha**, investigated by: Walid al-Saraqibi, Publications of the King Faisal Center for Research and Islamic Studies, 1st edition, 1428 AH.
- al-Batluyosi, ‘Abdullah ibn Muhammad ibn al-Sayyid, **al-Hulal fi Sharh Abyāt al-Jumal**, investigated by: Mustafa Imam, Maktabat al-Mutanabbi, 1st edition 1979.
- al-Baghdadi, al-Qaḍī Abu Ya‘la, **al-‘Uddah fi Usūl al-Fiqh**, investigated by: Ahmad al-Mubarakī, 3rd edition 1414 AH.
- Hāshiyat al-Sharif al-Jurjāni ‘alā sharh al-Radhi**, From the Al-Murtazawi Library to revive the Ja`fari Antiquities.
- al-Hāwi, Iliya, **Sharh Diwan al-Farazdaq**, Dār al-Kitab al-Lubnani, Beirut, 1st edition, 1983.
- al-Rāzi, Ahmad ibn Faris, **Maqāyis al-Lugha**, investigated by: ‘Abd al-Salam Haroun, Dār al-Fikr, 1399 AH-1979.
- al-Rāzi, Fakhr al-Din Muhammad ibn ‘Umar, **al-Mahsūl fi ‘Ilm Usūl al-Fiqh**, investigated by: Taha al-‘Alwani, Mu’assasat al-Risalah, 2nd edition, 1412 AH.
- al-Zajjaj, Abu Ishaq Ibrahim ibn Muhammad ibn al-Sirri, **Mā Yansarif wa-mā lā Yansarif**, investigated by: Huda Qurra‘ah, Cairo, 1391 AH.
- al-Zajjaji, Abu al-Qasim ‘Abd-al-Rahman, **al-Idāh fi ‘Ilal al-Nahw**, investigated by: Mazin al-Mubarak, Dār al-Nafa’is,

- 1st edition, 1394 AH.
- al-Zajjaji, Abu al-Qasim ‘Abd-al-Rahman, **al-Lāmāt**, investigated by: Mazin al-Mubarak, Dār al-Fikr, Damascus, 2nd edition, 1405 AH.
- al-Zarkashi, Badr al-Din Muhammad ibn Bahadur, **al-Bahr al-Muhit**, investigated by: ‘Umar Sulayman al-Ashqar, Publications of the Ministry of Awqaf and Islamic Affairs in Kuwait, 1st edition, 1409 AH.
- al-Zamakhshari, Mahmud ibn ‘Umar, **al-Kashshāf ‘an Haqā’iq al-Tanzil wa-‘Uyoun al-Aqāwil fi Wujouh al-Ta’wil**, investigated by: ‘Abd-al-Razzaq al-Mahdi, Dār Ihya’ al-Turath al-‘Arabi, Beirut, 2nd edition, 1429 AH-2008.
- al-Sulami, ‘Iyadh ibn Nāmi, **Usūl al-Fiqh al-Ladhi la Yasa‘ al-Faqih Jahluh**, Dār al-Tadmuriyah, 1st edition, 1426 AH.
- Sibawaih, Abu Bishr ‘Amr ibn ‘Uthman, **al-Kitāb**, investigated by: ‘Abd al-Salam Haroun, Maktabat al-Khanji, 3rd edition, 1408 AH-1988.
- al-Sīrāfi, Abu Sa‘id al-Hasan ibn ‘Abdillah, **Sharh Kitāb Sibawaih**, investigated by: Ahmad Mahdali and ‘Ali Sayyid, Dār al-Kutub al-‘Ilmiyah, 1st edition, 1429 AH -2008.
- al-Suyouti, Jalal al-Din ‘Abd-al-Rahman ibn Abi Bakr, **al-Iqtirah fi Usūl al-Nahw**, investigated by: Dr. Ahmad al-Himsi and Dr. Muhammad Qasim, Jarrus Bris, 1st edition, 1988.
- al-Suyouti, Jalal al-Din ‘Abd-al-Rahman ibn Abi Bakr, **Ham‘ al-Hawami‘ fi Sharh Jam‘ al-Jawāmi‘**, investigated by: ‘Abd Salam Haroun and ‘Abd al-‘Al Mukarram, Mu’assasat al-Risalah, 2nd edition, 1407 AH.
- al-Shatibi, Abu Ishaq Ibrahim ibn Musa, **al-Maqāsīd al-Shāfiyah fi Sharh al-Khulāsah al-Kāfiyah**, investigated by: a group of investigators, publications of Umm al-Qura university, 1st edition, 1428 AH -2007.
- al-Shawkāni, Muhammad ibn ‘Ali, **Irshad al-Fuhoul ilā Tahqiq al-Haq min ‘Ilm al-Usūl**, investigated by: Ahmad ‘Izzu ‘Inayah, Dār al-Kitab al-‘Arabi, Damascus, 1st edition, 1419 AH.
- al-Saddiqi, Muhammad ‘Ali ibn Muhammad, **Dā‘i al-Falāh li Mukhbi’āt al-Iqtirah**, investigated by: Jamil ‘Uwayḍah, 1432 AH.
- al-Ḍāmin, Hatim, **‘Ashrat Shu‘arā’ Muqilloun**, From the University of Baghdad publications, 1411 AH.
- al-Tabari, Muhammad ibn Jarir, **Jami‘ al-Bayan ‘an Ta’wil**

- Āyi al-Qur'an**, investigated by: Dr. 'Abdullah al-Turki, Hajar lil-Tiba'ah wa-al-Nashr, 1st edition, 1422 AH -2001.
- 'Abd al-Jabbar, al-Qaḍi Abu al-Hasan, **Mutashābih al-Qur'an**, investigated by: 'Adnan Zarzur, Dār al-Turath, Cairo.
- al-'Ukbari, Abu al-Baqa' 'Abdullah ibn al-Husain, **al-Tabyin 'an Madhahib al-Nahwiyīn al-Basriyīn wa-al-Kufiyīn**, investigated by: 'Abd-al-Rahman al-'Uthaymin, Dār al-Gharb al-Islami, Beirut, 1st edition, 1406 AH.
- al-'Ukbari, Abu al-Baqa' 'Abdullah ibn al-Husain, **al-Lubab fi 'Ilal al-Bina' wa-al-I'rab**, investigated by: Ghazi Tulaymat, Dār al-Fikr al-Mu'asir, Beirut, and Dār al-Fikr, Damascus, 1st edition, 1416 AH.
- al-'Awwad, Dakhil ibn Ghunaym, **al-Ijma' fi al-Nahw**, Maktabat al-Rushd, 1st edition, 1441 AH.
- al-Gharnati, Muhammad ibn 'Ali ibn al-Azraq, **Rawḍat al-A'lām be Manzilat al-'Arabiyah min 'Ulūm al-Islam**, investigated by: Sa'idah al-'Alami, Publications of the Islamic Call College, Tripoli, 1st edition, 1429 AH.
- al-Fāsi, Muhammad ibn al-Tayyib, **Fayḍ al-Inshirāh min Rawḍ Tayy al-Iqtirah**, investigated by: Mahmoud Fajjal, Research House for Islamic Studies and Heritage Revival, Dubai, 1st edition.1421 AH.
- al-Farāhidi, al-Khalil ibn Ahmad, **al-'Ayn**, investigated by: Mahdi al-Makhzumi and Ibrahim al-Samurra'i, Dār wa-Maktabat al-Hilal.
- al-Firuzabādi, Majd al-Din Muhammad ibn Ya'qoub, **al-Qamus al-Muhit**, investigated by: Muhammad al-'Arqasousi, Mu'assasat al-Risalah, 2nd edition 1426 AH -2005.
- al-Qurtubi, Ahmad ibn 'Abd-al-Rahman Ibn Maḍā', **al-Radd 'alā al-Nuhah**, investigated by: Muhammad al-Banna, Dār al-I'tisam, 1st edition 1399 AH.
- al-Mubarrid, Muhammad ibn Yazid, **al-Muqtaḍab**, investigated by: 'Abd al-Khaliq 'Uḍaymah, Ministry of Awqaf, Cairo, 1399 AH.
- al-Murādi, Badr al-Din al-Hasan ibn al-Qasim, **al-Janā al-Dānī fi Hurouf al-Ma'āni**, investigated by: Dr. Fakhr al-Din Qabawah and Muhammad Nadim Faḍil, Dār al-Kutub al-'Ilmiyah, Beirut, 1st edition, 1413 AH -1992.
- al-Muti'ī, Muhammad ibn Bukhait, **Sullam al-Wusoul li-Sharh**

إحداث قولٍ ثالثٍ في الدرس النحوي " -دراسة أصولية تطبيقية، د. طارق بن هندي الصاعدي

Nihāyat al-Soul, ‘Alam al-Kutub.

al-Mu’addib, Muhammad ibn Sa‘id, **Daqā’iq al-Tasrīf**,
investigated by: Hatim al-Ḍamin, Dār al-Basha’ir, 1st
edition, 1425 AH.

al-Nahhās, Abu Ja‘far Ahmad ibn Muhammad, **Ma‘ānī al-
Qur’ān**, investigated by: Muhammad ‘Ali al-Sabouni,
Publications Umm al-Qura University, 1st edition, 1408
AH -1988.

**المشهد اللغوي في مدينة الرياض:
دراسة وصفية تحليلية للغة المستعملة في لافتات المحلات التجارية**

Linguistic Landscape in Riyadh: A Descriptive
Study of Languages Used in Shop Signboards

د. فهد بن صالح العليان

أستاذ اللغويات التطبيقية المشارك بقسم علم اللغة التطبيقي بمعهد تعليم اللغة العربية

بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

البريد الإلكتروني: fahad-alolayan@outlook.com

المستخلص

هدفت الدراسة الحالية إلى التعرف على اللغة المستعملة في لافتات المحلات التجارية في مدينة الرياض من حيث مدى استعمال الألفاظ الأجنبية في تلك اللافتات، والمجالات التي تكثر فيها التسميات الأجنبية، بالإضافة إلى التعرف على الأبجدية الأكثر استعمالاً عند تسمية المحلات التجارية بألفاظ أجنبية. اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، واستخدمت أداة (Instant Data Scraper) لجمع قوائم بيانات الدراسة التي بلغت ١٤٧٣ محلاً تمثل ١٢ مجالاً تجارياً. حيث أظهرت النتائج استعمالاً ظاهراً للإنجليزية في تلك اللافتات، وأن اللافتات المكتوبة بالإنجليزية بشكل كامل أو جزئي بلغت حوالي نصف العينة، في حين بلغت اللافتات ثنائية اللغة حوالي ٣٪ فقط. أما فيما يتعلق بالمجالات التجارية الأكثر استعمالاً للإنجليزية في لافتاتها، فقد أظهرت النتائج تفاوتاً كبيراً بين المجالات التجارية، بين مجالات بلغت لافتاتها المكتوبة بالإنجليزية بشكل كامل ٧٠٪، ومجالات لم يتجاوز استعمالها للإنجليزية في لافتاتها ٢٪. أخيراً، أشارت النتائج إلى استعمال ظاهر للأبجدية العربية عند كتابة لافتات المحلات التجارية بالإنجليزية، والتي بلغت ضعف عدد اللافتات المكتوبة بأبجدية إنجليزية. أخيراً، خلصت الدراسة إلى توصيات للمختصين، والجهات ذات العلاقة بالسياسات اللغوية المحلية.

الكلمات المفتاحية: المشهد اللغوي، السياسة اللغوية، لافتات المحلات التجارية.

Abstract

This study aims to identify the linguistic landscape in Riyadh, Saudi Arabia. Specifically, the study attempts to measure the extent to which foreign languages, English in particular, are used in signboards. Furthermore, the study attempts to identify the commercial fields that use English more than Arabic in their signboards, in addition to identifying the most frequently used alphabet when naming shops with foreign words. The study used the descriptive approach, using the *Instant Data Scraper* tool to collect data, which amounted to 1473 stores representing 12 commercial fields. The results showed an apparent use of English in those signboards, and that the signboards written in English in whole or in part amounted to about half of the sample, while bilingual signboards were only about 3%. As for the commercial fields that mostly use only English in their signboards, the results showed a great discrepancy between the commercial fields, where some fields having most of their signboards written only in English, and some fields whose use of English in their signboards did not exceed 2% within the study sample. The results also indicated that two thirds of the signboards written in English are transliterated into Arabic. Finally, the study concluded with recommendations for specialists and agencies related to local language policies.

Keywords: Linguistic landscape, language policy, shop signboards.

المقدمة

مع التطور المستمر في العديد من أوجه الحياة، واقتراب البشر من بعضهم أكثر من أي وقت مضى، أصبح استعمال لغة أجنبية شيئاً ظاهراً في العديد من المواقف اليومية في مختلف دول العالم. كما ظهرت العديد من الدراسات التي تتناول المشهد اللغوي، وترصد الاستعمال الفعلي للغات في الفضاءات العامة؛ للتعرف على حدود الاستعمالات اللغوية المختلفة، وللتعرف أيضاً على مكانة بعض اللغات في بلدانها الأصلية مقارنة باللغات الأخرى، وتنامي سيطرة تلك اللغات الدخيلة على بعض تفاصيل المشهد اللغوي في تلك البلدان، والتعرف عن قرب على سياقها اللغوي الاجتماعي (Cenoz & Gorter, 2006). حيث يطغى استعمال بعض اللغات الأجنبية في بعض البلدان على اللغة الأصلية لأهلها، وذلك لأغراض عدة، ومن تلك الأغراض كتابة لافتات المحلات التجارية، والتي ليست بمنأى عن بقية الظواهر اللغوية التي تستحق الدراسة والتحليل (AI-Kharabsheh, et al. 2008). حيث تحمل تلك اللافتات أهمية للمشهد اللغوي، وهي في ذات الوقت تعني الكثير للعملاء من حيث تعرفهم على طبيعة نشاط تلك المحلات، والمنتجات التي تبيعها، أو الخدمات التي توفرها (Amer & Obeidat, 2014).

وبالرغم من أن السياسة اللغوية السعودية تحتم استعمال اللغة العربية في جميع أنواع المعاملات (مركز خدمة اللغة العربية، ٢٠١٥) إلا أن تنامي استعمال اللغة الإنجليزية أصبح ظاهرة في الكثير من ميادين الحياة العامة في الشارع السعودي، ومن أبرزها لافتات المحلات التجارية، والتي تُعد أحد أبرز مظاهر المشهد اللغوي لأي بيئة. عليه، ظهرت بعض الدراسات التي تتناول طبيعة اللغة المستعملة في تلك اللافتات. فيما يأتي استعراض لمفهوم المشهد اللغوي، ولبعض الدراسات التي تناولت لافتات المحلات التجارية في بعض دول العالم، والدول العربية، كمظهر من مظاهر المشهد اللغوي.

فقد تناولت العديد من الدراسات هذا المصطلح الحديث، حيث عُرفت دراسات المشهد اللغوي بأنها الطريقة أو المنهج الذي يمكن تطبيقه لوصف حالة لغوية في منطقة ما، أو البحث في المظاهر اللغوية من حيث الوجود، والتمثيل، والمعاني، والتفسيرات للغة المستعملة في الأماكن والفضاءات العامة، وكل ما هو مكتوب في الأماكن العامة كاللوحات الإعلانية، واللوحات الإرشادية، والملصقات، ولافتات المحلات، وغيرها من اللافتات العامة (Marnisa et al., 2021). كما عرفه الشويخ (١٤٣٨، ص. ١٤٥) بأنه "النصوص متعددة الوسائط المعروضة في الأماكن العامة". حيث يجتمع في تلك اللوحات ثلاثة معايير وهي: أنها تتضمن صورا أو كلمات، وأنها توضع في الأماكن العامة، وأنها تستعمل لتقوم بدور معلوماتي أو اجتماعي (Pham, 2021b). تلك النصوص التي يستعملها أصحاب المحلات التجارية كنوع من أنواع الإعلان والترويج ولفت انتباه العملاء، وإقناعهم بالدخول إلى تلك المحلات للشراء منها، أو الاستفادة من خدماتها (El-Yasin & Mahadin, 1996 ; Pham, 2021a)، تُعد رمزا من رموز النشاط والاستعمال اللغوي لأي مجتمع، وتعطي انطبعا حول لغته وثقافته (Al-Kharabsheh, et al. 2008). كما أكد Landry وBourhis (1997) في دراستهما أن المشهد اللغوي يقوم بأدوار معلوماتية (التعريف بمكان ما، أو الإشارة إليه، ... إلخ)، وبأدوار رمزية (للتعبير عن مدى أهمية لغة ما خصوصا في البيئات التي تتجاذبها أكثر من لغة). حيث أشار Pham (2021b) إلى أن أبرز الأدوار التي تقوم بها اللوحات العامة تتمحور حول التوجيه (حول ماهية الأشياء التي تشير إليها، أو كيفية التعامل معها، أو الاتجاهات، ونحوها)، والحث (التذكير، التنبيه، التحذير، ونحوها)، والإلزام (الطلب من المتلقي - على سبيل الإلزام - أن يفعل / لا يفعل شيئا محددًا).

وتتمثل أهمية دراسة المشهد اللغوي في أنها تعطي تصورا حول الاستعمال الفعلي للغة في بيئة أو مجتمع معين. حيث تعطي دراسة اللافتات العامة، ولوحات المحلات

التجارية انطباعاً حول العديد من الجوانب الاجتماعية والثقافية لأي مجتمع (Wierzbicka, 1998). وبشكل عام، تعكس دراسات المشهد اللغوي التركيبية الاجتماعية واللسانية لأي مجتمع يقيم في مكان ما، وتعكس كذلك مدى التنوع اللغوي في ذلك المكان، أو هيمنة لغة بعينها على ذلك المشهد، وعلى ثقافة أهله (المسعودي & الدخيل، ٢٠٢٢). كما أن دراسات المشهد اللغوي تؤدي وظيفتين أساسيتين هما: الإشارة إلى الحدود الجغرافية للمجتمعات اللغوية (على مستوى اللغة، أو اللهجة)، والإشارة إلى مكانة اللغة لدى أهلها مقارنة باللغات الأخرى، ومدى ما تتسم به اللغة المستعملة من مكانة ونفوذ في بيئة محددة (Cenoz & Gorter, 2006). بالإضافة إلى ذلك، فإن المشهد اللغوي يعكس مدى وجود سياسات لغوية في أي بلد (Backhaus, 2009). مذكور في الشويخ ١٤٣٨، ص. ١٤٨)، وبناء عليه فقد يعطي تصوراً حول مدى تطبيق تلك السياسات.

ومن هذا المنطلق، نادت بعض الدراسات بضرورة الانتباه لمزاحمة بعض اللغات الأجنبية للغات الأصلية في بلدانها، وطغيانها على المشهد اللغوي في الفضاءات العامة في تلك البلدان، ومدى تأثير ذلك على هوية المجتمع (Foster & Welsh, 2021)، بل وتحوف بعض المختصين (Purnanto et al., 2021) من سيطرة الإنجليزية في المستقبل على اللغة المستعملة في بعض الفضاءات العامة (كاللوحات الإرشادية، ولافتات المحلات التجارية). حيث تناولت بعض الدراسات مزاحمة الإنجليزية لليابانية في اليابان (Backhaus, 2006)، ولفيتنامية في فيتنام (Pham, 2021a; Pham, 2021b; Phan & Starks, 2019)، وللغة المحلية في إندونيسيا (Foster & Welsh, 2021; Purnanto et al., 2021) وكذلك مزاحمتها للعربية في لافتات المحلات التجارية في العديد من الدول العربية كالأردن (Al-Kharabsheh, et al. 2008; Amer & Obeidat, 2014; Zughoul, 2021)، واليمن (Al-Athwary, 2014). في المقابل، يتجلى التمسك ببعض اللغات من قبل بعض المنتمين إليها، ومن الأمثلة على ذلك النسبة الكبيرة من المحلات

التجارية في سنغافورة التي ما زالت لافتاتها مكتوبة باللغة الصينية بالرغم من السياسة اللغوية لسنغافورة والتي تدعم حضور الإنجليزية (Shang & Guo, 2017). ومن تلك الحالات التي أصبح فيها استعمال لغة أجنبية ظاهرا للعيان استعمال اللغة الإنجليزية لدى بعض السعوديين لأغراض مختلفة، ومن تلك الأغراض كتابة لافتات المحلات التجارية باللغة الإنجليزية. حيث يبرز الحضور المتزايد للغة الإنجليزية في لافتات المحلات التجارية في بعض الشوارع الحديثة بمدينة بريدة تعبيرا عن الذوق الأجنبي، والتطور، والعملية (المسعودي & الدخيل، ٢٠٢٢) وهو ما قاد إلى مطالبة بعض المتخصصين بضرورة دراسة الجهات المختصة في السعودية مدى تأثير السياسات اللغوية على المشهد اللغوي (Alotaibi & Alamri, 2022). في الفقرة التالية استعراض لبعض الدراسات التي حللت المشهد اللغوي في بعض دول العالم، وكذلك الدراسات التي تناولت المشهد اللغوي المتمثل في لافتات المحلات التجارية في بعض الدول العربية، وكذلك في السعودية.

الدراسات السابقة

تناولت الدراسات التي أجريت حول المشهد اللغوي هذه القضية من زوايا متعددة. وبالرغم من حضور اللغة الإنجليزية في كثير من جوانب المشهد اللغوي في مدينة الرياض، والتي ستكون محور تركيز هذه الدراسة، إلا أنها ليست المدينة الوحيدة التي تتبادر إلى الذهن عند الحديث حول هذه القضية؛ حيث تناولت العديد من الدراسات مدنا عالمية أصبح فيها استعمال اللغات الأجنبية حاضرا في العديد من جوانب الحياة اليومية، ومزاحما لحضور لغة غالبية السكان في تلك المدن. ففي طوكيو - على سبيل المثال -، وبالرغم من أن السكان الأجانب لا يمثلون سوى أقل من ٣٪ من عدد سكانها، وبالرغم من أن غالبية أولئك الأجانب هم من الصينيين والكوريين، إلا أن حضور الإنجليزية كان ظاهرا، خصوصا في لوحات المحلات التجارية، والتي وصلت نسبة استعمالها إلى ٢٠٪ من نسبة تلك اللوحات (Backhaus, 2006). كما أشارت بعض الدراسات إلى انتشار ظاهرة

كتابة لافتات المحلات التجارية باللغة الإنجليزية في فيتنام، حتى أصبحت اللوحات المكتوبة بالإنجليزية، أو الإنجليزية والفيتنامية أكثر من اللوحات المكتوبة بالفيتنامية فقط (Pham, 2019; Phan & Starks, 2019; Pham, 2021a; 2021b)، وكذلك في إندونيسيا التي وصلت نسبة لافتات المحلات التجارية المكتوبة بالإنجليزية في بعض المدن إلى أكثر من ٣٢٪ (Purnanto et al., 2021).

وفي الدول العربية تناولت بعض الدراسات انتشار لافتات المحلات التجارية المكتوبة باللغة الإنجليزية في بعض الدول العربية كالأردن، واليمن بالرغم من أن الإنجليزية ليست لغة وطنية، ولا لغة رسمية لتلك البلدان. حيث أشار كل من ALHyari و Hamdan (2019)، و Alomoush (2015)، و Amer و Obeidat (2014)، و Mansour (2013) ليس فقط إلى الحضور الواضح للغة الإنجليزية في لافتات المحلات التجارية، بل إلى تزايد نسبة المحلات التجارية التي تكتب لافتاتها باللغة الإنجليزية في الأردن، خصوصا في المدن التي يكثر فيها السياح والمقيمون الأجانب. كما تناول Al-Athwary (2014) ازدياد استعمال اللغة الإنجليزية في لافتات المحلات التجارية في اليمن. حيث تحتل الإنجليزية مكانة مرموقة في نظر الكثيرين من أبناء اليمن؛ لكونها لغة التطور، والعملة، وهو ما أدى إلى اختيار عدد كبير من أصحاب المحلات كتابة لافتات محلاتهم والأسعار بالإنجليزية. في المقابل، تناولت Almousa (2012) لافتات المحلات التجارية في الكويت، وأشارت إلى أن لافتات المحلات التجارية المكتوبة بالإنجليزية لا تمثل سوى (١٪) من لافتات محلات العينة التي أجرت عليها الدراسة. وفي السعودية، تناولت دراسة المسعودي والدخيل (٢٠٢٢) المشهد اللغوي في مدينة بريدة، وأظهرت تلك الدراسة تنوعا كبيرا في طبيعة لافتات المحلات التجارية في تلك المدينة. حيث ما زالت المنطقة المركزية القديمة (الجردة) محافظة على الهوية اللغوية لأهل المدينة وتشكيل لافتات المحلات التجارية المكتوبة سواء بالعربية وحدها، أو بلغتين إحداها العربية لنسبة (٩٧٪)، في حين أثر تركز نسبة كبيرة من العمالة الأجنبية في شارع النور على اللغة المستعملة في لافتات المحلات في ذلك الشارع لتشكيل نسبة اللوحات المكتوبة بلغتين

(٤١٪) وبتلات لغات (٢٥٪). أما في أحد الشوارع الحديثة التي تمثل فئة الشباب غالبية روادها (شارع البخاري)، فقد تجلت فيه الهوية "المعولة ذات المسحة الغربية" (ص. ١١٨) في كثرة لافتات المحلات التجارية المكتوبة بغير العربية. حيث وصلت نسبة اللافتات المكتوبة بالإنجليزية، وبالإنجليزية المعربة صوتياً إلى (٥٥٪) من نسبة اللافتات في ذلك الشارع، كما تناولت دراسة Alamri وAlotaibi (2022) اللوحات ثنائية اللغة في مراكز التسوق السعودية، وأشارت إلى وجود بعض الإشكاليات في الترجمة الصوتية من الإنجليزية إلى العربية في بعض لافتات المحلات التجارية المكتوبة بلغتين، وإلى ضرورة إيجاد وتفعيل السياسات اللغوية التي تعالج هذه الإشكالية.

على صعيد آخر، تناولت بعض تلك الدراسات أنماط اللغة المستعملة لكتابة لافتات المحلات التجارية. حيث أشار Pham (2021b) إلى ثلاثة أنماط مستعملة في لافتات المحلات التجارية في فيتنام، وهي: لوحات تستعمل اللغة الفيتنامية فقط، ولوحات مكتوبة بالإنجليزية فقط، أما النوع الثالث فهي اللوحات التي تستعمل اللغتين (الفيتنامية والإنجليزية). كما أشار Guo وShang (2017) إلى وجود هذه الأنماط الثلاثة في لافتات المحلات التجارية في سنغافورة، حيث توجد لافتات مكتوبة بالصينية، ولافتات مكتوبة بالإنجليزية، ولافتات مكتوبة باللغتين.

أما الدراسات التي طبقت في الدول العربية، فقد توصلت إلى العديد من الأنماط اللغوية المستعملة في لافتات المحلات التجارية. حيث توصلت Zughoul (2021) إلى أنماط متعددة للغة التي كتبت بها لافتات بعض المحلات في الأردن، وتضمنت تلك الأنماط (الأمثلة كما وردت في الدراسة):

• لوحات أحادية اللغة:

- أسماء عربية مكتوبة بأبجدية عربية (بقالة سامي، ملحمة التقوى، ألبان الفريد).
- أسماء إنجليزية مكتوبة بأبجدية إنجليزية (Vogo، Mango، Moments).

- لوحات ثنائية اللغة أحادية الأبجدية:
 - أسماء تتضمن جزءاً أجنبياً ومكتوبة بأبجدية عربية (سوبرماركت الوقفي، صالون ناديا، بوتيك زيد).
 - لوحات ثنائية اللغة ثنائية الأبجدية:
 - أسماء كتبت بالعربية والإنجليزية (الرجل الأنيق Elegant Man، الغصن الأخضر Green Branch).
 - أسماء كتبت بالعربية مع كتابة جزء من الاسم العربي بالأبجدية الإنجليزية (صيدلية الحياة Alhayat pharmacy، صيدلية الدبابي Al-DBABI PHARMACY).
 - لوحات أحادية اللغة ثنائية الأبجدية:
 - أسماء أجنبية كتبت بأبجدية عربية وإنجليزية (شوز جاردن Shoes Garden، صن لورد Sun Lord، نيو ستايل New Style).
 - لوحات ثنائية اللغة مع كتابة الاسم العربي كاملاً بالأبجدية الإنجليزية (بنك المشرق Bank al Mashrik، هدايانا Hadayana، سوق الحميدية Souk el-Hamidiah).
- وفي السعودية توصلت دراسة المسعودي والدخيل (٢٠٢٢) إلى العديد من الأنماط المستعملة لكتابة لافتات المحلات التجارية في مدينة بريدة. حيث لخصت الدراسة تلك الأنماط بالقائمة التالية:
- العربية فقط (مثل: الشتاء والصيف).
 - الإنجليزية فقط (مثل: Door Furniture JS).
 - إنجليزية عربية (تعريب مثل: مشهور لتأجير السيارات - Famous for car rental).

- عربية إنجليزية (ترجمة صوتية مثل: درعة - Daraah).
- إنجليزية عربية (ترجمة صوتية مثل: Sleep line - سليب لاين).
- عربي فرنسي (تعريب مثل: حلويات جرير - Patisserie Jareer).
- إيطالية عربية (ترجمة صوتية مثل: مايسترو بيتزا).
- عربية إنجليزية إيطالية (مثل: مطابخ إيطالية - veneta cucine-italian kitchen).

كما لخصت دراسة Alotaibi و Alamri (2022) الأنماط المستعملة في لافتات المحلات التجارية إلى:

- العربية فقط (مثل: محمصة الرفاعي).
 - إنجليزية عربية (معرب صوتيا مثل: Terranova - تيرانوفا).
 - العربية والإنجليزية (مركز التعليم المبكر - Early learning center).
- فيما يأتي استعراض لمشكلة الدراسة التي دفعت الباحث إلى اختيار عنوان الدراسة، وكذلك أهداف الدراسة ومنهجيتها، وآلية تطبيقها.

مشكلة الدراسة

بناء على ما سبقت الإشارة إليه من أهمية دراسة المشهد اللغوي والذي تعطي تصورا حول الاستعمال الفعلي للغة في بيئة أو مجتمع معين، ويعكس التركيبة الاجتماعية واللسانية لأي مجتمع، والتنوع اللغوي في ذلك المكان، أو هيمنة لغة بعينها على ذلك المشهد، وعلى ثقافة أهله. وبما أن ثلث النسيج الاجتماعي في السعودية من غير العرب، ولكون الشباب يمثلون الغالبية في تركيب المجتمع السعودي، فقد كان من المهم الغوص في مظاهر المشهد اللغوي السعودي؛ نظرا لطبيعة الشباب، وقابليتهم للتأثر بالثقافات الأخرى ومظاهر العولمة (المحمود، ٢٠٢٠) والتي من أمثلتها استعمال اللغات الأجنبية في مختلف جوانب الحياة، والانطلاق من ذلك نحو النظر في ضرورة بناء أو تفعيل السياسات اللغوية

المناسبة. ولما تشهده المدن السعودية بشكل عام، ومدينة الرياض على وجه الخصوص، من تزايد للافتات المراكز التجارية المكتوبة باللغة الإنجليزية، بالرغم من وجود السياسات اللغوية التي تنص على الالتزام باستعمال اللغة العربية في العديد من أوجه الحياة ومنها لافتات المحلات التجارية (مركز خدمة اللغة العربية، ٢٠١٥)، وبما أن الدراسات السابقة التي تناولتها الدراسة الحالية لم تركز في تحليلها على مجالات محددة وإنما تناولت جميع المجالات التجارية الموجودة في الحدود الجغرافية لعينة تلك الدراسات، فقد سعت الدراسة الحالية إلى إلقاء الضوء على المشهد اللغوي المتمثل في لافتات المحلات التجارية، والتعرف على طبيعة اللغة المستعملة فيها وفقاً لمجالاتها التجارية.

أهداف الدراسة وأسئلتها

هدفت الدراسة الحالية إلى معرفة طبيعة المشهد اللغوي في مدينة الرياض فيما يتعلق بلافتات المحلات التجارية، وذلك للتعرف على:

- مدى استعمال التسميات الأجنبية على لافتات المحلات التجارية في مدينة الرياض.
 - المجالات التجارية التي تكثر فيها تسمية المحلات بلغة أجنبية.
 - الأجدية المستعملة عند تسمية المحلات التجارية بلغة أجنبية.
- حيث يأمل الباحث أن تسهم هذه الدراسة في فهم أعمق لطبيعة المشهد اللغوي في مدينة الرياض بشكل عام، ولطبيعة اللغة المستعملة في المحلات التجارية. وقد كانت أسئلة الدراسة على النحو التالي:

- ما مدى استعمال التسميات الأجنبية على لافتات المحلات التجارية في مدينة الرياض؟
- ما المجالات التجارية التي تكثر فيها تسمية المحلات بلغة أجنبية؟
- ما الأجدية الأكثر استعمالاً عند تسمية المحلات بلغة أجنبية؟

منهجية الدراسة

ركزت الدراسة على اللغة المستعملة في الأسماء المكتوبة على لافتات المحلات التجارية في مدينة الرياض، وكان المنهج المتبع في هذه الدراسة هو المنهج الوصفي التحليلي بهدف الوصول إلى وصف كمي لخصائص الظاهرة محل الدراسة (أبو زائدة، ٢٠١٢)؛ وذلك رغبة في الحصول على نتائج قابلة للتعميم إلى حد ما (Creswell, 2014)، وتصور أشمل لطبيعة الممارسات المتعلقة بمدى استعمال اللغتين العربية والإنجليزية لكتابة لافتات المحلات التجارية في مدينة الرياض.

أداة الدراسة

بغرض معرفة مدى انتشار الأسماء الإنجليزية للمحلات التجارية في مدينة الرياض (وهي المدينة التي يقيم فيها الباحث)، والمجالات التي تكثر فيها تلك الأسماء، قام الباحث باستخدام محرك البحث الخاص بالخرائط (Google Map)، والبحث عن أسماء المحلات للمجالات المستهدفة في الدراسة. ولرصد قائمة طويلة من تلك الأسماء، قام الباحث باستخدام أداة (Instant Data Scraper) لجمع قوائم بيانات المحلات والمتاجر المستهدفة، وتقديمها في ملف (إكسل) لكل عملية بحث. حيث تقوم هذه الأداة برصد بيانات المحلات والأنشطة التجارية المحددة بقوائم طويلة (يمكن أن يحدد الباحث ذلك الطول عن طريق إيقاف عملية البحث بشكل يدوي عند الوصول إلى رقم محدد)، وتتضمن تلك البيانات:

- الاسم على لافتة المحل.
- نوع النشاط.
- رقم التواصل.
- اسم الشارع.
- رابط الوصول إلى المحل عن طريق الخريطة.

- تقييم المستفيدين (بعدد النجوم).

كما تقوم هذه الأداة بجمع البيانات عشوائيا من أماكن متفرقة من المدينة المحددة. فقد لاحظ الباحث ورود أسماء محلات في مختلف جهات مدينة الرياض. وبناء على عملية الجمع الأولية، كان لدى الباحث أسماء ما يزيد عن ١٨٠ محلا تجاريا لكل مجال من المجالات المستهدفة في الدراسة (بمجموع أكثر من ٢١٦٠ اسما). وبعد عملية التنقيح (المشار إليها في منهجية التحليل أدناه)، تراوحت تلك الأعداد من ١٠٠ اسم (في مجال المكتبات وخدمات الطالب، والصيدليات، والأحذية) إلى ١٦٨ اسما (في مجال محلات القهوة). حيث وصلت أعداد بعض المجالات بعد التنقيح إلى أقل من ٨٠ لافتة بسبب استبعاد الكثير منها، ولكن حرص الباحث على استكمال القوائم الناقصة التي تقل عن ١٠٠ وذلك باستكمالها يدويا عبر استخدام التطبيق الخاص بخرائط (Google)، والبحث بشكل يدوي عن أسماء محلات ضمن تلك المجالات، وإضافة أسمائها إلى القائمة حتى تصل إلى الحد الأدنى الذي استهدفه وهو ١٠٠ لافتة، وهو الحد الأدنى لعدد اللافتات التجارية التي يستهدفها الباحث لكي يحصل على نتائج تعطي تصورا أعم حول الظاهرة قيد الدراسة.

عينة الدراسة

بهدف التعرف على المشهد اللغوي في مدينة الرياض بشكل عام، وعلى اللغة المستعملة لكتابة لافتات المحلات التجارية بشكل خاص، قام الباحث بجمع بيانات الدراسات في النصف الأول من عام ١٤٤٣هـ. حيث اشتملت عينة الدراسة على مجموعة عشوائية من لافتات المحلات التجارية في مدينة الرياض، وذلك في المجالات التالية:

مجلة الجامعة الإسلامية للغة العربية وآدابها - العدد: ٦ | الجزء: ١

المجال	عدد المحلات	المجال	عدد المحلات
القهوة	١٦٨	تأجير السيارات	١٠٠
التموينات	١١٢	الصيدليات	١٠٠
الأثاث والمطابخ	١٢٦	الملابس	١٢٤
صالونات الحلاقة الرجالية	١١٧	الأحذية	١٠٠
المكتبات وخدمات الطالب	١٠٠	الحلويات	١١٥
المطاعم	١٤٧	الهدايا والورود	١٦٤
المجموع ١٤٧٣ (محلات تجارية)			

جدول رقم (١) مجالات وعدد المحلات المشمولة بالدراسة

وقد جاء اختيار تلك المجالات عشوائياً، حيث حدد الباحث في البداية عدد ١٠ مجالات، وبعد تحديدها لاحظ الباحث عند تجوله في بعض شوارع المدينة كثرة استعمال الإنجليزية في كتابة لافتات المطاعم، ومحلات الهدايا والورود، فقرر إضافة هذين المجالين لتصل القائمة إلى ١٢ مجالاً.

منهجية التحليل

بعد اكتمال عملية جميع البيانات المشار إليها في الفقرة السابقة، قام الباحث بمراجعة قوائم لافتات المحلات التجارية على خمس مراحل؛ للتأكد من دقتها، وجاهزيتها لعملية التحليل. حيث قام (١) باستبعاد الأسماء المتكررة للمحلات التي لها أكثر من فرع، (٢) واستبعاد أسماء فروع محلات العلامات التجارية (الماركات) العالمية؛ لكيلا تتأثر نتائج الدراسة ببيانات تلك الفروع المرتبطة بأسمائها بأسماء فروعها الرئيسة خارج السعودية،

ولكيلا يؤثر تضمين تلك العينة على التصور حول اختيارات ملاك المحلات السعوديين للغة الأسماء المستعملة في لافتات محلاتهم. في القائمة التالية أمثلة لتلك العلامات التجارية العالمية التي لم يدرجها الباحث ضمن عينة الدراسة:

- الأثاث والمطابخ: إيكيا، هوم سنتر، سليب هاي.
- المطاعم: برقر كنج، هارديز، كنتاكي.
- محلات القهوة: ستاربكس، دانكن، كوستا.
- الملابس: ذا تشيلدرن بليس، تومي هيليفيغر، أديداس.

كذلك (٣) استبعد الباحث أسماء لافتات المحلات التي تقدم بضاعة موجهة لجالية محددة، ومنها التموينات التي تستورد بضاعة مخصصة لبعض العمالة أو الجاليات غير العربية (مثل: البقالة الفلبينية / Philippines Grocery Store)؛ لأجل عدم تأثر نتائج الدراسة بالبيانات، ولأن تلك اللافتات موجهة لفئة محددة وهم أبناء تلك الجالية (بالرغم من أن الباحث يميل إلى أن الأصل هو كتابة اللافتة باللغة العربية ثم بلغة الجالية المستهدفة، بما يتوافق مع السياسات اللغوية السعودية). بالإضافة إلى ذلك، قام الباحث (٤) بمراجعة القوائم عدة مرات للتأكد من عدم تضمين أية أسماء بالخطأ؛ وذلك لورود بعض أسماء المحلات باسم النشاط فقط، والذي يعطي انطباعاً بأن تضمينه في القائمة كان خطأ تقنياً. حيث وردت بعض أسماء لافتات المحلات التجارية باسم نوع النشاط (مثل: تموينات، Gift shop، Bookstore، حلاق، وغيرها). وللتأكد من صحة بقية الأسماء، فقد قام الباحث (٥) بأخذ عينة عشوائية من كل مجال، وبحث عنها في تطبيق الخرائط، ووجد تلك الأسماء صحيحة وواقعية، وهو الأمر الذي يعطي تصوراً عن صحة تلك الأسماء بعد استبعاد ما أشار إليه الباحث أعلاه. أخيراً، وضع الباحث تصوراً أولياً لتقسيم اللغة المستعملة في لافتات المحلات التجارية في مدينة الرياض إلى أربعة أنماط (مع إمكانية إضافة أنماط أخرى عند الحاجة)، وعرف الباحث كل نمط، وذلك على النحو التالي:

- **العربية:** وهي اللوحات المكتوبة بأسماء عربية أصيلة، وبأبجدية عربية (مثل: يوم القهوة).
 - **الإنجليزية:** وهي جميع الأسماء غير العربية سواء المكتوبة بأبجدية إنجليزية، أو المكتوبة بأبجدية عربية؛ فالاسم الذي لا يكون عربيا بأصله لا يراه الباحث عربيا لمجرد كتابته بأبجدية عربية (مثل: كوفي، بلازا، ... إلخ). كما لم يفرق الباحث بين الإنجليزية واللغات الأخرى اللاتينية (الإيطالية، الفرنسية، ... إلخ)؛ وذلك لأن الإنجليزية هي الأغلب استعمالا من بين اللغات المستعملة في اللافتات محل الدراسة، ولأن الباحث لم يهدف إلى تحديد لغة بعينها، وإنما كان الهدف التعرف على مدى استعمال العربية مقابل استعمال غيرها من اللغات، وعليه اختار الباحث تصنيف أي لغة غير العربية ضمن نمط الإنجليزية.
 - **ثنائية اللغة:** وهي اللافتات المكتوبة بلغتين، يتكون فيها الاسم العربي من ألفاظ عربية أصيلة: مثل قهوة، مغسلة، والاسم الإنجليزي من ألفاظ غير عربية، وبأبجدية إنجليزية (مثل: رقي القهوة - Elegant Coffee).
 - **المختلطة:** وهي اللافتات المكتوب جزء منها بألفاظ عربية أصيلة، والجزء الآخر بألفاظ أجنبية (مثل: المساء كافي، اوبريشن فلافل).
- كما قام الباحث بتحكيم هذا التقسيم للأنماط لدى ثلاثة من المختصين في اللغويات التطبيقية، والذين رأوا مناسبتها، وأنها تخدم ما وضعت لأجله، في حين اقترح أحدهم تعديل تصنيف اللافتات المكتوبة باسم أجنبي وأبجدية عربية ليكون ضمن نمط اللافتات المكتوبة بالعربية، وهو ما لم يؤيده الباحث نظرا لأن الترجمة الصوتية للكلمة غير العربية لا تغير طبيعتها ولا تجعل منها كلمة عربية أصيلة، بالإضافة إلى أن المحكمين الآخرين لم يؤيدوا ما ذهب إليه ذلك المحكم، وعليه أبقى الباحث التقسيم المشار إليها كما هو. بعد ذلك، قام الباحث بترميز المجالات لتسهيل عملية التحليل، حيث رمز للعربية

(١)، وللإنجليزية (٢)، ولثنائية اللغة (٣)، وللمختلطة (٤)، وقام بترميز البيانات وفقا لهذه الأرقام. وبغرض الإجابة على السؤال الثالث الذي يحاول التعرف على الأبجدية الأكثر استعمالا عند كتابة لافتات المحلات بأسماء أجنبية، قام الباحث بتحليل قائمة اللافتات التي رمز لها بالرمز (٢)، وقام بتقسيمها إلى (ع) وتعني أن الاسم الأجنبي مكتوب بأبجدية عربية، و(ا) التي تعني أن الاسم الأجنبي مكتوب بأبجدية إنجليزية. أخيرا، قام الباحث بمراجعة كامل البيانات للتأكد من عدم وجود ترميز غير صحيح لأي منها، ثم عرض تلك البيانات على أحد المحكمين الثلاثة والذي رأى صحة ودقة عملية التحليل والترميز، وأنها تعكس الأنماط المحددة في الدراسة.

النتائج والمناقشة

السؤال الأول: ما مدى استعمال التسميات الأجنبية على لافتات المحلات

التجارية في مدينة الرياض؟

ركز السؤال الأول من هذه الدراسة على التسميات الأجنبية في مدينة الرياض من حيث مدى انتشار تلك التسميات على لافتات المحلات التجارية. حيث أظهرت النتائج (جدول رقم ٢) استعمالا ظاهرا لغير العربية في لافتات المحلات التجارية في الرياض، وبلغت نسبة اللافتات المكتوبة بالإنجليزية ٣٣٪ من اللوحات (٤٨٦ لوحة)، ونسبة اللافتات المكتوبة بلغة مختلطة إلى ١٢٪ (١٧٣ لوحة)، وهذا يعني أن ٤٥٪ (حوالي النصف) من اللافتات التي تضمنتها العينة تستعمل الإنجليزية بشكل كامل أو جزئي، وهي نسبة تشير إلى مدى تغلغل تلك اللغة إلى المشهد اللغوي في مدينة الرياض، مع الأخذ بالاعتبار تفاوت المجالات التجارية في نسبة استعمالها للإنجليزية. حيث وصلت نسبة استعمال أحد المجالات للغة الإنجليزية في لافتات المحلات إلى ٧٠٪، في حين أظهرت النتائج أن هناك مجالات تكاد لا تستعمل غير العربية في لافتاتها، ونسبة وصلت ٠٪ في أحد المجالات. أما بالنسبة للمحلات التي تضع لافتات ثنائية اللغة (عربية

وإنجليزية)، فقد أظهرت النتائج أن تلك المحلات تمثل حوالي ٣٪ فقط (٤٤ من أصل ١٤٧٣ محلا تجاريا).

وبشكل عام، تضمنت العينة أربعة أنماط لكتابة لافتات المحلات التجارية. فهناك لافتات اختارت العربية فقط مثل: "عنوان القهوة (مقهى)"، و"قصر الأحذية (محل أحذية)"، و"الريف الهندي (مطعم)"، ولافتات اختارت الإنجليزية فقط سواء بأبجدية عربية مثل: "بيغ شيفنز (مطعم)"، و"كوفي مونت (مقهى)"، و"فلورشاييم (محل أحذية)" أو بأبجدية إنجليزية مثل: "CORE Coffee and Roastery (مطعم)"، و"Tanara (محل أحذية)"، و"Black Rose (محل هدايا وورود)"، ولافتات ثنائية اللغة مثل: "نخبة الحذاء Elite Shoe - (محل أحذية)"، و"أزهار الكرز - Cherry Blossoms (محل هدايا وورود)"، و"رداء الرياض - Riyadh Dress (محل ملابس)"، وأخيرا تلك اللافتات المكتوبة بلغة مختلطة تجمع اللغتين العربية والإنجليزية في اسم واحد مثل: "زهرة لوريت (محل هدايا وورود)"، و"قهوة ريفيل (مقهى)"، و"مطابخ زون (أثاث ومطبخ)".

المشهد اللغوي في مدينة الرياض - دراسة وصفية تحليلية للغة المستعملة في لافتات المحلات التجارية، د. فهد بن صالح العليان

المجال	عدد المحلات	اللغة				العربية	نسبة المختلط	نسبة الإنجليزي	نسبة المختلط
		ثنائي اللغة	مختلط	الإنجليزية	العربية				
القهوة	١٦٨	٢٤	١١٧	٣	٢٤	٧٠٪	١٤٪		
التموينات	١١٢	٨٥	١٧	٢	٨٥	١٥٪	٧٪		
الأثاث والمطابخ	١٢٦	٦٦	٢٨	٤	٦٦	٢٢٪	٢٢٪		
صالونات الحلاقة الرجالية	١١٧	٧٥	٢٩	٦	٧٥	٢٥٪	١٠٪		
المكتبات وخدمات الطالب	١٠٠	٩٦	٠	٢	٩٦	٠٪	٢٪		
تأجير السيارات	١٠٠	٦٧	١١	٥	٦٧	١١٪	١٧٪		
الصيدليات	١٠٠	٦٢	١٦	٦	٦٢	١٦٪	١٦٪		
الملابس الجاهزة	١٢٤	٦٠	٥٧	٠	٦٠	٤٦٪	٦٪		
الأحذية	١٠٠	٤٩	٣٨	٢	٤٩	٣٨٪	١١٪		
الحلويات	١١٥	٤٣	٥٠	٧	٤٣	٤٣٪	١٣٪		
المطاعم	١٤٧	٤٨	٨١	٢	٤٨	٥٥٪	١١٪		
الهدايا والورود	١٦٤	٩٧	٤١	٤	٩٧	٢٥٪	١٣٪		
المجموع	١٤٧٣	٧٧٠	٤٨٦	٤٤	٧٧٠	٣٣٪	١٢٪		

جدول رقم (٢) المجالات التجارية ونسبة استعمال الإنجليزية في لافتاتها

هذه النتائج التي تشير إلى كثرة استعمال اللغة الأجنبية لتسمية المحلات التجارية في مدينة الرياض، وأن لافتات المحلات التجارية المكتوبة بالإنجليزية فقط تصل إلى ٣٣٪

(ثلث العينة)، تؤكد ما أشارت إليه العديد من الدراسات السابقة من استعمال ظاهر للغة الإنجليزية في لافتات المحلات التجارية في العديد من البلدان التي لغتها الرسمية ليست الإنجليزية كاليابان (Backhaus, 2006)، وفيتنام (Pham, 2021a; Pham, 2021b; Phan & Starks, 2019)، وإندونيسيا (Purnanto et al., 2021)، وبعض الدول العربية كالأردن، واليمن (Al-Athwary, 2014; ALHyari & Hamdan, 2019; Obeidat & Amer, 2014; Mansour, 2013; Alomoush, 2019)، وكذلك في السعودية، وتحديدًا في الرياض (Aldholmi, 2010)، وبريدة (المسعودي & الدخيل، ٢٠٢٢). في المقابل، لم تتفق نتائج الدراسة الحالية مع نتائج دراسة Almousa (2012) التي طبقت في الكويت، وأشارت إلى أن لافتات المحلات التجارية المكتوبة بالإنجليزية لا تمثل سوى (١٪) من لافتات محلات العينة، وهي الدراسة الوحيدة (بين يدي الباحث) التي لم تشر إلى استعمال كبير للإنجليزية في العينة التي طبقت عليها.

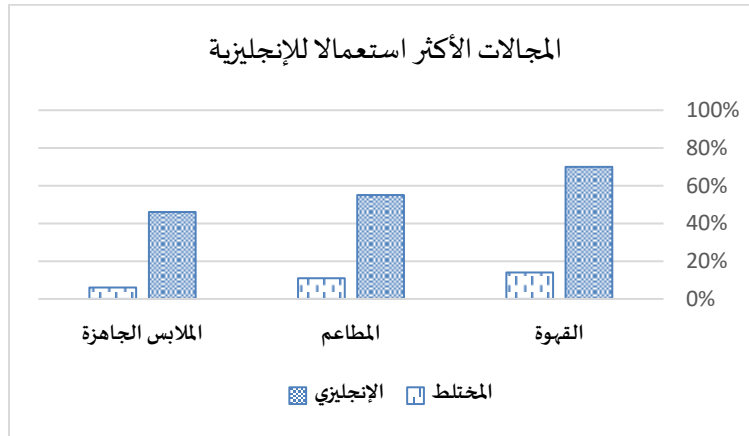
وبالنظر إلى الأنماط التي أظهرتها نتائج الدراسة الحالية، نجد أنها تؤكد بعض ما توصلت إليه الدراسات السابقة. فعلى سبيل المثال، أظهرت الدراسة الحالية وجود أربعة أنماط للغة المستعملة في لافتات المحلات التجارية (العربية، والإنجليزية، وثنائية اللغة، والمختلطة). فيما يتعلق بالأنواع الثلاثة الأولى، أكدت النتائج ما توصلت إليه العديد من الدراسات من وجود ثلاثة أنماط رئيسة، وهي: لافتات مكتوبة بلغة أهل البلد، ولافتات بالإنجليزية، ولافتات ثنائية اللغة مكتوبة بلغة أهل البلد وبالإنجليزية (Al-Athwary, 2014; Aldholmi, 2010; ALHyari & Hamdan, 2019; Alomoush, 2019; Backhaus, 2006; Mansour, 2013; Obeidat & Amer, 2014; Pham, 2021a; Pham, 2021b; Phan & Starks, 2019; Purnanto et al., 2021). كذلك بالنسبة للنمط الرابع في نتائج الدراسة الحالية (المختلط). حيث أشارت نتائج دراسة المسعودي

والدخيل (٢٠٢٢) وكذلك دراسة Alotaibi و Alamri (2022) إلى الألفاظ الأجنبية المعرّبة صوتياً في بعض اللافتات مثل: سليب لاين، ومايسترو بيتزا، وسناك هاوس (المسعودي & الدخيل، ٢٠٢٢. ص. ١١٠). وهو شبيه بالأنماط التي أشارت إليها Zughoul (2021) في دراستها المطبقة في الأردن كالنمط: ثنائي اللغة أحادي الأبجدية، والذي يقصد به ما كانت ألفاظه عربية وإنجليزية ولكنها مكتوبة بأبجدية واحدة (مثل: صالون ناديا، بوتيك زيد..، ص. ٢٩٣)، والنمط: أحادي اللغة ثنائي الأبجدية، والذي يشير إلى اللافتات التي تتضمن ألفاظاً من لغة واحدة، ولكنها مكتوبة بأبجدية عربية وإنجليزية (مثل: شوز جاردن Shoes Garden، صن لورد Sun Lord، ص. ٢٩٤).

وبالنظر إلى نتائج الدراسة الحالية، والنسبة الكبيرة للافتات المكتوبة بالإنجليزية بشكل كامل أو جزئي (٤٥٪)، وانطلاقاً من أن نسبة الأجانب في السعودية تمثل أقل من ثلث السكان (٣١٪)، والنسبة الأكبر منهم من الهنود، والباكستانيين، والبنجلاديشيين، وغيرهم من الجنسيات التي تتحدث لغات ليس من بينها الإنجليزية (العمالة الأجنبية في السعودية، ٢٠٢٢)، فإن ذلك يثير تساؤلات عدة حول نسبة السواح والمقيمين الأجانب الذين يتحدثون الإنجليزية مقارنة بنسبة المواطنين والمقيمين من غير المتحدثين بالإنجليزية، والغرض من استعمال الإنجليزية فقط في الكثير من تلك اللافتات (وهي في بلد لغته الرسمية ولغة غالبية ساكنيه هي اللغة العربية)، بالإضافة إلى النسبة الضئيلة جداً للافتات المكتوبة بلغتين. جميع هذه المعطيات قد تشير إلى أن استعمال الإنجليزية قد لا يكون بسبب جذب السائح أو المقيم الأجنبي، وإنما قد تكون هناك أسباب أخرى تحتاج إلى بحث وسؤال لأصحاب تلك المحلات لمعرفة أسباب اختيارهم لغبر العربية لكتابة لافتات محلاتهم.

السؤال الثاني: ما المجالات التجارية التي تكثر فيها تسمية المحلات بلغة أجنبية؟

ركز السؤال الثاني من هذه الدراسة على المجالات التجارية التي يكثر فيها استعمال لغة أجنبية على لافتاتها ضمن عينة الدراسة من المحلات التجارية في مدينة الرياض. حيث أظهرت النتائج (شكل رقم ١) تفاوتاً ملحوظاً بين المجالات التجارية في استعمال الإنجليزية. فقد أظهرت النتائج وجود مجالات حضرت الإنجليزية في أغلب لافتات محلاتها، ومجالات كان استعمال الإنجليزية في لافتاتها متوسطاً، في حين كانت هناك مجالات لا تكاد تستعمل غير العربية في لافتاتها. جاء في مقدمة المجالات التي تستعمل الإنجليزية بشكل كبير في لافتاتها مجال القهوة، والذي مثلت اللافتات المكتوبة بالإنجليزية (٧٠٪) من مجموع اللافتات التي تضمنتها العينة من هذا المجال، وجاء في المرتبة الثانية مجال المطاعم والذي مثلت اللافتات المكتوبة بالإنجليزية (٥٥٪)، ثم مجال الملابس الجاهزة والذي مثلت اللافتات المكتوبة بالإنجليزية (٤٦٪) من مجموع اللافتات في عينة الدراسة.



شكل رقم (١) المجالات الأكثر استعمالاً للإنجليزية في لافتاتها

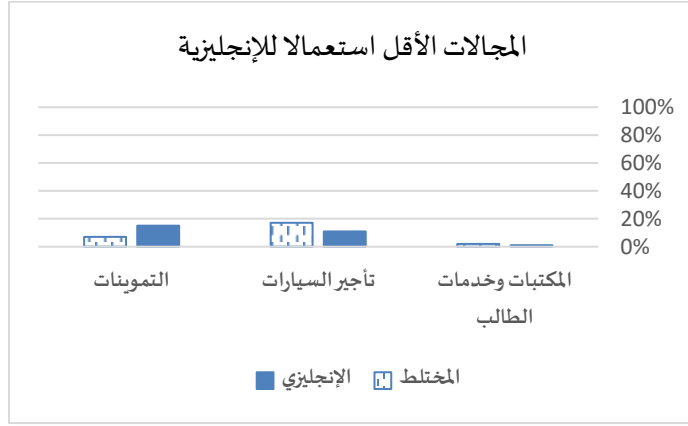
وعند التفكير في أسباب زيادة نسبة استعمال لغة أجنبية في لافتات المحلات

التجارية لتلك المجالات، فقد يكون من المتوقع (وليس المؤكد) تفسير ذلك بأن تلك المجالات لها ارتباط كبير بالصيحات الحديثة (ذات الطابع الغربي في غالبها) لتقديم الأنواع المتنوعة والعصرية من القهوة، والطعام، واللباس التي تستهوي غالباً فئة الشباب وهي الفئة الأكثر ريادة لتلك الأماكن (بناء على مشاهدات الباحث)، وتمثل الغالبية في تركيب المجتمع السعودي، وهي الفئة الأكثر قابلية للتأثر بالثقافات الأخرى ومظاهر العولمة (المحمود، ٢٠٢٠) ومن أبرز مظاهر ذلك التأثير استعمال اللغات الأجنبية في مختلف جوانب الحياة. القائمة التالية تتضمن أمثلة مصورة من لافتات محلات في هذين المجالين الأكثر استعمالاً للإنجليزية.

المجال

اللغة	القهوة	المطاعم
عربي		
إنجليزي		
ثنائي اللغة		
مختلط		

أما بالنسبة للمجالات التجارية الأقل استعمالاً للإنجليزية في لافتاتها (شكل رقم ٢) فقد أظهرت النتائج أن مجال المكتبات وخدمات الطالب، وتأجير السيارات، والتموينات هي أقل المجالات استعمالاً للإنجليزية في لافتات محلاتها.



شكل رقم (٢) المجالات التجارية الأقل استعمالاً للإنجليزية في لافتاتها

فيما يتعلق بمجال المكتبات وخدمات الطالب، فقد مثلت اللافتات المكتوبة بالإنجليزية (٠٪) واللافتات المكتوبة بلغة مختلطة (٢٪) من مجموع اللافتات التي تضمنتها العينة، ويأتي بعده مجال تأجير السيارات والذي تُستعمل الإنجليزية لكتابة لافتات محلاته بنسبة (١١٪)، ثم يأتي بعده مجال التموينات بنسبة (١٥٪). كما لم يجد الباحث تفسيراً دقيقاً يربط بين تلك المجالات وقلة استعمالها للإنجليزية في لافتاتها، غير أنه يظن أن هذه المجالات لا تستهدف فئة الشباب بنفس المستوى الذي تركز عليها المجالات الأكثر استعمالاً للإنجليزية في لافتاتها (كالمقاهي، والمطاعم)، وإنما روادها من مختلف الفئات العمرية، وخصوصاً مجال المكتبات الذي قد لا يكون المكان المفضل لنسبة كبيرة من فئة الشباب.

المجال

تأجير السيارات	المكتبات وخدمات الطالب	اللغة
		عربي
	لا يوجد ضمن العينة	إنجليزي
		ثنائي اللغة
		مختلط

السؤال الثالث: ما الأجدية الأكثر استعمالاً عند تسمية المحلات بلغة أجنبية؟

ركز السؤال الثالث من هذه الدراسة على الأجدية المستعملة عند كتابة لافتات المحلات التجارية بغير العربية. حيث أظهرت النتائج (جدول رقم ٣) استعمالاً ظاهراً للأجدية العربية عند كتابة لافتات المحلات التجارية بألفاظ إنجليزية. فقد بلغت النسبة العامة للافتات المكتوبة بأجدية عربية ٦٣٪ من مجموع اللافتات المكتوبة بألفاظ إنجليزية. في المقابل، بلغت نسبة اللافتات المكتوبة بألفاظ وأجدية إنجليزية ٣٧٪ فقط. وبشكل عام، أظهرت النتائج أن جميع المجالات - تقريباً - استعملت الأجديتين العربية والإنجليزية عند كتابة اللافتات بألفاظ إنجليزية، مع تفاوت بين تلك المجالات في نسبة استعمال الأجديتين. فبالنظر إلى المجالات الأكثر استعمالاً للألفاظ الإنجليزية (القهوة، والمطاعم، والملابس)، فقد كانت نسبة استعمالها للأجدية العربية لكتابة الألفاظ الإنجليزية ٧٠٪ وأكثر. حيث تظهر لافتات مثل: "بيغ شيفز (مطعم)"، و"كوفي مونت (مقهى)"، و"فلورشايم (محل أحذية)" و"بلاك هورس (صالون حلاقة رجالية)"، و"سترو فلور (محل هدايا وورود)". في المقابل، أظهرت النتائج أن الصيدليات، وصالونات الحلاقة الرجالية هي الأكثر كتابة للألفاظ الإنجليزية بأجدية إنجليزية، وبنسبة تتجاوز ٩٠٪ من مجموع اللافتات المكتوبة بغير العربية ضمن تلك المجالات، ومن أمثلة ذلك: "CORE Coffee and Roastery (مطعم)"، و"Tanara (محل أحذية)"، و"Black Rose (محل هدايا وورود)"، و"Bliss Cafe (مقهى)"، و"eto sweets (محل حلويات)".

وبالرغم من أن الباحث لم يقف على أي دراسة طبقت في بلد غير عربي أشارت إلى كتابة لافتات المحلات التجارية بألفاظ إنجليزية وأجدية اللغة المستعملة في ذلك البلد، إلا أن نتائج الدراسة الحالية تؤكد ما توصلت إليه بعض الدراسات السابقة التي طبقت في بعض الدول العربية والتي أشارت إلى انتشار ظاهرة كتابة لافتات المحلات التجارية بألفاظ أجنبية مكتوبة بأجدية عربية. حيث أظهرت دراسة المسعودي والدخيل (٢٠٢٢) استعمالاً للتعريب الصوتي للأسماء الأجنبية في لافتات بعض المحلات (مثل: sleep line سليب لاين،

وHITACHI هيتاشي). وهو ما أشرنا إليه سابقا في دراسة Zughoul (2021) المطبقة في الأردن التي أظهرت العديد من الأمثلة لكتابة الألفاظ الأجنبية بأبجدية عربية (مثل: صالون، بوتيك، شوز جاردن، صن لورد، ص. ٢٩٣ - ٢٩٤).

مثل هذه النتائج يثير تساؤلا منطقيا: على افتراض أن الغرض من كتابة لافتات المحلات التجارية بغير العربية هو لفت انتباه غير العرب لتلك المحلات، فماذا سيكون الغرض من كتابة تلك اللافتات بغير أبجديتها التي يفهمها أولئك العملاء (غير العرب)؟ وعلى أي حال، يؤكد هذا الاستعمال الغالب للأبجدية العربية أن الفئة المستهدفة لكتابة اللافتات بأسماء غير عربية هم أهل البلد (المتحدثون بالعربية)، وليس غيرهم، وإنما قد يكون استعمال الألفاظ الإنجليزية لأغراض أخرى يقصد منها جذب العملاء. الجدول التالي يلخص نتائج الدراسة فيما يتعلق بالأبجدية المستعملة عند كتابة لافتات المحلات التجارية بلغة أجنبية.

المشهد اللغوي في مدينة الرياض - دراسة وصفية تحليلية للغة المستعملة في لافتات المحلات التجارية، د. فهد بن صالح العليان

نسبة الأبجدية الإنجليزية	نسبة الأبجدية العربية	اللافتات المكتوبة بالإنجليزية		عدد المحلات	المجال
		أبجدية إنجليزية	أبجدية عربية		
٪٢٩	٪٧١	٣٤	٨٣	١٦٨	القهوة
٪٧١	٪٢٩	١٢	٥	١١٢	التموينات
٪٥٤	٪٤٦	١٥	١٣	١٢٦	الأثاث والمطابخ
٪٩٣	٪٧	٢٧	٢	١١٧	صالونات الحلاقة الرجالية
٪١٠٠	٪٠	٢	٠	١٠٠	المكتبات وخدمات الطالب
٪٩١	٪٩	١٠	١	١٠٠	تأجير السيارات
٪٩٤	٪٦	١٥	١	١٠٠	الصيدليات
٪٣٠	٪٧٠	١٧	٤٠	١٢٤	الملابس الجاهزة
٪١١	٪٨٩	٤	٣٤	١٠٠	الأحذية
٪٣٠	٪٧٠	١٥	٣٥	١١٥	الحلويات
٪٢٨	٪٧٢	٢٣	٥٨	١٤٧	المطاعم
٪٣٩	٪٦١	١٦	٢٥	١٦٤	الهدايا والورود
٪٣٧	٪٦٣	١٨٩	٢٩٧	١٤٧٣	المجموع
٪١٠٠		٤٨٦			

جدول رقم (٣) الأبجدية المستعملة عند كتابة لافتات المحلات بالإنجليزية

وكما أشرنا سابقاً، هذه النسبة الكبيرة للمحلات التي تستعمل الأبجدية العربية في اللافتات المكتوبة بألفاظ إنجليزية، وهو ما يعادل ثلثي اللافتات المكتوبة بالإنجليزية، قد يستنتج منها أن الغرض من تلك التسميات الأجنبية ليس جذب السائح الذي لا يعرف العربية (لأنه لن يستطيع قراءة الاسم الإنجليزي عند كتابته بأبجدية عربية)، ولا تعني أن

صاحب ذلك المحل لا يتحدث العربية (لأنه سيكتب بأبجدية إنجليزية حينئذ)، وإنما قد تعني أن الغرض من تلك التسميات غير العربية أسباب أخرى كالتعبير عن الذوق الأجنبي، والتطور، والعولمة، ونحوها من الدوافع التي أشارت إليها دراسة المسعودي والدخيل (٢٠٢٢)، و Al-Athwary (2014) أو أية أسباب أخرى لم تبحثها الدراسة الحالية، خصوصا أن اللافتات ثنائية اللغة لم تتجاوز ٣٪ من مجموع لافتات المحلات ضمن عينة الدراسة، وهذا قد يشير إلى أن استعمال الإنجليزية في لافتات المحلات التجارية لم يكن بغرض جذب من لا يتحدث العربية، وإلا لكانت نسبة اللافتات المكتوبة باللغتين أكبر من هذه النسبة الضئيلة، خصوصا أن السياسة اللغوية للبلد تحتم استعمال العربية، وكان بإمكان تلك المحلات كتابة لافتات ثنائية اللغة تطبق التعليمات الرسمية في هذا الشأن، وفي نفس الوقت تساعد غير العربي على فهم الغرض التجاري لتلك المحلات (في حال كان ذلك الفهم هدفا رئيسا لدى أصحاب تلك المحلات).

الخاتمة والتوصيات

تناولت الدراسة الحالية اللغة المستعملة في لافتات المحلات التجارية في مدينة الرياض من حيث مدى استعمال الألفاظ الأجنبية في تلك اللافتات، والمجالات التي تكثر فيها التسميات الأجنبية، بالإضافة إلى التعرف على الأبجدية الأكثر استعمالاً عند تسمية المحلات التجارية بألفاظ أجنبية. حيث أظهرت النتائج استعمالاً بارزاً للإنجليزية في لافتات المحلات التجارية في الرياض. فقد بلغت نسبة اللافتات المكتوبة بالإنجليزية بشكل كامل أو جزئي إلى حوالي نصف العينة، وهي نسبة تشير إلى مدى تغلغل تلك اللغة إلى المشهد اللغوي في مدينة الرياض، في حين بلغت نسبة المحلات التي تضع لافتات ثنائية اللغة حوالي ٣٪ فقط من مجموع اللافتات في عينة الدراسة. هذه النتائج تؤكد ما توصلت إليه العديد من الدراسات السابقة من تزايد أعداد المحلات التي تكتب لافتاتها بالإنجليزية وذلك في العديد من دول العالم بشكل عام، والعالم العربي على وجه الخصوص.

كما أظهرت النتائج وجود مجالات حضرت الإنجليزية (لوحدها) في أغلب لافتات محلاتها، ومجالات كان استعمال الإنجليزية في لافتاتها متوسطاً، في حين كانت هناك مجالات لا تكاد تستعمل غير العربية في لافتاتها. كما أشارت نتائج الدراسة إلى استعمال ظاهر للأبجدية العربية عند كتابة لافتات المحلات التجارية بالإنجليزية. فقد شكلت اللافتات المكتوبة بأبجدية عربية ثلثي مجموع اللافتات المكتوبة بغير العربية، وفي ذلك تأكيد لنتائج بعض الدراسات السابقة التي طبقت في بعض الدول العربية والسعودية والتي أشارت إلى انتشار ظاهرة كتابة لافتات بعض المحلات التجارية بألفاظ أجنبية وأبجدية عربية. وبالنظر إلى هذه النتائج والنسبة الكبيرة للافتات المكتوبة بالإنجليزية بشكل كامل أو جزئي، وبأبجدية عربية أو إنجليزية، وبما أن غالبية سكان السعودية من المواطنين الذي يتحدثون العربية، أو من المقيمين ممن لغتهم الأم ليست الإنجليزية، فإن هذا الأمر يتطلب

مراجعة من قبل الجهات ذات العلاقة للتأكد من مدى تطبيق السياسات اللغوية المحلية، والنظر فيما يمكن القيام به لمعالجة تلك الظاهرة؛ تحقيقاً لهوية البلد، وثقافة أهله.

كما توصي الدراسة بقيام المؤسسات اللغوية بمبادرات للتوعية المجتمعية حول تأثير الاستعمال المتزايد للغة أجنبية على هوية المجتمع، وثقافة أبنائه. كما تقترح الدراسة أن تقوم تلك المؤسسات بمبادرات لتثقيف أصحاب المحلات التجارية حول علاقة اللغة بأهلها، وتأثيرها بهم وتأثيرها عليهم، وكذلك تقديم الدعم لمن يرغب باختيار ألفاظ/ تسميات عربية متميزة وجاذبة لعملائهم تغنيهم عن اختيار ألفاظ من لغة أجنبية بحثاً عن التميز، أو الجاذبية. كما توصي الدراسة أن تقوم الجهات الرقابية ذات العلاقة بالدور المنتظر منها، ومتابعة تطبيق السياسات اللغوية، وحتى لو تطلب الأمر تحرير غرامات مالية أو رسوم سنوية مقابل كتابة لافتات المحلات التجارية بألفاظ أو أبجدية غير عربية؛ نظراً لما أشرنا إليه في بداية الدراسة من ارتباط بين المشهد اللغوي ومكانة أي لغة لدى أهلها، وأنه يعطي انطبعا ملى وجود سياسات لغوية في أي بلد، ومدى تفعيل تلك السياسات.

أخيراً، تجدر الإشارة إلى أن نتائج الدراسة الحالية بالرغم من أهميتها للوقوف على طبيعة اللغة المستعملة في لافتات المحلات التجارية، وللتأكيد على الحاجة إلى تفعيل السياسات اللغوية، إلا أن تلك النتائج تظل محدودة بناء على طبيعة هذا النوع من الدراسات، ولا يمكن تعميمها على جميع المحلات التجارية في الرياض نظراً للاعتبارات التالية:

- أن الدراسة ركزت على مجالات محددة، ولم تشمل جميع المجالات التجارية في مدينة الرياض.
- أن الأداة المستعملة في جمع بيانات الدراسة لا تركز على مواقع محددة، وإنما تأخذ عينات من أماكن مختلفة وعشوائية، وهذا وإن كان جيداً لأخذ انطبعا عام، إلا

أن العينة قد لا تعطي انطبعا عن مدى انتشار التسميات الأجنبية في موقع أو شارع بعينه وربط ذلك بطبيعة مرتادي ذلك المكان (سواء الأماكن التي يكثر فيها السياح، أو غير العرب كالمواقع القريبة من حي السفارات، أو المواقع الترفيهية التي يرتادها السياح، ونحو ذلك).

● كما أن الدراسة لم تتناول دوافع اختيار الألفاظ الأجنبية في لافتات المحلات التجارية، وعليه حاولت الدراسة عدم الاعتماد على ما أشارت إليه الدراسات السابقة من أسباب لتلك الاختيارات.

أخيرا، وبناء على ما سبق من عوامل توضح محدودية نتائج هذه الدراسة، وبناء على تزايد أعداد المحلات التي تكتب لافتاتها بغير العربية، توصي الدراسة الحالية بإجراء مزيد من الدراسات حول هذه الظاهرة؛ للتعرف على أسباب اختيار غير العربية لكتابة تلك اللافتات، ومدى انتشار استعمال غير العربية في مواقع معينة وعلاقة ذلك بطبيعة عملاء تلك المحلات، وأسباب عدم تفعيل السياسات اللغوية التي تنص على استعمال العربية في هذا النوع من الاستعمالات.

المراجع العربية

أبو زائدة، حاتم. *مناهج البحث العلمي*. (٢٠١٢). غزة، فلسطين: مركز أبحاث المستقبل.

الشويخ، صالح. *قضايا معاصرة في اللسانيات التطبيقية*. (١٤٣٨هـ). مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية.

العمالة الأجنبية في السعودية على ويكيبيديا. (١٥ مايو، ٢٠٢٢).
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%85%D8%A7%D9%84%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%AC%D9%86%D8%A8%D9%8A%D8%A9_%D9%81%D9%8A_%D8%A7%D9%84%D8%B3%D8%B9%D9%88%D8%AF%D9%8A%D8%A9

المحمود، محمود. *السياسة اللغوية السعودية: تحليل ودراسة*. مجلة جامعة الملك عبد العزيز: الآداب والعلوم الإنسانية. (٢٠٢٠). مج ٢٨ (١٣)، ١٩٣-٢٣٠.

المسعودي، عبد العزيز؛ الدخيل، معاذ. *المشهد اللغوي في مدينة بريدة*. مجلة اللسانيات العربية. (٢٠٢٢). مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي للتخطيط والسياسات اللغوية. ١٤، ٩٩-١٢٧.

مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية. *مدونة قرارات اللغة العربية في المملكة العربية السعودية*. (٢٠١٥). الرياض: مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية.

المراجع الأجنبية

- Al-Athwary, A. Translating Shop Signs into English in Sana'a's Streets: A Linguistic Analysis. *International Journal of Humanities and Social Science*. (2014). 4(12), 140-156.
- Aldholmi, Y. Linguistic Landscape: The use of English in Riyadh. (2010). *Unpublished Master's thesis*. University of Birmingham, UK.
- ALHyari, D. A., & Hamdan, J. M. A linguistic study of shop signs in Salt, Jordan. *Journal of language teaching and research*. (2019). 10(5), 937-953.
- Al-Kharabsheh, A., Al-Azzam, B., & Obeidat, M. Lost in translation: shop signs in Jordan. *Meta: journal des traducteurs/Meta: Translators' Journal* (2008). 53(3), 717-727.
- Almoussa, L. *A linguistic study of shop signs in Kuwait*. (2012). [Unpublished doctoral dissertation]. The University of Jordan.
- Alomoush, O. *Multilingualism in the linguistic landscape of urban Jordan* (2015). (Doctoral dissertation, University of Liverpool).
- Alotaibi, W. J., & Alamri, O. Linguistic Landscape of Bilingual Shop Signs in Saudi Arabia. *Arab World English Journal*. (2022). 13 (1) 426-449
- Amer, F., & Obeidat, R. Linguistic landscape: A case study of shop signs in Aqaba City, Jordan. *Asian Social Science*. (2014). 10(18), 246.
- Backhaus, P. Multilingualism in Tokyo: A look into the linguistic landscape. *International journal of multilingualism*. (2006). 3(1), 52-66.
- Cenoz, J., & Gorter, D. Linguistic landscape and minority languages. In *Linguistic Landscape*. (2006). (pp. 67-80). Multilingual Matters.
- Creswell, J. W. *Research Design: Qualitative, quantitative, and mixed methods approaches*. (2014). Los angeles: University of Nebraska-Lincoln.
- El-Yasin, M. K., & Mahadin, R. S. On the pragmatics of shop signs in Jordan. *Journal of pragmatics*. (1996). 26(3), 407-416.
- Foster, M., & Welsh, A. English usage in the linguistic landscape of Balikpapan's main thoroughfares. *Indonesia and the Malay World*. (2021). 49(145), 448-469.
- Landry, R., & Bourhis, R. Y. Linguistic landscape and

- ethnolinguistic vitality: An empirical study. *Journal of language and social psychology*. (1997). 16(1), 23-49.
- Mansour, A. J. A sociolinguistic study of shop signs in Jordan: Opinions and Attitudes. (2013). *Postgraduate paper*.
- Marnisa, Z., Oktavianus, O., & Revita, I. The Form of Linguistic Landscape Name and Gala in Lembah Gumanti Subdistrict. *IJOTL-TL: Indonesian Journal of Language Teaching and Linguistics*. (2021). 6(1), 14-29.
- Pham, L. N. T. A Pragmatic Cultural Analysis of American English versus Vietnamese Use in Shop Signs. *International Journal of Applied Linguistics and English Literature*. (2021a). 10(6), 26-37.
- Pham, N. T. L. American English and Vietnamese use in public signs: a pragmatic cultural comparison and translation. *International Journal of TESOL & Education*. (2021b). 1(3), 14-36.
- Phan, N., & Starks, D. Language in public space and language policies in Hanoi Old Quarter, Vietnam: a dynamic understanding of the interaction. *Language policy*. (2020). 19(1), 111-138.
- Purnanto, D., Yustanto, H., Ginanjar, B., & Ardhian, D. English operation in public space: Linguistic landscape in culinary business of Surakarta, Indonesia. *Journal of Language and Linguistic Studies*. (2021). 18(1).
- Shang, G., & Guo, L. Linguistic landscape in Singapore: What shop names reveal about Singapore's multilingualism. *International Journal of Multilingualism*. (2017). 14(2), 183-201.
- Sharifian, F. Cultural linguistics. *Ethnolinguistics. Problems of Language and Culture*. (2016). 28, 31.
- Wierzbicka, A. German cultural scripts': public signs as a key to social attitudes and cultural values. *Discourse & Society*. (1998). 9(2), 241-282.
- Zughoul, R. M. Shop Signs in Jordanian Streets in Relation to Borrowing. *Algerian Scientific Journal Platform* (2021).

Bibliography

- Abou Zāyidah, Hatim. Scientific Research Methods, (in Arabic). (2012). Gaza, Palestine. Future Research Center.
- Al-Shuwairikh, Saleh. Contemporary Issues in Applied Linguistics, (in Arabic). (2017). King Abdullah International Center for Arabic Language Services.
- Foreign Workers in Saudi Arabia (May 15, 2022) Wikipedia.
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%85%D8%A7%D9%84%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%AC%D9%86%D8%A8%D9%8A%D8%A9_%D9%81%D9%8A_%D8%A7%D9%84%D8%B3%D8%B9%D9%88%D8%AF%D9%8A%D8%A9
- Al-Mahmoud, Mahmoud. Saudi Language Policy, (in Arabic). *King Abdulaziz Journal of Arts and Humanities*. (2020). (28), 193-230.
- Al-Mas'oudi, 'Abd al-'Aziz; al-Dakheel, Mu'ādh. Linguistic Scene in Buraydah, (in Arabic). *Journal of Arabic Linguistics*. (2022). (14), 99-127.
- King Abdullah International Center for Arabic Language. Corpus of Arabic Language decisions in Saudi Arabia. (2015). Riyadh: King Abdullah International Center for Arabic Language.

انتصار ابن عصفور لسيبويه على المبرد

Ibn 'Usfūr's Siding with Sibawaih Over
Al-Mubarrid

د. سعود بن أحمد بن عبد الرحمن المنيع

أستاذ النحو والصرف المشارك بكلية التربية بالجمعة – جامعة الجمعة

البريد الإلكتروني: saud-0045@hotmail.com

انتصار ابن عصفور لسيبويه على المبرد، د. سعود بن أحمد بن عبد الرحمن المنيع

المستخلص

يدرس هذا البحث انتصار ابن عصفور لسيبويه على المبرد، وتتبع منهجه، وعبارته، وأصوله التي كان يعتمد عليها في انتصاره، والوقوف على المسائل النحوية والصرفية التي انتصر بها لسيبويه ودراستها، والتحقق من حقيقة الخلاف فيها، وسبر أقوال النحويين من تلك الخلافات.

يهدف هذا البحث إلى تتبع انتصارات ابن عصفور لسيبويه على المبرد في مصنفاته، ودراستها، والنظر في آراء النحويين حول تلك الخلافات والانتصارات. الكلمات المفتاحية: سيبويه، انتصر، المبرد، ابن عصفور، صحيح، فاسد.

Abstract

This paper aims at studying the grammatical issues in which Ibn 'Uṣfūr sided with Sibawayh over al-Mubarrad, through tracing his approach, sayings, and the principles on which he relied upon in his favor for Sibawaih, as it also aims at reviewing and studying the syntactic and morphological issues that Ibn 'Uṣfūr sided with Sibawaih, investigating the reality of the disagreements in them, and probing the grammarian's sayings from those disagreements.

This research aims at tracing Ibn 'Uṣfūr's siding with Sibawayh over al-Mubarrad in his literature, studying them and looking into the opinions of the grammarians regarding those disagreements and favors.

Keywords: Sibawaih, Favoring, Al-Mubarrad, Ibn 'Uṣfour, Correct, Wrong.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد

فإن ابن عصفور يعد من النحويين المجوّدين، وقد لفت انتباهي وأنا أطلع في مصنفاته عنايته برأي سيبويه وتتبعه لآرائه في كثير من المسائل النحوية والتصريفية، ثم يعقب رأيه برأي المبرد في غير مسألة، وما من ريب أن ذلك من تعظيم رأي المبرد سواء أوافق سيبويه أم خالفه؟، وأكثر ما يكون ذلك في المسائل التي يورد فيها مخالفة المبرد لسيبويه، فيعرض رأيهما، ثم يعرض رأيه بوضوح، والكثرة الكاثرة أنه ينتصر لسيبويه على المبرد، ويفند رأي المبرد، فاستوقفني انتصاره الشديد لسيبويه على المبرد، فرأيت أن أدرس تلك الانتصارات، وأبين وجهات النظر في أقوالهما، وكيف كان ينتصر لسيبويه؟.

هذا؛ ومما دعاني إلى التشبث بهذه الدراسة اتصالها الوثيق بأعلام من جلة النحويين، وإذا ما عدّ كبار النحويين فهم من أول من يعد، أضف إلى ذلك أن سيبويه والمبرد - مع إمامتهما - تجمعهما مدرسة نحوية واحدة.

هذا؛ ومن جهة أخرى فإن دراسة مثل هذه تجعل الدارس والقارئ مطلعاً على آراء كبار النحويين ومعرفة الخلاف بينهم، وهذه وحدها تفتح آفاقاً في التفكير والتعلم والنقد.

وطبيعة هذا العمل تقتضي تتبع أقوال سيبويه والمبرد، والتحقق من الخلاف بينهما في كل مسألة من مسائل البحث، ومعرفة أصول الخلاف ومداه، وموقف النحويين منه ما أمكن.

ولأن المقام لا يستدعي الإطالة ضربت صفحاتاً عن المسائل التي لا يسمي فيها ابن عصفور المخالف لسيبويه، أو يذكر قول المبرد عرضاً مع غيره، أو يذكر خلافاً من غير ترجيح.

حدود البحث:

وقد جعلت حدود البحث في أهم مصنفات ابن عصفور التي وجدت فيها مسائل تعنى بموضوع البحث، مثل: شرح الجمل الكبير، والممتع في التصريف، وضرائر الشعر، وما تبقى من شرح الإيضاح، والمفتاح في شرح أبيات الإيضاح، ولم أغفل المقرب ومثله مع أنهما يأخذان طابعًا مختلفًا.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والتحري - حسب الجهد والاستطاعة - فإنني لم أقف على دراسة خاصة في الموضوع، وإنما الذي وصلت إليه دراسات عامة عرضت رأي ابن عصفور أو اعتراضاته عامة في مصنف معين من مصنفاته، ودون تقييده بسبويه أو المررد.

وجاء هذا البحث على النحو الآتي:

مقدمة، بينت فيها أهمية البحث وأسباب دراسته، وحدوده، والدراسات السابقة.

المبحث الأول: بينت فيه بإيجاز وصف منهج ابن عصفور، وعبارته، والأصول التي اعتمد عليها في الانتصار.

المبحث الثاني: مسائل البحث التي انتصر فيها ابن عصفور لسبويه على المررد، مرتبة حسب ترتيب ألفية ابن مالك؛ لشهرته في دراسة النحو والصرف، وهي خمس عشرة مسألة.

المبحث الأول: منهج ابن عصفور، وعبارته، وأصوله في الانتصار

أولاً: منهج ابن عصفور في انتصاره لسيبويه

- لم يكن ابن عصفور على منهج واضح في انتصاره لسيبويه حتى في المصنف الواحد من مصنفاته، فلم يكن يلتزم طريقة واحدة.
- لم يعنَ ابن عصفور بتوثيق انتصاره وردوده، فيورد رأي سيبويه أو المبرد أو غيرهما دون أن يذكر مورده، والناظر في أقوال المبرد ربما يجد الحاجة إلى ذكر مورد ذلك القول؛ لتعدد مصنفاته، ولهذا نرى بعض الأقوال التي نسبها ابن عصفور إلى المبرد غير موجودة في مصنفاته، فيظل القارئ متردداً في صحة نسبة هذا القول إلى المبرد، وفي المسألة الثالثة، والحادية عشرة من هذا البحث شيء من ذلك.
- يعنى ابن عصفور بذكر اسم المبرد عند الخلاف وبخاصة الخلاف مع سيبويه، وربما أهمل ذكر غيره، وكأن المبرد هو المخالف الوحيد لسيبويه، وهذا يشعر بمزيد عناية برأيه، وربما نص على أنه لا مخالف لسيبويه غيره، من ذلك ما حصل في المسألة العاشرة من هذا البحث، قال: "بل لا يحفظ لأحد من النحويين خلاف لسيبويه في ذلك إلا للمبرد"^(١)، مع أن هناك مخالفين غيره.

ثانياً: عبارته في انتصاره

- اتسمت عبارة ابن عصفور من حيث العموم في انتصاره لسيبويه بالوضوح، مع تنوع في التعبير، والأسلوب، فلم تخلُ من شدة وقسوة في بعض المواضع، ومن ذلك:
- تارة يحكم ببطلان مذهب المبرد، كأن يقول: " وهذا الذي زعم أبو

(١) شرح الجمل ٥٨٥/١، وانظر: المسألة العاشرة من هذا البحث.

العباس باطل" (١)، "والذي يبطل ما ذهب إليه المبرد" (٢)، "وأما المبرد فيبطل مذهبه" (٣)، "وهذا باطل" (٤).

- وتارة يحكم على مذهب المبرد بالفساد، كأن يقول: "والذي يدل على فساد مذهبه" (٥)، "وهذا الذي ذهب إليه من الاحتجاج فاسد" (٦)، "وهذا فاسد" (٧)، فلذلك كان مذهبه فاسدًا" (٨).

- وتارة يكتفي بتصحيح مذهب سيويه، أو عدم صحة مذهب المبرد، كأن يقول: "هذا مذهب سيويه، وهو الصحيح" (٩)، "والصحيح ما ذهب إليه سيويه" (١٠)، "وهذا الذي قال ليس بصحيح" (١١).

ثالثًا: الأصول التي اعتمدها ابن عصفور في انتصاره لسيويه

بنى ابن عصفور انتصاراته لسيويه ورأيه عمومًا في الأكثر على الاستدلال الصحيح، ولم يكن ينتصر لسيويه بناء على هواه، فنراه يتبع انتصاره لقول ما بالأدلة، ومنها:

أولًا: السماع

يُعنى ابن عصفور بالسماع في كثير من تقاريره وانتصاراته وما يميل إليه من

-
- (١) السابق ١ / ٤٨٢، وانظر: ٢ / ٢٧٨، وانظر: المسألة الرابعة، والسابعة من هذا البحث.
 - (٢) السابق ١ / ٥٨٦.
 - (٣) السابق ٢ / ٩١.
 - (٤) السابق ٢ / ٢٥٣.
 - (٥) السابق ١ / ٢٠٧.
 - (٦) السابق ١ / ٥٧٤، وانظر: ١ / ٥٧٥.
 - (٧) السابق ٢ / ٢٥٥، وانظر: المسألة الأولى والثامنة من هذا البحث.
 - (٨) السابق ٢ / ٤٣٥.
 - (٩) السابق ١ / ٢٠٧.
 - (١٠) السابق ٢ / ٤٣٥، وانظر: المفتاح في شرح آيات الإيضاح ٢ / ٣٥٣.
 - (١١) السابق ٢ / ٩٥.

انتصار ابن عصفور لسيبويه على المبرد، د. سعود بن أحمد بن عبد الرحمن المنيع

رأي، كأن يقول: "وبه ورد السماع"^(١)، بل إنه أكثر ما ينتصر لسيبويه به، فيورد الشواهد عن العرب التي فيها حجة لسيبويه، ومن ذلك قوله: "والدليل على صحة ما قاله سيبويه ما روي من قول الشاعر"^(٢)، أو "والذي يدل على فساد مذهبه قول الشاعر..."^(٣)، وينكر على المبرد مخالفة سيبويه مع أن "السماع القاطع قد ورد بذلك"^(٤).

لا يكتفي ابن عصفور بالسماع الواحد، بل يكثر من الاستدلال من كلام العرب منظوماً ومنثوراً^(٥)، ويلتزم مذهب البصريين في كثرة المسموع وعدم بناء قاعدة على القليل والنادر^(٦).

وربما اكتفى بما أورده سيبويه من استدلال وانتصر له بذلك، ومن ذلك قوله: "إن سيبويه لم يقل ذلك إلا بعد ورود السماع"^(٧).

ثانياً: الإجماع

الإجماع من أصول الاستدلال المهمة لدى النحويين، و"إجماعهم حجة على من خالفه منهم"^(٨)، ولكنه من أقل ما اعتمد عليه ابن عصفور في انتصاره لسيبويه، ولعل ذلك راجع إلى قلة الإجماع في المسائل التي أورد فيها خلافاً بين سيبويه والمبرد، وفي موضع واحد اعترض فيه ابن عصفور على الزجاجي منتصراً لسيبويه على المبرد بأنه لا يعرف خلافاً لسيبويه إلا للمبرد^(٩)، وكأنه ينتصر

(١) السابق ١/١٤٣.

(٢) السابق ١/٥٦٨.

(٣) السابق ١/٢٠٧.

(٤) السابق ٢/١٢٥، وانظر: المسألة الثانية عشرة من هذا البحث.

(٥) السابق ١/٤٨٢، ٢/٢٥٣.

(٦) انظر: السابق ٢/١٣٩، والمسألة الثانية من هذا البحث.

(٧) السابق ١/٥٧٤.

(٨) المقتضب ٢/١٧٣.

(٩) انظر: شرح الجمل ١/٥٨٥، والمسألة العاشرة من هذا البحث.

لسيبويه بإجماع النحويين.

ثالثاً: القياس

لأن ما قيس على شيء من كلام العرب فهو من كلامها، فإن عناية ابن عصفور بالقياس لا تقل كثيراً عن عنايته بالسمع، وفي غير موضع يستند إليهما معاً في تقوية ما يذهب إليه، ومن ذلك قوله في تقوية بعض ما ذهب إليه سيبويه: "والصحيح ما ذهب إليه سيبويه، والدليل على صحة ذلك السماع والقياس"^(١)، وقوله: "فقد ثبت الصحيح من المذهبين قياساً وسماعاً"^(٢)، ويعترض على المبرد بهما، قال: "ويرد عليه السماع والقياس"^(٣).

(١) السابق ٣٢١/٢.

(٢) السابق ١٢٦/٢.

(٣) السابق ٥٨٩/٢.

المبحث الثاني: (مسائل الانتصار)

المسألة الأولى:

رتبة المضاف إلى معرفة

قال ابن عصفور في بيان رتبة المضاف إلى معرفة: "وما أضيف إلى واحد من هذه المعارف فهو بمنزلة ما أضيف إليه، إلا المضاف إلى المضمرة فإنه في رتبة العلم. هذا مذهب سيبويه رحمه الله. والمبرد يقول: ما أضيف إلى واحد من هذه المعارف فهو أقل منه تعريفاً قياساً على المضمرة. وذلك فاسد"^(١).

وفي موضع آخر صحح مذهب سيبويه بأن المضاف إلى المضمرة في رتبة العلم في التعريف. قال عنه: "هذا مذهب سيبويه، وهو الصحيح"^(٢).

للنحويين خلاف يطول في رتبة المعارف بعضها مع بعض، وإن كادوا يتفقون على أن ما أضيف إلى معرفة فهو معرفة وبها اكتسب التعريف، وقد كان قبلها نكرة شائعة، ولست هنا بصدد الحديث عن رتبة المعارف مع بعض؛ إذ ذاك يطول وليس هذا محله، والذي يعنيننا هو الحديث عن رتبة المضاف إلى معرفة، ويمكننا أن نستخلص الأقوال في ذلك:

الأول: أن كل مضاف بمنزلة ما أضيف إليه في التعريف عدا المضاف إلى مضمرة فإنه بمنزلة العلم، وهذا المشتهر عن سيبويه، وعليه جمهور النحويين^(٣)، وعللوا ذلك بأن كونه مساوياً للمضمرة في التعريف يناقض قولهم: إن الضمير أعرف المعارف، فتتعدد أولية التعريف.

الثاني: أن كل مضاف أخطأ تعريفاً مما أضيف إليه، وهذا ما ذهب إليه

(١) شرح الجمل ١٣٧/٢.

(٢) شرح الجمل ٢٠٧/١، وانظر: المقرب ٢٢٣/١.

(٣) انظر: الكتاب ٧-٥/٢، وانظر: المقتصد في شرح الإيضاح ٩٢٥/٢، وشرح المفصل ١٨٥/٥، وشرح الكافية ٣١٣/٢، والتذليل والتكميل ١١٦/٢، والبسيط في النحو ٣٩٨/١.

المبرد^(١).

الثالث: أن المضاف إلى معرفة مساوٍ لما أضيف إليه في التعريف مطلقاً، وبه قال ابن مالك^(٢)، ونسبه السيوطي لابن خروف، والذي في مصنفاته خلافه^(٣).

واحتج ابن عصفور لسيبويه بأن المضاف لما فيه (أل) ينعت بالمعرف ب(أل)، والمتقرر عند النحويين أن النعت لا بد أن يكون مساوياً للمنعوت في التعريف أو أقل منه، وأورد على ذلك شواهد عن العرب من ذلك قول امرئ القيس^(٤):

فأدرك لم يجهد ولم يثن شأوه يمر كخذروف الوليد المثقب

فنعت (خذروف الوليد) ب(المثقب)، فلو كان المبرد مصيباً ما نعت المضاف لما فيه (أل) بالمعرف بما؛ إذ هو أعرف منه على حد قوله.

ويؤكد ابن عصفور صواب مذهب سيبويه بأن المضاف إلى غير المضمّر يوصف بما يوصف به المضمّر^(٥)؛ لأنهما تساويا في التعريف، ولا يكون أخص منه. وقد أحسن ابن عصفور في انتصاره لمذهب سيبويه؛ لعموم الأدلة النقلية والعقلية المقوية لذلك، كما في قوله تعالى: ﴿وَوَاعِدْنَاكُمْ بِالطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾ [طه: ٨]، فنعت المضاف لما فيه (أل) بالمعرف بما، ولا يمكن أن يكون أخص منه بالتعريف؛ لكون القرآن نزل بلغة العرب، والعرب لا ينعتون بما هو أخص؛ إذ حق الأخص أن يبدأ به، وأن يكون متبوعاً لا تابعاً، وعلى مذهب المبرد يلزم أن يكون النعت في الآية ونحوها أعرف وأخص من المنعوت وهذا ممتنع.

(١) انظر: المقتضب ٤/٢٨٢، والانتصار ١١٩.

(٢) شرح التسهيل ١/١١٧.

(٣) انظر: همع الهوامع ١/١٩٣، وانظر: ابن خروف، شرح الجمل ١/٣١١، ٢/٧٨٤.

(٤) ديوانه ٥١.

(٥) انظر: مثل المقرب ٢٢١.

انتصار ابن عصفور لسيبويه على المبرد، د. سعود بن أحمد بن عبد الرحمن المنيع

ولا يلزم سيبويه فيما ذهب إليه ما تحاشاه المبرد بجعلها كلها دون ما أضيفت إليه في التعريف؛ لأن سيبويه يرى تساويهما في التعريف، فلا يمنع ذلك من وصفه به. وبهذا تظهر ثمرة معرفة الخلاف بين سيبويه والمبرد، وإنما الذي يلزم المبرد عندما يوصف العلم بالمضاف إلى المضمرة في نحو: مررت بزيد صديقك، أن يكون النعت أخصّ وأعرف من المنعوت، وهذا لا ترتضيه العرب في كلامها، وجعله بمنزلة العلم ينتفي ذلك اللازم، ولهذا تحاشى المبرد القول بالنعت في هذه المسألة، وحمله على البديل خلافاً لسيبويه الذي يجعله نعتاً، فجاءت القاعدة عنده مطردة على نمط واحد، قال المبرد: "أصل ما ذكر في الصفات أن الأخص يوصف بالأعم، وما كان معرفة بالألف واللام والأسماء المبهمة فهو أخص مما أضيف إلى الألف واللام، فلا ينبغي على هذا القياس أن يقول: رأيت غلام الرجل الظريف إلا على البديل"^(١).

والعرب تغلب الأخص في كلامها عموماً، وليس ذلك حصراً في باب التوابع، فنجد في كلامهم تقديم ضمير المتكلم على سواه من الضمائر، والمخاطب على الغائب، فيقولون: أنا وأنت نفعل كذا، وأنت وهو تفعلان كذا، ويجعلون الأعراف في باب الجملة الاسمية هو المبتدأ^(٢)، وإن تأخر في اللفظ.

وعندما يجعل سيبويه المضاف إلى الضمير أحط بالتعريف من الضمير دون غيره؛ فذلك من دقة تتبعه؛ لما فيه من قلة الشيوع أو الاشتراك، فليس بحاجة إلى تقريبه بوصف، ويرى ابن عصفور مانعاً خارج إطار المعنى يحول دون جعل المضاف إلى الضمير بمنزلة الضمير يقول: "وإنما كان المضاف إلى المضمرة بمنزلة العلم؛ لأنه قد باين ما أضيف إليه؛ لأنه ظاهر وما بعده مضمرة، وما عدا ذلك من المضافات فهو ظاهر إلى ظاهر"^(٣).

(١) الانتصار ١١٩.

(٢) انظر: الكتاب ٤٧/١.

(٣) شرح الجمل ١٣٧/٢.

المسألة الثانية:

تعريف (ابن أوبر)

قال ابن عصفور: "وأما (ابن أوبر) ففيه خلاف، فمذهب سيبويه أنه معرفة...، وزعم أبو العباس أنه نكرة"^(١).

اختلف في (ابن أوبر) أم معرفة هو أم نكرة؟ ولم يتجاوز الخلاف ما ذهب إليه هذان العلمان سيبويه والمبرد، فسيبويه يرى أنه معرفة^(٢)، واحتج لتعريفه بكونه ممنوعاً من الصرف؛ للعلمية ووزن الفعل، ويريد بالعلمية هنا علم الجنس؛ لأن علم الشخص لا يحتاج إليه في الحيوانات غير المألوفة غالباً، فلو كان نكرة لانصرف، وتكون (أل) الداخلة عليه زائدة؛ لأجل الضرورة، أو من باب دخولها على الأعلام، كالفضل، والعباس، ونحوها مما هي للمح الأصل، ولا تفيد تعريفاً، وإلى هذا ذهب جمهور النحويين^(٣).

وأما المبرد فيذهب في بعض ما ذهب إليه وهو المشهور عنه إلى أنه نكرة^(٤)، محتجاً بقبوله أل، فيقال: بنات الأوبر، وبنات أوبر، ويرى أنه لا حجة لسيبويه بكونه ممنوعاً من الصرف؛ لأن (أوبر) جاء على (أفعل) وصفاً، وهو مما لا ينصرف معرفة ونكرة، فدل على أنه كان نكرة قبل دخول (أل)، وبالوجهين قال الفارسي وتلميذه^(٥).

ولا حجة للمبرد عند ابن عصفور بقبوله أل؛ لأن ذلك لم يسمع عن العرب، وإنما ورد في بيت واحد، فدل ذلك على زيادتها^(٦).

(١) السابق ١٣٩/٢.

(٢) الكتاب ٩٥/٢.

(٣) انظر: الإنصاف ٢٧٣، والتذليل والتكميل ١٢٦/٢.

(٤) انظر: الانتصار ١٣٢.

(٥) انظر: المسائل الحلبيات ٢٨٨، وسر الصناعة ٣٦٦/١.

(٦) شرح الجمل ١٣٩/٢.

وما ذهب إليه سيبويه راجح من وجوه:

أولها: ظهور دلالة العلمية فيه على جنس معين من الكمأة، فهو كسائر أعلام الأجناس يدل على عموم جنسه، كالأسد، والثعلب، ونحوها من أعلام الأجناس التي لا يحتاج معها إلى تحديد شخص كالآدمي أو ما يؤلف من الحيوانات مما هو محتاج إلى تقليل شيوخه، قال سيبويه: "وإنما منع الأسد وما أشبهه أن يكون له اسم معناه معنى زيد، أن الأسد وما أشبهها ليست بأشياء ثابتة مقيمة مع الناس فيحتاجوا إلى أسماء يعرفون بها بعضاً من بعض"^(١).
ثانيها: أن ما سمع من كلام العرب - كما ذكر ابن عصفور - ليس فيه أل، وكلامهم حجة، وسيبويه بنى حكمه بتعريفه بما رآه من كلامهم، فلما كان ممتنعاً من أل، إلا في النادر حكم بتعريفه.

ثالثها: أن علم الجنس لا يدرك تعريفه إلا بالتتابع والاستقراء، ولا يخلو من علامات يستدل بها على معرفته، كأن ينعت بالمعرفة، أو تحيء الحال منه، أو يعطف عليه مثله، ونحو ذلك، وهذه كلها تكون مع ابن أوبر، فإن الحال تكون منه، تقول: هذا ابن أوبر ظاهراً، وأما عطف مثله عليه فقد جاء في الشعر^(٢):

وَمِنْ جَنَى الْأَرْضِ مَا تَأْتِي الرِّعَاءُ بِهِ مِنْ ابْنِ أَوْبَرَ وَالْمَغْرُودِ وَالْفَقْعَةَ

فعطف المغرود، والفقعة - وكلها معارف - على ابن أوبر، فدل على أنه بمنزلتها "في التعريف، ولو كان نكرة لكان الأحسن أن يجعله عدليل المغرود والفقعة"^(٣)، والشاعر إنما منعه من الصرف؛ لتعريفه.

رابعها: أن المبرد نفسه لم يكن ثابتاً على القول بالتنكير، إذ جعل اللام مرة للتعريف في رده على سيبويه، ومرة وافق من قال بأنها للمح الصفة، وعده

(١) الكتاب ٩٤/٢.

(٢) البيت بلا نسبة في شرح كتاب سيبويه، السيراني ٢٣٢/٦، وشرح أبيات المغني ٣١١/١.

(٣) السيراني، شرح كتاب سيبويه ٢٣٢/٦.

في (المقتضب) من أعلام الجنس^(١)، ووافق سيبويه في ذلك. خامسها: إذا قلنا: إن المبرد وافق سيبويه في كونه علمًا جنسيًا - كما أسلفنا- فإن الأصل في العلم سواء أكان شخصيًا أم جنسيًا ألا تدخل عليه (أل)، لكونه معرفة من دونها، فلا يحسن تعاقب معرفين عليه، وإذا دخلت عليه فلا تخلو من حالين: إما أن تكون زائدة، وإما أن تكون للمح الصفة والأصل، ودخولها على بنات أوبر في قول الشاعر^(٢):

ولقد جَنَيْتُكَ أَكْمُوًّا وَعَسَاقِيًّا ولقد هَمَّيْتُكَ عَن بَنَاتِ الْأُوَيْرِ

يحتملهما.

المسألة الثالثة:

تكرار الاسم الظاهر رابطًا

أورد ابن عصفور الخلاف بين سيبويه والمبرد في تكرار الظاهر رابطًا في جملة الخبر، فكان سيبويه لا يستحسنه، وأما المبرد فيستحسن الربط بالظاهر بدلًا من المضمر، ولا سيما إذا كان المكرر جنسًا؛ لئلا يتوهم أن الثاني غير الأول. قال ابن عصفور: "والصحيح ما ذهب إليه سيبويه"^(٣).

أقوال المسألة:

الأول: أن الأولى عدم إعادة الظاهر بلفظه في جملة واحدة؛ لضعف احتمال اللبس، بخلاف ما لو كان في جملتين نحو: عندما يقوم زيد يغضب زيد، فإظهار زيد الثاني يوحي بأنه زيد آخر. وهذا اختيار سيبويه قال: "لو قلت: ما زيد منطلقا زيد، لم يكن حد الكلام، وكان ههنا ضعيفًا، ولم يكن كقولك: ما

(١) انظر: الانتصار ١٣٣، والمقتضب ٤/٤٤.

(٢) البيت بلا نسبة في المقتضب ٤/٤٨، والخصائص ٣/٥٨.

(٣) المفتاح في شرح أبيات الإيضاح ٢/٣٥٣.

انتصار ابن عصفور لسيبويه على المبرد، د. سعود بن أحمد بن عبد الرحمن المنيع
زيد منطلقاً هو؛ لأنك قد استغيت عن إظهاره وإنما ينبغي لك أن تضمه"^(١)،
وبه قال ابن السراج، والسيرافي، والأعلم، وآخرون^(٢).
الثاني: أنه يجوز الإظهار موضع الإضمار متى ما أمن اللبس؛ بحيث لا
يتوهم أن الثاني غير الأول، وهذا ما نسبته ابن عصفور إلى المبرد، وذكر أن المبرد
يستحسنه إذا كان اسم جنس؛ لعدم توهم الخلاف بين الثاني والأول^(٣)، وتبعه
في استحسانه مع اسم الجنس: الأعلم، وابن أبي الربيع^(٤).
الثالث: أن وضع الظاهر موضع المضمرة خاص في ضرورة الشعر، وهو
اختيار القزاز، وابن خروف^(٥).
وانتصر ابن عصفور لسيبويه من وجوه:

-
- (١) الكتاب ٦٢/١.
(٢) انظر: الأصول ٢/٢٤٠، وشرح كتاب سيبويه ٣/١٢٢، وتحصيل عين الذهب ٨٦،
والتذليل والتكميل ٤/٣٢.
(٣) لم أقف على هذا القول في المطبوع للمبرد، وفي حديثه عن فاعل (نعم وبئس) ما يحتمل
ذلك. المقتضب ٢/١٤٠-١٤١، ١٤٧، واعترض في (مسائل الغلط) على سيبويه،
وألزمه التناقض في منعه الإظهار في باب (نعم وبئس)؛ لأن سيبويه حكم بوجوب
الإضمار، ثم أظهر في: زيد نعم الرجل، قال عن سيبويه: "وهذا الذي حكيناه عنه
أفبح ما يكون من النقص؛ إذ زعم أنها لا تعمل إلا في مضمرة، ثم أطلق لها الأعمال
في المظهر". الانتصار ١٤٠.
والإظهار في باب (نعم وبئس) إنما أدى إليه أنه يلزم أن يقع بعدهما ما يدل على الجنس
الذي يستحق معه المدح والذم، فيلزم حينها ذكر الظاهر ضرورة. انظر: شرح كتاب
سيبويه ٧/٩٥، والخصائص ١/٣٩٦.
وذكر ابن عصفور أن النحاس أورد مذهب المبرد في شرح أبيات سيبويه، ولم أجد شيئاً من
ذلك في المطبوعة. وقد نسبته إلى المبرد أيضاً ابن العلي، وأورد الخلاف نفسه بين المبرد
وسيبويه. البسيط في النحو ١/١٨٣.
(٤) انظر: تحصيل عين الذهب ٨٧، والبسيط في شرح الجمل ٢/٥٦٢.
(٥) انظر: ما يجوز للشاعر في الضرورة ١٤٦، وابن خروف، شرح الجمل ٢/٩٣٢.

الأول: أن الجنس ليس بمأمن من اللبس - كما زعم المبرد-.
الثاني: أن الإتيان بالضمير بدلاً من الظاهر أولى من حيث الاختصار.
الثالث: مما يدل على أن المضمرة أولى: قلة مجيء الظاهر في الكلام؛ إذ لو كان حسناً لكثرت في كلام العرب.

الرابع: أن المضمرة هو الظاهر في المعنى سواء أكان اسم جنس أو غيره، لا فرق في ذلك، قال ابن عصفور: "والصحيح -إذًا- أن القبح في تكرار الظاهر، جنسًا كان أو غير جنس، سواء" (١).

وما ذكره ابن عصفور كاف في ترجيح كون الضمير أولى في الربط من الظاهر، ولا سيما أن اللبس قائم، بل ربما زاد اللبس مع الظاهر؛ لأن الاسم الظاهر لا يدل على اسم متقدم؛ فيوهم بتعدد الجمل، أضف إلى ذلك أن الربط بالظاهر مخالف للأصل؛ ذلك أن الأصل أن يكون الرابط ضميرًا إلا أن يؤدي الظاهر معني لا يكون مع الضمير.

المسألة الرابعة:

اسم لا النافية للجنس المثني وجمع السلامة المذكور بين الإعراب والبناء ذكر ابن عصفور أن اسم (لا) النافية للجنس إذا كان مثنى أو مجموعًا جمع سلامة مذكرًا فإن سيويوه يرى أنه مبني، والمبرد يرى أنه معرب. قال: "وهذا الذي ذهب إليه أبو العباس باطل" (٢).

الأقوال في المسألة:

الأول: أن اسم (لا) مبني، سواء أكان مفردًا، أو مثنى، أو مجموعًا جمع سلامة؛ لأنه مع (لا) بمنزلة الاسم الواحد، وهذا مذهب سيويوه، وشيخه الخليل، وهو اختيار جمهور النحويين (٣).

(١) المفتاح في شرح أبيات الإيضاح ٣٥٤/٢.

(٢) شرح الجمل ٢٧٨/٢.

(٣) انظر: الكتاب ٢٨٣/٢، والمقتضب ٣٦٦/٤، والأصول ٣٨٣/١، وسر الصناعة

انتصار ابن عصفور لسيبويه على المبرد، د. سعود بن أحمد بن عبد الرحمن المنيع

الثاني: أنه معرب بالحروف؛ وهذا مذهب المبرد^(١)، واحتج بأمرين: أولهما: أنه لا يكون الاسم المثني والمجموع مع (لا) كالاسم الواحد؛ لأنه طال بالنون، فلو كان مبنياً لحذفت كما حذفت التنوين من الاسم المفرد والمجمع المكسر، وهذا ما يفهم من فحوى كلامه.

ثانيهما: أنه لا يوجد نظير لذلك في كلام العرب.

ورد ابن عصفور ما ذهب إليه المبرد، وحكم ببطلانه، واحتج عليه بأمرين: الأول: أن ما ذهب إليه المبرد بأنه لا يوجد مثني مبني باطل بدليل: (اثنان) العدد، فإنه مبني إذا أريد به مجرد العدد، وليس الإخبار.

الثاني: أن ما ذهب إليه المبرد من أن المثني والمجموع قد طال بالنون-باطل؛ لأن النون بمنزلة التنوين، والاسم لا يطول بالتنوين، فكذلك لا يطول بالنون. الثالث: أن العلة الموجبة للبناء واحدة، وهي شبه الحرف، فكما أن الاسم في باب (لا) يبنى على الفتح، فإن المثني والمجموع يبنيان على الياء؛ لشبهه المبني في باب لا بالمعرب المنصوب.

ومما يقوي ما ذهب إليه سيبويه:

أولاً: أن المبرد احتج بعدم النظر في قوله: "لم يوجد ذلك"، يقصد في كلام العرب، ولا حجة له في ذلك عند الفارسي؛ لأن آخر المثني والمجموع بمنزلة أواخر الكلم العربية، فلها ما لها من الأحكام ومنها جواز البناء، وبقاء النون لا يضير؛ لكون الكلمة ليست مضافة إلى شيء فيجب حذفها، وإنما هي - كما قال سيبويه-: "وأثبتوا النون؛ لأن النون لا تُحذف من الاسم الذي يُجعل وما قبله أو ما بعده بمنزلة اسم واحد، ألا تراهم قالوا: الذين في الدار، فجعلوا (الذين) وما بعده من الكلام بمنزلة اسمين جعلاً اسماً واحداً، ولم يحذفوا النون؛ لأنها لا

٤٨٢/٢، وشرح الكافية ١٥٧/٢، وشرح التسهيل ٥٣/٢، والتذليل والتكميل
٢٤٥/٥.

(١) المقتضب ٣٦٦/٤.

تجيء على حد التنوين، ألا تراها تدخل في الألف واللام وما لا ينصرف" (١).
فقوة النون عند سيبويه بثباتها مع الألف واللام، ومع غير المنصرف، وزاد
غيره: أنها تثبت في الوصل والوقف، بخلاف التنوين الذي يسقط وفقاً (٢)، ثم إن
النون قويت بالحركة، فلو حذفت لحذف الحرف وحركته، بخلاف التنوين فإنه لا
يكون إلا ساكناً.

ومع ذلك فإن "الشيء إذا دلت الدلالة على صحته - لم يقدر في دلالة
أن لا نظير له، وإن كان في إيجاد النظير بعض الإيناس" (٣).
ثانياً: أن المبرد أجاز بناء المنادى بالحروف في نحو: يا رجلان، ويا
مسلمون، وهذا أشبه شيء باسم لا، فإذا كان "سوى بين يا رجلان ويا رجل"،
فليسوا بين لا رجلين ولا رجل" (٤)؛ لقرب الشبه بينهما، وإذا كان الشيء يحمل
على ضده، فإن حمله على شبهه أولى.

فإن قيل: إن المبرد منع البناء؛ لأن المثني والمجموع لا يكونان مع ما قبلهما
اسماً واحداً، وهذا متعذر في النداء، فالجواب ما ذكره ابن عصفور من أن علة
البناء هي شبه الحرف، وليس لكونهما كالاسم الواحد؛ "لأن ما بني من الأسماء؛
لتضمنه معنى الحرف أكثر مما بني لتكبيبه مع الحرف" (٥).

ثالثاً: أن في القول بالبناء إبقاء للأصل، وأما الإعراب فإنه خروج عن
الأصل، وهو مما لا يصر إليه إلا بدليل، أو سبب قوي.

المسألة الخامسة:

مجيء المصدر حالاً بين القياس والسماع

(١) الكتاب ٢/٢٨٣.

(٢) انظر: الثمانيني، شرح اللمع ١/٤٢٠.

(٣) المسائل الحلبيات ٣١٠، وانظر: شرح المفصل ٢/٢٥٢، والتذليل والتكميل ٥/٢٤٦.

(٤) شرح التسهيل ٢/٥٧.

(٥) شرح الجمل ٢/١٧٧.

انتصار ابن عصفور لسيبويه على المبرد، د. سعود بن أحمد بن عبد الرحمن المنيع

أورد ابن عصفور مسألة مجيء المصدر حالاً في نحو: أتيتَه ركضاً ومشياً ونحو ذلك، قال: "وفي هذا الضرب من المصادر القائمة مقام الحال خلاف بين سيبويه وأبي العباس. فمذهب سيبويه أن ذلك موقف على السماع، ومذهب أبي العباس أن ذلك مقيس"^(١)، ثم صحح مذهب سيبويه، وقضى بفساد ما ذهب إليه المبرد.

والخلاف في المسألة كما ذكره ابن عصفور بين سيبويه والمبرد^(٢)، وحكى أبو حيان إجماع النحويين بصريين وكوفيين على أن هذه المصادر لا تستعمل حالاً إلا فيما استعملته العرب، فلا يقاس عليها، وشذ المبرد بالقول بجواز القياس^(٣).

وحجة سيبويه في قصره على السماع أنه شيء وضع موضع غيره، فالمصدر موضوع موضع فاعل؛ أي: اسم الفاعل، ركضاً في موضع راکض، فهي عنده حال مؤولة بالمشقة.

وأما المبرد فإنه يقيس في كل ما دل عليه الفعل، ذلك أن (مشياً) من (أتيتَه مشياً) من جنس الإتيان، بخلاف: (أتيتَه ضحكاً)، فإن الضحك ليس من جنس الإتيان.

وأما مجيء المصدر في غير موضعه، كأن يأتي في موضع اسم الفاعل أو المفعول، ونحوهما، فإن المبرد يرى أن ذلك كثير عن العرب، يحملون اسم الفاعل على المصدر، كما يحملون المصدر على اسم الفاعل نحو: اجلس جالساً، أي: جلوساً. وانتصر ابن عصفور لسيبويه بأن المصدر المنصوب بناصب مضمراً لا بد أن يتقدمه ما يدل عليه إلا أن يكون من المصادر الدالة على الأمر^(٤)؛ لأن

(١) شرح الجمل ٤٣٥/٢.

(٢) انظر: الكتاب ٣٧٠/١، والمقتضب ٢٣٤/٢، ٢٦٩/٢، والكامل ١٥٦/١.

(٣) انظر: التذييل والتكميل ٤٦/٩.

(٤) انظر: شرح الجمل ٤٣٥/٢.

الحال تبين الفعل المضمر، وأما ما عدا ذلك فقد لا يدل المصدر على فعله، فما يميز اقتياسه المبرد من نحو: جاء ركضًا، قد لا يدل على الفعل؛ لأن المجيء يكون ركضًا وغير ركض. فنصب مثل هذه المصادر على الحال خارج عن القياس؛ لوقوعه في غير موضعه، فوجب قصره على السماع.

يقوي ما ذهب إليه سيبويه والجمهور أن الحال خبر في المعنى، وصاحبها مخبر عنه، ولا يخبر بمعنى عن جنّة باطراد^(١)، وما ورد من ذلك عن العرب فإنهم لم يقيسوا عليه، وكذلك فإن الحال تبين صفة صاحبها وهيئته في تلك الحالة، فهي نعت في المعنى، والنعت لا يطرد من المصدر.

وفي القول بالقياس توسعة لدائرة الصواب، ويستأنس لجوازه بكثرة المسموع من ذلك، وبخاصة في القرآن الكريم^(٢)، والكثرة دليل القياس.

المسألة السادسة:

نوع (حاشا) الاستثنائية

قال ابن عصفور: "الحرف: (إلا) و(حاشا) في مذهب سيبويه. ومذهب المبرد أنها قد تكون فعلاً... وهذا باطل"^(٣).

اختلف النحويون في (حاشا) الاستثنائية أحرف هي أم فعل أم تحتلها؟ الأول: أنها حرف ولا تكون فعلاً إلا أن تستعمل في غير الاستثناء، وهذا مذهب سيبويه قال: "وأما (حاشا) فليس باسم، ولكنه حرف يجر ما بعده كما

(١) انظر: شرح التسهيل ٣٢٨/٢.

(٢) ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ [البقرة: ٢٦٠]، وقوله: ﴿الَّذِينَ يُفْقُونَ أَمْرَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ [البقرة: ٢٧٤]، وقوله: ﴿وَأَدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [الأعراف: ٥٦].

(٣) شرح الجمل ٢٥٣/٢.

انتصار ابن عصفور لسيبويه على المبرد، د. سعود بن أحمد بن عبد الرحمن المنيع
 تجر (حتى) ما بعدها، وفيه معنى الاستثناء^(١)، واختاره ابن عصفور وجماعة^(٢)،
 وأكثر الناس يخالف سيبويه فيها^(٣).
 واحتج سيبويه على حرفيتها بأمرين: أولهما: مجيء الاسم بعدها مجروراً،
 فلم يحفظ النصب بعدها.
 ثانيهما: أنه لا يصح معها (ما) المصدرية التي تدخل على الأفعال، كما
 تصح مع (خلا) و(عدا)، فلو أدخلت (ما) على (حاشا) ونصبت الاسم بعدها
 لم يكن كلاماً عند سيبويه.
 الثاني: أنها حرف وفعل، وبه قال المبرد وبعض البصريين والكوفيين، ونسبه
 ابن السراج إلى البغداديين^(٤)، وحجتهم على حرفيتها: أنه يجوز جر الاسم بعدها،
 وعلى فعليتها: أنه سمع عن العرب النصب بعدها، وبمجيء الجار بعدها، نحو:
 حاشا لزيد، فلو كان حرف جر ما جاز دخوله على مثله، وبتصرف الفعل معها،
 كقول الشاعر^(٥):

وَلَا أَرَى فَاعِلًا فِي النَّاسِ يُشْبِهُهُ وَلَا أَحَاشِي مِنَ الْأَقْوَامِ مِنْ أَحَدٍ

الثالث: أنها فعل وليست حرفاً، وبه قال الفراء، وهو منسوب إلى
 الكوفيين^(٦).

الرابع: أنها مصدر، ويكون ما بعدها مضافاً إليها، وهو أحد أقوال المبرد

(١) الكتاب ٣٤٩/٢.

(٢) انظر: شرح الجمل ٢٥٤/٢، والتعليقة على كتاب سيبويه ٧٦/٢، والتذيل والتكميل
 ٣١٤/٨.

(٣) شرح كتاب سيبويه، السيرافي ٧٤/٨.

(٤) انظر: الأصول ٢٨٩/١، والانتصار ١٦٩، والمقتضب ٣٩١/٤، والإنصاف ٢٤١.

(٥) البيت للناطقة الديباني. ديوانه ٨٢.

(٦) انظر: السيرافي، شرح كتاب سيبويه ٧٤/٨، والإنصاف ٢٤١.

فيها، ومذهب بعض البصريين^(١).

وانتصر ابن عصفور لمذهب سيبويه من وجوه^(٢):

الأول: أن ما توهمه المبرد من من تصرف (حاشا)، ومجيء المضارع منها - باطل؛ لأن (أحاشي) مأخوذ من الحرف حاشا، كما يؤخذ (سوف) و(أسوف) من الحرف (سوف)، و(لوليت) من (لولا)، فقول الشاعر: ولا أحاشي...، معناه: ولا أقول: حاشا فلان.

الثاني: أن سيبويه - وهو ثقة - لم يحفظ فيها إلا الجر، فلم يسمع النصب بها عن العرب.

والذي يظهر أنها تحتملها مع كون حرفيتها أشهر وأقوى، من وجوه: أولها: ثبوت السماع بنصب ما بعدها بما روي عن غير واحد من أهل اللغة الثقات، كأبي زيد الأنصاري، وأبي عمرو الشيباني فإنهم سمعوا من يقول: اللهم اغفر لي ولمن سمع حاشى الشيطان وأبا الأصبغ^(٣)، بالنصب، وهذا ما أثبتته ابن عصفور نفسه بأنه "إن صح ف(حاشا) عند من يقول ذلك فعل"^(٤)، وقال الأخفش: "وأما (حاشا) فقد سمعت من ينصب بها"^(٥)، ولا تنصب إلا أن تكون فعلاً.

ثانيها: أن اللام تأتي بعدها جارةً، نحو: حاشا لزيد، فلو كانت حرفاً ما أتى بعدها جار، وحكى ابن مالك الإجماع على عدم حرفيتها والحالة هذه^(٦)، وهذا - لا شك - أسهل من تأويلها بالزيادة ونحوها، وعليه حمل ابن جني قراءة:

(١) انظر: الانتصار ١٧٠، والتخمير ٤٦٥/١.

(٢) انظر: شرح الجمل ٤٩٠/١، ٢٥٣/٢.

(٣) انظر: الأصول ٢٨٨/١، وشرح كتاب سيبويه ٧٥/٨، والجني الداني ٥٦٢.

(٤) شرح الجمل ٢٦٤/٢. وانظر: المقرب ١٦٦/١.

(٥) شرح التسهيل ٣٠٧/٢. وانظر: حواشي كتاب سيبويه ٧١٠/٢.

(٦) انظر: شرح التسهيل ٣٠٨/٢.

انتصار ابن عصفور لسيبويه على المبرد، د. سعود بن أحمد بن عبد الرحمن المنيع

﴿وَقُلْنَا حَاشَا لِلَّهِ﴾^(١) [يوسف: ٣١]، ولو حكم بزيادتها فإن اللام لا تتراد إلا لتأكيد معنى الفعل^(٢).

ثالثها: الاستدلال بعدم تصرفها لا ينفي فعليتها، إذ هي فعل جامد تنصب ما بعدها، شأنها في ذلك شأن أختيها (خلا) و(عدا) في الاستثناء.

المسألة السابعة:

الجر ب(لولا)

قال ابن عصفور: "وأما (لولا) فاستدل سيبويه على جر المضممر بها، بقول العرب: لولاك ولولاه ولولاي. وذلك أن الكاف، والهاء، والياء لا تكون ضمائر رفع، بل هي مترددة بين أن تكون ضمائر نصب أو ضمائر خفض. وزعم المبرد أن (لولا) لا تجر الظاهر ولا المضممر، وأن لولاك، ولولاي، ولولاه، لحن...، وهذا الذي زعم أبو العباس باطل"^(٣).

وفي المسألة خلاف لا يكاد يتجاوز ما ذكره ابن عصفور، منشؤه: أن (لولا) يقع بعدها الاسم الظاهر مرفوعاً، فإذا حل محله الضمير فمقتضى القياس أن يكون مرفوعاً مثله؛ إذ العامل فيهما واحد، وهو نائب عن ذلك الظاهر، وعليه فإن الضمير الذي يأتي بعدها ينبغي أن يكون من ضمائر الرفع، نحو: لولا أنت، ولولا أنتم، ونحوهما، ولم يأت في التنزيل إلا كذلك^(٤).

فالخلاف بناء على أصل المسألة على أقوال ثلاثة:

الأول: إذا دخلت (لولا) على ضمير متصل فإنه يكون في محل جر بها، وهذا قول سيبويه، وشيخه الخليل ويونس، وإليه ذهب الجمهور^(٥). وحجتهم

(١) انظر: السبعة ٣٤٨، والمحتسب ٣٤٢/١.

(٢) التخمير ٤٦٦/١.

(٣) شرح الجمل ٤٨١/١-٤٨٢، وانظر: المقرب ١٩٣/١.

(٤) كقوله تعالى: ﴿لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ [سبأ: ٣١].

(٥) انظر: الكتاب ٣٧٣/٢-٣٧٤، والأصول ١٢٤/٢، والسيراني، شرح كتاب

ما ورد عن العرب، ومنه قول الشاعر^(١):

وَكَمْ مَوْطِنٍ لَوْلَايَ طِخَتْ كَمَا هَوَى
بِأَجْرَامِهِ مِنْ قُلَّةِ النَّيْقِ مُنْهَوَى

الثاني: أن (لولا) لا يقع بعدها إلا ضمير رفع، وإن وقع غيره بعدها فهو لحن، وهذا قول المبرد^(٢)، معلاً منعه ذلك بأن هذا موضع رفع، ولا يصلح موقعه إلا ضمير رفع.

الثالث: أنه يقع بعدها ضمير جر، ولكنه ناب عن المرفوع، فمحلله الرفع، وهذا قول الفراء والأخفش، واختاره الأنباري ونسبه إلى الكوفيين، وهو الأظهر عند المالقي^(٣)، وعدوه من باب نيابة الضمائر بعضها عن بعض. ولم يرتض ابن عصفور مذهب المبرد، وأبطله من وجهين^(٤):
أولهما: أن الجر بـ(لولا) لغة لبعض العرب.

ثانيهما: أن ما زعمه المبرد من أن سيبويه إنما أجاز الجر بـ(لولا) لقول الشاعر: (وكم موطن لولاي... زعم فاسد، وأن القصيدة فيها لحن كثير، ومنه جره الضمير بـ(لولا). وهذا باطل؛ ذلك أن حكمهم مبني على أكثر من سماع، وقد أنشد الفراء غير بيت عن العرب يقع فيها ضمير الجر بعد (لولا)، فدل ذلك على صحة جر الضمير بها؛ لكثرة ما سمع في ذلك.

والذي يمكن قوله: أن كثرة الشواهد التي سمعت عن العرب تدل على جواز الجر بـ(لولا)، ولا سيما أنها وردت من طرق متعددة عن سيبويه، والفراء وغيرهما، فلا وجه لرد ذلك، قال الشلوبين: "اتفق أئمة البصريين والكوفيين،

سيبويه ٨/١٤٤، وشرح الكافية ٢/٤٤٤، والتوطئة ٢٤٢.

(١) البيت ليزيد بن الحكم الثقفي. الكتاب ٣٧٣/٢.

(٢) انظر: الكامل ٣/١٢٧٧، والمقتضب ٣/٧٣، ٧٧.

(٣) انظر: الفراء، معاني القرآن ٢/٨٥، والمقتضب ٣/٧٣، والإنصاف ٥٤٨، ٥٥١، ووصف المباني ٣٦٤.

(٤) انظر: شرح الجمل ١/٤٨٢.

انتصار ابن عصفور لسيبويه على المبرد، د. سعود بن أحمد بن عبد الرحمن المنيع
كالخليل، وسيبويه، والكسائي، والفراء على رواية: (لولاك) عن العرب، فإنكار
المبرد هذيان^(١).

وسيبويه يحتج بالقياس إضافة إلى السماع، إذ يرى أنه لا يبعد أن يكون
ل(لولا) حالان، حال مع المظهر يكون مرفوعًا، وحال مع المضمير المتصل يكون
مجرورًا، كما أن (لذن) إذا أتى بعدها (غدوة) نصب، وإذا كان غيرها فهو مجرور،
و(عسى) يكون ما بعدها مرفوعًا فإذا دخلت على مضمير عملت فيه النصب
بمنزلة (لعل)^(٢)، وهذا متجه؛ إذ نرى بعض العوامل تعمل في حال دون أخرى.
المسألة الثامنة:

إعمال فَعِلٍ وفعيل

أورد ابن عصفور خلافًا بين سيبويه والمبرد في إعمال صيغتي (فَعِلٍ،
وفعيل) الدالين على المبالغة، قال: "فمذهب سيبويه إعمالها، ومذهب المبرد
أنه لا يجوز ذلك"^(٣)، ودائرة الخلاف أوسع مما ذكره ابن عصفور، فالمشتهر
في المسألة ثلاثة أقوال:

القول الأول: أنهما يعملان عمل فعلهما كغيرهما من صيغ المبالغة بالشروط
التي يعمل فيها اسم الفاعل، وهذا قول سيبويه، وانتصر له ابن عصفور، وجمع
من المحققين^(٤).

(١) انظر: التذييل والتكميل ٣٠٨/١، ولم أقف على قول الشلوبين هذا في مصنفاته.
(٢) كون(عسى) تقع موقع (لعل) فتدخل على ضمير نصب متصل من المسائل التي لم
يوافق فيها المبرد سيبويه، وغلظه بما قال: "فأما قول سيبويه: إنها تقع في بعض المواضع
بمنزلة (لعل) مع المضمير فتقول: عساك وعساني - فهو غلط منه؛ لأن الأفعال لا
تعمل في المضمير إلا كما تعمل في المظهر". المقتضب ٧١/٣. وقد وافق ابن عصفور
سيبويه فيها، ولم يذكر خلاف المبرد له. شرح الجمل ١٨٣/٢، والمقرب ١٠١/١.
(٣) شرح الجمل ٥٧٤/١.

(٤) انظر: الكتاب ١١٠/١-١١٤، والانتصار ٧١، والسيراني، شرح كتاب سيبويه ٥٦/٤،
والتبصرة والتذكرة ٢٢٦/١، وشرح عيون كتاب سيبويه ٨٠، والنكت ٢٤٨/١، وشرح

القول الثاني: أنهما لا يعملان، وهو قول جمهور البصريين، وعلى رأسهم المازني، والمبرد، وابن السراج، ونسب المنع إلى النحويين^(١).
القول الثالث: التفريق بينهما، فيجوز إعمال (فعل)، وإهمال (فعليل)، وهذا مذهب الجرمي^(٢).

واحتج المبرد وجمهور البصريين على سيبويه^(٣) بأمر:
أولها: أن (فعليل) بُني في أصله من (فعل) غير المتعدي، فحكمه حكم ما بني منه.

ثانيها: أن ما احتج به سيبويه على إعمال (فعل) بقول الشاعر^(٤):

حَذِرْ أُمُورًا لَا تُخَافُ وَأَمِنْ مَا لَيْسَ مُنْجِيَهُ مِنَ الْأَقْدَارِ

فليس له فيه حجة؛ لأن البيت لم يصح عن العرب، وإنما هو موضوع من المتأخرين، وأما احتجاجه بقول الشاعر^(٥):

أَوْ مِسْحَلٌ شَنِجٌ عِضَادَةٌ سَمَّحٌ بِسَرَاتِهِ نَدَبٌ لَهَا وَكُلُومٌ

على أنه أعمل (شَنِج) في (عِضَادَةٌ)، فليس كذلك، وإنما (عِضَادَةٌ) ظرف يعمل فيه معنى الفعل، على تقدير: شَنِجٌ فِي عِضَادَةٍ.

الجملة ٥٧٤/١، والمقرب ١٢٨/١، وشرح الإيضاح (رسالة ماجستير) ٣٢٥،
والتذييل والتكميل ٣١٠/١٠.

(١) انظر: شرح كتاب سيبويه ٥٤/٤، والمقتضب ١١٣/٢، ١١٤، والانتصار ٦٩،
والأصول ١٢٤/١.

(٢) انظر: الأصول ١٢٥/١.

(٣) انظر: المقتضب ١١٣/٢، ١١٤، والانتصار ٦٩، والأصول ١٢٤/١، والسيرافي، شرح
كتاب سيبويه ٥٤/٤، وشرح الجملة ٥٧٤/١-٥٧٥.

(٤) البيت بلا نسبة في الكتاب ١١٣/١، والمقتضب ١١٥/٢، ونُسب لابن المقفع، وأبان
اللاحقي في الحلل ١٣١.

(٥) البيت للبيد بن ربيعة رضي الله عنه، ديوانه ١٢٥.

انتصار ابن عصفور لسيبويه على المبرد، د. سعود بن أحمد بن عبد الرحمن المنيع

وما احتج به من إعمال (فعيل) بقول الشاعر^(١):

حَتَّى شَاهَا كَلِيلٌ مُّوهِنًا عَمِلٌ بَاتَتْ طِرَابًا، وَبَاتَ اللَّيْلُ لَمْ يَنِم

فليس كما أراد؛ لأن (موهناً) ليس منصوباً بـ(كليل)، وإنما هو ظرف للساعة من الليل، والظروف يعمل فيها معنى الفعل، وإن كان غير متعدٍ. ولم ير ابن عصفور فيما قاله المبرد والجمهور حجة، بل إن ما احتجوا به فاسد من وجوه:

أولها: أن سيبويه لم يقل بإعمالهما، وأنها وقعا موقع (مفعِل) إلا بعد ما ثبت له السماع عن العرب في الشواهد التي أوردها في كتابه.

ثانيها: أن قول المبرد في البيت: (حَذِرْ أَمُورًا...): إنه مصنوع، اعتراض لا يلتفت إليه؛ لأن سيبويه أحفظ لما يرويه، وأوثق من أن يروي عن غير ثقة. وأما ما ذكره بأن (عضادة) في قول الشاعر: (أَوْ مِسْحَلٌ شَنِجٌ عِضَادَةٌ سَمَّحٌ...) ظرف، فهو قول فاسد من وجهين:

الأول: أن العضادة اسم للقوائم، والأسماء لا تكون ظروفًا سوى اسم الزمان والمكان.

الثاني: أن هذا القول يترتب عليه فساد المعنى؛ ذلك أن الشاعر شبه "فرسه في الجري بحمار منقبض في قوائم أتان، وذلك مناقض لما يريد من وصفه بالجري، فثبت أن شنجًا هذا بمعنى مُشْنَجٍ، كأنه قال: مُشْنَجٌ عضادة سمحج، فيكون إذ ذاك قد شبه فرسه بحمار يطارد أتانًا فهو يعضها وهي تعضه"^(٢).

وأما قوله: إن (موهناً) ظرف عمل فيه (كليل) فهو فاسد من وجهين:

الأول: أن سيبويه يرى أن (كليل) من كَلَّل المضعف بمعنى مَكَلَّل.

الثاني: أن فيه -على قول المبرد- تناقضًا في المعنى مع آخر البيت: وَبَاتَ

(١) البيت لساعدة بن جؤية الهذلي، شرح أشعار الهذليين ٣/١١٢٩.

(٢) شرح الجمل ١/٥٧٥.

اللَّيْلَ لَمْ يَنْمِ؛ إذ كيف يكون ضعيفاً في موهن، ثم يقول: وبات الليل لم ينم؟^(١).
والراجع في المسألة أن (فعل) و(فعل) عاملان عمل اسم الفاعل على
حد قول سيبويه على قلة؛ لأمر:

الأول: ثبوت السماع بذلك، وما أورده سيبويه من الشواهد كافٍ بأن
تقوم به حجة. كيف وقد ثبت السماع بغير ما ذكره سيبويه من منظوم العرب
ومثورها، كقولهم: (إن الله سميع دعاء من دعاه)، فقد ثبتت روايته عن
الثقات^(٢)؟.

الثاني: أن القدر ببعض ما رواه سيبويه مردود بما عرف عن سيبويه من
الأمانة والثقة، قال أبو نصر القرطبي: "كيف يجوز هذا التأويل على سيبويه وهو
المشهور في دينه وعلمه وعقله وأخذه عن الثقات الذين لا اختلاف في علمهم
وصحة نقلهم؟"^(٣)، وأما المبرد فإن له إقداماً على رد ما لم يروه، ولو ثبت بأصح
الأسانيد^(٤).

الثالث: أن ما ذهب إليه سيبويه يعضده القياس، فقد ثبت إعمال (فعل)
و(فعل) بما لا سبيل إلى رده كقول الشاعر^(٥):

أَتَانِي أَنَّهُمْ مَرْفُوقٌ عَرَضِي جِحَاشُ الْكِرْمَلِينَ هُمْ قَدِيدٌ

فأعمل (مرفوق) في (عرضي)، على معنى مفعّل، "وهذا لا يحتمل غير هذا
التأويل، فقد ثبت صحة القياس بهذا الشاهد القاطع"^(٦)، وإذا صح عند الجمهور
إعمال فَعَالٍ، ومفعالٍ، وفعلٍ، فالقياس يقتضي إعمال فَعِلٍ وفَعِيلٍ؛ إذ كلها

(١) انظر: شرح الجمل ١/٥٧٦.

(٢) انظر: التذييل والتكميل ١٠/٣١٠، ٣١٣.

(٣) شرح عيون كتاب سيبويه ٨٠، وانظر: شرح التسهيل ٣/٨١، وشرح المفصل ٦/٩٧.

(٤) انظر: شرح التسهيل ٣/٤٣٠.

(٥) البيت لزيد الخليل رضي الله عنه، ديوانه ٢/٤٢.

(٦) تحصيل عين الذهب ١١٦.

انتصار ابن عصفور لسيبويه على المبرد، د. سعود بن أحمد بن عبد الرحمن المنيع

معدولة عن فاعل.

الرابع: أن ما ذكره المبرد من أن (فعيل) مشتق من (فعل) غير المتعدي، فيلزم أن يكون مثله، مردود باستجازته إعمال (مفعال)؛ إذ هو غالب في الآلة، ولكنهم أعملوه^(١)؛ لأنهم لم يراعوا أصله، وإنما نظروا إلى العمل، وأنه معدول عن فاعل أو مُفعل، فمنحار بمعنى ناجر، وأليم بمعنى مؤلم، فتعمل كما عمل فاعل.

المسألة التاسعة:

العطف على معمول اسم الفاعل المضاف إلى ضمير ما فيه (أل)

ذكر ابن عصفور أن سيبويه يجيز في المعطوف على معمول اسم الفاعل الذي فيه (أل) إذا كان مضافاً إلى مضمرة النصب والجر^(٢)، ومنع المبرد الجر ولم يجز إلا النصب على الموضع، هكذا ذكر ابن عصفور^(٣).

مثال ذلك: جاء الضارب الرجل وصاحبه، فسيبويه يجيز الوجهين في المعطوف (صاحبه)، والمبرد النصب فقط.

انتصر ابن عصفور لسيبويه بما سمع عن العرب، ومن ذلك قول الأعشى^(٤):

الْوَاهِبُ الْمِائَةِ الْهَيْجَانِ وَعَبْدَهَا عُودًا تُرَجِّي بَيْنَهَا أَطْفَالَهَا

فعطف (عبدها) على (المائة) على اللفظ والمحل بالنصب والجر.

وبعد النظر تبين أنه لا خلاف في هذه المسألة بين سيبويه والمبرد، بل نص المبرد على جواز الجر الذي أكد ابن عصفور أن المبرد يمنعه، وجعل علة جواز الجر في البيت الذي احتج به ابن عصفور لسيبويه بأنه "على تقدير: واهب عبدها؛ كما جاز: رب رجل وأخيه. وأنت لا تقول: رب أخيه ولكنه على

(١) انظر: التبصرة والتذكرة ٢٢٦/١، والبسيط في شرح الجمل ١٠٦١/٢.

(٢) الكتاب ١٨٢/١.

(٣) شرح الجمل ٥٦٨/١.

(٤) ديوانه ٢٥.

تقدير: وأخ له^(١)، فوافق سيبويه في الحكم والعلة؛ بأنه يعتفر في التابع ما لا يعتفر في المتبوع، وهذا ما حكاه النحويون عنه، فقد حكى ابن السراج، والشلوبين^(٢)، وغيرهما عن المبرد القول بالوجهين، قال أبو حيان: "فبين حكاية ابن عصفور والأستاذ أبي علي عن المبرد اختلاف"^(٣)، ولم أقف على أن المبرد منع الجر في مصنفاته التي بين أيدينا.

بل حكى السيرافي، والأعلم، وابن مالك الإجماع على جواز الوجهين^(٤)، ونقض أبو حيان الإجماع بما ذكره ابن عصفور، والصواب أن الإجماع غير منتقض، وما ذكره ابن عصفور مخالف لما ذكره المبرد.

المسألة العاشرة:

إضافة معمول الصفة المشبهة المجردة من (أل) إلى ضمير موصوفها

لما أورد الزجاجي صور الصفة المشبهة مع معمولها، ذكر مسألة الباب، وهي: أن يضاف معمول الصفة المشبهة إلى ضمير موصوفها أو صاحبها، نحو: مررت برجل حسن وجهه، بإضافة (حسن) إلى (الوجه)، وإضافة (الوجه) إلى ضمير الموصوف (رجل)، ثم ذكر أن سيبويه أجازها، وخالفه جميع الناس من بصريين وكوفيين^(٥).

قال ابن عصفور: "وأما قول أبي القاسم: وخالفه في ذلك جميع النحويين من البصريين والكوفيين، فباطل، بل لا يحفظ لأحد من النحويين خلاف لسيبويه في ذلك إلا للمبرد فإنه خالفه فيما ادعى سيبويه رحمه الله من مجيء ذلك في

(١) المقتضب ٤/١٦٤.

(٢) انظر: الأصول ٢/٣٠٨، وشرح المقدمة الجزولية ٢/٨٨٢.

(٣) التذيل والتكميل ١٠/٣٥٠.

(٤) انظر: شرح كتاب سيبويه ٤/١٩٧، وتحصيل عين الذهب ١٥٢، وشرح التسهيل ٣/٨٧.

(٥) انظر: الجمل ٩٨.

انتصار ابن عصفور لسيبويه على المبرد، د. سعود بن أحمد بن عبد الرحمن المنيع

الشعر" (١).

الأقوال في المسألة:

الأول: جواز إضافة معمول الصفة المشبهة إلى ضمير موصوفها أو صاحبها في الشعر فقط، وعلى ضعف ورداءة، وهذا مذهب سيبويه، والجمهور (٢)، ومنه قول الشاعر (٣):

أَمِنْ دَمْنَتَيْنِ عَرَسَ الرَّكْبُ فِيهِمَا بِحَقْلِ الرُّخَامَى قَد عَفَا طَلَّاهُمَا

أَقَامَتْ عَلَى رُبْعَيْهِمَا جَارَتَا صَفَا كُمَيْتَا الْأَعَالِي جَوْنَتَا مُصْطَلَاهُمَا

الثاني: المنع مطلقاً في الشعر والنثر، وهو قول نسبه ابن عصفور، وأكثر شارحي جمل الزجاجي إلى المبرد (٤)، ونسبه الزجاجي - كما أسلفنا - إلى جميع الناس بصريهم وكوفيهم، ورده ابن عصفور وأكثر شارحي الجمل، بل قال ابن السيد: "وقوله: إن جميع البصريين والكوفيين خالفوه - كذب، بل أكثر أصحاب سيبويه موافق له فيما قال" (٥)، وهكذا نسبه الباقر إلى جميع النحويين (٦)، وما من ريب أنها نسبة غير صحيحة.

وفي نسبة الخلاف إلى المبرد شك؛ إذ لم يرد الشاهد المذكور في مصنفاته

(١) شرح الجمل ٥٨٥/١.

(٢) الكتاب ١/١٩٩. وانظر: الأصول ٣/٤٧٥، والتعليقة على كتاب سيبويه ١/١٤٤، والخصائص ٢/٤٢٣، والنكت ١/٣٠١، وابن بابشاذ، شرح الجمل ١/٢٢٦، وابن الضائع، شرح الجمل ١/٣٨٠، وابن خروف، شرح الجمل ١/٥٦٦، وشرح الكافية ٣/٤٣٦، والبسيط في شرح الجمل ٢/١١٠١، وابن عصفور، شرح الجمل ١/٥٨٥، والمقرب ١/١٤٠، وضائر الشعر ٢٨٧.

(٣) البيت للشماخ. ديوانه ٨٦.

(٤) راجع الإحالة إليهم في القول الأول من هذه المسألة.

(٥) الحلل ٢٢٤.

(٦) انظر: شرح اللمع ٢/٥٣٤.

التي بلغتنا مطلقاً، غير أنه لما ذكر الصور الجائزة في الصفة المشبهة لم يذكر هذه الصورة^(١)، وفي باب النداء ذكر ما يوحي برد هذه الصورة^(٢)، ولكن الشاهد الذي أورده سيوييه، وما ورد من اعتراضه عليه كل ذلك غير موجود في مصنفاته، ولا في مسائله التي غلط فيها سيوييه، وقد حكى ابن السيد عن ابن درستويه نسبة هذا القول إلى المبرد^(٣)، وأما غير هذه الرواية فلم يأت شيء عن المتقدمين يفيد نسبة القول إلى المبرد، وأكثرهم لم يسم الراد، بل قال الفارسي: "ولست أعرف من قائل هذا القول"^(٤).

ووجه منع هذه الصورة: أنه أعاد ضميرين إلى الأول، ولا حاجة بهما، فكان الأولى أن يأتي بمعمول الصفة مجروراً أو منصوباً مقترناً بأل؛ لأنه كالسبي، فحملوا هذا على ذلك، قال سيوييه: "وقد جاء في الشعر حسنة وجهها، شبهوه: بحسنة الوجه، وذلك رديء"^(٥)، وحمل المانعون البيت المحتج به عند سيوييه على أن الضمير في (مصطلاحهما) عائد إلى (الأعالي)، وليس إلى (جارتا صفا)، وأما صاحب (الجميل): فجعل سبب ضعفها أنها من إضافة الشيء إلى نفسه، وهو بعيد، ومردود، وممن ردّه: ابن عصفور.

الثالث: الجواز مطلقاً في النثر والشعر، وهو قول منسوب إلى الكوفيين^(٦)، واختاره السهيلي، وابن خروف، وابن مالك، وأبو حيان، ولكن بقلّة، قال ابن مالك: "ومع جوازه ففيه ضعف"^(٧)، ووافقهم الدماميني، وعدّ تخصيص سيوييه

(١) انظر: المقتضب ١٥٩/٤.

(٢) انظر: السابق ٢٢٢/٤.

(٣) انظر: الحلال ٢٢٦.

(٤) البغداديات ١٣٩، وهكذا قال البغدادي. انظر: الخزانة ٣٠٣/٤.

(٥) الكتاب ١٩٩/١.

(٦) انظر: شرح التسهيل ٩٦/٣، وشرح الكافية ٢٣٥/٢.

(٧) انظر: الروض الأنف ٨٩/٣، وشرح الجمل ٥٦٦/١، وشرح التسهيل ٩٥/٣، والتنزيل

والتكميل ٢٣/١١.

انتصار ابن عصفور لسيبويه على المبرد، د. سعود بن أحمد بن عبد الرحمن المنيع
جواز ذلك بالشعر غير ظاهر^(١). وأقول: بل إن تخصيص سيبويه ظاهر؛ ذلك أنه
لم يأت بالنثر إلا في الحديث الشريف، وسيبويه لم يكن متوسعاً بالاحتجاج به.
رد ابن عصفور قول المبرد من جهتين:
الأولى: جهة اللفظ، فقول المبرد: إن الضمير في (مصطلهما) عائد إلى
(الأعالي) - ضعيف؛ ذلك أن عود الضمير على الظاهر ينبغي أن يكون مثله في
اللفظ؛ لأن الضمير في (مصطلهما) مثنى، والأعالي جمع، وحمله على المعنى قليل،
وإذا أمكن الحمل على الظاهر فلا حاجة إلى حمله على سواه.
الثانية: جهة المعنى، فإن عود الضمير إلى (الأعالي) يفسد المعنى؛ لأنه
سيكون: جوتنا مصطلى الأعالي، والمصطلى في الواقع هو للجارتين، وليس
للأعالي.

ويقوي قول سيبويه ويضعف قول المبرد عند ابن عصفور أن الكوفيين
أجازوا: مررت برجلٍ حسنٍ وجهه، بنصب (وجهه)، وإذا ثبت جواز النصب
فإن الجر جائز؛ لكونه منه.

واعتراض ابن عصفور متجه؛ لما في تأويل المبرد من تكلف في اللفظ
والمعنى، فالشاعر يصف الأثفتين المجاورتين للجبل حول النار بأتهما جوتنا
المصطلى تغير لوتهما من النار، ولم يرد وصف أعاليهما فإن أعلاهما لم يتغير لونه؛
لبعدها عن النار، ثم إنه جعل الجمع على معنى التثنية، وهذا يتأتى على وجه
المجاز، وحمل الكلام على الحقيقة أولى من حمله على المجاز ما أمكن، قال ابن
جني: "اعلم أن العرب إذا حملت على المعنى لم تكدر تراجع اللفظ...؛ فلهذا
ضعف عندنا أن يكون (هما) من (مصطلهما) عائداً على (الأعالي) في المعنى؛
إذ كانا أعلىين اثنين؛ لأنه موضع قد ترك فيه لفظ التثنية حملاً على المعنى؛ لأنه
جعل كلّ جهة منهما أعلى"^(٢).

(١) انظر: تعليق الفرائد ٣٢/٨.

(٢) الخصائص ٤٢٠/٢.

وقول الكوفيين ومن تبعهم أولى بالصواب؛ لصحة ورود هذه الصورة في الفصح العربي نثرًا وشعرًا^(١)، ولكون المعنى مستقيمًا معها، ومع جواز ذلك لا شك أن الأولى والأحسن أن تكون الصفة مضافة لما فيه أل، فيقال في الشاهد المذكور: جوتنا المصطلى، ومررت برجل حسن الوجه، دون إضافة إلى الضمير.

المسألة الحادية عشرة:

حكم الاسمين مكرري اللفظ، وثانيهما مضاف في النداء^(٢)

إذا تكرر الاسم المنادى بلفظه وأضيف الثاني ولم يضاف الأول، نحو: يا زيد زيد عمرو، ويا تيم تيم عدي، ونحو ذلك، فيجوز في الأول وجهان: أحدهما: البناء، وينصب الثاني على أنه بدل، أو عطف بيان، أو منادى جديد.

ثانيهما: النصب، وهنا اختلف سيبويه والمبرد، فذهب سيبويه، ووافقه الجمهور إلى أنه مضاف إلى ما بعد (زيد) الثاني، وأن الأصل يا زيد عمرو زيد عمر، ثم حذف (عمرو) الأخير؛ لدلالة الأول عليه، ثم قدم (زيد) على (عمرو) الأول، فصار مقحمًا بين المضاف والمضاف إليه، وتكرر الاسم تأكيدًا، ولا تأثير له في جر المضاف إليه، حملهم على ذلك كثرة الاستعمال^(٣).

وأما المبرد، فيرى - في المشهور عنه - أنه مضاف إلى محذوف مثل الذي أضيف إليه الثاني، ويكون الثاني دالًا عليه، وانتصر لمذهبه الرضي، والعلوي^(٤)،

(١) انظر: التذييل والتكميل ٢٣/١١.

(٢) يدخل في هذه المسألة خلاف بين سيبويه والمبرد في مسألة الفصل بين المضاف والمضاف إليه بغير ظرف ولا جار ومجرور. وانتصر فيها ابن عصفور لسيبويه، وضعف قول المبرد، وفي نهاية المسألة شيء من ذلك.

(٣) انظر: الكتاب ٢/٢٠٥، وابن الضائع، شرح الجمل ١/٥٩٩، والتذييل والتكميل ٣٣٠/١٣.

(٤) انظر: المقتضب ٤/٢٢٧، وشرح الكافية ٢/٢٥٩، والمنهاج في شرح جمل الزجاجي ١/٥٤٦.

انتصار ابن عصفور لسيبويه على المبرد، د. سعود بن أحمد بن عبد الرحمن المنيع

وفي قوله الآخر وافق سيبويه بالقول بالإقحام^(١).

واحتج المبرد بأن فيما ذهب إليه سيبويه تقديمًا وإقحامًا وحذفًا، وليس فيما ذهب إليه إلا الحذف.

وهناك قول ثالث في المسألة أن الاسميين مضافان للأخير، ولا حذف ولا إقحام، ولا تقديم ولا تأخير، وهو قول الفراء^(٢)، وضعفه من توارد أكثر من عامل على معمول واحد.

وضعف ابن عصفور قول المبرد من وجوه^(٣):

الأول: أن المبرد أجاز حذف المضاف من غير إعادة للتونين، وهذا لا يكون؛ ذلك أن المضاف إليه إذا حذف عاد التونين للاسم، ولو كان مرادًا في المعنى؛ لزوال موجب حذفه، كما يكون في (كل)، و(بعض)، ونحو ذلك.

الثاني: سلك المبرد مسلكًا في الحذف على غير طريقة العرب؛ ذلك أن من عادة العرب إذا حذفت تستدل على حذف الأخير بالأول، وليس العكس، والمبرد حذف الأول مستدلًا عليه بالأخير.

الثالث: المبرد يقدر مضافًا إليه فرارًا من الفصل بين المضاف والمضاف إليه بأجنبي، وهذا جائز عند سيبويه في الشعر؛ لكثرة وروده، والمبرد يقول ما جاء من ذلك، ولا يستقيم ذلك معه؛ لما سيلزمه من ذلك، "وتأويل الشيء الكثير ضعيف جدًا؛ لأننا إنما نبني المقاييس العربية على وجود الكثرة"^(٤).

ولا مزيد على ما ذكره ابن عصفور، وأما ما حصل من فصل بين المضاف والمضاف إليه، فالصحيح جوازه؛ لكثرة وروده في فصيح الكلام منظومه ومنثوره، والفصل أهون من تكرار الظاهر من غير حاجة، أو جعل دليل المحذوف متأخرًا

(١) انظر: المقتضب ٤/٢٢٧، والكامل ٢/٦٦٩، ٣/١١٤٠.

(٢) انظر: معاني القرآن ٢/٣٢١.

(٣) انظر: شرح الجمل ٢/٩٥، وضرائر الشعر ١٩٥.

(٤) التذليل والتكميل ٩/١٨٩.

عنه؛ لما تقرر في الأصول أن الدليل متقدم على المدلول.

المسألة الثانية عشرة:

اللغات في الاسم المرخم في غير النداء

أورد ابن عصفور هذه المسألة، ثم ذكر أن فيها خلافاً بين سيبويه والمبرد،^(١) فأما سيبويه فرخم على اللغتين على لغة من نوى وعلى لغة من لم ينو، وأما المبرد فلا يرخم إلا على لغة من لم ينو خاصة^(٢).

اتفق النحويون^(٣) على جواز ترخيم الاسم في غير النداء في الشعر على لغة من لا ينوي الحرف الأخير، فيتصرف في الكلمة بوجوه الإعراب، وكأن الكلمة لم يحذف منها شيء؛ لأن الحذف على غير قياس.

وإنما الخلاف في ترخيم غير المنادى على لغة من ينوي، فأجازه سيبويه والجمهور^(٤)، بحجة كثرة ورود ذلك عن العرب.

ومنع المبرد^(٥)، بحجة أنه حذف على غير قياس فليس من باب النداء، فيساغ فيه الحذف، فلزم أن تجري على آخره وجوه الإعراب على نحو: يد ودم. قال ابن عصفور عن قول المبرد: "ويرد عليه السماع والقياس"^(٥)، فأما القياس فإن الشيء يحمل على شبهه، والحذف في غير النداء يشبه الحذف في

(١) انظر: شرح الجمل ٢/١٢٥، ٥٨٩، وضرائر الشعر ١٣٨.

(٢) انظر: أمالي ابن الشجري ١/١٩٠، وشرح التسهيل ٣/٤٢٧.

(٣) انظر: الكتاب ٢/٢٦٩، والسيراني، شرح كتاب سيبويه ٢/١٠٦، والتبصرة والتذكرة ١/٣٧٢، وأمالي ابن الشجري ١/١٩٦.

(٤) انظر: المقتضب ٤/٢٥١-٢٥٢. ولم أجد كلاماً للمبرد يمنع هذه اللغة إلا ما في هاتين الصفحتين، وليس صريحاً، ولكن تواترت النقول عنه، ولست أدري أين ذكر ذلك، ولا سيما أن النقول عنه تذكر اعتراضاته على الشواهد، كما حكى عنه السيراني في شرح الكتاب ٧/٢٣٣، وابن الشجري ١/١٩٣، والأنباري في الإنصاف ٢٩٩؛ مما يؤكد صحة نسبة القول إليه.

(٥) شرح الجمل ٢/٥٨٩.

انتصار ابن عصفور لسيبويه على المبرد، د. سعود بن أحمد بن عبد الرحمن المنيع

النداء بدلالة أنه لا يكون إلا فيما رخم في النداء، فلا يرخم إلا ما توافرت فيه شروط الترخيم في النداء إلا ما شذ من ذلك، فلما كان كذلك حسن أن يكون مثله في صحة اللغتين معه.

وأما ما جاء عن العرب فإن "السماع القاطع قد ورد بذلك"^(١)، وسيبويه أورد شواهد كثيرة عن العرب جاءت على لغة من نوى الحرف، وذهب المبرد إلى تأويل كثير من تلك الشواهد، بما هو ممكن وغير ممكن، ولسنا بحاجة إلى تلك التأويلات إذا قلنا بجواز اللغتين، وأدل ما يحتج به على صحة مذهب سيبويه عند ابن عصفور قول الشاعر^(٢):

إِنَّ ابْنَ حَارِثَ إِنْ أَشْتَقَ لِرَوْيْتِهِ أَوْ أَمْتَدَحُهُ فَإِنَّ النَّاسَ قَدْ عَلِمُوا

فترخيم (حارث) جاء على لغة من ينوي بما لا يحتمل التأويل.

وتواتر النقل والسماع على صحة الترخيم على لغة من ينوي كافٍ لتقوية القول بجواز هذه اللغة، كيف والقياس يعزز ذلك؟ وإجماع النحويين يكاد ينعقد على الجواز، بل حكى السيرافي الجواز عن جميع النحويين بصريين وكوفيين سوى المبرد^(٣)، وحذف بعض الكلمة وإبقاء ما يدل على المحذوف أولى بالجواز من الحذف من غير دليل^(٤)، هذا مع ما في القول بالجواز من سلامة من التأويلات التي تكلفها المبرد.

المسألة الثالثة عشرة:

نوع (إذما)

أورد ابن عصفور الخلاف في (إذما)، فذكر أنها حرف عند سيبويه، واسم

(١) السابق ١٢٥/٢.

(٢) البيت للمغيرة بن حبناء التميمي. انظر: الكتاب ٢٧١/٢، وأما ابن الشجري

١٩١/١.

(٣) انظر: شرح كتاب سيبويه ١٠٤/٢.

(٤) انظر: شرح التسهيل ٤٣٠/٣.

عند المبرد؛ لأنه ثبت لها الاسمية فلا تخرج عنها ما أمكن، ثم حكم بفساد مذهبه^(١).

والخلاف في المسألة لا يعدو ما ذكره ابن عصفور، ولكل قول حججه وأتباعه.

فسيبويه وأكثر النحويين^(٢) يرون أن (إذما) لما ركبت مع (ما) صارت معها بمنزلة (إنما)، فاستحالت حرفاً يدل على معنى في غيره.

أما المبرد فتحقيق القول في مذهبه أنه لا يرى أنها اسم بإطلاق، بل هو أحد قوليه^(٣)، والأكثر عنده أنها حرف، والأشهر أنها اسم^(٤)، ووافق في اسميتها: ابن السراج، والفارسي^(٥)، حججهم: أن الظرفية ما زالت باقية، والاسمية فيها ثابتة.

أما ابن عصفور فحكم بفساد ما ذهب إليه المبرد من القول باسميتها؛ لما في هذا القول من فساد المعنى وتناقض بين معناها ومعنى الشرط؛ ذلك أن (إذ) الظرفية لما مضى، وأما الشرط فإنه مستقبل أبداً وإن جاء فعله على صورة الماضي، وبهذا يظهر صحة مذهب سيبويه بأنها حرف بطل معناه في نفسه، وركبت معه (ما) الزائدة وبطلت الاسمية.

ومما يدل على حرفيتها: غلبة معنى الحرف فيها، وأنها لم تعد قابلة لبعض علامات الاسم، كالتنوين، والإضافة، وقد كانت تقبل ذلك قبل دخول (ما)، وإجماع النحويين^(٦) على انتقال معناها إلى الجزاء يؤكد حرفيتها، ولا سيما أنه لا يوجد شيء يدل على بقاء الاسمية فيها بعد جعلها للجزاء.

(١) انظر: شرح الجمل ١٩٨/٢.

(٢) انظر: الكتاب ٥٦/٣، وابن خروف، شرح جمل الزجاجي ٨٦٧/٢، ووصف المباني

١٤٩، والجني الداني ١٩١.

(٣) المقتضب ٤٦/٢.

(٤) انظر: المقتضب ٤٥/٢، والكامل ٣٧٩/١.

(٥) انظر: الأصول ١٥٩/٢، والبغداديات ٢٩٤.

(٦) انظر: الجني الداني ١٩١.

انتصار ابن عصفور لسيبويه على المبرد، د. سعود بن أحمد بن عبد الرحمن المنيع

غير أنه يشكل على قول سيبويه تخصيصه (إذ) بالانتقال إلى الحرفية دون أخواتها وبخاصة (حيثما)؛ لأنها ك(إذما) لا يجازى بها إلا بعد دخول (ما).
ويجاب عن ذلك بأن (إذما) اختلفت عنها بتغير معناها، فلم يبق للظرفية فيها أثر، بخلاف (حيثما) وأخواتها فإن الظرفية باقية لم تتغير، ولكونها تقع موقع (إن)، ولعدم وجود دليل على اسميتها - كما أسلفنا؛ ولأنه " لا يعود من الجزاء بعدها إليها ضمير، كما يكون ذلك مع (حيث) إذا قلت: حيثما تكن أكن فيه" (١).

ولم أصل إلى شيء يَحْتَمُّ القطع بمخالفة المبرد لسيبويه في هذه المسألة، بل الذي يظهر أنه يقول بحرفية (إذما) بصريح القول، ذلك أنه لما قسم أدوات الجزاء وجعلها أسماء، وظرفًا، وحروفًا - قال: " ومن الحروف التي جاءت لمعنى: إن، وإذما" (٢).

فذكر أنها حرف، ثم أكد ذلك بكونها جاءت لمعنى؛ أي: أنها تفيد معنى في غيرها دون أن تدل على معنى في نفسها.

وأما قوله بعد بأنه: " لا يكون الجزاء في (إذ) ولا في (حيث) بغير (ما)؛ لأنهما ظرفان" (٣).

فعلى اعتبار الأصل. وعلى خلاف ذلك فإنه لما ذكر هاتين الأداتين أطلق عليهما الحرفية، بل أطلقه على جميع أدوات الجزاء على اختلاف أنواعها؛ مما يدل على أنه لم يرد الحرفية بمعناها المعهود.

المسألة الرابعة عشرة:

السين في (أسطاع) ومشتقاته

قال ابن عصفور: " وأما (أسطاع) فالسين عند سيبويه فيه عوض من

(١) شرح المفصل ٢٧٩/٨، وانظر: ابن بابشاذ، شرح الجمل ٤٤٥/١.

(٢) المقتضب ٤٥/٢.

(٣) السابق ٤٦/٢.

ذهاب حركة العين منها...، وقد تعقب المبرد ذلك على سيبويه، فقال: إنما يعوض من الشيء إذا فقد وذهب...، والذي ذهب إليه سيبويه صحيح^(١).
الخلاف في المسألة كما أورده ابن عصفور: سيبويه، وموافقوه^(٢) يذهبون إلى أن السين عوض من ذهاب حركة العين من (أَطَوْع).

والمبرد^(٣) يرد ذلك محتجاً بأن العوض إنما هو عن شيء زال مطلقاً، وأما الموجود فلا وجه للتعويض منه، وحركة العين إنما نقلت إلى الساكن الصحيح قبلها، فلو كانت السين عوضاً لكان في ذلك جمع بين العوض والمعوض.

تعقب ابن عصفور المبرد في انتصاره لسيبويه من جهتين:

الأولى: أن سيبويه لم يرد حذف الحركة، وإنما أراد حذف الحرف؛ ذلك أن الحرف إذا سلب حركته وسُكِّن، ضعف ووهن، فصار متهيئاً للحذف، ف(أَطَوْع) لما نقلت حركة العين (الواو) إلى الصحيح قبلها (الطاء) قلبت ألفاً وسهل حذفها كلما سكنت لام الكلمة؛ لالتقاء الساكنين، وذلك في نحو: لم يطع، وأطع، وأطعت، ولو لم تنقل حركة العين ما حذف الحرف؛ لأن الحركة تقويه، نحو: لم يطوع، وأطوع، وأطوعت، فكانت زيادة السين؛ للتعويض من حذف العين، وليس من حذف حركتها، فكان سيبويه أقام السبب مقام المسبب.

الثانية: أن هناك ما يدل على صحة ما ذهب إليه سيبويه من أن السين تكون عوضاً، وهو أن العرب فعلت ذلك مع غير السين في نحو: أهرق، وأهراق، ذلك أن الأصل: أراق، وأراح، فالهاء عوض من ذهاب حركة العين، كما فعل مع (أسطاع).

(١) الممتع ١/٢٢٤.

(٢) الكتاب ١/٢٥، ٤/٤٨٣. وانظر: الأخفش، معاني القرآن ٢/٤٣٤، وسر الصناعة

١/١٩٩، والمقتصد في شرح التكملة ٢/١٢٧٩، والصفار، شرح كتاب سيبويه

٢/٣٨٥، وشرح الملوكي ٢٠٧.

(٣) الانتصار ٢٧٠.

انتصار ابن عصفور لسيبويه على المبرد، د. سعود بن أحمد بن عبد الرحمن المنيع

وما ذكره ابن عصفور متجه من وجوه:

الأول: المتتبع لكلام سيبويه في غير موضع يدرك أن الأمر ليس كما توهمه المبرد، وإنما أراد أن (السين) عوض عن الحرف، وليس عن حركته، ومن ذلك أنه لما ذكر الهاء في (أهرقت) قال: "وأما الذين قالوا: (أهرقت) فإنما جعلوها عوضاً من حذفهم العين وإسكانهم إياها، كما جعلوا ياء (أينق) وألف (يمان) عوضاً...، ونظير هذا قولهم: أسطاع ويسطيع، جعلوا العوض السين"^(١).

فكلام سيبويه هنا يفسر كلام سيبويه هناك.

الثاني: أن جعل (السين) عوضاً من حركة العين يناقضه ما ذكره المبرد من أن الحركة موجودة، ولا يجمع بين العوض والمعوض، وحذف العين يبين أن العوض إنما أدى إليه زوال الحركة عن الحرف مما أدى إلى إضعاف الحرف.

الثالث: أن ما ذهب إليه سيبويه وابن عصفور شيء يقتضيه القياس؛ ذلك أن الكلمة إذا دخلها تغيير بالحذف أو نحوه جاز تقويتها بزيادة شيء فيها، فسيبويه عندما تحدث عن تصغير (مغتملم) على (مغيليم) جعل الياء عوضاً مما حذف^(٢)، وقال في موضع آخر: "واعلم أنك إذا حذف فلا بد لك من أن ترد؛ لأنه عوض"^(٣).

ومن مقتضى القياس أيضاً أن (السين) من حروف الزيادة، ولا يوجد ما يمنع زيادتها في الكلمة متى ما أريد التعويض.

المسألة الخامسة عشرة:

مخرج النون المدغمة مع الميم

قال ابن عصفور: "وزعم سيبويه أنها -يعني النون- مع ما تدغم فيه مخرجها من الفم لا من الخياشيم؛ لأنها لو كانت تدغم في حروف الفم، وهي من الخياشيم - لتفاوت ما بينها، ولا يدغم الأبعد في الأبعد. ووافق المبرد في جميع

(١) الكتاب ٢٨٥/٤. وانظر: ٢١١/٢.

(٢) الكتاب ٣٨/٢.

(٣) الكتاب ٣٦٢/٣.

ذلك، إلا الميم؛ لأنها من الشفة... ومذهب سيبويه عندي أولى؛ لأن النون التي في الفم تصير أيضاً إلى الخياشيم، للغنة التي فيها، كما كان ذلك في الميم^(١). ذهب سيبويه، ومن وافقه^(٢) إلى أن ما أدغم مع النون فمخرجه الفم؛ ذلك أن النون لا تدغم في حرف حتى تتحول إلى جنسه، ولا عبرة في الغنة فيها ليجعل مخرجها الخياشيم، وإنما هو صوت الفم أشرب غنة. خالف المبرد سيبويه في حروف الشفة، ومنها الميم، وجعل مخرجها الخيشوم، معللاً ذلك بأن الميم تخرج من الشفة، ولكنها تصير إلى الخياشيم؛ لأجل الغنة التي فيها، فتدغم فيها الميم^(٣). ويرى ابن عصفور ضعف ما ذهب إليه المبرد؛ لأن ما يخرج من الخياشيم هو شيء من الغنة وليس صوت الحرف، فالحرف مخرجه الفم^(٤). ولعل الأولى بالصواب ما ذهب إليه سيبويه؛ لثبات مكان خروج الحرف الذي يخرج منه قبل الإدغام، والذي يخرج من الخيشوم هو الغنة، وأما الحرف فمن الفم قال الصيمري: "فأما إذا أدغمت بغنة فلأن النون لها غنة في نفسها سواء كانت من الفم أو من الأنف، فالغنة صوت من الخيشوم يتبع الحروف، وإن كان خروج الحروف من الفم"^(٥). وزيادة على ذلك فإن النون تخرج مع مخرج ما أدغمت فيه ولا سيما إذا كان الإدغام تاماً؛ لغلبة صوته عليها، وخروجها من الشفة والفم مع الميم بين، ولو أغلقت الخياشيم لخرج الحرف وضعفت الغنة.

(١) الممتع ٦٩٨/٢.

(٢) انظر: الكتاب ٤/٤٥٤، والأصول ٣/٤١٧، والسيراني، الإدغام ١٩٢، والتعليقة على

كتاب سيبويه ٥/١٨٤، والمقتصد في شرح التكملة ٢/١٦٧٨.

(٣) انظر: المقتضب ١/٣٥٦.

(٤) الممتع ٦٩٨/٢. وهنا حصل سقط في المخطوط فوّت كلاماً لابن عصفور أزعّم أنه

مفيد لو وجد.

(٥) التبصرة والتذكرة ٢/٩٦٣.

الخاتمة

- بعد حمد الله وفضله أجمل أهم ما توصل إليه البحث من نتائج:
- لم يكن ابن عصفور ذا عناية بتوثيق ما يورده من خلاف، مما أدى إلى بعض الشك حول بعض الخلافات التي نسبتها إلى المبرد -مثلاً- وليست في مصنفاته التي بين أيدينا.
 - تبين من هذا البحث أن ابن عصفور قد ينسب خلافاً إلى المبرد، والمبرد يوافق سيبويه، ومن ذلك: مسألة إضافة معمول الصفة المشبهة لصاحبها أو موصوفها، ومسألة العطف على معمول اسم الفاعل المضاف إلى ضمير ما فيه أل.
 - لحظت أن ابن عصفور قد ينتصر للمبرد في مسائل قليلة جداً، ولا يذكر الخلاف في المسألة، ومن ذلك: مسألة حكم التابع لمضاف إلى معرفة إذا كان مجرداً من (أل) أو كان مضاف إلى مافيه (أل)، نحو هذا الضارب الرجل وزيداً أو وأخاك، فأوجب ابن عصفور النصب هنا على مذهب المبرد ولم يجز الجر على مذهب سيبويه، تكرر ذلك معه في (شرح الجمل) و(المقرب).
 - يهمل ابن عصفور بعض المسائل التي خالف المبرد فيها سيبويه؛ لأسباب مختلفة، لعل من أهمها: أنه ربما أورد خلافاً مشابهاً للمسألة نفسها، ومن أمثلة ذلك: أنه أهمل الخلاف في (عسى) إذا دخلت على ضمير نصب متصل أكون حرفاً أم فعلاً؟ لأنه ذكر الخلاف في (حاشا) إذا دخلت على ضمير نصب، وحملها على (عسى).
 - ربما انتصر ابن عصفور لسيبويه، واحتج له، ثم تابع المبرد في قوله، وهذا نادر جداً، كما فعل في نوع (حاشا) فإنه انتصر لسيبويه بأنها حرف، ثم وافق المبرد بالقول بفعاليتها إن ثبت النصب بعدها، وأكد ذلك بكتابه (المقرب)، فجعل فعاليتها وجهاً فيها من غير ذكر خلاف.

- في أكثر مسائل البحث عندما يورد ابن عصفور خلافاً في مسألة يذكر رأي سيبويه، ثم يعقبه برأي المبرد وحده. وكأنه لا خلاف في المسألة إلا بينهما.
- في غير مسألة يكون للمبرد قولان، ولكن ابن عصفور في الغالب يقتصر على القول الذي يخالف فيه سيبويه، على الرغم من صراحة قوله الآخر، كما في مسألة نداء الاسمين مكرري اللفظ، نحو: يا زيد زيد عمر، فإن المبرد وافق سيبويه في غير موضع من كتابه (الكامل)، وخالفه في (المقتضب)، ولم يذكر ابن عصفور قوله في (الكامل) مطلقاً.
- لم يكن ابن عصفور متعصباً لسيبويه على الإطلاق بحيث لا يقبل مخالفاً له، فقد انتصر للمبرد في بعض المسائل، وإن كان ذلك نادراً.

المصادر والمراجع

- الأخفش، سعيد بن مسعدة، معاني القرآن، تحقيق: هدى قراعة، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط ٢، ١٤٣١هـ.
- الإستراباذي، الرضي، شرح الكافية، تحقيق: يوسف عمر، بنغازي، منشورات جامعة بنغازي، د.ت.
- الأعشى، ميمون ابن قيس، ديوانه، الكويت، دار ابن قتيبة، ط ٢، ١٩٩٣م.
- الأنباري، أبو البركات، الإنصاف في مسائل الخلاف، تحقيق: جودة مبروك القاهرة، مكتبة الخانجي، ط ١، ٢٠٠٢م.
- الأندلسي، أبو حيان، التذييل والتكميل، تحقيق: حسن هندراوي، دمشق، دار القلم، ط ١، ١٤١٨هـ.
- ابن بابشاذ، طاهر بن أحمد، شرح جمل الزجاجي، تحقيق: علي توفيق الحمد، الأردن، عالم الكتب، ط ١، ٢٠١٦م.
- البطليوسي، ابن السيد، الحلل في شرح أبيات الجمل، تحقيق: مصطفى إمام، القاهرة، مطبعة الدار المصرية للطباعة والنشر، ط ١، ١٩٧٩م.
- البغدادي، عبد القادر، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط ٤، ١٤١٤هـ.
- البغدادي، عبد القادر، شرح أبيات مغني اللبيب، تحقيق: عبد العزيز رباح، وأحمد الدقاق، دمشق، دار المأمون للتراث، ط ٢، ١٤٠٧هـ.
- الجرجاني، عبد القاهر، المقتصد في شرح الإيضاح، تحقيق: كاظم المرجان، العراق، منشورات وزارة الثقافة، ١٩٨٢م.
- الجرجاني، عبد القاهر، المقتصد في شرح التكملة، تحقيق: إبراهيم الدويش، الرياض، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود، ط ١، ١٤٢٨هـ.
- ابن جني، أبو الفتح، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، د.ت.

ابن جني، أبو الفتح، **سر صناعة الإعراب**، تحقيق: حسن هندراوي، دمشق، دار القلم، ط١، ١٤١٣هـ.

ابن جني، أبو الفتح، **المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات**، تحقيق: علي ناصف وزميلي، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٣٨٦هـ.

ابن خروف، أبو الحسن، **شرح جمل الزجاجي**، تحقيق: سلوى محمد عرب، مكة المكرمة، نشر جامعة أم القرى، ط١، ١٤١٩هـ.

الخوارزمي، صدر الأفاضل، **التخمير**، تحقيق: عبد الرحمن العثيمين، الرياض، مكتبة العبيكان، ط١، ١٤٢١هـ.

الخليل، زيد، **ديوانه**، صنعه: نوري القيسي، النجف، مطبعة النعمان، د. ت. الذبياني، النابغة، **ديوانه**، تحقيق: محمد الطاهر عاشور، القاهرة، دار السلام، ط١، ١٤٣٠هـ.

ذو الرمة، **ديوانه**، تحقيق: عبد القدوس أبو صالح، بيروت، مؤسسة الإيمان، ط١، ١٤٠٢هـ.

رؤبة، **ديوانه**، عناية: وليم بن الورد، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ط٢، ١٤٠٠هـ.

ابن أبي الربيع، **البيسط في شرح جمل الزجاجي**، تحقيق: عياد الثبيتي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤٠٧هـ.

ابن ربيعة، ليبد، **ديوانه**، تحقيق: إحسان عباس، الكويت، وزارة الإعلام، ط٢، ١٩٨٤م.

ابن السراج، محمد بن سهل، **الأصول في النحو**، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٥هـ.

السكري، أبو سعيد، **شرح أشعار الهذليين**، تحقيق: عبد الستار فراج، القاهرة، مكتبة دار التراث، ط٢، ١٤٢٥هـ.

السهيلي، أبو زيد، **الروض الأنف**، تحقيق: عبد الرحمن الوكيل، عابدين، دار

- انتصار ابن عصفور لسيبويه على المبرد، د. سعود بن أحمد بن عبد الرحمن المنيع
الكتب الإسلامية، ط ١، ١٣٨٧هـ.
- سيبويه، أبو بشر، **الكتاب**، تحقيق: عبد السلام هارون، بيروت، دار الجيل،
ط ١، د.ت.
- السيرافي، أبو سعيد، **شرح كتاب سيبويه**، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، القاهرة،
شركة القدس، د. ت.
- السيوطي، عبد الرحمن، **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع**، تحقيق: عبد العال
مكرم، القاهرة، عالم الكتب، ١٤٢١هـ.
- ابن الشجري، هبة الله، **أمالي ابن الشجري**، تحقيق: محمود الطناحي، القاهرة،
مكتبة الخانجي، ط ١، ١٤١٣هـ.
- الشماخ، ديوانه، تحقيق: أحمد الشنقيطي، مصر، مطبعة السعادة، ١٣٢٧هـ.
- الشلوبين، أبو علي، **التوطئة**، تحقيق: يوسف المطوع، ١٤٠١هـ.
- الشلوبين، أبو علي، **شرح المقدمة الجزولية الكبير**، تحقيق: تركي بن سهو
العتيبي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤١٤هـ.
- الشنتمري، الأعلم، **النكت في تفسير كتاب سيبويه**، تحقيق: زهير سلطان،
الكويت، معهد المخطوطات، ط ١، ١٤٠٧هـ.
- الشنتمري، الأعلم، **تحصيل عين الذهب**، تحقيق: زهير سلطان، بيروت، ط ٢،
١٤١٥هـ.
- الصفار، قاسم بن علي، **شرح كتاب سيبويه**، تحقيق: معيض العوفي، المدينة
النبوية، دار المآثر، ط ١، ١٤١٩هـ.
- الصيمري، أبو محمد، **التبصرة والتذكرة**، تحقيق: فتحي علي الدين، مكة،
جامعة أم القرى، ط ١، ١٤٠٢هـ.
- ابن الضائع، علي، **شرح جمل الزجاجي**، تحقيق: يحيى حسون، بغداد، دار
بغداد، ط ١، ٢٠١٦م.
- العرفي، سيف، **كتاب الإدغام من شرح كتاب سيبويه للسيرافي**، تحقيق:

- سيف العريفي، الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث، ط ١، ١٤٢٩ هـ.
- ابن عصفور، علي بن مؤمن، شرح الإيضاح، جمع وتحقيق: ريهام العمر، رسالة ماجستير، القصيم، كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية، جامعة القصيم، ١٤٤١ هـ.
- ابن عصفور، علي بن مؤمن، شرح جمل الزجاجي، تحقيق: صاحب أبو جناح، بيروت، عالم الكتب، ط ١، ١٤١٩ هـ.
- ابن عصفور، علي بن مؤمن، ضرائر الشعر، تحقيق: السيد إبراهيم محمد، د.م، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٠٢ هـ.
- ابن عصفور، علي بن مؤمن، المفتاح في شرح أبيات الإيضاح، تحقيق: رفيع السلمي، الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث، ط ١، ١٤٣٦ هـ.
- ابن عصفور، علي بن مؤمن، مثل المقرب، تحقيق: صلاح المليطي، القاهرة، دار الآفاق العربية، ط ١، ١٤٢٧ هـ.
- ابن عصفور، علي بن مؤمن، المقرب، تحقيق: أحمد الجواري، وعبد الله الجبوري، مكة المكرمة، مكتبة الفيصلية، ط ١، ١٣٩١ هـ.
- ابن عصفور، علي بن مؤمن، الممتع في التصريف، تحقيق: فخر الدين قباوة، بيروت، دار المعرفة، ط ١، ١٤٠٧ هـ.
- ابن العلي، ضياء الدين، البسيط في النحو، تحقيق: صالح العايد، وتركي بن سهو العتيبي، الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث، ١٤٤٢ هـ.
- العلوي، يحيى بن حمزة، المنهاج شرح جمل الزجاجي، تحقيق: هادي ناجي، الرياض، الرشد، ط ١، ١٤٣٠ هـ.
- العيوني، سليمان، حواشي كتاب سيبويه، مكة، دار طبية الخضراء، ط ٢، ١٤٤٣ هـ.
- الفارسي، أبو علي، التعليقة على كتاب سيبويه، تحقيق: عوض القوزي، القاهرة، مطبعة الأمانة، ط ١، ١٤١٠ هـ.

- انتصار ابن عصفور لسيبويه على المبرد، د. سعود بن أحمد بن عبد الرحمن المنيع
الفارسي، أبو علي، المسائل الحلييات، تحقيق: حسن هندراوي، دمشق، دار
القلم، ط ١، ١٤٠٧هـ.
- الفراء، يحيى بن زياد، معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي
النجار، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ٢، د.ت.
- القرطبي، أبو نصر، شرح عيون كتاب سيبويه، تحقيق: عبد ربه عبد اللطيف،
ط ١، ١٤٠٤هـ.
- القزاز، محمد بن جعفر، ما يجوز للشاعر في الضرورة، تحقيق: رمضان عبد
التواب، صلاح الهادي، القاهرة، ط ١، ١٤١٢هـ.
- المالقي، أحمد، رصف المباني في شرح حروف المعاني، تحقيق: أحمد الخراط،
دمشق، دار القلم، ط ٣، ١٤٢٣هـ.
- ابن مالك، محمد، شرح التسهيل، تحقيق: عبد الرحمن السيد ومحمد المختون،
القاهرة، هجر للطباعة والنشر، ط ١، ١٤١٠هـ.
- المبرد، محمد بن يزيد، المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، القاهرة،
وزارة الأوقاف، ١٣٩٩هـ.
- المبرد، محمد بن يزيد، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق: محمد الدالي، دمشق،
الرسالة العلمية، ط ٥، ١٤٣٢هـ.
- المرادي، ابن أم قاسم، الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق: فخر الدين قباوة،
ومحمد نديم فاضل، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٣هـ.
- ابن ولاد، أحمد بن محمد، الانتصار لسيبويه على المبرد، بيروت، مؤسسة
الرسالة، ط ١، ١٤١٦هـ.
- ابن يعيش، يعيش بن علي، شرح المفصل، تحقيق: عبد اللطيف الخطيب،
الكويت، مكتبة دار العروبة، ط ١، ١٤٣٥هـ.
- ابن يعيش، يعيش بن علي، شرح الملوكي، تحقيق: فخر الدين قباوة، حلب،
المكتبة العربية، ط ١، ١٣٩٣هـ.

Bibliography

- Al Akhfash, Sa'īd bin Mas'adah. *Ma'ani Al-Quran*. Investigated by: Huda Qurā'ah, Cairo, Al Khanji Library, 2nd ed., 1431 AH.
- Al Istrabadi, al-Raḍi. *Sharh Al-Kāfiyyah*. Investigated by: Yousuf Omar, Benghazi, Benghazi University Publications.
- Al-A'sha, Maimoun bin Qais. *His Diwan*, Kuwait, Dar Ibn Qutaiba, 2nd ed., 1993.
- Al-Anbari, Abou al-Barakāt. *Al-Insāf fi Masā'il al-Khilaf*. Investigated by: Jawdah Mabrouk, Cairo, Al Khanji Library, 1st ed., 2002.
- Al-Andalusi, Aou Hayyan. *Al-Tadhyeel wa Al-Takmeel*. Investigated by: Hasan Hindawi, Damascus, Dār Al-Qalam, 1st ed., 1418 AH.
- Ibn Babshadh, Tahir bin Ahmad. *Sharh Jumal Al-Zajjaji*. Investigated by: Ali Tawfiq Al-Hamad, Jordan, World of Books, 1st ed., 2016.
- Al-Batliyosi, Ibn al-Sayyid. *Al-Hulal fi Sharh Abyat al-Jumal*. Investigated by: Mustafa Imam, Cairo, the Egyptian House of Printing and Publishing, 1st ed., 1979.
- Al-Baghdadi, 'Abd al-Qadir. *Khizant al-Adab wa lub libab lisan Al-'Arab*. Investigated by: 'Abd al-Salam Haroun, Cairo, Al-Khanji Library, 4th ed., 1414 AH.
- Al-Baghdadi, 'Abd al-Qadir. *Sharh Abyat Mughni Al-Labib*. Investigated by: 'Abd al-'Aziz Rabah and Ahmad Al-Daqqaq, Damascus, Dār Al-Mamoun for Heritage, 2nd ed., 1407 AH.
- Al-Jurjāni, 'Abd al-Qahir. *Al-Muqtasid fi Sharh al-'Īdāh*. Investigated by: Kazim Al-Murjan, Iraq, Publications of the Ministry of Culture, 1982.
- Al-Jurjāni, 'Abd al-Qahir. *Al-Muqtasid fi Sharh Al-Takimilah*. Investigated by: Ibrahim Al-Dawish, Riyadh, Imam Muhammad bin Saud University Publications, 1st ed., 1428.
- Ibn Jinni, Abou al-Fath, *Al-Khasā'is*. Investigated by: Muhammad Ali Al-Najjar, The Scientific Library.
- Ibn Jinni, Abou al-Fath., *Sirru Ṣinā'at al-I'rāb*. Investigated by: Hasan Hindawi, Damascus, Dār al-Qalam, 1st ed., 1413 AH.
- Ibn Jinni, Abou al-Fath, *Al-Muhtasib fee Tabyeeni Wujouhi Shawath al-Qirā'āt*. Investigated by: Nasif et al., Cairo, The Supreme Council for Islamic Affairs, 1386 AH.
- Ibn Kharouf, A. *Sharh Jumal Al-Zajjaji*. Investigated by: Salwa Muhammad 'Arab, Makkah Al-Mukarramah, Umm Al-Qura University Publishing, 1st ed., 1419 AH.

انتصار ابن عصفور لسيبويه على المبرد، د. سعود بن أحمد بن عبد الرحمن المنيع

- Al Khawarizmi, Sadr al-Afāḍil. *Al-Takhmir*. Investigated by: ‘Abd al-Rahman Al-Uthaymeen, Riyadh, Al-Obaikan Library, 1st ed., 1421 AH.
- Al-Khail, Zaid. *His Diwan*. By Nouri Al-Qaisi, Al-Najaf, Al-Numan Press.
- Al-Dhubyāni, al-Nābigha. *His Diwan*. Investigated by: Muhammad Al-Tahir ‘Āshour, Cairo, Dār Al-Salaam, 1st ed., 1430 AH.
- Dhu- al-Rummah. *His Diwan*. Investigated by: ‘Abd al-Quddus Abu Saleh, Beirut, Al-Iman Foundation, 1st ed., 1402 AH.
- Ru’ba. *His Diwan*. By William Ibn Al-Ward, Beirut, Dār Al-Afaq Al-Jadidah, 2nd ed., 1400 AH.
- Ibn Abi Al-Rabi’. *Al-Basīt fee Sharh Jumal Al-Zajjaji*. Investigated by: ‘Iyad Al-Thubaiti, Beirut, Dār Al-Gharb Al-Islami, 1st ed., 1407 AH.
- Ibn Rabi’ah, Labīd. *His Diwan*. Investigated by: Ihsan ‘Abbas, Kuwait, Ministry of Information, 2nd ed., 1984.
- Ibn Al-Sarraj, Muhammad bin Sahl. *Al-Usoul fi Al-Nahwu*. Investigated by: ‘Abd al-Husain Al-Fatli, Beirut, Al-Resala Foundation, 1st ed., 1405 AH.
- Al-Sukkari, A. *Sharh Asha’ār Al-Huthaliyeen*. Investigated by: ‘Abd al-Sattar Farraj, Cairo, Dār Al-Turath Library, 2nd ed., 1425 AH.
- Al-Suhaili, Abu Zaid. *Al-Rawd Al-Anf*. Investigated by: ‘Abd al-Rahman al-Wakeel, ‘Ābideen, Dār al-Kutub al-Islamiyya, 1st ed., 1387 AH.
- Sibawaih, Abu Bishr. *Al-Kitāb*. Investigated by: ‘Abd al-Salam Haroun, Beirut, Dār Al-Jeel, 1st ed.
- Al-Sirāfi, Abu Sa‘īd. *Sharh Kitāb Sibawaih*. Investigated by: ‘Abd al-Muti‘ Qal‘aji, Cairo, Al-Quds Company.
- Al-Suyouti, ‘Abd al-Rahman. *Ham’u Al-Hawam’i fee Sharh Jam‘ Al Jawāmi‘*. Investigated by: ‘Abd al-‘Āl Mukram, Cairo, ‘Ālam Al-Kutub, 1421 AH.
- Ibn Al-Shajari, Hibat Allah. *Amāli Ibn Al-Shajari*. Investigated by: Mahmoud Al-Tanahi, Cairo, Al-Khanji Library, 1st ed., 1413 AH.
- Al Shammakh. *His Diwan*. Investigated by: Ahmad Al-Shinqiti, Egypt, Al-Sa‘āda Press, 1327 AH.
- Al-Shaloubin, Abu ‘Ali. *Al-Tawti’ah*. Investigated by: Yousuf Al-Mutawa, 1401 AH.
- Al-Shaloubin, Abu ‘Ali. *Sharh al-Muqaddimah al-Jazouliyah al-Kabir*. Investigated by: Turki bin Sahwu Al-‘Utaibi, Beirut, Al-Resala Foundation, 2nd ed., 1414 AH.

- Al-Shantamari, al-A‘lam. *Al-Nukat fee Tafseer Kitāb Sibawaih*. Investigated by: Zuhair Sultan, Kuwait, Manuscripts Institute, 1st ed., 1407 AH.
- Al-Shantamry, al-A‘lam. *Tahseel ‘Ain Al-Dhahab*. Investigation: Zuhair Sultan, Beirut, 2nd ed., 1415 AH.
- Al-Saffar, Q. *Sharh Kitāb Sibawayh*. Investigated by: Mu‘id Al-‘Awfi, Al-Madina Al-Nabawiah, Dār Al-Ma‘āthir, 1st ed., 1419 AH.
- Al-Saimary, Abu Muhammad. *Al-Tabsirah wa Al-Thadhkirah*. Investigated by: Fathi ‘Ali Al-Din, Mecca, Umm Al-Qura University, 1st ed., 1402 AH.
- Ibn Al-Dha‘i’, ‘Ali. *Sharh Jumal Al-Zajjaji*. Investigated by: Yahya Hassoun, Baghdad, Dār Baghdad, 1st ed., 2016.
- Al-‘Arifi, Saif. *Kitāb al-Idghām min Sharh Kitāb Sibawaih li al-Sairafi*. Investigated by: Saif Al-‘Arifi, Riyadh, King Faisal Research Center, 1st ed., 1429 AH.
- Ibn ‘Usfūr, ‘Ali bin Mu‘min. *Sharh al-Īdāh*. Compiled and investigated by: Riham Al-‘Umar, Master Thesis, Qassim, College of Arabic Language and Social Studies, Qassim University, 1441 AH.
- Ibn ‘Usfūr, ‘Ali bin Mu‘min. *Sharh Jumal Al-Zajjaji*. Investigated by: Şahib Abu Junnah, Beirut, World of Books, 1st ed., 1419 AH.
- Ibn ‘Usfūr, ‘Ali bin Mu‘min. *Darā‘ir al-Shi‘r*. Investigated by: Al-Sayyid Ibrahim Muhammad, Dār Al-Andalus printing press, 2nd ed., 1402 AH.
- Ibn ‘Usfūr, ‘Ali bin Mu‘min. *Al-Miftāh fee Sharh Abyat al-Īdāh*. Investigated by: Rafi’ Al-Salami, Riyadh, King Faisal Research Center, 1st ed., 1436 AH.
- Ibn ‘Usfūr, ‘Ali bin Mu‘min. *Mathal Al-Muqrab*. Investigation: Salah Al-Mulaiti, Cairo, Dār Al-Afaaq Al-‘Arabiya, 1st ed., 1427 AH.
- Ibn ‘Usfūr, ‘Ali bin Mu‘min. *Al-Muqreb*. Investigation: Ahmad Al-Jawari, and ‘Abdullah Al-Jabouri, Makkah Al-Mukarramah, Al-Faisaliah Library, 1st ed., 1391 AH.
- Ibn ‘Usfūr, ‘Ali bin Mu‘min. *Al-Mumt‘i fi Al-Tasrif*. Investigated by: Fakhr Al-Din Qabawah, Beirut, Dār Al-Maarifa, 1st ed., 1407 AH.
- Ibn Al-‘Ilj, Diyā’ al-Din. *Al-Basit fee al-Nahw*. Investigated by: Saleh Al-‘Āyid, and Turki bin Sahw Al-‘Utaibi, Riyadh, King Faisal Research Center, 1442 AH.
- Al-‘Alawi, Yahya bin Hamza. *Al-Minhāj Sharh Jumal Al-Zajjaji*. Investigated by: Hadi Naji, Riyadh, Al-Rushd, 1st ed., 1430 AH.

- Al-‘Uyouni, Sulaiman. *Hawāshi Kitāb Sibawaih*. Mecca, Dār Taibah Al-Khadra, 2nd ed., 1443 AH.
- Al-Fārisi, Abu ‘Ali. *Al-Ta’liqa ‘alā Kitāb Sibawaih*. Investigated by: ‘Iwad Al-Quzi, Cairo, Al-Amana Press, 1st ed., 1410 AH.
- Al-Fārisi, Abu ‘Ali. *Al-Masā’il Al-Halabiyyāt*. Investigated by: Hasan Hindawi, Damascus, Dār Al-Qalam, 1st ed., 1407 AH.
- Al-Farrā’, Yahya bin Ziyād. *Ma‘ānī al-Qur’ān*. Investigated by: Ahmad Yousuf Najati and Muhammad ‘Ali Al-Najjar, Cairo, The General Authority of Egyptian Book, 2nd ed.
- Al-Qurtubi, A. *Sharh ‘Uyyoun Kitāb Sibawaih*. Investigated by: ‘Abd Rabbih ‘Abd al-Latif, 1st ed., 1404 AH.
- Al-Qazzaz, Muhammad bin Ja‘far. *Mā yajouz li al-Shā‘ir fee al-Darourah*. Investigated by: Ramadan ‘Abd al-Tawab, Salah Al-Hādi, Cairo, 1st ed., 1412 AH.
- Al-Malaqi, Ahmad. *Rasf al-Mabānī fee Sharh Hurouf al-Ma‘āni*. Investigated by: Ahmad Al-Kharrat, Damascus, Dār Al-Qalam, 3rd ed., 1423 AH.
- Ibn Malik, Muhammad. *Sharh Al-Tasheel*. Investigated by: ‘Abd al-Rahman Al-Sayyid and Muhammad al-Makhton, Cairo, Hajar for printing and publishing, 1st ed., 1410 AH.
- Al-Mubarrid, Muhammad bin Yazid. *Al-Muqtaḍab*. Investigated by: Muhammad ‘Abd al-Khaliq Udayma, Cairo, Ministry of Awqaf, 1399 AH.
- Al-Mubarrid, Muhammad bin Yazid. *Al-Kāmil fee al-Lugha wa al-Adab*. Investigated by: Muhammad Al-Dāli, Damascus, Al-Risalah al-‘Ilmiyyah, 5th ed., 1432 AH.
- Al-Murādi, Ibn Umm Qasim. *Al-Janā al-Dānī fee Hurouf al-Ma‘āni*. Investigated by: Fakhr al-Din Qabawah, and Muhammad Nadim Fadel, Beirut, Dār al-Kutub al-‘Ilmiyya, 1st ed., 1413 AH.
- Ibn Wallad, Ahmad bin Muhammad. *Al-Intiṣār li-Sibawayh ‘alā al-Mubarrid*. Beirut, Al-Resala Foundation, 1st ed., 1416 AH.
- Ibn Ya‘īsh, Ya‘īsh bin ‘Ali. *Sharh al-Mufasal*. Investigated by: ‘Abd al-Latif Al-Khatib, Kuwait, Dār Al-‘Urubah Library, 1st ed., 1435 AH.
- Ibn Ya‘īsh, Ya‘īsh bin ‘Ali. *Sharh Al-Malouki*. Investigated by: Fakhr al-Din Qabawah, Aleppo, The Arab Library, 1st ed., 1393 AH.

**التماسك المعجمي في سورة (الإنسان) في ضوء علم اللغة
النصي لتعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها**

Lexical coherence in surah (Aliinsan) in view
of text linguistic
for learners of Arabic which are non-native speakers

د. مصطفى سعد عبد الرحمن الخضر

الأستاذ المساعد بمعهد تعليم اللغة العربية بالجامعة الإسلامية

البريد الإلكتروني: al-kheder@hotmail.com

المستخلص:

يناقش هذا البحث موضوع التماسك المعجمي في سورة (الإنسان) في ضوء علم اللغة النصي، وذلك من خلال اختيار مجموعة من الموضوعات المعجمية التالية: التكرار، والتضام، والمصاحبة اللفظية، وتهدف هذه الدراسة إلى تفسير دور الظواهر المعجمية في وجود الاتصال والربط بين السابق واللاحق من الآيات القرآنية، ومعرفة أهميتها في ضمان استمرارية الأفكار والأحداث فيها، ومن النتائج التي توصل إليها الباحث ما يلي: - إن دور التماسك المعجمي مفيد جداً في ربط آيات السورة مع بعضها بعضاً. - إن مفاهيم وعلاقات الخاص والتكرار والمصاحبة كانت الأعلى في السورة، وإن وجود التقابل والترادف والتضمن وغيرها زاد من تماسكها وترابطها - تراوح عدد الروابط المعجمية بين رابط واحد وربطين في السورة - تيسير تعليم التماسك المعجمي لغير الناطقين بالعربية من خلال فهم العلاقة الرابطة بين أجزاء الآيات. وأوصى الباحث بالاهتمام بتدريس الروابط المعجمية باعتبارها وحدات منظمة للنص ومراعاة انسجامها مع النمط المقرر في المناهج الدراسية.

الكلمات المفتاحية: التماسك المعجمي، علم اللغة النصي، متعلمو اللغة العربية الناطقين بغيرها).

Abstract:

This research discusses object of lexical coherence in surah (Aliinsan) in view of text linguistic, and that through choosing collection of the following lexical topics: repetition, collecting, verbal accompaniment

And this study aims to explain role of lexical phenomena in the presence of connection and link between the previous and the later of Quranic verses, know its importance in ensuring continuity of ideas and events in it, and the results which the researcher reached it, the following:

- A) The role of lexical coherence is very useful in linking surah verses with each other.
- B) concepts and private relationships, repetition and accompaniment were the highest in Surah and presence of synonyms, antonyms, inclusion and others increased from its cohesion and interconnection.
- C) Numbers of lexical links ranged between one and two links in surah.
- D) Facilitation of teaching of lexical coherence for non -native speakers of Arabic through understanding the bonding relationship between parts of verses.

المقدمة

عُني العلماء العرب القدامى بالقرآن الكريم عناية فائقة، وخدموه خدمة لا مثيل لها، واستمرّ العمل إلى عصرنا هذا حيث وظّفوا معطيات علم اللغة النصي الذي هو أحد فروع علم اللغة التطبيقي في هذه الخدمة؛ ومنها دراسة التماسك المعجمي: (التكرار والتضام والمصاحبة اللفظية) وغيرها من القضايا النصية اللسانية، التي تُنمّي النص، وتضيف إليه عناصر جديدة، وهذا ما نجده في تكرار الآيات الآتية، في قوله - عزّ وجلّ- في سورة الإنسان: ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر . . . (١) إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه . . . (٢)

كذلك من الأمثلة على التضام: علاقة الجزء بالجزء، قوله - عزّ وجلّ-: ﴿فوقاهم الله شرّ ذلك اليوم (١١) . . . ومن الليل فأسجد له . . . (٢٦) . . . إنّه هؤلاء يجبون العاجلة ويذرون وراءهم يوماً ثقيلاً (٢٧)﴾، فقله سبحانه: فوقاهم الله شرّ ذلك اليوم (جزء من الناس)، وقوله أيضاً: ومن الليل (جزء من الليل).

ونجد علاقة التضاد أيضاً بين: الحياة الدنيا والحياة الآخرة في قوله تعالى: (إنّ هؤلاء يجبون العاجلة...). وهذا مما يجعل السورة متنامية ومترابطة تقوي النصّ وتزيده بلاغة وإعجازاً.

إن المتأمل في النصّ القرآني يلحظ أنه ليس مجرد ألفاظ وإشارات ورموز، ومقاطع صوتية . . . وإنما هو بناء متكامل عناصره متعددة، ووظائفه متشعبة، ودراسته متباينة بتباين الهدف الذي يرمي إليه الدارس أو المحلل نفسه، ومن أهم الأبعاد التي يمكن أن تكون متضمنة في النص: أ- البعد التركيبي النظمي. ب- والبعد الزمني. ج- والبعد المكاني. د- والبعد الفكري بما يتضمنه من أفكار جزئية وكلية. هـ - والبعد السياقي الذي يقسّم إلى: السياق المقامي، والسياق المقالي. و- والبعد الوظيفي من حيث ملاحظة الدارس، هل حقق النص بعناصره الغرض المنشود منه.

ز- وأبعاد أخرى تتبع نظرة المدرسة التي ينتمي إليها الباحث اللغوي نفسه^(١). وعلاوة على ما سبق فيجب الاهتمام بتعليم اللغة وتيسير تعليمها من خلال الطرق المختلفة التي تصبّ في وعاء واحد هو تذليل العقبات لغير الناطقين بالعربية وتيسير تعليمهم لغة القرآن الكريم والدين الحنيف.

خطة البحث: يتكون البحث من ملخص ومقدمة وثلاثة مباحث، وذلك على

النحو الآتي:

المبحث الأول: يتطرق إلى مشكلة الدراسة، وأسئلتها، وأهميتها، وأهدافها، وأسباب اختيار الموضوع، ومنهج البحث، وحدوده، ومصطلحاته.

المبحث الثاني: الدراسات السابقة، وتنقسم إلى قسمين:

أولاً: علم اللغة النصي: تعريفه ومعايره والاتساق المعجمي.

ثانياً: الأبحاث السابقة في علم اللغة النصي.

المبحث الثالث: الدراسة التطبيقية التحليلية، وتنقسم إلى قسمين: أولاً: التحليل والوصف. وثانياً: المناقشة، وفيها الموضوعات التالية: (أولاً: التكرار. ثانياً: التضام. ثالثاً: المصاحبة).

وأخيراً، الخاتمة ثم المصادر والمراجع.

(١) جمعة، خالد محمود. ٢٠٠٨م. الدراسة اللسانية الإحصائية للنص ومناهجها. مجلة العقيق. نادي المدينة المنورة الأدبي الثقافي، العددان: ٦٥-٦٦. المجلد الثالث والثلاثون. ص ١١١-١٤٢.

المبحث الأول

يتطرق هذا المبحث إلى المسائل الآتية:

مشكلة الدراسة، وأسئلة الدراسة، وأهمية الدراسة، وأهداف الدراسة، وأسباب اختيار الدراسة، ومنهج البحث، وحدود البحث، ومصطلحات البحث والحدود الزمانية والمكانية.

أ- مشكلة البحث

تحدد مشكلة البحث الحالي في تحليل مفهوم التماسك المعجمي لسورة (الإنسان) في ضوء علم اللغة النصي، وذلك من خلال علاقات التكرار والتضام والمصاحبة، التي تسهم في تحقيق التماسك المعجمي للسورة، وذلك لتيسير تعليمها لغير الناطقين بالعربية وتمكينهم من فهم اللغة فهماً صحيحاً، وعلى سبيل المثال لا الحصر يجدر هنا التمثيل على التكرار والتوازي في قوله تعالى في سورة الإنسان: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نَظْفَةٍ... إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ...﴾^(١). فالتكرار والتوازي في الآيتين أدّى إلى تنامي النص القرآني وترابطه واتساقه وزيادته؛ وهذا من إعجاز هذا الكتاب الخالد.

ب- أسئلة الدراسة

يجيب البحث عن الأسئلة الآتية:

- ١- ما دور التماسك المعجمي في اتساق النص وترابطه؟
- ٢- ما العلاقات المعجمية التي تبني اتساق النص القرآني؟
- ٣- ما الروابط المعجمية التي تشارك في اتساق النص القرآني؟
- ٤- كيف نستفيد من الاتساق المعجمي في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها؟

ت- أهمية البحث

تتضح أهمية البحث فيما يأتي:

- ١- تحليل سورة من سور القرآن العظيم، وهي سورة (الإنسان)؛ تفاعلاً بأن يجعلنا الله من أهل النعيم الذي ذُكر فيها.
- ٢- بيان تماسك السورة؛ وذلك من خلال توظيف المفاهيم المعجمية.
- ٣- تيسير فهم القرآن الكريم لغير الناطقين بالعربية.
- ٤- توضيح المعاني البديعة للآيات؛ وذلك من خلال توظيف مفهوم علم اللغة النصي.
- ٥- إفادة الباحثين والمتعلمين بالمفاهيم المعجمية من خلال تطبيقها على سورة من سور القرآن الكريم.

ث- أهداف البحث

يهدف البحث إلى تحقيق ما يأتي:

- معرفة دور التماسك المعجمي في اتساق النص وترابطه.
- بيان العلاقات المعجمية التي تبني اتساق النص القرآني.
- معرفة الروابط المعجمية التي تشارك في اتساق النص القرآني.
- بيان معرفة الاتساق المعجمي والاستفادة منه.

ج- أسباب اختيار البحث

لقد تم اختيار البحث وذلك للأسباب الآتية:

- ١- كون السورة - موضوع الدراسة - من سور القرآن العظيم؛ تفاعلاً بالنعيم الذي ذُكر فيها.
- ٢- نيل شرف خدمة الكتاب العظيم والاستفادة من معينه.

٣- القيام بالتحليلات المعجمية النصية؛ لسهولة تفسير القرآن الكريم، وفهم معناه للناطقين بغير اللغة العربية.

٤- بيان تماسك سورة (الإنسان)؛ وذلك من خلال دراسة مفهوم التماسك المعجمي.

٥- الإفادة من الدراسات اللسانية التطبيقية الحديثة في فهم القرآن الكريم.

ح- منهج البحث

اتبع البحث المنهج الوصفي التحليلي؛ وذلك من خلال نظريات علم النص ومعطياته؛ اعتماداً على الشبكة التي وضعها هاليداي وحسن، والتوضيح الذي أضافه خطابي^(١). ومع إضافة خانة أخرى للنسب المئوية لكل عنصر من العناصر اللغوية موضوع البحث^(٢)، وفيما يأتي بيان ذلك:

١- تمّ وضع رقم لكل آية؛ وذلك حسب تدرج السورة من البداية إلى النهاية، وهو الرقم الموجود في الخانة الأولى من الشبكة أو (الجدول).

٢- الرقم المدرج في الخانة الثانية يعني عدد الروابط المستعملة في الجملة القرآنية؛ سواء كانت هذه الروابط داخل الجملة نفسها، أم رابطة إياها مع جمل سابقة.

٣- تمّ وضع العنصر الاتساق في الخانة الثالثة؛ حيث يتضمن وسيلة اتساق.

٤- في الخانة الرابعة نوع الرابط في العنصر الاتساق: [تض = تضام - تك = تكرير - مص = مصاحبة].

٥- في الخانة الخامسة (المسافة) رقم يشير إلى عدد الجمل الفاصلة بين العنصر

(١) خطابي، محمد. ٢٠٠٦م. لسانيات النص مدخل إلى انسجام النص. الطبعة الثانية، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي. ص ٢١٣-٢١٤.

(٢) جاسم، جاسم علي. ٢٠١٨م. أبحاث في علم اللغة النصي وتحليل الخطاب. ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية. ص ٥٨ وما بعدها.

المفترض والعنصر الاتساقى.

٦- أما الخانة السادسة فهي خاصة بالعنصر المفترض (الكلمة المحال إليها، أو المكررة...).

٧- أما الخانة السابعة فسندكر النسبة المئوية لحالات تكرار كل عنصر من العناصر المكررة، (بمعنى أننا سندكر النسبة المئوية لكل حالة، وفي حال تكرار الحالة غير مرة سنضع لها إشارة: = للدلالة على أن الحالة ذُكرت سابقًا).

خ- حدود البحث

يتطرق البحث إلى تحليل المفاهيم المعجمية التالية: (التكرار، والتضام، والمصاحبة اللفظية) في سورة (الإنسان) من خلال علم اللغة النصي.

-الحدود الزمانية: الفصل الدراسي الأول لعام ١٤٤٤هـ.

-الحدود المكانية: معهد تعليم اللغة العربية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

د- مصطلحات البحث

فيما يأتي نتطرق إلى تعريف أهم المصطلحات التي تناولها البحث؛ وذلك على النحو الآتي:

- علم اللغة النصي: هو علم يبحث في أبنية النص وصياغاتها، مع إحاطته بالعلاقات الاتصالية والاجتماعية والنفسية العامة. (١)

-التعريف الإجرائي: هو العلم الذي يدرس بنية النص وفهم معانيه فهمًا سليمًا.

-التماسك/ الاتساق: هو ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة

(١) هاينه من، فولفجانج وفيهفيجر، ديتز. ١٩٩٩م. مدخل إلى علم اللغة النصي. ترجمة: فالخ بن شبيب العجمي. الرياض: جامعة الملك سعود - النشر العلمي والمطابع. ص ٦.

لنص/خطاب ما. (١)

-التعريف الإجرائي: هو العلاقة بين الكلمات في الجملة لمعرفة معناها معرفة دقيقة.

- **الاتساق الخطي**: هو تتبع الوسائل التي تجعل النص متسقاً خطياً. أو هو

العلاقة في مستوى الجمل والمتواليات (عدة جمل). (٢)

-التعريف الإجرائي: هو فهم العلاقة فيما بين الجمل فهماً صحيحاً.

- **الاتساق العمودي**: هو الذي يُبيّن العلاقة بين المقاطع التي يتكون منها

النص. أو هو: الحوار بين مقاطع السورة. (٣)

-التعريف الإجرائي: هو ربط أول النص بآخره وكأنه جملة واحدة.

- **التماسك المعجمي**: هو توظيف المفاهيم المعجمية: (التكرار والتضام

والمصاحبة اللفظية) التي تجعل النص مترابطاً على المستوى السطحي. (٤)

-التعريف الإجرائي: هو فهم وبيان المفاهيم المعجمية وكأنّ النص جملة واحدة.

- **التماسك الدلالي**: هو الآليات التي تتجاوز المستوى السطحي إلى مستوى

مجموعة المفاهيم الرابطة بين مكونات النص. (٥)

-التعريف الإجرائي: هو فهم العلاقة ما بين هذه الجمل في السورة.

- **التماسك النصي**: هو توظيف الآليات النحوية في الربط بين أجزاء النص،

ومن ثم فهم المعنى عبر رؤية متماسكة لا تقتصر في تحليلها على الجملة أو مجموعة

الجمل. (٦)

(١) خطاي، ٢٠٠٦م. المرجع السابق ص ٥.

(٢) المرجع السابق ص ٢٣٤.

(٣) المرجع السابق ص ٢٣٤.

(٤) رشيد، آليات التماسك النصي ص ١٧.

(٥) المرجع السابق ص ١٩.

(٦) المرجع السابق ص ١٩.

-التعريف الإجرائي: هو فهم النص فهماً كاملاً من خلال المفاهيم المعجمية المدروسة (التكرار والتضام والمصاحبة)

- المصاحبة اللفظية: عبارة عن كلمتين أو أكثر، تواتر استعمالها عند الناس، فإذا ذكرت إحدى المفردات استدعت غيرها في الجملة لصلتها الوثيقة بها، ومناسبتها لها في التركيب أو الجملة^(١).

-التعريف الإجرائي: هو مجيء كلمتين متحدتين في المعنى.

(١) الحلوة، نوال بنت إبراهيم بن محمد. ٢٠١٢م. المصاحبة اللفظية ودورها في تماسك النص مقارنة نصية في مقالات د. خالد المنيف. مجلة الدراسات اللغوية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية. العدد الثالث، المجلد الرابع عشر ص ٥٩-١٢٤.

المبحث الثاني

يتطرق هذا المبحث إلى الدراسات السابقة، وتنقسم إلى قسمين:
أولاً: علم اللغة النصي: تعريفه ومعاييرهِ والتماسك المعجمي، وتعليمه لغير الناطقين بالعربية.

ثانياً: البحوث السابقة في مجال علم اللغة النصي.

أولاً: علم اللغة النصي: تعريفه ومعاييرهِ والاتساق المعجمي

أ- تعريفه

ظهر مصطلح علم اللغة النصي في النصف الثاني من القرن العشرين، إلا أنّ مضمونه يتضح جلياً في علم البلاغة العربية، ويعتبر علم المعاني عمود هذا العلم بلا منازع؛ حيث تظهر أهميته في انسجام النص وترابطه، وتعتبر علوم القرآن الكريم بداية أصيلة لعلم اللغة النصي الذي هو أحد فروع علم اللغة التطبيقي؛ حيث تشمل على دراسة الاتساق، والتماسك، والمناسبة، والتكرار، وغيرها من القضايا المهمة في مباحث لسانيات النص. (١)

أما بالنسبة للأوروبيين فيرون أنه علم معرفي جديد^(٢)، نشأ في النصف الثاني من الستينيات والنصف الأول من السبعينيات للقرن الماضي، وبعد ذلك الوقت بدأ يزدهر ويتطور، وهو لا يدرس أبنية النص فحسب، بل يدرس كذلك صفات التوظيف الاتصالي للنصوص.

إذاً فعلم اللغة النصي هو: علمٌ يبحثُ في أبنية النص وصياغاتها، مع إحاطته بالعلاقات الاتصالية والاجتماعية والنفسية العامة. ويجب أن يظل النص هدف البحث في علم اللغة النصي ونقطة انطلاقه، ويجوز تضافر العلوم في معالجة النص دون مبالغة؛ لأن النص نفسه هو الأساس المبدئي الأصلي في علم النص، وهي المهمة

(١) جاسم، ٢٠١٨م. المرجع السابق. ص ٥

(٢) هاينته من، وفيهفيجر. ١٩٩٩م. المرجع السابق. ص ٣.

الأساسية لعلم اللغة النصي على الإطلاق^(١).

ويذكر كالمالير في تعريفه لمفهوم النص بأنه: "مجموع الإشارات الاتصالية التي ترد في تفاعل توافلي^(٢)".

ويؤكد الجرجاني على أهمية وجود علاقات بين أجزاء الكلم التي تجعله مترتباً منتظماً، وذلك بقوله^(٣): "... أن لا نظم في الكلام ولا ترتيب، حتى يعلق بعضها ببعض، وتعمل هذه بسبب تلك". وهذا الكلام يشير إلى مفهوم التماسك في الكلام أو النص، وأنّ كلام ربّنا - تبارك وتعالى - نصٌّ موحدٌ منظمٌ بأجزائه المترابطة لا يمكن التبديل فيه؛ لما له من تماسك عجيب بين ألفاظه وجمال نسجه.

ب- معايير علم اللغة النصي

هناك معايير عديدة لهذا العلم وهي: اتساق النص، والانسجام، والنص واللائق والنصية، والقصدية، والتقبلية، ورعاية الموقف، والإعلامية، والتناص، وهي مبسّطة في مظانها الرئيسة^(٤).

ت- التماسك المعجمي

يعتبر التماسك المعجمي من مظاهر اتساق النص^(٥). وينقسم إلى الأنواع الآتية: التكرير، والتضام، والمصاحبة اللغوية^(٦).

(١) هاينه من وفيهفيجر. ١٩٩٩م. المرجع السابق. ص ١١.

(2) Kalimeyer, W. U. A. 1980. Lektüre koflegzur text linguistik. Bd.I. Einfutirung.Konigston, TS. P.45.

كالمالير، ١٩٨٠م، ص ٤٥، نقلاً عن: هاينه من وفيهفيجر. ١٩٩٩م. المرجع السابق. ص ٨-٩.

(٣) الجرجاني، أبوبكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد. ١٩٩٢م. دلائل الإعجاز. تحقيق: محمود محمد شاكر. القاهرة: مكتبة الخانجي. ص ٥٥.

(٤) خطابي. ٢٠٠٦م. المرجع السابق. ص ٥-٦، ١٢-١٦.

(٥) خطابي. ٢٠٠٦م. المرجع السابق. ص ٢٤-٢٥ / ٢٣٧-٢٣٨.

(٦) خطابي. ٢٠٠٦م. المرجع السابق. ص ٢٤-٢٥ / ٢٣٧-٢٣٨.

- الحلوة، ٢٠١٢م. المرجع السابق ص ٥٩-١٢٤.

النوع الأول: التكرير^(١): يعتبر أحد أشكال التماسك المعجمي الذي يتطلب إعادة عنصر معجمي، أو ورود مرادف له، أو شبه مرادف، أو اسماً عاماً، أو عنصراً مطلقاً.

وهناك أنواع كثيرة للتكرار، منها: تكرار الحروف، والعبارات، والجمل، والكلمات، والفقرات^(٢). ويقوم التكرار بتحقيق التماسك النصي عن طريق امتداد عنصر ما من بداية النص إلى نهايته، ويربط هذا الامتداد بين عناصر النص مع معاونة عناصر الاتساق.

النوع الثاني: التضام: وهو مجيء كلمتين بالفعل أو بالقوة نظراً لارتباطهما بحكم هذه العلاقة أو تلك^(٣)، مثال ذلك:
(يدرس محمد صباح مساء).

فكلمتي: (صباح ومساء) ليستا مترادفتين، ومع ذلك فإن مجيئهما في خطابٍ ما يُساهم في النصية. وعند الاطلاع على رأي هاليداي وحسن، هناك عدة علاقات نسقية تحكم هذه الأزواج من الكلمات في خطابٍ ما، منها:

- علاقة التعارض، كما هو الأمر في أزواج كلمات، مثل: أضحك وأبكى، أمات وأحيا، ولد وبنت، جلس ووقف...إلخ.
- علاقة التكامل والتطابق.
- علاقة الكل - الجزء، أو الجزء - الجزء.
- علاقة العام - الخاص، أو عناصر من القسم العام نفسه: كرسي، طاولة، (وهما عنصران من اسم عام هو التجهيز...)، على أن رجح الأزواج إلى علاقة واضحة

(١) هاليداي وحسن، Op. Cit p.279، نقلاً عن: خطابي. ٢٠٠٦م. المرجع السابق. ص ٢٤-٢٥ / ٢٣٧-٢٣٨.

(٢) عبد الرحمن، لبنى؛ عبد الرحمن، أكمل خزيري؛ يوب، شمس الجميل. ٢٠١١م. مظاهر الاتساق في النص القرآني: دراسة وصفية لغوية. مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا، عدد خاص، لسانيات تطبيقية. السنة الثانية. ص ٢١.

(٣) خطابي. ٢٠٠٦م. المرجع السابق. ص ٢٥.

تحكمها ليس دائماً أمراً هيناً، هذا إذا كان ممكناً، مثال ذلك الأزواج التالية: المحاولة، النجاح، المرض، الطبيب، النكتة، الضحك...^(١).

وباستطاعة المتعلم تجاوز هذه الصعوبة بإيجاد سياق تترابط فيه العناصر المعجمية؛ معتمداً في ذلك على ملكته اللغوية، إضافة إلى علمه بمعاني الكلمات وغير ذلك، بمعنى أنه لا يوجد مقياس ثابت يجعلنا نعتبر هذه الكلمة أقرب إلى هذه المجموعة أو تلك، ومن ثم فكل ما نستطيع قوله هو: إن هذه الكلمة أشد ارتباطاً بهذه المجموعة من ارتباطها بمجموعة أخرى^(٢).

وعندما يتمّ النظر إلى التماسك المعجمي من هذه الزاوية نكون قد توصلنا إلى أمور مهمّة، وهي: أنّ "ورود العنصر في سياق العناصر المتعاقبة هو الذي يُهيئ التماسك ويُعطي المقطع صفة النص"^(٣).

النوع الثالث: المصاحبة اللفظية (الضمائم)، وتعني: أنّ كل شيء لازم شيئاً فقد استصحبه^(٤).

وبتعريف آخر: هي تجمع تركيبية جاهز تلازمت مفرداته، ثم تواتر استعمالها، فإذا ذُكر أحد هذه المفردات استدعى الآخر، وقابل للفك والاستبدال، ويعبر عن

(١) خطابي. ٢٠٠٦م. المرجع السابق. ص ٢٥.

(٢) خطابي. ٢٠٠٦م. المرجع السابق. ص ٢٥.

(٣) هاليداي وحسن. Op. Cit p.289، نقلاً عن: خطابي. ٢٠٠٦م. المرجع السابق. ص ٢٣٨.

(٤) الفراهيدي، الخليل بن أحمد. ٢٠٠١م. العين. الطبعة الأولى، بيروت: دار إحياء التراث. مادة: (ص. ح. ب).

- ابن منظور. جمال الدين بن مكرم. ١٩٥٥م. لسان العرب. الطبعة الأولى، بيروت: دار صادر. مادة: (ص. ح. ب).

تجربة لجماعة؛ لذا يخضع للعُرف ولا يخضع للمنطق^(١).

وتعتبر الضمائم ظاهرةً شائعة في جميع اللغات، واعتبرها علماء اللغة من الكليات اللغوية. وتُسميت بعض أنماط المصاحبة اللفظية عند البلاغيين العرب القدامى: بالمشاكلة، والتطابق، والتناسب ومراعاة النظر، والمزاوجة^(٢)، ودرسها المعاصرون تحت عدة أبواب، كالتوارد والتلازم، والاقتران الدلالي والتضام، وما زال الخلاف قائماً حول ضمّهما لأيٍّ من هذه المصطلحات الثلاثة. ومن وجهة نظر (الحلوة) أن المصاحبة حالة متوسطة بين التوارد وهو التصاحب الحرّ للمفردات، وبين التلازم -التعابير الاصطلاحية- وهو التصاحب المقيد للمفردات^(٣).

أنماط المصاحبة

هناك أنماط عديدة للمصاحبة، يتمّ إيجازها فيما يأتي^(٤):

١- المصاحبة بالتنافر: "وهو عدم التطابق بين الوحدات اللغوية"^(٥) ويقع داخل الحقل الدلالي الواحد، وهو يشير إلى فئة من المفردات يؤدي اختيار إحداها إلى استبعاد

(١) الحلوة. ٢٠١٢م. المرجع السابق. ص ٦٩.

- خطايي. ٢٠٠٦م. المرجع السابق. ص ٢٥، ٢٣٨.

- عمر، أحمد مختار. ١٩٩٣م. علم الدلالة. الطبعة الرابعة، القاهرة: عالم الكتب. ص ٧٤.

- عبد العزيز، محمد حسن. ١٩٩٠م. المصاحبة في التعبير اللغوي. الطبعة الأولى، القاهرة: دار الفكر العربي. ص ٤٠.

- مراد، إبراهيم. الوحدة المعجمية بين الأفراد والتضام والتلازم. مجلة الجمعية المغربية للدراسات المعجمية، العدد الخامس. ص ٢٣.

(٢) السكاكي. ١٤٠٠هـ. مفتاح العلوم. تحقيق: أكرم عثمان يوسف. بغداد: جامعة بغداد. ص ٤٢٣، ٤٣٤.

(٣) الحلوة. ٢٠١٢م. المرجع السابق. ص ٦٩.

(٤) الحلوة. ٢٠١٢م. المرجع السابق. ص ٧٤-٧٧.

(٥) كمال الدين، حازم. علم الدلالة المقارن. القاهرة: مكتبة الآداب. ص ٦٥٦.

- عمر. ١٩٩٣م. المرجع السابق. ص ٩٩.

- الكلمات الأخرى، مما يقع تحت مظلة هذا الحقل، مثل: (طير- خروف) فهما متنافرتان فيما بينهما، وكذلك (الجوع والخوف)، و(البرق والرعد)، و(الدهر والسنة).
- ٢- التقابل: "وهو تعاكس الدلالة"، أي أن تأتي بكلمتين متضادتين في الجملة الواحدة^(١)، مثل: حار وبارد، ليل ونهار، حي وميت.
- ٣- الترادف: "كل حرفين أوقعتهما العرب على معنى واحد"^(٢)، ومن أمثله (شُرعة ومنهجا) و(ضيِّقا حرجًا) و(السِّر والنجوى).
- ٤- التضمين: "هو علاقة تشتمل على معنى جزئي محدد يندرج تحت معنى عام"، ويسمى كذلك: "الانضواء، أو علاقة الجزء بالكل"، ولعلّ مصطلح: "التضمين" أشيع^(٣)، ومثاله كلمة: "العشاء" تندرج تحتها كلمة: "الليل، والليل يتضمنه اليوم، واليوم يتضمنه الأسبوع، ثم الشهر، ثم الفصل، ثم السنة". وتلاحظ في هذا المثال أن جميع الكلمات أصبحت غطاءً سوى السنة، ويُقر اللغويون أن التضمين من أوسع العلاقات الدلالية وأكثرها انتشاراً وشيوعاً داخل الحقل، ومن أمثلة المصاحبة فيه (ساعة من نهار)، و(زلفاً من الليل)، و(آناء الليل)^(٤).
- ٥- الاشتمال: يُسمّى كذلك بعلاقة (العموم والخصوص) وهو: "أن تكون هناك مجموعة من الكلمات ليس لها كلمة غطاء، بل تكون شبكة العلاقات بينها

(١) بالمر، فرانك. ١٩٩٧م. مدخل إلى علم الدلالة. ترجمة: خالد جمعة. الطبعة الأولى،

الكويت: مكتبة دار العروبة. ص ١٤٤.

- لاينز، جون. ١٩٨٠م. علم الدلالة. ترجمة: مجيد الماشطة وآخرون. البصرة: جامعة البصرة، كلية الآداب. ص ٩٥.

- بالمر. ١٩٩٧م. المرجع السابق. ص ١٤٤.

(٢) ابن الأنباري. الأضداد. بيروت: دار صادر. ص ٧.

(٣) بالمر. ١٩٩٧م. المرجع السابق. ص ١٤٠.

- كمال الدين. المرجع السابق. ص ١٥٩.

(٤) الحلوة. ٢٠١٢م. المرجع السابق. ص ٧٥-٧٦.

مرتبطة بمعنى عام تندرج تحته معاني خاصة^(١)، ومن ذلك: "البغض عام، والفرك بين الزوجين خاص"، و"النظر إلى الأشياء عام" و"الشيم للبرق خاص"، و"الغسل للأشياء عام، والقصاراة للثوب خاص"^(٢).

٦- الاتباع اللفظي: -المزاوجة-: وهو أن تأتي الكلمة مصاحبة لكلمة أخرى على النسق اللفظي نفسه لمجرد المضارعة اللفظية إذ تحمل اللفظ على المجاورة^(٣)، وقد قام ابن فارس بتقسيم المزاوجة اللفظية إلى قسمين^(٤):

(١) أن تكون المفردة الثانية ذات معنى معروف، لكنها جاءت إتباعاً لما قبلها، مثل: "خائب لائب"، و"رجل طب لب".

(٢) أو أن تكون الثانية غير واضحة في المعنى ولا سليمة في الاشتقاق، حيث روى أن بعض العرب سئل عن هذا الإتيان فقال: "هو شيء نَتَدُّ به كلامنا"، أي نؤكد به، مثل: "خَبَاب تَبَاب"، "تَبَاب" مزاوجة لا معنى لها، وكذلك قولهم "خبيث نبيث، فـ: "نبيث" مزاوجة، و"عطشان نطشان"، إتباع ومزاوجة. وهذا يثبت إثبات العرب للمزاوجة، إذ بها تتغير قواعد اللغة لمجرد الإتيان اللفظي؛ وقد ورد من ذلك الحديث الشريف^(٥): "فارجعن

(١) عمر. ١٩٩٣م. المرجع السابق. ص ٩٩.

- الخولي، محمد علي. ٢٠٠١م. علم الدلالة (علم المعنى). عمان: دار الفلاح. ص ١٥٨.

- كمال الدين. المرجع السابق. ص ١٥٨.

(٢) للمزيد انظر، الحلوة. ٢٠١٢م. المرجع السابق. ص ٧٦.

(٣) الثعالبي، أبو منصور أحمد بن ثعلب. ١٩٨٩م. فقه اللغة وسر العربية. تحقيق: سليمان

البواب. الطبعة الثانية، دمشق: دار الحكمة. ص ٣٥٨.

- الحلوة. ٢٠١٢م. المرجع السابق. ص ٧٦-٧٧.

(٤) ابن فارس، أحمد بن زكريا. د.ت. الإتيان والمزاوجة. تحقيق: كمال مصطفى. القاهرة: مكتبة

الخانجي بمصر، بغداد: مكتبة المثنى. ص ٢٨.

(٥) ابن ماجه، أبو عبدالله محمد بن يزيد. ب.ت. سنن ابن ماجه. تحقيق: محمد فؤاد عبد

الباقي. ج ١، الباب: ٥٠ ما جاء في اتباع النساء الجنائز، دار إحياء الكتب العربية -

فيصل عيسى البابي الحلبي. الحديث: ضعّفه الألباني. ص ٥٠٢.

مأزورات غير مأجورات" ، أصلها بالواو: "موزورات" ، إذ تمّ تغيير الكلمة المصاحبة لغويّاً ؛ لأجل الإتيان والمزاوجة، ومنه "هنيئاً مريئاً"^(١) وكل ذلك من أجل التشاكل اللفظي، حيث المصاحبة فيها تُشكّل كتلاً من التطريز اللغوي داخل النص، حيث يؤدي إلى شدّ النص وسبكه^(٢).

٧- التلازم الذكري: وهو ما يُعرف عند علماء البلاغة القدامى بـ (مراعاة النظر)، وهو أن تجمع في الكلام بين أمرٍ وما يناسبه لا بالتضاد؛ لأنّ جميع العلاقات السابقة تقع داخل الحقل الدلالي بناءً على ارتباط دلالي واضح بين المتلازمين، إلا أن هناك بعض المتصاحبات لا يمكن ربطها دلاليّاً في ضوء العلاقات الدلالية داخل الحقل، وإنما هي مفردات إذا ذُكرت استدعت مصاحبها دون وجود رابط لها، إنما يحكمها الإلف والعادة والمنطق، والإطار العام الذي يحيط بها عند الجماعة اللغوية، فعلى سبيل المثال لا الحصر ذُكِرَ الليل يستدعي الكلمات الآتية: (السري - البيّات - التوم - البستر - السهر)، فكلُّ مفردة من هذه المفردات تستدعي أخرى دون قانون يحكمها^(٣)، كذلك من أمثلة المتصاحبات فيه (كسفتِ الشمس)، و(خسف القمر) و(خفض جناحه)، و(خفق قلبه) و(جحر الضب)، و(عريئ الأسد)^(٤) - ولاشك أن علم اللغة النصي يلعب دوراً كبيراً في تعليم اللغة العربية غير الناطقين بها، وذلك من خلال المفاهيم المعجمية المختلفة، حيث يلعب دوراً رئيساً في

(١) خطابي. ٢٠٠٦م. المرجع السابق. ص ٢٥.

- فرج، حسام. ٢٠٠٧م. نظرية علم النص. الطبعة الأولى، القاهرة: مكتبة الآداب. ص ١١٥.

(٢) الحلوة. ٢٠١٢م. المرجع السابق. ص ٧٧.

(٣) القزويني، أبو عبدالله زكريا بن محمد بن محمود. ١٤٠٣هـ. الإيضاح. تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجة. الطبعة الخامسة. بيروت: دار الكتاب اللبناني. ص ٤٨٨.

- علان، إبراهيم محمود. ٢٠٠٢م. البديع في القرآن أنواعه ووظائفه. الطبعة الأولى، الشارقة: منشورات دار الثقافة والإعلام. ص ٢٩٥.

(٤) أدرزو، أمينة. ٢٠٠٦م. المتلازمات اللفظية في المعاجم الأحادية والثنائية في اللغة. مجلة الجمعية المغربية للدراسات المعجمية، العدد الخامس. ص ١٣٩.

فهم العلاقة التي تربط بين أجزاء الآيات والتي لا بُدَّ من الاهتمام بها في خلق نصٍّ ما، بحيث يكون له عكسًا إيجابيًا على متعلم اللغة العربية الناطق بغيرها.

ثانياً: الدراسات والبحوث السابقة

فيما يأتي يتم ذكر عدد من الدراسات والأبحاث التي تناولت موضوع التماسك المعجمي في ضوء علم اللغة النصي، وهي كما يلي:

الدراسة الأولى: المصاحبة اللفظية ودورها في تماسك النص مقارنة نصية

في مقالات د. خالد المنيف. الحلوة، نوال بنت إبراهيم بن محمد. ٢٠١٢م. (١).

قام البحث بدراسة المصاحبة اللفظية في الخطاب الإشهاري المعاصر وذلك في مقالات د. خالد المنيف، دراسة إجرائية في ضوء علم النص، واعتمد في ذلك على تحليل النصوص المنجزة؛ باعتبارها نشاطاً تواصلياً، واستخدام بعض الأدوات التطبيقية في دراسة المصاحبة، وبيان دورها في التماسك المعجمي في النصوص المنجزة وفق معطيات علم النص.

نتيجة البحث: توصل البحث إلى عدد من النتائج، من أهمّها:

- تعتبر النتائج صالحة لكي تفتح آفاقاً جديدة في دراسة تراكيب المصاحبة ونسق انتظامها، كما يمكن القول: إن مقارنة اللغة العربية نصياً سوف تكشف عن أسرارها ومواطن قوتها معجمياً، وسياقياً.
- المصاحبة بين الفعل والفاعل أسهمت في الترابط المعجمي داخل نصوص الكاتب؛ لأن الظهور المشترك للكلمات وارتباطها بموضوع معين يسهم في صنع وحدة النص، ويسهم في تنوع الموضوعات التي يبني عليها (٢).
- المصاحبة اللفظية بين المضاف والمضاف إليه حققت زوجاً من الكلمات عبر شبكة من العلاقات الدلالية المختلفة التي تسهم في حيك النص شكلاً ومضموناً، فتحدث ذلك التضام المتسع فيه، مما يؤكد أن تفسير اللغة لا يقف على

(١) الحلوة، ٢٠١٢ م. المرجع السابق. ص ٥٩-١٢٤.

(٢) حسن. ٢٠٠٧ م. المرجع السابق. ص ١٥٧.

الحقائق اللغوية المجردة بل يتجاوزها إلى النظر في مواقعها الاستعمالية، وتكيفها مع وظائفها السياقية والاجتماعية، مما يجعلها في تفاعل اجتماعي، فهذا التمازج يحقق لها الكفاية اللغوية والاتصالية معاً^(١).

الدراسة الثانية: مظاهر الاتساق في النص القرآني: دراسة وصفية لغوية.

عبد الرحمن، لبنى، وعبد الرحمن، أكمل خزيري، ويوب، شمس الجميل. ٢٠١١م. ^(٢) تحدثت الدراسة عن مظاهر الاتساق اللغوي لدى العلماء العرب القدامى في أثناء تناولهم للنص القرآني، وعند حديثهم عن خصائصه المتميزة. فالأسلوب والعلاقات النصية من خصائص القرآن الكريم التي تؤكد على ارتباط الآيات الكريمة، بالعلاقات القائمة بينها بواسطة العناصر اللغوية، وهي العلاقات الاتساقية. وقام الباحثون بالتركيز على خمسة أنواع من هذه العناصر، وهي: الضمائر، والحذف، والاستبدال، والتكرار، والربط، وقام بتقسيمها إلى قسمين، هما: الاتساق بالإحالة، والاتساق بالأداة.

ولعلّ هدفهم من ذلك: إبراز دور هذه العناصر في خلق الربط والاتصال بين السابق واللاحق في الآيات القرآنية، وإظهار أهميتها في ضمان استمرارية الأفكار والأحداث فيها، ومن ثم تحقيق الاتساق في النص القرآني، ووجد البحث أهمية هذه العناصر في فهم النص القرآني لدى المتعلم.

ومن أهمّ نتائج هذه الدراسة:

- أسلوب القرآن الكريم، من حيث نظمه وجودة سبكه يدل على إعجازه، وحسن التأليف والترتيب والارتباط بين الآيات الكريمة، وهذا يوحى إلينا نوعاً من العلاقات النصية التي تتصف بتسلسل الآيات وارتباط بعضها ببعض، حيث يشير

(١) العبد، محمد. ١٤٢٦هـ. النص والخطاب والاتصال. الطبعة الأولى، القاهرة: الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي. ص ٨١.

(٢) عبد الرحمن، لبنى؛ عبد الرحمن، أكمل خزيري؛ ويوب، شمس الجميل. ٢٠١١م. مظاهر الاتساق في النص القرآني: دراسة وصفية لغوية. مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا، عدد خاص، لسانيات تطبيقية. السنة الثانية. ص ٢٩-٥.

ذلك إلى مظاهر الاتساق والانسجام التي تتحقق عبر وسائل لغوية معينة.
- تتمّ العلاقات الاتساقية في النص القرآني بواسطة العناصر اللغوية الظاهرة،
مثل: الضمائر، والاستبدال، والحذف، والتكرار، والربط، وغيرها.

- تتحقق العلاقات الاتساقية في النص عبر عناصر كثيرة، منها: التكرار.

الدراسة الثالثة: آليات التماسك النصي: الزركشي والسيوطي أمودجان.

رشيد، عمران. ٢٠١١م. (١)

تحدثت الدراسة عن استجلاء حلقة الوصل بين علوم مركزية في الثقافة الإسلامية، عبر علم المناسبة التي هي من علوم القرآن الكريم، واللسانيات النصية، عبر التماسك النصي بنوعيه: النحوي والدلالي.

ويعتبر التماسك النصي مقولة جوهرية في مفاهيم اللسانيات النصية، إذ يحتلّ موقعاً مركزياً في الأبحاث والدراسات التي تُعنى بتحليل النصوص؛ لأنه يرمي إلى توظيف الآليات النحوية في الربط بين أجزاء النص، ومن ثم فهم المعنى عبر رؤية متماسكة لا تقتصر في تحليلها على الجملة أو مجموعة الجمل.

ومن أهم النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة:

- علوم القرآن بداية أصيلة لما أصبح يعرف بلسانيات النص؛ وذلك لاشتمالها على دراسة التماسك، والتكرار، والمناسبة، وهي قضايا جديرة بالاهتمام في مجال اللسانيات النصية.

الدراسة الرابعة: اتساق الصيغة وسياق الحال - القرآن الكريم أمودجاناً.

المليجي، مختار طارق. ٢٠٠٩م. (٢).

حاول الباحث من خلال دراسته أن يربط بين السياق ودلالة الحال والصيغة

(١) رشيد، عمران. ٢٠١١م. آليات التماسك النصي: الزركشي والسيوطي أمودجان. مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا، العدد الأول، السنة الثانية. ص ١٧-٤٩.

(٢) المليجي، طارق مختار. ٢٠٠٩م. اتساق الصيغة وسياق الحال - القرآن الكريم أمودجاناً. مجلة العقيق.

المختارة لذلك، واختار القرآن الكريم للتطبيق، ولعلّ غرضه أن يعيد للنحو حيويته؛ لأنه علم لغة نصّي، يجب ألا تقف دراسته على الجانب النظري فقط، ولكن يجب أن تتخطاه إلى الجانب التطبيقي الذي يقوم في جانب كبير منه على فهم العلاقات النحوية.

ومن أهم النتائج التي توصل إليها في دراسته:

- الصيغة في السياق القرآني لها خصوصيتها، فقد يستقل لفظ واحد برسم صورة شاخصة لا بمجرد المساعدة على إكمال معالم الصورة، وقد يرسم الصورة تارة بجرسه الذي يلقيه في الأذن، وتارة بظله الذي يلقيه في الخيال، وتارة بالجرس والظل جميعاً.

- اعتمد على الأمور اللغوية المسلّم بها، والقواعد المقررة والاستعانة بالسياق لتلمس الفروق في الاستعمال لتوضيح الفروق الخفية بين الصيغ المستخدمة في القرآن الكريم.

الدراسة الخامسة: المستوى المعجمي في قصيدة: فارس الكلمات الغريبة

لأدونيس. لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، خطابي، محمد، ٢٠٠٦م. (١)
قام الباحث بدراسة معجمية تتعلق باتساق النص لقصيدة أدونيس (فارس الكلمات الغريبة^(٢))؛ حيث الهدف منها الكشف عن مدى فعالية الاتساق وإبراز حدوده، مجتهداً في اقتراح بعض التعديلات التي تفرضها طبيعة النص الشعري موضوع التحليل. ومن أهم أهداف تلك الدراسة ما يأتي:

- وسائل الاتساق هي التي تبني النص "ينبغي أن يشدد على أن عدد الجمل الفاصلة، في جميع الحالات، هو الذي ينبغي أن يعدد وليس عدداً مرات ورود عنصر

(١) خطابي، محمد. ٢٠٠٦م. المرجع السابق.

(٢) - أدونيس، علي أحمد سعيد. ١٩٧١م. الآثار الكاملة. بيروت: دار العودة. ديوان: أغاني مهيار الدمشقي، قصيدة: فارس الكلمات الغريبة.

- اتساقِي وسيطِي؛ لأن الاهتمام حيثُ الطريقة التي تبني بها العلاقات الاتساقية نصًّا ما".
وأوضحت النتائج أنّ النصّ شديد الاتساق، وفيما يأتي ذكر لأهمّ النتائج:
- علاقة التكرير هي الغالبة (تُمثّل تسعاً وستين ومائة حالة).
 - علاقة التضام قليلة نسبياً (تُمثّل إحدى وستين حالة).
 - عدد الروابط المعجمية داخل أو بين الجمل الشعرية يتراوح بين رابط واحد كحد أدنى وثمانية روابط كحدٍّ أقصى.

الدراسة السادسة: الاتساق المعجمي في ضوء علم اللغة النصي. جاسم،

جاسم علي. ٢٠١٨ م. (١).

تناولت الدراسة موضوع الاتساق المعجمي في سورتي (الملك والأعلى) في ضوء علم اللغة النصي، وذلك من خلال اختيار مجموعة من الموضوعات المعجمية، كالتكرار والتضام والضمائم، وذلك للقيام بتصنيفها من أجل تقديم إطار لتحليل النص وترميزه والتتبع الخطي للسور في مستوى الجمل والمنتاليات للآيات القرآنية.

ومن أهمّ النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة ما يأتي:

- الكشف عن مدى فعالية الاتساق، وإبراز حدوده.
- تبيين الاتساق المعجمي وشرحه من خلال السورتين الكريميتين.
- توضيح بُعد ما وراء السياق/التحليل.
- مناقشة وجود التناص في سورتي (الملك والأعلى).

أوجه الاستفادة من الدراسات السابقة:

- الوقوف على طريقة البحث فيها، وتنظيم الأبواب وترتيبها.
- معرفة أسئلتها، وأهدافها، وأهميتها.
- استقصاء الموضوعات اللغوية التي عولجت فيها، مثل: النحو والصرف والمعجم

(١) جاسم، ٢٠١٨ م. المرجع السابق. ص ٥٨.

والأصوات وغيرها.

وتختلف الدراسة الحالية عن الدراسات السابقة فيما يأتي:

- المنهج المتبع، حيث اعتمدتُ على التتبع الخطّي والعمودي للآيات.
- تحليل سورة (الإنسان) تحليلاً نصياً معجمياً.
- توظيف نتائج هذه الدراسة في خدمة لغة القرآن الكريم للطلاب غير الناطقين بالعربية.

المبحث الثالث: الدراسة التطبيقية

يتناول هذا المبحث الموضوعات التالية: التحليل والوصف، والمناقشة، والإجابة عن الأسئلة.

أولاً: التحليل والوصف

نذكر - فيما يأتي - جدولاً للمفاهيم المعجمية التي هي موضوع البحث، وهي - التكرار والتضام والمصاحبة اللفظية - موزعة على سبعة أعمدة؛ على النحو الآتي: العمود الأول: يدل على رقم الآية.

العمود الثاني: يدل على عدد الروابط في الآية مع الآيات السابقة.

العمود الثالث: يدل على العنصر التماسكي.

العمود الرابع: يدل على نوع الرابط للعنصر التماسكي / المفهوم المعجمي.

العمود الخامس: يدل على المسافة التي تفصل بين العنصر التماسكي والعنصر المفترض.

العمود السادس: يدل على العنصر المفترض أو الكلمة المحال إليها أو المكررة.

العمود السابع: يدل على النسبة المئوية لكل عنصر على حدة.

وفيما يأتي بيان الرموز المستعملة في التحليل:

(- تك = تكرير. - تض = تضام. - ترا = ترادف. - مط = مطابقة. - ع

= عام. - خ = خاص. - ج = جزء. - ك = كل. - مص = مصاحبة).

جدول رقم (١): المفاهيم المعجمية ونوعها ونسبها المتوية في سورة الإنسان

رقم الآية	عدد الروابط	العنصر التماسكي	نوعه	المسافة	العنصر المفترض	%
١	١	الإنسان	ع ك	٠	الله	٧%
		شيئا مذكورا	مص	٠	الإنسان	١٩%
٢	٣	خلقنا	خ.ك	١	الله	٢٦%
		فجعلناه	خ ك	١	الله	=
		سميعا بصيرا	مص	٢	الله	=
٣	٣	هدينا	ع.ك	٢	الله	=
		و	تك	٢	و	٢٣%
٤	٣	إنا	تك.	٢	إنا	=
		الكافرين	خ	٢	الكافر	٢٦%
		سلاسل- أغلالا-سعييرا	خ = =	٢	العذاب	=
٥	٣	الأبرار	خ	٠	المسلم	=
		مزاجها كافورا	تض	٠	الكأس	٥%
٦	٦	عينا	خ	١	الجنة	=
		عباد الله	تض	١	الكوكب	=
		يفجرونها	خ	١	يسجد	=
		تفجيرا	تك.	١	العين	=

=	المسلم	١	خ	يوفون	٦	٧
=	ب	١	تك	بالندر		
=	و	٢	عط	و		
=	القيامة	١	خ	يخافون		
=	القيامة	٢	مص	شبه مستطيرا		
=	و	١	تك	و	٣	٨
=	الطعام	١		يطعمون		
=	العدل	٢	تض	الطعام		
=	على	١	تك	على		
٪٧		١	ع	مسكينا-		
=	الفقير	٠	ع	يتيما-أسيرا		
=	الطعام	١	ع	نطعمكم	٢	٩
=	الثواب	١	مص	لوجه الله		
=	لا	١	تك	لا		
٣ %	الأجر	٢	مط / مص	جزاء-شكورا		
=	المؤمن	١	خ	نخاف	١	١٠
=	الله	٢	تك/ترا	ربنا		
=	القيامة	١	مص	عبوسا قمطيرا		
=	الله	٠	خ	وقاهم	٢	١١
=	و	١	تك	و		
=	الفوز	٢	مط	نضرة-سرورا		
=	الله	٠	خ	جزاهم	٢	١٢

مجلة الجامعة الإسلامية للغة العربية وآدابها - العدد: ٦ | الجزء: ١

=	و	١	عط.	و		
=	النعيم	٢	مط	جنة - حريرا		
=	أهل الجنة	١	خ	متكئين	٣	١٣
=	على	٢	تك	على		
=	الجنة	٢	مط	شمسا - زمهريرا		
=	و	٠	عط	و	١	١٤
=	الظل	١	خ.	دانية		
=	القطوف	٢	تك	ذلتت تذليلا		
=	أهل الجنة	١	خ	يطاف	١	١٥
=	من	٢	تك	من		
=	و	٢	عط	و		
=	أهل الجنة	١	خ	قوارير	١	١٦
=	والصيف					
=	من	١	تك	من		
=	أهل الجنة	١	تك	قدروها تقديرا		
=	أهل الجنة	١	خ	يسقون	١	١٧
=	الجنة	١	تك	فيها		
=	الكأس	٢	مص	مزاجها زنجبيلا		
=	الجنة	١	خ	عينا	١	١٨
=	الجنة	١	تك	فيها		
=	الجنة	٠	مص	تسمى		
				سلسبيلا		

=	أهل الجنة	١	خ	يطوف	١	١٩
=	أهل الجنة	١	تك	عليهم		
=	أهل الجنة	١	مص	ولدان مخلدون		
=	أهل الجنة	١	مص	لؤلؤا منتورا		
=	الجنة	١	مص	رأيت نعيما	١	٢٠
=	و	١	عط	و		
=	الجنة	١	مص	ملكا كبيرا		
=	أهل الجنة	٢	خ	عاليهم	٢	٢١
=	أهل الجنة	٢	مص	ثياب سندس		
=	النعيم	٢	تض	خضر- استبرق		
=	النعيم	٢	مص	شرابا طهورا		
=	إنّ	٢	تك	إنّ	٢	٢٢
=	و	١	عط	و		
=	المسلم	٢	مص	سعيكم مشكورا		
=	الله	٠	خ	نزلنا	١	٢٣
=	عليك	١	تك	عليك		
=	الله	٠	خ	القرآن		
=	حكم	٢	خ	حكم ربك	٢	٢٤
=	أو	١	عط	أو		
٪٢	الكافر	١	ترا	كفورا		
=	الله	١	مص	اسم ربك	١	٢٥

مجلة الجامعة الإسلامية للغة العربية وآدابها - العدد: ٦ | الجزء: ١

=	الوقت	١	تض	بكرة-أصيلا		
=	و	١	عط	و	٢	٢٦
=	الوقت	٢	ج	من الليل		
=	العبادة	١	خ	اسجد		
=	و	١	عط	و		
=	العبادة	١	خ	سبحه		
=	الوقت	٢	مص	ليلا طويلا		
=	إنّ	١	تك	إنّ	٢	٢٧
=	الدنيا	١	ع	يجبون		
=	القيامة	٢	مص	العاجلة		
				يوما ثقيلًا		
=	الله	١	خ ك	خلقناهم	٤	٢٨
=	و	.	عط	و		
=	الله	.	خ ك	شددنا		
=	و	.	عط.	و		
=	الله	.	خ ك	شعنا		
=	الله	.	خ ك	بدلنا		
=	إنّ	١	تك	إنّ	٢	٢٩
=	الإيمان	٢	ع ك	تذكرة		
=	المخلوق	.	ع ك	من شاء		
				ربه سبيلا		
=	المخلوق	١	ع ك	تشاءون	١	٣٠

=	الله	١	مص	يشاء الله		
=	إنّ	١	تك	إنّ		
=	الله	١	مص	عليما حكيمًا		
=	الله	١	خ ك	يدخل من	٣	٣١
=			=	يشاء		
=	في	١	تك	في		
=	و	١	تك	و		
=	النار	٢	مص	عذابًا أليما		

يتضح لنا من الجدول أعلاه، أن أعلى نسبة كانت في الخاص، ثم تلاه: التكرار، فالمصاحبة اللفظية، ثم الكل، فالعام، فالتضام، فالجزء، فالمطابقة، وأخيراً الترادف من حيث النسبة المتوية.

ويتضح من الجدول أدناه، نوع الروابط وعددها ونسبها المتوية في المفاهيم المعجمية للتماسك، وهي كما يلي:

جدول رقم (٢): نوع الروابط وعددها ونسبها المنوية في المفاهيم المعجمية في سورة الإنسان.

مسلسل	النوع	عدد الحالات	النسبة المنوية	العدد الإجمالي
١	التكرار	٢٥	٢٣ %	٤٢
	المصاحبة	٢١	١٩ %	
٢	حالات التضام:	٥	٥ %	٥٨
	المطابقة	٣	٣ %	
	العام	٨	٧ %	
	الخاص	٢٨	٢٦ %	
	الترادف	٢	٢ %	
	الكل	١١	١٠ %	
	الجزء	٥	٥ %	
٣	المجموع	١٠٨	١٠٠ %	١٠٠

من خلال الجدول أعلاه، يتضح لنا أن النسبة الأكبر كانت في حالات الخاص (٢٦%)، ثم التكرار بنسبة ٢٣% تقريباً، ثم المصاحبة بنسبة ١٩% تقريباً، وتلاها الكل بنسبة (١٠%) تقريباً، ثم العام بنسبة ٧% تقريباً، ثم التضام ونسبته ٥% تقريباً، ثم الجزء ونسبته ٥% تقريباً، ثم المطابقة بنسبة ٣% تقريباً، وأخيراً الترادف بنسبة ٢% تقريباً. وللإجابة عن السؤال الأول: وهو أنّ دور التماسك المعجمي كان مهماً في اتساق النص وترابطه، حيث إنّ وجود هذه المفاهيم العديدة في السورة جعلها متآلفة ومتماسكة مع بعضها بعضاً، وخاصة أنّ مفهوم الخاص كان أهمّ عنصر في عملية

التماسك النصي المعجمي في السورة؛ وذلك لربط الآيات بعضها ببعض، ووصل اللاحق بالسابق مما جعل جمل النص وآياته متناغمة متألّفة وكأنها آية واحدة.

وللإجابة عن السؤال الثاني: ما العلاقات المعجمية التي بنت تماسكها؟

إنّ الشبكة أعلاه ساعدتنا على تكوين فكرة عامة عن معجم النص، وعلى الخصوص علاقاته. ومن خلال تلك الشبكة يمكن أن نستخلص ما يلي:

١ - إن علاقات الخاص والتكرار والمصاحبة هي الغالبة (تمثل أربعاً وسبعين حالة، أو ما نسبته ٦٨٪ من الحالات العامة) ونجد في هذه المفاهيم علاقة التضاد والتقابل والتّرادف.

٢ - إن علاقات التضام (تمثل أربعاً وثلاثين حالة، أو ما نسبته ٣٢٪ من الحالات العامة)، (وعلاقات التضام تشمل: التضام العام، والكل والجزء، والمطابقة) ونلاحظ هنا وجود علاقة التضمين والاشتمال والاتباع اللفظي والتلازم الذكري ماثورة في السورة.

٣ - وللإجابة عن السؤال الثالث: فإنّ عدد الروابط المعجمية داخل الآيات أو بينها يتراوح بين رابط واحد كحدّ أدنى واثنين كحدّ أقصى.

وتكمن فعالية الشبكة التي اقترحها الباحثان لوصف تماسك النص معجمياً في إبراز المسافة الفاصلة بين العناصر المكررة أو المتضامة أو المتصاحبة في النص، ورصد العلاقات تكريراً وتضاماً ومصاحبة. حيث عبر عنه هاليداي في إحدى كتبه: "هذه الوسائل ... تجعل ربط العناصر، مهما كان حجمها، ممكناً، سواء أكانت عناصر أدنى من قول أم أكبر منه، كما تجعل ربط العناصر، مهما كانت متباعدة، ممكنة، سواء أكانت مترابطة بنيوياً أم لا"^(١). ويكمن خلف هذا التوجه نظرهما إلى النص

(1) Halliday, M. A. K. 1985. An Introduction to Functional Grammar. London: Edward Arnold. P.314.

- هاليداي. م. ا. ك. ١٩٨٥. المرجع السابق. ص ٣١٤، نقلاً عن خطاي. ٢٠٠٦ م. المرجع السابق. ص ٢٨٩.

نظرة خطية متصاعدة من بدايته إلى نهايته، بحيث تبرز لنا خاتمة المسافة أن علاقة التكرير والتضام والمصاحبة تربط كلمات في السورة تفصل بينها آيات عديدة. وفيما يلي شرح وتوضيح لكل نوع من أنواع المفاهيم المعجمية ذات العلاقة:

١- التكرار:

يعدّ التكرار من عناصر الاتساق المعجمي الذي يولد المعاني الجديدة للنص، ويؤدي دورًا واضحًا في إيجاد العلاقات الاتساقية بين الآيات القرآنية، والترابط بين أجزائها، التي تضمن استمرارية الأحداث أو الأفكار^(١).

نماذج للتكرار

أ- سورة الإنسان، قال تعالى:

﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نَطْفَةٍ﴾، الآية: ٢.

﴿فَنَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ﴾، الآية: ٢٧.

نجد أن تكرار كلمة (خلقنا) مثلاً، في الآيتين السابقتين ساهم في استمرارية النص، وزيادة معانيه، وربطه ربطاً بليغاً من خلال اتصال الكلام اللاحق مع السابق لبيان التماسك والانسجام في النص في آنٍ معاً.

٢- التضام:

لعب التضام دورًا حيويًا في السورة كذلك، من خلال ورود كلمات زادت في تنويع المفردات، وأكدت فصاحتها وقدرتها على التعبير عن الشيء بألفاظ متعددة، ومن ذلك مثلاً كلمات، "شاكراً وكفوراً"، و"يشاء الله"، و"يطعمون الطعام"،

(١) خطابي. ٢٠٠٦م. المرجع السابق. ص ٢٣٧.

- عبد الرحمن وآخرون. ٢٠١١م. المرجع السابق. ص ٢٣.

و"عباد الله"، و"وقاهم الله"، إلخ. ساهم ذلك كله في جعل النص وحدة متكاملة يرتبط لاحقه بسابقه، مما يدل على حبه وسبكه وترابطه ترابطاً فعالاً وبلغاً.

٣- المصاحبة اللفظية:

احتلت المصاحبة دوراً بليغاً في السورة؛ من خلال رصف المفردات المتصاحبة في النص، والتعبير عن المعنى المراد وتكثيفه، مما جعل النص واضحاً ومتسقاً ومنسجماً ومتآلفاً. ومن ذلك مثلاً، كلمات: "سميعاً بصيراً"، و"شره مستطيراً"، و"ملكاً كبيراً"، و"عليماً حكيماً"، إلخ. حيث عبرت الكلمات المتصاحبة عن انسجامها وتآلفها مع المعنى، ومع الكلمات الواردة في كل آية، مما جعل السورة وكأنها قطعة واحدة من أولها إلى آخرها.

تدعم هذه الدراسة نتائج دراسة خطابي، وعبد الرحمن وآخرين، والفقهي، ومحمودي، وليتش وشورت^(١) من أن التكرار يربط الجمل بعضها ببعض، ويجعلها متسقة ومتماسكة داخلياً وخارجياً، كما يضمن لها استمرارية الأحداث والوقائع بأسلوب بديع.

(١) خطابي. ٢٠٠٦م. المرجع السابق. ص ٢٣٧-٢٣٨.

- عبد الرحمن وآخرون. ٢٠١١م. المرجع السابق. ص ٢٣.

- الفقهي، صبحي إبراهيم. ٢٠٠٠م. علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق. القاهرة: دار القباء. ص ٣٠٨.

- محمودي، شعيب. ٢٠٠٩-٢٠١٠م. بنية النص في سورة الكهف مقارنة نصية للاتساق والسياق. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة منتوري قسنطينة الجزائر. ص ٨٩.

- Leech, G. N. & Short, M. H. 1981. Style in Fiction. Longman: London. P. 246. ليتش وشورت. ١٩٨١م. ص ٢٤٦. نقلاً عن: خطابي. ٢٠٠٦م. المرجع السابق. ص ٢٤٩.

ويفيد التضام في ورود كلمات جديدة تعبر عن المعنى بأسلوب أدبي رفيع،
يثير النص ويزيده بلاغة وفصاحة. ورفدت المصاحبة اللفظية النص بكلمات متزاوجة
ومتألفة المعاني ومعبرة عن الغرض بإيجاز بليغ، خاضعة للمنطق والعرف على عكس
ما صرحت به الحلوة^(١).

(١) الحلوة. ٢٠١٢م. المرجع السابق. ص ٦٩.

الخاتمة

نوجز فيما يلي ملخصاً لنتائج البحث وأهمّ التوصيات لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها:

(أ) ملخص النتائج:

- إنّ دور التماسك المعجمي مهمّ في تماسك النص وترابطه، وجعل جُمْل النص وآياته متألّفة وكأُها آية واحدة.
- إنّ مفاهيم وعلاقات الخاص والتكرار والمصاحبة هي الغالبة؛ إذ تمثّل أربعاً وسبعين حالة، أو مانسبته ٦٨٪، وأنّ علاقات التضام تمثّل أربعاً وثلاثين حالة، أو مانسبته ٣٢٪، ونجد علاقات التقابل والتضاد والترادف والتضمين والاشتمال وغيرها مبنوثة في السورة.
- إنّ عدد الروابط المعجمية داخل الآيات أو بينها يتراوح بين رابط واحد كحدّ أدنى واثنتين كحدّ أقصى.

(ب) التوصيات لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها

وهنا نجيب عن السؤال الرابع ونحاول أن نجمل التوصيات التالية:

- الاهتمام بتدريس الروابط المعجمية باعتبارها وحدات منظمة للنص ومراعاة انسجامها مع النمط المقرر في المناهج الدراسية.
- التركيز على النص وفهم علاقاته الداخلية التي تجعله مترابطاً ومفهوماً.
- فهم العلاقة التي تربط بين أجزاء الآيات لفهم معناها الواسع.
- فهم العلاقات الرابطة بين أجزاء النص وتدووقها وتمثّلها في الاستخدام الفعلي.
- الاهتمام بعلم اللغة النصي؛ حيث مثل نقلة نوعيّة في مجال الدراسات اللغويّة، وأتاح دراسة الظواهر اللغويّة دراسة علميّة والوصول بشأها إلى حقائق وقوانين ثابتة من الأهمية بمكان الاستفادة منها في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها؛ لمعرفة تماسك أجزاء الآيات فيما بينها وترابطها وتألّفها وكأُها آية واحدة أو جملة واحدة.

- المقترحات:

- تسليط الضوء من الناحية الإعلامية على موضوع الاتساق المعجمي.
- عقد شراكة مع مجامع اللغة العربية فيما يخص الاتساق المعجمي.
- دعم الباحثين وتذليل الصعاب لهم فيما يتعلق بدراسة ظاهرة الاتساق. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- ابن الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار. ب.ت. الأضداد. بيروت: دار صادر.
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا. ب.ت. الإتياع والمزاوجة. تحقيق: كمال مصطفى. القاهرة: مكتبة الخانجي، بغداد: مكتبة المثني، بغداد.
- ابن ماجه، أبو عبدالله محمد بن يزيد. ب.ت. سنن ابن ماجه. تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي. دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي. ١٩٥٥م. لسان العرب. الطبعة الأولى، بيروت: دار صادر.
- أبو شادي، مصطفى عبد السلام. ١٩٩١م. الحذف البلاغي في القرآن الكريم. القاهرة: مكتبة القرآن.
- أبو غزالة، إلهام وحمد، علي خليل. ١٩٩٩م. مدخل إلى علم لغة النص - تطبيقات نظرية روبرت ديوجراندي وولفجانج دريسلر. الطبعة الثانية، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- أردزو، أمينة. ٢٠٠٦م. المتلازمات اللفظية في المعاجم الأحادية والثنائية في اللغة. مجلة الجمعية المغربية للدراسات المعجمية، العدد الخامس.
- أدونيس، علي أحمد سعيد. ١٩٧١م. الآثار الكاملة. بيروت: دار العودة. ديوان: أغاني مهيار الدمشقي، قصيدة: فارس الكلمات الغريبة.
- الممر، فرانك. ١٩٩٧م. مدخل إلى علم الدلالة. ترجمة: خالد جمعة. الطبعة الأولى، الكويت: مكتبة دار العروبة.
- براون، ج. ب. ويول، ج. ١٩٩٧م. تحليل الخطاب. ترجمة: محمد لطفى الزليطني ومنير التريكي. الرياض: جامعة الملك سعود - النشر العلمي والمطابع.
- الثعالبي، أبو منصور أحمد بن ثعلب. ١٩٨٩م. فقه اللغة وسر العربية. تحقيق:

- سليمان البواب. الطبعة الثانية، دمشق: دار الحكمة.
- جاسم، جاسم علي. ٢٠١٥م. الاتساق النحوي في القرآن الكريم من منظور علم اللغة النصي. مجلة جامعة القصيم (العلوم العربية والإنسانية)، العدد الثالث، المجلد الثامن.
- جاسم، جاسم علي، ٢٠١٨م. أبحاث في علم اللغة النصي وتحليل الخطاب. الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية.
- الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد. ١٩٩٢م. دلائل الإعجاز. تحقيق: محمود محمد شاكر. القاهرة: مكتبة الخانجي.
- جمعة، خالد محمود. ٢٠٠٨م. الدراسة اللسانية الإحصائية للنص ومناهجها. مجلة العقيق. نادي المدينة المنورة الأدبي الثقافي، العددان: ٦٥-٦٦. المجلد الثالث والثلاثون. ص ١١١-١٤٢.
- الحلوة، نوال بنت إبراهيم بن محمد. ٢٠١٢م. المصاحبة اللفظية ودورها في تماسك النص مقارنة نصية في مقالات د. خالد المنيف. مجلة الدراسات اللغوية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية. العدد الثالث، المجلد الرابع عشر.
- خطابي، محمد. ٢٠٠٦م. لسانيات النص مدخل إلى انسجام النص. الطبعة الثانية، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
- الخولي، محمد علي. ٢٠٠١م. علم الدلالة (علم المعنى). الأردن: دار الفلاح.
- رشيد، عمران. ٢٠١١م. آليات التماسك النصي: الزركشي والسيوطي أمودجان. مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا، العدد الأول، السنة الثانية. ص ١٧-٤٩.
- السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي. ٢٠١١م. مفتاح العلوم. الطبعة الثانية، بيروت: دار الكتب العلمية.
- عبد الرحمن، لبنى؛ عبد الرحمن، أكمل خزيري؛ يوب، شمس الجميل. ٢٠١١م. مظاهر الاتساق في النص القرآني: دراسة وصفية لغوية. مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا، عدد خاص، لسانيات تطبيقية.

- السنة الثانية. ص ٥-٢٩.
- عبد العزيز، محمد حسن. ١٩٩٠م. المصاحبة في التعبير اللغوي. الطبعة الأولى، القاهرة: دار الفكر العربي.
- عبد الكريم، جمعان. ٢٠٠٩م. إشكالات النص. الطبعة الأولى، الرياض: مطبوعات النادي الأدبي.
- العبد، محمد. ١٤٢٦هـ. النص والخطاب والاتصال. الطبعة الثانية، القاهرة: الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي.
- عثمان، عبد المنعم حسن الملك، وجاسم، جاسم علي. ٢٠١٣م. مدخل إلى علم اللغة التطبيقي. الطبعة الأولى، الرياض: مكتبة الرشد.
- علان، إبراهيم محمود. ٢٠٠٢م. البديع في القرآن أنواعه ووظائفه. الطبعة الأولى، الشارقة: منشورات دار الثقافة والإعلام.
- علي، عاصم شحادة صالح. ٢٠٠٤م. مظاهر الاتساق والانسجام في تحليل الخطاب النبوي: رقائق صحيح البخاري نموذجاً. رسالة دكتوراه غير منشورة، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية وآدابها.
- عمر، أحمد مختار. ١٩٩٣م. علم الدلالة. الطبعة الرابعة، القاهرة: عالم الكتب.
- العمرى، عيدة مسبل. ١٤٣٠هـ. الترابط النصي في رواية النداء الخالد لنجيب الكيلاني دراسة تطبيقية
- فان دايك. ٢٠٠٠م. النص والسياق. ترجمة: عبدالقادر قنيني. الطبعة الأولى، الدار البيضاء: أفريقيا الشرق.
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد. ٢٠٠٠م. العين (مرتب الفبائي). الطبعة الأولى، بيروت: دار إحياء التراث.
- فرج، حسام. ٢٠٠٧م. نظرية علم النص. الطبعة الأولى، القاهرة: مكتبة الآداب.
- الفاقي، صبحي إبراهيم. ٢٠٠٠م. علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق. القاهرة: دار القباء.

- في ضوء لسانيات النص. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك سعود بالرياض.
- القزويني، أبو عبد الله بن زكريا بن محمد بن محمود. ١٤٠٣ هـ. الإيضاح. تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجة. الطبعة الخامسة، بيروت: دار الكتاب اللبناني.
- كمال الدين، حازم. ب.ت. علم الدلالة المقارن. القاهرة: مكتبة الآداب، القاهرة.
- لاينز، جون. ١٩٨٠ م. علم الدلالة. ترجمة: مجيد الماشطة وآخرون. البصرة: كلية الآداب، جامعة البصرة.
- لاينز، جون. ١٩٨٧ م. اللغة والمعنى والسياق. ترجمة: عباس الوهاب. بغداد.
- محمودي، شعيب. ٢٠٠٩-٢٠١٠ م. بنية النص في سورة الكهف مقارنة نصية للاتساق والسياق. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة منتوري قسنطينة الجزائر.
- مراد، إبراهيم. ٢٠٠٦ م. الوحدة المعجمية بين الأفراد والتضام والتلازم. مجلة الجمعية المغربية للدراسات المعجمية، العدد الخامس.
- مفتاح، محمد. ١٩٨٥ م. تحليل الخطاب الشعري استراتيجية التناص. بيروت: دار التنوير.
- مفتاح، محمد. ١٩٨٧. دينامية النص تنظير وإنجاز. الطبعة الثانية. بيروت: المركز الثقافي العربي.
- المليجي، طارق مختار. ٢٠٠٩ م. اتساق الصيغة وسياق الحال - القرآن الكريم أمودجاً. مجلة العقيق. نادي المدينة المنورة الأدبي الثقافي، العددان: ٦٧-٦٨. المجلد الرابع والثلاثون. ص ٩-٧٠.
- هاينه من، فولفجانج هاينه وفيهفيجر، ديتز. ١٩٩٩ م. مدخل إلى علم اللغة النصي. ترجمة: فالح بن شبيب العجمي. الرياض: جامعة الملك سعود - النشر العلمي والمطابع.

Bibliography:

the Holy Quran

- Abu Shadi, Mostafa Abdel Salam 1991 AD, rhetorical deletion in the Holy Quran, Cairo: Quran library.
- Abu Ghazal, Elham Wahamed, Ali Khalil 1999 AD, an introduction to the linguistics of text, applications for the theory of Robert Dibuhrand and Lifianj Drislar. The second edition, Cairo: Egyptian General Book Authority.
- Adridhu, Omnia. 2006 Ad. Verbal syndromes in mono and second dictionaries in language, number five.
- Adonis, Ali Ahmed Saeed, 1971 AD. full effects. Beirut: Dar Al-Awda. Divan: Aghan Mahyar.
- Al-Dimashqi, poem: The Knight of Western Words
- Ibn al-Anbari, Abu Bakr Mummed ibn Al- Qasam ibn Bashar, Al Adad, Beurit: Dar Sader. Palmer, Frank. 1997 AD. Introduction to Semantics, translated by: Khaled Gomma, first edition, Kuwait library of Dar Aleurub.a Brown, J., B, and Paul, 1997 AD, Discourse
- Analysis, translated by: Muhammad Lutfi
- Alzulutuni Monir Alitrikiu Riyadh, King Saud University - Scientific Publishing and Printing Press.
- Al-Thalabi, Abu Mansour Ahmed bin Thalab, 1989 AD. Philology and the Secret of Arabic, Investigation: Suleiman Al-Nawab, Edition the second, Damascus: Dar Alhikma.
- Jassim, Jassim Ali, 2015. Grammar in the Holy Quran from the perspective of textual linguistics, Journal.
- Qassim University (Arab Sciences and Humanities), Number three, Folder eight.
- Jassim, Jassim Ali, 2018. Research in textual linguistics and discourse analysis, first edition, Beirut: Dar Alkutub Aleilmia.
- Al-Jurjani, Abdul Qaher Ibn Abdul Rahman ibn Muhammad. 1992 AD. Evidence of Miracles, Investigation: Mahmoud Muhammad Shaker, Cairo: Al-Khanji Library
- Gomaa, Khaled Mahmoud 2008 AD. Statistical study of the text and its Curricula Aleaqiq Magazine Al-Madina Al-Munawwarah Literary and Cultural club, Issues: 65-66, Folder 33, page 111-142
- Al-Helweh, Nawal bint Ibrahim bin Muhammad, 2012 AD, verbal accompaniment and its role in text cohesion and a textual approach in the articles of Dr. Khaled Al-Munif, Journal of Linguistic Studies, King Faisal Center for Research and Islamic Studies. Number three, Folder 14.

- Khattar, Muhammad 2006 AD. The Linguistics of Victory: An Introduction to the Textual Consonance, Second Edition, Aldar Albayda, Arab Cultural Center
- Al-Khouli, Muhammad Ali, 2001 AD. Semantics (the science of meaning), Jordan: Dar Al-Falah.
- Rashid, Omran, 2011 AD, Mechanisms of Textual Cohesion: Al-Zarkashi and Al-Suyuti, the two models. Journal of Linguistic and Literary Studies, International Islamic University Malaysia, Number One, Year Two, page 17-49
- Al-Sakaki, Abu Yaqoub Youssef bin Muhammad bin Ali, 2011 AD. Miftah al-Ulum, second edition, Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiya.
- Abd al-Rahman, Lubna Abd al-Rahman, Akmal Khareiri, Youb, shams al-Jamil, 2011 AD. manifestations of consistency in the Qur'anic text: a descriptive linguistic study, Journal of Linguistic and Literary Studies, International Islamic University Malaysia, Special issue, Applied Linguistics. Second Year. page 5-29
- Al-Aziz, Muhammad Hassan 1990 AD. Accompaniment in linguistic expression, first edition, Cairo: Dar Al-Fikr.
- Abd al-Karim, Jamaan, 2006 AD, Text Problems, first edition, Riyadh: Literary.
- Club Publications. In light of the linguistics of the text, master's thesis is not advised king said University, Riyadh.
- Al-Abd, Muhammad, 1426 AH, Text, Discourse and Communication, second edition, Cairo: The Modern Academy University Book
- Othman, Abdel Moneim Hassan Al-Malik, and Hazem, Jassem Ali, 2013 AD. An Introduction to Applied Linguistics, First addition, Riyadh Al-Rushd Library.
- Othman, Abdel Moneim Hassan Al-Malik, and Jassem, Jassem Ali. 2013 AD. An introduction to applied linguistics. edition First, Riyadh: Al-Rushd Library.
- Allan, Ibrahim Mahmoud. 2002 AD. El Badi in the Quran types and functions. First Edition, Sharjah: Publications House of Culture and Information
- Ali, Assem Shehadeh Saleh. 2004 AD. Aspects of consistency and harmony in the analysis of the Prophet's discourse: Sahih Al-Bukhari's flakes as a model, unpublished PhD, International Islamic University in Malaysia, College of Revelation Knowledge and Human Sciences, Department of Arabic Language and Literature
- Omar, Ahmed Mukhtar, 1993 AD. Semantics. Fourth Edition, Cairo: The World of Books.
- Al-Omari, Eida Maspel, 1430 AH. Textual coherence in the novel The Immortal Call by Najeeb Al-Kilani, an applied study.

- Ibn Faris, Abu al-Husayn Ahmed bin Faris bin Zakaria, Following and marriage. Investigation: Kamal Mustafa. Cairo: Al-Khanji Library, Baghdad: Al-Muthanna Library, Baghdad.
- Van Dyck. 2000 AD. text and context. Translation: Abdelkader Kenini, first edition, Der Alebyda: Africa
- Al-Farahidi, Al-Khalil bin Ahmed. 2000 m. Al-Ain (Martib Al-Qabai), first edition, Beirut: Dar lihya Alturath.
- Farag, Hossam. 2007 AD. Text Theory, First Edition, Cairo: Al-Adab Library.
- Al-Fiqi, Sobhi Ibrahim, 2000 AD. Textual linguistics between theory and practice. Cairo: Dar Al-Quba.
- Al-Qazwini, Abu Abdullah bin Zakaria bin Muhammad bin Mahmoud. 1403 AH. The Clarification, Investigation: Muhammad Abdel Moneim Khafajah, Fifth Edition, Beirut: Dar Al Kutub El Lubnaun.
- Kamal El-Din, Hazem. Comparative Semantics, Cairo: Al-Adab Library, Cairo.
- Lines, John, 1980. Semantics, translated by: Majeed Al-Mashata et al. Basra: College. of Arts, University of Basra.
- Lines, John. 1987 AD. Language, Meaning and Context, translated by: Abbas Al-Wahhab, Baghdad
- Ibn Majah, Abu Abdullah Muhammad bin: Yazid, Sunan Ibn Majah, investigation.
- Muhammad Fouad Abd al-Baqi. Dar lihya Alkutub Alearabia. Faisal Issa Al-Babi Al-Halabi.
- Mahmoudi, Shoab. 2009-2010 AD. Text structure in Surat Al-Kahf: A textual approach to consistency and context. Unpublished Master's Thesis, University of Mentouri Constantine, Algeria
- Murad, Ibrahim. 2006 AD. Lexical unity between singular and inclusion and conjunction. Journal of the Moroccan Association for Studies. Lexicography, Fifth Edition.
- Muftah, Muhammad. 1985 AD. Poetic discourse analysis intertextuality strategy. Beirut: Dar Al-Tanweer.
- Muftah, Muhammad. 1987. Dynamic text theorizing and accomplishing. Second Edition. Beirut: Arab Cultural Center
- El-Meligy, Tariq Mokhtar, 2009. Consistency of the formula and the context of the situation - the Holy Quran as a model. Alqiq Magazine.
- Al-Madina Al-Munawwarah Literary and Cultural Club, Issues: 67-68. Folder Thirty-four, page 9-70
- Ibn Manzoor, Muhammad bin Makram bin Ali. 1955 AD. Arabes Tong. First Edition, Beirut: Dar Sader
- Heine Menn, Wolfgang Heine & Vehweger, Dieter. 1999 AD. Introduction to Textual Linguistics, translated by: Faleh bin Shabib Al-Ajmi. Riyadh: King Saud University - Scientific Publishing and Printing Press.

استراتيجيات الخطاب النبويّ

مقاربة تداولية في سياق غزوة تبوك

Strategies of the Prophetic Discourse
A Pragmatic Study in the Context of the Battle of Tabuk

د. علي بن يحيى نصر عبد الرحيم

أستاذ مشارك بقسم العلوم والدراسات الأساسية بكلية المجتمع بجامعة تبوك

البريد الإلكتروني: aabdelrahem@ut.edu.sa

المستخلص:

يمثل الخطاب النبوي الشريف أعلى قمة بيانية تكلم بها بشر؛ لما توافر لدى مُنشئه -ﷺ- من الكفاءات اللغوية والتداولية الاتصالية ما لم يتوافر لغيره من المخاطبين، ومن ثم تناول هذا البحث الخطاب النبوي الكريم في مقارنة لاستراتيجياته الخطابية التي قررتها اللسانيات التداولية، بناءً على معايير اجتماعية محددة، في سياق غزوة تبوك، حيث اشتمل خطابه -ﷺ- ثمة على عدة استراتيجيات خطابية، من: التضامنية، والتوجيهية، والتلميحية، فضلاً عن استراتيجية الإقناع. ووفقاً لمعطيات المنهج التداولي، ومن خلال آلياته التي تضمنتها تلك الاستراتيجيات يتبين للباحث أنّ التأثير والإقناع في الخطاب النبوي الشريف يمثلان غاية أولية مُنتهاها إلى غاية أكبر، هي التمكين لمقتضى هذا الخطاب في نفوس المخاطبين، لضمان تحقيق غاياته الأساسية من: التعليم، والتوجيه، وإرشاد المخاطبين إلى ما فيه خيرهم وصلاحهم في عاجل أمرهم وآجله، وقد توصل البحث إلى عدة نتائج منها: أنّ الخطاب النبوي الشريف في سياق غزوة تبوك جاء في أنماط أسلوبية تكشف عن مدى تَلَطُّف النبي -ﷺ- وتضامنه مع مخاطبيه في أكثر الظروف صعوبةً وشدّة، ومدى حرصه -ﷺ- على تحوّل مضمون خطابه إلى منجز فعلي في السلوك البشري للمستهدفين بالخطاب. ومنها أنّ التلميح بالغيوب المستقبلية في خطابه -ﷺ- في غزوة تبوك جاء متّسقاً مع سياق الغزوة، فضلاً عن أبعاده التداولية الخاصة المنبثقة من رحمته -ﷺ- بالمتلقّي.

الكلمات المفتاحية: البيان النبوي/ الخطاب/ التداولية/ الاستراتيجيات

التخاطبية/ الوظائف اللغوية.

Abstract:

The noble prophetic discourse is the most expressive representation of a speech given by a human, due to his linguistic, deliberative and communicative competencies – peace and blessing upon him –, above other any other speaker. Hence, the present paper addressed this discourse in the context of the Battle of Tabuk, in an attempt to reveal its discursive strategies as extant in pragmatic linguistics, based on specific social criteria. Prophet Muhammad's speech significantly included the cooperative, guiding, and hinting strategies in addition to the strategy of persuasion. According to pragmatic and its mechanisms included in those strategies, it becomes clear for the researcher that influence and persuasion in the noble prophetic discourse represent a primary goal aspiring to a greater goal which is establishing the meaning of this discourse in the hearts of the addressees, to ensure the achievement of its basic goals like: education, counseling, and guiding the addressees to what will be beneficial for them in their mundane and eternal affairs. Among the several findings of the research include: that the noble prophetic discourse in the context of the Battle of Tabuk came in stylistic patterns that reveal the extent of the Prophet's kindness and solidarity with his addressees in the most difficult and severe circumstances, and the extent of his keenness to transform the content of his speech into an actual achievement in the human behavior of the targets of the speech. And that the allusion to the unseen future in his speech on the Battle of Tabuk was consistent with the context of the campaign, as well as its special deliberative dimensions emanating from His mercy – peace and blessing upon him - to the recipient.

key words: Prophetic statement / discourse / pragmatics / discourse strategies / linguistic functions.

المقدمة

الحمد لله الرحيم الرحمن، خلق الإنسان علمه البيان، والصلاة والسلام على خير من نطق وأفصح من أبان، سيدنا محمد المخصوص بمعجزة القرآن، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان. وبعد،

فإن ما أفاءت به اللسانيات التداولية الحديثة على البحث اللغوي مما يُعري الباحث بإعادة قراءة الخطاب التراثي ومقارنته من زاوية جديدة في ضوء المعطيات التي توصلت إليها تلك الدراسات، ولا يخفى أن ثمة نقلة نوعية كبيرة شهدها المحيط اللغوي الحديث عندما تحوّلت وجهته من البنيوية إلى التداولية، فبعدما كان مدار البحث في المنهج البنيوي متمركزاً على البنى اللغوية المجردة، دون الربط بينها وبين سياقاتها الاجتماعية التي أنتجت فيها، جاءت التداولية ليكون مناط اهتمامها ومحط رحالها (الخطاب) وكل ما يحيط به من سياقات وقرائن يمكنها أن تُسهّم في بلورة دلالاته واستكناه معناه، لتصل مؤخرًا إلى فكرة مُفادها أنّ لكل خطاب (استراتيجية) من شأنها أن تدعم تحقيق الدلالة في أبعث صورة وأجلاها، ابتداءً من البنى اللغوية على اختلاف مستوياتها، وانتهاءً بأخر محيط يلف الخطاب.

والخطاب النبوي الشريف خير ما يُنظر في أعطافه لتُعاد قراءته وفق المعطيات اللسانية الحديثة؛ حيث كان مُنشئه - ﷺ - "أفصح العرب لساناً، وأوضحهم بياناً، وأعذبهم نطقاً، وأسدّهم لفظاً، وأبينهم لهجة، وأقومهم حجة، وأعرفهم بمواقع الخطاب، وأهداهم إلى طرق الصواب. تأييداً إلهياً، ولطفاً سماوياً، وعناية ربّانية، ورعاية روحانية"^(١). والحقيقة أنّ فكرة إجراء المنهج التداولي وبحث خطط (استراتيجيات) الخطاب النبوي الشريف ليست بالفكرة الجديدة تماماً في محيط الدراسات اللسانية الحديثة؛ ففي عام ٢٠١٢م قامت الباحثة دليلة قسبية بإنجاز بحثها الموسوم بـ(استراتيجيات الخطاب في الحديث النبوي) لنيل درجة

(١) ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر (بيروت، دار المعرفة، ط ١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م)

الماجستير من كلية الآداب واللغات بجامعة (باتنه) بالجزائر، وفي عام ٢٠١٦ م قام الباحث رضوان عبد الكريم عمران بإنجاز بحثه الموسوم بـ (لغة الحديث النبوي وفق استراتيجيات الخطاب: كتاب اللؤلؤ والمرجان نموذجًا) لنيل درجة الدكتوراه من كلية الآداب بجامعة اليرموك بالأردن، كما قامت الباحثة آمنة بوعاب في عام ٢٠١٨ م بإنجاز بحثها الموسوم بـ (استراتيجيات الخطاب في الحديث النبوي الشريف وظيفة تداولية: الأربعون النووية أنموذجًا) لنيل درجة الماجستير من كلية الآداب واللغات بجامعة (جيجل) بالجزائر. وهذه الدراسات جميعها ينبثق من هدف عام هو الوقوف على مدى تحقيق خطط الخطاب النبوي الشريف واستراتيجياته لمقصود المخاطب - ﷺ - ومدى تأثيرها على المتلقي، من خلال دراسة الآليات البلاغية والوسائل اللغوية الداعمة، فضلاً عن التوصل لمزايا خطابية خاصة حسب النماذج المختارة للدراسة والإجراء من الخطاب النبوي الشريف.

أما هذا البحث، فقد توجه صوب الخطاب النبوي الشريف في واحد من سياقاته المفعمّة بالمواقف الاجتماعية المتنوعة، أعني (سياق غزوة تبوك)، في مقارنة تداولية لاستراتيجياته الخطابية في تلك المواقف، محاولاً الإجابة عن الأسئلة الآتية: ما مفهوم الخطاب؟ وما المقصود باستراتيجياته؟ وما علاقة الخطاب واستراتيجياته بالتداولية؟ وما المراد بالخطاب النبوي؟ وما مدى كفاءته اللغوية والتداولية (الاتصالية)؟ وبم تميّز هذا الخطاب في سياق غزوة تبوك؟ وما الاستراتيجيات الخطابية التي تضمنها في هذا السياق؟

والبحث بوجه عام يهدف إلى الإفادة من المناهج اللسانية الحديثة في إعادة اكتشاف مكنون الخطاب التراثي المتميز الذي يأتي الخطاب النبوي الشريف في ذروة سنامه، فضلاً عن استجلاء المباحث والمبادئ والإجراءات التي قرّرتها اللسانيات التداولية الحديثة للتوصل إلى مدى إمكانية إجرائها على أنماط الخطاب التراثي العربي التليد، والتأكيد على أنّ فهم الخطاب وتأويله لا ينفكّان عن ظروف إنتاجه ومعرفة ملابساته. أما بوجه خاص فإنّ هذا البحث يهدف إلى بيان خصوصيات الخطاب النبوي الشريف ومزاياه، من خلال دراسة خططه المتميزة واستراتيجياته المتعدّدة في

استراتيجيات الخطاب النبوي - مقارنة تداولية في سياق غزوة تبوك، د. علي بن يحيى نصر عبد الرحيم

سياق غزوة تبوك الذي اشتمل على العديد من المواقف الاجتماعية المختلفة، ومدى ملائمة هذه الاستراتيجيات بآلياتها البلاغية ووسائلها اللغوية لسياق الخطاب، ومن أهدافه أيضًا التوصل إلى مدى تلطف النبي - ﷺ - وتأدبه وتضامنه مع مخاطبيه، ومدى حرصه على تحوّل مضمون خطابه إلى منجز فعلي في السلوك البشري للمستهدفين بالخطاب.

أما عن خطة البحث، فإنّ سير الدراسة بعد المقدمة يأتي في ثلاثة مباحث، هي:

المبحث الأول: الخطاب واستراتيجياته.

المبحث الثاني: الخطاب النبوي، وسياق غزوة تبوك.

المبحث الثالث: استراتيجيات الخطاب النبوي في سياق غزوة تبوك.

هذا، وما كان من توفيق في هذا العمل، فمن الله وحده لا شريك له، هو الذي بنعمته تتم الصالحات، أمّا ما كان من نقص، أو تقصير، أو خطأ، أو سهو، أو نسيان، فمني ومن الشيطان، وحسي أنني اجتهدت في طرح فكرة بحثية، لعلّ الله عزّ وجلّ أن يفتح لها باباً من التوفيق، وبها باباً للتجديد، وما توفيقني إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

المبحث الأول: الخطاب واستراتيجياته

١. الخطاب

يُطلق (الخطاب) في لغة العرب على مراجعة الكلام بين طرفين؛ فقد ذكر أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ) أنّ الخطابَ معناه: "الكلام بين اثنين"^(١)، وفي لسان العرب: "الخطاب والمخاطبة: مراجعةُ الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبةً وخطابًا، وهما يتخاطبان..."^(٢). وقد عُرِفَ (الخطاب) في التراث العربيّ مصطلحًا، وكان أكثر وروده في الدراسات الأصوليّة، وهو عند الأصوليّين مرادفٌ للكلام، حيث يقول الإمام الجوينيّ (ت ٤٧٨هـ): "الكلامُ، والخطابُ، والتكلمُ، والتخاطبُ، والنطقُ، واحدٌ في حقيقة اللغة، وهو ما به يصير الحيّ متكلمًا"^(٣). كما ارتبط مفهوم الخطاب في المدوّنة الأصوليّة بقصدية الإفهام؛ وذلك واضحٌ في تعريف أبي الحسن الأمديّ (ت ٦٣١هـ) للخطاب، حيث عرّفه بأنّه: "اللفظُ المتواضع عليه، المقصود به إفهام من هو متهيّئٌ لفهمه"^(٤)، ومن ثمّ فإنّ غاية الخطاب الأساسيّة هي الإفهام؛ إذ الأصل في إنتاج الخطاب أن يُوجّه إلى مستمع محدّد، لغاية محددة هي إيصال قصد المخاطب الذي من أجله صاغ الخطاب. ومن الملاحظ أنّ الأقدمين في هذا الصدد أدركوا ضرورة الموقف التواصليّ الذي يفترض وجود (مخاطبٍ)، و(مخاطبٍ)، فضلًا عن الخطاب، ومن ثمّ فرّق الإسنوي (ت ٧٧٢هـ) بين الخطاب والكلام على هذا الأساس؛ حيث

(١) معجم مقاييس اللغة، تح. شهاب الدين أبو عمرو (بيروت، دار الفكر، ط ٢،

١٤١٨هـ/١٩٩٨م) ص ١٩٨.

(٢) ابن منظور، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، لبنان، ط ٣،

١٤١٩هـ/١٩٩٩م) ج ٤/ص ١٣٥.

(٣) الكافية في الجدل، تح. فوقية حسن محمد، (القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي،

١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) ص ٢١.

(٤) الإحكام في أصول الأحكام، تح. أحمد محمد شاكر، (بيروت، دار الآفاق الجديدة، ط ١،

١٩٨٠م) ج ١/ص ١٣٦.

ذكر أنّ "الخطاب والمخاطبة لا يكون إلا من مخاطبٍ ومخاطبٍ، بخلاف الكلام"^(١).
أمّا عن الخطاب (Discourse) مُصطلحًا لسانيًا حديثًا فهو معرّفٌ إلى الدرس اللسانيّ الغربيّ، ومنه تمّ اجترار المصطلح إلى المدوّنة اللسانية العربيّة الحديثة مُترجمًا. وقد تعدّدت تعريفاتُ الخطاب (Discourse) في البحث اللسانيّ الغربيّ الحديث، واختلفت وجهاتُ النظر في بلورته بحسب الحقل اللسانيّ المستعمل فيه، وبحسب الرؤية المحدّدة لمفهومه ضيقًا أو اتساعًا؛ فمثلًا، في رؤية دي سوسير (Ferdinand de Saussure) البنيوية، نجد مصطلح الخطاب مرادفًا للكلام^(٢)؛ على أساس أنّ الكلام إنجاز لغوي فردي، يتوجّه به المتكلم إلى شخص آخر يُدعى المخاطب، كما يرتبط الخطاب بعنصر اللغة انطوائيًا من أنّ اللغة نظام من الرموز، يستعملها الفرد للتعبير عن مقاصده^(٣). ويأتي مفهوم الخطاب عند هاريس (Z. Harris) أكثر اتساعًا؛ لأنّه يدلّ على "ملفوظ طويل، أو هو متتالية من الجمل تكوّن مجموعة مختلفة، يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر بواسطة المنهجية التوزيعية، وبشكل يجعلنا نطل في مجال لساني محض"^(٤)، والتوزيع في نظره هو مجموعة السياقات التي تظهر فيها الوحدة، وبالتالي فإنّه هو الذي يميز الوحدات المختلفة بعضها من بعض. والخطاب عند ميشال فوكو (Michel Foucault) مصطلح أكثر عمومية واتساعًا؛ فهو "نظام تعبير متقن ومضبوط"^(٥). وهكذا نجد في كل تعريف تركيزًا على بعض الجوانب دون

(١) نهاية السؤل شرح منهاج الوصول، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م)

ص ١٧.

(٢) ينظر: فرحان بدري الحربي: الأسلوبية في النقد العربي الحديث: دراسة في تحليل الخطاب،

(بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠٠٣م) ص ٤٠.

(٣) ينظر: سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي (الزمن/السرد/التعبير)، (الرباط، المركز الثقافي

العربي، ط ٣، ١٩٩٧م) ص ٢١.

(٤) السابق: ص ١٧.

(٥) حفريات المعرفة، ترجمة: سالم يفوت، (بيروت، والدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط ٢،

١٩٨٧) ص ٣٤.

ما عداها من جوانب أُخر.

ومع كثرة التعريفات وتنوعها بتنوع التوجهات والمدارس اللسانية المختلفة، لا يجد الباحث مناصاً من التركيز على تعريف للخطاب يسير البحث في ضوء معلمه، وتنضبط خطاه على جادته، ومن ثم ارتكز البحث ههنا على تعريف الخطاب في الإطار التلقضيّ التداويّ، من خلال رؤية بنفيست (Benveniste Emile) الذي يرى أنّ "الخطاب هو أي صنف من المخاطبة الشفهية، مهما كانت طبيعتها، وقد يمتد ذلك من أنفه المحادثات إلى أرقى وأقيم المحاضرات..."^(١)، ويخلص بنفيست إلى أنّ الخطاب هو: أيّ منطوق أو فعل كلامي يفترض وجود راوٍ ومستمع، وعند الأول نيّة التأثير في الآخر بطريقة معينة^(٢). ويقابل مفهوم الخطاب لدى بنفيست مفهوم الملفوظ، على أساس أنّ النظر إلى النصّ بوصفه بناءً لغويّاً يجعل منه ملفوظاً، أمّا البحث في ظروف إنتاجه وشروطه فإنه يجعل منه خطاباً^(٣)، وبذلك يفترق الخطاب عن النصّ بالنظر في الملايسات والظروف التي أحاطت به وقت إنتاجه.

وأما مُصطلح (الخطاب) في البحث اللسانيّ العربي الحديث، فهو كما ذكر د. نعمان بوقرة: "يشير إلى كل كلام يتجاوز الجملة الواحدة والتي تغدو أثناء تحليله الوحدة الصغرى التي يتكون منها، سواء كان مكتوباً أو منطوقاً"^(٤). وعرفه جابر عصفور بأنّه: "هو اللغة في حالة فعل، ومن حيث هي ممارسة تفتضي فاعلاً، وتؤدّي من الوظائف ما يقترن بتأكيد أدوار اجتماعية معرفية بعينها"^(٥). وعند أحمد المتوكّل: "يُعدّ

(١) Emile Benveniste: problemes in general linguistics, university of Miami

press,Florida (first published 1966, p208,209

(٢) ينظر: في أصول الخطاب النقدي الجديد، مجموعة مقالات، ترجمة أحمد المدني (بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٩٩م) ص ٣٩.

(٣) يُنظر: سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي، ص ٢٢.

(٤) المصطلحات الأساسية في لسانيات النصّ وتحليل الخطاب: دراسة معجمية، (عمّان، الأردن، عالم الكتب الحديثة، ط ١٤٢٩هـ، ١٤١٠م) ص ١٨.

(٥) آفاق العصر، (دمشق، دار الهدى للثقافة والنشر، ١٩٩٧م)، ص ٤٨.

خطابًا كلّ ملفوظ/مكتوب يشكل وحدة تواصلية قائمة بالذات^(١)، وهذا التعريف يركّز على المحور الوظيفي للخطاب، كما أنّه يحدّد الثنائية التقابلية بين خطاب/جملة؛ ليصبح الخطابُ شاملاً للجملة الواحدة، فضلاً عن ما تجاوزها، فالمتوكّل يرى أنّ الخطاب في اللغات الطبيعية "يردّ جملةً، أو سلسلة من الجمل، أو نصّاً متكاملًا"^(٢)، ومن ثمّ يمكن القول بأنّ المتوكّل اعتمد التواصلية معياراً للخطاب، ولم يأخذ بمعيار الحجم؛ فالخطاب عنده كما يكون نصّاً كاملاً يكون أيضاً جملةً أو مركّباً، ولعلّ هذا التصور هو الأكثر شيوعاً، والأكثر ارتباطاً بتحليل الخطاب. وكما أشار البحث آنفاً، فإنّ مصطلح (الخطاب/Discourse) في المدوّنة العربية الحديثة تم استدعاؤه من المدوّنة اللسانية الغربيّة، ومن ثمّ فإنّ من اللسانيين العرب من يستعمل الخطاب مرادفاً للنص بمفهومه المعاصر، سواء كان مكتوباً أو منطوقاً^(٣)، ومنهم من يرى أنّ النصّ أعمّ من الخطاب^(٤)، في حين يرى البعض أنّ الخطاب أوسع من النصّ؛ على أساس أنّ النصّ بنية مترابطة تكوّن وحدة دلالية، أمّا الخطاب فينبغي النظر إليه على أنه موقف ينبغي للغة أن تحاول العمل على مطابقته^(٥).

وأياً ما كان الخلاف بين الباحثين حول مفهوم النصّ والخطاب، فإنّ الذي يستخلصه الباحث بعد الاطلاع على عدد من المدونات في هذا الصدد هو أنّ جوهر التمايز بين النصّ والخطاب يكمن في الإطار الاجتماعي الذي على أساسه

(١) الخطاب وخصائص اللغة العربية: دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، (الرباط، الدار العربية

للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، ط١، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م) ص٢٤.

(٢) السابق: ص٢١.

(٣) راجع: جمعان عبد الكريم: إشكالات النصّ (المدخلة أمودجاً) دراسة لسانية نصية،

(الرياض، النادي الأدبي، ٢٠٠٩م) ص٣٨.

(٤) يُنظر: سعيد يقطين، من النصّ إلى النصّ المترابط، (الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط١،

٢٠٠٥م) ص١١٦.

(٥) يُنظر: محمد العبد، النصّ والخطاب والاتصال، (القاهرة، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي،

ط١، ٢٠٠٥م) ص١٢.

تحدد خصائص الخطاب، إذ إنّ مفهوم الخطاب لا يتحقق إلا بوجود ملفوظ كلامي في مقام تخاطبي ينبغي على اللغة أن تطابقه، كما أنه لا يمكن تحليل الخطاب بمعزل عن المقام أو (السياق) الذي أنجز فيه، ولا بإغفال دور السامع الذي هو موجه إليه، وهذا في رأيي هو الأساس الذي عليه يتم التمايز بين (النص) و(الخطاب).

٢. استراتيجية الخطاب

(استراتيجية): كلمة دخيلة في اللغة العربية، تعني التخطيط العسكري، أو فن قيادة الجيش^(١)، فالأصل فيها أنّها مصطلح عسكريّ، وهو عبارة عن "علم وفن ينصرفان إلى الخطط والوسائل التي تعالج الوضع الكلي لصراع ما، من أجل تحقيق سياسة ما، وغالبًا ما تقتزن الاستراتيجية بالأهداف البعيدة المدى"^(٢)، وبالاستعمال انتقل المصطلح من النطاق العسكري ليُطلق على الأهمية القصوى للهدف أيًا كان، وفي العصر الحديث كثر استخدام هذا المصطلح في ميادين معرفية وحضارية مختلفة، وغدا يشير إلى التخطيط المسبق من أجل الضبط والتحكم وتحقيق سياسة ما، ومن ثمّ عُرفت الاستراتيجية بأنّها: "طرق محددة لتناول مشكلة ما، أو القيام بمهمة من المهمات، أو هي مجموعة عمليات تهدف إلى بلوغ غايات معينة، أو هي تدابير مرسومة من أجل ضبط معلومات محددة والتحكم بها"^(٣)، وبهذا المفهوم لا تنفك (الاستراتيجية) عن التحكم، والتدبير، والتخطيط لبلوغ الأهداف والغايات ضمن عمليات ممنهجة ومنظمة ومنضبطة.

وإذا اقترن المصطلحان وأضيفت (الاستراتيجية) إلى (الخطاب)، فإنّ تركيبهما الإضافي يعطي مفهومًا جديدًا يتحدد من خلاله مجال هذه الاستراتيجية، ليشير

(١) د. ف. عبد الرحيم: معجم الدخيل في اللغة العربية الحديثة ولهجاتها، (دمشق، دار القلم، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م) ص ٢٦.

(٢) الهيثم الأيوبي وآخرون: الموسوعة العسكرية، (بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨١م) ج ١ ص ٦٦.

(٣) عبد الهادي الشهري: استراتيجيات الخطاب: مقارنة لغوية تداولية، (بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط ١، ٢٠٠٤م)، ص ٥٣.

استراتيجيات الخطاب النبوي - مقارنة تداولية في سياق غزوة تبوك، د. علي بن يحيى نصر عبد الرحيم

مصطلح (استراتيجية الخطاب) إلى تخطيط المتكلم من أجل تحقيق مقاصد خطابه، حيث يتم اختيار الأدوات والوسائل بوعي لتحقيق أهداف إبلاغية تواصلية وبلاغية مؤثرة، ومن ثم عرّف د. عبد الهادي ظافر الشهري (استراتيجية الخطاب) بأنها: "المسلوك المناسب الذي يتخذه المرسل للتلفظ بخطابه، من أجل تنفيذ إرادته، والتعبير عن مقاصده، التي تؤدي لتحقيق أهدافه، من خلال استعمال العلامات اللغوية وغير اللغوية، وفقاً لما يقتضيه السياق (سياق التلفظ) بعناصره المتنوعة، ويستحسنه المرسل"^(١)، وبحسب فولفجانج هاينه (Wolfgang Heine) وزميله ديتر فيهفيجر (Dieter Feviger)، فإنّ الاستراتيجية في لسانيات الخطاب مصطلح يفيد "مجموع عمليات المعالجة الموجهة إلى هدف، والجارية عن وعي عند إنتاج الخطاب، وكل محاولة للوصول إلى أهداف من خلال الخطاب تعتمد استراتيجية تخاطبية، بما هي نتيجة سلسلة من عمليات اختيار واتخاذ القرار، تجري بوعي في العادة، تُعلم من خلالها خطوات الحل ورسائله، لتنفيذ أهداف تواصلية"^(٢)، ومن خلال هذا التعريف ندرك أهمية الكفاءة التواصلية في اختيار الاستراتيجية الخطابية المناسبة التي تمكن المرسل من تحقيق أهدافه الاتصالية، فضلاً عن الكفاءة اللغوية التي على أساسها يُبنى الخطاب، وبما أنّ الخطاب بناءً لغوي مركب، فإنّ الاستراتيجية تتجسد في كل مستوى من مستوياته صرفياً ومعجمياً وصوتياً وتركيبياً^(٣)، وتجسدها بشكل مناسب وجيد يدل على كفاءة المرسل وقدراته.

إذن، فكل محاولة للوصول إلى الأهداف والمقاصد من خلال اللغة هي استراتيجية، ومن ثم ارتبطت الاستراتيجية بالخطاب؛ لأنّ المرسل قبل التلفظ ينبغي أن يخطط لكيفية إنتاج خطابه، وإخراجه على نحو يحقق مقاصده ويبلغ مراده، فيقوم باختيار العبارات والكلمات المناسبة بدقة، لتتواءم مع السياق المناسب، وحتى يتم له

(١) السابق: ص ٦٢.

(٢) مدخل إلى علم اللغة النصي، ترجمة: فالح العجمي، (الرياض، مطابع جامعة الملك سعود،

١٤١٩هـ)، ص ٢١٥.

(٣) عبد الهادي الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص ٦٨.

ذلك، لا بد أن تتوفر لديه كفاية لغوية فضلاً عن الكفاية التداولية التواصلية؛ لأنّ الخطاب الذي هو تواصل بين مرسل ومتلقٍ لا يكون إلا لهدف ومقصد، فالقصدية عنصر رئيس، وأساس مهم من أسس التواصل، و"العلم بالمقاصد يغدو ضرورة أساسية في تحقيق الخطاب أغراضه، وإيصال المتكلم مراده إلى سامعه، بل إنّ المتلقي للخطاب بما أنه العنصر المقصود بخطاب المتكلم، لا يقدر على ممارسة فعل التأويل ما لم يكن عارفاً بمقاصد المتكلم"^(١).

وخلاصة القول: أنّ مُنشئ الخطاب عندما يستعمل حُططاً وأساليب معينة لتحقيق أهدافه الإبلاغية والبلاغية فإنّ هذه الخطط تُسمّى في اللسانيات الحديثة استراتيجيات، وتظهر تلك الاستراتيجيات من خلال آليات بلاغية ووسائل لغوية معينة لافتة للنظر، ومن ثم تكون جديرة بالدراسة؛ كونها أنماطاً لغوية تجسدها كفاءة المرسل اللغوية والتواصلية في خطابه، فضلاً عن كونها أدوات وآليات ناجعة لها دورها في الإقناع والتأثير على المخاطبين.

٣. الاستراتيجيات التخاطبية

صنّف الباحث د. عبد الهادي الشهري الاستراتيجيات التخاطبية تصنيفاً عاماً بالنظر في مساراتها العامة وقواسمها المشتركة، وبحسب الشهري فإنّ المعايير التي تمّ التصنيف عليها هي^(٢): المعيار الاجتماعي، وهو معيار العلاقات التخاطبية، والمعيار اللغوي، وهو معيار شكل لغة الخطاب، ومعيار ثالث هو معيار هدف الخطاب، وقد تفرّعت عن هذه المعايير عدة استراتيجيات، فتفرّعت عن المعيار الاجتماعي استراتيجيتان، هما: (الاستراتيجية التضامنية)، و(الاستراتيجية التوجيهية)، كما تفرّعت (الاستراتيجية التلميحية) عن المعيار الثاني المتعلق بالإطار اللغوي للدلالة على قصد المرسل، وعن المعيار الثالث المتعلق

(١) عبد الغني بارة: الأساس اللغوي في فهم القرآن لدى علماء الأصول، (دبي، المؤتمر الدولي الرابع للغة العربية، المجلس الدولي للغة العربية) ص ١٩٤.

(٢) ينظر: الشهري: ص ص ٢٥٧، ٢٥٨.

استراتيجيات الخطاب النبوي - مقارنة تداولية في سياق غزوة تبوك، د. علي بن يحيى نصر عبد الرحيم

بهدف الخطاب، تفرّعت الاستراتيجية الحجاجية أو (استراتيجية الإقناع)، وقد لاقت هذه المعايير قبولاً وانتشاراً في أوساط البحث اللساني المعاصر. والمعيار الأول (الاجتماعي) يقوم على نوعية العلاقة بين المرسل والمتلقي قريباً وبعداً، وهي الاستراتيجية التضامنية التي يسعى فيها طرفا الخطاب إلى التقارب، ويمكن التعبير عن ذلك من خلال استخدام المرسل عدة أدوات لغوية وآليات بلاغية من شأنها الاقتراب من المخاطب والتودد لديه. أما الاستراتيجية التوجيهية فتتجسد من خلال آليات لغوية صريحة، كالأمر، والنهي، والتحذير، والإغراء، وذكر العواقب، من خلال السلطة الاجتماعية وغير الاجتماعية التي تعطي المرسل نفوذاً يمارسه في توجيه مخاطبه، حيث يذعن المرسل إليه وينفذ المطلوب الذي وجهه المخاطب إليه؛ لما تشتمل عليه هذه الاستراتيجية من قوة الخطاب.

وأما المعيار الثاني المتعلق بإطار اللغوي للدلالة على قصد المرسل، فقد انبثقت عنه الاستراتيجية التلميحية، وهي "الاستراتيجية التي يُعبّر بها المرسل عن القصد بما يغيّر معنى الخطاب الحرفي، لينجز بها أكثر مما يقوله، إذ يتجاوز قصده مجرد المعنى الحرفي لخطابه، فيعبّر عنه بغير ما يقف عنده اللفظ مستثمرًا في ذلك عناصر السياق"^(١). وتأتي الاستراتيجية الرابعة (استراتيجية الإقناع) لتتأسس على معيار ثالث هو: هدف الخطاب؛ ذلك أنّ من أهداف الخطاب التي يروم المرسل تحقيقها من خلال خطابه إقناع المرسل إليه بما يراه. ويشير البحث ههنا إلى أنه لا مانع من تعدد الاستراتيجيات التخاطبية حتى في الخطاب الواحد، "فالمعلم يحتاج إلى استعمال أكثر من استراتيجية في خطابه مع طلابه؛ لاختلافهم في التكوين، ولتعدد ميولهم، ودرجة استعداد كل منهم في الفهم"^(٢).

من خلال ما تقدّم، يتبيّن لنا أنّ استراتيجيات الخطاب لا تخرج عن إطار دراسة اللغة في الاستعمال، وهذا ما يتبنّاه المنهج التداولي؛ لأنّه المنهج الذي يُعنى بالسياق

(١) السابق: ص ٢٦٧.

(٢) السابق: المقدمة، ص iii.

وأثره على بنية الخطاب ومعناه، كما أنه يتأسس على عدة مفاهيم لها ارتباط وثيق بالخطاب واستراتيجياته، والحقيقة أنّ دراسة الخطاب وفق استراتيجياته السابقة من الأهمية بمكان في سبر أغوار الخطاب والتوصّل إلى مكانه، فضلاً عن فهمه وتأويله؛ لأنّ دراسة النص المجرد من العوامل السياقية والثقافية والاجتماعية سيؤدي إلى حلقات مفرغة، ونماذج نمطية مكررة.

٤. التداوليّة منهجاً لدراسة الخطاب واستراتيجياته

معلومٌ أنّ التداوليّة تمتدّ جذورها وفكرتها الأولى إلى مشروع بيرس (Perss) الذي ابتدأه في عام ١٨٧٨م، والذي تمسك فيه بأنّ أيّ حدٍّ أو لفظٍ مجرد لا معنى له إذا لم يكن في مقدورنا استخدامه، أو أن نقوم بفعل شيءٍ بموجبه بطريقة ملائمة و متميّزة، والذي أضاف عليه بعد ذلك أنّ معنى أية فكرة يكمن بالنهاية في تأثيرها على أفعالنا^(١)، وعندما قسّم موريس (Charles Morris) علمَ العلامات، أو علم (السيمياءية) (semiotics) عام ١٩٣٨م، ظهر مصطلح (Pragmatic) في تقسيمه دالاً على الفرع الذي يهتم بدراسة علاقة العلامات بمفسيها^(٢)، أمّا عندما ظهرت التداوليّة منهجاً ونظريّةً على يد الفيلسوف الإنجليزي أوستن (Austin) إثر صدور كتابه "كيف نصنع الأشياء بالكلمات" عام ١٩٦٢م، وتحدّدت عنده على أنّها "جزء من دراسة علم أعم، هو دراسة التعامل اللغوي من حيث هو جزء من التعامل

(١) راجع: نعمان بوقرة: المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، ص ٩٧، ٩٨.

(٢) استخدم موريس عام ١٩٣٨م مصطلح (Pragmatic) دالاً على أحد فروع ثلاثة اشتمل عليها علم العلامات أو علم السيمياءية (semiotics) وهو الفرع الذي يهتم بدراسة علاقة العلامات بمفسيها، والفرعان الآخران هما: علم التراكيب (synactics) أو (syntax) ويعنى بدراسة العلاقات الشكلية بين العلامات بعضها مع بعض، وعلم الدلالة (semantics) الذي يدرس علاقة العلامات بالأشياء التي تدل عليها أو تحيل إليها، يُنظر: السابق، ص ٩٨.

الاجتماعي"^(١)، انتقلت الدراسات اللغوية من مجرد النظر في بنية الخطاب المحض، إلى النظر في ما يحيط بالخطاب متضافراً مع بنيته؛ ذلك أنّ التداولية في سبيل دراستها للغة تُعنى بأقطاب العملية التواصلية، من المتكلم ومقاصده، والسامع وأحواله، والظروف والأحوال المحيطة بهما، "وتهتم بإدماج السلوك اللغوي داخل نظرية الفعل، وتولي أهمية بالغة للجانب التواصلية للغة، والتفاعل بين الأعضاء الحية"^(٢)، فالتداولية كما يقول د. مسعود صحراوي: "ليست علماً لغوياً محضاً بالمعنى التقليدي يكفي بوصف وتفسير البنى اللغوية، ويتوقف عند حدودها وأشكالها الظاهرة، ولكنها علم جديد للتواصل، يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال"^(٣). وقد أورد الباحث عبد الهادي الشهري تعريفاً للتداولية يبيّن فيه بوضوح أبعادها المادية والاجتماعية فضلاً عن اللغوية، فذكر أنها تعني "دراسة اللغة في الاستعمال أو في التواصل؛ لأنه يشير إلى أن المعنى ليس شيئاً متأسلاً في الكلمات وحدها، ولا يرتبط بالمتكلم وحده، ولا السامع وحده، وإنما يتمثل في تداول اللغة بين المتكلم والسامع في سياق محدد (مادي، اجتماعي، لغوي) وصولاً إلى المعنى الكامن في كلام ما"^(٤).

وفي المنهج التداولي يتم دراسة المنجز اللغوي في إطار التواصل، ومعرفة مدى تأثير السياقات الاجتماعية في نظام الخطاب، وقد لخصّ فان دايك^(٥) (Van Dijk) المهام المنوطة بالبحث التداولي، فذكر أنّ أحد مهام التداولية أن تتيح صياغة شروط إنجاح إنجاز العبارة، وبيان أي جهة يمكن بها أن يكون مثل هذا الإنجاز عنصراً في اتجاه مجرى الفعل المتداخل الإنجاز، الذي يصبح بدوره مقبولاً أو مرفوضاً عند فاعل

(١) فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، ترجمة: سعيد علوش، (الدار البيضاء، مركز الإنماء القومي، ط ٣، ٢٠٠٧م) ص ٩٦.

(٢) نعمان بوقرة: المدارس اللسانية المعاصرة، (القاهرة، مكتبة الآداب، د. ط، د. ت)، ص ١٦٦.

(٣) التداولية عند علماء العرب، (بيروت، دار الطليعة للطباعة، ط ١، ٢٠٠٥م) ص ١٦.

(٤) عبد الهادي الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص ١٤.

(٥) يُنظر: النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي: ترجمة عبد القادر قبني، (الرباط، أفريقيا الشرق، د. ط)، (٢٠٠٠م) ص ٢٥٦.

آخر، وبهذا الاعتبار، فإنّ المهمة الثانية تقوم في صياغة مبادئ تتضمن اتجاهات مجاري فعل الكلام المتداخل الإنجاز، الذي ينبغي أن يُستوفي في إنجاز العبارة حتى تصبح ناجحة، والمهمة الثالثة: أنه لما كانت معطيات التجربة متاحة بأوسع ما تكون، في صورة العبارة فقط، فيجب أن يكون من الواضح في التداولية كيف ترتبط شروط نجاح العبارة فعلاً إنجائياً، ومبادئ فعلٍ مشترك الإنجاز التواصلي مع بنية الخطاب وتأويله.

وإذا كان مجال التداول يدور في فلك التواصل باللغة والتفاعل بين طرفي الرسالة، فإنّ مقتضى ذلك أن تتصل اللغة بفعل إجرائي، وبحسب الباحثة كاترين أوركويوني فإنّ وظائف اللسانيات التداولية تنحصر "في استخلاص العمليات التي تمكّن المتكلم من التجذر في إطاره الذي يشكل الثلاثية الآتية: المرسل، المتلقي، والوضعية التبليغية، فأيّ تحليل تداولي يستلزم بالضرورة التحديد الضمني للسياق الذي تؤوّل فيه الجملة"^(١).

ولما كانت التداولية في أوجز مفاهيمها تعني "دراسة استعمال اللغة في الخطاب، شاهدة في ذلك على مقدرتها الخطائية"^(٢)، فإنّ المنهج التداولي يدعونا إلى التخلّي عن فكرة اختزال اللغة في نظام ترميزي شفاف قوامه التواصل الحرفي للغة، ما دام استعمالها ممثلاً في إنتاج الجمل وفهمها يتطلب معارف غير لغوية، ويستلزم عمليات استدلالية تقوم أساساً على استراتيجية المؤول، والملازمات السياقية للعملية التواصلية^(٣). والمجال الإجرائي للبحث التداولي متعدد ومتشعب؛ فالتداولية تعالج الاستعمال، والسياق، والتضمين، والحجاج، ومبادئ الحوار، والاختلاف، والقصد،

(١) C.K ORECCHIONIE, Enonciation de la subjectivite dans le langage, Librairie

.Armand Colin, 1981, p185.

(٢) فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، ص ١٤.

(٣) ينظر: آن روبول، وجاك موشلار: التداوليات اليوم علم جديد في التواصل، ترجمة: سيف

الدين دغفوس، ومحمد الشيباني، (بيروت، المنظمة العربية للترجمة، ودار الطليعة للطباعة

والنشر، ط ١، ٢٠٠٣م) ص ١٨.

استراتيجيات الخطاب النبوي - مقارنة تداولية في سياق غزوة تبوك، د. علي بن يحيى نصر عبد الرحيم

والكفايات اللسانية والخارج لسانية ... إلخ، ومن أبحاثها^(١): باب أغراض الكلام، وباب مقاصد المتكلمين، وباب قواعد التخاطب الذي تنبثق منه استراتيجيات الخطاب التي هي "محصلة لسلسلة من الاختيارات واتخاذ القرار، جارية في العادة عن وعي، تعلم بواسطتها خطوات الحل ووسائله لتنفيذ أهداف اتصالية"^(٢).

(١) طه عبد الرحمن: في أصول الحوار وتحديد علم الكلام، (الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي،

ط٣، ٢٠٠٧م) ص ٢٨.

(٢) هاينه وفيهفيجر: مدخل إلى علم اللغة النصي، ص ٣١٤.

المبحث الثاني: الخطاب النبوي، وسياق غزوة تبوك

أولاً_ الخطاب النبوي

نقصد بالخطاب النبوي: كلام النبي -ﷺ- وحديثه مع أفراد مجتمعه في عصره، كما نُقل إلينا مروياً عن الثقات العدول من خلال مظانّه في كتب السنّة الصحيحة، سواء كان هذا الخطاب حديثاً مباشراً يوجّهه -ﷺ- إلى السامعين ليعالج به أمراً مباشراً، يصرّح به ويكشف عنه من أول الأمر، أو كان حواراً يتجاذب النبي -ﷺ- أطرافه مع واحد أو أكثر من المخاطبين، والحوار "يأخذ مكانه في البيان النبوي، باعتباره وسيلة تختلف عن غيرها من وسائل البيان الأخرى، وهو قريب الشبه بالحديث المباشر، بيد أنه يتميز عنه بذلك السائل الذي يتخلّل الحديث، مثيراً انتباه المتلقّين واهتمامهم بما يُلقى من الأسئلة، بحيث يجعلهم يترقّبون الإجابة؛ لتجد مكانها من النفوس المهّيأة لاستقبالها، فتقرّر وتتمكّن" (١).

وإذا كان الخطاب بشكل عام عبارة عن تواصل لسانيّ ينظر إليه بوصفه إجراءً بين المتكلم والمخاطب، ويرتبط بفعاليّة تواصلية يتحدد شكلها بوساطة غاية اجتماعية، فإنّ الغاية الرئيسة للخطاب النبوي هي غاية توجيهية تعليمية، تتمثل غالباً في بيان المضامين الكلية التي جاء القرآن الكريم بها، وحثّ الناس عليها، كما قال الله عز وجل: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٢)، فهو البيان الذي اصطفاه ربّه عن جدارة واستحقاق ليكون شارحاً لكتابه، وموضحاً لمعالم دينه، ومن ثمّ فإنّ هذا البيان له من السُلطة والقداسة مالا يتوافر لغيره من حديث الناس. وإذا كان البيان كما ورد في الآية شاملاً لأنواع السنّة النبوية: القولية، والفعليّة، والتقريرية، فإنّ الخطاب النبويّ أكثر خصوصية؛ إذ لا يشمل إلا الجانب التواصلية (اللفظية) في الحديث النبويّ الشريف الذي دار بين النبي -ﷺ- ومخاطبيه، أو الذي

(١) إبراهيم عوضين: تأملات في البيان النبوي، (القاهرة، مطبعة السعادة، ط ٢:

١٤٠١هـ/١٩٨١م) ص ٨٧.

(٢) سورة النحل: آية ٤٤.

وجّه النبي لمخاطبيه، في سياقات اجتماعية محددة.

ثانياً_ الكفاءة اللغوية والتداولية للخطاب النبوي

لا شك في أنّ امتلاك القدرة على التحكم باللغة والتأثير في المخاطبين مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بالكفاءة اللغوية والتداولية (التواصلية) للمخاطب؛ حيث يقول د. عبد السلام المسدي: "... فنوايا المتكلم ومقاصده تطفو على سطح الخطاب على شكل إشاراتٍ لسانية تنصّهر في اللغة"^(١)، وإذا كان الخطاب يعتمد في إنتاجه والتأثير به على الكفاءتين اللغوية والتداولية (التواصلية) فإنّ الخطاب النبوي الشريف في أيّ من سياقاته يأتي في ذروة السنام وأعلى القمم وأرفع المستويات؛ حيث إنّ جمع لمنشئه - ﷺ - من الكفاءتين (اللغوية والتداولية) مالم يجمع لغيره من الناس. أمّا عن قدرته وكفاءته اللغوية، فلا يخفى على أحد مدى فصاحته وبلاغته - ﷺ - التي شهد له بها جميع من تشنّف آذانهم بحسن بيانه، والتي أثبتتها له حتى المخالفين لمنهجه؛ حيث اعترف المستشرقون وأقروا بأنّ "لغة محمد - ﷺ - قد بلغت الغاية في الروعة والنقاء"^(٢)؛ وذلك لما اجتمعت له - ﷺ - من عوامل متعددة ثقت لسانه، وأحكمت بيانه، ومنها: نسبه الكريم في قريش، وكانت قريش من أفصح العرب، وأبعدهم عن رديء اللهجات. ومنها استرضاعه ونشأته الأولى في بادية بني سعد بن بكر، حيث يقول ابن اسحق (ت ١٥١هـ): "وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ لِأَصْحَابِهِ: أَنَا أَعْرَبُكُمْ أَنَا قُرَشِيٌّ، وَأَسْتَرْضِعْتُ فِي بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ"^(٣)، وكانت البادية من أنقى البيئات وأصفها وأكثرها حرصاً على الفصاحة، فضلاً عن السلامة اللغوية. ومنها: قلبه النقي الطاهر المتصل بربه، النابض بأشرف المعاني، وأزكى الفكر، وعقله المتوقّد الذكي، وذهنه الحادّ المتوهج، وبصيرته النفاذة إلى بواطن الأمور، فضلاً عن كونه - ﷺ -

(١) اللسانيات وأسسها المعرفية، (تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٦م) ص ١٣٨.

(٢) نجيب العقيلي: المستشرقون، (القاهرة، دار المعارف بمصر، ١٩٦٤م) ٤٧/٢.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، تح: مصطفى السقا، وإبراهيم الإبياري، (بيروت دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت). ١٧٦/١.

مشمولاً بتأييد إلهي محكم، يعصمه من العيوب التي لا يخلو من الوقوع فيها غيره من الفصحاء، فلا غرو أن "كان رسول الله -ﷺ- أفصح العرب، على أنه لا يتكلف القول، ولا يقصد إلى تزيينه، ولا يتبغي إليه وسيلة من وسائل الصنعة، ولا يجاوز به مقدار الإبلاغ في المعنى الذي يريده، ثم لا يعرض له في ذلك سقط ولا استكراه"^(١). وأما عن كفاءته التداوئية (التواصلية)، فقد جمع رسول الله -ﷺ- بين القدرة الخطابية، والقدرة الاجتماعية، والقدرة الحوارية^(٢)، وتمثل الأولى (الخطابية) في ربط الجمل والتراكيب لتكوين خطاب له معنى ودلالة، في سلسلة لغوية متتابعة من الأبنية والتراكيب، مع ضرورة توفر خاصيتي السبك والانسجام بين عناصر الخطاب، وتمثل الثانية (الاجتماعية) في معرفة المتكلم للقواعد الاجتماعية للاستعمال اللغوي، أي معرفة القوانين التي تحدد الملاءمة وعدمها للخطاب المنتج من العادات اللغوية للمجتمع، أما الثالثة (الحوارية)، فهي قدرة خاصة بتحقيق الملاءمة اللغوية للخطابات المنتجة لنصوص اللغة، من خلال التنسيق الذي يقوم به المتكلم/السامع لتحقيق الترابط بين الشكل والمعنى والوظيفة التواصلية المرجوة من البناء اللغوي المنتج^(٣). وكان رسول الله -ﷺ- جامعاً لأفضل مهارات التواصل من الإقبال على المخاطب، والتواضع للمحاور، وحسن الاستماع له، والإصغاء إليه، وترك مقاطعته والتشاغل عنه، إلى غير ذلك من المهارات الاتصالية العالية، والأدب الرفيع الذي كان يتسم به -ﷺ- مع مخاطبيه. وإذا كان النبي -ﷺ- قد بلغ الغاية في الفصاحة والبلاغة، فإن من مقتضى تلك البلاغة معرفته -ﷺ- بالمقامات، ومراعاته لعناصر الحدث الكلامي من

(١) مصطفى صادق الرافعي: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، (بيروت، دار الكتاب العربي، د.ط)، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م) ١/١٤٩.

(٢) هذه القدرات الثلاثة تمثل الكفايات الثانوية التي تنفرع عن القدرة التداوئية (التواصلية)، ينظر: د. مجيد الماشطة: شظايا لسانية، (لندن، دار السياب للطباعة والنشر، ٢٠٠٨م، ص ٩١، ود. محمد يونس، مدخل إلى اللسانيات، (بيروت، دار الكتاب الجديد، ٢٠٠٤م، ص ٤٧.

(٣) ينظر: السابق، نفسه.

استراتيجيات الخطاب النبوي - مقارنة تداولية في سياق غزوة تبوك، د. علي بن يحيى نصر عبد الرحيم

موضوع الخطاب، وبيئته، والهدف منه، ومراعاته أيضاً شمائل المخاطبين وخصائصهم ومعرفة أقدارهم، وتوجيه الخطاب المناسب للمخاطب المناسب، إلى غير ذلك من الكفايات التداولية التواصلية التي سيظهر أثرها في استراتيجيات خطابه الشريف.

ثالثاً - سياق غزوة تبوك

يُستعمل مصطلح (السياق) في الدراسات العربية المعاصرة مقابلاً للمصطلح الأعجمي (context)، وله عدة تعريفات، منها: أنه "الأجزاء التي تسبق النص أو تليه مباشرة، ويتحدّد من خلالها المعنى المقصود"^(١). أو أنه "البيئة اللغوية المحيطة بالعنصر اللغوي المراد تحليله"^(٢). كما يُعرّف أيضاً بأنه "مجموع ما يحيط بالنصّ من عناصر مقالّية ومقاميّة توضّح المراد وتبيّن المقصود"^(٣). وعرّف الزنكي السياق بأنه "ما انتظم القرائن الدالة على المقصود من الخطاب، سواء كانت القرائن مقالّية أو حالية، وتعبير آخر: هو العبارات المكونة والسابقة واللاحقة والغرض الذي جاء من أجله الكلام"^(٤). والتعريفان الأخيران أكثر شمولية؛ لأنهما يشمّلان نوعي السياق: المقالي والمقامي، فالسياق المقالي -ويُسمّى أيضاً بالنصّي واللغويّ- هو: "النص الذي تذكر فيه الكلمة، وما يشتمل عليه من عناصر لغوية مختلفة، تفيد في الكشف عن المعنى الوظيفي لهذه الكلمة"^(٥)، أمّا السياق المقامي، ويسمى ب(السياق الحالي)، أو (سياق الموقف) فيقع ضمنه الأنواع الأخرى من السياقات التي منها: السياق الثقافي،

(١) عليّة عزة عياد: معجم المصطلحات اللغوية والأدبية، (الرياض، مطبعة المريخ، ١٩٨٤م) ص ٨٣.

(٢) ردة الله الطلحي: دلالة السياق، (مكة المكرمة، مطبعة جامعة أم القرى، ١٤٢٥هـ) ص ٨.

(٣) إبراهيم الصبان: السياق بين علماء الشريعة والمدارس اللغوية الحديثة، ضمن أعمال الندوة العلمية الدولية التي نظمتها الرابطة المحمدية للعلماء، المغرب، جمادى الثانية ١٤٢٨هـ/يونيو ٢٠٠٧م، ط١، ٢٠٠٧م، ص ٣٣٢.

(٤) نجم الدين قادر كريم زنكي، نظرية السياق: دراسة أصولية، (بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٦م) ص ٦٣.

(٥) مصطفى النحاس: المعنى النحوي في التراث وعلم اللغة الحديث، منشور في كتاب (في قضايا الأدب واللغة)، (الكويت، مؤسسة الصباح، د.ط)، ١٩٨١م) ص ١٦٧.

والعاطفي، والسببي... إلخ.

والسياق المقامي ينتظم القرائن المقاميّة التي تفسر الغرض الذي جاء النص لإفادته، سواء كانت قرائن في الخطاب ذاته أو في المتكلم أو في المخاطب أو في الجميع^(١). وهو ما عبّر عنه مالينوفسكي (Halliday M.A.K.) بالمقام، وهو البيئة المحيطة بالنص^(٢). ويدخل في السياق المقامي أسباب النزول للآيات القرآنية، أو الورد للحدِيث الشريف، والتي تسمى عند بعض الباحثين بالسياق التاريخي^(٣).

ويأتي الخطاب النبويّ إبان غزوة تبوك في سياق زمني ومكاني له خصوصيته، فهذه الغزوة هي آخر غزوات النبي -ﷺ- وأعظمها، وتبوك منتهى سير النبي -ﷺ- وآخر أثره في جزيرة العرب، وكانت غزوة تبوك في شهر رجب سنة تسع من الهجرة^(٤)، ولم يعيش بعدها رسول الله -ﷺ- إلا زمنًا يسيرًا، وهي "أعظم غزوة في تاريخ العهد النبوي، من حيث كون الجيش الذي قام بها بلغ ثلاثين ألفًا، وهو عدد لم يسبق في تاريخ العهد النبويّ"^(٥)، كما أنّها كانت آخر عملية عسكرية يقوم بها -ﷺ- حتى توفاه الله^(٦)، وقد استغرقت الغزوة "خمسین يومًا، أقام منها رسول الله -ﷺ- عشرين

(١) زنكي، ص ٦٣.

(٢) Halliday M.A.K., Ruqaiya Hasan, Language, Context and Text: Aspects of Language in a Social-Semiotic Perspective, Oxford University Press, UK, 1991, p. 6.

(٣) ينظر بلقيس الطيب: بلاغة السياق في خواتيم سورة النحل، ندوة الدراسات البلاغية: الواقع والمأمول، المنعقدة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض: ١٤٣٢هـ، ص ٣٥١.

(٤) الطبري: حاشية خلاصة سير سيد البشر -ﷺ-، تح. زهير الخالد، (الدوحة، وزارة الأوقاف القطرية، ط ٢، ١٤٢٥هـ، ١/٣٥٠).

(٥) محمد أحمد باشمیل: موسوعة القرآن الكبرى (غزوة تبوك)، (القاهرة، المكتبة السلفية، القاهرة، ط ٣، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م) ص ٥.

(٦) ينظر: السابق: نفسه.

يوماً في تبوك، والبواقي قضاها في الطريق جيئةً وذهاباً^(١). وقد جهد المسلمون في هذه الغزوة جهداً عظيماً، ولا أدلّ على ذلك ولا أبلغ من تعبير القرآن الكريم عن قسوة الظروف المحيطة بالغزوة، حيث عبّر النظم القرآني عنها بـ(ساعة العسرة)، وذلك في قول الله عزّ وجلّ: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِنْهُمْ﴾^(٢)، يقول الإمام الألوسي في تفسير الآية: "ساعة العسرة، أي: في وقت الشدة والضيق، والتعبير عنه بالساعة لزيادة تعيينه، وكانت تلك الشدة حالهم في غزوة تبوك؛ فإنهم كانوا في شدة من الظهر، يعتقب العشرة على بعير واحد، وفي شدة من الزاد، تزودوا التمر المدود، والشعير المسوس، والإهالة الزنخة، وبلغت بهم الشدة أن قسم التمرة اثنان، وربما مصّها الجماعة ليشربوا عليها الماء...، وفي شدة من الماء، حتى نحروا الإبل واعتصروا فروثها...، وفي شدة زمان من حارة القيظ، ومن الجذب والقحط، ومن هنا قيل لتلك الغزوة غزوة العسرة، ولجيشها جيش العسرة"^(٣). فالتعبير القرآني "يختصر كل ما أحاط بذلك الزمن من معوقات نفسية وجسدية وبيئية، ومع هذا كانت الغزوة، وهذه الإشارة تدلّ على أهمية المكان الذي تحرك الجيش الإسلامي لقصدته، وكذلك أهمية الحدث ذاته، إذ لو لم يكن بهذه الأهمية الكبيرة لما خرج رسول الله -ﷺ- بالناس في هذه الظروف الصعبة"^(٤).

والعجيب في هذه الغزوة أنه بعد هذا الجهد الجهد وذلك المسير الطويل لم يلق المسلمون عدواً ولم يريقوا دمًا، ومن ثمّ ذكر بعض الباحثين أنّ السبب الحقيقي للغزوة "يكمن في علم النبي -ﷺ- أنّ انتقاله إلى الرفيق الأعلى قد دنا، وأنه لا يغزو بنفسه

(١) عبد الرحمن المباركفوري: الرحيق المختوم، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٥هـ) ٤٢٧/١.

(٢) سورة التوبة: ١١٧.

(٣) تفسير روح المعاني، (بيروت، دار إحياء التراث العربي (د.ت)) ٤٠/١١.

(٤) عويض العطوي: غزوة تبوك ودلالة الزمان والمكان، ملتقى تبوك الأول (الثقافة والتنمية)، النادي الأدبي بتبوك، ١٩: ١١/٢٢/١٤٢٩هـ، ص ٤.

في داخل جزيرة العرب بعد أن أتم الله عليه نعمته، وأكمل له دينه، وثبت له قوائم رسالته، واستسلم له العرب، ودخلوا في دين الله أفواجاً...، ولم يبق له -ﷺ- في حياته المباركة الشريفة إلا أن يخطو بمجتمعه المسلم الخطوة الأولى في إعلان عموم الرسالة عملياً، بعد أن أعلنها القرآن الكريم نظرياً في كثير من آياته البينات، في تطبيق عملي يقوده -ﷺ- بنفسه، وفي غزوة استوعبت جماهير المجتمع المسلم؛ ليريه من آيات الله في عموم الرسالة ما يجب عليهم أن يتخذوه منهجاً في الدعوة إلى الله^(١). وهذا الرأي مقبول، وهو ما يميل إليه الباحث ويرتضيه في هذا الصدد؛ لا سيما أن هذا الرأي يُفسر لنا لم اشتمل خطاب النبي -ﷺ- في سياق غزوة تبوك على العديد من الأخبار الغيبية التي ستقع قريباً أو سوف تقع، وكذلك اشتماله على البشارات المستقبلية التي سوف تشهدها أمته من بعده، وهي التي وردت ضمن الأحاديث النبوية الآتية:

فمن النبوءات الغيبية إخباره -ﷺ- أصحابه بريحٍ شديدة ستهب عليهم من ليلتهم، حيث قال -ﷺ-: "أَمَّا إِهْمَا سَتَهْبُ اللَّيْلَةُ رِيحٌ شَدِيدَةٌ فَلَا يُقْوَمَنَّ أَحَدٌ، وَمَنْ كَانَ مَعَهُ بَعِيرٌ فَلْيَعْقِلْهُ"^(٢)، وإخباره بالمكان والزمان الذي سيبلغ فيه أصحابه تبوك، وذلك قوله -ﷺ-: "إِنَّكُمْ سَتَأْتُونَ عَدَاً إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَيْنَ تَبُوكَ، وَإِنَّكُمْ لَنْ تَأْتُوهَا حَتَّى

(١) محمد الصادق عرجون: محمد رسول الله -ﷺ- منهج ورسالة، (دمشق، دار القلم، ط ٢، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ٤/٤٧٦).

(٢) الإمام البخاري: الجامع الصحيح، (بيروت، دار ابن كثير، ط ٣، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م). كتاب الزكاة (باب خرص التمر)، ج ٣/ص ٥٣٩، من حديث أبي حميد الساعدي، قال: "عَزَوْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَزْوَةَ تَبُوكَ، فَلَمَّا جَاءَ وَادِي الْفُرَى إِذَا امْرَأَةٌ فِي حَدِيقَةٍ هُنَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ: اخْرُصُوا، وَخَرَصَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَةَ أَوْسُقٍ، فَقَالَ هُنَا: أَحْصِي مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، فَلَمَّا أَتَيْنَا تَبُوكَ، قَالَ: "أَمَّا إِهْمَا سَتَهْبُ... الحديث.

استراتيجيات الخطاب النبوي - مقارنة تداولية في سياق غزوة تبوك، د. علي بن يحيى نصر عبد الرحيم

يُضْحِي النَّهَارُ، فَمَنْ جَاءَهَا مِنْكُمْ، فَلَا يَمَسَّ مِنْ مَائِهَا شَيْئًا حَتَّى آتِي" (١)، وإخباره بعلامات الساعة وأشراتها، وذلك قوله -ﷺ- لعوف بن مالك -ﷺ-: "اغْدُ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: مَوْتِي، ثُمَّ فَتَحُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ، ثُمَّ مُوتَانٌ يَأْخُذُ فِيكُمْ كُفْعَاصِ الْعَنَمِ، ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ الْمَالِ، حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِائَةَ دِينَارٍ فَيَظِلُّ سَاحِطًا، ثُمَّ فِتْنَةٌ لَا يَبْقَى بَيْتٌ مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا دَخَلْتَهُ، ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الْأَصْفَرِ، فَيَعْدِرُونَ، فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً، تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا" (٢). ومن البشارات التي تضمنها خطابه -ﷺ- في تبوك: "يُوشِكُ يَا مُعَاذُ أَنْ تَطَالَتِ بِكَ حَيَاةٌ، أَنْ تَرَى مَا هَاهُنَا قَدْ مَلِئَ جَنَانًا" (٣)، يعني (تبوك) وما حولها، وقوله -ﷺ-: "إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَعْطَانِي اللَّيْلَةَ كَنْزَيْنِ: كَنْزَ فَارِسَ وَالرُّومِ، وَأَمَدَّنِي بِالْمُلُوكِ: مُلُوكَ حَمِيرَ، يَأْتُونَ فَيَأْخُذُونَ مِنْ مَالِ اللَّهِ، وَيُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ" (٤)، ومن البشارات الأخروية قوله -ﷺ-: "... مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، أَوْجَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ بِهَا الْجَنَّةَ، وَأَعْتَقَهُ بِهَا مِنَ النَّارِ" (٥).

(١) الإمام مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ٤/١٧٨٤)، من حديث معاذ بن جبل، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ غَزْوَةِ تَبُوكَ، فَكَانَ يَجْمَعُ الصَّلَاةَ، فَصَلَّى الطُّهْرَ وَالْعَصْرَ جَمِيعًا، وَالْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ جَمِيعًا، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمًا أَحْرَ الصَّلَاةَ، ثُمَّ خَرَجَ فَصَلَّى الطُّهْرَ وَالْعَصْرَ جَمِيعًا، ثُمَّ دَخَلَ، ثُمَّ خَرَجَ بَعْدَ ذَلِكَ، فَصَلَّى الْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ جَمِيعًا، ثُمَّ قَالَ: إِنَّكُمْ سَتَأْتُونَ... الحديث.

(٢) البخاري، ٣/١١٥٩.

(٣) مسلم: ٤/١٧٨٤، من حديث معاذ بن جبل السابق.

(٤) الإمام أحمد، المسند: تح. أحمد محمد شاكر، (القاهرة، دار المعارف بمصر، ط ٣، ١٤٠٤هـ، ٥/٢٧٢)، من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ الشَّعْبَانِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ حَنْعَمٍ، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، فَوَقَفَ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ...، وذكر الحديث.

(٥) الإمام أحمد: ٣/٤٦٦، من حديث سُهَيْلِ بْنِ بَيْضَاءَ، أَنَّهُ قَالَ: نَادَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَأَنَا رَدِيقُهُ: "يَا سُهَيْلُ ابْنَ بَيْضَاءَ" رَافِعًا بِهَا صَوْتَهُ مِرَارًا، حَتَّى سَمِعَ مَنْ خَلْفَنَا وَأَمَامَنَا، فَاجْتَمَعُوا، وَعَلِمُوا أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِشَيْءٍ...، وذكر الحديث.

وهذا يدعونا إلى سؤال مفاده: ما علاقة هذه الموضوعات بسياق غزوة تبوك؟ ولم تضمّن خطاب النبي -ﷺ- لأصحابه مثل هذه الموضوعات المشتملة على الإخبار بالغيب والتبشير بالمستقبل في هذه الغزوة؟

أقول: ثمة اتّساق دقيق ومناسبة لطيفة بين موضوع الخطاب النبوي في غزوة تبوك المشتمل على الإخبار بالغيب والتبشير بالمستقبل وبين سياق الغزوة، فمن ناحية جاءت هذه البشارات في سياق بالغ الصعوبة، حيث الشدة والعسرة التي صاحبت هذه الغزوة ولازماتها، فكان التبشير من قبل النبي -ﷺ- لأصحابه على النحو الذي مرّ من قبيل المؤانسة والتسليّة والتلطيف، وبث الأمل، واستنفار الهمم، وبعث روح الإيجابية في النفوس، ومن ناحية أخرى، فإنّ هذه الغزوة كانت آخر غزوات النبي -ﷺ- ولعله أحسنّ بدنو أجله كما أشار البحث آنفاً، فأراد أن يطلع أمته على مميزاتها وموقعها بين الأمم، وما ينتظرها في مستقبل الزمان بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى، حتى تتأهب وتستعد لما سيلاقها في مستقبل أيامها، وبناءً على ذلك فإنّ هذه البشارات جاءت متساوقة تماماً مع سياق الغزوة. وفي إطار هذا السياق جاء الخطاب النبوي الشريف ببلاغته العالية وبيانه الرفيع متضمناً الاستراتيجيات التخاطبية الرئيسة، من: الاستراتيجية التضامنيّة، والتوجيهيّة، والتلميحيّة، فضلاً عن استراتيجية الإقناع، وهذا ما سنتناوله الدراسة في الصفحات القادمة.

المبحث الثالث: استراتيجيات الخطاب النبوي في سياق غزوة تبوك

كل خطاب ينهض على نظام شكلي دلالي، وكونه موجهاً إلى متلق ما، فإنه يطمح إلى أن يكون فعلاً تأثيرياً لتحقيق إنجاز ما، وفي المنظور التداولي لا قيمة للمفردات أو العبارات بعيدة عن سياقها، إذ لا بد من دراسة المفردات والعبارات التي يوجهها المتكلم داخل السياق، ومن خلال الظروف المحيطة به، ومن خلال زمان ومكان التخاطب؛ لكي تتضح مقاصد المخاطب والمعاني المطلوب إيصالها للمخاطب. وإذا كان لكل خطاب فاعل استراتيجي من شأنها أن تدعم تحقيق دلالاته في أبعث صورة وأجلاها، فمما لا شك فيه أن الخطاب لا تتحقق استراتيجياته إلا بأدوات وآليات مبدؤها ومنتههاها اللغة، وتتمثل الأدوات في المعجم اللغوي الذي هو بمثابة لبنات البناء، وخيوط النسيج، أما الآليات فتتمثل في الشكل الذي يُنتج الخطاب من خلاله، ويُنسج في منواله، ومن خلال تحليل الخطاب "تبرز الأدوات اللغوية والآليات الخطابية المنتقاة، ومن خلال تتبع خصائصه التعبيرية يمكن معرفة الكيفية التي تعامل المرسل مع ذاته ومع المرسل إليه، هل أجله واحترمه أم أهانه وحقره، هل حاول أن يقربه أم يبعده، هل حاول إقناعه أم فرض سلطته عليه مباشرة، هل تنازل عن موقعه الاجتماعي أو الوظيفي تقديراً للمرسل إليه، أم أنه مكث في عليائه، كل هذه الاعتبارات وغيرها تبين كيف يمكن للغة الخطاب أن تقود الفاحص إلى إجابات واضحة على هذه التساؤلات"^(١)، وإذا تأملنا الخطاب النبوي الشريف في سياق غزوة تبوك نجد أنه في سبيل تحقيق غاياته تضمن عدّة استراتيجيات، سوف يقف البحث في صفحاته القادمة مع أربع منها، هي: الاستراتيجية التضامنية، والاستراتيجية التوجيهية، والاستراتيجية التلميحية، فضلاً عن استراتيجية الإقناع، وتلك هي استراتيجيات الخطاب الرئيسة التي أشار إليها البحث آنفاً.

أولاً - الاستراتيجية التضامنية

وهي "الاستراتيجية التي يحاول المرسل أن يجسد بها درجة علاقته بالمرسل إليه

(١) عبد الهادي الشهري، المقدمة ص iii.

ونوعها، وأن يعبر عن مدى احترامه لها، ورغبته في المحافظة عليها أو تطويرها بإزالة معالم الفروق بينهما، وإجمالاً، هي محاولة التقرب من المرسل إليه وتقريبه^(١). وتجدد الإشارة إلى أنه ينبغي تحديد استراتيجية الخطاب اجتماعياً على عاملين: أولهما، العلاقة بين المرسل والمرسل إليه، التي تتدرج من الحميمية إلى الانعدام التام، والثاني، السُّلطة، وقد جعل ليتش (Geoffrey Leech) التضامنية بعداً اجتماعياً في مقابل السُّلطة^(٢). وبحسب الشهري، فإنه يوجد "بين هذين الصنفين تناسب عكسي، حيث يتضامن المرسل مع المرسل إليه، أو يكون لديه الاستعداد للتضامن عندما تتدنى درجة سلطته، وقد لا يتضامن المرسل أو لا يرغب في التضامن عندما تعلو سلطته، فقد يُفضّل أن يتعامل مع المرسل إليه بخطاب رسمي يؤكد على رغبته في إبقاء الفرق بينهما كما هو، وبرغم هذا، فإن الرغبة ليست على إطلاقها، فقد يرغب المرسل إليه رغم سلطته في التضامن"^(٣). والسُّلطة كما عرّفها أحمد زكي بدوي هي: "القدرة على التأثير، وهي تأخذ طابعاً شرعياً في إطار الحياة الاجتماعية، والسُّلطة هي القوة الطبيعية أو الحق الشرعي في التصرف أو إصدار الأوامر في مجتمع معين، ويرتبط هذا الشكل من القوة بمركز اجتماعي يقبله أعضاء المجتمع بوصفه شرعياً، ومن ثم يخضعون لتوجيهاته وأوامره وقراراته"^(٤).

وعلى الرغم من السُّلطة العليا والمكانة السامقة الرفيعة التي تبوأها رسول الله - ﷺ - بين أصحابه؛ كونه الحاكم، والقاضي، والقائد العسكري الأعلى، فضلاً عن كونه مشرعاً للدين، ومبلغاً عن رب العالمين، ورسولاً هادياً وجب على المؤمنين به اتباعه، وطاعته ومحَبَّته ولزوم أمره وغرزه، والانتهاز عن عصيانه ومخالفة أمره والتقدم عليه، أقول: على الرغم من كل ذلك، إلا أنه - ﷺ - في خطابه كان غايةً في التأدب

(١) السابق: ص ٢٥٧.

(٢) يُنظر: Principles of pragmatics, Longman group limited, London, 1996, p132.

(٣) عبد الهادي الشهري: ص ٢٥٦، ٢٥٧.

(٤) أحمد زكي بدوي: معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، (بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٧٨م)

ص ٢٢٥.

استراتيجيات الخطاب النبوي - مقارنة تداولية في سياق غزوة تبوك، د. علي بن يحيى نصر عبد الرحيم

والتلطف والتودد، حريصاً على التقرب من مخاطبيه، والإقبال عليهم، والتواضع معهم، وخفض الجناح لهم، وقد ظهر ذلك جلياً في خطاب النبي -ﷺ- في سياق غزوة تبوك، فعلى الرغم من بُعد الشُّقَّة، وطول المسافة، ووعناء السفر، وعناء المسير، نجدُ رسول الله -ﷺ- يُسامر أصحابه ويلاطفهم، ويحدثهم ليؤانسهم ويخفف عنهم عناء السفر وجهد المسير، وهو في كلِّ مخاطباته لا يعدو وظيفته الأساسية، كونه -ﷺ- هادياً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه. وتمثل الاستراتيجية التضامنية واضحةً جليةً أثناء المسير في الطريق إلى تبوك، وذلك في خطاب النبي -ﷺ- محاوراً معاذ بن جبل -رضي الله عنه- في حديث طويل، دونك نصّه:

"عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- خَرَجَ بِالنَّاسِ قِبَلَ غَزْوَةِ تَبُوكَ، فَلَمَّا أَنْ أَصْبَحَ صَلَّى بِالنَّاسِ صَلَاةَ الصُّبْحِ، ثُمَّ إِنَّ النَّاسَ رَكِبُوا، فَلَمَّا أَنْ طَلَعَتِ الشَّمْسُ نَعَسَ النَّاسُ عَلَى أَثَرِ الدُّجَّةِ، وَلَزِمَ مُعَاذُ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- يَتْلُو أَثَرَهُ، وَالنَّاسُ تَفَرَّقَتْ بِهِمْ رِكَابُهُمْ عَلَى جَوَادِ الطَّرِيقِ، تَأْكُلُ وَتَسِيرُ، فَبَيْنَمَا مُعَاذٌ عَلَى أَثَرِ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- وَنَاقَتُهُ تَأْكُلُ مَرَّةً، وَتَسِيرُ أُخْرَى، عَثَرَتْ نَاقَهُ مُعَاذٌ فَكَبَحَهَا بِالرِّمَامِ، فَهَبَّتْ حَتَّى نَفَرَتْ مِنْهَا نَاقَةُ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- كَشَفَ عَنْهُ قِنَاعَهُ، فَالْتَفَتَ، فَإِذَا لَيْسَ مِنَ الْجَيْشِ رَجُلٌ أَدْنَى إِلَيْهِ مِنْ مُعَاذٍ، فَنَادَاهُ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- فَقَالَ: يَا مُعَاذُ، قَالَ: لَيْتَكَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ، قَالَ: اذُنُ دُونِكَ، فَدَنَا مِنْهُ حَتَّى لَصِقَتْ رَاحِلَتَاهُمَا إِحْدَاهُمَا بِالْأُخْرَى، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: مَا كُنْتُ أَحْسِبُ النَّاسَ مِنَّا كَمَكَاهِمُ مِنَ الْبُعْدِ، فَقَالَ مُعَاذُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، نَعَسَ النَّاسُ فَتَفَرَّقَتْ بِهِمْ رِكَابُهُمْ تَرْتَعُ وَتَسِيرُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: وَأَنَا كُنْتُ نَاعِسًا، فَلَمَّا رَأَى مُعَاذٌ بُشْرَى رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- إِلَيْهِ وَخَلَوْتُهُ لَهُ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائِذَنْ لِي أَسْأَلَكَ عَنْ كَلِمَةٍ قَدْ أَمْرَضَتْني، وَأَسَقَمَتْني، وَأَحْزَنْتني، فَقَالَ نَبِيَّ اللَّهِ -ﷺ-: سَلْنِي عَمَّ شِئْتِ، قَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، حَدِّثْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ، لَا أَسْأَلُكَ عَنْ شَيْءٍ غَيْرِهَا، قَالَ نَبِيَّ اللَّهِ -ﷺ-: بَخٍ بَخٍ، لَقَدْ سَأَلْتَ بِعَظِيمٍ ثَلَاثًا، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ أَرَادَ اللَّهُ بِهِ الْخَيْرَ، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ أَرَادَ اللَّهُ بِهِ الْخَيْرَ، فَلَمْ يُحَدِّثْهُ بِشَيْءٍ إِلَّا قَالَ لَهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، يَعْنِي: أَعَادَهُ عَلَيْهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، حِرْصًا لِكَيْ مَا يُثِقَنَهُ عَنْهُ، فَقَالَ نَبِيَّ اللَّهِ -ﷺ-: تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ،

وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا حَتَّى تَمُوتَ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَعِدْ لِي، فَأَعَادَهَا لَهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ -ﷺ-: إِنْ شِئْتَ حَدَّثْتُكَ يَا مُعَاذُ بِرَأْسِ هَذَا الْأَمْرِ، وَقَوَامِ هَذَا الْأَمْرِ، وَذُرُوعِ السَّنَامِ، فَقَالَ مُعَاذُ: بَلَى يَا أُمَّي وَأُمَّي أَنْتَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ فَحَدَّثَنِي، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ -ﷺ-: إِنْ رَأْسَ هَذَا الْأَمْرِ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَإِنَّ قَوَامَ هَذَا الْأَمْرِ إِقَامَ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ، وَإِنَّ ذُرُوعَ السَّنَامِ مِنْهُ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، وَيَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ فَقَدْ اعْتَصَمُوا وَعَصَمُوا دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحَسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: وَالَّذِي نَفْسِي مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، مَا شَحَبَ وَجْهَهُ، وَلَا اغْبَرَّتْ قَدَمٌ فِي عَمَلٍ تُبْتَعَى فِيهِ دَرَجَاتُ الْجَنَّةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ الْمَفْرُوضَةِ، كَجِهَادٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَلَا تَقُلَ مِيزَانُ عَبْدٍ كَدَابَّةٍ تَنْفُقُ لَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ يَحْمِلُ عَلَيْهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ" (١).

ففي هذا الحديث الماتع تتجلى الاستراتيجية الخطابية التضامنية في أرقى نماذجها، من خلال آليات وأساليب لها دورها في تحقيق هذه الاستراتيجية، وأول ما يتلقى السامع من خطاب النبي -ﷺ- نداؤه لمعاذ بن جبل -ﷺ- وذلك بعد أن كشف -ﷺ- قناعه عن وجهه والتفت، فلم يجد من الركب الذين تفرقت بهم الدواب على الطرق وقتئذٍ أقرب إليه من معاذ، "فَنَادَاهُ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- فَقَالَ: يَا مُعَاذُ، وَهنا نقف مع أول آلية استعملها رسول الله -ﷺ- للإشعار بالملاطفة والتضامن في بداية حوار مع صاحبه، حيث النداء والمخاطبة بالاسم العلم (يَا مُعَاذُ)؛ فالنداء فيه تنبيه للمخاطب، وتهيئة لسمعه وقلبه، ونداء المخاطب بما يجب من الأسماء يزيد الانتباه، ويستدعي الإجابة، ويجدد النشاط، ويبعث على القرب، والنداء بالاسم الأول (مُعَاذُ)

(١) الإمام أحمد: ٢٤٥/٥، ٢٤٦. وإسناده حسن، ينظر: عبد القادر حبيب الله السندي: الذهب المسبوك في تحقيق روايات غزوة تبوك، مطابع الرشيد، المدينة المنورة (د.ط)

يُشعر المخاطب بنوع من الألفة والتضامن، فقد قرر هدسون^(١) (Hudson) أنّ اختيار المتكلم أسماء معينة لمخاطبه يصوّر مدى القوة والتضامن في العلاقة بين المخاطب والمخاطب، ومن ثمّ فإنّ استخدام الاسم الأول أو اسم العائلة أو اللقب للمخاطب يتحدّد بناء على مدى هذه العلاقة. وعلى الرغم من أنّ المخاطبة بالعلم في اللغة العربية له مستويات ثلاثة: هي (الاسم، واللقب، والكنية)، فإنّ "في تجسيد الاستراتيجية التضامنية نجد أنّ الاسم الأول أقوى دلالة عليها من الكنية واللقب"^(٢)، وتعدّ صيغ المخاطبة، وطريقة نداء المرسل إليه من الدلائل اللغوية على العلاقات الاجتماعية بين طرفي الخطاب، كما أنّ اختيار الاسم الأول مناسب في مقام التعليم، والني -ﷺ- في مقامه هذا وفي غيره من المقامات معلّم بالدرجة الأولى، بخلاف مخاطبة معاذ له بالنبوة (يَا نَبِيَّ اللَّهِ) تعظيماً وتكريماً وتوقيراً، وبحسب د. شاهر حسن فإنّ المتكلم يختار مستوى لغويّاً معيناً وفقاً لمتطلبات المقام، على سبيل المثال "فالمعلم في غرفة الصف مثلاً يخاطب طلابه بالاسم الأول، في حين يلجأ الطالب عندما يخاطب المعلم إلى استعمال لقب نحو (يا) أستاذ، (يا) دكتور، وقد يضيف الطالب بعد هذه الألقاب اسم الأستاذ أو الدكتور نحو (يا) أستاذ أحمد، (يا) دكتور علي"^(٣)، ولا يخفى ما في هذا الحديث من تعليم وتوجيه.

ثمّ تابع النبي -ﷺ- في خطاب التلطف مع معاذ طالباً منه الاقتراب، قائلاً له: "اذنْ دُونَكَ"، فلَمَّا دَنَا مِنْهُ إِلَى حَدِّ كَبِيرٍ، بَحِثَ التَّصَقَّتْ رَاحَتَيْهِمَا، شَرَعَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- فِي بَسْطِ الْحَدِيثِ مَعَهُ، فَاتَّخَذَ لَهُ بَابَ الْحَوَارِ، مَفْصَحًا لَهُ عَنِ مَا دَارَ فِي خَلْدِهِ بِشَأْنِ تَفَرُّقِ الْجَيْشِ عَلَى مَسَالِكِ الطَّرِيقِ، وَبُعْدِهِمْ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- قَائِلًا لَهُ: "مَا كُنْتُ أَحْسِبُ النَّاسَ مِنَّا كَمَا كَانِهِمْ مِنَ الْبُعْدِ"، وَلِكَ أَنْ تَلَاخِظَ مَعِيَ أَيُّهَا الْقَارِئُ الْكَرِيمُ اخْتِيَارَ النَّبِيِّ -ﷺ- لِفِعْلِ الْحِسَابِ "أَحْسِبُ" دُونَ (أُظَنُّ) مِثْلًا؛ لِأَنَّ (الظَّنَّ)

(١) ينظر: Sociolinguistics, Cambridge Univ. Press, 1980, p. 122.

(٢) الشهري: ص ٢٨٣.

(٣) علم الدلالة السمانتيكية والبراهماتية في اللغة العربية، (عمان، الأردن، دار الفكر، ٢٠٠١م)،

ص ٤٦.

كما يقول العسكري: "ضرب من الاعتقاد، وقد يكون حساباً ليس باعتقاد"^(١)، وبناءً على هذا، ففي التعبير بـ(الظن) جزم وإلزام، وهو ما تحاشاه رسول الله -ﷺ- في خطابه تلطفاً، وإظهاراً لرحمته بأصحابه، وترققه بهم، وإعذاره لهم. ولم يسلك النبي -ﷺ- سبيل القادة العسكريين في مثل هذا الموقف! فلم يعنف، ولم يُعاتب، وإنما اكتفى بهذه العبارة: "مَا كُنْتُ أَحْسِبُ النَّاسَ مِثًّا كَمَا كَانَهُمْ مِنَ الْبُعْدِ"، حيثُ عبرت كلمة "أَحْسِبُ" عن المفارقة التي أدت إلى تفاجئه -ﷺ- مما رأى من تفرق الجيش عنه وبعدهم عن مكانه بألطف عبارة وأبلغ تعبير، وفي الخطاب ما فيه من الأدب الجَمِّ، والتلطف، والتضامن مع المخاطب. ثمّ لما علل له معاذ -رضي الله عنه- ذلك المشهد بأنّ الناس قد نعسوا، فتفرقت بهم دوابهم وهم لا يشعرون، أفصح رسول الله -ﷺ- لمعاذ عن حاله المشابهة لحالهم، قائلاً: "وَأَنَا كُنْتُ نَاعِسًا"، وفي هذه العبارة إعدار لأصحابه، وتقدير لبشريتهم التي قهر تيقظها النعاس. واللسانيون يجعلون الخطاب بمثل هذه الجملة في هذا المقام من قبيل الاستراتيجية التضامنية، باستعمال آليّة (المكاشفة)، للدلالة على قرب المخاطب من المخاطب، "فاستعمال الصراحة مع مرسل إليه معيّن هو دليل على التضامن والثقة فيه"^(٢).

وقد استشعر المخاطب (معاذ) أثر هذه الاستراتيجية التضامنية في نفسه فيما عبر عنه بالبشرى، وذلك في قوله: "فَلَمَّا رَأَى مُعَاذَ بُشْرَى رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- إِلَيْهِ وَخَلَوْتُهُ لَهُ"، الأمر الذي أغراه بمواصلة الحديث مع رسول الله -ﷺ- فقال له: "يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْتِدْنِي لِي أَسْأَلَكَ عَنْ كَلِمَةٍ قَدْ أَمْرَضَتْنِي، وَأَسَقَمَتْنِي، وَأَحْزَنَتْنِي..". وهنا يخاطبه رسول الله -ﷺ- بأسلوب المدح والإطراء والإعجاب والاستحسان قائلاً: "بِخٍ بَخٍ، لَقَدْ سَأَلْتَ بَعْظِيمٍ ثَلَاثًا" يعني كرر له العبارة ثلاث مرّات، وفي التكرار انشراح نفس، واتساع صدر. وأسلوب الإعجاب والاستحسان الذي عبر عنه النبي -ﷺ- في

(١) أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، تح. محمد إبراهيم سليم، (القاهرة، دار العلم والثقافة،

(د.ط) ١٩٩٨م، ص ٩٩.

(٢) عبد الهادي الشهري: ص ٣٠٢.

قوله: "بَخِ بَخٍ" من آليات الاستراتيجية التضامنية، حيث يقول الشهري: "وقد كثر استعماله، خصوصاً في العصر الحديث، فأصبح أسلوب المدح من المقدمات الخطابية التي تقرب المرسل من المرسل إليه، سواء مع المخاطب الحاضر في مكان التلفظ نفسه، أو عبر وسائل الاتصال الحديثة"^(١)، وإذا كانت الاستراتيجية الخطابية التضامنية لها مسوغات، فإن من أنجع مسوغاتها "استعمالها في الحقول التعليمية، حيث يكون التأدب والتخلق في الخطاب مع الطالب وسيلة تيسر الفهم، وتزرع الحب، فتصبح طريقاً للعلم وسبباً إلى المعرفة"^(٢)، وقد استعمل رسول الله -ﷺ- آلية الإعجاب والاستحسان ليحث المخاطب الشاهد (معاذ) ومن هو دونه من المخاطبين الغائبين على السؤال في أمر الدين، والاستفهام عن ما خفي أو غمض من أموره.

ثم إن رسول الله -ﷺ- في خطابه مع معاذ -ﷺ- يستعمل آلية أخرى لها دورها في تمثيل الاستراتيجية التضامنية، وهي آلية العرض والاستئذان، فبعد أن أجاب -ﷺ- عن سؤال معاذ بذكر العمل الذي يدخل الجنة، قال له: "إِنْ شِئْتَ حَدَّثْتُكَ يَا مُعَاذُ بِرَأْسِ هَذَا الْأَمْرِ، وَقَوَامِ هَذَا الْأَمْرِ، وَذُرْوَةِ السَّامِ"، وهنا نجد أن رسول الله -ﷺ- قد علّق مواصلته الحديث مع معاذ -ﷺ- على شرط موافقته وإذنه ومشيعته (إِنْ شِئْتَ)، وذلك من لطيف أدب النبي -ﷺ- وروعة خطابه، حيث استعمل أسلوب الشرط المؤدّي (إِنْ) مع فعل المشيئة، مع إعادة النداء المشعر بالتودد والتلطف "إِنْ شِئْتَ حَدَّثْتُكَ يَا مُعَاذُ..."، وهذا الأسلوب غاية في التأدب والتلطف، وأدعى لنشاط السامع، وأرجى لتهيئته لتلقي الخطاب، وفيه من بلاغة التشويق والتجيب ولفت الانتباه ما لا يخفى، وبحسب قوانين التأدب التي اقترحتها لاكوف^(٣) (Robin Lakoff)، فإن قول النبي -ﷺ- لمعاذ: "إِنْ شِئْتَ حَدَّثْتُكَ..." يتمثل فيه قانونان: قانون التعفف، ومقتضاه عدم الإلحاح بأن لا يفرض المخاطب نفسه على المخاطب،

(١) السابق: ص ٣٠٧.

(٢) السابق: ص ٢٦١.

(٣) ينظر: The logic of politeness, papers from the ninth regional meeting Chicago

linguistic, 1973, p296.

وذلك بالابتعاد عن استعمال الخطاب الذي يدل على الطلب المباشر، فضلاً عن الاستئذان، والثاني، قانون التخيير، ومقتضاه بحسب لأكوف: "لتجعل المخاطب يتخذ قراراته بنفسه، ودع خياراته مفتوحة"^(١).

ومن حسن بيانه وكمال فطنته - ﷺ - وخبرته بحال المتلقي ما عرضه تلطفاً على سائله (معاذ) من الاستزادة فيما هو متصل بسؤاله، وذلك للانتقال به إلى مستويات أعلى من العلم والمعرفة؛ وقد كان معاذ - ﷺ - من أحرص الصحابة على العلم والتعلم، ومن أعرفهم بالحلال والحرام، ومن أحسنهم فهماً وفقهاً، ومن ثم كان يخلصه رسول الله - ﷺ - ببعض الحديث^(٢)، وهنا بيته - ﷺ - مشاعر الودِّ، تحفيزاً لهمة، وإذكاءً لجذوته، فإنّ من استراتيجيات الخطاب أن يفتن المخاطب إلى شمائل المخاطب، ويدرك الطريقة التي ينبغي له أن يحاوره بها.

ومن الوسائل التي استعملها النبي - ﷺ - تضامنيّاً في هذا الحوار ذكره اسمه العلم دون الضمير في قوله: "وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، مَا شَحَبَ وَجْهٌ..."، فوضع الاسم الظاهر (محمد) موضع الضمير (نفس) في هذا السياق فيه آليّة بلاغيّة تؤدّي نمطاً من أنماط الاستراتيجية التضامنية فيما يُعرف بـ (نكران الذات)، "فيتحدث المرسل عن نفسه وكأنّه يتحدّث عن شخص آخر. وغدت هذه الآليّة من علامات الاستراتيجية التضامنية، خصوصاً عند من يمتلك السُلطة"^(٣).

ومن الأحاديث النبوية الشريفة التي وردت في سياق غزوة تبوك متضمّنة الاستراتيجية التضامنية، ما روي عن أبي حميد الساعديّ، قال: "عَزَوْنَا مَعَ النَّبِيِّ - ﷺ - عَزْوَةَ تَبُوكَ، فَلَمَّا جَاءَ وَادِي الْقُرَى إِذَا امْرَأَةٌ فِي حَدِيقَةٍ لَهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ - ﷺ - لِأَصْحَابِهِ: اخْرُصُوا، وَخَرَصَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - عَشْرَةَ أَوْسُقٍ، فَقَالَ لَهَا: أَحْصِي مَا يَخْرُجُ

(١) السابق: نفسه.

(٢) ينظر ابن حجر العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٩٩٧م)، ٢٢٧/١.

(٣) الشهري: ص ٣٠٤.

استراتيجيات الخطاب النبوي - مقارنة تداولية في سياق غزوة تبوك، د. علي بن يحيى نصر عبد الرحيم

مَنْهَا ...، فَلَمَّا أَتَى وَادِيَ الْقُرَى، قَالَ لِلْمَرْأَةِ: كَمْ جَاءَ حَدِيقَتُكَ؟ قَالَتْ: عَشْرَةَ أَوْسُقٍ حَرَّصَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- فَقَالَ النَّبِيُّ -ﷺ-: إِنِّي مُتَعَجِّلٌ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَمَنْ أَرَادَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَعَجَّلَ مَعِي فَلْيَتَعَجَّلْ، فَلَمَّا قَالَ ابْنُ بَكَّارٍ كَلِمَةً مَعْنَاهَا أَشْرَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ، قَالَ: هَذِهِ طَابَةٌ، فَلَمَّا رَأَى أُحُدًا، قَالَ: هَذَا جَبِيلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ، أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ دُورٍ الْأَنْصَارِ؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: دُورُ بَنِي النَّجَّارِ، ثُمَّ دُورُ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، ثُمَّ دُورُ بَنِي سَاعِدَةَ أَوْ دُورُ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْحَزْرَجِ، وَفِي كُلِّ دُورٍ الْأَنْصَارِ، بَعْضُهُمْ خَيْرٌ^(١).

فانظر إلى حديثه -ﷺ- مع أصحابه، فهو مع علو قدره، ورفعة مقامه الشريف وما يمتلكه من سلطة، يعمد إلى مؤانسة أصحابه وملاطفتهم طالبًا منهم أن (يخرصوا) ثمر النخل الذي في حديقة المرأة في (وادي القرى)، أي: يجزروه ويقدروه كم سيكون محصول جنينه بعدما يُجْنَى؟ فجزروا وقدروا أعدادًا ما، وجزر وقدر هو -ﷺ- عشرة أوسق، ثم طلب من المرأة أن تحصي خراج حديقتها ريثما يرجعون من تبوك، فلما رجعوا وسأل المرأة: كم جاء حديقتك؟ وذكرت العدد الذي وافق خرص رسول الله -ﷺ- وتقديره، وهو (عشرة أوسق)، كان من تواضعه وحسن تأدبه -ﷺ- أنه لم يعلق على نتيجة الإحصاء التي وافقت خرصه -ﷺ- ولم يفخر على أصحابه، بل إنه -ﷺ- غيّر مسار الخطاب، فذكر أنه يريد التعجّل إلى المدينة المنورة، وهذا النمط من الخطاب من القائد العسكري في سياق الغزو فيه من التواضع والتضامن ما فيه، وتكمن روعة الخطاب النبويّ في هذا السياق في إشاعة روح الملاطفة والمؤانسة والتسلية في مقام الشدة، وهذا النمط من الخطاب في هذا المقام أشبه بالمسابقات الترفيهية والفواصل الترويجية والأسئلة التخمينية التي تطرح في الفعاليات الاجتماعية لكسر الملل وإشاعة الغبطة وزيادة الحماس.

(١) (وادي القرى) بضم القاف: مدينة قديمة بين المدينة والشام، (اخرصوا) بضم الراء والخرص جزر، وعند مسلم: فخرصنا، (أحصى) بفتح الهمزة من الإحصاء، وهو: العد، أي احفظي قدر (ما يخرج منها) كميلاً، وأوسق بضم السين جمع وسق وهو ستون صاعاً، ينظر: أبو الطيب: عون المعبود شرح سنن أبي داود، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط ٣، ١٤١٥ هـ)، ٢٣٠/٨.

ثم إنَّ في الخطاب النبويِّ نموذجًا فريدًا لتمثّل الاستراتيجية التضامنية لا يتأتّى لغير النبي -ﷺ- وذلك في قوله -ﷺ- عندما أشرف على المدينة المنورة في طريق العودة من تبوك: "هَذِهِ طَابَةٌ"، وكذا قوله -ﷺ- عندما رأى جبل أحد: "هَذَا جُبَيْلٌ يُجْبِنُنَا وَنُحِبُّهُ"، حيث توجّه التضامن في الخطاب إلى الجماد الذي هو في عرف الناس وتصورهم لا يعقل ولا يميز ولا يشعر بعاطفة، وقد استعمل النبي -ﷺ- في خطابه اسم الإشارة الدال على القرب (هذه طابة، هذا جبيل)، كما استعمل الأسماء المشعرة بالتدليل والملاطفة، فسَمّي المدينة ب(طابة)، وصعّر الجبل تصغير تدليل (جبيل)! كما صرّح بالعاطفة المشتركة بينه وبين الجبل (يحبنا ونحبه)، إظهارًا للتعاطف والتضامن مع المكان. وفي قوله -ﷺ- (جُبَيْلٌ يُجْبِنُنَا وَنُحِبُّهُ) تصوير بليغ للتعاطف والتضامن، وإن كان لا بد من حمل العبارة في هذا الخطاب النبوي على المجاز فتخرّجها على الاستعارة أبلغ في التعبير عن كمّ المشاعر النفسية المبتوثة فيها. وقد تُحمل العبارة في الخطاب النبويِّ على الحقيقة؛ لا سيما أنّ مقام رسول الله -ﷺ- يؤهله للتفاعل مع الجمادات وبثها مشاعره، وإدراك مشاعرها تجاهه، ونستأنس هنا برأي الإمام النووي في توجيه العبارة، حيث قال: "الصحيح المختار أنّ معناه أن أحدًا يحبنا حقيقه، جعل الله تعالى فيه تمييزًا يحبّ به، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾^(١)، وكما حنّ الجذع اليابس، وكما سبّح الحصى، وكما قرّ الحجر بثوب موسى -ﷺ- وكما قال نبيُّنا -ﷺ- إني لأعرف حجرًا بمكة كان يسلم على...، وهذا وما أشبهه شواهد لما اخترناه واختاره المحققون في معنى الحديث، وأنَّ أحدًا يحبنا حقيقة"^(٢)، كما ذكر الإمام النووي وجهًا آخر في العبارة يقوم على آليّة بلاغيّة أخرى هي الإيجاز بالحذف، على أساس أنّ المعنى: "يحبنا أهله، فحذف المضاف وأقام

(١) سورة البقرة: ٧٤.

(٢) الإمام النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (بيروت، دار إحياء التراث العربي،

ط ٢، ١٣٩٢هـ)، ١٤٠/٩.

استراتيجيات الخطاب النبوي - مقارنة تداولية في سياق غزوة تبوك، د. علي بن يحيى نصر عبد الرحيم

المضاف إليه مقامه" (١)، وأقول: لم لا تحمل العبارة على الحقيقة، ويكون الخطاب النبوي من قبيل التضامن الذي يدخل ضمن معانيه الرأفة والرحمة حتى مع الجمادات، أو ليست الجمادات تمثل عالما؟ إذا فعلهما من جملة العالمين الذين أرسل رسول الله -ﷺ- رحمة بهم، حيث قال رب العالمين: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (٢).

ثم ينتقل رسول الله -ﷺ- إلى نمط آخر من التضامن هو التصريح بالفضل والخيرية لأهل المدينة وقاطنيتها من الأنصار خاصة؛ حيث قال: "أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ دُورِ الْأَنْصَارِ؟، قَالُوا: بَلَى، قَالَ: دُورُ بَنِي النَّجَّارِ، ثُمَّ دُورُ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، ثُمَّ دُورُ بَنِي سَاعِدَةَ أَوْ دُورِ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، وَفِي كُلِّ دُورِ الْأَنْصَارِ، يَعْنِي خَيْرًا"، وهو -ﷺ- يستعمل (ألا) مع أسلوب الاستفهام (أَلَا أُخْبِرُكُمْ) ليلفت انتباه السامعين ويجذب قلوبهم وأسماعهم إلى مضمون خطابه الودود، و(ألا) فيها أيضًا إشارة إلى الاهتمام بمضمون الجمل التي يدخل عليها، كما أنه يفيد التوكيد، وفي هذا الأسلوب من العرض والتشويق ما لا يخفى، والعرض والاستئذان من آليات الاستراتيجية التضامنية كما مرّ آنفًا، وهو نمط أثير في الخطاب النبوي الشريف عمومًا، واستعمال اسم التفضيل (خير دور الأنصار)، والعطف بـ (ثم) الدالة على التفاوت الرتبي، لا ينقص من قدر الأخير ترتيبًا، وهم بنو الحارث بن الخزرج، فإنّ الدخول في الأخير خير كله، أوله وآخره، ويكفي أنّ الرسول -ﷺ- هو من شهد لهم بذلك، وهذه الروح التضامنية المشبعة بالتوؤد والملاطفة التي أشاعها رسول الله -ﷺ- في خطابه إظهارًا للمحبة والغبطة والفرحة بالرجوع إلى المدينة وأهلها، أغرّت بني الحارث بن الخزرج أن يراجعوا صاحب المقام الرفيع -ﷺ- في جعلهم آخر الأنصار ترتيبًا، وقد مثلهم في ذلك سعد بن عبادَةَ، فَقَالَ أَبُو أُسَيْدٍ: أَلَمْ تَرَ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ -ﷺ- خَيْرَ الْأَنْصَارِ فَجَعَلْنَا أَحْيَرًا، فَأَدْرَكَ سَعْدُ النَّبِيَّ -ﷺ- فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ خَيْرَ دُورِ الْأَنْصَارِ فَجَعَلْنَا آخِرًا، فَقَالَ: أَوْلَيْسَ

(١) السابق: نفسه.

(٢) سورة الأنبياء: ١٠٧.

بِحَسْبِكُمْ أَنْ تَكُونُوا مِنَ الْخَيْرِ" (١)، وانظر إلى الأدب الجمّ الذي ظهر في خطاب سعد بن عبادة وهو يومئذ سيد الخزرج، حيث عبّر بالفعل المبني لما لم يُسمّ فاعله: (خَيْرٌ، فَجَعَلْنَا)، ولم يُواجه رسول الله -ﷺ- بإسناد الفعل له أو لضميره، حيث لم يقل: (خَيْرٌ دور الأنصار يا رسول الله فجعلتنا آخرًا...) أدبًا ومعرفةً للقدر العظيم والمقام الكريم، وهذا ومثله في خطاب الصحابة لرسول الله -ﷺ- مما يستحق أن يفرد بالبحث.

وخلاصة القول: أنه بالنظر إلى المعيار الاجتماعيّ بين المخاطب والمخاطب، نجد أنّ رسول الله -ﷺ- كان بين أصحابه الوالد الشفوق، والمرّي العطوف، والمعلّم الرؤوف، والموجه النصوح، وقد تبدّت الاستراتيجية التضامنيّة في خطابه -ﷺ- في سياق غزوة تبوك واضحةً جليّة، على الرغم من أنّ السياق بما اشتمل عليه من جهد ومشقة وعناء ووعناء سفر وحرّ وقيظ وكفيل بأن يشيع جو التوتر والقلق بين القائد وجنده، إلا أنّ القائد لجأ إلى الاستراتيجية التضامنية في خطابه مع أصحابه، بالتودّد والملاطفة، وإظهار المحبّة والرحمة، لأنّ القائد هنا هو رسول رب العالمين، الذي وصفه ربّه في القرآن الكريم قائلاً: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (٢)، فلا غرو أن يفيء رسول الله إلى هذا النمط الرائع من الخطاب، إذ إن ذلك سمّته وديدته ﷺ.

ثانيًا - الاستراتيجية التوجيهية

عندما طرح "أوستين" أحد أكبر منظري التداولية سؤاله: كيف ننجز فعلاً حين ننطق قولاً؟ ميّز في إجابته عن هذا التساؤل بين ثلاثة أنواع من الأعمال اللسانية، هي: الفعل القولي، وهو التلفظ بجملة نفيذ دلالة ما انطلافاً من دلالة كلماتها، والفعل الإنجازي، وهو الفعل الذي يُنجز عندما نقول شيئاً ما، والفعل التأثيري، وهو فعل

(١) البخاري: باب فضل دور الأنصار، ٣/١٣٨٠.

(٢) سورة التوبة: ١٢٨.

استراتيجيات الخطاب النبوي - مقارنة تداولية في سياق غزوة تبوك، د. علي بن يحيى نصر عبد الرحيم

إقناع المتلقي بشيء ما^(١)، وقد "ميّز" أوستين^(٢) بين وحدات كلامية بيانية وأخرى أدائية في سياق تفرقة بين القول والفعل؛ فالوحدة الكلامية البيانية تستخدم لإصدار العبارة الخبرية، أما الوحدة الأدائية بالمقارنة فهي وحدات يُؤدّي المتحدث بها عملاً وفعلاً وليس مجرد كلام، فالفعل الكلامي هو: عبارة عن أداء لفعل معين، كأن يكون أمرًا بضرورة القيام بعمل ما، أو وعدًا بإنجاز عمل آخر، أو حكمًا لفعل معين بحالة شعورية تجد طريقته التجسيد اللساني^(٣)، ومن ثمّ فالاستراتيجية التوجيهية في الخطاب هي: "الاستراتيجية التي يرغب المرسل بها تقديم توجيهات ونصائح وأوامر ونواهٍ يفترض أنّها لصالح المخاطب أو المرسل إليه، ولا يُعدّ التوجيه هنا فعلاً لغويًا وحسب، وإنما يعد وظيفة من وظائف اللغة التي تُعني بالعلاقات الشخصية حسب تصنيف هاليداي، إذ إنّ اللغة تعمل على أنّها تعبير عن سلوك المرسل وتأثيره في توجيهات المرسل إليه وسلوكه"^(٤). وعبر باحثون آخرون عن معنى التوجيه بأنّ المرسل يستطيع من خلال اللغة أن يتحكم في سلوك الآخرين، وهي تعرف باسم وظيفة (افعل كذا، ولا تفعل كذا) بوصفها نوعًا من الطلب أو الأمر لتنفيذ المطالب، أو النهي عن أداء بعض الأفعال، بمعنى آخر أن اللغة لها وظيفة الفعل أو التوجيه العملي المباشر^(٥)، ومن ثمّ يطمح منتج الخطاب إلى أن يكون فعله تأثيريًا، له سلطته على المتلقي، تقول الباحثة عزة شبل: "إنّ البراجماتية تؤكد أن الاستعمال اللغوي ليس إبراز منطوق لغوي فقط، بل أيضًا إنجاز حدث اجتماعي معين في الوقت نفسه، وعلى هذا توجد أحداث كثيرة ننجزها من خلال النطق"^(٥)، ومن ثمّ فالاستراتيجية

(١) ينظر: محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، (الإسكندرية، دار المعرفة،

٢٠٠٢م) ص ٤٦.

(٢) نعمان بوقرة: المصطلحات الأساسية في لسانيات النصّ وتحليل الخطاب، ص ٤٦.

(٣) الشهري: ص ٣٢٤.

(٤) يُنظر: جمعة سيد يوسف: سيكولوجية اللغة والمرض العقلي، (الكويت، سلسلة عالم المعرفة،

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، يناير ١٩٩١م)، ص ٢١-٢٣.

(٥) عزة شبل محمد: علم لغة النص النظرية والتطبيق، القاهرة، مكتبة الآداب، ط ٢، ص ٢٨.

التوجيهية يلجأ إليها المخاطب في الظروف التي تتطلب توجيه المخاطب نحو إنجاز فعل ما، لتحقيق مصلحة ما.

وفي سياق غزوة تبوك ثمة العديد من أنماط التوجيه في الخطاب النبوي الشريف، ما بين الأمر، والنهي، والتحذير، والنصح، والإرشاد، ومن ذلك تحذيره -ﷺ- أصحابه من ريح شديدة أخرجهم من ليلتهم، وهم في طريقهم إلى تبوك، ونهيه المؤكد -ﷺ- عن الحركة والقيام في تلك الليلة حتى لا يتأذى أحد من أصحابه بسبب شدة تلك الريح: "أَمَّا إِذَا سَبَّحَ اللَّيْلَةَ رِيحٌ شَدِيدَةٌ فَلَا يَقُومَنَّ أَحَدٌ، وَمَنْ كَانَ مَعَهُ بَعْضٌ فَلْيَعْقِلْهُ"، ونهيه -ﷺ- عن مس ماء عين تبوك قبل أن يأتي إليها بنفسه: "إِنَّكُمْ سَتَأْتُونَ عَدَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَيْنَ تَبُوكَ،... فَمَنْ جَاءَهَا مِنْكُمْ، فَلَا يَمَسَّ مِنْ مَائِهَا شَيْئًا حَتَّى آتِي"، ونهيه أصحابه عندما مروا بديار ثمود في الحجر عن أن يسألوا المعجزات الخارقات كما سألها قوم صالح من قبل: "لَا تَسْأَلُوا الْآيَاتِ، فَقَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ صَالِحٌ...." (١)، وكذا نهيه -ﷺ- أصحابه عن الدخول إلى مساكن قوم ثمود في (الحجر)، عندما مروا بها في طريقهم إلى تبوك: "لَا تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ، حَذْرًا أَنْ يَصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَهُمْ" (٢). والأمر في قول النبي -ﷺ-: "وَمَنْ كَانَ مَعَهُ بَعْضٌ فَلْيَعْقِلْهُ"، وكذا النهي في قوله -ﷺ-: "فَلَا يَقُومَنَّ أَحَدٌ"، وفي قوله: "فَلَا يَمَسَّ مِنْ مَائِهَا شَيْئًا حَتَّى آتِي"، توجيه سديد رشيد من القائد لجنده، والخطاب النبوي في هذا التوجيه ينطلق من سلطة القيادة الحريصة على سلامة الجند وأمنهم في آن، والسلطة بين طرفي الخطاب من العوامل المتحركة في الاستراتيجية التوجيهية، ولها دورها في تحديد دلالة الأمر على الوجوب والإلزام دون غيرها من الدلالات؛ إذ إن دلالة الوجوب في صيغة الأمر لا بد لها من الاستمداد من سلطة المرسل، فإذا لم يقترن فعل الأمر بسلطة المرسل خرج عن قصد التوجيه إلى

(١) الإمام أحمد: ٢٩٦/٣. وإسناده حسن، ينظر: الذهب المسبوك في تحقيق روايات غزوة تبوك:

ص ٤٣١.

(٢) الإمام البخاري: باب الصلاة في مواضع الخسف والعذاب، ١/١٦٧.

استراتيجيات الخطاب النبوي - مقارنة تداولية في سياق غزوة تبوك، د. علي بن يحيى نصر عبد الرحيم

مقاصد أخرى يحددها السياق، وإذا كانت السُّلطة في غالب الخطاب النبوي هي السلطة الدينية الملازمة للخطاب، كون المخاطبين قد آمنوا برسول الله - ﷺ - وبالكتاب الذي أنزل معه، والذي أمرهم باتباعه وطاعته، وحذرهم من مخالفة أمره، فإنه في هذا السياق ينضاف إلى السُّلطة الدينية سلطة أخرى هي السلطة العسكرية المستمدة من قيادة رسول الله - ﷺ - الميدانية للجيش في غزوة تبوك، وكلا السلطتين يستوجب إنجاز الفعل، ويقتضي تنفيذ المطلوب أمرًا ونهيًا. والمقصود بالسُّلطة طبعًا ليس مفهومها الضيق، وإنما يدخل في السُّلطة كل ما يملكه المرسل من علم ومعرفة.

وقد صنفت الاستراتيجية التوجيهية ضمن نظرية الأفعال الكلامية (الطلبية)، وهي تضم كل الأفعال الكلامية الدالة على الطلب بغض النظر عن صيغتها، وقد اتجه المنظرون في هذا الصدد اتجاهين: أحدهما، كان جلّ اهتمامه التأكيد على مبدأ التأدب، والثاني، ركز على كيفية إنتاج الخطاب وفقًا للاستراتيجية التوجيهية، وقد ظهر الاتجاه الثاني في دراسة سيرل^(١) (John R Searl) الذي صنّف الأفعال اللغوية إلى خمسة أصناف، من ضمنها الأفعال التوجيهية، وهي تلك الأفعال التي يحاول فيها المرسل التأثير على المرسل إليه للقيام بفعل شيء ما في المستقبل، والتي تتحقق باستعمال مجموعة كبيرة من الوسائل منها: الأمر والنهي.

والتوجيه كما مرّ آنفًا يدخل في إطار الوظيفة الإفهامية للغة، وجعل الباحث عمر أوكان^(٢) هذه الوظيفة تتمحور حول الآخر الذي يتلقى الخطاب، وبواسطتها تأخذ الرسالة قيمتها التداولية، كما يتجلى ذلك في النداء أو الأمر أو الاستفهام، ومن ثمّ، فإنّ الخطاب النبويّ المشتمل على صيغ الأمر والنهي في سياق غزوة تبوك، والمشار إليه آنفًا، يتّسم بأنه "ينحو منحى الدقة والإحكام، ومن ثمّ تتجاوز بلاغته البعد الإمتاعّي بوصفه غاية أولى أو غاية وحيدة للخطاب"^(٣)، كما أنّه يتّسم

(١) ينظر: Expression and meaning, Cambridge University press, p3.

(٢) ينظر: اللغة والخطاب، الرباط، أفريقيا الشرق (د.ط) ٢٠٠٠م، ص ٥٠.

(٣) عيد بلبع: مقدمة في نظرية البلاغة النبوية، السياق وتوجيه دلالة النصّ، القاهرة، بلنسية

للنشر والتوزيع، ط ١: ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ص ٢٧٩.

بالوضوح في التعبير عن قصد المرسل، حتى لا يقع المرسل إليه في فخاخ التأويل، وهذا يضمن تحقيق الهدف من الخطاب، لأنّ المرسل إليه بلا شك لن يستطيع أن يحقق الهدف الذي ينشده المرسل إذا كان الخطاب غامضاً أو يحتتمل أكثر من تأويل^(١)، ويتسم الخطاب النبويّ أيضاً في التوجيه بالإيجاز؛ كي يستوعب المخاطب مضمونه، ولا يتشتت ذهنه في محاولة الإمساك بخيوطه، أمّا عن الإيجاز مرتبطاً بالسلطة في التوجيه، فهذا أمر معروف قديماً؛ حيث ربط أبو هلال العسكري الأمر والنهي بالإيجاز المكتنف بالتوكيد في مقام مخاطبات الملوك، جاعلاً الإيجاز سبيلاً إلى توكيد الخطاب، حيث قال: "واعلم أنّ المعاني التي تنشأ الكتب فيها من الأمر والنهي سبيلها أن تؤكد غاية التوكيد بجهة كيفية نظم الكلام، لا بجهة كثرة اللفظ، لأنّ حكم ما ينفذ عن السلطان في كتبه شبيه بحكم توقيعاته، من اختصار اللفظ وتأكيد المعنى..."^(٢)، والحقيقة أنّ الإيجاز في الخطاب التوجيهيّ المفوظ على لسان ذي السلطان مطلب بلاغي مهم لتحقيق استراتيجية التوجيه، شأنه في ذلك شأن الخطاب السلطاني المكتوب الذي أشار إليه العسكريّ تماماً بتمام، وهذا واضح جداً في صيغ الأمر والنهي في الخطاب النبويّ التي أشار إليها البحث آنفاً.

وتأتي الوسائل والأدوات البيانية المصاحبة للأمر والنهي في الخطاب النبويّ معيّنة على الامتثال لهما؛ حيث لا يقف الأمر عند حدود الأمر والنهي، ولكنه يتجاوز ذلك ويتخطاه إلى التمكين لمضمون هذه الأساليب في نفس المتلقي، فعندما نهي النبي -ﷺ- عن الدخول إلى مساكن قوم ثمود، عقّب نهيته بعبارة تعليلية هي قوله: "حذراً أن يصيبكم مثل ما أصابهم"، كما علل النهي "فَلَا يَفُومَنَّ أَحَدٌ"، والأمر "فَلْيَعْقِلْهُ" بقوله مسبقاً: "أَمَا إِنَّهَا سَتَهْبُ اللَّيْلَةُ رِيحٌ شَدِيدَةٌ...".

(١) يُنظر: عبد الهادي الشهري: ص ٣٢٧.

(٢) كتاب الصناعتين، تح. البجاوي، وإبراهيم، القاهرة، ط. دار إحياء الكتب العربية، الحلبي،

ط ١، ١٣٧١هـ/١٩٥٢م، ص ١٦٣.

ثالثاً - الاستراتيجية التلميحية

معلوم أنّ اللغة في مستواها الدلاليّ تصوغ المعنى في شكل تصريحٍ مباشر، كما تصوغه في آخر تلميحٍ غير مباشر، والمرسل الخطاب أن يختار ويحدد متى يصوغ خطابه تصريحاً، ومتى يصوغه على سبيل التلميح، وفق ما يقتضيه المقام ويتناسب مع السياق، ومن ثمّ تأتي الاستراتيجية التلميحية في مقابل الاستراتيجية المباشرة لإنتاج دلالة يستلزمها الخطاب، ويفهمها المرسل إليه تأويلاً، بناءً على خلفيات لغوية وثقافية سابقة. وتعرّف الاستراتيجية التلميحية بأنها "الاستراتيجية التي يُعبّر بها المرسل عن القصد بما يغيّر معنى الخطاب الحرفي، لينجز بها أكثر مما يقوله، إذ يتجاوز قصده مجرد المعنى الحرفي لخطابه، فيعبر عنه بغير ما يقف عنده اللفظ مستثمرًا في ذلك عناصر السياق"^(١).

والخطاب الذي ينتجه المرسل وفق الاستراتيجية التلميحية يحتاج في فهمه وتأويله إلى عمليات ذهنية استدلالية لدى المتلقي تتفاوت من حيث الطول والتعقيد، لتصبح "البنية اللغوية الظاهرة للملفوظ مجرد ممر أو معبر للوصول إلى الفعل الإنجازي غير المباشر الذي يقصد إليه المتكلم. ولذا، فإنّ تعرّف المخاطب على الفعل الإنجازي غير المباشر من خلال البنية اللغوية للملفوظ والعمليات الاستدلالية التي يقوم بها هو، يعدّ اكتشافاً لغير المنطوق به من المنطوق دون أن تكون بينهما علاقة تضمّن منطقية"^(٢)، ومن ثمّ يلزم توفر بعض الشروط التي لا بد من حضورها عند استعمال الاستراتيجية التلميحية؛ لما فيها من تجاوز للكفاءة اللغوية البحتة إلى معرفة بعض الأبعاد الأخرى التي تتعلق بالسياق، وهذه المعرفة هي جزء من مكونات الكفاءة التداولية في قوالها المتنوعة.

(١) عبد الهادي الشهري: ص ٣٧٠.

(٢) إدريس سرحان: الأمر كفعل إنجازي غير مباشر، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية (دراسات لسانية) جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، عدد خاص، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ص ٧٢.

وقد عالج سيرل^(١) الاستراتيجية التلميحية عندما قسم الأفعال اللغوية إلى قسمين: هما، الأفعال اللغوية المباشرة، والأفعال اللغوية غير المباشرة، وهو ما يعيننا وهنا. ولا شك في أن البلاغة هي الميدان الأوسع الذي تنطلق فيه هذه الاستراتيجية، حيث إن هناك العديد من الآليات التي تقوم عليها، كالمجاز بأنواعه، والتشبيه، والكناية، والعدول بكافة أنماطه وأشكاله، وخروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر... إلخ.

ومن مسوغات اختيار الاستراتيجية التلميحية التأدب في الخطاب، فقد أكد سيرل على أن التأدب "يعد من أبرز الدوافع لاستعمال الاستراتيجية غير المباشرة في الطلب"^(٢)، وقد استعمل رسول الله -ﷺ- أسلوب التلميح في سياق غزوة تبوك تأدباً وتبرهاً عن غير اللائق من القول، وذلك في تعقيبه -ﷺ- على الحكم في قضية أجير الصحابي يعلى بن أمية مع رجل آخر، فعن يعلى بن أمية قال: عَزَوْتُ مَعَ النَّبِيِّ -ﷺ- غَزْوَةَ الْعُسْرَةِ... وَكَانَ لِي أَجِيرٌ، فَقَاتَلَ إِنْسَانًا، فَعَضَّ أَحَدُهُمَا يَدَ الْآخَرِ، فَانْتَزَعَ الْمَعْضُوضُ يَدَهُ مِنْ فِي الْعَاضِ، فَانْتَزَعَ إِحْدَى نَيْبَتَيْهِ، فَأَتَى النَّبِيَّ -ﷺ- فَأَهْدَرَ نَيْبَتَهُ، قَالَ: وَحَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ النَّبِيُّ -ﷺ-: "فِيدِعْ يَدَهُ فِي فِيكَ تَفْضُمُهَا؟ كَأَنَّهَا فِي فِي فَحَلٍ يَفْضُمُهَا"^(٣)، ففي الخطاب المتضمن إصدار النبي -ﷺ- حكمه في القضية بإهدار نية العاض، قال -ﷺ- في تبرير الحكم معقّباً: "فِيدِعْ يَدَهُ فِي فِيكَ تَفْضُمُهَا؟ كَأَنَّهَا فِي فِي فَحَلٍ يَفْضُمُهَا"، وهنا استعمل رسول الله -ﷺ- في خطابه أسلوب التشبيه المؤدى بكأن "كَأَنَّهَا فِي فِي فَحَلٍ يَفْضُمُهَا" لاستنكار فعل (العض)، وللتلميح إلى أن هذا السلوك المشين لا ينبغي أن يصدر عن إنسان، بل إنه من سلوك الحيوان الأعجم الذي ليس له حيلة في الدفاع عن نفسه إلا بهذا الفعل، ولا يخفى ما في هذا التلميح من التعريض والاستنكار والتعجب ودم الفعل الذي قام به العاض، كما لا يخفى أن

(١) ينظر: Expression and meaning, Cambridge University press, p49.

(٢) السابق: ص ٤٩.

(٣) مسلم: ١٣٠١/٣.

استراتيجيات الخطاب النبوي - مقارنة تداولية في سياق غزوة تبوك، د. علي بن يحيى نصر عبد الرحيم

الجنوح إلى التلميح والتعريض ينزّه الخطاب عن فاحش القول، ويصون المخاطب عن التلقظ بما يُسيء أو يجرح، فضلاً عن احترام ذوق المخاطب وسمعه ومشاعره. ومن التلميح اللطيف في خطاب النبي -ﷺ- في تبوك ما ذكرناه آنفاً في قوله -ﷺ- لمعاذ بن جبل مفصلاً له عما دار في حَلده بشأن تفرّق الجيش على مسالك الطرق وبعدهم عن رسول الله -ﷺ- حيث قال: "مَا كُنْتُ أَحْسِبُ النَّاسَ مِنَّا كَمَكَائِهِمْ مِنَ الْبُعْدِ"، فقد تضمّن خطابه -ﷺ- تلميحاً إلى عدم لياقة الموقف من أفراد جيش يسيرون مع قائدهم وهم عنه متفرقون مشتتون! وكأنّ رسول الله -ﷺ- يريد أن يقول: إنّ من مهمات الجيش الأساسية حماية القيادة والالتفاف حولها مهما كانت الظروف والأحوال، إلا أنه -ﷺ- بهذا التلميح قد أخرج خطابه في الألفاظ صياغة وأجمل عبارة، وهذا شأنه على الدوام.

والحقيقة أنّ الاستراتيجية التلميحية في خطاب النبي -ﷺ- قد تكون من باب التأديب والتلطف في الخطاب كما مرّ، وقد تأتي مختلفة عن ذلك تماماً، وذلك في خطابه -ﷺ- المتضمّن تلميحاً عن أحداث المستقبل الغيبية، فمثلاً عندما خاطب النبي -ﷺ- معاذ بن جبل في تبوك، قائلاً له: "يُوشِكُ يَا مُعَاذُ أَنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ، أَنْ تَرَى مَا هَاهُنَا قَدْ مُلِيَ جِنَانًا"، معلّقاً رؤية معاذ للجنان في تبوك على طول حياته، مستعملاً في جملة الشرط (إِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ) حرف الشك (إن)، أقول: هذه الصياغة توحي من طرف خفي بقصر حياة معاذ، وتلمح إلى أنّه لن يعيش ليرى عمار المكان في تبوك بالزراعة ونحوها، وهذا ما حدث بالفعل؛ حيث توفي معاذ رضي الله عنه في طاعون عمواس بالشام سنة ثمانية عشرة من الهجرة وهو ابن ثمان وثلاثين سنة على الصحيح^(١).

كما كان التلميح بقرب وفاة النبي -ﷺ- كونها أول الأحداث المرتقبة في ترتيب أشرطة الساعة في حديث عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ: "أَتَيْتُ النَّبِيَّ -ﷺ- فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، وَهُوَ

(١) ينظر: ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب، ١٠/١٨٦، ط١، حيدر آباد، الدكن،

فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ، فَقَالَ: اَعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ: مَوْتِي، ثُمَّ فَتَحَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ...".
حيث ابتدأ الرسول -ﷺ- أحداثاً أشرط الساعة بذكر موته عليه الصلاة والسلام،
وعطف عليه بقية الأحداث بحرف التراخي (ثم)، وكأنه -ﷺ- في خطابه لعوف بن
مالك في تبوك كان يلّمح إلى قرب وفاته، حيث لم يمرّ أكثر من عامين على هذا
الخطاب حتى وافته المنية في ربيع الأول سنة ١١هـ، بأبي هو وأمي ونفسي -ﷺ- وأداة
العطف (ثم) لترتيب الأحداث، بما يُشعر بطول الزمن بين الحدث والآخر، وإن لم
تكن المدّة الزمنية الفاصلة بين الحدث والآخر متساوية، فإنّ ما بين موته -ﷺ- (سنة
١١هـ) وبين فتح بيت المقدس (سنة ٢١هـ) زمن يسير إذا ما قورن بالزمن الفاصل بين
الأحداث التالية في الحديث، فإنّ ثمّ "حرف عطف يشرك في الحكم ويفيد الترتيب
بمهلة؛ فإذا قلت: قام زيد ثم عمرو آذنت بأن الثاني بعد الأول بمهلة"^(١)، والمهم في
دلالتها في هذا السياق هو الإشارة إلى تباعد ما بين الأحداث، وعدم تلاحقها، بعد
تحقق أولها وهو وفاته عليه الصلاة والسلام.

كما لمح رسول الله -ﷺ- في خطابه في تبوك إلى حتمية وقوع الطاعون في
أمتّه، حيث قال -ﷺ-: "إذا وقع الطاعون بأرضٍ وأنتم بها فلا تخرجوا منها، وإذا وقع
ولستم بها فلا تُقدموا عليه"^(٢)، ذلك أنّ بناء جملة الشرط على (إذا) دون (إن) يفيد
تحقق الوقوع، وثمة فرق بين دلالة (إن) ودلالة (إذا)، فـ" (إذا) لما تيقن وجوده أو رجح،
بخلاف (إن) فإنّها للمشكوك فيه"^(٣)، ومن ثمّ عرّف (الطاعون) ونكرت الأرض، وقد
اجتهد صاحب كتاب (سبل الهدى والرشاد) في تلمس مناسبة لهذا الخطاب في سياق
غزوة تبوك، فقال: "لعله أن يكون السبب في ذلك أنّ الشام كانت في قديم الزمان -
ولم تزل - معروفةً بكثرة الطواعين، فلما قدم النبي -ﷺ- تبوك غازياً الشام، لعله بلغه

(١) المرادي: الجنى الداني في حروف المعاني، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ط ٢، ١٩٨٣م،

ص ٤٢٦.

(٢) الإمام أحمد: ١/١٧٧.

(٣) المرادي: ص ٣٦٧.

استراتيجيات الخطاب النبوي - مقارنة تداولية في سياق غزوة تبوك، د. علي بن يحيى نصر عبد الرحيم

أنّ الطاعون في الجهة التي كان يقصدها^(١)، وهذا تعليل جيد، ومحاولة متقدمة لتأويل الخطاب مرتبطاً بالسياق، أمّا إذا تأملنا الخطاب النبوي الشريف في سياق الغزوة وما اشتمل عليه من العديد من أخبار الغيب المستقبلية التي أشار إليها البحث آنفاً فسوف نلاحظ أنّ استعمال (إذا) في هذا السياق له دلالة تلميحية تشير إلى وقوع الطاعون في الأمة لاحقاً، وهذا لا يتعارض مع التعليل الذي ذكره الصالح في كتابه (سبل الهدى والرشاد)، والله أعلم.

كما لمَّح النبي -ﷺ- إلى سهولة الوصول إلى تبوك؛ حيث عبّر بالإتيان دون المجيء في خطابه الواعد: "إِنَّكُمْ سَتَأْتُونَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَيْنَ تَبُوكَ"، ففي قوله -ﷺ- "سَتَأْتُونَ" إشعار بسهولة المسير ويسر الوصول إلى العين في أمن وسلام؛ حيث إنّ "الإتيان مجيء بسهولة، ومنه قيل للسيل المار على وجهه (أتى)، والجيئة والمجيء بمعنى الإتيان، لكن المجيء أعم؛ لأنّ الإتيان مجيء بسهولة"^(٢) و"القرآن الكريم يستعمل المجيء لما فيه صعوبة ومشقة، أو لما هو أصعب وأشقّ ممّا تُستعمل له أتى"^(٣)، والبلاغة النبوية تقتضي أن يؤوّل الخطاب على هذا النحو، وهذا ما حدث بالفعل، حيث لم يعترض سبيل الذاهين إلى تبوك أحد.

ومن خطابه -ﷺ- المتضمّن تلميحاً لمستجدات الأمور في المستقبل ما رواه فضالة بن عبيد الأنصاري قال: "غزونا مع رسول الله -ﷺ- غزوة تبوك فجهد بالظهر جهداً شديداً، فشكوا إلى النبي -ﷺ- فجعل ينفخ بظهرهم "اللهم احمل عليها في سبيلك، إنك تحمل على القوي والضعيف، وعلى الرطب واليابس، في البر

(١) محمد الصالح: سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، تح. مصطفى عبد الواحد، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٩٣م، ٤٦٢/٥.

(٢) الفيروزآبادي: القاموس المحيط: مادة (أتى) (بيروت، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ط ٣، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م).

(٣) فاضل السامرائي: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، (عمان، الأردن، دار عمار، ط ٢، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م) ص ٩٧.

والبحر"^(١)، حيث أشار النبي -ﷺ- في دعائه إلى ركوب أمته البحر في أسفارها وغزوها، وهو ما لم يكن قد حدث بعد، ولعله -ﷺ- كان يبشّر بذلك تلميحًا من خلال أسلوب الدعاء.

وهذا النمط من التلميح الذي أشرنا إليه في خطاب النبي -ﷺ- يختلف تمامًا عن الأنماط التي ذكرها سيرل وغيره من اللسانيين التداوليين، وهو من خصوصيات الخطاب النبوي الشريف، ولن تجده في خطاب غيره من البشر، كونه -ﷺ- نبياً ملهمًا يوحي إليه، ومن ثمّ فإنّ استراتيجية التلميح في الخطاب النبوي المشتمل على غيوب المستقبل تأخذ بعدًا بلاغيًا آخر يتمثل في تظليل المعنى وتضبيب الدلالة، رحمةً بالمخاطب الذي جُبل على الخوف والإشفاق من المجهول، وهذه النقطة تفتح بابًا واسعًا من البحث البلاغي وتحليل الخطاب النبوي الشريف، وفي ختام هذه النقطة من البحث أقول: إن كل ما ورد في غزوة تبوك من إشارات تلميحية مناسبة لسياق الغزوة تمامًا؛ حيث أشار البحث آنفًا إلى أنّ غزوة تبوك كانت بمثابة البوابة التي استشرف رسول -ﷺ- من خلالها مستقبل أمته، وأخبر في خطابه هناك بالعديد من الأحداث الغيبية التي سوف تحدث من بعد، على تنوع في الاستراتيجية الخطابية ما بين التصريح والتلميح.

رابعًا - استراتيجية الإقناع

الإقناع كما عرفه توماس شايدل (Thomas Scheidel) هو: "محاولة واعية للتأثير في السلوك"^(٢)، وتتأسس استراتيجية الإقناع في التداولية على معيار (هدف الخطاب)، "إذ كل خطاب له هدف ومقصد يطمح منتجه أن يحققه لدى مخاطبه، وليس ثمة سبيل إلى بلوغ مقصدية الخطاب إلا بالتأثير والإقناع"^(٣)، ووفقًا للمنهج

(١) ابن حبان، الصحيح، باب الخيل، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤١٤هـ/١٩٩٣، ٥٣٥/١٠.

(٢) محمد العبد: النص والخطاب والاتصال، ص ١٩١.

(٣) عبد الهادي الشهري، ص ٢٥٨.

استراتيجيات الخطاب النبوي - مقارنة تداولية في سياق غزوة تبوك، د. علي بن يحيى نصر عبد الرحيم

التداولي فإنّ الإقناع فرع الحجاج وغايته؛ وبناءً على أفكار "أوستن" طور "ديكرو" نظريته في (الحجاج) ليكون مناط اهتمامها الوسائل اللغوية وبإمكانات اللغات الطبيعية التي يتوفر عليها المتكلم، وذلك بقصد توجيه خطابه وجهة ما تمكّنه من تحقيق بعض الأهداف، وهي فكرة مؤدّاهَا أننا نتكلم عامة بقصد التأثير^(١)، فالخطاب اللسانيّ من المنظور التداولي يُنجز في ظروف محددة بُغية التأثير في ذهن المتلقي، مستخدمًا أدوات لسانية موجّهة الخطاب تجاه هدف محدد. ونظرية الحجاج في البحث التداولي حاولت التوصل إلى أنّ اللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حجاجية، في بنية الأقوال نفسها، ومن ثمّ فإنّ موضوعها درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدّي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد في درجة التسليم، يقول بقاسم دفة: "من أدوات الإقناع في الخطاب الحجاجي بعض الإجراءات الأدبية واللسانية التي يعتمدها المخاطب لتعزيز تواصله مع المتلقي؛ ليحقق التأثير والاستمالة، كانتقاء المفردات الموحية، والتراكيب البسيطة الواضحة لإثارة المشاعر والانفعالات، وكذلك اعتماد أسلوب التكرار الذي يؤدي إلى زيادة حضور الموضوع في الذهن، والمحاكاة الصوتية التي تستحضر الأشياء، واللجوء إلى التضمين والإيجاء والتلميح، كاستدعاء الشخصيات التراثية والوقائع التاريخية التي تعزز الاتصال وتكون فاعلة في نفوس المتلقين، فالوظيفة في النظرية الحجاجية هي تعديل موقف أو سلوك من يتوجّه إليه الخطاب والتأثير عليه لإقناعه بصحة الموقف فيتبنّاه أو يعرض عن الحجج المعروضة فيشيع عنها"^(٢).

وبالحديث عن استراتيجية الإقناع في الخطاب النبوي الشريف وما يستتبعها من التأثير نجد أنّ "التأثير والإقناع معًا يختلفان في الحديث النبوي الشريف عن غيره من

(١) راجع: علي محمود حجي: الأفعال الإنجازية في اللغة العربية المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠١٠م، ص٤.

(٢) بلقاسم دفة: استراتيجية الخطاب الحجاجي دراسة تداولية في الإرسالية الإشهارية العربية، بلقاسم دفة، مجلة المختبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري جامعة بسكرة الجزائر/ العدد العاشر ٢٠١٤، ص٥٠٠. وراجع: محمد العبد، النصّ والخطاب والاتصال.

كثير من أنواع الخطاب، فالإقناع هنا لا ينبني على حجة منطقية عقلية خالصة وفق المفاهيم التي سادت في نظريات الحجاج الأرسطي وتطوراتها الحديثة، والتي نجد ظواهرها في الخطاب الحجاجي في مختلف ميادينه، ولكنه ينبني هنا على متكأ سياقي يتعلق بعناصر سياقية تحكم عملية التواصل بين المرسل والمستقبل^(١)، كما أنّ غاية التأثير والإقناع في الخطاب النبوي الشريف "لا تلبث أن تتحوّل إلى غاية وسطية، أو وسيلة بين الغاية المضمونيّة التعليميّة التربوية التشريعية، وضمانات تحوّلها إلى منجز فعلي في السلوك البشري للمستهدفين بالخطاب، ومن ثم جاء التأثير والإقناع بوصفهما غاية أوليّة تؤدي إلى غاية التمكين لما يقتضيه الخطاب من غاية تعليمية تشريعية في السلوك الفعلي منهجًا ملازمًا لهذه البلاغة، تحقيقًا للغاية الإبلاغيّة التي كُلف بها صاحب هذه البلاغة -ﷺ- في أنماط أسلوبية لها خصوصيتها المتوائمة مع غايتها"^(٢).

أمّا عن الخطاب النبوي الشريف في سياق غزوة تبوك، فقد أشار البحث آنفًا إلى أنّه تضمّن كثيرًا من الأخبار الغيبية المستقبلية، ولا شك في أنّ الإخبار بالغيب له دهشته، ولا يخلو من الأمور العجائبية الغريبة لدى المخاطب الشاهد، ومن ثمّ فإن مقتضى الحال في هذا الخطاب أن تُوجّه آليّاته نحو تحقيق الإقناع لدى المخاطب، وإذا أخذنا في الاعتبار أنّ المخاطب يؤمن يقينًا بصدق المخاطب -ﷺ- كونه نبيًا ورسولًا لا ينطق عن الهوى، فإنّ الإقناع هنا كما يقول د. عيد بليغ: "يعتمد على دعائم سياقية بالدرجة الأولى، ثم تأتي الصياغة بعد ذلك ليست من قبيل الإقناع بالحجة اللغوية الخالصة، ولكن اللغة تأتي هنا وسيلة لتمكين الحقيقة من نفس المتلقي، ومن هنا نقول بمغايرة الإقناع في الحديث النبوي الشريف لغيره من أنماط الخطاب الحجاجي بين البشر بعضهم البعض في دوافعه ووسائله وملابساته السياقية"^(٣). وقد تضمّن

(١) عيد بليغ: مقدمة في نظرية البلاغة النبوية: ص ٢١٦.

(٢) السابق: ص ٢١٥/٢١٦.

(٣) السابق: ص ٢٢٠.

الخطاب النبوي المشتمل على الأخبار الغيبية المستقبلية في سياق غزوة تبوك كثيراً من وسائل التقرير المتنوعة، متوسلاً بكم كبير من وسائل التأكيد، مثل: (أما)، و(إن)، في قوله -ﷺ-: "أما إنا ستهب الليله ریح..."، ونون التوكيد في قوله -ﷺ-: "فلا يقوم أحد"، و(إن) و(السين) في الوعد، في قوله -ﷺ-: "إنكم ستأثون غداً إن شاء الله عين تبوك"، فضلاً عن تعيين الزمان (غداً)، والمكان (عين تبوك)، كما اشتمل الخطاب النبوي الشريف على التقرير بالتشبيه في قوله -ﷺ-: "ثم مؤثان يأخذ فيكم كفعاص العنم"، والتقرير بالتصوير الاستعاري، في قوله -ﷺ-: "بين يدي الساعة"، والتقرير بفعل المقاربة في قوله -ﷺ-: "يوشك يا معاذ... إلخ".

والملاحظ في هذا الخطاب المشتمل على العجائبي والإخبار بالمستقبل أنه ينجح إلى تكثيف التوكيد، وحشد المزيد من وسائل التقرير المتنوعة؛ لأن كثيراً من تلك الأخبار له خصوصيته من حيث الغرابة والخروج عن النمط المعتاد والمألوف، فالتوكيد من أقوى الوسائل التي ترسخ المعاني في القلوب، وفي إطار بلوغ الإقناع جاء التعريف بالإشارة (هاهنا) في قوله -ﷺ-: "يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة، أن ترى ما هاهنا قد ملئ جناناً"؛ لتقرير الخطاب وتحقيق الإقناع بتعيين المكان الذي سيشهد الزراعة في تبوك، وسيصير مخضراً كالجنان، وللإشعار باتساع الرقعة الزراعية فيها، وقد تحقق ما بشر به المعصوم -ﷺ- في تبوك، ولعل ما تشهده هذه المنطقة حالياً من امتداد متتابع للمزارع الدائرية الخضراء خير شاهد على تحقق نبوءته -ﷺ- وصدق خبره، ولعله يكون في قادم الزمان ما هو خير من ذلك، حيث يقول د. عويض العطوي^(١): "هذه إشارة لطيفة لمستقبل ذلك المكان الذي يُشعر وصفه في الغزوة أنه لا يعدو أن يكون عيناً ضعيفة ليس حولها زرع ولا ضرع، وهي اليوم كما نرى واحة عظيمة غزيرة الماء كثيرة البساتين والعمران... ولا يعني هذا أن ما نراه اليوم هو بالضرورة صورة تحقق الحديث، بل قد يكون المراد ما هو أعظم من هذا، وأن هذا

(١) وهو من أبناء منطقة تبوك، عمل أستاذاً في جامعة تبوك، وأسندت إليه فيها عمادة كلية التربية والآداب، ثم وكالة الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي قبل أن يتفرغ.

المكان سيمتلئ جناناً، لا بفعل الناس والزراعة، بل بكثرة الأمطار والخير، والله أعلم^(١). أمّا التنكير في سياق الأخبار الغيبية العجيبة فيه مراعاة لحال المخاطب الشاهد الذي ربما لا يستوعب ذهنه حقائق تلك الأخبار لو عُرِّفت له، في حين أنّ المخاطب الغائب سوف يدرك حقائقها متى ما وقعت وتحققت أحداثها بالصفة التي تبعت النكرات في الخطاب النبويّ، وإن شئت تأمل قوله -ﷺ-: "مُؤْتَانُ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَفُعَاصِ الْعَنَمِ"، و"فِتْنَةٌ لَا يَبْقَى بَيْتٌ مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا دَخَلَتْهُ"، و"هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الْأَصْفَرِ"، حيث جاءت النكرات الثلاث في الخطاب: (مُؤْتَانُ، فِتْنَةٌ، هُدْنَةٌ) موصوفة بجملة بعدها لتشكّل ملاحظتها وتحدّد هيأتها للمخاطب الغائب الذي سوف يدرك حقيقتها متى ما وقعت، و"الحديث النبويّ الشريف خطاب موجّه للشاهدين والغائبين في علم الله في المستقبل، من ثم كان من خصائصه أن يتفرد بسمات تحقق له سبل القبول والاحتفاظ بالنضارة والجدّة على مر العصور مهما اختلفت سياقات تلقيه وتفوتت وتباينت"^(٢). وفي سبيل تحقيق حجاجيّة الخطاب وظّف النبي -ﷺ- في أحاديثه تلك جملةً من أساليب التشويق والإثارة، قصداً إلى التقرير والتمكين، منها حرف الاستفتاح (أمّا) المشعر بالتفخيم، ومنها التقديم بذكر العدد إجمالاً، ثم التفصيل ببيان المعدود (اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ...)، ومنها التوشيح (أَعْطَانِي اللَّيْلَةَ كَنْزَيْنِ: كَنْزَ فَارِسَ وَالرُّومِ)، ومنها الاستفهام مع تكرار الضمير المشعر بالتعظيم والتفخيم (وَالْحَامِسَةُ: هِيَ مَا هِيَ؟)، ومنها استخدام الأمر الإنشائي في موطن الإخبار بعلامات الساعة (اعْدُدْ سِتًّا...).

ومن الآليات التي وُظفت ضمن استراتيجيّة الإقناع أسلوب التكرار في خطاب النبي -ﷺ- لمعاذ بن جبل -رضي الله عنه- حيث أخبر معاذ أنّ رسول -ﷺ- كرّر كل جملة قالها له: "فَلَمْ يُجِدْهُ بِشَيْءٍ إِلَّا قَالَ لَهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، يَعْنِي: أَعَادَهُ عَلَيْهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ..."، وللتكرار وظائف خطابية عدة، عبّر عنها بالإفهام، والإفصاح، والكشف،

(١) العطوي: غزوة تبوك ودلالة الزمان والمكان: ص ١٦.

(٢) بليغ: مقدمة في نظرية البلاغة النبوية: ص ٣٧.

استراتيجيات الخطاب النبوي - مقارنة تداولية في سياق غزوة تبوك، د. علي بن يحيى نصر عبد الرحيم

وتوليد الكلام، والتشديد من أمره، وتقرير المعنى، وإثباته^(١). ومن الآليات البلاغية الإقناعية في هذا الخطاب أيضاً أسلوب القسم: "والذي نفس محمد بيده"، والحقيقة أنّ أسلوب القسم له العديد من المزايا والخصائص التي لها دورها في تحقيق الإقناع والتأثير، "وأول خصائص أسلوب القسم أنه يقوم بدور التهيئة النفسية للمخاطب بإثارة انتباهه لما سيخبر به، فيستقبله مستجمعاً حواسه مركزاً فكره وانتباهه إليه، وذلك لأن الإنسان إذا حلف على شيء كان ذلك دالاً على أهميته، وأنه مما يجب العناية به والإقبال عليه. ثانياً، أنّ القصد من الحلف هو توكيد الإخبار به، وللتوكيد أثره في تمكين المعاني من النفس. وثالثها، أنّ القسم يكون بشيء عظيم، وذكر المقسم به يلقي في النفس مهابة، ويوحى إليها بمعانٍ تجعلها أكثر استعداداً للتصديق والقبول"^(٢).

ومن آليات الإقناع في الخطاب النبوي في سياق غزوة تبوك، سرد القصة في سياق التعليل للنهي، في حديث جابر بن عبد الله، قال: "لَمَّا مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِالْحِجْرِ، قَالَ: "لَا تَسْأَلُوا الْآيَاتِ؛ فَقَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ صَالِحٍ، فَكَانَتْ تَرُدُّ مِنْ هَذَا الْفَجِّ، وَتَصُدُّرُ مِنْ هَذَا الْفَجِّ، فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَعَقَرُوهَا، وَكَانَتْ تَشْرَبُ مَاءَهُمْ يَوْمًا، وَيَشْرَبُونَ لَبَنَهَا يَوْمًا، فَعَقَرُوهَا، فَأَخَذَتْهُمْ صَيْحَةٌ أَهْمَدَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَنْ تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ مِنْهُمْ، إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا كَانَ فِي حَرَمِ اللَّهِ"، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ هُوَ؟، قَالَ: "أَبُو رِغَالٍ"، فَلَمَّا خَرَجَ مِنَ الْحَرَمِ أَصَابَهُ مَا أَصَابَ قَوْمَهُ"^(٣). والقصص من أكثر أنماط البيان جاذبيةً، وأنجعها حجاجاً وتأثيراً لدى المتلقي، ومهما اختلفت ثقافة الإنسان وتنوعت، فإنه يميل إلى القصص، ويشغف بالحكي، يركن إليه تنفيساً وترويحاً وحبّ استطلاع، وهو إذ يتلقى قصة ما، لا يعتريه الملل، ولا يتسلل إلى ذهنه فتور

(١) ينظر: محمد العبد: النصّ والخطاب والاتصال: ص ٢٣١.

(٢) عبد الغنى بركة: أسلوب الدعوة القرآنية بلاغةً ومنهجاً، مكتبة وهبة، القاهرة، ط ١،

١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص ٣١٧.

(٣) الإمام أحمد: ٢٩٦/٣. وإسناده حسن، ينظر: الذهب المسبوك في تحقيق روايات غزوة تبوك:

ص ٤٣١.

الكسل, بل تجده يقظاً نشيطاً, حاضر الذهن, كامل الفهم, وقد جاءت القصة هنا في سياق النهي (لا تَسْأَلُوا الْآيَاتِ), تعليلاً للنهي وتأكيداً عليه, فقد نهي رسول الله -ﷺ- أصحابه لما مروا ب(مدائن صالح) عن أن يفتتنوا بطلب الآيات والمعجزات الخارقات كما افتتن الذين من قبلهم, مبيناً لهم مآل ذلك وعاقبته بسرد قصة ثمود, في حبكة قصصية بالغة الإيجاز, مكتنفة بأساليب وآليات لها بعدها التأثيري الإقناعي والتواصلية, في إطار الغاية التعليمية التمكينية التي تشمل غالب حديث النبي -ﷺ- حيث اعتمد البيان النبوي على سردٍ ومضني سريع, تعاقبت فيه الأحداث.

الخاتمة، ونتائج الدراسة

هنا يرسو القلم، ليصل البحث إلى غايته ومنتهاه، ومن خلال المحاور والنقاط التي تمت مناقشتها فيه، نشير هنا إلى خلاصته، وأهم النتائج التي تمخضت عنه، وذلك على النحو التالي:

١. أنّ الخطاب مرتّهن بالإطار الاجتماعي الذي على أساسه تتحدد خصائصه، ولا يمكن تحليل الخطاب بمعزل عن المقام أو (السياق) الذي أنجز فيه.
٢. كل محاولة للوصول إلى أهداف الخطاب ومقاصده من خلال اللغة هي استراتيجية، ومن هذا المنطلق ارتبطت الاستراتيجية بالخطاب؛ لأنّ المرسل ينبغي أن يخطط لكيفية إنتاج خطابه على نحو يحقق مقاصده، وذلك من خلال توافر كفايات لغوية وتداولية تظهر في ثنايا الخطاب، وأنّ دراسة الخطاب وفق استراتيجياته من الأهمية بمكان في سبر أغواره والتوصّل إلى مكانه.
٣. أنّ الخطاب النبوي الشريف يجمع بين الكفاءتين اللغوية والتداولية على أعلى مستوى؛ لأنه قد اجتمع له من الدعائم وأسباب التمكّن ما لم يجتمع لغيره من البشر، وقد جمع النبي -ﷺ- في خطابه بين القدرة الخطابية، والقدرة الاجتماعية، والقدرة الحوارية.
٤. جاء الخطاب النبوي الشريف في سياق غزوة تبوك في أنماط أسلوبية لها خصوصيتها المتوائمة مع غايتها، ومن خلال مقارنة استراتيجيات الخطاب في هذا السياق تبين مدى تلطف النبي -ﷺ- وتأدبه وتضامنه مع مخاطبيه، ومدى حرصه على تحوّل مضمون خطابه إلى منجز فعلي في السلوك البشري للمستهدفين بالخطاب، كما تبين مدى ملائمة هذه الاستراتيجيات وآلياتها البلاغية لسياق الخطاب.
٥. أنّ الغاية الرئيسة للخطاب النبوي هي غاية توجيهية تعليمية، تتمثل غالبًا في

بيان المضامين الكليّة التي جاء القرآن الكريم بها، وحثّ الناس عليها. وأنّ التأثير والإقناع في الخطاب النبويّ الشريف بمثلان غاية أوليّة هدفها ومنتهاها إلى غاية أكبر، هي التمكين لمقتضى هذا الخطاب في نفوس المخاطبين، لضمان تحقيق غاياته الأساسيّة من التعليم والتوجيه وإرشاد العباد إلى ما فيه خيرهم وصلاحهم في عاجل أمرهم وآجله.

٦. أنّ الاستراتيجيّة التلميحية في الخطاب النبويّ المشتغل على غيوب المستقبل تختلف تمامًا عن الأنماط التي ذكرها التداوليّون، كونها تأخذ بعدًا دلاليًا يتمثل في تظليل المعنى وتضبيب الدلالة، رحمةً بالمخاطب الذي جُبل على الخوف والإشفاق من المجهول، وذلك من خصوصيات الخطاب النبوي الشريف. وكلّ ما ورد في غزوة تبوك من إشارات تلميحية مناسبة تمامًا لسياق الغزوة التي كانت بمثابة البوابة التي استشرف رسول الله -ﷺ- من خلالها مستقبل أمته.

٧. أنّ الإقناع ليس بالضرورة أن يكون نتيجة للحجج العقلية والبراهين المنطقية فحسب، وأنّ بعدي التأثير والإقناع معًا يختلفان في الحديث النبوي الشريف عن غيره من كثير من أنواع الخطاب، فالإقناع هنا لا ينبني على حجة منطقية عقلية خالصة وفق المفاهيم التي سادت في نظريات الحجاج الأرسطي وتطوراتها الحديثة، ولكنه ينبني على متكأٍ سياقي يتعلق بعناصر سياقية تحكم عملية التواصل بين المرسل والمستقبل.

وصلّى الله وسلّم على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،
والحمد لله رب العالمين.

المراجع:

- القرآن الكريم، جلّ من أنزله قرآناً عربياً غير ذي عوج.
الآلوسي، محمود شهاب الدين، تفسير روح المعاني، (بيروت، دار إحياء التراث العربي (د.ت).
الأمديّ، أبي الحسن علي بن أبي علي بن محمد بن سالم، الإحكام في أصول الأحكام، تح. أحمد محمد شاكر، (بيروت، دار الآفاق الجديدة، ط ١، ١٩٨٠م).
ابن الأثير، المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، (بيروت، دار المعرفة، ط ١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م).
أبو الطيب: عون المعبود شرح سنن أبي داود، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط ٣، ١٤١٥هـ).
أرمينكو، فرانسواز، المقاربة التداولية، ترجمة: سعيد علوش، (الدار البيضاء، مركز الإنماء القومي، ط ٣، ٢٠٠٧م).
الإسنوي، عبدالرحيم بن الحسن بن علي، نهاية السؤل شرح منهاج الوصول، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).
أوكان، عمر، اللغة والخطاب، (الرباط، أفريقيا الشرق (د.ط) ٢٠٠٠م).
الأيوبي، الهيثم وآخرون: الموسوعة العسكرية، (بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨١م).
بارة، عبد الغني، الأساس اللغوي في فهم القرآن لدى علماء الأصول، (دبي، المؤتمر الدولي الرابع للغة العربية، المجلس الدولي للغة العربية).
باشميل، محمد أحمد، موسوعة القرآن الكبرى (غزوة تبوك)، (القاهرة، المكتبة السلفية، القاهرة، ط ٣، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).
البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، (بيروت، دار ابن كثير، ط ٣،

١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).

بدوي، أحمد زكي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، (بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٧٨م).

بركة، عبد الغني محمد سعد، أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهاجاً، (القاهرة، مكتبة وهبة، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).

بلبع، عيد، مقدمة في نظرية البلاغة النبوية، السياق وتوجيه دلالة النص، (القاهرة، بلنسية للنشر والتوزيع، ط١: ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م).

بوقرة، نعمان، المدارس اللسانية المعاصرة، (القاهرة، مكتبة الآداب، د.ط، د.ت).

بوقرة، نعمان، المصطلحات الأساسية في لسانيات النصّ وتحليل الخطاب: دراسة معجمية، (عمّان، الأردن، عالم الكتب الحديثة، ط١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٩م).

الجويني، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف، الكافية في الجدل، تح. فوقية حسن محمد، (القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م).

ابن حبان، الصحيح، باب الخيل، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٤هـ/١٩٩٣).

حجي، علي محمود: الأفعال الإنجازية في اللغة العربية المعاصرة، (القاهرة، مكتبة الآداب، ط١، ٢٠١٠م).

الحري، فرحان بدري، الأسلوبية في النقد العربي الحديث: دراسة في تحليل الخطاب، (بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٣م).

الحسن، شاهر، علم الدلالة السمانتيكية والبراجماتية في اللغة العربية، (عمان، الأردن، دار الفكر، ٢٠٠١م).

ابن حنبل، أحمد، المسند: تح. أحمد محمد شاكر، (القاهرة، دار المعارف بمصر، ط٣، ١٤٠٤هـ).

دايك، فان، النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي: ترجمة عبد القادر قبيني، (الرباط، أفريقيا الشرق، (دط)، ٢٠٠٠م).

دفة، بلقاسم، استراتيجية الخطاب الحجاجي دراسة تداولية في الإرسالية الإشهارية

استراتيجيات الخطاب النبوي - مقارنة تداولية في سياق غزوة تبوك، د. علي بن يحيى نصر عبد الرحيم

العربية، (مجلة المختبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري جامعة بسكرة الجزائر/ العدد العاشر ٢٠١٤).

روبول، آن، وموشلار، جاك، التداوليات اليوم علم جديد في التواصل، ترجمة: سيف الدين دغفوس، ومحمد الشيباني، (بيروت، المنظمة العربية للترجمة، ودار الطليعة للطباعة والنشر، ط ١، ٢٠٠٣م).

السامرائي، فاضل، لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، (عمان، الأردن، دار عمار، ط ٢، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م).

سرحان، إدريس، الأمر كفعل إنجازي غير مباشر، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية (دراسات لسانية) جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، عدد خاص، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

السندي، عبد القادر حبيب الله، الذهب المسبوك في تحقيق روايات غزوة تبوك، (المدينة المنورة، مطابع الرشيد، (د.ط) ١٤٠٣هـ).

شبل، عزة، علم لغة النص النظرية والتطبيق، (القاهرة، مكتبة الآداب، ط ٢).
الشهري، عبد الهادي ظافر، استراتيجيات الخطاب: مقارنة لغوية تداولية، (بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط ١، ٢٠٠٤م).

الصالحى، محمد، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، تح. مصطفى عبد الواحد، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٩٣م).

الصبان، إبراهيم، السياق بين علماء الشريعة والمدارس اللغوية الحديثة، ضمن أعمال الندوة العلمية الدولية التي نظمتها الرابطة المحمدية للعلماء، المغرب، جمادى الثانية ١٤٢٨هـ/يونيو ٢٠٠٧م، ط ١، ٢٠٠٧م.

صحراوي، مسعود، التداولية عند علماء العرب، (بيروت، دار الطليعة للطباعة، ط ١، ٢٠٠٥م).

الطبري، محمد بن جرير، حاشية خلاصة سير سيد البشر - ﷺ -، تح. زهير الخالد، (الدوحة، وزارة الأوقاف القطرية، ط ٢، ١٤٢٥هـ).

الطلحي، ردة الله، دلالة السياق، (مكة المكرمة، مطبعة جامعة أم القرى، ١٤٢٥هـ).

- الطيب، بلقيس، بلاغة السياق في خواتيم سورة النحل، ندوة الدراسات البلاغية: الواقع والمأمول، المنعقدة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض: ١٤٣٢هـ، ص ٣٥١.
- عبد الرحمن، طه، في أصول الحوار وتحديد علم الكلام، (الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط ٣، ٢٠٠٧م).
- عبد الرحيم، د. ف.، معجم الدخيل في اللغة العربية الحديثة ولهجاتها، (دمشق، دار القلم، ط ١، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م)
- عبد الكريم، جمعان، إشكالات النص (المداخلة أمودجًا) دراسة لسانية نصية، (الرياض، النادي الأدبي، ٢٠٠٩م)
- العبد، محمد، النص والخطاب والاتصال، (القاهرة، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، ط ١، ٢٠٠٥م).
- عرجون، محمد الصادق، محمد رسول الله ﷺ - منهج ورسالة، (دمشق، دار القلم، ط ٢، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م).
- العسقلاني، ابن حجر، تهذيب التهذيب، ١٠/١٨٦، (حيدر آباد، الدكن، ط ١، ١٣٢٥هـ).
- العسقلاني، ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٩٩٧م).
- العسكري، الحسن أبو هلال، كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، تح. علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، عيسى الحلبي، ط ١، ١٣٧١هـ/١٩٥٢م).
- العسكري، الفروق اللغوية، تح. محمد إبراهيم سليم، (القاهرة، دار العلم والثقافة، (د.ط) ١٩٩٨م).
- عصفور، جابر، آفاق العصر، (دمشق، دار الهدى للثقافة والنشر، ١٩٩٧م).
- العطوي، عويص، غزوة تبوك ودلالة الزمان والمكان، ملتقى تبوك الأول (الثقافة والتنمية)، النادي الأدبي بتبوك، ١٩: ٢٢/١١/١٤٢٩هـ.

استراتيجيات الخطاب النبوي - مقارنة تداولية في سياق غزوة تبوك، د. علي بن يحيى نصر عبد الرحيم

العقيقي، نجيب: المستشرقون، (القاهرة، دار المعارف بمصر، ١٩٦٤م)
عوضين، إبراهيم، تأملات في البيان النبوي، (القاهرة، مطبعة السعادة، ط ٢:
١٤٠١هـ/١٩٨١م).

عياد، عليّة عزة، معجم المصطلحات اللغوية والأدبية، (الرياض، مطبعة المريخ،
١٩٨٤م).

ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة، تح. شهاب الدين أبو عمرو (بيروت، دار
الفكر، ط ٢، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م).

فوكو، ميشال، حفريات المعرفة، ترجمة: سالم يفوت، (بيروت، والدار البيضاء، المركز
الثقافي العربي، ط ٢، ١٩٨٧).

الفيروزآبادي، القاموس المحيط، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ط ٣،
١٤١٧هـ/١٩٩٧م).

الماشطة، مجيد، شظايا لسانية، (لندن، دار السياب للطباعة والنشر، ٢٠٠٨م).
المباركفوري، عبد الرحمن، الرحيق المختوم، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١،
١٤٠٥هـ).

المتوكل، أحمد، الخطاب وخصائص اللغة العربية: دراسة في الوظيفة والبنية والنمط،
(الرباط، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، ط ١،
١٤٣١هـ/٢٠١٠م).

المديني، أحمد، في أصول الخطاب النقدي الجديد، مجموعة مقالات، (بغداد، دار
الشؤون الثقافية العامة، ١٩٩٩م).

المرادي: الحسن بن قاسم، الجنى الداني في حروف المعاني، بيروت، دار الآفاق
الجديدة، ط ٢، ١٩٨٣م.

المسدي، عبد السلام اللسانيات وأسسها المعرفية، (تونس، الدار التونسية للنشر،
١٩٨٦م).

ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، (بيروت، دار إحياء التراث العربي،
ومؤسسة التاريخ العربي، لبنان، ط ٣، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م).

النحاس، مصطفى، المعنى النحوي في التراث وعلم اللغة الحديث، منشور في كتاب
(في قضايا الأدب واللغة)، (الكويت، مؤسسة الصباح، (د.ط)، ١٩٨١م).

نحلة، محمود أحمد: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص ٤٦ محمود نحلة:
آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ط. دار المعرفة - الإسكندرية/
٢٠٠٢م

النووي، يحيى بن شرف، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث
العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.
النيسابوري، مسلم، صحيح مسلم، (بيروت، دار إحياء التراث العربي،
١٤١٣هـ/١٩٩٢م).

هاينه، فولفجانج، وفهفيجر، ديتر، مدخل إلى علم اللغة النصي، ترجمة: فالح
العجمي، (الرياض، مطابع جامعة الملك سعود، ١٤١٩هـ).

ابن هشام، السيرة النبوية، تح: مصطفى السقا، وإبراهيم الإبياري، (بيروت دار إحياء
التراث العربي، (د.ط، د.ت).

يقطين، سعيد، تحليل الخطاب الروائي (الزمن/السردي/التبئير)، (الرباط، المركز الثقافي
العربي، ط٣، ١٩٩٧م).

يقطين، سعيد، من النص إلى النص المترابط، (الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي،
ط١، ٢٠٠٥م).

يوسف، جمعة سيد، سيكولوجية اللغة والمرض العقلي، (الكويت، سلسلة عالم المعرفة،
المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، يناير ١٩٩١م.
يونس، محمد، مدخل إلى اللسانيات، (بيروت، دار الكتاب الجديد، ٢٠٠٤م).

المراجع الأجنبية:

C.K ORECCHIONIE, Enonciation de la subjectivite dans le langage,
Librairie Armand Colin, 1981..

Emile Benveniste: problemes in general linguistics, university of
Miami press, Florida (first published 1966,

Geoffrey Leech, Principles of pragmatics, Longman group limited,
London, 1996

Halliday M.A.K., Ruqaiya Hasan, Language, Context and Text:

استراتيجيات الخطاب النبوي - مقارنة تداولية في سياق غزوة تبوك، د. علي بن يحيى نصر عبد الرحيم

Aspects of Language in a Social-Semiotic Perspective, Oxford University Press, UK, 1991,
Hudson, Sociolinguistics, Cambridge Univ. Press, 1980,
John R Searl, Expression and meaning Cambridge University press.
Robin Lakoff, The logic of politeness, papers from the ninth regional meeting Chicago linguistic, 1973.

Bibliography

- *The Glorious Qur'an
Al-Aalusi, Mahmoud Shihab Ad-Din, (without publication data), tafsir ruoh almaeani, Beirut, dar 'iihya' alturath alearabii.
Al-Aamedii, Abi Al-Hasan Ali bin Abi Ali bin Muhammad bin Salem, (1980 AD), Al-Ehkaam fi Usul Al-Ahkaam, (Investigated by Ahmed Muhammad Shaker), (1st edition), Beirut, Dar Al Aafaq Al Jadeeda.
Ibn al-Atheer, al-Mubarak ibn Muhammad al-Jazari, (1422 AH /2001AD). An-nehayat fi ghareeb alhadith wal'athar, (1st edition), Beirut, Dar al-Maarifa.
Abu At-Tayyib, (1415AH). Awun al-Mabood, Sharh Sunan Abi Dawood, (3rd edition), Beirut, Dar al-Kutub al-Ilmiyya.
Armenco, Françoise, (2007AD), The pragmatic approach, translated by: Said Alloush, (3rd edition), Ad-Daar albayda'a, markaz al'iinma' alqawmii.
Al-Esnawi, Abd Ar-Rahim bin al-Hasan bin Ali, (1420 AH / 1999 AD), Nihayat alsuwl sharh minhaj alwusul, (1st edition), Beirut, Dar al-Kutub al-Ilmiyya.
Okan, Omar, (2000), Allughat walkhitab, (W.P.D, AR-ribati, 'afriqia alsharq.
Al-Ayoubi, Al-Haytham, and others (1981), Almawsueat Aleaskaria, Beirut, Almuasasat Alearabiat lildirasat walnashr
Bara, Abdul Ghani, Al'asas Allughawiu fi fahm Alquran ladaa eulama' al'usul, (Dubai, Fourth International Conference on the Arabic Language, International Council of the Arabic Language).
Bashamil, Muhammad Ahmad, (1408 AH / 1988) Mawsueat alquran alkubraa (ghazwat tbuk), (3rd edition), Cairo, almaktabat alsalafia.
Al-Bukhari, Muhammad bin Ismail, (1407 AH/1987 AD), Aljamie As-sahih, (3rd edition), Beirut, Dar Ibn Katheer.
Badawi, Ahmed Zaki, (1978), Muejam Mustalahat Aleulum Aliajtimaeia, Beirut, maktabat lubnan.
Baraka, Abdul Ghani, (1403AH / 1983AD), 'Uslub Ad-daewat alquraniat balaghatan wmnhajaan, (1st edition), Cairo, maktabat wahabah
Balbaa, Eid, (1429 AH / 2008AD), Muqaddimat fi nazariat albalaghat alnabawiati, alsiyah watawjih dilalat alns, (1st edition), Cairo, balansiat llnashr waltawzie
Bougorra, Nouman, (without publication data), Almadaris Al-lisaniat Almueasiratu, Cairo, maktabat aladab.
Bougorra, Nouman, (1429AH/2009AD), Amustalahat Al'asasiat fi

- lisaniaat An-nass watahlil alkhatabi: dirasat muejimia, (1st edition), Amman, Ealam al kutub al haditha
- Al-Juwayni, Abdul-Malik bin Abdullah, (1399AH / 1979AD), Al-Kafiat fi Al-Gadal, (Investigated by Fawqiah Hassan Muhammad), Cairo, Issa Al-Babi Al-Halabi.
- Ibn Hibban, (1414AH / 1993), As-Sahih, Bab Al-Khail, (2nd edition), Beirut; Mu'assasatu-Risalah
- Hejji, Ali Mahmoud, (2010), Al'afeal Al'iinjaziat fi allughat alearabiat almueasira, (1st edition), Cairo, maktabat aladab.
- Al-Harbi, Farhan Badri, (2003), Al'uslubiat fi alnaqd alearabii alhadithi: dirasat fi tahlil alkhatab, (1st edition), Beirut, Almuasasat aljamieiat lildirasat walnashr waltawzie.
- Al-Hasan, Shafer, (2001) Eilm aldilat alsimantikiat walbarajmatiat fi allughat alearabia,, Amman, Dar Al-Fikr.
- Ibn Hanbal, Ahmad, (1404 AH) Al-Musnad, (3rd edition), (Investigated by Ahmed Mohamed Shaker), Cairo, Dar Al Maaref.
- Dyke, Van, (2000) Text and context, an investigation of research in semantic and pragmatic discourse, (translated by Abdul Qadir Qini), Alr-Rebat, afriqia alsharq
- Daffaa, Belkasem, Astiratijiat Alkhatab alhijaajii dirasat tadawuliat fi al'iirsaliat al'iishhariat alearabia, (majalat almukhtabar 'abhath fi allughat wal'adab aljazayirii jamieat bisikrat aljazayari/ aleadad aleashir 2014.
- Rubaul, Ann, & Mochlar, Jacques, , (2003) Pragmatics Today is a New Science in Communication, (translated by: Seif Eld-Din Daghfoss, & Muhammad Alsh-Shaibani), (1st edition), Beirut, Almunazamat alearabiat liltarjamati, wadar altalieat liltibaeat walnashr.
- As-Samerrai, Fadel, (1422AH / 2001AD) lamasat bayaniat fi nusur min altanzil, (2nd edition), Amman, , Dar Ammar.
- Sarhan, Idris, (1416AH / 1995AD), Al'amr kafil 'iinjaziin ghayr mubashirin, majalat kuliyat aladab waleulum al'iinsania (dirasat lisaniatin) jamieat sayidi muhamad bin eabd allah, fas, Special Issue.
- As-Sendi, Abdul Qadir Habib Allah, (1403 AH), , Al-Madinah Al-Munawwarah, Al-Rasheed
- Shebl, Azza, Eilm lughat alnasi alnazariat waltatbiq, (2nd edition), Cairo, maktabat aladab
- Ash-Shehri, Abdul-Hadi Dhafer, (2004) Astiratijiaat alkhatabi: muqarabat lughawiat tadawulia, (1st edition), Beirut, Dar Al-Kitab Al-Jadeed Al-Mutahida.
- As-Salehi, Muhammad, (1993) Subul Alhuda walrushad fi sirat khayr aleabad, (Investigated by Mustafa Abdel Wahed), (1st edition) Beirut, Dar al-Kutub al-Ilmeyya

- As-Sabban, Ibrahim, *Alsiyaq bayn eulama' alsharieat walmadaris allughawiat alhaditha,, alnadwat aleilmiat aldawliat lilraabitat almuhamadiat lileulama'*, Morocco, Jumada al-Thani 1428 AH / June 2007 AD, 1, 2007 AD.
- Sahrawi, Massoud, (2005) *At-Tdawlyt Eind Eulama' Alearab*, Beirut, Dar Al-Tali'a.
- At-Tabari, Muhammad bin Jarir, (1425 AH) *Hashiat khulasat sayr sayid albashar*, (Investigated by Zuhair Al-Khalid), (2nd Edition), Ad- Doha, Ministry of Awqaf.
- altalhi, radat allah, (1425ah) *dilalat alsiyaqi, makat almukaramatu, matbaeat jamieat 'am alquraa, 1425h)*
- At-Tayeb, Belqis, (1432 AH) *Balaghat As-Siyaq fi khawatim surat alnahla, nadwat aldirasat albalaghiati: alwaqie walmamul*, Riyadh, Imam Muhammad bin Saud Islamic University.
- Abdel Rahman, Taha, (2007) *Fi 'usul alhiwar watajdid eilm alkalam*, (3rd Edition) *almarkaz althaqafiu alearabiu*.
- Abdel Rahim, D. F. (1432 AH / 2011AD) *Muejam Ad-dukhil fi allughat alearabiat alhadithat walajahatiha*, (1st edition), Damascus, Dar Al-Qalam.
- Abdul Karim, Jamaan, (2009) *Tishkalat An-nass (almudakhalat anmwdhjan) dirasat lisaniat nasiya*, Riyadh, An-naadi al'adabiu.
- Al-Abed, Muhammad, (2005) *An-nass walkhitab walaiitaisal, alqahirati, al'akadimiati alhadithat lilkitab aljamieii*.
- Arjoun, Muhammad Al-Sadiq, (1415AH / 1995) *Muhamad rasul allah manhaj warisala*, (2nd Edition), Damascus, Dar Al-Qalam.
- Al-Asqalani, Ibn Hajar, (1325 AH). *Tahdheeb Al-Tahdheeb*, (1st edition), Hyderabad, AL-Deccan.
- Al-Asqalani, Ibn Hajar, (1997) *Fath Al-Bari bisharh sahih albukharii*, (2nd Edition), Beirut, Dar Al-Kutub Al-Elmiyya.
- Al-Askari, Al-Hasan Abu Helaal, (1371AH / 1952) *As-sinaeatayn Alkitab walshier*, (Investigated by Ali Muhammad al-Bajawi, & Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, (1st edition), alqahirata, dar 'iihya' al kutub alearabiati, eisaa alhalabi
- Asfour, Jaber, (1997) *Aafaq Al-Asr*, Damascus, dar alhudaa lilthaqafat walnashr
- Al-Otuwi, Owaid, *Ghazwat tabuk wadalalat alzaman walmakani, multaqaat tabuk al'awal (althaqafat waltanmiati)*, alnaadi al'adabiu bitbuk, 19: 11/22/1429 AH.
- Al-Aqiqi, Nageeb (1994) *Almustashriqun,, Cairo*, Dar Al-Maaref.
- Awadin, Ibrahim, (1981) *Ta'amulat fi albayan alnabawii*, (2nd Edition), Cairo, matbaeat as-saeada
- Aiyad, Aliyah, (1984), *Muejam Almustalahat allughawiat wal'adabia*, Riyadh, Al-Marrikh.
- Ibn Faris, Ahmad, (1418 AH / 1998) *Muejam Maqayis allugha*, (Investigated by Shihab El-Din Abu Amr) (2nd edition), Beirut, Dar Al-Fikr.
- Foucault, Michel, (1987) *Excavations of Knowledge*, translated by: Salem Yafut, (2nd edition), Beirut waldaar albayda', almarkaz

- althaqafiu alearabiu
- Al-Fayrouzabadi, (1417 AH / 1997 AD) Alqamus Almuhit, (3rd Edition), Beirut, Beirut, dar 'iihya' alturath alearabii.
- Al-Masheta, Majeed, (2008) Shazaya lisaniati, (landan, dar alsayaab liltibaeat walnashr.
- Al-Mubarakfuri, Abd al-Rahman,(1405 AH) Ar-Rrahiq Almakhtum, (1st edition) Beirut, Dar al-Kutub al-Ilmiyya.
- Al-Mutawakil, Ahmed, (1431AH/2010AD). Alkhitab wakhasayis allughat alearabiati: dirasat fi alwazifat walbunyat walnamat, (1st edition) Alribati, aldaar alearabiat lileulum nashiruna, manshurat aliakhtilaf.
- Al-Madini, Ahmed, (1999) Fi 'usul alkhitaab alnaqdii aljadidi, majmueat maqalati, Baghdad, dar alshuwuwn althaqafiat aleamati.
- Al-Muradi: Al-Hassan Bin Qassem, (1983), Aljana Ad-daani fi huruf almaeani, (2nd edition) Beirut,, dar alafaq aljadida.
- Al-Masddi, Abdel Salaam (1986), Allesaniaat wa'ususuha almaerifiatu, tunus, aldaar altuwnusiat lin-nashr.
- Ibn Manzoor, Muhammad bin Mukrram, (1419AH/1999AD). Lisaan Al-Arab, Beirut, dar 'iihya' alturath alearabia, wamuasasat altaarikh alearabii.
- Al-Nahhas, Mustafa, (1981) Almaenaa alnahwiu fi alturath waeilm allughat alhadith, (Kuwait, Muasasat alsabah.
- Nahla, Mahmoud Ahmed: (2002), Aafaq jadidat fi albaath allughawii almueasiri, ta. dar almaerifat - al'iiskandaria.
- An-Nawawi, Yahya bin Sharaf, (1392 AH), Alminhaj sharh sahih muslim bin alhajaju, dar 'iihya' alturath alearabii, (2nd edition) Beirut, dar 'iihya' alturath alearabii.
- An-Naisaburi, Muslim, (1413AH/1992AD) Sahih Muslim, (Beirut, dar 'iihya' alturath alearabii.
- Haine, Wolfgang, and Fahveger, Dieter, (1419AH) Introduction to Textual Linguistics, translated by: Faleh Al-Ajami, Riyadh, King Saud University
- Ibn Hisham, As-siyrat An-nabawiatu, (Investigated by Mustafaa alsuqaa, wa'iibrahim al'iibyari, Beirut, dar 'iihya' alturath alearabii.
- Yaqtin, Saeed,(1997) Tahlil Alkhitab Ar-riwayiyi (az-zaman/as-sardi/at-tabyyir), (3rd Edition) Ar-ribati, almarkaz althaqafiu alearabiu.
- Yaqtin, Saeed, (2005), Mina An-nass 'iilaa alnasi almutarabit, (1st edition) Ad-daar albayda' almarkaz althaqafiu alearabiu.
- Youssef, Jumaa Sayed, (1991), saykulujiat allughat walmarad aleaqlii, Kuwait, silsilat ealam almaerifa
- Younes, Muhammad, (2004), Madkhal 'iilaa allisaniaat,, Beirut, Dar Al-Kitab Al-Jadeed.

بلاغة التمثيل في القصص النبوي

The Rhetoric of Representation in the Prophetic Stories

د. نورة بنت عبد الرحمن الحربي

أستاذة البلاغة والنقد المساعد بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة طيبة

البريد الإلكتروني: Norahaalharbi2030@gmail.com

المستخلص

يعنى البحث بدراسة بلاغة التمثيل في القصص النبوي، ويهدف إلى الكشف عن ملامح القصة التمثيلية النبوية وخصائصها وأنواعها، واستظهار جماليات الأسلوب والتركييب البلاغي فيها.

وبينت الدراسة دور فن القصة التمثيلية في الدعوة إلى الله ﷻ، وكونها منبراً من المنابر الدعوية التي ساهمت في نشر الرسالة المحمدية، وما لها من أثر فكري وتربوي في نفس السامع والمتلقي.

وقد قامت الدراسة على مقدمة تتحدث عن أهمية البحث ودوافع اختياره وأهم الدراسات السابقة ومنهجه وخطته، ثم جاء التمهيد بحديث عن الفن القصصي في الحديث النبوي من حيث المعنى والخصائص والأنواع، فيما جاء المبحث الأول مبيناً لفن القصة التمثيلية في الحديث النبوي، واستجلاء بلاغة القصة التمثيلية من حيث المفهوم والأنماط، والموضوعات، والغايات، في حين جاء المبحث الثاني مستظهِراً لبلاغة جماليات القصة التمثيلية بذكر نماذج من الحديث النبوي الشريف، للكشف عن بلاغتها ومواطن الجمال فيها.

ثم اختتمت الدراسة بخاتمة تضمنت أبرز النتائج والتوصيات، ومن أهم النتائج التي توصلت إليها: إثارة النبي ﷺ استعمال فن القصة التمثيلية في الدعوة إلى الله، وإقناع المخاطبين من صحابته وأمته، وبروز بلاغة أثر القصة التمثيلية في إيضاح الكلام وخبايا المعاني الكامنة وراءه، كما يلحظ تناسب وكثرة استعمال فن التمثيل القصصي في مقامات النص والإرشاد والتعليم، والتحذير من عواقب الأمور.

الكلمات المفتاحية: الحديث-النبوي-البلاغة-التمثيل-القصة.

Abstract

The research is concerned with studying the rhetoric of representation in the prophetic stories, and aims to reveal the features, characteristics and types of the prophetic representational story, and to display the aesthetics of style and rhetorical structure in it.

The study showed the role of the art of the representative story in the Da'wa (calling to Allah), and its being one of the Da'wa platforms that contributed to the dissemination of prophet Muhammad's message, and its intellectual and educational impact on the soul of the listener and recipient.

The study was based on an introduction that talks about the importance of the research, the motives for choosing the subject, the most important previous studies, its approach and its plan. The preface talks about the narrative art in the Prophet's hadith in terms of meaning, characteristics and types. The first topic came as an explanation of the art of the representative story in the Prophetic hadith, and the eloquence of the representative story in terms of concept, patterns, themes, and purposes. The second topic came to display the eloquence of the aesthetics of the representative story by mentioning examples of the noble Prophetic hadith, to reveal its eloquence and the beauty in it.

Then the study concluded with a conclusion that included the most important findings and recommendations. the most important of which are: the Prophet's preference to use the art of the representative story in Da'wa, and persuading the addressees amongst his companions and his nation, the emergence of the impact of the rhetoric representative story on clarifying the speech and the hidden meanings behind it, as it is noted the fit and the frequent use of the art of narrative representation in places of advice, guidance and education, and warning against the consequences of matters.

Keywords: Hadith – Prophetic – Rhetoric - Representation – story.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على من أوتي جوامع الكلم، النبي الكريم الذي أرسل رحمة للعالمين، أفصح الثقلين لساناً، وأعذبهم بياناً، والصلاة والسلام على آله الأبرار وصحابته الأخيار.

أما بعد؛ فإن القصة النبوية الشريفة تعد إحدى الركائز الأساسية والمنابر الدعوية التي استعان بها النبي ﷺ لنشر دعوته وترسيخ القيم والمبادئ الأخلاقية في المجتمع؛ فقد كان الغرض الأسمى والأول في القصة النبوية الدعوة إلى عبادة الله ﷻ وحده وترك عبادة الأصنام والأوثان، وكان النبي ﷺ يتخير في دعوته الأساليب المحققة لغرضه الأسمى، لا سيما وأن القصة النبوية تمتاز بقدرتها على تصوير نواحي الحياة وعرض الشخصيات بما تحمله من أخلاق وأفكار واتجاهات مختلفة، وهذا بالطبع له أثره البالغ في نفس المتلقي بانسراح صدره وتجاوبه مع الشخصيات وما تمثله من قيم وما تتخذة من سلوكيات في حياتها اليومية، كما أنها ستجعله ينفر من الشرك وأهله وما تنطوي عليه نفوسهم من ظلام وضلال.

إن للقصة في الحديث النبوي الشريف منزلة رفيعة ومكانة سامقة في نفوس البشر على اختلاف ثقافتهم وأعراقهم وعاداتهم وبيئاتهم، وتعد أحد المعالم الهامة التي ميزت الحديث الشريف لما تحمله من فصاحة وبيان وعناصر فنية وأسلوبية، جعلت الكثير من الباحثين يقبلون على دراسة هذا الإرث العظيم المتمثل في أحاديث النبي ﷺ التي تعد بعد القرآن الكريم "دستوراً إسلامياً أزلياً خالداً، ونظاماً دقيقاً تاماً متكاملًا"^(١).

وقد وظف النبي ﷺ الفن القصصي في أحاديثه الشريفة لحرصه على تكوين الأثر الإيجابي وحصول التغيير المطلوب لدى المتلقي، فالقصص النبوي كان وما يزال مادة خصبة تساعد المربين على النجاح في مهمتهم، وتمدهم بزاد تهندي من سيرة النبيين وأخبار السابقين.

وكان الرسول ﷺ في توظيفه للقصة تربويًا "متأثرًا بمنهج القرآن الكريم التربوي؛

(١) محمد الدليمي، جمهرة وصايا العرب ١٢/٢.

الذي استخدم القصة لجميع أنواع التربية التي احتواها منهجه التربوي^(١)، ويتجلى ذلك في امتثاله لأمر الله ﷻ بأن يقص على الناس ما يعلمه من القصص لعلمهم يتفكرون في أخبار السابقين؛ فيأخذوا منهم العظة والعبرة لأنفسهم إن كانوا ظالمين، ويتأسوا بهم إن كانوا صالحين، كما جاء في قوله تعالى: ﴿فَأَقْصِبْ قَلْبُكَ لِالْعَالَمِ الَّتِي فَكَّرُونَ﴾ [سورة الأعراف: ١٧٦].

ولهذا فإنه لما كان البيان النبوي امتداداً وبياناً للقرآن الكريم، كان للقصة النبوية استعمالاً جلياً في تحقيق الأهداف الدينية، وكانت استعانتها ﷻ بالمنهج القصصي كوسيلة من وسائل الدعوة إلى الله ﷻ، منهجاً مجدياً في بلوغ رسالته الآفاق. ومما لا شك فيه أن للقصة أثراً قوياً على النفس الإنسانية، فهي وسيلة من الوسائل المثيرة للفكر الإنساني والمربية للنفس البشرية، وإذا ازدانت القصة بفن التمثيل فإنها ستكون ذات أثر أعمق وبعد أقوى في الدعوة إلى الله ﷻ، وبالتأمل في القصص النبوي تتجلى (القصة التمثيلية النبوية) التي يظهر فيها اشتغال القصة على المثل بتوظيف بليغ مؤثر نابع من بلاغة الحديث النبوي.

أهم الدراسات السابقة:

١- دراسة (التشبيه التمثيلي في الحديث النبوي: من خلال صحيح البخاري)^(٢)، هدفت هذه الدراسة إلى الكشف عن معنى التشبيه التمثيلي وأغراضه البلاغية وخصائصه الفنية في الحديث النبوي، وبُنيت دراسة الشواهد النبوية على الأغراض البلاغية كالترغيب والترهيب وغيرها، حيث توصلت إلى عدد من النتائج أهمها: تحقق الغرض البلاغي من التشبيهات التمثيلية على نحو دقيق، إذ لم يكن التشبيه هدفاً في ذاته، وإنما وسيلة لإظهار الخفي من المعاني وسهولة إدراكها.

٢- دراسة (التشبيه التمثيلي في الحديث النبوي الشريف: دراسة بلاغية في البيان النبوي)^(٣)، هدفت الدراسة إلى الكشف عن الامتداد التاريخي لتعريف التشبيه

(١) محمد الزير، القصص في الحديث النبوي ص/٤٤٣.

(٢) محمد السيد عبد الرزاق، التشبيه التمثيلي في الحديث النبوي.

(٣) زينب دواوي، التشبيه التمثيلي في الحديث النبوي الشريف.

والتمثيل عند علماء البلاغة القدامى والمحدثين، وعرضت لذكر الخصائص الفنية للتشبيه التمثيلي وعلاقات التمثيل المتعددة، مع ذكر نماذج من القرآن الكريم والحديث الشريف وكذلك من الشعر الجاهلي، حيث توصلت إلى عدد من النتائج أهمها: تعدد نظرات البلاغيين إلى التشبيه التمثيلي واختلافهم في تعريفه، وتجلي قدرة البيان النبوي على تجسيم وتشخيص المعاني الذهنية المجردة.

٣-دراسة (من بلاغة التشبيه التمثيلي في الحديث النبوي)^(١)، هدفت الدراسة

إلى الكشف عن محاسن التشبيه التمثيلي وإظهار السمات والخصائص البلاغية في نماذج من الحديث النبوي، حيث توصلت إلى عدد من النتائج أهمها: كثرة استعمال أسلوب التشبيه التمثيلي في مقامات النص والإرشاد والتعليم، لما له من أثر بالغ في توضيح المعاني وإثارة الفكر وتصوير المعقول في صورة المحسوس.

٤-دراسة (القصة التمثيلية في نماذج من الحديث النبوي الشريف دراسة

أسلوبية)^(٢)، هدفت الدراسة إلى الكشف عن معنى التمثيل وأنواعه وخصائصه وارتباطه بالبلاغية، وركزت في تناول النماذج على الأبعاد الحجاجية، حيث توصلت إلى عدد من النتائج أهمها: أن القصة التمثيلية في الحديث النبوي الشريف جاءت نمطاً أسلوبياً لخدمة وتوضيح المشبه وتقريبه من الأذهان.

٥-دراسة (القصة النبوية في الصحيحين)^(٣)، هدفت الدراسة إلى تناول

النصوص القصصية الواردة في الصحيحين تناولاً عاماً دون التركيز على الفن التمثيلي، باعتماد المنهج النقدي التحليلي، حيث توصلت إلى عدد من النتائج أهمها: اهتمام النبي ﷺ بلغة الحوار في النص القصصي، واعتماد خطاب الحكاية غالباً فيها.

وبالنظر في المؤلفات البلاغية السابقة التي تناولت قصص الحديث النبوي بالدراسة؛ نجد أن مدار البحث فيها قائم إما على بلاغة القصة النبوية بشكل عام، أو

(١) رمضان أوزمن، من بلاغة التشبيه التمثيلي في الحديث النبوي.

(٢) أسماء الخطاب وعلي يونس، القصة التمثيلية في نماذج من الحديث النبوي الشريف.

(٣) محمد الدكان، القصة النبوية في الصحيحين.

بلاغة فن من الفنون فيها، أو الاعتماد على المنهج الاستقرائي فقط، أو منهج التحليل الحجاجي أو الوصفي فقط، بخلاف هذه الدراسة التي تركز على الجانب الاستقرائي والوصفي والأسلوبي معاً، لذلك نظم هذا البحث للوقوف على بلاغة التمثيل في القصص النبوي، والتركيز على أحاديث القصة التمثيلية وما تحمله من معان وأساليب بلاغية جديدة بالذكر والإيضاح والإبانة، والبحث عن أوجه البلاغة الكامنة فيها، ومدى تحلي البعد الجمالي في الربط بين القصة والمثل المشتملة عليه، وبيان الدور المهم لكل منهما في تثبيت المعنى المراد، وبلوغ الهدف المنشود.

وقد قام البحث على منهج الاستقراء والتحليل الوصفي والأسلوبي في بيان مباحث البحث ومعانيه، وفق التقسيمات الآتية:

المقدمة: وفيها الحديث عن أهمية البحث، ودوافع اختياره، وأهم الدراسات السابقة، ومنهجه، وخطته.

التمهيد: الفن القصصي في الحديث النبوي.

اشتمل على تعريف القصة لغةً واصطلاحاً، وحديث عن القصة النبوية وخصائصها وأنواعها.

المبحث الأول: القصة التمثيلية في الحديث النبوي.

وفيه استجلاء لمفهوم القصة التمثيلية وبلاغتها في الحديث النبوي، من حيث المفهوم والأنماط، والموضوعات، والغايات.

المبحث الثاني: جماليات القصة التمثيلية في الحديث النبوي.

فيه دراسة تحليلية لنماذج القصة التمثيلية النبوية، للكشف عن بلاغتها ومواطن الجمال فيها.

الخاتمة: وفيها بيان لنتائج البحث والتوصيات.

وأسأل المولى وَعَلَيْكَ أن يتقبل هذا العمل بقبول حسن، وأن يضاعف به الأجر في الدنيا والآخرة

وصلّى الله وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين
والحمد لله حمداً كثيراً يليق بجلاله وعظمته.

التمهيد:

تعد القصة من الفنون الأدبية المؤثرة، ووسيلة من وسائل التبليغ والتعبير عن الأفكار والرؤى التي توجه الإنسان في جميع ميادين الحياة، تناولتها المعاجم العربية بالدراسة وبيان مفهوميها اللغوي، فجاء في تعريفها أنها: "مأخوذة من قصّ أثره، يقال: قصصت الشيء إذا تتبعته أثره شيئاً بعد شيء، والقصة: الخبر، وهو القصص، وقص عليّ خبره يقصه قصاً وقصصاً أورده"^(١)، فالقصة هنا بمعنى: الخبر ورواية الأمر، ووردت المعاني نفسها في المعجم الوسيط بتعريفها أنها: "الجملة من الكلام والحديث والأمر والخبر والشأن، وحكاية نثرية طويلة تستمد من الخيال أو الواقع أو منهما معاً، وتبني على قواعد معينة من الفن الكتابي"^(٢).

ولم تستقر القصة على مفهوم اصطلاحي محدد وتعريف ثابت؛ نظراً لمواكبتها حياة الإنسان المتغيرة والمتطورة في كل مراحل حياته، فمن تعريفاتها: "مجموعة من الأحداث يرويها الكاتب، وهي تتناول حادثة واحدة أو حوادث عدة، تتعلق بشخصيات إنسانية مختلفة، تتباين أساليب عيشها وتصرفاتها في الحياة على غرار ما تتباين حياة الناس على وجه الأرض، ويكون نصيبها في القصة متفاوتاً من حيث التأثير والتأثير"^(٣).

ومنها أيضاً أنها: "عبارة عن نص أدبي يسرد فيه الكاتب أحداثاً معينة، تجري بين شخصين أو عدد من الأشخاص، يستند في قصّها على الوصف والتصوير مع التشويق، حتى يصل بالقارئ إلى نقطة تتأزم فيها الأحداث وتسمى العقدة، فيتطلع القارئ معها إلى الحل الذي يأتي في النهاية"^(٤).

(١) ابن منظور، لسان العرب ٥٢/١٢. وذكر المعنى نفسه الفراهيدي في كتابه العين ٣/٣٩٥.

(٢) المعجم الوسيط ص/٧٤٠.

(٣) محمد نجم، فن القصة ص/٧.

(٤) إسماعيل عز الدين، الأدب وفنونه ص/٦٥.

ويعتبر فن القصة من الفنون الأدبية العربية الأصيلة تداولها العرب في حديثهم وأخبارهم، وأسلوب من الأساليب التربوية جاء بها القرآن الكريم والحديث الشريف، كما يعتبر قص القصص منهج رباني أمر الله ﷻ به نبيه ﷺ؛ لقوة تأثيره النفسي العميق في ذهن السامع والقارئ وفي أفكاره وسلوكه، والمنهج القصصي يعد منهجاً له آثار تربوية عظيمة قد لا تتحقق في غيرها من الأساليب التي جاءت بها التربية الإسلامية، فالقصة القرآنية والنبوية تمتاز بميزات جعلت لها آثار نفسية وتربوية بليغة محكمة بعيدة المدى على مر الزمن، مع ما تثيره من حرارة العاطفة وحيوية النفس، فتدفع الإنسان إلى تغيير سلوكه وتحديد عزمته بحسب مقتضى القصة وتوجيهها وخاتمتها والعبرة منها^(١).

وقد حفلت السنة النبوية بالكثير من الأحاديث القصصية التي اتخذها النبي ﷺ منهجاً في الدعوة وعاملاً مساعداً فعالاً في التأثير على النفوس والأفئدة، "إذ نجد في الحديث النبوي الشريف أخباراً كثيرة كان الرسول ﷺ يرويها كلما استدعت الحاجة ذلك في معرض تبليغه الدين الجديد، وتعليم أصوله وقواعده وأخلاقه وآدابه"^(٢).

إن مفهوم القصة النبوية لا يخرج عن مفهومها عند العرب، وتعد مفسرة وشارحة لكل ما جاء في القرآن الكريم، بكونها "لوناً بيانياً، ونوعاً أدبياً من ألوانه وأنواعه التي تتعاقب في تقرير الدين، وتتجاذب لتمكين مبادئه السامية في قلوب البشر"^(٣)، وهذا التوافق يؤكد كون القصة النبوية وسيلة من وسائل الدعوة التي اعتمدها النبي ﷺ في التعليم والتوجيه والإرشاد.

والقصة النبوية تتميز بخصائص عديدة منها^(٤):

١- **الصدق والواقعية:** الحديث النبوي ليس بحديث يفترى، بل هو حديث بني

على حقائق ووقائع صادقة، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ

(١) خالد الحازمي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها ص/٢٣٤.

(٢) إبراهيم صحراوي، السرد العربي القديم ص/٧٣.

(٣) كمال عز الدين، الحديث النبوي الشريف من الواجهة البلاغية ص/٤٥٠.

(٤) ينظر: القصص في الحديث النبوي ص/١٦٧-١٧٠.

يُوحَى ﴿١﴾ [سورة النجم]، والفن القصصي كان دعامة لتلك الحقائق والبيانات التي ساهمت في ترسيخ العقيدة في القلوب، إذ أن القصص الواردة في القرآن الكريم والحديث النبوي تعد حكاية عن أخبار صادقة لوقائع تاريخية حدثت، أو تنبؤات مستقبلية، أو غيبات أخروية، أو أحداث واقعية، كان لها الأثر العظيم في نفوس المسلمين.

٢- ذات هدف واضح وبين: القصة في الحديث النبوي لا تحكى لمجرد التسلية بها، وإنما تساق لإيضاح مبدأ، أو للدعوة إلى معروف ونهي عن منكر، أو إرساء لقيم الدين الحق، إلى غير ذلك من الأهداف التي تستهدف تربية الروح والعقل والجسد معاً، ومقصدها التربية والتوجيه والدعوة ترغيباً في الخير وترهيباً من الشر.

٣- بلاغة النظم: تتميز القصة النبوية ببلاغة النظم المتمثل في دقة الإيجاز، وبراعة الإعجاز، وسهولة الألفاظ، وبساطة التعبير، وقوة التراكيب، وسلاسة الأسلوب، والوضوح والتصوير المشوق، "بحيث يسترسل القارئ أو السامع مع القصة في متابعة جيدة، لا يشعر خلالها بأدنى عناء أو تعثر"^(١)، وهذا مما يجعل القصة النبوية قصة فنية متكاملة، قريبة من الفهم، ورودها في النفس أيسر، ووقوعها في الوجدان أعمق، وأثرها في السلوك أظهر.

٤- الأصالة: تتميز موضوعات القصة النبوية بالأصالة والقوة التي تنطوي مضامينها على جوانب متنوعة من القيم والمبادئ، حاملة الأفكار العميقة، والمعاني الغنية، والقضايا الدينية الهامة؛ التي تستهوي الفرد المسلم تاركة الأثر البالغ في نفسه وفكره، ويجد المتأمل في القصص النبوية أن مميزاتها لا حصر لها، ومن أهمها ارتباطها بقصص القرآن الكريم، وهذا الارتباط نابع من "القيمة الدينية المحكمة للقصة النبوية، حيث أنها حق وصدق باعتبار من صدرت عنه، كما أن فيها من تجسيد معاني هذا الدين العظيم في نفوس معتنقيه ما يضمن لها التألق والتفوق على سائر الفنون البشرية النثرية الأخرى"^(٢).

(١) القصص في الحديث النبوي ص/١٦٨.

(٢) محمد الدكان، القصة النبوية في الصحيحين ص/٢١.

وتنقسم القصص الواردة في الحديث النبوي إلى خمسة أنواع^(١):

أولاً: القصص التاريخية: يعرض هذا النوع من القصص الأحداث التاريخية للأنبياء والرسل ﷺ الواقعة في زمن مضى، وبعض من التجارب الذاتية والقصص الواقعية المعاصرة التي وقعت للرسول ﷺ في فترات مختلفة من حياته، صاغها النبي ﷺ لغرض ديني أساسه الصدق الموضوعي، وركيزته العظة والتوجيه والإرشاد. وتشمل القصة التاريخية ما ورد من قصص الأنبياء والمرسلين وما أصابهم من تكذيب وتعنت من أقوامهم، كقصة موسى ﷺ وفرعون وبنو إسرائيل، وقصص أنبياء الله نوح، وصالح، وهود، وشعيب ﷺ.

ثانياً: القصص الغيبية: تتناول القصة الغيبية أحداثاً ووقائع من عالم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله ﷻ، مستمدة أحداثها من مشاهد يوم القيامة، وهذا النوع من القصص يؤيد صدق نبوة النبي ﷺ، ويعمق الإيمان بالغيب في نفوس سامعيه، ويعد معيناً لا ينضب من التوجيهات والدروس التربوية، ومن القصص الغيبية النبوية: حديث رؤية الله ﷻ في الآخرة، وحديث الشفاعة العظمى.

ثالثاً: القصص التمثيلية: وهي كل قصة بدأت بتشبيه تمثيلي، ودلت أحداثها على إمكانية وقوعها وحدوثها، ومن الأمثلة على القصة التمثيلية في الحديث النبوي: حديث السفينة، وحديث الهبة والعطية، وهذا النوع من القصص هو موضوع هذه الدراسة.

رابعاً: القصص الواقعية: في هذا النوع من القصص يروي فيه النبي ﷺ أحداثاً ووقائع حدثت له حياته سواء أكانت في السلم أم في الحرب، ومن الأمثلة على القصص الواقعية في السنة النبوية: حديث قصة الإسراء والمعراج، وحديث شق صدر النبي ﷺ وغيرها.

(١) ينظر: مأمون جرار، خصائص القصة الإسلامية ص/١١٣-١١٧، والقصة النبوية في الصحيحين ص/٣٤-٣٧.

خامساً: القصة القصيرة: وهي القصة التي تتناول حدثاً من الأحداث فتعرضه في صورة سريعة، وفي تعبيرات وألفاظ ومفردات مركزة، وهذا النوع من القصص لا يعنى بالتفاصيل الدقيقة، ولا بالوقائع والأحداث المتصلة المترابطة مع بعضها البعض، ومن أمثلة القصة القصيرة في الحديث الشريف: حديث المرأة التي دخلت النار في هرة حبستها، وحديث الدائن والمدين من بني إسرائيل، وغيرها.

سادساً: القصة الطويلة: وهي التي تتناول حيزاً كبيراً من التفاصيل والأحداث، وتعنى برسم الشخصيات وإبراز سماتها وملاحظاتها، ومن ثم فإنها تتسع لجوانب أرحب ووقائع أفسح، فقد يطول حيز الزمن وتمتد الأحداث وتتكرر المشاهد وتتنامى وتتطور حتى تصل إلى غايتها مروراً بالعقدة وتوصلاً إلى الحل^(١).
ومن القصص الطويلة في الحديث النبوي: حديث قصة أصحاب الغار، وقصة أصحاب الأخدود، وقصة الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفساً، وقصة الأقرع والأبرص والأعمى، وغيرها.

(١) ينظر: فن القصة ص/١٣.

المبحث الأول: القصة التمثيلية في الحديث النبوي

يرتبط المثل بالبلاغة ارتباطاً وثيقاً إذ إن خصائص المثل هي نفسها خصائص البلاغة من حيث (إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه)، ويعد المثل حكمة العرب في الجاهلية والإسلام حيث كانت تستعمله في تعارض كلامها، فتبلغ به ما حاولت من حاجاتها في المنطق بكناية غير تصريح، وقد ضربها النبي ﷺ وتمثل بها هو ومن بعده من السلف^(١)، يقول الزمخشري: "الأمثال قصارى فصاحة العرب العرباء، وجوامع كلمها، ونوادير حكمها، وبيضة منطقتها، وزبدة حوارها، وبلاغتها التي أعربت بها عن القرائح السليمة والركن البديع إلى ذرابة اللسان وغرابة اللسان، حيث أوجزت اللفظ، وأشبعت المعنى، وقصرت العبارة، وأطالت المغزى، ولوحت فأغرقت في التصريح فأغنت عن الإفصاح"^(٢).

ويعرف المثل في أصل اللغة بمعنى التشبيه والنظير، ثم نقل منه إلى القول السائر الممثل مضربه بمورده أي: الشيء الذي يضرب لشيء مثلاً فيجعل مثله، ويأتي بمعنى الصفة، ومعنى العبرة والعظة وغيرها من المعاني^(٣)، ويعرفه ابن القيم بقوله: "الأمثال تشبيه شيء بشيء في حكمه، وتقريب المعقول من المحسوس أو أحد المحسوسين من الآخر واعتبار أحدهما بالآخر"^(٤).

ويعد المثل لما يمتاز به من خصائص بلاغية وقيمة فنية؛ "صورة بلاغية قصصية تبني فيها العبارة على التمثيل بالدرجة الأساس، ويسميه البلاغيون التمثيل المركب، أو ما يسمى بالتشبيهات التمثيلية"^(٥)، وبالنظر إلى نتيجة البحث في الأصل اللغوي لكلمة (مثل) تتجلى عدد من المصطلحات البلاغية التي اقتبسها علماء البلاغة كمصطلح التمثيل، والتشبيه التمثيلي، والاستعارة التمثيلية، والقصة التمثيلية.

(١) ينظر: ابن سلام، الأمثال ص/٣٤.

(٢) الزمخشري، المستقصى في أمثال العرب ١١٩/٢.

(٣) ينظر: كشاف اصطلاحات الفنون ١٤٤٩/٢.

(٤) ابن القيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين ١/١٢٣.

(٥) شعيب الغزالي، مباحث التشبيه والتمثيل في تفسير التحرير والتنوير ص/٢٨٩.

والقصة التمثيلية من أنواع القصص التي يغلب استعمالها في الحديث النبوي وذلك لدورها في إيضاح المعاني وتقريبها للأذهان، وقد جاء في تعريفها أنها: "نوع من القصة النبوية يضربه الرسول ﷺ مثلاً للفكرة المطروحة أو القضية المقررة بصرف النظر عن كون هذا المثال قد وقع فعلاً من الناحية التاريخية أو لم يقع، فهي قصص أقرب إلى النموذج والمثال، صالحة للتطبيق على امتداد العصور وتباين الأمكنة وتعددتها واختلاف البيئات وأماكنها"^(١)، وهي تصور عدد من الوقائع والأحداث التي وردت على لسان النبي ﷺ بلغة سهلة وميسورة الفهم على المتلقين والمخاطبين؛ خالية من الصور الفنية المعقدة والتراكيب المبالغ فيها.

ويامعان النظر في قصص الحديث النبوي يتجلى كثرة استعمال القصة التمثيلية في الخطاب الدعوي؛ لما لها من تأثير مضاعف في العواطف والعقل والوجدان، وقدرتها على "تقريب وشرح المعاني والحقائق المجردة، خاصة تلك الحقائق السامية، والمثل العليا، وذلك بصياغتها في صورة حسية قريبة الفهم وواضحة التصوير، كتشبيه الغائب بالحاضر، والمعقول بالمحسوس، وكمياس النظير بنظيره"^(٢).

وتعد القصة التمثيلية أسلوباً من أساليب التوضيح والبيان، اتخذها النبي ﷺ لمعالجة الكثير من الموضوعات الدينية والاجتماعية والعلمية والتعليمية وغيرها من المواضيع المختلفة، التي تستدعي تجسيدها في قالب قصصي محسوس؛ بهدف تجلية المعنى وتوضيح الفكرة وتأكيد مفهومها في النفوس، وهذا القالب يبدأ فيه النبي ﷺ "بطرح الفكرة أو القضية في مطلع كل قصة، ثم يتبعها بالقصة في تفصيلها وأحداثها، فتأتي القصة تمثيلاً تطبيقياً حياً"^(٣)، ومن المواضيع التي تحدثت عنها القصة النبوية التمثيلية: الدعوة إلى الله، والحث على الخير والترغيب فيه والترهيب من الشر والتحذير منه، والحديث عن القيم الاجتماعية، وبيان قيمة العلم والعلماء وغيرها.

(١) صابر عبد الدايم، الحديث النبوي رؤية فنية جمالية ص/٨٧.

(٢) محمد الدالي، الوحدة الفنية في القصة القرآنية ص/١٨٢.

(٣) القصص في الحديث النبوي ص/٣٤٦.

إن المتأمل في كلام العرب يلحظ غلبة التشبيهات والتمثيل والاستعارات والكنايات، وهذا من طبيعة كلام العرب، فقد عرف عنهم ذلك كما قال المبرد: "التشبيه جار في كلام العرب، حتى لو قال قائل: هو أكثر كلامهم لم يبعد"^(١)، وأبو هلال العسكري: "التشبيه يزيد المعنى وضوحًا، ويكسبه تأكيدًا، ولهذا أطبق جميع المتكلمين من العرب والعجم عليه، ولم يستغن أحد عنه"^(٢)، وما ذلك إلا لغرض إيضاح الأفكار وإبراز المعاني وتقريرها، وقد جاءت القصة التمثيلية في الحديث النبوي لغاية التذكير والوعظ والحث والزجر والاعتبار والتقرير، وتقريب المعنى وتصويره بصورة المحسوس، ولغرض الحجاج والإقناع، وذلك بفضل اعتمادها على التقديم الحسي للصورة الذهنية، فهو فن بلاغي "يرد في الأغلب لإثراء الفكر وتوضيحها وإيصال المعنى إلى المتلقين بنقلها من التجريد إلى الملموس، وذلك باستعمال التصوير التشبيهي كونه يقع في مقدمة الأساليب البليغة بل هو أظهرها وأكثرها استعمالاً في كل عصر من العصور"^(٣).

وما كان لأحاديثه ﷺ النبوية البليغة الاستغناء عن فن التمثيل بالقصة، وهو الذي لا ينطق عن الهوى، حيث امتلأت بهذا اللون من الفن البديع الذي يعد أسلوباً من أساليب التربية يحث النفوس على فعل الخير، ويحضها على البر، ويدفعها إلى الفضيلة، ويمنعها عن المعصية والإثم، وهو في الوقت نفسه يربي العقل على التفكير الصحيح والقياس المنطقي السليم، لا سيما أنه في ذاته "أسلوب بياني، يعبر عن خلجات النفس، وكوامن الحس، ويبرز المعقول في صورة محسة، ويكشف عن الحقائق التي يدق فهمها، ويعرض الغائب في معرض الحاضر"^(٤).

وجدير بالذكر في هذا المقام بيان الأشكال البلاغية والأنماط التي وردت بها القصص التمثيلية في الأحاديث النبوية، حيث تجلت في نمط الأمثال القصصية الظاهرة الصريحة التي يصرح فيها بلفظ (مثل) أو ما يدل على التشبيه، وهي عبارة عن سرد

(١) أبو العباس محمد المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ٩٩٦/٢.

(٢) أبو هلال الحسن العسكري، الصناعتين الكتابة والشعر، ص/٢٦٥.

(٣) بدوي طبانه، البيان العربي ص/٥٨.

(٤) قصص القرآن من آدم عليه السلام إلى أصحاب الفيل ص/٣.

وصفي أو قصصي أو صورة بيانية؛ لتوضيح فكرة ما عن طريق التشبيه والتمثيل، ويسميه البلاغيون: التمثيل المركب، وفيه نوع من الإطناب، ويجمع بين عمق الفكرة وجمال التصوير^(١).

وهذا النمط يكثر استعماله في أمثلة الحديث النبوي، إذ يقول الرسول ﷺ في مطلع كل قصة منها وهو يطرح الفكرة الذهنية (مثل كذا كمثل كذا...) دلالة على أنه ينشئ هذه القصص ابتداءً ليعرض من خلالها الفكرة في صورة مجسمة، ومجيء هذا التمثيل في الوقت الذي يجسم الفكرة بواقع عملي نستطيع تصوره وإدراكه من خلال حركة القصة؛ يمكن أن يضيف إلى إحساسنا الذهني إحساسًا شعوريًا يتغلغل في نفوسنا من جراء جو القصة وما توحى به مواقفها من عواطف وانفعالات^(٢).

ويلحظ بناء المعنى في أكثر الأحاديث القصصية التمثيلية بصيغ أسلوبية متشابهة تظهر واضحة في تمثيله ﷺ، وهي كالاتي:

- دخول لفظ (مثل) على المشبه والمشبه به، كقوله ﷺ:
"مَثَلُ الْمُنَافِقِ كَمَثَلِ الشَّاةِ الْعَائِرَةِ بَيْنَ الْغَنَمَيْنِ؛ تَعْبُرُ إِلَى هَذِهِ مَرَّةً، وَإِلَى هَذِهِ مَرَّةً"^(٣).
- دخول لفظ (مثل) على المشبه فقط، ودخول (الكاف) على المشبه به، كقوله ﷺ:
"مَا لِي وَلِلدُّنْيَا؟ مَا أَنَا وَالِدُنْيَا؟ إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ الدُّنْيَا كَرَائِبٍ ظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا"^(٤).

- دخول لفظ (مثل) على المشبه به فقط كقوله ﷺ: "تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاخُمِهِمْ وَتَوَادُّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، كَمَثَلِ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَّى"^(٥).

- دخول (الكاف) على (مثل) الداخلة على المشبه به كقوله ﷺ: "إِنَّمَا مَثَلِي

(١) ينظر: الأمثال في القرآن الكريم ص/٢٠.

(٢) ينظر: محمد العلواني، الأمثال في الحديث النبوي الشريف ص/٣٥.

(٣) رواه مسلم (رقم الحديث: ٢٧٤٨).

(٤) مسند أحمد (رقم الحديث: ٣٧٠٩).

(٥) رواه البخاري (رقم الحديث: ٦٠١١).

وَمَثَلُ النَّاسِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ
الدَّوَابُّ الَّتِي تَقَعُ فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا، فَجَعَلَ يَنْزِعُهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ فَيَقْتَحِمْنَ فِيهَا، فَأَنَا
أَخَذُ بِجُجْرِكُمْ عَنِ النَّارِ، وَهُمْ يَقْتَحِمُونَ فِيهَا"^(١).

ويلحظ في هذه الأمثلة أن المشبه يأتي مبهمًا لا يتضح في الكلام، فتأتي صورة
المشبه به لتوضيحه، وهذا النوع يأتي التمثيل به بـ(مثل) في الأكثر وتكون صورة (المشبه
به) قصة تحكى.

ومن ذلك يلحظ عناية النبي ﷺ بالأمثال النبوية في كثرة إيرادها وتنوع نماذجها
واستعمالاتها، وهذا فيه دلالة على إدراك النبي ﷺ لأهميتها، وحرصه على تحقيق وتبيين
سبل الهداية والطريق المستقيم للمؤمنين.

(١) رواه البخاري (رقم الحديث: ٦٤٨٣).

المبحث الثاني: البعد الجمالي في القصة التمثيلية

تعد القصة التمثيلية النبوية منبرًا من المنابر التي اعتمد عليها الرسول ﷺ في نشر الدعوة الإسلامية، وفن القصة يلعب دورًا كبيرًا في تحفيز العقول للتفكير والتأمل، والترغيب في الخير والترهيب من الشر، كما يحمل بين جنباته العناصر القصصية التي تضم أساليب التشويق وشد الانتباه، لاسيما إذا اجتمع معها المثل، والحديث النبوي الشريف تزخر جنباته بنماذج من القصص التمثيلية، كان لبعضها نصيب من التناول والاستقراء والتحليل البلاغي في مباحث هذه الدراسة، لبيانها والكشف عن جمالياتها، كما هو آت.

١- حديث السفينة:

عن النعمان بن بشير رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَفْنَا فِي نَصِينَا خَرْفًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرَكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَّوْا، وَنَجَّوْا جَمِيعًا" (١).

يُبرز الحديث الشريف بلاغة النبي ﷺ في ضرب المثل باستعمال الأسلوب القصصي المنبي من جمل اسمية في قالب قصة تمثيلية قائمة على تشبيه تمثيلي جاء وجه الشبه فيه منتزع من متعدد، حيث شُبِّه حال المجتمع المسلم الذي يكثر فيه الفساد وترتكب فيه المعاصي، وليس فيه إنكار للمنكر من القائمين على حدود الله والمدافعين عنها تجاه العصاة الواقعين، شبه ذلك بحال قوم شركاء في سفينة تنازعوها فاستهموا على قسمتها، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فأراد من في أسفلها خرقها تيسيرًا للحصول على الماء، ولم يجدوا بأسًا من ذلك على اعتبار أنهم يتصرفون في قسمتهم، فإن منعهم من هم في الأعلى من خرق السفينة وبينوا لهم خطورة الأمر نجوا جميعًا، وإن

(١) رواه البخاري: (رقم الحديث: ٢٤٩٣).

تركوهم دون نصح هلكوا جميعاً.

فهذا التصوير في القصة التمثيلية يبين مدى أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأن الأمة لن يصلح أمرها ويبقى أمنها إلا إذا أخذ المصلحين القائمين على حدود الله بأيدي العابثين الواقعين في المعاصي، وقدموا لهم النصح والتوجيه حتى يأتروا بالمعروف وينتهوا عن المنكر، "وتدل هذه الصورة العظيمة على أن الحرية الفردية ليست مطلقة، بل هي محدودة بمصلحة الأمة، فليس المرء حرّاً في أن يصنع ما يشاء من المعاصي، لأن ذلك سيعرض كيان الأمة إلى الهدم والانهيار، كما تدل على أن فائدة الإنكار إنما تتحقق إذا كانت قبل استفحال المعاصي"^(١).

والمشبه في الحديث الشريف هو: (القائم على حدود الله والواقع فيها)، والمشبه به: (قوم استهموا على سفينة)، وأداة التشبيه: (الكاف، ومثل)، ووجه الشبه: منتزع من أمور متعددة فهو إما النجاة للكل: الأمرين بالمعروف والمشبه وأصحاب السفينة في المشبه به، وإما الهلاك للكل: الذين لم يأمرؤا بالمعروف والمذنبين، وركاب السفينة، والغرض من التشبيه: الحث على التناصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ويدل التشبيه على أن المسؤولية المجتمعية واجبة على كل فرد مسلم، وقد حث الحديث الشريف على التخلق بها لأهميتها، "فالنبى مثل مال المجتمع حين يعي مقتضيات الحياة الاجتماعية المشتركة، فيقوم بواجب المسؤولية وتشجيع فيه صفات الخيرية من أمر بالمعروف ونهي عن المنكر، أو يجهل هذه المقتضيات أو يهملها فلا يفكر أفرادها إلا بما يتراءى لهم من مصالح شخصية، وتشجيع فيهم صفات الجهل والتسيب والأناية، بحال ركاب السفينة حين يكونون على وعي بأسباب السلامة وأسباب الهلاك، فيضطلعون بواجب الحفاظ على سلامة السفينة بمنع الإفساد في أي جزء من أجزائها، ويأخذون على يد المفسد أيّاً تكن نيته وحجته في إقدامه على خطأ بيّن وخيم العاقبة، أو يهمل الأخذ بأسباب السلامة جهلاً أو غفلة أو خشية من المفسد أو تقاعساً عن

(١) محمد الصباغ، التصوير الفني في الحديث النبوي ص/٤٢٨.

الواجب" (١).

وتتجلى جماليات التشبيه التمثيلي في الحديث الشريف في قدرته على تحقيق التفاعل النفسي والوجداني لكل قارئ على مدى العصور والأزمنة، حيث وظف النبي ﷺ في الحديث الشريف عدة عناصر ساهمت في جمالية الحديث وبلاغته وقوة أثره وتأثيره وهي:

- بلاغة التوظيف في القصة التمثيلية، بإيراد التشبيه التمثيلي في قالب قصصي مشوق، ساهم في تقريب المعنى المراد من التمثيل الجامع بين شيئين متباعدين، فنقل (المشبه) المعنى العقلي المجرد إلى (المشبه به) المعنى المحسوس الظاهر.
- لمحة المصدقية الفنية والموضوعية في نقل التجربة القصصية الوجدانية، المؤثرة على المشاعر الإيجابية في تحريكها وتوجيهها نحو التطوع لمجتمع مسلم آمن قائم على حدود الله.
- براعة الاستهلال في الحديث النبوي باللفظ (مثل) الدال على التشبيه التمثيلي، ثم تلاه استهلال بالمقابلة اللفظية والمعنوية بين فريقين من البشر (القائم على حدود الله، والواقع فيها) فهياً هذا الاستهلال الذهن لاستقبال فحوى الحديث وفكرته، وجاءت الخاتمة أيضاً بمقابلة أخرى تتجلى فيها بلاغة الحديث في الاتفاق ما بين مطلع القصة وختامها، في قوله: (فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا، ونجوا جميعاً) وهذه المقابلة جعلت الفريقين في مواجهة حاسمة وأبرزت الفارق الكبير بينهما، وقد صور التشبيه التمثيلي هذه المفارقة بصورة دقيقة جامعة مانعة، بوضعهم جميعاً في مركب واحد يواجهون به مصير واحد إن لم يأمروا بالمعروف ويتناهوا عن المنكر.
- بلاغة التضاد في استعمال فن المقابلة أظهرت التقابل الدلالي بين الفريقين وأن لا قاسم مشترك بينهما إلا ما تستدعيه المصلحة العامة التي تحثهم على الاتفاق رغم الفرق الشاسع بينهما، فهناك فريق في (أعلاها) وفريق في (أسفلها) فالعلو عنوان للرفعة والسمو، والأسفل مثال للدونية والسفالة، فالفتنة السفلى هي من أسند إليها إرادة خرق السفينة لغرض (الاستقاء) مع أنه بإمكانهم الاستقاء بطريقة آمنة تحقق السلامة للجميع،

(١) عبد الملك بومنجل، تأصيل البلاغة ص/١٧٤.

ولكن هذا التصرف ناتج عما اتصفوا به من صفات دونية، كما في الحديث: (فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا)، وفي المقابل كانت الفئة العليا تمثل الطرف المفكر العاقل، الذي لا بد أن يقوم بدوره في النصح والتوجيه والإرشاد والأخذ بيد من هم في الأسفل ولا يغفلوا عنهم، حتى تتحقق السلامة والنجاة للجميع.

- بلاغة استعمال فن الكناية البياني في جمل الحديث الشريف فجملة: (القائم على حدود الله) كناية عن موصوف وهو المسلم المؤمن بالرسالة المحمدية، العاقل الذي يحسن التصرف، وجاء حرف الجر (على) وهو من حروف المعاني محملاً بمعنى العلو الدال على أن القائم في مكان عال يقف على حراسة حدود الله وعدم تجاوزها، أما جملة: (والواقع فيها) فهي أيضاً كناية عن موصوف مناقض للأول، وهو المتجاوز لحدود الله والساقط في المعاصي، الذي يقع فيها ولا يأبه لمصلحة الأمة، وساهمت (في) الظرفية في تأدية المعنى وتصويره في الواقع فهو منغمس في الشهوات والمنكرات، ولا يخفى بلاغة استعمال هذين الحرفين (على، وفي) ومناسبتهما للمعنى، وما بينهما من تضاد ساهم في خدمة المعنى وجمال التشبيه.

- الدقة في انتقاء الألفاظ ووضعها في الموضع المناسب والمطابق للمعنى المراد، حيث جاءت لفظة (استهموا) مطابقة للمقام وحال الناس، فهم في حالة من النزاع بحاجة إلى حل فكان الاستهم والافتراء هو الحل الأنسب، ومن بلاغة استعمال لفظة (استهموا) مجيئها كناية عن صفة التسليم بالرضا، فبمجرد الاستهم تم قبول النتيجة بدون تدمير وجدال، ومن بلاغة ذكر الاستهم دلالته "على أن موضع القوم في السفينة إنما جاء وفق الحق والعدل، ففي عرف الشرع أن القرعة عند الاحتياج إليها وسيلة من وسائل إقامة الحق وإشاعة العدل، وعليه فليس لأهل السفن أن يظهروا امتعاضهم من كون نصيبهم قد جاء في أسفل السفينة، فكأن الحديث يشير إلى أن اقتسام الحظوظ في هذه الدنيا إنما هو بعدل الله وحكمته، ... ثم إن كون الوضع في السفينة بدأ بالقسمة العادلة ثم طرأت محاولة الإفساد عليه يخدم قضية إيمانية أخرى؛ وهي أن الأصل

في البشرية كان التوحيد والصلاح، وأن الشرك والفساد طارئان عليها"^(١).

- بلاغة الوعاء القصصي في احتوائه لفن التشبيه التمثيلي بأركانه البلاغية، مع تميز عناصر القصة وظهورها بصورة متكاملة، فهناك البداية بالمثل وجاء الحدث محبوبًا بدقة متناهية، وكان لظرفي المكان والزمان حضور وأثر في أحداث القصة، كما جاء عنصر الأشخاص بدون تحديد أسماء لعدم جدواها في مقام الحبكة القصصي في الحديث، حيث أشير إليهم بقوله: (بعضهم) لما تحمله من دلالة عامة، وبرزت خاتمة القصة التمثيلية بإيراد الحل الممكن لوضع حد لهذا التأزم القصصي الذي يتطلب حلًا ممكنًا تجلي في قوله: (فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا، ونجوا جميعًا) بأسلوب الشرط الدال على اقتران النتيجة والحل بالفعل المقدم، فإما الهلاك وإما النجاة.

- تجلي بلاغة جواب الشرط عن المصير المحتوم لكل فريق (هلكوا، ونجوا) في استعمال فن الطباق بينهما، وفي إيرادها بصيغة الفعل الماضي لإفادة أن النتيجة حتمية ومتحققة الوقوع، ولا تخفى بلاغة التكرار للفعل (نجوا) العائد على الفريقين، وجاءت (جميعًا) كتكرار معنوي مؤكد للنجاة، كونها المصير المطلوب.

وخلاصة القول والحال تتجلى في بلاغة الحديث الشريف السهل الممتنع، وفي تلخيص النبي ﷺ لحال المجتمع بهذا التمثيل النبوي البليغ المنطوي على أسرار بلاغية كالإيجاز مع وفرة الدلالة، ومنتعة عنصر التشويق ببناء التمثيل على منهج القصة واستيفاء التمثيل لجوانب كثيرة من مظاهر الحياة البشرية.

٢- حديث الذي استوفد نارًا

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع الرسول ﷺ يقول: "إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ النَّاسِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْفَدَ نَارًا، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ جَعَلَ الْفَرَّاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي تَقَعُ فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا، فَجَعَلَ يَنْزِعُهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ فَيَقْتَحِمْنَ فِيهَا، فَأَنَا آخِذٌ بِجُجْرِكُمْ عَنِ

(١) عبد الآخر الغنيمي، الفوائد المنتقاة ص/٤٢-٤٣.

النَّارِ، وَهُمْ يَقْتَحِمُونَ فِيهَا"^(١).

يبين النبي ﷺ في هذا الحديث الشريف شدة حرصه على أمته ورحمته بهم، وشدة حرص الشيطان على إغوائهم وفتنته لهم، مشيراً إلى الغاية التي من أجلها أرسل لأمته؛ وهي الأخذ بأيديهم إلى الجنة ونجاتهم من النار، فيضرب لحاله معهم مثلاً ولحالهم مثلاً، يجسد هذا المعنى من خلال صورة تمثيلية شبه فيها نفسه ﷺ في دعوته لأمته ورسالته الحمديّة التي أضاءت الكون بأكمله، بحال رجل استوقد ناراً فأضاءت تلك النار ما حولها، كما شبه إعراض الناس عن اتباعه وعدم الاهتداء بهديه وانكبابهم على الشهوات والمعاصي ومنعه لهم عن فعل ذلك بأخذه لهم بالإمساك بحجزهم عن النار، بالفراش والدواب التي تقع في النار وتغلب المستوقد في دفعه لها باقتحامها النيران، وذلك باستعمال أدوات التشبيه (مثلي، ومثل، وكمثل)، ووجه الشبه الجامع بين الطرفين: صفة منتزعة من أمور متعددة تتلخص في إتباع الهوى وضعف التمييز، وحرص كل من الطائفتين على هلاك نفسه، فبين الرسول ﷺ شدة حرصه على المؤمنين ورحمته بهم، وشدة جذب الشيطان وفتنته وطاعتهم له، ويصور ذلك في هيئة متخيلة حية يمكن تصورها.

ومن خلال ضرب المثل في قالب قصصي يتبين ما للصورة التمثيلية في الحديث الشريف من دور فعال في الكشف عن المعنى المراد وإيضاحه للمخاطب؛ حيث ظهر المعنى المعقول المراد بوضوح من خلال تلك الصورة المحسوسة الماثلة للعيان، فجميع عناصر الصورة التمثيلية من المشبه والمشبه به يوحي بعضها بتلك الصورة الحية الموحية بالحقيقة المراد إيصالها للمخاطب، من تشبيه المخالفين بالفراش، وتمثيل تساقطهم في المعاصي واتباع الشهوات المؤدية للسقوط في نار الآخرة بتساقط الفراش في نار الدنيا مع حرصهم على الوقوع في ذلك، وحرص النبي ﷺ على منعهم من السقوط.

وتتجلى جماليات القصة التمثيلية في الحديث الشريف في قوة أثر وتأثير الخطاب الدعوي، وقوة بلاغته في كونه موجه للأمة جميعها مع صلاحه لكل زمان ومكان، كما يزهو الحديث الشريف بتوظيف عدة عناصر ساهمت في إبراز الجوانب الجمالية فيه

(١) رواه البخاري: (رقم الحديث: ٦٤٨٣).

ومنها:

-اهتمام النبي ﷺ بالناحية الشعورية لدى المتلقي، بإيراد الصور التمثيلية التي تقرب المعنى المجرد وتحوله لصورة حسية مدركة قابلة للعيان.

-براعة الاستهلال في الحديث الشريف باستعمال أسلوب القصر (إنما) الذي أفاد قصر المشبه على المشبه به، مما يؤدي لتوكيد المعاني وزيادة قوة تدفقها، وهذا مما يتناسب مع السياق ومقتضى الحال، التي تصور أفعال متلاحقة من الأخذ والمنع والمدافعة والافتحام.

-براعة استعمال فن التفصيل بعد الإجمال والإيضاح بعد الإبهام، حيث جاء الكلام في بداية الحديث الشريف مجملًا ثم فصّل، وجاء التفصيل معطوفًا على بعضه بحرف العطف (الفاء) ليشعر بترتيب الأحداث وتعاقبها بدون تراخ: (فلما أضاءت)، (فجعل ينزعهن)، (فيقتحمن فيها)، (فأنا آخذ).

-بلاغة مجيء التمثيل بأسلوب اللف والنشر المرتب، وهو ما يسمى بالتشبيه الملفوف، حيث ذكرت المشبهات أولاً (مثلي ومثل الناس) ثم جاءت المشبهات ثانيًا (كمثل رجل استوقد نارًا، الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها)، فهو تشبيه ملفوف من حيث التعدد، ومن حيث ذكر المشبهات أولاً ثم المشبهات به.

-بلاغة تكرار أدوات التشبيه (مثلي، ومثل، وكمثل) وتلاحقها، مما أدى إلى صنع نوع من الإيقاع الموسيقي، ساعد على تمثيل الصور المطروحة وتخيلها بصورة حية، وعلى تقريب الأطراف المتشابهة بعضها من بعض، وعقد مقارنة بين طرفي التشبيه لإدراك أبعاد الصورة.

-بلاغة دلالة العموم في قوله: (مثل الناس) على شمولية رسالته لجميع البشر وعدم اقتصرها على أمته، وفيه دلالة على أن الرسالة المحمدية صالحة لكل زمان ومكان.

-بلاغة اختيار لفظة (استوقد) دون (أوقد) فكل زيادة في المبنى تدل على زيادة في المعنى، إذ أن الاستيقاد في الحديث الشريف لم يكن إلا لأمر عظيم وهو إخراج الناس من ظلمات الضلال إلى نور الهداية.

-الدقة في انتقاء الألفاظ والمفردات الدالة على المعنى ببلاغة وإتقان، وذلك في

عدة مواضع من الحديث الشريف، منها اختيار الفعل (أضاءت) دون اشتعلت، لما في الضياء والإضاءة دلالة على فرط الإنارة وقوتها، وفي هذا تناسب مع معنى السياق فالرسالة المحمدية جاءت وأضاءت العالم بنورها الذي كان فيه الناس قبل مجيئها يتخبطون في عالم الظلمات والضلال، فلفظة الإضاءة ناسبت المقام لما فيها من إحياء بنور النبوة وضياء الشريعة.

-دقة التعبير النبوي في تخصيص ذكر الدواب في قوله ﷺ: (جعل الفراش وهذه الدواب) دلالة على تحقير شأنها، فالفراش لا تسمى دواب إلا لبيان جهلها، كما أن فيها تعريض لطالب الدنيا المتهالك فيها، "والتعبير بـ(الفراش والدواب) يتناسب مع قوله ﷺ: (تقحمون فيها)؛ لأن التقحم: هو الإقدام والوقوع في الأمور الشاقة من غير تثبت وتعقل، ولا يخفى سر انتقاء (الفراش) في الحديث للعصاة والمعرضين عن منهج الله ﷻ؛ وذلك لدلالة الفراش على الضعف والوهن وسرعة سقوطها في النيران وعدم التحمل، فضلاً عن أن التعبير بالفراش له إيماءات في كلام العرب فهم يتمثلون بها في الحمق والخفة؛ لأنها تطرح نفسها في النار، فكذلك العصاة بطيشهم وخفة عقولهم وحمقتهم يلقون بأنفسهم في النيران"^(١).

-التوظيف البلاغي للفعل المضارع في قوله: (فيقتحمن فيها)، (وهم يفتحمون فيها) حيث دل الفعل بصيغته المضارعة على أن الهداية بيد الله ﷻ يؤتيها من يشاء، كما عبر عن معنى التجدد والاستمرار مما يدل على استمرارية الصراع بين الخير والشر وبين الهدى والضلال، كما أوحى بمدى سرعة تهافت الجهلاء في معاصيهم وإصرارهم على غيهم وضلالهم واستمرارهم فيه.

-ومن المواضع التي برز فيها استعمال الأفعال المضارعة قوله: (يقعن، ينزعنهن، يغلبنه) الدالة على الاستمرارية، والباعثة على استحضر الموقف، والموحية بروح الحركات المتلاحقة في النص.

-بلاغة استعمال صيغ الأفعال كما في صيغة اسم الفاعل (آخذ) في قوله: (آخذ

(١) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري ٦/٣٣٦.

بمحزكم)، الدالة على الفاعلية والاستمرارية الوعظية للنبي ﷺ في زمانه وفترة حياته والفترة التي ستبقى فيها هذه الرسالة المحمدية.

- من مظاهر جماليات التمثيل القصصي في الحديث الشريف بروز فن الاستعارة في قوله: (فأنا آخذ بحجزكم)، التي مثلت حال النبي ﷺ في حمايته ومنعه لأمته من الهلاك بحال رجل آخذ بحجرة صاحبه الذي أوشك أن يهوي في قعر بئر مهلكة.

- بروز بلاغة فن الالتفات في التفات الخطاب من ضمير الغيبة في قوله: (مثل الناس) وضمير الغائب في قوله: (ينزعهن) و(يغلبنهن)، إلى ضمير الخطاب في قوله: (بمحزكم)، وجاء الالتفات في الحديث الشريف لغرض التخويف والتهديد والوعيد لمرتكي المعاصي، والتشديد في الطلب عليهم بتركها ومنعهم من الوقوع فيها.

- بلاغة دقة التصوير في تخيل هذه الصورة المكتملة الجوانب بمشاهدها النابضة بالأفعال والحركات السريعة، وتصوير الصراع ومغالبة النفس بين طريق الهدى واتباع الهوى، يقابلها صورة أخرى يدفع بعضها إلى الخير المنجي والآخر إلى الشر المهلك، وما تصوره من ردود الأفعال المتلاحقة، فتنتقل هذه الصورة إلى واقع الإنسان المعاش وصراعه مع نفسه ومدافعة شهواته ورغباته، وهذا التخييل "لا يتعد كثيراً عن حقيقة أن الذنوب والكبائر أسباب موصلة للنار، إنها الضوء الكاذب المخادع بصفة إبليس عدو البشر على حافة النار ليحرقهم فيها، أليست قلوبنا تتأثر من حين لآخر بالزاجر الرادع يكفنا ويجذبنا؟ ذلك الآخذ بالحجز، فيغلب الشيطان بخداعه فتغلب المعصية، وذلك الاقتحام في النار"^(١).

إن التمثيل القصصي المؤثر بنظمه البياني والبنائي في نفوس المتلقين، يعد من أبرز جماليات الحديث النبوي الشريف، فالمثل الوارد في القصة النبوية قد أوجز فأبلغ، لما يحمله من معانٍ كثيرة فهو "مثل كثير المعاني، المقصود به: أن الخلق لا يأتون ما يجرحهم إلى النار على قصد الهلكة، وإنما يأتونه على قصد المنفعة واتباع الشهوة، فالفراس يقتحم

(١) الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية ص/١٥٦.

النار لا يهلك فيها بل لما يعجبه من الضياء" (١).

٣- حديث النذير العريان

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ، كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمًا فَقَالَ: يَا قَوْمِ، إِنِّي رَأَيْتُ الْجَيْشَ بَعِيْنِي، وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ، فَالْتَّجَاءَ، فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ، فَأَذْجُوا، فَانْطَلَقُوا عَلَى مَهْلِهِمْ فَانْجَؤا، وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ، فَأَصْبَحُوا مَكَائِهِمْ، فَصَبَّحَهُمُ الْجَيْشُ فَأَهْلَكَهُمْ وَاجْتَا حَهُمْ، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِي فَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ، وَمَثَلُ مَنْ عَصَانِي وَكَذَّبَ بِمَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الْحَقِّ" (٢).

يقص النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الشريف قصة بعثته بالرسالة المحمدية ودعوته للناس كافة، وموقف الناس من تلقي رسالته واتباعه، لاسيما وأن بعثته في وقت كانت فيه البشرية غارقة في الشرك والإلحاد، فكان لرسالته قدر بالغ من الأهمية لإنقاذ المشركين من العذاب والهلاك.

وقد استعمل النبي صلى الله عليه وسلم فن التشبيه التمثيلي في قالب قصصي صور فيه انقسام الناس حيال قبول دعوته ورفضها، وما ذلك إلا لأهمية أمر رسالته ومكانتها العظيمة، والصورة التمثيلية في الحديث الشريف ذات طرفين الطرف الأول: شبه فيه النبي صلى الله عليه وسلم نفسه الشريفة وبعثته السماوية بصورة يعرفها الناس من واقعهم، فمثل لحاله في دعوته ورسالته واتباع الناس له وعصيانهم له، ولما بعثه الله تعالى به وأرسله، بصورة النذير العريان: "وهو الذي ينذر قومه العدو فيستعدون له، وكانت عادة النذير أن يخلع ثوبه ويشير به إلى قومه وهو عريان، إيذاناً بشدة الخطر، والنذير العريان مثل سائر يضرب لشدة الأمر ودنو المخدور وبراءة المخدر من التهمة" (٣).

(١) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري ٦/٣٣٤.

(٢) رواه البخاري: (رقم الحديث: ٧٢٨٣).

(٣) محمود المشهداني، التوكيد اللفظي أسلوباً بلاغياً ١/٧٩.

والطرف الثاني فيه تشبيه لحال الناس في انقسامهم ما بين مصدق آمن بالنبي ﷺ ومكذب منكر له، بموقف الناس إزاء النذير العريان هل صدقوه أم كذبوه؟ فهناك طائفة صدقته وأطاعته، وأدجوا سائرين من فورهم في أول الليل، منطلقين على مهلهم بسكينة وتأن وطمأنينة نفس؛ لأنهم أخذوا وقتهم من أوله فنجوا من العدو، والطائفة الثانية كذبت فتأخروا في الاستجابة لهذا النذير، فأتى عليهم الصبح وهم لم يسيروا من مكائهم ولم يبتعدوا عن الخطر، فصبحهم الجيش وهجم عليهم باكراً، فأهلكهم واجتاحهم واستأصلهم.

وجاءت أداة التشبيه (كمثل) لربط الطرفين بعضهما ببعض، ووجه الشبه الجامع بين الطرفين صورة أمر أكدته الشواهد وصدقته الأدلة ففاز من صدقه وخسر من كذبه. والمعنى المقصود من القصة التمثيلية هو دعوة الناس إلى النجاة باتباع الرسول النذير، ولزوم الاستجابة لهذه الدعوة بتصديق النذير وتجنب الخطر العظيم، وبين النبي ﷺ هذا المعنى في الحديث الشريف بطريق تمثيل المعنى المعنوي بمعنى حسي ضمناً لتحقيق هذين المعنيين، ومن الملاحظ أن في انتقاء صورة النذير العريان إشارة لشدة الخطر؛ فهو يمثل حاله مع قومه وحال ما بعثه الله به من الهدى والعلم بحال ذلك الرجل المنذر "بحيث كأنه ﷺ نزع ثيابه لينذرهم بالإشارة بثيابه، أو هو رجل جرده العدو فهرب منهم منذراً قومه فعلموا من تعريه صدق خبره؛ لأنهم كانوا يعرفونه ولا يهتمونه في النصيحة ولا جرت عادته بالتعري فقطعوا بصدقه لهذه القرائن، ثم صار مثلاً لكل ما يخاف مفاجأته، فضرب النبي ﷺ لنفسه ولما جاء به مثلاً بذلك؛ لما أبداه من الخوارق والمعجزات الدالة على القطع بصدقه تقريباً لإفهام المخاطبين بما يألفونه ويعرفونه"^(١).

إن الحديث الشريف بينائه القصصي التمثيلي قد بلغ مبلغاً في القوة والبيان والإيضاح، لما يحمل بين جنباته من جوانب جمالية، تستحق الوقوف عندها وتجليتها، ومنها:

-الإيجاز البليغ والنظم البديع، مع القدرة على الإقناع والإحاطة بأقطار النفوس،

(١) تأصيل البلاغة ص/١٨٢.

من خلال التصوير الدقيق لإخراج النبي ﷺ الناس من ظلمات الجاهلية والكفر إلى نور الإيمان والهدى.

- بلاغة التشبيه بذكر صورة النذير العريان الدالة على قرب الخطر، وهذه الصورة مستمدة من الأمثال السائرة عند العرب.

- دقة البلاغة النبوية في انتقاء اللفظة المفردة الدالة على المعنى المراد، والتي اكتملت بها جمال الصورة التمثيلية، ففي قوله: (النجاء.. فأدجوا.. مهلهم.. فنجوا) تمثيل وتجسيد للمعنى المجرد بصورة حسية حركية، فيه تصوير لنجاة من آمن به من العدو بسيرهم في هدأة الليل على مهل.

- بلاغة الدقة في اختيار الظرف الزماني: (في الصباح)، فالنذير قد جاءهم في اليوم الذي قبل يوم هلاكهم، ثم صبحهم الجيش واجتاحهم، وذلك مثل دعوته ﷺ وإنذاره لقومه، فإذا كان من أنكر على النذير واستهزأ بتحذيره قد صبحه الجيش وأهلكه بعد ساعات، فكذا حال من عصى الرسول ﷺ وكذب بدعوته، فإن هلاكه قريب بدنو أجله، وبهذا التمثيل يتبين ثواب من أطاع النبي ﷺ وصدق برسائله واهتدى بهديه، وعقاب من عصاه وكذب به وضل عن طريقه.

- بلاغة الجمل الأسمية وما تحمله بين جنباتها من أدوات القصر والنداء والتأكيدات، ففي خطاب المنذر لقومه: (إنما مثلي) و(أنا النذير) قصر للصفة على الموصوف، تفيد الاختصاص، وقوله: (يا قوم إني رأيت الجيش بعيني) جاء النداء قبل المثل لإرادة لفت الانتباه إلى ما سيتم قوله، وجاء تأكيد أمر الرؤية بتقديم المسند إليه (إني) وما يحمله من تأكيد ساهم في تقوية المعنى، ويظهر في قوله: (بعيني) التأكيد على تحقق الأمر، إذ أن الرؤية لا تكون إلا بالعين، ولكن هذا التعبير له دلالة بقطع كل احتمال وتحقيق جميع ما أخبر به تحقق من رأى الشيء بعينيه لا يعتريه وهم ولا يخالطه شك.

- بلاغة استعمال فن المقابلة في قوله: (فأطاعه طائفة من قومه، فأدجوا فانطلقوا على مهلهم، فنجوا) يقابلها قوله: (وكذبت طائفة منهم، فأصبحوا مكائهم فصبحهم الجيش، فأهلكهم واجتاحهم) بمقابلة ثلاثة بثلاثة، وكذلك مقابلة اثنين باثنين في قوله: (من أطاعني، فاتبع ما جئت به) يقابلها قوله: (من عصاني، وكذب ما جئت به)، وهذا التقابل المعنوي

والدلالي زاد من جمال الأسلوب ووضوحه، وله أثره في تحسين جودة المعنى، وإثارة الانتباه إلى الفكرة المطروحة، وإيقاظ الشعور إلى الموازنة بين الشيء وضده.

- بلاغة التكرار والحذف في قوله: (النجاء، النجاء) بمعنى اطلبوا النجاء، وهي جملة تقال عند حدوث الأمر الجلل، وجاءت مكررة بحذف الفعل لما يقتضيه الموقف من سرعة وحاجة ملحّة لطلب تحقق أمر النجاة، فالحذف هنا فيه إشارة بليغة لكون النجاة هي المطلب الأسمى، فلذلك جاءت مكررة لغرض تأكيد أهميتها.

٤ - حديث العلم والهدى

عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ، كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الْكَلَّاءَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ، أُمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قَيْعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلًّا، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقَهُ فِي دِينِ اللَّهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ"^(١).

استعمل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الشريف فن القصة التمثيلية في مقام بيان أهمية العلم وفضل العلماء، بإيراد تشبيهين بليغين في قوله: (مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم، كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً)، فالتشبيه الأول: تشبيه الهدى والعلم الذي بُعث به الرسول بالغيث، بجامع أن كلاً منهما تحصل به النفع والفائدة والإغاثة، فالعلم والهدى تحيا به القلوب والأرواح، والمطر تحيا به الأرض، أما التشبيه الثاني: تشبيه القلوب بالأراضي، بجامع أن كلاً منهما مكان لقبول الفائدة والنفع، فالهدى والعلم يقع في القلوب، والمطر يقع على الأرض، فكما أن الأرض تزهر وتحيا بالزرع؛ فالقلوب تحيا وتزكى بالعلم.

ثم قسم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الناس إلى ثلاثة أقسام بحسب قبولهم للعلم والهدى واستعدادهم

(١) رواه البخاري: (رقم الحديث: ٧٩).

لحفظه وفهم معانيه^(١)، القسم الأول في قوله: (فكان منها نقية قبلت الماء، فأثبتت الكلاً والعشب الكثير)، وهم من جمعوا بين فضيلتي الحفظ للشيعة الإسلامية، والفهم فيها، والقسم الثاني بقوله: (وكان منها أجادب، أمسكت الماء، فنفخ الله بها الناس، فشرّبوا وسقوا وزرعوا)، وهم الذين حصلوا على فضيلة الحفظ فقط، فحفظوا العلم من القرآن الكريم والحديث الشريف، ولكنهم لم يؤتوا فهماً لمعانيه واستنباطاً لأحكامه، ولم يتفقهوا في جمعه لكنهم أدّوه للغير، فهم بمنزلة الأرض الأجادب التي لا تشرب الماء لصلابتها ولا ينبت فيها شيئاً، فيستقر فيها الماء وينتفع الناس بها، أما القسم الثالث ففي قوله: (وأصابت منها طائفة أخرى، إنما هي قيعان لا تمسك ماء، ولا تنبت كلاً)، وهؤلاء هم الذين لم يعطوا الحفظ ولا الفهم أيضاً، فهم يسمعون العلم ولكن لا يحفظونه ولا يعملون به ولا ينقلونه لغيرهم، فهم بمنزلة الأرض القيعان السبخة أو الملساء التي لا تنبت ولا تمسك الماء.

وقد تضافرت الفنون البلاغية والجوانب الجمالية في سياق الحديث الشريف، ويحسن ذكر بعض منها فيما هو آت:

- بلاغة النظم في حُسن تعليم الرسول ﷺ لأمته في ضربه الأمثال المؤثرة، وإتيانه بالمعاني المعقولة بصورة أشياء محسوسة لأن إدراك المحسوس أقرب من إدراك المعقول، "فالوسيلة الجمالية التي اتكأ عليها النص في بيان الفكرة هي التجسيم، أي: نقل المعنى العقلي المجرد إلى عالم الحس، ولم يرق التجسيم في الحديث هنا على علم البيان فقط، بل إن الكلام الحرّبي صار مصوّراً في هذا السياق، فقد اعتمد التشبيه، وكانت البداية بعبارة: (مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم، كمثل الغيث)، وصيغة: (مثل... كمثل) بوابة رائعة ندخل منها إلى لوحة فنية حافلة بالألوان والحركات، تقدم لنا المشهد العام الذي يجسّم افتقار الإنسانية إلى الإسلام بافتقار الأرض القاحلة إلى الغيث، وقد جاء الغيث^(٢).

(١) ينظر: موسى لاشين، فتح المنعم: ٢٧٧/١.

(٢) نور الدين زعتر، في ظلال الحديث النبوي ومعالم البيان النبوي ص/٢٧.

-حسن التوظيف للعناصر البيئية حيث اشتمل التشبيه التمثيلي على ألفاظ مستمدة من البيئة المحيطة لتقريب المعنى للمخاطبين، كـ(الغيث، والماء، والكلاء، والعشب، والأجاذب، والقيعان)، فجاءت هذه الألفاظ قريبة من أذهان السامعين، متناسبة مع المعنى المراد.

-بلاغة التعبير النبوي في دقة انتقاء المفردات بإيثار لفضة (الغيث) على (المطر) المعبرة عن شدة الحاجة للعلم وأهميته؛ لأن الغيث إذا كان يحيي الأراضي ويغيثها من الموت، فإن العلم يحيي القلوب ويحييها من الجهل والضلال.

-ومن بلاغة التعبير ذكر الخاص بعد العام في إيراد كلمة (العشب) بعد (الكلاء) زيادة في الإيضاح والتأكيد، فالكلاء يشمل النبات الرطب واليابس، أما العشب فيطلق على الرطب فقط.

-بلاغة استعمال فن الإيضاح بعد الإبهام، والتفصيل بعد الإجمال حيث ذكرت كلمة (أرضاً) مبهمة مجملة، ثم جاء بعد ذلك تفصيل لها وإيضاح لنوعها فكانت هناك الأرض النقية، والأرض الأجاذب، وذات القيعان، وهذا سبيل من سبيل توضيح المعنى وترسيخه في الأفهام.

-بلاغة استعمال فن الجمع والتفريق حيث جمع في المثل بين الطائفتين الأوليين المحمودتين لاشتراكهما في الانتفاع بهما، فقال عنهما في حكمهما: (فذلك مثل من فقه في دين الله، ونفعه ما بعثني الله به، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ)، أي: علم في نفسه أولاً، ثم أبدى علمه إلى الناس فانتفعوا به في تبيين الحلال من الحرام، وأفرد الطائفة الثالثة المذمومة لعدم النفع بها في قوله: (ومثل من لم يرفع بذلك رأساً، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به).

-بلاغة استعمال فن الكناية في قوله: (قبلت الماء) كناية عن الحفظ، وفي قوله: (فأنبتت الكلاء والعشب) كناية عن الفهم والنفع فهو منتفع في نفسه نافع غيره، كما يتجلى فن الكناية أيضاً في قوله: (ومثل من لم يرفع بذلك رأساً، ولم يقبل هدى الله) كناية عن الإعراض أو عدم الانتفاع، حيث رسمت صورة المعرض الذي يخفض رأسه ولا يرفعه لشعوره بالذل والمهانة.

وإمعان النظر في بلاغة الأحاديث الشريفة -محل الدراسة- يظهر اتخاذ النبي

القصة التمثيلية كأداة مهمة لإيصال الرسالة المرادة، وتوضيح المعنى بأسلوب يستثير ذهن السامع، ويلفت انتباهه، ويجذب حواسه، ويؤثر في سلوكه ووجدانه، ويستدل من ذلك على جمال نظم البلاغة النبوية وقوة تأثيرها وجاذبيتها، فهي "تؤسس لمنظور جوهرى في النظر إليها، يتحدد في أنها بلاغة حقيقية تهدف إلى التمكين للحقائق، ومن ثم كان الإيضاح والبيان منهجاً ملازماً لهذه البلاغة تحقيقاً للغاية الإبلاغية التعليمية التربوية التي كلف بها صاحب هذه البلاغة الرسول ﷺ في أنماط أسلوبية لها خصوصيتها المتوائمة مع غايتها"^(١).

٥- حديث الصلوات الخمس

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسَلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسًا، مَا تَقُولُ ذَلِكَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ؟ قَالُوا: لَا يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ شَيْئًا، قَالَ: فَذَلِكَ مِثْلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، يَمْحُو اللَّهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا"^(٢).

ضرب النبي ﷺ المثل في هذا الحديث الشريف في مقام الحث على أداء الصلوات الخمس، والترغيب فيها، وقد بني التشبيه التمثيلي في قالب قصصي مشوق، احتوى على تشبيهين أحدهما: تشبيه للذنوب والمعصية بالدرن، والآخر تشبيه للصلوات الخمس بالنهر الجاري، حيث عرض في الحديث الشريف تجسيد حي وواقعي للذنوب باعتبارها درناً يلحق المذنب، لا يمحو أثره إلا الصلوات الخمس المفروضة والتي تشبه في إزالة الذنوب النهر الجاري الذي يغتسل فيه المسلم خمس مرات في اليوم والليلة، وأداة التشبيه (مثل)، ووجه الشبه متحقق وواقعي في كلا الطرفين وهو التطهر.

وهذا الحديث النبوي الشريف يزخم بالجماليات البلاغية، التي ينبغي الوقوف عندها، ومنها:

-البلاغة النبوية في تجسيد المعنى بتشبيه الدَّنَسِ المعنوي بالدنس الحسي، فكما

(١) عيد بلع، مقدمة في نظرية البلاغة النبوية السياق وتوجيه دلالة النص ص/٣٤.

(٢) رواه البخاري: (رقم الحديث: ٥٢٨).

أن الاغتسال كل يوم خمس مرات يذهب الدرن، فكذلك الصلوات الخمس تذهب الذنوب.

-براعة الاستهلال في البدء باستفهام تقرير في قوله: (أرأيتم لو) لغرض شد الانتباه وتقرير المقصود والكشف عن المعنى، وتجلي غرض التقرير في استعمال الحرف (لو) الذي يقتضي أن يدخل على الفعل وأن يجاب، لكنه وضع الاستفهام موضعه تأكيداً أو تقريراً، والتقدير: لو ثبت نحر صفته كذا لما بقي كذا^(١)، وقد كان لهذا التقرير. -بلاغة تقديم المشبه به لغرض التشويق وشد الانتباه، وقد اقترن هذا التقديم بالاستفهام التقريري تأكيداً لمعنى التشبيه التمثيلي في الحديث الشريف.

-دقة البلاغة النبوية في انتقاء الألفاظ، فمن المعلوم أن النبي ﷺ حين يضرب المثل غالباً ما يحرص على انتقاء المفردة المعلومة في ذهن المخاطب والمشاهدة أمام عينيه، ولكن يلحظ في اختيار لفظة (نهر) أن النهر ليس من معالم الطبيعة المشاهدة في البيئة الصحراوية؛ وهذا قد يكون رغبة في إثارة أذهان الصحابة ﷺ واستدعائها لأثمار الجنة الواردة في القرآن الكريم والحديث الشريف، لا سيما أن هذا الاستعمال مما يوسع المخيلة، ويوحي بمعاني الرقة والصفاء والعذوبة والعظمة، "وحسبك ما توحى به كلمة النهر النكرة من رقة وصفاء وعذوبة وعظمة، وما توحى من تحتها الأنهار، وما يخيل لنا الفعل (يغتسل) من استحضار الصورة مع التجدد والحدوث طرقي النهار وزلفاً من الليل يدل عليها العدد المحصور في اليوم، ثم يطرد هذا مع العدد صعوداً^(٢).

-إيراد صفة من صفات الله ﷻ الفعلية وهي (المحو) فالله يحمو ما يشاء ويثبت، وقد وردت هذه الصفة بصيغة الإخبار وجاء ذكرها متناسباً مع سياق الحديث الشريف وأسلوب ضرب المثل، فالغسل يحمو الأدران وكذلك الصلوات الخمس تمحو الخطايا. -بلاغة استعمال صيغة الفعل المضارع (يحمو) للدلالة على المحو الدائم المستمر، ومما يؤيد ذلك المعنى قوله: (كل يوم) فالصلوات الخمس تؤدي كل يوم، ومحو الله ﷻ

(١) الكاشف عن حقائق السنن: ١٠١/٤.

(٢) الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية ص/١٠٥.

للذنوب دائم ومستمر للعبد المصلي، وهذا فيه بيان لسعة رحمة الله تبارك وتعالى لعباده ومغفرته لهم، وحث على المحافظة على الصلوات الخمس.

-مجيء لفظة (الخطايا) بصيغة الجمع فيه ترغيب وحث للمحافظة على أداء الصلاة، لأن فيه "إشارة إلى كثرة هذه الخطايا وتعددتها، فليست هي خطيئة أو خطيئتين، وإنما هي خطايا، ومع ذلك فإن هذه الخطايا على كثرتها تُمحي وتغفر؛ بسبب المحافظة على الصلوات الخمس في وقتها، وأدائها على أكمل وجه"^(١).

-بلاغة اختيار الصورة التمثيلية في ذكر (الماء)، حيث يستشف أن الرسول ﷺ استعمل جنس (الماء) في التشبيه للتأكيد والتقرير على أهمية الصلاة في حياة الفرد المسلم؛ إذ هي في أهميتها توازي أهمية الماء، فكل منهما يعد حاجة يومية وحياتية لا يمكن الاستغناء عنها.

-بلاغة التمثيل بالقصة في البدء بالاستفهام التقريري المشوق، ثم عرض الحدث بصورة التشبيه التمثيلي، وجاءت الخاتمة ببيان الغرض المنشود من ضرب المثل وهو محو الخطايا، ومن ذلك النسيج القصصي التمثيلي يتضح أهمية الحرص على الوضوء وتأدية الصلوات المفروضة، والتطهر من الذنوب والآثام.

٦- حديث البخيل والمتصدق

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "مَثَلُ الْبَخِيلِ وَالْمُنْفِقِ؛ كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُبَّتَانِ مِنْ حَدِيدٍ مِنْ تُدْيِهِمَا إِلَى تَرَاقِيهِمَا، فَأَمَّا الْمُنْفِقُ فَلَا يُنْفِقُ إِلَّا سَبَعَتْ أَوْ وَفَرَتْ عَلَى جِلْدِهِ حَتَّى تُخْفِيَ بَنَانَهُ وَتَعْفُوَ أَثَرَهُ، وَأَمَّا الْبَخِيلُ فَلَا يُرِيدُ أَنْ يُنْفِقَ شَيْئًا إِلَّا لَزِقَتْ كُلُّ حَلَقَةٍ مَكَانَهَا، فَهُوَ يُوسِعُهَا وَلَا تَتَّسِعُ"^(٢).

يصور النبي ﷺ في هذا الحديث الشريف صورتين متناقضتين للمنفق والبخيل، حيث شبههما برجلين يلبس كل منهما درعًا من حديد يقع على موضع الصدر

(١) عبد العزيز العمار، من جماليات الاستفهام في البيان النبوي ص/٣٤.

(٢) رواه البخاري: (رقم الحديث: ١٤٤٣).

والثديين، يدخل المرء يديه في كمّيهما ويرسل بقيتها إلى أسفل بدنه، مما يدل على إسباغ نعمة الله ﷺ على كليهما، فصورة المنفق مثل من لبس درعًا سابغة فاسترسلت عليه حتى سترت جميع بدنه كما في قوله: (حتى تخفي بنانه، وتعفو أثره)، أما صورة البخيل مثل رجل غلت يده إلى عنقه، فإذا أراد لبس الدرع حالت يدها بينها وبين أن تمر إلى الأسفل على البدن، واجتمعت في عنقه كما في وصفه: (إلا لزقت كل حلقة مكانها، فهو يوسعها ولا تتسع).

إن قيام الحديث الشريف على صورتين متباعدتين صورة المنفق وصورة البخيل، يدل على تعدد صور التمثيل، فالصورة الأولى للبخيل جاء فيها المشبه العقلي: حال البخيل الممسك القابض على المال، وحال نفسه الممنوعة عن البر والخير التي أورثت قلبه الضيق وحرمت صدره من الانشراح، فأصبح كثير الهم والحزن والغم، وجاء المشبه به الحسي: رجل عليه جبة من حديد قد غلت يدها إلى عنقه، فأعجزته عن الحركة، فلم يستطع توسيع تلك الجبة التي التصقت حلقاتها بصدرة، ووجه الشبه: الهيئة المكونة من ضيق الصدر وعدم الانشراح وصعوبة الحركة وعدم الحماية.

أما الصورة الأخرى للمنفق: ورد المشبه فيها بصورة عقلية وهو: حال المنفق المتصدق وحال نفسه حين التصدق وبعده وما يعترها من انشراح الصدر وسعادة القلب، وما يناله من المغفرة والستر، وجاء المشبه به بصورة حسية تمثلت في: رجل اعتلت صدره جبة من حديد، واتسعت عليه حتى تمكن من لبسها بكل سهولة ويسر فغطت بدنه وأخفت أثره، ووجه الشبه: الهيئة المكونة من الاتساع وسهولة الحركة والحماية، والتغطية والستر.

ويستدل من الحديث الشريف أن المنفق إذا همَّ بالنفقة، انشراح صدره واتسع، وطاوعته يدها، فامتدتها بالعطاء؛ لذا فإن صدقته ونفقته تكفر ذنوبه وتمحوها، وبناء عليه فإن المنفق يستره الله ﷺ بنفقته، ويستر عوراته في الدنيا والآخرة، أما البخيل فإن صدره يضيق وتنقبض يده عن الإنفاق، كمن لبس جبة من حديد إلى ثديه، فيبقى مكشوفًا ظاهر العورة مفتضحًا في الدنيا والآخرة، كما يستدل من الحديث حرص البخيل على المال وعدم الرغبة في إنفاقه، وهذا أحد عوامل محقه وهلاكه؛ إذ يزداد حرص البخيل على

المال، حتى يصل إلى درجة الشح المهلك بينما نجد الصدقة والإنفاق تزيد المال وتباركه.

ومن جوانب القصة التمثيلية الجمالية التي صورها الحديث الشريف:

- براعة الاستهلال في بدء الحديث الشريف بضرب المثل في قوله: (مثل البخيل والمنفق)، لغرض التشويق وإثارة نفوس المتلقين، وهيئتها لتلقي المعنى، لا سيما وأن المقام في التربية والتوجيه مما يستحسن فيه ضرب الأمثال.

- اعتمد النبي ﷺ الأسلوب الخبري في الحديث الشريف، لترغيب الناس في التصدق بالمال والإنفاق، وتبغيضهم في البخل والشح بصورة تمثيلية في إطار النص القصصي الباعث على التشويق والمتعة، الذي جعل من تلك الصورة المتخيلة ماثلة أمام أعين المتلقين.

- استعمال فن المقابلة بين صورة كل من البخيل والمنفق، في تمثيل بلاغي له وقع في النفس بتفاصيله المتغلغلة في دقائق التصرف الإنساني المتناقض، حيث كشف عن الشعور النفسي الخفي لأثر الإنفاق والإمساك على النفس البشرية، فهذا التقابل والتباين يؤكد المعنى المراد ويقرره بصورة مشوقة تدعو للتفكير والتدبر.

- تجلي بلاغة الإطناب، باستعمال فن الإجمال ثم التفصيل، وفن الإيضاح بعد الإبهام، حيث أجمل الكلام في الحديث الشريف عن البخيل والمنفق بذكر صفة كل منهما بدون تفصيل، وجاء الإبهام بعد ذلك في قوله: (كمثل رجلين) بذكر أداتي التشبيه (الكاف، مثل) ثم بالتنكير في (رجلين)، إمعاناً في الإبهام لغرض التشويق ولفت الانتباه، ثم شرع بعد ذلك في التوضيح نوعاً ما بقوله: (عليهما جبتان)، وجاء بعد ذلك التفصيل بذكر حال كل فريق، حرصاً على تمكين المعنى في النفوس.

- بلاغة إيراد التشبيه التمثيلي بطريق اللف والنشر غير المرتب، ويعد من التشبيه المتعدد الملفوف، لغرض إثارة الذهن وجذب الانتباه، حيث استهل الحديث بطريق اللف بذكر البخيل ثم المنفق، وجاء التفصيل والنشر على غير ترتيب اللف بذكر المنفق أولاً ثم البخيل.

- الدقة في اصطفاء المفردات الدالة على المعنى المراد المناسب للسياق، ففي قوله: (جبتان من حديد) الجبة كناية عما أنعم الله ﷻ به على البخيل والمنفق، وفي ذكر

الحديد تقييد دل على أن الإنسان مجبول على الشدة، وعلى حب المال بفطرته.
- بلاغة التعبير بأسلوب القصر بطريق الاستثناء في قوله: (فلا ينفق إلا سبغت)
بقصر الإنفاق على صفة الاسباغ قصرًا إدعائيًا لغرض التأكيد على الصلة الوثيقة بين
إنفاق المنفق وإسباغ الدرع على جسده، فبمجرد حصول الإنفاق وإن كان يسيرًا فإن
الدرع يتمدد ويسبغ ستره على جسد المنفق.
وكذلك في قوله: (فلا يريد أن ينفق شيئًا إلا لزقت) بقصر الإنفاق على صفة
الإلحاق، لغرض تأكيد ذم البخيل وبيان حاله وهو ينازع نفسه الشحيحة التي تورث
صدره الضيق، وتقبض يده عن الإنفاق.
- بلاغة التعبير بالفعل المضارع (ينفق) الذي فيه تصوير لحال المنفق في استمرار
تجدد حدوث الإنفاق منه، مما ينبئ عن حرصه على معاودة الإنفاق وتعلقه به، ويؤكد
حصول الأثر على المنفق من انشراح الصدر والسعة.
كما جاء الفعل المضارع (يوسعها) معبرًا عن محاولات البخيل المستمرة في اتساع
الجبة عليه، ولكنها باءت بالفشل فهي تزداد إحكامًا عليه بالضيق والثقل، وجاءت
خاتمة الحديث بإصدار الحكم القاطع في عدم الاتساع بقوله: (ولا تتسع) ببيان حال
عدم الاتساع أبدًا.
- بلاغة نظم القصة التمثيلية في الحديث النبوي بذكر عناصر القصة من مقدمة
اشتملت على عنصر التشويق بضرب المثل (مثل البخيل والمنفق)، ثم جاءت الأحداث
متتالية بأساليب بلاغية متنوعة، وختمت بنهاية مغلقة تناسب صياغة ونوعًا مع سياق
الحديث الشريف.

الخاتمة:

كشفت دراسة بلاغة القصة التمثيلية في الحديث النبوي الشريف عن دور القصة في الخطاب الدعوي والتأثير في النفوس والعقول، واعتبارها وسيلة من الوسائل المعتمدة في الدعوة إلى الإيمان بالله واتباع الرسالة المحمدية، كما بينت أهمية التمثيل القصصي كونه أبلغ الفنون الأدبية في الأثر والتأثير الذي استخدمه النبي ﷺ لنشر الدعوة الإسلامية إلى جانب تنمية الجانب الروحي والنفسي والتربوي والأخلاقي والديني لدى الفرد المسلم، مع الوقوف على ما تنطوي عليه الأحاديث النبوية من بلاغة وفصاحة وبيان.

وقد خلص البحث إلى جملة من النتائج، وهي:

- ١- يبرز أثر القصة التمثيلية في توضيح الكلام وإبراز خبايا المعاني الكامنة وراءه؛ وتصوير المعقول في صورة المحسوس فضلاً عن إيجازه في الكلام، وقدرته الكبيرة على تخفيف الأذهان، وحثها على التفكير، ولهذا يكثر استعماله في الحديث النبوي وفي فصيح الكلام منظومه ومنثوره.
- ٢- يكثر فن التمثيل القصصي في مقامات النصح والإرشاد والتعليم، والتحذير من عواقب الأمور والترغيب والترهيب؛ لأنه يقوم بعقد مقارنة بين صورتين تعتمد على إثارة الذهن وتخفيف الفكر، فتقبل النفس طواعية دون تردد على اختيار أحد الطرفين.
- ٣- يظهر بوضوح وجلاء أن التشبيه التمثيلي الذي ورد ذكره في أحاديث القصة النبوية محل الدراسة قد جاء مطابقاً لمقتضى الحال، فضلاً عن الترابط والتناسق والتلاؤم الحاصل بين طرفي الصورة التمثيلية، فجاءت الصورة في أعلى درجات البلاغة، تطابق فيها المبنى مع المعنى في صورة أخاذاة تثير الوجدان والفكر، وتحرك الشعور.
- ٤- تبين من خلال دراسة القصة التمثيلية في الأحاديث الشريفة حرص النبي ﷺ على إقناع المخاطبين من صحابته وأمته، بإيثاره استعمال أسلوب التمثيل في مخاطبتهم؛ لعلمه بأهمية هذا اللون البلاغي في إثارة الوجدان، ومخاطبة العقول، وتأثيره في النفوس، وذلك من خلال نقله الأمور العقلية وتصويرها في صور

حسية ماثلة أمام الأعين، وهذا مما يعطي مساحة للعقول في إثارة الفكر والتأمل، من أجل أن تختار ما فيه صالحها وأن تجتنب ما فيه ضررها، ولا تجد العقول المفكرة والقلوب الواعية أمامها إلا أن تسلم بما طلب منها.

٥- تجلى إيثار استعمال النبي ﷺ لفن التمثيل القصصي في الأحاديث النبوية الشريفة، باعتباره وسيلة من وسائل التعليم والتعلم لأصحابه ولأمته جميعاً؛ وهو أسلوب يستعمله المرابي لتجسيد الفكرة ولتوضيح الأمر الذي يريد أن يعلمه للمتلقي.

٦- تبين أن التشبيه التمثيلي في أحاديث النبي ﷺ تشبيهات صالحة لكل زمان ومكان؛ إذ لم يقصرها على مكان دون مكان أو زمان دون زمان، ومن ثم كان لها تأثيرها في نفوس المتلقين، وذلك يظهر في حرصه ﷺ على تجسيد المعاني في صور محسوسة ومادية، مما جعل جميع الصور والتشبيهات التمثيلية مملوءة بالحركة والحياة.

وخرجت الدراسة بعدد من التوصيات، من أهمها:

- ١- التأكيد على أهمية البحث في بلاغة الفنون البيانية في الحديث النبوي الشريف.
- ٢- التركيز على دراسة القيمة الجمالية في النصوص النبوية الشريفة.
- ٣- العناية بالبحث البلاغي في الحديث النبوي؛ للكشف عن دوره في تأدية المعنى وتأثيره البليغ في نفس المتلقي.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- إسماعيل، محمد بكر، (١٩٩٧م)، قصص القرآن من آدم عليه السلام إلى أصحاب الفيل، (ط: ٢)، القاهرة: دار المنار.
- الأشقر، عمر، (١٤٢٨هـ)، صحيح القصص النبوي، (ط: ٧)، عمان: دار النفائس.
- ابن حجر، أحمد العسقلاني، (١٣٧٩هـ)، فتح الباري، (ت: محمد عبد الباقي)، (ط: ١)، بيروت: دار المعرفة.
- ابن حنبل، أحمد، (١٤٢١هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، (ت: شعيب الأرنؤوط)، (ط: ١)، بيروت: مؤسسة الرسالة.
- ابن سلام، أبو عبيد القاسم، (١٩٨٠م)، الأمثال، (ت: عبد المجيد قطامش)، (ط: ١)، دمشق: دار المأمون للتراث.
- ابن القيم، محمد الجوزية، (١٤١١هـ)، إعلام الموقعين عن رب العالمين، (ط: ١)، بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابن منظور، جمال الدين، (١٤١٤هـ)، لسان العرب، (ط: ٣)، بيروت: دار صادر.
- أبو العباس، محمد بن يزيد المبرد، (١٤٠٦هـ)، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق: محمد الدالي، (ط: ١)، بيروت: مؤسسة الرسالة.
- أبو هلال، الحسن العسكري، (١٤٠٤هـ)، الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق: مفيد قميحة، (ط: ٢)، بيروت: دار الكتب العلمية.
- البخاري، محمد بن إسماعيل، (١٤٠٠هـ)، صحيح البخاري، (ت: محمد فؤاد)، (ط: ١)، القاهرة: المطبعة السلفية.
- بليغ، عيد، (١٤٢٩هـ)، مقدمة في نظرية البلاغة النبوية السياق وتوجيه دلالة النص، (ط: ١)، الرياض: دار بلنسية.
- بو منجل، عبد الملك، (١٤٣٧هـ)، تأصيل البلاغة بحوث نظرية تطبيقية في أصول البلاغة العربية، (د: ط)، الجزائر: مخبر الثقافة العربية في الأدب ونقده.
- جرار، مأمون، (١٩٨٨م)، خصائص القصة الإسلامية، (ط: ١)، جدة: دار المنارة.
- الجرجاني، عبد القاهر، (١٤٠٢هـ)، أسرار البلاغة، (ت: محمود شاكر)، (ط: ١)، جدة: دار المدني.

بلاغة التمثيل في القصص النبوي، د. نورة بنت عبد الرحمن الحربي

- الجرجاني، عبدالقاهر، (١٤١٣هـ)، دلائل الإعجاز، (ت: محمود شاكر)، (ط: ٣)، جدة: دار المدني.
- الحازمي، خالد، (١٤٢٠هـ)، أصول التربية الإسلامية وأساليبها، (ط: ١)، الرياض: دار عالم الكتب.
- الخطاب، أسماء، ويونس، علي، (٢٠١٣م)، القصة التمثيلية في نماذج من الحديث النبوي الشريف، (د.ط)، العراق: جامعة الموصل-مجلة جامعة النجاح للأبحاث.
- الدالي، محمد، (١٩٩٣م)، الوحدة الفنية في القصة القرآنية، (ط: ١)، القاهرة: عالم الكتب.
- الدكان، محمد، (١٤٣٠هـ)، القصة النبوية في الصحيحين، الرياض: رسالة دكتوراه، كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود.
- الدليمي، محمد نايف، (١٩٩١م)، جمهرة وصايا العرب، (ط: ٢)، بيروت: دار النضال.
- دوادي، زينب، (١٤٣١هـ)، التشبيه التمثيلي في الحديث النبوي الشريف: دراسة بلاغية في البيان النبوي، الجزائر: كلية الآداب واللغات-جامعة الحاج لخضر باتنة.
- رمضان، أوزمن، (٢٠١٨م)، من بلاغة التشبيه التمثيلي في الحديث النبوي، مجلة البحوث العلمية الشرقية.
- زعتري، نور الدين، (٢٠١٣م)، في ظلال الحديث النبوي ومعالم البيان النبوي، (ط: ١)، مصر: دار السلام.
- الزنجشيري، جار الله أبو القاسم، (١٩٨٧م)، المستقصى في أمثال العرب، (ط: ٢)، بيروت: دار الكتب العلمية.
- الزير، محمد، (١٤٠٥هـ)، القصص في الحديث النبوي دراسة فنية وموضوعية، الرياض: رسالة دكتوراه، كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود.
- السكاكي، يوسف، (١٤٠٣هـ)، مفتاح العلوم، (ت: عبد الحميد هندراوي)، (ط: ١)، بيروت: دار الكتب العلمية.
- السيد عبدالرزاق، محمد، (د.ت)، التشبيه التمثيلي في الحديث النبوي: من خلال صحيح البخاري، (د.ط)، مصر: كلية التربية-جامعة المنصورة.
- الصباغ، محمد لطفي، (١٤٠٣هـ)، التصوير الفني في الحديث النبوي، (ط: ١)، بيروت: المكتب الإسلامي.
- صحراوي، إبراهيم، (١٤٢٩هـ)، السرد العربي القديم، (ط: ١)، بيروت: الدار العربية للعلوم.

- الطبي، شرف الدين، (١٤١٧هـ)، شرح الطبي على مشكاة المصابيح المسمى (الكاشف عن حقائق السنن)، (ت: عبد الحميد هنداوي)، (ط: ١)، الرياض: مكتبة الباز.
- عبد الدايم، صابر، (٢٠٠١م)، الحديث النبوي رؤية فنية جمالية، (ط: ١)، الإسكندرية: دار الوفاء.
- عز الدين، إسماعيل، (١٤٣٤هـ)، الأدب وفنونه، (ط: ٩)، القاهرة: دار الفكر العربي.
- عز الدين، كمال، (١٤٠٤هـ)، الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية، (ط: ١)، بيروت: دار اقرأ.
- العلواني، محمد، (١٤١٤هـ)، الأمثال في الحديث النبوي الشريف، (ط: ١)، الرياض: دار المؤيد.
- العمار، عبد العزيز، (١٤٣١هـ)، من جماليات الاستفهام في البيان النبوي، (ط: ١)، الرياض: دار كنوز إشبيلية.
- الغزالي، شعيب، (٢٠٠٥م)، مباحث التشبيه والتمثيل في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، مكة المكرمة: أطروحة دكتوراه، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى.
- الغنيمي، عبد الآخر، (١٤١٩هـ)، الفوائد المنتقاة من حديث القائم على حدود الله، (ط: ١)، الأردن: دار البيارق.
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد، (٢٠٠٣م)، كتاب العين، (ت: عبد الحميد هنداوي)، (ط: ١)، بيروت: دار الكتب العلمية.
- لاشين، موسى، (١٤٢٣هـ)، فتح المنعم شرح صحيح مسلم، (ط: ١)، القاهرة: دار الشروق.
- مسلم، ابن الحجاج النيسابوري، (١٤١٢هـ)، صحيح مسلم، (ت: محمد فؤاد)، (ط: ١)، بيروت: دار إحياء الكتب العربية.
- المشهداني، محمود، (١٤٢٣هـ)، التوكيد اللفظي أسلوبًا بلاغيًا دراسة في متن صحيح البخاري، (ط: ١)، الموصل: جامع الكتب الإسلامية.
- مصطفى، إبراهيم، والزيات، أحمد، وعبد القادر، حامد، والنجار، محمد، (٢٠١١م)، المعجم الوسيط، (ط: ٥)، القاهرة: مجمع اللغة العربية.
- نجم، محمد يوسف، (١٩٥٥م)، فن القصة، (ط: ١)، بيروت: دار الثقافة.

Bibliography

- The Noble Quran
Ismail, Izz al-Din, (1434), Literature and Arts, (9th edition), Cairo: Dār al-Fikr al-Arabi.
Ismail, Muhammad Bakr, (1997), Stories of the Qur'an from Adam, to the Companions of the Elephant (in Arabic), (2th edition), Cairo: Dār Al-Manar.
Al-Ashqar, Omar, (1428), Sahih Al-Qasas Al-Nabawi, (1th edition), Amman: Dār Al-Nafais.
Ibn Hajar, Ahmad Al-Asqalani, (1379), Fath Al-Bārī, (Investigated by: Muhammad Abd al-Bāqī), (1th edition), Beirut: Dār Al-Ma'rifa.
Ibn Hanbal, Ahmad, (1421), Musnad Imam Ahmad Bin Hanbal, (Investigated by: Shu'aib Al-Arnaout), (1th edition), Beirut: Al-Resala Foundation.
Ibn Salam, Abu 'Ubaid Al-Qasim, (1980), al-Amthāl, (Investigated by: Abd al-Majeed Qatamish), (1th edition), Damascus: Dār Al-Mamoun.
Ibn al-Qayyim, Muhammad al-Jawziyyah, (1411), I'lām al-Muwaqī'in 'an Rabb al-'Ālamīn, (1th edition), Beirut: Dār al-Kutub.
Ibn Manzūr, Jamal al-Din, (1414), Lisān al-'Arab, (3th edition), Beirut: Dār Sadir.
Al-Bukhari, Muhammad bin Ismail, (1400), Sahih Al-Bukhari, (T.Muhammad Fouad), (1th edition), Cairo: The Salafi Press.
Abu Al-'Abbas, Muhammad bin Yazid Al-Mubarrid, (1406), Al-Kamil fī al-Lugha wa al-Adab, (Investigated by: Muhammad Al-Dāli), (1st edition), Beirut: Al-Risala Foundation.
Abu Hilal, Al-Hasan Al-'Askari, (1404), al-Ṣanā'at al-Kitābah wa al-She'r, (Investigated by: Mufeed Qamiha), Beirut: Dār Al-Kutub Al-'Ilmiyyah.
Balba', 'Eid, (1429), Muqaddimatun fī Nazariyat al-Balāgha al-Nabawiyyah al-Siyāq wa Tawjīh Dilālat al-Nas, (1th edition), Riyadh: Dār Balansiyyah.
Bou Manjil, 'Abd al-Malik, (1437), Ta'sil al-Balāgha Buḥūthu Nazariyatun fī Taṭbiqiyyah fī Uṣūl al-Balāghat al-'Arabiyyah, (1st edition), Algeria: The Informer of Arabic Culture.
Jarrar, Ma'moon, (1988), Characteristics of the Islamic Story (in Arabic), (1th edition), Jeddah: Dār Al-Manara.
Al-Jurjāni, 'Abd al-Qahir, (1402), Asrār al-Balāgha, (Investigated by: Mahmoud Shakir), (1th edition), Jeddah: Dār Al-Madani.
Al-Jurjāni, 'Abd al-Qahir, (1413), Dalā'il al-I'jāz, (Investigated by: Mahmoud Shakir), (3th edition), Jeddah: Dār Al-Madani.
Al-Hāzimi, Khalid, (1420), The Principles and Methods of Islamic Education (in Arabic), (1th edition), Riyadh: Dār 'Ālam Al-Kutub.

- Al-Khattab, Asmā, and Yunus, 'Ali, (2013), The representative story in models of the Noble Prophet's Hadith (in Arabic), (1thedition), Iraq: University of Mosul - An-Najah University Journal for Research.
- Al-Dāli, Muhammad, (1993), The Technical Unit in the Qur'anic Story, (1thedition), Cairo: The World of Books.
- al-Dukan, Muhammad, (1430), The Prophet's Story in the Two Sahihs (in Arabic), Riyadh: Ph.D.Thesis, College of Arabic Language, Imam University.
- Al-Dulaimi, Muhammad, (1991), Jamharat Waṣāyā al-'Arab, (2thedition), Beirut: Dār Al-Niḍāl.
- Dawoudi, Zainab, (1431), Simile Representation in the Noble Prophet's Hadith: A Rhetorical Study in the Prophet's Statement (in Arabic), Algeria: Faculty of Arts and Languages - Haj Lakhdar University, Batina.
- Ramadan, Ozman, (2018), From the eloquence of representational Simile in the Prophet's hadith (in Arabic), Eastern Scientific Research Journal.
- Za'tar, Nour al-Din, (2013), In the Shadows of the Prophet's Hadith (in Arabic), (1thedition), Egypt: Dār al-Salām.
- Al-Zamakhshari, Jarallah, (1987), al-Mustaḥṣi fī Amthāl al-'Arab, (2thedition), Beirut: Dār Al-Kutub.
- Al-Zeer, Muhammad, (1405), Stories in the Prophet's Hadith (in Arabic), Riyadh: Ph.D.thesis, Imam University.
- Al-Sakkaki, Yousuf, (1403), Miftah Al-'Uloum, (Investigated by: Hindawi), (1thedition), Beirut: Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah.
- al-Sayyid 'Abd al-Razzaq, Muhammad, Simile representation in the Prophet's hadith: through Sahih Al-Bukhari (in Arabic), Egypt: Faculty of Education - Mansoura University.
- Al-Sabbagh, Muhammad, (1403), al-Taṣwir al-Fannī fī al-Hadith al-Nabawī, (1thedition), Beirut: al-Maktab al-Islāmī.
- Sahrāwi, Ibrahim, (1429), The ancient Arabic narration (in Arabic), (1thedition), Beirut: al-Dār al-'Arabiyyah li al-'Uloum.
- Al-Tibi, Sharaf Al-Din, (1417), Al-Kashif 'an Ḥaḳā'iq al-Sunan), (Investigated by: Hindawi), (1thedition), Riyadh: Maktabat Al-Bāz.
- 'Abd al-Da'im, Sabir, (2001), The Prophet's hadith, an aesthetic vision (in Arabic), (1thedition), Alexandria: Dār Al-Wafa.
- 'Izz al-Din, Ismail, (1434), al-Adab wa Funounih, (9thedition), Cairo: Dār al-Fikr al-'Arabi.
- 'Izz al-Din, Kamāl, (1404), The noble hadith from the rhetorical point of view (in Arabic), (1thedition), Beirut: Dār Iqra.
- Al-'Alwāni, Muhammad, (1414), Proverbs in the Noble Prophetic

- Hadith (in Arabic), (1thedition), Riyadh: Dār Al-Mu'yyid.
- Al-'Ammar, 'Abd al-'Aziz, (1431), From the Aesthetics of Interrogation in the Prophet's Statement (in Arabic), (1thedition), Riyadh: Dār Kunouz Isbīliyyah.
- Al-Ghazālī, Shu'aib, (2005), Mabāḥith al-Tashbīh wa al-Tamthīl fī Tafsīr al-Taḥrīr wa al-Tanwīr li Ibn 'Āshūr, Makkah: Ph.D.Thesis, Umm Al-Qura University.
- Al-Ghunaimi, 'Abd al-Akhir, (1419), al-Fawā'id al-Muntaqāt min Ḥadīth al-Qā'im 'alā Ḥudūd Allah, (1thedition), Jordan: Dār Al-Bayariq.
- Al-Farahidi, Al-Khalil, (2003), Kitāb Al-'Ain, (Investigated by: Hindawi), (1thedition), Beirut: Dār Al-Kutub.
- Lashin, Musa, (1423), Fath Al-Mun'im, (1thedition), Cairo: Dār Al-Shorouq.
- Muslim, Ibn Al-Hajjaj, (1412), Sahih Muslim, (Investigated by: Muhammad Fuad), (1thedition), Beirut: Dār Ihyā al-Kutub al-'Arabi.
- Al-Mashhadani, Mahmoud, (1423), Verbal Emphasis as a Rhetoric Approach a Study in the Book of Ṣahih al-Bukhāri (in Arabic), (1thedition), Mosul: The Collector of Islamic Books.
- Mustafa, Ibrahim, and Al-Zayyat, Ahmed, and 'Abd al-Qadir, Hamid, and Al-Najjar, Muhammad, (2011), Al-Mu'jam Al-Wasīt, (5thedition), Cairo: The Arabic Language Academy.
- Najm, Muhammad Yousuf, (1955), The Art of a Story (in Arabic), (1thedition), Beirut: Dār al-Thaqāfa.

**السِّياقاتُ المجتمعية ودورها في استلاب الذات في القصة القصيرة
"قراءة نقدية تحليلية في حواف الأعمال الكاملة للأديب إبراهيم شُحبي"**

Societal Contexts and their Role in Captivating the
Mind in the Short Story
"Analytical critical reading of the book Hawāf (edges) /the
Full Collection By Novelist Ibrahim Shuhbi"

د. ابتسام علي رويج الصُّبْحِي

الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية بكلية اللغات والترجمة بجامعة جدة.

البريد الإلكتروني: iaalsubhi@uj.edu.sa

المستخلص:

تتناول هذه الدراسة محاولة استجلاء دور السياقات المجتمعية بمختلف تأثيراتها في تعرية الذات الفردية أو الجمعية المستلبة من خلال تمظهر مستويات السرد القصصي [الشخصية - الحدث - المكان - الحوار]، وتماهيا مع مكونات التجربة السردية [الإنسان - الواقع - السرد] من خلال التجارب الإنسانية (الفردية والجماعية) المؤطرة للسياق المجتمعي في إطار خاص وإطار عام؛ فالإطار العام هو مجتمع الريف وعاداته، ومجتمع الحضر أو المدينة، والإطار الخاص يتمظهر في مجتمعات محصورة مثل مجتمع الأصدقاء، العائلة، العمل.

وجاءت هذه الدراسة المعنونة بـ "السياقات المجتمعية ودورها في استلاب الذات مقارنة في القصة القصيرة للأديب السعودي إبراهيم شحجي" من خلال البحث في مجموعته (خواف) التي تتضمن أعماله القصصية الكاملة؛ للكشف عن تمثلات واقع هذه السياقات على اختلاف توجهاتها وفروقاتها، وخضوعها للتأثير والتأثير في فكر شخصيات المجموعة وأحداثها، وإسقاطاتها المجتمعية. وتتناول الدراسة نماذج من قصص المجموعة المعبرة عن السياقات المجتمعية للكشف عن دورها في استلاب الذات من حيث الانعكاسات التي تقع على ذوات الشخصيات القصصية في إطارها الخاص، وتجليات تأثيراتها على المجتمع والحياة في الإطار العام. وفق مقارنة منهجية اجتماعية ونفسية وتأويلية منطلقها الأساسي بيان أثر الاستلابات الذاتية والجمعية وتأثيرها النفسي والاجتماعي من خلال إجراءات تعتمد المنهج التحليلي.

وتستمد الدراسة أهميتها من عدة نواح تتمثل في دراسة الفن القصصي وسياقاته من خلال تبيان قيمة النصوص الأدبية، ورصد تطورها عبر نتاج الأديب، ومن ناحية أخرى تسهم في التعريف بأدبائنا السعوديين وأعمالهم الإبداعية السردية، وثالثا إلقاء الضوء على الأنماط المجتمعية وتأثيرها وتأثر الذات بها.

الكلمات المفتاحية: إبراهيم شحجي - استلاب الذات - السياقات الاجتماعية -

السرد القصصي - القصة القصيرة.

Abstract

This study attempts to clarify the role of societal contexts with their various influences in exposing the individual or collective mind captivating, through the appearance of the levels of storytelling [character - event - place - dialogue] and their compatibility with the components of the narrative experience [human - reality - narration] through individual and collective human experiences framing the societal context in a private and public framework. The general framework is the rural society and its customs and the urban or city society. Hence, the private framework appears in confined societies, such as friends, family, and work.

This study, entitled "Societal Contexts and Their Role in Captivating the Mind" came as an approach to the short story of the Saudi writer *Ibrahim Shuhbi*, through researching in his collection *Hawāf* (Edges), which includes his complete stories works, to reveal the representations of the reality of these contexts with their various orientations and differences, and their subjection to being affected and influenced by the thought of the group's personalities, events, and societal projections. The research tackles samples of the group's stories, expressing societal contexts to reveal their role in captivating the mind in terms of the reflections that fall on the minds of the narrative characters in their own framework, as well as the manifestations of their impact on society and life in the public framework, according to a societal, psychological, and interpretive methodological approach, whose main premise is to show the impact of individual and collective mind captivating and its psychological and societal impact through procedures that adopt the analytical approach.

The research derives its importance from several aspects, represented in studying the narrative art and its contexts by showing the value of literary texts and monitoring their development through the production of the writer. On the other hand, it contributes to introducing our Saudi writers and their creative narrative works, and thirdly, shedding light on societal patterns and their impact and those affected by them.

Keywords: *Ibrahim Shuhbi* – captivating the mind - societal contexts - storytelling - the short story.

المقدمة

السياقات المجتمعية بين التآثر والتأثير:

تتناول الدراسة قصص مجموعة (خواف) للأديب السعودي إبراهيم شحجي التي نرصد فيها السياقات المجتمعية ودورها في استلاب الذات والمتمثلة في الانعكاسات السلبية التي تقع على ذوات الشخصيات القصصية في إطارها الخاص، وتحليلات تأثيراتها على المجتمع والحياة في الإطار العام.

ويتشكل في السرد القصصي مرآيا عاكسة للذات بنمطها (الفردية والجمعي) تعكس ملامحها وصورها، حقيقتها وواقعها، تهميماتها وآمالها وأحلامها؛ بل حتى أدائها وتصرفاتها، وراهنها واستشراف مستقبلها.

ومرآيا الذات في القصة القصيرة ترصد الانتكاسات الفردية والاجتماعية من خلال الأحداث التي تحيط بها، والتحويلات التي تعترى الذوات الإنسانية والمجتمع في قوالب قصصية تراوحت في السرد بين القصة القصيرة والقصة القصيرة جدا.

والقصة القصيرة عند الأديب إبراهيم شحجي من منظور هذه الدراسة هي نوع أدبي نشأ في جدلية مع المجتمع؛ وتفاعل مع قضايا وأحداث وشخصيات الواقع لتحمل قصصه دلالات اجتماعية نمت وتطورت وفقاً لنمو وتطور وتعقد الحياة في المجتمع الذي يعيشه؛ فينقل لنا برؤية الأديب المحاكي ذي النظرة الجمالية التي منحت قصصه خصوصيةً من حيث المضمون الصادم والرؤية التفاعلية مع المجتمع الخاضعة لقضاياه وأحداثه وتقلباته المختلفة.

وتأتي السياقات الاجتماعية في أنماط، تتمظهر في سمات وشخصيات القصص حيث تأسس بعضها على السردية الواضحة لها لحظة بداية وبنهاية مفتوحة؛ كما تتميز بتقاطعها مع أحداث مُعاشة تتشابه حد التطابق أو قد تختلف حد تخوم الخيال. وقد ارتبطت نشأة القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية بالتحول الاجتماعي

والحضاري^(١)، فتواشجت القصة القصيرة مع الهم المجتمعي ليقدم القاص رؤيته عبر نتاجه متأثراً ومؤثراً في تشكيل السياقات الاجتماعية بمختلف توجهاتها. وستركز الدراسة على القصص التي تحمل هماً مجتمعياً ينداح إلى الدلالة والمعنى - الذاتي والجماعي - وإلى تشكيل الشخصيات، ومستويات السرد وأنماطه، والمكان وفضاءاته في سياقاتها المجتمعية، دون الوقوف على أجناسيتها الشكلية أو مقوماتها البنائية بشكل خاص؛ بل ستتجاوز للكشف عن المسارات السردية من خلال رصد الأفعال التي تقع على الذوات في القصص، و إبراز الأحداث التي تعيشها الشخصيات في عالمها الفردي، أو في مجتمعها، أو التي تُمارس عليها من خلال الفعل ورد الفعل، إما في صور قمعية، أو استلابات، أو ضغوط نفسية أو مجتمعية؛ فيصف الكاتب الأحداث أو يعلق عليها أو يتركها بنهايات مفتوحة؛ لتتجلى في مشاهد القصصية "صورة الفعل أو الصفة المدركة إدراكاً حسياً "كي" تتحول إلى حركات وهيئات مكانية وصفات حسية وأحاديث منطوقة" ^(٢)، تُلقى بتأثيرها على الذات إما سلباً أو إيجاباً. وتتشكل هذه السياقات في صور تُظهر الأنماط الاستلابية من خلال بنية السرد القصصي ومستوياته.

وفيما يخص الدراسات السابقة فلم أقع - خلال فترة البحث - على دراسة نقدية متخصصة في أعمال الأديب إبراهيم شحي سوى دراسة صدرت حديثاً بعنوان: "البنية السردية في قصص إبراهيم شحي"؛ لأحمد علي هروي النعمان، مؤسسة الحازمي للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ٢٠١٩م، وهي تتقاطع مع دراستي في ارتكازها على دراسة البنية السردية ومكوناتها، والعناية بمظاهر الخطاب السردية بناءً ودلالة، ودراسة الشخصيات والزمن والفضاء المكاني على وجه التفصيل وفتيات اللغة والتناس، وقد تُنولت -دراسة البنى السردية - في أغلب الدراسات والبحوث.

(١) انظر: محمد، حسين علي، في الأدب السعودي الحديث - (الرياض: دار النشر الدولي، ط ٢، ٢٠٠٩)، ٢٠٤.

(٢) كونه، زكريا، تجليات الإبداع السردية (بيروت: الانتشار العربي، ط ١، ٢٠١٨)، ١١٨.

أما هذه الدراسة فأكثر خصوصية في نتاج الأديب القصصي من خلال الحفر في أثر السياق المجتمعي ودوره المؤثر في أنماط الشخصيات والمكان، والبحث في غورها الإنساني من خلال التأثير والتأثير، وانكشافات الاستلاب (الفردية-الجماعية). أما الدراسات الأخر فهي لا تتعدى كونها مقالات منشورة في الصحف اليومية عن نشاط الأديب القصصي أو مشاركاته، ومن المهم الإشارة إلى أن الدراسات النقدية التي تناولت القصة القصيرة السعودية تميزت -غالبا- بالطابع العمومي الواسع^(١)، تأريخا لها أو تسجيلا، أو هي دراسات فنية لأهم أعلام هذا الفن السردية ونتاجهم. مما استوجب معه تخصيصنا هذه الدراسة عن أدب القاص؛ لرصد التحولات المجتمعية في نتاجه القصصي، وتقديمه للساحة الثقافية من خلال رؤى نقدية كاشفة.

(١) من هذه الدراسات: صالح، زياد، مجازات الحداثة- قراءة نقدية في القصة القصيرة السعودية (الدار العربية للعلوم، ناشرون، نادي المدينة المنورة الأدبي، ٢٠١٠). الحازمي، منصور إبراهيم، فن القصة في الأدب السعودي (الرياض: دار المفردات، ط١، ٢٠٢٠م) سحيمي الهاجري، القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية (الرياض: نادي الرياض الأدبي، ١٤٠٨).

المبحث الأول: تظاهرات الاستلاب في القصة القصيرة

ارتبط الاستلاب بالوجود الإنساني والذات والهوية، بحيث يؤجج في دواخل الفرد "الشعور باليأس وفقد الثقة بالذات"، وبحسب هذه الدراسة سنتناول الاستلاب من حيث أنه "تعبير عن حالة الإنسان العقلية عندما يدخل في أية علاقة اجتماعية تجبره على أن يسلك ما يريده الآخرون وليس ما يريده هو، متوهماً أحياناً أن ما قد سلكه نابع من إرادته الحرة"^(١)

وتفصح السياقات الاجتماعية التي تتشكل في قصص المجموعة عن سلوكيات متنوعة تتمظهر في بُنى الشخصيات وأبعادها، ومستويات السرد وأنماطه. فيتمظهر الاستلاب من خلال هذا المفهوم في السرد القصصي بإظهار النماذج الاجتماعية للاستلاب والقهر وانعكاسات سلوكياتها وأدوارها في المجتمع بكل صور الشعور بالإحباط، والانهيار الوجداني، وما يترتب على ذلك من سلبية وإرادة مقموعة؛

لأن الذات "تتطلع لإثبات وجودها، وهي عادة تقود إلى أحد طريقتين، الاندماج مع المجموع أو الانفلات والتمرد."^(٢)

من هنا تتغيا الدراسة تقديم أشكال الاستلاب في صورته المشوّهة التي تُمارس على الذات الإنسانية بقوى خارجية تكون من خلال سلطة قهرية، أو قوى داخلية تتمثل في الصراع الذاتي بين القيم المحبولة عليها الذات الفردية والقيم المناهضة لها. كذلك بين المشاعر والعواطف الإنسانية في لحظات الضعف والقوة والحب والبغض. وكما أن الحرية الفردية يمكن أن تستلب طوعاً حين يتصرف الفرد بلا إرادة أو يتخلى عن إرادته لتحقيق غايات ذاتية؛ فإن وقوع الإنسان تحت الاستلاب الذي

(١) الغامدي، حنان عبدالله، تحفيز الحلم في الرواية النسائية السعودية (الأردن: دار الزيات للنشر والتوزيع، ط ٢، ٢٠٢٠م) ٢٦٠.

(٢) عبدالجبار، فالح، الاستلاب، (بيروت: دار الفارابي، ط ١، ٢٠١٨) ص ٧٨.

يتنازل فيه عن مبادئه مقابل أمور يختارها طوعا أو تقاع عليه كتتحقيق مصالح ذاتية أو تبادل لمنفعة عينية أو غيره أما الاستلاب القهري كمصادرة الحقوق أو سلوكيات قاسية من الأقربين، أو معاناة اقتصادية كالفقر والحاجة؛ فيأتي قسرا ونتيجة لظروف ما^(١) ومنشأ الاستلاب في قصص مجموعة (خواف) يتمظهر في مسارات، منها ما هو ذاتي يتجلى في العلاقات الإنسانية مع الذات ومع المحيط: الأسرة، أصدقاء، زملاء، معارف، جمهور...، في سلوكيات متباينة. ومنها ما يتعلق بالمجتمع، من خلال الصراع بين الفرد والمجتمع وما ينشأ عنها من أمراض ومشكلات اجتماعية، ينداح الاستلاب فيها إلى جدلية قائمة بين الحرية الفردية في المجتمع المدني الضابط لحرية الفرد، وبين القيود التي تُفرض عليه كحدود - طواعية واختيارا أو جبرا وتسليما - ومنها حدود روحية تتمثل في أوامر الدين والمعتقد، وقيود مجتمعية تكتسب من العادات والتقاليد، وقيود مؤسسية تفرضها القوانين والأنظمة.

وفي ظل التطور الاجتماعي تنشأ إشكالات أخرى تتشكل معها تعقيدات يفرضها المجتمع أو يفرضها الأفراد في صور استلابية؛ ومنها التحام الفرد بعائلته أو قبيلته أو جماعته أو طائفته، في مواجهة المجتمع المتصلب برأي أو معتقد.

١- في العلاقات الإنسانية وأنماط السلوك:

تتشكل سيرورة الذات وانعكاسات استلابها من خلال العلاقات الإنسانية في قصص المجموعة التي تظهر سلوكيات الفئات الاجتماعية في صور تكشف سلبيتها المنعكسة على الذات؛ فيتمظهر استلاب الذات في غياب الحضور الصحي للمشاعر والعاطفة الشخصية إزاء ارتباطاتها المفترضة في العلاقات الإنسانية التي تربط بين البشر، ويتشكل هذا النوع من الاستلاب في التعبير عن الموقف أو الاستعداد النفسي والاستجابة الطوعية لحالات الضعف الإنساني، ويتجلى في سلوكيات تُعيب. أحيانا-

(١) منير، وليد، التنمية وأزمة الثقافة: بين ظاهرة الاستلاب وفاعلية التغيير، دراسة في التأصيل المعيارى للتحديات " مجلة ثقافتنا للدراسات والبحوث- جامعة القاهرة مج ٦، ع ٢٢،

١٤٣١-٢٠١٠م"، ١٣٤.

دور الوعي في إحداث التوازن الوجداني، والانعكاس سلبي على التصرفات وتغلغل الشعور بالفشل والإحباط والانتكاس.

وتتمظهر صور الاستلاب الذاتي في العلاقات الإنسانية في عدد من الثيمات السردية التي تتشكل استجابةً للظروف الاجتماعية أو الصراعات النفسية، منها: السطوة والقمع-الظلم والقهر- الانتهازية-الخدلان- الجشع- الهجر والجحود...، وتتبع هذه الثيمات وآثارها المعنوية والمادية على شخصيات القمص وفي سلوكياتها الظاهرة أو في دواخلها، من خلال نشاطها الإنساني وأدوارها الاجتماعية، وانفعالاتها الوجدانية.

إن هذه الثيمات تقع بنمطها السلبي على الذات؛ لتحدث فيها هزاتٍ توترية تستلب (الإرادة و المعرفة/ القدرة والاعتقاد/ الوعي والسلوك) فهي مؤسّسات ضرورية لكل ذات تمتلك الفعل والكينونة؛ واستلابها يؤدي إلى "تجربة نفسية" - في المقام الأول- تلقي بظلالها السوداوية على الواقع الاجتماعي - والعكس صحيح-؛ فالذات تنفصل عن العالم ليتحدد من خلالها" الداخل والخارج الإنساني من خلال الأحاسيس والمشاعر والتهويمات الحسية، فتشير إلى حالة تماس تشد الذات إلى العالم الخارجي بعيداً عن التوجهيات الأولية لأي شكل من أشكال الوعي، وفي هذه المرحلة يتحدد الخارج باعتباره إسقاطاً للداخل الذي لا نعرف عنه سوى تجربتين تجربة الألم وتجربة اللذة، إنه عالم خارجي مبني على شاكلة الداخل ومصنوع فقط من هاتين التجريبتين"^(١).

ومن القصص التي تبرز فيها مظهرات الاستلاب الذاتي قصة (نزف في ذاكرة رجل)^(٢) يبدأ بالسرد الارتجاعي للذاكرة التي كانت في أوج قوتها (لست أصدق

(١) غريغاس، الجيرداس. ج.، جاك فونتين، ترجمة وتعليق: سعيد بنكراد، سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس (بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، ط ١، ٢٠١٠م)، ٢٥٨.

(٢) شحبي، إبراهيم، "خواف" المجموعة الكاملة (بيروت: دار الانتشار العربي، ط ١، ٢٠١٧)، ٤١-٤٣.

الحال التي آلت إليها) إنما الذاكرة التي تأكلت بفعل الضغط النفسي الممارس على الذات من قبل بطل القصة، نعم هو لا غير، فقد رأى في نفسه التميز والتفوق على الجميع (أنا أعرف أنني كنت أجزم بذكائي النادر وطولي الفارع) بينما مرآة الذات المنعكسة في علاقاتها الإنسانية مع الآخرين مناقضة لهذه الصورة تماما (هم يقولون: إنني غبي جدا وقصير إلى حد التقرم)؛ ثم يعود للرجسية الذاتية التي قادته للاستلاب العاطفي الذي انتهى بكارثة مجتمعية تتمثل في تجاوزه لمدير إدارته (قررت ذات يوم طلب مغادرة المدير مكتبه لأحل محله...) لاشك أن ردة الفعل المتوقعة لهذا التصرف مؤلمة وقاسية، وهي نتيجة حتمية للسلوك المتعارض مع نمطية المجتمع حوله -في العمل والعلاقات الشخصية- فحين يرى في نفسه القوة والقدرة على إبحار الآخرين (كنت أعرف أنني أحس بأني الأمر الناهي، لا يحق لأحد أن يرفض طلبي، أو يتأخر في تنفيذه.. هكذا كنت لكن الرياح جرت!)

كشفت هذا المقطع عن المآل الذي ستنتهي إليه الشخصية بذاكرة مستنزفة قادته إلى العيادة النفسية لئنهي مآلها المستلب من أفراد المجتمع حولها: الزوجة -الأصدقاء - زملاء العمل؛ فشكل ذاتاً واعية بما يدور حولها من اعتقادات تناقض رؤيتها لحقيقتها، وردة الفعل المدركة (عندما أذهب إلى عملي ينتصب الجميع عند دخولي، بيتسم كل العمال الذين يفاجأون بي في المرات)، (عندما ذهبت لخطبتها هددت وتوعدت، كان الجميع منصتين لسببين.. الإعجاب بي والجرأة التي أمتلكها)، (كانوا لا يخبروني بمواعيد خروجهم، أتجسس عليهم ثم أصل فجأة إلى مكان تجمعهم، أحس بتذمرهم، أعتبرها رهبة من حضوري).

مرايا الآخر المنعكسة في ردادات الفعل تجاهه هو يعيها جيدا؛ لكن شككت حالة من الصراع بين ذاته وبين رأي الآخرين فيه (أنا لا أحب أن أطمئن أحدا، لذا كنت صارما لا أتردد في طلب ما أريده فلا يتوانون في إحضاره! أسترخي.. أحدثهم عن دوري الاجتماعي.. إمكاناتي العقلية إضافة إلى رهبة جميع الموظفين بمن فيهم المدير، وسرعة تنفيذهم طلباتي) السياق المجتمعي المتمثل في الأفراد المحيطين به ضاقوا ذرعا بهذه التحولات في الشخصية التي أخذت تنتشي حتى تجاوزت واعتدت على

الأموال العامة، والتصرف بها وفقاً لأهوائه التي يراها تستحق، فقد انتقل من الحيز الفردي إلى الحيز المجتمعي الذي حكم عليه وفقاً لتصرفاته (بعد أيام قرروا تحويلي إلى عبادة نفسية، بقيت هناك أجيب عن أسئلة كثيرة، ... قالوا لا تخرج من منزلك، لا تتحدث مع أحد.. لا تستقبل أحداً، ثم أردفوا: تناول هذه الأدوية حسب الوصفة، عندما توشك على النهاية عد إلينا، حين عدت إلى منزلي وجدت مطروفاً بداخله ورقة فصل من العمل، خرجت مسرعا إلى الناس.. منحتني أعينهم المشمزة منعاً من الخروج، بقيت أمضغ ذكرياتي، وذاكري تنزف بقية أيامي).

لذة السلطة الممارسة على الآخرين في العلاقات الإنسانية بوجهها المقيت، وتعاضات الذات في داخله قادت به إلى هذه النهاية المحتومة القاسية لا سيما وأن ردة فعل الآخر تجاهه حقت الذات على انتهاج هذه السلوكيات، فقد بدأ أن هذه الذات متهاككة لا تقوى على الإنجاز الحقيقي، وكل إنجازاتها هي أقوال مموهة لا يملك عليها دليلاً واحداً، وحين أراد الإثبات تحولت التأثيرات المجتمعية إلى نظرات اشمزاز رصت نرف الذاكرة المستلبة بفعل الذات.

وفي قصة (الأشواق المذبوحة)^(١) يتمظهر الضعف الإنساني في استلاب المشاعر المتقدمة بسبب النكران والهجر أنهت علاقة إنسانية، فالسارد في القصة يكشف المآل المضني لبطل القصة "مقبول" الذي تشكّل ضعفه الذاتي في الأفعال الاستلابية (يولول - يتهافت - يعب - يمتصه - ينحسر - يلهث - يتشبث) فالاحتراق الذاتي جعل من حركية الفعل تجسيدا حقيقيا لواقع المعاناة الوجدانية أعاد به تشكيل معاناته بالسلوكيات التي تجسدها شخصية مقبول الذي يبدأ استلابه الذاتي بألم "كم أناديك ولا ألقى مجيباً" (تعود لسعات الفراق تكوي مضغته المتهاككة، يقتله سؤال واحد: أي قدر يعصف بجسدي النحيل ونفسي الممزقة). وهو يُخضع ذاته لحقيقة

(١) شحي، حواف، ٣٣-٣٤.

الاستلاب الذي أفقده كل لذة في الحياة، بل كل قيمة للوجود حين يُتبع كل فعل استلابي بقيمة تصف المآل الذي وقع له، ونمثل بهذه المقاطع: (يلهث وراء زواجه الذي لم يتماسك أمام زحف السنة الثالثة)، (يمتص بقايا كبريائه يعلل النفس "هناك من يتمناك" مقولة لأصدقاء)، (يفر تجلده، ينزف دمعاً، في البكاء تخفيف) هذه الأفعال التي أضنت ذاته حد الألم الجسدي (تأكله قروح المعدة، ويأكل هو ذاكرته المتناثرة هنا وهناك) تبرر أسباب القسوة التي وقعت عليه من هذه الزوجة ، فالسارد يكشف شيئاً منها في المقطع الآتي: (رفته سكبت في مشاعرها التكبر.. لم تتعود الاهتمام من أحد قبله، ظنت أنها كل شيء في الوجود فركلته بالطرود متلذذة بتعذيبه..) تنعكس مرآيا الآخر -الزوجة- في هذه القصة التي جسدت واقع تبدل الحال وتأثيرها على الذات. وفي مشهد آخر يبلور القاص المشاعر في أوج قوتها عند الزوجة في مقابل الضعف والانحزام في شخصية (مقبول) (يحاول أن ينسى أنه أحب، أن ينسى ما لاقاه في وحدته، دون جدوى يتجمع ذاهبا إليها، تباغته: أما زلت حيا؟ ألم أقل لك إنني أكرهك؟ يتماسك: ولكني أحبك.. أنت شريكة العمر.. تنظر إليه بازدراء، تلوي فمها احتقارا مرددة: (لا أطيق رؤيتك) يذوب ذعرا، يخرج من فم الدار وهو يقضم شفثيه، يردد: "إن كيدهن عظيم" كلما.. لسنا لبعض.. ما بيننا انتهى. تمرغ تفكيره في وحل المصيبة.. كيف وأنا الذي فنيت حبا، هل الحب وحده لا يكفي؟!).

تبدو حدة المفارقة بين مشاعر الحب-الكره/ التعلق-النفور، ويؤطرها الاستعداد والتقبل بين شخصية الزوجة التي تصرح بالكره والاحتقار والازدراء، و"مقبول" الذي يدعن ويرضخ لمشاعر الاستلاب القهري التي تُنهك قلبه قلقاً وخوفاً، وتأثير هذه المفارقة يحول مسار الخطاب إلى الذات المستلبة التي يظهر السارد تركيبها المتشكلة تحت تأثير الخنوع والانحزامية (تموت العواطف في قلبه، تذبح كل الأشواق، يصبح قبراً يمشي فوق الأرض، يمقت كل معنى للحب، يتحول إلى هيكل تفر منه النظرات، وتطلق سيقانها للريح تخلياً).

ومن المهم أن نشير أن السياقات الاجتماعية تزخر بأشكال للعلاقة بين الرجل

والمرأة، فحيثما وجد الجنسان تشكلت علاقة ما: احترام، أخوة، صداقة، غرام، رغبة، هوى... أو وهم^(١)، وتتجسد العلاقة بين المرأة والرجل في قصص المجموعة من خلال علاقات الزواج، وعلاقات الحب قبل الزواج، فيظهر عددٌ من شخصيات المجموعة التي يتجلى وجودها الإنساني في الروابط الإنسانية التي تجمع البشر، في مؤسسة الزواج التي تتمظهر في بعض القصص كحدث رئيس وفي بعضها تتوارى كحدث ثانوي، في قصة (فاطمة.. في بيتنا)^(٢) تتشكل ثيمة الاستلاب الشعوري للعلاقة بين الرجل والمرأة المبنية على الوهم في الحياة الاجتماعية، وحين تكون مؤسسة الزواج أحد أهم أركان الحياة الإنسانية في المجتمع فإننا نجد في قصص المجموعة إما متوارية خلف الحدث الرئيس في القصة مثل قصة (فاطمة) فثيمة الأسرة تظهر في السطر الأخير من القصة (أيقظتني ابنتي (نداء) لصلاة العصر وقد امتنع جسدي وفراشي عرقاً) فلا نجد أي إشارة للأسرة سوى في دلالة الابنة، أما الأثر الاستلابي فتجلى في دلالة (الحب القديم) الذي لا يزال يأتيه في المنام فتجلى له (فجأة دون سابق إنذار.. حسناء رشيقة كم عهدتها لم تغير فيها السنوات شيئاً) فاكتفت القصة بتصوير لحظة شعورية نتجت عن حدث متوقع حدوثه، في تشخيص رحلة عابرة في أعماق الشخصية^(٣)، ونتج عنها آثار استلاب العمر الذي رمز له بالفراش، (فراشي الذي عركته السنوات فغدا لا يبالي بمن يتوسده من كثرة الإعياء). وفي قصة (أبوة عصرية)^(٤) تأتي صورة العلاقات الإنسانية في نطاق العائلة التي تعاني من استلاب الوجود الحقيقي للأب، فهو مغيبٌ بممارسات شاذة تنعكس سلباً على حياة أبنائه البالغة في البؤس ونرمز لها

(١) دناور، فطيم أحمد، الواقع الاجتماعي في قصص سهام العبودي، دراسة تحليلية "مجلة الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض (٢٠٢٠)، ص ٣٦.

(٢) شحي، حواف، ٩٧-٩٨.

(٣) ينظر: علي، عواد، خصوصية القصة القصيرة وموقعها في نظريات السرد "مجلة أفكار، ٢٨٠ع، عمان، (أيار ٢٠١٢) "

(٤) شحي، حواف، ص ١٩٨

بهذا المشهد (تذكر أنه لم يبق نقودا لفسحة أبنائه فأغلق عليه غرفة نومه حتى الرابعة عصرا) يحمل هذا المشهد قمة المعاناة وعدم الإحساس بالمسؤولية تجاه الأبناء، فهو إشارة لتراكمات أشد قسوة تجليها هذه النهاية المفتوحة.

وحقيقة العلاقات السلبية بين الأزواج تظهر أيضا في قصة (عائلة)^(١)، وهي تصور نمطاً اجتماعياً خطيراً ومربكا للعلاقة الإنسانية داخل فضاء الأسرة (الأولاد يصرون أن تكون وجبتهم الليلية من الماكدونالد، الخادمة الآسيوية تفضل وجبة الأندومي، الزوجة تمضي أغلب لياليها في حفلات السمر أو التجول في الأسواق.. السائق يتأفف متنقلا بين الرغبات المتعارضة، ويظل الزوج يقترض مبالغ إضافية شهرا بعد شهر) لا حاجة للقاص أن يكشف عن المصير المتوقع أو الخاتمة الحتمية للبنية الحكائية التي تفتح باباً للتأويلات بالنهاية التي تنتظر هذا القهر الممارس على شخصية (الزوج) ونلاحظ أن التعريف لشخصيات العائلة (زوج/زوجة) هذا الإطلاق المعرفي يعني استمرارية هذه الممارسات غير المبالية التي تقع على عاتق الزوج لتوفير الرفاهية التي ربما تعاني منها الكثير من العائلات في النطاقات المجتمعية في كل مكان. ومثل هذه الممارسات غير المسؤولة في نطاق الأسرة، والمفارقة الاستلابية المؤلمة تظهر كذلك في عدد من القصص مثل قصة: (ترف خاص/ وطالب سعودي/ نهاية).^(٢)

ويظهر الاستلاب الذاتي المنتزع للقيم والمبادئ، وتغليب المصلحة الشخصية على حساب الكرامة وعزة النفس في قصة (جعفر)^(٣)؛ فشخصية جعفر من الشخصيات الانتهازية المتسلقة التي تضرب بأخلاقيها عرض الحائط، وتستمرى المهانة في سبيل الوصول إلى غاياتها (أمضى عمره يبحث عن مكانة يلهث وراء بريق المنصب يتقرب بكل الوسائل من المسؤول.. يقف تبجيلا في الخلف....) بكل

(١) شحي، حواف، ٢٠٦

(٢) المرجع السابق، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥.

(٣) المرجع السابق، ٢٠٩

الوسائل فلفظ العموم (كل) ربما يعني به القاص كل وسيلة ممكنة حتى لو كانت غير أخلاقية، فالهدف هو الوصول (مع كل هبة زيارة لأحدهم يتفنن في تقديم الولاء ولو بتقبييل الأرجل فضلا عن مسحها من آثار شفاه منافسه). هذه الحقيقة الاستلابية تشير إلى أن هذه الإشكالية لا تخص شخصية القصة؛ إنما يبدو أنها ظاهرة بدلالة التنافسية في "تقبييل الأرجل" بغية تحقيق المصالح الذاتية. أما (مولود) في قصة (طلعة الشميسي)^(١) القادم من القرية بثيابه الرثة إلى المدينة التي انبهر بها؛ إلا أن كل مظاهر الاستلاب التي مُورست عليه استطاع أن يقف لها ويجتازها بجسارة ابن الريف الذي لا يرضى الانهزامية أو الذل والخنوع، ويضعنا الكاتب أمام صورتين لتشكيلات مجتمع إنسان القرية، فهو في حين ضعيف لا يقوى مقارعة الظلم أو القهر حتى يقضي عليه، وفي ناحية أخرى هو قوي مجابه لا يرضى إذلال الآخرين له.

وفي قصة (دم سحابة)^(٢) يشير إلى ضعف الانتماء المكاني، وقوة الاستلاب الثقافي بغزو العمالة الوافدة للقرى، ونشر فسادهم بين شبابها، وعدم اهتمام شباب القرية بالأمر العظيمة والكارثية التي قد تحل بالقرية وأهلها، وانشغالهم بأمور حياتية هامشية كاللعب والعزف والتدخين ومتابعة الفضائيات بعيدا عن الأمر الذي أهمّ القرية وعمدتها ورجالها، وفي غمرة انصراف شباب القرية..

وفي قصة (صورة حياة)^(٣) يظهر تصوير العلاقات بين أفراد المجتمع وحالة اللامبالاة التي يلقبها الآخر على الفرد من الجماعة، فهو يرمز لهذه العلاقات بـ (الشباب) إذن هم مجموعة من الأقران ليسوا أصدقاء ولا أقرباء، وهم منصرفون إلى حيواتهم (قال لمن حوله من الشباب - الذين يسفكون دم الوقت مثلذذين بلعبة البلوت أو الكيرم، ويتبارون في صياغة الطرف والحكايا-) فلا وقت لديهم للالتفات له منشغلون بملذاتهم، إنه نوع من الاستلاب المجتمعي المفسّر لسلوك

(١) المرجع السابق، ٦٣

(٢) شحي، حواف، ٨٩.

(٣) المرجع السابق، ١٥٣.

أفراده، وقد جسّد المشاعر المصاحبة لهذا السلوك المتمثل في اللامبالاة والانشغال بالهوى الشخصي عن معاناة محيطهم المجتمعي، وعدم الاكتراث حتى لوجودهم، فالمشاعر المستلبّة في هذه القصة تتجه في مسارين؛ الأول: القيمة الذاتية المتجسدة في الشخصية المتماهية مع الجماعة (إنه يحس بدنو منيته.. كان ينتظر استفسارا أو مواساة من أحدهم تحسسه بقيمته كواحد من المجموع) والمستجدية لعطف الآخرين الباحثة عن التقدير والاهتمام، وهي شخصية يبدو أنّها ليست محل حفاوة كونها دون إنجازات تذكر، فأغفل القاص ذكرها في النص؛ لذلك أتى المسار الثاني: في القيمة المجتمعية التي لا تحفل بالفرد العادي من الجماعة كونهم لم يلتفتوا له، ولم يعيروه اهتماما (لم يلتفت إلى مقولته أحد..). فهي شخصية مستلبّة الحضور والأهمية، لم تصل حد التفرد الذي منحه التميز، وليست مهادنة حد استمرار الدل؛ بل يصور حالة التماهي المجتمعي (تحسسه بقيمته كواحد من المجموع) فهو منصهر في القيمة الجمعية الأناثية حد تلاشي الذات وانعدام قيمتها، ففي ذروة انشغالهم بلهوهم وانهماكهم في متعتهم نجده (وهو يتحسس أطرافه التي سرت فيها برودة غير مألوفة.. ما لبث بعد لحظات أن مال على جنبه الأيمن مودعا الحياة..). ثم طواه النسيان بل غدى من الطرف التي تدور على ألسنتهم للتفكّه والضحك. وهو يصور هذا المشهد الاستلابي في القصة: (بعد يومين عاد رفاقه لمواصلة اللعب.. لم ينسوا أن يكون حدث موته إحدى الطرف التي تعبر على ألسنتهم!).

كذلك يأتي تشظي الذات الملتبسة بالحيرة التي مارست سلوكيات متعددة ولم تجد لذتها أو كينونتها أو حتى حقيقة وجودها، ومع كل الممارسات الحياتية والسلوكيات التي تجسدها قصة (حالة)^(١) التي بدأها بجملة منفية (لم أعد أشتاق) تنفي رغبة البحث عن المعرفة التي تستلّب كل وجود للخير والحق والجمال فنقيضها يظهر في هذا المقطع (عرفت أخيرا أن لا سر للجمال، ولا مدن له، ولا عواصم، وهي تأتي بعد مشهد الترحال الذي اختاره حيننا (كل المدن التي ذرعت شوارعها،

(١) المرجع السابق، ٢١٢.

والبلدان التي تعرفت إلى أنظمة الدخول إليها والخروج منها باهتة اللون.. ساذجة الطعم.. رغم إجراءات الدعاية، وفنون الترويج) يؤكد هذا المشهد أن السلوك اختياريًا تتبناه الشخصية الإنسانية المترددة بين تأثيرات السياق الاجتماعي بكافة أنواعه وبين الوعي الأيديولوجي بحقيقة الوجود، يختم القصة بهذا المشهد الذي يعضد الفكرة السابقة (كنت موزعا عبر حياتي بين انفلات يعصف بكل قيد، وأسرية حميمة تشرب المودة مع فجان الصباح، ووحدة تغادر كل الأشياء، وكل الأحياء.. فأيتها أختار؟! الحيرة هنا لا مبرر لها فبين استقرار مجتمعي واغتراب وجودي وانفلات خلقي تتشظى الذات المستلبة).

٢- في الصراعات المجتمعية:

تقدم المجموعة صوراً إنسانية يتشكل واقعها الاجتماعي في تجارب وظروف معيشية مختلفة، يسهل التعرف عليها^(١) من خلال لفت الأنظار إلى عوالم الداخل المجتمعي في القرية وحيوات أهلها، والمدينة وتمظهراتها، كذلك توجيه النظر إلى يوميات الطبقة المتوسطة والكادحة في أعمالهم أو دراستهم وحياتهم، في تعقيدات الإنسانية أو المجتمعية أو الفكرية، أو في سعيها إلى تحسين وضعها الاجتماعي، كما تعنى بتصوير طبيعة المجتمع، وسلوكيات أفرادها وتهتم بأحاسيسهم الفردية ودوافعهم النفسية الواعية واللا واعية التي تحكم مشاعر الشخصيات واتجاهاتها في تجربتها الذاتية أو انعكاسها المجتمعي عليه.

وتفرض القيم الاجتماعية شبكةً من العلاقات التي تقوم في بعض مناحيها على السلطة والقهر والسيطرة والتملك، وتنحصر في عدد من شخصيات القمص في جانبها المجتمعي^(٢).

وتتميز التجربة القصصية باكتفائها بالقليل من العناصر البسيطة التي تصنع

(١) ينظر: هينكل، روجر ب.، ترجمة د. صلاح رزق، قراءة الرواية (بيروت: دار الآداب، ط ١، ١٩٩٥)، ٩٨. (بتصرف)

(٢) تحفيز الحلم في الرواية النسائية السعودية، (مرجع سابق)، ٢٤٩.

الحياة اليومية، وأحيانا تركز في نهاياتها على المستخلص من التجارب والتحويلات الإنسانية، و نجد هذا المضمون متجلياً في قصة (صدأ اللون الرمادي)^(١) حيث أن الحاجة وضيق ذات اليد والعمل الشريف أسهمت في كثير من الاستلابات التي وقعت لبطلها "أحمد" وهو يرمز به إلى عمره الذي أمضاه متحملاً مشاق الحاجة وقلة ذات اليد، ومشوار الكفاح مع والديه من أجل أسرته "أمه- أبوه -أخواته" وتماهى مع سنوات العمر حتى انقضى به وحيدا بعد أن (أمطر عمره عملا حتى صدئ في معزله ، لم يبق له إلا التساؤلات الغثة، ذنبه في كل ذلك أنه عاش شريفا يأكل من عمل يده)، هكذا أصبح أحمد (شيخا ينظر إليه الناس مشفقين.. بعد أن ساهم في شقائه الكثير منهم).

إسقاطات النص تحمل تأويلا لا يشير إلى إيجابية المجتمع، فمثل هذه الشخصية الواقعية واردة سواء في القرية أو المدينة، وهذه الأحداث تركت أثرها في الظروف المحيطة والإمكانات التي آثرت الشخصية أن تبقى عليها وأثبتت قوى هذا الاستلاب؛ فهو الابن الأكبر والذكر الوحيد لأسرته (كان ذلك سببا في تحمله المشاق منذ الصغر. يذهب إلى المدرسة ليعود عصرا إلى المزرعة عصرا.. يرعى المواشي في وقت فراغه يحس في رجولته المبكرة سواد المستقبل، يعتصر المرض والده، تجزع الأم لذلك) تحمّل المسؤولية صغيرا حتى تدارك أن (العمر يركض لم توقفه لحظات التفكير، ولا ساعات العمل المضي هنا وهناك، والأخوات يتزوجن الواحدة تلو الأخرى يصبح البيت خاويا إلا من تسبيح العجوزين) تتجلى الانهزامية العالية في النص، وتركزت في تشكيل السياق المجتمعي الراض له منذ أحس بقيمة التعليم الذي لم يأبه له حتى مضى العمر وحيدا دون أسرة؛ (حينما تقدم خاطبا: " لا نزوج السقائين" يقبع في بيته لم يعد يقوى على مواجهة الأعين الفضولية، يتوسد أحزانه ليل نهار) وفي مقطع آخر: (يبقى أحمد يحلم بتكوين امتداده.. يتزوج المهموم بعد أن أخفق الحظ في الوصول إليه). يعلو حس الانهزامية

(١) شحي، حواف، ٩- ١١

والحزن في الثوب الرمادي الذي أصبح صدئا بتقدم العمر، ورفض التغيير بشقيه إيجابي أو سلبي، وليس الاخلاص والتفاني والحفاظ على المبادئ والشرف هي الثيمات التي أدت إلى هذا الاستلاب؛ بل سيورة الحياة واستمراريتها وعدم توقفها لأجل أيّ كان، واسترجاع آلام الوحدة، والانزواء للأحزان والهموم، وتلوّن الناس وتماهيهم مع الظروف (تجري الحياة.. تلبس أيامها أثوابا جديدة، يتلون الناس معها كيفما شاءت.. يغيرون واجهات المنازل وواجهات الوجوه و"أحمد" لا يستطيع تغيير ثوبه الرمادي تركله الوحدة بين جموع البشر كل شيء في عمره يذوي، إلا الجراح التي تنتشي مع مرور الأيام) فهذه الظروف الصعبة التي تتكالب على الإنسان يجسدها الكاتب بأسلوب سردي جميل، يميل إلى الشعرية التصويرية حيناً، وإلى الفلسفة حيناً آخر (لقد أمطر عمره عملاً حتى صدئ في معزله، لم يبق له إلا التساؤلات الغثة) ارتكزت نهاية القصة على أن تجربة العمل الشريف البسيط، وتقديمه الآخرين على حساب نفسه أدى إلى استلاب سعادته واستمرارته منه، وأن سبب الوحدة والشقاء الذي آل إليه بطلها " أحمد" يجسد . في الواقع - الكثير من الاستلابات المجتمعية التي شاركت بسبب مباشر في مآله، منها الفقر والحاجة التي أحكمت على أسرته منذ ولادته/تحمل مسؤولية الأسرة منذ صغره/ العمل بأجر زهيد/ الحسرة التي تأكله وهو يرى أترابه يتعلمون/ ضيق ذات اليد الذي يحول دون إصلاح أي شيء/ العمل المضني/ عدم وجود المهر الكافي ليتزوج/ الحلم بالزواج حتى آخر عمره/ الوحدة التي اختارها/ التمزق النفسي بين ما يراه من مظاهر للحياة وبين اختياره للكسب من عمل يده؛ فالحكم الاستلابي يقع على طريقته، واختياراته في توجيه ذاته نحو العمل البسيط على قلة مردوده، وتفضيله على التعليم - الذي كان من الممكن أن يكون منقذاً له - كذلك في قيمه الأخلاقية التي لم تتأثر بضيق ذات اليد، مجسدةً المبادئ التي يتربى عليها إنسان القرية ولا غيرها تلوّنات الحياة وتغيراتها التي تُلقِي بظلالها على الآخرين لتستلب منهم قيمهم، فظل هو متمسكا بما تربي عليه ليؤكد قوة الجذور الراسخة وصلابتها تجاه المتغيرات المجتمعية والإنسانية والصراع معها الذي انتهى في القصة بانتصار المتغيّر على الثابت. ولا تحمل القصة مبدأ الثورة والرفض للمآل لكن

هي أعمق من هذا الوصف السطحي بتوجهها إلى الكشف عن بعض الاختيارات المسببة للصراعات الذاتية في مواجهة الصراع المجتمعي العاتي برفض الاستسلام أو الخنوع للظروف، وأن يسعى الإنسان لمحاولة التغيير دون أن يتخلى عما تربي عليه من قيم ومثل نبيلة. وهنا تجلت براعة القاص لتقديم هذه الصورة المستلبة لوجود مثيلاتها في الحياة الواقعية التي تميل في نهاية الأمر للاستسلام للظروف المجتمعية القاهرة على حساب كينونة الذات وحقها في العيش الكريم.

وفي قصة (السعي إلى الختف) ^(١) يُعمل العقل ويشغل القلب لِيُنتج تجربة أقل ما توصف به، أنها تجربة مريرة قاسية!

فمنذ مفتتح النص بثيمات (العمر الجنائزي/ تراجيديا الأحران/ سحق الظلم) في أسلوب فكري ينقلنا للبحث عن أسبابها، ويؤطره بأسلوب عاطفي في مثل قوله: (يأكله الشعور بموت العدل مغتالا بأصابع الغدر الملطخة بالدماء، يلتحف بأردية الآلام وتعركه الصراعات النفسية ليرتمي هامدا على السرير). هذا ما حدث لأبيه؛ أما البطل فلحق به بعد صراعاتٍ مريرة مع الظلم والفقر والمرض لتتوقف نبضات القلب المتعب، ويتنهد الجسد المنهك.

تتضافر صور الاستلاب مع الصور المأسوية في هذا النص لتجسد حالاً لا ينصلح أبداً حتى مع محاولة الإصلاح ف (الظلم / السجن/ الغدر/ الحزن / الخذلان) كلها صور استلابية تبدأ من تجريد بطله من الاسم ليأتي بكينونته فهو (الابن الأكبر) الذي تحمّل المسؤولية مجهولة المصير، المحمّلة بالمفاجآت المروعة؛ لتشكل هذه الصور دوائر مفرغةً يتيه فيها، وإن حاول أن يملأها بشيء من الإصرار إلا أنه سريعا ما يتلاشى (أحس بنوع من الصلابة تملأ قلبه، لم يذرف دمعة واحدة، قرر بإصرار إصلاح كل شيء... اشتغل في وظيفة صغيرة، أقام الدعوات على الخصوم المستبشرين حرمة الجوار " وصف بالمعتوه الذي من " الأولى أن يعيش في مصحة). واصل العمل، تعلم ثم بعد ذلك يخسر كل شيء حين تجتمع عليه يد الظلم لتدمر

(١) شحي، حواف، ١٧-١٩.

كل محاولاته، هو بيد واحدة واليد الواحدة لا تصفق لا سيما في وجه تكالب الظلم والعقول المسعورة؛ ولكن إلى ماذا كانت النهاية، إن السياق المجتمعي الذي تشكل هنا يجلي تكالب الظلم، وتزييف الحقائق، والنفاق الاجتماعي.

ويعود الكاتب في هذا النص بإلقاء المسؤولية على عاتق الابن الأكبر الذي يتحملها وعوده طري حتى تنتهي به وقد قضت عليه. إنها من صور الاستلاب الذي يتشكل في فضاء القرية من خلال ثيمة (الأرض المستلبة بقوة الظلم والغدر)؛ وكأن تشكيل السياق المجتمعي في فضاء القرية مكونا إلى أكل القوي لحق الضعيف بالغدر والظلم والجبروت.

وفي قصة (محطات في يوم مدرسي)^(١) الطرائق التقليدية والنمطية السائدة في المجتمع العامل في المدارس. هذه المدرسة نموذج للنمطية المملة للسلك التدريسي: دفتر دوام/ دفتر توقيع/ كتابة إنذار/ الموجه الطلابي المتصيد لأخطاء المدرس/النقل التأديبي/ الوعيد الشديد/ الإخلاص. وتنتهي القصة بالمشهد الذي يتكرر يوميا

هل تأخر عمران عن الدوام، عدم احضار دفتر التحضير، اهمال طلبته لا حفظ لا واجب؛ هل معناه عدم اخلاص المعلم عمران؟ وهو المعلم المثالي خلال عشر سنوات تبدل الحال وتغيره بهذه الصورة الخطيرة مؤشر لأمر ما، وتحمل مدلولات هامة تتمثل في صراع مجتمعي داخل بيئة العمل بسبب غياب التقدير والثناء وانعدام الحوافز المحزية، وكثرة الأعباء العملية (يحمل عمران دفاتر الإنشاء فلا وقت في المدرسة.. الجدول مفعم بالحصص والنهار مترع بالمهام اللامنهجية)، كما أن ردة فعل زملاء تجاه هذا التغيير الخطير من الجودة إلى الانكفاء، ومن التفاني إلى الإهمال، وإظهار العداوة والتنافس المذموم في بيئة العمل بين الزملاء، وتجليها في شخصية مدرس التربية الإسلامية المفارق لهويته الدينية وسمته حين تعاطف الزملاء مع حالة المعلم عمران، ما عدا هو (تعصف بالفصل موجة من الضحك الطلابي، وعمران ينزف عرقا، يغادر

(١) شحي، حواف، ٢٥.

الموجه الفصل يتجه إلى

غرفة المدير.. ينزل في سجل الزيارات وعيداً شديداً بالنقل التأديبي مالم يحسن عمله، المدير يستدعي عمران، يهدده بالقبضة التي دوّنها الموجه، يحاول عمران شرح الأمر، الطلاب هم السبب، يقاطعه المدير: أين الإخلاص؟ يقولها بصوت عنيف، يحس عمران بأنه لا جدوى من توضيح الأمر، يجمع أشلاء قلبه الممزق، يخرج مهيض الجناح، بعض زملائه أخذهم الحزن والعطف فربتوا على كتفه ماعدا الشيخ...^(١)

ونلاحظ أن الكاتب أشار لصفة المعلم في هذا المقطع دون ذكر اسمه؛ ليعود للمفارقة بين السمات والفعل في بعض شخصيات المجموعة.

ومن السياقات الاجتماعية التي تمثل السلطة القهرية، لحد تهويم الشخصية المستلبة فكراً وجسداً، فمولود في قصة (غلطة عمر)^(٢) استلبت إنسانيته لدرجة أنه ظل في هذا الاستلاب القيمي طوال حياته، يسهل خداعه، وتشكيل أفكاره، واستثمار طاقته ليصعد غيره ويبقى هو في مكانه، لم يسلم من الغدر والسلب والخداع والطمع، وهذا يؤكد أن هذه الشخصية منزوعة التفكير الإيجابي في مصيرها فسهل خداعها، واستلاب قيمتها الوجودية وحققها في عيش كريم؛ بل (ظل طوال حياته بين غدر الثعالب وسلب الذباب.. يسقط كأحد الأطفال في خدائع المخلوقين الطامعين، كان سلماً يصعده الآخرون عندما خدعه سراب الميدان فدخله ليظل مسلوباً)، وهي تصور حقيقة العلاقات السلبية المسيطرة على بعض العقول إما بقوة نفوذ، أو سلطة قهرية، أو تعصب جمعي.

كما أن استلاب الذات الإنسانية يظهر في قصة (الاختيار)^(٣) للأرملة التي ظلت مطمعا للعيون والمؤامرات، والألسن والذئاب، كل ذلك لرغبتها في الكسب

(١) شحجي، حواف، ٢٩.

(٢) المرجع السابق، ٩٩.

(٣) المرجع السابق، ١٩٩.

الحلال حين أجبرت على خوض معركة الحياة لتطعم وتكسو وتعلم أولادها، فعملت خادمة في البيوت، ومن ثم بائعة في السوق إلا أنها لم تسلم، ورغم سوداوية الرؤية في المشهد الخاتم للقصة الذي تجلّى في عدم قدرتها على الكسب الحلال في المحيط المتختم بالثراء حولها، ورغبتها في اختيار المصير لتحافظ على نفسها، تتشكل دلالات الضعف الإنساني المواجه للقوة المتسلطة التي عمدت إلى استخدام سلطة القهر بتقديم (الفعل القبيح) التحرش أو بيع الجسد، فمارست الإذلال النفسي والبدني المسقط على الشخصية، وحتى لا تسقط أمام نفسها أو أولادها ومجتمعها اختارت الانتحار؛ ولأن القصة قصيرة جداً" فلم نجد اختراقاً لعوالم الشخصية الداخلية سوى الفعل المختار، ولم نلتمس حواراً داخلياً يبرر الفعل سوى رصد المشهد الختامي للقصة بترك حرية الاختيار لأبنائها من بعدها، انصياعاً لرغبة المحيط حولها للحصول على لقمة العيش ببيع النفس، أو الانتحار. وليس انهاء العمر انتحاراً خياراً يجرؤ عليه الإنسان؛ لذلك ربما تلمسنا الانكسار الداخلي والمصير المأساوي والتأثر الذي سيقع على الأبناء من بعد فقد الأب والأم.

المبحث الثاني: الشخصيات المستلبة والمستلبة وأثارها الاجتماعية:

١- أثر الاستلاب في تشكيل الشخصية:

القصة القصيرة لها جنسها الأدبي المستقل بذاته عن فنون القول، وهي تقول حكايةً وسرداً وحدثاً؛ فتتشابه مع الرواية في هذا، إلا أنها تختلف وتمايز عنها بفنييتها المنبثقة من جنسها الأدبي الخاص بها، إنها "فن" كما يقول بارت: فن لا يعرف الضوضاء، بالمعنى الإخباري للكلمة، إنه نظام نقلي وخالص، فليس هناك وحدة ضائعة أبداً^(١).

وإذا كانت الرواية هي (فن الحياة)^(٢) فإن القصة هي فن صناعة الحيات بأنواعها داخل السرد؛ لأنها تصنع لنا ذواتاً متعددة تُمثل في كل قصة أنموذجاً أو نماذج متباينة من تجارب الحياة في وجهها المشرق أو الوجه العبوس منها، في الأفراح والأتراح، في تأزم الواقع المعيش أو في انفراجاته، في أفقها الفكري الواسع المتأمل أو الفكر الضيق المتطرف، وتظاهرات الحضارة والسياسة ودهاليزها، في الأحوال الاجتماعية وأحداثها؛ بشتى صور الحياة إنساناً وحيواناً وجماداً؛ فيقدمها الكاتب في قصصٍ تحاكي الواقع وتقاربه بفنية أدبية، ويأبدع مرهف نابض بالحياة.

فالأديب يصوغ قصصه في إطار من التميز الذاتي الإبداعي؛ لتظهر بصمته الخاصة ولغته الجاذبة في عددٍ غير قليل من انعكاسات الحياة الإنسانية متجسدةً في الحالات التي تعترى الكثير من البشر في صورٍ يلتقط نماذج تحاكيها في واقع الحياة اليومية، في الصحف والمجلات أو في الروايات أو في مشاهد السينما والتلفزيون وكذلك في الأغاني.

ويوظف الأديب وسائله وتقنياته الخاصة في القص ليشكل الرؤية الفنية التي

(١) ينظر: رضوان، عبد الله، الثبني السردية، دراسة تطبيقية في القصة القصيرة (عمّان: دروب

للنشر والتوزيع، الطبعة العربية، ٢٠٠٩)، ٨.

(٢) ينظر: يوسف، شوقي بدر، تجليات روائية، دراسات في الرواية العربية (القاهرة: الهيئة المصرية

العامّة للكتاب، ٢٠١٨)، ٧.

تكوّن خطابه الأدبي من خلال عناصر السرد بصفة عامة، ومنها الشخصيات -على وجه الخصوص-^(١) التي يخلقها في قصصه لتحمل الرؤية والوعي. وإتقانه لتوظيفها والتعامل معها يُكسب العمل الأدبي قيمته والإبداع فنيته لأن "الفني ليس قول كل ما يخطر على البال، كما أن الفني ليس مجرد تقنيات تحرك زمن القصص... ولا مجرد استعارة هياكل بشرية نفرغ بها خطابنا، ولا مجرد تشكيل حوار بهذا الخطاب - بل الفني هو أيضاً، مواقع رؤية لهذه الشخصيات وهو لغاتها المختلفة."^(٢)

ومن خلال المنظور الاجتماعي نتناول تشكيل الشخصيات في مجموعة حواف^(٣)، وتأثير الاستلاب المجتمعي عليها بنمطيه الذاتي والجمعي، وسنقف في هذا المبحث عند تشكلات هذه الشخصيات في القصص وأبعادها، باعتبار الشخصية "نمط اجتماعي يعبر عن واقع طبقي، ويعكس وعياً أيديولوجياً، كما أنها فاعلا ينجز دوراً أو وظيفة في الحكاية"^(٤). وكذلك البحث في آثار الاستلاب الواقع على الشخصيات باعتبار أنها تُظهر التأثيرات المتباينة في الأدوار الحياتية داخل القصة سلباً و إيجاباً. كما أن الشخصية كائناً ورقياً وإن ما يظهر لنا ما هو إلا قناع، والقناع حالة سيكولوجية تشكل وجهة نظر شعورية يكمن وراءها الإنسان، الذي يحدد بميوله النفسية واستعداداته البنائية ومزياه الخلقية، ظهور البطل بصورته (السلبية والإيجابية)

(١) تركز الدراسة الفنية في هذا البحث على الشخصيات لأنها - من وجهة نظر هذه الدراسة - تستظهر معاني الاستلاب بفاعلية أكثر من غيرها من عناصر السرد.

(٢) دراسات في القصة القصيرة ٤٨ / ١٩٨٦، نقلا عن البني السردية، دراسات تطبيقية في القصة القصيرة، ص ٩

(٣) تناول الباحث أحمد بن علي النعمان، الحديث بالتفصيل عن بناء الشخصيات في دراسته: البنية السردية في قصص إبراهيم شحي، وقد فرضت دراسته الإيجاز في التحليل، بينما يختلف التحليل في هذا المبحث عما ورد هناك ولا ننفي الإفادة منها.

(٤) ينظر: بو عزة، محمد، تحليل النص السردية تقنيات ومفاهيم، (بيروت: منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط١، ٢٠١٠)، ٣٩.

وفق المهمة التي ينجزها في العمل القصصي.^(١)

من هنا سنعالج القصص ذات التأثيرات الاستلابية من خلال التركيز على المشاعر الداخلية من (يأس وإحباط وخذلان وانهميات وجدانية) وأثرها على الشخصيات من خلال فقد الثقة بالذات والاستسلام. ومعالجة الخطاب الاستلابي البائس الذي يُظهر الذات والمجتمع في أسوأ صور الحياة الإنسانية المؤدية إلى الإحساس بالمفارقة، والإرادة المستلبة. مع تصوير السياق الاجتماعي المحيط بالشخصية والمشكّل للأتماط والأفعال والسلوكيات وآثارها الاجتماعية.

ومن أظهر آثار الاستلاب؛ ضمور الحضور، وقلة الحساسية، واختفاء الوعي شبه التام، لعلّة التراكم المورث للإلف، فتبدو الشخصيات وهي مستسيغة للأمر الذي ينتهي إلى عدم استهجانها، فيصير الوضع الناشئ بحالته الاستلابية مألوفاً^(٢)، أو يُحدث ردة فعل غير متوقعة لنتيجة الضغوط الممارسة على الشخصيات المستلبة والمستلبة، وهي متجلية في عددٍ من قصص المجموعة كما أظهرت المباحث السابقة. وهذا ما تسعى الدراسة إلى كشفه من خلال شخصيات القصص التي يوظف الكاتب أدوارها ويرسم أنماطها في دلالات تبرز "القهرية وغياب الوعي والإرادة الطوعية في اختيار المصير."^(٣)

٢- أنماط الشخصيات وسماقتها:

تُشكل الشخصية محورا أساسيا في كل قصة، ذلك لأن الحدث لا يتم إلا بتحركها، والحوار لا يتحقق إلا بواسطتها، بل لا تتم عملية القص إلا على لسانها إذا

(١) ينظر: توماشفسكي، ترجمة إبراهيم الخطيب، نظرية المنهج الشكلي (بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨٢)، ٢٠٤.

(٢) ينظر: دواق، الحاج، الثقافة من مسلووية الاحتواء إلى معقولية التعارف "منشورات مخبر حوار الحضارات والعمولة، جامعة باتنة، ٢٠١١، ٢١٤/ نقلا عن: د. جمال سعادنة، العمولة وتوظيف الخطاب المرئي من تحييد الوعي إلى استلاب الهوية "مجلة الأثر، ع ٢٤، مارس ٢٠١٦، ٦٦.

(٣) ينظر: العمولة وتوظيف الخطاب المرئي من تحييد الوعي إلى استلاب الهوية، ٦٦.

ما تخلى السارد عن دوره في ذلك.^(١) "وكل ما تنطوي عليه الأفضوضة من وصف، وحوار، ومكان، وحدث، وزمان إنما هو ضرب من ضروب رسم الشخصية الأفضوضة، ووسيلة أو أداة من أدوات هذا الرسم"^(٢)

فالقاص يعتني برسم شخصياته التي يستقيها من الواقع الاجتماعي، ويظهر تجاربها في بعدها الإنساني والمجتمعي، لا سيما الواقعة منها في دائرة الاستلاب والقهر؛ لتتمظهر في " شخصية إنسان مأزوم قلق يحاول البحث عن مخرج لأزمة يبدو عاجزا عن مواجهتها، أو إيجاد التوازن معها"^(٣)، فتختلف بنية الشخصيات وأنماطها وأبعادها ومصادرها في السرد القصصي وفقاً لتجسيدها الفني والرؤيوي للتجارب المتباينة التي يعالجها القاص في نتاجه الأدبي.

ونتناول في هذا المبحث التركيز على أنماط الشخصية التي تكشف عن تقديم القاص للشخصيات الاجتماعية والإنسانية الواقعة في دائرة الاستلاب.

ويمكن أن نصنف الشخصيات بحسب تشكلها في " شخصية واحدة تستقطب كل الأحداث والأقوال، أو من خلال تجريد الكاتب شخصية ثانية منها سواء باعتماد تقنية الاسترجاع، أو بوساطة المنولوج الداخلي بأنواعه المختلفة"^(٤) وتظهر في بعض القصص أنماط للشخصيات ذات الدلالات الاستلابية في صور متعددة منها:

- الشخصية المتلونة: ونعني بها التي تغير ثوبها مع تغيرات المجتمع، وتصطبغ

(١) ينظر: بن صالح، إبراهيم، الأفضوضة عند الدعجاني، (تونس: دار محمد بن علي، ط ١، ٢٠٠٥) ص ١٠٠.

(٢) حافظ، صبري، الخصائص البنائية للأفضوضة "مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مج ٢، ع ٤، يوليو-أغسطس- سبتمبر ١٩٨٢" ٢٩.

(٣) الهدلول، وفاء صالح، البناء الفني في القصة القصيرة عند محمد الشقحاء (الرياض: جامعة الملك سعود، كرسي الأدب السعودي، ط ١، ١٤٣٥) ١٧٦.

(٤) الأفضوضة عند الدعجاني، مرجع سابق، ١٠٥.

بالصبغة الدينية التي تسائر المجتمع شكلاً وتفارقه قيماً وسلوكاً، وتظهر هذه الشخصية في عدد من قصص المجموعة ومنها: (عقاري، غيبة، لذة الفاقة، فارغ، امرأة مرت من هنا). وفي قصة (عقاري)^(١) تقابلنا شخصية (راشد) الذي يفارق قيمة اسمه كما يفارق مهنته من قاضٍ إلى عقاري (لم تشبع الوظيفة نهمه قرر التفرغ للبيع). ويجسد الكاتب جشع هذه الشخصية التي اتخذت من الوقار والدين سمناً؛ لكنها في الحقيقة شخصية مُستَلَبة القيم والمبادئ، تميل إلى الجشع وسرقة أموال الناس (باع كل قطعة مرتين.. مرة بالعد والنقد، وأخرى بالتقسيط، بعد أن أنهى الصفقة ترك الناس تتصارع ورحل بملايينه تاركاً العدالة تأخذ مجراها!) التهاون في حقوق الأموال والناس قاد راشد إلى هذا الفعل والاحتيال للحصول على المال بهذه الطريقة، في حين أنها شخصية تنتمي إلى طبقة اجتماعية لها وزنها (تسبم راشد مناصب عديدة في العدل لم يكن القضاء آخرها).

ويعيّن الكاتب حقيقة استلاب القيم والمبادئ والتظاهر بها والرغبة في الحصول على المال بشتى الطرق في قوله (حين لم تشبع الوظيفة نهمه). ويختم قصته بسخرية سوداء بين رحيل راشد وهربه، وتصارع الناس والعدالة التي فارقها قاضياً لهابٍ بأموال الآخرين، لتأخذ مجراها حتى حين!

وفي الطرف المقابل نجد الكاتب يقدم بعض شخصياته لتعبر عن سياق اجتماعي يشكل مدلولاً على أفعالها المنجزة في حركة السرد المشكل للسياق الاستلابي للمثل والقيم والمبادئ ففي (قصة عبادة)^(٢) لا نجد أوصافاً ظاهرة للشخصيات فهي مستلبة الاسم والكينونة/ مثبتة للفعل والمنجز.

ولكن ركز الكاتب على وظيفتها ونطاقه (مسؤول - طقوس استقبال - تقبيل المبجل - تبيد المال - اصطناع الهيبة - المتملق (الراصد) - النفاق - العقاب المقترح للمقصر في التبجيل). ويبدو أن المجتمع المحيط بهذه الشخصية قد ألف هذا

(١) شحجي، خواف، ١٦٠.

(٢) المرجع السابق، ١٧١.

الركون لتبجيل المسؤول الفارغ من كل شيء سوى مظاهر الاحتفاء به، وأن هذا الفعل يتكرر كل مرة (بعد حين يقدم الراصد بياناته لسعادة المسؤول ليقترح العقاب لكل مقترف للتقصير في تبجيله.. على أن يتم تكرار ذلك عند كل فرصة سانحة).

ويعود الكاتب لاستلاب الكينونة والاسمية من الشخصيات ففي قصة (كرسي) الدال الموصل للغاية وهي فيما يبدو (المنصب في الوظيفة) في استشعار الملكية للمكان الذي يعي الآخرون كيف وصل إليه (الدونية التي يشعر بها، آخرون يرون الأمر طبيعياً بسبب التغير في موازين الواقع حيث يأخذ الأدنى منزلة الأجدار بطرق ملتوية مشفوعة بمبررات زائفة) تلقي هذه القصة بظلالها على حقيقة مؤلمة من واقع المجتمع المستلب فيه الحق من الأجدار إلى غيره، وأثبت بحسب رؤيته - خطأ محددًا- للوصول يتمثل في الطرق الملتوية.

-الشخصية اللامبالية:

في عدد من القصص يسلط الكاتب الضوء على أبعاد التهور والنزقية في بعض الشخصيات مما يقودها إلى مصير مأساوي يستلب معه الكيان الوجودي للإنسان جراء تصرف متهور دون التفكير في العواقب، أو محاولة استغلال الآخر الذي يشعر أنه من السهل أن ينهي حياته عن أن تكتشف أسرارها، هذا الفعل الذي يقود إلى مواقف غير محمودة تظهر في قصة (الشقة الخامسة)^(١) في شخصية (سامر) الشاب النزق الذي تجرأ على الركوب في سيارة (قيس) جارهم في قريتهم الصغيرة. هذا التهور دفع ثمنه استلاب الحياة والمستقبل والأسرة والعمل، (يركب سيارته متجهاً إلى المدينة بسرعة جنونية، يتجه إلى سكن سامر ورفاقه في حي الإسكان الطلابي، سأل البواب عن الدور والشقة، يجيب البواب إنه في الدور الرابع، الشقة الخامسة، يصعد قيس مسرعاً.. لا أحد في الشقة، يلوذ بجدار إحدى الغرف

(١) شحي، حواف، ٤٧

منتظرا)، هذه الأحداث سبقتها مسببات أدت إلى هذه النهاية الحتمية، ف شخصية قيس شخصية ضعيفة يسكنها القلق وحديث النفس الذي كشف هذا الضعف، وهذه المسلوبية في شخصيته بدءاً من العم والد زوجته، ومديره في العمل الذي يتهمه بالإهمال والتقصير، والمحاسب الذي يُكن العدا له، وراتبه الذي يجده قليلاً لا يكفي احتياجات أسرته...، كل هذه التراكمات والأسرار التي أفضى بها لنفسه وسمعها (سامر) -الذي اختبأ في سيارته- قادت إلى نهاية غير متوقعة لاسيما بعد ورقة التهديد التي تركها موقعة باسمه (لقد أخطأت، ستكون أسرارك محفوظة إلا إذا ... **التوقيع سامر**) هذا التهديد بعد كل التراكمات النفسية في شخصية (قيس) أدت إلى نوبة الغضب التي عاجلها بسكين صغيرة في بطن سامر، وعاد إلى قريبته وهو يقود بسرعة جنونية ليصطدم بحافة جسر وينقل إلى المستشفى نفسه؛ بل ويرقد إلى جانبه. لم تكن مصادفة هذه النهاية؛ بل تكشف عن استلاب المستقبل اختياراً بسبب التهور وانتهاز الفرص للمساومة أو الاستغلال من قبل شخصيتي (قيس) وهو رب أسرة لديه بيت وزوجة وأطفال وعمل يدر عليه دخلاً، و(سامر) شاب في ريعان شبابه لديه أسرة مُحبة له ويدرس في المدينة.

- الشخصية المتفانية:

لم يفت على الكاتب تجسيد السياق الاجتماعي الذي تمثله الوظيفة، فنجد حقل التعليم وحقل الثقافة الأكثر دوراً في قصص المجموعة، فشخصية (عمران) المعلم المتفاني على مدى عشر سنوات دخل في مرحلة من اللامبالاة والتهاون حيث يبدو أن قلة التقدير والحوافز المجزية أسهمت في حالة الملل الذي يعتري الشخص بعد عمر من التفاني، هذه الشخصية يقابلها شخصية أحمد في (صدأ اللون الرمادي)^(١) الذي دفع عمره في مقابل أن يعيش من كسب يده، وهي إشارات ضمنية تكشفها هذه الاستلابات عن غياب الحوافز وقلة المردود المالي الذي يتبدد في مصاريف الحياة دون أن يتبقى منه شيء، لينعكس سلباً على الذات، لاسيما الذات المتفانية.

(١) شحي، حواف، ٩.

وفي حقل الثقافة يركز الكاتب على شخصية المثقف الذي يظهر بتمظهرات متعددة منها (الشاعر) -وغالبا- ما يظهر مُستلب الحضور، باهت الصورة؛ فنجده في عدد من القصص الشاعر الذي لا يثق في إبداعه الشعري، في هيئة متناقضة تدعي التفوق والريادة بينما هي شخصية هزيلة مرتبكة.

وفي سياق آخر، نجد صورة اصطناع الثقافة في قصة (لغة)^(١) (حدثٌ صديقي) بإنجليزية ركيكة فسخر مني، وحدثني بالفصحى فرغ المفعول به). تطرح هذه القصة تناقضات الذات المثقفة التي تتباهى بالعلم والثقافة، وتسخر من الآخر لضعف أو جهل أو قلة معرفة مع محاولات الإجادة الواهية التي تسقط عند أول اختبار حقيقي، صورة استلابية لمجتمع يدعي الثقافة ويفقد أهم أبعادها.

- الشخصية المتخاذلة:

تظهر في بعض قصصه مثل قصة (نكران، جذب، حواف) وهي التي تتوقع على داخلها وتُسحق من الخارج، فتصور وهن العلاقات الإنسانية، وضعف وسيلة الاختيار، ورضوحها الطوعي للاستلاب، ويتجلى هذا السياق الاستلابي في قصة (عنوسة)^(٢) لمن أُستلبت ذاتها في انتظار حلم هلامي يبرره الواقع = العلم/التقاليد، وينسفه = الوهم/الخيالات.

- الشخصية الضعيفة:

في هذا النمط من الشخصيات نلاحظ تشكلات متميزة التي تحب من طرف واحد، تكررت تمظهرات هذه الشخصية في أكثر من قصة، والرابط بينها شعوري نفسي يتجلى في مشاعر الألم/ التحسر / الخذلان، واجتماعي في انعكاسات آثار التجربة على الشخصيات، وغالبا ما تنعكس في المونولوج الداخلي حيث تروى آثار هذه الاستلابات من جانب واحد وهو جانب الراوي، في شكل حديث نفس، وفي

(١) المرجع السابق، ٢١٤.

(٢) المرجع السابق، ١٧٣.

شكل حوار في جوانب أخرى، ومن ذلك في قصة (لذة الأمكنة)^(١) (قالت لي ذات مساء على سطح الدار بحضرة الأهل والإخوان: لقد جادلتني في الحب فأكثر جدالي.. أما آن لك أن تنتهي فلست من اخترته).

-أنسنة الحيوان:

ومن شخصيات قصصه التي قدمها في دائرة استلابية مجتمعية، في قصة (قطوسة)، وفيها رسم الكاتب أبعاداً أخرى لشخصياته من خلال أنسنة الحيوانات، بحيث أضمر الشخصية وأطلق الحدث، فجعل نسيج السرد للبنية الحكائية دالاً على الأحداث التي توالفت في صور أقرب للمأساوية والمعاناة، وفي لحظة التنوير يكشف عن بطل القصة وهي قطة. لا شك أن العنوان لافتٌ وهو أحد مفاتيح النص، وهو عنوان اسمي يتألف من كلمة واحدة، اجتمعت فيه الرؤية الاجتماعية والإنسانية المنزاحة إلى "أنسنة الحيوان"، و"هناك من يجد في العنوان الكاشف أسلوباً سلبياً من أساليب العنونة لأنه يضع القارئ أمام مضمون القصة من دون أن يتعب نفسه في البحث عن هدف القصة"^(٢)؛ إلا أن السرد الحكائي من البداية اتخذ طابع الإدهاش والفضول الذي يضع المتلقي في قلب الحدث مباشرة في إطاره الزماني والمكاني، فامتاز السرد بالسرعة والانسيابية لنصل إلى النهاية التي تكشف عن رؤية إنسانية ذات حساسية تجاه العالم من حولنا، أسقطت على بطل القصة وهي شخصية القطة .

من خلال ما سبق يتجلى تنوع الكاتب الفني والجمالي في تقديم صور شخصياته بتفاصيل دقيقة في بعضها، ويعمد إلى الاختصار وإضمار تعيين ملامح الشخصيات (الاسم/الصفات) في بعضها الآخر. وحيناً يبرز شخصياته بإظهار كينونتها الداخلية كالأفكار والمشاعر والانفعالات، وفي بعض القصص نجد مواصفاتٍ تتعلق بالمظاهر الخارجية للشخصية. كما نتلمس في بعضها اهتماماً بوضع

(١) المرجع السابق، ١٢٢، وينظر قصة الأشواق المذبوحة، ٣٤.

(٢) مجاهد، فرج، معاناة النفس الإنسانية ما بين اللغة وتقنية القصص أفاصيص محمد كمال "مجلة القصة ع ١٢٧-٢٠١٦"، ٤١.

الشخصية اجتماعياً وايدولوجياً، وهو يركز على الوصف الذي يقدمه السارد عن الشخصية، ومن المواصفات التكوينية للشخصيات يتمظهر ارتكاز الكاتب على محورية تتفرع إلى ثلاثة أفرع: الحكيم والحوار والمونولوج.^(١)

(١) ينظر: تحليل النص السردى، تقنيات ومفاهيم، (مرجع سابق)، ٤١.

المبحث الثالث: أنماط السرد وتشكلات السياق الاجتماعي:

للقصة القصيرة تقانات متنوعة تنظّم المبنى الحكائي للقص ولا بد من استخدامها -بعضها أو معظمها- لأنّ التقنية هي الوسيلة التي توجد في متناول المبدع ليكشف عن إبداعه الخاص، أو الوسيلة التي يتوفر عليها للتأثير في الجمهور".^(١)

وتتنوع تقانات القص تبعاً لتنوع زوايا الرؤية الفنية، كما تخضع لتباين مهارات الكتاب ووعيمهم ومدى قدرتهم في توظيف هذه التقانات ووسائلها، ولأنّ القصة ذات قيمة اجتماعية) أولاً يليها البنية الفنية فإن تنوع وسائل تقديمها أمرٌ يُقوم العمل الأدبي ويشكّل له هيئته النصية، وبه تمتاز التجارب وتتفرد الخصوصية الإبداعية.

يشكّل السرد البنية الأساسية لقوام العمل القصصي، فهو الناقل للأحداث من صورتها الواقعية إلى صورتها اللغوية^(٢). وكل قصة تتضمن حكايةً، فالسرد هو الطريقة التي تُحكى بها تلك القصة، ذلك لأنها يمكن أن تحكى بطرق متعددة، ولهذا السبب فإن السرد هو الذي يُعتمد عليه في تمييز أنماط الحكى بشكل أساسي.^(٣)

وستتناول الدراسة أنماط السرد وأساليبه التي يُقدم من خلالها القاص مضامينه القصصية ودراسة علاقتها بالشخصيات والأحداث، بعين (الراوي السارد) الذي يرتب أحداث القصة ويحدد زاوية الرؤية، كونه من العناصر الأساسية في بنية القص، والأقرب في علاقته بالشخصيات والأكثر إحاطة بالوقائع والأحداث التي يتكون منها فضاء القص في الخطاب السردى.

كما أن اللغة السردية القصصية يمكنها أن تشمل أي موضوع اجتماعي فالشخصيات ينسجها الكاتب من الواقع كنماذج إنسانية مهمومة دائماً بقضايا

(١) جينيت، جيرار وآخرون، نظرية السرد من وجهة النظر إلى التبيين، ت: ناجي مصطفى،

(منشورات الحوار الأكاديمي، الدار البيضاء، ط١، ١٩٨٩م)، ٨٠.

(٢) ينظر: إسماعيل، عز الدين، الأدب وفنونه (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٧٦)، ١٨.

(٣) ينظر: البناء الفني في القصة القصيرة عند محمد الشقحاء، (مرجع سابق)، ٦٤.

الحياة الاجتماعية وصراعاتها اليومية وإرهاصاتها في لغة حيوية ودقيقة تسهم في توصيل رؤية القاص الفكرية والإبداعية والتعبير عن تفصيلات مواقفه الاجتماعية.^(١) وسنقصر الدراسة على الأنماط السردية ذات العلاقة المباشرة بالشخصية وفضاء المكان؛ لأنها - من وجهة نظر الدراسة - الأظهر للسياقات المجتمعية المشكّلة للأحداث داخل القصة عند الكاتب إبراهيم شحي، ولأنهما - الشخصية والمكان - لا يخرجان عن دائرة التفاعل المستمر، ولا يمكن القول بفصلهما عند الحديث عن حركة الشخصيات وكلاهما يخضعان لعملية التأثر والتأثير، مما يؤدي إلى خلق عالم قصصي يلبي هدف السارد.^(٢)

وتظهر مسارات السرد في المجموعة في سلسلة من العلاقات المتشابكة المتصلة/المنفصلة التي تكتب بأنماط سردية تقدم البنية الحكائية في صور من التعبيرات والتأويلات في القصص المجسّدة لأبعاد واقعية وأخرى متخيلة حتى تكاد تتماس مع الواقع لتشكّل نسيج الأحداث المتنامية في كل قصة من قصص المجموعة؛ فالسياقات المجتمعية تسهم في توليد الحكاية وملاعبة الأزمنة الثلاثة، والضماير الثلاثة، وتوظيف شخصية الراوي، وكل ذلك يعضده الخيال الخصب.^(٣)

١- مستويات السرد وأنماطه:

تتناول هذه النصوص القصصية المتفاوتة في الأجناسية النصية بين القصة القصيرة والقصة القصيرة جدا - التي تلعب فيها الحكاية دوراً رئيسياً - عرض الفعل ورد الفعل والحسد والواقع والتجربة الذاتية لبعض الشخصيات التي تروي الأحداث،

(١) ينظر: الصوفي، مصطفى محمد، قضايا وهموم الحياة الاجتماعية في فن القصة الخليجية "مجلة

الجوبة، ع ٤٦، مركز عبد الرحمن السديري الثقافي، ٢٠١٦م، ص ٤٤

(٢) ينظر: المحاسنة، شرحبيل، المكان الروائي ودلالاته، مقال منشور في موقع رابطة أدباء الشام،

١١ شباط ٢٠٢١، <http://www.odabasham.net>

(٣) ينظر: سليمان، نبيل، الكتابة والاستجابة، (دمشق: منشورات اتحاد كتاب العرب، ط ١،

٢٠٠٠)، ٣٥٢ (بتصرف)

وتصف تشظي العلاقات فيها والمتخيلات التي تتجلى في نصوص وتخفت في أخرى. كما تتناول بعض مستويات السرد التي تشكلت من خلالها السياقات الاجتماعية وأبعادها من خلال العلائقية الخاصة الرابطة بينهم القائمة على قوى الاستلاب الذاتي والمجتمعي المتجسد في قصص المجموعة المنشغلة بالهم الاجتماعي. وتعاور الشخصيات بين النوازع الذاتية والانعكاسات الممارسة عليها لتتقلب بين المشاعر المتناقضة التي تنعكس . سلبيًا أو إيجابيًا- على الذات والآخر؛ كالخير والشر، والعاطفة والعقل، والحب والكره، والقوة والضعف، والطموح والخذلان، والسلطة والقهر، وما يتجلى فيها من علاقات إنسانية في إطار الذات والأسرة والأصدقاء والعمل، كلها أفضت إلى تصوير الواقع الاجتماعي وهمومه وعبرت عن آمال وآلام شرائح مجتمعية ركزت عليها قصص المجموعة وأنتجت دلالاتٍ عبّرت عن الهموم الاجتماعية والاقتصادية بهدف الانتقاد المؤدي للتغيير.

ومن خلال العلاقة الحميمة بين السرد والشخصية تقدّم في فضاء قصص المجموعة من عدة زوايا في تشكيلات موجهة منها تقديم الشخصية لنفسها، تقديم الشخصية سواها من الشخصيات الأخرى، يقدم الشخصية سارد آخر، مع الاتكاء على مكونات السرد الأخرى لاسيما التي يعوّل عليها للغوص في الذات الإنسانية وكشف وتحمل القصص أشكالًا مختلفة من السرد تعود إلى تباين التجارب الحياتية وتعقد العلاقات الإنسانية الملتبسة بالأماكن والدائرة في مجال الزمن بدوائره المتعاقبة الماضي، والحاضر، والمستقبل، فجاءت متباينة بين نص وآخر، حينًا يأتي بصيغة (الأنا) وكأنه استبطان داخلي للشخصية وحينًا يأتي بصيغة ال (هو) حين نكشف عن ملامسات عصف المجتمع بالشخصية، وهذا ما يضيف على الشخصيات تنوعاً في مداركها التي تختزل أحياناً الزمن ليبدأ مكثفًا حتى النهاية، وفي نصوص أخرى ينتهي حيث البداية.

وحيث أن المبحث السابق تناول تحليل القصص من خلال الشخصيات وعلاقتها الاستلابية في دائرة الفرد والمجتمع، فإن هذا المبحث سيحاول تركيز الضوء على مسار السرد في قصص المجموعة المتشكلة من السياقات المجتمعية في أنماط

السرد، ويليهِ فضاء المكان كونه ذا علاقة وشيجة بالشخصية، وارتباطهما بتيار الوعي المشكّل للحوار الداخلي المستبطن لأغوار الشخصيات المستتلة من خلال ثيمة المونولوج.

وكثيراً ما يستخدم القاص ضمير المتكلم كراوٍ بحيث يتساقق بطل القصة مع السارد ليشكل سرداً معرفياً يحاكي سير الزمن والحدث من بدايته حتى خاتمته. وهو يواشج بين السرد الذاتي الكاشف للأحداث من وجهة نظر البطل مع تقانة الوصف المرتكزة على لغة تحفل بالصور والتشبيهات والمتناسات. وبين السرد الموجّه لحركة الأحداث من خلال السارد العارف الذي يرصد الواقع الاجتماعي في بنية سردية حوارية تعمق الموقف وتشكل الوعي.

وقد اعتبر بعض النقاد أن "السرد المعرفي الإخباري" يعد من الأنماط التي تعيق تطور القص، ويترك القصة في زاوية رؤية وحيدة مما يقلل من إمكانية بناء عمل قصصي متقن^(١)؛ إلا أن القاص إبراهيم شحي تغلب على هذا الخلل الفني في مجموعته القصصية بموقفه من شخصياته، وتحريكها تبعاً لمسار الحدث مع المحافظة على المسافة بينه وبين شخصيات أبطاله^(٢)، عن طريق نظرتة للأحداث من الأعلى من زاوية نظر عامودية بمسافة فاصلة تفصله عن الشخصية المقدمة، بإثبات كينونتها الواقعية، حيث يحرك الشخصيات والأبطال، ويدير البنية القصصية، ويشكلها تشكياً بمنحها الحركة والاستمرارية بتقانة اعتمدها تتمثل في السارد الموضوعي " حيث يكون الكاتب مضطلعاً على كل شيء حتى الأفكار السرية للأبطال كما يقول توماشفسكي"^(٣).

واستخدام الكاتب لهذه التقانة السردية ليثبت لشخصيات القصص إحاطتها

(١) ينظر: البنى السردية، (مرجع سابق)، ١٥.

(٢) ينظر: قاسم، سيزا، بناء الرواية: دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٤م)، ١١٣.

(٣) ينظر: البنى السردية (مرجع سابق)، ٢٠.

بتفاصيل الواقع حولها، واستبطان دواخلها وسرد همومها وآلامها وآمالها، ليتشكل المسار الاجتماعي المتمظهر في صيغة السرد التي اختارها لتقديم شخصياته، فيتجلى عنده السرد في **نمطين**: (١)

١- الأنا المشارك: الذي يبرز دور ضمير المتكلم حيث يتساوى السارد والشخصية الرئيسية في وصف الحدث، وهي تظهر في القصص التي تمثل استلاباً شعورياً تفرضه الظروف المحيطة بالشخصيات، فتخلق حالة توهم بتصديق الظروف التي فرضت الاستلاب الذاتي الشعوري، ويعتمد فيها على لغة شعرية -غالبا- مطعمة بالتناصات الغنائية والعاطفية ذات البعد الذاتي. ومن قصصه على سبيل المثال: هشيم المتقلب/ السفر إلى التعب/ فاطمة في بيتنا/ كابوس الوظيفة/ حرائق متسول للمعيشة. والمتكلم في النصوص هو البطل فيصف حالته النفسية وما يعترها من مشاعر التردد أو الألم أو اليأس والإحباط، فمصدر المعلومات عن الشخصية يتم من خلال المنظور الذاتي متمثلا في تشكلاته من "الصفات الخارجية والصفات النفسية والصفات الاجتماعية". (٢)

٢- السرد بالمعرفة الكلية المحايدة: حيث يجري السرد بضمير الغائب فلا يتدخل الكاتب أو يتحدث بشكل غير شخصي، ويتم تقديم المعلومات من خلال "السارد الغائب العالم بكل شيء" (٣)، ويتجلى في القصص ذات البعد الاستلابي الخارجي، ويتولى ضمير الغائب السرد، ويقدم وقائع محيطة بالشخصيات التي فرض عليها استلاباً ممارساً بقوى قهرية. والراوي يعرف حقيقة الموقف القصصي وأحداثه المتوقعة، معتمدا تقانة الحوار وحركة الأفعال لإظهار المشهد، وهذه هي المعرفة الكلية. وهي الأغلب في قصص المجموعة، ومن قصصه: قطوسة/ المتبرجة/ لوحة الغلاف/

(١) اعتمدنا على الأنماط التي حددها "نورمان فريدمان في دراسته لأنماط السرد التي تظهر في

صيغ تقديم الحكاية، ينظر: نظرية السرد، ص ١٤.

(٢) تحليل النص السردية، (مرجع سابق)، ص ٤٥.

(٣) المرجع السابق، ٤٧.

صدأ اللون الرمادي/ السعي إلى الحثف/ سعوط الوهم/ طلعة الشميسي/ الشاعر/ ما وراء الأنفاق...

ومنها على سبيل المثال قصة (الشقة الخامسة) وفيها استحكم السرد على حركة الأحداث في تواليات تعاقبية (يركب، يتجه، سأل، يجيب، يصعد، يلوذ) تقود إلى مجمل الحدث/ النتيجة التي قدمت التطورات الحكائية في لغة النص، لتصل إلى النتيجة الحتمية وفق المعرفة الكلية بتسلسل الأحداث.

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المبحث، أن الكاتب اعتمد على تقانة (القص السردى المباشر) في شكل ساردٍ مطلع ومراقب حيناً، و راوٍٍ عليم بكل الأحداث أمامه حيناً آخر، و لوقوف الدراسة عند السياقات المجتمعية وتشكلاتها وتأثيراتها جعل تركيزها ينداح لبنية السرد ومساره في النمطين المشار إليهما دون غيرها ، بينما استطاع الكاتب- في جوانبٍ أخرى- توظيف عددٍ من الأنماط السردية في مجموعته، والاتكاء على تقانة التجريب والرمز، وتفاوت البناء السردى بين القصر والطول، والشكل القصصي الأجناسي، وقدرته على التماهي التام مع الشخصيات باعتماده ضمير المتكلم المؤطر بالرمز، الذي منح بعض قصصه بنى سردية تميل إلى التعقيد تحتاج إلى دراسة مستفيضة تواجه النص من داخله^(١).

ومما تجدر الإشارة إليه اتكاء معظم القصص على الوصف السردى والحوار لإبراز الحدث، ومواقف الاستسلام والخنوع، لسلطة الاستلاب الخارجى أو الذاتى، وتصوير الواقع الاجتماعى في فضاءات المكان (القرية/ المدينة/ أماكن العمل/ المنزل). كما يطرح الكاتب بعضَ النماذج المتخادلة / المستسلمة لواقعها وهي تقابل النماذج المتمردة والرافضة. فالكاتب يقدم هذه النماذج مختزلاً كوامنها باستخدام الحوار، سواء على هيئة مونولوج يستبطن دواخل الشخصيات أو على هيئة سرد يعمق الأحداث،

(١) انشغال هذه الدراسة بالتركيز على السياقات المجتمعية ودورها الرئيس في تأثيرها على الذات صرفها عن تقانات القص الأخرى مما يتيح قيام دراساتٍ أخرى حرية تناول هذه التقانات بصور أكثر شمولية.

وفي بعض النواحي يعمق الموقف القصصي .

ويتمثل في قصص المجموعة بساطة الطرح القصصي حتى تقارب الأحاديث الإنسانية فتحمل الهموم والمشاعر بلغة الحوار الذي غالبا ما يكون في الحقيقة بين النماذج الإنسانية. وفي بعض القصص نلاحظ خلو عنصري الزمان والمكان لكنها "تحتوي قابلية التحقق ليس فنيا فقط بل وواقعيا وهذا من خصوصيات الفن الحقيقي".^(١)

كما تحمل قصص المجموعة عناصر (الدهشة والمفاجأة) وتنمو الأحداث فيها باتساقات تجاه المشهد القصصي. وتنطوي بعض القصص على مشاهد متعددة لحدث نامٍ متطور كما في قصة (الشقة الخامسة وصدأ اللون الرمادي)، أو مشهد واحد تتعدد أحداثه وتتلاحق كما في قصة (طيور الصريم).

وتحفل قصصه بلغة شعرية في بعض النصوص ولغة تناصية - إن صح التعبير - كما يتجلى اهتمامه باللغة المتناسكة في ارتكازه على الجمل الفعلية التي تسير حركة الحدث للوصول إلى أعماق الذوات الإنسانية في لحظات ضعفها وتمهيتها مع الاستلاب الممارس عليها. وتميل لغته إلى الدقة في التعبير والوصف مع ميله إلى الاستطراد حينما يعتمد المترادفات، وأسلوب التداعي الذي يتجلى في الفراغ العاطفي والمشاعر المكبوتة والخيالات الحلمية.

٢- السرد وفضاءات المكان:

يتميز المكان في بنية السرد القصصي باعتباره عنصرا من أهم عناصره البنائية، وتظهر وظيفته في تقديم الحدث وفق رؤية الكاتب الفنية والجمالية، وفي دلالاته الاجتماعية المشكلة للأحداث ليكون المكان " الكيان الاجتماعي الذي يحتوي على خلاصة التفاعل بين الإنسان ومجتمعه، ولذا فشأنه شأن أي نتاج اجتماعي آخر

(١) البنى السردية، (مرجع سابق)، ٢٣٧.

يحمل جزءاً من أخلاقية وأفكار ووعي ساكنيه".^(١)

من هنا لم يكن فضاء المكان عابراً في هذه المجموعة؛ بل عمد الكاتب إلى توصيفه بدقة وتكثيفه في نسيج النص، بحيث يتماهى مع الزمان والشخصيات والأحداث، ويتجلى بصورة أوضح في قصصه التي اتخذت المكان إطاراً لها ومن ذلك قصة (المواسم وطلعة الشميسي).

ومن خلال تحليل عدد من قصص المجموعة يتراءى حضور الفضاء المكاني في عدد من المحاور، منها: اختزال علاقة الإنسان بالمكان حتى التوحد به؛ وعلى وجه التحديد (تأتي القرية) التي تشكل الشخص، وتختارها لتزج بها في دهاليز الواقع / الحاضر حيناً، وفي الواقع / الماضي حيناً آخر.

ومن هنا تجسد رؤية الكاتب بطرح صور لتناقضات متعددة تمثل تجارب حياتية متنوعة يتشكل بعضها في المكان، مثل قصة (الشقة الخامسة)، وقصة (طيور الصريم)، وإن كانت تلتقي بعضها في ثيمة محددة رابطة لهذه التجارب تنداح في هذه الدراسة تحت الاستلاب المجتمعي وسياقاته. وهو يريد تسليط الضوء عليها من خلال الفضاء المكاني؛ فحيناً تبدو الشخصيات ذات هدوء وخواء في بعض النصوص، وفي أخرى تحمل عنفاً وألماً تتفاعل في تأجيجه الشخصيات مع الأحداث المرسومة في عدد من الأماكن التي يهتم المؤلف بتصويرها وتحديد كينونتها، مثل القرية، رمال الدهناء، السيارة، المكتب، أماكن العمل. وقد تجتمع فضاءات المكان وتوصيفه بمهارة عالية كما في قصة (لذة الأمكنة).

إن الرؤى المكونة لشخصيات المجموعة تحمل تحولات اجتماعية مختلفة يحظى المكان وطبيعته بجزء مهم منها، كذلك يقدم دلالات موحية تتشكل من خلال عرضها معاشات الشخصيات لتوحي بمناقضات الضجيج الداخلي، والصمت المحيط بها خاصة عند تصوير الفضاء المكاني.

(١) النصير، ياسين، الرواية والمكان (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ط ١، ١٩٨٦)، ١٦ -

ويعد فضاء القرية / الريف من المحاور الرئيسة للمكان في نصوص المجموعة، ويكشف في بعض تجلياته عن سلوك الشخصيات في توحدهم مع المكان من خلال تماهي هواجسهم ومشاعرهم وخيالاتهم؛ فتظهر الشخصيات متمسكة به حتى لو غادرت؛ بل إن البعض يتوق إلى العودة. ويتموّه في فضاءٍ يعبق بالإحساس العالي المستدعي للذاكرة لاسيما ذات الإحساس الجمعي، وهي تتمظهر في "الراوي العارف" المظهر للصور المتلاحقة للمكان في قصص المجموعة ليس في هيئة ذاتية التصور، بل في دلالات جمعية الوجود بشكل يتوافق مع الاستعادة السردية التي تبحث عن الهوية المعتدلة أو الوجه الحقيقي.^(١)

ومن هنا كانت طبيعة المكان / الريف تتمظهر - بصورة أكبر - في العلاقات الإنسانية لساكني هذا الريف، والحالات النفسية المتأثرة ببعيته الخاصة به. ففي بعض النصوص نجد أنه هو بطل النص تتنامى فيه الأحداث، وتدور فيه ممارسات الشخصيات داخل ذواتها وخارجها في تفاعلها مع الواقع المعيش فيه، نجد في بعضها عنفوان ومشاعر متأججة، وبعضها يميل إلى الرتابة والسكون.

إن تجلّي الريف في نصوص المجموعة يذكرنا بمقولة "جورج صاند" عندما رأت وجه الحياة تمضي وهي جالسة بجوار طريق أصفر رملي " أي شيء أجمل من الطريق؟ " إنها صورة ورمز لحياة نشطة."^(٢)

وهذا يتمثل في قصة (طيور الصريم)^(٣) حيث تبدّى فيها الحياة النشطة في الريف حين تعلقو قيمة العائلة وقيمة العمل في مواسم العطاء التي يتجلّى فيها البذل على حساب التعب، فمهما أدت الصور السلبية التي قدم بها القصة في مواسم العمل (ليست الثارة وحدها هي ما يسلب سواعد الرجال عنفوانها.. ولا الحضارة ما

(١) ينظر: عبد النبي، إشراق سامي، السرد الاستعادي في رواية غراميات الأعشى لبدرية البشر

"مجلة الخليج العربي مج ٤٧، ع ٣-٤، كانون الأول لسنة ٢٠١٩"، ٩٠. (بتصرف)

(٢) باشلار، جاستون، جماليات المكان، ترجمة: غالب هلسا (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط ٢، ١٩٨٤)، ٤١.

(٣) شحي، حواف، ٧١-٧٤.

يجعل ظهور النساء محدودب من حمول القصب، بل إن التعب المعتاد يتتابع كتتابع فصول السنة، فلا تكاد تلفظ سنة أنفاسها حتى تلد من رحمها أخرى بذات التعب).

ومع تداعيات مشاهد العمل الزراعي الجماعي الذي يقدمه الكاتب في تفصيلات في غاية الأهمية (بذر المزارع/ الحقول/ العسافير/ العذوق التي تنتظر القطاف/ أيام الحصاد/ السيول/ موعد الصريم/ الطيور المهاجرة/ نصب المزويم)؛ مكونات بنائية ودلالية (مكانية وزمانية) عضدت صورة المكان المقدمة في هذا النص، فالقصة تقترب من تخوم الواقع بسرد الأحداث بواقعية لأن " المكان هو الذي يكسب القصة المتخيلة مظهر الحقيقة"، وجسدت مشاهد حية ومؤثرة فيها شيء من مظاهر الاستلاب استلاب الفرد تجاه المجموع، وتكالب السلطة على الذات (سلطة الأب/ العمل/ البيئة) بدءاً من أوامر الأب التي تستلب من الأبناء لحظات الراحة (نلبس حزننا المعتاد بسبب العناء الذي يلحق بنا وبالثيران التي تجر المحراث، فلا قيلولة، ولا فيلولة، بل نهارات قيظ تقشعر له أبداننا، وتتفطر منه أقدامنا التي يحل شقوقها التراب) لاشك أن صورة التعب جسدها في هذا المشهد المؤثر الذي يكشف عن قيمة مركزية مهمة وهي قيمة العمل الدؤوب مهما كان شاقاً، وقدمها في النص في مشهد (صراع على الحياة لأجل الحياة)، لأن التراخي يؤدي للوقوع في براثن الجوع والحاجة.

ويجسد الكاتب تفاصيل وطأة العمل القاسي على النفس وعلى الجسد (الاصابع الممزقة بفعل المناجل، والأرجل الدامية بسبب ملامسة جذوع الذرة الحادة المتشوقة لإدماء الأقدام الحافية التي لم تعرف الأحذية).

استخدام الكاتب لهذه العبارات أدت إلى إدراج الحوار في السرد وملء الثغرة بينهما" والراوي في القصة هو المقدم للأحداث التي تكشف عن شمولية معرفته بالواقع المعاش فيها، وإن كان النص مشحوناً في بعض مقاطعه بذاتية الراوي المهمشة والسلبية التي ارتبطت بالمكان فركز على تعميق ذاته المستلبة تحت سلطة الأب الحازمة (يصدر أبي أوامره، كان أبي يمتلئ غيظاً، يوسعنا لوماً على تقصيرنا، أمي حذرته

من غضب أبي)، ويتمظهر دور الراوي في القصة باستعمال ضمير المتكلم الجمعي دون المفرد الذي يقصره على السلطة الأعلى في النص وهي السلطة الأبوية القهرية. ويلحظ على قصص المجموعة التي تدور أحداثها في فضاء القرية ارتباطها بثيمة العمل، وأثره في استلاب الذات، فقصة الثوب الرمادي كان العمل المضني سببا في استلاب أحلام العمر، وفي قصة (مؤنس) كان العمل من أسباب الموت غرقا في السيل، وفي قصة (عقاري) كان العمل من أجل المال ولو بالطرق الغير مشروعة؛ ولعل تقديم هذه الصور فيه إشارة إلى أهمية أن يتدارك الإنسان حقيقة وجوده في الإيمان المطلق بالقدر المكتوب، ثم السعي وسع الطاقة ولكن بعقلانية وتفكير في الأسباب والمصير. كما ترتبط القرية بمشاعر الفقد والحنين؛ "لأن كل الأماكن ما هي إلا لحظات هاربة تتجمع في بؤرة الذاكرة نستعيد منها ما كنا فيه وما حدث في هذه الأماكن، وكثيرا ما يلعب المتخيل دوره في تأطير المكان".^(١)

في قصة (اغتيال الحب) تظهر القرية التي ابتعد عنها مخيرا، وحين اختار البعد أعاده الحنين، وإحساس الفقد الذي سيطر على وجدانه فلم يبق له إلا تهجي عبارات الشوق المدونة في أخايد الأيام الغابرة!

كان ابتعاده اختيارا وكانت عودته اختيارا كذلك، غادرها شابا فتيا وعاد إليها وهو يقرأ في تجاعيد جبهته الدنو من النهاية، ويتجلى له ما تبقى بعد قصة حب مُغتالة فليس سوى (الوطن ذلك الحلم في تفكيره مائل في قريته التي أبعدهته بالحب، تدعوه للحب، يجمع أسمائه ولسان حاله يقول (ومن الحب ما قتل) ليتعاطى العشق من جديد.. لكن في كنف القرية هذه المرة، يحضنها وتحضنه برغم رعشة قدميه، وجفاف ذاكرته من كل الأشياء إلا من اغتيال الحب على يد سحابة صيف).^(٢)

وفي قصة (لذة الأمكنة)^(٣) يتجلى السياق الاجتماعي الذي يربط المكان

(١) تجليات روائية، (مرجع سابق) ٢٢٧.

(٢) شحجي، خواف، ٢٣.

(٣) المرجع السابق، ١١١-١١٢.

بالمشاعر، فالحب يتجلى في زواياه ليحس به، تجسده الحواس رؤية ورائحة وإحساس (شعرتُ أنني عبرت من هنا قبل هذه المرة، للمكان ملامح أعرفها تماما، له رائحة دلفت إلى حاستي) هذا الشعور ما يلبث أن ينقضه لشدة تأثير المكان المستلب (لكني متأكد أن ذلك لم يحصل فالأمكنة ربما تشابهت في شكلها ورائحتها، أصابني حسرة نغزت قلبي.. تساقطت دموعي، حالة أصبحت أعانيها طالما أرقنتي بسبب كثرة ما أتذكر من مواقف وأمكنة)

يبدو تأثير المكان متجليا في هذا النص، فهو بطل القصة والرباط بين شخصياتها، ويُسقط الراوي مشاعره وأحاسيسه على بُعدي المكان (الاجتماعي والنفسي) فيظهر تفصيلاته الاجتماعية في المكان العام بنطاقه الواسع والخاص بنطاقه المحدود (مرت بنا المنازل والشوارع والحدائق، مرّت الغرف والأجهزة والمخابز والمقابر، مرّت بنا السيارات والخيول والجسور والحواري، ومرت بنا صنوف الأطعمة والأشربة والفواكه والروائح، مرت المدن والوجوه والشتائم والمدائح) أما الأثر النفسي يتجلى في قوله: (كل شيء مر بنا ونحن في جدال ذهبنا جميعها وبقي مكان واحد، ورائحة واحدة، كلما ذكرت أحدهما استدعى الآخر وتلبستني اللذة!) هذا الجدال الذي أنهى مشاعر الحب الذي يُكنّه لابنة عمه سنوات برفضها لهذا الحب، تتجلى تأثيرات هذا المكان في اللاشيء، وتسرب المشاعر التي عاشها في قلبه، وقوة الاستلاب الذي مُورس عليه باختيار الرفض وتفضيل غيره عليه، (لست من اخترته، سيطرت على المكان رائحة غبار الدهناء مخلوطة برائحة عطور ثمينة مجلوبة من شارع الثميري) ذكره لسبب الرفض أراد به استشفاء قلبه، حيث أردف السبب والنتيجة ليظهر البعد الاجتماعي في جانبه العائلي الذي لا يمنح كل الاختيارات دوما (أخذتني المفاجأة حين رأيت ذلك الشاب الوسيم الأنيق فغفرت لها رفضي لي، وباركت زواجهما، لكنني لم أعد أراها أو أسمع عنها منذ ذلك اليوم.. نسيت ملامحها.. وبقيت لي لذة الأمكنة) فأوصله لحالة تناقض شعوري واستلاب لحظي للذة التي كلما عاشها (حالة أصبحت أعانيها طالما أرقنتي بسبب

كثرة ما أتذكر من مواقف وأمكنة، لماذا هذه الدموع التي تجبرني أن أتوارى عن الناس؟) فالفضاء المكاني في نصوص المجموعة لاسيما المتعلق بفضاء القرية لا يشكل " بقعةً مادية فحسب، إنه تركيز عاطفي ومركز جذب أثيري، ومنهل للذاكرة، وامتداد للخيال، وهو ما يضفي الجمالية والألفة أو العكس، فهو استشفاف عاطفي أكثر من كونه قيمة مادية" (١)

ومما يمايز فضاءات المكان في نصوص المجموعة تلاشي ظهور المدينة أو الظهور الصامت لها. فلا تظهر إلا في هيئات محددة تلمح مع شخصيات المدينة.

من هنا يتمظهر الفضاء المكاني - في بعض قصص المجموعة - متعاددا مع الزمن والحدث والحوار، فالحدث ركيزة أساسية يجري فيه السرد بفاعلية تجليها الحكائية، ويبرز قدرة الكاتب في اقتناص كينونة الحدث التي "تخول للمكان أن يعرب عن فاعليته في توجيه حركة الشخصيات ومنح الأشياء فيه دلالات جديدة" (٢) واستخدام لغة حوارية كاشفة عن السياق الاجتماعي المشكل للاستلاب الواقع على الذات فرديا أو مجتمعا.

(١) أبو ندى، وليد محمود، المكان في رواية البيارة الضائعة " مجلة الجامعة الإسلامية، مج ١٩،

ع ١٤، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية- غزة، ٢٠١١، "، ٩٣٢.

(٢) السلامي، عبد الدائم، هندسة المكان الزائل في المتخيل الروائي "المدن، جريدة الكترونية

مستقلة ٢٠٠٥/٨/٢١، نقلا عن استعادة السرد الروائي في رواية غراميات الأعشى، ٩١.

الختامة:

قاربنا في هذه الدراسة السياقات الاجتماعية ودورها في استلاب الذات في القصة القصيرة، في عددٍ من قصص مجموعة "خواف" للأديب إبراهيم شحي، بآليات اعتمدت التحليل النقدي وفق منظور منهجي ارتكز على إجراءاتٍ تبنت دراسةً القصص لتقديم رؤية نقدية ذات أبعاد منهجية اجتماعية، ونفسية، وتأويلية، منطلقها الأساسي بيان أثر الاستلابات الذاتية والجمعية وتأثيرها النفسي والاجتماعي، وتمت معالجتها في الدراسة من خلال عناصر الشخصية والسرد والمكان، ثم حاولت الكشف عن أسبابها من خلال التحليل التأويلي للقصص، وأفضت للنتائج التالية:

١- ارتبط الاستلاب في القصة القصيرة - مدار الدراسة - بعدد من الصور المتشكلة في سياق القهر الاجتماعي، والإحباط، وفقد الثقة بالذات، والخضوع للآخرين، وسلب الرأي والكيان والذات الإنسانية المتأثرة به، والمؤثرة في نفسها وغيرها، في عدد من الصور التي أظهرتها الدراسة من خلال التحليل النصي لقصص المجموعة التي تشكلت بين القصة القصيرة والقصة القصيرة جدا.

٢ - الكشف عن أثر السياق المجتمعي في جانبه الاستلابي، ودوره في تشكيل الشخصيات بالبحث في غورها الإنساني من خلال التأثير والتأثير، وانكشافات الاستلاب (الفردية-الجماعية).

٣ - تظهَر الاستلاب في قصص المجموعة، فتجلى في العلاقات الإنسانية، وأنماط السلوك، والمجتمع وما فيه من علاقات ودلالات اجتماعية مُحيَلة إلى مضامين اجتماعية وإنسانية "ذات تشكيلات فنية قصصية حديثة"^(١)، لمسناها في تجربة القاص إبراهيم شحي ونصوصه بشكلٍ لافت.

٤ - أتت السياقات الاجتماعية في أنماط، تتمظهر في سمات وشخصيات

(١) قضايا وهموم الحياة الاجتماعية في فن القصة الخليجية، (مرجع سابق) ٤٥

القصص حيث تأسس بعضها على السردية الوامضة لها لحظة بداية وبنهاية مفتوحة؛ كما تتميز بتقاطعها مع أحداث مُعاشة، وهي مع عنصر المكان أكثر جلاءً وتمظها.

٥ - ظهر اعتماد الكاتب على التقانات الفنية التي قدمت البنية السردية من خلال عناصر بنائية متعددة منها عناصر داخلية وعناصر خارجية أطرت منه القصصي، وقد اقتضت طبيعة الدراسة على العناصر الأقرب . من وجهة نظرها . والتي يتكئ عليها السياق الاجتماعي المؤطر للقيم وأسلوب الحياة وسلوكيات الأفراد فيه.

٦- تجلّى السرد كتقانة بنائية له وظيفته الفنية والرؤيوية في بنية القص، باعتباره الأقرب في علاقته بالشخصيات، والأكثر إحاطة بالوقائع والأحداث التي يتكون منها فضاء القص في الخطاب السردية.

٧- ظهر المكان في القصص متعاضداً مع الحدث والشخصية، وكان أكثر فاعلية مع حركة الشخصيات التي تنامت في إطاره، كما تميز بالحضور الفاعل في بعض النصوص وضبابيته في بعضها.

٨ - برزت ظاهرة هامة تمثلت في الابتسار في الحوار، وإيجازه في بعض الأحداث، فغالب الحوارات خارجية تمتزج بوصف الشخصية أكثر من التعبير عنها، حيث تبرز تقانة "المونولوج" مع السارد الذاتي، أما "الحوار الخارجي" ذو الوصف العميق المبدئي للرأي وتحديد وجهة النظر، لا نجد كثيراً في قصص المجموعة، وربما هي تقانة تجريبية من الكاتب كونه لا يريد التعبير المباشر عن موقف أو معارضة أو التزام، فلم يقدم حواراً مركباً، وهذا تعوزه الدراسة إلى أجناسية القصة والقصة القصيرة جداً، وربما لأن "الحوار المركب حوار عميق يستدعي الشرح والتأويل، ويعتمد الحجة والبرهان، ويهدف إلى

الإقناع، وإثبات وجهة نظر، - كونه . يبرز الحجة والأسلوب." (١)
٩ - إن بنية القصة لا تحتل تجاوز هذه الحدود؛ فاكتمل السارد بالحوار الواصف
للشخصية والمكان التي تناولتها الدراسة في السياقات الاجتماعية فحسب،
ورصد المشاعر والأحاسيس في ضعفها الاستلابي، وإظهار مرآتها المنعكسة
في عالم القصة؛ ولأن الحوار " أداة طبيعة في رسم الشخصيات والكشف عن
طبيعتها وموقعها فضلا عن شرح الأحداث وتطويرها " (٢)؛ مال الحوار واللغة
في القصص- في معظمها - إلى الصور الشعرية والتناسلات برؤى جمالية
وذائقة فنية عالية.

١٠ - مالت القصص إلى إظهار الشخصيات في صورها الحياتية الاجتماعية في
بيئتها الريفية أو المدنية ووقع فعل الاستلاب عليها، وكشفت الدراسة عن
تأثيره في الأفكار والسلوك والممارسات، وأثره المنعكس على هذا المجتمع
وأفراده.

وتأسيسا على ما سبق، يبقى في مكنون القصص بعض ما قيل والكثير مما لم
يُفصح عنه، ومثل هذه الأعمال لاتزال حفيةً بالتناول، ولا تخضع لمقولة المقاربة
الواحدة؛ بل هي قابلة لتعدد القراءات والمقاربات المنهجية المتباينة الأبعاد؛ للخروج
بتفسيراتٍ مغايرة تمنح الأدب حياةً فوق حياة.

(١) الواحاتي، محمد رمضان، توظيف لغة الحوار في بنية الخطاب السردية، (كتاب منشورات

المؤتمر الثاني للقصة، مصر، ٢٠١٤)، ص ٢٠٩.

(٢) إبراهيم، عبدالله، البناء الفني لرواية الحرب في العراق، دراسة لنظم السرد والبناء في الرواية

العراقية، دار الشؤون الثقافية العامة، ط١، بغداد، ١٩٨٨.

المصادر والمراجع:

- إبراهيم، عبدالله، البناء الفني لرواية الحرب في العراق، دراسة لنظم السرد والبناء في الرواية العراقية، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط ١.
- إسماعيل، عز الدين، الأدب وفنونه، دار الفكر العربي، القاهرة، ط ٢، ١٩٧٦ م.
- أبو ندى، وليد محمود، المكان في رواية البيارة الضائعة، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد ١٩، العدد ١، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية- غزة، ٢٠١١ م.
- بن صالح، إبراهيم، الأقصوة عند الدعجاني، تونس: دار محمد بن علي، ط ١، ٢٠٠٥.
- بو عزة، محمد، تحليل النص السردي وتقنيات ومفاهيم، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت-لبنان، ط ١، ٢٠١٠ م.
- باشلار، جاستون، جماليات المكان، ترجمة: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت-لبنان، ط ٢، ١٩٨٤ م.
- جينيت، جيرار وآخرون، نظرية السرد من وجهة النظر إلى التعبير، ت: ناجي مصطفى، منشورات الحوار الأكاديمي، الدار البيضاء، ط ١، ١٩٨٩ م.
- حافظ، صبري، الخصائص البنائية للأقصوة، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، المجلد ٢، العدد ٤، "يوليو-أغسطس- سبتمبر" ١٩٨٢ م.
- دواق، الحاج، التناقض من مسلووية الاحتواء إلى معقولية التعارف، مقال في كتاب جماعي (التناقض في زمن العولمة) منشورات مخبر حوار الحضارات والعولمة، جامعة باتنة، ٢٠١١.
- دناور، فطيم أحمد، الواقع الاجتماعي في قصص سهام العبودي، دراسة تحليلية، مجلة الآداب، المجلد ٣٢، العدد ١، جامعة الملك سعود، الرياض ٢٠٢٠ م.
- رضوان، عبدالله، البنى السردية، دراسة تطبيقية في القصة القصيرة، دروب للنشر والتوزيع-عمّان، الطبعة العربية ٢٠٠٩ م.
- سعادنة، جمال، العولمة وتوظيف الخطاب المرئي من تحييد الوعي إلى استلاب الهوية، مجلة الأثر، العدد، ٢٤ / مارس ٢٠١٦ م.

- سليمان، نبيل، الكتابة والاستجابة، منشورات اتحاد كتاب العرب، ط ١- ٢٠٠٠م.
شحي، إبراهيم، حواف المجموعة الكاملة، منشورات نادي الباحة الأدبي، دار
الانتشار العربي، بيروت-لبنان، ط ١، ٢٠١٧م.
الصوفي، مصطفى محمد، قضايا وهموم الحياة الاجتماعية في فن القصة الخليجية
"مجلة الجوبة، عدد ٤٦، مركز عبدالرحمن السديري الثقافي، ٢٠١٦م.
عبدالجبار، فالح، الاستلاب، دار الفارابي، بيروت - لبنان، ط ١، ٢٠١٨
عبد النبي، إشراق سامي، السرد الاستعادي في رواية غراميات الأعشى لبدرية
البشر، مجلة الخليج العربي، المجلد ٤٧، العدد ٣-٤، كانون الأول لسنة
٢٠١٩م.
علي، عواد، خصوصية القصة القصيرة وموقعها في نظريات السرد، مجلة أفكار،
عمان، العدد ٢٨٠، أيار ٢٠١٢م.
الغامدي، حنان عبدالله، تحفيز الحلم في الرواية النسائية السعودية، دار الزيات للنشر
والتوزيع، ط ٢، ٢٠٢٠م.
غريماس، آلجيرداس. ج.، جاك فونتين، سيميائيات الأهواء، من حالات الأشياء
إلى حالات النفس، ترجمة وتعليق: سعيد بنكراد، دار الكتاب الجديد المتحدة،
بيروت-لبنان، ط ١، ٢٠١٠م.
الفيصل، سمر روعي، بناء الرواية العربية السورية ١٩٨٠ - ١٩٩٠م، دراسة نقدية،
اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٥م.
قاسم، سيزا، بناء الرواية: دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، الهيئة المصرية العامة
للكتاب، ٢٠٠٤م.
كونيه، زكريا، تجليات الإبداع السردي، الانتشار العربي، بيروت، ط ١- ٢٠١٨م.
مجاهد، فرج، معاناة النفس الإنسانية ما بين اللغة وتقنية القص - أفاصيص محمد
كمال، مجلة القصة، القاهرة، العدد ١٢٧-١٢٦، ٢٠١٦م.
محمد، حسين علي، في الأدب السعودي الحديث، دار النشر الدولي-الرياض،

ط ٢، ٢٠٠٩ م.

النعمان، أحمد بن علي، البنية السردية في قصص إبراهيم شحجي، مؤسسة الحازمي للنشر - السعودية، ط ١، ٢٠١٩ م.

النصير، ياسين، الرواية والمكان، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط ١ - ١٩٨٦ م.

الهدلول، وفاء صالح، البناء الفني في القصة القصيرة عند محمد الشقحاء، جامعة الملك سعود، كرسي الأدب السعودي، الرياض، ١٤٣٥ هـ

هينكل، روجر ب.، قراءة الرواية، ترجمة د. صلاح رزق، دار الآداب، ط ١، ١٩٩٥ م.

الواحاتي، محمد رمضان، توظيف لغة الحوار في بنية الخطاب السرد، كتاب منشورات المؤتمر الثاني للقصة، مصر، ٢٠١٤ م.

يوسف، شوقي بدر، تجليات روائية، دراسات في الرواية العربية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٨ م

Bibliography

- A Critic Study, (in Arabic). Union of Arab Writers, Damascus, 1995.
- ‘Abd al-Jabbār, Faleh, Alienation, (in Arabic). Dār Al- Fārābi, 1st Edition, 2018.
- ‘Abd al-Nabi, Ishraq Sami, The Retrospective Narrative in the Romances of Al-A'sha by Badriya al-Bishr, (in Arabic). Arabian Gulf Magazine, Vol. 47, Issue 3-4, December 2019.
- Abu Nada, Walid Mahmoud, The Place in the Lost Sinkhole, (in Arabic). Journal of the Islamic University, Volume 19, Issue 1, Faculty of Arts, Islamic University- Gaza, 2011.
- Al-Faisal, Samar Rouhi, The Structure of the Syrian Arab Novel 1980-1990,
- Al-Ghamidi, Hanan ‘Abdullah, Stimulating the Dream in the Saudi Women's Novel, (in Arabic). Al-Zayat House for Publishing and Distribution, 2nd Edition, 2020.
- Al-Huthloul, Wafa Saleh, The Artistic Structure in the Short Stories of Muhammad al-Shaqaha, (in Arabic). King Saud University, Chair of Saudi Literature, Riyadh, 1435 AH.
- Ali, ‘Awad, The Specificity of the Short Story and its Position in Narrative Theories, (in Arabic). Afkār journal, Amman, Issue 280, May 2012.
- Al-Numan, Ahmad Bin ‘Ali, The Narrative Structure in the Stories of Ibrahim Shahbi, (in Arabic). Al-Hazmi Publishing Corporation, Saudi Arabia, 1st Edition, 2019.
- Al-Nusair, Yasin, Novel and the Place, (in Arabic). House of Public Cultural Affairs, Baghdad, 1st Edition-1986.
- Al-Soufi, Mustafa Muhammad, Social issues and concerns In art of the Gulf Story, (in Arabic). Al- Jawba Magazinn, Issue 46, ‘Abd al-Rahman Al- Sudairy Cultural, 2016.
- Al-Wahāti, Muhammad Ramadan, Employing the Language of Dialogue in the Structure of Narrative Discourse, Book of Publications of the 2nd Conference of the Story, Egypt, 2014.
- Bin Saleh, Ibrahim, Short Stories of Da‘jāni, (in Arabic). Tunisia: Dār Mohamed Ben Ali, 1st Edition, 2005.
- Blacher, Justin, The Aesthetics of Place, (in Arabic). Translation: Ghaleb Halsā, University Institute for Studies and Publishing, Beirut, Lebanon, 2nd Edition, 1984.
- Bou ‘Azza, Muhammad, Analysis of Narrative Text, Techniques and Concepts, (in Arabic). Divergence Publications, Arab Scientific Publishers, Beirut-Lebanon, 1st Edition, 2010.
- Danauer, Futtaim Ahmad, Social Reality in the Stories of Siham Al-‘Aboudi, An Analytical Study, (in Arabic). Journal of Arts, Volume 32, Issue 1, King Saud University, Riyadh 2020.
- Dawaq, al-Hajj, Acculturation from Alienate Assimilation to Reasonable Acquaintance, Essay in a Collective Book (Acculturation in the Time of Globalization), (in Arabic). Publications of the Laboratory Research of Dialogue Between Civilizations and Globalization, University of Batna, 2011.

- Greimas, Algirdas. J., Jacques Fontanille, *The Semiotics of Passions: From States of Affairs to States of Feelings*, (in Arabic). Translated and annotated by: Sa'īd Benkrad, United New Book House, Beirut-Lebanon, 1st Edition, 2010.
- Hāfīz, Sabrī, *The Structural Characteristics of Short Stories*, (in Arabic). Fusul Magazine, General Egyptian Book organization, Cairo, Volume 2, Issue 4, "July-August-September" 1982.
- Ibrahim, 'Abdullah, *The Artistic Construction of War Narration in Iraq, A Study of Narrative and Structure Systems in the Iraqi Novel*, (in Arabic). House of Public Cultural Affairs, Baghdad, 1st Edition.
- Ismail, Izz al-Din, *Literature and its Arts*, (in Arabic). Dār al-Fikr al-'Arabi, Cairo, 2nd Edition, 1976.
- Jounet, Gérard et el., *The Theory of Narrative from Point of View to Focalization*, (in Arabic). Translated by: Naji Mustafa, Academic Dialogue Publications, Casablanca, 1st Edition, 1989.
- Koneh, Zakaria, *Manifestations of Narrative Creativity*, (in Arabic). Al-Intishar Al-'Arabi, Beirut, 1st Edition – 2018.
- Muhammad, Husain 'Ali, *In Modern Saudi Literature*, (in Arabic). International Publishing House, Riyadh, 2nd Edition, 2009.
- Mujāhid, Faraj, *The Suffering of the Human Psyche Between Language and Storytelling Technique – Stories of Muhammad Kamal*, (in Arabic). Al-Qissah Journal, Cairo, Issue 127-2016.
- Qasim, Siza, *The Structure of a Novel, A comparative study In the trilogy of Najib Mahfouz*, (in Arabic). Egyptian General Book Authority, 2004.
- Radwan, 'Abdullah, *Narrative Structures, An Applied Study in Short Stories*, (in Arabic). Duroub for Publishing and Distribution-Amman, Arabic Edition, 2009.
- Roger B. Henkle, *Reading the Novel*, (in Arabic). Translated by: Dr. Salah Rizk, Dār al-Adab, 1st Edition, 1995.
- Sa'ādinah, Jamal, *Globalization and the Employment of Visual Discourse from Neutralizing Consciousness to Identity Dispossession*, (in Arabic). Al-Athar Journal, Issue 24, March 2016.
- Shahbi, Ibrahim, *Edges (full collection)*, (in Arabic). Al-Baha Literary Club Publications, Dār Al-intishār Al-'Arabi, Beirut-Lebanon, 1st Edition, 2017.
- Suleiman, Nabil, *Writing and Response*, (in Arabic). Publications of the Union of Arab Writers, 1st Edition, 2000.
- Yousuf, Shawqi Badr, *Narrative Manifestations, Studies in the Arabic Novel*, (in Arabic). General Egyptian Book Organization, Cairo, 2018.

**التناص العنواني ودلالته في ديوان مزاجها زنجبيل لفواز
اللعبون "دراسة سيميائية"**

**The title intertextuality and its significance in diwan
"Mizagoha Zenjabil" For Fawaz Allaboon
"Semiotics study"**

د. فاطمة بنت سعيد أحمد العمري

الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية بكلية الآداب - جامعة بيشة

البريد الإلكتروني: Fsa.99@hotmail.com

المستخلص

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه، وبعد:
فإنّ هذا البحث "التناص العنواي ودلالته في ديوان مزاجها زنجبيل لفواز اللعبون"، يهدف إلى تتبع الدلالة السيميائية في العتبات العنوايية بديوان "مزاجها زنجبيل"؛ لما يحمله عنوان هذا الديوان من دلالات منبعها الاستلهام من النص القرآني، إضافة إلى أنّ التناص الذي برز في عنوان الديوان؛ امتدّ ليشمل عنونة العديد من القصائد، التي برز في عناوينها أيضاً استلهام النص القرآني، وهي تسعة قصائد من مجموع قصائد الديوان (٤٢ قصيدة)، بنسبة (٤٣،٢١٪).

ومن أهم النتائج التي توصلت إليها: أنّ دلالة عنوان هذا الديوان المتناص مع القرآن الكريم، كانت إرهاباً إيجابياً امتدّ ليظهر في مضامين القصائد، التي جاء عنوانها أيضاً مستلهماً من النص القرآني.

كما تبين أنّ دلالة تلك العناوين المتناصّة دينياً، تكشف عن مغزى الشاعر، بتوجّهه نحو تأصيل قيمة دينية سامية، منبعها التفاؤل رغم منغصات الحياة، فالأمل معقود مادام "مزاجها زنجيبلاً".

أمّا التوصيات: فإنّ الباحثة تُوصي بدراسة التناص في النتاج الإبداعي لفواز اللعبون، نظراً لبروز ظاهرة التناص في أعماله الشعرية؛ من خلال تطبيق أحد المناهج الأدبية على مجموعة من القصائد، ترتبط فيما بينها بنوع من العلاقات الأدبية، للكشف عن جماليات لم تكن لتتأتى دون جمعها.

الكلمات المفتاحية: العتبات النصية - سيميائية العنوان - التناص - الشكوى -

المفارقة.

Abstract

Praise be to Allah the Lord of the worlds and may the blessings and peace of Allah be upon the most honored of messengers our master Muhammad and upon all his family and companions. To proceed;

This research: **The title intertextuality and its significance in diwan**

"Mizagoha Zenjabil" For Fawaz Allaboon

Aims at tracking the semiology significance of the titling in the collection of poems entitled; **'Its Mixture is Ginger'** (Mizagoha Zenjabil) as the title of this collection of poems has indications which are rooted to religious intertextuality. In addition, the intertextuality that is shown in the title of the collection of poems, had extended to include the titles of several poems in which the inspiration of the Quranic text is so clear in its titles; which include 9 poems out of 42 with percentage of (21.43%).

Research Methodology:

The researcher depended on the semiology approach because of its effectiveness in eliciting the poetic texts and reveal the indications beyond them.

One of the most important findings which the researcher achieved: is that the indications of the titles of the collection of poem which have religious intertextuality were suggestive inspiration extended to be shown in the content of the poems whose titles are also inspired of the Quranic text.

It was also found that the significance of these religiously interrelated titles reveal the meaning of the poet, in his orientation towards rooting a lofty religious value, whose source is optimism despite life's troubles, as hope is there as long as **'Its Mixture is Ginger.'**

Recommendations:

The researcher definitely recommends the importance of addressing the intellectual output of Fawaz Allaboon, by applying one of the literary approaches to a group of poems, linked to each other by a kind of literary relations, to reveal aesthetics that would not have been possible without collecting them.

Keywords: textual thresholds - semiotics of the title - intertextuality - paradox.

المقدمة

يحتل فواز اللعبون^(١) مكانة مرموقة بين الشعراء في الشعر السعودي الحديث، وكتب عنه كثير من النقاد، وأشادوا بتجربته الشعرية، واستطاع الشاعر أن يصل إلى قلوب محبيه بشعره الفصيح، فهو من الشعراء الذين يزاوجون بين الأصالة والمعاصرة في معظم إبداعه، وللشاعر حضور شعري متنوع من خلال الإعلام الورقي، والمسموع، والمرئي، ونوافذ التواصل، والأمسيات الشعرية الداخلية والخارجية، ويلاحظ أنّ نتاج فواز اللعبون الشعري، يجمع بين جماليات اللغة الشعرية والمغزى الهادف، الذي يجسد رؤيته، أما مضامين شعره فيغلب عليها الاتجاه التأملي، فالإتجاه الوجداني، ثم الاجتماعي.

والقارئ للدواوين الشعرية التي نظمها فواز اللعبون يتبين له بجلاء أنّ عناوين دواوينه تتميز بنزعة فنية خاصة؛ تجذب المتلقي نحو فك شفراتها، ومنها هذا الديوان "مزاجها زنجبيل"، الذي صدر حديثاً، ورغم حداثة فقد دارت حوله دراسات، الأولى منهما بحث منشور للأستاذ الدكتور عبد الرحمن بن أحمد السبت تحت عنوان: جماليات اللغة الشعرية في ديوان: "مزاجها زنجبيل" لفواز اللعبون، بمجلة العلوم العربية والإنسانية، جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٤)، شوال ١٤٤٣هـ/ مايو ٢٠٢٢م، ص ١٥٦٩ - ١٦١٥. والبحث يقوم على المنهج الوصفي التحليلي، الذي التزمه الباحث في

(١) وُلِدَ فواز بن عبد العزيز بن محمد بن عبد الله بن حمد ابن لعبون المدلجيجي الوائلي العزبي بمدينة الرياض (١٣٩٥هـ-١٩٧٥م)، وبها نشأ في كنف أسرته النجدية، وتلقى الشاعر مراحل تعليمه الأولى في الرياض، واستمر بها إلى أن تخرج من كلية اللغة العربية، بجامعة الإمام في الرياض (١٤١٨هـ-١٩٩٧م)، وعُيّن معيداً في الكلية نفسها (١٤١٩هـ-١٩٩٨م)، واستمر في الترقى العلمي والوظيفي بهذه الجامعة إلى أن وصل إلى درجة أستاذ مشارك (١٤٣٨هـ-٢٠١٧م)، وللشاعر ثلاثة دواوين شعرية منها هذا الديوان، وديوان تحاويم الساعة الواحدة، وديوان بعضها من بعض. يُنظر: فواز اللعبون، ديوان "مزاجها زنجبيل"، الرياض، دار المفردات للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م، ص ١١٠، ١١١، محمد خير رمضان يوسف، معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت، المؤسسة للنشر، ط ٢، ٢٠٠٢م، ١٣٤/٤.

الكشف عن مظاهر جماليات اللغة الشعرية، وتحديد معالمها في الأساليب الإنشائية التي خرج الكلام فيها عن الحقيقة إلى المجاز اللغوي، وأيضًا الكشف عن جماليات اللغة التصويرية في التشبيه، والاستعارة، والكناية، إضافة إلى البحث عن جماليات اللغة الإيقاعية الداخلية في ظاهري الجناس، والتكرار، ثم جماليات اللغة في التناسل مع النص القرآني الكريم، والنص الأدبي.

والدراسة الثانية بحث منشور للدكتورة أماني بنت محمد بن عبد العزيز الشيبان، بعنوان: الاغتراب في ديوان مزاجها زنجبيل للشاعر فواز العبون، نُشر بجامعة الأزهر، كلية اللغة العربية ببحر، حولية كلية اللغة العربية بنين ببحر، المجلد (٢٦) للعام ٢٠٢٢م، الجزء الأول، (إصدار يونيو)، ص ١٩٥ - ٢٥٧. ويقوم البحث على دراسة الرؤية الاغترابية في هذا الديوان، على أساس أن النصوص الاغترابية فاقت ثلثي القصائد التي اشتمل عليها الديوان، والتي برزت في الشعر التأملي، والشعر الوجداني، والشعر الاجتماعي، وأيضًا دراسة أنماط الاغتراب الزماني والمكاني.

ونظرًا لثراء هذا الديوان بلغة شعرية منبعها رؤية تجديدية، كانت أكثر بروزًا في ظاهرة التناسل القرآني، الذي يبدو جليًا في عنوان الديوان، والذي امتد ليشمل عنوانه بعض القصائد (٩ قصائد من ٤٢ قصيدة، بنسبة: ٢١,٤٣٪)، وهو ما لم يتطرق إليه أحد بالدراسة؛ فقد وقع اختياري عليه ليكون موضوعًا لهذه الدراسة.

ولما كان عنوان الديوان يُثير داخل المتلقي النزوع والرغبة الملحة نحو الوصول إلى ما يحمله من دلالات؛ فقد برزت العديد من التساؤلات، منبعها الفضاء النصي لصفحة العنوان، ومنها:

- ما القيمة الفنية والجمالية لهذا العنوان المتناسل مع القرآن الكريم؟
- هل ساهم العنوان في رفق الخطاب الشعري بقيمة معرفية؟
- هل لهذا العنوان صلة بما ورد في الديوان من قصائد استلهم الشاعر عناوينها من النص القرآني؟

والإجابة على هذه التساؤلات كانت هي دافعي لاختيار هذا الموضوع للبحث فيه، هادفةً إلى:

- بىان أهىمة عنوان الدىوان.
- الكشف عن أهىمة العتبات النصىة فى الخطاب الشعرى.
- الكشف عن جمالىات العناوین الرئىسة والفرعىة.

وقد رأىت أن أءوض ءءربة رطب مقاربة الءءلىل؁ بالاعءماء على آلىات منهجىة ءءمءل فى الاسءفاده من المنهج السىمىائىؑ لىما ىءمءع به هذا المنهج من فاعلىة كبرىة فى قراءه النصوص الشعرىة؁ بوصفه منهجآ ىساهم فى فك شفراء الأىقوناء الدلالىة؁ واسءنباط الدلالات الكامنة فىها؁ على مسءوى التأویل؁ بالصورة الءى ءنجلى معها القىم المعرفىة؁ والقىم الجمالىة بما حملته من إءارة وجدائىة؁ هدفت إلىها الءاء الشاعره؁ من ءلال ما حملته العناوین المءناصه دىنىآ فى هذا الدىوان من الدلالات والإىءاءاء الكامنة فى بنىءها النصىة.

وءءقىقآ لما أسعى إلىه من أهءاف؁ فقد جاء هذا البءء فى مقءمة ءءناول الءعرفى بأهىمة البءء؁ وأسباب اءءىاره؁ وأهءافه؁ ومنهجه؁ وءلى ذلك ءلاءة مباحءؑ الأول منها بعنوان: المرجعىة النصىة والإءالىة لءءبة العنوان المءناص؁ والءانى ىحمل عنوان: دلالات الءناص العنواىى وإىءاءاه فى قصاءء البوح والشكوى؁ والءالء بعنوان: دلالات الءناص العنواىى وإىءاءاه فى قصاءء الشعر الدىنى. ءم ءاءمة أءملت فىها أهم الءاءء الءى ءمءضء عنها الءراءه؁ وأرءءتها بالءوصىاء؁ الءى ءلاها ءبء بالمصاءر والمراءع الءى اعءمءء علىها فى هذه الءراءه؁ وبالله الءوفىق.

المبحث الأول: المرجعية النصية والإحالية لعتبة العنوان المتناس

إنَّ العتبات النصية هي نصوص تُحيط بالعمل الأدبي سواء أكان شعراً أم نثرًا، وقد نالت العتبات النصية اهتمامًا كبيرًا في الدراسات النقدية الحديثة، نظرًا إلى أهميتها في بلورة محتوى العمل واستنطاقه، وتحليله، والإحاطة به من كل المناحي، ويُعد جيران جينت من أبرز النقاد الغربيين الذين اهتموا بدراسة العتبات النصية على المستوى التنظيري، في كتابيه "طروس" و "عتبات" وقد قدّم جيران جينت تعريفًا مفصلاً للعتبات - التي أطلق عليها المناص - في كتابه (عتبات)، مستعينًا بما ذهب إليه "لوي بورخيس" في وصف المناص بالبهو أو الدهليز لأنه يسمح لكل واحد منا بالدخول أو العودة على عتبه، فهو منطقة متذبذبة بين الداخل والخارج (١).

ويلاحظ أنّ محمد بنيس وبعض النقاد أطلقوا مصطلح "النص الموازي" على العتبات النصية؛ والنص الموازي: (Le para texte) هو: ذلك النص الذي يتمثل في العناصر الموجودة على حدود النص، داخله وخارجه في آن، تتصل به اتصالاً يجعلها تتداخل معه إلى حد تبلغ فيه درجة من تعيين استقلاليتها، وتفصل عنه انفصالاً يسمح للدخل النصي، كبنية وبناء، أن يشتغل وينتج دلاليته (٢).

ويُعد العنوان من أهم العتبات النصية الموازية المحيطة بالنص، لما يحمله من دلالات ورموز، ومن ذلك نجد قول بسام قطوس إنّ: العنوان نظام سيميائي، ذو أبعاد دلالية ورمزية أو أيقونية... وهو كالنص أفق، قد يصغر القارئ عن الصعود إليه، وقد يتعالى هو عن النزول لأي قارئ. وسيميائيته تنبع من كونه يجسد أعلى اقتصاد لغوي ممكن يوازي أعلى فعالية تلقى ممكنة تغري الباحث والناقد بتتبع دلالاته، مستثمرًا ما تيسر من

(١) لعموري زاوي، في تلقي المصطلح النقدي الإجمالي، مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الملتقى الدولي الثالث لتحليل الخطاب، الجزائر، العدد (١١)، ٢٠١١م، (٢٣) - (٣٥)، ص ٢٥.

(٢) د. محمد بنيس، الشعر العربي الحديث: بنياته وإبدالاتها: ١ - التقليدية، الدار البيضاء، دار توبقال للنشر، ط ٢، ٢٠٠١م، ١ / ٧٦.

منجزات التأويل^(١).

وفي محاولة الباحثة الكشف عن دلالة العنوان، وما يحمله من إحياءات، كان من الضروري مُقاربتة مقارنة سيميائية^(٢)، تسير في أربع خطوات تشتمل على: البنية، والدلالة، والوظيفة، والقراءة السياقية الأفقية والعمودية؛ بُغية الكشف عن الدوال الرمزية المصاحبة لهذا العنوان، ذلك أنّ "القراءة الفاحصة للعنوان بوصفه بنية مختزلة، والاستقراء الداخلي للوظائف التي يؤديها في الشعر ربما لا تمكننا بسهولة من فهم دلالة العنوان وحسم مغزاه، بل لا بد أحياناً من العودة الى قراءة النص الأكبر ومحاولة مفاوضته، أو مناقشته، أو الحوار معه، للاقتراب من فك شيفرته، والعودة الى العنوان من ثمّ لمساءلته هو الآخر، ومفاوضته في ضوء ما تحصل لنا من معرفة النص"^(١).

(١) أ.د. بسام موسى قطوس، سيميائية العنوان، عمان، وزارة الثقافة، مكتبة أريد، ط ١، ٢٠٠١م، ص ٦.

(٢) يشير مصطلح السيميائية إلى أحد الفروع الخصبية في الدرس النقدي الحديث التي ورثت البنوية، والكلمة من أصل يوناني (Semion)، وتعني العلامة (Logo)، وقد أشار "دوبس" في قاموس اللسانيات إلى أنّ أول من استعمل مصطلح السيميائية في العصر الحديث هو "ش، س، بيرس" وهي في عرّفه علم العلامات، الذي يدرس مختلف خصائص العلامات التي يستعملها وينتجها العقل الانساني عبر مسيرته العلمية، ولقد ازدهر مصطلح السيميائية "Semiologie" لأول مرة (سنة ١٩٥٢) في مجال الطب العلاجي أو الطب النفسي... أما في مجال اللسانيات الحديثة عند الغربيين فقد ظهر مع "فرديناند دي سوسير"، وقد حققت السيميائية استقلاليتها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وبفضل دراسات الفيلسوف الامريكي "شارل ساندرز بيرس"، (١٩١٤ - ١٩٣٩)، لأنه حاول أن يكون الأول في تكوين علم مستقل خاص بهذا المنهج، ثم تبلورت النظرية السيميائية مع بدايه الستينات، من خلال الدرس الذي القاه العالم اللساني الفرنسي "غريماس" بكلية العلوم بباريس، معهد "هنري بوانكاري"، ما بين سنتي (١٩٦٣ - ١٩٦٤). يُنظر: د. نعمان بوقرة، **المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب - دراسة معجمية**، عمان، جدارا للكتاب العالمي، ط ١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٩م، ص ١١٩، ١٢٠.

(١) قطوس، سيميائية العنوان، مرجع سابق، ص ٤٣.

وأول ما يلاحظ على عنوان هذا الديوان "مزاجها زنجيلاً" أنه جاء جملة اسمية، ويلاحظ أيضاً ثلاثة أمور مهمة نابعة من هذه الصيغة التركيبية للعنوان، وهي:

- التناص الديني، فالعنوان يتناص مع قوله تعالى: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا﴾ (الإنسان: ١٧)، فلماذا استدعى الشاعر النص القرآني عنواناً لديوانه؟

- الحذف، الذي يتمثل في عائد الرابط (الماء)، فإلام يعود هذا الضمير؟

- الوصف: إن جملة العنوان تشي بشيء موصوف، ومع الحذف لعائد الضمير، أضحى الموصوف مبهمًا، فما دلالة هذا الإبهام، الذي قصد إليه الشاعر؟

وبناء عليه فإنّ الفضاء النصي لعنوان هذا الديوان جاء مشحوناً بجملة تساؤلات، تحيل إلى عدد لا نهائي من الدلالات، وهو ما يدفع المتلقي إلى محاولة فك شيفرته، بوصفه بطاقة هوية للديوان الشعري المنظوم، وفيما يلي نتناول بالتحليل ما أضفاه التناص القرآني على جملة العنوان الاسمية، التي دخلها حذف المبتدأ.

التناص الديني للعنوان في ضوء المفهوم السيميائي: إنّ مصطلح التناص (intertextuality) من المصطلحات التي تتردد بكثرة في الدراسات النقدية الحديثة، سواء في ذلك الأجنبية أو العربية^(٢). وترتبط نشأة مصطلح التناص بالسيميائيين، وفي مقدمتهم "جوليا كريستيفا" فهي أول من طرح مفهوم التناص في منتصف الستينات (١٩٦٦م) في مجلة (تل كل) الفرنسية، إذ قالت إنّ: كل نص هو عبارة عن فسيفساء

(٢) إنّ شيوع مصطلح التناص في الدراسات الحديثة، لا يعني أنه كان غائباً عن الدراسات النقدية القديمة، فقد تناول نقاد العرب القدماء مفهوم التناص بتسميات أخرى منها: الموازنة، والمفاضلة، والتضمن، والاقْتباس، والسرققات، والمعارضات... إلخ، فالتناص يُشير إلى حقيقة تواجد مجموعة من النصوص القديمة في النص الجديد، فهذا المصطلح كما جاء تعريفه في المعاجم يُمثّل: العلاقة بين نصين أو أكثر، وهي التي تؤثر في طريقة قراءة النص المتناص (intertext) أي الذي تقع = فيه آثار نصوص أخرى أو أصداؤها، يُنظر: معجم المصطلحات الأدبية، د. محمد عناني، الإسكندرية، الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان، ط ٣، ٢٠٠٣م، ص ٤٦.

من الاقتباسات، وكل نصّ هو تشرّب وتحويل لنصوص أخرى^(١). وقد أكد بعض الباحثين على أسبقية "جوليا كريستيفا" في استخدام هذا المصطلح، ومنهم د. محمد عزام بقوله إنهما: استخدمت مصطلح (التناص) في بحوث عديدة كتبها بين عامي (١٩٦٦ و ١٩٦٧)، وصدرت في مجلتي (تل كل)، و(نقد)، وأعيد نشرها في كتابيها (السيمياء)، و(نص الرواية) معتمدة على "باختين"، في استبصاراته النقدية في دراساته حول "ديستوفسكي" و"رابلية"، حيث يؤكد أنّ كل خطاب أدبي إنما يكرر خطاباً آخر، وأنّ كل قراءة تشكل بنفسها خطاباً، ذلك أن الكتابة تعني ثلاثة عناصر هي: النصّ، والكاتب، والمتلقي، بالإضافة إلى عنصر (التناص)، الذي يُناقش مع هذه العناصر الثلاثة^(٢).

وبالجمع بين العنوان الرئيس للديوان "مزاجها زنجبيل"، والآية الكريمة التي استدعاها الشاعر؛ يتبيّن أن هذا العنوان ذو مرجعية متباينة، الأولى منهما مرجعية دنيويّة، والثانية تتجاوز هذه المرجعية الدنيوية؛ لارتباطها الوثيق بالآخرة حيث المرجعية الدينية التي أوحى بها التناص الديني.

وبهذا يُدرك المتلقي أنّه بصدد خطاب تختلف فيه المواقف والرؤى، وتتجلى فيه معالم الحاضر والمستقبل، فالنص القرآني "مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا" يصوّر صورة من صور النعيم التي سينعم بها أهل الجنة، جزاء ما قدموه في حياتهم الدنيا من أعمال صالحة، قال الطبري: يقول تعالى ذكره: وَيُسْقَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الْأَبْرَارِ فِي الْجَنَّةِ كَأْسًا، وهي كلّ إناء كان فيه شراب، فإذا كان فارغاً من الخمر لم يقل له: كأس، وإنما يقال له: إناء... عن قتادة، في قوله: "مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا" قال: تمزج بالزنجبيل^(١).

(١) د. محمد عزام، النص الغائب-تجليات التناص في الشعر العربي، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠١م، ص ٣٠.

(٢) المرجع نفسه، ص ٣٨.

(١) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، (٢٤ مجلد)، ١٠٧/٢٤.

إذن الرابط (الهاء) في جملة: "مِزَاجُهَا زُنْجَبِيلًا" في النص القرآني يعود على الخمر الممزوجة بالزنجبيل، وهو نبات عطري له الكثير من الفوائد، وكان من النباتات المفضلة عند العرب، فالله تعالى يآثر لهم ما كانوا يشربون منه في الحياة الدنيا، ويحبون مذاقه. وبناء عليه فإنَّ استدعاء الشاعر هذه الآية من النص القرآني عنواناً لديوانه، توحى بالعديد من الدلالات المستوحاة من النص القرآني، منها:

- المنزلة العظيمة والمكانة الرفيعة التي وصل إليها الأبرار في الفوز بالجنة.

- الباعث، الذي يتمثل في الانتظار المرتقب لحسن الثواب.

- الصبر على الشدائد والابتلاءات، ومنبعه اليقين من رحمة الله تعالى.

وننتهي من هذا إلى أنَّ عنوان هذا الديوان، جاء محتزلاً لدلالات ومعانٍ كلية، اشتملتها بنيته التركيبية، التي تمثلت في توجيه الشاعر رسالة إلى المتلقي في صورة جملة اسمية مبهمّة؛ لغياب ما يعود عليه الرابط (الهاء)، وبهذا فقد أضحى العنوان مبهمًا. ولما كان العنوان "يمثل نقطة التقاطع الإستراتيجية التي يعبر منها النص إلى العالم والعالم إلى النص، تنتفي الحدود الفاصلة بينهما ويحتاج كل منهما إلى الآخر"^(٢)؛ فإنَّ مقارنة العنوان الرئيس مقارنة سيميائية لفك شيفرته^(١)، وفهم دلالاته؛ تستوجب الجمع والربط بين العنوان الرئيس للديوان، والعناوين الفرعية لقصائد هذا الديوان، التي ظهر فيها التناص الديني أيضًا.

فالعنوان رسالة موجهة من المرسل، أي الشاعر إلى المتلقي، توازي رسالة أخرى وتآزرها، تتمثل فيما حواه الديوان من قصائد، أو بالأحرى كما قال أحد الباحثين إنَّ العنوان رسالة مكثفة على هامش رسالة أخرى ممططة ومفصلة، يطلق عليها "الوظيفة

(٢) د. خالد حسين حسين، في نظرية العنوان - مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية، دمشق، دار التكوين، ط١، ٢٠٠٧م، ص ٧٨.

(١) الشفرة: مصطلح لساني سيميولوجي، يعني نظام تبليغ موضوع ما عبر شكل معين، وقد ميّز "بارت" بين خمسة أنواع من الشفرات، هي: شفرة بناء الحكمة، وشفرة التفسير، وشفرة الشخصيات، والشفرة الرمزية، وشفرة الإحالة. ينظر: بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب - دراسة معجمية، مرجع سابق، ص ١٢١.

الحملية"، التي تمثل التفاعل السيميويطريقي، ليس بين المرسلتين فحسب أي بين النص وعنوانه، وإنما بين كل من "المرسل" و"المتلقي" أيضًا، لكن على أساس المرسلتين، وإن بشكل غير مباشر، ف"المرسل" يتأول عمله فيتعرف منه على مقاصده، وعلى ضوء هذه المقاصد يضع عنواناً لهذا العمل، بمعنى أن "العنوان" من جهة "المرسل"؛ هو ناتج تفاعل علاماتي بين المرسل والعمل، أما المتلقي فإنه يدخل إلى العمل من بوابة "العنوان" متأولاً له، وموظفاً خلفيته المعرفية في استنتاج دواله^(٢).

وتبعاً لذلك وللوصول إلى دلالات العنوان، كان علينا أن نربط مرجعية العنوان الرئيس النصي والدلالية بعناوين قصائد الديوان التي دخلها التناس الديني أيضاً، ذلك أنّ العلاقة بينهما تُعد علاقة إسنادية، فعنونة القصائد بكل دلالتها وأفكارها تمثل المسند، والعنوان يمثل المسند إليه.

وقد أشار إلى هذه العلاقة الإسنادية جميل حمداوي، الذي انتهى بعد أن تناول آراء "جون كوهن" بالتحليل إلى القول بأنّ: النص إذا كان بأفكاره المبعثرة مسنداً، فإن العنوان سيكون بطبيعة الحال مسنداً إليه. ويعني هذا أن العنوان هو الموضوع العام. في حين، يشكل الخطاب النصي أجزاء العنوان، حيث يرد العنوان في النص باعتباره فكرة عامة، أو دلالة محورية أو بمثابة نص كلي^(١).

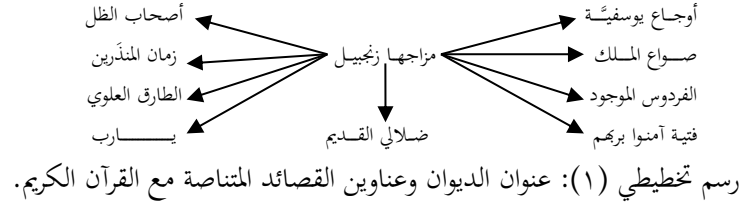
وبقراءة قصائد الديوان ذات العناوين المتناسة دينياً؛ يتبين أنّها تدور حول البوح والشكوى، والمناجاة والابتهال، وفيما يلي نتناول بالتحليل تلك القصائد، وصولاً إلى الكشف عن دلالات التناس الديني الذي اشتملته عناوينها، وبؤر تفاعلها مع النص الشعري الذي عنونته؛ بهدف الوصول إلى بيان مدى الصلة بينها وبين العنوان الرئيس للديوان، هدف الدراسة المنشود، والمخطوطة التالية تبين مجموعة القصائد المتناسة مع القرآن الكريم، التي حوّاها العنوان الرئيس للديوان:

(٢) خوسية ماريا بوثويلو ايفانكوس، نظرية اللغة الأدبية، ترجمة: د. حامد أبو أحمد، تقديم: د. عز

الدين إسماعيل، القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر، ط١، ١٩٩٢م، ص ١٨ بتصرف.

(١) د. جميل حمداوي، سيمويطيقا العنوان، المغرب، دار الريف للطبع والنشر الالكتروني، ط٢،

٢٠٢٠م، ص ٢٠.



المبحث الثاني: دلالات التناص العنواني وإيحاءاته في قصائد البوح والشكوى

بادئ ذي بدء يُلاحظ أنّ الشاعر يبتعد عن المطوّلات، وهو الأمر الذي كانت من أبرز مظاهره ورود القصيدة في أبيات شعرية ليست بالطويلة، مما جعلها تُسهّم إسهامًا كبيرًا في تكثيف المعنى وما يشتمله من الدلالات؛ وهو ما ترتب عليه إمكانية تناول القصائد المطروحة للتحليل السيميائي، بالنظر إليها في كامل أسطرها الشعرية، تحقيقًا لفك شفرات العنوان من خلال البنى النصية للقصيدة ذاتها، ذلك أنّ العلاقة بينهما علاقة تكاملية، فدلالة عنوان النص الشعري، لا يُمكن تفسيرها والوصول إلى مغزاها إلاّ بالربط بين العنوان ذاته (الرأس) والقصيدة (الجسد).

١ - قصيدة أوجاع يوسفية:

دلالة أبيات القصيدة	أبيات القصيدة:
شكوى الغدر	أشكو الألى أودعوني الحبّ وانقلبوا ما كنتُ أعجب من خذلائهم أبدًا
الذئاب تحنو على الذات	جزّوا الرّشاة الذي بيني وبينهم حول ذئاب بريعات تسامرني
الشاعرة في محنتها	تعوي على جرحي الدامي وتسمعي وها هو العنبرُ يمضي والمدى ظلّم
ترقب الخلاص	ثاؤي بجُبي لا سِيارَةَ عَبرت وكلّ يوم أرى نايي يُطاولني
	وفي قميصي الذي أخفوا دمّ كذب بل إن حفظهم عهدى هو العجب وما تبغى لإشراق المنى سبب وتتقي الله في ضعفي وتحتسب لحنا من الطهر في الظلماء ينسكب ووحشتي خجبت من فوقها خجبت ولا طريدُ دروب منه يفترب ومجلي في يدي كالتصل يرتقب ^(١)

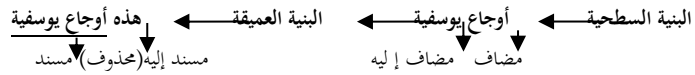
رسم تخطيطي (٢): الدلالات التي تربط بين العنوان وأبيات قصيدة أوجاع يوسفية

دلالات التناص العنواني وإيحاءاته: إنّ هذا العنوان على المستوى المعجمي يتألف من وحدتين معجميتين، هما: أوجاع - يوسفية. الأولى منهما: جمع "وجع"، وهي مفردة يدور معناها حول كل ما يؤلم ويعذب الإنسان وغيره من المخلوقات، والمفردة الثانية: يوسفية: اسم منسوب - ببناء النسب - إلى يوسف عليه السلام، إذًا الدلالة المعجمية لهذا العنوان تدور حول معنى الألم الذي يُنسب إلى يوسف عليه السلام.
أمّا على المستوى التركيبي فإنّ البنية الكبرى للعنوان على المستوى السطحي

(١) اللعون، ديوان مزاجها زنجبيل، مصدر سابق، ص ١٩، ٢٠.

الملفوظ تتألف من كلمتين، يجمعهما مركب إضافي؛ الأولى منهما مضاف "أوجاع"، والثانية مضاف إليه "يوسفية"، وبهذا فإنَّ الأوجاع التي جاءت في صيغة النكرة عُرِفَتْ بأَنَّها يوسفية من خلال هذا المركب الإضافي، الذي أفادها التخصيص بإضافتها إلى يوسف عليه السلام.

وإذا ما انتقلنا إلى البحث عن مفهوم العنوان على مستوى البنية التركيبية العميقة، فإنَّنا نجد أنَّ المركب الإضافي "أوجاع يوسفية" الذي يتألف منه العنوان، يُمثِّل جملة مُسنَّدة، تؤوِّل في معناها إلى وجود مسند إليه محذوف، وهو ما يمكن تقديره لوضوحه باسم الإشارة "هذه"، وهو ما تمثله الخطاطة التالية:



ويتبيَّن لنا البحث في المستوى الدلالي للعنوان، وهو أمر يصعب الوصول إليه دون استنطاق النص الشعري الذي اكتسب تسميته من تلك العنونة، للوصول إلى مغزى الشاعر ومقصودة من الأوجاع اليوسفية.

وبالنظر إلى أبيات القصيدة، يتبيَّن أنَّ الشاعر قد أخذ من قصة يوسف عليه السلام، معادلاً موضوعياً بثَّ من خلاله شكواه، ممن غدروا به، وكان هذا جلياً في اعتماد الشاعر على بنية المفارقة في تصوير الغدر والضعينة التي عقدها بين الذئب (المذكور في قصة يوسف عليه السلام)، والبشر الذين غدروا به، بقوله فيهم: **ما كنتُ أعجبُ من خذلائهم أبداً - جزوا الرشاء الذي بيني وبينهم، أمَّا الذئاب فقال فيهم: حولي ذئاب بريئات تسامرني - وتتقي الله في ضعفي وتحتسب، بل إنَّها تبكي على جرحه وتواسيه.**

وترجع أهمية المعادل الموضوعي كما عبَّر عنه "إليوت" إنَّه يمثِّل الطريقة التي ينتهجها الشاعر في التعبير عن عواطفه من خلال الأنموذج الذي يصنعه في التعبير عن مشاعره، بقوله: إنَّ القصيدة التي يكتب لها البقاء ليست نتاج سكب العواطف الذاتية، إذ إنَّ الطريقة الوحيدة للتعبير عن العاطفة إنما تكون بالعثور على معادل موضوعي، وبعبارة أخرى العثور على مجموعة أشياء، على موقف، على سلسلة من الأحداث تكون هي

الصيغة التي توضع فيها تلك العاطفة^(١).

وبناءً عليه فإنَّ المعادل الموضوعي الذي اعتمده الشاعر في التعبير عن شكواه بتلك القصيدة يُمثِّل الوعاء، الذي من خلاله جسَّد عواطفه، وأوحى بمعاناته في تجربة حسيَّة منبعها النص القرآني، بكلماته السماوية المعجزة، وكانت الإحالة بالتناص الديني جليَّة بين النص الشعري وعنوان القصيدة، في تلك المواضع:

- التعبير عن الكيد والضعينة: بقول الشاعر: أشكو الألى أودعوني الجبَّ وانقلبوا، وفي قميصي الذي أخفوا دمَّ كذبٍ؛ إذ استدعى الشاعر قوله تعالى من قصة يوسف: ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ (يوسف: ١٨) .

- التعبير عن مشاعر الوحدة والغربة: التي لا خلاص منها، باعتماد الشاعر على المفارقة بين حاله: ثاوٍ بجي لا سيارةً عبرت، ولا طريدٌ دروبٍ منه يقترب، وحال يوسف عليه السلام، حين أنقذه السيارة وأخرجوه من الجب، قال الله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسْرُوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ (يوسف: ١٩) .

ومن ثمَّ فقد استلهم الشاعر معانيه من النَّصِّ القرآني، وكان للتناص القرآني الأثر الكبير في الإحالة إلى عنوان القصيدة، وتفسيره، وتحقيق هدف الشاعر المقصدي؛ بتحقيق الارتباط المعنوي، الذي كان له دور مهم في تماسك الأبيات دلاليًا وربطها من ثمَّ بالعنوان، وهذا "من خلال العلاقات الخفية التي جاءت لتنظم النص وتولده، والتي تحقق معها الانسجام الشعري"^(١).

٢- قصيدة صواع الملك:

(١) ت. س. إليوت، ف. أ. مائيسن، مقال في طبيعة الشعر، ترجمه د. إحسان عباس، بيروت، المكتبة العصرية، ط ١، ١٩٦٥م، ص ١٣٢، ١٣٣.

(١) محمد خطابي، لسانيات النص - مدخل إلى انسجام الخطاب، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط ١، ١٩٩١م، ص ٦.

أبيات القصيدة:	دلالة أبيات القصيدة
<p>أنا مِن غَايِرِ الأَزمَانِ ماضٍ أَسْأَلُ كُلَّ مَنْ لاقَيْتَ فيها: لها عَيْنَانِ ناطِقَتَانِ حُبًّا بِئْسَ رَأْهُ عَقُودٌ مِن وُرُودٍ جَمِيلَةٌ طَلَعَتْ بَيضاءَ قَلْبٍ تُوَاسِي مَنْ يُقَاسِي في المَآسِي وَتَمِيسِي رَحْمَةً وَتَفِيضُ نُورًا وَتُبْدي بِشَرِّها شِعْرًا وَتُثْرًا إِذا صادَفْتَهَا يَوْمًا فقلْ لي</p>	<p>البحث عن الذات</p> <p>الحبة ونقاء السريرة والإينار للآخر</p> <p>حديث الذات الشاعرة للاخر الغائب</p>
	<p>أَقْسَسْتُ في مَدائِنِ دُكْرِيائِي أَمَّا صادَفْتُ في الطَّرِقاتِ ذاتِي وَتَغْرُ مُفْعَمٌ بالأَغْنِياتِ وفي اليُمْنَى بَقايا أُمْنِياتِ وَتُحْسِنُ ظَنُّها في الكائِناتِ وَتُبْكي لِلعيونِ الباكِياتِ يَتَشُعُّ سَناءُ في كُلِّ الجِهاتِ ولا تُبْدي الجِراحَ الخافِياتِ وَأَنقِذْني فَديْتُكَ مِن شَتائِي^(٢)</p>

رسم تخطيطي (٣): الدلالات التي تربط بين العنوان وأبيات قصيدة صُواع المَلِك

دلالات التناص العنواني وإيحاءاته: إنَّ عنوان هذه القصيدة يتألف من مركب إضافي "صُواع المَلِك"، ومن ثمَّ فإنَّ هذا العنوان يمنح إمكانات دلالية عديدة، ترجع إلى استدعاء الشاعر النص القرآني، بقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رِجْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيُّهَا الْعَيْرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ قَالُوا نَفَقْدُ صُواعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾ (يوسف: ٧٠-٧٢).

فكلمة صواع المذكورة في الآية الكريمة تحيل في معناها اللغوي إلى المكيال الذي تُكال به الحبوب ونحوها، ودلاليًا تحيل إلى شيء ثمين نظرًا إلى أنَّها ترتبط بمقتنيات الملك، إضافة إلى أنَّ هذا الصواع اتخذَه الملك يوسف عليه السلام حيلة للاحتفاظ بأخيه بنيامين، والوصول من ثمَّ إلى أبيه يعقوب عليهما السلام.

وهنا يطرح هذا السؤال نفسه: لماذا عنون الشاعر هذه القصيدة بالتناص مع

النص القرآني؟

وللإجابة على هذا السؤال، فإنَّ المتلقي لابد وأنَّ يقرأ أبيات القصيدة؛ للوصول إلى الدافع الذي جعل الشاعر يتكأ على هذا العنوان.

(٢) اللعبون، ديوان مزاجها زنجبيل، مصدر سابق، ص ٢٤، ٢٥.

وبالدخول في قراءة القصيدة وما حملته أبياتها من دلالات، يتبين أنّ الشاعر عنون القصيدة بهذا العنوان موظفًا إياه في التعبير عن ذاته، متخذًا من القصة القرآنية معادلًا موضوعيًا، وهو ما يتمثل بوضوح في الدلالات التي تجمع بين القصة القرآنية التي استلهم الشاعر معانيها، وقصيدة صُواع الملك، وهو ما يمكننا توضيحه بإيجاز فيما يلي:

- استرجاع الماضي: الماضي في القصة القرآنية يعود إلى ما فعله الأخوة بأخيهم؛ حقدًا وحسدًا، على الرغم من براءة طفولته. وعلى الرغم من ذاته التي لا تعرف إلى الكراهية طريقتًا.

- استرجاع الماضي: الماضي في القصيدة الشعرية يتمثل في حوار الذات، الذي كشف الشاعر من خلاله عمًا يستحوذ على ذاته من خصال طيبة، تبدو جليّة في مشاعر الحب والإيثار للآخر.

- يرتبط "صُواع الملك" في القصة القرآنية بالبحث عن شيء ثمين؛ لارتباطه بمشاعر الفقد للوالد، المترسبة في وجدان يوسف عليه السلام، وما يهدف إليه بفكره الواعي، من الوصول إلى والده.

- يرتبط "صُواع الملك" في القصيدة بالبحث عن شيء ثمين؛ لارتباطه بالذات المستشعرة، وما يجول بوجدانها، وما تهدف إليه بفكرها، من خير للآخرين.

- "صُواع الملك" في القصة القرآنية رمز لما يحمله نبي الله من محبة لأخيه، الذي آثر أن يبقى معه، وشوق إلى أبيه الغائب الذي سعى نحو الوصول إليه بحيلة تركز على صواعه.

- "صُواع الملك" في القصيدة رمز لما تحمله الذات من مشاعر خير للآخرين، يجده كل من يطلبه منهم ويسعى إليه.

٣- قصيدة الفردوس الموجود:

أبيات القصيدة :		دلالة أبيات القصيدة
في مُقلبي انكِسارات أقاومها أصامي الموت يبدو فاعراً فمه وعن يميني حبيب خان موثقه وتحتي الأرض قد مادت جوانبها وطارقي ائن زياد مات من زمن وكلما لمحت عيناي أندلسي مولاي لا أحد يصغي إلي ولا ناديت ناديت وارتد الصدى وجعا	<p>وفي الحشا ألف خذلان أذاريل وخلفي البحر تطويني ذواهب وعن شمالي صديق لا أصافيه وفوق الأفق قد سدت نواحيه ولم أزل أتوازي من أعاديه تلهب القلب مشتاقاً لماضي خلّ يلبي ندائي إذ أناديه فمن سواك بأوجاعي أناجيه؟! (١)</p>	<p>شكوى الأمل والعذاب إفصاح الذات الشاعرة عما يؤلمها تشوق الذات الشاعرة للخلاص الذات الشاكية تناجي الله تعالى ملاذ السانين</p>

رسم تخطيطي (٤): الدلالات التي تربط بين العنوان وأبيات قصيدة الفردوس الموجود

دلالات التناس العنواني وإيجاءاته: يتألف عنوان هذه القصيدة من اسم (الفردوس)، وصفة لهذا الاسم (الموجود)، والفردوس اسم للجنة التي وعد الله بها عباده الصالحين، وفي اللغة تعني مفردة فردوس: بستان، خضرة الأعشاب، مكان كثير الكروم، واد خصيب^(٢)، وقد وصف الشاعر الفردوس بأنه موجود.

فالعنوان بهذا المعنى يشي بالبشارة، ومن ثم فإن هذا العنوان يدفع المتلقي لقراءة النص، للوقوف على سبب البشارة التي حملها العنوان، الذي استلهمه الشاعر من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ۖ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ (الكهف: ١٠٧، ١٠٨)، وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۖ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (المؤمنون: ١٠، ١١).

وما إن يدخل المتلقي في قراءة القصيدة، إلّا ويُفاجأ، بشكوى الشاعر من المخاطر التي تحيطه، وتقلب الأحوال، وعدم الشعور بالأمان، وغياب المؤازر، الذي أوحى إليه باستحضار شخصية البطل طارق بن زياد، فاتح الأندلس، رمز الشجاعة والنضال، ولكن الشاعر لم يستسلم لتلك الأهوال والمخاطر التي يعانيتها، وإنما لجأ إلى خالقه مناجياً

(١) اللعبون، ديوان مزاجها زنجبيل، مصدر سابق، ص ٢٦، ٢٧.

(٢) الراءد - معجم لغوي عصري، جبران مسعود، بيروت، دار العلم للملايين، ط ١٩٩٢، ص ٧٠٧، مادة "فردس".

شاكياً، طالباً منه العون، بقوله: **مولاي لا أحد يُصغي إلي... فمن سواك بأوجاعي
أناجيه؟!**

إذن فهذا العنوان جاء مفارقاً من حيث الدلالة؛ لما اشتمل عليه النص الشعري من معانٍ ودلالات، استوحاها الشاعر من الأندلس، التي يُطلق عليها "الفردوس المفقود" بعد أن كانت تُسمى بإسبانيا الإسلامية.

أي أنّ هذا العنوان وظّفته الذات المهددة ليؤدي وظيفة جمالية من خلال بنية المفارقة^(١)، وهي تلك الوظيفة التي "يتبدى العنوان فيها نصّاً مفتوحاً على أكثر من قراءة، يهمس بالمعنى دون أن يبوح به، يظهر شيئاً ويغيب أشياء، متمرداً على الحصار، ينساب ليمارس المعنى المؤجل، وفي هذه الحالة يكون علامة سيميائية، يفرض على القارئ الولوج إلى عالم المغامرة، ويجبره على التأويل، وذلك بتقديم عدد من الإشارات والنبؤات حول محتوى النص، ووظيفته المرجعية، وطاقاته الترميزية"^(١).

وبناء عليه فإنّ الشاعر أراد من هذا العنوان الإيحاء بالأمل الذي يُراوده في الخلاص من أسباب شكواه، باللجوء إلى الله تعالى.

(١) إنّ المفارقة من السمات الفنية المعاصرة التي تبرز القيم الجمالية للنص الإبداعي وما يحمله من معانٍ؛ وهي "فكرة تقوم على استنكار الاختلاف والتفاوت بين أوضاع كان ينبغي أن تتفق وتتماثل" ينظر: د. علي عشري زايد، **عن بناء القصيدة العربية الحديثة**، القاهرة، مكتبة ابن سينا للطباعة والنشر والتوزيع والتصدير، ط٤، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، ص ١٣٧.

(١) أ.د. شادية شقروش، **سيمياء العنوان في ديوان (مقام البوح) للشاعر الدكتور عبد الله العشي**، الملتقى الوطني الأول: السيمياء والنص الأدبي، منشورات جامعة محمد خيضر بسكرة، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، قسم الأدب العربي، (٧ - ٨ نوفمبر) ٢٠٠٠م، (٢٦٥ - ٢٨٩)، ص ٢٧١، ٢٧٢.

٤ - قصيدة أصحاب الظل:

أبيات القصيدة:	دلالة أبيات القصيدة
رفاقي نجومٌ في سماءِ مودتي أَحَدَيْتُهُمْ عن خافياتِ مشاعري يُحِيطُونَ بي في الصَّفْوِ من كلِّ جانبٍ مَضَى زَمَنٌ لم يَحْكَمْ الهجرُ بيننا ولكنني لما طَعَنْتُ بي مواجعي هَمَسْتُ لهم سِرًّا فلم يَنْلَقُتُوا! إلى اللهِ أَشْكُو من رفاقي قساوةِ وما "ابنٌ جَلالاً" إلا أنا غيرَ أنسي	يضيقون لي قلبي وليل شُجُوني واحكي لهم هَمَسَ الهوى بَعْيُوني وَيَفْئِدُونِي بالروح إن فَتَّؤُونِي وما حَيَّيْبُوا يوماً جميلَ ظَنُونِي وحاصِرَني مَسُوحُ الاسي تَرَكوني! وناديتُهُمْ جَهْرًا فما سَمِعُوني! تُفَرِّقُ لي قَبْلَ المَثُونِ مَثُونِي طاب لي صَفْوُ الهوى عَرَفُوني! ^(١) مخ المفارقة بين الذات الشاكية والآخر المنافق
	مشاعر الذات الصادقة المُحِبَّة التواصل حالة رَغْد العيش الغدر وقت الشدة الشكوى إلى الله المفارقة بين الذات الشاكية والآخر المنافق

رسم تخطيطي (٥): الدلالات التي تربط بين العنوان وقصيدة أصحاب الظل

دلالات التناص العنواني وإيجاءاته: إن مفردة الظل من المفردات التي يتسع معناها في اللغة العربية، حيث يُفهم معناها من السياق الذي وردت فيه، فمن معانيها "ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَا الظِّلُّ وَلَا الحُرُورُ﴾ (فاطر: ٢١) تمثل الآية الإيمان بالظل والكفر بالحرور. وقوله تعالى: ﴿انطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾ (المرسلات: ٣٠): دخان كثيف يخرج من جهنم. وقد يكنى بها عن ذات الشيء، المرأة ظل الرجل يصاحبه كظله: لا يفارقه، انتعل ظله/ مشى على ظله: مشى في منتصف النهار في القميص، فلم يكن له ظل. ثقل الظل: غير مرغوب في وجوده، مزعج. خفيف الظل: لطيف، مرح، مؤنس، خفيف الروح. ظلال البحر: أمواجه. ظل الريح: الجهة التي تمب نحوها الريح. ظل السحاب: ما وارى الشمس. ظل القميص: شدته^(١). وبالنظر إلى المستوى التركيبي نجد أن عنوان القصيدة "أصحاب الظل" يتألف من

(٢) اللعبون، ديوان مزاجها زنجبيل، مصدر سابق، ص ٧٣، ٧٤.

(١) يُنظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر، القاهرة، عالم الكتب، ط ١٤٢٩هـ، ١٤١٠هـ

- ٢٠٠٨ م. مادة "ظل" بتصرف واختصار.

مركبين اسميين تجمع بينهما علاقة إضافة (مضاف ومضاف إليه).
ومن ثمَّ فإنَّ جملة العنوان من حيث بنائها التركيبي مطبوعة بالطابع الاسمي؛ الدال على الثبات، فالشاعر يريد إثبات حقيقة، من خلال التعريف الذي يوحي به المضاف إليه "الظل" المعرّف "بأل" ، والعنوان بهذا لم يُفصح عن مغزى الشاعر.
كما يُلاحظ أنّ هذا العنوان فيه استدعاء لقوله تعالى بقصة شعيب عليه السلام مع قومه المكذبين، وسخريتهم من نبيهم، التي انتهت منهم بطلب العذاب، قال الله تعالى: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (الشعراء: ١٨٧ - ١٨٩)، فهؤلاء الضالين من قوم شعيب عليه السلام هم أصحاب الظلة.
إذن الشاعر استحضر هذا العنوان المتناص مع النص القرآني، للإيحاء بما يعاينه من نفاق أصحابه، الذين يفدون بالروح حالة صفوه، أمّا إذا ما تبدلت حاله وأضحى يعيش في ضنك؛ تركوه، ولم يكن أمامه إلا أن يشكو قسوتهم إلى الله تعالى، وبهذا يتبيّن أنّ الشاعر لم يبدر منه قطيعة ولا رغبة في الانتقام منهم.

٥- قصيدة زمان المنذرين:

دلالة أبيات القصيدة	أبيات القصيدة:
يقين الذات من نصرة الحق وقهر الظالمين	إن جاز ظالمي الغشوم فإن لي كل الذين تكبروا وتجبروا لي في ظلام الليل أمّ لم تنزل يا ويل من رشقت عليه سهامها كم ظالم حذرتة من ظلمه حتى إذا نزلت عليه عقوبة وطواه طوفان الردى أما أنا لا تظلموا إن العدالة حكمها
يقين الذات من أن دعاء المظلوم مستجاب	رثا سيئصفتي ونجزي طالمي وتنمروا غصوا أصابع نادم ترمي السهام على عدوي الغاشم وهوى بحر دموعها المتلاطم قد ظن تحذيري دليل هزائمي آوى إلى جبل وما من عاصم السفين أريق أدفع راجم كحد السهري الصارم ^(١)
عاقبة المنذرين التي لا عاصم منها العدالة الإلهية نافذة	

رسم تخطيطي (٦): الدلالات التي تربط بين العنوان وأبيات قصيدة زمان المنذرين

دلالات التناص العنواني وإيحاءاته: جاء عنوان القصيدة في صورة مركب إضافي،

(١) اللعون، ديوان مزاجها زنجبيل، مصدر سابق، ص ٩٩، ١٠٠.

المضاف: زمان، والمضاف إليه: المنذرین، ويُلاحظ أنَّ هاتين المفردتين معناهما جلي، ولما كانت مفردة "زمان" قد تتوَلَّى إلى زمن ماضى، أو زمن حاضر، أو زمن آتٍ، فإنه من الصعوبة بمكان أن نقدر المحذوف، فكما اتَّفَق النُّحاة والبلاغيون على أن تقدير المحذوف دون وجود قرينة يُعتبر عبثاً مرفوضاً، ومع هذا الإبهام الذي دخل العنوان، فإنَّ المتلقي تبدأ رحلته في معرفة مغزى هذا العنوان، خاصة وإنه مستلهم من القرآن الكريم، وشمل أقوام البشر المنذرين الذين لم يستجيبوا لدعوة الرسل عليهم السلام، منذ عهد نوح عليه السلام وحتى النبي صلى الله عليه وسلم.

وبهذا فإنَّ العنوان يُثير المتلقي ويدفعه إلى البحث عن دلالاته، فيدخل إلى القصيدة لفهم العنوان، وفك شفراته، وهنا يقف المتلقي على أمرين هامين:
الأول: إنَّ الشاعر يشكو الظلم الذي وقع عليه، ويُحذِّر الظالمين من مغبة ظلمهم، مستلهمًا تحذيره لهم من الحديث النبوي الشريف، الذي رواه عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنَّه بعث مُعَاذًا إلى اليمن، فقال: "اتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ"، فالحديث النبوي فيه وصية وتحذير من ظلم الناس لأنَّ دعوة المظلوم، مستجابة لا تُرد^(١).

الثاني: أنَّ الشاعر استلهم قصة نوح عليه السلام مع قومه، بقوله تعالى: ﴿وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (هود: ٤٤) لتحذير الظالمين من مغبة ظلمهم.

إذن الشاعر استلهم العنوان لتحذير الظالمين، مستشهدًا بما حدث مع المنذرين من قوم نوح عليه السلام.

وبعد التحليل السيميائي: الذي هدفنا من خلاله الكشف عن دلالات

(١) أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، صحيح البخاري، ضبطه وخرج أحاديثه ووضع فهرسه د. مصطفى ديب البغا، بيروت، نشر وتوزيع دار ابن كثير، ط ٥، ١٩٩٣م، كتاب المظالم والغصب، باب الاتقاء والحذر من دعوة المظلوم، حديث رقم: ٢٣٤٣، وباب بعث أبي موسى، ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع، حديث رقم: ٤١١٢.

وجماليات التناص العنواني وإيجاءاته في قصائد البوح والشكوى، يتبين أن عناوين تلك القصائد تنسجم في دلالتها مع عنوان الديوان، من خلال ما دار في مضمونها من شكوى الشاعر وبوحه، هادفاً إلى نشر ثقافة المحبة التي حثَّ عليها وأمر بها القرآن الكريم؛ أملاً في الفوز بما وعد به سبحانه وتعالى عباده الصالحين، ومنه ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا﴾ (الإنسان: ١٧).

وهو ما تجلَّى معه غياب روح التشاؤم، فعلى الرغم من دواعي التشاؤم التي برزت في مضمون بعض القصائد من هذه المجموعة، إلا أن الذات الشاعرة لم تنطرق إليها؛ بل إن أقصى ما وجدناه الشكوى، التي تهدف إلى التنفير من كل ما يُشِين من أفعال يترتب عليها الإيذاء للآخرين.

المبحث الثالث: دلالات التناس العنواني وإيجاءاته في قصائد الشعر الديني

١ - قصيدة الطارق العُلوي:

دلالة أبيات القصيدة	أبيات القصيدة:
<p>التضرع إلى الله تعالى ومناجاته في السر والجمهور</p> <p>حمد الله في الشدة والرخاء</p> <p>الحمد لا يفني نعم الله التي لا تُعد ولا تُحصى</p>	<p>على بابك العُلوي يارب حامد أنخ مطاياهُ وقرب هديهُ يُرتل فيك الحمد سراً وجهرةً لك الحمد يارب المحامد كلما لك الحمد ما ناجاك في الليل قائم لك الحمد ما أخفى المواجه صامت لك الحمد كل الحمد يا غاية المنى حنانك إن قصرت في شكر نعمة</p>
<p>إليك انتهت آمأله والمقاصم وأجهش يُفني شاكراً وهو ساجد ودمع الرضا من مقلتيه قلائد تدانث مسرات وولت شدايد وصوت أساه بالثجا متصاعد يكابد من آلمه ما يكابد سلوة الأوجاع والبرء شاهد آلاف وغُمري واحد^(١)</p>	

رسم تخطيطي (٧): الدلالات التي تربط بين العنوان وأبيات قصيدة الطارق العُلوي

دلالات التناس العنواني وإيجاءاته: جاء عنوان القصيدة اسمين؛ الأول منهما: اسم موصوف (الطارق)، وهو لفظ عام يحرك الذهن نحو معرفة صفاته، خاصة وأن مفردة الطارق في معناها المعجمي تعني القادم الذي يطرق الباب، غير أن الصفة لهذا الاسم جاءت أيضاً اسماً عامماً (علوي).

فما مغزى هذا العنوان؟ خاصة وأنه مستلهما من قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ

وَالطَّارِقِ ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾ (الطارق: ١-٣).

وبقراءة القصيدة، والبحث في الدلالات التي أوحى بها الأبيات يتبين للمتلقي، أن هذا العنوان المتناس مع النص القرآني هدف الشاعر من خلاله تصوير صورة المؤمنين في خشيتهم وتضرعهم للخالق عز وجل بالاعتماد على الصورة المستلهمة من حركة الطارق، وهو ما يمكن تمثيله فيما يلي:

(١) اللعون، ديوان مزاجها زنجبيل، مصدر سابق، ص ١٠٩، ١١٠.

التناس العنواني ودلالته في ديوان مزاجها زنجبيل لفواز اللعون "دراسة سيميائية"، د. فاطمة بنت سعيد أحمد العمري

الدلالات التي حملتها أبيات القصيدة	الدلالات التي أوحى بها الطارق في النص القرآني
- المناجاة والتوسل والتضرع، سرًا وجهراً، للخالق العظيم، فقلوب المؤمنين تنقاد إلى الله تعالى بالدعاء، سواء في ذلك وقت الشدة والرخاء.	- الانقياد والإذعان لقدرة الخالق العظيم؛ فالنجم الطارق يأتي إلى السماء بعد أن يغشاها ظلام الليل، ليثقبها بضوئه.
- قلب العباد المؤمنين يُحرّكه الخشوع والخضوع إلى ربّ السماء، حمداً وشكراً على نعمه، التي لا يمنحها سواه لأحد من الخلق.	- حركة الطارق تكون في الفلك العلوي، شهادة بقدرته الخالق المنظم لأمر السماء بهذه الدقة التي لا يقدر عليها سواه عزّ وجلّ.
- الإبتهاال في الدعاء يوحي بحالة التضرع والاستكانة الظاهرة على الداعي، الذي يتسامى بقلبه وروحه عن الأرض، وينقاد إلى الخالق العلوي.	- حركة الطارق في السماء فيها تشخيص يجسد صورة من صور التعبير القرآني المحتملة بالكثير من المعاني، التي تدور في الفلك العلوي.

جدول (١): الدلالات التي تجمع بين العنوان وأبيات قصيدة الطارق العلوي

وعليه فإنّ هذا العنوان جاء وصفيًا لما اشتملت عليه القصيدة من معانٍ، وما حملته بنيتها العميقة من دلالات، نشأت من ربط الشاعر بين صورة النجم الثاقب، أي الطارق في حركته بالفلك العلوي، وقلوب العباد حالة تضرعها، حيث تسمو بروحها نحو ربّ السماء.

٢- قصيدة يارب:

دلالة أبيات القصيدة	أبيات القصيدة:
شكوى الوحدة والعذاب	وَحِيدٌ وَذَمْعِي عَلَى وَجْنِي ظَلَامٌ الدَّجَى خَانِقٌ رُؤْيِي أُنَادِي وَخَذْلِي رُفْقِي وَلِي خَالِقٌ كَاشِفٌ حَيْرِي أُنَادِيهِ " يَا رَبِّ " فِي وَحْدِي فَأَضْعُدُ وَالنُّورُ فِي وَجْهِي وَأَسْأَلُهُ أُنْبِيَايَ الَّتِي وَأَهْبِطُ مُتَشَبِّحًا فَرَحِي
خذلان الرفاق وقت الشدة	يَكَاذُ يَبُوحُ بِمَا أَكْتُمُ وَصُبْحِي بِأَنْوَارِهِ مُظْلِمُ فَأُنَادِمُ يَا طَوْلُ مَا أَنْدَمُ أُبُوحُ لَهُ وَهُوَ بِي أَعْلَمُ
اللجوء إلى الخالق ملاذ السائلين	فَيَمْتَدُّ لِي فِي الْمَدَى سَلَمُ وَيَنْفَتِحُ الْمَدْحَلُ الْأَعْظَمُ تَطَاوَلُ بِي وَعَظْمَا الْأَقْدَمُ وَتُعْرِي بِإِشْرَاقِهِ يَبْسِمُ ^(١)
مناجاة الخالق ومشاعر الرضا والطمأنينة	

رسم تخطيطي (٨): الدلالات التي تربط بين العنوان وأبيات قصيدة الطارق العلوي

دلالات التناس العنواني وإيجاءاته: يتألف عنوان هذه القصيدة من لفظ الجلالة

(١) اللعون، ديوان مزاجها زنجبيل، مصدر سابق، ص ١٠٥، ١٠٦.

"رب" المسبوق بأداة النداء "يا"، ومن ثمَّ فإنَّ هذا العنوان توحى دلالته بأمر دفع الشاعر إلى نداء الخالق العظيم، وهذا بالتالي يشوق المتلقي نحو معرفة مغزى هذا العنوان، الذي يتناص مع نداء النبي ﷺ لله تعالى، والذي ورد مرتين في القرآن الكريم بلفظ "رب"، مسبقاً بأداة النداء "يا".

فالمرّة الأولى منهما جاءت في نداء النبي ﷺ ربه شاكياً له إعراض قومه عما جاء به، ومتأسفاً على ذلك منهم، بقوله تعالى في سورة الفرقان: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ (الفرقان: ٣٠)، والمرّة الثانية جاءت في سورة الزخرف بندا، النبي ﷺ لربه، شاكياً تكذيب قومه، متحزناً على ذلك، بقوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الزخرف: ٨٨).

وبقراءة أبيات القصيدة، وما توحى به من دلالات؛ يتبيّن أنّ الشاعر يعاني مشاعر الوحدة، وخذلان الرفاق وقت الشدة، فلجأ إلى الخالق سبحانه وتعالى ملاذ السائلين، مناجياً، طالباً منه العون.

ومن ثمَّ يتبيّن أنّ هذا العنوان رغم الإيجاز، ومجيئه في كلمة واحدة، فإنه جاء مُحمّلاً بمعانٍ كثيفة، تحمل إichاءات عميقة، منبعها التناص مع النص القرآني، فهو يندرج تحت هوية العناوين المكتّفة^(١).

(١) العنوان المكتّف كما عرّفه أحد الباحثين: هو ذلك العنوان الذي يجتمع حوله حكاية أو أكثر، يبعث سؤال من لدن الشاعر حال قراءتك للعنوان، ومن خلال أدوات يتقن الشاعر فنّها". يُنظر: يُنظر: د. عماد علي الخطيب، هُويّة العنونة في الشعر السعودي المعاصر، الباحة، وزارة الثقافة والإعلام، النادي الأدبي بمنطقة الباحة، بيروت، مؤسسة الانتشار العربي، ط١، ٢٠١٤م، ص٧٣.

٣- قصيدة فتيية آمنوا بركم:

دلالة أبيات القصيدة	أبيات القصيدة:
التحية لخي الله	سلام على العشاق ما سأل مدمع
تقوى الله وخشيته والزهد في الشهوات	تراهم يُعانون الذي يكتمونهُ أخَبُوا فخافوا الله في خلواتهم إذا نزوة نادى بهم أعرسوا، وإن يقومون جُلَّ الليل لا يرقُدونه
قيام الليل ومناجاة الخالق، حبًا وشوقًا	وفي ثُلث الليل الأخير تراهم أمانيتهم أن يجمع الطيف بينهم وكيف لمن لم يرحم الشوق قلبه سلام عليهم ما أرق شجوتهم
التحية لخي الله البشرى لخي الله	سيرحهم ربي ويجمع بينهم وما التهبَّت بالشوق والنار أضلع وغيرهم في لذة العيش يرتع ولم يُغويهم عن مسلك الطهر مطمع دعاهم منادي المتقين تجمعوا ولائمهم فوق الأرائك بهجج يناجون من يحنو عليهم ويسمع بمجلس خلص والخالق هجج ينام وفي لقي المنامات تطمع
	وما أعذب الآهات والعين تدمع ويهدأ مشتاق ويرأ موجع

رسم تخطيطي (٩): الدلالات التي تربط بين العنوان وأبيات قصيدة فتيية آمنوا بركم
دلالات التناس العنواني وإيحاءاته: جاء عنوان القصيدة جملة اسمية تامة الأركان،
واضحة المعنى، تتألف من مبتدأ "فتية"، وخبر "آمنوا"، وجار ومجرور "بركهم" متعلق
بآمنوا.

وأول ما يلاحظ أنَّ هذا العنوان أنه جاء متناسبًا مع النص القرآني، بقوله تعالى:
﴿لَنَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاَهُمْ هُدًى﴾ (الكهف:
١٣). فهؤلاء الفتية في النص القرآني هم أصحاب الكهف، الذين أخلصوا عبادة الله
تعالى وأووا إلى الكهف فرارًا بدينهم من بطش قومهم.

أمَّا عنوان القصيدة فإنه لم يُحدّد من هم أولئك الفتية، ومن ثمَّ فإنَّ العنوان يدفع
المتلقي إلى الخوض في أبيات القصيدة، لمعرفة من هم هؤلاء الفتية.

وبقراء أبيات القصيدة التي جاءت في أربعة عشر بيتًا، يقف المتلقي على حقيقة
أنَّ هذا العنوان جاء على سبيل الإطلاق لكل من يخافون الله تعالى، مخلصين في عبادته،
تجمعهم محبته سبحانه وتعالى، ذلك أنهم: خافوا الله في خلواتهم - إذا نزوة نادى بهم

(١) اللعون، ديوان مزاجها زنجبيل، مصدر سابق، ص ٢٩، ٣٠.

أَعْرَضُوا - يَقُومُونَ جُلَّ اللَّيْلِ - يُنَاجُونَ مَنْ يَحْنُو عَلَيْهِمْ وَيَسْمَعُ - وَلَمْ يَفْهَمُوا عَنْ مَسَلِكِ الطَّهْرِ مَطْمَعٌ.

وبناء عليه فإنَّ هذا العنوان المتناسق مع النص القرآني يُعد عنواناً وصفيّاً، لارتباطه بتلك الوظيفة^(١)، وقد وظّفه الشاعر ليعبر من خلاله عن حقيقة أنّ المؤمنين في كل زمان ومكان هم صورة من صور أصحاب الكهف.

٤ - قصيدة ضلالي القديم:

<p>دلالة أبيات القصيدة</p> <p>↓</p> <p>الحجة الإلهية التي تملك فكر ووجدان الذات الشاعرة</p>	<p>أبيات القصيدة:</p> <p>↓</p> <p>قد ذُفْتُ حَمْرُ الْهَوَى حَتَّى سَكِرْتُ بِهِ أَجْرُ فِي النَّاسِ خَطُوبِي قَائِلًا لَهُمْ: وَقَانِلِينَ: فَيَسْكِرَانِ مُضْطَرِبٌ إِنْ كَانَ لَابُدَّ مِنْ سَوْطٍ أَخَذُ بِهِ كَمْ لَامَنِي فِيكَ أَحِبَابٌ عَدَزْتُهُمْ جَاوَزْتُ فِي حَبْلِكَ الْمَعْقُولَ مِنْ وَلَعِي قَالُوا: جُنِبْتَ بِمَا حَيَّا؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ لَوْ تَعْرِفُونَ جُنُوبِي فِي مَحَبَّتِهَا</p>
---	---

رسم تخطيطي (١٠): الدلالات التي تربط بين العنوان وأبيات قصيدة ضلالي القديم

دلالات التناسق العنواني وإيجاءاته: إن هذا العنوان من الناحية التركيبية يتألف من جملة اسمية، مبتدأ معرّف ببياء الملكية (ضلالي) التي تنسب الضلال إلى الذات الشاعرة، وخبر يصف هذا الضلال بأنه قديم (القديم).

(١) الوظيفة الوصفية: وهي الوظيفة التي يقول العنوان عن طريقها شيئاً عن النص، أي أنها تحمل وصفاً يصف شيئاً في النص، وقد عدّها (إمبرتو إيكو) مفتاحاً تأويلياً للنص، وأطلق عليها (غولدنشتاين) الوظيفة التلخيصية، وأيضاً سمّاها (كوتنورويس) الوظيفة اللغوية الواصفة. يُنظر: عبد الحق بلعابد: عتبات جيران جينيت من النص إلى المناص، تقديم: سعيد يقطين، الجزائر، منشورات الاختلاف، بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط ١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، ص ٨٧.

(٢) اللعوب، ديوان مزاجها زنجبيل، مصدر سابق، ص ٣٣، ٣٤.

ومن الناحية المعجمية فإنَّ الضلال مصدر من الفعل ضلَّ، الذي يؤول في معناه العام إلى اعتقاد باطل، قال ابن منظور: الضَّلالُ والضَّلالَةُ ضدُّ الهدى والرَّشادِ ضلَّلتَ تَضِلُّ هذه اللغة الفصيحة وضلَّلتَ تَضِلُّ ضلالاً وضلالةً... ورجل ضلَّيل كثير الضلال ومضللٌ لا يُوفِّق لخير أي ضالٌّ جدًّا وقيل صاحب غواياتٍ وبطالاتٍ وهو الكثير التَّبَع للضلال والضَّييل الذي لا يُفْلِع عن الضلالة وكان امرؤ القيس يُسمَّى الملك الضَّييل والمضلل^(١).

وقال الفيروزبادي: الضَّلالُ والضَّلالَةُ والضُّلُّ : ضدُّ الهدى والرَّشادِ وقال ابنُ الكَمالِ : الضَّلالُ فُقِدَ ما يُوصِلُ إلى المطلوبِ وقيل: سلوك طريق لا يُوصِلُ إلى المطلوب، وقال الراغب: هو العُدُولُ عن الطريقِ المُستَقِيمِ وتُضادُّه الهدايةُ قال اللهُ تعالى : ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ (يونس: ١٠٨) (٢).

وبهذا المعنى فإنَّ هذا العنوان يؤدي وظيفة إغرائية^(٣)، حيث يُحرِّك في المتلقِّي الفضول نحو معرفة الضلال الذي جعل الشاعر يُفصح عنه وينظم فيه شعراً إبداعياً، وبدخول المتلقي إلى النص الشعري، يُفاجأ بأنَّ هذا العنوان من العناوين المراوغة^(١)؛ من خلال ما حمله النص الشعري من معانٍ، تبدو في اللمحة الصوفية التي اعتمدها الشاعر

(١) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، بيروت، دار لسان العرب، ١٤، (د.ت.)، مادة "ضلل".

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق: مجموعة من أهل اللغة، الكويت، وزارة الإرشاد والأنباء - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ط٢، ١٩٧٢هـ - ٢٠٠٨م، مادة "ضلل".

(٣) الوظيفة الإغرائية، هي تلك الوظيفة التي يكون فيها العنوان مناسباً لما يغري جاذباً قارئه، فأهمية هذه الوظيفة ترجع إلى أنَّها تشد الانتباه بما تفرضه في عنوانها من الإغراءات الجاذبة للأنظار.

يُنظر: بلعابد، عتبات، جبرار جينيت من النص إلى المناص، مرجع سابق، ص ٨٧، بتصرف.

(١) العنوان المراوغ: هو العنوان الذي لا يخرج القارئ منه بمعنى مباشر، يُنظر: الخطيب، هُوَيَّة العنونة في الشعر السعودي المعاصر، مرجع سابق، ص ٤٩.

في وصف محبته لله تعالى.

ولابد من الإشارة في هذا الموضوع إلى أنّ التصوف الإسلامي القائم على الأوصاف الحسيّة، والفناء والحلول في الذات الإلهية، وما إلى ذلك من الشطحات الصوفية قوبل بالرفض والإنكار من قبل فريق من السلفيين والحنابلة، غير أنهم "قبلوا أن يطلق لفظ الحب على العلاقة بين العبد والإله إذ ورد في القرآن الكريم. ولكن يمنعون أن تكون هذه العلاقة من نوع العشق... وينكرون أمثال الألفاظ الحسية التي جرت على ألسنة بعض المتصوّفة في هذا الميدان بله ألفاظ المتصوفة الأخرى الغامضة. وكل ما خرج عن مألوف العادة والشرع ولم تقبله البديهة ولا الطبع فهو يُدعى بالشطح"^(٢).

فالشاعر استلهم المكونات اللغويّة والمعنويّة والتصويريّة، التي اتخذها الصوفيون وأعاد انتاجها؛ للتعبير عن تجربته الشعرية في حب الله تعالى، ممّا أكسب مضامين تلك القصيدة أبعادًا إشاريّة، ودلالات إحيائيّة جاءت في صياغة إبداعيّة.

ومن ذلك نجد ما اشتملت عليه القصيدة من مفردات: **ذُقْتُ - حَمْرَ الهَوَى - خذوا يدي - فتى سكران - مُدُوهُ لِسُوط - حُدُونِي - جاوزتُ في حُبِكِ المَعْقُول - زيدوني - جُنِنْتَ بما حُبًّا - جُنُونِي في مَحَبَّتِهَا.**

فهذه المفردات جميعها يؤول معجمها الشعري إلى خمر المحبة الإلهية، لعلاقة المشابهة؛ ذلك أنّ الشعر الصوفي يتألف عامّة من وحدات موضوعاتيّة كثيرة ومتنوعة، يُطلق عليها السيميائيون أيقونات، منها "موضوعات الطلل والغزل والرحلة والحنين والخمر، وهي موضوعات يمكن أن تتداخل في قصيدة واحدة... ظاهرها شيء وباطنها شيء آخر، ولذلك فهي في أغلبها يمكن أن ينطبق عليها اسم "إيقونات" في لغة السيميائيين"^(١).

(٢) د. عبد الكريم الياحي، دراسات فنية في الأدب العربي، بيروت، مكتبة لبنان، ط ١، ١٤١٦ هـ

- ١٩٩٦ م، ص ١٩٥ .

(١) أ.د. مختار حبار، شعر أبي مدين شعيب التلمساني (الرؤيا والتشكيل)، دمشق، اتحاد الكتاب

العرب، ط ١، ٢٠٠٢ م، ص ٦٠.

وقد انتقى الشاعر من هذه الموضوعات خمر المحبة الإلهية فحسب، وفي تحليل الإشارة بالخمر إلى المحبة الإلهية؛ ربط بعض أحد الباحثين ذلك بورودها في القرآن الكريم، إذ قال: ربما كان ذو النون المصري من أوائل الذين استعملوا مجازاً ألفاظ الكأس والشراب في هذا السبيل، ولا شك في أنه اقتبسها مما ورد ذكره في التنزيل الكريم في وصف جنات النعيم^(٢)، ومن هذا نجد قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّم يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّن خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّن عَسَلٍ مُصَفًّى وَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ (محمد: ١٥).

وبناءً عليه فإنَّ توجّه الشاعر إلى هذا الموضوع بعينه، إنما هو نوع من التجديد في التعبير عن مشاعر الحب، والتقرب من الله تعالى؛ بالصورة التي تمنح الشعر نوعاً من الجمال النصي؛ منبعها الابتكار، فاللغة المعيارية المألوفة قد لا تسعف المبدع في التعبير عن خفايا النفس الإنسانية، ومن ثمَّ فقد قال أحد الباحثين عن اللغة الوضعية المألوفة إنَّها: كثيراً ما تعجز عن الوفاء بحق الفكرة أو الشعور^(٣).

وبالرجوع إلى تأويل العنوان فإننا نتوقف عند أمرين مهمين، هما:

الأول منهما: نشأ عن المفارقة بين العنوان ونصّه الذي يعلوه، ومرجع ذلك كما أشرنا إلى أنَّ الضلال يؤول في معناه اللغوي إلى اعتقاد باطل، فهو ضد الهدى والرشاد، والقصيدة تدور حول المحبة الإلهية التي تمكّنت من الذات الشاعرة، ومن ثمَّ فإنَّ العنوان كسر أفق توقع المتلقي، من خلال هذه المفارقة؛ التي أكسبت النص الشعري جمالاً وعمقاً في التأثير؛ فالنصوص التي تحدث مسافة جمالية في ذهن المتلقي، تكون أكثر أهمية من تلك التي تكون مألوفة ومتوقعة، قال "ميويك": فلما كانت بنية المفارقة تعتمد على التخالف والتناقض والتفرق والافتراق، فإن نواتجها تأتي مشحونة بكل هذه الأبعاد،

(٢) الياني، دراسات فنية في الأدب العربي، مرجع سابق، ص ١٩٣.

(٣) د. أحمد محمد ويس، الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية، بيروت، مجد: المؤسسة

الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، ص ٧٧.

على معنى أنها قد تدفع بكل ذلك إلى المتلقي" (١).

الثاني منهما: نشأ عن التناص القرآني، الذي استلهمه الشاعر من قوله تعالى بقصة يوسف عليه السلام: ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾ (يوسف: ٩٤، ٩٥)، فالنص القرآني يوحى بالحبة التي تمكنت من قلب الأب يعقوب عليه السلام، وبقينه القوي من لُقيا ابنه يوسف عليه السلام، على الرغم من مرور تلك السنين الكثيرة على فراقه بزعم أخوته أن الذئب أكله. وبناء عليه فإنَّ الشاعر وظَّف هذا العنوان المتناص، للإيحاء بالحقيقة التي تؤول في جوهرها إلى محبة الخالق العظيم، في أسلوب إبداعي يُبرز القيم الجمالية للنص الشعري بما يحمله من معانٍ ودلالات؛ من خلال أسلوب المفارقة التصويرية، التي تقوم على استنكار الاختلاف والتفاوت بين أوضاع كان ينبغي أن تتفق وتتماثل، أو بتعبير مقابل تقوم على افتراض ضرورة الاتفاق فيما واقعه الاختلاف، والشاعر المعاصر يستغل هذه العملية في تصوير بعض المواقف والقضايا التي يبرز فيها هذا التناقض، والتي تقوم المفارقة التصويرية بدور فعال في إبراز أبعادها" (١).

فتوظيف الشاعر للمفارقة في هذا العنوان المتناص مع القرآن الكريم؛ يؤكد على وعي الذات المبدعة، وقدرتها على تفجير شعريات بعضها في نسق ظاهر، والبعض الآخر في نسق مضمّر، بالربط بين التناص وبنية المفارقة بالصورة التي معها أضحى الخطاب الشعري أقوى تأثيراً وعمقاً في وجدان المتلقي. ولا بد من الإشارة إلى أن هذا النزوع من الشاعر نحو التجديد في الشعر الديني، بصياغة تجربته الشعورية على منحى الشعراء الصوفيين المعتدلين، قد يُدخل الإبهام على المتلقي، فما أحرى أن تزود مثل هذه القصائد بمقدمة تساهم في إزالة الإبهام، وتعين المتلقي على سبر أغوارها؛ حتى يتحقّق أكبر قدر من الإفادة الجمالية.

(١) د. سي. ميويك، **المفارقة وصفاتها - موسوعة المصطلح النقدي**، ترجمة: د. عبد الواحد لؤلؤة،

بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ١٩٩٣، ١٠١، ص ٧٠.

(١) زايد، **عن بناء القصيدة العربية الحديثة**، مرجع سابق، ص ١٣٠.

وهذا التحليل السيميائي الذي هدفنا من خلاله الكشف عن دلالات وجماليات التنصص العنوايني وإيجاءاته في قصائد الشعر الديني، يتبين أن تلك القصائد جاءت مُفسّرة للعنوان الرئيس من خلال ما دار في مضمونها من عرض لصور الطاعات، والعبادات، والمناجاة، والابتهالات، والحب الإلهي، وكلها ترسم صور لخشية الله تعالى في السر والعلانية؛ أملاً في الفوز بما وعد به سبحانه وتعالى عباده المؤمنين من الخلد في جنة النعيم، التي تتعدّد فيها النعم التي يتمتعون بها، ومنها ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ﴾ (الإنسان: ١٧).

وإضافة إلى ما تجلّى من جماليات كشفت عنها المقاربة السيميائية؛ فإنّ القارئ إذا ما جمع بين عنوان الديوان، وعناوين القصائد الواردة بين دفتيه، والتي منها هذه القصائد التي تناولناها بالتحليل على مدار صفحات البحث، وتذوّق لغتها الشعرية، وما حملته مضامينها من جماليات - سيستشعر بأنّ قصائد هذا الديوان ذاتها: مزاجها زنجبيل، ذلك أنّها تخاطب العقل، وتسمو بالوجدان، في صورة إبداعية هدفت إليها الذات الشاعرة، وعبرّت عنها في تجربة شعرية صادقة، جمعت بين المعنى الذي حملته بنيتها التركيبية على المستويين السطحي والعميق، والرسالة الهادفة التي غالباً ما وجدناها تهدف إلى غرس قيم أخلاقية تسمو بالمجتمع الإنساني.

الختامة:

- وبعد التحليل السيميائي الذي هدفنا من خلاله الكشف عن جماليات العناوين المتناصّة دينياً في ديوان "مزاجها زنجبيل"؛ فقد توصلنا إلى العديد من النتائج، من أبرزها:
- العنوان الرئيس للديوان الشعري يُعدّ عتبة نصّية مهمّة، تُغري المتلقّي بقراءة الديوان، وفهمه، وتأويله.
 - العنوان يقوم بوظيفة جماليّة محدّدة ومقصودة من قِبل الذات المبدّعة.
 - دلالة عنوان الديوان المتناص مع القرآن الكريم "مزاجها زنجبيل"، كانت بمثابة إرهاب إيحائي امتدّ ليظهر في مضامين القصائد، التي جاءت عناوينها مستلهمة أيضاً من النص القرآني.
 - العناوين بصفة عامة - الرئيسة والفرعية - تشتمل على مستويين: الأول منهما: المعنى التقريري، والثاني: المعنى الإيحائي الدلالي، وهذان المستويان لا ينفصلان، بل إنّهما يتحدان، ومرجع ذلك إلى أنّ المعنى الإيحائي يتوقف على المعنى التقريري.
 - فالعنوان ← دال ← المدلول: ١- معنى تقريري. ٢- معنى إيحائي.
 - يقوم العنوان أحياناً بدور الرّمز الاستعاري المكتفّ لدلالات النصّ، وهو ما يستوجب من المتلقّي رصد تحولاته بوضع منهجيّة تُحيط به تأويليّاً، وتناسب مع ما اشتمله من أبعاد معرفيّة على: المستوى المعجمي، والمستوى التركيبي، والمستوى الدلالي.
 - العنوان في حدّ ذاته نصّ، والقصيدة التي يعلوها العنوان ما هي إلاّ تفرّعات نصّية تنبع من العنوان الأمّ؛ فالعلاقة بين العنوان والقصيدة هي علاقة انتماء دلالي.
 - دلالات التناصّ العنوايني وإيحاءاته في عناوين القصائد المتناصّة دينياً؛ بمجموعتي قصائد البوح والشكوى، وقصائد المناجاة والشعر الديني؛ جاءت مُفسّرة للعنوان الرئيس المتناصّ دينياً.

- النزعة التجديدية لدى الشاعر تجلّت في إفادته من الإضاءات النقدية الحديثة، التي دخلت المجال النقدي العربي المعاصر بمُسميات مستحدثة، وسلطت الضوء على العنونة ومغزاها الدلالي، ومنها التناص، والمفارقة.

- برزت نزعة الشاعر إلى الرومانسية في التأمل، والتعبير عن الوجدان، والشكوى بعيداً عن التشاؤم.

- بالربط بين بنية العنوان الرئيس، وبنية العناوين التي جاءت بين دُفتي الديوان، نستشعر حقيقة أن الشاعر لا يضع عنوانه الرئيس ولا العناوين الفرعية غالباً، إلا بعد أن ينتهي من عمله الإبداعي، وهذا معناه أن بنية العنوان مرحلة لاحقة، وليست سابقة في الإبداع الشعري.

التوصيات: توصي الباحثة بدراسة التناص في النتاج الفكري للشاعر فواز

اللعبون، من خلال تطبيق أحد المناهج الأدبية على مجموعة من القصائد، ترتبط فيما بينها بنوع من العلاقات الأدبية، للكشف عن جماليات لم تكن لتتأتى دون جمعها.

المصادر والمراجع:

- أولاً: القرآن الكريم، مصحف المدينة النبوية، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف (١٤٣٤هـ).
- ثانياً: فواز اللعبون، ديوان "مزاجها زنجبيل"، الرياض، دار المفردات للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م.
- ثالثاً:
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، بيروت، دار لسان العرب، ط ١، (د.ت.).
- إليوت، ت. س.، ف. أ. مائيسن، مقال في طبيعة الشعر، ترجمه د. احسان عباس، بيروت، المكتبة العصرية، ط ١٩٦٥م.
- ايفانكوس، خوسية ماريا بوثولولو، نظرية اللغة الأدبية، ترجمة: د. حامد أبو أحمد، تقديم: د. عز الدين إسماعيل، القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر، ط ١، ١٩٩٢م.
- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، صحيح البخاري، ضبطه وخرج أحاديثه ووضع فهارسه: د. مصطفى ديب البغا، بيروت، نشر وتوزيع دار ابن كثير، ط ٥، ١٩٩٣م.
- بلعابد، عبد الحق، عتبات، جيران جينيت من النص إلى المناص، تقديم: سعيد يقطين، الجزائر، منشورات الاختلاف، بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط ١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- بنيس، محمد، الشعر العربي الحديث: بنياته وإبدالاتها: ١ - التقليدية، الدار البيضاء، دار توبقال للنشر، ط ٢، ٢٠٠١م، (٤ أجزاء).
- بوقرة، نعمان، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب - دراسة معجمية، عمان، جدارا للكتاب العالمي، ط ١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٩م.
- حبار، مختار، شعر أبي مدين شعيب التلمساني (الرؤيا والتشكيل)، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ط ١، ٢٠٠٢م.
- حسين، خالد حسين، في نظرية العنوان - مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية، دمشق، دار التكوين، ط ١، ٢٠٠٧م.

- حمداوي، جميل، **سيموطيقا العنوان**، المغرب، دار الريف للطبع والنشر الإلكتروني، ط ٢٠٢٠ م.
- خطابي، محمد، **لسانيات النص - مدخل إلى انسجام الخطاب**، المغرب، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط ٣، ١٩٩١ م.
- الخطيب، عماد علي، **هُويّة العنونة في الشعر السعودي المعاصر**، الباحة، وزارة الثقافة والإعلام، النادي الأدبي بمنطقة الباحة، بيروت، مؤسسة الانتشار العربي، ط ١، ٢٠١٤ م.
- زاوي، لعموري، **في تلقي المصطلح النقدي الإجرائي**، مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، الملتقى الدولي الثالث لتحليل الخطاب، العدد (١١)، (ص ٢٣ - ٣٥)، ٢٠١١ م.
- زايد، على عشري، **عن بناء القصيدة العربية الحديثة**، القاهرة، مكتبة ابن سينا للطباعة والنشر والتوزيع والتصدير، ط ٤، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.
- الزيدي، محمد مرتضى الحسيني، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق: مجموعة من أهل اللغة، الكويت، وزارة الإرشاد والأنباء - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ط ٢، ١٩٧٢ هـ - ٢٠٠٨ م. (٤٠ مجلد).
- السبت، عبد الرحمن بن أحمد، **جماليات اللغة الشعرية في ديوان: "مزاجها زنجبيل" لفواز اللعبون**، مجلة العلوم العربية والإنسانية، جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٤)، شوال ١٤٤٣ هـ / مايو ٢٠٢٢ م، (ص ١٥٦٩ - ١٦١٥).
- شقروش، شادية، **سيميائية العنوان في ديوان (مقام البوح) للشاعر الدكتور عبد الله العشي**، الملتقى الوطني الأول: السيميائية والنص الأدبي، منشورات جامعة محمد خيضر بسكرة، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، قسم الأدب العربي / ٧ - ٨ نوفمبر، ٢٠٠٠ م، (ص ٢٦٥ - ٢٨٩).
- الشيبيان، أماني بنت محمد بن عبد العزيز، **الاغتراب في ديوان مزاجها زنجبيل للشاعر فواز اللعبون**، مصر، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية بجرجا، حولية كلية اللغة العربية بنين بجرجا، المجلد (٢٦)، الجزء الأول، (إصدار يونيو)، ٢٠٢٢ م، (ص ١٩٥ - ٢٥٧).

- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، (٢٤ جزء).
- عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، القاهرة، دار الكتب المصرية، ط ١، ١٣٦٤ هـ.
- عزام، محمد، النص الغائب - تجليات التناسخ في الشعر العربي، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠١ م.
- عمر، أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، القاهرة، عالم الكتب، ط ١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
- عناي، محمد، معجم المصطلحات الأدبية الحديثة، مصر، الشركة المصرية العالمية للنشر، لوجمان، ط ٣، ٢٠٠٣ م.
- قطوس، بسام موسى، سيميائية العنوان، عمان، وزارة الثقافة، مكتبة اريد، ط ١، ٢٠٠١ م.
- مسعود، جبران، الرائد، معجم لغوي عصري، بيروت، دار العلم للملايين، ط ٧، ١٩٩٢ م.
- ميويك، د. سي.، المفارقة وصفاتها - موسوعة المصطلح النقدي، ترجمة: د. عبد الواحد لؤلؤة، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (٤ أجزاء)، ط ١، ١٩٩٣ م.
- الهاشمي، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ضبط وتدقيق: د. يوسف الصميلي، بيروت، المكتبة العصرية، ط ١، ١٩٩٩ م.
- ويس، أحمد محمد، الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية، بيروت، مجد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
- يوسف، محمد خير رمضان، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين، الكويت، المؤسسة للنشر، ط ٢، ٢٠٠٢ م، (٧ مجلدات).

Bibliography

- First:** **The Noble Qur'ān**, Mushaf Al-MadinaH Al-nabawiah, published by King Fahd Complex for the Printing of the Noble Qur'ān (1434 AH).
- Second:** Fawāz Al-la'boun, Diwān '**Mizāgoha Zanjabil**', Al- Riyād, Dār Al-Mufradāt for Publishing and Distribution, edition/1, 1440 AH - 2019.
- Third:**
‘Abd Al-Bāqī, Muhammad Fouad, **Al-Mu‘jam al-Mufahras li Alfāz al-Qur’ān al-Karīm**, Dār Al-Kutub Al-Masryah , edition/1, 1364 AH.
Al-Bukharī, Abu‘ Abdullāh Muhammad bin Isma‘īl bin Ibrahim Al-Bukharī, **Sahih Al-Bukhari**, recorded and extracted his hadiths and put his indexes: Dr. Mustafa Deeb Al-Bagha, Beirut, published and distributed by Dār Ibn Kathir, edition/5, 1993 AD.
Al-Hāshimī, Ahmed bin Ibrahim bin Mustafa, **Jawaher Al-Balaghah fi Al-Ma’ani, Al-Bayān and Al-Badi’**, Editing and Proofreading: Dr. Youssef Al-Sumailī, Beirut, Al-Asriya Library, edition/1, 1999 AD.
Al-Khatib, Imād Ali, **The Identity of Addressing in Contemporary Saudi Poetry**, Al-Bāha, Ministry of Culture and Information, Literary Club in Al-Bāha Region, Beirut, Arab Spread Foundation, edition/1, 2014 AD.
Al-Sabt, ‘Abd Al-Rahmān bin Ahmed, **The Aesthetics of Poetic Language in** , Diwān '**Mizāgoha Zanjabil**', by: Fawāz Al-la'boun, Journal of 'Arab and Human Sciences, Qassim University, Volume (15), Issue (4), Shawwāl 1443 AH / Māy 2022 AD, (pp. 1569-1615) .
Al-Shaibān, Amānī Bint Muhammad Bin 'Abd-El' Aziz, Alienation in, Diwān '**Mizāgoha Zanjabil**' by the poet Fawāz Al-la'boun, Egypt, Al-Azhar University, College of 'Arabic Language in Gerga, Yearbook of the College of 'Arabic Language for Boys in Gerga, Volume (26), Part One, (June Edition), 2022 AD, (pp. 195-257).
Al-Tabarī, Ab-Ja'afar Muhammad bin Jarir bin Yazid bin Katheer bin Ghalib Al-Amalī, **Jami' al-Bayan fi Ta'wīl al-Qur'ān**, investigation by Ahmed Muhammad Shākir, Beirut, Muāssat Al-Risāl, edition/1, 1420 AH - 2000 AD.
Al-Zubaidī, muhamad murtada Al-Husseini, **Tj Al'arus min Gawahir Al-Qamus**, tahqiq: majmu'ah min āhl Al-luġh, Al-Kuwait,, Wizarat Al'Ershād w'l-ānbāa' - Al-majlis Al-Watanī l'lthaqāfh w'l-fonone w'l-A'dāb, ta 2, 1972h - 2008 mi.
‘Ānānī, Muhammad, **Mue‘gam AL-Mustalhāt Al-Ādabiah Al-HadithaH**, Masr, AL-Sherkah Al-MsriaH AL-‘Ālāmiah LE-Nashr, Lunjmān, ta3, 2003m.

- ‘Āzzām, Muhammad, **The absent text - manifestations of intertextuality in ‘Arabic poetry**, Damascus, Arab Writers Union Publications, 2001 AD.
- Bel’ābed, ‘Abdel-Haq, **Thresholds, Girarginette from the text to the inevitably**, presented by: Sa’id Yaqtin, Algeria, Al-Tikhrif Publications, Beirut, A’rab Dār of Science Publishers, edition/1, 1429 AH - 2008AD.
- Bennis, Muhammad, **Modern Arabic Poetry: Its Structures and Its Substitutions: 1-Traditionalism**, Casablanca, Dār Toubkal Publishing, Edition/2, 2001 AD.
- Bouqrra, Nu‘man, **Basic Terminology in Text Linguistics and Discourse Analysis - A Lexical Study**, ‘Amman, Jadāra for the World Book, edition/1, 1429 AH - 2009.
- Elliott, T., S., F. A. Māthiesen, **An article on the Nature of Poetry**, translated by Dr. Ihsān ‘Abbās, Beirut, Al-‘Asriya Library, edition/1, 1965 AD.
- Evāncos, Jose Māria Pothuello, **Theory of Literary Language**, translated by: Dr. Hāmed Abu Ahmed, presented by: Dr. ‘Ezz El-Din Isma’il, Cairo, Dār Gharib for Printing and Publishing, Edition/1, 1992 AD.
- Habbār, Mukhtār, **Poetry of Abu Madyan Shuaib Al-Telmisānī (The Vision and Formation)**, Damascus, Arab Writers Union, Edition/1, 2002 AD.
- Hamdāwī, Jamil, **Symotica of the title**, Morocco, Dār Al-Reef for electronic printing and publishing, edition/2, 2020 AD.
- Hussein, Khāled Hussein, **on the theory of title - an interpretive adventure in the affairs of the textual threshold**, Damascus, Dār al-Takween, edition/1, 2007 AD.
- Ibn Manzoūr, Abu AL-Fadl Jamāl Al-Din Muhammad bin Makram, **Lisān Al-‘Arab**, Beirut, Dār Lisan Al-‘Arab, edition/1, without year of publication.
- Khattabī, Muhammad, **Linguistics of the Text - An Introduction to the Harmony of Discourse**, Morocco, Casablanca, Arab Cultural Center, edition/3, 1991 AD.
- Mass‘oud, Gibrān, Al-Raed, **Mue‘gam luġawī, ‘Āsrī**, Bayrut, Dār Al-‘Alm LE-Lmalayin, ta7, 1992m.
- Miwek, D.C., **Paradox and its Definitions - Encyclopedia of Critical Terminology**, translated by: Dr. ‘Ābd-Lwāhed Lu’lu’a, Bēirut, The ‘Ārab Foundation for Studies and Publishing, edition/1, 1993 AD.
- ‘Omar, Ahmed Mukhtār, **Mue‘gam AL-Luġah AL-‘Arabiyyah AL-Mu‘āṣirah**, AL-Qahirāh, ‘Ālam AL-Kutub, ta1, 1429 H - 2008 m.
- Qattous, Bassam Moussa, **Semiotics of the Title**, ‘Amman, Ministry of

Culture, Ārbid Library, edition/1, 2001 AD.

Shaqroush, Shadih, **Semimia, title in the Diwan (Maqam Al-Boah)** by the poet Dr. ‘Abd Allah Al-‘Ashī, The First National Forum: Semiotics and the Literary Text, Publications of Mohamed Khider University of Biskrh, Faculty of ‘Arts and Social Sciences, Department of ‘Arabic Literature / 7-8 November), 2000 AD, (pp. 265-289.

Weiss, Ahmed Muhammad, **Deviation from the Perspective of Stylistic Studies**, Beirut, Majd, University Foundation for Studies, Publishing and Distribution, edition/1, 1426 AH - 2005 AD.

Youssef, Muhammad Khair Ramdān, **Mue‘gam Al-Babtiyn L-Alshuāra' Al-‘Ārab almuāsirin**, AL-kwit, AL-muāssah lilnashr, ta2, 2002m.

Zawī, La‘mourī, **On Receiving the Procedural Criticism Term**, Al-Athar Journal, Kāsdī Merbāh University, Ouargla, Algeria, The Third International Forum for Discourse Analysis, Issue (11), (p. 23-35), 2011 AD.

Zāyid, ‘Alī ‘Ashrī, **on the construction of the modern Arabic poem**, Cairo, Ibn Sina Library for printing, publishing, distribution and export, edition/4, 1423 AH - 2002 AD.

فنّ الاحتجاج بالعواطف في الشعر الشاكي لامية الراعي النميري نموذجا

The art of Invoking Emotions in the
Complainant's Poetry
Lāmiyat al-Rā'ī al-Numairī as a case study

د. أسماء بنت عوض الجميعي

أستاذة البلاغة والتّقدّم المشارك بكلية الآداب جامعة الطائف

البريد الإلكتروني: Asma1429@hotmail.com

ملخص البحث:

يروم هذا البحث إجراء مقارنة تداوليّة حجاجيّة بهدف إظهار تجلّيات ما يصطلح عليه في النّقد الحديث بـ"الاحتجاج بالعواطف" في شعر الرّاعي التّميري، وذلك في سياق من سياقات الشّعر الكبري المتّصلة بالشّكوى في مقام المدح. فالدراسة إذن، هي بحث في مرتكزات الخطاب السّاعي إلى التأثير في الآخر بوصفه الرّكيزة التي ينعقد عليها الخطاب بوجه من الوجوه. وتخيّرنا من شعر الشّاعر قصيدته اللامية لدواع عدّة لعلّ أظهرها ذبوع صيتها في آفاق الشّعر العربي لمئاة صنعتها أولاً، ولدلالاتها المتكثّفة ذات الصّلة بما نوي دراسته فيه ثانياً.

وللإحاطة بالمسألة انتهجنا طرقاً عدّة، رأينا فيها ما يساعدنا على الإمام بالأفكار الكبري للبحث، فبدأنا بمقاربة مصطلح تعدّد الأصوات بوصفه من الآليات الرّئيسيّة التي توسّلها الشّاعر في عمليّته الحجاجيّة. ثمّ تدرّجنا بعد ذلك لرصد وجوه الاحتجاج بالعواطف في لامية الشّاعر، باعتبارها تمثّل خططا استثمارها الرّاعي التّميري على امتداد القصيدة تحقّقاً لرغبات دفيئة أولاً، ولكونها بدت لنا محقّقة لمقاصده من القول ثانياً. فكان تعدّد الأصوات في القصيدة مرتكزاً للعمليّة الحجاجيّة بالعواطف والذي تفرّعت عنه بقية الآليات، فوقفنا عند استحضر القيم والرّموز في النصّ لما لها من أدوار لا تقلّ أهميّة عن بقية المكوّنات الحجاجيّة. وأثبت البحث قدرة الشّاعر على جذب انتباه الممدوح بما هو محبب إلى نفسه من صفات ذاتيّة متعلّقة به، وأخرى استدعاها من الذاكرة الجمعيّة في شكل قيم ورموز مارست تأثيرها المعنوي عليه.

وإنّ الذي نطمح إليه بعد هذا التّحليل قد يكون خطوة أخرى نحو إنجاز بحث مطّول عن تجلّيات الاحتجاج بالعواطف في الخطاب المدحي.

الكلمات المفاتيح: الاحتجاج بالعواطف-الحمل على الاقتناع - الشّكوى-

تعدّد الأصوات - الرّمز.

Abstract

This research aims to carry out an argumentative pragmatic approach in order to show the manifestations of what is known in modern criticism as “the invoking emotions” in the poetry of Al-Rā‘ī Al-Numairi, in the context of one of the major poetry contexts related to the complaint in the place of praise. The paper is a research into the pillars of the discourse that seeks to influence the other by describing him the pillar on which the discourse is held in one way or another. We have chosen from the poet's poem titled *Lāmīa* for several reasons, perhaps its popularity in the horizons of Arabic classical poetry, and for its rich connotations related to what we intend to dive into. In order to cover the issue, we have taken several methods, and we saw in them what helps us to grasp the major ideas in some way. So we began to approach the term polyphony as one of the main mechanisms that the poet aimed at his argumentative process, then we proceeded to grasp the faces of invoking emotions in the poet's *Lāmīa*, as they represent plans used by Numayri throughout the poem to achieve underlying desires, and because it seemed to us to fulfill his purposes from his quotes. The multiplicity of voices in the poem was the basis of the argumentative process with emotions, from which the rest of the mechanisms were branched. We stopped at evoking the values and symbols in the text because of their roles that are no less important than the rest of the argumentative components. The research proved the poet's ability to attract the attention of the praiseworthy with what is endearing to himself in terms of personal characteristics related to him, and others that he recalled from the collective memory in the form of values and symbols that exercised their moral influence on him. What we aspire after this analysis maybe another step towards completing a lengthy research on the manifestations of the presence of invoking emotions in the praised discourse.

Keywords: Invoking emotions – the ability to convince - complaint - polyphony - symbol.

مقدمة البحث

لا شك في أنّ مقارنة التّراث لاستنطاق دلالاته العميقة رغم قدم فترة قوله مازالت قابلة للقراءة والدّراسة في ضوء ما توصّلت إليه النظريّات الحديثة والمناهج من نتائج مهمّة في الحقل الأدبي خاصّة، كالسيميائية أو الحجاجية أو التداوليّة. كما يحسن التذكير بأنّ الخطاب الحجاجي هو في جوهره خطاب تداولي، وذلك من جهة توجّه الدّات المتكلّمة فيه بالخطاب إلى مخاطب مفترض، أو واقع عيانا بغية النّفاذ إلى وجدانه لاستمالتة والتأثير فيه لحملة على تغيير موقفه كلياً أو تعديله إزاء المسألة التي يدور عليها الخطاب الحجاجي برّمته. بمعنى، إنّ عملية التّخاطب في عمومها هي عمليّة ذات أبعاد ثلاثيّة متكوّنة من باث (المرسل) وملتق (المرسل إليه) وخطاب (الرّسالة) وترتبط بمقوّمات العملية الحجاجيّة كما حدّدها أرسطو حسب المرتكزات التالية: الإيتوس والباتوس واللّوغوس، وهي مرتكزات لا غنى عنها لإتمام العملية الإقناعية بوجه من الوجوه.

وإذا كان الإيتوس يُعنى بأخلاق الخطيب وصفاته، فإنّ الباتوس أو الاحتجاج بالعواطف كما استقرّ في كتب النّقد الحديث، يُعنى بأهواء المخاطب وعواطفه في حين، كان اللّوغوس يعنى بهيئة ورود الحجج في الخطاب^(١).

وانطلاقاً ممّا ذكر، فإنّ هذه القراءة ستنصرف إلى العناية بالتّراث الشّعري العربي القديم في ضوء مقارنة لسانيّة حديثة تشغل بال المهتمّين من الباحثين المعاصرين، وذلك من زاوية أنّ الاستعانة بمعطيات التداولية والحجاج تعين في جانب كبير منها على استنطاق التراث الفكري سواء في مجال الأدب، أو السياسة، أو الدين، أو التاريخ بما يضمن تحقّق عملية التواصل ونجاحها.

(١) للتوسّع في هذه المصطلحات اليونانية الثلاثة، انظر، أرسطو، الخطابة، ترجمة، عبد الرحمن بدوي، (بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة [آفاق عربية]، ١٩٨٦) ص ٢٩-٣٥. وانظر: أمينة الدّهري، الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، (الدار البيضاء، شركة النشر والتوزيع المدارس، دت)، ص ١٣٨ وما بعدها.

ولمّا كان للاحتجاج بالعواطف أهمية كبرى سواء في جذب المخاطب والتأثير فيه كما ورد عند أرسطو وبيرلمان، وباتريك شارودو، فإنّ الدراسة هذه اختارت قصيدة اللامية للشاعر الأموي الرّاعي النميري (ت ٩٠ هـ) ومطلعها:

مَا بَالُ دَفِّكَ بِالْفِرَاشِ مَذِيلاً أَفَدَى بِعَيْنِكَ أَمْ أَرَدْتَ رَحِيلاً^(١)

لداع رئيسيّ أساسه بناؤها العامّ فهي إلى الرّسالة أقرب كما سنرى، من مرسل هو الشاعر، إلى مرسل إليه هو عبد الملك بن مروان. وهي أيضا رسالة لها مقاصد ودوافع محدّدة تصريحيّة كانت، أو على الإضمار يتغى الشاعر منها استمالة عواطف المخاطب قصد استجابته لرفع ظلم السّعاة وجورهم عن قومه. وورد خطاب الرّاعي في نصّ شعري علائقي في حدود تسعين بيتا أو أكثر، جمع بين مستويات عدّة محققا لشعريّته القائمة على التّخييل والإمتاع والإقناع. وانطلاقا من ذلك، فإنّ جهد الباحث هنا سينصرف نحو الحفر في المسوّغ التّفسي الذي أقام عليه الرّاعي بناء النصّ المذكور عبر الإجابة عن الإشكاليات التّالية:

كيف انتظمت عواطف الشّاعر وأهواؤه في النصّ؟ وما هي هذه الأهواء والانفعالات التي يسعى الشاعر إلى إثارتها في مخاطبه؟ ثمّ إلى أيّ مدى كان الشّاعر قادرا على إثارة تلك الأهواء والعواطف؟ وما هي المعايير والقيم التي استحضرها الشّاعر في خطابه لاستمالة وجدان المتلقّي؟ وكيف أسهمت الأدوات اللغويّة في استيقاظ المتلقّي وحمله على التّسليم؟

ويرى الباحث أنّ الإحاطة بالنصّ تحليلا وتأويلا وبناء للأفكار سيكون على أساس من ثبت المحاور الكبرى التّالية: تعدّد الأصوات أوّلا، فاستحضار الرّموز التاريخيّة ثانيا، ثمّ استدعاء القيم الدينيّة والخلقيّة ثالثا، للوصول أخيرا إلى نتائج وهي إظهار فاعليّة الاحتجاج بالعواطف في استمالة المخاطب بما هو صاحب السّلطة السياسيّة والمرجع الدّيني آنذاك.

(١) الرّاعي النّميري، ديوان الرّاعي النّميري، شرح عبد الصّمد واضح، (دار الجليل، بيروت، ط ١،

١٩٩٥)، ب ١، ص ١٩٨.

فنّ الاحتجاج بالعواطف في الشّعر الشّاكي لامية الرّاعي النّميري نموذجاً، د. أسماء بنت عوض الجمعي

وللإشارة ههنا، فإنّ القصيدة تنزّل في ما يسمّى بشعر الشّكوى المضمّن في شعر المدح أنشدتها الرّاعي النّميري مادحا الخليفة في الظّاهر، غير أنّ أبياتها سارت على غير مقصدها بالنّظر إلى حظّ المدح من الشّكوى. فالقصيدة إذن لم تكن على شاكلة قصائد المدح في بنائها أو معانيها أو صورها أو في نواياها المادّية طلباً لنوال يُترجم عادة في عطاء مادّي، لذلك كانت لامية الرّاعي فريدة في بابها، تعري الباحث بالتّحليل قصد الوقوف على خصوصيّاتها الشّكلية والمضمونيّة.

ولا يفوت الباحث ههنا أن يشير إلى تعدّد الدراسات التي اهتمت بالاحتجاج في شعر الراعي النّميري والتي منها دراسة، مخيمر صالح، "ملحمة الراعي النّميري، قصيدة الرفض والاحتجاج"^(١). ودراستي أحمد الخصوصي، "شكوى السّعاة والولاء من النّشأة إلى آخر القرن الأوّل"^(٢)، و"الراعي النّميري، شاكيًا محاجاً"^(٣). ودراسة، يوسف محمود عليمات، "بلاغة الاحتجاج في النصّ الشعري، دالية الراعي النّميري نموذجاً"^(٤). ودراسة رضى عليبي، "صوت الشّاكي وصداه من جور العشارين إلى نهاية القرن الأوّل الهجري"^(٥). ودراسة عبد العزيز مطلق نصّار، "الصورة الحجاجية المدحيّة في شعر الرّاعي النّميري"^(٦). وكانت تلك الدّراسات عوناً لإنجاز هذا البحث من جهة تبين الخلفيّة

(١) مخيمر صالح، "ملحمة الراعي النّميري، قصيدة الرفض والاحتجاج"، الدارة GI، مجلة فصلية محكمة، ع ١، ١٩٨٩.

(٢) أحمد الخصوصي، "شكوى السّعاة والولاء من النّشأة إلى آخر القرن الأوّل"، حوليات الجامعة التونسية، GI، كلية الآداب والفنون والإنسانيات، جامعة منوبة، ع ٤٧، ٢٠٠٣.

(٣) أحمد الخصوصي، "الراعي النّميري، شاكيًا محاجاً"، حوليات الجامعة التونسية، GI، كلية الآداب والفنون والإنسانيات، جامعة منوبة، ع ٥٥، ٢٠١٠.

(٤) يوسف محمود عليمات، "بلاغة الاحتجاج في النصّ الشعري، دالية الراعي النّميري نموذجاً"، GI، مجلة جامعة دمشق، م. ٢٩، ع ٢٠١٣، ٢٠١٣.

(٥) رضى عليبي، "صوت الشّاكي وصداه من جور العشارين إلى نهاية القرن الأوّل الهجري"، دراسات في الإنسانيات، GI، ع ٢، ٢٠١٦.

(٦) عبد العزيز مطلق نصّار، "الصورة الحجاجية المدحيّة في شعر الراعي النّميري"، مجلة الدراسات العربية، GI، كلية دار العلوم، جامعة المنيا، ع ٣٨، ٢٠١٨.

النظرية التي استندت إليها في معالجة هذه المسألة. وإنّ خصوصية هذا البحث يكمن في التركيز على جزئية من الجزئيات المشكّلة للخطاب الحجاجي فيما اصطلح عليه بالاحتجاج بالعواطف في سياق عام هو الشكوى وفي سياق أخص هو المدح. فميزة هذه الدراسة عن غيرها أنّها بالرغم من منطلقاتها النظرية التي تأخذ من المصدر نفسه الذي توصلت إليه الدراسات العربية والغربية من نتائج، غير أنّ غاياتها وفيما طرحته من رؤية تجعلها مختلفة عمّا ذكر. إذ سعت إلى اقتفاء آثار الاحتجاج بالعواطف في وجوه المختلفة، فكانت على التصريح حيناً، وكانت على الإضمار حيناً آخر. وسمحت هذه التقلبات في رصد آليات الحجاج من الوقوف على نتائج ربما لم يجد الباحث حضوراً لها في الدراسات المذكورة. فمن هذه الناحية، تكتسب هذه الدراسة وجهة البحث في الموضوع في مخالفتها للسابق لها. ونشير هنا إلى كثرة البحوث التي اهتمت بالمبحث الذي ندير عليه قصيدتنا، ولكننا نظرنا فيما بدت منطلقاتها ونتائجها طريفة، وعرضنا عن الدراسات الأخرى التي بدت لنا مكررة لسابقتها.

وقبل مباشرة البحث في القصيدة، حرّى الباحث أن يوجّه جهده أولاً إلى بسط المفاهيم التي يدير عليه دراسته.

فنّ الاحتجاج بالعواطف

لم تكن البلاغة العربية بعيدة عن ذلك الثالوث الوارد في الفكر الأرسطي (الإيتوس، والباتوس، واللوغوس)، إذ لم يغب معناه العام عن البلاغيين الأوائل^(١). فلقد أوجز أرسطو هذه الأركان في قوله "الحجج الكامنة في الخطاب ثلاثة أضرب، ضرب منها يقوم على خُلق الخطيب، والضرب الآخر على أهواء السامع، بينما يقوم الضرب الأخير على الخطاب نفسه، عندما يكون استدلالياً أو يبدو كذلك"^(٢).

(١) انظر: نور الدين بوزناشة، الحجاج بين الدرس البلاغي العربي والدرس اللساني الغربي، دراسة تقابلية مقارنة، رسالة دكتوراه مخطوطة، جامعة محمد لمين دباغين، سطيف ٢، (٢٠١٦)، ص ١٧٣ - ٤٢٢.

(2) Aristote. Rhétorique, Ie livre de poche. Librairie General Francaise . Paris, 1991, p83.

فنّ الاحتجاج بالعواطف في الشّعر الشّاكي لامية الرّاعي التّميري نموذجاً، د. أسماء بنت عوض الجميعي

وبناء على ذلك، عُدّ الاحتجاج بالعواطف أحد الوسائل الحجاجيّة المهمّة في الخطاب من جهة مقاصده، فهو يراد به "الأحوال التي يكون عليها السامعون عندما يثير الخطاب انفعالاً لهم؛ لأنّنا لا نصدر الأحكام نفسها في حالتي الحزن أو الفرح، والحبّ أو الكراهية"^(١). وهو كذلك "المعرفة بما يمكن أن يحرك الذات التي نتوجه إليها بالخطاب، أي معرفة ما يحركها" بعبارة ماير^(٢).

إنّ الحمل المعرفي من إيراد بعض الآراء المتعلّقة بالاحتجاج بالعواطف هي التأكيد على مركزيّته في العمليّة الحجاجيّة الهادفة إلى حمل المخاطب على الإقناع بوجهة نظر المخاطب أولاً، وليكون خطابه ناجعاً ثانياً في النصّ. ولتتحقق تلك الغاية، لا بدّ أن يكون المخاطب على معرفة عميقة بطرق إثارة عواطف المتلقي وهي "الغضب والسكينة، الفحس والكراهية، فالتخوّف والثّقة، الفحس والاستهتار، فالإحسان، فالشفقة، والسخط، فالحسد والمنافسة"^(٣). ولم يجانب كييدي الصّواب عندما اعتبر البلاغة "فنّ توجيه الأهواء"^(٤) في الخطاب الحجاجي الشّاكي أساساً.

١- تعدّد الأصوات

يعود أصل مصطلح تعدّد الأصوات إلى المجال الموسيقي، ثمّ انتقل إلى مجال الدّراسات الإنسانيّة كاللسانيّات والتداوليّة والأدب والبلاغة، وذلك من جهة التأكيد على أنّ النصّ الشعريّ حمّالاً لأصوات متعدّدة في متنه، تتعاضد فيما بينها لبلوغ غايات محدّدة في ذهن منشئها. وتذكر الدّراسات أنّ أول ظهور لهذا المفهوم في دراسة قام بها

(1)Aristote, Rhetorique, p83.

(2) Michel Beaujour.Rhétorique et littérature , De la métaphysique a la Rhétorique.Michel Meyer (éd), Universite de Bruxelles, 1986, pp,32,33.

(3) M. Patillon. éléments de rhétorique Classique .Nathan Université, 1991, p69.

(٤) محمد مشبال، في بلاغة الحجاج نحو مقارنة بلاغية حجاجيّة لتحليل الخطابات، (عمان، دار كنوز المعرفة، ط١، ٢٠١٦)، ص ٢٥٧.

باختين لرواية دوستوفسكي، إذ استعمل مصطلح "الحواريّة" مرادفا لمصطلح "التعدّد الصوتي" (١).

وبالنظر في لامية الرّاعي التّميري يلاحظ الباحث حضورا بارزا لأصوات شتّى تعاضدت فيما بينها للاحتجاج على ظلم السّعاة. فقد "تعدّد (ت) الدّوات القائمة بالتلقّظ داخل الخطاب" (٢)، بل يلاحظ تعدّدا في جهات تلك الدّوات. فهناك الصّوت المفرد (الأنثى - الشّاعر - النّاقَة). وهناك الصّوت الجمعيّ (القبيلة)، إضافة إلى الصّوت الإنسانيّ (خليدة - الشّاعر - القبيلة)، والصّوت غير الإنسانيّ (النّاقَة - الذّئب - القطاة - الصّحراء). ولم يقتصر حضور تلك الدّوات في النصّ على مجرّد التّعيين سواء بالاسم أو الصّفة، وإمّا حمّلت تلك الدّوات على تعدّدها (البشريّة والحيوانيّة) بدلالات تّرى، ومعان متعدّدة، لعلّ أوّلها الإشارة إلى صوت القلق والهّم السّاكن وجدانها، ثمّ صوت المعاناة والمشقّة، وصولا إلى صوت الضحيّة وجور السّعاة. وتعاونت كلّ تلك الأصوات فيما بينها لتحريك عواطف الممدوح واستمالته لدفع الظلم المسلّط على قوم الشّاعر. وبناء على ما تقدّم، بدا خطاب الرّاعي مكتنزا بالأصوات نجملها فيما يلي:

أ - الصّوت المفرد

● صوت الأنثى / الابنة

مثّل حوار الشّاعر مع ابنته (خليدة) منذ بداية النصّ صوت القلق والهّم، والخوف والاضطراب. فقله:

ما بال دَفِكَ بِالفِراشِ مَدِيلًا أَقْدَى بِعَيْنِكَ أَمْ أَرَدْتَ رَحِيلًا؟
لَمَّا رَأَتْ أَرْقِي وَطَوَّلَ تَقْلُبِي ذَاتَ العِشاءِ وَليْلِي المَوْصُولًا

(١) انظر: محمد القاضي وآخرون، معجم السرديات، (تونس، دار محمد علي للنشر، ط١،

٢٠١٠)، ص ١٠١.

(٢) مصطفى المويقن، تشكّل المكونات الروائيّة، (اللاذقية، دار الحوار، ط١، ٢٠٠١)، ص

١٦٣.

فَنَ الاحتجاج بالعواطف في الشَّعر الشَّاكي لامية الرَّاعي التَّميري نموذجًا، د. أسماء بنت عوض الجميعي

قَالَتْ خُلَيْدَةُ مَا عَرَكَ وَلَمْ تَكُنْ
قَبْلَ الرُّفَادِ عَنِ الشُّؤُونِ سَوُولًا؟
أَخْلِيدَ إِنَّ أَبَاكَ ضَافَ وَسَادَهُ
هَمَّانِ بَاتَا جَنَبَةً وَدَخِيلًا
طَرَقَا فَتِلْكَ هُمَاهِمِي أَقْرِبِيهِمَا
قُلُصًا لَوَاقِحُ كَالْقِسِيِّ وَحَوْلًا^(١)

يضمّر خوفًا وتوترًا ألمًا بالشَّاعر، ورمى به في متاهات الأرق الذي حرّمه من الرِّاحة النَّفسيّة لحظة مبادرة ابنته بالسُّؤال عن علّة ذلك التقلُّب الظَّاهر عليه في فراشه وعدم قدرته على النَّوم. ولم يكن سؤال البنت سؤال الجاهل، وإمّا تعتبر البنت ههنا قناعًا، ولسان حال الشَّاعر النَّاطق بما يودّ أن يفسّح عنه عن سبب العلّة التي يعاني ويلاطها سننكشف تباعًا في مظانّ القصيدة. وافتتاح اللامية بالاستفهام أسلوبًا إنشائيًا يكسب القصيدة مداها الحجاجيَّ من جهة كونه أسلوبًا حجاجيًا غايته مزدوجة، فهو يسعى إلى حمل المخاطب على الحوار أولاً، وعلى الإقناع ثانياً. وذلك من جهة أنّ الافتراضات الضمنيّة في بعض الأسئلة هي التي تجعل من الاستفهام أسلوبًا حجاجيًا، لأنّ أيّ إجابة مهما كان نوعها لا بد أن تسلم بتلك الافتراضات، بل تقرّ ضمنيًا بصحّتها^(٢). ويلاحظ متأمل الأبيات الأولى للامية قيامها على الحوار أسلوبًا حجاجيًا لافتراضات ضمنيّة هدفها إقناعيَّ أولاً، وتأثيريَّ في متلقي الشَّعر ثانياً. فحوار الشَّاعر مع ابنته داخل ضمن الافتراض الظَّاهر في النصّ. أمّا الافتراض الضمنيّ فمرجعه ما اعترى الشَّاعر من ألم لما وصل إليه حال قومه من السَّعة. ومهما كانت فرضيّات الإجابة عن الأسئلة المطروحة، فإنّها تسير نحو غاية واحدة وهي تأكيد قلق الشَّاعر السَّاكن فيه. ويتبع ذلك الاعتراف بظلم السَّعة وجورهم، ضرورة إنصاف قبيلته منهم. فبقدر ما تثير الحوارات القائمة على كثرة الاستفهام بين الشَّاعر وخليدة ألما الشَّاعر وقلقه، بقدر ما تثير المخاطب وتوجّهه نحو المقصد الذي حدّده الباتُّ سلفًا.

(١) التَّميري، ديوان الرَّاعي التَّميري، ب ١-٢-٣-٤-٥، ص ١٩٩.

(٢) سامية الدريدي، الحجاج في الشَّعر العربيّ بنيتة وأساليبه، (إربد - الأردن، عالم الكتب الحديث، ط ٢، ٢٠١١)، ص ١٤٢ وما بعدها.

ولا يفوت الباحث ههنا أن يشير إلى أثر الصورة القائمة على الكناية المضمّنة في الاستفهام الوارد في صدر البيت (ما بال دقك بالفرش مذيلا...)، وهي صورة ذات طاقة إيجابية وحجاجية عالية تسعى إلى إحداث تغيير في المخاطب من جهة حمله على الاقتناع بواقع الحال. فالصورة ههنا أداة "تنشيط الخطاب لها وظيفة إقناعية"^(١) ظاهرة في النصّ. ويعضد ذلك إدخال اسم (خليدة) في القصيدة بوصفه الصوت الخفي لذاته. فالشاعر يسعى ههنا بطريقة مدروسة تنزّل ضمن استراتيجيات الخطاب الحجاجي عبر استحضر صوت البنت إلى "حفظ العلاقة الإنسانية (الأب / الابنة) من التشتت والضياع"^(٢) وهي الظاهر هنا، ومن خلفها تكمن رغبة تبدو أعمّ وأكثر شمولاً وهي الحرص على حفظ القبيلة وعدم تفرقها وضياعها بشكل عامّ.

لقد خلت القصيدة من المقدمة الطللية وهو أمر لافت في المدحة من جهة، وهي تفصح من جهة ثانية عن التوجّه العام للشاعر فيما سيضمّنه في خطابه من نوايا. واستعاض عنها - كما يبدو في ثنايا خطابه - بالحوار مع ابنته خليدة لإظهار القلق الذي سكنه للظلم الذي لحق قومه من السّعة. وعلى هذا الأساس، تمتلك افتتاحية القول ههنا قدرة كبيرة على شدّ المخاطب ودفعه دفعا إلى مواصلة تلقي الخطاب والتفاعل معه. فالحوار إذن يغدو "أول جسور التّواصل المقنع بينه وبين مخاطبيه الذين يرغب في انخراطهم معه في التّسليم لتلك المقدمات"^(٣). فقلق الابنة على أبيها ههنا لوهنه هو الدافع الذي جعلها "تنشغل وتهمّ، محاولة في خوف وإشفاق من المخاطر

(١) هاجر مدقن، الخطاب الحجاجي، أنواعه وخصائصه، (الجزائر، منشورات الاختلاف، ط ١، ٢٠١٣)، ص ٦٩.

(٢) يوسف محمود عليمات، "بلاغة الحجاج في النص الشعري، دالية الراعي النميري نموذجاً"، مجلة جامعة دمشق، GI، م. ٢٩، ع. ٢+١، ٢٠١٣، ص ٢٨٠.

(٣) محمد سالم محمد الأمين الطلبة، مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسة نظرية وتطبيقية محكمة في الخطابة الجديدة، (الجزائر، ابن النديم للنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠١٣)، ص ٩١٤.

فإن الاحتجاج بالعواطف في الشعر الشاكي لامية الراعي التميري نموذجاً، د. أسماء بنت عوض الجمعي التي تهدد أباهاً^(١). ويسترسل الشاعر في وصف ما أصاب ذاته من وهن في أبيات متتالية. فهو القائل:

أَبْلَغُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ رِسَالَةً شَكَوَى إِلَيْكَ مُطَلَّةً وَعَوِيلاً
مِنْ نَازِحٍ كَثُرَتْ إِلَيْكَ هُمُومُهُ لَوْ يَسْتَطِيعُ إِلَى الْإِقَاءِ سَبِيلاً
طَالَ التَّقَلُّبُ وَالزَّمَانُ وَرَابَهُ كَسَلٌ وَيَكْرَهُ أَنْ يَكُونَ كَسُولاً
وَعَلَا الْمَشِيبُ لِدَاتِهِ وَمَضَتْ لَهُ حَقَبٌ نَقَضْنَ مَرِيرَهُ الْمَجْدُولاً^(٢)

ولإحداث التأثير المرجو في الممدوح، استعان الشاعر بالتصوير أسلوباً في سياق الشكوى، فرسم صورة للذات تفصح عن رغبات دفينه. ولئن كانت ذاتية في ظاهرها، غير أنها تبطن رغبات التفت برداء جماعي عبّرنا عنه بالصوت الجمعي، وهي صورة سكن النقص بأنواعه جميع تفاصيلها وفي ثنايا الأبيات، إذ يقول:

فَكَانَ أَعْظَمُهُ مَحَاجِنُ نَبَعَةٍ عَوْجٌ قَدَمَنْ فَقَدَ أَرْدَنَ مُحُولاً
كَبْقِيَّةِ الْهِنْدِيِّ أَمْسَى جَفْنُهُ خَلَقاً وَلَمْ يَكُ فِي الْعِظَامِ نَكُولاً
تُعَلَى حَدِيدَتُهُ وَتُنَكِّرُ لُونَهُ عَيْنٌ رَأَتْهُ فِي الشَّبَابِ صَقِيلاً^(٣)

والذي يبدو من الأبيات أنّ الشاعر قد عمد إلى إثارة استراتيجية حجاجية قائمة على استثارة شفقة المخاطب. ولتحقيق ذلك، أتى بصورة تتجاوز وظيفتها الإخبار والإبلاغ إلى تحريك مشاعره بهدف تحقيق استجابته. فأتى الراعي ذكراً على ذاته وصفاً دقيقاً، فأشار إلى كبره وضعفه. وجعل الزمن أدواته في تحريك المشاعر، فعظامه صارت مثل الشجرة الرقيقة التي تنحت منها الأقواس. وتغيّرت حاله من القوة إلى الضعف كالسيف الهندي الذي كان لامعاً حاداً قاطعاً، ثم أصبح ضعيفاً. لقد نهض التشبيه

(١) الخصوصي، الراعي النميري، شاكياً محاجاً، ص ٦٩.

(٢) النميري، ديوان الراعي التميري، ب ٣٢-٣٣-٣٤-٣٥، ص ٢٠٤.

(٣) المرجع السابق، ب ٣٦-٣٧-٣٨، ص ٢٠٥.

ههنا في ما ذُكر من أبيات بوظيفة حجاجية ظاهرة عبر الاسترسال في الحديث عن الذات، وقد تغيّرت من القوّة إلى الضعف. ويظهر أنّ هذه الطّريقة التي لجأ إليها الشّاعر في الوصف كانت المهاد الضروريّ في الشكوى التي ستتفرّع لاحقاً إلى أصوات عدّة. إنّ خطاب الذات عبر التّصوير في المدحة كان دليلاً على هاجس ذاتيّ أرقّ صاحبه فجعله منطلقاً للمدحة والشكوى. فأثر الإقناع بالتّصوير ههنا ظاهر من جهة ما يمثّله من "وسيلة حجاجية ذات تأثيرات في المتلقي من جهات عدّة، فهو خطاب للعقل بوصفه ينقل العقل من المعنى في الحالة التصويرية العادية إلى الحالة التصديقيّة، لأنّه بمثابة إحضار المعنى المدعى ليُشاهد كما هو في الواقع، فكأنّه -والحال هذه - يقول لك هذا هو انظر إليه"^(١).

ولا تخلو الصّور التي رسمها الشّاعر من شعريّة وجمال. فالجمال والحجاج ههنا متلازمان في النصّ الشعري، لأنّ الإقناع "لا غنى له عن الجمال. فالجمال يرفد العملية الإقناعيّة، ويبسّر على المتكلّم ما يرومه من نفاذ إلى عوالم المتلقّي الفكريّة والشعوريّة"^(٢).

• صوت المطيّة

تبادر إلى ذهن الباحث عند حديثه عن الاحتجاج بالعواطف ودواعيه في خطاب الراعي النميري سواء من جهة استمالاته الخليفة أو استدرار عطفه، التّساؤلات الآتية: ما دلالة هذا المحور والصّوت في الموضوع الذي نبحت فيه؟ هل جاءت هذه العتبة محشورة في ثنايا القصيدة؟ أم هي استطراد وخروج، أم أنّها حمّالة لوظيفة إقناعيّة تخييليّة تسعى على شاكلتها أمثالها من بنيات النصّ في وظيفة الاحتجاج بالعواطف؟ بمعنى ما وظيفة هذا المقطع حجاجياً؟

(١) علي محمد علي سلمان، الحجاج عند البلاغيين العرب ضمن الكتاب: الحجاج والاستدلال الحجاجي، دراسات في البلاغة الجديدة، إشراف حافظ إسماعيل علوي، (الأردن، دار ورد، ط١، ٢٠١١)، ص ٢٥.

(٢) الدريدي، مرجع سابق، ص ١٢٠.

فنّ الاحتجاج بالعواطف في الشّعر الشّاكي لامية الرّاعي التّميري نموذجاً، د. أسماء بنت عوض الجميعي

أكثر الرّاعي التّميري بداية من وصفه الإبل في شعره، حتّى أنّ بعض مصادر الأدب تذهب إلى القول بأنه "لقّب بالرّاعي لكثرة وصفه للإبل في قصائده"^(١). ومن حيث التّرتيب، وردت أبيات رحلة النّوق بعد الشّعر المحيل على الشّكوى، إذ تربو أبيات الرّحلة في القصيدة على خمسة وعشرين بيتاً، وقد يعلّل ذلك بغلبة الشّكوى الضمنيّة على خطاب الرّاعي. وإذا تأملنا أصوات المطيّة وما يتّصل بها في الرّحلة نخلص إلى أنّه يغلب عليها "مجال المعاناة الأليمة"^(٢) والمتمثّلة خاصّة في خلع معاناة الأنا على الآخر وهي المطيّة ههنا وتحديدًا النّاقة التي فقدت ابنها. فكأنّنا بالشّاعر يسير في الإقناع عبر إشراك الحيوان في تصدير أزمته إلى الآخر الخليفة.

إنّ مخاطبة العاطفة بمثل هذا الإجراء الذي يتجاوز العقل إلى الوجدان، هو ممكن الحجاج بالعواطف. ولعلّ الغاية التي سعى إليها الرّاعي من خلال تتبّعه لاستراتيجيّة تعدّد الأصوات في النصّ هي الإشارة الضمنيّة إلى عمق الألم الذي قاساه قومه، وهي غاية الغايات إن جاز القول الهادفة إلى التّأثير في متلقي شعره وهدفها الأساسي هي حمله على أن ينصت إلى صوته الشّاكي.

وتجدر الإشارة ههنا إلى أنّه خلف هذا التعدّد في الأصوات تكمن خطّة محكمة السّبك، تضرر ضرباً من المشاركة الوجدانية للممدوح. فالمطيّة هي في تقديرنا صورة أخرى للمعاناة، لأنّ الحيوان هو جزء من الأزمة، وهو في النّهاية جزء من ذلك الإنسان.

لقد مثّلت المطيّة وسيلة الشّاعر لبلوغ الممدوح لذلك جعلها المقدّم في الحديث عن الشّكوى وسابقة للحديث عن الدّات، ويبدو أنّ هذا الإجراء نابع عن وعي للدّات بالمسارب التي تنتهجها لبلوغ ما تصبو إياه في خطابها. فإشراك الحيوان في المعاناة خطّة خطاب لا مراء فيها، وعلامة توضّح حجم المعاناة الجماعيّة، فلم يسلم الإنسان ولا الحيوان من قسوة السّعاة وظلمهم. ونعتقد أنّ الشّاعر ههنا عمد إلى ضرب من التّضخيم

(١) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، (بيروت، دار صادر، ط ٢، م. ٢٤، د. ت) ص ٢٠٥.

(٢) الخصوصي، مرجع سابق، ص ٤٥.

في عملية إخراج الأصوات الشاكية. وهو إجراء يظهر تمكّن الشاعر من أساليب المحاجة^(١).

واستعان الراعي في هذا السياق بصور بلاغية قائمة على التشبيه للتركيز على صوت الحزن. ولا تخفى على الباحث الوظيفة الحجاجية لهذه الصيغة التعبيرية. ومن هذه الأصوات تحيّر الشاعر صوت راعي الإبل في ما سنذكر من أمثلة، وهو صوت يحيل على الحزن الساكن وجدانه، إذ يقول:

وَإِذَا تَرَقَّصَتِ الْمَفَازُ غَادَرَتْ رِبْدًا يُبَغِّلُ خَلْفَهَا تَبْغِيلاً

زَجَلَ الْخُدَاءِ كَأَنَّ فِي حَيْرِوِمِهِ قَصَبًا وَمُقْنَعَةً الْحَيْنِ عَجُولًا^(٢)

لجأ الشاعر في البيتين إلى إحداث ضرب من المشابهة في التصوير بين صوت الراعي وصوت من في صدره نأي حزين، أو صوت العجول التي فقدت وليدها عبر الرابطة المنطقيّة (كأنّ)، وهي أداة جيء بها لإظهار شدة المشابهة بين صوت راعي الإبل، والمتصوّر الثاني في ما يصطلح عليه بالمشبه به. وإحكام العلاقة بين طرفي التشبيه، أتى الشاعر بحجة بيانية غايتها تأكيد حزن صاحبها. فشبهه صوته بصوت من فقدت وليدها الساعية إلى البحث عنه. وفي هذا الربط، مقصد خفيّ يهدف إلى تحريك مشاعر المخاطب سعياً لإقناعه بضرورة محاسبة السعاة، ورفع الظلم عن قبيلة الشاعر. وللإحاطة بالممدوح وجلب انتباهه إلى ما ينوي قوله، استعمل الشاعر معجماً تحيّر ألفاظه من مجال المعاناة اليومية. ويعضد هذا المعجم وظيفة الشكوى في الخطاب ككل. وغير خفيّ ههنا ما يمتلكه المعجم من وظيفة حجاجية، وذلك من جهة ما نعته رضى عبد الله

(١) أشار ابن قتيبة إلى الوحدة النفسية في قصيدة في سياق تعليل الرحلة واعتبر ذلك داخلاً في استراتيجيا الشاعر لاستمالة الممدوح وتحقيق غاياته التي لأجلها مدحه. للتوسّع، انظر، ابن

قتيبة، الشعر والشعراء، (بيروت، دار الثقافة، د.ت)، ص ٢٠.

(٢) النّميري، ديوان الراعي النّميري، ب ١٤ - ١٥، ص ٢٠١.

فإن الاحتجاج بالعواطف في الشعر الشاكي لامية الراعي التميري نموذجاً، د. أسماء بنت عوض الجميعي

عليي بالاستدراج الضمني بألفاظ المعجم^(١). وتخيّر الشاعر من الألفاظ ما كان ذا شحنات دلالية قادرة على شدّ انتباه الآخر وجدانا في المحلّ الأوّل وعقلا في المحلّ الثاني. ومن الألفاظ نذكر: (غادرت، الحنين، التكلّي). ويبدو أنّ الراعي التميري كان يمارس تقنيات الحجاج بطرق ناجعة، وهو أمر باد من خلال توسّله بمبدأ التنوع في اللفظ ذي الدلالة نفسها، ويعدّ هذا الدوران على الأصل ذاته خطّة خطاب انخرط فيها الشاعر وحشد لها عددها المناسبة.

ولم ينأ صوت النّاقة عن الصّوت الأوّل في مستوى الاشتراك في المعاناة، فعمد إلى طريقة في الوصف توصف بالوصف الحرك، وذلك عبر التّركيز على صفة الحفّة والسّرعة في النّاقة. ولم يكن الوصف ههنا من باب الفخر بالمطيّة على عادة الشعراء عند حديثهم عن مطاياهم المنتقاة، وإتّما الوصف سار على غير السنن، لينهض بوظيفة تأثيريّة لحظة إدراك علة تلك السّرعة. فقلوه:

يَتَبَعْنَ مَائِرَةَ الْيَدَيْنِ شِمْلَةً أَلَقْتُ بِمُخْتَرِقِ الرِّيَاحِ سَيْلًا

جَاءَتْ بِذِي رَمَقٍ لِسِنَّةِ أَشْهُرٍ قَدَ مَاتَ أَوْ جَرَضَ الْحَيَاةَ قَلِيلًا^٢

يتضمّن دلالة مركزية لمعنى المعاناة للفقد التّاجم عن فقدان النّاقة لوليدها. والدّلالة الحجاجيّة تُفهم ضمنا من جهة الإحالة على دواعي الفقد. أليس الحال هو هو في علاقته بالوضع العام الذي يعاينه الإنسان والإبل عموما لسوء الحال التّاجم عن الأوضاع الحياتيّة المأزومة.

(١) انظر، رضى عبد الله عليي، " فنون القول في لامية الفرزدق " إنّ الذي سمك السّماء..."، ضمن أعمال ندوة قسم العربيّة، التّخصّصات البيئيّة وتحليل الخطاب، جامعة قفصة، تونس ٢٠٢٠، ص ١٩٨. والمقصود بالاستدراج الضمني كما أشار إلى ذلك الباحث هو " استعمال ألفاظ معجميّة وظيفتها استدراج قصديّ موجه للمخاطب للإيقاع به في شرك حجاجه".

(٢) التّميري، ديوان الرّاعي التّميري، ب ٢٩ - ٣٠، ص ٢٠٣.

لقد نوّع الشّاعر كما رأينا من طرائق المحاجّة. ويبدو أنّ توّسله فيما ذكرنا بالصّياغة غير المباشرة أو ما اصطلحت عليه كاترين كيربريت أوريكيوني بالمضمّر في الخطاب "يعدّ أكثر فاعليّة أحيانا من الصّياغة البيّنة"^(١). فصوت النّاقة عبر التّذكير برحلتها وما كابدته من مصاعب تحوي شكوى كانت الغاية منها إحداث القبول التّفسي لدى الممدوح وتحريك عواطفه. فخطاب العاطفة ههنا "لم يقع التّصريح به والتّعبير عنه بمفردات تعيّنه أو تدلّ عليه، بل هي مما يستخلصه المخاطب ويعيد بناءه استنادا إلى معطيات لغويّة وفي ضوء ما يستنبطه من قيم ومعايير"^(٢).

يبدو ممّا تقدم أنّ صوت المطيّة المقحم في القصيدة خرج عن سياقه المتعارف عليه من احتفاء به من جهة الفخر بقدره النّاقة على اجتياز المصاعب لبلوغ الممدوح ليصبح ههنا في سياق الشّكوى حمّالا لدلالات متنوّعة، فكان استدعاء صوت الحيوان المفرد إلى القناع أقرب تحقّي خلفه الشّاعر بغية تضخيم حدث المعاناة لتكون الغاية مزدوجة^(٣). إنّه الألم الجماعي لسوء الحال. ولئن بدت المطيّة في الظاهر خالية من الأهواء والعواطف من جهة ما تشير إليه من معان مباشرة، فإنّ الحكم سرعان ما يتبدّد عند النّظر العميق في الدّواعي من استدعاء صوت المطيّة. فالرحلة تعبير غير مباشر لاستشارة عطف الخليفة. إذ لم تحو الرحلة لفظا صريحا عاطفيا مباشرا، ولكن ما ورد فيها من ملفوظات توجه المتلقي وأشار بلانتيان إلى ذلك بالقول "ملفوظات لا تحتوي على ألفاظ العاطفة، ولكنّها

(١) كاترين كيربرات أوريكيوني، المضمّر، ترجمة ريتا خاطر، (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربيّة، ١٤، ٢٠٠٨)، ص ٥٣٥.

(٢) حاتم عبيد، "منزلة العواطف في نظريات الحجاج"، عالم الفك GI، م. ٤٠، ع. ٢، ٢٠١١، ص ٢٦٦.

(٣) لقد أشار وهب روميّة إشارة لطيفة إلى الدّات المقنّعة المتخفيّة وراء مطيّتها بالقول: "إنّ الأشياء في الشّعْر يلفت بعضها إلى بعض، فالهموم تلفت إلى النّاقة، والنّاقة تلفت إلى الكون، والكون يلفت إلى الدّات". للتّوسّع، انظر، وهب روميّة، "شعرنا القديم والتّفد الجديد"، عالم المعرفة GI، ع. ٢٠٧، ١٩٩٦، ص ١٨٣.

فإن الاحتجاج بالعواطف في الشعر الشاكي لامية الراعي النميري نموذجاً، د. أسماء بنت عوض الجمعي
موجهة نحو عاطفة معينة^(١). فذكر الضعف والوهن والمشقة والعطش تعدّ من الموجّهات
التي تقود نحو عاطفة الشفقة والتي نعتها الأستاذ عبد الله صولة بحسن اختيار المعطيات
أو المقدمات ذات المدى الحجاجي منها انتقاء عناصر الحاجة على أساس نوعية المتلقي
للحجاج وهو الخليفة ههنا.^٢

ب- الصوت الجمعي

● صوت القبيلة

لقد سلك الشاعر مسلماً قام على التدرج من العام إلى الخاص أو ما يمكن نعتة
بالصوت المفرد إلى الصوت الجمعي، والذي يتمثل ههنا في صوت القبيلة ومعانها من
ظلم السعاة. ويبدو أنّ الشاعر كان واعياً بأثر هذه الإستراتيجية في زيادة إقناع المخاطب
والتأثير فيه. وبدا الراعي بارعاً في الشكوى الضمنية في هذا الخطاب من خلال استدعائه
للأصوات الشاكية والمتمحورة حول الذات. ووسم الأستاذ عبد الله صولة هذا التكثيف
بـ "الحجاج بالسلطة"^(٣)، وهو هنا صوت الابنة تارة، وتارة أخرى هو صوت المطية على
التخصيص مطيته، وطورا آخر هو صوت القبيلة مطلقاً. ففي قوله:

إِنَّ السَّعَاءَ عَصَوْكَ حِينَ بَعَثْتَهُمْ وَأَتَوْا دَوَاعِي لَوْ عَلِمْتَ وَعُغُولاً

إِنَّ الَّذِينَ أَمَرْتَهُمْ أَنْ يَعْدِلُوا لَمْ يَفْعَلُوا مِمَّا أَمَرْتَ فَتَيْلًا^(٤)

(1) Plantin, ch. Les raisons des emotions , in M. Bondi, éd, forms of argumentative discourse on line , 1998, p 11. وأشار ابن قتيبة إلى ذلك في .

السياق الخاص بالرحلة. انظر، الشعر والشعراء، ص ٢٠.

(٢) انظر: عبد الله صولة، في نظرية الحجاج، دراسات وتطبيقات، (تونس، دار مسكلياني للنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠١١)، ص ٣٠.

(٣) المرجع نفسه، ص ١٥٤.

(٤) النميري، ديوان الراعي النميري، ب ٧١ - ٧٢، ص ٢١٠.

يتوسّل الرّاعي التّميري بأدوات لغوية متنوّعة ذات وظائف متعددة فهي تصوير لحال القبيلة تارة، وتارة أخرى إقناعية للمخاطب. ومن أمثلة تلك الأدوات استعمال التّوكيد ب"إنّ" "إنّ السّعاة عصوك...، إنّ الذين أمرتهم أن يعدلوا لم يفعلوا...". ويؤتى ب"إنّ" لتوكيد الغرض وذلك من جهات منها "أن يمنع المتكلم غفلة السّامع عنه أوّلاً، (و) ثانيها أن يدفع ظنّه بالمتكلم الغلط. فإذا قصد المتكلم أحد هذين الأمرين، فلا بدّ أن يكرّر اللفظ الذي ظنّ غفلة السّامع عنه، أو ظنّ أنّ السّامع ظنّ به الغلط فيه. (و) الثالث أن يدفع عن نفسه ظن السّامع به تجوزاً"^(١).

إنّ الشّاعر ههنا قصد إلى إزالة الشكّ من نفس السّامع واستيقاظه لظلم السّعاة، فأكسب خطابه عبر أسلوب التّكرار بهذه الأداة قوّة حجاجية ضاعفت التأثير في المخاطب، إذ إنّ من أوكد وظائف التّكرار "إبانة الأفكار والأحاسيس بفضل الشّحنة الانفعاليّة النّاتجة عن التّرّد الصّوتي"^(٢).

وما يُلاحظ كذلك أنّ الرّاعي التّميري في ما ذكرنا من أبيات عرض شكواه عرضاً قام على التّصريح، فوصف السّعاة بالكذب والتّزوير وعدم العدل ونهب الأموال وضرب العريف وإهانته وإجباره على الكذب، وفي هذا التّنوع في الخطاب بين التّصريح والتّلميح "مباغنة المتلقّي لإطلاق انفعاله وتعطيل كلّ ملكاته العقليّة وجعله يستسلم للهدير الانفعالي الباتوسي"^(٣)، فهو القائل:

أَخَذُوا الْعَرِيفَ فَقَطَعُوا حَيَازِمَهُ
بِالْأَصْبَحِيَّةِ قَائِمًا مَغْلُولًا

(١) رضي الدين الإسترابادي، شرح الكافية في النحو، تحقيق رحاب عكاوي، (بيروت، دار الفكر

العربي، ٢٠٠٠)، ج ٢، ص ٣٧٧، ٣٧٨.

(٢) انظر: Bardecheprincipe de repetition; نقلاً عن، سمير السّحيمي، أجراس الشّعير

وإيقاع الدّات، بحث في إنشائيّة قصبدة نزار قباني، (تونس، زينب للنشر، ط ١، ٢٠١٨)،

ص ٢٥٩.

(٣) محمد الولي، "خطابة الأهواء الأرسطية"، علامات، ع. ٥١، ٢٠١٩، ص ٢٧.

فنّ الاحتجاج بالعواطف في الشّعر الشّاكي لامية الرّاعي التّميري نموذجاً، د. أسماء بنت عوض الجميعي

حَتَّى إِذَا لَمْ يَتْرَكُوا لِعِظَامِهِ
لَحْمًا وَلَا لِفُؤَادِهِ مَعْقُولًا
نَسِي الأَمَانَةَ مِنْ مَخَافَةِ لُفْحِ
شُمْسٍ تَرَكْنَ بِضَبْعِهِ مَجْزُولًا
كَتَبَ الدَّهِيمُ وَمَا تَجَمَّعَ حَوْلَهَا
ظُلْمًا فَجَاءَ بِعَدْلِهَا مَعْدُولًا
وَعَدُوا بِصُكِّهِمْ وَأَحْدَبَ أَسَارَتِ
مِنْهُ السِّيَاطُ بِرَاعَةٍ إِجْفِيلاً
كُتِبَا تَرَكْنَ غَنِينَا ذَا حَلَّةٍ
بَعْدَ العِنَى وَفَقِيرَنَا مَهْزُولًا^(١)

منتھيا إلى القول:

أَخَذُوا حُمُولَتَهُ فَأَصْبَحَ قَاعِدًا
لَا يَسْتَطِيعُ عَنِ الدِّيَارِ حَوِيلًا
يَدْعُو أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَدُونَهُ
خَرَقٌ تَجْرُّ بِهِ الرِّيحُ ذُبُولًا
كَهْدَاهِدٍ كَسَرَ الرُّمَاهُ جَنَاحَهُ
يَدْعُو بِقَارِعَةِ الطَّرِيقِ هَدِيلًا
وَقَعَ الرِّبِيعُ وَقَدْ تَقَارَبَ خَطْوُهُ
وَرَأَى بِعَقْوَتِهِ أَزَلَ نَسُولًا
مُتَوَضِّحَ الأَقْرَابِ فِيهِ شُهْبَةٌ
هَمِشَ اليَدَيْنِ تَخَالُهُ مَشْكُولًا
كَدُخَانٍ مُرْتَجِلٍ بِأَعْلَى تَلْعَةٍ
غَرثَانَ صَرَّمَ عَرَفَجًا مَبْلُولًا^(٢)

لقد ضمّن الشّاعر هذه الأبيات ضروباً من المعاني الرّئيسية في تشكيل الدلالات التي يبتغي، فبعد أن رسم صورة قائمة للعريف، عرّج بطريقة تظهر براعة الشّاعر في لفت الممدوح. فبعد الشّكوى، يعبر الرّاعي التّميري إلى الغرض الأساسي من الكلام، فكان الحضّ والحثّ سعياً منه إلى دفع الخليفة عبد الملك لمعاينة السّعاة الذين تجاوزوا الحدّ في ظلم قبيلته لأخذهم نجائب إبلهم وضرب شيوخهم، فكأنّه يذكّر الخليفة بما وقع فيه من سهو وغفلة لا يحسن - في نظر الشّاعر - أن تقع من مثل أمير المؤمنين. والكلام مسوق

(١) التّميري، ديوان الرّاعي التّميري، ب ٧٣ - ٧٤ - ٧٥ - ٧٦ - ٧٧ - ٧٨، ص ٢١٠.

(٢) التّميري، ديوان الرّاعي التّميري، ب ٧٩ - ٨٠ - ٨١ - ٨٢ - ٨٣ - ٨٤، ص ٢١٢، ٢١١.

هنا لاستيقاظ المخاطب وجذب انتباهه إلى ما ينبغي أن يكون من مثله في النظر إلى الرعية بعين العدل والمساواة والرحمة. ويكون الدافع الأكبر من كل ذلك هو دفع الخليفة إلى اتخاذ موقف صارم من الأزمة التي تواجهها قبيلة الشاعر.

لم تكن الصورة في ما ذكر مجرد حلية يوشى بها الخطاب ههنا. ولم تكن كذلك "منغلقه على ذاتها، فهي لا تجد معناها أو حتى وجودها إلا بفضل مجموع النص المرتبط بموقف معين، وبايتوس من ينتجها، وبايتوس من يتلقاها"، وإنما نهضت هي الأخرى بوظيفة حجاجية عاضدت الآليات الأخرى. فالقصد من التشبيه ههنا في قوله "كهداهد كسر الرماة جناحه يدعو بقارعة الطريق هديلا" أكسب وظيفة هي إلى الإقناع أقرب، فصورة الهدهد الضعيف المكسور الجناح الذي يحدث صوتا في الطريق رمزا لحال القبيلة لاستثارة شفقة المخاطب وعطفه لما توحى به هذه الصورة من عجز وقلة ذات اليد. واستعمل الشاعر الصورة الحسية لتحريك المشاعر، وإثارة الانفعال بغية توجيه المخاطب نحو النتيجة المرجوة.

لقد بنى الشاعر النص بناء أقامه على عدد من المحاور أسميناها بالأصوات، وتدرجت فيها مراحل الشكوى، وكان منبعها الأساسي الهموم والظلم. ولم يفت الشاعر أن يشير إلى وصف مشقة الرحلة وصولا إلى صوت الضحية/القبيلة. وكان قصد الشاعر من تلك الأصوات المتعددة رفع الظلم عن قبيلته وورد ذلك بصورة صريحة في قوله:

إدفع مظالم عيالت أبناءنا عنا وأنقذ شلوننا المأكولا

فترى عطية ذاك إن أعطيته من ربنا فضلا ومنك جزيل

أنت الخليفة حلمه وفعاله وإذا أردت لظالم تنكيلا^(٢)

(1) Joelle Gardes - Tamine.pour une nouvelle théorie des figures.puf.2011,p184.

(٢) النّميري، ديوان الراعي النّميري، ب ٥٠ - ٥١ - ٥٢، ص ٢٠٦، ٢٠٧.

فنّ الاحتجاج بالعواطف في الشعر الشاكي لامية الزاعي التميري نموذجاً، د. أسماء بنت عوض الجميعي

لقد نهض الفعلان (ادفع / أنقذ) ههنا بدور هامّ في دفع الخطاب إلى منتهاه، ولا يخفى ما لفعل الأمر من قيمة حجاجيّة بالنظر إلى المحتوى القضوي المرجوّ منها. فالأمر خرج هنا عن مقتضى الظاهر من القول بما هو طلب القيام بالفعل على وجه الاستعلاء كما هو جار في المقامات التواصليّة بين طرفين تربط بينهما علاقة عموديّة، أي بين صاحب سلطة هو الأمر ومأمور هو أقلّ درجة منه، غير أنّ الشآن ههنا سار على غير سننه، فأصبح الباحث أمام علاقة تواصليّة سائرة بالخلف بين شاعر هو الأمر في الخطاب والواقع هنا بالنظر إلى الرّغبة المراد تحقيقها، ومأمور هو رأس السلطنة ممثّلة في عبد الملك بن مروان. إلا أنّ الناظر في المقصد من الفعلين يقف على رغبة أريدت التماساً لتحقيقها من صاحب السلطنة، فتوظيف فعلي الكلام الطلي ههنا فُصد بهما توجيه المخاطب نحو القيام بفعل آي، وحمل الشّاعر هذين الفعلين قوة إنجازه تشير إلى الالتماس كما أشرنا، فالشّاعر يلتمس من المخاطب رفع الظلم عن قبيلته ذاكراً دواعي طلبه هذا في قوله "عيلت أبناءنا"، فقد ورد فعلاً الكلام بشكل صريح دالّين على المطلوب. إنّ البيت الأخير ههنا كان كثيف الدّلالة، وعميق المقصد وذلك من جهة أنّه يضمّ جناحي السلطنة، الحلم / والتّنكيل بالظالم، وفي ذلك مسعى حجاجي بالغ التأثير في الالتماس. ثمّ لعلّ الباحث يلاحظ حرص الشّاعر على أسلوب التّكثيف خاصّة في تعاقب الأصوات في الخطاب " بين النداء والدعاء والهديل والعويل وما توحى به هذه الأصوات وتلك المقاطع منفردة أو مجتمعة من ترديد أليم لأوضاع القوم التّعيسة وتغن حزين بمصائرهم البائسة" (١).

٢- الرّموز التاريخيّة ودورها الحجاجي

لقد عمد الشّاعر إلى استدعاء شخصيات تاريخية عرفت بمواقفها وأدوارها السياسية والاجتماعية وأدرجها في رسالته بوصفها شخصيات خرجت من محيطها التاريخي لتصبح رموزاً حمّالة لدلالات كثيرة أستدعيت ههنا لتعضد موقف الشاعر

(١) الخصوصي، مرجع سابق، ص ٢٦٦.

ولتسهم في إقناع المخاطب، ذلك أنّ الشخصيات التي تستدعى في الخطاب في الأغلب لها حضور في الذهن وأبعاد دلالية تحمل المخاطب على التفاعل والتعاطي معها^(١). ويقف الناظر في لامية الراعي على استدعاء واضح لشخصيات لها أثرها البارز عند المخاطب، ويأتي في مقدمتها والد الخليفة الذي هو (مروان بن الحكم) المعروف بموقفه المشهور لما تفرق المسلمون بعد وفاة عثمان بن عفان. يقول الشاعر:

وَأَبُوكَ ضَارِبَ بِالْمَدِينَةِ وَحَدَهُ قَوْمًا هُمُ جَعَلُوا الْجَمِيعَ شُكُولًا
فَقَتَلُوا ابْنَ عَفَّانَ الْخَلِيفَةَ مُحْرِمًا وَدَعَا فَلَمْ أَرَ مِثْلَهُ مَخْذُولًا
فَتَصَدَّعَتْ مِنْ بَعْدِ ذَاكَ عَصَاهُمْ شِقْقًا وَأَصْبَحَ سَيْفُهُمْ مَسْلُولًا
حَتَّى إِذَا اسْتَعْرَتْ عَجَاجَةٌ فِتْنَةً عَمِيَاءَ كَانَ كِتَابُهَا مَفْعُولًا
وَزَنَتْ أُمِّيَّةً أَمْرَهَا فَدَعَتْ لَهُ مَنْ لَمْ يَكُنْ غُمْرًا وَلَا مَجْهُولًا
مَرَوَانُ أَحْزَمُهَا إِذَا نَزَلَتْ بِهِ حَذِبَ الْأُمُورِ وَخَيْرَهَا مَسْئُولًا^(٢)

يلاحظ الباحث ههنا أنّ الشاعر استحضر صفات شخصية تاريخية لوالد الممدوح خاصة في مقام تاريخي معروف عن صاحبه بالحزم والقوة، وهي صفات باتت في النصّ الشعري مضرباً للمثل إلى درجة بلوغها الرّمزية. ووسم تودوروف هذا الضرب من الرّمز بالرّمز الإنشائي^(٣)، ويُراد به الرّمز الذي أنشئ إنشأ في النصّ لدواعٍ فنيّة إنشائيّة أولاً، ولوظيفته الدلاليّة ثانياً. فمن جهة الدلالة والوظيفة الحجاجيّة أساساً، ذكر الشاعر

(١) لمزيد التوسّع في معرفة فاعليّة استلهام التراث في النصّ الشعري انظر، عليّ عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، (القاهرة، دار الفكر العربي، ط ١، ١٩٩٧)، ص ١٢٠.

(٢) النّميري، ديوان الراعي النّميري، ب ٥٣-٥٤-٥٥-٥٦-٥٧-٥٨، ص ٢٠٧، ٢٠٨.

(٣) انظر: محمد عليّ الموساوي، جماليّات الرّمز الديني في الشعر العربي المعاصر، بين التّأصيل والتّأويل، (تونس، الشركة التّونسيّة للنشر، ط ١، ٢٠١١)، ص ٥١.

فإن الاحتجاج بالعواطف في الشعر الشاكي لامية الراعي التيمري نموذجاً، د. أسماء بنت عوض الجمعي

الممدوح بأن تلك الصفات الواردة في القصيدة ينبغي أن تكون مترسّخة فيه من باب التأسيّ بأبائه وأجداده من ناحية، وإشارة إلى ضرورة توقّف تلك الصفات في الخليفة الذي يتولّى أمور المسلمين من ناحية ثانية. وعلى أساس من ذلك أليس "أحرى يقوم انتصروا للخليفة المظلوم أن يستجيبوا لشكوى المجموعة وهي المظلومة بدورها"^(١).

لقد استثمر الراعي التيمري موقف مروان بن الحكم بعد وفاة عثمان بن عفان حين تفرّق المسلمون، ودبّت بينهم الفتنة، وتجمّع الأمويّون ودعوا لمروان بن الحكم بالخلافة لما عرف عنه من حزم عند الشدائد ورفع للظلم وإنصاف للمظلوم وغير ذلك من الصفات الحميدة. فاستثمر الشاعر تلك الأحداث استثماراً يستجيب لمقام القصيدة الحجاجي الملامس لوجدان الممدوح، واستحضر رموزاً تاريخية أحسن انتقاءها استجابة لغرضه من القصيدة، فأصبحت الشخصية التي وظّفها رمزا عند الشاعر لصفاتها وأفعالها. كما أنّ اختيار صفات محدّدة كالإنصاف والحزم والقوّة راجع إلى ما لها من بعد حجاجي تهواه نفس الممدوح، ولذلك شحنة حجاجيّة عالية دون شك. ويبدو أنّ لتوظيف تقنية استحضار الرموز التاريخية تأثيراً عميقاً في نفس المحجوج.

٣- استدعاء القيم الدينيّة والحلقيّة ودورها الحجاجي

وظّف المرسل ألفاظاً دينيّة وخلقيّة توظيفاً لافتاً في لاميته، وهو إجراء يراد به ثلاث غايات وهي على النحو التالي: حمل متلقي رسالته على الاستماع له أولاً، والقبول بما تضمّنته من مطالب ثانياً، والتصديق بما أورده من حقائق ثالثاً. فقله:

أبلغ أمير المؤمنين رسالةً	شكوى إليك مُطلّةً وعويلاً
أوليّ أمر الله إنّ عشيرتي	أمسى سواهم عزين فلولا
أوليّ أمر الله إنّنا معشرٌ	خُنفاء نسجدُ بكرةً وأصيلاً
عربٌ نرى لله في أموالنا	حقّ الزكاة منزلاً تنزيلاً

(١) الخصوصي، مرجع سابق، ص ٦٣.

قَوْمٌ عَلَى الْإِسْلَامِ لَمَّا يَمْنَعُوا
مَاعَوْهُمْ وَيُضَيِّعُوا التَّهْلِيلَا
إِنِّي حَلَفْتُ عَلَى يَمِينٍ بَرَّةٍ
لَا أَكْذِبُ الْيَوْمَ الْخَلِيفَةَ قَيْلَا^(١)

فيه توظيف لعبارات دالة على القيم الدينية والخلقية في النص، وهو مقصد منوط به إقناع متلقي الشعر خاصة. فإذا ما تأمل الباحث ما ورد في الشواهد المذكورة سابقا والمتضمنة لإشارات عديدة مثل "أمير المؤمنين"، "أولي أمر الله"، "حنفاء نسجد بكرة وأصيلا"، "عرب نرى لله في أموالنا حق الزكاة منزلا تنزيلا"، "قوم على الإسلام..". لا يضيعون التهليل أي: الشهادة ولا يمنعون الماعون..، يلاحظ الدور المحوري لتلك الصفات في إثراء النص الشعري عبر آليات إقناعية أسهمت بشكل أساسي في إيقاظ وعي المخاطب بالخطب الجلل الذي أصاب القبيلة لتنبهه إلى المقصد المرجو تحققة منها وهو رفع الظلم وجور السعاة عنها. ويحقق العدول عن الاسم إلى الصفة (أمير المؤمنين) "وظيفة حجاجية تستمد من مقتضيات الصفة والمتمثلة أساسا في واجب الطاعة والقدرة على العطاء والحماية"^(٢)، أضف إلى ذلك أن " دلالة التابع على صفة لذات المتبوع هي جزء منه"^٣، فمن جهة استدعاء الصفة في الموصوف "ولي أمر الله / أمير المؤمنين..." يبدو أنها خطة في القول أريد بها جذب انتباه الممدوح لما هو محبب إلى نفسه عند سماع تلك الصفات أولا، ودعوته إلى الاستجابة إلى مطالب الشاعر الذاتية والملتفة برداء جماعي ثانيا. وتكمن هنا العملية الحجاجية في نص الراعي النميري من جهة استدعاء تلك القيم الدينية والخلقية في لاميته. ويطن هذا القول إشارة إلى أن طاعة أمير المؤمنين بقدر ما هي واجبة على الرعية، فإنها بالقدر ذاته توجب على الراعي

(١) النميري، ديوان الراعي النميري، ب ٣٢ - ٤١ - ٤٧ - ٤٨ - ٤٩ - ٦١، صص ٢٠٤ - ٢٠٨.

(٢) عبد العالي، قادا، الحجاج في الخطاب السياسي الرسائل السياسية الأندلسية خلال القرن الهجري الخامس أمودجا، دراسة تحليلية، (عمان، دار كنوز المعرفة، ط ١، ٢٠١٥)، ص ٢٥٥.

(٣) رفيق، بن حمودة، الوصفية، مفهومها ونظامها في النظريات اللسانية، (تونس، دار محمد علي للنشر، ط ١، ٢٠٠٤)، ص ٦٥٢.

فنّ الاحتجاج بالعواطف في الشعر الشاكي لامية الراعي التميري نموذجاً، د. أسماء بنت عوض الجميعي

في المقابل حماية رعيته وإغاثتها. ولعلّ فيما أُشير إليه من الدلالة والإيحاء السياسي ما لا يخفى، لاسيما وأنّ استحضر القيم ذات المنحى السياسي يشي بالمسكوت عنه من غايات النصّ، ومن ثمّ تحقّق الغاية التي لأجلها استحضر الراعي معطيات المدح المسكون بالشكوى من جهة استمالة المخاطب ودفعه لتغيير مواقفه بما يتلاءم مع طلبه.

خاتمة البحث

لقد سعت هذه الدراسة إلى استنطاق نصّ من النصوص الشعرية لشاعر أمويّ أثبت التحليل وفاء صوت صاحبه لشواغل القبيلة فيما له صلة بسياق الشكوى الملتبسة بالمدح. ورأينا أنّ مقارنة شعر الشاعر مقارنة حجاجية عبر الوقوف على ما اصطلح عليه بالاحتجاج بالعواطف هي مقارنة ممكنة من جهة تجلّي الدوافع فيها أولاً، وارتباطها ثانياً بالجانب الانفعالي الظاهر في علاقته بالشكوى التي أدير عليها البحث.

فلقد كان الوضع المالي المربك للقبيلة دافعاً مباشراً لتحريك وجدان الشاعر الذي سعى بدوره إلى التأثير في متلقي شعره. فجعل المدح مدخلاً مناسباً لتصدير أزمته إلى ممدوح يمثل أعلى هرم للسلطة آنذاك، وهو ما استوجب منه التوسّل بخط حجاجية متينة أجراها الراعي النميري باقتدار، فأظهرته آخذاً بشرائط العملية الحجاجية الناجعة، وامتدّنا من حسن انتقاء الحجج ذات الطاقة التعبيرية المؤثرة في المخاطب.

ولقد جعل الشاعر من المدح - كما أشرنا - مدخلاً مناسباً أفصح من خلاله عن رغبة ذاتية دفيئة التحفت بلحاف جماعي هادفة إلى تغيير وضع ماليّ متهاو أصاب قبيلته. فأظهر شعر الشاعر الذات مقتدرة على الدفاع عن شواغل القبيلة عبر التوسّل بالكلمة، بما تميّز وأجاد خطابه الحجاجي. وأظهر إلى جانب ذلك معرفة بما يجذب الذات التي إليها يتوجّه بالخطاب. وكشف النصّ إلى جانب ذلك عن وعي هذه الذات المتكلمة بالخطاب، وبما يرغب فيه الآخر وما يحركه ويدفعه إلى التغيير. فكانت وجوه الاحتجاج بالعواطف عديدة، تخيرنا منها الظاهر في القول ولكتها العميقة في مقاصدها التأثيرية. فتارة كان منطلقه الصوت الفردي، وتارة أخرى الصوت الجماعي. ولم يكتف الشاعر بهذه الآليات، بل سعى إلى استحضار ما ترغب فيه ذات الممدوح من قيم وظيفتها الإغلاء من شأنه أمام بقية الممدوحين، فاسترفد الراعي النميري من التاريخ رموزاً لها دور حجاجي ناجع في العملية الحجاجية، وهو ما نعتة الأستاذ عبد الله صولة بالاحتجاج بالسلطة. ويبدو أنّ لتلك الرموز تأثيراً جلياً في نفس الممدوح لما لها من وشائج متينة بشخصه أولاً، ولما لها من أدوار تاريخية محرّكة لوجدان عبد الملك بن مروان من جهة الفخر بأعمال السلف وصفاتهم.

المصادر والمراجع

التّميري، الرّاعي. ديوان الرّاعي التّميري، شرح عبد الصّمد واضح، دار الجليل، بيروت، ط ١، ١٩٩٥.

المراجع باللغة العربيّة

ابن قتيبة. الشّعر والشّعراء، بيروت، دار الثّقافة، (د ت).
الإسترابادي، رضي الدين. شرح الكافية في النحو، تحقيق رحاب عكاوي. بيروت، دار الفكر العربي، ٢٠٠٠.

الأصفهاني، أبو الفرج. الأغاني، بيروت: دار صادر، ط ٢، (د ت).
أوريكيوني، كاترين كيريرات. المضمّر، ترجمة ريتا خاطر. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربيّة، ط ١، ٢٠٠٨.

بن حمّودة، رفيق. الوصفية، مفهومها ونظامها في النّظريّات اللّسانيّة. تونس: دار محمد علي للنّشر، ط ١، ٢٠٠٤.

بوزناشة، نور الدين. الحجّاج بين الدرس البلاغي العربي والدرس اللساني الغربي، دراسة تقابلية مقارنة، رسالة دكتوراه مخطوطة، جامعة محمد لمين دباغين، سطيف ٢، ٢٠١٦.

الخصخوصي، أحمد. الرّاعي النّميري شاكياً محاجاً، حوليات الجامعة التونسية، كلية الآداب والفنون والإنسانيات، جامعة منوبة، ع. ٥٥، ٢٠١٠.
الدّريدي، سامية. الحجّاج في الشّعر العربي بنيتة وأساليبه. إربد - الأردن: عالم الكتب الحديث، ط ٢، ٢٠١١.

روميّه، وهب. شعرنا القديم والنّقد الجديد، عالم المعرفة، ع. ٢٠٧، ١٩٩٦.
السّحيمي، سمير. أجراس الشّعر وإيقاع الدّات، بحث في إنشائيّة قصيدة نزار قبّاني. تونس: زينب للنّشر، ط ١، ٢٠١٨.

- سلمان، علي محمد علي الحجاج عند البلاغيين العرب ضمن الكتاب: الحجاج والاستدلال الحجاجي، دراسات في البلاغة الجديدة، إشراف حافظ إسماعيل علوي. الأردن: دار ورد، ط ١، ٢٠١١.
- صولة، عبد الله. في نظرية الحجاج، دراسات وتطبيقات. تونس: دار مسكلياني للنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠١١.
- الطلبة، محمد سالم محمد الأمين. مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسة نظرية وتطبيقية محكمة في الخطابة الجديدة. الجزائر: ابن النديم للنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠١٣.
- عبيد، حاتم. "منزلة العواطف في نظريات الحجاج"، عالم الفكر، م. ٤٠، ع. ٢، ٢٠١١، ص ٢٣٩-٢٦٩.
- عليبي، رضى عبد الله. " فنون القول في لامية الفرزدق " إنّ الذي سمك السماء..."، ضمن أعمال ندوة قسم العربية، التخصصات البيئية وتحليل الخطاب، جامعة قفصة. تونس ٢٠٢٠. ص ١٨٠-٢٠٨.
- عليمات يوسف محمود. " بلاغة الحجاج في النص الشعري، دالية الراعي النميري نموذجاً"، مجلة جامعة دمشق، م. ٢٩، ع. ٢+١، ٢٠١٣.
- قادا، عبد العالي. الحجاج في الخطاب السياسي الرسائل السياسية الأندلسية خلال القرن الهجري الخامس أمودجا، دراسة تحليلية. عمان: دار كنوز المعرفة، ط ١، ٢٠١٥.
- القاضي، محمد وآخرون. معجم السرديات. تونس: دار محمد علي للنشر، ط ١، ٢٠١٠.
- مدقن، هاجر. الخطاب الحجاجي، أنواعه وخصائصه. الجزائر: منشورات الاختلاف، ط ١، ٢٠١٣.
- مشبال، محمد. في بلاغة الحجاج نحو مقارنة بلاغية حجاجية لتحليل الخطابات. عمان: دار كنوز المعرفة، ط ١، ٢٠١٦.

فنّ الاحتجاج بالعواطف في الشّعر الشّاكي لامية الرّاعي التّميري نموذجاً، د. أسماء بنت عوض الجميعي

الموساوي، محمد علي. جماليّات الرّمز الدّيني في الشّعر العربي المعاصر، بين التّأصيل والتّأويل. تونس، الشركة التّونسيّة للنّشر، ط ١، ٢٠١١.

المويقن، مصطفى. تشكّل المكونات الروائيّة. اللاذقية: دار الحوار، ط ١، ٢٠٠١.

الولي، محمد. "خطابة الأهواء الأرسطية"، علامات، ع. ٥١، ٢٠١٩.

المراجع باللّغة الأجنبيّة

Aristote. Rhétorique. Ie livre de poche. Librairie General Francaise. Paris,1991.

Joelle Gardes – Tamine. Pour une nouvelle théorie des figures. Puf,2011.

M.Patillon. Éléments de rhétorique Classique. Nathan Université, 1991.

Michel Beaujour.Rhétorique et littérature. De la métaphysique a la Rhétorique, Michel Meyer (éd), Universite de Bruxelles,1986.

Plantin,ch. Les raisons des emotions , in M .Bondi.éd,forms of argumentative discourse on line , 1998.

Bibliography

- al-Numairī, al-Rā‘ī. Dīwān al-Rā‘ī Numairī, sharḥ ‘Abd al-Ṣamad Wāḍih, Dār al-Jīl, Beirut: 1st edition, 1995.
- Ibn Qutaybah. alshsh‘r wālshsh‘rā’, Beirut, Dār al-Thaqāfah.
- al-Istirābādī, Raḍī al-Dīn. Sharḥ al-Kāfiyah fī al-Naḥw, investigated by: Riḥāb ‘Akkāwī. Beirut: Dār al-Fikr al-‘Arabī, 2000.
- al-Aṣfahānī, Abū al-Faraj. al-Aghānī, Beirut: Dār Ṣādir, 2nd edition.
- Orikioubi, Catron Kirbrat. Al-Muḍmarr, translated by: Rītā Khāṭir. Beirut: Markaz Dirāsāt al-Waḥdah al-‘Arabīyah, 1st edition, 2008.
- ibn Ḥammoudah, Raḥīq. Al-Waṣfiyyah, Mafhūmuhā wa-Nizāmuhā fī al-Nazariyyāt al-Lisāniyyah. Tunisia: Dār Muḥammad ‘Alī li al-Nashr, 1st edition, 2004.
- Bouzanāsha, Nūr al-Dīn. al-Ḥijjāj Bayna al-Darrs al-Balāghī al-‘Arabī wa-al-Darrs al-Lisānī al-Gharbī, Dirāsah Taqābulīyah Muqāranah, a PhD dissertation manuscript, University Mohamed Lamine Debaghine -Setif 2, 2016.
- al-Khaṣkhūṣī, Aḥmad. al-Rā‘ī al-Numayrī Shākiyan Muḥājan, Annals of the Tunisian University, Faculty of Literature, Arts and Humanities, Manouba University, Issue 55, 2010.
- al-Duraidi, Sāmiyah. al-Ḥijjāj fī al-She‘r al-‘Arabī Binyatuhu wa-Asālībuh. Irbid – Jordan: ‘Ālam al-Kutub al-ḥadīth, 2nd edition, 2011.
- Roumiyah, Wahb. She‘runā al-Qadīm wa al-Naqd al-Jadīd, ‘Ālam al-Ma‘rifah, issue 207, 1996.
- al-Suḥaimi, Samīr. Ajrās al-She‘r wa-īqā‘ al-Dhāt, baḥth fī inshā’iyyah qaṣīdat Nizār Qabbāny. Tunisia: Zaynab li al-Nashr, 1st edition, 2018.
- Salmān, ‘Alī Muḥammad ‘Alī. al-Ḥijjāj ‘inda al-Balāghīyīn al-‘Arab ḍimna al-Kitāb: al-Ḥijjāj wa al-Istidlāl al-Ḥijjājī, Dirāsāt fī al-Balāghah al-Jadīdah, supervision of Ḥāfiẓ Ismā‘īl ‘Alawī. Jordan: Dār Warrd, 1st edition, 2011.
- Al-Ṭalabah, Muhammad Salim Muhammad Al-Amin. The concept of argumentation by Parlman and its development in contemporary rhetoric within the book of al-Ḥijjāj, its concept and fields, a peer reviewed theoretical and applied study in the new rhetoric, (in Arabic). Algeria: Ibn al-Nadim for publication and distribution, 1st edition, 2013.
- ‘Ubaid, Ḥātim. “The Status of Emotions in the Theories of Argumentations,” (in Arabic). ‘Ālam al-Fikr, Vol. 40, Iss. 2, 2011, pp. 239-269.
- ‘Ulaybī, Riḍā ‘Abd Allāh. "Funūn al-Qawl fī Lāmīyat al-Farazdaq" inn al-Ladhī Samak al-Samā’ ... ", Within the work of the symposium

- of the Department of Arabic, Interdisciplinary and Discourse Analysis, University of Gafsa. Tunisia 2020. pp. 180-208.
- ‘Ulaymāt Yūsuf Maḥmūd. "Balāghat al-Ḥajjāj fī al-Naṣṣ al-Shi‘r, Dāliyat al-Rā‘ī al-Numayrī Namūdhajan", Damascus University Journal, vol. 29, iss. 1+2, 2013.
- Qada, ‘Abd al-‘Ali. The argumentation in the political discourse Andalusian political messages during the fifth Hijri century as a case study, an analytical study, (in Arabic). Amman: Dār al-Kunouz al-Ma‘rifah, 1st edition, 2015.
- Al-Qādī, Muhammad et al. Mu‘jam al-Sarrdiyāt. Tunisia: Muhammad ‘Ali Publishing House, 1st edition, 2010.
- Mudaqin, Hājar. Argumentative discourse, its types and characteristics, (in Arabic). Algeria: Al-Ikhtif Publications, 1st edition, 2013.
- Meshbāl, Muhammad. In the Rhetoric of Argumentation Towards a Rhetorical Argumentative Approach to Analyzing Discourses, (in Arabic). Amman: Dār al-Kunouz al-Ma‘rifah, 1st edition, 2016.
- Moussawi, Muhammad ‘Ali. The aesthetics of the religious symbol in the contemporary Arabic poetry, between establishing and interpretation, (in Arabic). Tunisia: The Tunisian Publishing Company, 1st edition, 2011.
- Al-Muwaiqin, Mustafa. Narrative components, (in Arabic). Latakia: Dār Al-Hiwar, 1st edition, 2001.
- Al-Wali, Muhammad. "Rhetoric of Aristotelian Desires", (in Arabic). symbols, iss. 51, 2019.

Foreign References

- Aristote. Rhétorique. Ie livre de poche. Librairie General Francaise. Paris, 1991.
- Joelle Gardes – Tamine. Pour une nouvelle théorie des figures. puf, 2011.
- M. Patillon. éléments de rhétorique Classique. Nathan Université, 1991.
- Michel Beaujour. Rhétorique et littérature . De la métaphysique a la Rhétorique, Michel Meyer (éd), Universite de Bruxelles, 1986.
- Plantin, ch. Les raisons des emotions, in M.Bondi.éd, forms of argumentative discourse online , 1998.





الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
ISLAMIC UNIVERSITY OF MADINAH

Journal of

Arabic Language and Literature

Vol : 6

Part : 1

Sep - Dec 2022



الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
ISLAMIC UNIVERSITY OF MADINAH

مجلة الجامعة الإسلامية

للغة العربية وآدابها

مجلة علمية دورية محكمة

سبتمبر - ديسمبر ٢٠٢٢ م

الجزء : ٢

العدد : ٦



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

معلومات الإيداع

في مكتبة الملك فهد الوطنية

النسخة الورقية:

رقم الإيداع ١٤٤٣/٣٢٨٣ بتاريخ ١٤٤٣/٠٤/٠٢ هـ

ردمد: ١٦٥٨-٩٠٧٦

النسخة الإلكترونية:

رقم الإيداع ١٤٤٣/٣٢٨٤ بتاريخ ١٤٤٣/٠٤/٠٢ هـ

ردمد: ١٦٥٨-٩٠٨٤

الموقع الإلكتروني للمجلة

<http://journals.iu.edu.sa/ALS/index.html>

ترسل البحوث باسم رئيس تحرير المجلة إلى البريد الإلكتروني:

asj4iu@iu.edu.sa

البحوث المنشورة في المجلة تعبر عن آراء الباحثين

ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة

جميع حقوق الطبع محفوظة للجامعة الإسلامية

هيئة التحرير

د. عبدالرحمن بن دخيل ربه المطرفي

(رئيس التحرير)

أستاذ الأدب والنقد المشترك بالجامعة الإسلامية

د. إبراهيم بن صالح العوفي

(مدير التحرير)

أستاذ النحو والصرف المشترك بالجامعة الإسلامية

أ.د. عبدالعزيز بن سالم الصاعدي

أستاذ النحو والصرف بالجامعة الإسلامية

د. إبراهيم بن محمد علي العوفي

أستاذ اللغويات المشترك بمعهد تعليم اللغة العربية
بالجامعة الإسلامية

د. مبارك بن شتيوي الحبوشي

أستاذ البلاغة المشترك بالجامعة الإسلامية

أ.د. محمد بن صالح الشنطي

أستاذ الأدب والنقد بجامعة جدرا-الأردن

أ.د. علاء محمد رأفت السيد

أستاذ النحو والصرف والعروض-جامعة القاهرة

أ.د. عبدالله بن عويقل السلمي

أستاذ النحو والصرف-جامعة الملك عبدالعزيز بجدة

قسم النشر: د. عمر بن حسن العبدلي

الهيئة الاستشارية

أ.د. محمد بن يعقوب لثركستاني

أستاذ أصول اللغة بالجامعة الإسلامية

أ.د. محمد محمد أبو موسى

أستاذ ورئيس قسم البلاغة بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر

أ.د. تركي بن سهو العتيبي

أستاذ النحو والصرف بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

أ.د. عبدالرزاق بن فراج الصاعدي

أستاذ اللغويات بالجامعة الإسلامية

أ.د. سالم بن سليمان الحماش

أستاذ اللغويات في جامعة الملك عبدالعزيز

أ.د. محمد بن مريسي الحارثي

أستاذ الأدب والنقد في جامعة أم القرى

أ.د. ناصر بن سعد الرشيد

أستاذ الأدب والنقد بجامعة الملك سعود

أ.د. صالح بن الهادي رمضان

أستاذ الأدب والنقد. تونس

أ.د. فايز فلاح القيسي

أستاذ الأدب الأندلسي في جامعة الإمارات العربية المتحدة

أ.د. عمر الصديق عبدالله

أستاذ التربية وتعليم اللغات بجامعة أفريقيا العالمية-الخطوم

د. سليمان بن محمد العبيدي

وكيل وزارة الإعلام سابقاً

قواعد النشر في المجلة (*)

- أن يكون البحث جديداً؛ لم يسبق نشره.
- أن يتسم بالأصالة والجدة والابتكار والإضافة للمعرفة.
- أن لا يكون مستقلاً من بحوثٍ سبق نشرها للباحث.
- أن تراعى فيه قواعد البحث العلميّ الأصيل، ومنهجيتته.
- أن يشتمل البحث على:
 - عنوان البحث باللغة العربية وباللغة الإنجليزية.
 - مستخلص للبحث لا يتجاوز (٢٥٠) كلمة؛ باللغتين العربيّة والإنجليزية.
 - كلمات مفتاحيّة لا تتجاوز (٦) كلمات؛ باللغتين العربيّة والإنجليزية.
 - مقدّمة.
 - صلب البحث.
 - خاتمة تتضمّن النتائج والتوصيات.
 - ثبت المصادر والمراجع باللغة العربية.
 - رومنة المصادر العربية بالحروف اللاتينية في قائمة مستقلة.
- في حال (نشر البحث ورقياً) يمنح الباحث نسخة مجانية واحدة من عدد المجلة الذي نُشر بحثه فيه، و (١٠) مستلات من بحثه.
- في حال اعتماد نشر البحث تؤول حقوق نشره كافة للمجلة، ولها أن تعيد نشره ورقياً أو إلكترونياً، ويحقّ لها إدراجه في قواعد البيانات المحليّة والعالمية - بمقابل أو بدون مقابل - وذلك دون حاجة لإذن الباحث.
- لا يحقّ للباحث إعادة نشر بحثه المقبول للنشر في المجلة - في أي وعاء من أوعية النّشر - إلّا بعد إذن كتابي من رئيس هيئة تحرير المجلة.
- نمط التوثيق المعتمد في المجلة هو نمط (شيكاغو).

(*) يرجع في تفصيل هذه القواعد العامة إلى الموقع الإلكتروني للمجلة: <http://journals.iu.edu.sa/ALS/index.html>

محتويات العدد

م	البحث	الصفحة
(١)	ظاهرة الإدراج بين القديم والحديث وأثرها في الخصائص الجرسية للصوت دراسة وصفية تحليلية د. طلال بن خلف بن محفوظ الحساني	٩
(٢)	معجم سياقي لألفاظ ومصطلحات جائحة كورونا للمناطق غير العربية د. عادل منسي العنزي	٥٥
(٣)	ألفاظ النخلة في اللهجة الدارجة لبني سليم الحجاز دراسة لغوية لقّاي بن لافي مذخر السلمي	١٠٩
(٤)	ملاحم الأداء الصوتي في كتاب "تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين عما يقع لهم من الخطأ حال تلاوتهم لكتاب الله المبين لأبي الحسن النوري الصفاقسي" (ت ١١١٨هـ) دراسة وصفية د. ياسر سلامة إبراهيم محمد	١٥٧
(٥)	ألفاظ الأظعمة في الشعر الجاهلي دراسة لغوية ومعجم د. ياسر الدرويش	٢٣٣
(٦)	وجوه الإعجاز البياني عند "الماوردي" ورده الشبه المحتملة فيها في كتابه "أعلام النبوة" د. علي بن محمد آل نومة القحطاني	٢٨٩

م	البحث	الصفحة
(٧)	تجليات السياق القرآني للحظة الموت الإنسانية الفارقة د. أناهيد عبد الحميد جمال حريري	٣٤١
(٨)	إيجاز الإطناب مناقدة بلاغية ومحاكمة عقلية د. هاني بن عبيد الله الصاعدي	٣٩٩
(٩)	مظاهر الحركة والسكون في ديوان "اشتعل النبض شعراً" دراسة فنيّة دلاليّة د. عبد الرحمن بن دخيل ربّه المطرقي	٣٤٥
(١٠)	تأنيث إيقاع قصيدة التفعيلة عند عبد الله الغدامي راشد فهد عايض القشامي	٣٨١
(١١)	أفق الانتظار والمسافة الجمالية قراءة في ديوان أجنحة بلاريش لحسين سرحان د. ذيب بن مقعد العصيمي	٤٣٣
(١٢)	المهارات الإملائية في اللغة العربيّة مقارنة بين أداء الطلاب المتحدّثين الأصليين بالعربيّة وغير الناطقين بها د. صلاح بن ملهّي السّحيمي	٤٧٧

**ظاهرة الإدراج بين القديم والحديث
وأثرها في الخصائص الجرسية للصوت
دراسة وصفية تحليلية**

The Phenomenon of Epenthesis Between Ancient
and Modern And its Effect on the Timbre
Characteristics of the Sound
Descriptive Analytical Study

د. طلال بن خلف بن محفوظ الحساني

أستاذ اللغة والنحو المساعد بقسم اللغة العربية بكلية العلوم والآداب بالمنطق -
جامعة الباحة

البريد الإلكتروني: dr.talalalhassani@gmail.com

المستخلص

- **موضوع البحث:** ظاهرة الإدراج بين القديم والحديث، وأثرها في الخصائص الجرسية للصوت.

- **أهداف البحث:** يهدف البحث إلى بيان مفهوم الإدراج في الدرس الصوتي العربي مقارنة بالدرس الصوتي الحديث؛ وأثر الإدراج في الخصائص الجرسية التي تلحق الصوت نتيجة الإدراج؛ وصولاً إلى القواعد الحاكمة للإدراج في الأصوات.

- **منهج البحث:** اقتضت طبيعة البحث أن يكون منهجه وصفياً تحليلياً، وذلك باستقراء آراء القدماء والمحدثين في الإدراج، وتتبع توصيفهم للوصول الصوتي؛ ومن ثمّ تحليل هذه الآراء وتصنيفها، وترتيب النتائج عليها.

- **أهم النتائج:** يمثل الإدراج (الوصل) الصوتي الخاصية الأهم في التسلسل الصوتي في العربية، وقد قطعت الدراسات التراثية شوطاً كبيراً يكاد يكون مطابقاً للنتائج العملية في الدرس الصوتي الحديث، وتوصل البحث - في ذلك - إلى أنّ الدرس التراثي يتسم بالتطور؛ فتختلف الآراء في الإدراج من كتاب إلى آخر للمؤلف الواحد على نحو مؤلفات ابن جني، وكذلك فإنّ الإدراج يكون في المقام الأول بأثر الصوائت القصيرة، وأنّ الصائت القصير يكون لاحقاً بالحرف الصامت، وأنّ الخصائص الجرسية للصوت تكون أوضح في السكون التام، ثم السكون المدرج أو سكون الحشو، وتضعف هذه الخصائص حال الوصل بالصوائت القصيرة.

- **أهم التوصيات:** يوصي الباحث بأن تنهض الأقسام المختصة بتسليط الدراسات اللغوية الصوتية على كنوز التراث العربي، وذلك بتبصير طلاب الدراسات العليا وإرشادهم، وفتح مسارات في هذا المجال، خاصة عند ابن جني وطبقته، ومقارنة هذه المعطيات بالمنجز الحديث؛ للوصول إلى مراحل التطور في الدرس التراثي من جهة، وبيان نقاط الاختلاف والاتفاق بين نتائج الوصف الصوتي التراثي، والنتائج العملية الحديثة.

- **الكلمات المفتاحية:** الإدراج الصوتي - الوصل - الجرس الصوتي.

Abstract

This research investigates the term “Epenthesis” in the past and present, and its effect on sound timbre. This research aims to explore the concept of epenthesis in Arabic phonetics in comparison to modern phonetics; emphasizing the effect of epenthesis on the sound timbre. It also sheds light on the rules of epenthesis. The present research requires using the analytical descriptive method to reveal the pioneering views of ancient and modern scholars about epenthesis. Then, the researcher analyzes, classifies, and compares these views. Among the prominent findings of this research is that epenthesis is the most significant characteristic of the sequence of sounds in Arabic. This research shows how the ancient scholars made great contributions in phonetics that are almost identical to the laboratory findings of scientific experiments of modern phonetics. Based on this view, the research concludes that ancient phonetics was characterized with improvement; For example, the ancient opinions on epenthesis differ from one book to another, even those written by the same author. A case in point is Ibn Jinni’s works. In addition, it is found that epenthesis primarily occurs by inserting short vowels, and a short vowel is followed by a consonant. It is also found that the characteristics of sound timbre is clearer in *sukoon* (no vowel), then in consonant - vowel - consonant, or consonant cluster, that is geminate consonants in word-medial position. These characteristics weaken after the insertion of short vowels. The research recommends paying more attention to studying the valuable achievement of old scholars, especially in the works of Ibn Jinni and his contemporaries, and comparing them to the findings of modern phonetics. This helps to trace the stages of development in the ancient phonetics and to emphasize both similarities and dissimilarities between the ancient scholars’ achievements in phonetics and the findings of modern phonetic laboratory experiments.

- **Keywords:** Sound Epenthesis, Conjunction, Sound Timbre.

المقدمة

الحمد لله الذي جعل العربية على أشرف لسان، وأنزل بها كتابه في أحسن بيان،
والصلاة والسلام على أفضل العرب لهجة، وأصدقهم حجة، وأقوم الدعاة إلى الحق
محجة، وعلى آله وصحبه أفضل صلاة وأتم تسليم. وبعد،

فقد ميّز الدرس الصوتي في دراسته للصوت اللغوي بين جانبيين، الأول: يُعنى بما
ينتجه الجهاز الصوتي لدى الإنسان فعليًا؛ فيصف هذا المنتج في جميع مراحل
الفسولوجية والفيزيائية والإدراكية، وهو ما يسمى بعلم الصوتيات أو الأصوات أو
الفوناتييك (Phonetics).

في حين ينصرف الشق الثاني إلى المرحلة التابعة للأولى، حيث يتم تجاوز
المنطقة الإنتاجية للصوت إلى الدراسة الحقيقية للأصوات بوصفها علما ذا وظائف
متنوعة، وعلاقات متشابكة في السياق الصوتي، ومن ذلك علاقات: التماثل،
التخالف، أثر الإدراج، الخصائص الجرسية... وهو ما يعرف بعلم الأصوات الوظيفي،
أو الفونولوجي (Phonology).

وعلى الرغم من كون هذا التمييز تمييزًا حديثًا فإنّ غياب المصطلح لا يعني
غياب المفهوم في الدرس الصوتي التراثي، بدءًا بمعجم العين ذي الأساس الصوتي
للخليل بن أحمد مرورًا بأجيال من العلماء خاصة ابن جني - الذي استقل بالأصوات
منهجًا وتأليفًا- وانتهاءً بالدراسات العربية الحديثة؛ فقد أدرك التراث في علومه
المختلفة الأصوات المفردة التي توازي الصوتيات أو علم الأصوات، والأصوات المركبة
التي توازي علم الأصوات الوظيفي؛ فالمؤلفات التراثية زاخرة بمخرج الصوت ووصفه
وعلاقاته من إدغام وتقاليب وصحة واعتلال وإذلاق وإصمات، وغير ذلك من
الصفات والخصائص الصوتية المختلفة.

ويمكن القول بأنّ الدرس التراثي للأصوات قد انتقل من الأفراد إلى الخصائص

التركيبية للأصوات، من علم الصوتيات إلى علم وظيفة الأصوات، حيث إنّ هذا الدرس قد اتخذ من أحوال الصوت المفردة مرقاة وأساسا لمعرفة الأحوال التركيبية للصوت بفعل السياق والوصل، ونظرة في كتاب سيوييه في حديثه عن الإدغام توضح ذلك الانتقال من المفرد إلى المركب، وهو مقبوس من علم الخليل في كثير منه؛ فقد ابتداء سيوييه باب الإدغام بعدد الحروف في العربية، ثم أبان مخارجها وبعضها من صفاتها كالجهر والهمس والانحراف؛ لينتقل من هذه الأحوال المفردة إلى المركبة؛ حيث الإدغام، ومن ذلك قوله: "هذا باب الإدغام في الحرفين اللذين تضع لسانك لهما موضعا واحدا لا يزول عنه... وكلما توالى الحركات أكثر كان الإدغام أحسن..."^(١).

ونخلص من ذلك إلى أنّ الدرس التراثي قد ارتقى من المنظومة الصوتية النظرية الإفرادية إلى الأحوال التركيبية التي تعرض للأصوات العربية حال سياقها أو تركيبها أو وصلها أو إدراجها في السياق الصوتي؛ وعلى هذا الأساس كان هذا البحث، وموضوعه "ظاهرة الإدراج بين القديم والحديث وأثرها في الخصائص الجرسية للصوت".

- أهداف البحث:

- ١- بيان مفهوم مصطلح الإدراج في الدرس الصوتي قديما وحديثا.
- ٢- مقارنة مفهوم الإدراج بين المدرسين؛ وقوفا على أوجه الاتفاق والاختلاف.
- ٣- استخلاص أوجه تأثير الإدراج في الصفات الجرسية للصوت.
- ٤- بيان مراتب الصفات الجرسية بين الوصل والسكون أو الوقف.
- ٥- الخروج بنتائج تلخص أثر الإدراج في الصفات الجرسية.

(١) أبو بشر عمرو بن عثمان سيوييه، كتاب سيوييه (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤٣٠هـ = ٢٠٠٩م، ط ٥)، ٤ / ٤٣٧.

ظاهرة الإدراج بين القديم والحديث وأثرها في الخصائص الجرسية للصوت-دراسة وصفية تحليلية

- مشكلة البحث وتساؤلاته:

تتمحور مشكلة البحث في كون الصفات الجرسية للصوت مختلفة في حال الوقف عنها في حال الإدراج، ثم إنها تختلف في السكون التام عنها في سكون الحشو بفعل الإدراج؛ وعلى هذا كانت تساؤلات البحث الآتية:

س ١- ما العلاقة الجامعة بين مفهوم الإدراج بين القديم والحديث؟

س ٢- كيف تطور مفهوم الإدراج في الدرس التراثي الصوتي؟

س ٣- كيف يؤثر الإدراج على الصفات الجرسية للصوت بوصفه خاصية الصوت الأهم؟

س ٤- ما درجات تأثير الإدراج على هذه الصفات الجرسية وصلا ووقفا؟

- الدراسات السابقة:

لم أقف - ما استطعت- على بحث مفرد للإدراج؛ وكانت معالجته في ثنايا العلوم اللغوية التراثية، أو في ثنايا علم الأصوات بوصفه علاقة تركيبية للصوت في سياقه؛ فكان هذا البحث.

- منهج البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن يتخذ المنهج الوصفي منهجا له؛ حيث توصيف آراء اللغويين قديما وحديثا حول مفهوم الإدراج وتطبيقاته، ومن ثم تكون الاستعانة ببعض آليات هذا المنهج الوصفي، ومنها التصنيف والتحليل لهذه المفاهيم وتلك التطبيقات؛ بهدف التوصل إلى النتائج المراد تحقيقها من وراء البحث.

- حدود البحث:

اعتمد البحث الأصوات العربية في المقام الأول، ثم آراء اللغويين التي تخدم مشكلة البحث، وتسهم في الإجابة عن تساؤلاته، من أمثال: (الخليل، سيبويه، ابن جني، وابن يعيش) في القديم، ومن أمثال (فرديناند دي سوسير، د إبراهيم أنيس، د أحمد مختار عمر) في الحديث.

- خطة البحث:

جاءت خطة البحث موزعة على مقدمة ومبحثين وخاتمة؛ اختصت المقدمة بعنوان البحث وأهدافه المرجوة، ومشكلته وتساؤلاته، ومنهجه، وحدوده، ثم كان المبحث الأول: (مفهوم الإدراج بين القديم والحديث)، ثم المبحث الثاني (أثر الإدراج في الصفات الجرسية للصوت)، ثم انتهى البحث إلى خاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصل إليها الباحث خلال بحثه، وحُتم البحث بقائمة تفصيلية للمراجع التي اعتمد عليها البحث، مع تذييله بفهرس موضوعات واف.

المبحث الأول: مفهوم الإدراج بين القديم والحديث

كثيرا ما ينصرف الاهتمام في الدرس الصوتي نحو الشق الأول منه، حيث علم الأصوات أو الصوتيات من حيث توصيف المخارج والصفات المفردة لكل حرف على حدة، ولم يكن الشق الثاني بالأهمية نفسها؛ ما دفع اللغوي السويسري فرديناند دو سوسير إلى التركيز على أهمية علم الأصوات الوظيفي؛ فهو يرى أنّ الأصوات تتجاوز محور إنتاجها وصفاتها إلى ذلك الأثر السمعي الذي ينشأ من تداخل الأصوات وتركيبها؛ من ذلك قوله: "كثيرا ما ينسون أنّ اللغة لا تتألف من الأصوات فحسب، بل أيضا من امتداد، أو سلسلة من الأصوات التي يُنطق بها؛ فلا يهتمون اهتماما كافيا بالعلاقات المتبادلة بين الأصوات، إنّ هذه العلاقات لا يمكن إدراكها للوهلة الأولى؛ فالمقطع أسهل على التشخيص"^(١).

بهذا الملمح من قبل دو سوسير نجد أنّ الدرس الصوتي الحديث إلى عصره كان مرتكزا على علم الأصوات دون وظيفتها السياقية أو التركيبية، وهو ما يعد سبقا للدرس التراثي في اعتماده الصوتيات المفردة منطلقا إلى الأصوات المركبة أو إلى العلاقات الصوتية، وهو ما يعرض له البحث بالوصف والتحليل من خلال خاصية في الصوت تعد أساس العلاقات الصوتية في العربية؛ حيث ظاهرة الإدراج أو الوصل.

* الإدراج لغة:

تدور مادة (درج) وما اشتق منها في المعاجم حول معاني التتابع والتسلسل والتداخل لأجزاء شيء ما؛ جاء في لسان العرب: "درج البناء ودُرِّجُه بالثقل: مراتب بعضها فوق بعض، واحدته درجة... والإدراج لفُّ الشيء في الشيء، وأدرجت المرأة صبيها في معاوِزها، والدَّرَج لف الشيء. يقال: درجته وأدرجته ودَرَّجته، والرباعي أفصحها، ودَرَج الشيء في شيء يَدْرُجُه درجا، وأدرجه: طواه وأدخله، ودَرَج

(١) فرديناند دو سوسير، علم اللغة العام (بغداد: دار آفاق عربية، ١٩٨٥م)، ص ٦٨. ترجمة د/

يوثيل يوسف عزيز، مراجعة د/ مالك يوسف المطليبي.

الكتاب: طيُّه وداخله" (١).

وفي القاموس المحيط: "أدرَج... صعد في المراتب... والدرجات محرّكة: الطبقات من المراتب" (٢).

نخلص من هذه المواد اللغوية وتصريفاتها في المعجم إلى أنّ مصطلح الإدراج يعني التتابع في تداخل وتسلسل؛ وهو ما يعني كون الأجزاء متصلة بعضها ببعض؛ لأنّ التداخل يعني الاتصال؛ وبهذا ننتهي إلى أنّ الإدراج والتدرج والوصل والاتصال بمعنى واحد.

* الإدراج الصوتي في الاصطلاح القديم:

يقترن الإدراج بمفهوم الوصل في القديم؛ لأنّ العربية أساسها الوصل، وهو خاصيتها الأهم؛ قال في الخصائص - في سياق حديثه عن أصالة الوصل وعارض الوقف - " فإن قلت: ولم جرت الأشياء في الوصل على حقائقها دون الوقف؟ قيل: لأنّ حال الوصل أعلى رتبة من حال الوقف. وذلك أنّ الكلام إنّما وضع للفائدة، والفائدة لا تجنى من الكلمة الواحدة، وإنما تجنى من الجمل ومدارج القول، فلذلك كانت حال الوصل أشرف عندهم وأقوم وأعدل من حال الوقف" (٣).

وبهذا يكون الإدراج عاما في الفكر اللغوي عند ابن جني (٤)؛ فسياق العبارة يوحي بكون الإدراج مصطلحا بينيا بين الأصوات والنحو؛ فالفائدة هنا معقودة على

(١) جمال الدين محمد ابن منظور، لسان العرب، (القاهرة: دار الحديث، ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٣م)، "درج".

(٢) مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الشيرازي الفيروز آبادي، القاموس المحيط، (القاهرة: دار الحديث، ١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨م)، "درج".

(٣) أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٨م ط٦)، ٢ / ٣٣١.

(٤) عقد ابن جني بابا بعنوان (باب في إدراج العلة واختصارها)، والمراد به ذكر علة ما أتى عليه من أحكام نحو وصرف بشكل مختصر، بالحذف وغيره، ولا يدخل في الوصل الصوتي.

ظاهرة الإدراج بين القديم والحديث وأثرها في الخصائص الجرسية للصوت-دراسة وصفية تحليلية

توالي التراكيب والجمل ، في حين تقع الفائدة في الكلمة بتوالي الأصوات ؛ ومن ثمّ كان الإدراج في شقه الصوتي مائلاً بقوة في فكر ابن جني أيضاً، ومن ذلك قوله: "ومن التدريج في اللغة قولهم: دِيمَة وِدِيمٍ ؛ واستمرار القلب في العين للكسرة قبلها ثم تجاوزوا ذلك لما كثر وشاع إلى أن قالوا : ديمت السماء ودومت... فإن قلت: فلعله: " فَعِل يَفْعِل " من الواو، كما ذهب الخليل في طاح يطيح وتاه يتيه قيل : حملة على الإبدال أقوى... فهذا مجتذب إلى الياء، مدرّج إليها، مأخوذ بها نحوها"^(١).

وبهذا يكون الإدراج في استعمال الاصطلاح التراثي موافقا للمعنى المعجمي؛ وهو ما يعني تأثير المعنى اللغوي في نحت المصطلحات في الفكر التراثي؛ فتأتي المصطلحات موافقة لطبيعة اللغة من جهة، ومستقيمة مع ضوابط الاصطلاح من جهة أخرى.

ومما هو بسبب من التقاء المعنى المعجمي بالمعنى الاصطلاحي في مفهوم القدماء لظاهرة الإدراج ما نجده من حديثهم عن ألف الوصل؛ إذ يفهم من كلامهم أنّها تأتي لوصل الحروف المشكّلة لبنية الكلمة من جهة، ولطبيعة اللغة في البدء بالمتحرك؛ لأنّ الحركة -على نحو ما سيأتي- تمثل جوهر الإدراج؛ يقول الخليل بن أحمد: "والألف التي في... اقشعر... ليست من أصل البناء؛ وإنما أُدخلت هذه الألفات في الأفعال وأمثالها في الكلام؛ لتكون الألف عمادا وسلما للسان إلى حروف البناء؛ لأن اللسان لا ينطلق بالساكن من الحروف، فيحتاج إلى ألف الوصل"^(٢).

وقول الخليل (عمادا وسلما) يشير مفهوم أصيل في الإدراج، وهو أنّ أصل الكلام مبني على الوصل الصوتي، وهو مفهوم سوف يتدرج من المفهوم العام عند الخليل وتلميذه سيبويه، إلى المصطلح الدقيق عند ابن جني الذي يمثل علامة مميزة في توصيف الإدراج، وبيان علله وأحكامه.

(١) المرجع السابق، ١/ ٣٥٥.

(٢) الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، تحقيق د/ مهدي المخزومي، د/ إبراهيم السامرائي، سلسلة المعاجم، ١/ ٤٩.

وعلى نحو هذا توالت مفاهيم الإدراج في التراث اللغوي؛ حيث يقصد به وصل الحرف بالذي يليه. يقول الاستراباذي في شرحه: "حالة الوصل متقدمة على حالة الوقف، ونقل الهمزة حاصل حالة الوصل"^(١).

من هذا وغيره يمكننا أن نخرج بمحصل مفهوم الإدراج الصوتي عند اللغويين القدماء، حيث يعني وصل الصوت بما بعده من أصوات، والوسيلة التي يكفلها النظام الصوتي في العربية لهذا الوصل إنما هي الحركة القصيرة أو الصائت القصير (الضمة والفتحة والكسرة)؛ لأنّ الصوت لا يوصل بصوت، وإنما بحركة الصوت التالي الحادثة مع ذلك الصامت التالي للصامت الأول، تحرك هذا الأول أم كان ساكناً؛ وعلى هذا يكون الوصل هو أساس التداخل الصوتي والإدراج، ويكون الوقف أو السكون عارضا.

ويمثل علم التجويد جانبا مهما في الدراسات الصوتية التي عرضت لمفهوم الإدراج؛ لأن مفهومي الوصل الصوتي والوقف يمثلان أساس أحكامه كلها، فعلماء التجويد يدركون أثر الحركة في الإدراج والوصل؛ يقول مكي بن أبي طالب: "والحرف المتحرك في كلام العرب أكثر من الساكن، كما أن الحركة أكثر من السكون، وإنما كان الحرف المتحرك في الكلام أكثر من الساكن؛ لأنك لا تبتدئ إلا بمتحرك، وقد يتصل به حرف آخر متحرك، وآخر بعد ذلك متحرك، ولا يجوز أن تبتدئ بساكن، ولا أن يتصل ساكن بساكن أبدا"^(٢). وعلى هذا يمكن القول بأن أصالة الوصل أو الإدراج نابع من غلبة الحركات على السكّنات؛ فهو من طبيعة اللغة.

وقد دارت ضمن مباحث التجويد الخلافات الصوتية في باب الإدراج، ومن ذلك أسبقية الحرف والحركة، ومن ذلك قول بعضهم بالتلازم بينهما لا بالأسبقية؛ يقول مكي: "الكلام الذي جيء به للإفهام مبني على الحروف، والحروف إن لم تكن

(١) محمد بن الحسن الرضي الاستراباذي، شرح شافية ابن الحاجب، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م)، ٤٣/٣.

(٢) مكي بن أبي طالب القيسي، الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، تحقيق د/ أحمد حسن فرحات، (الأردن: دار عمار، ط ٣: ١٤١٧هـ = ١٩٩٦م)، ص ٩٧.

ظاهرة الإدراج بين القديم والحديث وأثرها في الخصائص الجرسية للصوت-دراسة وصفية تحليلية

في أول أمرها متحركة فهي ساكنة، والساكن لا يمكن أن يبدأ به، ولا يمكن أن يتصل
بساكن آخر في سرد الكلام، لا فاصل بينهما؛ فلا بد من ضرورة كون حركة مع
الحرف لا يتقدم أحدهما على الآخر؛ إذ لا يمكن وجود حركة على غير حرف" (١).

وهذه المسألة على اختلاف الآراء فيها من صميم مفهوم الإدراج، صحيح أنّ
هذا الرأي مدفوع بعلة عقلية أخرى، أن الحرف يكون ثم تكون حركته التي يقع
الإدراج بها، وبهذا فرأى بعض علماء التجويد "لا يدل على أن الحركة تحدث مع
الحرف بقدر ما يدل على شدة اتصال الحرف بالحركة، بحيث إنّ أعضاء النطق تبدأ
بالتهيؤ للصوت الثاني قبل الفراغ من نطق الصوت الأول، وذلك لأنّ عملية النطق
الاعتيادية سريعة جدا، بحيث لا تدع فرصة لنطق الصوت مستقلا، ثم البدء بنطق
الصوت الذي يأتي بعده؛ لشدة اتصال الأصوات المتجاورة، ولولا ذلك التداخل
وشدة الاتصال لما حدث تأثير الأصوات بعضها ببعض" (٢).

وهذا ما يدفعنا إلى القول بأن علماء التجويد قد تعمقوا في الدرس الصوتي
تعمقا أبعد من صفات الحروف التي بالغ فيها المتأخرون منهم، حيث إنهم عالجوا من
العلاقات الصوتية التركيبية مسائل كثيرة، ومنها مسألة الوصل والإدراج يبحثهم عن
أثر المتحرك الذي يقع به الإدراج أصالة، ثم بتفرقتهم -وسياقي بيانه- بين أنواع
الوقوف، ومعلوم أن الوقف -كما يظهر البحث- هو الذي يعطي الصفات الجرسية
التامة للحرف؛ فقد "كان علماء التجويد أكثر عناية بهذا الموضوع من علماء العربية،
لكن المتأخرين منهم بالغوا في ذكر الصفات؛ فذكروا صفات ليست ذات دلالة
صوتية؛ فالمتقدمون منهم كانوا مقتصدين في ذكر الصفات" (٣).

(١) المرجع السابق، ص ١٠١.

(٢) د/ غانم قدوري الحمد، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، (الأردن، دار عمار، ط ٢:
١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م) ص ٤١٨.

(٣) د/ غانم قدوري الحمد، المدخل إلى علم الأصوات العربية (الأردن، دار عمار، ط ١:
١٤٢٥هـ = ٢٠٠٤م) ص ١٧٥.

ومما له صلة بمفهوم الإدراج في الاصطلاح التراثي مسألة السكون، وقد سبق القول بأنّ السكون يظهر الصفات الجرسية التامة للصوت، وهي مسألة عاجلها علماء التجويد أيضاً، بل إن مسألة السكون من المباحث الرئيسة في علم التجويد، وهم يفرقون بين سكون الحشو وسكون التمام، والسكون الحي والسكون الميت، وكل هذا له أثر في الإدراج والجرس.

يقول ابن الطحان في سكون الحشو في كلمتي (حَكْمٌ وَغَيْرُ): "فَأَنْتَ تَجِدُ الْكَافَ وَالْيَاءَ ظَاهِرَتِي الْجِسْمِ وَالْقِرْعَ، لإعمال العضو فيهما كما يعمل في المحرك، مثل: حَكْمٌ، وميل؛ فكذلك السكون الذي يوجد فيه أخذ العضو إياه حيّاً أيضاً"^(١). وتبين من ذلك أنّ سكون الحشو أظهر الصفات الجرسية للصوت بقوة، وهو قوله (ظاهرتي الجسم والقِرْعَ)، بخلاف لو كان مدرجاً متحركاً، ثم يقابل ابن الطحان سكون الحي أو الحرف الصحيح بالسكون الميت على العلل (الألف والواو والياء)؛ فيقول: "إن وقعتها بعض حركتهما؛ فإن سكونها ميت، وذلك أنه غير جاء على عضو، ولا حاصل في حيز، إنما يصير الفم لصوتيهما كالأنبوب"^(٢).

وربما نستطيع من خلال هذه التفرقة عند علماء التجويد أن نتبين أثر المخرج في علاقة الإدراج بالصفات الجرسية، فالصفات تكون واضحة مادام لها مخرج، في حين تضعف الصفات الجرسية إذا كان المخرج هوائياً من مثل الألف، وهو تعليل مستفاد من علم التجويد، وقد لا يكون في تعليقات اللغويين.

- أصالة الإدراج (الوصل):

سبق القول بأنّ الوصل أو الإدراج هو الأصل، وقد ألحّ ابنُ جني على هذا المفهوم؛ بل يُعد هذا المفهوم مرتكز دراسته البديعة لمسألة الإدراج، يتضح ذلك في كثير من معالجاته الصوتية في كتبه؛ قال في الخصائص: "جميع ما جاء في الكلم على

(١) ابن الطحان، مرشد القارئ إلى معالم المقارئ، تحقيق د/ حاتم صالح الضامن، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط: ١: ١٩٩٥م)، ص ٥٨.

(٢) المرجع السابق، ص ٥٨.

ظاهرة الإدراج بين القديم والحديث وأثرها في الخصائص الجرسية للصوت-دراسة وصفية تحليلية

حرف واحد عامته على الفتح إلا الأقل، وذلك نحو همزة الاستفهام، وواو العطف وفائه ولام الابتداء وكاف التشبيه وغير ذلك وقليل منه مكسور كباء الإضافة ولامها ولام الأمر ولو عري ذلك من المعنى الذي اضطره إلى الكسر لما كان إلا مفتوحاً ولا نجد في الحروف المنفردة ذوات المعاني ما جاء مضموماً هرباً من ثقل الضمة . وأمّا قولك نحو: أقتل وأدخل... فأمرٌ غير معتدّ به؛ إذ كانت هذه الهمزة إنما يُبلغ بها في حال الابتداء، ثم يسقطها الإدراج الذي عليه مدار الكلام ومتصرفه^(١).

وإذا كان منطقياً أصالة الإدراج فإنّ الدرس التراثي ذهب في الدقة إلى غايتها، حيث ارتكز مفهوم الإدراج الصوتي على أنه للمتحرك دون الساكن؛ ذلك أنّ الحركة أو الصائت القصير إنما هي الوسيط أو الناقل الحقيقي بين الأصوات؛ فكان الإدراج بالحركة متقدماً على الإدراج بالساكن، والإدراج بالساكن إنما يكون للنطق بمتحرك بعده أيضاً؛ ففي الحالين تكون الحركة أساس الإدراج ومرتكزه، وعلى هذا مذهب ابن جني، حيث يقول في سياق حديثه عن الجرس الصوتي في إدراج الساكن والوقف عليه وما بينهما من فرق في الجرس -وسيأتي بيانه في المبحث الثاني- " ... لأنّ أصل الإدراج للمتحرك؛ إذ كانت الحركة سبباً له، وعونا عليه"^(٢).

ويقول في تأويل قوله تعالى: ﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾ (الكهف: ٣٨) بالألف: "قراءةٌ "أبي والحسن"، إنما هي أصل قراءة أبي عمرو وغيره (لكنّا هو الله ربي) فخففت همزة (أنا) بأن حُذفت وأُلقيت حركتها على ما قبلها؛ فصارت لكننا، ثم التقت النونان متحركتين؛ فأُسكنت الأولى، وأدغمت في الثانية؛ فصارت (لكنّ) في الإدراج، فإذا وقفت ألحقت الألف لبيان الحركة فقلت (لكنّا)"^(٣).

وعلى هذا يكون الإدراج بشكل عام هو الأصل، ثم يكون الإدراج بالمتحرك

(١) ابن جني، الخصائص، ٧١ / ١.

(٢) المرجع السابق، ٥٨ / ١.

(٣) أبو الفتح عثمان بن جني، المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، (القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٤٣٥هـ = ٢٠١٤م)، ٢٩ / ٢.

أصلاً لهذا الأصل، وقد أسهمت طبيعة العربية في ذلك من حيث إنها لا تبتدئ بحرف ساكن؛ فالساكن لا يقع أولاً أبداً، وتأمل صفات الحروف عند الترائين نجد أنّ الساكن مهما كانت صفاته اللاحقة على سكونه من صويت أو صفيّر فإنّه لن يرقى إلى المتحرك؛ لأنّ هذه الصفات عارضة لا تخرجه عن سكونه إلى التحريك؛ وبهذا كان الأصل للمتحرك في الإدراج.

- الإدراج تتابع أم تداخل؟:

من تمام مفهوم الإدراج في التراث اللغوي أن نتأمل في طبيعته؛ فإنّ عبارات اللغويين تعطي للإدراج سمّاً خاصاً؛ ذلك أنّ الوصل الصوتي يقتضي تتابع الأصوات، والسؤال الذي يفرض نفسه هل هذا التتابع الصوتي الناتج عن الإدراج مجرد تتابع محض؟ أم هو تداخل أو تتابع مفض إلى التداخل الصوتي؟ إذا تأملنا المعنى المعجمي للإدراج نجد أنه صريح الدلالة في أنه تداخل لا مجرد تتابع، وقد سبق ما في لسان العرب: "وأدرجه: طواه وأدخله، ودرج الكتاب: طيّه ودخله"^(١).

بل يمكن القول بأنّ الاصطلاح الصوتي لم يبتعد كثيراً عن هذا التداخل في إدراك دقيق لطبيعة الإدراج؛ قال في الخصائص - في سياق حديثه عن همز الألف الساكنة - "... ذلك أنه قد ثبت عندنا من عدة أوجه أن الحركة إذا جاورت الحرف الساكن فكثيراً ما تجريها العرب مجراها فيه؛ فيصير لجوارها إياها كأنه محرك بها"^(٢). فقولُه "فكثيراً ما تجريها العرب مجراها فيه" صريح الدلالة على أنّ الإدراج تداخل صوتي في جوهره، وإلا لكان ابن جني عادلاً عن كلمة (فيه) إلى كلمة (معه) التي هي أنسب في الدلالة على التتابع لا التداخل؛ وبهذا يتحصل أن جوهر الإدراج في التراث اللغوي قائم على التداخل بين صفات الأصوات وجرسها نتيجة الصائت القصير الذي يكون على الحرف اللاحق؛ فيجعل السابق متأثراً باللاحق بواسطة

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة "درج".

(٢) ابن جني، الخصائص، ١٤٧/٣.

ظاهرة الإدراج بين القديم والحديث وأثرها في الخصائص الجرسية للصوت-دراسة وصفية تحليلية

الحركة عليه، وكذلك يتأثر اللاحق بوجه ما بالصفات التي تكون للحرف السابق عليه؛ فليس الإدراج تتابعا للحروف؛ فتلك بنية صرفية محضة، أما البنية الصوتية فتقتضي التداخل لا التتابع؛ لأنّ العلاقات الصوتية تقوم على أساس التفاعل والتأثر والتأثير، وليس مجرد التجاور والتتابع؛ فالتتابع لا يخلق علاقات كالتماثل والتخالف والإدراج وغير ذلك من ظواهر العلاقات الصوتية.

من دلائل ذلك أيضا أنّ زوال الإدراج قد يؤدي إلى زوال الصوت أو بعض صفاته؛ والمراد من ذلك أنّه لو كان الإدراج مجرد تتابع فقط لم يؤدّ انقطاع التتابع إلى زوال أجزاء من التسلسل الصوتي في الكلمة أو بين الكلمات؛ لكنه لما كان تداخلا صار الكل المتنوع في حكم الجزء من الشيء الواحد؛ إذا سقط الجزء سقط مجموعه؛ يقول في سر الصناعة - في سياق حديثه عن التنوين في الإدراج - "إنما هو لاحق في الوصل علامة للخفة والتمكن وفصلا بين المتحركات في الإدراج؛ فلما صرت إلى الوقف، وزال الإدراج استغني عنه؛ فحذف لذلك، ولما كنا قدمناه أيضا من ضعفه، ومحافة شبيهه بحروف الإعراب"^(١).

هكذا يفضي زوال الإدراج إلى زوال العلاقات الصوتية المختلفة، ومنها التنوين الذي هو عبارة عن نون ساكنة تلحق آخر الكلم نطقا وصوتا لا كتابة؛ فإنّ الوقف يُزيل هذه العلاقات، وإنّ الإدراج يثبتها وصلا، ولما كان من طبيعة العربية في الوقف على الساكن؛ فيزول التنوين الذي هو في حقيقته صوت يثبت في النطق حال الوصل، ويزول حال الانقطاع، ويلحظ من ذلك أن العلاقات الصوتية التركيبية - أو مباحث علم الصوت الوظيفي - قد تقع خارج إطار الكلمة الواحدة على نحو ما تقع بين أصوات اللفظ الواحد، وهو ملمح أدركه النحويون قديما؛ يقول ابن السراج في الأصول: "فكل ما لا يتحرك إذا لقيه ساكنٌ حُرِّك، من ذلك قولك: هذا زيدٌ

(١) أبو الفتح عثمان بن جني، سر صناعة الإعراب (دمشق: دار القلم، ط ١: ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م)، ٢/ ٤٩٢.

العاقل، حركت التنوين بالكسر^(١).

هذا النقل -على إيجازه على عادة ابن السراج في أصوله- يشتمل على قواعد ثلاث في مفهوم الإدراج؛ **فالأولى:** أنّ زوال الإدراج -وهو الواقع بين كلمتين، لا واحدة- يسقط التنوين؛ فحال الوقف يقال: هذا زيدٌ، على إسقاط التنوين؛ وبهذا نخرج بما مفاده أنّ زوال الإدراج لا يؤدي فقط إلى زوال صفات الصوت أو بعضها؛ بل إلى زوال الصوت نفسه.

والثانية: أنّ الإدراج يكون بالساكن كما يكون بالمتحرك؛ لكنّ الإدراج بالمتحرك بالصائت القصير هو الأصل على نحو ما سبق تفصيله؛ فاللام في النعت (العاقل) هي الساكن الذي تم به الإدراج وصلا بالتنوين في الساكن قبله.

والثالثة: طبيعة تأثير الإدراج بالساكن على ساكن قبله، أو ما يُعرف بالتقاء الساكنين في العربية، وضرورة تحريك الأول بالكسر غالباً؛ لأنّ التنوين نون ساكنة، ولام التعريف ساكنة؛ فالتقى ساكنان؛ نتيجة الوصل الصوتي أو الإدراج؛ حُرِّك الساكن الأول بالكسر، بتأمل هذا الإدراج بالساكن على الساكن نجد أنّ **الصائت القصير الناتج عن الإدراج في التنوين مختلس، وليس حركة قصيرة كاملة الجرس** -على نحو ما سيأتي تفصيله في المبحث الثاني- وهو ما يعطي الأصالة للإدراج بالمتحرك على المتحرك أو الساكن؛ فيكون أثر الإدراج أشدّ وضوحاً بالمتحرك.

ومما هو بسبب من ذلك أنّ الدرس الصوتي الحديث يميل إلى ذلك الوصف الدقيق في التراث اللغوي بكون الإدراج تداخلاً لا تتابعاً؛ وهو يدعو إلى إعادة التفكير في كثير من معطيات الدرس الصوتي خاصة في النظام المقطعي، ومن ذلك ما نهجه فرديناند دو سوسير من عدم ميله في تفسير المقطع بالاعتقاد السائد بأنه تتابع وتوالي؛ ولكنه يميل إلى مفهوم التداخل في تكون المقطع الصوتي؛ بل إنه ذهب إلى أبعد من ذلك حيث يرى أنّ علم وظائف الصوت لم ينل بعد دوره المناط به في تفسير

(١) أبو بكر محمد بن السري بن سهل المعروف بابن السراج، الأصول في النحو (بيروت:

مؤسسة الرسالة، ١٤٣٦هـ = ٢٠١٥م، ط٤)، ٢ / ٣٦٢.

ظاهرة الإدراج بين القديم والحديث وأثرها في الخصائص الجرسية للصوت-دراسة وصفية تحليلية

العلاقات الصوتية حال الإدراج أو الوصل؛ فيقول في سياق حديثه عن أهمية علم الوظائف: "ومن هذه الناحية يظهر خلل في منهاج علم وظائف الأصوات... لم يول هذا المنهاج أدنى عناية... فينتبه لما بين تلك الأصوات من علاقات متبادلة، غير أنّ شيئا من ذلك لم يقدم"^(١).

وبهذا يكون الإدراج تداخلا بفعل الصوائت القصيرة أصالة، أو حتى بفعل المدرج الساكن، وليس مجرد تتابع للأصوات داخل السياق الكلمي، وتكون العلاقات بين هذه الأصوات علاقات ذات تأثير متبادل، وإن وقع التأثير الأكبر على الحرف السابق على الإدراج بالحركة أو الصائت القصير.

* الإدراج الصوتي في الاصطلاح الحديث:

كان اللغوي الشهير دو سوسير (ت: ١٩١٣م) علامة مميزة في اللسانيات الحديثة؛ لأنه أولى اهتماما خاصا بعلم الأصوات الوظيفي الذي يدرس العلاقات الصوتية في سياقها؛ فهو يرى أن علم الأصوات يصبح أكثر قيمة حيث يدرس في إطار العلاقات المتبادلة؛ يقول: "إن علم الأصوات يصبح ذا فائدة كبيرة فقط حين يشترك عنصران أو أكثر في علاقة تستند على الارتباط الداخلي بين هذه الأصوات؛ فالتغيرات التي تحصل لأحد هذه العناصر في هذه الحالة تتحدد بالتغيرات التي تحصل للعنصر الآخر أو العناصر الأخرى"^(٢).

وهو يبني تصوره للعلاقات الصوتية على الأثر السمعي لتتابع الأصوات المؤدي إلى تداخلها، ويرى أننا "في سلسلة الكلام نستطيع أن ندرك على الفور ما إذا كان صوت يبقى مستمرا على حالة واحدة، ومتشابهة في جميع أجزائه أم لا"^(٣). وقوله واضح الدلالة في مفهوم الإدراج فالصوت حال إدراجه لن يبقى على حالة مستمرة أو

(١) فرديناند دو سوسير، محاضرات في علم اللسان العام، (ترجمة: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، ١٩٨٧م)، ص ٦٨.

(٢) المرجع السابق.

(٣) دو سوسير، محاضرات في علم اللسان، ٥٣.

متشابهة؛ ولكنها متعددة، وقد يكون ذلك التأثير والتأثر نتيجة الوصل قائما على الملاحظة المباشرة، فلا يُنسب كشفه إلى دو سوسير؛ لتوافره في الدراسات اللغوية جميعا، ولكنه ركز على ذلك النوع من العلاقات الصوتية المتجاورة نتيجة الوصل. بل وينص دو سوسير على التداخل الصوتي لا مجرد التتابع نتيجة هذا الأثر السمعي أو العلاقات الصوتية؛ فيقول: "إن علم وظائف الأصوات التزاوجي... يضيق من الاحتمالات والتقدير، ويضع العلاقات الثابتة للوحدات الصوتية المتشابهة في تداخلاتها"^(١).

وفي موضع آخر يقول: "أي تغير في عنصر "ما" له بالضرورة رد فعل محسوب"^(٢)؛ وهي عبارات في مجموعها توحى باتفاق الدرس الحديث في مفهوم الإدراج مع الدرس التراثي؛ فالمفهوم الحديث عند دو سوسير يتركز على الأثر السمعي في علم الأصوات الوظيفي، وما يخلقه من علاقات صوتية مختلفة، وأن هذه العلاقات إنما تنشأ على صفة التداخل لا مجرد التتابع؛ لأن أي تغير يحدث في الصوت يتبعه -حتمًا- تغير في صفات الصوت السابق عليه، أو بعبارته كل تغير يبقى له رد فعل محسوب.

ويبدو أن فكرة الإدراج نتيجة التداخل لا التتابع ظلت مسيطرة على أذهان من جاء بعد دي سوسير، وهو اتفاق آخر مع الدرس التراثي، وهذا (جاكسون) يلح على هذه الفكرة بعد تطور الأجهزة العملية للأصوات، وبعضها تمنى دي سوسير أن يراه واقعا ملموسا، حيث أثبتت هذه الأجهزة أن الكلام حركة دائمة الاستمرار، لا تقاطع فيها، وأن هذا التتابع يقوم على أساس التداخل أو هو تتابع مفض إلى تداخل صفات الأصوات، وتأثير بعضها في بعض.

يقول جاكسون: "صنع عالم الأصوات الألماني بول مينزارث... شريطا صوتيا يعمل بأشعة إكس لأعمال الجهاز الصوتي، ويثبت هذا الشريط نبوءات سوسير

(١) المرجع السابق، ٧٠.

(٢) فرديناند دو سوسير، علم اللغة العام، ٦٩.

ظاهرة الإدراج بين القديم والحديث وأثرها في الخصائص الجرسية للصوت-دراسة وصفية تحليلية بصورة كاملة، وعبر هذا الشريط والنتائج المتأخرة لعلم الصوت التجريبي أثبت مينزارث وزميله البرتغالي أرماندو لاسيردا أن فعل الكلام حركة مستمرة وغير متقاطعة... ليس هناك تتابع للأصوات، وبدلاً من أن تُتابع الأصوات أحدها الآخر فإنها تتداخل، والصوت يدرك آكوستيكياً عندما يأتي بعد صوت آخر، يمكن أن يكون منطوقاً -في وقت واحد- مع الأخير، أو حتى في الجزء الذي قبله"^(١).

ولا ينشأ هذا التداخل بين الأصوات وصفاتها إلا في حالة الوصل الصوتي أو الإدراج؛ لأنّ الأصوات المفردة لا تؤدي إلى تتابع التداخل، وبهذا يمكن القول بالتقاء الدرس الحديث مع الدرس التراثي في أصالة الإدراج على الأفراد أو الوقوف؛ فالصوت حال الإدراج يؤثر في الصوت السابق عليه أو اللاحق به، أو في بعض صفات هذا السابق أو اللاحق؛ ومنطقي أنّ طبيعة هذا التأثير الإدراجي يختلف من لغة إلى أخرى.

وجدير بالملاحظة أننا لا ننكر أثر فرديناند دو سوسير في الدرس اللغوي بشكل عام، والصوتي بشكل خاص، لكن ذلك لا ينبغي أن يصرفنا عن حقيقة مهمة في الدرس الصوتي عامة، وهي السبق الزمني للدراسات التراثية العربية؛ فعلى الرغم من كون الدرس التراثي معتمداً على الملاحظة والتذوق فإنه يوافق كثيراً معطيات الدرس الحديث القائم على التقدم التكنولوجي.

وعلى هذا الأساس ينبغي أن ندرك أنّ الاستعمال العربي الحديث كان حريصاً على بيان دقة العلماء القدماء في توصيفهم لظاهرة الإدراج في ضوء ما توصلت إليه أجهزة الصوت الحديثة معملياً؛ فقد ذهب الدكتور عبد الرحمن الحاج إلى أن هذه الأجهزة تثبت أو تؤكد "التصور العربي للإدراج؛ فاتصال الحروف يقتضي تهيؤاً للنطق بالحرف التالي في الوقت الذي يُنطق بما قبله، وهذا يحدث في أثناء النطق بالحركة، أي

(١) رومان ياكسون، ست محاضرات في الصوت والمعنى، (بيروت: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٤م، ط١)، ٤٠. ترجمة حسن ناظم وعلى حاكم صالح.

في بداية الخروج من مُخرج الحرف والانتقال إلى مُخرج واحد؛ فالحركة ههنا هي مثل حركة الصور في الأفلام السينمائية؛ فلا انقطاع فيها بين صورة وأخرى إطلاقاً؛ فهذا هو الإدراج.

وما أبعد هذه الرؤية عن التصوير اليوناني الذي يجعل الكلام مجرد تعاقب للعناصر الصوتية، يقترن بعضها ببعض دون أن يكون هناك إدراج للحركات المحدثة لها^(١).

وهو يشير في هذا السياق إلى حقائق عديدة فيما يتعلق بمفهوم الإدراج التي تتوافق مع الدرس التراثي، منها:

- الإدراج يكون بالحركات أو الصوائت القصيرة أصالة.
- الإدراج تداخل لا مجرد تتابع بين الأصوات، ويدل على ذلك التأثير المتبادل بين هذه الأصوات وبعض صفاتها وصلاً ووقفاً.
- مخالفة التصور اللساني التراثي والحديث لمفهوم الوصل الصوتي عند اليونان، وتكمن هذه المخالفة في كون الإدراج تتابعا لا تداخلاً فيه في الدرس اللساني.

ويقول في موضع آخر: "فالتموجات الكلامية متصلة بعضها ببعض في تعاقب بدون انقطاع، ولا يمثل هذا التعاقب على شكل اقتتران أجزاء بأخرى، بل على شكل سريان اهتزازيٍّ مستمر"^(٢).

ويمكن القول بأن الاستعمال العربي الحديث لمفهوم الإدراج نابع من التفريق بين فرعي الأصوات الفوناتيكية والفونولوجيا، وخاصة في فرع الأصوات الوظيفي والأثر السمعي للأصوات وإلى دي سوسير يرجع الفضل في التنبيه إلى كل هذه المعطيات في الدرس الصوتي الحديث، وقد أدرك هذا الاستعمال الطبيعة المختلفة للصوت الواحد في

(١) د/ عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، (الجزائر: موفم للنشر،

٢٠١٢م)، ٢/ ١٨٢: ١٨٣.

(٢) المرجع السابق، ٢/ ١٩١.

ظاهرة الإدراج بين القديم والحديث وأثرها في الخصائص الجرسية للصوت-دراسة وصفية تحليلية

سياقات متنوعة، وهو مفهوم الإدراج أيضا؛ يقول د كمال بشر في تأصيله لمصطلح الفنولوجيا: " عندما أدركوا أن الصوت الواحد، أو ما كان يسمى كذلك في الواقع، ذو صور نطقية عدة، تتنوع بتنوع السياق الذي يقع فيه، وقد لاحظوا أنّ هذا التنوع ليس مقصورا على بعض الأصوات دون بعض، أو على نطق بعض الأفراد دون غيرهم"^(١).

ثم يربط الدكتور كمال بشر تأثير الصوت في صوره المتعددة بما يليه من حركات، وهو ما يتناسب مع طبيعة الإدراج بالحركات في العربية، وضرب لذلك مثلا بصفات حرف (الكاف) في سياقاته الصوتية غير اللغوية؛ لينتهي إلى القول " لقد قرروا أن الفروق بين صور الصوت الواحد هي فروق نطقية محضة، جاءت نتيجة وقوع هذا الصوت في سياقات صوتية مختلفة. وهي فروق ليست ذات وظيفة لغوية، أو ليست عاملا في تفريق المعاني بين الكلمات"^(٢).

يضاف هنا أنّ مفهوم الإدراج لا يتعلق بدلالة الكلمة بشكل رئيس، وإنما هو تغير صوتي في سياقات متنوعة للصوت فقط، هذا التغير في صفات الصوت يقع نتيجة للوصل في المقام الأول والأخير، وتحديد الوصل بالحركات؛ فالكاف - مثلا- توصف بأنها صوت مهموس في أقصى الحنك، "ولكن النقطة الدقيقة لنطقه تختلف في الواقع باختلاف ما يجاوره من حركات"^(٣).

هكذا نجد نقاط التقارب بين المدرسين القديم والحديث في مفهوم الإدراج، خاصة وأن نقاط التقارب تغلب الاختلاف في المفهوم؛ ذلك أن مفهوم الوصل مفهوم تجريدي لا يتوقف على طبائع اللغات المختلفة؛ فيكون التقارب.

وأما أثر الإدراج في الأصوات؛ فتغلب فيه نقاط الاختلاف؛ ذلك أنّ النظام الصوتي يختلف من لغة إلى أخرى، ويتحدد شكل التأثير أو طبيعته بناء على الطبيعة الصوتية في علاقاتها وسياقاتها الخاصة، وعلى كل فإنّ مفهوم الإدراج يمكن أن يتحدد

(١) د/ كمال بشر، علم الأصوات (القاهرة: دار المعارف، ٢٠٠٠م)، ٣٠.

(٢) المرجع السابق، ٣٠، ٣١.

(٣) المرجع السابق، ٣٠.

بالمقارنة فيما يأتي:

* التقى المفهوم الاصطلاحي للإدراج بالمفهوم المعجمي اللغوي في أنّ الوصل في العربية ضرورة نطقية تؤدي إلى تأثر الحروف بعضها ببعض، أو تأثير الحروف بعضها في بعض.

* يكون الإدراج أو الوصل تتابعا تداخليا، لا مجرد تتابع في غير تداخل، وكان واضحا في ذهن اللغويين القدماء والمحدثين، وإنّ كانت عبارات التراث أشد وضوحا في مسألة التتابع والتداخل من عدمها في الوصل الصوتي.

* يكون الوصل أو الإدراج بالحركة والساكن، والأصل فيه أن يكون للحركة، وخاصة الصائت القصير؛ لأنّ الحركات القصيرة هي التي تُحدث الإدراج؛ فينتج عن هذا الوصل الصوتي علاقات صوتية سياقية.

المبحث الثاني: أثر الإدراج في الصفات الجرسية للصوت

* مفهوم الجرس:

سبق القول بأنّ دي سوسير قد تنبه إلى أهمية الجانب السمعي في إدراك العلاقات الصوتية أو الأصوات التركيبية؛ يقول: "لا يمكن أن يقوم تحديد الأصوات في سلسلة الكلام المملووظ إلا على الأثر السمعي"^(١)، -وهو مسبوق في ذلك تراثياً، - ويلي بيانه-؛ لأن غياب المصطلح لا يعني غياب المفهوم- وعلى هذا الأساس السمعي يتم التعرف إلى خصائص الأصوات وصفاتها، سواء أكانت هذه الأصوات مفردة أم كانت مركبة.

وإدراك الخصائص الصوتية بفعل الإدراج أو الوصل يقوم على هذا الجرس؛ حتى إنّ بعض علماء الصوت يحددون الجرس بالأثر السمعي للوصل الصوتي؛ فهو عندهم: كلُّ ما يدرك بالسمع نتيجة الإدراج، ويرجع هذا المصطلح في نسبته إلى الخليل بن أحمد؛ يقول الأزهري في تهذيب اللغة: "وروى غير ابن المظفر عن الخليل بن أحمد أنه قال: الحروف التي بُني منها كلام العرب ثمانية وعشرون حرفاً، لكل حرف منها صرف وجرس. أمّا الجرس فهو فهم الصوت في سكون الحرف، وأمّا الصرف فهو حركة الحرف"^(٢).

ويقول في موضع آخر: "فأمّا الألف اللينة فلا صرف لها، إنما هي جرس مدة بعد فتحة، فإذا وقعت عليها صروف الحركات ضعفت عن احتمالها، واستنامت إلى الهمزة أو الياء أو الواو"^(٣).

ومن كلام الخليل بن أحمد نجد أنّ مفهوم الجرس عبارة عن المحصل السمعي

(١) دي سوسير، محاضرات في علم اللسان، ٥٤.

(٢) أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تهذيب اللغة (القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة سلسلة تراثنا، ١٣٩٦هـ، ١٩٧٦م)، ١/ ٥٠.

(٣) المرجع السابق، ١/ ٥١.

للصوت حال تركيبه والنطق به ، وأنّ مصطلح الصرف لديه يدخل في مفهوم الإدراج، وأما قوله "الجرس فهو فهم الصوت في سكون الحرف" فهو قاعدة في أثر الإدراج في الصفات الجرسية للصوت؛ لأنّ الصوت في أتم صفاته الجرسية - وسيأتي بيانه - إنما يكون في حال سكون الوقف، وهي أظهر في سكون الوقف عنها في سكون الإدراج؛ وعلى هذا فإنّ الإدراج يضعف الصفات الجرسية للحرف بشكل عام؛ فهو يؤثر في الصفات الصوتية أو الجرس الصوتي ضعفا لا قوة.

وقد يطلق الجرس على مطلق الصوت، أو محصل الصفات الصوتية منه؛ جاء في إصلاح المنطق: "قال الأصمعي: الجرس، والجرس: وهو الصوت"^(١)، ويبدو أن تعريفات الجرس قد ارتكزت على الأساس السمعي، وهو ما يُعد سببا للدرس التراثي على الدرس الحديث؛ يقول في تصحيقات المحدثين: "والجرس الصوت الخفي، واشتقاق الجرس من الصوت والحس؛ يُقال: ما سمعتُ منه حسنا ولا جرسا"^(٢).

والملفت للنظر أنّ الفكر التراثي قد ربط الجرس بمفاهيم الإدراج في ثنايا حديثهم عن الأصوات التركيبية؛ يقول ابن جني: "والصوت: الجرس الذي يحدث من اصطدام جسم بآخر؛ فتحمله موجات الهواء إلى الأذن"^(٣)، وفيه يمكن أن يحتل كلامه اصطدام صوت بحركة الصوت التالي له، أو بالصوت التالي له حالّ التقاء الساكنين؛ فيكون التأثير السمعي للصوت أو الجرس الصوتي؛ فيحمل الجرس إلى الأذن؛ فهو -الجرس- على كل حال أثر سمعي لهذه الأصوات مفردة ومركبة.

ويبدو أنّ الاستعمال العربي الحديث لم يخرج عن هذا المفهوم السمعي للجرس؛ فهو عندهم "جرس الحرف... ما يدرك منه بالسمع، وهذا يخص الصوت في حد

(١) أبو يوسف يعقوب بن إسحاق بن السكيت، إصلاح المنطق (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٢م ط١)، ٣٠. "باب فعل باتفاق معنى".

(٢) الحسن بن عبدالله بن سعد العسكري، تصحيقات المحدثين، (القاهرة: المطبعة العربية الحديثة، ١٤٠٢هـ، ط١)، ٣٣ / ١.

(٣) ابن جني، سر صناعة الإعراب، ٢٥ / ١.

ظاهرة الإدراج بين القديم والحديث وأثرها في الخصائص الجرسية للصوت-دراسة وصفية تحليلية ذاته، وهو هوية الحرف الصوتية السمعية"^(١).

وفيما يأتي من صفحات بيان لبعض آثار الإدراج على الصفات الجرسية للصوت.

والذي يتأمل مفاهيم الإدراج وتطبيقاته في الدرس الصوتي يستطيع أن يخرج بنتيجة مهمة، وهي أنّ صفات الصوت الجرسية تختلف اختلافا واضحا بحال المدرج وحركته وموقعه؛ فهي تختلف في الساكن المدرج عنها في الساكن التام، ثم إنها تختلف في المتحركات عنها في الساكن، ويمكن بيان ذلك على نحو ما يأتي:

* تمام الصفات الجرسية:

إنّ الإدراج يسير على مفهوم أساس، هو ضعف الصفات الجرسية في الصوت حال إدراجه ووصله؛ وعلى هذا يتجه الدرس الصوتي نحو التفرقة بين نوعين في السكون، وهما سكون الوقف أو سكون التمام، وسكون الحشو أو الإدراج؛ ويناقش التراث اللغوي أيّ السكونين يكون أتم في جرس الصوت ما دام الإدراج بشكل عام يضعف هذا الجرس؟

ويمكن القول بأنّ سيويوه في الكتاب يعد مؤصلا لهذه التفرقة بين نوعي الوقف أو السكون من جهة، ويعد أساسا مهما انطلق من ابن جني في خصائصه من جهة أخرى؛ فصاحب الكتاب يذهب -وفي أكثر من موضع- إلى أنّ الوقف يزيد قوة الجرس في الحروف، سواء أكان ذلك صراحة، أم كان مفهوما على طريقة الكتاب في الشرح والتحليل؛ يقول: "هذا باب الرء، والرء تكلمت بها خرجت كأنها مضاعفة، والوقف يزيدها وضوحا"^(٢). أشار سيويوه إلى صفة من صفات حرف الرء، حيث التكرارية، غير أنّ ذلك لم يمنعه من ملاحظة العلاقات الصوتية أو الأثر السمعي للجرس حال الوقف، وهو في ذلك سابق لغيره من التراثيين والمحدثين في آن معا، وربما يكون في ذلك مؤسسا على علم الخليل، فهو في هذا ينص على أنّ السكون أو

(١) د/ عبد الرحمن الحاج، بحوث ودراسات، ٢/ ١٨٠.

(٢) أبو بشر سيويوه، كتاب سيويوه، ٤/ ١٣٦.

الوقف يزيد قوة الجرس في الصوت، وهو يعني في ذلك سكون التمام لا سكون الإدراج، وعلى هذا يمكن القول بأن أثر سيويه في ابن جني، أنّ الأخير يستلهم الإشارات من الأول؛ فهو يقسم السكون إلى العارض المدرج والسكون الوقفي أو سكون التمام، ولكل أثره في الحرف وجرسه.

وتعددت إشارات سيويه في غير موضع على أنّ الوقف يزيد من قوة الجرس الصوتي؛ يقول: "وأما قولهم: علامة، فيمة، ولمة؟ فالهاء في هذه الحروف أجود إذا وقفت"^(١).

وفي موضع آخر يقول: "وقد يلحقون في الوقف هذه الهاء الألف التي في النداء، والألف والياء والواو في الندبة؛ لأنه موضع تصويب وتبيين، فأرادوا أن يمدوا، وألزموها الهاء في الوقف لذلك؛ وتركوها في الوصل؛ لأنه يستغنى عنها كما يستغنى في المتحرك في الوصل"^(٢).

وعلى هذا الأساس تأتي معالجة ابن جني لمسألة الوقف وأثره في صفات الجرس الصوتي، وهي معالجة نوعية منفردة، ومنطقية لطبيعة التطور اللغوي أيضا، حيث يتجه ابن جني إلى أصالة سكون الوقف، وأنّ سكون الحشو عارض؛ يقول: "ومما يدل ذلك على أنّ الساكن إذا أدرج ليست له حال الموقوف عليه أنك قد تجمع في الوقف بين الساكنين؛ فتقول: **بَكْرٌ وَعَمْرُو**، فلو كانت حال سكون كاف بكر كحال سكون رائه لما جاز أن تجمع بينهما، من حيث كان الوقف للسكون على الكاف كحال لو لم يكن بعده شيء؛ لكان يلزمك حينئذ أن تبتدئ بالراء ساكنة، والابتداء بالساكن ليس في هذه اللغة العربية"^(٣).

وبهذا يخلص ابن جني إلى أنّ سكون الوقف أو التمام أساس في الصفات الجرسية وتماها، حيث إنّهُ يفرق بين حال الساكن المدرج (الكاف في بكر، والميم في عمرو)،

(١) أبو بشر سيويه، كتاب سيويه، ٤ / ١٦٤.

(٢) المرجع السابق، ٤ / ١٦٦.

(٣) ابن جني، الخصائص، ١ / ٦٠.

ظاهرة الإدراج بين القديم والحديث وأثرها في الخصائص الجرسية للصوت-دراسة وصفية تحليلية
وحال الساكن التام في الكلمتين (الراء، والراء)، ويزيد إلى هذه التفرقة بين جرس
الصوت المدرج وجرس الصوت الوقفي أنّ ابن جني يدلنا على أنّ الإدراج يقع
بالساكن كما يقع بالمتحرك، وإن كان الإدراج بالمتحرك أصل الإدراج، والإدراج
بالساكن فرعا عليه.

بل يشير ابن جني صراحة أو يكاد أن يكون صراحة إلى أن الصفات الجرسية
في الصوت حال الوقف التام أقوى من الصوت المدرج؛ فيقول: "بل دلّ ذلك على
أن كاف بكر لم تتمكن في السكون تمكن ما يوقف عليه، ولا يتناول إلى ما
وراءه"^(١).

وقوله "لم تتمكن في السكون تمكن ما يوقف إليه" إشارة صريحة إلى أنّ صفات
الساكن الجرسية أشد وضوحا من صفاته حال الإدراج الذي يتناول فيه الصوت إلى
الصوت بعده مما يقع به الإدراج، وبهذا نستطيع أن نخرج بنتيجة عكسية مفادها: أنّه
إذا كان الوقف يعطي الصفات الجرسية في الأثر السمعي بشكل تام، فهي أضعف في
السكون المدرج؛ وعليه فإنّ الضعف الأقوى يكون في المدرج بالحركة؛ وبهذا يكون
الإدراج المتحرك أساس في ضعف الصفات الجرسية للصوت.

يزيدنا ابن جني تطبيقا على مدرج آخر بالسكون؛ فيقول: "ويزيد في بيان ذلك
أنك تقول في الوقف على النفس؛ فتجد السين أتم صوتا من الفاء، فإن قلبت
فقلت: النسف وجدت الفاء أتم صوتا، وليس هنا أمرٌ يصرف هذا إليه، ولا يجوز
حملة عليه إلا زيادة الصوت عند الوقوف على الحرف البتة"^(٢).

وقوله "أتم صوتا" يعني في الإدراك السمعي أو ذلك الأثر السمعي الذي
تستقبله الأذن حال النطق بالصوت مفردا ومدرجا، ثم هو ينفي كل علة لغوية لهذا
التمام إلا من الوقف على الحرف؛ وبهذا يدرك ابن جني إدراكا مبكرا أن الصفات
الجرسية في الصوت إنما تكون أتم في الوقف التام عنها في الوقف العارض.

(١) المرجع السابق، ١ / ٦٠.

(٢) المرجع السابق ١ / ٦١.

ويبدو أنّ ابن جني كان مؤسساً لهذا البعد في الإدراج اعتماداً على التراث قبله؛ خاصة سيبويه؛ فإنّ سيبويه قد بيّن عدداً من الصفات الجرسية للصوت حال الوقف، ولا تكون له حال الوصل؛ ما يعني أنّ تمام الصوت عند سيبويه أو الإدراج متوقف عنده على الساكن التام الذي يُبين عن هذه الصفات من خلال أثرها السمعي المباشر. ذلك في سياق حديثه في مفهوم الصوت والنفخ والهمس والجهر الذي يلحق بعض الحروف إدراجاً ووقفاً؛ في الكتاب: "واعلم أنّ هذه الحروف التي يسمع معها الصوت والنفخة في الوقف لا يكونان فيهن في الوصل إذا سكّن؛ لأنك لا تنتظر أن ينبو لسانك؛ ولا يفتر الصوت حتى تبتدئ صوتاً، وكذلك المهموس؛ لأنك لا تدع صوت الفم يطول حتى تبتدئ صوتاً"^(١).

وقوله "لا يفتر الصوت حتى تبتدئ صوتاً" دليل على وعي سيبويه بمفهوم الإدراج، ودليل على أنّ صراحة سيبويه في أن الجرس أتمّ سمعاً في الوقف التام إنما هو مبني في أساسه على كلام سيبويه؛ فالصوت -على نحو ما سبق من كلام سيبويه- لا يضعف حتى يُوصل بغيره، وهذا موضع مفصل في كتاب سيبويه، في باب "هذا باب الساكن يكون قبل آخر الحروف؛ فيحرك؛ لكرهيتهم التقاء الساكنين"^(٢). يقول السيرافي معقباً على كلام سيبويه: "... لا يمكن أن يكون بعده صوت بلا نفخ؛ لاتصال الحرف الثاني به، فكذلك الحروف غير المدغمة التي لم تدغم إذا وصلت بغيرها، وبطل فيها الصوت والنفخ"^(٣).

ونستخلص من كلام سيبويه وشارحه أبي سعيد أنّ الوصل يضعف جرس الصوت، وقد أثر مصطلح الوصل على مصطلح الإدراج الذي آثره ابن جني في كتبه؛ فالوصل عندهما يذهب بما في الجرس من صوت ونفخ وغير ذلك.

(١) أبو بشر سيبويه، كتاب سيبويه، ٤ / ١٧٥.

(٢) المرجع السابق، ٤ / ١٧٣.

(٣) أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي، شرح كتاب سيبويه، (القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، الجزء السادس عشر، ١٤٣٢هـ = ٢٠١١م)، ١٦ / ١٣٢.

ظاهرة الإدراج بين القديم والحديث وأثرها في الخصائص الجرسية للصوت-دراسة وصفية تحليلية

وقد يعترض هذا الفهم الذي ذهب إليه الباحث ما في التراث من مباحث "الإشمام" الذي هو إجماع بالحركة على الساكن في غير الإتيان بها؛ فإنّ هذا الإجماع يكون في حكم الوصل أو الإدراج في الحرف الساكن؛ لكنّ المتأمل لعبارات النحويين خاصة ابن جني يدرك أنّ هذا الإجماع لا يخرج الساكن عن حاله إلى التحريك؛ وعليه فلا يكون له أثر ذا بال في الصفات الجرسية للصوت التي تكون أتم ما تكون في الوقف التام أو السكون التام.

يقول في سر صناعة الإعراب عن حركة الإشمام: "... فهذه دلالة قاطعة على أنّ حركة الإشمام لضعفها غير معتد بها، والحرف الذي هي فيه ساكن، أو كالساكن، وأنها أقل في النسبة والرنّة من الحركة المخففة في همزة بين وبين وغيرها"^(١).

فابن جني يرى في حركة الإشمام وصلا أو إدراجا ضعيفا لا يكاد يكون أثرا واضحا في الإدراك السمعي؛ لأنّ الإشمام في طبيعته إيهام بوصل الحركة لا إتيان بها على جهة الحقيقة؛ وعليه يكون الإشمام إدراكا بصريا أكثر منه إدراكا سمعيا. واللغويون على أنه لا أثر للإشمام ضعيفا كان أم كبيرا، بل إنّ ابن جني في موضع سابق له في سر صناعة الإعراب يشعر بذلك قبل أن يصرح به في الخصائص في غير موضع، يقول: "فجرى الإطباق والغنة بعد الإدغام في قلة الاعتداد به مجرى الإشمام الذي لا حكم له؛ حتى صار الحرف الذي هو فيه في حكم الساكن البتة"^(٢).

ومذهب سيبويه في الكتاب أنّ الإشمام لا يغير السكون، وعليه تكون الصفات الجرسية في أتم صورها؛ فعند حديثه عن قول الراجز:

متى أنام لا يُورقني الكري ليلاً ولا أسمع أجراس المطي

يقول في المضارع المجزوم: "وقد سمعنا من العرب من يُشْمُه الرفع، كأنه

(١) ابن جني، سر صناعة الإعراب، ١ / ٧٤.

(٢) المرجع السابق، ١ / ٧٠.

يقول: متى أنام غير مؤرق^(١)، فتأويل سيبويه لحركة الإشمام المختلصة أو العينية بالساكن دليل على أنه لا يعتد بالإشمام أصالة؛ لانعدام أثرها في السمع، وإن وجد أثرها في العين.

وهو الذي يصرح به ابن جني نفسه في الخصائص في غير موضع، ومن هذه المواضع ما قاله في شاهد سيبويه السابق: "ومعلوم أن الإشمام إنما هو للعين لا للأذن، وليست هناك حركة البتة، ولو كان فيه حركة لكسرت الوزن، ألا ترى أن الوزن من الرجز، ولو اعتدت القاف متحركة لصار من الكامل"^(٢).

فكلام ابن جني مغاير لكلامه في سر صناعة الإعراب؛ حيث إنه يرى في سر الصناعة أنّ الحركة موجودة، ولكن أثرها ضعيف، في حين نجد كلامه في الخصائص نفي صريح للحركة؛ فيكون الحرف الواقع فيه إشمام بكامل صفاته الجرسية؛ لأنه لم يخرج من حيز السكون التام إلى السكون العارض أو الإدراج بالحركة.

ثم يشير ابن جني إلى أن الأثر السمعي هو المقياس في ذلك؛ فيقول في السياق ذاته: "فإذا قنعوا من الحركة بأن يومتوا إليها بالآلة التي من عادتها أن تستعمل في النطق بها، من غير أن يخرجوا إلى حس السمع شيئاً من الحركة، مشبعة ولا مختلصة... لم يبق وراء ذلك شيء يُستدل به"^(٣).

وبهذا يكون الصوت حال الوقف عليه في كامل صفاته الجرسية السمعية، ولا يُعتد بالحركة المختلصة في الإشمام على الحرف الساكن، وهو ما يذهب بالباحث إلى دراسة مراتب الجرس في الإدراج من عدمه.

* مراتب الجرس في الإدراج:

بتأمل الصفات الجرسية وأحوالها في الإدراج والوقف يمكن لنا أن نجعلها في ثلاث مراتب متدرجة من القوة إلى الضعف، هذه المراتب على نحو ما يأتي:

(١) أبو بشر سيبويه، كتاب سيبويه، ٩٥ / ٣.

(٢) ابن جني، الخصائص، ٧٤ / ١.

(٣) المرجع السابق، ٧٣ / ١.

ظاهرة الإدراج بين القديم والحديث وأثرها في الخصائص الجرسية للصوت-دراسة وصفية تحليلية

أ- الصفات الجرسية في الوقف التام:

جوهر ما سبق الحديث عنه يؤكد أنّ الصفات الجرسية التامة والكاملة تكون في حال الوقف أو السكون التام على الحرف أو الصوت؛ لأنّ الوقف التام يظهر جميع هذا الصفات الجرسية، ونزيد ذلك وضوحاً بالقاعدة التي عقدها ابن جني في خصائصه، حيث أتى على العلة اللغوية وراء كون الصوت حال الوقف عليه وقفا تاماً أتم جرساً؛ فيقول: "وسبب ذلك عندي أنك إذا وقفت عليه، ولم تطاول إلى النطق بحرف آخر بعده تلبثت عليه، ولم تسرع الانتقال عنه؛ فقدرت بتلك اللبثة على إتباع ذلك الصوت إياه"^(١).

وعلى ما سبق جميعه يتبين لنا بوضوح أنّ الصفات الجرسية للصوت تكون تامة حال الوقف التام على الصوت، أي في حال السكون التام، لا سكون الحشو، وسبب تمامه يكون راجعاً إلى هذه السكّنة أو الوقفة التي تتيح للعضو منتج الصوت أن يأتي بصفات الصوت تامة كاملة غير منقوصة، وهو ما ينتفي حال سكون الحشو، وحال الإدراج بالمتحرك.

ويبدو أنّ الجرس الكامل حال الصوت الموقوف عليه قد استقر في أذهان اللغويين في التراث اللغوي؛ فصار قاعدة لديهم أنّ تمام الصوت بجرسه يكون حال الموقوف عليه؛ من ذلك قول ابن يعيش في عبارة صريحة له في شرحه على المفصل: "... إنّما سدّ الوقف مسد الحركة؛ لأنّ الوقف على الحرف يمكن جرس ذلك الحرف، ويوفر الصوت عليه؛ فيصير توفير الصوت بمنزلة الحركة له، ألا ترى أنك لو قلت عمرو، ووقفت عليه؛ وجدت للراء من التكرار، وتوفير الصوت ما ليس لها إذا وصلتها بغيره، وذلك أن تحريك الحرف يقلقله قبل التمام، ويجتذبه إلى جرس الحرف الذي منه حركته..."^(٢).

(١) المرجع السابق، ١ / ٥٧.

(٢) يعيش بن علي الأسدي الموصلي المعروف بابن يعيش، شرح المفصل، (القاهرة: دار الطباعة المنيرية، د.ت)، ٩ / ١٢٠ : ١٢١.

وعلى هذا استقرت أعراف اللغويين بأنّ الصفات الجرسية للصوت تكون تامة غير منقوصة إذا لم يكن هناك إدراج أو وصل صوتي، أي: في الموقوف عليه وقفًا تامًا غير حشو.

ب- الصفات الجرسية للسكان المدرج:

إذا كانت الصفات الجرسية في الوقف أظهر ما تكون، وهي في المرتبة الأولى، فإنّ سكون الحشو يأتي في المرتبة الثانية؛ قبل المدرج المتحرك؛ لأنّ السكون بعامة يوقفنا على الصفات الجرسية كاملة أو شبه كاملة، وابن جني عرض كثيرًا لحالي السكون وعلاقاته بالصفات الجرسية في كثير من المقارنات في الخصائص.

يقول مفرقا بين سكون الحشو وسكون الوقف: "الحرف الساكن ليست حاله إذا أدرجته إلى ما بعده كحال لو وقفت عليه؛ وذلك لأنّ من الحروف حروفا إذا وقفت عليها لحقها صوت "ما" من بعدها، فإذا أدرجتها إلى ما بعدها ضعف ذلك الصوت، وتضائل للحسن، نحو قولك: أح، أص، أث، أف، أخ، أك، فإذا قلت: مجرد، ويصبر، ويسلم... خفي ذلك الصوت وقلّ، وخفّ ما كان له من الجرس عند الوقف عليه"^(١).

فعبارات ابن جني في النقل السابق تدلنا بمنطق اللغة دلالة قاطعة على أنّ صفات الجرس في السكان المدرج تكون أقل في الأثر السمعي منها حال الوقف التام عليها، ولنتأمل قوله في ختام النقل السابق "خفي ذلك الصوت وقلّ، وخفّ ما كان له من الجرس عند الوقف عليه"؛ فنجد أنه قد فرّق بين الصفات حال:

- السكون التام.

- السكون المدرج.

فهو في الأول أظهر وأقوى، وهو في الثاني أقل قوة وأشدّ ضعفا، ويعلل ابن جني لضعف الصفات في السكان المدرج عنه في السكان الموقوف عليه بامتناع الوقفة أو السكتة التي تظهر هذه الصفات الجرسية حال الوصل أو الإدراج؛ يقول: "فأما إذا

(١) ابن جني، الخصائص، ١ / ٥٧.

ظاهرة الإدراج بين القديم والحديث وأثرها في الخصائص الجرسية للصوت-دراسة وصفية تحليلية
تأهبت للنطق بما بعده، وتهيأت له... فقد حال ذلك بينك وبين الوقفة التي يُمكن
فيها من إشباع ذلك الصوت؛ فيستهلك إدراجك إياه طرفاً من الصوت الذي كان
الوقف يقوّه عليه، ويسوغك إمدادك به إياه" (١).

فالصفات الجرسية في الساكن المدرج في مكان وسيط بين الوقف والمتحرك؛
فهي أضعف في الساكن المدرج منها في الساكن الموقوف عليه، وهي أقوى منها في
المتحرك المدرج، وعلى هذا يمكن أن نفهم كلام سيويه من مضارعة الجرس في
الساكن المدرج بالمتحرك؛ فيقول: "فإذا ثبت بذلك أنّ الحرف الساكن حاله في
إدراجه مخالفة لحاله في الوقوف عليه ضارِعَ ذلك الساكنُ المحشوّ به المتحرك، لما
ذكرناه من إدراجه؛ لأنّ أصل الإدراج للمتحرك، إذ كانت الحركة سبباً له، وعونا
عليه" (٢).

وفي علم التجويد نجد قوة الجرس هنا في الساكن -عامّة- متعلّقا بذهاب
الحركة، أو بذهاب الإدراج نتيجة لذهاب الحركة، أو لضعف الإدراج لكونه متعلّقا
بساكن، يقول الداني: "وأما المسكن فحقه أن يُخلَى من الحركات الثلاث، ومن
بعضهنّ، في غير وقف شديد، ولا قطع مسرف عليه، سوى احتباس اللسان في
موضعه قليلاً في حال الوصل" (٣).

وقوله "احتباس اللسان... في حال الوصل" دليل على أن المراد هنا سكون
الحشو، وأن السكون يقوي صفات الحرف الجرسية نتيجة لهذا الاحتباس؛ وهو متعلّق
بماهية الدرس الصوتي عند علماء التجويد، وقد سبق القول بأن علماء التجويد يرون
أن الجرس يقوى حال كونه من مخرج ولا حيز، لا حال كونه مخرجا هوائياً مثل الألف،
وهذا ما يفهم من لفظة "احتباس اللسان" فالاحتباس لا يكون إلا بمخرج وحيز.

(١) المرجع السابق ١/ ٥٧: ٥٨.

(٢) المرجع السابق، ١/ ٥٨.

(٣) أبو عمرو الداني، التحديد في الإتقان والتجويد، دراسة وتحقيق د/ غانم قدوري الحمد،
(الأردن، دار عمّار، ط ١: ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م) ص ٥١٥.

وهكذا نجد أنّ الجرس في ساكن الحشو يضارع أي يشابه الحشو به المتحرك في ضعف الجرس؛ وتتجلى دقة ابن جني في اختياره لفظ المضارعة؛ لأنّ الجرس في ساكن الحشو لا يكون بالضعف نفسه الذي في متحرك الحشو، وإنما يكون في منزلة بين المنزلتين، بين القوة في سكون الوقف، وبين الضعف في متحرك الحشو حال الإدراج؛ فهو -جرس ساكن الحشو- آخذ من كل بصفته، بضعف المتحرك، وبقوة الموقوف عليه؛ فهو بينهما.

نخلص من السابق أن جرس ساكن الحشو أضعف من ساكن الوقف.

ج- الصفات الجرسية في المدرج المتحرك:

سبق القول بأنّ إدراج الحركة هو الأصل في الإدراج، وأنّ المدرج المتحرك يكون أضعف الأحوال أو المراتب الثلاث في الصفات الجرسية للصوت، ثم "إنّ للحركة التي يتم بها الإدراج تأثيراً كبيراً على الحرف الذي تُحدثه؛ لأنه يتقوم بها... فاتصال الحروف يقتضي تهيؤاً للنطق بالحرف التالي في الوقت الذي ينطق بما قبله، وهذا يحدث في أثناء النطق بالحركة"^(١).

والراجع من كلام اللغويين أنّ الحركة تحدث لاحقة للحرف الصامت؛ فالصائت القصير يتبع حرفه؛ ذلك أنّ "الصوت العربي الصامت -وهو المعروف عند النحاة بالحرف الصحيح ضد المعتل- لا بد له من لاحق نطقاً، هذا اللاحق في الغالب صائت قصير - حركة- ولا يمكن أن يجيء هذا الصامت ساكناً مقطوعاً عن الحركة إلا إذا جاء في نهاية الحركة، ومن الصعب نطق الصامت مفرداً من الحركة؛ ولذا يُسبق عادة بهمزة، مثل: إن، إر..."^(٢).

وهذا التلازم بين الصامت والحركة له أثر كبير في الإدراج سلماً وإيجاباً على نحو ما سبق تفصيله، والذي يتغياها البحث في هذه الجزئية بيان أنّ الصفات الجرسية تكون

(١) د/ عبد الرحمن الحاج، بحوث ودراسات، ٢/ ١٨٢.

(٢) د/ إسحاق موسى الحسيني، المقطعية في اللغة العربية، (بالقاهرة: بحث منشور في مجلة مجمع اللغة العربية، الجزء ١٥: ١٩٦١م)، ص: ٥١.

ظاهرة الإدراج بين القديم والحديث وأثرها في الخصائص الجرسية للصوت-دراسة وصفية تحليلية

أضعف ما يكون حال كون المدرج متحركا حشوا في السياق الصوتي للكلمة، وقد أسس سيويه طرفا من ذلك في كتابه، وإن لم يتكلم عنها صراحة، كما نص على قوة الجرس في الوقف التام، فكلامه عن مفهوم الإدراج الذي يؤدي إلى إسقاط الحرف لا إلى ضعف جرسه، ولكن من المفيد في هذا السياق ذكر مفهومه لتبين أثره في اللاحقين بعده؛ يقول: "هذا باب ما يلحق الكلمة إذا اختلت حتى تصير حرفا؛ فلا يستطيع أن يتكلم بها في الوقف؛ فتعتمد بذلك اللحق في الوقف، وذلك قولك: عة وشة، وكذلك جميع ما كان من باب وعى يعي، فإذا وصلت قلت: ع حديثا، وش ثوبا، حذف؛ لأنك وصلت إلى التكلم به، فاستغنيت عن الهاء؛ فاللاحق في هذا الباب الهاء"^(١)، فهذا من أثر الوصل على الأحكام التركيبية صوتا ونحوا، والذي يعيننا في هذا السياق أن الإدراج قد يقع بين أكثر من كلمة، وأنه قد يُسقط الحرف كلية بجرسه، ومثل سيويه لذلك في موضع آخر بألف الوصل؛ فقال: "هذا باب تحرك أواخر الكلم الساكنة إذا حذف ألف الوصل لالتقاء الساكنين، وإنما حذفوا ألف الوصل هاهنا بعد الساكن؛ لأن من كلامهم أن يُحذف، وهو بعد غير الساكن؛ فلما كان ذلك من كلامهم حذفوها ههنا، وجعلوا هذا سبيلها... وذلك قولك: اضرب ابنك، وأكرم الرجل"^(٢).

والشاهد في ذلك أنّ الإدراج أسقط ألف الوصل في كلمتي (ابنك، الرجل) وبهذا يكون المفهوم العام للوصل الصوتي عند سيويه مسقطا للحرف كلية؛ وهو ما يتماشى مع الفهم العام من أن الوصل يضعف، وأنّ الحرف أقوى في الوقف، سواء أكان وقف حشو عارض، أم كان وقفا أو سكونا تاما، والأخير أقوى الوجهين.

وقد جمع ابن جني هذه المرتبة الثالثة مع مرتبتين قبله؛ فقال في الخصائص: "أصل الإدراج للمتحرك إذ كانت الحركة سببا له وعونا عليه، ألا ترى أنّ حركته تنقصه ما يتبعه من ذلك الصوت، نحو قولك: صبر، وسلم. فحركة الحرف تسلبه

(١) أبو بشر سيويه، كتاب سيويه، ٤ / ١٤٤.

(٢) المرجع السابق، ٤ / ١٥٢.

الصوت الذي يُسَعفه الوقف به، كما أن تأهيك للنطق بما بعده يستهلك بعضه؛ فأقوى أحوال ذلك الصوت عندك أن تقف عليه؛ فتقول: أَصْ، فإن أنت أدرجته انتقصته بعضه؛ فقلت: اصْبِرْ، فإن أنت حركته اختزمت الصوت البتة، وذلك قولك: صَبْرٌ؛ فحركة ذلك الحرف تسلبه ذلك الصوت البتة، والوقوف عليه يمكنه فيه، وإدراج الساكن يُبقي عليه بعضه. فعلمت بذلك مفارقة حال الساكن المحشو به لحال أول الحرف وآخره"^(١).

إن أول ما يمكن ملاحظته في كلام ابن جني أنه جمع المراتب الثلاث للصفات الجرسية في الأصوات حال الإدراج والوقف؛ لبيان قوة الجرس من عدمه؛ فتحدث عن المدرج الساكن، ومدرج الحشو، والمدرج المتحرك، والفارق بين كل منهم في الجرس وصفاته وأثره في الأثر السمعي، والذي يعيننا في هذا المقام بيانُ المرتبة الثالثة في الجرس الصوتي للمدرج المتحرك؛ فقد اختار ابن جني صوت (الصاد) لبيان جرسه في المراتب الثلاث:

١. أصْ = أقوى المراتب.

٢. اصْبِرْ = المرتبة الوسطية.

٣. صَبْرٌ = المرتبة الأضعف.

وبهذا يتضح أنّ الإدراج أو الوصل الصوتي في حال التحريك، والخلو من نوعي الساكن يؤدي إلى ضعف الجرس الصوتي، أو جعله في أضعف حالاته، وإذا تأملنا قوله "فإن أنت حركته اختزمت الصوت البتة" وجدنا فيه دليلاً على ضعف المدرج المتحرك عن مثليه في الجرس الصوتي.

ويبدو أنّ الذهاب بالصوت البتة - في عبارة ابن جني - كان واضحاً في مفهوم الإدراج قديماً وحديثاً؛ ففي التراث اللغوي نجد أنّ الصوت قد يذهب وجرسه معاً في الإدراج إذا وليه، من ذلك قول ابن الأنباري: "فحذف نون (من) في الإدراج، وتلك

(١) ابن جني، الخصائص، ١/ ٥٨.

ظاهرة الإدراج بين القديم والحديث وأثرها في الخصائص الجرسية للصوت-دراسة وصفية تحليلية

لغة مشهورة معروفة، أنشدنا أبو العباس قال: أنشدنا ابن شبيب:

ليلي بذات الجيش دار عرفتها وأخرى بذات البين آياتها سطرٌ
كأنهم م الآن لم يتغيرا وقد مرّ للدارين من بعدنا عصرٌ

فحذف نون (من) لما لقيتها الألف واللام^(١).

ومعلوم أنّ الألف الواصلة في (الآن) محرّكة بالفتح؛ فحذفت النون، وكونها لغة معروفة مشهورة؛ فهي دليل على أنّ الجرس يكون في أضعف حالاته حين الوصل بالمتحرك اللاحق؛ حتى إنّ الصوت ذاته ليحذف في السياق الصوتي، الناتج عن التداخل نتيجة الإدراج، أو الوصل في التركيب، وهو معنى نجده -أيضا- عند ابن درستويه (ت: ٣٤٧هـ) في تصحيح الفصيح؛ إذ يقول: " وهاء الندبة -زعموا- وهي في مثل قولهم: وازيداه، وليس هذه الهاء للندبة، وإنما حرف الندبة الألف، والهاء لبيان الألف، وتبعيد الصوت، فإذا وُصل الكلام سقطت الهاء، كما تسقط بعد الحركة في الإدراج"^(٢).

وهذا الضعف في الجرس حال الإدراج في المتحرك يكاد يكون سمة شائعة في اللغات عامة؛ وقد ضرب دو سوسير بحرف (p) مثلا على ذلك؛ حيث يقول: " بين لفظي الحرف p في كلمة appa فارق واضح، p الأولى ناتجة من غلق الفتحة، أما p الثانية فناتجة عن فتحة الفم وإطلاق الهواء، ولكنّ الانطباعين لهذين الحرفين متشابهان إلى حد كبير، حتى إن علماء الأصوات عدوهما صوتا واحدا؛ فاستخدموا حرفا واحدا p لكتابة المجموعة، ونستطيع أن نعمل إشارتين (< >) للدلالة على الفرق بين صوتي p في كلمة appa وتشخيصهما عندما لا يقعان الواحد بعد الآخر، لاحظ: apta و

(١) أبو بكر ابن الأنباري، المذكر والمؤنث، (القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٤٣٥هـ = ٢٠١٤م)، ١ / ٤٥٤، ٤٥٥.

(٢) عبدالله بن جعفر بن محمد بن درستويه، تصحيح الفصيح وشرحه، (القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٤١٩هـ = ١٩٩٨م)، ٤١٣.

atpa" (١).

فإدراك دي سوسير لتوالي الحرفين المتشابهين ليس فقط إدراكا لتوالي حرفين من مخرج واحد، وإنما هو إدراك لمفهوم الإدراج، وأثر المتحرك في الحرف قبله، وهو الذي عبر عنه بعلامتي (< >)، حيث أثر الهواء أو الصائت الطويل في الإنجليزية في جرس الصوت، كالفارق بين حرفي p بين كلمتي: apta و atpa، إذا ولي الحرف صوتاً بصائت قصير، وصوتاً بصائت طويل أو حرف مد، وعلى كلٍ يظهر في النطق ضعف الجرس في حرف (p) حين وليه متحرك، وهو متحرك أصالة؛ فالإدراج بالمتحرك على متحرك يؤدي إلى ضعف الجرس الصوتي.

وفي هذا السياق يتفق دو سوسير مع الدرس الصوتي العربي في أن الصامت أسبق من الحركة في الإدراج والوصل؛ يقول: "لا بد لي عند لفظ r p أن أحبس الهواء في r ثم أنطق بـ r مفتوحة" (٢).

وعلى هذا يمكن القول بالتقاء مفهوم دي سوسير بضعف أثر الجرس الصوتي حال الإدراج في المتحركات عنه في الساكن، سواء أكان ذلك في ساكن الحشو، أو في الساكن الموقوف عليه.

(١) دي سوسير، علم اللغة العام، ٧٢.

(٢) المرجع السابق، ٧٠.

الخاتمة

- اختص هذا البحث بدراسة خاصة من أزم خصائص العربية، وهي الإدراج أو الوصل الصوتي، وقامت بالمقارنة بين مفهومه في الدرسين القديم والحديث، وتحديد أثر الإدراج في الأصوات وجرسها، وأمكن لها أن تخرج بالنتائج الآتية:
- التقى المعنى اللغوي المعجمي بالاستعمال الاصطلاحي في دلالة الإدراج على مفهوم الاتصال الصوتي؛ ما يعكس استقامة المعنى الاصطلاحي لمفهوم الإدراج؛ فلم يكن هناك تعارض في الاستعمالين؛ ما يعني وجود ظلال لمعنى كل منهما في الآخر.
 - يقوم مفهوم الإدراج على أساس الأثر السمعي الذي تحدثه الأصوات، وليس مجرد إنتاجها، وهو ما ارتكز عليه الدرس الصوتي الحديث بدءاً من سوسير في علم الأصوات الوظيفي أو الفنولوجيا؛ وهو ما يعني من جهة أخرى سبق الدرس الصوتي في القديم صراحةً لمعطيات الدرس الصوتي الحديث.
 - يقوم جوهر الإدراج على مفهوم التتابع المفضي إلى التداخل بين الأصوات وصفاتها الجرسية، وليس مجرد التتابع الصوتي فقط؛ وهذا يعكس تأثير الأصوات بعضها ببعض، وتأثير بعضها في بعض؛ وعليه الاستعمالان اللغوي والاصطلاحي.
 - يقع الإدراج بالساكن والمتحرك، وأصله أن يكون بالمتحرك؛ لأنّ المتحرك هو الذي يهيئ الانطلاق إلى الحرف اللاحق؛ وهذا يعني تأثير اللاحق في السابق والعكس بشكل ما.
 - يؤثر الإدراج في الجرس الصوتي حسب المدرج وما يليه في ثلاث مراتب؛ فأقوى ما يكون الجرس الصوتي في الساكن الموقوف عليه، ثم في ساكن الحشو، وأضعفه في المدرج المتحرك؛ فالإدراج بالحركة يضعف الجرس الصوتي.

مسرد المصطلحات

المصطلح الأجنبي	المصطلح العربي
Epenthesis = [Insertion of a vowel or a consonant into a word to make its pronunciation easier]	إدراج صوتي / إقحام
Vowels Short vowels Long vowels	الصوائت / الأصوات الصائتة الصوائت الصغيرة الصوائت الطويلة
Consonants	الصوامت / الأصوات الصامتة
Phonetics	الدرس الصوتي
Acoustics = phonetic characteristics	الخصائص الصوتية
Articulation	مخارج الصوت
Timbre Sound timber	جرس = طابع الصوت = نغمة مميزة جرس صوتي
Phonemes	فونيمات
Allophones	ألفونات
Stress	نبر
Intonation	تنغيم
Onomatopoeia	محاكاة صوتية
Assimilation	إدغام

ظاهرة الإدراج بين القديم والحديث وأثرها في الخصائص الجرسية للصوت-دراسة وصفية تحليلية

المصادر والمراجع

- الاستراباذي، رضي الدين محمد بن الحسن. شرح شافية ابن الحاجب. تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م.
- الأسدي، أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش موفق الدين. شرح المفصل. دار الطباعة المنيرية بمصر، د. ت.
- ابن الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد. المذكر والمؤنث. تحقيق الأستاذ/ محمد عبد الخالق عزيمة، مراجعة د/ رمضان عبد التواب، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٤١٩هـ = ١٩٨١م.
- د/ بشر، كمال محمد. علم الأصوات. دار المعارف. القاهرة، ٢٠٠٠م.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان الموصلي. الخصائص. تحقيق الأستاذ/ محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة السادسة، ٢٠١٨م.
- . سر صناعة الإعراب. دار القلم. دمشق. ط ١: ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م.
- . المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها. تحقيق د/ علي النجدي ناصف وآخرون، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٤٣٥هـ = ٢٠١٤م.
- د/ الحسيني، إسحاق موسى. المقطعية في اللغة العربية. بحث منشور في مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الجزء ١٥: ١٩٦١م.
- د/ الحمد، غانم قدوري، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، (الأردن، دار عمار، ط ٢: ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م).
- د/ الحمد، غانم قدوري، المدخل إلى علم الأصوات العربية (الأردن، دار عمار، ط ١: ١٤٢٥هـ = ٢٠٠٤م).
- أبو عمرو الداني، التحديد في الإتقان والتجويد، دراسة وتحقيق د/ غانم قدوري الحمد، (الأردن، دار عمار، ط ١: ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م).

ابن درستويه، عبدالله بن جعفر بن المرزبان. **تصحیح الفصح وشرحه**. تحقيق د/ محمد بدوي المختون، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٤١٩هـ = ١٩٩٨م.

ابن السراج، أبو بكر محمد بن السري بن سهل. **الأصول في النحو**. تحقيق د/ عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٤: ١٤٣٦هـ = ٢٠١٥م.

ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق. **إصلاح المنطق**. تحقيق/ محمد مرعب، دار إحياء التراث العربي، ط ١: ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٢م.

سوسير، فردينان دو. **علم اللغة العام**. ترجمة د/ يوثيل يوسف عزيز، مراجعة د/ مالك يوسف المطليبي، دار آفاق عربية، بغداد: ١٩٨٥م.

سوسير، فرديناند دو. **محاضرات في علم اللسان العام**. ترجمة: عبد القادر قيني، إفريقيا الشرق، ١٩٨٧م.

أبو بشر سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر. **كتاب سيبويه**. تحقيق الأستاذ/ عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٥: ١٤٣٠هـ = ٢٠٠٩م.

السيرافي، أبو سعيد، الحسن بن عبدالله بن المرزبان. **شرح كتاب سيبويه**. الجزء السادس عشر، تحقيق د/ أحمد جمال الدين، مراجعة أ. د/ حسين نصار، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٤٣٢هـ = ٢٠١١م.

د/ صالح، عبد الرحمن الحاج. **بحوث ودراسات في اللسانيات العربية**، موفم للنشر، الجزائر، ٢٠١٢م.

ابن الطحان، **مرشد القارئ إلى معالم المقارئ**، تحقيق د/ حاتم صالح الضامن، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١: ١٩٩٥م).

العسكري، أبو هلال الحسن بن عبدالله اللغوي. **تصحيفات المحدثين**. تحقيق/ محمود أحمد ميرة، المطبعة العربية الحديثة، القاهرة، ط ١: ١٤٠٢هـ.

الفراهيدي، الخليل بن أحمد، **معجم العين**، تحقيق د/ مهدي المخزومي، د/ إبراهيم السامرائي، سلسلة المعاجم.

ظاهرة الإدراج بين القديم والحديث وأثرها في الخصائص الجرسية للصوت-دراسة وصفية تحليلية
الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب بن محمد الشيرازي. **القاموس
المحيط**. دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨م.

القيسي، مكي بن أبي طالب، **الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة**، تحقيق
د/ أحمد حسن فرحات، (الأردن: دار عمار، ط٣: ١٤١٧هـ = ١٩٩٦م).

ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي الأنصاري. **لسان العرب**. دار
الحديث، القاهرة، ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٣م.

الهروي، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى. **تهذيب اللغة**. حققه وقدم له الأستاذ/
عبد السلام محمد هارون، راجعه الأستاذ/ محمد علي النجار، سلسلة تراثنا،
الدار المصرية للتأليف والترجمة، د. ت.

ياكسون، رومان. **ست محاضرات في الصوت والمعنى**. ترجمة حسن ناظم وعلى
حاكم صالح، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١: ١٩٩٤م.

Bibliography

- Al-Istrabadhi, Radi al-Din Muhammad bin Al-Hasan, *Sharh Shāfiyat Ibn Al-Hājib*, investigated by: Muhammad Muhi al-Din 'Abd al-Ḥamid et al, Scientific Books Publishing House, Beirut, 1402 AH = 1982.
- Al-Asadi, Abu Al-Baqā Yaish bin 'Ali bin Ya'ish Muwafaq al-Din, *Sharh Al-Mūfassal*, Muniriya Printing House in Egypt.
- Ibn Al-Anbāri, Abu Bakr Muhammad Ibn Al-Qasim Ibn Muhammad, *Al-Mūdhakkar wa al-Mū'annath*, investigated by: Muhammad 'Abd al-Khaliq 'Udaimah, reviewed by: Dr. Ramadan 'Abd al-Tawwab, The Supreme Council for Islamic Affairs, Cairo, 1419H = 1981.
- Dr. Bishr, Kamal Muhammad, *Ilm Al-Aṣwāt*, Al-Ma'refah Printing House. Cairo, 2000.
- Ibn Jinni, Abu Al-Fath 'Uthman Al-Mawsili, *Al-Khaṣā'is*, investigated by: Muhammad 'Ali Al-Najar, The Egyptian General Book Organization, 6th edition, 2018.
- - - . *Sirrū Ṣinā'at Al-I'rāb*, Al-Qalam Publishing House. Damascus, 1st edition, 1405 AH = 1985.
- - - . *Al-Mūhtasib Fī Tabyīn Wujūh Shawādh Al-Qirā'āt wa al-'Idāh 'anhā*, investigated by: 'Ali Al-Najdi Nasif et el, The Supreme Council for Islamic Affairs, Cairo, 1435 AH = 2014.
- Dr. Al-Hussaini, Ishaq Mousa, *Al-Maqtā'iyah Fī Al-Lūgha Al-'Arabiyyah*, a research published in the Journal of Arabic Language Complex in Cairo, Part 15, 1961.
- Dr. Al-Hamad, Ghanim Qudouri, *Al-Dirāsāt Al-Sawtyāh 'enda Ūlamā' Al-Tajwīd*, (Jordan, Ammar Printing House, 2nd edition, 1428 AH = 2007).
- Dr. Al-Hamad, Ghanim Qudouri, *Al-Madkhal 'Ilā 'Im Al-Aṣwāt Al-'Arabiyyah*, (Jordan, Ammar Printing House, 1st edition, 1425 AH = 2004).
- Abu 'Amr Al-Dāni, *Al-Tahdīd Fī Al-Itqān wa al-Tajwīd*, a study and investigated by Dr. Ghanim Qudouri Al-Hamad, (Jordan, Ammar Printing House, 1st edition, 1421 AH = 2000).
- Ibn Durustuwaih, 'Abdullah Bin Ja'far Bin Al-Marzuban, *Tashīh Al-Fasīh wa Sharhuh*, investigated by: Dr. Muhammad Badawi Al-Makhton, The Supreme Council for Islamic Affairs, Cairo, 1419 AH = 1998.
- Ibn Al-Sarraj, Abu Bakr Muhammad Ibn Al-Sari Ibn Sahl, *Al-Usūl Fī Al-Nahw*, investigated by Dr. 'Abd al-Ḥusain Al-Fatli, Al-Resala Foundation, Beirut, 4th edition, 1436 AH = 2015.

- Ibn Al-Sikkit, Abu Yousuf Ya'qoub Bin Ishaq, *Islāh Al-Mantiq*, investigated by: Muhammad Mur'ib, Revival of Arab Heritage Printing House, 1st edition, 1423 AH = 2002.
- Saussure, Ferdinand Doe, *Eilm Al-Lūghah Al-Ām*, translated by: Dr. Yoel Youssef Aziz, reviewed by: Dr. Malik Yousuf Al-Mutalibi, Afaq Arabia Printing House, Baghdad, 1985.
- Saussure, Ferdinand Doe, *Mūhādarāt Fi 'Ilm Al-Lisān Al-Ām*, translated by: 'Abd al-Qadir Qenini, East Africa, 1987.
- Abu Bishr Sibawayh Amr Bin 'Uthman Bin Qunbur, *Kitāb Sibawaih*, investigated by: 'Abd al-Salam Muhammad Haroun, Al-Khanji Library, Cairo, 5th edition, 1430 AH = 2009.
- Al-Sirāfi, Abu Sa'eed, Al-Hasan Bin 'Abdillah Bin Al-Marzuban, *Sharh Kitāb Sibawaih. The sixteenth part* investigated by: Dr. Ahmad Jamāl al-Din, reviewed by: Prof. Husain Nassar, National Book and Documentation Printing House, Cairo, 1432 AH = 2011.
- Dr. Saleh, 'Abd al-Rahman Al-Hajj, *Researches and studies in Arabic linguistics*, (in Arabic). Movem for Publication, Algeria, 2012.
- Ibn Al-Tahan, *Mūrshid Al-Qārī 'Ilā Ma 'ālim Al-Maqārī*, investigated by: Dr. Hatim Salih Al-Dhamen, (Beirut: Al-Risala Foundation, 1st edition, 1995).
- Al-'Askari, Abu Hilal Al-Hasan Bin 'Abdillah Al-Lughawi, *Tashīfat Al-Mūhadithīn*, investigated by: Mahmoud Ahmad Mīra, Modern Arab Press, Cairo, 1st edition, 1402 AH.
- Al-Farahīdi, Al-Khalil Bin Ahmad, *Mu'jam Al-Aīn*, investigated by: Dr. Mahdi Al-Makhzomi, Dr. Ibrahim Al-Samarai, Series of Lexicons.
- Al-Fayrouz Abadi, Majd al-Din Abu Tahir Muhammad Bin Ya'qoub Bin Muhammad Al-Shirazi, *Al-Qāmūs Al-Mūhīt*, Al-Hadith Printing House, Cairo, 1429 AH = 2008.
- Al-Qaisi, Maki Bin Abi Talib, *Al-Ri'āyah Li Tajwīd Al-Qirā'āt wa Tahqīq Lafz Al-Tilāwah*, investigated by: Dr. Ahmad Hasan Farhat, (Jordan: Ammar Printing House, 3rd edition, 1417 AH = 1996).
- Ibn Manzour, Abu Al-Fadl Muhammad Bin Makram Bin 'Ali Al-Ansari, *Lisān Al-'Arab*, Al-Hadith Printing House, Cairo, 1423 AH = 2003.
- Al-Harawi, Abu Mansour Muhammad Bin Ahmad Al-Azhari, *Tahdhīb Al-Lūgha*, investigated and presented by: 'Abd al-Salam Muhammad Haroun, reviewed by: Muhammad 'Ali Al-Najar, Our Heritage Series, The Egyptian Printing House for Authorship and Translation.
- Jakobson, Roman, *Six lectures on sound and meaning*, (in Arabic) translated by: Hasan Nazim and 'Ali Hakim Saleh, Arab Cultural Center, Beirut, 1st edition: 1994.

معجم سياقي لألفاظ ومصطلحات جائحة كورونا للناطقين بغير العربية

Contextual Dictionary For words and phrases
for non-Arabic speakers

د. عادل منسي العنزي

الأستاذ المساعد بمعهد تعليم اللغة العربية

البريد الإلكتروني: ramee190@gmail.com

المستخلص

هدف هذا البحث إلى بناء معجم سياقي لألفاظ ومصطلحات جائحة كورونا للناطقين بغير العربية، وتقديمه في تعابير سياقية من أجل فهم ألفاظ ومصطلحات هذا الجائحة، وتنمية الثقافة اللغوية للناطقين بغير العربية، وشرحها ليسهل التعامل مع القوانين المتعلقة بالجائحة، واتباع الارشادات الوقائية من أجل الحفاظ على صحة الفرد والمجتمع، وكذلك ليكون بمثابة مرجع للأطباء والأكاديميين وطلاب الجامعات.

استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي؛ كونه الأقرب لطبيعة البحث.

وتوصل البحث إلى عدة نتائج أهمها: احتوى المعجم على مجالات أو حقول ويضم (٤٣) مدخلاً، ويقع في (٢٦) صفحة. واتبع البحث منهجاً اتسم باليسر والوضوح؛ مراعاة لكونه معجم مختص مُقدم لفئة معينة. كما تم توظيف الشواهد والسياقات اللغوية المعاصرة والحديثة في شرح الألفاظ والمصطلحات ليكشف الاستعمال الحقيقي للغة، كما أنّ شرح هذه الألفاظ والمصطلحات يساعد في تنمية الثقافة اللغوية للناطقين بغير العربية، مما يسهل التعامل مع القوانين المتعلقة بالجائحة، واتباع الارشادات الوقائية من أجل الحفاظ على صحة الفرد والمجتمع.

الكلمات المفتاحية:

الجائحة - كورونا - كوفيد-١٩ - فيروس كورونا - الوباء.

Abstract

The research is to build a contextual dictionary of the words and phrases of the Corona pandemic for non-Arabic speakers, and present it in contextual expressions in order to understand the terms and terms of this pandemic, develop the linguistic culture of non-Arabic speakers, and explain it to facilitate dealing with the laws related to the pandemic, and to follow the preventive instructions in order to maintain the health of The individual and society, as well as to serve as a reference for physicians, academics and university students.

The researcher used the descriptive analytical method; Being the closest to the nature of the research.

The research reached several results, the most important of which are: The dictionary contains (4) semantic fields and includes (43) entries

, and is located on (26) pages. The research followed a simple and clear approach. Taking into account that it is a specialized dictionary provided for a specific category. Contemporary and modern linguistic evidence and contexts have also been employed in explaining the words and terms to reveal the true use of the language, and the explanation of these words and terms helps in developing the linguistic culture of the non-Arabic carriers, which facilitates dealing with the laws related to the pandemic, and following the preventive instructions in order to preserve the health of the individual and society.

Keywords: pandemic - Corona Virus - COVID-19 - epidemic

الفصل الأول: مقدمة البحث

يهدف هذا الفصل إلى عرض الإطار العام للبحث بحيث يتناول المقدمة، والإحساس بمشكلة البحث، وتحديد مشكلة البحث، وأسئلة البحث، وأهدافه، وأهميته، وحدوده، ومصطلحاته، وفيما يأتي عرض ذلك:

توطئة:

إن ظهور جائحة كورونا بشكل كبير في معظم أنحاء العالم، أدى إلى ظهور ألفاظ ومصطلحات جديدة في مختلف المجالات الاجتماعية والطبية والوقائية المتعلقة بالرعاية الصحية، ومن ثم بدأ الشرح لهذه الألفاظ والمصطلحات وبيان سياقاتها اللغوية والدلالية الشيء الذي كان له أثر في فهم وتوحيد هذه المصطلحات ووضعها في معجم سياقي واحد.

وقد تمكنت جائحة كورونا من إدخال العديد من الألفاظ والمصطلحات غير المتداولة لتصبح جزءاً من الخطاب اليومي المتداول في الصحف والمجلات والأخبار، وارتبطت بالجمال الاجتماعي وأصبحت تستخدم في التعبير عن الموقف أو وصف الحال؛ مما دفع الباحث إلى صناعة معجم سياقي لألفاظ ومصطلحات جائحة كورونا من أجل الإسهام في العناية بالتركيب السياقية المعاصرة، وتزويد حقل اللغة العربية بمعجم سياقي لألفاظ جائحة كورونا.

إن الاهتمام بشرح ألفاظ ومصطلحات جائحة كورونا ووضعها في سياق لغوي لها يُسهل التعامل مع القوانين المتعلقة بالجائحة، وكذلك يتم من خلاله فهم إرشادات الوباء مما يسهل تجنبه والحفاظ على صحة الفرد والمجتمع.

ومن هنا يأتي دور هذا المعجم السياقي الذي يُعنى بشرح الألفاظ والمصطلحات التي تحيط بكل ما يتعلق بجائحة كورونا، ووضعها في سياق لغوي؛ وذلك من أجل فهم ألفاظ ومصطلحات هذا الجائحة باللغة العربية، ووضعها في سياقاتها اللغوية، من أجل تنمية الثقافة اللغوية لغير الناطقين بالعربية، ويكون بمثابة مرجع علمي لطلاب الجامعات والأكاديميين والصحفيين والأطباء.

الاحساس بمشكلة البحث:

من خلال عمل الباحث في مجال تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، لاحظ الباحث معاناة الطلاب في الوصول إلى بعض الألفاظ والمصطلحات خاصة فيما يتعلق بجائحة كورونا من ألفاظ ومصطلحات، وعدم معرفة استخدام تلك الألفاظ والمصطلحات في سياقها اللغوية، مع عدم وجود أي معجم سياقي مختص بتلك الألفاظ والمصطلحات، الأمر الذي دعا إلى تأليف هذا النوع من المعاجم السياقية المتعلقة بألفاظ ومصطلحات جائحة كورونا.

أسباب اختيار الموضوع:

إن اختيار معجم سياقي لألفاظ ومصطلحات جائحة كورونا في هذه الدراسة لأسباب عدة أهمها:

١. تنمية الثقافة اللغوية للناطقين بغير العربية وخصوصاً ما يتعلق بالجائحة من قوانين وارشادات، والجوانب التي تتعلق بالرعاية الصحية.
٢. عدم وجود معجم سياقي لألفاظ ومصطلحات جائحة كورونا. على حد علم الباحث.
٣. ندرة المعاجم السياقية في هذا المجال.
٤. أهمية المعجم لإخراجه كمرجع لعلماء الفيروسات والاطباء والمراجع الأكاديمية والصحافة.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى:

١. تقديم ألفاظ ومصطلحات جائحة كورونا في تعابير سياقية من أجل تنمية الثقافة اللغوية للناطقين بغير العربية.
٢. شرح الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بالجائحة، وتقديمها في سياقات لغوية للناطقين بغير العربية يُسهل من فهم القوانين والارشادات المتعلقة بالجائحة.
٣. حصر الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بجائحة كورونا.

معجم سياقي لألفاظ ومصطلحات جائحة كورونا للناطقين بغير العربية، د. عادل منسي العنزي

٤. تزويد علماء الفيروسات والاطباء والمراجع الاكاديمية والصحافة وخصوصاً غير الناطقين باللغة العربية بمرجع مختص بمفردات ومصطلحات جائحة كورونا.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في:

١. إثراء حقل اللغة العربية بمعجم سياقي لألفاظ ومصطلحات جائحة كورونا.
٢. الإسهام في العناية بالتراكيب السياقية لألفاظ ومصطلحات جائحة كورونا.
٣. مساعدة الأطباء والأكاديميين والصحفيين على استخدام الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بجائحة كورونا في تعابير سياقية.
٤. إثراء الدراسات المعجمية في مجال تعليم اللغة العربية.

منهج البحث:

استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي القائم على حصر الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بجائحة كورونا، ووصفها وتحليلها وتوضيح معانيها عن طريق السياق اللغوي.

مصطلحات البحث:

١. **المعجم:** يذكر أحمد مختار عمر أنّ اللغويين يعرفون المعجم بأنه: " كتاب يضم بين دفتيه مفردات لغة ما ومعانيها واستعمالاتها في التراكيب المختلفة، وكيفية نطقها، وكتابتها مع ترتيب هذه المفردات بصورة من صور الترتيب التي غالباً ما تكون الترتيب الهجائي"^(١).

ويعرف الباحث المعجم إجرائياً بأنه: كتاب يجمع ألفاظ جائحة كورونا ومصطلحاتها، وفق ترتيب معين، وشرح معانيها لتعلمي اللغة العربية من غير الناطقين بها عن طريق السياق.

(١) أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، دار عالم

الكتب- القاهرة، ط٢٠٠٣م، ص: ١٦٢

٢. **السياق:** يعرف السياق بأنه "التركيب الذي ترد فيه الكلمة، ويسهم في تحديد المعنى المتصور لها"^(١).

ويعرفه الباحث إجرائياً بأنه: تحديد معنى الكلمة من خلال علاقاتها بالكلمات الأخرى.

المعجم السياقي: وهو المعجم الذي تقدم فيه جميع العبارات والجمل التي يرد فيها لفظ ما، بغية حصر المعاني التي يحتملها فيها، مع اختلاف الأساليب^(٢). ويعرفه الباحث إجرائياً بأنه: كتاب يحوي ألفاظ جائحة كورونا ومصطلحاتها، مع بيان معانيها لتعلمي اللغة العربية للناطقين بغيرها من خلال التراكيب التي استعملت فيها في الصحف والمدونات.

٣. **الجائحة:** يقول ابن منظور: "الجوحة والجائحة: الشدة والنازلة العظيمة التي تجتاح المال من سنة أو فتنة. وكل ما استأصله: فقد جاحه واجتاحه. وجاح الله ماله وأجاحه، بمعنى، أي أهلكه بالجائحة"^(٣).

٤. **كورونا (corona viruses):** تعرفه منظمة الصحة العالمية بأنه: سلالة واسعة من الفيروسات التي قد تسبب المرض للحيوان والإنسان. وتسبب لدى البشر خاصة أمراضاً تنفسية تتراوح حدتها من نزلات البرد الشائعة إلى الأمراض الأشد وخامة، مثل متلازمة الشرق الأوسط التنفسية (ميرس)، والمتلازمة التنفسية الحادة الوخيمة (سارس). ويسبب فيروس ككتشف مؤخراً مرض (كوفيد-١٩)^(٤).

(١) سامي عياد حنا وآخرون، (١٩٩٧م): معجم اللسانيات، مكتبة بيروت، ص ٢٨.

(٢) ابن حويلي الأخضر، (٢٠١٠م): المعجمية العربية، دار هومة، الجزائر، ص ٩٦-٩٧.

(٣) جمال الدين ابن منظور الأنصاري، لسان العرب، دار صادر - بيروت، ط ٣ - ١٤١٤هـ.

(٤) موقع منظمة الصحة العالمية <http://www.who.int> (بتصرف).

الفصل الثاني: الإطار النظري والدراسات السابقة

أولاً: الإطار النظري

المبحث الأول: التعريف بمصطلح جائحة كورونا

تعريف الجائحة:

يقول ابن منظور: "الجوحة والجائحة: الشدة والنازلة العظيمة التي تحتاح المال من سنة أو فتنة. وكل ما استأصله: فقد جاحه واجتاحه. وجاح هلالاً ماله وأجاحه، بمعنى، أي أهلكه بالجائحة. الأزهرى عن أبي عبيد: الجائحة المصيبة تحل بالرجل في ماله فتجتاحه كله؛ قال ابن شمل: أصابته. فمعنى 'الجائحة' في لسان العرب هو: السنة الجدبة والشديدة التي تذهب المال والثمار جائحة أي سنة شديدة اجتاحت أموالهم" (١).

وجاء في المعجم الوسيط: "الجائحة: (المصيبة تحل بالرجل في ماله فتجتاحه كله)، في اصطلاح الفقهاء: (ما أذهب الثمر أو بعضه من آفة سماوية ويقال سنة جائحة جدبة) ج (جوائح)" (٢).

من خلال هذه التعاريف نجد أن كلمة (جائحة) لم تتغير في دلالتها في المعجم العربي، فجميعها تدور حول المصيبة والشدة والنازلة، فدلالاتها ثابتة في جميع السياقات، ولكن مع دخول جائحة كورونا بدت ملامح التغيير الدلالي يطرأ عليها فقد عُبر عنها بالوباء، وتارةً بجائحة كورونا، ويقصد بذلك المرض نفسه الذي انتشر في العالم.

(١) جمال الدين ابن منظور الأنصاري: لسان العرب، دار صادر - بيروت، ط ٣ - ١٤١٤هـ.

ص ٤٣١

(٢) مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، - مكتبة الشروق الدولية، ط ٤

٢٠٠٤. ص ١٤٥

الفرق بين الوباء والجائحة:

الوباء (**epidemic**) هو مصطلح يستخدم غالباً لوصف أي مشكلة مرضية خرجت عن نطاق السيطرة. ويُعرّف الوباء بأنه تفشٍ لمرض يحدث في منطقة جغرافية واسعة، ينتشر فيها المرض بنشاط في بلد أو مجتمع بعينه، أو عدة مجتمعات معينة. أما مصطلح الجائحة (**pandemic**) فيتعلق بالانتشار الجغرافي، ويستخدم في وصف المرض الذي يصيب بلداناً أو قارات أو العالم بأسره فهو أمر أكبر وأعلى من الوباء؛ لأنه مرتبط بانتشار جغرافي واسع^(١).

ومما سبق يتضح لنا أن مصطلح الجائحة أكبر وأعم من مصطلح الوباء، إذ إن الجائحة انتشارها يكون في رقعة جغرافية أوسع من الوباء.

مصطلح كورونا (**corona viruses**):

تُعد تسمية فيروس كورونا هي الأكثر في اللغة العربية، ولكن توجد تسميات عديدة أكثر دقة في الوصف، إذ إن أبرز أسمائه المعروفة هي: الفيروس التاجي، فيروس الهالة، أو الفيروس المكللة أو الفيروس المكلل، الحمى التاجية المكللة^(٢). وتعرفه منظمة الصحة العالمية بأنه: سلالة واسعة من الفيروسات التي قد تسبب المرض للحيوان والإنسان. وتسبب لدى البشر خاصة أمراضاً تنفسية تتراوح حدتها من نزلات البرد الشائعة إلى الأمراض الأشد وخامة، مثل متلازمة الشرق الأوسط التنفسية (ميرس)، والمتلازمة التنفسية الحادة الوخيمة (سارس). ويسبب فيروس كوفيد-١٩^(٣).

وفيروسات كورونا هي من الفايروسات التي تُسبب أمراضاً للثدييات والطيور. يُسبب الفيروس في البشر عدوى يصيب الجهاز التنفسي، وكورونا الجديدة (٢٠٢٠-٢٠١٩). واشتق اسم فيروسات كورونا (**corona viruses**)، أو فيروس كورونا، من

(١) موقع ساسة - <http://www.sasapost.com/corona-pandemic-and-other-terms>.

(٢) يوسف جني: أحمد شفيق الخطيب (٢٠٠٨م): قاموس جني الطبي للجيب، بيروت، مكتبة لبنان، ص ١٠٢.

(٣) موقع منظمة الصحة العالمية <http://www.who.int> (بتصرف).

معجم سياقي لألفاظ ومصطلحات جائحة كورونا للناطقين بغير العربية، د. عادل منسي العنزي

اللاتينية **corona**، ومختصرة COV، ويعني التاج أو الهالة، إذ يشير الاسم إلى المظهر المميز لجزيئات الفيروس، الذي يظهر عبر المجهر الإلكتروني على شكل تاج الملك أو الهالة الشمسية^(١).

يتبين لنا مما سبق أن كلمة (كورونا) هي كلمة للسلالة التي تصيب الجهاز التنفسي، وقد تطورت هذه السلالة في ديسمبر ٢٠١٩م ليطلق عليها اسم (كوفيد-١٩)، وهو اسم المرض الناجم عن الإصابة بفيروس كورونا الجديد، وهو الاسم العلمي والرسمي الذي يستخدمه الخبراء كما حددته منظمة الصحة العالمية.

(١) ، Perlman S، Holmes KV، Gorbalenya AE، Enjuanes L، Baric R،Barker SC
Ziebuhr J (2011). "Family ، Woo PC، Talbot PJ، Rottier PJ،Poon L
EB Carstens. Ninth ، MJ Adams، E Lefkowitz،Coronaviridae". In AMQ King
Report of the Inter

المبحث الثاني: جائحة كورونا والتجديد اللغوي

لقد أنتجت جائحة كورونا بعض المصطلحات الجديدة وغير المستخدمة في بداية ظهور جائحة كورونا التي أصبحنا نسمعها من خلال لغة الخطاب اليومي والأخبار ووسائل التواصل الاجتماعي والإعلام والقرارات الحكومية، فبتنا نسمع كلمات مثل التباعد الاجتماعي، والعزل الصحي، والحظر، الجائحة، وغيرها من الكلمات التي لم تكن مستخدمة أو متداولة، وتتكون هذه المصطلحات من إرشادات وقائية وطبية صادرة عن الحكومة ووزارات الصحة حول تدابير الوقاية والسلامة خلال فترة انتشار الجائحة وبعدها. الأمر الذي دعا إلى جمع هذه الألفاظ والمصطلحات ووضعها في معاجم خاصة.

إن جائحة كورونا كانت وما زالت بمثابة تجربة رائعة للمعجميين، شهدوا ويشهدون خلالها ارتفاعاً ضخماً في تداول كلمة واحدة خلال فترة زمنية قصيرة، بل وسيطرة هذه الكلمة على لغة الخطاب العالمي متجاوزةً اختلاف اللغات واللهجات والأعراق والأديان! إنها كلمة "كورونا Corona"، تلك التي فرضتها على الألسنة والأقلام جائحة فيروس "كوفيد-19" منذ منتصف ديسمبر ٢٠١٩ تقريباً وحتى يومنا هذا. ليس ذلك فحسب، فقد ساهمت هذه الكلمة في شيوع مفردات جديدة متنوعة في لغات الناس (النظامية وغير النظامية)، منها مصطلحات متخصصة من علم الأوبئة والعلوم الطبية، وكذلك اختصارات جديدة لم تُعرف من قبل، وكلمات للتعبير عن الضرورات المجتمعية لمواجهة المرض^(١).

إن أزمة الوباء كشفت لنا عن "معجم وبائي مستجد" في اللغة العربية، معجم "شبه اتفاقي: بين المتكلمين والباحثين والدارسين للغة العربية، توطأ انتشاره مع

(1) Paton, B., 2020. *Social Change and Linguistic Change: The Language of Covid-19*. [Online] Oxford English Dictionary. Available at: <https://public.oed.com/blog/the-language-of-covid-19/> [Accessed 5 June 2020].

معجم سياقي لألفاظ ومصطلحات جائحة كورونا للناطقين بغير العربية، د. عادل منسي العنزي

انتشار الوباء في انسجام وتوافق، لا يحس فيه المتكلم ولا المستمع اللغوي بأي خلل في الفهم أو الإفهام، ولا يجد صعوبة 'لغوية' في الكتابة أو التبليغ أو التواصل مع المخاطبين عبر قنوات الاتصال المختلفة باللسان العربي. (١).

(١) أبو الفضل عبدالرحيم أنكيس (٢٠٢١م): لغة التداول في وباء كورونا: دراسة في التحول الدلالي وآليات التوظيف، المجلة الدولية لدراسات اللغة العربية وآدابها، مج ٣، ع ١٤.

المبحث الثالث: مفهوم المعجم

المعجم لغة: تقول: هذا رجل أعجمي إذا كان لا يفصح ويقول أبو عمرو الشيباني: أعجمت أجمت، وقال: والعجمي مبهم الكلام لا يتبين كلامه. وأعجم الكتاب وعجمه: نقطه؛ قال ابن جني أعجمت الكتاب أزلت استعجامة. وقال ابن سيده: وهو عنده على السلب لأن أفعلت وإن كان أصلها الإثبات فقد تجيء للسلب، كقولهم أشكيت زيدا أي زلث له عمًا يشكو، وكل من لم يفصح بشيء فقد أعجمه. واستعجم عليه الكلام: استبهم^(١).

العجم: بالضم والتحريك خلاف العرب رجل وقوم أعجم. والأعجم من لا يفصح في كلامه وأعجم فلان الكلام: ذهب به إلى العجمة، وأعجم الكتاب: نقطه^(٢).

المعجم اصطلاحاً: يذكر أحمد مختار عمر أنّ اللغويين يعرفون المعجم بأنه: " كتاب يضم بين دفتيه مفردات لغة ما ومعانيها واستعمالاتها في التراكيب المختلفة، وكيفية نطقها، وكتابتها مع ترتيب هذه المفردات بصورة من صور الترتيب التي غالباً ما تكون الترتيب الهجائي"^(٣).

مما سبق ذكره من تعريفات نستنتج أن لفظة عجم تعني عدم الافصاح والابهام والغموض وبإضافة همزة السلب أصبحت معناها الإبانة وإزالة الغموض والابهام. أما المعجم اصطلاحاً فهو عبارة عن كتاب يحتوي على مجموعة من المفردات المشروحة وفق ترتيب معين من أجل إزالة الغموض عنها.

(١) ابن منظور: لسان العرب، تح: أحمد عامر حيدر، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط ١

٢٠٠٣م، ج ١٢، (مادة عجم)، ص: ٤٤٨/٤٥٢

(٢) الفيروز آبادي، (١٩٩٧م): القاموس المحيط، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط ١،

ج ٢، ص: ١٤٩٥

(٣) أحمد مختار عمر، (٢٠٠٣م): البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر،

دار عالم الكتب - القاهرة، ط ٨، ص: ١٦٢

المبحث الرابع: أنواع المعاجم

هناك مجموعة من المعاجم المختلفة والمتعددة من حيث الترتيب والغرض والوظيفة، فهي متنوعة ومختلفة باختلاف وظائفها والمادة المجموعة فيها، والهدف الذي ألفت من أجله، ومن هذه الأنواع:

(١) **معاجم الألفاظ:** ويطلق عليها المعاجم المجنسة، وهي المعاجم التي يتم فيها ذكر المفردة مع ذكر جميع مستوياتها اللغوية. "معجم الألفاظ هو المعجم الذي يهتم بوضع الكلمة صوتياً وصرفياً نحوياً ودلالياً وأسلوبياً في سياق معين"^(١).
ويطلق عليها أيضاً المعاجم المرتبة، ويبدو أن فكرة هذا النوع من المعاجم سابقة بكثير للمعاجم المرتبة على الألفاظ^(٢)، ومن أمثلتها (لسان العرب، والعين، والقاموس المحيط، والمعجم الوسيط، والجمهرة). وتقوم معاجم الألفاظ على ثلاث أسس هي:

- النظام الذي رتب عليه المفردة
- حصر مشتقات المفردة
- عدد أحرف المفردة

(٢) **معاجم المعاني:** وهي المعاجم التي تحتوي على مجموعة من المعاني مع ذكر الكلمات التي تعبر عن ذلك المعنى. "معجم المعاني هو المعجم الذي يهتم بالشيء أو الموضوع الذي يعبر عنه بكلمة أو بكلمات، وهذه الكلمات يتم رصدها من الواقع اللغوي"^(٣).

ومن أمثلة ذلك (الغريب المصنف لأبي عبيدة القاسم والمخصص لابن سيده)، هذه بعض معاجم المعاني التي نرجع إليها في الدراسة المعجمية لأنها تحتوي على الطريقة التي سار عليها القدماء في تأليف هذا النوع من المعاجم.

(١) أحمد مختار عمر، صناعة المعجم الحديث، عالم الكتب للنشر والتوزيع والطباعة - مصر، ط١، ١٩٩٨م، بنظر ص: ٣٥ وما بعدها.

(٢) أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، عالم الكتب، ط٩، القاهرة، ١٩٩٩م. ص ٢٨٨.

(٣) حازم علي كمال الدين، دراسة في علم المعاجم، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ١٩٩٩، ص ٥٠.

(٣) المعاجم العامة والخاصة:

(أ) المعاجم العامة: هي تلك المعاجم التي تُعنى برصد كل ما يمكن رصده وجمعه من مفردات اللغة ويتميز هذا النوع من المعاجم بصفة التوسع وكبر حجمه، " فيشمل كل ما يمكن جمعه من مواد اللغة، فديمها وحديثها من المستعمل أو المهمل. وقد يتناول المعارف بأنواعها دون حدود..."^(١). ومن المعاجم العامة:

— المعجم اللغوي: ويعرف بمعجم الكلمات^(٢)، ويتميز بالتوسعية؛ لأنه يهدف إلى استيعاب جميع مفردات اللغة التي يحتاج إليها المستعمل. ومن أمثلتها: المعجم الصرفي، والمعجم النحوي، والمعجم الدلالي، والمعجم السياقي، ومعجم الأمثال، ومعجم المصطلحات والتعابير.

— المعجم الموسوعي: يتسم هذا النوع من المؤلفات بخصائص المعجم لكونه يعالج الكلمات، وخصائص الموسوعة؛ لأنه يتضمن معلومات مستفيضة في موضوعات الفنون والعلوم والآداب والترجمة^(٣).

(ب) المعاجم الخاصة: هذا النوع من المعاجم يقوم بمعالجة جزء من مفردات ميدان محدد ومعين كالطب أو الهندسة... الخ. " وهي معاجم انتقائية محدودة لمعالجة جزء من المفردات، أو الموضوعات من ميدان ما..."^(٤). ومن أمثلة المعاجم الخاصة كما يذكر أحمد مختار " معاجم المترادفات، أو المتضادات أو الكلمات الأجنبية المعربة، أو معاجم التصريف الاشتقائي، أو معاجم التعبيرات السياقية، أو معاجم النطق، أو معاجم الهجاء، أو المعاجم المتعلقة بشخص معين أو نص معين أو مجموعة معينة من الأشخاص أو النصوص، أو معاجم اللهجات، أو معاجم

(١) ابن حويلي الأخضر ميدني، (٢٠١٠م): المعجمية العربية في ضوء مناهج البحث اللساني والنظريات التربوية الحديثة، دار هومه - الجزائر، ط ١، ص: ٩٣.

(٢) فتح الله سليمان، (٢٠٠٨م): دراسات في علم اللغة، دار الآفاق العربية، القاهرة، ص ١٦٥.

(٣) ابن حويلي الأخضر، (٢٠١٠م): المعجمية العربية، دار هومه، الجزائر، ص ٩٩-١٠٠.

(٤) المرجع السابق، ص ١٠٣.

معجم سياقي لألفاظ ومصطلحات جائحة كورونا للناطقين بغير العربية، د. عادل منسي العنزي

مصطلحات العلوم والفنون" (١).

(٤) المعاجم الأحادية والثنائية والمتعددة اللغة: في المعجم أحادي اللغة يتم استخدام لغة واحدة لشرح وتعريف الكلمة وتعريف مصدرها واشتقاقاتها، أما المعجم الثنائي والمتعدد يتم استخدام لغتين أو أكثر وتعرف بمعاجم الترجمة حيث يتم شرح اللغة الأجنبية بما يعادله في المعنى، والهدف من تلك المعاجم هو تسهيل معرفة الكلمات كتابة وتحدثا.

(١) أحمد مختار عمر، (١٩٩٨م): صناعة المعجم الحديث، عالم الكتب، ص ٣٩-٤٠.

المبحث الخامس: أسس صناعة المعجم

يحتاج المعجمي إلى رسم خطة عمل يسير وفقها أثناء إعداد المعجم وتتمثل هذه الخطة في القيام بمجموعة من الأسس، ونظراً للخصوصية التي يتميز بها المعجم السياقي عن باقي المعاجم كونه مختصاً بمصطلحات وألفاظ جائحة كورونا الأمر الذي يجعله على قدر من الصعوبة إذا ما قارناه بالمعاجم الخاصة الأخرى.

ويذكر علي القاسمي أنّ الصناعة المعجمية تشمل خمس خطوات أساسية هي؛ جمع المعلومات والحقائق، واختيار المداخل، وترتيبها طبقاً لنظام معين، وكتابة المواد، ثم نشر النتائج النهائية. وعليه تقوم الصناعة المعجمية على الأسس التالية^(١).

١- جمع المعلومات والحقائق: وهي مرحلة أولية في صناعة المعجم، وتضم الألفاظ ومشتقاتها ودلالاتها واستعمالاتها وسماتها النحوية والصوتية. ويمكن الاستفادة من المدونات في تحقيق هذا الغرض.

٢- اختيار الوحدات المعجمية: أي اختيار الوحدات المعجمية التي يبني عليها المعجم المقصود، ويؤثر في هذا الاختيار جملة من العوامل منها، منها ما سبق اتخاذه من قرارات عن نموذج المعجم والهدف من تأليفه، ومنها حجم المعجم المقترح؛ فمعجم كبير أو متوسط لا يصح أن يهمل ذكر التنوعات العامية للغة، ومعجم كبير أو متوسط يجب أن يهتم بمصطلحات العلوم والفنون، وأن يذكر منها ما يشيع في اللغة العامة، ومعجم كبير أو متوسط لا بد أن يعطي إشارات لأسماء الأماكن ذات الأهمية الخاصة، وأعلام الأشخاص إذا اشتهرت، أو حملت معنى عاماً، أو كان لاشتقاقها أهمية خاصة.

٣- ترتيب المداخل وفق نظام معين: يعتبر المنهج الذي يسلكه المعجمي في ترتيب مواد معجمه، ومن ثم ترتيب الأصول، والمشتقات التي تمثل مداخله الفرعية،

(١) علي القاسمي (١٩٩١م): علم اللغة وصناعة المعجم، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك

سعود، ص ٣. بتصرف.

معجم سياقي لألفاظ ومصطلحات جائحة كورونا للناطقين بغير العربية، د. عادل منسي العنزي

ويهدف إلى تيسير البحث وعتور الباحث على مبتغاه في وقت قصير^(١). إن ترتيب المداخل يعتبر أساس بناء المعجم في ترتيب المداخل المعجمية، ويشمل الترتيب الأصول وفق الترتيب الصوتي، ونظام الترتيب الهجائي بحسب أوائل الأصول، أو تقديم المادة المعجمية وفق الألفاظ أو المعاني أو نظام الأفعال أو غير ذلك. ويشمل هذا الأساس كذلك الكيفية التي قد تُعتمد في تقديم مشتقات الأصول بحسب صيغها الصرفية ودلالاتها، وطرق الشرح والاستشهاد وغير ذلك.

٤- كتابة المواد: ويقصد بها تحديد جميع المعطيات اللازمة؛ وذلك لتوضيح معنى الكلمة، كما أنه يشتمل المعطيات الصوتية، والصرفية، والنحوية، والدلالية^(٢). أي تدوين المعارف المعجمية الخاصة بكل مدخل معجمي أو جذر محدد، وتقديم جميع المعلومات التي تخص اللفظة المعينة ببيان خصائصها الصوتية، ودلالاته بحسب سياقاتها، وأوجه استعمالها الأصلية.

٥- نشر النتائج النهائية: ويتخصص هذا الأساس بالجانب الشكلي والخصائص الفنية التي يتجلى من خلالها المعجم؛ من حيث صفحاته ونظام الأعمدة، ونظام الترميز، وأشكال بدء الكلمات ونهايتها، وطريقة استعمال الأرقام والأقواس والمعكوفتين والنجوم المميزة ومختلف العلامات المميزة، وكتابة الشواهد، واختيار الصور ووضعها في المكان المناسب، وكل ما يسهم في إخراج النسخة النهائية للمعجم وطبعها ومراجعتها وتصحيحها حتى يصبح المعجم جاهزاً، ويمكن تقديمه للقارئ.

ومما يسبق يتبين لنا أن أسس بناء معجم يحتاج إلى جمع الألفاظ ومشتقاتها ودلالاتها واستعمالها وسماتها النحوية والصوتية، واختيار المداخل المناسبة لها، وترتيبها وفق نظام معين، ومن ثم جمع المعارف المعجمية الخاصة بكل مدخل، وإخراجه في شكله النهائي من حيث عدد صفحاته، ونظام الترميز، وأشكال بدء الكلمات ونهايتها، وكتابة الشواهد ... الخ.

(١) العرجا، جهاد، ودلول، إيمان، (٢٠١٥م): فن صناعة المعجمية بين القديم والحديث، ص ٧.

(٢) علي، نبيل (١٩٨٨): اللغة العربية والحاسوب "دراسة بحثية: مصر، دار التعريب، ص ٢٣.

ثانياً: الدراسات السابقة

قسم الباحث الدراسات السابقة إلى محورين:

المحور الأول: الدراسات التي عيّنت بجمع ألفاظ جائحة كورونا:

معجم محمد أحمد فواعرة (٢٠٢١م):

بعنوان "جائحة كورونا معجم المصطلحات والتعابير الاصطلاحية" يجمع هذا المعجم بين دفتيه المصطلحات والتعابير الاصطلاحية المستعملة والمتداولة بين أفراد المجتمعات العالمية المتعددة خلال فترة انتشار كورونا (كوفيد - ١٩) ويبيّن ماهيتها ودلالاتها مرتبة ترتيباً ألفبائياً.

معجم منظمة "ألكسو" (٢٠٢٠م):

معجم مصطلحات كوفيد ١٩ (إنجليزي - فرنسي - عربي)، صدر المعجم عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وجهازها المختص مكتب تنسيق التعريب، ويهدف المعجم إلى:

- الإسهام في توحيد المصطلح المتعلق بفيروس كورونا على المستوى العربي.
- رصد أبرز المصطلحات المتعلقة بفيروس كورونا ومرض كوفيد-١٩ من المقالات العلمية، والمواقع المتخصصة، والمجلات الطبية، وتصنيفها وفق المنهجية المعتمدة في وضع المعاجم الموحدة؛ ف جاء المصطلح العربي مع مقابلاته الإنجليزية والفرنسية مشفوعاً بشرح مقتضب للمعنى.
- وضع معجم مُتخصّص بين يدي المهتمين بالمجال الصحي والوبائي يمكنهم من استعمال أداة مصطلحية مُوحّدة.

المحور الثاني: معجمات عيّنت بالسياقات اللغوية

معجم عبدالرحمن الهرساني، (٢٠١٧م):

بعنوان "معجم سياقي لألفاظ الطعام في العربية المعاصرة للناطقين بغير العربية،

معجم سياقي لألفاظ ومصطلحات جائحة كورونا للناطقين بغير العربية، د. عادل منسي العنزي

تتألف مداخل المعجم من أَلِفاظ الطعام مع استعمالها السياقية، واحتوى المعجم على (١٩٢) مدخلا، وكان للسياق دور في تحديد المعنى، وأفاد الباحث من نظريتي الحقل الدلالية والسياق في كشف الفجوات المعجمية وصياغة التعريفات، وتحديد معاني الكلمات واستعمالاتها.

معجم رابع العوفي، (٢٠١٩م):

بعنوان "معجم سياقي لألِفاظ القرابة في العربية المعاصرة للناطقين بغير العربية"، تتألف مداخل المعجم من أَلِفاظ القرابة واستعمالها السياقية، واحتوى المعجم على (١١٩) مدخلا، وكان للسياق دور في تحديد المعنى، وأفاد الباحث من نظريتي الحقل الدلالية والسياق في كشف الفجوات المعجمية وصياغة التعريفات، وتحديد معاني الكلمات واستعمالاتها.

معجم عثمان النجران، وعبدالعزیز صديق، (٢٠١٧):

بعنوان "معجم سياقي للمفردات الواردة في سلسلة كتاب دروس تعليم اللغة العربية بمعهد تعليم اللغة العربية بالجامعة الإسلامية"، احتوى المعجم على جميع المفردات التي وردت في سلسلة كتاب دروس تعليم اللغة العربية بمعهد تعليم اللغة العربية، وتقديمها في سياقات مختلفة من أجل إكساب الطلاب ثروة لغوية تساعدهم في فهم المادة المقررة.

الموازنة بين البحث الحالي والدراسات السابقة:

يتفق البحث الحالي مع الدراسات التي عنيت بجمع أَلِفاظ جائحة كورونا في اتباع المنهج الوصفي التحليلي، ويتفق مع نوع المعجمات المختصة، وكذلك في الترتيب الألفبائي.

ويتفق البحث الحالي مع معجم الهرساني، والعوفي، والنجران وسليمان في نوع المعجمات السياقية التي تهتم بشرح الأَلِفاظ والمصطلحات من خلال السياق، وكذلك

الاعتماد في جمع المادة اللغوية وتعريف معانيها على المعجمات العربية الحديثة. ويختلف البحث الحالي والدراسات السابقة في كونه معجماً سياقياً يختص بألفاظ ومصطلحات جائحة كورونا، وكذلك في عدد المداخل، إضافة إلى اعتماده نظرية الحقول الدلالية، واعتماده على بعض الصحف العربية والمدونة اللغوية العربية لمدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية.

الفصل الثالث: الإطار العملي (بناء المعجم السياقي)

المبحث الأول: مقدمة المعجم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فهذا معجم سياقي لألفاظ ومصطلحات جائحة كورونا للناطقين بغير العربية، يأتي هذا المعجم لأجل تنمية الثقافة اللغوية للناطقين بغير العربية، وتوحيد ألفاظ ومصطلحات هذا الجائحة باللغة بالعربية؛ ليكون بمثابة مرجع للأطباء والأكاديميين وطلاب الجامعات، ومن هنا يأتي دور هذا المعجم السياقي الذي يُعنى باختيار الألفاظ والمصطلحات التي تحيط بكل ما يتعلق بجائحة كورونا من مصطلحات طبية اجتماعية ووقائية واقتصادية.

تألف مداخل هذا المعجم من ألفاظ ومصطلحات جائحة كورونا، وهي مجموعة الكلمات الرئيسية، والتي كتبت بالخط الأحمر العريض، وقد تم تفسيرها من خلال السياق اللغوي بعد بيان ألفاظها لغوياً واصطلاحياً.

ويكشف هذا المعجم واقع اللغة المستعملة، من خلال اعتماده على سياقات ألفاظ ومصطلحات الجائحة الواردة في بعض الصحف العربية، وفي المدونة اللغوية العربية لمدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية، والتي تعتبر من المدونات الحديثة العامة التي تسعى لإعطاء المستخدمين صورة كاملة عن اللغة، من خلال اشتغالها على مقالات واخبار وصحف.

منهج الجمع:

جمع الباحث مادة المعجم (ألفاظ ومصطلحات جائحة كورونا) من معجم منظمة "ألكسو" (٢٠٢٠م) والصادر عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وجهازها المختص مكتب تنسيق التعريب بالرباط تحت عنوان "معجم مصطلحات كوفيد-١٩"، ساهم في إنجاز هذا المعجم مدير المكتب عبدالفتاح الحجمري،

وآخرون، وذلك بغية توحيد المصطلحات المتعلقة بفيروس كورونا المستجد على المستوى العربي.

ويعتبر هذا المعجم من أهم المصادر التي درست ألفاظ جائحة كورونا دراسة علمية - على حد علم الباحث -؛ لذا استعان الباحث بهذا المعجم في جمع مادة هذا المعجم السياقي.

وقام الباحث كذلك بجمع السياقات الطبية والاجتماعية والوقائية التي تتعلق بالجائحة من بعض الصحف العربية، ومن المدونة اللغوية العربية لمدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية إضافة بعض المعاجم الحديثة: كمعجم الوسيط، ومعجم المعاني، ومعجم اللغة العربية المعاصرة، والمعجم الغني، وبعض المعاجم العربية القديمة؛ وذلك عند الحاجة لإتمام النقص في المدونة.

منهج الوضع:

(١) الترتيب:

رتبت ألفاظ ومصطلحات الجائحة ألفبائياً داخل الحقل الدلالي دون ردها إلى أصولها الجذرية؛ مراعاة لإخراجه كمعجم مبسط يستهدف غير الناطقين باللغة العربية، وكذلك الأطباء والأكاديميين والصحفيين وغيرهم من الذين لهم مجال في الحقل الطبي.

(٢) التعريف:

ركّز الباحث في تعريف ألفاظ ومصطلحات الجائحة على المعلومات الأساسية؛ حيث قام بذكر اللفظ أو المصطلح باللغتين العربية والانجليزية مضبوطاً بالشكل مع تعميقة وتلوينه بالأحمر، ثم حدد اللفظ من حيث العدد (الأفراد الجمع) ثم عرف باللفظ تعريفاً لغوياً موجزاً، مع تعريفه اصطلاحياً معتمداً على معجم "الكسو" في التعريف بالمصطلح، مع الاستعانة ببعض المعاجم اللغوية.

(٣) الشواهد التوضيحية:

يأتي بعد التعريف باللفظ والمصطلح ذكر الشواهد السياقية من بعض الصحف العربية ومن المدونة اللغوية العربية لمدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية

معجم سياقي لألفاظ ومصطلحات جائحة كورونا للناطقين بغير العربية، د. عادل منسي العنزي

وبعض المعاجم الحديثة إن وجدت، وتكمن أهمية الشواهد في ايضاحها للمعنى، وتمثيلها للثقافة العربية.

(٤) المداخل:

تم وضع المصطلحات في أربعة حقول دلالية مع مراعاة الترتيب الألفبائي، وقد تنوعت الحقول الدلالية ما بين طبية واجتماعية واقتصادية، وقد أخذت السياقات اللغوية شكلاً واحداً، فتذكر السياقات اللغوية على حسب ورود اللفظ أو المصطلح. تذكر السياقات اللغوية لألفاظ كورونا على حسب معانيها داخل الحقل فقط دون مراعاة معانيها الأخرى مثل كلمة (احتواء) والتي من معانيها (الضم والحصر والاشتمال) فتذكر ضمن الحقل الطبي فقط ك (احتواء الجائحة)، دون مراعاة الحقول الدلالية الأخرى.

أما المركب بنوعيه (الوصفي والاضائي) فتذكر سياقاته اللغوية على حالها دون النظر إلى مفردته؛ وذلك تفادياً للحشو وعدم تشتيت ذهن القارئ كونه معجماً مختصاً يستهدف فئة محددة.

وقد حرص الباحث أن تكون السياقات طبيعية وموجزة قدر الإمكان، وأن يوردها كما جاءت في موضعها.

(٥) المعالجة:

تمثل منهج المعجم في معالجة المداخل الرئيسة لألفاظ ومصطلحات الجائحة فإن وجد لها استعمال في الصحف والمدونة أدرجت في المعجم وإلا أهملت، باستثناء بعض الألفاظ التي وردت في معاجم أخرى.

رموز المعجم:

الرمز	دلالتة
	لفظ الجائحة في أول المدخل
○	للتعريف الاصطلاحي.
	الشاهد/ المعنى السياقي
(ج)	ليان الجمع
(مف)	ليان المفرد
[]	للدلالة على الموضوع

رموز مصادر السياقات للفظ الجائحة في المدونة، وبعض المعجمات

الحديثة:

المصدر	رمزه	المصدر	رمزه
معجم منظمة ألكسو	[ألكسو]	صحيفة عكاظ	[عكاظ]
معجم المعاني الجامع	[المعاني]	صحيفة الاتحاد	[الاتحاد]
معجم لسان العرب	[اللسان]	صحيفة الرياض	[الرياض]
معجم اللغة العربية المعاصرة	[المعاصرة]	صحيفة الوطن	[الوطن]
معجم الغني الزاهر	[الغني]	صحيفة مكة	[مكة]
المعجم الوسيط	[الوسيط]	صحيفة الشرق الأوسط	[الأوسط]
معجم القاموس المحيط	[القاموس]	المدونة اللغوية العربية لمدينة الملك عبدالعزیز للعلوم والتقنية.	[مدونة]
معجم الرائد	[الرائد]	صحيفة المدينة	[المدينة]

الحقول الدلالية لألفاظ ومصطلحات الجائحة

م	الحقل	المصطلحات
١	حقل مصطلحات لفظ (الجائحة)	بؤرة - جائحة - فيروس كورونا - كوفيد-١٩ - مرض مُعدّي - الوباء.
٢	حقل المصطلحات الطبية	أجسام مُضادة - اختبار مَصليّ - احتِناقُ تنفسي - أعراضُ أولية - التعقيم - التنفّس الاصطناعي - جهازُ المناعة - دراسة وبائية - سترة واقية - سُعال جاف - سُلالة مُتحوّرة - ضيقُ التنفّس - فِترة الحضانة - فُحص كورونا - قناع - لِقاح - مَسحة - مُعقّم - مَناعة - نتيجة إيجابية - نَتيجة سلبية.
٣	حقل المصطلحات الاجتماعية	تَباعد اجتماعي - تَفشي - حَجْرٌ صِحّيّ - حَجْرٌ مَنْزليّ - حَظْرُ التَّجول - رُفْعُ الحَظْر - ضربة القبضة - عَزْلٌ ذاتي - عَزْلٌ مَنْزليّ - قطرات الرّذاذ - فُقّازات - كِمامة - مُحالطة - مُعدّلات الإصابة.
٤	حقل المصطلحات الاقتصادية	احتواء - إغلاق الحدود - تدابير الطوارئ - التّعليم عن بُعد - تقييدُ السّفر - حالة الطوارئ - دراسة عن بُعد - مَناعةُ القَطيع - منطقتُ مؤبوءة.

المبحث الثاني: متن البحث

الحقول الدلالية لألفاظ ومصطلحات جائحة كورونا:

1- الحقل الدلالي لمصطلح (الجائحة):

1.1 البؤرة؛ focus:

○ **البؤرة (مف):** هي الحفرة التي توقد فيها النار [العين]. وقد تطور مصطلح (البؤرة) إلى دلالة جديدة ليصبح بمعنى مركز أي نقطة تجمع (أصبح النادي بؤرة فساد: منبع. وكر). [المعاصرة] مما سبق نجد أن لفظة (بؤرة) توسعت دلاليًا لتصبح معناها مركز الوباء أو نقطة انطلاق وتفشي الوباء.

الشاهد/ السياق اللغوي:

✦ "أعلنت السلطات الصينية السبت، أنها رصدت بؤراً وبائية جديدة لفيروس كورونا في منطقتين إضافيتين". [الوطن]

2.1 الجائحة؛ pandemic:

○ **الجائحة (مف):** الشدة والنازلة العظيمة التي تجتاح المال من سنة أو فتنة. [اللسان]

جائحة (ج) جائحات وجوائح. أصابته جائحة: بليّة، مَهْلِكَةٌ، دَاهِيَةٌ. سنة جائحة: جَدْبَةٌ، غِرَاءٌ، قاحلة. [المعاني] ونلاحظ هنا أن لفظ جائحة لم تتغير في المعجمية العربية ولكن مع بداية ظهور جائحة كورونا نجد لفظ (الجائحة) حصل لها تضيق للمعنى ليتغير معناها من المصيبة أو الأفة إلى مرض كورونا.

الشاهد/ السياق اللغوي:

✦ " أفاد وزير الصحة الكويتي الدكتور خالد السعيد، اليوم الاثنين، بأن بلاده تمر بموجة عالية غير مسبوقه من جائحة كورونا ". [الاتحاد]

معجم سياقي لألفاظ ومصطلحات جائحة كورونا للناطقين بغير العربية، د. عادل منسي العنزي

✦ " تسطر المملكة اليوم إنجازاً جديداً ويوماً تاريخياً ضمن جهودها في السيطرة جائحة كورونا ". [الرياض]

3.1 فيروس كورونا؛ Corona Virus

✦ **الفيروس (مف):** كائنات دقيقة لا تُرى بالمجهر العادي. [المعاني]

○ **فيروسات كورونا:** هي مجموعة من الفيروسات التي تسبب أمراضاً للثدييات والطيور. يسبب الفيروس في البشر عدوى تصيب الجهاز التنفسي. واشتق اسم فيروس كورونا Corona Virus من اللاتينية Corona ومختصره cov ويعني التاج أو الهالة، الذي يظهر على المجهر الإلكتروني على شكل تاج الملك أو الهالة الشمسية. (p806, Barker et al).

مما سبق يتبين لنا أن مصطلح فيروس كورونا يعد من الاقتراض اللغوي أو التبادل اللغوي الذي يعد ضرورياً لتنمية ألفاظ اللغة وتطويرها لتواكب المستجدات التي تحدث في العالم.

الشاهد/ السياق اللغوي:

✦ "بلغت مخالفات الإجراءات الاحترازية والتدابير الوقائية من فيروس كورونا (COVID-19) (٨٩٥٥) مخالفة". [الوطن]

✦ "أحدث التقارير الخاصة بتطورات انتشار فيروس كورونا والجهود المبذولة لمكافحته". [الأوسط]

4.1 كوفيد-١٩؛ (COVID-19):

✦ **كوفيد-١٩:** اسم أطلقته منظمة الصحة العالمية على المرض الذي يسببه فيروس كورونا المستجد. [ألكسو].

ويشير مصطلح (كوفيد-١٩) إلى الاسم العلمي والرسمي الذي يستخدمه الخبراء كما حددته وزارة الصحة العالمية، ويعتبر أيضاً من الاقتراض اللغوي الذي يعتبر من الوسائل الهامة وشبه الضرورية في كل اللغات لتنمية ألفاظها.

الشاهد/ السياق اللغوي:

✦ "وقد طور البروفيسور هيني لهذا الغرض تكنولوجيا خاصة، تجعل اللقاح قادراً على التنبؤ بالتحورات الوراثية المحتملة في سلالات فيروس كوفيد-١٩".
[عكاظ]

✦ "أعلنت السلطات الصحية الأمريكية الاثنين أنها خفّضت فترة الحجر الصحي للمصابين بكوفيد-١٩ الذين لا تظهر عليهم أعراض المرض".
[الوطن]

4.1 الوباء؛ Epidemic:

✦ **وباء (مف):** مصدر وبؤ ووبىء. كل مرض عام، كالجدري والكوليرا وغيرهما، (ج) أوبئة. [المعاصرة]

○ **الوباء:** هو انتشار مرض على مساحة واسعة، وخلال زمن قصير، مع إصابة عدد كبير بالعدوى. [الكسو]

من خلال ما سبق نجد أن دلالة (وباء) عامة لكل مرض، ولكن مع ظهور هذه الجائحة نجد أنها خرجت من معناها العام إلى تضيق الدلالة وهو ما يسمى بتخصيص الدلالة، فأصبحت كلمة (الوباء) تطلق جائحة كورونا.

الشاهد/ السياق اللغوي:

✦ " جهود متواصلة في مجال مكافحة الوباء ". [الاتحاد]

✦ " مع بداية الوباء، أدركنا أننا أمام فيروس مختلف، وبالتالي تم استبعاد فرصة توقف انتشار الفيروس من دون لقاح ". [الأوسط]

2- حقل المصطلحات الطبية:

1.2 أجسام مُضادة؛ Antibodies:

✦ **أجسام (ج):** (مف) جسم. الجسم: الجسد. والجِسم كُل ما له طول وعرض وعمق. والجِسم كُل شخص يُدرك من الإنسان والحيوان والنبات. وقد عرّفه الجرجاني: بأنّه جوهر قابل للأبعاد الثلاثة: الطول، والعرض، والعمق. والجمع أجسام، وجُسوم. [الوسيط]

✚ **مضادة:** مصدر ضادّ. مُعَاكِس، مُقَاوِم. [المعاني]

- **الأجسام المضادة:** هي أجسام مضادة يتم إنتاجها فور تعرف الجهاز المناعي على جسم غريب، استجابة لرد فعل مناعي تجاه المستضدات. [ألكسو]
- الشاهد/ السياق اللغوي:

✚ " عاد موضوع البحث عن أجسام مضادة لتأكيد مناعة الأشخاص من الإصابة بفيروس كورونا ". [عكاظ].

✚ " إن باحثين بريطانيين حددوا مستوى حماية الأجسام المضادة اللازم للوقاية من أعراض كوفيد-١٩ ". [الاتحاد].

2.2 اختبار مَصْلِيّ؛ Serological test:

✚ **اختبار (مف):** مصدر إختَبَرَ. (ج) اختبارات لغير المصدر.

اختَبَرَ يَحْتَبِر، اختَبَارًا، فهو مُحْتَبِرٌ، اختَبِر الدَّوَاءَ جَرَّبَهُ، أخضعه للاختبار. [المعاصرة]

✚ **مَصْلٌ وَمَصَالَةٌ (مف):** ما سَالَ من الأَقِطِ إذا طُبِّخَ ثم عُصِرَ. مَصَلَ الجُرْحَ: سَالَ منه شيءٌ يَسِيرٌ. مُصَالَةٌ، وَمَصَالَةٌ: ما قَطَرَ من الحَبِّ. ماصِلٌ: القليل من العطاءِ واللِّينِ. [اللسان]

من خلال مما سبق نجد أن كلمة (مَصْلٌ) يدور معناها حول الجزء من الشيء، أو القطر منه، وقد حصل لها تضيق للدلالة من الشيء العام إلى الخاص لتصبح دلالاتها مختصة بالسائل الرقيق الذي ينفصل عن الدم.

✚ **المَصْلُ (مف):** مصل الدم: سائلٌ رقيقٌ أصفر، ينفصل من الدم عند تحنُّره. والمصلُ ما يتخذ من دم حيوان محصَّن من الإصابة بمرض كالجُدْرِيّ والدفتريا، ثم يُحقَّنُ به جسمٌ آخرٌ ليكسبه مناعة تقيه الإصابةً بذلك المرض. [الوسيط]

- **اختبار مَصْلِيّ:** اختبار يكشف وجود الأجسام المضادة لعامل معدي معين في عينة مصل الدم. [ألكسو]

الشاهد/ السياق اللغوي:

✦ " قاموا باختبار مصل الدم بحثًا عن الأجسام المضادة التي تنتجها سلالة الفيروس التاجي ". [سابق]

✦ "ويمكن إعادة الاختبار المصلي بعد ٣-٤ أسابيع من التعرض". [الرياض]

3.2 اختناق تنفسي؛ respiratory suffocation:

✦ **اختناق (مف):** (ج) اختناقات (لغير المصدر). مصدر اختنق. اختنق الشخص ضاق نَفْسُهُ، أو انكتم حتى مات، واجه صعوبةً في التنفس أو البلع أو الكلام. [المعاصرة]

✦ **تنفسي:** اسم منسوب إلى تنفس. أمراض تنفسية. أزمة تنفسية: (طب) توقّف فجائي يحدث في عملية التنفس. صعوبات تنفسية: (طب) ضيق في عملية التنفس بسبب الأدخنة أو الأتربة أو الغازات، أو ناتج عن ضيق في أحد أعضاء الجهاز التنفسي. [المعاني]

ونجد مع بداية جائحة كورونا كثر استخدام مصطلح (اختناق تنفسي، ضيق تنفسي) كمؤشر متأخر للإصابة بكوفيد-١٩، وكأن المصطلح قد حصل تخصيص دلالة، فأصبح ضيق التنفس مرتبط بعرض للإصابة بالمرض.

○ **اختناق تنفسي:** حالة نقص حاد في الإمداد بالأكسجين إلى الجسم، وتحدث عندما يكون شيء عالق في الحلق، ويسد مجرى الهواء إلى الرئتين. [الكسو]

الشاهد/ السياق اللغوي:

✦ "حضر الطفل لمركز التشخيص وهو بحالة اختناق تنفسي صعب بسبب انسداد القصبة الهوائية"

معجم سياقي لألفاظ ومصطلحات جائحة كورونا للناطقين بغير العربية، د. عادل منسي العنزي

✦ "وأبلغ معظم مرضى كورونا طویل الأمد عن أعراض تشمل التعب وضيق التنفس وألم الصدر". [الأوسط]

4.2 أعراض أولية؛ Initial symptoms:

✦ **أعراض (ج):** اسم: جمع عرض. أعراض: مظاهر المرض. [المعاني]
✦ **أولية:** (ج) أوليات. اسم مؤنث منسوب إلى أول. وهي صفة الشيء الذي يحتلّ المكان الأول بقوته أو قيمته أو خطورته العناية بالاقتصاد من الأمور. الأوليّة: مصدر صناعي من أول: ابتدائية. [المعاني]
○ **أعراض أولية:** علامة مبكرة لوجود مرض أو خلل لدى شخص ما. [الكسو]

الشاهد/ السياق اللغوي:

✦ "أما إذا لم تظهر عليه أعراض أولية فيتم أخذ الفحوصات الطبية اللازمة ويعطى بعض النصائح والإرشادات". [الرياض]
✦ "وتكون فترة الحضنة لهذا المرض من أسبوعين إلى ستة أسابيع وتكون الأعراض الأولية للمرض حرارة، تعب عام". [الرياض]

5.2 التعقيم؛ sterilization:

✦ **تعقيم:** (اسم)، المصدر: عَقَّمَ. عَقَّمَ يَعْقِمُ وَيَعْقِمُ، عَقَّمَ وَعَقَّمَ، فهو عاقم، والمفعول معقوم. (للمتعدي): عَقَمَتِ الْمَرْأَةُ/عَقَّمَ الرَّجُلُ كان بهما ما يحول دون الإنجاب. عقم الله المرأة: جعلها عقيمًا لا تنجب. [اللسان]
مما سبق نجد أن دلالة المصطلح مأخوذة من العقم، وتدور حول المنع والحجب، وقد حصل فيه تضيق للدلالة فالمنع والحجب عام وانتقل إلى الخاص (منع وحجب الجراثيم والميكروبات).
○ **تعقيم (اسم):** المصدر: عَقَّمَ. عَقَّمَ الشَّيْءَ: أباد ما فيه من الجراثيم الضارة كي لا تتوالد فيه وتتكاثر. [المعاني]

الشاهد/ السياق اللغوي:

- ✦ " نفذت أمانة منطقة الرياض أعمال تطهير وتعقيم للطرقات الرئيسية والفرعية والمنشآت في حيّ العريحاء غربًا ومنفوحة جنوبًا". [المدينة]
- ✦ " وفرت الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي بالمملكة العربية السعودية، (١١) روبوتاً للتعقيم داخل المسجد الحرام.". [الاتحاد]

6.2 التَّنْفُس الاصطناعي؛ Artificial respiration:

- ✦ **تَنَفَّسَ:** (ن ف س). (فعل: خماسي لازم متعد بحرف). تَنَفَّسْتُ، أَتَنَفَّسُ، تَنَفَّسَ، مصدر تَنَفَّسٌ. تَنَفَّسَ الرَّجُلُ: أدخل التَّنَفْسَ إلى رِئْتِهِ وأَخْرَجَهُ مِنْهُمَا. شَعَرَ بِضَيْقٍ وَبَدَأَ يَتَنَفَّسُ هَلْعًا. [الوسيط]
- ✦ **إِصْطِنَاعِيّ:** اسم منسوب إلى اصطناع. ما كان مصنوعًا، غير طبيعيّ حريرٌ/ وَرْدٌ اصطناعيّ. [المعاني]
- **التَّنْفُسُ الاصطناعيّ:** (طب) استنشاق الغاز أو البخار أو الهواء بواسطة أداة مخصّصة لذلك، أو طريقة يدويّة للحفاظ على التَّنْفُسِ في جسم الإنسان الذي توقّف عن التَّنْفُسِ. [المعاني]

الشاهد/ السياق اللغوي:

- ✦ "تدشين أول جهاز تنفس صناعي" صنع في السعودية بمواصفات عالمية". [الأوسط]
- ✦ "أعلنت شركة فيليبس عن مبادرتها لزيادة معدلات إنتاج أجهزة التنفس الاصطناعي الجديدة" [الوطن]

7.2 جهازُ المناعة؛ immune system:

- ✦ **جهازُ:** (ج) أجهزة وأجهزة. جهاز من الإنسان أو الحيوان: عضو أو أعضاء تؤدي وظيفة معينة. [المحيط].

معجم سياقي لألفاظ ومصطلحات جائحة كورونا للناطقين بغير العربية، د. عادل منسي العنزي

- ✚ **المناعة:** مصدر منع. قوة في الجسم طبيعية، أو يكتسبها باللقاح ونحوه، وبها يقاوم الأمراض والجراثيم. [المعاصرة]
- **جهاز المناعة:** جميع الخلايا والأنسجة والأعضاء التي تدافع عن الجسم ضد العوامل الخارجية. [ألكسو]

الشاهد/ السياق اللغوي:

✦ "يعد جهاز المناعة أفضل الدفاعات التي نمتلكها ضد الفيروسات والأمراض خاصة خلال موسم البرد والإنفلونزا". [الأوسط]

8.2 دراسة وبائية؛ epidemiological study

- ✚ **دراسة (مف):** مصدر درّس / درّس ب/درّس في. دراسة إحصائية / دراسة ثانوية / دراسة جامعية: تلقّي الدروس في مرحلةٍ من تلك المراحل. [المعاصرة]

✚ **وبائية:** مصدر وبؤ ووبىء. كل مرض عام، كالجدري والكوليرا وغيرهما، (ج): أوبئة. [المعاصرة]

- **دراسة وبائية:** دراسة تعتمد على توزيع عوامل الخطورة وحدوث الأمراض عن طريق استخدام البيانات المجمعة أو الفردية. [ألكسو]

الشاهد/ السياق اللغوي:

✦ "قال وزير الصحة الدكتور نذير عبيدات، الثلاثاء، إن دراسة وبائية إحصائية أجرتها وزارة الصحة بالتعاون مع منظمة الصحة العالمية وجامعة أكسفورد". [مدونة]

✦ "جودة اللقاحات المستخدمة، وكذلك دراسة وبائية المرض ومعرفة انتشاره داخل المملكة، وتحديد مصادر الإصابة وعلاقتها بالدول المحيطة بالمملكة". [مدونة]

9.2 سترة واقية؛ windbreaker

- ✚ **سترة (مف):** الجمع: سترات وسُتْر. سِتْر، ما يستر به الشّيء. [الغني].

✚ **واقية:** مصدر وقى. مؤنث واق. كل ما وقى به الشيء. [المعاني]
○ **سترة واقية:** عباءة طبية من قطعة واحدة عازلة للأجسام الخارجية.
[ألكسو]

الشاهد/ السياق اللغوي:

✚ "تحمي السترة الواقية مرتديها من الإصابة بالفيروسات في مناطق الأوبئة لكنها ليست مريحة". [الرياض]
✚ "وأضاف أبو حديد، لمصراوي، أن الهيئة اشترت حوالي ١٠٠٠ سترة واقية، وكميات كبيرة من المطهرات". [الخليج]

10.2 سُعال جاف؛ dry cough:

✚ **السعال:** صوت اندفاع الهواء من الرئة فجأة وبقوة. [الوسيط]
✚ **جاف:** فاعل من جَفَّ. بعد سنةٍ من الجفاف أصبح المكان جافاً: يابساً،
ناشفاً. [المعاني]
○ **سُعال جاف:** سعال لا يخرج معه أي بلغم، بسبب الجهاز التنفسي.
[ألكسو]

الشاهد/ السياق اللغوي:

✚ "تتسبب نزلات البرد في السُّعال الجاف والدغدغة بالجهاز التنفسي العلوي"
[الخليج]
✚ "ومن الفوائد الداخلية أنها تقلل من نسبة السعال وخاصة السعال الجاف".
[الرياض]

11.2 سُلالة مُتحوّرة؛ mutated strain:

✚ **سُلالة:** جملة أفراد متشابهة من حيوان أو نبات تنتقل صفاتها بالوراثة.
[المعاصرة]
✚ **متحوّرة:** اسم فاعل من حَوَّرَ يَحْوِّرُ، تحويراً، فهو مُحَوِّرٌ، والمفعول مُحَوَّرٌ.
حَوَّرَ الأمر: غيَّره وعَدَّله. حَوَّرَ كلامه: غيَّر بعضاً منه. [المحيط]

معجم سياقي لألفاظ ومصطلحات جائحة كورونا للناطقين بغير العربية، د. عادل منسي العنزي

- **سُلالة مُتحوّرة:** أحد تحورات فيروس كورونا المرتبط بالمتلازمة التنفسية الحادة الشديدة النوع ٢، الفيروس المسبب لمرض فيروس كورونا، وهو أحد المتحوّرات. [ألكسو]

الشاهد/ السياق اللغوي:

- ✦ "قالت وكالة الإعلام الروسية اليوم الخميس إن روسيا سجلت بعض حالات الإصابة بسلالة متحوّرة جديدة من فيروس كورونا". [الأوسط]
- ✦ "إن روسيا سجلت بعض حالات الإصابة بسلالة متحوّرة جديدة من فيروس كورونا يُعتقد أنها أكثر عدوى". [الاتحاد]

12.2 فِترَة الحِضانَة؛ incubation period:

- ✦ **فترة (اسم):** الجمع: فِترَات وفِترَات. الفِترَة: المدَّة تقع بين زَمَينين. وفترة الحُمى: زمن سكونها بين نُوبتين. [المعاني]
- ✦ **حِضانَة (اسم):** مصدر حَضَنَ. طور الحِضانَة فترة الحِضانَة: الفترة بين الإصابة بالمرض وظهور أعراضه. [المعاني]
- **فِترَة الحِضانَة:** الوقت الذي يستغرقه ظهور الأعراض على الشخص المصاب. [ألكسو]

الشاهد/ السياق اللغوي:

- ✦ "أكدت دراسة حديثة أن فيروس كورونا المستجد (كوفيد-١٩) يأخذ فترة حِضانَة داخل الجسم ٥,١ يوم في المتوسط". [الخليج]
- ✦ "إن فترة حِضانَة السلالة الجديدة من الفيروس يمكن أن تمتد إلى ٢٧ يوماً". [الرياض]

13.2 فِحص كُورونَا؛ Corona virus test:

- ✦ **فِحص:** فِحصَ عن يَفِحص، فِحصًا، فهو فاحِص، فِحصَ الشَّخصَ اختبره. [القاموس]

○ **فحص كورونا:** اختبار يتم فيه أخذ العينة من مخاط الأنف ومن الحلق وإرسالها إلى المختبر من أجل تأكيد أو نفي الإصابة بمرض كورونا. [الكسو]

الشاهد/ السياق اللغوي:

✦ "ضبط ٤ مقيمين زوروا شهادات فحص كورونا" [الوطن]

✦ "أعلنت وزارة الصحة ووقاية المجتمع توفر

خدمة فحص فيروس كورونا المستجد (PCR) للطلبة في مختلف إمارات الدولة". [الاتحاد]

14.2 قناع (واقي الوجه) ؛ mask، face shield :

✦ **قناع (مف):** (ج) قُنْعٌ، وَأَقْنَعَةٌ. القناع: ما يُسْتَر به الوجه. [المعاني]

○ **القناع:** قناع مصنوع من البلاستيك الشفاف عادة يحمي الأغشية المخاطية للعيون والأنف والفم أثناء إجراء رعاية المرضى. [الكسو]

الشاهد/ السياق اللغوي:

✦ "دعا خبراء أمريكيون إلى ضرورة استعمال قناع من (٣) طبقات على الأقل، وتجنب استعمال القناع القماش". [الوطن]

✦ "ويعتقد أنّ بداية استخدام القناع الطبي، مع جائحة «الطاعون الأسود»، بأوروبا (١٣٤٧ - ١٣٥٢م)". [الأوسط]

15.2 لِقَاحٌ؛ vaccine:

✦ **لِقَاحٌ (مف):** (ج) لَقُوحٌ. مصدر لَقِحَ. [المعاني]

أَلْقَحَ يُلْقِحُ، إَلْقَاحًا، فَهُوَ مُلْقِحٌ، وَالْمَفْعُولُ مُلْقَحٌ: أَلْقَحَ الْفَحْلُ النَّاقَةَ أَحْبَلَهَا. أَلْقَحَ الْفَلَاحُ النَّخْلَةَ: لَقَحَهَا؛ أَدْخَلَ فِيهَا اللَّقَاحَ (طَلَعَ الذَّكَرَ) لِتَثْمَرِ. أَلْقَحَتِ الرِّيحُ الْأَشْجَارَ: نَقَلَتِ اللَّقَاحَ مِنْ عَضْوِ التَّذْكَيرِ إِلَى عَضْوِ التَّأْنِيثِ. أَلْقَحَ بَيْنَهُمْ شَرًّا: تَسَبَّبَ فِيهِ. [القاموس]

○ **لِقَاحٌ:** منتج يستخدم لتحفيز الجهاز المناعي للكائن الحي للسماح له بمكافحة العامل المعدي. [الكسو]

معجم سياقي لألفاظ ومصطلحات جائحة كورونا للناطقين بغير العربية، د. عادل منسي العنزي

مما سبق نجد أن دلالة كلمة (لقاح) تعني (التخصيب) وقد حصل لها تغيير الدلالة وذلك بانتقال الدلالة من (التخصيب) إلى (تحفيز الجهاز المناعي)، والدلالة المشتركة بينهما هو (الادخال)، فتحفيز الجهاز المناعي يتم بإدخال الأحياء الدقيقة في النسيج الحي، وهذا ما يسمى بالانتقال أو تغيير مجال الاستعمال.

الشاهد/ السياق اللغوي:

✦ " توصلت دراسة جديدة إلى نتائج مطمئنة ومشجعة للحوامل بشأن تلقي لقاح مضاد لفيروس كورونا المستجد". [الاتحاد]

✦ " وقد طور البروفيسور هيني لهذا الغرض تكنولوجيا خاصة، تجعل اللقاح قادراً على التنبؤ بالتحورات الوراثية المحتملة في سلالات فايروس كوفيد-19". [عكاظ]

16.2 مَسْحَةٌ؛ swab:

✦ **مَسْحَةٌ**: جمع مَسْحَاتٍ وَمَسْحَاتٍ: اسم مرّة من مَسَحَ. مَسَحَ على ومَسَحَ: نظفت بِمَسْحَةٍ واحدة. [الغني]

○ **مَسْحَةٌ**: أداة عبارة عن قضيب إحدى نهايته مغطاة بمادة ماصة، يُستخدم لأخذ عينة من الأنف أو الحلق في حالة اختبار كوفيد-19. [ألكسو]

الشاهد/ السياق اللغوي:

✦ " إجراء مسحة كورونا PCR في أحد مراكز تأكد التابعة لوزارة الصحة". [عكاظ]

✦ " مبينة أنه بعد مرور هذه المدة الزمنية فإن المتعافي لا يحتاج إلى إجراء مسحة للتأكد من التعافي". [الوطن]

17.2 مُعَقِّمٌ؛ sanitizer:

✦ **مُعَقِّمٌ**: اسم المفعول من عَقَّمَ.

- **عَمَّ السَّوَائِل:** قَتَلَ مَا فِيهَا مِنَ الْمَكْرُوبَاتِ وَالْجَرَائِمِ لِيَتَوَقَّفَ تَوَالِدُهَا وَتَكَاثُرُهَا. عَمَّ الْمُتَحَدِّثُ: أَسْكَنَهُ. [الغني]
 - **مُعَقَّم:** مَحْلُولُ مَائِي لِقَتْلِ الْفَيْرُوسَاتِ وَالْبِكْتَرِيَا. [ألكسو]
- مما سبق أن دلالة (عقم) تدور حول (المنع والحجب)، وقد حصل لها تخصيص للدلالة فأصبحت مختصة بمنع وحجب الجراثيم.

الشاهد/ السياق اللغوي:

- ✦ " معقم اليدين يحتوي على كميات كبيرة من الكحول، وبالتالي فهو قابل للاشتعال، لذا لا يجب استخدامه مباشرة قبل الذهاب إلى المطبخ " [الوطن]
- ✦ " حدّرت الهيئة العامة للغذاء والدواء من جل معقم لليدين يحمل اسم «نكس معقم لليدين» ". [عكاظ]

18.2 نتيجة إيجابية؛ positive result:

- ✦ **نتيجة (مف): الجمع:** نتائج. النتيجة: ثمرة الشيء. نتيجة الامتحان: حصيلته أكانت إيجابية أو سلبية. [المعاني]
- ✦ **إيجابية:** مصدر صناعي من إيجاب: كل ما يصدر من أمور ناجحة ومقبولة وموفقة. [المعاني]
- **نتيجة إيجابية:** تأكيد مختبر الصحة العامة أن نتائج اختبار المريض أثبتت إصابته بالفيروس. [ألكسو]

الشاهد/ السياق اللغوي:

- ✦ "ال مصدر مطلع لصحيفة "وول ستريت جورنال" الأميركية إن الرئيس دونالد ترامب لم يكشف عن نتيجة إيجابية من اختبار سريع لفيروس "كورونا". [الأوسط]
- ✦ "ويستخدم بعض طلاب المدارس عصير البرتقال للحصول على نتيجة إيجابية في فحص كوفيد ١٩ المطلوب منهم". [عكاظ]

19.2 نتيجة سلبية؛ Negative result:

✚ **سلبية:** مصدر صناعي من سلب: اتجاه يقوم على الإضراب أو عدم التعاون ونحو ذلك. [الغني]

○ **نتيجة سلبية:** تأكيد مختبر الصحة العامة أن نتائج اختبار المريض أثبتت عدم إصابته بالفيروس. [الكسو]

الشاهد/ السياق اللغوي:

✦ " نتيجة سلبية لاختبار فيروس كورونا لنائب الرئيس الأمريكي وزوجته".
[الخليج]

✦ " تعترم الدنمارك السماح للجهات الحكومية بمطالبة الموظفين بإبراز "تصريح مرور خاص بفيروس كورونا"، الذي يحمل دليلاً على التعافي أو التطعيم ضد كوفيد- ١٩، أو نتيجة سلبية لفحص كورونا، بموجب تشريع تجري دراسته". [الرياض]

3- الحقل المصطلحات الاجتماعية:

1.3 تباعد اجتماعي؛ social distancing:

✚ **تباعد:** مصدر تباعد. بينهما تباعد: نفور، بعد كل واحد منهما عن الآخر. تباعد الأيام: صيرها بعيدة. التباعده عن الآثام: الإبتعاد عنها. [الغني]

✚ **اجتماعي:** منسوب إلى الاجتماع). هو اجتماعي بطبعه: له فطرة تميل إلى معاشره الناس في المجتمع والاختلاط بهم. [المعاني]

○ **التباعد الاجتماعي:** الحفاظ على مسافة بين الأشخاص لا تقل ستة أقدام لمنع انتشار العدوى. [الكسو]

الشاهد/ السياق اللغوي:

✦ " الداخلية تُنبه على الالتزام بمسافات التباعد الاجتماعي". [عكاظ]

✦ " أعلنت الهيئة العامة للطيران المدني (الأربعاء) إلغاء التباعد الاجتماعي في الرحلات الداخلية". [عكاظ]

2.3 تَفَشٍ؛ outbreak:

✚ **تَفَشٍ:** مصدر تَفَشَّى / تَفَشَّى ب/ تَفَشَّى في. تَفَشَّى الوَبَاءُ فِي القَرْيَةِ: انتَشَرَ، اتَّسَعَ وبِأُوهُ. [المعاني]

✚ **تَفَشٍ:** زيادة مفاجئة، في عدد المصابين بمرض أو وباء ما، بين السكان. [الكسو]

الشاهد/ السياق اللغوي:

✚ " باكستان تفرض قيوداً أكثر صرامة لوقف تفشي كورونا ". [الاتحاد]
✚ " أعلنت الهيئة التأديبية في الصين، الجمعة، معاقبة نحو ثلاثين مسؤولاً إثر تفشي فيروس كورونا المستجد (كوفيد-١٩) ". [الاتحاد]

3.3 حَجْرٌ صِحِّيٌّ؛ quarantine:

✚ **حَجْرٌ:** مصدر حَجَرَ. حَجَرَ والحُجِرُ وحَجْرٌ: المنع. [اللسان]

✚ **صِحِّيٌّ:** اسم منسوب إلى صِحَّة. كان في وضع صحي جيد: سليم معافى. طعام صحي: طعام تتوافر فيه الشروط الصحية. [المعاني]

○ **حَجْرٌ صِحِّيٌّ:** الفصل بين المواطنين وتقييد حركة الأشخاص المعرضين لمرض مُعَدِّ، وعزلهم عن الأشخاص الأصحاء خلال فترة حضانة المرض. [الكسو]

الشاهد/ السياق اللغوي:

✚ **حَجْرٌ صِحِّيٌّ:** الفصل بين المواطنين وتقييد حركة الأشخاص المعرضين لمرض مُعَدِّ، وعزلهم عن الأشخاص الأصحاء خلال فترة حضانة المرض. [الكسو]

✚ " البدء بإصدار التراخيص لمقار الحجر الصحي المؤسسي المؤهلة لاستضافة القادمين من خارج المملكة ". [عكاظ]

4.3 حَجْرٌ مَنْزِلِيٌّ؛ stay-at-home order:

✚ **حَجْرٌ:** مصدر حَجَرَ. حَجَرَ والحُجِرُ وحَجْرٌ: المنع. [اللسان]

✚ **مَنْزِلِيٌّ:** اسم منسوب إلى المنزل.

معجم سياقي لألفاظ ومصطلحات جائحة كورونا للناطقين بغير العربية، د. عادل منسي العنزي

- **حَجْرٌ مَنْزِلِيٌّ**: عدم السماح للأشخاص بمغادرة منازلهم، عدا الحصول على اللوازم الضرورية مثل زيارة الطبيب، أو الحصول على مواد البقالة. [ألكسو]

الشاهد/ السياق اللغوي:

✦ "الداخلية : حجر منزلي عند قدوم المستنئين من الحجر المؤسسي ممن لم يستكملوا الجرعات ". [عكاظ]

5.3 حَظْرُ التَّجْوَلِ؛ Curfew:

- ✚ **حَظْرٌ**: حظر الشيء، وحظر عليه: منعه، وحجر، واتَّخَذَ حَظِيَّةً، كاحتَظَرَ.

[اللسان]

✚ **التَّجْوَلُ**: مصدر تجوَّل. انتقل. من مكان إلى آخر، طاف. [المعاني]

- **حَظْرُ التَّجْوَلِ**: قرار حكومي يمنع على الناس الخروج من بيوتهم عند الإعلان

عن حالة الطوارئ. [المعاني]

الشاهد/ السياق اللغوي:

✦ "تعتزم ولاية بادن فورتمبرج الألمانية فرض حظر تجول ليلي على غير الملقحين

ضد كورونا ". [عاظ]

✦ "الرئيس التونسي يقرر إلغاء حظر التجول الذي كان مفروضاً لمواجهة تفشي

فيروس كورونا". [الاتحاد]

6.3 رَفْعُ الحَظْرِ؛ lockdown lifting:

✚ **الرَفْعُ**: الغاء القيود [المعاني]

- **رَفْعُ الحَظْرِ**: عملية إزالة القيود المفروضة على الحركة والتجمع التي فرضت

على السكان لأسباب تتعلق بالصحة أو السلامة العامة. [ألكسو]

الشاهد/ السياق اللغوي:

✦ قال مجلس الوزراء في جنوب أفريقيا في بيان يوم الخميس إنه تم رفع حظر

التجول الذي كان مفروضاً في البلاد. [الرياض]

✦ " التامز: رفع الحظر كلياً عن بريطانيا ١٩ يوليو " [عكاظ]

7.3 ضربة القبضة؛ fist bump:

✚ **ضربة (اسم):** اسم مرة من ضرب. الجمع: ضربات وضربات. الضربة: الدفعة
[المعاني]

✚ **القبضة:** (ج) قبض. ضربه بقبضة يده: بكف يده مقبوضة. [الغني]
○ **ضربة القبضة:** طريقة للتحية يقوم فيها الشخص بالنقر برفق على قبضة شخص آخر تجنباً للإصابة بعدوى كوفيد-١٩ عن طريق الملامسة.
[الكسو]

الشاهد/ السياق اللغوي:

✚ "تضمنت التجربة التي أجراها العلماء، مقارنة بين أضرار المصافحة بالأيدي وضرب كف بكف وقبضة في قبضة". [الغد]

8.3 عزل منزلي؛ home isolation:

✚ **عزل:** عزل يعزل عزلاً، وعزل فلاناً أي نحاه. [المعاصرة]. عزل الشيء عن كذا: نحاه عنه وأبعده. عزله عن منصبه أو عمله: رفعه منه، نحاه عنه، صرفه منه. [الرائد]

✚ **منزلي:** (اسم) منسوب إلى المنزل. [المعاني]
○ **عزل منزلي:** توجيه الأشخاص الذين لديهم أعراض مرض كورونا، أو الذين أكدت النتائج المخبرية أنهم مصابون بها، إلى البقاء في منازلهم حتى شفائهم.
[الكسو]

الشاهد/ السياق اللغوي:

✚ "أوضحت «الصحة» الإجراءات المطلوبة في حالة إصابة أحد أفراد الأسرة بفيروس كورونا الجديد (كوفيد-١٩)، وآلية العزل المنزلي". [عكاظ]
✚ "حددت وزارة الصحة بداية فترة العزل والحجر المنزلي ونهايتهما للمصابين بفيروس كورونا الجديد". [عكاظ]

10.3 كِمَامَةٌ؛ mask:

- ✚ **كِمَامَةٌ (مف):** الكِمَامَةُ ما يُجْعَلُ على أنف الحمار أو البعير لئلاً يؤذيه الدُّبَابُ. والجمع كِمَائِمٌ. [المعاصرة]
- **كِمَامَةٌ:** قناع مصنوع من مادة تشبه القماش تحمي مرتديها من استنشاق الجسيمات الصغيرة المعدية وتمنع دخولها إلى الأنف والفم. [الكسو]
- مما سبق يتبين أن كلمة (كمامة) تم نقلها من الحيوان إلى الإنسان، وهذا ما يسمى بنقل الدلالة، فبعد أن كانت مقتصرة استخدامها للحيوانات أصبحت كلمة (كمامة) مختصة بالإنسان فهو يستخدمها لتحميه من ذرات الغبار والأمراض المعدية.

الشاهد/ السياق اللغوي:

- ✚ " لبس الكمامة في جميع الأماكن ليس إلا خطوة على طريق يجب أن تستكملة خطوات أبرزها تقييد السفر إلى الدول المرتفعة الحالات". [عكاظ]

- ✚ " بدأ الأطباء على حث الناس بالتخلص من كمامات الوجه القماشية واستبدالها بأنواع أفضل". [الاتحاد]

11.3 مُخَالَطَةٌ؛ contact:

- ✚ **مُخَالَطَةٌ:** مصدر خَالَطَ. مِمَّازَجَةٌ أو امْتِزَاجُ الشَّيْءِ بِالْآخَرِ. [الغني]
- **مُخَالَطَةٌ:** اتصال شخص سليم بآخر مصاب بعدوى أو التماس مع أدواته أو إفرازاته. [الكسو]
- يتبين لنا مما سبق أن دلالة (مُخَالَطَةٌ) حصل لها تضيق الدلالة، فبعد أن كانت تعني الامتزاج عموماً، قد أصبحت مختصة باختلاط المرضى بالمعافين.

الشاهد/ السياق اللغوي:

- ✚ " رئيس وزراء ماليزيا في الحجر الصحي بعد مُخَالَطَةٌ مصاب بكورونا". [الاتحاد]

✦ " كشف تقرير وزارة الصحة الأسبوعي حول تتبع أثر المخالطين أن أربعة أشخاص، نقلوا فايروس كورونا إلى ٣٦ شخصاً عبر المخالطة." [الوطن]

12.3 مُعدّلات الإصابة؛ infection rates:

✦ **مُعدّلات:** (ج) مُعدّل. المعدّل في التقدير: النسبة المتوسطة بين أعداد مختلفة [المعاني]

✦ **الإصابة:** مصدر أصاب/أصاب من. حادث، خاصّة إذا نتج عنه أذى بالغ أو وفاة: إصابة عمل. [الغني]

يتبين لنا مما ذكر أن دلالة (إصابة) تعني التعرض للضرر ما على وجه العموم، ولكن مع بداية ظهور جائحة كورونا أصبحت دلالة (الإصابة) تعني التعرض لمرض كورونا، وهذا ما يعرف بتضييق الدلالة وهو تخصيص المعنى بعد أن عاماً.

○ **مُعدّلات الإصابة:** الإحصاءات التي يتم تتبعها وتحديثها يوميا لعدد الحالات المصابة بفيروس كورونا. [ألكسو]

الشاهد/ السياق اللغوي:

✦ " بلغ معدل الإصابة بـ«كوفيد - ١٩» خلال سبعة أيام في ألمانيا ١٠٠ لكل ١٠٠ ألف." [الأوسط]

✦ " وحسب إحصاءات صادرة عن جامعة جونز هوبكنز الأمريكية، فإن الدول التي سجلت أعلى معدل إصابات بكورونا هي على التوالي: الولايات المتحدة ٥٥,١ مليون إصابة، الهند ٣٤,٩ مليون." [عكاظ]

4- حقل المصطلحات الاقتصادية:

1.4 احتواء؛ containment:

✦ **احتواء:** (اسم) مصدر إحتوى/ احتوى على الشيء ضمّه واشتمل عليه، أحرزه وملكه. احتوى الموقف: سيطر عليه. [المعاصرة]

معجم سياقي لألفاظ ومصطلحات جائحة كورونا للناطقين بغير العربية، د. عادل منسي العنزي

- **احتواءً:** استخدام أي أدوات متاحة للتخفيف من انتشار مرض معد.
- [ألكسو]

الشاهد/ السياق اللغوي:

✦ "قررت الحكومة التونسية، تمديد حظر التجول الليلي ومنع كافة التجمعات لأُسبوعين إضافيين **لاحتواء** انتشار فيروس كورونا". [الاتحاد]

✦ "دخلت القيود الرامية إلى **احتواء** فيروس كورونا حيز التطبيق". [عكاظ]

2.4 إغلاق الحدود؛ border closure:

- ✦ **إغلاق الحدود:** إغلاق (اسم)، المصدر: أَعْلَقَ. أَغْلَقَ عَلَيْهِ الأَمْرُ: لم يَنْفَتِحْ. أغلق الباب: أَقْفَلُهُ. [المعاني]
- ✦ **حدود:** (ج) حَدَّ. حَدَّدَ حُدُودَ حَقْلِهِ: أَقَامَ لَهُ عَلاماتٍ أو أَحاطَهُ بِسِياجٍ. [المعاني]

- **إغلاق الحدود:** إجراءات أمنية مشددة تغلق فيها الحدود البرية والجوية والبحرية، تهدف إلى الحد من انتشار فيروس كورونا المستجد. [ألكسو]
- الشاهد/ السياق اللغوي:

✦ "أستراليا: إغلاق الحدود إلى أن ينتهي تطعيم العالم كله". [عكاظ]

✦ "السعودية تمدد تعليق الطيران وإغلاق الحدود بسبب كورونا". [الخليج]

3.4 تدابير الطوارئ؛ contingency measures:

- ✦ **تدابير (ج):** مصدر دَبَّرَ: اتَّخَذَ المَدِيرُ تَدابِيرَ صارمة: أي إِجْرَاءاتٍ، تَرْتِيباتٍ. [المعاني]
- ✦ **الطوارئ (اسم):** الطارئ: العَرِيبُ. (ج) طُرَّاءٌ، وطُرَّاءٌ. والطارئُ الحادُّ المفاجئُ. والجمع: طوارئ. [المعاني]
- **تدابير الطوارئ:** التدابير التي يمكن اتخاذها في حال حدوث أي طارئ من أجل تقليل العواقب. [ألكسو]

الشاهد/ السياق اللغوي:

✦ "تدابير حالة الطوارئ لمكافحة جائحة فيروس كورونا". [مدونة]
✦ "وقال مصدر في المجلس الوزاري الأوروبي إن حزمة تدابير الطوارئ تضمن تدفق البضائع والسلع والتنقل وكذلك السلامة الجوية وحركة الطيران".
[الرياض]

4.4 تقييد السفر؛ travel restriction:

✦ **تقييد:** مصدر قَيَّدَ. قَيَّدَ الحِمَارَ ربطه بقيد. قَيَّدَ حُرَيْتَهُ/السجين، قَيَّدَ فلانًا بالإحسان: ملك قلبه به. [المعاصرة]
✦ **السفر:** الجمع: أسفار وأسفر. السَّفَرُ: فَطَعُ المسافة. [المعاني]
○ **تقييد السفر:** قيام السلطات بإجراءات تنظيمية لمنع أو تقييد أو الحد من السفر داخل الوطن وخارجه. [الكسو]

الشاهد/ السياق اللغوي:

✦ "الكمامة في جميع الأماكن ليس إلا خطوة على طريق يجب أن تستكملة خطوات أبرزها تقييد السفر إلى الدول المرتفعة الحالات". [عكاظ]
✦ "أكدت منظمة الصحة العالمية، أن فيروس "كورونا" لا يقتضي إعلان حالة طوارئ صحية عالمياً، أو تقييد السفر إلى المملكة". [الوطن]

5.4 حالة الطوارئ؛ emergency cases:

✦ **حالة:** ما كان عليه الإنسان أو الحيوان من هيئة وصفات. حالة: (حالة الحركة) في الاقتصاد: حالة المجتمع الذي تتغير ظروفه الاقتصادية. [المعاصرة]

✦ **الطوارئ (اسم):** الطارئ: العَرِيبُ. (ج) طُرَاءٌ، وطُرَاءٌ. والطارئُ الحادثُ المفاجئ. والجمع: طوارئ. [المعاني]
○ **حالة الطوارئ:** إجراءات خاصة لحفظ الأمن تُعلن عند وقوع أحداث أو خطر أو حرب أو اضطرابات.

الشاهد/ السياق اللغوي:

✦ " وظلت " حالة الطوارئ الصحية العامة الحالية التي تثير قلقا دوليا" قائمة منذ ما يقرب من عامين بسبب جائحة فيروس كورونا". [الاتحاد]

6.4 دراسة عن بُعد؛ studying from far:

✦ **دراسة:** مصدر درس. الدراسة: الأعمال المدرسية، أي القراءة وتحصيل العلوم والمعارف. [المعاني]

✦ **عن بُعد:** عن بُعد: من بعيد، أو على مسافة. [المعاني]

○ **دراسة عن بُعد:** القيام بالدراسة من المنزل وليس من مقر التدريس. [ألكسو]

الشاهد/ السياق اللغوي:

✦ " يحتتم طلاب وطالبات المرحلة الابتدائية ورياض الأطفال بنهاية الأسبوع القادم، آخر أسابيع نظام الدراسة "عن بُعد" ". [عكاظ]

7.4 مناعة القطيع؛ herd immunity:

✦ **مناعة:** مصدر مُنِعَ. مناعة: قُوَّة واعتزاز. [المعاني]

✦ **القطيع:** طائفة من الغنم أو الجمال أو البقر أو سواها، جمع: قطعان وقطاع. [المعاصرة]

○ **مناعة القطيع:** مقاومة جماعية لانتشار الأمراض المعدية، بناء على مقاومة نسبة عالية من أفراد المجموعة. [ألكسو]

الشاهد/ السياق اللغوي:

✦ "توقع رئيس شركة الأدوية الألمانية "بيونتيك"، الذي طورت شركته أول لقاح معتمد على نطاق واسع ضد كوفيد ١٩ مع شركة "فايزر" الأميركية، أن تصل أوروبا إلى مناعة القطيع "في أواخر أغسطس". [الوطن]

✦ "وفيما يواصل العالم إجراءات التحصين، يبقى هدفه الأول تحقيق ما يُطلق عليه «مناعة القطيع»، في سبيل السعي للعودة إلى الحياة الطبيعية".
[الوطن]

8.4 منطقة موبوءة؛ endemic area:

✦ **منطقة:** جمع مناطق: جزء محدود من الأرض له خصائص مميزة وهي على الكرة الأرضية. [الغني]

✦ **موبوء:** اسم مفعول من وُبئ وُلد موبوء: مُصاب بالوباء. [الغني]
○ **منطقة موبوءة:** منطقة محددة، يكون خطر انتقال المرض المعدي مرتفعاً فيها أثناء انتشار الوباء بسبب وجود العديد من الأشخاص المصابين. [ألكسو]
الشاهد/ السياق اللغوي:

✦ " إن قريتي قطنة وبدو المجاورتين للقدس وبيتوتنا في غرب رام الله، باتت مناطق موبوءة بفيروس كورونا". [الاتحاد]
✦ " أعلنت قيادة العمليات في محافظة البصرة، جنوبي العراق، الثلاثاء، قضاء الهارثة منطقة موبوءة وأمرت بغلقه". [الوطن]

المبحث الثالث: النتائج والتوصيات والمقترحات

أولاً: النتائج

١. يحتوي المعجم على (٤) مجالات أو حقول دلالية، ويضم (٤٣) مدخلاً، ويقع في (٢٦) صفحة.
٢. يتبع المعجم السياقي منهجاً يتسم بالبساطة والوضوح؛ مراعاة لنوع المعجم.
٣. توظيف المعجم للشواهد والسياقات اللغوية يعرّف متعلم العربية باستخدام الألفاظ والمصطلحات في مواقفها.
٤. يقوم السياق بدور كبير في توضيح معاني الألفاظ والمصطلحات، وتحديد دلالتها بدقة.
٥. تضمين السياقات اللغوية المعاصرة والحديثة يكشف الاستعمال الحقيقي للغة.
٦. تدور ألفاظ ومصطلحات هذه الجائحة حول المجال الطبي والاجتماعي الطبي المتعلق بالجائحة.
٧. شرح ألفاظ ومصطلحات جائحة كورونا له دور كبير في فهم الإرشادات الوقائية المتعلقة بالوباء.
٨. ينمي هذا المعجم الثقافة اللغوية المتعلقة بجائحة كورونا لدى متعلمي اللغة العربية غير الناطقين بها.

ثانياً: التوصيات

١. ضرورة الاهتمام بالمعاجم السياقية؛ لما له أثر في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، ومعرفة استخدام ألفاظها وفهم معانيها.
٢. إفادة متعلمي اللغة من المعجمات السياقية؛ لتمثيلها الواقع اللغوي والثقافي للغة.
٣. ضرورة استعانة صانعي المعاجم السياقية بالمدونات اللغوية والمعاجم المعاصرة والحديثة.

٤ . ينبغي لمعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها الإفادة من هذا المعجم.

ثانياً: المقترحات

- ١ . تخصيص معاجم سياقية أخرى متعلقة بمصطلحات التواصل الاجتماعي، وغيرها من المستجدات الحديثة والمعاصرة في عالمنا.
- ٢ . دراسة أثر استخدام المعاجم السياقية في تنمية التحصيل اللغوي، وتنمية مهارات اللغة.
- ٣ . القيام بدراسة تقييمية لواقع استخدام المعاجم السياقية وأثره في تعلم اللغة.

المصادر والمراجع

- ابن حويلي الأخضر ميدني، (٢٠١٠م): *المعجمية العربية في ضوء مناهج البحث اللساني والنظريات التربوية الحديثة*، دار هومه، الجزائر.
- ابن منظور (٢٠٠٣م): *لسان العرب*، تح: أحمد عامر حيدر، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط ١، ج ١٢.
- أبو الفضل عبدالرحيم أنكيس (٢٠٢١م): *لغة التداول في وباء كورونا: دراسة في التحول الدلالي وآليات التوظيف*، المجلة الدولية لدراسات اللغة العربية وآدابها، مج ٣، ع ١٤.
- أحمد مختار عمر، (٢٠٠٨م): *معجم اللغة العربية المعاصرة*، الناشر: عالم الكتب، القاهرة.
- أحمد مختار عمر، (١٩٩٩م): *البحث اللغوي عند العرب*، عالم الكتب، ط ٩، القاهرة.
- أحمد مختار عمر، (٢٠٠٣م): *البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر*، دار عالم الكتب - القاهرة، ط ٨.
- أحمد مختار عمر، (١٩٩٨م): *صناعة المعجم الحديث*، عالم الكتب للنشر والتوزيع والطباعة - مصر، ط ١.
- حازم علي كمال الدين، (١٩٩٩م): *دراسة في علم المعاجم*، مكتبة الآداب، القاهرة، ط ١.
- سامي عياد حنا وآخرون، (١٩٩٧م): *معجم اللسانيات*، مكتبة بيروت.
- عبد الغني أبو العزم، (٢٠١١م): *معجم الغني الزاهر*، الجزء ١-٤. الطبعة، الطبعة الأولى. الناشر، الرباط: مؤسسة الغني للنشر.
- العرجا، جهاد، ودلول، إيمان، (٢٠١٥م): *فن صناعة المعجمية بين القديم والحديث*.
- على القاسمي (١٩٩١م): *علم اللغة وصناعة المعجم*، عمادة شؤون المكتبات،

جامعة الملك سعود.

علي، نبيل (١٩٨٨): *اللغة العربية والحاسوب "دراسة بحثية"*، مصر، دار التعريب.
فتح الله سليمان، (٢٠٠٨م): *دراسات في علم اللغة*، دار الآفاق العربية، القاهرة.
الفيروز أبادي مجد الدين أبو طاهر، (٢٠٠٥م): *القاموس المحيط*، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان الطبعة: الثامنة.
مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (٢٠٠٤م): *المعجم الوسيط*، مكتبة الشروق الدولية، ط ٤.

يوسف جني، أحمد شفيق الخطيب (٢٠٠٨م): *قاموس جني الطبي للجيب*، بيروت، مكتبة لبنان، ص ١٠٢.

موقع ساسة

<http://www.sasapost.com/corona-pandemic-and-other-terms>

موقع منظمة الصحة العالمية

<http://www.who.int>

المراجع الأجنبية:

Barker SC, Baric R, Enjuanes L, Gorbalenya AE, Holmes KV, Perlman S, Poon L, Rottier PJ, Talbot PJ, Woo PC, Ziebuhr J (2011). "Family Coronaviridae". In AMQ King, E Lefkowitz, MJ Adams, EB Carstens. Ninth Report of the Inter Paton, B., 2020. Social Change and Linguistic Change: The Language of Covid-19. [Online] Oxford English Dictionary. Available at: <https://public.oed.com/blog/the-language-of-covid-19/> [Accessed 5 June 2020].

Bibliography

- Ibn Hawali Al-Akhdar Medni, (2010 AD): Arabic lexicography in the light of linguistic research methods and modern educational theories, Homa House, Algeria.
- Ibn Manzur (2003 AD): Lisan al-Arab, edited by: Ahmad Amer Haidar, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, Lebanon, 1, vol. 12.
- Abu al-Fadl Abd al-Rahim Ankis (2021 AD): The language of discourse in the Corona epidemic: a study in semantic transformation and application mechanisms, International Journal of Arabic Language Studies and Literature, Vol. 3, Vol. 1.
- Ahmed Mukhtar Omar, (2008 AD): Dictionary of the Contemporary Arabic Language, Publisher: Alam Al-Kutub, Cairo •
- Ahmed Mukhtar Omar, (1999 AD): Linguistic Research among the Arabs, World of Books, 9th Edition, Cairo.
- Ahmed Mukhtar Omar, (2003 AD): Linguistic research among the Arabs with a study of the issue of influence and vulnerability, Dar Alam Al-Kutub - Cairo, 8th ed.
- Ahmed Mukhtar Omar, (1998 AD): The Making of the Modern Dictionary, The World of Books for Publishing, Distribution and Printing - Egypt, 1st Edition.
- Hazem Ali Kamal El-Din, (1999 AD): A Study in Lexicography, Library of Arts, Cairo, 1st Edition.
- Sami Ayyad Hanna and others, (1997 AD):
- Sami Ayyad Hanna and others, (1997 AD): A Dictionary of Linguistics, Beirut Library.
- Abdul-Ghani Abu Al-Azem, (201 AD): Al-Ghani Al-Zahir's Dictionary, Part 1-4. Edition, first edition. Publisher, Rabat: Al-Ghani Foundation for Publishing.
- Al-Arja, Jihad, and Dalloul, Iman, (2015 AD): The art of lexical industry between ancient and modern.
- Ali Al Qasimi (1991 AD): Linguistics and Lexicography, Deanship of Library Affairs, King Saud University.
- Ali, Nabil (1988): Arabic language and computer "a research study": Egypt, Dar Al-Ta'rib.
- Fathallah Suleiman, (2008 AD): Studies in Linguistics, Dar Al Afaq Al Arabiya, Cairo.
- Al-Fayrouz Abadi Majd Al-Din Abu Taher, (2005 AD): Ocean Dictionary, Publisher: Al-Resala Foundation for Printing, Publishing and Distribution, Beirut - Lebanon Edition: Eight.
- The Arabic Language Academy in Cairo, (2004 AD): The Intermediate Dictionary, Al-Shorouk International Library, 4th Edition.
- Youssef Jana, Ahmad Shafiq Al-Khatib (2008 AD): Jana's Pocket Medical Dictionary, Beirut, Library of Lebanon, p. 102.

ألفاظ النَّخْلة في اللهجة الدارجة لبني سليم الحجاز دراسة لغوية

The Synonyms of Nakhala (Palm Tree) in the dialect
of Bani Salim in Hijaz: A Linguistic Study

لَفَّاي بن لافي مَذْخَر السُّلَمِي

أستاذ المعاجم المشارك بقسم اللغة العربية بكلية التربية بجامعة الأمير سطام بن

عبدالعزیز - الخرج

البريد الإلكتروني: LAlsulami@psau.edu.sa

المستخلص

يُعنى هذا البحث بجمع وتوثيق ألفاظ النَّخلة ودراستها، في اللهجة الداريجة لقبيلة بني سُليْم، وينطلق من التساؤلات الآتية:

١- هل ألفاظ النَّخلة المستعملة الآن في لهجة قبيلة بني سُليْم الداريجة فصيحة؟ أو لها أصول فصيحة؟

٢- هل حافظت قبيلة بني سُليْم على ألفاظ النَّخلة كما هي عند القدماء؟

٣- هل طرأ تغيير على بعض ألفاظ النَّخلة المستعملة الآن في لهجة قبيلة بني سُليْم الداريجة عما عرفه القدماء؟

وجمع الباحث ألفاظ النَّخلة عند قبيلة بني سُليْم، من خلال استبانة نشرها، شارك فيها أكثر من (٥٠٠) شخص، من قبيلة بني سُليْم، وبألفاظ عددها (٨٨) لفظاً، منها (٥٢) لفظاً؛ جاءت عند ثلاثة أشخاص فأكثر، ومنها (٧) ألفاظ جاءت عند شخصين، أما ما جاء عند شخص واحد فاكتفى الباحث بما هو فصيح صراحة وعدد هذه الألفاظ (٦)، ودرس هذه الألفاظ دراسة لغوية، وذكر أصولها المعجمية، وعلاقتها باللغة الفصيحة، واستشهد عليها بالقرآن والحديث والشعر، وأقوال العرب، ورَّتب الألفاظ ترتيباً أبثياً.

الكلمات المفتاحية: لهجة - بنو سُليْم - داريجة - النَّخلة - الفصحى -

العامية.

Abstract

The present study aims to collect and document the terms and expressions used to describe the lexical item “Nakhalah” in the dialect of Bani Saleem tribe. It addresses the following questions:

- 1- Do the lexical items used in Bani Saleem tribe belong to the Classical Arabic, (Fusha)? Or do they have their Classical roots?
- 2- Have Bani Saleem tribe maintained the terms and expressions describing Nakhlah used in the Classical Arabic?
- 3- Are there any semantic changes occurring to some of the lexical items used to describe Nakhalah in the dialect of Bani Saleem ?

The researcher has collected the terms used to describe Nakhalah through using a survey whose participants are more than (500) people belonging to Bani Saleem’s tribe. The lexical items used to describe Nakhala are (88), where (52) are frequently used by three persons, and (7) lexical items were frequently used by two persons, and (6) lexical items were only used by one person, so the researcher focused only on the Fusha lexical items in the former case. The researcher has studied these lexical items linguistically focusing on their lexicographical origins and their relationship with the Classical Arabic in relation to the terms used in the Holy Quran and and in the Classical poetry, and in the traditional Arab common sayings. The lexical items were arranged phonologically.

المقدمة

الحمد لله القائل: ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ﴾ [ق: ١٠]، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، أما بعد:

فقد جاء هذا البحث بعنوان: "ألفاظ النَّخْلة في اللهجة الدارجة لبني سُليْم الحجاز دراسة لغوية"؛ إذ يتناول ألفاظ النَّخْلة التي ما زالت تستعملها قبيلة بني سُليْم الحجاز حتى الآن، ومعرفة مدى علاقتها باللغة الفصيحة، وتأثرها بالعامية، ومن الأسباب التي دعت الباحث أيضاً إلى كتابة هذا البحث؛ ما وجده من قضايا لغوية في هذه الألفاظ، مثل: بعض القضايا الصوتية، والصرفية، والدلالية.

ومن التأليفات على هذا النمط - أي علاقة اللهجات المعاصرة بالفصحى - دراسة بعنوان: (ألفاظ المطر والسحاب في لهجة الحجاز المعاصرة، وعلاقتها بالفصحى)، لخلف بن محسن القرشي، ودراسة أخرى بعنوان: (إبراز صلة اللهجات المعاصرة بالفصحى وأثرها فيها)، لفاطمة حسن شحادة، ودراسة ثالثة بعنوان: (اللهجات العربية وعلاقتها باللغة العربية الفصحى: دراسة لغوية)، لمحمد شفيع الدين.

أما الدراسات اللغوية التي تناولت لهجة بني سُليْم خاصة فمنها: (لهجة بني سُليْم دراسة لغوية)، لمؤمن البدارين، وركز فيها على الألفاظ التي جاءت منسوبة لقبيلة بني سُليْم في المصادر، ودراسة علي غالب ناصر (لهجة بني سُليْم)، وركزت أيضاً على الألفاظ التي جاءت منسوبة لقبيلة بني سُليْم في المصادر، ودراسة بعنوان (شواهد العربية من شعر بني سُليْم: دراسة توثيقية نحوية تحليلية)، لعبدالله السُّلمي، وتناولت الشواهد الشعرية التي ذُكرت في المصادر منسوبة لقبيلة بني سُليْم.

وسيكون البحث - بعد المقدمة - في تمهيد ومبحثين، على النحو الآتي:

التمهيد:

أولاً: نبذة عن قبيلة بني سُليْم.

ثانياً: فصاحة قبيلة بني سُليْم.

ثالثاً: اللهجة لغة واصطلاحاً.

رابعاً: بين اللهجة واللغة.

المبحث الأول: ألفاظ النَّخلة في لهجة قبيلة بني سُليّم.

المبحث الثاني: ألفاظ النَّخلة في لهجة قبيلة بني سُليّم دراسة لغوية:

أولاً: المستوى الصوتي.

ثانياً: المستوى الصرفي.

ثالثاً: المستوى الدلالي.

التمهيد

أولاً: نبذة عن قبيلة بني سُليْم:

لم تكن قبيلة بني سُليْم وليدة اليوم، فهي قبيلة عربية من أعرق القبائل العدنانية، يمتد ذكرها ونسبتها إلى العصر الجاهلي، لها مكانتها في الجاهلية وفي صدر الإسلام. أما عن موطن سكن قبيلة بني سُليْم قديماً فقد اختلفت المصادر في تحديده، واتفقوا على أنه "كان بأعالي الحجاز، بينه وبين نجد، شرقي مدينة جدة الشمالي، وشرقي المدينة المنورة الجنوبي، وكانت تجاورها بعض القبائل العربية، مثل هوازن وحيان، وكان استقرار سُليْم في هذا المكان في فترة الجاهلية الأخيرة القريبة من صدر الإسلام، وقد استمر مقامهم به حتى العصر الحاضر، مع تقلص في بعض المواقع، ولا تزال أسماء الكثير من أماكن هذه الرقعة في جبالها وأوديتها وقراها على ما كانت عليه قبل الإسلام"^(١).

أما عن سكن قبيلة بني سُليْم الحالي فيحدها من ناحية الشرق: القَرى - بفتح القاف والراء - وهي حرّة مرتفعة يسيل منها الماء إلى الغرب والشرق معاً. ويحدها من ناحية الغرب: الحُوار، ومنهم من يقول وادي الحُلَيْفَة. ويحدها من ناحية الجنوب: رُهاط. ويحدها من ناحية الشمال: جبال الحقو، شمال وادي تمرة الواقع شمال ستارة. وأرض بني سُليْم الحالية لا تقل طولاً عن (٣٠٠) كيلو متر تقريباً، من الجنوب إلى الشمال، ولا تقل عرضاً عن: (٢٠٠) كيلو متر تقريباً، من الشرق إلى الغرب^(٢).

ثانياً: فصاحة قبيلة بني سُليْم:

تُعد قبيلة بني سُليْم من القبائل المعتد بلغتها؛ ودليل ذلك كثرة الاستشهاد

(١) عبد القدوس الأنصاري، "بنو سُليْم". تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، (د.ط،

بيروت: دار ومكتبة الهلال، د.ت)، ٤: ٥٦.

(٢) عبدالله بن حسين آل بن علي، "قبائل بني سُليْم في الماضي والحاضر نسب وتاريخ". (ط١،

د.ن، ٢٠٠٩م)، ١٠٥.

بلغتهم في القرآن، والشعر، واللغة، وغيرها من مصادر الاستشهاد، كما نصت المصادر أيضًا على فصاحة قبيلة بني سُليْم، ففي التعليقات^(١): نقل البليسي في الأنساب: قال الهجري: جَهَنَ الشيءَ يَجْهَنُ جُهُونًا: قرب، والجمع أجهان، وقال: وقال لي اليعقوبي - يحيى من بني مرداس من سُليْم - وهم أفصح من بين المسجدين: يا زكريا جَهَنْتُ وفاتي، أي قريت.

ومن نماذج ورود لغة قبيلة بني سُليْم في المصادر:

١ - لغة بني سُليْم في القراءات:

وردت بعض القراءات القرآنية عند بعض الأئمة على لهجة بني سُليْم، ومنها قول الفراء في قول الله تعالى: ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ﴾ [البقرة: ٣٨]: هُدَيْلٌ وبعض سُليْم يقولون: هُدَيْيٌّ، مثل: عَلَيَّ، وَلَدَيْيَّ. وقال أيضًا: ﴿شَيْئًا إِذَا﴾ [مریم: ٨٩]: الفراء على كسر الهمزة، وبعض سُليْم يقرأ: "أدأ"^(٢). وقال أبو حيان في قوله تعالى^(٣): ﴿أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٥]: وقرأ السُّلَمِيُّ: إِيَّانَ، بكسر الهمزة، وهي لغة قبيلته بني سُليْم.

٢ - لغة بني سُليْم في المعاجم:

جاءت المصادر اللغوية حافلة بالرواية عن قبيلة بني سُليْم، فأكد أجزم أنه لا يخلو معجم من معاجم اللغة عن ذكر شيء من لهجة بني سُليْم، أو من الرواية عن أحد أفرادها، ومن أمثلة ذلك:

- قال الخليل^(٤): قال السُّلَمِيُّ: الدَّعْلَجُ عندنا: الضُّبُّ إذا هاج فإتما هو

(١) أبو علي هارون بن زكريا الهجري، "التعليقات والنوادر". بترتيب: حمد الجاسر، (ط١)، الرياض: دار اليمامة، ١٩٩٢م)، ٥: ٢١٥.

(٢) أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، "كتاب فيه لغات القرآن". ضبطه وصححه: جابر بن عبد الله السريع، (د.ط، د.ن، ١٤٣٥هـ)، ٢٢-٩٠.

(٣) أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي، "البحر المحيط في التفسير". تحقيق: صدقي محمد جميل، (د.ط، بيروت: دار الفكر، ١٤٢٠هـ)، ٨: ٢٦١.

(٤) الخليل بن أحمد الفراهيدي، "كتاب العين". تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، (د.ط، بيروت: دار ومكتبة الهلال، د.ت)، ٢: ٣١٧.

ألفاظ النَّحْلَة في اللهجة الدارجة لبني سُليْم الحجاز-دراسة لغوية، لُقْاي بن لافي مَذخر السُّلمي

مقبل ومدبر.

- قال الشيباني^(١): قال السُّلمي: الجدود، من الضأن: التي قد ولي لبنها.

- قال الأزهري^(٢): وقال إسحاق بن الفرج: سمعت بعض بني سُليْم يقولون: عكَّظه عن حاجته ونكَّظه: إذا صرفه عنها.

- قال الأزهري^(٣): وقال بعض بني سُليْم: وعاء مَدْحُوس ومَدْكُوس ومَكْبُوس:

بمعنى واحد.

- في الصحاح^(٤): وقلت لأعرابي من بني سُليْم: ما العَوْهَق؟ فقال: الطويل من

الرُّبْد.

- في المحكم^(٥): وحكى اللحياني عن بني سُليْم، ما أَحَبْتُ ذاك: أي ما

أحببت.

- في العباب^(٦): وقال أبو المقدم السُّلمي: تسَقَطْتُ الخير: إذا أخذته قليلاً

قليلاً شيئاً بعد شيء.

٣- شواهد لغة بني سُليْم من النحو:

لم تخل كتب النحويين من ذكر لغة قبيلة بني سُليْم، فقد استشهد بها النحويون؛

(١) أبو عمرو إسحاق بن مرار الشيباني، "معجم الجيم". تحقيق: إبراهيم الإياري، (د.ط،

القاهرة: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ١٩٧٤م)، ١: ١٣٢.

(٢) محمد بن أحمد الأزهري، "تهذيب اللغة". تحقيق: محمد عوض مرعب، (ط١)، بيروت: دار

إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م)، ١: ١٩٨.

(٣) الأزهري، "تهذيب اللغة"، ٤: ١٦٦.

(٤) إسماعيل بن حماد الجوهري، "الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية". تحقيق: أحمد عبدالغفور

عطار، (ط٤)، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٧م)، ٤: ١٥٣٥.

(٥) علي بن إسماعيل بن سيده، "المحكم والمحيط الأعظم". تحقيق: عبدالحميد هنداوي، (ط١)،

بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م)، ٢: ٥٤٢.

(٦) الحسن بن محمد الصغاني، "العباب الزاخر واللباب الفاخر". تحقيق: محمد حسن آل ياسين،

(د.ط، العراق: دار الرشيد، ١٩٧٩م)، حرف الطاء: ٨٧.

لتوجيه بعض القضايا النحوية والصرفية، ومن تلك الاستشهادات:

قال سيبويه^(١): وزعم أبو الخطاب وسألته عنه غير مرة: أن أناساً من العرب يوثق بعريتهم، وهم بنو سُليَم يجعلون باب "قلت" أجمع مثل "ظننت".

قال ابن مالك^(٢): وبنو سُليَم يجرون القول وفروعه مجرى الظن وفروعه في نصب المبتدأ والخبر، وفتح "أَنَّ" الواقعة بعده.

قال ابن مالك^(٣): وبنو سُليَم يقولون منذ ومد بكسر الميم.

٤ - شواهد لغة بني سُليَم من الشعر:

جاء الاستشهاد بشعر شعراء قبيلة بني سُليَم كثيراً جداً في كتب النحو، فأوردوا هذا الشعر احتجاجاً به على بعض المسائل النحوية والصرفية، وما استشهد به من شعر قبيلة بني سُليَم:

١ - قول مؤرج السُّلمي: [الكامل]

قَدَرٌ أَحَلَّكَ ذَا الْمَجَازِ وَقَدْ أَرَى وَأَيُّ مَالِكَ ذُو الْمَجَازِ بِدَارِ

استشهد به النحويون على جواز رد اللام إلى الأسماء الستة حال إضافتها إلى ياء المتكلم^(٤).

٢ - قول زياد بن واصل السُّلمي: [المتقارب]

فَلَمَّا تَبَيَّنَ أَصْوَاتُنَا بَكَّيْنٌ وَقَدِئِنَّا بِالْأَبْيَنَا

استشهد به النحويون على جمع "الأب" جمع مذكر سالماً^(٥).

(١) أبو بشر عمرو بن عثمان الملقب بسيبويه، "الكتاب". تحقيق: عبدالسلام هارون، (ط١)، بيروت: دار الجيل، ١٩٩١م)، ١: ١٤١.

(٢) محمد بن عبدالله بن مالك، "شرح تسهيل الفوائد". تحقيق: عبدالرحمن السيد ومحمد بدوي المختون، (ط١)، الجزيرة: هجر للطباعة والنشر، ١٩٩٠م)، ٢: ٩٥.

(٣) المصدر السابق، ٢: ٢١٦.

(٤) أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش، "شرح المفصل". تحقيق: إميل بديع يعقوب، (ط١)، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠١م)، ٢: ٢١٣.

(٥) المصدر السابق.

ألفاظ النَّحْلَةِ فِي اللَّهْجَةِ الدَّارِجَةِ لِبَنِي سُلَيْمٍ الْحِجَازِ - دراسة لغوية، لُقَّاي بن لافي مذخر السُّلَمي

٣- قول زياد بن واصل السُّلَمي: [المتقارب]

أَقُولُ لَهُ وَالرُّمُحُ يَأْطِرُ مَتْنَهُ تَأَمَّلْ حُقَافًا إِنِّي أَنَا ذَلِكَا
استشهد به النحويون على إنبابة اسم الإشارة البعيد عن القريب^(١).

٤- قول العباس بن مرداس السُّلَمي: [المتقارب]

أَبَا حُرَاشَةَ أَمَا أَنْتَ ذَا نَقَرٍ فَإِنَّ قَوْمِي لَمْ تَأْكُلْهُمُ الضَّبْعُ
استشهد به النحويون على حذف "كان" وبقاء الخبر^(٢).

ثالثًا: اللهجة لغة واصطلاحًا:

١- اللهجة لغة:

اللَّهْجَةُ لغة مأخوذة من قولهم: لَهَجَ بِالْأَمْرِ يَلْهَجُ لَهَجًا فَهُوَ لَهَجٌ، وَهَوَجَ وَأَلْهَجَ:
أُولِعَ بِهِ وَاعْتَادَهُ. وَقَدْ لَهَجَ بِهِ: إِذَا أُغْرِيَ بِهِ فَثَابَرَ عَلَيْهِ. وَالْفَصِيلُ يَلْهَجُ أُمَّهُ: إِذَا
تَنَاوَلَ صَرَغَهَا بِالْمَصِّ، وَأَلْهَجْتُهُ بِالشَّيْءِ: صَرَبْتَهُ بِهِ^(٣).

٢- اللهجة اصطلاحًا:

ومن تعاريف اللهجة في الاصطلاح: هي مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي
إلى بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة. وبيئة اللهجة
هي جزء من بيئة أوسع وأشمل تضم عدة لهجات، لكل منها خصائصها؛ ولكنها
تتشارك جميعًا في مجموعة من الظواهر اللغوية التي تيسر اتصال أفراد هذه البيئة

(١) أبو البركات عبدالرحمن بن محمد الأنباري، "الإنصاف في مسائل الخلاف". تحقيق: جودة
مبروك، (ط١، القاهرة: مكتبة الخانجي، ٢٠٢٠م)، ٥٨٢.

(٢) ابن يعيش، "شرح المفصل"، ٢: ٨٩.

(٣) الجوهرى، "الصحاح"، ١: ٣٣٩؛ وأبو القاسم إسماعيل بن عباد، "المحيط في اللغة". تحقيق:
محمد حسن آل ياسين، (ط١، بيروت: عالم الكتب، ١٩٩٤م)، ٣: ٣٧٨؛ وابن سيده،
"المحکم"، ٤: ١٦٧؛ وأبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، "أساس البلاغة".
تحقيق: محمد باسل عيون السود، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م)، ٢:
١٨٢.

بعضهم ببعض، وفهم ما قد يدور بينهم من حديث فهمًا يتوقف على قدر الرابطة التي تربط بين هذه اللهجات^(١). وقيل: اللهجة هي قيود صوتية تُلاحظ عند أداء الألفاظ في بيئة معينة^(٢).

رابعًا: بين اللهجة واللغة:

اختلط على كثير من الباحثين معرفة الفرق بين مصطلحين يتعلقان بتلك الأصوات التي يتواصل بها أفراد بيئة معينة، فمنهم من أطلق عليها "لهجة"، ومنهم من سمّاها "لغة"، والحقيقة أن المصطلحين السابقين يدلان على معنى واحد. فاللغة كما حدّها ابن جني^(٣): أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم. واللهجات كما ذكرنا سابقًا: صفات أو قيود تتعلق بلغة قوم في بيئة ما. فالتعريفان السابقان يتطرقان إلى أن اللغة واللهجة هي ما يتواصل به أفراد بيئة معينة فيما بينهم.

والحقيقة أن القدماء لم يفرقوا بين المصطلحين السابقين، فتجددهم يعرفون اللهجة في بعض الأحيان بأنها لغة، ففي العين^(٤): يقال فصيح اللهجة، واللهجة: هي لغته التي جُبل عليها فاعتادها، ونشأ عليها. فالخليل إذن يرى أن لهجة الإنسان هي لغته، فلم يفرق بينهما. وقال ابن فارس^(٥): وسميت لهجة؛ لأن كُلاً

(١) إبراهيم أنيس، "في اللهجات العربية". (ط٦، القاهرة: مكتبة الأنجلو، د.ت)، ١٦.

(٢) إبراهيم محمد نجا، "اللهجات العربية". (د.ط، القاهرة: مطبعة السعادة، ١٩٥٧م)، ٢٦-٧.

(٣) أبو الفتح عثمان بن جني، "الخصائص". تحقيق: محمد علي النجار، (د.ط، القاهرة: دار الكتب المصرية، د.ت)، ١: ٣٣.

(٤) الفراهيدي، "كتاب العين"، ٣: ٣٩١.

(٥) أبو الحسين أحمد بن فارس، "مقاييس اللغة". تحقيق: عبدالسلام هارون، (ط٢، بيروت: دار

الجيل، ١٩٩٩م)، ١: ٢٤٩.

ألفاظ النَّخلة في اللهجة الدارجة لبي سُلَيْم الحجاز-دراسة لغوية، لُقَّاي بن لافي مذكر السُّلمي
يَلْهَج بلغته وكلامه. فاللهجة هي اللغة عنده أيضاً. وفي المصباح^(١): اللهجة بفتح
الهاء وإسكانها: لغة اللسان.
إذا نظرنا في الأقوال السابقة نجد أن اللغة دخلت صراحة في تعريف اللهجة
عندهم جميعاً، ولم يفرقوا بينهما؛ بل إن نص الخليل واضح جلي على أن لهجة
الإنسان هي لغته.

(١) أحمد بن محمد بن علي الفيومي، "المصباح المنير في غريب الشرح الكبير". تحقيق: عبدالعظيم
الشناوي، (ط٢، القاهرة: در المعارف، د.ت)، ٢ : ٥٥٩.

المبحث الأول: ألفاظ النَّخْلة في لهجة قبيلة بني سُليْم
سأذكر في هذا المبحث ألفاظ النَّخْلة في لهجة بني سُليْم الدارجة ومدى ارتباطها باللغة العربية في عصور الاحتجاج، وهل ما زال يستعمل السُّلَمِيُّونَ في عصرنا الحاضر ألفاظاً فصيحة تتعلق بالنَّخْلة؟ وقد رتبت هذه الألفاظ ترتيباً أبثنيًا وهي:
(ب س ر): البُسْر: بكسر الباء وسكون السين: البَلْح قبل أن يتحول إلى تمر. وهي كلمة فصيح قديمة، لا تزال تستعمل عند قبيلة بني سُليْم، مع اختلاف في نطقها الصوتي؛ إذ إن المستعمل الآن بكسر الباء، بينما الفصح الذي ورد في المعاجم بضم الباء، ففي المقاييس^(١): الباء والسين والراء أصلان: أحدهما الطراء، وأن يكون الشيء قبل إناه. وفي العين^(٢): "والْبُسْر: من التَّمْر قبل أن يُرْطَب، والواحدة بُسْرَة، وأبْسَر النَّخْل: صار بُسْرًا بعد ما كان بَلْحًا"، قال أبو عبيد^(٣): إذا بدأ الطَّلَع فهو الغضبيض، ثم هو البلح، ثم إذا انعقد الطَّلَع حتى يصير بلحًا فهو السِّيَاب، فإذا عظم فهو البُسْر. وقال ابن سيده^(٤): "والْبُسْر: التَّمْر قبل أن يُرْطَب؛ لِعَضَاظَتِهِ، واحِدُهُ بُسْرَة، وقد قيل إنه مُشْتَقٌّ من البُسْر: الذي هو الإِعْجَال؛ لأنه أُخِذَ قبل أوانه، وهذا ضعيف، وهو البُسْر واحِدُهُ بُسْرَة".

(ب غ ث): أبو بُغَيْث: مرض يصيب بلح النَّخْلة، ويغير لونه، ويفسده. والبُعْثَة: اللون، ففي الجمهرة^(٥): "والْبُعْثَة: كُدْرَة في ورقة، وهو لون الأَبْعَث من الطير وغيرها، وعنز بغشاء: إذا كانت كذلك". وهذا المرض يغير لون البلح حقيقة حتى يصبح لونه أبغث فعلاً، ومعه لا يستفاد من البلح ويعطى للماشية.

(١) ابن فارس، "مقاييس اللغة"، ١: ٢٤٩.

(٢) الفراهيدي، "كتاب العين"، ٧: ٢٥٠.

(٣) أبو عبيد القاسم بن سلام، "الغريب المصنف". تحقيق: صفوان عدنان داوودي، (ط١)، دمشق - بيروت: دار الفيحاء، ٢٠٠٥م)، ١: ٥٤٣.

(٤) ابن سيده، "المحکم"، ٨: ٤٨٨.

(٥) أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد، "جمهرة اللغة". تحقيق: رمزي منير بعلبكي، (ط١)، بيروت: دار الملايين، ١٩٨٧م)، ١: ٢٦٠.

ألفاظ النَّخْلة في اللهجة الدارجة لبني سُليْم الحجاز-دراسة لغوية، لُقْاي بن لافي مذخر السُّلمي

(ب ل ح): **البلح**: يقال لثمر النَّخْلة عندما يصفّر. وفي العين: **البلح**: حَمَل النَّخْل ما دام أَحْضَرَ صغارًا كحَصْرِمِ العِنَب. وقال الجوهرى^(١): **البلح**: قَبْل البُسْر؛ لأنَّ أول الثَّمَر طَلَع، ثم حَلال، ثم بَلح، ثم بُسر، ثم رُطَب، ثم تَمَر. وقال ابن الأثير في حديث ابن الزبير^(٢): "ارْجِعُوا فَقَدْ طَابَ البَلح"، هو أول ما يُرطَب من البُسْر. فالقولان الأخيران يؤيدان معنى البلح عند قبيلة بني سُليْم؛ لأن ثمر النَّخْلة يتغير لونه إلى اللون الأصفر قبل النضج، أما قول الخليل: "ما دام أَحْضَرَ؛ فإنه يقصد بأنه لم ينضج.

(ت م ر): **التَّمَر**: ثمر النَّخْل بعد استوائه. وهذا اللفظ معروف مشهور عن قبيلة بني سُليْم وغيرها، وورد ذكره في كثير من الأحاديث، ومن ذلك قول النبي ﷺ^(٣): "يا عَائِشَةُ بَيْتٌ لَا تَمَرٌ فِيهِ جِيعٌ أَهْلُهُ، يا عَائِشَةُ بَيْتٌ لَا تَمَرٌ فِيهِ جِيعٌ أَهْلُهُ، أو جَاعَ أَهْلُهُ، قَالَهَا مَرَّتَيْنِ أو ثَلَاثًا"، وجاء في كتاب العين^(٤): "والتَّمَر: حَمَل النَّخْلة"، وفي المحكم^(٥): "التَّمَر: حَمَل النَّخْل، واجِدَتْهُ تَمَّرَةً".

(ث ف ر ق): **الثَّفَرُوق**^(٦): يقال للغطاء الذي في أعلى الثَّمرة، ويصلها بالشُّمْرُوخ. وهذا اللفظ قد ورد صراحة في المصادر، قال أبو عبيد^(٧): قال العديس

(١) الجوهرى، "الصحاح"، ١: ٣٥٦.

(٢) المبارك بن محمد بن الأثير، "النهاية في غريب الحديث والأثر". خرج أحاديثه وعلق عليه: أبو عبدالرحمن صلاح بن محمد، (ط٢، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢م)، ١: ١٥١.

(٣) مسلم بن الحجاج النيسابوري، "المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ". تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، (د.ط، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت)، ٣: ١٦١٨.

(٤) الفراهيدي، "كتاب العين"، ٧: ٢٥٠.

(٥) ابن سيده، "المحکم"، ٩: ٤٨٥.

(٦) وهذا القول تفرد به شخص واحد؛ لكنه فصيح صحيح.

(٧) ابن سلام، "الغريب المصنف"، ١: ٥٤٣.

الكناني: الثُّفْرُوقُ: ما يلتزق به القِمَع من الثَّمرة. وفي نوادر أبي مسحل^(١): ما له ثُفْرُوقٌ، ولا دُفْرُوقٌ: وهو قمع الثَّمرة والبُسرة. وقال أبو حاتم في كتاب النَّخلة^(٢): والثُّفْرُوقُ: القِمَع.

(ث ل ل): الثَّلَّةُ: بداية طلع النخلة بعد ظهورها من غلافها. وهو الكافور في المصادر. ولم أعر على هذا اللفظ بهذا المعنى في المصادر؛ لكنه لفظ صحيح في مبناه، وموافق للعربية، ويظهر أنه مأخوذ من قولهم^(٣): الثَّلَّةُ: جماعة الغنم. تشبيهاً به؛ لأن الثَّلَّةُ تتكون من مجموعة من الشماريح، كما هو حال مجموعة الغنم.

(ج د ع): الجِدْعُ: يقال لساق النخلة^(٤).

(ج د ي): الجُدِّي: دَكَر النَّخْلِ. وهذا اللفظ لم أعر عليه في المصادر يقال لذكر النخل، ويظهر أنه أخذ مجازاً من قولهم لذكر المعز "جُدِّي"، ففي العين^(٥): الجُدِّي: الدَّكَر من أولاد المعز. وفي المحكم^(٦): الجُدِّي: الدَّكَر من أولاد المعز. لأن الجُدِّي دَكَر النَّخْلِ يقوم بالوظيفة نفسها التي يقوم بها الجُدِّي دَكَر المعز.

(ج ذ ع): الجِدْعُ: ساق النخلة. ورد ذكره في القرآن بهذا اللفظ صراحة، قال الله تعالى: ﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ [مريم: ٢٣]، وقال أبو عبيد^(٧): قال الأصمعي: إذا كان للنخلة جذع يتناول منه المتناول فتلك النخلة العصيد. وفي

(١) أبو مسحل عبد الوهاب بن حريش، "كتاب النوادر". تحقيق: عزة حسن، (د.ط، دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربية، ١٩٦١م)، ١: ٢١.

(٢) أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني، "كتاب النخلة". تحقيق: حاتم صالح الضامن، (ط ١، بيروت: دار البشائر، ٢٠٠٢م)، ٦٦.

(٣) إسحاق بن إبراهيم الفارابي، "معجم ديوان الأدب". تحقيق: أحمد مختار عمر وإبراهيم أنيس، (د.ط، القاهرة: مؤسسة دار الشعب، ٢٠٠٣م)، ٣: ١٥.

(٤) انظر: مادة "ج ذ ع".

(٥) الفراهيدي، "كتاب العين"، ٦: ١٦٧.

(٦) ابن سيده، "المحكم"، ٧: ٥٠١.

(٧) ابن سلام، "الغريب المصنف"، ١: ٥٤٨.

ألفاظ النَّخْلة في اللهجة الدارجة لبي سُلَيْم الحجاز-دراسة لغوية، لُقْاي بن لافي مذخر السُّلمي

إصلاح المنطق^(١): والجِدْع: جِدْع النَّخْلة.

(ج ر د): الجَرِيدَة: تُطْلَق على سَعَف النَّخْلة. وهذا اللفظ خصَّ به أبو عبيد أهل الحجاز؛ إذ قال^(٢): والسَّعَف: هو الجَرِيد عند أهل الحجاز، واحدته جَرِيدَة. وفي نوادر أبي مسحل^(٣): والسَّعَفَة: الجَرِيدَة. وفي كتاب النَّخْلة لأبي حاتم^(٤): والسَّعَف: الجَرِيد. وفي المحكم^(٥): وقيل: الجَرِيدَة للنَّخْلة كالفَضِيْب للشَّجَرَة.

(ج م ر): الجُمَّارَة: قطعة بيضاء تخرج في نهاية قلب النَّخْلة بعد قلعه، طيبة المأكَل. وفي كتاب العين^(٦): والجُمَّار: شَحْم النَّخْل الذي في قمة رأسه، تُقَطَّع قمته ثم يكشط عن جُمَّارَة في جوفها بيضاء كأنَّها قطعة سَنَامٍ ضخمة، رخصة تتفتَّت بالقَم، تؤكَل بالعسل. وفي الغريب المصنّف^(٧): وشَحْمَة النَّخْلة: هي الجُمَّارَة. وفي كتاب النَّخْلة لأبي حاتم^(٨): والجُمَّارَة: هي الشَّحْمَة.

(ح ش ف): الحَشْف: ما فسد من ثمر النَّخْلة قبل استوائه، وهو لا يؤكَل. قال الخليل^(٩): الحَشْف: ما لم يُنَوِّ من التَّمَر، فإذا يَبَس صَلَبَ وفسد، لا طعم له ولا حلاوة. وقال أبو عبيد^(١٠): قال الأموي: في لغة بلحارث بن كعب: الصَّيْص والحَشْو جميعًا: الحَشْف. وقال أبو حاتم^(١١): قال أبو زيد: الحَشْف: ما تحشَّف فيه، أي: ما

(١) يعقوب بن إسحاق بن السكيت، "إصلاح المنطق". تحقيق: أحمد شاکر وعبد السلام هارون، (د.ط، مصر: دار المعارف، د.ت)، ٢٧.

(٢) ابن سلام، "الغريب المصنّف"، ١: ٥٤١.

(٣) ابن حريش، "كتاب النوادر"، ٢: ٤٣٢.

(٤) البتجستاني، "كتاب النَّخْلة"، ٦١.

(٥) ابن سيده، "المحكم"، ٧: ٣١٦.

(٦) الفراهيدي، "كتاب العين"، ٦: ١٢٣.

(٧) ابن سلام، "الغريب المصنّف"، ١: ٥٤١.

(٨) البتجستاني، "كتاب النَّخْلة"، ٦١.

(٩) الفراهيدي، "كتاب العين"، ٣: ٩٦.

(١٠) ابن سلام، "الغريب المصنّف"، ١: ٥٤٦.

(١١) البتجستاني، "كتاب النَّخْلة"، ٧٦.

تقبض ويبس ولم يكن له لحاء ولا دبس.

(ح ل ق): **حَلَقَ النَّخْلَةَ**^(١): أعلاها عند اجتماع الجريد. وهذا اللفظ لم يرد في المصادر خاصاً بالنخلة. قال ابن دريد^(٢): والحَلَقُ: حَلَقَ الإنسان وغيره. وشبهوا حَلَقَ النَّخْلَةَ بحَلَقِ الإنسان؛ لأن حَلَقَ الإنسان يكون في أعلاه من جهة الرأس وكذلك حَلَقَ النَّخْلَةَ في أعلاها من جهة الرأس.

(خ ر ف ش): **الْحَرْفَشُ**، **الوَاحِدَةُ حَرْفَشَةٌ**: ثمر النَّخْلَةِ يفسد قبل استوائه، ثم يتحول غلافه إلى مادة خفيفة إذا وضعها بين أصابعك تكسرت وسمعت لها صوتاً بسبب اليبس، ويعطى للماشية. ولم أعر على هذا اللفظ بهذا المعنى في المصادر؛ لكنه لفظ صحيح في مبناه، وموافق للعربية، وهذا الجذر فقير في المعاجم، حيث لم يرد فيه إلا معنيان فقط هما: **المِخْرَنْفَشُ**^(٣): المغتاض. و**المِخْرَفَشُ**^(٤): **المِخْلَاطُ**.

(خ ر ن ف): **الْحُرْنُوفُ**: واحد شماريخ الثَّلَّة. ولم أعر على هذا اللفظ بهذا المعنى في المصادر، وجاء قريب من هذا في التهذيب^(٥): **وَحَرَائِفُ الْعِضَاءِ: ثَمْرُهَا**، **وَاحِدُهَا حِرْنَفَةٌ**. والشُّمْرُوخُ هو الغصن الذي ينمو على أطرافه التَّمْر، ويظهر أن لفظ الحُرْنُوفُ أُطلق على الشُّمْرُوخِ تفاقماً باعتبار ما سيكون.

(ذ ف ر ق): **الدُّفْرُوقُ**: يقال للغطاء الذي في أعلى التَّمْرَةِ، ويصلها بالشُّمْرُوخِ (دُفْرُوق)^(٦).

(ذ ن ب): **الدَّنَيْبُ**: بداية الإرتطاب في أسفل ثمر النَّخْلَةِ. قال أبو عبيد^(٧): فإذا أتاه التَّوكيت من قبل دَنَبِهَا قيل: دَنَبْتُ، فهي مُدَنَّبَةٌ، والرُّطْبُ: التَّدْنُوبُ. وقال

(١) وهذا القول تفرد به شخصان.

(٢) ابن دريد، "جمهرة اللغة"، ١: ٥٥٨.

(٣) الفراهيدي، "كتاب العين"، ٤: ٣٢٥.

(٤) ابن عباد، "المحيط في اللغة"، ٤: ٤٥٣.

(٥) الأزهرى، "تهذيب اللغة"، ٢: ٢٢.

(٦) انظر: مادة "ث ف ر ق".

(٧) ابن سلام، "الغريب المصنف"، ١: ٥٤٤.

ألفاظ النَّخْلة في اللهجة الدارجة لبنى سُلَيْم الحجاز-دراسة لغوية، لُقاي بن لافي مذكر السُّلمي

أبو حاتم نحو ذلك في كتاب النَّخْلة^(١).

(ر ط ب): الرُّطْب: الثَّمَر الذي يستوي نصفه وما علا، ويصلح للأكل. وهذا اللفظ فصيح صحيح ورد ذكره في القرآن الكريم والحديث الشريف، ففي القرآن قال الله تعالى: ﴿وَهَرَيَّ إِلَيْكَ يَجِدُ النَّخْلَةَ تَسْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا﴾ [مریم: ٢٥]، وفي الحديث^(٢): "حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسًا قَالَ: كُنْتُ قَائِمًا عَلَى الْحَيِّ أَسْقِيهِمْ عُمُومَتِي وَأَنَا أَصْعَرُهُمُ الْفَضِيحَ، فَقِيلَ: حَرَمَتِ الْحُمُرُ، فَقَالُوا: أَكْفَيْهَا فَكَفَأَتْهَا، قُلْتُ لِأَنْسٍ مَا شَرَّجُهُمْ؟ قَالَ: رُطْبٌ وَبُسْرٌ".

(ز غ ط): الرُّغْطِي: الثَّمَر اللين شديد اللبونة. ولم أعرثر عليه في المصادر. وقالوا: الرُّغْطِي، كما قالوا^(٣): البُرْدِيُّ: ضرب من أجود الثَّمَر، والغُبْرِي: ما نَبَتَ من البندر على شطوط الأنهار.

(ز ن ن): الرَّنَان: أول تكوُّن الثَّمَر، ويكون صغيراً جداً. ولم أعرثر على هذا اللفظ بهذا المعنى في المعاجم. وجاء هذا اللفظ بمعنى: القصير، ففي القاموس^(٤): وظلُّ زَنان كسحاب: قصير.

(ز ه و): الرُّهُو: بداية تغير لون هو تغير لون البسر من الأخضر إلى الأحمر أو الأصفر. وهذا اللفظ صرح أبو عبيد بأنه لغة أهل الحجاز؛ إذ قال^(٥): فإذا ظهرت فيه الحمرة قيل: أزهى النَّخل يُزهي، وهو الرُّهُو، وفي لغة أهل الحجاز: الرُّهُو. وقال أبو

(١) البتجستاني، "كتاب النَّخْلة"، ٧٢.

(٢) محمد بن إسماعيل البخاري، "الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه". تحقيق: مصطفى ديب البغا، (ط٣)، بيروت: دار ابن كثير، ١٩٨٧م، ٥: ٢١٢١.

(٣) الفارابي، "معجم ديوان الأدب"، ١: ١٧٤-١٧٥.

(٤) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، "القاموس المحيط". تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، (ط٨)، بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٥م، ١٠٢٤.

(٥) ابن سلام، "الغريب المصنف"، ١: ٥٤٣.

حاتم^(١): قالوا: ثم يُزهي بعد التّصبيء، فيصير زهواً، بالفتح، وزهواً بالضم، وهما لغتان. وقد أزهى النخل. وإنما يسمى زهواً؛ إذا خلص لون البُسرة منها.

(س د ي): السّدى: يُطلق على البلح الأخضر قبل نضوجه. قال الخليل^(٢): السّدى: البلح الأخضر بشماريخه. وقال أبو عبيد^(٣): فإذا وقع البلح واسترخت ثفاريقه وندي، قيل: بلح سدّ، وقد أسدى النخل، وقال أبو عمرو وغيره: وهو السّدى. وقال أبو حاتم^(٤): والسّدى من البلح: وهو أخضر بعُد.

(س ع ف): السّعف، والواحدة سَعْفَة: يُطلق على جريدة النّخلة بأوراقها، وهناك من يطلقه على الأوراق التي تنمو في جريد النّخلة فقط. قال الخليل^(٥): السّعف: أغصان النّخلة الواحدة: سَعْفَة. وقال أيضاً^(٦): والجريدة: سَعْفَة رطبة جَرَد عنها خوصها كما يُقشأ الورق عن القضيّب. فكلام الخليل يدل على أنّ السّعف يُطلق على الجريدة بأوراقها، أما إذا خلت من الأوراق فهي جريدة، وهذا يؤيد قول من أطلق السّعف على جريدة النّخلة بأوراقها. ويؤيد ذلك أيضاً قول أبي عبيد^(٧): والسّعف هو الجريد عند أهل الحجاز، الواحدة جريدة. وقال ابن سيده^(٨): وقيل لا تكون السّعْفَة جريدة؛ إلا بعد أن يُنزع خوصها. أما من قال إنّ السّعف أغصان جريد النّخل فقط؛ فيؤيده قول الأزهري^(٩): السّعف: وَرَق جَرِيد النّخل الذي يُسَفّ

(١) السّجستاني، "كتاب النّخلة"، ٧١.

(٢) الفراهيدي، "كتاب العين"، ٧: ٢٨٥.

(٣) ابن سلام، "الغريب المصنف"، ١: ٥٤٣.

(٤) السّجستاني، "كتاب النّخلة"، ٧١.

(٥) الفراهيدي، "كتاب العين"، ١: ٢٤٠.

(٦) المصدر السابق، ٦: ٧٦.

(٧) ابن سلام، "الغريب المصنف"، ١: ٥٤١.

(٨) علي بن إسماعيل بن سيده، "المخصص". تحقيق: خليل إبراهيم فجال، (ط١)، بيروت: دار

إحياء التراث العربي، (١٩٩٦م)، ٣: ٢١٢.

(٩) الأزهري، "تهذيب اللغة"، ٢: ٦٧.

ألفاظ النَّخْلة في اللهجة الدارجة لبني سُلَيْم الحجاز-دراسة لغوية، لُقْاي بن لافي مذكر السُّلمي

مِنْهُ الزُّبْلَان والجِلَال والمرَاح وما أشبهها. فأطلق السَّعْف على الأوراق التي تستعمل في صناعة الزُّبْلَان والجِلَال؛ ولأن جريدة النَّخْلة لا تستعمل لمثل هذا.

(س ل أ): السِّلَا، الواحدة سِلَاة: شوك النخل. والذي عليه المصادر^(١):

السُّلَاء، بالمد وضم السين. قال الخليل^(٢): السُّلَاء: شوك النَّخْل، الواحدة سُلَاءة. وفي الصحاح^(٣): السُّلَاء بالضم، مِثَالُ الفُرَاء: شوك النَّخْل، الواحدة سُلَاءة.

(س ل ل): السِّلِيل: مادة تسيل من التَّمْر اللين تشبه العسل. ويسمى في

المعاجم^(٤): الدِّبْس. ويسمى أيضاً: الصَّعْر^(٥). قال الخليل^(٦): السِّلِيل: دِمَاغ الفرس.

وقال ابن فارس^(٧): السِّلِيل: الوَلْد؛ كَأَنَّهُ سُلٌّ من أُمِّه سَلًّا. وفي المحيط: السِّلِيل^(٨):

الماء الصافي. إذا نظرنا في الأقوال السابقة نجد أن معنى السليل يدور حول معنيين أحدهما: شيء سائل، والآخر: خروج شيء من أصله، فكذلك سليل التَّمْر؛ فهو سائل يخرج من التَّمرة وهي أصل السِّلِيل.

(س ن ف): السِّنْفَة: قشر السِّيف الذي بداخله الكافور. قال أبو حنيفة^(٩):

السِّنْفَة: وعاء كل ثمر مستطيلاً كان أو مستديراً، وجمعها سِنْف.

(س ي ف): السِّيف: يُطَلَق على الكافور ووعائه قبل أن ينشق عنه. ولم أعر

على هذا الاسم في المصادر لوعاء الكافور، ويظهر أن سبب تسميته بذلك؛ لأنه من

(١) الفراهيدي، "كتاب العين"، ٧: ٣٠١.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الجوهري، "الصحاح"، ١: ٥٥.

(٤) الفراهيدي، "كتاب العين"، ٧: ٢٣١. الدِّبْس عند قبيلة بني سُلَيْم حتى الآن، وهو: عصارة

التمر بعد الطبخ، ويوضع في قاع الأدوات التي تستعمل لحفظ السَّمْن.

(٥) ابن دريد، "جمهرة اللغة"، ٢: ٧٤٢.

(٦) الفراهيدي، "كتاب العين"، ٧: ١٩٢.

(٧) ابن فارس، "مقاييس اللغة"، ٣: ٦٠.

(٨) ابن عباد، "المحيط في اللغة"، ٨: ٢٤٣.

(٩) ابن سيده، "المحکم"، ٨: ٥٢٢.

بداية ظهوره وحتى ينشق يشبه السَّيْف في شكله؛ ولذلك أُطلق عليه هذا الاسم.
(ش ذ ب): الشَّدْب، الواحدة شَدْبَةٌ: ما يُقَطَّع من أطراف الجريد. قال الخليل^(١): الشَّدْب: قشر الشَّجَر، والشَّدْب: المصدر، والفعل: يشذب، أي: يقطع من الشجر، وكلُّ شيءٍ نُحِّي عن شيءٍ فقد شُدب عنه. وفي الزَّاهر^(٢): الشاذب المهمل، أُخذ من شَدَب النَّخْلَة، وهو ما يُلقى عنها من السعف والليف. وقال ابن عباد^(٣): شَدَبْتُ النَّخْلَةَ: إِذَا أَلْقَيْتَ عَنْهَا كَرَانِيْفَهَا.

(ش ق ص): الشَّقُوص: التَّمْرَة التي أُكَل جزء منها. وهذا اللفظ مأخوذ من الشَّقِص بمعنى: القطعة من الشيء. قال الخليل^(٤): الشَّقِص: طائفة من الشيء. وفي الجمهرة^(٥): يُقال: ما لي في هذا المال شَقِص: أي سهم، وشَقِص: أي قليل من كثير. وقال الحميدي^(٦): والشَّقِص النَّصِيب من الشَّيْء والقطعة منه.

(ش م ر خ): الشَّمَارِيخ، الواحد شَمْرُوخ: الغصن الذي ينمو على أطرافه التَّمْر ويكون متصلاً بالقنؤ. قال أبو عبيد^(٧): الشَّمْرَاخ: هو الذي عليه البُسْر، وأصله في العذق، ويقال له: الشَّمْرُوخ أيضًا. وقال الفارابي^(٨): الشَّمْرُوخ: لغة في الشَّمْرَاخ.
(ص خ ل): الصُّحْل، الواحدة صَحْلَةٌ^(٩): أحد المراحل التي يفسد فيها التَّمْر

(١) الفراهيدي، "كتاب العين"، ٦: ٢٤٩.

(٢) أبو بكر محمد بن القاسم بن الأنباري، "الزاهر في معاني كلمات الناس". تحقيق: حاتم الضامن، (ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٢م)، ٢: ١٠٠.

(٣) ابن عباد، "المحيط في اللغة"، ٧: ٣١٣.

(٤) الفراهيدي، "كتاب العين"، ٥: ٣٣.

(٥) ابن دريد، "جمهرة اللغة"، ٢: ٨٦٥.

(٦) محمد بن فتوح الحميدي، "تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم". تحقيق: زبيدة محمد سعيد، (ط١، القاهرة: مكتبة السنة، ١٩٩٥م)، ٨٧.

(٧) ابن سلام، "الغريب المصنف"، ١: ٥٥٢.

(٨) الفارابي، "معجم ديوان الأدب"، ٢: ٦٣.

(٩) وهذا القول تفرد به شخصان.

ألفاظ النَّخْلة في اللهجة الدارجة لبني سُليْم الحجاز-دراسة لغوية، لُقْاي بن لافي مذكر السُّلمي

ويصبح ضعيفًا. والذي في المصادر "السُّخْل" بالسُّين وليس بالصاد، وهذا اللفظ نص عليه أبو عبيد أنه من تسميات أهل المدينة؛ إذ قال^(١): وأهل المدينة يسمون السُّخْل، وقد سَخَلَت النَّخْلة. وقال أبو حاتم^(٢): نخلة مُسَخَّلَةٌ: إذا ضعفت وضعف حملها، وقد سَخَلَت النَّخْلة، ويقال لحملها: السُّخْل.

(ص ر ف): الصَّرِيْف: جريد النَّخْلة إذا قُطِع عنها ثم يبس. قال ابن سيده^(٣): والصَّرِيْف: السَّعْف اليابس، الواحدة صَرِيْفَةٌ. وفي العباب^(٤): قال الدينوري: زعم بعض الرواة أن الصَّرِيْف: ما يبس من الشجر.

(ص ع ل): الصُّعُول، الواحدة صَعْلَةٌ: وهي النَّخْلة الدَّقِيْقَة، الطَّوِيْلَة، فارعة الطُّول. واستعمل هذا اللفظ في المعاجم مع النَّخْلة كثيرًا. قال الخليل في شرح قول العجَّاج^(٥): [رجز]

صَعْلٌ مِنَ السَّامِ وَرُبَّائِيٌّ

وأراد بالصَّعْل هاهنا الطويل. وقال الأزهري^(٦): أبو عمرو: الصَّعْلَة من النَّخْل: فيها اعوجاج، وأنشد: [البيسط]

مَا لَمْ تَكُنْ صَعْلَةً صَعْبًا مَرَّاقِيهَا

وطولها هو سبب اعوجاجها. وقال ابن بَرِّيِّ^(٧): الصَّعْلَة من النَّخْل: الطَّوِيْلَة، قال: وهي مَدْمُومَةٌ؛ لأنَّها إذا طالت رُبَّمَا تَعْوَج.

(١) ابن سلام، "الغريب المصنف"، ١: ٥٤٦.

(٢) السَّجِسْتَانِي، "كتاب النَّخْلة"، ٩٠.

(٣) ابن سيده، "المحکم"، ٨: ٣٠٤.

(٤) الصغاني، "العباب الزاخر واللباب الفاخر"، حرف الفاء: ٣٤٤.

(٥) الفراهيدي، "كتاب العين"، ١: ٣٠٢.

(٦) الأزهري، "تهذيب اللغة"، ٢: ٢٢.

(٧) أبو محمد عبدالله بن بَرِّيِّ، "التنبيه والإيضاح عما وقع في الصحاح". تحقيق: عبدالصمد

محروس، (ط ١)، القاهرة: مطبوعات مجمع القاهرة، ٢٠١٠م)، ٤: ١٩٠.

(ص ن ب ر): **الصُّنْبُورُ**: مكان فصل النَّخْلَة من أمها. قال أبو عبيد^(١): قال أبو عبيدة: **الصُّنْبُورُ**: النَّخْلَة تخرج من أصل النَّخْلَة الأخرى لم تغرس. وقال كراع^(٢): **الصُّنْبُورُ**، وكذلك هو من النَّخْلَة أيضًا: أصلها إذا تَقَشَّر عنه القِشْر. وقال الأزهري^(٣): وأصل النَّخْلَة أيضًا: صُنْبُورها. فكل الأقوال السابقة تؤكد فصاحة لفظ "الصُّنْبُور".

(ص ن و): **الصِّنِّيّ، الواحدة صِنْوَة**: يقال عند بني سُلَيْم لمعنيين، أحدهما: للنَّخْلَة الطويلة المعمرة، والثاني: للنَّخْلَة الصغيرة المتصلة بنخلة أخرى. والذي في المصادر يؤيد المعنى الثاني. ففي العين^(٤): **الصِّنْو** من النَّخْل: نَخْلَتان أو ثلاث أو أكثر أصلهنَّ واحد، كلُّ واحدة على حِمالها صِنْو، وتثنيته صِنْوَان. وقال أبو عبيد^(٥): **الصِّنْوَان**: هما النخلتان يخرجان من أصل واحد. والقولان السابقان لا ينافيان القول الأول أيضًا؛ فقد تكون النخلتان متصلتين وطوليتين أيضًا.

(ط ق ق): **الطَّقُوقُ، الواحدة طَّقُوقَة**: الثَّمرة اليابسة. وإنما سميت بهذا الاسم نسبة إلى صوتها؛ لأنك إذا رميت بها سمعت لها صوت طَّقُوقَة. قال الخليل^(٦): **طَّق**: حكاية حجر على حجر. وفي الجمهرة^(٧): **طَّق**: حكاية صوت. وجاء اللفظ على هذا الوزن "طَّقُوقَة" كما قالوا: **حَلُوبَة**: ما يَحْلِبُون. و**جَلُوبَة**: ما يُجَلَّب للبيع.

(١) أبو عبيد القاسم بن سلام، "غريب الحديث". تحقيق: محمد عبدالمعيد خان، (ط ١)، حيدر آباد: مطبعة دائرة المعارف العثمانية، ١٩٦٤م)، ١: ١٠.

(٢) أبو الحسن علي بن الحسن الهنائي، "المنتخب من غريب كلام العرب". تحقيق: محمد بن أحمد العمري، (ط ١)، مكة: معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، ١٩٨٩م)، ١: ٨٤.

(٣) الأزهري، "تهذيب اللغة"، ١٢: ١٩٠.

(٤) الفراهيدي، "كتاب العين"، ٧: ١٥٨.

(٥) ابن سلام، "غريب الحديث"، ٢: ١٥.

(٦) الفراهيدي، "كتاب العين"، ٥: ١٦.

(٧) ابن دريد، "جمهرة اللغة"، ١: ١٥٠.

ألفاظ النَّخْلة في اللهجة الدارجة لبي سُلَيْم الحجاز-دراسة لغوية، لُقْاي بن لافي مذخر السُّلمي

(ط ل ع): **الطَّلَع**: بداية ظهور الكافور، أو الثَّلَّة. قال الخليل^(١): **والطَّلَع**: طَلَع النَّخْلة ما دامت في جوفها الكافورة، وأطَلَعَتِ النَّخْلة: أي أخرجت طَلْعَةً.
(ظ ف ر ق): **الظَّفْرُوق**: يقال للغطاء الذي في أعلى الثَّمرة، ويصلها بالشُّمْرُوخ^(٢). وهو مبدل من "الظَّفْرُوق".

(ع ث ك ل): **العُنْكُول**^(٣): من أسماء الشُّمْرُوخ. قال أبو عبيد عن الأصمعي^(٤): الشِّمْرَاخ: هو الذي عليه البُسْر، ويقال له أيضًا: الشُّمْرُوخ، والإِنْكَال، والأُنْكُول، والعِنْكَال، والعُنْكُول. وقال أبو حاتم^(٥): قالوا إذا صُلِبَتِ الشَّمَارِيخ وتفرقت فهي العنَّاكِيل، والواحد: عُنْكُول.

(ع ذ ق): **العِدْق**: القِنُو الذي يحمل الثَّمَر. قال الخليل^(٦): **العِدْق**: الكِبَاسَة، وهي العُنْقُود على النَّخْلة. وقال أبو عبيد^(٧): **العِدْق** عند أهل الحجاز: النَّخْلة، و**العِدْق**: القِنُو الذي يقال له الكِبَاسَة. وقال أبو حاتم مثل قول أبي عبيد^(٨).

(ع ر ج ن): **العِرْجُون**: ساق العِدْق من النَّخْلة إلى الشَّمَارِيخ، ومنهم من يطلق العِرْجُون على الساق والشَّمَارِيخ معًا. والذي عليه المصادر "العِرْجُون" بالضم، قال الخليل^(٩): **العِرْجُون**: أصل العِدْق، وهو أصفر عريض يُشبه الهلال إذا اُتْمَحَق. وقال ابن سيده^(١٠): **العِرْجُون**: العِدْق عامَّةً. وقيل: هو العِدْق إذا يبس واعْوَجَّ، وقيل:

(١) الفراهيدي، "كتاب العين"، ٢: ١٢.

(٢) ينظر: مادة (ث ف ر ق).

(٣) وهذا القول تفرد به شخص واحد؛ لكنه فصيح صحيح.

(٤) ابن سلام، "الغريب المصنف"، ١: ٥٥٢.

(٥) السِّجِسْتَانِي، "كتاب النَّخْلة"، ٧٩.

(٦) الفراهيدي، "كتاب العين"، ١: ١٤٨.

(٧) ابن سلام، "الغريب المصنف"، ١: ٥٥٢.

(٨) السِّجِسْتَانِي، "كتاب النَّخْلة"، ٧٩.

(٩) الفراهيدي، "كتاب العين"، ٢: ٣٢٠.

(١٠) ابن سيده، "المحكم"، ٨: ٣٠٤.

هو أصل العذق.

(ع ر ق): العُرُوق، الواحد عِرْق^(١): أجزاء صغيرة تكون في أصل النَّخلة تتغذى بها. والعِرْق ليس خاصًا بالنَّخلة، فهو في أغلب النباتات. قال الخليل^(٢): وعِرْقُ الشجرة، وعُرُوقُ كلِّ شيء: أطناؤه تنبت من أصوله. وقال الجوهري^(٣): والعُرُوق: عُرُوقُ الشجر، الواحد عِرْق.

(ع س ب): العَسِيب^(٤): يُطَلَقُ على جريد النَّخْلِ عامة. قال الخليل^(٥): العَسِيب من النَّخْل: جريدة مستقيمة دقيقة يكشط حوصها. وجمعه عَسَبَان، وثلاثة أَعْسِبة. وقال أبو عبيد^(٦): العُسْب واحدها عَسِيب: وهو سَعَف النَّخْل وأهل الحجاز يسمونه الجريد أيضًا.

(ع ق ب): العُقْبُون^(٧): طلع النَّخلة الذي يأتي متأخرًا عن الموعد المحدد لطلوع النخل. وهذا اللفظ لم أعر عليه في المصادر، ويظهر أنه مأخوذ من قولهم^(٨): كلَّ شيء يُعْقِب شيئًا فهو عَقِيْبُهُ. وقالوا^(٩): جاء فلان على عقب فلان إذا جاء على أثره. وجاء على هذا الوزن قولهم^(١٠): الرِّيتون: شجرة الزيت.

(١) وهذا القول تفرد به شخصان.

(٢) الفراهيدي، "كتاب العين"، ١: ١٥٢.

(٣) الجوهري، "الصحاح"، ٤: ١٥٢٣.

(٤) وهذا القول تفرد به شخص واحد؛ لكنه فصيح صحيح.

(٥) الفراهيدي، "كتاب العين"، ١: ٣٤٢.

(٦) ابن سلام، "غريب الحديث"، ٤: ١٥٦.

(٧) وهذا القول تفرد به شخصان.

(٨) الفراهيدي، "كتاب العين"، ١: ١٧٩.

(٩) ابن دريد، "جمهرة اللغة"، ١: ٣٦٤.

(١٠) نشوان بن سعيد الحميري، "شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم". تحقيق: حسين بن

عبدالله العمري، ومطهر بن علي الإرياني، ومحمد عبدالله، (ط١)، بيروت - دمشق: دار

الفكر، (١٩٩٩م)، ٥: ٢٨٨٥.

ألفاظ النَّخْلة في اللهجة الدارجة لبني سُليْم الحجاز-دراسة لغوية، لُقاي بن لافي مذخر السُّلمي

(ع ه ن): **العَاهِنَة**^(١): السَّعْفَة الخضراء المائلة. ويطلق هذا اللفظ على كل سعف النخل ما دام أخضر. أما في المصادر فقد خص به اللغويون سَعَفَات محددة في لغة أهل الحجاز، ففي كتاب العين^(٢): قال غير الخليل: العَوَاهِن: السَّعْف الذي يَفْرُب من لُبِّ النَّخْلة. وقال أبو عبيد^(٣): ويقال للسَّعَفَات اللواتي يلين القَلْبَة: العَوَاهِن في لغة أهل الحجاز. وقال أبو حاتم^(٤): السَّعَفَات التي تلي القَلْب يقول لها الحجازيون: العَوَاهِن، الواحدة: عَاهِنَة.

(ع ي ن): **العَايِنَة**: بداية استواء الثَّمَر. ولم أعر على هذا اللفظ بهذا المعنى في المصادر، ويظهر أنه مأخوذ من قولهم^(٥): لَقَيْتُهُ أَوَّلَ عَائِنَة: أي أَوَّلَ شَيْءٍ. والعَائِنَة: يقال: لَقَيْتُهُ أَوَّلَ عَائِنَة^(٦): أي قبل كل شيء. ومن هنا أُطلق هذا اللفظ على أول استواء الثَّمَر.

(غ ر ض): **الإِغْرِیْض**^(٧): طلع النَّخْلة. قال الخليل^(٨): الإِغْرِیْض: الطلع. وقال أبو عبيد^(٩): الإِغْرِیْض: الكُفْرَى، وهو الكافور. وفي كتاب النَّخْلة^(١٠): الوليع: الذي ينشق عنه الكافور، فهو أبيض كالبرَد، وقال آخرون: هو الإِغْرِیْض.

(غ م ق): **الغَمَق**: البلح غير النَّاضج الذي يسقط على الأرض في بداية

(١) وهذا القول تفرد به شخص واحد؛ لكنه فصيح صحيح.

(٢) الفراهيدي، "كتاب العين"، ١: ١٠٨.

(٣) ابن سلام، "الغريب المصنف" ١: ٥٤١.

(٤) البتجستاني، "كتاب النَّخْلة"، ٦٠.

(٥) أبو الحسن علي بن الحسن الهنائي، "المتجدد في اللغة". تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر، ودكتور ضاحي عبدالباقي، (ط٢)، القاهرة: عالم الكتب، ١٩٨٨م، ٢٥٩.

(٦) الجوهري، "الصحاح"، ٦: ٢١٧٠.

(٧) وهذا القول تفرد به شخص واحد؛ لكنه فصيح صحيح.

(٨) الفراهيدي، "كتاب العين"، ٤: ٣٦٤.

(٩) ابن سلام، "الغريب المصنف" ١: ٤٢٦.

(١٠) البتجستاني، "كتاب النَّخْلة"، ٦٨.

استواء التَّمَر. قال أبو عمرو^(١): العَمَق: يؤخذ البُسْر بعدما يَصْفَرُّ أو يَحْمَرُّ فيدفن في التراب حتى ينضج فيؤكل، ويُغمس في الخل أيضًا. وقال ابن عباد^(٢): وإذا غَمَّ البُسْر ليدرك وينضج فهو مَعْمُوق، وهو العَمَق. فالقولان السابقان يدلان على أن "العَمَق" هو البلح الذي لم يستو بعُد.

(ف ت ت): الفَتَّوت، الواحدة فَتَّوتَة: هو البلح الأخضر اللين الذي يسقط على الأرض قبل مرحلة العَايِنَة، ويكون طريًّا. قال ابن فارس^(٣): الفاء والتاء كلمة تدل على تكسير شيء ورَفْتِه. وقال الخليل^(٤): والفَتَّيت: الشيء الذي يقع فينقطع. وقال ابن دريد^(٥):

فت الشيء يفته فتًا: إذا كسره بإصبعه. وقال الفارابي^(٦): والفَتَّيت لغة في الفَتَّوت. ويظهر أن إطلاق اسم "الفَتَّوت" على البلح؛ لأمرين، الأول: أنه يسقط عن القنو إلى الأرض. والثاني: أنه يَتَفَتَّت في الأصابع بسهولة؛ لضعفه وهشاشته. وجاء على هذا الوزن قولهم: حَرُوبٌ وحَرُوبَةٌ. فَرُوجٌ وفَرُوجَةٌ.

(ف ذ ذ): الفَدَّة: التَّمرة الواحدة. قال ابن فارس^(٧): الفاء والذال كلمة واحدة تدل على انفراد وتفرق. وفي كتاب العين^(٨): وأتانا بتمر فَدَّد: أي لم يأخذ بعضه بعضًا. وفي الصحاح^(٩): وتمر فَدَّد: أي متفرق. وجاء في تهذيب اللغة^(١٠): أن التَّمَر

(١) الشيباني، "معجم الجيم"، ٣: ١٨.

(٢) ابن عباد، "المحيط في اللغة"، ٤: ٥٣٢.

(٣) ابن فارس، "مقاييس اللغة"، ٤: ٤٣٦.

(٤) الفراهيدي، "كتاب العين"، ٨: ١٠٩.

(٥) ابن دريد، "جمهرة اللغة"، ١: ٧٩.

(٦) الفارابي، "معجم ديوان الأدب"، ٣: ٧٤.

(٧) ابن فارس، "مقاييس اللغة"، ٤: ٤٣٨.

(٨) الفراهيدي، "كتاب العين"، ٨: ١٧٧.

(٩) الجوهري، "الصحاح"، ٢: ٥٦٨.

(١٠) الأزهري، "تهذيب اللغة"، ١٥: ٥٠.

ألفاظ النَّخْلة في اللهجة الدارجة لبني سُليْم الحجاز-دراسة لغوية، لُقاي بن لافي مذكر السُّلمي

المتفرق الذي لا يلزق بعضه ببعض يقال له: تَمَّرَ فَدَّ. و"الفَدَّة" هي واحدة الفَدِّ.

(ف س ل): الفَسِيلَةُ، واحدة الفَسَائِلِ: وهي النَّخْلة الصغيرة التي تُقلع من أمها وتغرس في مكان آخر. وهذا اللفظ فصيح جاء ذكره في الحديث، قال النبي ﷺ: ^(١) "إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَبِيدَ أَحَدِكُمْ فَسَيْلَةٌ فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ". وقال الخليل ^(٢): والفَسِيلُ: صِغار النَّخْلِ، والواحدة بالهاء. وفي الغريب المصنف ^(٣): سمعت الأصمعي يقول في صغار النَّخْلِ: أول ما يقلع شيء منها من أمه فهو الجثيث، وهو الودديّ، والهرء، والفَسِيلُ.

(ف ي ن): فَانَ النَّخْلُ يَفِينُ: أي ظهر طلعه، والاسم الفَيْنَةُ. وهذه الألفاظ صحيحة فصيحة، فقولهم: فَانَ النَّخْلُ يَفِينُ: أي جاء وقت طلوع النَّخْلِ، قال صاحب القاموس ^(٤):

فَانَ يَفِينُ: جاء. أما قولهم للاسم "الفَيْنَةُ"، فهو مأخوذ من معنى الوقت أيضًا. ففي التهذيب ^(٥): الفَيْنَةُ: الوَقْتُ من الزَّمان. وهذا اللفظ يستعمل عند قبيلة بني سُليْم بهذا المعنى، فيقولون: الآن وقت فَيْنَةَ النَّخْلِ؛ أي وقت ظهور طلعه.

(ق ح ط): القَحَّوْطُ: وهو البلح الأصفر الذي لم يستو بَعْدُ ويصبح تمرًا. ولم أعثر عليه في المصادر. وقالوا: القَحَّوْطُ، كما قالوا: الحُرُّوبُ، والبَلُّوْطُ؛ لنوعين من الشجر.

(ق ر ن): القَرِيْنَةُ: وهي النَّخْلة التي تنبت متصلة بنخلة أخرى. قال ابن فارس ^(٦): القاف والراء والنون أصلان صحيحان، أحدهما يدل على جمع شيء إلى

(١) أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل، "مسند الإمام أحمد". (د.ط، القاهرة: مؤسسة قرطبة، د.ت)، ٣: ١٩١.

(٢) الفراهيدي، "كتاب العين"، ٧: ٢٦٠.

(٣) ابن سلام، "الغريب المصنف"، ١: ٥٣٩.

(٤) الفيروزآبادي، "القاموس المحيط"، ١٢٢٢.

(٥) الأزهرى، "تهذيب اللغة"، ١٥: ٣٤٣.

(٦) ابن فارس، "مقاييس اللغة"، ٥: ٧٦.

شيء. وتدور أغلب المعاني في جذر "قرن" حول الارتباط والاتصال والجمع بين شيئين، ومن ذلك قولهم لامرأة الرجل^(١): قَرَيْتَهُ، ومن ذلك قولهم أيضًا^(٢): قَرَنْتُ بَيْنَ البعيرين وقَرَنْتَهُمَا: إذا جمعت بينهما.

(ق ط م ر): القِطْمِيرُ^(٣): الغلاف الخفيف الذي يكون على نواة التَّمْر. وهذا اللفظ فصيح جاء ذكره في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣]. قال الأزهري^(٤): القِطْمِير: القشرة الرقيقة التي على النواة. وفي الصحاح^(٥): القِطْمِير: الفوفة التي في النواة، وهي القشرة الرقيقة.

(ق ل ب): قَلْبُ النَّخْلَةِ: سعفات تكون في أعلاها الذي يكون فيه الجمار. قال الخليل^(٦): وَقَلْبُ النَّخْلَةِ: شطبة بيضاء تخرج في وسطها. وفي المحكم^(٧): وَقَلْبُ النَّخْلَةِ، وَقَلْبُهَا، وَقَلْبُهَا: شحمتها، وقال أبو حنيفة مرة: القَلْبُ: أجود حوص النَّخْلَةِ وأشدّه بياضًا، وهو الحوص الذي يلي أعلاها.

(ق ن و): القِنُوءُ: عِذْق النَّخْلَةِ الذي يحمل التَّمْر. قال الخليل^(٨): القِنُوءُ: العِذْق بما عليه من الرطب. وقال أبو عبيد^(٩): والقِنُوءُ الذي يقال له الكِبَاسَةُ. وفي كتاب النَّخْلَةِ^(١٠): وَأَمَّا العِذْقُ بالكسر: فالقِنُوءُ.

(١) الفراهيدي، "كتاب العين"، ٥: ١٧١.

(٢) الأزهري، "تهذيب اللغة"، ٩: ٩٠.

(٣) وهذا القول تفرد به شخص واحد؛ لكنه فصيح صحيح.

(٤) الأزهري، "تهذيب اللغة"، ٩: ٣٠٤.

(٥) الجوهري، "الصحاح"، ٢: ٧٩٧.

(٦) الفراهيدي، "كتاب العين"، ٥: ٢١٧.

(٧) ابن سيده، "المحكم"، ٦: ٤٢٤.

(٨) الفراهيدي، "كتاب العين"، ٥: ٢١٧.

(٩) ابن سلام، "الغريب المصنف"، ١: ٥٥٢.

(١٠) البتجستاني، "كتاب النَّخْلَةِ"، ٦٠.

ألفاظ النَّخْلة في اللهجة الدارجة لبني سُليْم الحجاز-دراسة لغوية، لُقْاي بن لافي مذكر السُّلمي

(ك ر ب): الكَرْب، بسكون الراء^(١): الجزء العريض الذي يصل الجريدة بالنَّخلة. والذي في المصادر بفتح الراء. قال الخليل: الكَرْب^(٢): الكِرْناف، وهو أصل السعفة. وفي الغريب المصنف^(٣): والعريضة التي تبيس فتصير مثل الكتف هي: الكَرْبَة. (ك ر ن ف): الكَرْنَيْف والكِرْناف، الواحدة كِرْنافَة: الجزء العريض الذي يصل الجريدة بالنَّخلة. ويقال لمن يلتقط الثَّمْر من تحت الكَرْنَيْف: يتكْرَنَف. قال الخليل^(٤): الكِرْناف: أصل السعفة الملزق يجذع النَّخلة. وعند أبي عبيد^(٥): أُصُول السَّعْف الغِلاظ: الكَرْنَيْف، الواحدة: كِرْنافَة. وقال ابن عبَّاد^(٦): الكِرْنافَة، بالضم لغة فيها. وجاء في حديث الواقمي^(٧): "وَقَدْ ضافَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَتَى بِقَرْبَيْهِ نَخْلَةً فَعَلَقَهَا بِكِرْنافَة".

(ل ي ف): اللَّيْف، الواحدة لَيْفَة: اللفافة التي تكون على جذع النَّخلة وتحت الكرائيف. قال ابن فارس^(٨): اللام والياء والفاء كلمة، وهي الليف، عربية. وفي التهذيب^(٩): اللَّيْف: لَيْف النَّخْلِ، معروف. والقطعة: لَيْفَة.

(ل ي ن): اللَّيْنَة^(١٠): النَّخْلة، ومنهم من يجعلها النَّخْلة الصغيرة. قال الخليل^(١١): اللَّيْنَة: كلُّ لَوْنٍ من النَّخْلِ والثَّمْرِ هو لَيْنَة. وفي المنتخب: اللَّيْنَة: النَّخْلة ما

(١) وهذا القول تفرد به شخصان.

(٢) الفراهيدي، "كتاب العين"، ٥ : ٣٦٠.

(٣) ابن سلام، "الغريب المصنف"، ١ : ٥٥٢.

(٤) الفراهيدي، "كتاب العين"، ٥ : ٤٣٢.

(٥) ابن سلام، "الغريب المصنف"، ١ : ٥٤١.

(٦) ابن عبَّاد، "المحيط في اللغة"، ١ : ٣٧٧.

(٧) ابن الأثير، "النهاية في غريب الحديث والأثر"، ٤ : ١٦٨.

(٨) ابن فارس، "مقاييس اللغة"، ٥ : ٢٢٤.

(٩) الأزهرى، "تهذيب اللغة"، ١٥ : ٢٧٤.

(١٠) وهذا القول تفرد به شخصان.

(١١) الفراهيدي، "كتاب العين"، ٨ : ٣٣٢.

كانت. وفي جمهرة اللغة^(١): واللينة: النَّخْلَة، والجمع لين. فلم تحدد المصادر أن اللينة النَّخْلَة الصغيرة.

(ن ص ف): التُّصَيْف، بتشديد النون والصاد(٢): يطلق على ثمر النخل إذا بلغ الإرتاب نِصْفَه. والذي عليه المصادر: قال أبو حاتم(٣): فإذا بلغ التَّطْيِب نصف البُسرة قيل: قد نَصَّف البُسرة. وفي المحكم(٤): وَنَصَّف البُسرة: رَطَّب نِصْفَه، هذه عن أبي حنيفة. وجاء على هذا الوزن قولهم(٥): الْجُمَيْزُ: شجرة كالتين، الرُّثَيْقُ: ضربٌ من الحَنْوَج، والعَلَيْقُ: ضربٌ من الشَّجَر.

(ن و ي): النَّوَى، الواحدة نَوَاة: الحبة اليابسة التي تكون داخل الثَّمرة. قال ابن فارس^(٦): النون والواو والحرف المعتل أصل صحيح يدل على معنيين: أحدهما مقصد لشيء، والأصل الآخر النَّوَى: نَوَى الثَّمَر. قال الخليل^(٧): والنَّوَى: نَوَى الثَّمَر وأشباهه من كل شيء.

(هـ د ب): الهَدَب، الواحدة هَدَبَة: الأوراق التي تنمو في جريد النَّخلة، وهو السَّعْف عند بعضهم. قال ابن فارس^(٨): الهاء والذال والباء: أصل صحيح يدل على طُرَّة شيء، أو أغصان تشبه الطُّرَّة، منه الهَدَب: أغصان الأَرطَى. وفي العين^(٩): الهَدَب: أغصان الأَرطَى، ونحوه ممَّا لا وَرَقَ له، وجمعه أهداب، والواحدة هَدَبَة. وعند

(١) ابن دريد، "جمهرة اللغة"، ٢: ٩٨٩.

(٢) وهذا القول تفرد به شخصان.

(٣) السَّجِسْتَانِي، "كتاب النَّخْلَة"، ٧٢.

(٤) ابن سيده، "المحكم"، ٨: ٣٤٠.

(٥) الفارابي، "معجم ديوان الأدب"، ١: ٣٣٨.

(٦) ابن فارس، "مقاييس اللغة"، ٥: ٣٦٦.

(٧) الفراهيدي، "كتاب العين"، ٨: ٣٩٤.

(٨) ابن فارس، "مقاييس اللغة"، ٦: ٤٣.

(٩) الفراهيدي، "كتاب العين"، ٤: ٢٩.

ألفاظ النَّخْلة في اللهجة الدارجة لبي سُلَيْم الحجاز-دراسة لغوية، لُقْاي بن لافي مذكر السُّلَمي

ابن قتيبة^(١): الْهَدَبُ يَفْتَحُ الدَّالَ: فَإِنَّهُ مِنْ وَرَقِ الشَّجَرِ مَا لَمْ يَكُنْ لَهُ عَرَضٌ نَحْوَ السَّرْوِ وَالطَّرْفَاءِ. وَفِي الْمَيْجَدِ^(٢): وَالْهَدَبُ مِنْ وَرَقِ الشَّجَرِ: مَا لَمْ يَكُنْ لَهُ عَيْرٌ، وَهُوَ مَا نَتَأُ فِي وَسْطِ الْوَرَقَةِ، نَحْوَ الْأَثَلِ وَالسَّمُرِ وَالطَّرْفَاءِ وَالسَّرْوِ. فَالْمَصَادِرُ لَمْ تَخْصُ أَوْراقَ النَّخْلِ بِهَذَا الْاسْمِ بَلْ هُوَ عِنْدَهُمْ لِكُلِّ أَوْراقِ الشَّجَرِ الَّتِي لَيْسَ لَهَا عَرَضٌ أَوْ نَتْوَةٌ فِي وَسْطِ الْوَرَقَةِ.

(و د ي): الْوَدِيّ، الْوَاحِدَةُ وَدِيَّةٌ: صَغَارٌ صَغَارِ النَّخْلِ. قَالَ الْخَلِيلُ^(٣): الْوَدِيّ: فَسِيلُ النَّخْلِ الَّذِي يُقْلَعُ لِلغَرَسِ، الْوَاحِدَةُ وَدِيَّةٌ. وَفِي الْجِيمِ^(٤): الْوَدِيّ مِنْ النَّخْلِ: الْحَوِيلُ، وَهُوَ الْفَسَيْلُ. وَجَاءَ فِي مَسْنَدِ أَحْمَدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ^(٥): "لَمْ يَكُنْ يَشْعَلُنِي عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَرْسُ الْوَدِيّ".

(١) محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة، "غريب الحديث". تحقيق: عبدالله الجبوري، (ط ١، بغداد:

مطبعة العاني، ١٣٩٧هـ)، ٢: ٢٠٣.

(٢) الهنائي، "الميجد في اللغة"، ٣٥٣.

(٣) الفراهيدي، "كتاب العين"، ٨: ٩٩.

(٤) الشيباني، "معجم الجيم"، ٣: ٣٠٢.

(٥) ابن حنبل، "مسند الإمام أحمد"، ٢: ٢.

المبحث الثاني: أَلْفَاظ النَّخْلَةِ فِي لهجة قبيلة بني سُليْم دراسة لغوية

لم تكن أَلْفَاظ النَّخْلَةِ فِي لهجة بني سُليْم الحجاز الحالية ببعيد عما جاء في المصادر اللغوية؛ بل إن أغلب ما يستعمله السُّلَمِيُّونَ حاليًّا من أَلْفَاظ هي نفسها من عصور اللغة الأولى؛ لكن بعض هذه الألفاظ اعترأها شيء من التغير اللغوي في بنيتها أو أصواتها أو غير ذلك من قضايا اللغة، وبعض الألفاظ لم ترد في المصادر اللغوية؛ إلا أنها إما أن يكون لها أصل لغوي، أو جاءت بناء على التطور اللغوي الذي حدث في اللغة، ومن القضايا اللغوية التي ظهرت للباحث في لهجة بني سُليْم الحجاز ما يلي:

أولاً: المستوى الصوتي:

تُعد الظواهر الصوتية من أهم الظواهر التي تعترى بنية الكلمة وتؤثر على كيفية نطقها، فقد شهدت اللهجات العربية المختلفة تطورًا صوتيًا يهدف في أغلبه إلى إزالة الثقل في مفردات اللغة العربية ولهجاتها، منها لهجة قبيلة بني سُليْم، فهي أيضًا لم تخل من التغير الصوتي في بعض أَلْفَاظها، وأَلْفَاظ النَّخْلَةِ التي دخلها التغير الصوتي في لهجة بني سُليْم على ضربين:

١ - الانتقال من حركة إلى حركة أخرى:

(البِسْر، العِرْجُون، السِّلا)؛ فهذه الألفاظ الثلاثة وردت في المعجم "بالضم"؛ لكن قبيلة بني سُليْم تنطقها بالكسر، ويظهر أن هذا التغير يعود لأحد أمرين: الأمر الأول: هو فرار من الثقل؛ لأن الكسرة أخف في النطق من الضمة، قال سيبويه^(١): وذلك لأن الكسرة أخفّ من الضمة.

الأمر الثاني: أن الكسر هو من صميم لهجة أهل الحجاز؛ لأنهم عرف عنهم ذلك، فقد جاءت بعض القراءات بالضم، وذكر العلماء أن الكسر لغة أهل الحجاز، ومنها: ﴿وَنَحِيلُ صِنَوَانٌ وَعَيْرُ صِنَوَانٍ﴾ [الرد: ٤]، فالضم لتميم وقيس، والكسر لأهل الحجاز، ومنها أيضًا: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَاوِدَةً﴾ [النمل: ٨٨]، بفتح السين على الأصل ابن عامر وعاصم وحمزة وأبو جعفر، وكسرها الباقون على لغة الحجاز.

(١) سيبويه، "الكتاب"، ٢: ٤٣١.

٢- الإِمَالَة:

(ذَنْيَبٌ)؛ فيظهر أنَّ أصله "ذِنَابٌ" جمع ذَنْبٌ، ثم شددت الذال وأميلت الألف فأصبح "ذَنْيَبٌ" كما قالوا: حُبَّيْزٌ فِي حُبَّازٍ، وَحَمِيْضٌ فِي حَمَّاضٍ^(١). والإِمَالَة كثيرة عند أهل الحجاز.

٣- الإِبْدَال:

(تُفْرُوقٌ، دُفْرُوقٌ، ظُفْرُوقٌ)، أما اللفظان (تُفْرُوقٌ، دُفْرُوقٌ) فقد وقع إبدال فيهما في الناء والذال، ففي كتاب الإبدال^(٢): والتُّفْرُوقُ والدُّفْرُوقُ: قَمَعُ البُسْرَةِ. أما قولهم: (الظُّفْرُوقُ): فيمكن أن يكون حصل إبدال في هذا اللفظ بين الذال والطاء، كما يقال: امرأة تُحْنِطِي وتُحْنِذِي^(٣): إذا رفعت صوتها بالوقية.

(جدع، جدع): يظهر أنه حصل إبدال بين اللفظين في حرفي الدال والذال كما يقال: الدَّحَاذِجُ والدَّحَاذِجُ: للقصير، ويقال: الفُنْفُذُ والفُنْفُذُ: لنوع من الحيوانات. الرُّعْطِيُّ: وجذر "رُغَطٌ" مهمل في المعاجم، ويظهر أنه مبدل من جذر "رُزَطٌ"؛ لأنه يقال^(٤): رُزَطُ اللُّقْمَةِ يَزُرُّطُهَا: ابْتَلَعَهَا. وهذا النوع من التَّمْرِ سمي "رُعْطِيًّا"؛ لأنه سهل الابتلاع، ويمكن ابتلاعه لقمة واحدة؛ بسبب ليونته. ومن أمثلة إبدال الراء غينًا قولهم^(٥): رمص وغمص، ومرث ومغث.

(الصُّحْلُ والسُّحْلُ): اللفظان وقع فيهما إبدال بين السين والصاد، وهذا النوع من الإبدال جائر في العربية؛ لأن كل سين وقع بعدها قاف أو خاء أو غين أو عين أو طاء جاء قلبها صادًا، ومن ذلك قولهم: سقر وصقر، وسلقم وصلقم، وسالغ

(١) أبو حفص عمر بن خلف بن مكِّي، "تنقيف اللسان وتلقيح الجنان". قدم له وضبطه: مصطفى عبدالقادر عطا، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٠م)، ٥١.

(٢) أبو الطيب عبدالواحد بن علي، "كتاب الإبدال". تحقيق: عز الدين التنوخي، (د.ط، دمشق: مطبوعات المجمع العلمي، ١٩٦١م)، ١: ١٦٢.

(٣) المصدر السابق، ٢: ٢٠.

(٤) الفيروزآبادي، "القاموس المحيط"، ٦٦٨.

(٥) ابن علي، "كتاب الإبدال"، ٢: ٤٨.

وصالغ^(١).

(العُنْكَوْلُ والأُنْكَوْلُ): حصل إبدال في اللفظين بين حرفي العين والهمزة، وهذا واقع في العربية، ومن ذلك قولهم^(٢): استأديت الأمير على فلان، مثل استعديت، وموت زُغاف وزؤاف.

الفَدَّة: جاء في تهذيب اللغة^(٣): أن التَّمْر المتفرق الذي لا يلزق بعضه ببعض يقال له: تَمَّرَ فَتًّا، وَفَدَّ، وَبَدَّ، وَفَضَّ. فكل هذه الألفاظ وقع فيها إبدال بين بعض حروفها.

٤ - القلب:

(العَائِنَةُ، العَائِنَةُ): وهذا اللفظ قلبت فيه الهمزة إلى ياء، وقلب الهمزة ياء معروف عن أهل الحجاز، فهم يسهلون الهمزة ولا ينبرون، قال أبو زيد^(٤): أهل الحجاز وهذيل وأهل مكة والمدينة لا ينبرون.

ثانياً: المستوى الصرفي:

لم تخل ألفاظ النخلة التي يتكلم بها السُّلَمِيُّونَ من بعض التغيرات الصرفية التي لحقت بهذه الألفاظ، وهذا التغيير قصر الممدود في قولهم: السِّلا، الواحدة سِلا، بينما الذي عليه المصادر^(٥): السِّلاء، الواحدة سِلاءة، بالمد. أما قصر الممدود فواقع في لغة أهل الحجاز؛ إذ يقصرون العزاء فيقولون: العزاء، ويقصرون الجزاء فيقولون: الجزاء، ويقصرون العباءة فيقولون: العباءة. قال سيبويه^(٦): فأما الذين لا يحققون الهمزة من

(١) المصدر السابق، المقدمة، ١٧.

(٢) ابن علي، "كتاب الإبدال"، ٢: ٥٥٥-٥٥٤.

(٣) الأزهري، "تهذيب اللغة"، ١٥: ٥٠.

(٤) محمد بن مكرم بن علي بن منظور، "لسان العرب". (ط٣، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ)، "حرف الهمزة".

(٥) الفراهيدي، "كتاب العين"، ٧: ٣٠١.

(٦) سيبويه، "الكتاب"، ٤: ١٧٩.

ألفاظ النَّحْلَةِ فِي اللَّهْجَةِ الدَّارِجَةِ لِبَنِي سُلَيْمٍ الْحِجَازِ - دراسة لغوية، لُقَّاي بن لافي مذخر السُّلَمي

أهل الحجاز فقولهم: هذا الخبا في كل حال. وقال ابن يعيش^(١): اعلم أنَّ الهمزة حرف شديد مستثقل، فاستثقل النطقُ به، فلذلك من الاستثقال ساع فيها التخفيف، وهو لغة قريش، وأكثر أهل الحجاز. ومثَّل سيبويه على بعض الألفاظ التي تحذف فيها الهمزة في حال التخفيف؛ إذ قال^(٢): واعلم أنَّ كل همزة متحركة كان قبلها حرف ساكن فأردت أن تخفف حذفها وألقيت حركتها على الساكن الذي قبلها، ومثله قولك في المرأة: المرة، والكمأة: الكمة. ومن شواهد قول ابن يعيش في لهجة بني سُلَيْم قول الخنساء^(٣): [الطويل]

أَلَا مَنْ لِعَيْنٍ لَا بَجْفٍ دُمُوعُهَا إِذَا قُلْتُ أَفْتَتْ تَسْتَهْلُ فَتَحْفَلُ
قال ابن منظور^(٤): أرادت أَفْتَاتُ، فَحَقَّقَتْ.

ثالثاً: المستوى الدلالي:

أولاً: دلالة الأسماء:

١ - ما شُبه بلون:

أبو بُغَيْثٍ: وهذا اللفظ سمي بسبب لونه؛ لأن هذا المرض يغير لون البلح حتى يصبح لونه أبيض فعلاً، والبُغَيْثَةُ^(٥): كُدْرَةٌ فِي وَرْقَةٍ، وهو لون الأَبْعَثِ من الطير وغيرها، وعنز بغثناء: إذا كانت كذلك.

٢ - ما شُبه بعدد:

الثَّلَّةُ: سميت تشبيهاً بالثَّلَّةِ: لجماعة الغنم؛ لأن الثَّلَّةَ تتكون من مجموعة من الشماريخ، كما هو حال مجموعة الغنم.

٣ - ما شُبه بشكل:

(١) ابن يعيش، "شرح المفصل"، ٥: ٢٦٥.

(٢) سيبويه، "الكتاب"، ٣: ٥٤٥.

(٣) الخنساء تماضر بنت عمرو، "ديوان الخنساء". تحقيق: حمدو طقاس، (ط٢)، بيروت: دار المعرفة، (٢٠٠٤م)، ٩١.

(٤) ابن منظور، "لسان العرب"، مادة "فتأ".

(٥) ابن دريد، "جوهرة اللغة"، ١: ٢٦٠.

السَّيْفُ: شُبه بالسيف؛ لأنه من بداية ظهوره وحتى ينشق يشبه السَّيْفُ في شكله؛ ولذلك أُطلق عليه هذا الاسم.

٤- ما شُبه بحيوان:

الجُدِّي: وهذا اللفظ شُبه بالجدي ذكر المعز؛ لأنَّ الجدي ذكر النخل يقوم بالوظيفة نفسها التي يقوم بها الجدي ذكر المعز.

٥- ما شُبه بصوت:

الخَرْفَشُ، الواحدة خَرْفَشَةٌ: سميت تشبيهاً بالصَّوْت الذي يصدر عنها عند تكسيرها؛ لأنك إذا كسرتها سمعت لصوته خَرْفَشَةٌ.

الطُّقُوقُ، الواحدة طُقُوقَةٌ: سميت بهذا الاسم تشبيهاً بصوتها؛ لأنك إذا رميت بها سمعت لها صوت طقطقة.

٦- ما شُبه بحجم:

الرَّزَّانُ: ويظهر أنَّ إطلاق هذا اللفظ على بداية طلوع التَّمْرِ شُبه بقولهم: ظِلَّ زَنان: قصير؛ وذلك لصغر حجم التَّمْرِ في هذه المرحلة.

٧- ما شُبه بجزء من الإنسان:

حَلَقُ النَّخْلَةِ: شبهوا حَلَقُ النَّخْلَةِ بحَلَقِ الإنسان؛ لأن حَلَقَ الإنسان يكون في أعلاه من جهة الرأس، وكذلك حَلَقُ النَّخْلَةِ في أعلاها من جهة الرأس.

الظُّفُوقُ: وهذا اللفظ قد يكون شُبه بظفر الإنسان، فكلاهما لازق فيما تحته، ويكون في أعلاه.

ثانياً: الترادف:

(الجُرَيْدُ، السَّعْفُ، العَسِيبُ): تطلق على أغصان النَّخْلَةِ.

(العِدْقُ، القنو): يطلقان على ما يحمل التَّمْرَ في النَّخْلَةِ.

(الإغْرِيبُ، الطَّلَعُ): يطلقان على الذي يخرج من الكافور بعد انشقاقه.

(العُثْكَوْلُ، الشُّمْرُوخُ): يطلقان على الغصن الذي ينمو على أطرافه التَّمْرُ.

ثالثاً: المشترك اللفظي:

ألفاظ النَّخْلة في اللهجة الدارجة لبني سُليْم الحجاز-دراسة لغوية، لُقْاي بن لافي مذكر السُّلمي

الصِّيِّ، الواحدة صِنْوَة: تطلق على معنيين، أحدهما: للنَّخْلة الطويلة المعمرة، والثاني: للنَّخْلة الصغيرة المتصلة بنخلة أخرى.

اللِّيْنَة: النَّخْلة عامة، و**اللِّيْنَة:** النَّخْلة الصغيرة.

رابعًا: ما نُسب لأهل الحجاز:

الرَّهْو: قال أبو عبيد^(١): فإذا ظهرت فيه الحمرة قيل: أزهى النَّخل يُرْهي، وهو الرَّهْو، وفي لغة أهل الحجاز: الرَّهْو.

السَّعْف، والواحدة سَعْفَة: قال أبو عبيد^(٢): والسَّعْف: هو الجريد عند أهل الحجاز، الواحدة جريدة.

العِدْق: قال أبو عبيد^(٣): العِدْق عند أهل الحجاز: النَّخْلة، والعِدْق: القِنْو الذي يقال له الكِبَاسَة.

العَسِيب: قال أبو عبيد^(٤): وهو سَعْف النَّخل، وأهل الحجاز يسمونه الجريد أيضًا.

العَاهِنَة: قال أبو عبيد^(٥): ويقال للسَّعْفَات اللواتي يلين القَلْبَة: العَوَاهِن في لغة أهل الحجاز. وقال أبو حاتم^(٦): السَّعْفَات التي تلي القَلْب يقول لها الحجازيون: العَوَاهِن، الواحدة: عَاهِنَة.

خامسًا: ما نُسب لأهل المدينة:

الصُّخْل، الواحدة صُخْلَة: قال أبو عبيد^(٧): وأهل المدينة يسمون السُّخْل، وقد سَخَّلَت النَّخْلة.

(١) ابن سلام، "الغريب المصنف"، ١: ٥٤٣.

(٢) المصدر السابق، ١: ٥٤١.

(٣) المصدر السابق، ١: ٥٥٢.

(٤) ابن سلام، "غريب الحديث"، ٤: ١٥٦.

(٥) ابن سلام، "الغريب المصنف"، ١: ٥٤١.

(٦) السِّجِسْتَانِي، "كتاب النَّخْلة"، ٦٠.

(٧) ابن سلام، "الغريب المصنف"، ١: ٥٤٦.

سادساً: ما فيه لغتان:

الرَّهْوُ: قال أبو حاتم^(١): قالوا: ثم يُزْهَى بعد التَّصْيِيءِ، فيصير زَهْوًا، بالفتح، وزُهْوًا بالضم، وهما لغتان.

الشَّمَارِيخُ، الواحد شَمْرُوخٌ: قال الفارابي^(٢): الشَّمْرُوخُ: لغة في الشِّمْرَاخِ.

العُنْكُولُ: قال أبو عبيد عن الأصمعي^(٣): والعِنْكَالُ.

الكَرَائِيْفُ وَالكَرِنَافُ، الواحد كِرِنَافَةٌ: قال ابن عبَّاد^(٤): الكِرِنَافَةُ، بالضم لغة

فيها.

سابعاً: ما لم يرد في المعاجم بالمعنى المستعمل عند قبيلة بني سليم:

الخُرْنُوفُ: لم أعر على هذا اللفظ بهذا المعنى في المصادر. وقالوا: الخُرْنُوفُ،

كما قالوا: الخرنوب، والخرنوب.

السَّلِيلُ: لم أعر على هذا اللفظ بمعنى مادة تسيل من الثَّمَرِ اللين تشبه العسل،

أما لفظ "السَّلِيل" بهذا الوزن فجاء لعدد من المعاني، منها: السَّلِيلُ: دِمَاغُ الفرس،

والسَّلِيلُ: الولد، والسَّلِيلُ: الماء الصافي.

الْفَتَوْتُ، الواحد فَتَوْتَةٌ: لم أعر على هذا اللفظ بهذا المعنى في المصادر، وجاء

على هذا الوزن قولهم: خَرُوبٌ وَخَرُوبَةٌ، وَفَرُوجٌ وَفَرُوجَةٌ.

الْقَيْنَةُ: لم أعر على هذا اللفظ بمعنى ظهور الطلع، أما لفظ "القَيْنَةُ" على هذا

الوزن فجاء بمعنى الوقت والحين، فقالوا^(٥): فلان يفعل ذلك القَيْنَةَ بعد القَيْنَةَ: أي

الحين بعد الحين.

الْفَحْوُطُ: لم أعر على هذا اللفظ بهذا المعنى في المصادر، وقالوا: الفَحْوُطُ، كما

قالوا: الخُرُوبُ، والبَلُوطُ؛ لنوعين من الشجر.

(١) البَيْجِسْتَانِي، "كتاب النَّخْلَةِ"، ٧١.

(٢) الفارابي، "معجم ديوان الأدب"، ٢: ٦٣.

(٣) ابن سلام، "الغريب المصنف"، ١: ٥٥٢.

(٤) ابن عبَّاد، "المحيط في اللغة"، ١: ٣٧٧.

(٥) الفارابي، "معجم ديوان الأدب"، ٣: ٣١٢.

الخاتمة والنتائج

- بعد جمع ألفاظ النَّخلة عند قبيلة بني سُليْم الحجاز، ودراستها دراسة معجمية ولغوية، وتوثيقها، خرج البحث بعدد من النتائج من أبرزها:
- من خلال دراسة الألفاظ السابقة يتضح أن قبيلة بني سُليْم الحجاز ما زالت تحافظ على نسبة كبيرة من الألفاظ الفصيحة للنَّخلة، فقد وردت أغلب تلك الألفاظ صراحة في مصادر اللغة القديمة دون تغيير.
 - جمع الباحث (٨٨) لفظاً تستعملها قبيلة بني سُليْم الحجاز في لهجتها الداريجة للنَّخلة؛ وذلك من خلال توزيع استبيان على بعض أفراد قبيلة بني سُليْم؛ إذ شارك فيه أكثر من (٤٥٠) شخصاً.
 - تناولت الدراسة (٦٥) لفظاً تستعملها قبيلة بني سُليْم الحجاز في لهجتها الداريجة للنَّخلة.
 - جاءت نسبة الألفاظ الفصيحة (٧٢,٣٪)، بواقع (٤٧) لفظاً فصيحاً ذُكرت صراحة في المصادر.
 - هناك (١٨) لفظاً تستعملها قبيلة بني سُليْم الحجاز في لهجتها الداريجة للنَّخلة أغلبها لها أصول في المصادر اللغوية.
 - دخلت بعض القضايا الصوتية ألفاظ النَّخلة المستعملة عند قبيلة بني سُليْم، مثل: الإمالة، وانتقال الحركة، والقلب، والإبدال، وهذا التغيير جاء إما فراراً من الثقل، أو بسبب الإمالة؛ والإمالة كثيرة عند أهل الحجاز، أو أنّ هذا التغيير هو من صميم لهجة أهل الحجاز.
 - دخلت بعض القضايا الصرفية ألفاظ النَّخلة المستعملة عند قبيلة بني سُليْم، مثل: السلاء.
 - دخلت بعض القضايا الدلالية ألفاظ النَّخلة المستعملة عند قبيلة بني سُليْم،

مثل: الترادف، والمشارك اللفظي.

— نُسبت بعض الألفاظ صراحة لأهل الحجاز في بعض المصادر، مثل: الرَّهْو،
والسَّعْف.

— هناك ألفاظ جاءت فيها لغتان، مثل: الرَّهْو، الشُّمْرُوخ، الشِّمْرَاخ، الكِرْنَاة
والكُرْنَاة.

المصادر والمراجع

- آل ابن علي، عبدالله بن حسين، "قبائل بني سُليْم في الماضي والحاضر نَسَب وتاريخ". (ط ١، د.ن، ٢٠٠٩م).
- ابن الأثير، المبارك بن محمد، "النهاية في غريب الحديث والأثر". خرج أحاديثه وعلق عليه: أبو عبدالرحمن صلاح بن محمد، (ط ٢، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢م).
- الأزهري، محمد بن أحمد، "تهذيب اللغة". تحقيق: محمد عوض مرعب، (ط ١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م).
- الأنباري، أبو البركات عبدالرحمن بن محمد، "الإنصاف في مسائل الخلاف". تحقيق: جودة مبروك، (ط ١، القاهرة: مكتبة الخانجي، ٢٠٢٠م).
- ابن الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم، "الزاهر في معاني كلمات الناس". تحقيق: حاتم الضامن، (ط ١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٢م).
- الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف، "البحر المحيط في التفسير". تحقيق: صدقي محمد جميل، (د.ط، بيروت: دار الفكر، ١٤٢٠هـ).
- الأنصاري، عبدالقدوس، "بنو سُليْم". تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، (د.ط، بيروت: دار ومكتبة الهلال، د.ت).
- أنيس، إبراهيم، "في اللهجات العربية". (ط ٦، القاهرة: مكتبة الأنجلو، د.ت).
- البخاري، محمد بن إسماعيل، "الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه". تحقيق: مصطفى ديب البغا، (ط ٣، بيروت: دار ابن كثير، ١٩٨٧م).
- ابن بَرِّيّ، أبو محمد عبدالله، "التنبيه والإيضاح عما وقع في الصحاح". تحقيق: عبدالصمد محروس، (ط ١، القاهرة: مطبوعات مجمع القاهرة، ٢٠١٠م).
- ابن جني، أبو الفتح عثمان، "الخصائص". تحقيق: محمد علي النجار، (د.ط، القاهرة: دار الكتب المصرية، د.ت).

- الجوهري، إسماعيل بن حماد، "الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية". تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، (ط٤، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٧م).
- ابن حريش، أبو مسحل عبدالوهاب، "كتاب التّوادر". تحقيق: عزة حسن، (د.ط، دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربية، ١٩٦١م).
- الحَمِيدِي، محمد بن فتوح، "تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم". تحقيق: زبيدة محمد سعيد، (ط١، القاهرة: مكتبة السنة، ١٩٩٥م).
- الحميري، نشوان بن سعيد، "شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم". تحقيق: حسين بن عبدالله العمري، ومظهر بن علي الإرياني، ومحمد عبدالله، (ط١، بيروت - دمشق: دار الفكر، ١٩٩٩م).
- ابن حنبل، أبو عبدالله أحمد بن محمد، "مسند الإمام أحمد". (د.ط، القاهرة: مؤسسة قرطبة، د.ت).
- الخنساء، تماضر بنت عمرو، "ديوان الخنساء". تحقيق: حمدو طمّاس، (ط٢، بيروت: دار المعرفة، ٢٠٠٤م).
- ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن، "جمهرة اللغة". تحقيق: رمزي منير بعلبكي، (ط١، بيروت: دار الملايين، ١٩٨٧م).
- الزّمخشرِي، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، "أساس البلاغة". تحقيق: محمد باسل عيون السود، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م).
- السّجستاني، أبو حاتم سهل بن محمد، "كتاب النّخلة". تحقيق: حاتم صالح الضّامن، (ط١، بيروت: دار البشائر، ٢٠٠٢م).
- ابن السكيت، يعقوب بن إسحاق، "إصلاح المنطق". تحقيق: أحمد شاكر وعبدالسلام هارون، (د.ط، مصر: دار المعارف، د.ت).
- ابن سلام، أبو عبيد القاسم، "الغريب المصنف". تحقيق: صفوان عدنان داوودي، (ط١، دمشق - بيروت: دار الفيحاء، ٢٠٠٥م).
- ابن سلام، أبو عبيد القاسم، "غريب الحديث". تحقيق: محمد عبدالمعيد خان، (ط١، حيدر آباد: مطبعة دائرة المعارف العثمانية، ١٩٦٤م).

ألفاظ النَّحْلة في اللهجة الدارجة لبي سُلَيْم الحجاز-دراسة لغوية، لُقْاي بن لافي مذخر السُّلمي
سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان، "الكتاب". تحقيق: عبدالسلام هارون، (ط ١،
بيروت: دار الجيل، ١٩٩١م).
ابن سيده، علي بن إسماعيل، "المحكم والمحيط الأعظم". تحقيق: عبدالحميد هندراوي،
(ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م).
ابن سيده، علي بن إسماعيل، "المخصص". تحقيق: خليل إبراهيم فجال، (ط ١،
بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٦م).
الشييباني، أبو عمرو إسحاق بن مرار، "معجم الجيم". تحقيق: إبراهيم الإياري،
(د.ط، القاهرة: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ١٩٧٤م).
الصغاني، الحسن بن محمد، "العباب الزاخر واللباب الفاخر". تحقيق: محمد حسن آل
ياسين، (د.ط، العراق: دار الرشيد، ١٩٧٩م).
ابن عباد، أبو القاسم إسماعيل، "المحيط في اللغة". تحقيق: محمد حسن آل ياسين،
(ط ١، بيروت: عالم الكتب، ١٩٩٤م).
ابن علي، أبو الطيب عبدالواحد، "كتاب الإبدال". تحقيق: عز الدين التنوخي،
(د.ط، دمشق: مطبوعات المجمع العلمي، ١٩٦١م).
الفارابي، إسحاق بن إبراهيم، "معجم ديوان الأدب". تحقيق: أحمد مختار عمر وإبراهيم
أنيس، (د.ط، القاهرة: مؤسسة دار الشعب، ٢٠٠٣م).
ابن فارس، أبو الحسين أحمد، "مقاييس اللغة". تحقيق: عبدالسلام هارون، (ط ٢،
بيروت: دار الجيل، ١٩٩٩م).
الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد، "كتاب فيه لغات القرآن". ضبطه وصححه: جابر بن
عبدالله السريع، (د.ط، دن، ١٤٣٥هـ).
الفراهيدي، الخليل بن أحمد، "كتاب العين". تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم
السامرائي، (د.ط، بيروت: دار ومكتبة الهلال، د.ت).
الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، "القاموس المحيط". تحقيق: مكتب تحقيق
التراث في مؤسسة الرسالة، (ط ٨، بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٥م).
الفيومي، أحمد بن محمد بن علي، "المصباح المنير في غريب الشرح الكبير". تحقيق:

- عبدالعظيم الشناوي، (ط٢، القاهرة: در المعارف, د.ت).
- ابن قتيبة، محمد عبدالله بن مسلم، "غريب الحديث". تحقيق: عبدالله الجبوري، (ط١، بغداد: مطبعة العاني، ١٣٩٧هـ).
- ابن مالك، محمد بن عبدالله، "شرح تسهيل الفوائد". تحقيق: عبدالرحمن السيد ومحمد بدوي المختون، (ط١، الجيزة: هجر للطباعة والنشر، ١٩٩٠م).
- ابن مكّي، أبو حفص عمر بن خلف، "تثقيف اللسان وتلقيح الجنان". قدم له وضبطه: مصطفى عبدالقادر عطا، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٠م).
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، "لسان العرب". (ط٣، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ).
- نجا، إبراهيم محمد، "اللهجات العربية". (د.ط، القاهرة: مطبعة السعادة، ١٩٥٧م).
- النيسابوري، مسلم بن الحجاج، "المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ". تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، (د.ط، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت).
- الهجري، أبو علي هارون بن زكريا، "التعليقات والنوادر". بترتيب: حمد الجاسر، (ط١، الرياض: دار اليمامة، ١٩٩٢م).
- الهنائي، أبو الحسن علي بن الحسن، "المنتخب من غريب كلام العرب". تحقيق: محمد بن أحمد العمري، (ط١، مكة: معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، ١٩٨٩م).
- الهنائي، أبو الحسن علي بن الحسن، "المنجّد في اللغة". تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر، ودكتور ضاحي عبدالباقي، (ط٢، القاهرة: عالم الكتب، ١٩٨٨م).
- ابن يعيش، أبو البقاء يعيش بن علي، "شرح المفصل". تحقيق: إميل بديع يعقوب، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠١م).

Bibliography

- Āl Ibn ‘Alī, Allāh ibn Ḥusayn, "qabā’il Banī sulaym fī al-mādī wa-al-ḥādīr nasab wa-tārīkh". (1st ed, N.P, 2009).
- Ibn al-Athīr, al-Mubārak ibn Muḥammad, "al-nihāyah fī Gharīb al-ḥadīth wa-al-athar". kharraja aḥādīthahu wa-‘allaqa ‘alayhi: Abū ‘Abd-al-Raḥmān Ṣalāḥ ibn Muḥammad, (2nd ed, Bayrūt: Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, 2002).
- al-Azharī, Muḥammad ibn Aḥmad, "Tahdhīb al-lughah". taḥqīq: Muḥammad ‘Awaḍ Mur‘ib, (1st ed, Bayrūt: Dār Iḥyā’ al-Turāth al-‘Arabī, 2001).
- al-Anbārī, Abū al-Barakāt ‘Abd-al-Raḥmān ibn Muḥammad, "al-Inṣāf fī masā’il al-khilāf". taḥqīq: Jawdah Mabruk, (1st ed., al-Qāhirah: Maktabat al-Khānjī, 2020).
- Ibn al-Anbārī, Abū Bakr Muḥammad ibn al-Qāsim, "al-zāhir fī ma‘ānī Kalimāt al-nās". taḥqīq: Ḥātim al-Dāmin, (1st ed., Bayrūt: Mu’assasat al-Risālah, 1992).
- al-Andalusī, Abū Ḥayyān Muḥammad ibn Yūsuf, "al-Baḥr al-muḥīṭ fī al-tafsīr". taḥqīq: Ṣidqī Muḥammad Jamīl, (N.E, Bayrūt: Dār al-Fikr, 1420).
- al-Anṣārī, ‘Abd-al-Quddūs, "Banū sulaym". taḥqīq: Mahdī al-Makhzūmī wa-Ibrāhīm al-Sāmarrā’ī, (N.E, Bayrūt: Dār wa-Maktabat al-Hilāl, N.D).
- Anīs, Ibrāhīm, "fī al-Lahajāt al-‘Arabīyah". (ṭ6, al-Qāhirah: Maktabat al-Anjlū, N.D).
- al-Bukhārī, Muḥammad ibn Ismā‘īl, "al-Jāmi‘ al-Musnad al-ṣaḥīḥ al-Mukhtaṣar min umūr Rasūl Allāh ṣallā Allāh ‘alayhi wa-sallam wsnnh wa-ayyāmuḥ". taḥqīq: Muṣṭafā Dīb al-Bughā, (3rd ed., Bayrūt: Dār Ibn Kathīr, 1987).
- Ibn barrī, Abū Muḥammad Allāh, "al-Tanbīh wa-al-īdāḥ ‘ammā waqa‘a fī al-ṣiḥāḥ". taḥqīq: ‘bdālṣmd Maḥrūs, (1st ed., al-Qāhirah: Maṭbū‘āt Majma‘ al-Qāhirah, 2010).
- Ibn Jinnī, Abū al-Faṭḥ ‘Uthmān, "al-Khaṣā’iṣ". taḥqīq: Muḥammad ‘Alī al-Najjār, (N.E, al-Qāhirah: Dār al-Kutub al-Miṣrīyah, N.D).
- al-Jawharī, Ismā‘īl ibn Ḥammād, "al-ṣiḥāḥ Tāj al-lughah wa-ṣiḥāḥ al-‘Arabīyah". taḥqīq: Aḥmad ‘bdālghfwr ‘Atṭār, (4th ed., Bayrūt: Dār al-‘Ilm lil-Malāyīn, 1987).
- Ibn Ḥarīsh, Abū Miṣḥal ‘Abd-al-Waḥhāb, "Kitāb alnawādr". taḥqīq: ‘Azzah Ḥasan, (N.E, Dimashq: Maṭbū‘āt Majma‘ al-lughah al-‘Arabīyah, 1961).
- Alḥamīdy, Muḥammad ibn Fattūḥ, "tafsīr Gharīb mā fī al-ṣaḥīḥayn al-Bukhārī wa-Muslim". taḥqīq: Zubaydah Muḥammad Sa‘īd, (1st ed, al-Qāhirah: Maktabat al-Sunnah, 1995).
- al-Ḥimyarī, Nashwān ibn Sa‘īd, "Shams al-‘Ulūm wa-dawā’ kalām al-‘Arab min alklwm". taḥqīq: Ḥusayn ibn Allāh al-‘Umarī, wmtḥr ibn ‘Alī al-Iryānī, wa-Muḥammad Allāh, (1st ed, Bayrūt-Dimashq: Dār al-Fikr, 1999).
- Ibn Ḥanbal, Abū Allāh Aḥmad ibn Muḥammad, "Musnad al-Imām Aḥmad". (N.E, al-Qāhirah: Mu’assasat Qurṭubah, N.D).
- al-Khansā’, Tumādīr bint ‘Amr, "Dīwān al-Khansā’". taḥqīq: Ḥamdū ṭmmās,

- (2nd ed., Bayrūt: Dār al-Ma‘rifah, 2004).
- Ibn Durayd, Abū Bakr Muḥammad ibn al-Ḥasan, "Jamharat al-lughah". taḥqīq: Ramzī Munīr Ba‘labakkī, (1st ed, Bayrūt: Dār al-Malāyīn, 1987).
- al-Zamakhsharī, Abū al-Qāsim Maḥmūd ibn ‘Amr ibn Aḥmad, "Asās al-balāghah". taḥqīq: Muḥammad Bāsīl ‘Uyūn al-Sūd, (1st ed, Bayrūt: Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, 1998).
- Alssijsṭāny, Abū Ḥātim Sahl ibn Muḥammad, "Kitāb alnakhlah". taḥqīq: Ḥātim Šālīḥ alddāmn, (1st ed, Bayrūt: Dār al-Bashā’ir, 2002).
- Ibn al-Sikkīt, Ya‘qūb ibn Ishāq, "Iṣlāḥ al-mantiq". taḥqīq: Aḥmad Šakīr w‘bdāslām Hārūn, (N.E, Miṣr: Dār al-Ma‘ārif, N.D).
- Ibn Sallām, Abū ‘Ubayd al-Qāsim, "al-Gharīb al-muṣannaf". taḥqīq: Šafwān ‘Adnān Dāwūdī, (1st ed, Dimashq-Bayrūt: Dār al-Fayḥā’, 2005).
- Ibn Sallām, Abū ‘Ubayd al-Qāsim, "Gharīb al-ḥadīth". taḥqīq: Muḥammad ‘bdālm‘yd Khān, (1st ed, Ḥaydar Ābād: Maṭba‘at Dā’irat al-Ma‘ārif al-‘Uthmānīyah, 1964).
- Sībawayh, Abū Bishr ‘Amr ibn ‘Uthmān, "al-Kitāb". taḥqīq: ‘Abdussalām Hārūn, (1st ed, Bayrūt: Dār al-Jīl, 1991).
- Ibn sydh, ‘Alī ibn Ismā‘īl, "al-Muḥkam wa-al-Muḥīṭ al-A‘zam". taḥqīq: ‘Abd-al-Ḥamīd Hindāwī, (1st ed, Bayrūt: Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, 2000).
- Ibn sydh, ‘Alī ibn Ismā‘īl, "almkhṣṣ". taḥqīq: Khalīl Ibrāhīm Fajjāl, (1st ed, Bayrūt: Dār Iḥyā’ al-Turāth al-‘Arabī, 1996).
- al-Shaybānī, Abū ‘Amr Ishāq ibn Marār, "Mu‘jam aljym". taḥqīq: Ibrāhīm al-Ibyārī, (N.E, al-Qāhirah: al-Hay’ah al-‘Āmmah li-Shu‘ūn al-Maṭābi‘ al-Amīrīyah, 1974).
- al-Šaghānī, al-Ḥasan ibn Muḥammad, "al-‘Ubāb al-zākhīr wa-al-lubāb al-fākhīr". taḥqīq: Muḥammad Ḥasan Āl Yāsīn, (N.E, al-‘Irāq: Dār al-Rashīd, 1979).
- Ibn ‘Abbād, Abū al-Qāsim Ismā‘īl, "al-muḥīṭ fī al-lughah". taḥqīq: Muḥammad Ḥasan Āl Yāsīn, (1st ed, Bayrūt: ‘Ālam al-Kutub, 1994).
- Ibn ‘Alī, Abū al-Ṭayyib ‘bdālwāḥd, "Kitāb al’bdāl". taḥqīq: ‘Izz al-Dīn al-Tanūkhī, (N.E, Dimashq: Maṭbū‘at al-Majma‘ al-‘Ilmī, 1961).
- al-Fārābī, Ishāq ibn Ibrāhīm, "Mu‘jam Dīwān al-adab". taḥqīq: Aḥmad Mukhtār ‘Umar wa-Ibrāhīm Anīs, (N.E, al-Qāhirah: Mu’assasat Dār al-Sha‘b, 2003).
- Ibn Fāris, Abū al-Ḥusayn Aḥmad, "Maqāyīs al-lughah". taḥqīq: ‘Abdussalām Hārūn, (2nd ed, Bayrūt: Dār al-Jīl, 1999).
- al-Farrā’, Abū Zakarīyā Yaḥyá ibn Ziyād, "Kitāb fīhi lughāt al-Qur’ān". ḍabaṭahu wa-ṣaḥḥahahu: Jābir ibn Allāh al-Sarī’, (N.E, N.P, 1435).
- al-Farāhīdī, al-Khalīl ibn Aḥmad, "Kitāb al-‘Ayn". taḥqīq: Maḥdī al-Makhzūmī wa-Ibrāhīm al-Sāmarrā’ī, (N.E, Bayrūt: Dār wa-Maktabat al-Hilāl, N.D).
- al-Fīrūzābādī, Majd al-Dīn Muḥammad ibn Ya‘qūb, "al-Qāmūs al-muḥīṭ". taḥqīq: Maktab taḥqīq al-Turāth fī Mu’assasat al-Risālah, (8th ed, Bayrūt: Mu’assasat al-Risālah, 2005).
- al-Fayyūmī, Aḥmad ibn Muḥammad ibn ‘Alī, "al-Miṣbāḥ al-munīr fī Gharīb

- al-sharḥ al-kabīr". taḥqīq: 'bdāl'zym al-Shinnāwī, (2nd ed, al-Qāhirah: Durr al-Ma'ārif, N.D).
- Ibn Qutaybah, Muḥammad Allāh ibn Muslim, "Gharīb al-ḥadīth". taḥqīq: Allāh al-Jubūrī, (1st ed, Baghdād: Maṭba'at al-'Ānī, 1397).
- Ibn Mālik, Muḥammad ibn Allāh, "sharḥ Tas'hīl al-Fawā'id". taḥqīq: 'Abd-al-Raḥmān al-Sayyid wa-Muḥammad Badawī al-Makhtūn, (1st ed, al-Jīzah: Hajar lil-Ṭibā'ah wa-al-Nashr, 1990).
- Ibn Makkī, Abū Ḥafṣ 'Umar ibn Khalaf, "Tathqīf al-lisān wtlqyḥ al-Jinān". qaddama la-hu wa-ḍabaṭahu: Muṣṭafā 'Abd-al-Qādir 'Aṭā, (1st ed, Bayrūt: Dār al-Kutub al-'Ilmīyah, 1990).
- Ibn manzūr, Muḥammad ibn Mukarram ibn 'Alī, "Lisān al-'Arab". (3rd ed, Bayrūt: Dār Ṣādir, 1414).
- Najā, Ibrāhīm Muḥammad, "al-Lahajāt al-'Arabīyah". (N.E, al-Qāhirah: Maṭba'at al-Sa'ādah, 1957).
- al-Nīsābūrī, Muslim ibn al-Ḥajjāj, "al-Musnad al-ṣaḥīḥ al-Mukhtaṣar bi-naql al-'Adl 'an al-'Adl ilá Rasūl Allāh ṣallá Allāh 'alayhi wa-sallam". taḥqīq: Muḥammad Fu'ād 'Abd-al-Bāqī, (N.E, Bayrūt: Dār Iḥyā' al-Turāth al-'Arabī, N.D).
- al-Hijrī, Abū 'Alī Hārūn ibn Zakarīyā, "al-Ta'līqāt wa-al-nawādir". bi-tartīb: Ḥamad al-Jāsir, (1st ed, al-Riyād: Dār al-Yamāmah, 1992).
- Alhunā'y, Abū al-Ḥasan 'Alī ibn al-Ḥasan, "al-Muntakhab min Gharīb kalām al-'Arab". taḥqīq: Muḥammad ibn Aḥmad al-'Umarī, (1st ed, Makkah: Ma'had al-Buḥūth al-'Ilmīyah wa-Iḥyā' al-Turāth al-Islāmī bi-Jāmi'at Umm al-Qurā, 1989).
- Alhunā'y, Abū al-Ḥasan 'Alī ibn al-Ḥasan, "almunajjad fī al-lughah". taḥqīq: Duktūr Aḥmad Mukhtār 'Umar, wa-duktūr Dāḥī 'Abd-al-Bāqī, (2nd ed, al-Qāhirah: 'Ālam al-Kutub, 1988).
- Ibn Ya'īsh, Abū al-Baqā' Ya'īsh ibn 'Alī, "sharḥ al-Mufaṣṣal". taḥqīq: Imīl Badī' Ya'qūb, (1st ed, Bayrūt: Dār al-Kutub al-'Ilmīyah, 2001).

**ملاح الأداء الصوتي في كتاب تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين
عما يقع لهم من الخطأ حال تلاوتهم لكتاب الله المبين
لأبي الحسن النوري الصفاقسي (ت ١١١٨ هـ)
دراسة وصفية^(١)**

The features of phonetic performance in the book of
"Tanbeeh Al-Gaafileen wa Irshaad Al-Jaahileen 'Ammah
Yaqa' Lahum min AL-Khata Haal Tilaawatihim li Kitaabil
Laah Al-Mubeen", by Abu Al-Hassan Al- Nuuri al-
safaqusy (1118 hijri) (Descriptive Study) "

د. ياسر سلامة إبراهيم محمد

الأستاذ المساعد في قسم اللغة العربية - جامعة الحدود الشمالية

البريد الإلكتروني: dr_yasser1430@yahoo.com

(١) "هذا البحث مدعومٌ من عمادة البحث العلمي بجامعة الحدود الشمالية، تحت رقم: ٧٦٤٨-

المستخلص

يتحدث هذا البحث عن كيفية الأداء السليم لأصوات اللغة العربية ممثلة في القرآن الكريم، ويسعى لتأكيد أهميته حُسن الأداء الصوتي في الاستعمال اللغوي، وأثر حُسن الأداء في فهم اللغة وتعلمها وتعليمها، كما يسعى إلى بيان العلاقة بين حُسن الأداء واللحن في اللغة من جهة، وبين حُسن الأداء والتغير اللغوي من جهة أخرى، كما يمثلها الكتاب أو مدونه البحث "تنبيه الغافلين".

ويكشف البحث عن أثر اللحن، وأثر التطور اللغوي في ألسنة المتكلمين بالعربية في الأداء الصوتي، من خلال ما ذكره الصفاقسي في كتابه، كما سيكشف البحث عن أكثر الوسائل المعنية على حُسن الأداء، أو تلك التي تعوقه، وذلك بيان صور الخطأ في الأداء الصوتي، وأي هذه الصور أكثر وروداً وتكراراً، والأسباب التي تؤدي إليها، وسوف يُعنى البحث بالصور الأدائية عند غير العرب من متعلمي العربية، كاشفاً مواضع القصور في أدائهم للعربية.

ويبين البحث الحلول الناجعة للمشكلات التي تحول دون حُسن الأداء، كما قدّمها الصفاقسي، وكذلك أثرها في صحة الأداء الصوتي، لألفاظ القرآن الكريم وللعربية.

الكلمات المفتاحية: الأداء - الصوتي - اللغوي - اللحن - الخطأ -

الصفاقسي.

Abstract

This research discussed how the Arabic language phonetics, represented as seen in the Glorious Qur'an, are articulated correctly. It emphasized the importance of correct pronunciation in language usage and its role in understanding, learning and teaching the language. It also demonstrated the relationship between correct and incorrect pronunciation on one hand, and the relationship between correct performance and linguistic development on the other hand, as represented by "*Tanbeeh Al-Gaafileen*".

The research attempted to detect the effect of solecism and linguistic development of native speakers on phonetic performance, through what Abu al-Hassan Nuri stated in his book. This study aimed to reveal the boosters and impediments of good and correct phonetic performance by identifying the various forms of wrong articulation of phonetic performance, which are more repeated, and the reasons of these errors. The phonetic performance of non-Arab learners was investigated as well in an attempt to find the shortcomings in their linguistic performance.

The research showed the effective solutions to such problems that impede the good phonetic performance, as discussed by the author. At the same time, such proposed solutions and their impact on the correct phonetic performance of Arabic and the Glorious Quran were cleared.

Keywords: performance – phonetic – linguistic – solecism – mistake – al-Safaqesy.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين بإحسان، وبعد.

يتناول البحث ملامح الأداء الصوتي في كتاب "تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين" عما يقع لهم من الخطأ حال تلاوتهم لكتاب الله المبين، للصفاقيسي، من حيث مظاهر الخطأ الأدائي التي تبه عليها، وأنواع الخطأ في الأداء الصوتي، وأسبابه، وطرق علاجه، ومعايير الصواب الأدائي لأصوات القرآن الكريم.

أهمية الموضوع:

اللغة ظاهرة صوتية في المقام الأول، وإن حسن الأداء لأصوات اللغة يكشف عن طبيعة اللغة وصفاتها، وخصائصها؛ فبالأداء تتجلى جمالية اللغة وعدوبه مستمعها، وتؤكد الأهمية حين يتعلق الأمر بالدلالة والمعنى؛ فقد يؤدي الخطأ في الأداء الصوتي إلى خلل في المعنى واختلاف في الدلالة؛ مما يمثل عائقاً دون الفهم والإبلاغ، وحائلاً دون أداء اللغة رسالتها، ولا سيما في أداء القرآن الكريم، وهذا ما يحاول البحث إبرازه والكشف عنه.

سبب اختياره:

اهتمام الصفاقيسي بالأداء الصوتي في كتابه "تنبيه الغافلين"؛ بيان مظاهر الخطأ في أداء الأصوات، وأسباب حدوثه، وكيفية الأداء السليم، وطرق العلاج؛ بما يوضح النموذج المثالي للأداء الصوتي.

هدفه:

يسعى البحث إلى الكشف عن مكانة كتاب "تنبيه الغافلين" للصفاقيسي في الأداء السليم لأصوات القرآن الكريم.

مشكلة البحث:

يعالج البحث مشكلة الأداء الصوتي للناطقين بالعربية من أهلها ومن غير أهلها في قراءة القرآن الكريم، من حيث مظاهر الخطأ، وأسبابه، وطرق علاجه.

أسئلة البحث:

يسعى البحث للإجابة عن تساؤلات، من أهمها:
- ما قيمة الأداء الصوتي في القرآن الكريم؟ وما أسباب عيوب الأداء الصوتي عند بعض القراء؟ وكيف عالج الصفاقيسي العيوب الأدائية؟ وما المقترحات التي قدمها لتجنب الوقوع فيها؟ وهل التغيرات الصوتية التي يعدها بعض العلماء من التطور اللغوي، تقبل في قراءة القرآن الكريم؟

فرضية البحث:

يقوم البحث على فرضية، مؤداها: تأثر الأداء القرآني عند بعض القراء، بطريقة أدائهم اللغوية في غير القرآن الكريم.

منهج البحث:

يعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي؛ حيث اتبع في البحث الإجراءات

التالية:

- جمع أقوال الصفاقيسي الخاصة بالأداء الصوتي، ومواطن الخطأ عند بعض القراء، من كتابه "تنبيه الغافلين".
- صنفت هذه الأقوال بحسب أسباب الخطأ، ومظاهره، وأنواعه.
- حللت نماذج مختارة من الأمثلة الواردة في كتاب "تنبيه الغافلين"، وبيّنت مظاهر الخطأ فيها، مع مناقشتها والتعقيب عليها.
- أحصيت النماذج التي لم أقم بتحليلها، ورتبته في جداول، وعلقت عليها.

الدراسات السابقة:

- ١ - دراسة بعنوان: "الملامح الأدائية عند الجاحظ في البيان والتبيين"، للدكتور عبدالله ربيع محمود، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م، ط الأولى، من دون، والكتاب يختص بدراسة الملامح الأدائية، وبيان عيوب الأداء، وطرق العلاج، كما صوّرها الجاحظ في البيان والتبيين.
- ٢ - دراسة بعنوان: الأداء الصوتي في العربية، للدكتور رشاد محمد سالم، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية المجلد ٢ العدد ٢، ربيع الثاني

١٤٢٦ هـ، يونيو ٢٠٠٥ م، وهو بحثٌ يُعنى بمفهوم الأداء الصوتي في اللغة العربية، وأهم عناصر جودته، وأخطر مظاهر عيوبه.

٣ - دراسة بعنوان: مفهوم الأداء اللغوي وتطبيقاته في تعليم العربية للناطقين بغيرها، د. نشأت بيومي، كلية الدراسات الإسلامية المعاصرة بجامعة السلطان زين العابدين، مدينة ترنجانو، ماليزيا، وهو بحثٌ يركّز على مفهوم الأداء اللغوي وتطبيقاته التي تُسهم في تنمية مهارات الأداء اللغوي في برامج تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها.

٤ - دراسة بعنوان: "التوجيه اللغوي والنحوي للقراءات السبع في كتاب علي النوري الصفّاقسي (ت ١١١٨ هـ) "غيث النفع"، وهي رسالة ماجستير، من إعداد الطالبة/ خالدة عمر سليمان علي السليفاني، كلية الآداب، جامعة الموصل، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م، وموضوع الرسالة يركّز على توجيه القراءات القرآنية لغويًا ونحويًا، من خلال كتاب الصفّاقسي "غيث النفع في القراءات السبع"، وهذا البحث من أقرب الدراسات إلى بحثي؛ حيث يختص بدراسة كتاب من أنفس كتب الصفّاقسي، وإن كان بحثي يختص بدراسة كتاب آخر للصفّاقسي، وهو: "تنبيه الغافلين".

٥ - دراسة بعنوان: "دور المدارس القرآنية في تحسين الأداء اللغوي مدرسة البيان لتحفيظ القرآن بوادي سوف عينة"، مذكرة من متطلبات الماجستير في اللغة والأدب العربي تخصص تعليمية اللغة العربية وتعلّمها، إعداد الطالبة سعيدة بن حمدة، كلية الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر، السنة الجامعية ٢٠١٤ / ٢٠١٥ م، وموضوع الدراسة أقرب موضوعات الدراسات السابقة إلى موضوع بحثي؛ حيث يركّز على الأداء الصوتي، ودور المدرسة القرآنية في تحسين نطق المتعلّم للآيات القرآنية نطقًا صحيحًا، وكذلك طرق التدريس المتبعة في المدرسة القرآنية.

ويتميّز بحثي عن الدراسات السابقة بعنايته بكتاب الصفّاقسي "تنبيه الغافلين" وبيان مظاهر الأداء الصوتي فيه، وعيوب الأداء عند بعض قراء القرآن الكريم، وطرق

العلاج التي تعينُ على تجنب تلك العيوب.

وأما خطة البحث فقد جاءت وفق الأقسام التالية:

- المقدمة: تبين أهمية موضوع البحث، وأسباب اختياره، وهدفه، ومشكلته، وأسئلته، وفرضيته، ومنهجه، والدراسات السابقة، وخطته.
- التمهيد: الصَّفَافُسيُّ وكتابه: "تنبيه الغافلين".
- المبحث الأول: الأداء لغةً واصطلاحًا.
- المبحث الثاني - أسباب وقوع الخطأ في الأداء الصوتي من بعض القراء.
- المبحث الثالث: تنبيهات عامة في الأداء الصوتي.
- المبحث الرابع - مظاهر اللحن الأدائي في الصفات.
- المبحث الخامس - مظاهر اللحن الأدائي في الحروف.
- المبحث السادس - مظاهر اللحن الأدائي في الوقف والابتداء.
- المبحث السابع - بيان وسائل إتقان الأداء الصوتي، وطرق علاج اللحن الأدائي.
- خاتمة - بما نتأجج البحث، وتوصياته.
- فهرس المصادر والمراجع.

الءمهء: الصفاقسى وكءابه: ءنبىء الغافلن

المبء الأوء - الءعرىف بالصفاقسى^(١):

أبو الءسن علفى بن مءمء بن سالم؁ النورى الصفاقسى^(٢)؁ مقرئ من فقهاء المالكىة؁ وءء فى مءبنة صفاقس؁ عام (١٠٥٣هـ)؁ ونشأ بها؛ ومن ءم نُسب إليها؁ رءل إلى ءونس ءءقبى العلم؛ فأءء عن علمائها؁ ءم رءل إلى مصر لطلب العلم بالأزهر الشرىف؁ وأءء عن أءمة من العلماء ءون أسماءهم فى "فهرسة" ءافلة؁ ءم عاء إلى صفاقس فأقام بها؁ وأنشأ بها مءرسءه ءى ءعى بالقرآن الكرىم؁ قبل كل شىء؁ من ءبء صءة الأءاء؁ وقء انقءع ءلءرىس؁ ونشر العلم؛ فانبفع به كءرون من المقمبن ببءه؁ والوارءبن إليه؁ إلى أن وافاه الأءل سنة (١١١٨هـ)^(٣).

وأما شىوخه فكءرون؁ أفاء منهم فى رءلءه العلمىة^(٤).

وقء ءءلمء للصفاقسى الكءرون؁ وءءرء على بءبه علماء فى علوم شءى^(١).

(١) أوءء الءعرىف بالصفاقسى؛ لأننى لسء أول من بءرءم له فى مبء أكاءمى؛ فقء سببى إلى ءلك باءون؁ منهم: ء/سالم بن ءرم الله بن مءمء الزهرانى؁ فى رسالءه ءى ءءمها إلى ءامعة أم القرى لنبى ءرءة (ءكءورا)؁ بعنوان: "غىء النفع فى القراءاء السبع لأبى الءسن علفى بن سالم بن مءمء النورى الصفاقسى (ء ١١١٨هـ) - ءراسة وءءقبق"؁ ١٤٢٦هـ.

(٢) كءا وء اسم الصفاقسى فى: (الأعلام. لءبر الءبن الزركلى؁ بىروء: ءار العلم للملابن؁ ط الءامسة عشرة؁ أيار/ مايو ٢٠٠٢)؁ ١٤/٥؁ وبنظر نزهة الأنظار فى عءابء ءوارىء والأءبار؁ لمءموء مقءبش؁ ءءقبق علفى الزوارى؁ ومءمء مءفوظ (بىروء: ءار الغرب الإسلامى؁ ١٩٨٨)؁ ٣٥٨/٢ (ءاشىة رقم: ٧٣٩)؁ وكءلك غىء النفع للصفاقسى؁ ٣٨/١ - ٣٩.

(٣) بىرى الأستاذ كءالة أن موءء النورى ووفاءه (١٠٤٠هـ - ١١١٧م)؁ معجم الموءلفبن؁ ءألف عمر رضا كءالة (بىروء: ءار إءىاء ءراء العربى؁ من ءون)؁ ٢٠١/٧؁ وبنظر غىء النفع ٤٢/١ - ٤٣.

(٤) بنظر فى شىوخ الصفاقسى - لمن أراء ءوئع - غىء النفع ٦٠/١ - ٨٠.

وأما آثاره العلمية فكثيرة؛ حيث برع الصَّفَاقُسيُّ في العلوم الشرعية والعربية من حديث، وتفسير، وفقه، وتوحيد، وقراءات، وعربية، وغيرها، وبلغ منزلةً عاليةً رفيعةً في تلك العلوم، وقد أثنى عليه العلماء، ومما مُدِّح به شعراً:

كَذَا الْمَاجِدُ النَّحْرِيُّ عَيْنُ صُفَاقِسٍ أَبُو الْحَسَنِ النَّوْرِيُّ ذُو الْمَجْدِ وَالْفَحْرِ^(٢)

وقد أَلَفَ الصَّفَاقُسيُّ في علوم كثيرة^(٣)، ومن أهمِّ فنون التي برع فيها الصَّفَاقُسيُّ علم القراءات الذي اشتهر به أكثر من غيره، وعلم التجويد.

ومن أهمِّ كُتُبِهِ التي تتعلَّقُ بالقراءات والتجويد:

١ - كتاب: "غَيْثُ النَّفْعِ فِي الْقِرَاءَاتِ السَّبْعِ": حقَّقه الدكتور/ سالم بن غرم الله ابن محمد الزهراني، في رسالة لنيل درجة (الدكتوراه)، من جامعة أمِّ القُري، ١٤٢٦هـ.

٢ - كتاب: "تنبيه الغافلين"، وهو موضوع حديثنا التَّالي.

(١) ينظر في تلاميذ الصَّفَاقُسي - لمن أراد التوسُّع - غيث النفع ١/٨١ - ٩٨.

(٢) عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشبيحات والمسلسلات. باعتناء الدكتور/ إحسان عباس (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط الثانية، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م) ٢/٦٧٣، وينظر نزهة الأنظار ٢/٣٦٤ - ٣٦٥.

(٣) ينظر في مؤلفاته - على سبيل المثال - غيث النفع ١/١٢١ - ١٤٧.

المبحث الثاني - التعريف بكتاب: "تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين عما يقع

لهم من الخطأ حال تلاوتهم لكتاب الله المبين:

والكتاب من أنفس كتب الصفاقسي؛ لتعلقه بالقرآن الكريم، ولتمييز موضوعه كذلك؛ حيث يُعنى ببيان الأداء السليم لأصوات القرآن الكريم، وينبئه على مواطن الخطأ في الأداء؛ يقول الصفاقسي: "ولا نتكلم إلا على ما في كتاب الله؛ إذ غرضنا التحرز من الخطأ في كتاب الله" (١).

ويقول الصفاقسي - بعد عرض الحروف مفصلاً أحوالها وما يقع فيها من أخطاء في قراءة بعض القراء - : "وجميع ما حدّرتك منه في جميع الحروف فاجتنبه وأمر غيرك ... أن يجتنبه، وقس عليه ما شاكله، وإذا علمت ما هو الصواب من مخرج الحرف ووصفته، فجميع ما خالفه خطأ؛ فإن الخطأ ليس له أصل يُبنى عليه ولا ضابط يُرجع إليه، بل هو أمر يجري على السنة الجاهلين والغافلين" (٢).

فللصواب معايير، بخلاف الخطأ الذي يُعد خروجاً عن تلك المعايير، وقد نبّه الصفاقسي على اللحن بقوله: "اللحن مخالفة صواب الإعراب ... إذ اللحن يُطلق على الخطأ من حيث هو" (٣).

ويعدّ الكتاب في لحن خاصة الخاصة وهم القراء، ويؤكد هذا قول الصفاقسي: "وكثير من المتصدّرين في زماننا هذا لا يحسنونها؛ فوأسفاه على زمان تصدّر فيه للإقراء ... من لا يعرف حروف ألف باء".

ويقول: "وعوام القراء يفعلوه، وهو لحن لا تحل القراءة به" (٤).

والصفاقسي ينبئه على أن معرفة الحروف معرفة صحيحة، أداءً ونطقاً، هي

(١) الصفاقسي، ص. ١٢٢.

(٢) المرجع نفسه، ص. ٩٩.

(٣) المرجع نفسه، ص. ٤٤.

(٤) المرجع نفسه، ص. ٧٦.

الفصل في الأداء السليم.

وَيَمَيِّز الصَّفَاقِيسِيَّ أَنْوَاعَ اللَّحْنِ فِي أَدَاءِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ؛ فيقول: " وهذا كُلهُ لَحْنٌ جَلِيٌّ لَا تَحِلُّ الْقِرَاءَةُ بِهِ"^(١)، ويقول: " اللَّحْنُ الْحَقِيٌّ هُوَ الَّذِي لَا يُخْلُ بِالْمَعْنَى، وَلَا بِالْإِعْرَابِ؛ وَإِنَّمَا مَرَجَعُهُ إِلَى اللَّفْظِ خَاصَّةً كَتَرَكِ الْإِخْفَاءِ، ... وَتَفْخِيمِ الْمُرَقَّاتِ، وَتَرْقِيقِ الْمَفْخَمِ؛ وَهَذَا يَخْتَصُّ بِمَعْرِفَةِ عُلَمَاءِ الْقِرَاءَةِ وَأَثْمَةِ الْأَدَاءِ، وَمَنْ جَعَلَ الضَّادَ ظَاءً فَقَدْ غَيَّرَ الْمَعْنَى وَأَبْدَلَ؛ ... فَهُوَ لَحْنٌ جَلِيٌّ"^(٢).

وَاللَّحْنُ بِهَذَا الْمَقْصُودِ اصْطِلَاحٌ خَاصٌّ بِعُلَمَاءِ التَّجْوِيدِ الَّذِينَ فَرَّقُوا بَيْنَهُمَا^(٣)، وَهُوَ اسْتِعْمَالٌ يَخْتَلِفُ عَنِ اللَّحْنِ فِي اللَّغَةِ؛ لِأَنَّ الْمَقْصُودَ بِهِ عِنْدَ اللَّغَوِيِّينَ أَشْمَلٌ؛ حَيْثُ يَشْمَلُ كُلَّ مَا أَصَابَ الْفُصْحَى مِنْ مَظَاهِرَ، خَالَفتِ اسْتِعْمَالَ الْعَرَبِيِّ الْمُرُوثِ، فِي مَسْتَوِيَاتِ اللَّغَةِ الصَّوْتِيَّةِ وَالصَّرْفِيَّةِ وَالنَّحْوِيَّةِ وَالِدَّلَالِيَّةِ^(٤). وَأَمَّا اللَّحْنُ عِنْدَ عُلَمَاءِ التَّجْوِيدِ فَيَخْتَصُّ بِمَا يَمَسُّ أَلْفَاظَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَتَرَكَيبِهِ؛ وَأَكْثَرُهُ فِي الْأَدَاءِ الصَّوْتِيِّ.

وَلِجُهْدِ عُلَمَاءِ التَّجْوِيدِ الْأَثَرِ الْمُبَارَكِ فِي الْحِفَاظِ عَلَى أَصْوَاتِ الْعَرَبِيَّةِ مِنَ الذَّهَابِ وَالتَّلَاشِي، بَقَاءِ صُورَتِهَا الْأَدَائِيَّةِ كَمَا هِيَ فِي عَصْرِ الْفَصَاحَةِ؛ وَذَلِكَ بِحِفَاظِهِمْ عَلَى أَصْوَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ؛ أَنْ يَتَسَرَّبَ إِلَيْهَا مَا فِي اللَّهْجَاتِ الدَّارِجَةِ مِنْ صُورٍ أَدَائِيَّةٍ

(١) الصفاقسي. مرجع سابق، ص. ٥٧.

(٢) المرجع نفسه، ص. ٨٦.

(٣) ينظر - على سبيل المثال - أبو الحسن علي بن جعفر بن محمد الرازي السعدي، كتاب التنبية على اللحن الجلي واللعن الحقي. تقديم وتحقيق د. غانم قدوري الحمد، من دون، وينظر محمد بن محمد بن الجزري، التمهيد في علم التجويد. تحقيق الدكتور علي حسين البواب (الرياض: مكتبة المعارف، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م) ص. ٦٣، ٦٢. وينظر تعليق المحقق ص. ٦٢ رقم (٥) في الحاشية، وينظر الصفاقسي، مرجع سابق ص. ٤٤.

(٤) ينظر: عبدالفتاح سليم، اللحن في اللغة مظاهره ومقاييسه. (دار المعارف، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م)، القسم الأول ص. ٣، والكتاب خاص ببيان جهود علماء العربية في دراسة اللحن في اللغة.

خاطئة^(١).

وقد كشف الصفاقسي عن منهجه بقوله: "قد ذكرنا الحروف مجملة، ونذكرها الآن مفصلة حرفاً بعد حرفٍ ... مع التنبيه على شيء يقع الخطأ فيه كثيراً للقراء"^(٢).

ومنهج الصفاقسي منهج تعليمي معياري، وتعليم قراءة القرآن الكريم هو الهدف الأهم لعلماء التجويد الذين حصروا جهودهم في دراسة ألفاظ القرآن الكريم، وتجويدها، وتعليمها، روايةً ودرايةً، بالتلقي والمشافهة، وقد ساعد علماء التجويد أن بحثهم محوراً في نص القرآن الكريم^(٣).

ومنهجه معياري؛ لارتباطه بتعليم الضوابط الدقيقة لقواعد النطق الجيد لأصوات القرآن الكريم، وجعل الأداء المثالي للقرآن الكريم نموذجاً يجب احتذائه والعمل به، والمنهج المعيارى أكثر ما يستعمل في الأغراض التعليمية^(٤).

وقد جمع الصفاقسي في كتابه بين الدراسة الوصفية للأصوات، والدراسة المعيارية في بيان صور الأداء الصحيح وتمييزها من صور الأداء غير الصحيح لأصوات القرآن الكريم، والمنهج المعيارى مناسب لتعليم تجويد القرآن الكريم.

وأما مصطلحا "الغافلين، والجاهلين"؛ فيدلان على أن الغافل يحتاج إلى التنبيه، والجاهل يحتاج إلى الإرشاد والتعليم؛ وهذا ما وضح في عنوان الكتاب "تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين".

وأما مصادر الصفاقسي في كتابه فتمثل فيما نقله عن كتب السابقين من

(١) ينظر: حسام سعيد النعيمي، أصوات العربية بين التحول والثبات (وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، سلسلة بيت الحكمة ٤، من دون)، ص. ٨.

(٢) الصفاقسي، مرجع سابق، ص. ٤١.

(٣) ينظر: غانم قدوري الحمد، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد (عمان: دار عمار للنشر والتوزيع، ط الثانية، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م)، ص. ٧٩، ٨٠.

(٤) ينظر: كمال محمد بشر، علم اللغة العام - الأصوات العربية، الناشر مكتبة الشباب، من دون، ص. ٢٦.

علماء القراءات، والتجويد، مثل: مكِّي القيسي (ت ٤٣٧هـ)، وأبي عمرو الداني (ت ٤٤٤هـ)، وابن الجزري (ت ٨٣٣هـ)، وغيرهم.

وهناك مصادره السماعية التي تتمثل فيما لقنه عن شيوخه، أو سمعه من القراء المعاصرين له، في رحلاته العلمية المختلفة.

وقد صدر كتاب "تنبيه الغافلين" عن المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية في سبتمبر ١٩٧٤م، بتقديم وتصحيح محمد الشاذلي النيفر، في خمس وخمسين ومائة صفحة، ثم أعادت مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة نشر الكتاب، بتقديم وتصحيح نخبة من العلماء، والطبعتان متفقتان؛ ومن ثم فالإحالة على أحدهما تُغني عن الأخرى.

وقد ابتدأ الصَّفَاقُسيُّ كتابه بـ "باب مخارج الحروف وألقابها وصفاتها" بين فيه المخارج وحروفها إجمالاً، وتحدّث عن الصفات، ثم فصلّ الحديث عن كلّ حرفٍ من الحروف ببيان صفاته وما يعرض لبعض القراء فيه من أخطاءٍ، مبتدئاً بـ "فصل الألف المتحركة" ويقصدُ بها الهمزة، وختّمها بـ "فصل الياء"، ثم ذكر "باب أحكام النون الساكنة والتنوين"، ثم "باب الاستعاذة"، ثم "باب البسملة"، ثم "باب القصر والمد"، ثم "باب المشدّد"، ثم "باب ألفات الوصل"، ثم "باب الوقف والابتداء"، وختّم الكتاب بـ "باب في الوقف على المشدّد".

وبالكتاب المطبوع كلمات كثيرة في عبارات الصَّفَاقُسيِّ رُسمت بتخفيف الهمزة، وقد رسمتها بالهمز؛ جرياً على المشهور في كتابتها الآن.

جاء في سياق وصف المتقنين من أئمة القراء، بصورة التركيب الإضافي: (أهل الأداء، وأئمة الأداء)؛ كقوله: "أهل الأداء"^(١). وقوله: "أهل الأداء ... أئمة الأداء ... وتحكم المشافهة حقيقته ويبيّن الأداء كفيته ... علماء الأداء أئمة الأداء"^(٢). وفي هذا دلالة على ارتباط الأداء المثالي لأصوات العربية في تلاوة القرآن الكريم بالمشافهة والتلقي من مجيدي الأداء.

ومع أنّ الأداء مصطلح في علمي القراءات والتجويد، لكنّه "استعير ... من أداء القرآن الكريم ليستخدم في التعبير عن أداء اللغة في جانبها الصوتي والنطقي"^(٣). وهذا يوضح مكانة علماء التجويد في تقنين الأداء القرآني، وأثر ذلك التقنين على أداء اللغة نفسها؛ حيث إنّ علم الصوتيات يهدف إلى تقنين أداء اللغة، وتحديد النظام الذي تُؤدّى به اللغة العربية الفصحى، بما يضمن سلامتها من اللحن الذي يضرّ بالأداء السليم، ويضرّ بالمعنى ويفسده، والتلاوة بالنسبة للقرآن الكريم كالأداء تمامًا بالنسبة للغة؛ وهذا ما أدركه علماء التجويد حين قننوا قواعد التجويد وأحكامه، وحين بيّنوا كفيّة القراءة والتلاوة، على الوجه النّمودجي؛ بما يبيّن فضل أداء القرآن الكريم على أداء العربية^(٤).

والأداء يحتاج إلى التعليم الصحيح لنطق أصوات اللغة "إنّ الأداء diction، وهو فنّ النطق، قد احتلّ مكاناً هاماً في التعليم الحديث ... وعلم الأصوات هو القاعدة الأساسية لأيّ تعليم من هذا النوع"^(٥).

(١) الصفاقسي، مرجع سابق، ص ٨١، ٨٢. وذكره ص ١٠٠ (مرة) وفي ص ١٠١ (مرتين).

(٢) المرجع نفسه، ص ١١٠ - ١١٣. وجاء المصطلح ص ٨٦.

(٣) عبدالله ربيع محمود، الملامح الأدائية عند الجاحظ في البيان والتبيين، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م، من دون، ص ٧٣.

(٤) ينظر: علام، عن علم التجويد، مرجع سابق، ص ٢٣ - ٢٥، وينظر: محمود، الملامح، مرجع سابق، ص ٧٤، ٧٥.

(٥) عمر، أحمد مختار، دراسة الصوت اللغوي (عمان: عالم الكتب، ١٣٩٦هـ = ١٩٧٦م)، ص ٣٤٨.

ملاحم الأداء الصوتي في كتاب "تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين عما يقع لهم من الخطأ حال تلاوتهم لكتاب الله المبين، دراسة وصفية

وتعليم الأداء ليس حديثاً في العربية؛ بل هو قديم قدم تعلم القرآن الكريم وتلاوته، وما كتاب الصَّفَافِسي الذي يعلم الأداء الصحيح إلا مثالٌ لذلك الاهتمام.

وللأداء عناصرٌ كثيرةٌ، تُسهّم في جودته وحسنه^(١)، ومن أهمها: إجادَةُ نطقِ الأصواتِ بإخراجها من مخارجها الصحيحة، مع إعطائها صفاتها المستحقَّة لها.

(١) ينظر فيها: علام، محمود، مرجع سابق، ص. ٢٣. ومحمود، الملاحم الأدائية، مرجع سابق، ص. ٧٤، والأداء الصوتي في العربية، د. رشاد سالم.

المبحث الثاني - أسباب وقوع الخطأ في الأداء الصوتي من بعض القراء

إن معرفة أسباب الخطأ هي أولى خطوات العلاج؛ ومن ثم نبه الصفاقسي عليها، وهي تعود إلى ستة أسباب: -

السبب الأول - عجمة القارئ، وتفرّد العربية ببعض الحروف: -

إن تفرّد العربية ببعض الأصوات سبب في وقوع الخطأ من الأعاجم الناطقين بالعربية؛ فهم ينطقون أصوات العربية التي لا توجد في لغتهم، بأقرب الأصوات إليها مما يوجد في لغتهم؛ ومن ثم يقع الخطأ في أدائهم لأصوات القرآن الكريم.

وقد نبه الصفاقسي على السرّ في خطئهم، وهو تفرّد العربية ببعض الحروف؛ حيث يقول: "اعلم أنّ لغة العرب أكثر اللغات حروفًا؛ فليس في لغة العجم ظاءً معجمةً، ولا حاءً مهملةً، وقال الأصمعي: ليس في الفارسية، ولا السريانية، ولا في الرومية ذالٌ... وكذلك خمسة أحرف انفردت العرب بكثرة استعمالها، ولم توجد في بعض لغات العجم البتة، وهي: العين، والصاد المهملتان، والضاد، والقاف، والثاء المثلثة، واختصت العرب أيضًا باستعمال الهمزة، متوسطةً، ومتطرفةً، ولم تستعملها العجم إلا في أوّل الكلام. قال الشيخ أبو محمد مكّي في الرعاية، وغيره: ومع كونها أكثر اللغات حروفًا انحصرت في تسعة وعشرين حرفًا، وهي أ- باء- تاء- ثاء - إلى الياء... وكلها يخالف بعضها بعضًا، إمّا في المخرج والصفة، أو في أحدهما"^(١).

(١) الصفاقسي، مرجع سابق، ص. ٣٢. وينظر: أبو محمد مكّي بن أبي طالب القيسي، الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، تحقيق د. أحمد حسن فرحات (عمّان: دار عمار، ط الثالثة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م)، ص. ١١٣، ١١٤.

وقد ذكر الصفاقسي ص ٣٥ من "تنبيه الغافلين" عدم وجود الفاء العربية في لسان الترك، وينظر ما جاء في كتاب الإدراك للسان الأتراك، لأبي حيان، مطبعة عامره، ١٣٠٩، من دون، ص. ١٢٥، ١٢٦، وينظر ما ذكره ابن سينا عن الفاء التي تكاد تشبه الباء، في لغة الفرس، في رسالة أسباب حدوث الحروف، تحقيق محمد حسان الطيان، يحيى مير علم (دمشق: دار الفكر، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣)، ص. ٩٢، ٩١، و ص. ١٣١.

وهذا يوضح أسباب تفرّد العربية في أصواتها، وأنّه لا يختلط صوت منها بآخر، وإن قرّب منه مخرجاً أو صفةً؛ فلكلّ صوتٍ في العربية ما يميّزه من الأصوات الأخرى، باختلاف المخرج، أو الصفات، كما يوضح سبب وقوع الخطأ في الأداء الصوتي من بعض القراء الأعاجم؛ لاختصاص العربية بحروفٍ، لا توجد في اللغات الأخرى؛ مما يعسرُ عليهم إجادة نطقها، إلا بالتدريب، ورياضة اللسان.

والتمييز الصوتي للعربية، ليس في كثرة أصواتها، وإنما يرجع إلى وفائها بالمخارج الممكنة لإنتاج الأصوات؛ فبعض اللغات تزيد أصواتها عن أصوات العربية، لكنّ العربية أوفى اللغات في أصوات المخارج، التي لا تلتبس أو تتكرّر؛ فليس هناك مخرج صوتي واحد ناقص في الحروف العربية؛ ومن ثمّ توجد في العربية أصوات لا توجد في اللغات الأخرى كالضاد والظاء والعين والقاف والحاء والطاء، وليس في اللغات الأخرى صوت يعسرُ على العربي نطقه^(١).

إنّ العربي لا يصعبُ عليه نطق صوتٍ في لغةٍ أجنبيةٍ غير لغته، بخلاف الأعجمي الذي لا تساعده لغته في نطق الأصوات غير الموجودة فيها، إلا برياضة لسانه وتدريب؛ "أما أنّ بالعربية صعوبات صوتية تقابل الأجنبي عند تعلّمهم لغتنا فهو أمرٌ ثابتٌ محققٌ؛ ... الكلام المتصل له سماتٌ وخواصٌ صوتية، لا يقوى الأجنبي على معرفتها، وإجادتها إلا بالتعليم والمران، على يد خبيرٍ متخصصٍ"^(٢).

ونطق الإنسان لأصوات لغةٍ أخرى غير لغته الأمّ يتأثر كثيراً بعاداته الصوتية التي اكتسبها في أداء أصوات لغته؛ ومن ثمّ يحتاج إلى ممارسة وتدريب ليتقن أصوات

(١) ينظر: عباس محمود العقاد، اللغة الشاعرة (القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع،

١٩٩٥م)، ص ٨-١٠، وينظر: محمد حسن حسن جبل، المختصر في أصوات اللغة

العربية-دراسة نظرية وتطبيقية (القاهرة: مكتبة الآداب، ط الرابعة، ١٤٢٧هـ -

٢٠٠٦م)، ص ١٥٩، وما بعدها.

(٢) بشر، مرجع سابق، ص ١٨٠، ١٧٩.

اللغة الجديدة، أو بعبارة علماء التجويد "رياضة اللسان"، وبخاصة في تعلم غير العربي نطق أصوات القرآن الكريم؛ وبالأخص عند نطق الكلام المتصل.

وللهجات في اللغة العربية، وكذلك في اللغات الأخرى غير العربية أثر بالغ في الأداء الصوتي؛ إذ يتأثر الناطق بلهجته وما تعود له لسانه ودرج عليه، حين يريد نطق أصوات اللغة العربية الفصحى؛ ومن ثم يجب التحرز من الخصائص اللهجية عند تعلم العربية الفصحى وأدائها الصوتي، حتى لا يخطئ الناطق الأداء الصوتي السليم لها، وبخاصة في أداء أصوات القرآن الكريم.

وقد ذكر الصفاقسي أمثلة الخطأ في الأداء الصوتي بسبب عجمة القارئ، ومن أهمها قوله: "وبعضهم يفعل ذلك في سائر الحروف المفتوحة؛ فيبالغ في فتح فمه في حال نطقه بالحرف المفتوح فيقع فيما لا يجوز القراءة به، ولم تتكلم العرب به قال في النشر: "ينتقسم الفتح الذي هو ضد الإمالة إلى: شديد، ومتوسط، فالشديد هو نهاية فتح الشخص فمه بذلك الحرف، ولا يجوز في القرآن؛ بل هو معدوم في لغة العرب، وإنما يوجد في لفظ عجم الفرس، ولا سيما أهل خراسان، وهو اليوم في أهل ما وراء النهر أيضاً، ولما جرت طباعهم عليه في لغتهم استعملوه في اللغة العربية وجروا عليه في القراءة، ووافقهم على ذلك غيرهم؛ حتى فشا في أكثر البلاد، وهو ممنوع منه في القراءة، كما تص عليه أئمتنا، وهذا هو التفخيم المحض^(١)، وممن نبتة على هذا الفتح المحض الأستاذ أبو عمرو الداني في الموضح؛ قال: والفتح المتوسط هو ما بين الفتح الشديد والإمالة المتوسطة، قال: وهذا الذي يستعمله

(١) قال ابن الجزري: "ويقال له أيضاً: التفخيم، وربما قيل له: النصب"، النشر في القراءات العشر، أشرف على تصحيحه علي محمد الضبّاع (بيروت: دار الكتب العلمية، من

أصحاب الفتح من القراء" (١)....." (٢).

وهذا يوضح تأثير الأعاجم - بسبب الاحتكاك اللغوي بينهم وبين العرب - في لغة أهل العربية أنفسهم، ولهذا علاقة بالحن في العربية قديماً؛ حيث كان السبب الرئيس في ظهوره في العربية الاختلاط بين الفصحاء وغيرهم من العجم (٣). والاحتكاك بين لغتين من اللغات يؤثر في السنة أصحاب اللغتين تأثيراً، يقل، أو يكثر؛ مما يجعل اللغات عرضة للتبدل، والتغيير المطرد من هذه الطريق (٤)، ولكن مثل هذا التبدل والتغيير لا يقبل في أداء اللغة العربية، وبخاصة في القرآن الكريم، وتنبيه ابن الجزري، ومن قبله الداني، على الخطأ يدل على أنه لحن قديم متوارث.

وإن نطق الأعاجم أو العرب المتأثرين بنطقهم الخاطي لحن غير مقبول في قراءة القرآن الكريم، ومثله لا يسمى تطوراً؛ لأن ألفاظ القرآن الكريم وأصواته لا يقبل فيها إلا ما وافق الأداء المثالي المتواتر عن النبي - صلى الله عليه وسلم -؛ كما جاء في الحديث الشريف: "اقرأوا كما علمتم؛ فإنما أهلك من كان قبلكم اختلافهم

(١) ابن الجزري، مرجع سابق، ٢/٢٩-٣٠. وفي نص النشر اختلاف في بعض الألفاظ عما نقله الصفاقسي في كتابه "تنبيه الغافلين"، ونص الداني في الموضح: "فالفتح الشديد: هو نهاية فتح القاري لفيه بلفظ الحرف الذي يأتي بعده ألف، ويسمى أيضا التفخيم، والقراء يعدلون عنه ولا يستعملونه، وأكثر ما يوجد في ألفاظ أهل خراسان ومن قرب منهم؛ لأن طباعهم في العجمة جرت عليه فاستعملوه كذلك في اللغة العربية. وهو في القراءة مكروه معيب". الموضح لمذاهب القراء في الفتح والإمالة، تحقيق ودراسة محمد شفاعت رباني، رسالة ماجستير بالجامعة الإسلامية، (١٤١٠هـ/١٩٩٠م)، ص. ١٥٢.

(٢) الصفاقسي، مرجع سابق، ص ٩٦، ٩٥.

(٣) ينظر: سليم، مرجع سابق، ص. ٩، وينظر ما بعدها.

(٤) علي عبدالواحد واني، اللغة والمجتمع (القاهرة: دار نضرة مصر للطبع والنشر، من دون)، ص. ٢٩، وينظر ما بعدها.

على أنبيائهم" (١).

السبب الثاني - تساهلُ بعض القراء في الأداء الصوتي، وإيثارهم طبعهم

اللغوي غير الفصيح:

إنَّ التجويدَ يحتاجُ إلى تَيْقُظٍ مِنَ القارئ؛ لأداءِ أصواتِ القرآنِ أداءً دقيقاً، لكنَّ بعضَ القراءِ قد يغلبه طبعه اللغويُّ أو لسانه ولهجته في نطقِ الحروفِ وأدائها على غيرِ وجهها، وعدمِ قدرته على التحريرِ بسببِ عدمِ معرفته بمخارجِ الحروفِ وصفاتها، أو عدمِ تمييزه بين الحروفِ المتقاربةِ والمتجانسةِ؛ فيتساهلُ في نطقها ولا يتحرى وجهَ الدقةِ في أدائها.

وهذا التساهلُ غيرُ مقبولٍ في أداءِ القرآنِ الكريمِ؛ إذ يجبُ فيه الإتقانُ ورياضةُ اللسانِ على النطقِ المثاليِّ، أما بعضُ القراءِ فقد جَرَّوا في قراءتهم على طباعهم اللغويَّةِ التي تؤثرُ الأُحْفَ الذي ينطقونه في لهجاتهم؛ حيث "تميلُ اللغةُ في تطورها، نحوَ السهولةِ والتيسيرِ؛ فتحاولُ التخلُّصَ من الأصواتِ العسيرةِ، وتستبدلُ بها أصواتاً أخرى، لا تتطلَّبُ مجهوداً عضلياً كبيراً" (٢).

ونبه الصِّفَافِسيُّ على أثرِ التساهلِ - في أمثلةٍ أخطأ فيها بعضُ القراءِ، في حروفٍ متقاربةٍ، أو متجانسةٍ، يسهلُ نطقُ أحدها في موضعِ الآخرِ، ومن أهمِّ النماذج: -

١ - يقولُ عن الذالِ: "ويقعُ الخطأُ فيها من أوجِهٍ: مِنْهَا تفخيمُها، وأخرى إنَّ

(١) محمد ناصر الدين الألباني، صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)، (بيروت: المكتب الإسلامي، ط الثالثة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م)، ١ / ٢٥٨ (تحت رقم: ١١٧١)، وعلق عليه بـ: " (حسن) (ابن جرير في "تفسيره" عن ابن مسعود. الصحيحة: ١٥٢٢: حم، حب"، وينظر سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الدين الألباني، (الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م)، ٢٧/٤ - ٢٨.

(٢) رمضان عبدالتواب، التطور اللغوي مظاهره وعلمه وقوانينه (القاهرة: الناشر مكتبة الخانجي، ط الثانية، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م)، ص. ٧٥.

ءاورء ءرفًا مفءمًا؁ ءوء: ﴿الاءقان﴾ [س: ٨] ... إء على اللسان كلفة فى ءرفق مع ءفءم؁ فى ءرى على ءبرة واءءة طلبًا للفسر ... وكءلك إءا ءاء بعءها لام مفءم ءوء: ﴿معاء الله﴾ [فوسف: ٢٣]؛ فمن لم فعن بءرفقها فى ءلك كله فءمها ... فصاء ءاء؛ لاءفاقهما فى المءرء؛ ولءلك فبءل أءءما من الآءر كءفر من الءهال فى ﴿المءءربن﴾ [فونس: ٧٣] و ﴿المءظربن﴾ [الأعراف: ١٥]... وبعءهم فءلها عءء ءروف الاسءلاء ضاءا؁ وهوء لءن فاءش؁ ومنها ما ففعله بعض العءم؁ ومن فءءءى بهم من إباءها ءالًا مهملا؁ أو زابا؁ ولا ءءل ءراءة به؛ إء ففه فساء اللفظ والمعنى^(١).

وابءال ءءال ءاء ففسء اللفظ وفعفر المعنى؁ وءلظ على القارى فى الأءاء الصوءى؁ وءال وءاءاء مءءانسان؛ فءفقان فى الءهر؁ والرءاوة؁ والإصماء؁ بفنما ءنفرء ءاء بالاسءلاء والإءباق؁ وهوء ما فءلها مفءمة؁ فى ءفن ءنفرء ءال بالانءءاء والاسءفال^(٢)؁ والءلظ بفنهما فى النطق فؤءى إلى ءعفر اللفظ؁ وءعفر المعنى والءءالة؛ ففى الصءاء: "الإءءار: الإبلاء؁ ولا فكون إلا فى ءءوفف".^(٣) وففه: "والءظر: الاءءظار... والءطرة؁ بكسر ءاء: ءاءفر. وأنظرءه؁ أى أءرءه"^(٤). وما أبءء ما بفن المعنفن (نءر/نظر)!

وقء سبء مكى إلى ءءءفر من الءط فى ءفءم ءءال؁ أو إباءها ءاء؁ أو

(١) الصفاءسى؁ مرءع سابق؁ ص. ٥٨. وبنظر ابن الءزرى؁ ءمهفء؁ مرءع سابق؁ ص ص.

.١٢٣؁١٢٤

(٢) فبظر: ءبل؁ مرءع سابق؁ ص. ١٢٨.

(٣) إسماعفل بن ءماء الءوهرى؁ الصءاء ءاء اللغة وصءاء العربفة؁ ءءقق أءمء عبءالغفور عطار؁ (بفرء: ءار العلم للملافن؁ ط الرابة؁ كانون ءانى/ فبافر ١٩٩٠)؁ (نءر) ٨٢٥/٢ - ٨٢٦. وبنظر ابن فارس؁ مرءع سابق؁ (نءر) ٤١٤/٥.

(٤) الءوهرى؁ مرءع سابق؁ ٨٣٠/٢ - ٨٣١ (نظر)؁ وبنظر ابن فارس؁ مرءع سابق؁ ٤٤٤/٥ (نظر).

ضاداً؛ وهذا يدلُّ على قَدَمِ هذا الخطأ، وسبق تنبيه العلماءِ عليه^(١)، واستمرار وقوع الخطأ ما يقربُ من سبعة قرونٍ، ما بين مكِّيٍّ (ت ٤٤٤ هـ)، والصفائسيِّ (ت ١١١٨ هـ).

٢- ويقول الصفائسيُّ عن الصاد: "ويقع الخطأ فيها...، ومنها إبدالها سيناً، في نحو ﴿حَرَصْتُمْ﴾ [النساء: ١٢٩]؛ لأنَّ الصاد أقربُ الحروفِ إلى السينِ لأنَّهما من مَخْرَجٍ واحدٍ، وشاركتها في بعض الصفات، كالمس، والرخاوة؛ فمن لم يعتنِ بالإطباق، والاستعلاء اللذين في الصاد جعلها سيناً، وإليه ميلُ الطَّبَاعِ؛ لما في الصادِ مِنَ الكُلْفَةِ عَلَى اللِّسَانِ لِمَا فِيهَا مِنَ الإطباقِ والاستعلاء"^(٢).

والتأثير والتأثر بين الحروف المتجانسة هنا هو سببُ عدم إتقان الأداء؛ فالصادُ والسينُ يتفقان في المخرج، ويشتركان في صفاتِ الهمسِ والرخاوة والإصماتِ، في حين تنفردُ الصادُ بالإطباق والاستعلاء وهما صفتا قوة، وتنفردُ السينُ بالانفتاح والاستفال، وكلا الحرفين صغيري^(٣)، وما أبعد المعنى بين "حَرَصْتُمْ"، و "حَرَسْتُمْ"؛ فالأولى وهي الصوابُ مِنَ الحرصِ، أما الثانيةُ فمِنَ الحراسة^(٤).

وقد سبق مكِّيُّ إلى التحذيرِ مِنَ الخطأ في إبدالِ الصادِ سيناً؛ وهذا يدلُّ على قَدَمِ هذا الخطأ، وسبق تنبيه العلماءِ عليه^(٥).

(١) ينظر: أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني الأندلسي، التحديد في الإتقان والتجويد، دراسة وتحقيق د. غانم قدوري الحمد، (عمان: دار عمار، ٢٠٠٠ م - ١٤٢١ هـ)، ص ص. ١٤١ - ١٤٤، وينظر: مكِّي، مرجع سابق، ص ص. ٢٢٤، ٢٢٥.

(٢) الصفائسي، مرجع سابق، ص ٨٣.

(٣) ينظر: مكِّي، مرجع سابق، ص ١٢٤، وجبل، مرجع سابق، ص ١٢٥.

(٤) ينظر: الجوهري، مرجع سابق، ٩١٦/٣ (حرس)، و ١٠٣٢/٣ (حرص).

(٥) ينظر: الداني، التحديد، مرجع سابق، ص ص. ١٤٥، ١٤٦، ومكِّي، مرجع سابق، ص ص. ٢١٥، ٢١٦.

السبب الثالث - القياس الخاطي (التوهم):

قد يقع القارئ في الخطأ بسبب التوهم، أو ما يُطلق عليه حديثاً "القياس الخاطي"؛ ف" ليس كل ما نطق به قد سمعناه من قبل، بل للقياس أثره الكبير في كلامنا، ... وهذا ما يُسميه اللغويون المحدثون باسم: "القياس الخاطي".... وهذا المصطلح" يراؤ به: الميل العارض - الذي لا يمكن التنبؤ بحدوثه - من كلمة أو صيغة، إلى الخروج عن مدارها الطبيعي، في التطور والدخول في طبيعة كلمة أو صيغة أخرى؛ لوجود مشابهة حقيقية أو متوهمة بينهما"^(١).

وهذا القياس الخاطي أو التوهم لا يقبلان في قراءة القرآن الكريم؛ لأنَّ القراءة سنة متبعة؛ يقول أبو عمرو الداني: "وأتمة القراءة لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفتى في اللغة، والأقيس في العربية؛ بل على الأثبت في الأثر، والأصح في النقل، والرواية إذا ثبتت لا يردها قياس عربية، ولا فُشُو لغة؛ لأنَّ القراءة سنة متبعة، يلزم قبولها والمصير إليها"^(٢).

ومثال القياس الخاطي قول الصفاقسي عن الهمزة: "وبعض القاصرين يجعل التسهيل هاءً محضةً، وهو لحن لا تحلُّ القراءة به، واستدل له بعض الآخذين به بأنه يجوز في كلام العرب إبدال الهمزة هاءً، وهو باطلٌ بديهيُّ البطلان؛ إذ لا يلزم من جواز الشيء في العربية جواز القراءة به، وأيضاً فإنَّ إبدال الهاء من غير التاء مقصورٌ في العربية على السماع من العرب، كقولهم: هياك في إياك، ولا يجوز القياس

(١) عبدالنواب، مرجع سابق، ص. ١٠٠.

(٢) أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، جامع البيان في القراءات السبع المشهورة، تحقيق محمد صدوق الجزائري، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥م - ١٤٢٦هـ)، ص. ٣٩٦، وينظر: ابن الجزري، النشر، مرجع سابق، ١/ ١٠-١١، وينظر في تأصيل هذه القاعدة (القراءة سنة متبعة) تأصيلاً علمياً بحثٌ للدكتور/عادل بن إبراهيم بن محمد رفاعي، بعنوان: "أقوال العلماء الواردة في أنَّ (القراءة سنة متبعة) والأحكام المبنية على ذلك"، منشورٌ في مجلة الجامعة الإسلامية - العدد ١٥٨، ص ص ١٣١ - ١٨١.

عليه" (١).

إنَّ اللافتَ للنظرِ هنا هو الاحتجاجُ للخطأ؛ فالخطيُّ مقتنعٌ بصوابِ ما يقرأ، ويظنُّه موافقاً للعربية؛ فانتقادُ الصَّفَاقِسيِّ لهؤلاء، وتنبهُّه إليَّهم، أمرٌ مهمٌّ؛ فليس كلُّ ما جازَ في لغةِ العربِ تجوزُ القراءةُ به، إلا أن تردَّ به الروايةُ المتواترةُ الصحيحةُ.

السببُ الرابعُ - الحذلقَةُ أو المبالغةُ في التَّفصُّحِ: -

قد يكونُ السببُ في الخطأ - أحياناً - هو الحرصُ البالغُ على الإجابةِ والصوابِ، وهذا يجعلُ القارئَ يخطئُ من حيثُ يريدُ الصوابَ، و "الحذلقَةُ، والمبالغةُ في التَّفصُّحِ، والتفَعُّرُ في الكلامِ، وهو اصطلاحٌ اتخذَ لدى علماءِ اللغةِ، للصيغِ التي تنتجُ بسببِ الحرصِ الشديدِ، على محاكاةِ اللغةِ الأدبيةِ ممَّن لا يجيدها، ... وعندنا في عصورِ العربيةِ المختلفةِ، أمثلةٌ كثيرةٌ لظاهرةِ الحذلقَةِ في اللغة؛ فبعدَ أن صارَ الهمزُ شعارَ العربيةِ الفصحى، تسابقَ العربُ في النطقِ به، فأدَّى ذلك إلى همزِ ما ليس أصله الهمز، مبالغةً في التَّفصُّحِ" (٢).

ومن أمثلةِ المبالغةِ في التَّفصُّحِ قولُ الصَّفَاقِسيِّ عن الهمزة: "وبعضهم يُبالغُ في ذلكَ حتَّى تصيرَ مشدَّدةً حقيقةً، ويقصدُ فاعلُ ذلكَ تحقيقَها؛ فيقعُ في الخطأ" (٣). والهمزُ والتسهيلُ واردةٌ في القرآنِ الكريمِ، وفي العربيةِ، لكنَّ الهمزَ المظهرَ من أهمِّ مظاهرِ الفصاحةِ؛ ومن ثمَّ يخطئُ بعضُ القراءِ المعاصرينَ للصَّفَاقِسيِّ فيهمزُ بعضَ الكلماتِ مبالغةً في التَّفصُّحِ، وكأنَّ هذا امتداداً لما عُرفَ في العربيةِ قديماً، من مبالغةِ بعضهم بهمزِ ما ليسَ مهموزاً في الأصلِ.

ومن أمثلةِ المبالغةِ في التَّفصُّحِ قولُ الصَّفَاقِسيِّ -عن السين-: "ومنها إبدالُها صاداً؛ لأنَّها مؤاخيةٌ لها لاشتراكهما في المخرجِ، وبعضُ الصفاتِ كالصَّفَافِيرِ

(١) الصَّفَاقِسي، مرجع سابق، ص. ٤٨. وينظر ما قاله عن "الطاء" ص. ٦٥، ٦٤.

(٢) عبدالنواب، مرجع سابق، ص. ١١٥، ١١٧. وينظر الأمثلة التي ذكرها ص. ١١٨.

(٣) الصَّفَاقِسي، مرجع سابق، ص. ٤٧، وينظر ابن الجزري، التمهيد، مرجع سابق، ص.

... و ﴿سَرَقَ﴾ [يوسف: ٧٧]، ... ﴿الرَّيْسَ﴾ [الفرقان: ٣٨] ، وبالغ بعض الجهلة؛ حتى كتبوه في المصحف بالصاد، ولقد هم غيرهم؛ فصار يقرؤه بالصاد، ويردّه على من يقرؤه بالسين، وهو خطأ مخالف لجميع القراء، وأهل اللغة، وقد ذكره في القاموس وغيره في باب السين^(١).

وعدوى اللحن انتقلت من النطق والمشافهة إلى الرسم والكتابة؛ مبالغة من البعض في التفصح -بحسب توهمهم وقياسهم الخاطي-، وكأن المبالغة في التفصح هنا تعتمد على التوهم والقياس الخاطي؛ حيث يظن القارئ أن الخطأ الذي ينطقه هو الصواب والأفصح، وهو مثال لاجتماع اللحن الصوتي والكتابي، وقد رد الصفاقسي على المخطيء، محتجاً بالرواية والدراية، واللغة.

السبب الخامس - سوء التلقي، وعدم رياضة اللسان:

قد لا يحسن القارئ التلقي عن الشيخ، وقد لا يطاوعه لسانه على النطق الصحيح، ومثاله قول الصفاقسي عن الطاء: "ومنها إدغامها إدغامًا تامًا إذا سكنت، وأتت بعدها تاء في نحو ﴿بَسَطَتْ﴾ [المائدة: ٢٨]، و ﴿أَحَطْتُ﴾ [النمل: ٢٢]، و ﴿فَرَطْتُ﴾ [الزمر: ٥٦] ^(٢)؛ حتى يصير اللفظ كأنه إدغام تاء في تاء؛ بل لا بُد من بقاء صفة الإطباق والاستعلاء... ولم أر من يحسن هذا الإدغام إلا قليلاً؛ لعدم الرياضة والتلقي من أفواء المرتاضين^(٣).

(١) الصفاقسي، مرجع سابق، ص ٩٢، ٩١، وهو يقصد الرس؛ فأخره سين والقاموس

مرتّب على القافية، وينظر: الزبيدي، مرجع سابق، ١٦/١٢١.

(٢) ضبطت الكلمات القرآنية الواردة في كتاب "تنبيه الغافلين" هكذا: "بَسَطَتْ وَأَحَطْتُ وَفَرَطْتُ"، وهو ضبط يبيّن وجه الخطأ في نطقها، لكنه يخالف الرسم العثماني، ويخالف الصواب كذلك.

(٣) الصفاقسي، مرجع سابق، ص ٦٣، وينظر الداني: التحديد، مرجع سابق، ص ١٣٨-١٤٠، وجامع البيان، مرجع سابق، ص ٢٩١، وابن الجزري، التمهيد، مرجع

سابق، ص ١٣٣، ١٣٤.

والإدغام في هذه الأمثلة التي سبقت فيها الطاء - وهي ساكنة - التاء، يكون إدغام الطاء في التاء غير مستكمل؛ لأن الطاء تتميز بالاستعلاء والإطباق، وما يتبع ذلك من تفخييمها، والإدغام الكامل يضيغ خصائص الطاء، وهذا غير مرجح؛ بل المرجح إبقاء الطاء بلا قلقل، مع المحافظة على إطباقها واستعلائها، وإذا وصل القارئ إلى التاء نطقها رقيقة^(١).

السبب السادس - عيوب النطق: -

قد يكون الخطأ بسبب عيوب النطق، أو ما يُسمى أمراض الكلام؛ يقول الصَّفَاقِسيُّ: "وأما العاجز الذي لا يقبل التعليم فهو مَعْدُوْرٌ؛ وهو بمثابة مَنْ بِلِسَانِهِ لُكْنَةٌ تَمْنَعُهُ مِنَ الْإِتْيَانِ بَعْضِ الْحُرُوفِ كَالْأَلْتِغِ الَّذِي يُبَدِّلُ الرَّاءَ غَيْنًا"^(٢).

وتعدُّ عيوب النطق من أمراض الكلام التي تحتاج إلى علاج؛ حيث " يعجزُّ بعض الناس عن نطق صوتٍ مُعَيَّنٍ، أو أكثر من أصوات اللغة، فيبدل الصوت الذي يعجز عنه بصوتٍ آخر، وتدرس هذه الظاهرة في إطار ما يُسمى بأمراض الكلام، أو عيوب النطق"^(٣).

ولعلماء التجويد عناية كبيرة بموضوع عيوب النطق وجهود واسعة في هذا الباب^(٤)، ولا يخفى أنّ المنهج التعليمي للصفاقسي وراء ملاحظته لعيوب النطق.

(١) ينظر: جبل، مرجع سابق، ص. ٢٠٢.

(٢) الصفاقسي، مرجع سابق، ص. ٨٦.

(٣) الحمد، الدراسات، ص. ٤٨١. وينظر: برتيل الملبج، علم الأصوات، تعريب ودراسة الدكتور عبدالصبور شاهين (مكتبة الشباب، ١٩٨٧م، من دون)، ص. ٢٧٠، وينظر عمر، مرجع سابق، ص. ٣٤٩، ٣٤٨.

(٤) ينظر: عبد الوهاب بن محمد القرطي، الموضح في التجويد، تحقيق وتقديم د. غانم قدوري الحمد، (عثمان: دار عمار، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م)، ص. ٢١٧ - ٢٢٢. وينظر: الحمد، الدراسات، ص. ٤٨١.

ملاحغ الأءاء الصوءى فى كءاب "ءنبىء الغافلن وارشاء الجاهلن عمًا بقع لهم من الءطأء آال ءلاوءهم لكءاب الله المسبن؁ ءراسة وصىفة

وفى الجءول ءالبى إءصاءء لءماءج من الأءطاءء موزعةء على أسباب الءطأء فى الأءاء الصوءى فى "ءنبىء الغافلن".

م	سبب الوقوع في الخطأ	الحروف التي وقع فيها الخطأ، وصفحاتها في كتاب: "تنبيه الغافلين"
١	عجمة القارئ	ءفءخم الهمزة ص ٤٧ - ءفءخم ءاء ص ٥١ - إءءال الءال ءالًا أو زاىًا ص ٥٨ - ءفءخم الكاف ص ٧٥ - جهر الكاف ص ٧٥ - إءءال العن آاء ص ٨٦ - المبالغة فى ءفءخم الألف ص ٩٧.
٢	التساهل	إءءال ءاء ءاء أو سبنا ص ٥٣ - إءءال الجبم شبنا ص ٥٤ - إءءام آاء فى الهاء ص ٥٥ - إءءام اللام فى ءاء ص ٧٦ - صورء مءءءة لءطق العامة صوت الضاء ص ٨٧ - مزج القاف بالكاف ص ٩٠.
٣	المبالغة في التفصيح	إءءال ءاء سبنا أو كالسبن ص ٥١.

جءول رقم (١)

وهءا الجءول يكشف عن أن أكثر أسباب وقوع الءطأء من بعض القراء هو عجمة بعضهم؁ ثم ءساهل بعضهم فى الأءاء.

المبحث الثالث: تنبيهات عامة في الأداء الصوتي:

حرص الصَّفَافِسيُّ على بيان الأخطاء التي تقع في أداء بعض القراء، وفصل ما يقع منهم في نطق أصوات القرآن الكريم؛ وذلك بغية تجنُّب هذه الأخطاء، وتحقيق الأداء السليم في تلاوة القرآن الكريم، وقد نَبَّه على مسائل عامة يجب على القارئ مراعاتها؛ حتى لا يُخْطِئ في الأداء، أو يَخْطِئ ما هو صحيح، وهذه المسائل هي:

١ - العناية بالقراءات القرآنية، وعدم تخطئة ما يوافقها:

نَبَّه الصَّفَافِسيُّ على أن القراءات القرآنية المتواترة ذات وجوه متعددة في الأداء، والقراء متفاوتون في تحصيلها؛ فمنهم من يجيدها كلها روايةً ودرايةً، ومنهم من يجيد بعضها فحسب؛ فلا ينبغي تخطئته مَنْ يقرأ بها ظناً من المخطئ أنها خارجة عن الرواية المتواترة.

يقول الصَّفَافِسيُّ - عن الهمزة -: " وَمِنْهَا حَذْفُهَا ... فَلْيُتَحَفَّظْ مِنْ

ذَلِكَ، وَلَا سِيَّما إِنْ كَانَ قَبْلَهَا سَاكِنٌ ... أَوْ حَرْفٌ لَيْنٌ، نَحْوُ ﴿شَيْءٌ﴾ [البقرة: ١٧٨]، ... أَوْ صَحِيحٌ نَحْوُ^(١) ﴿دِفْعٌ﴾ [النحل: ٥] ... فَاحْرَصْ عَلَى إِثْبَاتِهَا فِي هَذَا وَنَحْوِهِ؛ لِأَنَّهَا ثَقِيلَةٌ فَإِنْ سَكَنْتْ اِزْدَادَ ثِقَلُهَا، ... وَالْوَقْفُ عَلَى مَحَلِّ انْقِطَاعِ النَّفْسِ؛ فَتُحَذَفُ الهمزة وحرف المدِّ معها، مِنْ غَيْرِ شعورٍ بِذَلِكَ، وَهُوَ لِحْنٌ لَا يَجُوزُ، وَأَمَّا حَذْفُهَا مِنْ غَيْرِ حَذْفِ حَرْفِ المدِّ، فَمَنْ يَرَى ذَلِكَ كَهَشَامٍ وَحَمزةً لَدَى الْوَقْفِ عَلَى تَفْصِيلِ لُحْمًا فِي ذَلِكَ كَمَا هُوَ مُبَيَّنٌّ فِي كِتَابِ الْخِلَافِ فَلَا بَأْسَ بِذَلِكَ، وَأَمَّا مَنْ قَرَأَهُ بِتَحْقِيقِ الهمزة فَلَا يَبْغِي لَهُ حَذْفُهَا، وَإِنْ كَانَ لَا يَسْمَى لِحْنًا؛ لِمُوَافَقَتِهِ لِقِرَاءَةِ أُخْرَى، لَا سِيَّما إِنْ كَانَ مِمَّنْ يَعْلَمُ ذَلِكَ؛ فَهُوَ فِي حَقِّهِ أَقْبَحُ، وَمِنْهَا إِبْدَالُهَا بِاءٍ فِي مِثْلِ ﴿الْقَلْبِيدِ﴾ [المائدة: ٢]، وَ﴿الْغَايِطِ﴾ [النساء:

(١) في "تنبيه الغافلين": "فهو"، والصواب ما أثبتته.

[٤٣] (١)، وَلَمْ يَقْرَأْ بِهِ أَحَدٌ فِيمَا عَلِمْتُ، مِنَ الْمُتَوَاتِرِ وَالشَّاذِّ، وَهُوَ لِحْنٌ؛ لَا تَحِلُّ الْقِرَاءَةُ بِهِ (٢).

والمعيار هنا هو الرواية المتواترة؛ فالصفاقي يصبّ الأداء وإن كان المؤدّي لا يعلم بصحة قراءته، وموافقته قراءة متواترة أخرى؛ ومن ثم يرفض تسميتها لحناً (خطأ)؛ لأنها صوابٌ في نفسها، ولكنّ القارئ هنا قرأ بغير رواية، مخالفاً في ذلك الأصل في القراءة؛ فخطؤه التقصير في تحصيل تلك القراءة المتواترة، وأما ما لم تردّ به القراءة المتواترة فهو لحنٌ لا يقبل.

والصفاقي يدافع عن القراءات ويردّ على مَنْ عدّها من اللحن؛ ما دامت مروية متواترة؛ فالقراءة سنة متبعة، ويشير إلى اللهجات الفصيحة في بعض الكلمات، مثل قوله: "الظفر من الأدمي وغيره، وفيه خمس لغات: ضمّ الظاء والفاء، وهي أغلاها وأفصحها، وبها قرأ الجمهور،..." (٣).

ويتضح ممّا ذكره الصفاقي صلة اللهجات بالقراءات القرآنية؛ فـ "القراءات أصلُ المصادر جميعاً في معرفة اللهجات العربية؛ لأنّ منهج علم القراءات في طريقة نقلها يختلف عن كلّ الطرق التي نُقلت بها المصادر الأخرى كالشعر والنثر" (٤).

٢- التحذير ممّا يُوهّم بعض القراء ويوقعهم في الخطأ:

قد يوقع بعض القراء في الخطأ آراء غير صحيحة علمياً، وقد يوقعهم فيه كثرة خطأ الناس في نطق الحرف، وبخاصة إذا جاء في سياقات صوتية معينة؛ كأن يجاور

(١) ضبّطت الكلمات القرآنية الواردة في كتاب "تنبيه الغافلين" هكذا: "الْقَلَايِدَ وَالْعَايِطَ"، وهو

ضبطٌ بيّن وجه الخطأ في نطقها، لكنه يخالف الرسم العثماني، ويخالف الصواب كذلك.

(٢) الصفاقي، مرجع سابق، ص. ٤٩. وينظر ما قاله عن الهمزة أيضا ص. ٤٧، ٤٨.

(٣) الصفاقي، مرجع سابق، ص. ٧١.

(٤) عبده الراجحي، اللهجات العربية في القراءات القرآنية (الإسكندرية: دار المعرفة

الجامعية، ١٩٩٦، من دون)، ص. ٨٤، ٨٣.

بعض الحروف المتقاربة، أو المتجانسة معه، فيحدث بينهما مماثلة صوتية، أو تأثير صوتي على غير الصواب في القراءة والعربية.

ومثال الأول انتقاد الصفاقسي بعض آراء العلماء، مخافة الإيهام أو وقوع القراء في الخطأ؛ يقول - عن التاء -: "وقيل إتيها من حروف القلقلته وهو في غاية البعد" (١).

ومثال هذا الرأي قد يُعزَّر به بعض القراء إذا اطلعوا عليه في الكتب؛ فيعمل به ظناً أنه جائز؛ وهذا يؤكد دور الرواية هنا، ووجوب اجتماع الرواية والدراية معاً. وهذا التحذير أمر مهم؛ ليتوقى القراء الخطأ، ويلتزموا الحرص على الأداء الصحيح.

وللسياقات الصوتية التي يكثر خطأ الناس فيها أمثلة كثيرة، من أهمها قول الصفاقسي عن الغين: "ومنها إبدالها خاء، وأكثر ما يقع إذا أتى بعدها شين، نحو ﴿يَعْنَى طَائِفَةٌ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، و ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمْ﴾ [الأنفال: ١١]، ﴿وَتَعْنَى وَجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ [إبراهيم: ٥٠] (٢)؛ لاشتراك الخاء والشين في الهمس والرخاوة، وبُعد الغين من الشين، فمن لم ينتبه لهذا يميل به طبعه إلى الخطأ، وهو لا يشعر، وهذا أمر يجده المرء في نفسه، ويسمعه من غيره" (٣).

(١) الصفاقسي، مرجع سابق، ص. ٥١. وينظر ما ذكره ابن الجزري في التمهيد، مرجع سابق، ص. ١١١.

(٢) عبارة الصفاقسي في "تنبيه الغافلين"، جاءت هكذا: "يَعْنَى طَائِفَةٌ وَإِذْ يُغَشِّيكُمْ وَجُوهَهُمُ النَّارُ"؛ وموضع الاستشهاد الثالث خلا من كلمة ﴿وَتَعْنَى﴾، ولا شاهد فيه حينئذ، ويبدو أن الكلمة سقطت من الأصل؛ لأنها موضع الشاهد في الآية الكريمة، والصواب ما أثبتته عن المصحف الشريف.

(٣) الصفاقسي، مرجع سابق، ص. ٨٩. وينظر ابن الجزري، التمهيد، مرجع سابق، ص. ١٣٧.

وبلاحظ في هذه الأمثلة تأثير صوت الشين في صوت الغين عن طريق المماثلة الرجعية^(١)، التي يتأثر الصوت الأول فيها بالثاني، وقد أبدلت الغين خاءً في تلك الكلمات؛ لتناسب الشين التالية للغين، والعلاقة الصوتية قوية بين الخاء والغين؛ فهما متجانسان، حيث يشتركان في المخرج أو يتقاربان فيه، ويتفقان في الرخاوة والاستعلاء والانفتاح والإصمات، وتتميز الغين بالجهر، والحاء بالهمس^(٢)، وأما الشين فمخرجها من وسط اللسان، بينه وبين وسط الحنك الأعلى^(٣)؛ فهي متباعدة عن الخاء والغين مخرجًا، وهي مهموسة رخوة مستفلة منفتحة مصمتة متفشفية^(٤)، وتتفق الشين مع الغين في صفات الرخاوة والانفتاح والإصمات، بينما تتفق مع الخاء في صفات الهمس والرخاوة والانفتاح والإصمات؛ وعليه فإن سبب إبدال الغين خاءً في هذه الكلمات؛ لتناسبها مع الشين في صفة الهمس فقط، كأن من أبدلها يفر من جهر الغين، إلى همس الخاء، بما يحقق للناطق نطقًا أكثر سهولة على لسانه، وإن كان خطأً.

ولا أتفق مع الصفاقسي في أن سبب إبدال الغين خاءً هو التناسب بين الخاء والشين في صفتي الهمس والرخاوة؛ لأن الرخاوة صفة يشترك فيها الغين مع

(١) ينظر: حسن، مستويات التحليل اللغوي دراسة نظرية وتطبيقية في سورة الفاتحة (القاهرة: مطبعة السعادة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م)، ص ٦١.

(٢) ينظر: جبل، مرجع سابق، ص ٩١، ٩٢.

(٣) أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، الكتاب، تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون (القاهرة: مكتبة الخانجي، والرياض: دار الرفاعي، ط الثانية، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م)،

٤٣٣/٤، وأبو الفتح عثمان بن جني، سر صناعة الإعراب، دراسة وتحقيق د. حسن هنداوي، (دمشق: دار القلم، ط الثانية، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م) ١/ ٤٧، وينظر: جبل:

مرجع سابق، ص ١٠٠.

(٤) ينظر: جبل، مرجع سابق، ص ١٠٥.

الخاء والشين، بل السبب اشتراك الخاء والشين في صفة الهمس^(١).
ويلاحظ تغير المعنى في هذا الإبدال الخاطيء؛ ففرق كبير بين معنى (يغشى)
وهي من الغطاء، ومعنى (يخشى) وهي من الخوف^(٢).
وعلى أية حال فالإبدال المذكور في تلك الكلمات صور مرفوضة من المماثلة
الصوتية؛ لا تجوز في أداء القرآن الكريم.

٣- الخطأ في نطق بعض الكلمات قد يستدعي أخطاء أخرى:

نبه الصفاقسي على اجتماع أخطاء عديدة في الأداء، وبين كيف يؤدي الخطأ في
نطق حرف إلى تداعي الأخطاء وتتابعها في غيره من حروف الكلمة، كقوله - عن
الثاء -: "ومنها تفخيمها، وأكثر ما يقع عند مجاورة الراء، أو الألف ... أو حرف
الاستعلاء، ... وأخرى إذا اجتمع نحو ﴿مِيثَاقِكُمْ﴾ [البقرة: ٦٣]، و
﴿أَلْوَانِق﴾ [محمد: ٤]، وبعضهم يُفخِّم الألف والثاء؛ فيخطئ في الحرفين، كما أن
بعضهم يُفخِّم الباء، والثاء، من ﴿فَتَبَّطَّهْمُ﴾ [التوبة: ٤٦]؛ فيخطئ في الحرفين،
وبعض من لا اعتناء له بريضة لسانه، وتجويد كتاب ربه يفخِّم الفاء؛ فيلحن في
الثالثة"^(٣).

وهذا مثال للتأثير بين الأصوات؛ مما يؤدي بها إلى نوع من المماثلة
الصوتية، وهي مماثلة رجعية؛ حيث أثير صوت القاف المستعلية في ﴿مِيثَاقِكُمْ﴾،
و ﴿أَلْوَانِق﴾ على صوت الثاء، فاكسب صفة التفخيم من القاف، وقد يفخِّم

(١) ينظر: الداني، التحديد، مرجع سابق، ص. ١٢٧.

(٢) ينظر في الفرق الدلالي بينهما: الجوهري، مرجع سابق، ٦ / ٢٣٢٧ (خشي)، و ٦ /
٢٤٤٦ (غشا).

(٣) الصفاقسي، مرجع سابق، ص. ٥٣.

بعضهم الألف تبعاً لذلك فيجمع بين خطأين في كلمة واحدة، وقد كان خطأً تفخيم الفاء سبباً في تفخيم الألف؛ لوقوعها بين مفخمين حينئذٍ (الثاء، والقاف)، وكذلك الحال في الكلمة الثالثة ﴿فَشَبَّطُهُمْ﴾ مماثلة رجعية؛ حيث أثر صوت الطاء بما فيها من استعلاءٍ وتفخيمٍ على صوتي الباء والثاء والفاء، ويظهر لي أنّ الخطأ بدأً تدريجياً بتفخيم الثاء؛ فأثر ذلك على تفخيم الباء؛ لوقوعها بين مفخمين حينئذٍ، ثم على تفخيم الفاء.

والثاء حرفٌ غيرٌ مفخم؛ فهي مهموسة، رخوة، منفتحة، مستقلة، مصمتة^(١)، وكذلك الفاء غيرٌ مفخمة؛ فهي مهموسة، رخوة، مستقلة، منفتحة، مدلقة^(٢)، والباء غيرٌ مفخمة أيضاً؛ فهي مجهورة، شديدة، مستقلة، منفتحة، مدلقة^(٣)، وأمّا الألف فشرطُ تفخيمها أن تقع بعد حرفٍ مفخم، وهي هنا وقعت قبل القاف لا بعده^(٤).

والطاء من أقوى الحروفِ المفخمة؛ لاجتماع الاستعلاء والإطباق فيها، والقاف تليها في التفخيم للاستعلاء الذي فيها^(٥)، والطاء مجهور، شديد، مستعل، مطبق، مفخم، مصمت، مقلقل إذا سَكِنَ^(٦)، وأمّا القاف فهي شديدة، مجهورة، مستعلية، منفتحة، مصمتة، مقلقلة إذا سَكِنَت^(٧).

(١) ينظر: جبل، مرجع سابق، ص. ١٢٨.

(٢) ينظر: المرجع نفسه، ص. ١٣٢.

(٣) ينظر: المرجع نفسه، ص. ١٣٤.

(٤) ينظر: المرجع نفسه، ص. ١٩٨.

(٥) ينظر: ابن جني، مرجع سابق، ٦١/١ - ٦٢ (حروف الإطباق)، و٦٢/١ (حروف الاستعلاء).

(٦) ينظر: جبل، مرجع سابق، ص. ١٢٠.

(٧) ينظر: المرجع نفسه، ص. ٩٣، وما بعدها.

وهكذا يستدعي الخطأ خطأ آخر أو أكثر، مما يخرج به عن الأداء السليم، وهذه المماثلة مرفوضة لا تقبل في قراءة القرآن الكريم وأدائه.

٤ - الخطأ الصوتي قد يؤدي إلى تغير المعنى واختلاف الدلالة المقصودة:

نبه الصفاقسي على أثر اللحن في تغيير المعنى، كقوله - عن الظاء -: " وَمِنْهَا جَعَلُهَا ذَالًا، وكثيرًا ما يقع هَذَا؛ لِأَنَّهَا مِنْ مَخْرَجٍ وَاحِدٍ، وَاشْتَرَاكَ فِي بَعْضِ الصِّفَاتِ، وَلَوْلَا الْإِطْبَاقُ وَالِاسْتِعْلَاءُ اللَّذَانِ فِي الظَّاءِ، لَكَانَ ذَالًا، لَا سِيَّمَا إِنْ وَقَعَ فِي كَلِمَةٍ تُشْبِهُ فِي صِيغَتِهَا كَلِمَةً أُخْرَى بِالذَّالِ؛ فَيَجِبُ الْبَيَانُ لِئَلَّا يَنْتَقِلَ الْكَلَامُ مِنْ مَعْنَى إِلَى مَعْنَى آخَرَ، وَذَلِكَ نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء: ٢٠] ، أَيْ: مَمْنُوعًا مِنْ أَحَدٍ، مَعَ قَوْلِهِ - عَزَّ وَجَلَّ - : ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: ٥٧]، أَيْ: حَقِيقٌ أَنْ يَحْذَرَ مِنْهُ جَمِيعُ خَلْقِهِ" (١).

وبدال الظاء ذالًا في الكلمات المذكورة لا يقف عند حد الخطأ في الأداء الصوتي، مع إخلاله بالصفات القوية للظاء؛ بل يتعداه إلى تغيير دلالة الكلمات نفسها، وفرق كبير بين ﴿مَحْظُورًا﴾ من الحظر وهو الحجز، و ﴿مَحْذُورًا﴾ من الحذر، وهو التحرز (٢).

والذال والظاء متجانسان؛ فمخرجهما واحد أو متقارب جدًا، وكلاهما مجهور، رخو، مصمت، لكن تتميز الظاء من الذال بصفات الاستعلاء والإطباق مما يجعلها مفخمة، بينما الذال مستفلة، مصمته (٣).

٥ - تنبيه الصفاقسي على اللحن الأدائي المتوارث:

(١) الصفاقسي، مرجع سابق، ص ٦٤، ٦٣.

(٢) ينظر في الفرق الدلالي بينهما: الجوهري، مرجع سابق، ٢ / ٦٢٦ (حذر)، و ٢ / ٦٣٤ (حظر).

(٣) ينظر: جبل: مرجع سابق، ص ١٢٨.

إنَّ الدرايةَ بعلمِ التجويدِ والقراءةِ لا يتحقَّقُ إلاَّ بدراسةِ آثارِ علماءِ التجويدِ، وهذا ما حرصَ الصَّفَّاقُسيُّ أن يتقنَه، ولا شكَّ أنَّه أطلَّعَ على ما كتبه العلماءُ السابقون تحذيرًا من أخطاءٍ تقعُ لبعضِ القراءِ والمتعلِّمينَ المعاصرينَ لهم، والصَّفَّاقُسيُّ وإنَّ انصبَّ هدفه على تتبُّعِ الأخطاءِ التي وقعَ فيها بعضُ قراءِ زمانه، وسمَّعها منهم بنفسه، لكنَّه لم يغفلِ الإفادةَ ممَّا أشارَ إليه غيره من العلماءِ السابقينَ، وهو في هذا كما يتتبَّعُ تاريخَ الخطأِ في بعضِ الحروفِ.

يقولُ الصَّفَّاقُسيُّ - عن الضادِ -: "وقال في التمهيدِ: إذا قلنا الظالِّينَ بالطاءِ كانَ معناه الدائمينَ، وهذا خلافُ مرادِ الله تعالى، ... ومنها إبدالها طاءً مُهمَّلةً، قال في التمهيدِ: ومن النَّاسِ مَنْ لا يُوصِلُها إلى مَخْرَجِها؛ بل يُخرِجُها دونه مَمْرُوجَةً بالطاءِ المُهمَّلةِ لا يَقْدِرُ على غيرِ ذلك، وهُمُ أكثرُ أهلِ مِصرَ، وبعضُ أهلِ المغربِ انتهَى - وفي قوله: لا يَقْدِرُ، صوابه لا يَعْرِفُ؛ إذ من المَعْلُومِ أَنَّهُمُ غَيْرُ عاجِزِينَ عن ذلك، بل لَوْ عُلِّمُوا لتَعَلَّمُوا"^(١).

ويلاحظُ في تعقيبِ الصَّفَّاقُسيِّ على عبارةِ ابنِ الجَزَريِّ، إيمانه الشديدُ بفوائدِ التعليمِ والتدريبِ في تقويمِ انحرافِ ألسنةِ مَنْ لا يجيدُ الأداءَ الصوتيَّ الدقيقَ. وذكرُ الصَّفَّاقُسيِّ لبعضِ الأخطاءِ المتوارثةِ عبرَ العصورِ المختلفةِ، في نطقِ بعضِ الحروفِ، يوجِّهُ النظرَ إلى مظاهرِ الخطأِ المتوارثِ في الأداءِ الصوتيِّ؛ وضرورةِ إجراءِ دراسةٍ مستقلةٍ عن هذه الأخطاءِ، وسرِّ تتابعِ الناسِ في الخطأِ في أدائها لقرونٍ مُتطاوِلةٍ، وبحثِ السبيلِ المثلى للتغلبِ على تلكِ المشكلةِ.

وفي الجدولِ التالي إحصاءٌ لنماذجِ من الأخطاءِ موزعةً على التنبيهاتِ العامةِ في الأداءِ الصوتيِّ في "تنبيه الغافلين".

(١) الصَّفَّاقُسيُّ، مرجع سابق، ص ٨٤-٨٧. وينظر نصُّ ابنِ الجَزَريِّ في التمهيدِ، مرجع سابق، ص ١٣٠، ١٣١.

م	التنبيه	الحروف التي يقع فيها الخطأ، وصفحاتها في كتاب: "تنبيه الغافلين"
١	عدم تخطئة القراءات القرآنية	إظهار الثاء وعدم إدغامها في الذال ص ٥٣ - اللهجات والقراءات في (شواظ) ص ٧٣.
٢	التحذير مما يوهم ويوقع في الخطأ	كثرة خطأ الناس في نطق الجيم، وأكثر السياقات الصوتية التي يقع فيها ص ٥٤ - إبدال الضاد ظاء ص ٨٣ - تفخيم الفاء ص ٨٩: ٩٠ - إبدال السين زايًا، أو إشرابها الزاي في بعض السياقات الصوتية ص ٩١ -
٣	الخطأ قد يستدعي أخطاءً أخرى	إبدال الثاء طاءً وتفخيم اللام في (اختلط) ص ٥٢ - إبدال الجيم زايًا في مثل: (الرجز)، ثم إدغام الزاي في الزاي ص ٥٤.
٤	الخطأ الصوتي يؤدي إلى خطأ دلالي	تفخيم حروف كلمة (تبارك) ص ٥٠ - إبدال الذال ظاءً، أو دالًا، أو زايًا ص ٥٨ - حذف الراء في مثل (قدير) ص ٦١ - إبدال الضاد ظاءً، والعكس ص ٦٤، ٨٣: ٨٤ - ضم تاء أنعمت ص ٨٧ - الإبدال بين السين والصاد في مثل: (عسى، وعصى، وما يشبههما) ص ٩٢.

جدول رقم (٢)

ويتضح من الجدول أن أمثلة الأداء الصوتي الخاطيء الذي يؤدي إلى تغيير المعنى والدلالة أكثر من غيره، يليه ما يوهم القراء ويوقعهم في الخطأ.

المبحث الرابع - مظاهر اللحن الأدائي في الصفات

تعددت مظاهر اللحن والخطأ في نطق الأصوات، من حيث الصفات الواجبة لها؛ حيث يخطئ القارئ فيعطي الحرف صفةً ليست له، أو ينقص صفاته المستحقة له؛ وبهذا يخرج الحرف عن الفصاحة والصواب، ولذلك ثلاثة مظاهر:

١ - تفخيم الحروف المرفقة، وترقيق المفخمة:

يعرف التفخيم والترقيق بـ: "التفخيم في الاصطلاح: عبارة عن سمن يدخل على جسم الحرف فيمتلئ الفم بصداه، والترقيق عبارة عن تحوّل يدخل على جسم الحرف فلا يمتلئ الفم بصداه... ثم اعلم أنّ التفخيم لازم للاستعلاء؛ فما كان استعلاؤه أبلغ كان تفخيمه أبلغ؛ فحروف الإطباق أبلغ في التفخيم من باقي حروف الاستعلاء" (١).

والتفخيم والترقيق باب مهم في الأداء؛ " هذا باب يميز اللغات بأهم خصائصها.. فتصوّر أنّ تنطق كلمة (يا رَبِّي) وتنطق الراء رقيقة فحينئذ لا يكون الكلام عربياً.. وكذلك تصوّر أنّ تنطق كلمة RAT الإنجليزية بحرف R مفخّم فلن يكون الكلام إنجليزياً" (٢).

وتفخيم المرفق خطأ أدائي، من أمثله قول الصفاقسي عن الباء: " ويقع الخطأ فيها من أوجه: منها تفخيمها؛ فلا بُدّ من التحفّظ منه، لا سيما إن جاورت حرف استعلاء، أو راء، نحو: ﴿وَبَطَلٌ﴾ (٣) [الأعراف: ١١٨]، ... ﴿وَبَرًّا﴾

(١) محمد بن أبي بكر المرعشي، جهد المقل، دراسة وتحقيق د. سالم قدوري الحمد، (عمان: دار عمار، ط الثانية، ١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨م)، ص ١٥٤، ١٥٣. وينظر مقدمة التحقيق ص. ٧٧ وما بعدها، وينظر: عمر، مرجع سابق، ص ٢٧٩، وص ص. ٢٧٩، ٢٧٨، وعبدالعزیز الصيغ، المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، (دمشق: دار الفكر، ط ١، ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٧م)، ص. ١٤٧.

(٢) عسر، مرجع سابق، ص. ٨١.

(٣) في "تنبيه الغافلين" جاءت الكلمة هكذا: " بطل"، وما أثبتته من رسم المصحف لا يمكن معه حذف الواو.

﴿بَوْلِدِيَه﴾ [مریم: ١٤]، وَأَحْرَىٰ إِنِ حَالَ بَيْنَهُمَا أَلْفٌ نَحَوَ ﴿وَلَطْلٌ﴾ (١) [الأعراف: ١٣٩]، ... وَهُوَ لَحْنٌ فَاحِشٌ وَالْمَطْلُوبُ فِي الْبَاءِ التَّرْقِيقُ كَمَا تُحْكِي فِي حُرُوفِ التَّهْجِيِّ أَلْفُ بَاءٍ" (٢).

وسبب تفخيم الباء تأثرها بحروف الاستعلاء التي جاورتها، أو بالراء المفخمة؛ فجعلت من السهل على اللسان تفخيمها تأثراً بها، والمقصود الحروف المفخمة، وهي الطاء في ﴿وَبَطَلٌ﴾، ﴿وَبَطْلٌ﴾، والطاء حرف مستعل مطبق، وهي أقوى الحروف تفخيماً (٣)، والراء في ﴿وَيَرَّأٌ﴾، والراء مفتوحة هنا؛ ومن ثم فهي مفخمة (٤) وأما ترقيق الحرف المفخم فهو أكثر جنابةً على النطق الصحيح للأصوات؛ لأنه فقد لصفة من صفات قوة الحرف، كقوله عن الطاء: "ويقع الخطأ فيها من أوجه: منها الأول عدم إعطائها حقها من التفخيم، وهي مفخمة بالغا؛ إذ هي أقوى الحروف تفخيماً، ويسهل ذلك إذا أتى بعدها ألف، نحو: ﴿طَالُوتٌ﴾ [البقرة: ٢٤٧]، و ﴿مَاطَابٌ﴾ [النساء: ٣]، و ﴿الطَّامَةُ﴾ [النازعات: ٣٤]؛ فإن كثيراً من الناس يرققها، وهو لحن، وينبغي الاعتناء بتفخيمها إذا شددت نحو: ﴿أَطْيَرْنَا﴾ [النمل: ٤٧]، أو كُرِّرَتْ نَحَوَ: ﴿شَطَطًا﴾ [الكهف: ١٤] (٥).

وتنبية الصفائسي على تفخيم الحروف المرققة تأثراً بالحروف المفخمة، أو تفخيم المرقق، جانب من التأثير والتأثر بين الأصوات حالة التركيب، والأصوات في

(١) في "تنبيه الغافلين" جاءت الكلمة هكذا: "باطل"، وما أثبتته من رسم المصحف لا يمكن معه حذف الواو.

(٢) الصفائسي، مرجع سابق، ص. ٥٠، وينظر ابن الجزري، التمهيد، مرجع سابق، ص. ١١١.

(٣) الصفائسي، مرجع سابق، ص. ٦٢.

(٤) ينظر: جبل، مرجع سابق، ص. ١٩٧.

(٥) الصفائسي، مرجع سابق، ص. ٦٢.

السياق الصوتي، وخلال التركيب اللغوي، تتجاوز مع بعضها، وتنشأ بينها علاقات، تكون لها آثارها الصوتية؛ حيث إن الأصوات تتفاوت فيما بينها، فبعضها قوي، وبعضها ضعيف، وبعضها متوسط بين القوة والضعف، وذلك بحسب ما يتصف كل صوت بصفات تميزه من غيره، وقد يؤثر أحد الصوتين في الآخر، سواء تأثر السابق باللاحق، أو اللاحق بالسابق، مما يُعرف بالمماثلة الصوتية (التأثر الرجعي، أو التقدُّمِي)، ويدخل في ذلك بالنسبة للصفات المكتسبة من السياق كل تغيير صوتي لصفات الحروف، ما بين تفخيم وترقيق، أو جهر وهمس، إلخ^(١). وهذا بخلاف حالة الأصوات مفردة دون تركيب؛ فإن لكل منها صفاته وخصائصه الثابتة، لكنها قد تتغير بسبب المجاورة في سياقات صوتية مختلفة، خلال التركيب اللغوي.

"وقضية الجوار الصوتي أو السياق الصوتي: من أهم قضايا "الأداء Intonation"، ومن أبرز جوانبه، بل إنها من أخطر عناصره، ومن أحدث ما وصلت إليه الدراسات اللغوية والصوتية في العصر الحديث.... لقد التفت العلماء حديثاً إلى الأصوات اللغوية، وهي تؤدي وظيفتها الدلالية، من خلال التركيب اللغوي، والجوار الصوتي، ومن واقع الاستعمال اللغوي؛ لأن هذه هي الدراسة التطبيقية، والعملية، والتجريبية"^(٢).

وهذا ما أدركه الصفاقسي وحذر منه هنا حين يؤدي الجوار الصوتي إلى الخطأ في أداء الأصوات، وبخاصة في السنة متعلمي العربية من الناطقين بغيرها؛ ولا سيما إذا أدى الخطأ فيها إلى تغيير المعنى المراد والدلالة؛ بل يؤدي إلى معانٍ غير مرادة تماماً.

"وأصوات الإطباق أو التفخيم هي الأخرى تعدُّ مشكلةً بالنسبة لغير العرب"^(٣).

(١) ينظر: علام، عن علم التجويد، مرجع سابق، ص. ١٦٧، وما بعدها.

(٢) المرجع نفسه، ص. ١٦٧-١٦٩.

(٣) بشر، مرجع سابق، ص. ١٨٠.

٢ - الإهماس^(١) :-

يقول الصَّفَاقِسيُّ عَنِ إِهْمَاسِ حَرْفِ (الذال): " وَمِنْهَا عَدَمٌ بَيَانٍ مَا فِيهَا مِنَ الْجَهْرِ، إِذَا أَتَتْ قَبْلَ الْحَرْفِ الْمَهْمُوسِ، نَحْوُ: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ﴾ [الأعراف: ٨٦] حَتَّى تَصِيرَ ثَاءً^(٢) كَمَا يَفْعَلُهُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ؛ لِاتِّفَاقِهِمَا فِي الْمَخْرَجِ، وَلَوْلَا الْجَهْرُ الَّذِي فِيهَا لَكَانَتْ ثَاءً"^(٣).

والإهماسُ إخلالٌ بصفةٍ قويَّةٍ للحرفِ، يُوَدِّي إلى تغيُّره؛ وبخاصةٍ إذا كانت صفةُ الجهرِ هي أهمُّ ما يميِّزُ الحرفَ عَنِّ مَجَانِسِهِ، كما في الذالِ هنا، وهو تأثرٌ بسببِ الحالةِ التركيبيةِ للحروفِ، والذالُ والثاءُ متجانسانِ، من مخرَجٍ واحدٍ، ويشتركان في صفاتٍ: الرخاوةُ، والانفتاحُ، والاستفالُ، والإصماتُ، بينما تميِّزُ الذالُ بصفةِ الجهرِ، في حين أنَّ الثاءَ مهموسةٌ^(٤)؛ فهمسُ الذالِ يمهِّدُ الطريقَ لإبدالِها ثاءً، وهذا خطأٌ صوتيٌّ لا يقبلُ في أداءِ القرآنِ الكريمِ.

٣- عدم القلقله:

القلقلهُ صفةٌ لبعضِ الحروفِ في العربيةِ حالةً تسكينِها، " وهي خمسةُ أحرفٍ، يجمعُها قولك: قُطِبٌ جَدًّا، وقد تُسمَّى أيضًا مُشْرِبَةً وَمَضْعُوطَةً؛ لأنه لا يمكنُ الوقفُ عليها إلا بِصَوْتِ يَلْحَقُهَا لضعفِها، ... وذلك نحو قولك: افْعُدْ"^(٥).

وقد نبهَ الصَّفَاقِسيُّ على خطأ عدم قلقله الدالِ، بقوله: " وَمِنْهَا عَدَمٌ بَيَانِهَا

(١) ينظر في هذا المصطلح: الصيغ، مرجع سابق، ص. ٢٦٠.

(٢) في "تنبيه الغافلين": حتى تصير تاء، والصواب ما أثبت؛ بدليل السياق.

(٣) الصفاقسي، مرجع سابق، ص. ٥٨، وينظر: الداني، التحديد، مرجع سابق، ص. ١٤٣،

وابن الجزري، التمهيد، مرجع سابق، ص. ١٢٣.

(٤) ينظر: جبل، مرجع سابق، ص. ١٢٨.

(٥) أبو العلاء الحسن بن أحمد الهمداني العطار، التمهيد في معرفة التجويد، تحقيق د. غانم

قدوري الحمد، (عمان: دار عمار، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م) ص. ٢٨١.

وبيان قلقلتها إذا سكنت، نحو: ﴿الْقَدْر﴾ [القدر: ١] ... لا سيما إن تكررت نحو: ﴿أَشَدُّ﴾ [طه: ٣١]، ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ﴾ [البقرة: ٢١٧]؛ لصعوبة المكرر على اللسان؛ ... فيجب التحرز من ذلك وبيان شدتها، وجهرها، وقلقلتها^(١).
ويلاحظ ربط الصفاقيسي بين القلقة وبين صفتي الشدة والجهر؛ وذلك لأن حروف القلقة الخمسة مجهورة شديدة، وتفيد قلقة هذه الحروف في بيانها في السمع، وفي تخفيف ثقلها على أعضاء النطق، حال سكونها في الوقف وغيره، وهي من صفات القوة للحروف^(٢).

(١) الصفاقيسي، مرجع سابق، ص. ٥٧.

(٢) ينظر: جبل، مرجع سابق، ص. ١٩١، وعلام، عن علم التجويد، مرجع سابق، ص.

١٠١، و ص. ١٣٥.

وفي الجدول التالي إحصاءٌ بمواضع الخطأ الأدائي في صفات الحروف، في " تنبيه الغافلين".

م	نوع الخطأ في الصفات	الحروف التي يقع فيها الخطأ، وصفحاتها في كتاب: "تنبيه الغافلين"
١	تفخيم المرفق	الهمزة مع حروف الاستعلاء وما يشبهها ص ٤٧ . التاء مع حروف الاستعلاء أو الألف ص ٥١ - التاء عند مجاورة الراء أو حرف استعلاء ص ٥٣ - الجيم مع الراء والألف ص ٥٤ - الحاء مع حروف الاستعلاء أو الألف ص ٥٥ - الدال مع حروف الاستعلاء أو الراء ص ٥٧ - الذال مع حروف التفخيم أو الألف ص ٥٨ - الزاي مع حروف الاستعلاء أو الألف ص ٦٢ - المبالغة في تفخيم الظاء مع الألف ص ٦٣ - الكاف مع الألف ص ٧٥ - تفخيم اللام ص ٧٥ - الميم مع حروف التفخيم ص ٧٧ : ٧٨ - النون مع حروف التفخيم أو الاستعلاء ص ٨٠ - العين مع الألف ص ٨٨ - الفاء مع الألف، أو حرف استعلاء، أو راء ص ٩٠ - السين مع حرف استعلاء، أو راء، أو ألف ص ٩٢ - الهاء مع حرف تفخيم ص ٩٣ -

الواو ص ٩٥ - الباء مع ألف؁ أو حرف تفخم ص ٩٨.		
الخاء ص ٥٦ - الراء مع حروف الهمس ص ٦٩ - الصاد مع حروف الهمس - الغبن ص ٨٩ - القاف ص ٩٠.	ترقق المفخم	٢
الباء ص ٥١.	ءءم القلقلة	٣

ءءول رقم (٣)

وبوضأ الءءول أن أمثلة تفخم المرقق أكثر من ترقق المفخم؛ وهذا راجع إلى كشرة الحروف المرققة فى أصوات اللغة مقارنة بالحروف المفخممة؁ كما أن تفخم المرقق بسبب مجاورته لحروف الاستعلاء؁ أو التفخم.

المبحث الخامس - مظاهر اللحن الأدائي في الحروف:

إنَّ الجوارَ الصوتيَّ، أو السياقَ الصوتيَّ يُوَدِّي إلى تغيُّراتٍ صوتيَّةٍ في حروفِ اللغة، تمامًا كما يُوَثِّرُ في اكتسابِ الأصواتِ صفاتٍ غيرَ صفاتها بسببِ التركيبِ اللغويِّ - على ما سبقَ الحديثُ عنه في مظاهرِ اللحنِ الأدائيِّ في الصفاتِ -؛ وذلك أنَّ الحروفَ قد تصيَّبُها تغيُّراتٌ صوتيَّةٌ بسببِ المجاورةِ في السياقاتِ الصوتيَّةِ المختلفةِ، وبعضُ هذه التغيُّراتِ مقبولٌ في أداءِ القرآنِ الكريمِ، وفي العربيةِ؛ لثبوتهِ روايةً في القرآنِ الكريمِ، وثبوتهِ في اللغةِ العربيَّةِ، وذلك مثل ظواهرِ الإبدالِ، والإدغامِ، وغيرها.

"وقد جاءَ علماءُ التجويدِ، في دراستهم لأصواتِ القرآنِ الكريمِ، من خلالِ الجوارِ الصوتيِّ، بمجموعةٍ من القواعدِ، والأحكامِ، التي لها قوَّةُ الظاهرةِ، وسيطرةُ القانونِ، وهم بذلك سبقوا الفكرَ الصوتيَّ الحديثَ، والقواعدُ والأحكامُ التجويديةُ، التي تتصلُّ بالصوامتِ كثيرةٌ"^(١).

والتركيزُ هنا لئن يكونَ على الصورِ الجائزةِ المُستساغةِ من التغيُّراتِ الصوتيةِ للحروفِ بسببِ مجاورتها في السياقِ الصوتيِّ، والتركيبِ اللغويِّ؛ بلْ الدراسةُ ستقفُ مع تلكِ الصورِ من التغيُّراتِ التي تصيَّبُ الأصواتِ في سياقاتٍ صوتيةٍ مختلفةٍ، وهي مجافيةٌ لحسنِ الأداءِ الصوتيِّ خارجةٌ عنه، ولتلكِ التغيُّراتِ المرفوضةِ صورٌ متعدِّدةٌ، منها ما يلي:

أولاً - الخطأُ الصوتيُّ في إبدالِ الحروفِ:

والإبدالُ ظاهرةٌ لغويَّةٌ؛ "من سننِ العربِ إبدالُ الحروفِ"^(٢)، وهو "في الاصطلاح: جعلُ حرفٍ مكانَ آخرٍ مع الإبقاءِ على سائرِ أحرفِ الكلمةِ،..."^(٣)،

(١) علام، عن علم التجويد، مرجع سابق، ص. ١٧٨. وينظر ما بعدها.

(٢) عبدالرحمن جلال الدين السيوطي، المزهَر في علوم اللغة وأنواعها، شرح وتعليق: محمد جاد المولى بك، وآخرين، (بيروت: المكتبة العصرية، ١٩٨٦، من دون)، ١ / ٤٦٠، وينظر ما بعدها.

(٣) عبدالغفار حامد هلال، اللهجات العربية نشأة وتطوراً، (القاهرة: مكتبة وهبة، ط الثانية،

ويُطلقُ عليه أيضاً مصطلح الاشتقاق الأكبر^(١).

والحروف المتجانسة، والمتقاربة هي التي قد يقع الإبدال بينها على السنة

بعض القراء، بطريق الخطأ، ومن الأمثلة:

١ - قول الصَّفَاقِسيِّ عَنِ النَّاءِ -: " وَمِنْهَا إِبْدَالُهَا سِينًا أَوْ كَالسِّينِ؛ فَيُحْدِثُ فِيهَا رِخَاوَةً، وَصَفِيرًا، وَقَدْ كَثُرَ هَذَا عَلَى الْأَلْسِنَةِ، وَأُخْرَى إِنْ كَانَتْ سَاكِنَةً، نَحْوُ: ﴿فِتْنَةٌ﴾ [البقرة: ١٠٢] ، ﴿وَأَتْلُ﴾ [المائدة: ٢٧]، حَتَّى إِنْ بَعْضَ مَنْ كَثُرَ جَهْلُهُ وَضَعْفَ عَقْلِهِ يَسْتَحْسِنُهُ، وَيَجْعَلُهُ مِنَ الْفِصَاحَةِ، وَرِقَّةِ الطَّبَعِ، وَهُوَ لِحْنٌ لَا تَحِلُّ الْقِرَاءَةُ بِهِ... وَمِنْهَا إِبْدَالُهَا طَاءً، وَأَكْثَرُ مَا يَكُونُ إِذَا جَاوَزَتْ حُرُوفَ الْإِطْبَاقِ، نَحْوُ: ﴿تَضَلَّ﴾ [البقرة: ٢٨٢] " (٢).

وذلك الإبدال الخاطئ تحريف في القرآن الكريم، وإن تعجب فعجب اعتداده

من الفصاحة عند الجاهلين من القراء،

والتاء والسين متقاربان؛ فمخرج التاء مما بين طرف اللسان وأصول الثنايا، ومخرج السين مما بين الثنايا وطرف اللسان^(٣)، وأما صفاهما، فالتاء مهموسة، شديدة، مستفلة، منفتحة، مصمتة، والسين مهموسة، رخوة، منفتحة، مستفلة مصمتة^(٤)، فمع اختلاف التاء والسين مخرجاً - وإن تقارباً فيه - إلا أنّهما يختلفان في كون التاء شديدة، والسين رخوة، والإبدال الخاطئ بينهما هنا مردود؛ إذ يجمع بين خطأ الأداء

١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م)، ص. ١٢٠، وينظر ما بعدها في أنواع الإبدال وآراء العلماء فيه... إلخ.

(١) ينظر: عبدالمنعم عبدالله حسن، الاشتقاق اللغوي في البحر المحيط لأبي حيان - دراسة... ومعجم (١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م، من دون)، ص. ٢٦.

(٢) الصفاقسي، مرجع سابق، ص. ٥١. وينظر جان كانتينو، دروس في علم أصوات العربية، نقله إلى العربية وذيله بمعجم صوتي فرنسي - عربي: صالح القرمادي، (الجامعة التونسية: نشرات مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية ١٩٦٦)، ص. ٥٩.

(٣) ينظر: ابن جني، مرجع سابق، ١/ ٤٧.

(٤) ينظر: جبل، مرجع سابق، ص. ١١٢ (التاء)، و ص. ١٢٥ (السين).

الصوتيّ، وتغيير المعنى، والدلالة؛ حيث إنّ كلمة ﴿فِتْنَةٌ﴾ مِنَ الامتحانِ والاختبارِ^(١)، وإبدال تاءِ الكلمةِ سيناً يجعلها من (فسن)، وهو لفظٌ مهمَلٌ في العربية؛ لمْ أَقْفْ عليها في العين، والصحاح، ومقاييس اللغة، وتاج العروس؛ وذلك يعني أنّ هذا الإبدالَ الخاطِئُ لم يغيّر المعنى فحسب؛ بل خرج من اللغة العربية، إلى لفظٍ غير مستعملٍ في العربية، فضلاً على عدمِ وروده في القرآن الكريم، وهو من أقبح التحريفات في الأداءِ الصوتيِّ، ومن أولّاهَا بالمخاربة.

وَأَمَّا كَلِمَةُ ﴿وَأَتْلُ﴾ فهي فعلٌ أمرٌ من " تَلَوْتُ الْقُرْآنَ تِلَاوَةً، ... " (٢) ، وَأَمَّا إِبْدَالُ تَاءِ الْكَلِمَةِ سِينًا؛ فيجعلها فعلٌ أمرٌ مِنْ (سلا)، بمعنى " (نَسِيَهُ) وَذُهِلَ عَنْ ذِكْرِهِ " (٣)، وما أبعدَ المقصودَ من التلاوةِ الصحيحةِ عَنْ هذا التحريفِ المردودِ على قائله!

وكذلك إبدالُ تاءِ كلمة ﴿تَضَلَّ﴾ طاءً لمجاورةِ الضادِ المطبقةِ، تحريفٌ خارجٌ عَنْ الأداءِ الصوتيِّ الدقيقِ.

ثانيًا- عدمُ إدغامِ الحروفِ الواجبةِ الإدغامِ، وإدغامُ حروفٍ لا يجوزُ إدغامُها:

الإدغامُ مِنَ الأحكامِ اللغويّةِ والتجويديةِ، التي تصيبُ الحروفَ أو الصوامتَ، بسببِ الجوارِ في السياقِ الصوتيِّ، ويُعدُّ مِنَ التغيراتِ التركيبيةِ التي تصيبُ الأصواتَ في الكلماتِ^(٤)، وهو ظاهرةٌ صوتيةٌ، هدفُها اليسرُ والاقتصادُ في الجهدِ العضليِّ^(٥).

(١) ينظر: الجوهري، مرجع سابق، ٦ / ٢١٧٥ (فتن).

(٢) ينظر: المرجع نفسه، ٦ / ٢٢٨٩ (تلا).

(٣) ينظر: الزبيدي، مرجع سابق، ٣٨ / ٢٩٦ (س ل و).

(٤) ينظر عبدالتواب، مرجع سابق، ص ٢٩ وما بعدها.

(٥) ينظر في فائدة الإدغام-على سبيل المثال-: علام، عن علم التجويد، مرجع سابق، ص

ص. ١٨١، ١٨٢.

والإدغام " اصطلاحًا: خلط الحرفين المتماثلين أو المتقاربين أو المتجانسين فيصيران حرفًا واحدًا مشددًا، يرتفع اللسان عند النطق بهما ارتفاعاً واحداً" (١).
والإدغام من المماثلة الصوتية، التي تنشأ بسبب المجاورة في السياق الصوتي، والتركيب اللغوي؛ بل "يعدُّ الإدغام، الصورة القصوى، لدرجات التأثير بين الأصوات المتجاورة؛ حيث يفني أحد الصوتين في الآخر، بحيث يُنطق بالصوتين صوتاً واحداً، ومن ثمَّ يُطلق على الإدغام " المماثلة الكاملة"...." (٢).
و "مظاهر المماثلة، وآثار التأثير أكثر من أن تُحصى في اللغة العربية...، وأيضاً في قراءة القرآن الكريم التي بذل العلماء في تحديد المقبول منها وغير المقبول الجهد الكبير، وبخاصة ما سمّوه (بالإدغام) والذي هو في حقيقته أبرز مثال على وجود الظاهرة في لغتنا العربية" (٣).

ومعرفة الإدغام من أهم مظاهر الأداء؛ لتعلقه بالمشافهة؛ حيث إن " الجانب الأدائي لم يغب عن ملاحظة سيوييه، لا سيما وهو يقرُّ في بداية حديثه عن الأصوات وعددها أنها لا تتبين إلا بالمشافهة، فهو لم يكن يتحدث عن صفات تجريدية فحسب، بل كان الجانب التشكيلي يهيم بالدرجة الأولى، ولذلك وجدناه يتبع وصفه العام للأصوات بدراسة الإدغام... وذلك هو الموضوع الأساسي في علم الأصوات التشكيلي" (٤).

ولكل ما سبق غني علماء التجويد بأحكام الإدغام، وعقدوا له أبواباً مطولة في كتبهم، يبينون فيها صورته الواجبة، والجائزة، والممنوعة (٥).

(١) محمد مكي نصر الجريسي، نهاية القول المفيد في علم تجويد القرآن المجيد، ضبطها وصححها وخرج آياتها عبدالله محمود محمد عمر، (بيروت: دار الكتب العلمي، ٢٠٠٣م - ١٤٤٢هـ)، ص. ١٠٤.

(٢) حسن، مستويات، مرجع سابق، ص. ٥٨.

(٣) علام، محمود، مرجع سابق، ص. ٣٠٩.

(٤) عبدالصبور شاهين، في التطور اللغوي، (مكتبة الشباب، ١٩٨٩، من دون)، ص ٢٤٦.

(٥) ينظر: علام، عن علم التجويد، مرجع سابق، ص. ١٧٨-٢٢١.

وقد سلك الصَّفَاقِسيُّ الطريقَ نفسَهَا؛ ولكنه عُنِيَ عنايةً خاصةً بما يقعُ من بعضِ القراءِ من تركِ إدغامِ ما حَقَّهُ الإدغامُ، أو إدغامِ ما لا يجوزُ إدغامه.

وأمثلةُ تركِ الإدغامِ الواجبِ، متعددةٌ، منها ما يلي:

١ - أن الصَّفَاقِسيَّ نَبَّهَ تَنْبِيهًا عامًّا، حذَّرَ فيه من تخفيفِ الحرفِ المشدَّدِ (المدغم)، وذلك قوله - في بابِ المشدَّدِ -: "فَلَا بُدَّ مِنْ بَيَانِ التَّشْدِيدِ، وَإِعْطَائِهِ حَقَّهُ؛ حَتَّى يَتَمَيَّزَ عَمَّا لَيْسَ بِمَشْدَدٍ، فَإِنَّ مَنْ تَرَكَ التَّشْدِيدَ فَقَدْ تَرَكَ حَرْفًا مِنَ الْقُرْآنِ وَهُوَ لَا يَحِلُّ... وَيَقَعُ الْخَطَأُ فِي هَذَا الْبَابِ مِنْ أَوْجِهٍ: مِنْهَا تَخْفِيفُ الْمَشْدَدِ، نَحْوُ: ﴿إِيَّاكَ﴾ [الفاتحة: ٥]، وَهُوَ لَحْنٌ؛ إِذْ فِيهِ نَقْصَانُ حَرْفٍ مِنَ الْقُرْآنِ" (١).

وكلمةُ ﴿إِيَّاكَ﴾ كلمةٌ واحدةٌ؛ فهي ضميرٌ منفصلٌ للمخاطبِ المفردِ، وتخفيفُ يائه المشدَّدةِ يعني أنه كلمتان أُضِيفَتْ الأولى (إيا) إلى الثانية (ك) ضميرِ الخطابِ المتصلِ، وما أكبرُ الفرقَ بينِ النطقينِ للكلمةِ، النطقِ الأولِ بالتشديدِ ﴿إِيَّاكَ﴾، الموافقِ للأداءِ الصوِّبيِّ الصحيحِ، والنطقِ الثاني (إياك) الخارجِ عَنِّ الأداءِ الدقيقِ، ويتبعُ الخطأَ الصوِّبيَّ خطأً دلاليًّا؛ بإفادته معنى غير صحيح؛ فقد يتوهمُ أنَّ معنى الكلمةِ المخففةِ مأخوذٌ من كلمة: "أَيَاةُ الشَّمْسِ: ضَوْؤُهَا. وَإِيَّاهَا بِكُسْرِ الهمزةِ وَقَصْرِ الألفِ" (٢).

والمقصودُ قصرُ العبادةِ على اللهِ وحدهِ المخاطبِ بهذا الدعاءِ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

٢ - ومن أمثلة تَنْبِيهِ الصَّفَاقِسيِّ على خطأِ القراءِ في تركِ الإدغامِ الواجبِ،

قوله عَنِّ الباءِ: "وَمِنْهَا إِظْهَارُهَا إِذَا تَكَرَّرَتْ، وَالأولى سَاكِنَةٌ، نَحْوُ: ﴿فَأَصْرَبْ بِهِ﴾

(١) الصَّفَاقِسي، مرجع سابق، ص ١٢١، ١٢٠.

(٢) الجوهري، مرجع سابق، ٦ / ٢٢٧٧ (أيا).

[ص: ٤٤]، ﴿وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات: ١٢]، ﴿فَارْتَعَبْ﴾ [الشرح: ٨]، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ [أول سورة التين]؛ بل لا بد من الإدغام، والتشديد البليغ، أجمع على ذلك القراء والنحويون^(١).

وفي هذه الشواهد القرآنية يجب إدغام المثلين: الباء في آخر كلمة ﴿فَأَضْرِبْ﴾، مع الباء في أول كلمة ﴿بِهِ﴾، وكذلك الباء في آخر كلمة ﴿يَغْتَبِ﴾ مع الباء في أول كلمة ﴿بَعْضُكُمْ﴾، ويلاحظ رسم علامة الإدغام (ب) في الآية الأولى، وعلامته (ب) في الآية الثانية، في الرسم العثماني؛ حيث هو الصواب، وإدغام المثلين هنا من كلمتين، وقد تحقق اليسر في النطق؛ بإدغام المثلين هنا، وهو فائدة الإدغام^(٢).

وأما الآية الثالثة فإدغام المثلين لن يكون إلا في حالة وصل القراءة؛ يصل القارئ آخر سورة الشرح، بإدغام الباء في آخر كلمة ﴿فَارْتَعَبْ﴾ مع باء البسملة (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) في أول سورة التين؛ فهي حالة خاصة يمثل هذا الأداء القرآني، أما لو وقف القارئ على نهاية سورة الشرح ثم ابتداء أول سورة التين فلن يكون ثم إدغام، وفي حال الإدغام يتحقق اليسر والسهولة في نطق المثلين مدغمين.

وأما أمثلة إدغام الحروف التي لا يجوز إدغامها، فمنها ما يلي:

١ - قول الصفاقسي عن الحاء: "وبعضهم يقرب لفظه بها من الإخفاء، أو من الإدغام، وكله لا يجوز، ولم يرد في القرآن العظيم، في المتواتر والشاذ؛ بل ولا في كلام العرب على ما قال سيبويه إدغام حاء في عين، إلا في حرف واحد وهو: ﴿زُحْرَجَ عَنِ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، فيه وجهان صحيحان عن أبي عمرو: الإظهار والإدغام فإن سكنت الحاء نحو: ﴿فَأَصْفَحَ عَنْهُمْ﴾ [الزخرف: ٨٩]، كان الاهتمام ببيانها أشد؛ لأنها قد تهيأت للإدغام بسكونها؛ إذ من المعلوم أن لا

(١) الصفاقسي، مرجع سابق، ص. ٥٠، وينظر ابن الجزري، التمهيد، مرجع سابق، ص.

١١٠، وينظر بشأن مصطلح (التشديد): الصيغ، مرجع سابق، ص. ٢٤١، ٢٤٠.

(٢) ينظر: علام، عن علم التجويد، مرجع سابق، ص. ١٧٩.

إدغامٍ إلّا في ساكنٍ، وإن كان في الأصل محرّكًا فلا بُدَّ من تسكينه عند إرادة الإدغام، وإدغام هذا و أمثاله لا يجوزُ إجماعًا، ومنها تحريكها وإدغام الهاء فيها، في نحو: ﴿وَسَيِّحُهُ﴾^(١) [الإنسان: ٢٦]؛ فإن كثيرًا من الجهلة والمتساهلين ينطق بها في مثل هذا حاءً مشددةً مضمومةً وهو لا يجوزُ إجماعًا^(٢).

إنّ للإدغام بين الحروفِ صورًا مرفوضةً عند علماء العربية، وعند علماء التجويد والقراءة، إلّا ما وردت به روايةٌ صحيحةٌ متواترةٌ، ومن تلك الصورِ الممنوعة إدغامُ الحاءِ في العين؛ لأنهما حرفان متجانسان؛ فمخرجُهما من وسطِ الحلق^(٣)، والعينُ مجهورةٌ، متوسطةٌ بين الشدّةِ والرخاوةِ، مستقلةٌ، منفتحةٌ، مصمتةٌ، والحاءُ مهموسةٌ، رخوةٌ، منفتحةٌ، مستقلةٌ مصمتةٌ^(٤)، وتتميّزُ العينُ بجهرها، بينما الحاءُ مهموسةٌ، مع كونِ الحرفينِ من حروفِ الحلق^(٥)؛ ويقولُ سيبويه: "وَلَمْ تُدْعَمْ الحاءُ في العينِ في قولك: امدح عرفة؛ لأنّ الحاءَ قد يفرون إليها إذا وقعت الهاءُ مع العين؛ وهي مثلها في الهمسِ والرخاوةِ، مع قُربِ المخرَجينِ،...، وليست حروفُ الحلقِ بأصلٍ للإدغام"^(٦).

وأما إدغامُ الحاءِ في الهاءِ في كلمة: ﴿وَسَيِّحُهُ﴾؛ فيؤدّي إلى تحريفِ الأداءِ الصوتيِّ، وتغييرِ التركيبِ اللغويِّ؛ حيثُ الضميرُ (الهاء) ضميرٌ متصلٌ مبنيٌّ على الضمِّ، في محلِّ نصبٍ مفعولٍ به، والإدغامُ يحدفُ كلمةً كاملةً من الجملةِ القرآنيةِ، وهو الضميرُ.

- (١) في "تنبيه الغافلين" جاءت الكلمة هكذا: "سَيِّحُهُ" من دون واوٍ، وما أثبتّه من رسمِ المصحفِ لا يمكنُ معه حذفُ الواوِ.
- (٢) الصفاقسي، مرجع سابق، ص. ٥٥.
- (٣) ينظر، ابن جني، مرجع سابق، ٤٧/١.
- (٤) ينظر: جبل، مرجع سابق، ص. ٨٤ - ٨٧.
- (٥) ينظر: علام، عن علم التجويد، مرجع سابق، ص. ٢٠٣.
- (٦) سيبويه، مرجع سابق، ٤٥١/٤، وينظر ص. ٤٤٩، وينظر: الداني، التحديد، مرجع سابق، ص. ١٢٦.

٢ - تشديد بعض الحروف، وزيادة حرف في القرآن الكريم، يقول الصَّفَاقُسيُّ عَنِ الحَاءِ: " وَمِنْهَا تشديدها في مثل: ﴿الْأَخ﴾ [النساء: ٢٣]، وَ ﴿دُحَانَ﴾^(١) [فصلت: ١١]؛ فَلْيُحَفَظْ مِنْهُ."^(٢)

وفي ذلك زيادة حرف في القرآن الكريم، وهو تحريف مردود، ويؤدي إلى تغيير المعنى؛ فكلمة ﴿الْأَخ﴾ بتخفيف الحاء من (أخو) وهي مفرد (إخوة)^(٣)، وليست من (أخ) وفي تاج العروس: " (وَأَخٌ: كلمة تَكَرَّرَتْ وَتَوَجَّعُ"^(٤)، وهذا المعنى خلاف المراد في القرآن الكريم؛ ففيه خطأ صوتي ودلالي.

وكذلك تشديد الحاء في كلمة ﴿دُحَانَ﴾؛ فَهِيَ مِنْ (دخن)، و " دُحَانَ النارِ معروف"^(٥)؛ ففيها تحريف بزيادة حرف في كتاب الله - عزَّ وجلَّ -، وفيها اجتماع الخطأ الصوتي والخطأ الدلالي.

وفي الجدول التالي إحصاء لنماذج من الأخطاء في الأداء الصوتي في الحروف في "تنبيه الغافلين".

م	نوع الخطأ في الحروف	الحروف التي يقع فيها الخطأ، وصفحاتها في كتاب: "تنبيه الغافلين"
١	الخطأ في إبدال الحروف	إبدال الثاء تاءً، أو سيناً ص ٥٣ - إبدال الجيم شيناً ص ٥٤ - إبدال الحاء عيناً

(١) في "تنبيه الغافلين" جاءت الكلمة هكذا: " والدُّحَانِ " بالألف واللام، ولم أقف عليه في المصحف الشريف إلا: نبي وَهِيَ دُحَانٌ ﴿ [فصلت: ١١]، ﴿ يَدُحَانَ مُبِينٍ ﴾ ﴿ [الدخان: ١٠]، والكلمة منكّرة في السورتين.

(٢) المرجع نفسه، ص. ٥٧. والخطأ انتقل إلى القراء من لغة العامة؛ فهي مسموعة من بعضهم بالتشديد "الدُّحَانَ".

(٣) ينظر: الجوهري: مرجع سابق، ٦ / ٢٢٦٤ (أخ).

(٤) تاج العروس، مرجع سابق، ٧ / ٢٢٤، وينظر ص. ٢٢٥.

(٥) الجوهري: مرجع سابق، ٦ / ٢١١١ (دخن).

<p>ص ٥٥ - إبدال الخاء غينًا ص ٥٧ - إبدال الدال تاءً ص ٥٧ - إبدال الذال ضادًا، أو دلاً أو زايًا ص ٥٨ - إبدال الزاي سينًا ص ٦٢ - إبدال الظاء ذالًا، أو ضادًا ص ٦٣:٦٤ - إبدال الكاف قافًا ص ٧٤:٧٥ - إبدال الصاد سينًا ص ٨٣ - إبدال الضاد ظاءً أو لامًا مفخمةً أو طاءً أو ذالًا ص ٨٤:٨٧ - إبدال العين هاءً ص ٨٨ - إبدال الغين خاءً ص ٨٩ - إبدال السين زايًا أو صادًا ص ٩١ - إبدال الشين جيمًا ص ٩٣ - إبدال الواو همزةً ص ٩٥.</p>		
<p>الهاء في قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ هُوَ أَعْلَمُ ﴾ [فاطر: ١٥] إذا سكتت الهاء الأولى ٩٣: ٩٤ - تخفيف الياء المشددة ص ٩٨.</p>	<p>ترك الإدغام الواجب</p>	<p>٢</p>
<p>إدغام الطاء في التاء إدغامًا كاملاً ص ٦٣ - إدغام اللام في النون، والتاء، والسين، والصاد ص ٧٦ - تشديد الميم في (حام) ص ٧٩ - إدغام العين في الغين ص ٨٩ - إدغام الغين فيما قاربها ص ٨٩ - إدغام الفاء عند تكررها في كلمة واحدة ص ٩٠ - إدغام الهاء في الحاء ص ٩٤ - إدغام الواو ص ٩٥ - إدغام الياء في الياء، والأولى حرف مدّ ولين ص ٩٩.</p>	<p>إدغام حروف لا يجوز إدغامها</p>	<p>٣</p>

ءءول رقم (ه)

وئءببئ من الءءول السابق كءره إءءال الءروف المءءانسه؁ والمءءاربه؁ بطربق الءطأ؛ بسبب مجاورءها فى سباقاء صوءفه مءءلفه؁ وكءلك كءره إءغام بعض الءروف؁ أو ءشءفءها فى بعض الكءماء؁ وهف آروف لا مجور إءغامها؁ أو ءشءفءها؁ وقله ءرك الإءغام الواجب بالقفاس إى النوعبن الآءربن؁ وهءه الصور الأءائفه الءاطمه بسبب الجوار الصوءى؁ آال ءركب اللعوف؁ أو الءراط الأصواء فى السباقاء الصوءفه المءءلفه.

المبحث السادس - مظاهر اللحن الأدائي في الوقف والابتداء:

يمثل الوقف والابتداء عنصرًا مهمًا في الأداء الصوتي؛ حيث يؤثر موضع الوقف، أو الابتداء، في تغيير معاني الجمل والتراكيب، وقد يوهم معاني غير مرادة، وبخاصة في أداء القرآن الكريم؛ فذ توقع المسلم في الإثم، وقد تخرجه من الدين رأسًا، إن قصدها، ولما كانت هذه المعاني والدلالات لا تنضح إلا من خلال الأداء اللغوي، وبخاصة الأداء الصوتي، عُدَّ الوقف والابتداء في القرآن الكريم من الأداء الصوتي، وباب الوقف والابتداء، وأحكامهما من أبواب كتب التجويد، وقد عُنيَ بهما علماء الأداء القرآني؛ لما لهما من أثر كبير في أداء القرآن، وفهم معانيه، وهذا يوضح أنهم، لم يقفوا عند الأداء الصوتي الدقيق فحسب؛ بل وجَّهوا أنظارهم تجاه معاني القرآن الكريم، وهي الغاية والمقصود من المحافظة على كتاب الله تعالى.

والوقف من الأداءات الصوتية المصاحبة للكلام؛ "تنقسم هذه الأداءات الصوتية المصاحبة للكلام، وليست منه، أقسامًا عدة، أهمها: الوقفات... وتسمى (الفواصل)، وهي نوع من السكون، يفصل بين مجموعة صوتية وأخرى، وتسمى أيضًا وقفًا أو انتقالًا أو مفصلاً،... ويعتبر الفاصل فونيًا له تأثير في المعنى. يتفق هذا المصطلح تمامًا مع مبحث مهم تناوله علماء التجويد بالبحث والتفصيل هو (الوقف والابتداء)؛ إذ لم يُغفل علماءنا الأوائل دور هذا النوع من الأداء في تغيير معاني الكلام ودلالاته"^(١).

وقد تبينت أهمية الوقف والابتداء وصلتهما بالأداء الصوتي من قول الصنفاقي في (باب الوقف والابتداء):

"... الوقف هو قطع النطق عن آخر الكلمة، والابتداء هو الشروع في الكلام بعد قطع، أو وقف، ومعرفة الوقف والابتداء متأكد غاية التأكيد؛ إذ لا يتبين معنى كلام الله، ويثم على أكمل وجه إلا بذلك؛ فربما قارئ يقرأ ويقف قبل تمام

(١) أبو عاصي، حمدان رضوان، "الأداءات المصاحبة للكلام وأثرها في المعنى"، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية)، م.١٧، ع.٢، يونيو ٢٠٠٩، ص. ٥٧ - ٩٠.

المعنى فلا يفهم هو ما يقرأ، ومن يسمعه كذلك، ويفوت بسبب ذلك ما لأجله يُقرأ كتاب الله تعالى، ولا يظهر مع ذلك وجه الإعجاز، بل ربّما يفهم من ذلك غير المعنى المراد، وهذا فساد عظيم؛ ولهذا اعتنى بعلمه وتعليمه، والعمل به المتقدمون والمتأخرون وألفوا فيه ... ومن لم يلتفت لهذا، ويقف أين شاء فقد خرق الإجماع، وحاد عن إتقان القراءة، وتام التجويد، وهو الغالب في قرآن زماننا" (١)

كما تبينت من قوله - في (فصل في الوقف القبيح والأقبح) : "وهكذا كل ما لا يعرف المراد منه فيقبح في حق القارئ الوقوف عليه، وأقبح من هذا ما يُفسد المعنى لإيهامه خلاف المقصود ...، وأقبح من هذا ما أوهم فساد المعنى، وفيه سوء أدب مع الله تعالى، ... نحو: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]؛ إن وقف على إله، وقبحه جلي؛ بل الوقف على ﴿وَالْمُؤْمِنَاتُ﴾ (٢) [محمد: ١٩]، وهو تام، ومثله: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٦٢]، إن وقف على إله؛ بل الوقف على الجلالة، وهو أكفى، ... وقبح هذا جلي، فإن دعت ضرورة إلى الوقوف على هذا، وما مائله، وجب عليه أن يرجع، ويبتدئ الكلام من أول، وإن تعمّد ذلك أثم، وكان من الخطأ العظيم، هذا إن سلّم الاعتقاد" (٣).

ويقول في (فصل في الابتداء): "اعلم أن الابتداء يُطلب فيه ما يُطلب في الوقف؛ فلا يكون إلا بمستقل بالمعنى مؤف بالمقصود، يُستفاد منه معنى صحيح؛ بل هو أكّد، ... وقد يكون من الابتداء أشد قبحا من الوقف، كما إذا وقف على ﴿قَالُوا﴾ من قوله تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ

(١) الصفاقسي، مرجع سابق، ص. ١٢٨.

(٢) رُسمت الكلمة في "تنبيه الغافلين" هكذا: "المؤمنات" من دون واو، وما نقلته عن المصحف الشريف لا يمكن معه حذف الواو.

(٣) الصفاقسي، مرجع سابق، ص. ١٣٧، ١٣٨.

﴿أَعْنِيَاءُ﴾ [آل عمران: ١٨١]، ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ [المائدة: ٧٣]، ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١٧]، وَابْتَدَأَ إِنَّ اللَّهَ إِخ؛ بَلِ الْوَقْفُ عَلَى ﴿أَعْنِيَاءُ﴾، وَ ﴿وَاحِدٌ﴾، وَ ﴿مَرْيَمَ﴾، وَالْإِبْتِدَاءُ بِمَا بَعْدَهُنَّ، وَقِيلَ: يُوقَفُ فِي الْآيَةِ الثَّانِيَةِ عَلَى ثَلَاثَةٍ، وَكُلُّهُنَّ كَافِيَاتٌ^(١).

وهذه الأمثلة تبين أثر الوقف والابتداء في المعنى والدلالة؛ إِنَّ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةَ تَدُورُ فِي فَلَكَ إِثْبَاتِ وَحِدَانِيَةِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ - ، وَنَفْيِ الشَّرِيكِ، وَالْوَالِدِ عَنْهُ، وَكَذَلِكَ إِثْبَاتِ أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ، وَإِنَّ الْوَقْفَ وَالْإِبْتِدَاءَ الصَّحِيحِينَ هُمَا مَنْ يُوَدِّي هَذِهِ الْمَعَانِيَ الْمَقْصُودَةَ، وَأَيُّ خَلَلٍ فِي الْوَقْفِ وَالْإِبْتِدَاءِ، سَيُوَدِّي إِلَى مَعَانٍ غَيْرِ مَقْصُودَةٍ؛ فَآيَةُ سُورَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الْوَقْفُ فِيهَا يَكُونُ عَلَى كَلِمَةِ ﴿وَالْمُؤْمِنَاتُ﴾ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثُوكُمْ﴾ [محمد: ١٩]، وَلَوْ وَقَفَ الْقَارِئُ عَلَى كَلِمَةِ ﴿إِلَهَ﴾ ؛ فَقَالَ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ﴾ ؛ لِأَوْهَمَ نَفْيِ الْأُلُوْهِيَةِ تَمَامًا؛ وَلِذَلِكَ لَا بَدَّ مِنْ إِكْمَالِ جَمَلَةِ الْقَصْرِ (النَّفْيِ وَالِاسْتِثْنَاءِ)؛ لِيَفِيدَ إِثْبَاتِ الْأُلُوْهِيَةِ وَقَصْرَهَا عَلَى اللَّهِ وَحْدَهُ، حَتَّى يَقِفَ عِنْدَ كَلِمَةِ ﴿وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾.

وَكَذَلِكَ الْحَالُ فِي آيَةِ آلِ عِمْرَانَ، ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾؛ فَتَمَامُ إِثْبَاتِ الْأُلُوْهِيَةِ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِإِكْمَالِ جَمَلَةِ الْقَصْرِ (النَّفْيِ وَالِاسْتِثْنَاءِ).

وَأَمَّا آيَةُ آلِ عِمْرَانَ ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾؛ فَإِنَّ نَطْقَ الْآيَةِ كَامِلَةٌ هُوَ الصَّوَابُ؛ لِأَنَّ الْقَوْلَ وَمَقُولَهُ: ﴿قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ مَنْسُوبٌ إِلَى آخِرِينَ (الْيَهُودِ)، وَهُوَ حِكَايَةُ كَلَامِهِمُ الْمُنْكَرِ، وَادِّعَائِهِمْ

(١) المرجع نفسه، ص ص. ١٣٩، ١٣٨.

الكاذب، ولو وقف القارئ على ﴿قَالُوا﴾ ، وابتدأ ب: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ لأوهم أنه كلامٌ تقريرى، وأنه يؤكد ويصدق، وهذا غير صحيح تمامًا.

وأما آيتا المائدة ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ [المائدة: ٧٣]، ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١٧]، فالآيتان تنفيان ادعاء التعدد في ذات الله - سبحانه - أو أنه هو المسيح، ولا بد من قراءتهما كاملتين؛ لينفي هذا الادعاء، ويرده على أصحابه الكافرين بسبب ادعائهم، ولأنه حكاية قول الذين كفروا، أمّا لو وقف القارئ على ﴿قَالُوا﴾ فيهما، وابتدأ في الأولى ب: ﴿إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ [المائدة: ٧٣]، وابتدأ في الثانية ب: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١٧]، لأوهم أن ذلك إقرارٌ بكون الله ثالث ثلاثة، أو أنه هو المسيح، ﴿سُبْحٰنَهُ وَتَعَالٰى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٤٣].

المبحث السابع - بيان وسائل إتقان الأداء الصوتي، وطرق علاج اللحن الأدائي

ذكر الصَّفَاقِسيُّ الوسائلَ التي تَمَكَّنُ القارئُ مِنْ إتقانِ الأداءِ السديدي؛ وتساعدُهُ في إصلاحِ أخطائه الأدائيَّة، وقد تنوَّعتْ بين الدرايةِ والروايةِ؛ وتلك الوسائلُ كالتالي:

١ - التلقِّي والمشافهة:

نبَّهَ الصَّفَاقِسيُّ على أهميةِ التلقِّي والمشافهةِ مِنْ أفواهِ المجيدين؛ ليجتمعَ مَعَ الدرايةِ دقَّةُ الروايةِ والتلقِّي، يقولُ في مقدمة كتابه: "وَلَا يَتِمُّ لَكَ النْفَعُ بِذَلِكَ إِلَّا بَعْدَ الرِياضَةِ وتكرارِ اللفظِ بَعْدَ التلقِّي مِنْ أفواهِ المتقنينَ قَبْلَكَ، مِنْ مَشايخِهِم المتقنينَ"^(١).

ويقولُ: "وَتُحَكِّمُ المِشافهةُ حَقِيقَتَهُ وَيُبَيِّنُ الأداءَ كِيفِيَتَهُ"^(٢).

٢ - تمييزُ الحروفِ ببيانِ مخرجِها وصفاتها:

وقد صَدَّرَ كتابه بـ "بابِ مَخارجِ الحروفِ وألقابِها وصفاتها"، بيَّنَ فيه ما يتعلَّقُ بتحديدِ المَخارجِ والصفاتِ إجمالاً، وجعلها توطئةً لهدفه في ذكرِ كلِّ حرفٍ مفصَّلاً ببيانِ مخرجِهِ وصفاتِهِ المستحقَّةِ له، والتنبيهِ على صورِ أدائيَّةٍ خاطئةٍ عندَ بعضِ القراءِ.

يقولُ - في المَقْدِمة -: "وَأَمْرُنَا بِتَجويدِهِ بِإِعْطاءِ كلِّ حرفٍ، بَعْدَ إِخْراجِهِ مِنْ مَخْرَجِهِ، ما يَسْتَحِقُّهُ مِنَ الصِّفاتِ، وما يَتَرْتَبُ عَلَى ذلكِ"^(٣).

ويقولُ: "قَدْ ذَكَرْنَا الحروفَ مَجْمَعَةً، ونذَكَرُها الآنَ مَفصَّلَةً، حرفاً بَعْدَ حرفٍ"^(٤).

وختَمَ تَفْصِيلَ الحروفِ بقوله: "وَإِذا عَلِمْتَ ما هُوَ الصَّوابُ مِنْ مَخْرَجِ الحرفِ،

(١) الصَّفَاقِسي، مرجع سابق، ص. ٣٠.

(٢) المرجع نفسه، ص. ١١١.

(٣) المرجع نفسه، ص. ٢٩.

(٤) المرجع نفسه، ص. ٤١.

وصِفَتِهِ فَجَمِيعُ مَا خَالَفَهُ خَطَأً^(١).

وهذا أهم طرق العلاج؛ إذ كل الوسائل الأخرى لا تُجدي نفعًا ما لم يكن القارئ متقنًا لكيفية الأداء وتجويد الحروف، وكأن الوسائل الآتية يُنبه بها من الغفلة من يتقن تجويد الحروف، لكنّه قد يشتهيه عليه بعض الأمور، فيرشد بذلك التنبيه إلى الصواب؛ ومن ثمّ فلا ينفَع غير المُجيد أو غير المُجوّد أن ننبهه بمثل الطرق الآتية في العلاج، ما لم يحمل نفسه على الإتقان والتجويد، لمخارج الحروف وصفاتها. وبهذا يتضح "أنّ قواعد النطق التي ابتكرها العرب من أجل القرآن بالذات.. ثمّ أخذتها عنهم شعوب الأرض من بعد.. كانت صمام الأمان من انحراف الألسنة"^(٢).

٣ - الاعتماد على اللغة والنحو:

يرى الصَّفَاقُسيُّ أنّ الأداء الصوتي المُتقَن، لا يتم على الوجه الأكمل، إلا إذا كان القارئ ملهمًا بالعربية، نحوًا، ولغةً، واشتقاقًا،... إلخ. وقد نبّه على ذلك بطرق كثيرة؛ حيث فسّر الأداء الصوتي الدقيق تفسيرًا نحويًا، أو معجميًا، أو اشتقاقيًا.

— فَمِنَ التفسيرِ النحويِّ قوله عَن إدغام اللام: "فإن قلت: الإدغام في نحو: ﴿أَرْسَلْنَا﴾ [البقرة: ١٥١]، وَ ﴿قُلْنَا﴾ [البقرة: ٣٤]، وَ ﴿وَدَلَّلْنَاهَا﴾ [يس: ٧٢]، وَ ﴿قُلْ نَعَمْ﴾ [الصفافات: ١٨]، مَمْنُوعٌ، وفي نحو: ﴿النَّظِيرِينَ﴾ [البقرة: ٦٩]، ﴿وَالنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٦١]، واجِبٌ، وفي كلّها نونٌ مفتوحةٌ، قبلها لامٌ ساكنةٌ فما الفرق؟ قلتُ: الفرقُ بينهما أنّ سكونَ اللام في القسم الأول عارضٌ؛ إذ هو فعلٌ ماضٍ، وهُوَ مَبْنِيٌّ عَلَى الفتحِ اتفاقًا، لكن لَمَّا اتَّصَلَ بِهِ ضميرُ الرفع البارزُ سَكَنَ تَخْفِيفًا"^(٣).

وتفسيرُ الصَّفَاقُسيِّ لوجوب الإدغام في بعض المواضع، ومنعه في بعضها الآخر،

(١) المرجع نفسه، ص. ٩٩.

(٢) عسر، مرجع سابق، ص. ١٤.

(٣) الصَّفَاقُسي، مرجع سابق، ص. ٧٧.

معتمداً على التفسير النحوي؛ حيث وجّه المسألة توجيهاً نحوياً، يبيّن أهمية معرفة القراء بالعربية؛ ليميزوا الخطأ من الصواب.

ويقول - في باب الوقف والابتداء -: "ومرجع هذا إلى فهم المعنى ومراعاة الأحكام النحوية... ولا يتمكّن القارئ من هذا إلا بمعرفة العربية؛ ولهذا كان تعلمها من أوكد ما عليه؛ لأن من لا يعرفها لا يوثق بعلمه، ولا يعول على رأيه وفهمه"^(١).

- ومن التفسير اللغوي قوله - عن الظاء -: "الأوّل العظيم نقيض الحقيق، وهو أبلغ من الكبير؛ لأنّ نقيضه صغير"^(٢).

وهو تفسير يبيّن الفروق بين الدلالات للكلمات القرآنية؛ مما يساعد القارئ على التمييز بين كلمات القرآن الكريم، ويعصمه من الخلط بينها، والخطأ في نطقها وأدائها. وقد فسّر الصفاقسي بعض الكلمات الواردة بالظاء في القرآن الكريم؛ ليميز معناها ويوضح أنّها لا تنطق بصوت آخر (الضاد)، وذلك في اثنين وعشرين موضعاً، ويبيّن اشتقاق بعض الكلمات بما يوضح أنّ فهم المعنى وراء بيان اشتقاق الكلمة.

- ومن أهم الوسائل الاستعانة بالاشتقاق^(٣):

اعتمد الصفاقسي في التفريق بين الأصوات الواردة في الكلمات على الاشتقاق يميّز به بين الكلمات، ويوضح اختلاف دلالاتها؛ فالاشتقاق يؤكّد الصلة التي بين الألفاظ، والأصل الذي ترجع إليه الفروع مَهْمَا تعددت^(٤).

ومن أمثلة الاستعانة بالاشتقاق: قول الصفاقسي في التفريق بين الظاء والضاد في كلمات القرآن الكريم: "الرابع عشر: النظر بمعنى الرؤية بعين الرأس، أو بعين القلب؛ جاء في كتاب الله - عزّ وجلّ - في أربعة وثمانين موضعاً، وهي - سوى

(١) المرجع نفسه، ص ١٣٠، ١٢٩، وينظر: الداني: التحديد، مرجع سابق، ص ١٧٦.

(٢) الصفاقسي، مرجع سابق، ص ٦٥.

(٣) ينظر في تعريفه - على سبيل المثال - السيوطي، مرجع سابق، ٣٤٦/١.

(٤) حسن، الاشتقاق، مرجع سابق، ص ٢٠٠.

ما تقدّم ذكره -: أوّلها قوله تعالى : ﴿ وَأَعْرَفْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾ [البقرة: ٥٠] بالبقرة، وآخرها: ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ [الغاشية: ١٧] — ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴾ [الغاشية: ١] ، وَلَا يَخْفَى أَنَّ بَعْضَهُ نَظْرٌ بِصَرٍّ؛ كقوله تعالى: ﴿ تَسْرُّ النَّظِيرِينَ ﴾ [البقرة: ٦٩] ، وبعضه للاستدلال، كقوله تعالى: ﴿ قُلْ أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [يونس: ١٠١] ، ... وَلَيْسَ مِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣] ، بِالْقِيَامَةِ، ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ نَضْرَةٌ وَسُرُورًا ﴿١١﴾ ﴾ [الإنسان: ١١] ، بِالْإِنْسَانِ، وَ ﴿ نَضْرَةٌ النّعير ﴿٢٤﴾ ﴾ [المطففين: ٢٤] ، بِالْمُطَفِّفِينَ، بَلْ هُوَ بِالضَّادِ السَّاقِطَةِ؛ لِأَنَّهُ مِنْ النُّضَارَةِ، أَي: الْحُسْنُ وَالْإِضَاءَةُ^(١).

واللغة تؤيد الصَّفَاقِسِيَّ فيما ذهب إليه؛ ففي مقاييس اللغة: "(نضر) النون والضاد والراء أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على حُسنٍ وجمالٍ وخلوصٍ. منه النَّضْرَةُ: حُسْنُ اللَّوْنِ... وَأَخْضَرُ نَاضِرٌ. ويُقالُ هذا في [كَلٍ] مشرقٍ حَسَنٍ. قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴾ [القيامة: ٢٢]"^(٢).

ولا تخفى أهمية الاشتقاق في التفريق بين الكلمات التي تتقارب حروفها، وهذه الطريقة في العلاج تفيّد مَنْ له تمكّنٌ في تجويد الأصوات، ومعرفة راسخة بكيفية أدائها على الوجه الأمثل، وإنما قد يقع له شُبْهَةٌ؛ تكون سبباً في غفلته عن الصواب. وهذه الطريقة مع سابقتها، تجمع بين الدراية والرواية؛ فكلُّها من أهمِّ طرق العلاج وأنجعها.

٤ — النصُّ على الألفاظ الواردة بصوتٍ مُعيَّنٍ؛ لتلاّ يلتبس بغيره:
لقد نصَّ الصَّفَاقِسِيُّ على الألفاظ الواردة في القرآن الكريم بالظاء، تفریقاً

(١) الصَّفَاقِسِي، مرجع سابق، ص. ٧٠، وينظر أمثلة أخرى ص ص. ٦٨-٧٢.

(٢) ابن فارس، مرجع سابق، ٤٣٩/٥.

بينها وبين الضاد؛ لئلا ينطقها قارئٌ بالضادِ خطأً، يقول: "اعلم... أن الألفاظ الواردة في القرآن العظيم بالطاء المشالة، ثمانمائة وثلاثة وأربعون، إن لم تعدّ ﴿بِضَيْنٍ﴾ [التكوير: ٢٤]، وأربعة وأربعون إن عددناها، في خمسة وثلاثين لفظاً، أو ستة وثلاثين"^(١).

والاختلاف في العدد راجع إلى أن كلمة ﴿بِضَيْنٍ﴾ وردت قراءتها بالضاد والطاء^(٢).

وهذه الوسيلة تكمل ما سبق من وسائل؛ لأنها إنما تفيده من يجيد نطق الحروف والأصوات؛ فهي تنبيه له من الغفلة.

٦ - التدرُّج في النطق الصحيح بالمرانة والتدريب: -

يقول الصفافسي عن - الضاد، وهو من أصعب الحروف على الألسنة -
:"فيجب على القارئ أن يروض لسانه على النطق بها على وجه الصواب؛ حتى يصير له سجيّة، لا يحتاج إلى كلفة، ويراعي وقت النطق بها جميع صفاتها، ومن لم يتكلف ذلك حتى يصير له طبعاً أتى بها على غير وجهها، ودخل الخلل في قراءته"^(٣).

وهذا يوضح سبق علماء التجويد؛ فما قدّمه الصفافسي هنا يُعدّ من منجزات العصر الحديث، التي توصل إليها العلماء المعنيون بتيسير طرق تعليم اللغات الأجنبية في الغرب^(٤).

وللوصول إلى الإجابة لا بُدّ من كثرة التمرّن؛ ومتابعة الأداء، إلى أن يستقيم

(١) الصفافسي، مرجع سابق، ص. ٦٥. وقد ذكرها ومواضع ورودها في القرآن الكريم كله؛ ليميز بينها وبين الضاد.

(٢) ينظر: الداني، جامع البيان، مرجع سابق، ص. ٧٧٢.

(٣) الصفافسي، مرجع سابق، ص. ٨٨.

(٤) ينظر: يوسف الخليفة أبو بكر، أصوات القرآن كيف نتعلمها ونعلمها، (الخرطوم: مكتبة الفكر الإسلامي، ١٣٩٢هـ = ١٩٧٣م ص. ٤٧.

ملايح الأداء الصوتي في كتاب "تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين عما يقع لهم من الخطأ حال تلاوتهم لكتاب الله المبين، دراسة وصفية

لسانُ القارئِ بالأصواتِ؛ حيثُ إنَّ التدريبَ المستمرَّ بإشرافِ المعلمِ المتمكِّن، يساعدُ القارئَ والمتعلِّمَ من تصويبِ أخطائه، وأداءِ أصواتِ اللغة، وأصواتِ القرآنِ الكريمِ أداءً سليماً^(١).

وهذا يوضِّحُ كيفَ أنَّ التدرِّبَ والتمرينَ يفضيان بالمتعلِّمِ إلى الإتيانِ مادامَ حريصاً عليه، وأنَّ ما لا يُتقَنُ من أوَّلِ الأمرِ يُدرِكُ بالمرانَةِ والصبرِ، وهي طريقةٌ مهمَّةٌ من طرقِ التعليمِ والتجويدِ، نَبَّهَ عليها الصَّفَّاقُسيُّ، وأشارَ إليها.

(١) المرجع نفسه، ص. ٤٩، وينظر: سعيده بن حمدة، دور المدارس القرآنية في تحسين الأداء اللغوي- مدرسة البيان لتحفيظ القرآن الكريم بوادي سوف عينة- مذكرة من متطلبات نيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي تخصص تعليمية اللغة العربية وتعلمها، (الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية: جامعة قاصدي مرباح ورقلة- كلية الآداب واللغات، ٢٠١٤ / ٢٠١٥م)، ص. ٣٨.

الخاتمة

- الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد،
- تناولت في هذا البحث ملامح الأداء الصوتي عند الصفاقسي في كتابه "تنبية الغافلين"، وقد تمثلت أهم النتائج فيما يأتي:
- ١ - المنهج التعليمي المعياري وراء كشف الصفاقسي عن الأخطاء الأدائية عند بعض القراء المعاصرين له.
 - ٢ - مُصطلحاً اللحن: " الخفي، والجلي " في أداء القرآن الكريم أخص من مُصطلح " اللحن " في اللغة.
 - ٣ - تنوعت أسباب وقوع بعض القراء في الأخطاء، ويأتي في مقدمتها عجمة بعض القراء، وتساؤل بعض القراء في ضبط الأداء الصوتي؛ لتأثرهم بالصور النطقية في لهجاتهم.
 - ٤ - لاختلاط العرب بالأعاجم أثر في اللحن الأدائي عند بعض القراء العرب.
 - ٥ - حوت بعض صور اللحن الأدائي مظاهر مختلفة للتحريف، مثل: كتابة الكلمة ورسمها في المصحف؛ بناءً على الخطأ الأدائي في نطقها، وكذلك اجتماع الخطأ الدلالي مع الخطأ الصوتي في الكلمة، وهي من أولى الصور بيان خطئها والتحذير منها.
 - ٦ - موافقة القراءات القرآنية التي لا يجيدها القارئ ليست حنأ، وإن عدَّ القارئ محطاً؛ لقراءته دون رواية.
 - ٧ - للسياق الصوتي أثر كبير في التغيرات الصوتية التي تصيب الأصوات اللغوية، في الصفات، أو الحروف؛ بسبب تجاورها في السياقات الصوتية المختلفة، أو في التركيب اللغوي؛ ومن ثمَّ يجب الحذر من هذه الصور الأدائية الخاطئة التي تنتج بسبب المجاورة الصوتية.
 - ٨ - الأخطاء الأدائية في الوقف والابتداء تحلُّ بالدلالة والمعنى المقصود.

٩ - تنوعت وسائل إتقان الأداء الصوتي، وطرق معالجة اللحن الأدائي، عند الصفاقسي، وفي مقدمتها: إجادة تمييز الحروف؛ بنطقها من مخارجها الصحيحة، وبصفاها المستحقّة لها، مشافهةً وتلقياً، روايةً ودرايةً، وكذلك الأخذ من اللغة العربية بنصيب وافٍ.

كما يمكن للبحث أن يوصي بما يلي:

١- إجراء دراسة تاريخية عن أهم المشكلات الصوتية، التي واجهت متعلمي العربية من غير الناطقين بها، عبر العصور المختلفة للعربية، من خلال ما ذكره العلماء في كتبهم، وبخاصة علماء التجويد والأداء.

٢- أهمية إجراء الدراسات التقابلية، بين أصوات اللغة العربية الفصحى، والأصوات في لغة من يريد تعلم العربية، من غير الناطقين بها؛ للوقوف على الاختلافات الصوتية بين اللغتين، وتقديم الحلول التي تساعد غير الناطقين بالعربية، في التغلب على المشكلات الصوتية التي قد يواجهونها في تعلم أصوات العربية.

المصادر والمراجع:

أولاً - المطبوعات:

- الألباني، محمد ناصر الدين. صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير). بيروت: المكتب الإسلامي، ط الثالثة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- الألباني، محمد ناصر الدين. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها. الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، من دون.
- بشر، كمال محمد. علم اللغة العام - الأصوات العربية. الناشر مكتبة الشباب، من دون.
- أبو بكر، يوسف الخليفة. أصوات القرآن كيف نتعلمها ونعلمها. الخرطوم: مكتبة الفكر الإسلامي، ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٣ م.
- جبل، محمد حسن حسن. المختصر في أصوات اللغة العربية - دراسة نظرية وتطبيقية. القاهرة: مكتبة الآداب، ط الرابعة، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.
- الجريسي، محمد مكي نصر. نهاية القول المفيد في علم تجويد القرآن المجيد. ضبطها وصححها وخرج آياتها عمر، عبدالله محمود محمد. بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣ م - ١٤٤٢ هـ.
- ابن الجزري، محمد بن محمد. التمهيد في علم التجويد. تحقيق د. البواب، علي حسين. الرياض: مكتبة المعارف، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
- ابن الجزري، أبو الخير محمد بن محمد دمشقي. النشر في القراءات العشر. أشرف على تصحيحه الضباع، علي محمد. بيروت: دار الكتب العلمية، من دون.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان. سر صناعة الإعراب. دراسة وتحقيق د. هندأوي، حسن. دمشق: دار القلم، ط الثانية، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.
- الجوهري، إسماعيل بن حماد. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. تحقيق أحمد عطار، عبدالغفور. بيروت: دار العلم للملايين، ط الرابعة، كانون الثاني/يناير ١٩٩٠.
- حسن، عبدالمنعم عبدالله. الاشتقاق اللغوي في البحر المحيط لأبي حيان - دراسة... ومعجم. ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.

حسن، عبدالمعتم عبدالله. مستويات التحليل اللغوي- دراسة نظرية وتطبيقية في سورة الفاتحة. القاهرة: مطبعة السعادة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكريا. معجم مقاييس اللغة. بتحقيق وضبط هارون، عبدالسلام محمد. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، من دون.

الحمد، غانم قدوري. الدراسات الصوتية عند علماء التجويد. عمان: دار عمار للنشر والتوزيع، ط الثانية، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف. تفسير البحر المحيط. دراسة وتحقيق وتعليق الشيخ عبد الموجود، عادل أحمد. الشيخ معوض، علي محمد. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

أبو حيان النحوي. كتاب الإدراك للسان الأتراك. مطبعة عامره، ١٣٠٩، من دون. الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد الأندلسي. التحديد في الإتقان والتجويد. دراسة وتحقيق د. الحمد، غانم قدوري، عمان: دار عمار، ٢٠٠٠م - ١٤٢١هـ.

الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد. جامع البيان في القراءات السبع المشهورة. تحقيق الجزائري، محمد صدوق. بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥م - ١٤٢٦هـ.

الراجحي، عبده. اللهجات العربية في القراءات القرآنية. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، ١٩٩٦، من دون.

الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني. تاج العروس من جواهر القاموس. مجموعة من المحققين، مطبعة حكومة الكويت.

الزركلي، خير الدين. الأعلام. بيروت: دار العلم للملايين، ط الخامسة عشرة، أيار/ مايو ٢٠٠٢.

السعيد، أبو الحسن علي بن جعفر بن محمد الرازي. كتاب التنبيه على اللحن الجملي واللحن الخفي، تقديم وتحقيق د. الحمد، غانم قدوري. (من دون).

سليم، عبدالفتاح. اللحن في اللغة مظاهره ومقاييسه. دار المعارف، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، القسم الأول، القسم الثاني.

- ابن سينا، رسالة أسباب حدوث الحروف. تحقيق الطيان، محمد حسان. ومير علم، يحيى. دمشق: دار الفكر، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر. الكتاب. تحقيق وشرح هارون، عبدالسلام محمد. القاهرة: مكتبة الخانجي، الرياض: دار الرفاعي، ط الثانية، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- السيوطي، عبدالرحمن جلال الدين. المزهر في علوم اللغة وأنواعها. شرح وتعليق جاد المولى بك، محمد. وآخرين، بيروت: المكتبة العصرية، ١٩٨٦، من دون. شاهين، عبدالصبور. في التطور اللغوي. مكتبة الشباب، ١٩٨٩، من دون.
- الصفاقسي، أبو الحسن النوري. تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين عما يقع لهم من الخطأ حال تلاوتهم لكتاب الله المبين. تقديم وتصحيح النيفر، محمد الشاذلي. المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، سبتمبر، ١٩٧٤، القاهرة: طبعة مكتبة الثقافة الدينية، من دون.
- الصيغ، عبدالعزيز. المصطلح الصوتي في الدراسات العربية. دمشق: دار الفكر، ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٧م.
- عبدالنواب، رمضان. التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه. القاهرة: الناشر مكتبة الخانجي، ط الثانية، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- عسر، عبدالوارث. فن الإلقاء. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٩، ط مزيدة.
- العطار، أبو العلاء الحسن بن أحمد الهمداني. التمهيد في معرفة التجويد. تحقيق د. الحمد، غانم قدوري. عمان: دار عمار، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- العقاد، عباس محمود. اللغة الشاعرة. القاهرة: نخضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٥م.
- علام، عبد العزيز أحمد. ومحمود، عبدالله ربيع. علم الصوتيات. المملكة العربية السعودية: مكتبة الرشد، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- علام، عبد العزيز أحمد. عن علم التجويد في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة. ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، من دون.

علام، عبدالعزيز أحمد. من التزمين في نطق العربية الفصحى بمصر المعاصرة. القاهرة: دار البصائر، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

عمر، أحمد مختار. دراسة الصوت اللغوي. عمان: عالم الكتب، ١٣٩٦هـ = ١٩٧٦م.

الفراهيدي، أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد. كتاب العين. تحقيق د. المخزومي، مهدي. ود. السامرائي. إبراهيم، دار ومطبعة الهلال، من دون.

القرطبي، عبد الوهاب بن محمد. الموضح في التجويد. تحقيق وتقديم د. الحمد، غانم قدوري. عمان: دار عمار، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

القيسي، أبو محمد مكّي بن أبي طالب. الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة. تحقيق د. فرحات، أحمد حسن. عمان: دار عمار، ط الثالثة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

كانتينو، جان. دروس في علم أصوات العربية. نقله إلى العربية وذيله بمعجم صوتي فرنسي - عربي صالح القرمادي، الجامعة التونسية: نشریات مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية ١٩٦٦.

الكتاني، عبد الحي بن عبد الكبير. فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشیخات والمسلسلات. باعثناء د. عباس، إحسان. بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط الثانية، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

كحالة، عمر رضا. معجم المؤلفين. بيروت: دار إحياء التراث العربي، من دون. مالمبرج، برتيل. علم الأصوات. تعريب ودراسة الدكتور شاهين، عبدالصبور. مكتبة الشباب، ١٩٨٧م، من دون.

محمود، عبدالله ربيع. الملايح الأدائية عند الجاحظ في البيان والتبيين. ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م، من دون.

المرعشي، محمد بن أبي بكر. جهد المقل. دراسة وتحقيق د. الحمد، سالم قدوري. عمان: دار عمار، ط الثانية، ١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨م.

مقديش، محمود. نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار. تحقيق الزواري، علي.

ومحفوظ، محمد. بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٨.
النعمي، حسام سعيد. أصوات العربية بين التحول والثبات. جامعة بغداد: وزارة
التعليم العالي والبحث العلمي، (سلسلة بيت الحكمة ٤).
هلال، عبدالغفار حامد. اللهجات العربية نشأة وتطورًا. القاهرة: مكتبة وهبة، ط
الثانية، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

وافي، علي عبدالواحد. اللغة والمجتمع. القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر، من دون.
ثانيًا - المجلات العلمية:

أبو عاصي، حمدان رضوان. "الأداءات المصاحبة للكلام وأثرها في المعنى"، مجلة
الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية) م. ١٧، ع. ٢، يونيو ٢٠٠٩،
ص ص. ٥٧-٩٠.

سالم، رشاد محمد. "الأداء الصوتي في العربية"، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية
والإنسانية، م. ٢، ع. ٢، ربيع الثاني ١٤٢٦ هـ، يونيو ٢٠٠٥ م، ص ص.
٢٠٩ - ٢٣٨.

بيومي، نشأت. "مفهوم الأداء اللغوي وتطبيقاته في تعليم العربية للناطقين بغيرها"،
جامعة السلطان زين العابدين، كلية الدراسات الإسلامية المعاصرة، مدينة
ترنجانو، ماليزيا.

رفاعي، عادل بن إبراهيم بن محمد. "أقوال العلماء الواردة في أن (القراءة سنة متبعة)
والأحكام المبنية على ذلك"، مجلة الجامعة الإسلامية - ع. ١٥٨، ص ص.
١٣١-١٨١.

ثالثًا - الرسائل العلمية: -

بن حمدة، سعيدة. دور المدارس القرآنية في تحسين الأداء اللغوي - مدرسة البيان
لتحفيظ القرآن الكريم بوادي سوف عينة - مذكرة من متطلبات نيل شهادة
الماستر في اللغة والأدب العربي تخصص تعليمية اللغة العربية وتعلمها. الجمهورية
الجزائرية الديمقراطية الشعبية: جامعة قاصدي مرباح ورقلة - كلية الآداب
واللغات، السنة الجامعية ٢٠١٤ / ٢٠١٥م.

ملايح الأداء الصوتي في كتاب "تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين عمّا يقع لهم من الخطأ حال تلاوتهم لكتاب الله المبين، دراسة وصفية

رباني، محمد شفاعت. الموضّح لمذاهب القراء في الفتح والإمالة أبو عمرو عثمان بن سعيد الأندلسي الداني. تحقيق ودراسة، رسالة ماجستير بالجامعة الإسلامية، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

الزهراني، سالم بن غرم الله بن محمد. غيث النفع في القراءات السبع. لأبي الحسن علي بن سالم بن محمد النوري الصفاقسي (ت ١١١٨هـ) - دراسة وتحقيق"، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى: كلية الدعوة وأصول الدين، ١٤٢٦هـ.

السليفاني، خالدة عمر سليمان علي. التوجيه اللغوي والنحوي للقراءات السبع في كتاب علي النوري الصفاقسي (ت ١١١٨هـ) "غيث النفع". رسالة ماجستير، جامعة الموصل: كلية الآداب، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

Bibliography

Firstly- the printed references: -

- Abdul-Taw'aab, Ramadan. Features, reasons and rules of linguistic development. Cairo: Al-khangy publishing house, 2nd edition, 1415-1995.
- Abo Hay'an An'ahawy. ketab al-edrak le-lesan al-atrak. matba`'t a`merah, 1309, men doon.
- Abu-Bakr, Yusuf Al-Khalefah'. How to learn and teach voices of Qura'n. Khartoum: the islamic thought publishing house, 1392=1973.
- Abu-Hay'an Al-Andalouisi, Muhammed Bin Yusuf. Tafseer albahr almuheet. Derasah' wa tahqeeq wa ta`leeq ash'aikh Abdul-Mawjood, Adel Ahmed. ash'aikh Mua`wad, Ali Muhammed. Beirut: dar alkotob al-elmeyah', 1413h- 1993m.
- Abul-Hussein, Ahmed bin Fares bin Zakareya. mo`jam maqayees alloghah', be-tahkeek wa dabt Haroun, Abdus`salam Muhammed. dar al-fekr let'ebaa` wa an`ashr wa at`awzee`, 1399h 1979m, men doon.
- Ad'ani, Abo Amr Osman bin Saeed Al-Andalousy. At'ahdeed fi al-itqan wa at'ajweed. Derasah' we tahqeeq d. Al-Hamd, Ghanem Qad'ouri, Amman: dar Abo Ammar. 2000-1421.
- Ad'ani, Abo Amr Osman bin Saeed. Jame' al bayan fi al-qera'at al sab' al mashhourah. Tahqeeq Al-Jazae'ri. Muhammed sadouq. Beirut: dar alkotob al-elmeyah', 2005-1426.
- Al-Albany, Muhammed Naser Ad'ean. Selselat al ahadeeth al saheha' wa shay' men feqheha wa fawaedeha. Riyadh: maktabat al ma'aref lel nashr wa al tawzea', 1415 h-1995m, men doon.
- Al-Albany, Muhammed Nasser Addin. Saheeh' Al-Jamea' al-Sagheer (the great conquest).Beirut: the Islamic office, 3rd edition, 1408-1988.
- Al-Aq'aad, Abbas Mahmoud. Poetical language. Cairo: Nahdetmisr for printing, publishing and distribution, 1995.
- Al-A'ttar, Abul-A'laa' al-Hassan bin Ahmed Al-hamdany. Al-tamheed fi ma'refat at'ajweed. Tahqeeq D/ Al-hamd, Ghanem Qad'ouri. Amman: dar Ammar, 1420h-2000m.
- Al-Faraheedi, Abo Abdul-rahman Al-khaleel bin Ahmed. Ketab al-e'an. Tahqeeq D/ Al-Makhzoumi, Mahdi. Wa D/ Ass'mer'ae'e, Ibrahim. Dar wa matbaa't al-helel, men doon.
- Al-gereisee, Muhammed Mekki Nasr, nehayat al-qawl al-mufeed fi elm at'tajweed al-majeed. dabataha wa sah`ahaha wa khar'aja ayataha Omar, Abudullah Mahmoud Muhammed. Beirut: dar al-kotob al-elmeyah', 2003m- 1442h.
- Al-Hamd. Ghanem Qad'ouri. Vocality studies of tajweed's scientists. Amman : Ammar publishing and distribution house.2nd edition, 1428-2007.

- Al-Johary, Isma'e'l bin Hammad. al-sah'ah taj alloghah' wa sah'ah al-arabeyah'. tahqeeq Ahmed Attar, Abdul_khafour. Beirut, dar al-elm lel-malayeen, at'abaa` arr'abea`, kanon ath'any/ yanayer 1990m.
- Al-Kettani, Abdul-Hay' bin Abdul-Kabeer. Fehres al fahares wal-athbat wa moa'jam al-maa'jem wal-mashyakhah wal-mosalsalat. be-ea'tenaa' D/Abbas, Ehsan. Beirut: dar al-gharb al-islamy, att'abaa' ath'aneyah, 1402h-1982m.
- All'am, Abdul-Azeez Ahmed. And Mahmoud, Abdullah rabe'e'. Phonetics. Kingdom of Saudi Arabia, Arr'oshd publishing house, 1425-2004.
- All'am, Abdul-Azeez Ahmed. At'ajweed in a view of new phonic studies. 1427-2006, without.
- All'am, Abdul-Azeez Ahmed. Tempo of classical Arabic speech in contemporary Egypt. Cairo : Al-Basae'r publishing house, 1428-2007.
- Al-Mara'shy, Muhammed bin Abi-bakr. johd al-moqal. derasah wa tahqeeq doctor. Al-Hamd, Salem Qad'ouri. Amman: dar Ammar, att'aba' ath'aneyah, 1429h=2008.
- Al-Qaisi, Abu Muhammed mekki bin abi Taleb. Al-rea'yah le tajweed al-qeraa'h wa tahqeeq lafz al-telawah'. Tahqeeq D/ Farahat, Ahmed Hassan. Amman: dar Ammar. att'ba'a ath'alethah', 1417h-1996m.
- Al-Qortobi, Abdul-wahhab bin Muhammed; al-mowad'ah fi elm at'ajweed. Tahqeeq wa taqdeem D/ Al-hamd Ghanem Qad'ouri. Amman: dar Ammar, 1421h-2000m.
- Al-Rajhi, Abdou. The Arabic accent in Qura'n's readings. Alexandria: the academic knowledge house for printing, publishing and distribution.1996, without.
- Al-Sae'e'di, Abul-Hassan Ali bin Jaa'far bin Muhammed Ar'azi. Kitab at'anbeih 'ala all'ahn al-jaly' wa allahn al-khafy', taqdeem wa tahqeeq d. Al-Hamd. Ghanem Qad'ouri.(men doon).
- Al-safakesy, Abo Al-Hassan An'oury. Tanbeeh al-khafelein wa ershad al-jahlein amma yaqa` lahom men al-khata` hal telawatehem le kitab Allah almobein. Taqdeem wa tasheah al-neifar, Muhammed Ash'azli. Al matbaa'h al-rasmeyah' lel-jomhoreyah att'onosey'ah, September, 1974, al-keherah: wa taba't maktabat al-thakafah ad-deny`ah, men doon.
- Al-Seyoty, Abul-Rahman Galalud`een. Al-mozher fi oloum alloghah wa anwao'ha. Sharh' wa tah`qeeq Gad Almawla bik, Muhammed. wa akhareen, Beirut: al maktabah' al asreyah', 1986m, men doon.
- Al-Zarkali, Khayr Ad'een. Proper nouns. Beirut: Dar Al Elm Lel Malayeen. . 15th edition, May 2002.
- An'aeemi, Hossam Saeed. Arabic voices among transformation and

- stability. Baghdad university: ministry of higher education and scientific research. (wisdom house series 4).
- Az'obaidi. Muhammed Mortada Al-Hussaini. Taj al-arous min Jawaher al-qamous. Majmoa'h min al-mohaq'eqen. Matba't hokomat al-Kuwait.
- Beshr, Kamal Muhammed. General Language Science – The Arabic voices. Publisher: youth publishing house, without.
- Hassan, Abdul-Mone'm Abdallah. Linguistic analysis levels - theoretical and applied study through Surat al-fatehah,. Cairo. Happiness printing house, 1408-1987.
- Hassan, Abdul-Mone'm Abdallah. The linguistic deriving in Al-Bahr Al-Muheet (Abo Hay'an)- a study... and a dictionary. 1413-199.
- Helal, Abdul-Ghaf'ar Hamed. Genesis and evolution of the Arabic accents. Cairo: Wahbah publishing house, 2nd edition, 1414/1993.
- Ibn Al-jazri, Abol-khair Muhammed bin Muhammed Ad'emashqi. Al-nashr fi al-qeraa't al-ashr. Ashraf ala tasheheh' ad'aba', Ali Muhammed. Beirut: dar al-kotob al elmeyah', men doon.
- Ibn Al-jazri, Muhammed bin Muhammed. Al-tamheed fi elm at'tajweed, tahqeeq D/ Al-Bawwab, Ali Hussein. Riyadh: maktabat al-maa' ref, 1405h-1985m.
- Ibn Jenni, Abol-fath' Osman. Serr senaa't al-ea'rab. Derasah wa tahqeeq d. Hendawy, Hassan. Demashq: dar al-qalam, att'abaa' ath'aneya', 1413h- 1993.
- Ibn Sina, resalat asbab hodouth al-horouf. Tahqeeq Att`ayyan, Muhammed Hass'an. Wa Meer Alam, Yahia. Damascus: dar al fekr, 1403h- 1983m.
- Jabal, Hassan Muhammed Hassan, the abbreviator in Arabic Language voices, theoretical and applied study. Cairo: literatures publishing house, 4th edition, 1427-2006.
- Kah'lah. Omar Reda. Authors' dictionary. Beirut: the Arabic tradition raise house,
- Kantino. Jan. Dros. Lessons about Arabic phonetics scince. Translated into Arabic with a French voiced dictionary – Araby Saleh Al-Qormadi, Tunisian University: CERES 1996.
- Mahmoud, Abdullah Rabee', performane features of indication by Al-Jahez. 1404/1984, without.
- Malmberg, Bertel. Phonetics. Arabized and studied by doctor Shaheen, Abdul-Sabour. Youth publishing house, 1987, without.
- Maqdeesh, Mahmoud. Nozhat al-anzar fi a'jae'b att'awareakh wal-akhbar. Tahqeeq Az'awawi, Ali. Wa Mahfouz, Muhammed. Beirut: dar al-gharb al-islami, 1988.
- Omar, Ahmed Mokhtar. The linguistic phoneme study. Amman. Books world, 1396=1976.
- Osr, Abdul-Wareth. Diction technique. General Egyptian Book organization, 2019,
- Seleim, Abdul-fatt'ah. Solecism in language; its features and quantifications. Al-ma'ref house, 1409-1989, 1st section, 2nd section.

Sebawayh', Abo Beshr Amr bin Osman bin Qonbor. Al kitab. Tahqeeq wa sharh' Haroun, Abdus'alam Muhammed. Al-qahera. Maktabat al-khangy, Riyadh: dar ar'efae'e, att'abaa' ath'aneyah', 1402h-1982m.

Shaheen, Abdul-Sabour. About the linguistic development. Youth publishing house, 1986, without.

The Forms. Abdul-Azeez. The phonic term in Arabic studies. Damascus, thought house. 1427=2007.

Wafi, Ali Abdul-Wahid. Language and society. Cairo: Nahdetmisr for printing and publishing, without.

Secondly- scientific reviews:

Abo A'si, Hemdan Radwan. " speech performances and its effect on the meaning", the Islamic university magazine (humaneness studies series) tome 17, 2nd issue. June 2009, pages 57-90.

Bay'oumi, nasha't. " the linguistic performance concept and its applications' role to teach Arabic language to non-arabic apeakers" Soltan Zain Al-A'bedeen university, modern Islamic stydies college, Trenjano city, Malaysia.

Refae'e, Adel bin Ibrahim bin Muhammed ", Islamic university magazine- 2nd issue, pages. 131-181.

Salem, Rashad Muhammed. "The Arabic phonic performance", Shajah university magazine for humaneness and legitimate sciences, tome 2, 2nd issue, Rabee' Ath'ani 1426. June 2005, pages 209-238.

Third- Dissertations:-

As'safaqesi, Abul-Hassan Ali bin Salem bin Muhammed ann'ouri. Ghayth al-nafa' fi al-qeraa't al-saba'. (1118)- derasah wa tahqeeq azz'ahrani, Salem bin Ghormallah bin Muhammed, resalat doctorah, jamea't om alqora: kolleyat al-daa'wah wa osoul add'een, 1426.

Ass'lefani, Khaleda Omar Ali Soliman. Grammatical and linguistic guidance to the seven qura'nic readings through Ali Annouri As'safaqesi's book (1118) (ghayth al-nafaa'). A master thesis, Mosul University: faculty of arts, 1425-2004.

Bin Hamdah', saeedah'. The Qura'nic schools' role to improve linguistic performance- al-Bayan school for memorizing the Holy Qura'n in Souf Aynah valley- a memoir to get the master in language and Arabic literature (specialization of teaching and learning Arabic language, People's Democratic Republic of Algeria, Qasedi Mortah Warqla University, faculty of Arts and Languages, academic year 2014/2015.

Rabbani, Muhammed Shafaa't. al-mowad'ah le mazaheb al-qorr'aa' fi al-fath' wal-emalah abo Amr Osman bin Saeed Al-Andalousi add'ani, tahqeeq wa derasah, resalat majestear bel-jameaa' al-islameyah (1410/1990).

ألفاظ الأطعمة في الشعر الجاهلي

دراسة لغوية ومعجم

Grammars of Foods in Pre-Islamic Poetry
Linguistic Study and Lexicon

د. ياسر الدرويش

أستاذ مشارك بعلوم اللغة بوحدة تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها

بجامعة الملك خالد

البريد الإلكتروني: Yhmd72@gmail.com

المستخلص:

تقوم نظرية الحقول الدلالية على تقسيم الألفاظ اللغوية على أساس تشابُه مفرداتها، فتسلك كل مجموعة من الألفاظ في بابٍ واحدة، وتحت حقل دلالي واحد، ومن هنا وُجدت فكرة هذا البحث الذي جمع ألفاظ الأُطعمة في الشعر الجاهلي. يهدف البحث إلى وضع معجم لغوي في حقل دلالي واحد، هو ألفاظ الأُطعمة التي وردت في الشعر الجاهلي، معتمداً على مصادر متنوعة من معاجم اللغة قديمها وحديثها؛ بغرض التعريف بهذه الألفاظ المجموعة المستخرجة من مدونة الشعر الجاهلي، ودراستها من الناحية اللغوية لبيان الحقل الدلالي الخاص بكل مفردة، وتمييز العربي من المعرَّب، وبيان أنواع الأُطعمة وحقولها الدلالية وصلة ذلك بحياة الشاعر الجاهلي وبيئته.

Abstract:

The theory of semantic fields is based on the division of linguistic words based on the similarity of its vocabulary, so that each group of words proceeds in one chapter, and under one semantic field

Hence, the idea of this research, which collected the grammars of foods in pre-Islamic poetry.

The research aims to devise a linguistic lexicon in a distinct semantic field, which is the grammars of foods that were mentioned in pre-Islamic poetry, relying on a variety of sources from the ancient and modern lexicons; In order to define these grammars extracted from the pre-Islamic poetry, and study them linguistically, to demystify the semantic field of each word, distinguish the originally Arabic ones from the Arabized, and to determine the types of foods and their semantic fields, and their relationship to the life of the pre-Islamic poet and his environment.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحابه أجمعين.

أما بعد، فإن الشعر ديوان العرب، فهو حافظ تاريخهم ومآثرهم ومواقعهم وأخبارهم، وعليه العُمدة في معرفة أحوال العرب، ولا سيما في عصر ما قبل الإسلام، إذ لم يكن ثمة كتب ولا تدوين ولا علماء، إنما هو الشعر فحسب؛ ولهذا فإن الشعر الجاهلي مدونة عظيمة، وتفتح الباب لمشروعات عظيمة، لغوية وأدبية وأنثروبولوجية وبليوغرافية ولسانية وتاريخية وجغرافية... ومصدق ذلك أنني نشرت بحوثاً عدة تعتمد على هذه المدونة، كمعجم النبات في الشعر الجاهلي، ذكرت فيه النباتات التي وردت في شعر شاعر واحد، وتحققت من ارتباطها ببيئة الشاعر، وتمييز العربي منها من المعرب، وبيان ما ينبت في أرض الجزيرة وما ينبت خارجها. ونشرت بحثاً آخر عن فوائت المعاجم من الشعر الجاهلي، ذكرت فيه كلمات وردت في شعر شاعر جاهلي خلّت منها المعاجم العربية القديمة.

وهذا البحث من ثمار جمع مدونة الشعر الجاهلي، إذ يبحث في ألفاظ الأطعمة الواردة في شعر ما قبل الإسلام (الجاهلي)، وفيه يمكن معرفة الأطعمة التي كانت سائدة في بيئة العربي في العصر الجاهلي، ويمكن التمييز بين العربي منها وغير العربي بالبحث في كتب اللغة ومعاجمها التي اهتمت بالمعرب؛ لتمييز الأطعمة التي عرفها العرب في بيئتهم وصحاريهم وبواديهم، وبين الأطعمة عرفوها عن طريق الأمم الأخرى، وسمعوا بها وتناقلوا اسمها وإن لم يروها، ويمكن أن نضيف عاملاً مهماً يتعلق ببعض الشعراء الجاهليين الذين عُرف عنهم تنقلهم بين البلدان، وسفرهم خارج الجزيرة العربية، مثل امرئ القيس الذي ارتحل إلى بلاد الروم طلباً للملك الضائع، وعدي بن زيد العبادي الذي كان يتردد على بلاط الفرس، والنابعة الذبياني وغيرهما...

ومن أهداف البحث أن يضع معجمًا لغويًا في حقل دلالي واحد، هو ألفاظ الأطعمة التي وردت في الشعر الجاهلي، مُعتمِدًا على مصادرٍ متنوعةٍ من معاجم اللغة القديمة والحديثة في التعريف بالأطعمة التي وردت في الشعر الجاهلي.

الدراسات السابقة:

بعد التقصي والتحري حول موضوع البحث وجدت الدراسات التالية التي تقترب من موضوع البحث ولا تتطابق معه:

١. أفعال الطعام، نسقية المعجم بين التصور والاستعارة، سرور الحشيشة، كلية الآداب بجامعة صفاقس. وهي دراسة لسانية بحثية، لا تتعلق بالشعر الجاهلي وليست مرتبطة بمدونة معينة، وتنطلق من تحليل بعض الألفاظ المتعلقة بالطعام تحليلًا لسانيًا يتناول الدلالة الحورية والدلالة التصويرية...
٢. الأطعمة في كتاب المسعودي (مروج الذهب ومعادن الجوهر) دراسة لغوية ودلالية، غزل بارودي، جامعة البعث، سوريا، مجلة الذاكرة، ورقلة، الجزائر. وهذه الدراسة تتناول ألفاظ الأطعمة التي جمعها الباحثة من كتاب واحد، هو كتاب مروج الذهب المؤلف في القرن الرابع الهجري، إذ شهد العصر العباسي انفتاحًا واسعًا على الأمم الأخرى، وانتقلت إلى المجتمع العباسي أطعمة كثيرة جدًا، وهذا بعيد عن بيئة العصر الجاهلي الذي نبهته، ويتصف بشطف العيش وقفر المائدة.
٣. ألفاظ الأطعمة والأشربة في الشرق الجزائري، دراسة في ضوء اللسانيات الجغرافية، إبراهيم براهمي، مجلة الثقافة الشعبية، الجزائر. وهي دراسة لسانية تمتد على بقعة جغرافية محددة، ينتمي إليها الباحث، وتتضمن أسماء أطعمة جزائرية معرفة بألفاظ العامية الجزائرية، حاول فيها تأصيل هذه الألفاظ، وبيان دلالتها اللغوية والاجتماعية.
٤. ألفاظ الأطعمة في (معجم الطراز الأول والكناز لما عليه من لغة العرب من المعول) لابن معصوم، دراسة تأصيلية، مشعل بن عبد الله الهرف، مجلة جذور. وهذه الدراسة تتناول ألفاظ الأطعمة التي جمعها الباحث من كتاب واحد، هو

- معجم الطراز، وبحث في أصول ألفاظ الأطعمة الواردة في هذا الكتاب ومنشئها، وأعرابية هي أم معربة؟
٥. ألفاظ الطعام في المعجم العربي القديم، شوقي المعري، مجلة للتعريب. استعرض الباحث مجموعة من الألفاظ التي تدور في حقل الأطعمة والأشربة وفق حقول دلالية مخصصة لكل لفظ، مثل: ما طُبَّخ فيه الحبوب، ما طَبَّخ فيه الجراد، ما طُبَّخ بالزيت... وأشار إلى ما يزال مستعملاً إلى اليوم.
٦. العرب والدخيل في ألفاظ الأطعمة والأشربة دراسة ومعجم، سليمان السحيباني، مجلة العلوم الشرعية واللغة العربية. وهي دراسة محددة الهدف، يقصد الباحث من ورائها إلى دراسة مجموعة من الألفاظ المتعلقة بالأطعمة الواردة في كتب العرب والدخيل، ككتاب الجواليقي والخفاجي والمحيي، وبين أصل الألفاظ المعربة إلى اللغات التي دخلت منها إلى العربية، ثم رتبها معجمياً في نهاية البحث.
٧. مصطلحات الأطعمة في العامية الجزائرية وصلتها بالعربية الفصحى، د. عبد الكريم عوفي، مجلة اللسان العربي، الجزائر. وهو بحث مشابه لبحث مواطنه إبراهيم براهمي صاحب بحث (ألفاظ الأطعمة والأشربة في الشرق الجزائري، دراسة في ضوء اللسانيات الجغرافية)، والفرق بينهما أن البحث الأول لساني جغرافي، وبحث الدكتور عوفي بحث يتناول ألفاظ الأطعمة في العامية الجزائرية دراسة لغوية دلالية، إذ يعرض للفظ في العامية الجزائرية، ثم يؤصل له في المعاجم القديمة.
٨. الغذاء والدواء في الموروث الفكري، سليمى محبوب، مجلة التراث العربي. وهو بحث بعيد قليلاً عن مجال بحثنا، ذلك أنه يستهدف في المقام الأول ما يتعلق بالأدوية من ألفاظ مستقاة من الكتب المختصة، ككتاب الجامع لمفردات الأدوية والأغذية لابن البيطار، ولا يستند إلى مدونة محددة.

منهج البحث وآلياته:

يعتمد هذا البحث على الاستقراء والتقصي لمدونة البحث، ثم جمع عينات المدونة ومفرداتها ووصفها وتحليلها. وقد استخرجت ألفاظ الأطعمة من دواوين الشعر الجاهلي، ثم رتبها ألفبائياً، ثم شرحتها على طريقة المعاجم، ثم أوردت البيت أو الأبيات التي وردت فيها هذه المفردة من الشعر الجاهلي.

مدونة البحث:

مدونة البحث وميدانه الشعر الجاهلي الذي لبثت أزيد من ثماني سنوات في جمع دواوين الشعراء الجاهليين المطبوعة وغير المطبوعة، المجموعة وغير المجموعة، بكل نشراتها وطبعاتها، مع مستدركاها المنشورة في المجلات العلمية على امتداد العالم العربي، ومن بطون كتب اللغة والأدب والتراجم والتاريخ... مما لم يرد في ديوان مطبوع، ولا شعر مجموع.

وبعد أن اكتملت لدي مدونة الشعر الجاهلي، رحلت أقلب فيه النظر، وأضع فهارس للموضوعات، كبر بعضها حتى صار كتاباً قائماً بذاته، وبعضها صغير يصلح بحثاً كهذا.

يُقسم هذا البحث إلى قسمين: دراسة ومعجم. أما الدراسة فتقسم إلى مبحثين:

المبحث الأول: الحقول الدلالية لألفاظ الأطعمة الواردة في الشعر الجاهلي.

المبحث الثاني: المعرب والأعجمي من ألفاظ الأطعمة الواردة في الشعر الجاهلي.

وأما المعجم فيتضمن قائمة بألفاظ الأطعمة الواردة في الشعر الجاهلي، مرتبة

ترتيباً ألفبائياً.

القسم الأول: الدراسة

- الحقول الدلالية لألفاظ الأطعمة الواردة في الشعر الجاهلي:

ونحن هنا نتحدث عن ألفاظ الأطعمة دون الأشربة، فلها بحث آخر، وتشتمل ألفاظ الأطعمة على تسعة حقول دلالية، هي: اللحم والدسم، القمح ومشتقاته، التمر، الحليب ومشتقاته، الخضراوات والفواكه، التوابل، الطبخ والإدام، الحلويات، ألفاظ أخرى.

١ - اللحم والدسم (٢٦ لفظاً):

١. (أهل): الإهالة: الشحم والزيت وكل ما أؤتدم به.

قال عمرو بن قميئة (١):

فَتُصْبِحُ فِي الْمِحْلِ مُحَوَّرَةً لِقَيْءِ إِهَالَتِهَا كَالظَّلَالِ

٢. (جميل): الجميل: الشحم المذاب.

قال أبو بئينة الهذلي (٢):

لِقِطْعَةِ أَيْرِهِ وَخِصْيَيْهِ وَقَالُوا حَبْنًا رِيحُ الْجَمِيلِ

٣. (حنب): الحنّب: الشواء الذي لم ينضج ثم أعيد فتدخن ففسد.

قال عبید بن الأبرص (٣):

فَلْتَعْرِفِ الْقَيْنَاتُ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ وَشَرَابُهُمْ ذُو فَضْلَةٍ وَمُحْنَبُ

٤. (حنذ): شاة حنيد: مشوية على حجارة محماة، وقد حنذها يحنذها حنذاً
وتحنذاً.

قال علقمة (الفحل) بن عبدة التميمي (٤):

(١) ديوانه، تحقيق حسن كامل الصيرفي ٥٧.

(٢) شرح أشعار الهذليين، الحسن بن الحسين السكري، تحقيق عبد الستار الفراج ٧٣٢٢/٢.

(٣) ديوانه، تحقيق حسين نصار ٤.

(٤) ديوان علقمة الفحل بشرح الأعلام الشنتمري، تحقيق لطفي الصقال ودرية الخطيب ٩٧.

فَظَلَّ الْأَكْفُ يُخْتَلِفْنَ بِحَانِدٍ إِلَى جُوجُؤٍ مِثْلِ الْمَدَاكِ الْمَخْصَّبِ

قال تَبَعُ الْأَقْرَنُ الْحَمِيرِي (١):

فلقد أَحَمَّ اللحمُ فيها بُرْهَةً وحنذتُ لَمَّا أن أصَلَ فَصِيدَا

٥. (حوت): الحُوت: السَّمَكَةُ، وِجْنَسٌ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ النَّدِييَةِ مِنْ رُتْبَةِ الْحَيْتَانِ.

قال بِشْرُ بْنُ أَبِي خَازِمٍ (٢):

فَقَدَّ أَرَانِي بِبَانِقِيَاءَ مُتَكَيِّمًا يَسْعَى وَلِيدَانِ بِالْحَيْتَانِ وَالرُّعْفِ

قال أسعد بن حسان الحميري (٣):

فلو رجلاً خادعته لخدعته ولكنما حُوتًا بِدَحْنَا أَقَامِسُ

قال زيد بن عمرو بن نُفَيْلٍ (٤):

وأنت بفضلٍ منك نَجَّيتَ يونسًا وقد بات في أضعاف حوت لياليا

قال عبد الله بن العجلان النهدي (٥):

كَأَنَّ فَوَادَهُ كَفَا غَرِيْقٍ تَنَازَعَهُ بِشَطِّ الْبَحْرِ حُوتٌ

قال عَبِيدُ بْنُ الْأَبْرَصِ (٦):

من الحوتِ الذي في بُحْرِ يُجِيدُ السَّبْحَ فِي اللَّجَجِ الْمَغَاصِ

قال عَبِيدُ بْنُ الْأَبْرَصِ (٧):

وَبَاصٍ وَلاَصٍ مِنْ مَلْصَى مِلاصٍ وَحُوتُ الْبَحْرِ أَسْوَدُ ذُو مِلاصٍ

(١) شعراء حمير، أخبارهم وأشعارهم في الجاهلية والإسلام، صنعة د. مقبل التام عامر الأحمدى

.٧٢/٣

(٢) ديوانه، تحقيق عزة حسن ١٥٩.

(٣) أشعار الشعراء الجاهليين من غير أصحاب الدواوين في كتاب الأغاني للأصبهاني، توفيق الجبوري

.٦٤٣/٢

(٤) زيد بن عمرو بن نفيل حياته وما تبقى من شعره، أيهم عباس القيسي ٩٢.

(٥) ديوانه، تحقيق إبراهيم صالح ١٨.

(٦) ديوانه، تحقيق حسين نصار ٧٧.

(٧) ديوانه، تحقيق حسين نصار ٧٧.

٦. (حور): الحائر: الدسم.

قال سبرة بن عمرو الفقعسي (١):

وإِنَّا لَتَقْرِي الضَّيْفَ فِي لَيْلَةِ الشِّتَا عَظِيمِ الْجِفَانِ فَوْقَهُنَّ الْحَوَائِرُ

قال وهب بن عبد بن قصي (٢):

فَظَلَّ الْقَوْمُ بَيْنَ مُكَلَّلَاتٍ مِنَ [الشَّيْزَاءِ] حَائِرَهَا يَفِيضُ

(خزر): الخزيرة والخزير: لحم يُقَطَعُ قِطْعًا صِغَارًا، ثُمَّ يَطْبَخُ بِمَاءٍ كَثِيرٍ وَمِلْحٍ، فَإِذَا نَضَجَ دُرٌّ عَلَيْهِ الدَّقِيقُ.

قال الأسود بن يعفر النهشلي (٣):

فَتَجْعَلُ أَيْدِي فِي حَنَاجِرٍ أَقْنَعَتْ لِعَادَتِهَا مِنَ الْخَزِيرِ الْمَعْرُوفِ

٧. (دسم): الدَّسَمُ: دُهْنُ اللَّحْمِ، وَالشَّحْمُ، وَاللَّحْمُ.

قال قيس بن بُجْرَةَ الْأَسَدِيِّ (٤):

وَلَا يَجِيءُ دَسَمٌ عَلَى يَدِي

قال عمرو بن قَمَيْثَةَ (٥):

إِنْ مِنَ الْقَوْمِ مَنْ يُعَاشُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ تَرَى بِهِ دَسَمًا

٨. (سدف): السَّدِيفُ: السَّنَامُ.

قال حاتم الطائي (٦):

أَلَمْ تَعَلَّمِي أَيُّ إِذَا الضَّيْفُ نَابَنِي وَعَزَّ الْقَرَى أَقْرِي السَّدِيفَ الْمِسْرَهْدَا

قال طَرْفَةَ بْنِ الْعَبْدِ الْبَكْرِيِّ (٧):

(١) ديوان بني أسد، محمد علي دقة ٦٧/٢.

(٢) شعر بني كنانة في الجاهلية وصدر الإسلام جمعًا وتحقيقًا ودراسة، إبراهيم النعانة ٥٨٥.

(٣) ديوانه، صنعة نوري حمودي القيسي ٥٠.

(٤) الصبح المنير في شعر أبي بصير، مطبعة آذلف هلز هوسن ٢٦٩.

(٥) ديوانه، تحقيق حسن كامل الصيرفي ٥٢.

(٦) ديوان شعر حاتم بن عبد الله الطائي وأخباره، تحقيق د. عادل سليمان جمال ٢١٨.

(٧) ديوانه، تحقيق درية الخطيب ولطفي الصقال ٧٤.

بِحِفَانٍ تَعْتَرِي نَادِيَنَا مِنْ سَدِيفٍ حِينَ هَاجَ الصَّنْبِيرُ
قال امرؤ القيس بن حجر الكندي (١):
تُدار عَلَيْنَا بِالسَدِيفِ صَحَافِنَا وَيُؤْتِي إِلَيْنَا بِالْعَبِيْطِ الْمَثْمَلِ
قال طرفة بن العبد البكري (٢):
فَظَلَّ الْإِمَاءُ يَمْتَلِلْنَ حُورَاهَا وَيُسْعَى عَلَيْنَا بِالسَدِيفِ الْمِسْرَهْدِ
قالت عمرة بنت زيد الخولانية (٣):
قَدْ كَلَّلَتْ بِسَدِيفٍ فَوْقَ ذُرُوتِهَا كَأَنَّ أَشْرَافَهَا مِنْ تَحْتِهَا الْأَبْلُ
قالت الفارعة بنت شداد المرية (٤):
مَنْ لَا يُدَابُّ لَهُ شَحْمُ السَدِيفِ وَلَا يَجْفُو الْعِيَالُ إِذْ مَا ضَنَّ بِالزَّادِ
قال شتيم بن حويلد الفزاري (٥):
هُمُ الْمَطْعِمُونَ سَدِيفَ الْعِشَارِ وَاللَّحْمَ فِي اللَّيْلَةِ الْبَارِدَةِ
قال محلم بن فراس الضبي (٦):
وَمَنْ فَيَّ يَمْلَأُ الشَّيْزَى مَكَلَّلَةً شَحْمَ السَدِيفِ نَدِي الْحَمْدِ مِطْعَامِ
قال حجر بن خالد التغلبي (٧):
وَيَحْتَلِبُ ضِرْسُ الضَّيْفِ فِينَا إِذَا شَتَا سَدِيفَ السَّنَامِ تَسْتَرِيهِ أَصَابِعُهُ
قال مطرود بن سعد الخزاعي (٨):

-
- (١) ديوان امرئ القيس، صنعة حسن السندوي، المطبعة الرحمانية ٩٦.
 - (٢) ديوانه، تحقيق درية الخطيب ولطفي الصقال ٥٦.
 - (٣) شعر وشعراء اليمن في الجاهلية، محمد حسين الفرخ ٢٥٨.
 - (٤) شعر قبيلة ذبيان في الجاهلية جمع وتحقيق ودراسة، سلامة السويدي ٥١١.
 - (٥) شعر قبيلة ذبيان في الجاهلية جمع وتحقيق ودراسة، سلامة السويدي ٣٨٩.
 - (٦) قبيلة ضبة أخبارها وأشعارها في الجاهلية وصدر الإسلام، عبد اللطيف حمودي الطائي ٢٢٤.
 - (٧) شعر قبيلة بكر بن وائل في الجاهلية وصدر الإسلام جمع وتحقيق ودراسة، عبد الله جبريل مقداد ٥٢٧.
 - (٨) مجموع أشعار اليمن في الجاهلية والإسلام، عثمان الراوي ٥١.

ويكللون جفانهم بسديفهم حتى تغيب الشمس في الرجاف

قال مالك بن أبي كعب الخزرجي (١):

يُطافُ عليهم بالسديفِ وعندهم قِيانٌ يُلهيَنَ المَزهَرَ بالضربِ

قال بشر بن أبي خازم (٢):

تَرى وَدَكَ السديفِ على لِحاهمِ كَلونِ الرِاءِ لَبَدَهُ الصقيعُ

قال تَابَط شَرًّا (٣):

أولئك أعطى للولائدِ خِلفَةً وأدعى إلى شَحْمِ السديفِ المَرعَبِلِ

قال صيفي الأسلت (٤):

تُقَطِّعُ أرحامًا ومُهَلِّكُ أمةً وتبري السديفَ من سنامِ وغاربِ

٩. (سلو): السلوى: طائرٌ نحو الحمامة.

قال السموأل (٥):

ألَسنا بَنِي السَلوى مَعَ المَرِّ والأذي هُم فَجَرَ الصَّوانُ عَذبَ المِناهِلِ

١٠. (سمحق): السماحيق: شحم رقيق يكون على ثرب الشاة.

قال طرفة بن العبد البكري (٦):

إِنَّا إِذا ما العَيمُ أمسى كَأَنَّهُ سَمَاحيقُ ثَرِبٍ وهِيَ حَمراءُ حَرَجَفُ

١١. (سنم): السنم: كُتَل من الشَّحْمِ مَحْدَبَةٌ على ظَهرِ البَعيرِ والناقَةِ.

قال حاتم الطائي (٧):

(١) أشعار الشعراء الجاهليين من غير أصحاب الدواوين في كتاب الأغاني للأصبهاني، توفيق

الجبوري ٢٢٥.

(٢) ديوانه، تحقيق عزة حسن ١٣٤.

(٣) ديوانه، جمع وتحقيق وشرح علي ذو الفقار شاعر ١٧٢.

(٤) ديوانه، تحقيق حسن محمد باجودة ٦٦.

(٥) ديوان السموأل، تحقيق د. واضح الصمد ١٢٥.

(٦) ديوانه، تحقيق درية الخطيب ولطفي الصقال ١٣٦.

(٧) ديوان شعر حاتم بن عبد الله الطائي وأخباره، تحقيق د. عادل سليمان جمال ٢٨٧.

فأطعمته من كَبْدِهَا وسنامها شواءً وخيرُ الخيرِ ما كانَ عاجلَةً
قال أوس بن حَجْر (١):

المطعمُ الحيَّ والأمواتَ إن نزلوا شَحَمَ السنامِ من الكومِ المقاحيدِ
قال حجر بن خالد التغلبي (٢):

وَيَحْلِبُ ضِرْسُ الضَّيْفِ فِينَا إِذَا شَتَا سَدِيفَ السَّنَامِ تَسْتَرِيهِ أَصَابِعُهُ
قال طُقَيْلِ العَنَوِي (٣):

نَشُقُّ العِهَادَ الحَوَّ لَمْ تُرْعَ قَبْلَنَا كَمَا شُقُّ بِالموسَى السنامُ المَقْلَعُ
قال طُقَيْلِ العَنَوِي (٤):

وَحَمَلْتُ كُورِي خَلْفَ نَاجِيَةٍ يَقْتَاتُ شَحَمَ سَنَامِهَا الرَحْلُ
١٢. (شحم): الشَّحْمُ: مادة دُهنية تُستخرج من الحَيوان وَغَيْرِهِ.
قالت جنوب الهذلية (٥):

أطعمتَ فيها على جوعٍ وَمَسْعَبَةٍ شَحَمَ العِشَارِ إِذَا مَا قامَ باغيها
قال زينب بنت فروة التميمية (٦):

خراعيب يمؤودُ كأن شباها سداثم شحمٍ أو أنايبُ عنقرٍ
قال ربيعة بن حوط (٧):

فَبَدَأَتْهُ بِالمَحْضِ ثُمَّ تَنَيْتُهُ بِالشَّحْمِ قَبْلَ مُحَمَّدٍ وَزِيَادِ
قال زُهَيْرِ بن أَبِي سُلمى (٨):

-
- (١) ديوان أوس بن حَجْر، تحقيق محمد يوسف نجم ٢٥.
 - (٢) الشعر الجاهلي في أرض العجم جمع وتوثيق ودراسة، ناصر الطميري ٥٢٧.
 - (٣) ديوانه، حسن فلاح أوغلي ١١٨.
 - (٤) ديوانه، حسن فلاح أوغلي ١٣٧.
 - (٥) ديوان الهذليين، دار الكتب المصرية ١٢٦/٣.
 - (٦) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، بشير يموت ٩٥.
 - (٧) شعر قبيلة أسد وأخبارها في الجاهلية والإسلام، وفاء فهمي السنديوني ٢٧٥.
 - (٨) ديوانه، صنعة أبي العباس ثعلب، تحقيق فخر الدين قباوة ٢٣٨.

فَلَا تُحَسِّبِي يَا بَنَ أَزْمَ شَحْمَةً تَعَجَّلَهَا طَاهٍ بِشَيٍّ مُلْهَوَجٍ

قال قيس بن بجر الأسدي (١):

قولاً كشحم الإرة المسرهه

قال أوس بن حجر (٢):

المطعم الحيّ والأموات إن نزلوا شحم السنم من الكوم المقاحيد

قالت الفارعة بنت شداد المري (٣):

من لا يذاب له شحم السديف ولا يجفو العيال إذ ما ضن بالزاد

قال طرفة بن العبد (٤):

نُقلٌ للشحم في مشتاتنا نُحْرٌ للنيب طرادو القرم

قال أحيحة بن الجلاح (٥):

والمطعمو الشحم في الجفان إذا هبت رياح الشتاء والفز

قال الأسود بن يعفر النهشلي (٦):

وإننا لنقري حين نحمد بالقرى بقايا شحوم الآبيات المفارق

قال حاجب بن زرارة (٧):

ولكنني لا أبعث الحرب ظالماً ولو هجتها لم ألف شحمة أكل

قال مجلم بن فراس الضبي (٨):

ومن فني يملأ الشيزى مكللة شحم السديف ندي الحمد مطعام

(١) الصبح المنير في شعر أبي بصير، مطبعة آذلف هلز هوسن ٢٦٩.

(٢) ديوان أوس بن حجر، تحقيق محمد يوسف نجم ٢٥.

(٣) شعر قبيلة ذبيان في الجاهلية جمع وتحقيق ودراسة، سلامة السويدي ٥١١.

(٤) ديوانه، تحقيق: درية الخطيب ولطفي الصقال ١١٧.

(٥) الشعراء الجاهليون الأوائل، عادل الفريجات ٤٤٢.

(٦) ديوانه، صنعة نوري حمودي القيسي ٥٥.

(٧) شعر بني تميم في العصر الجاهلي جمع وتحقيق، عبد الحميد المعيني ٣٣٠.

(٨) قبيلة ضبة أخبارها وأشعارها في الجاهلية وصدر الإسلام، عبد اللطيف حمودي الطائي ٢٢٤.

قال الحارث بن أمية الأصغر (١):
يروخ كأنه أشلاء سوطٍ وفوق جفانه شحمٌ زكامٌ
قال امرؤ القيس بن حجر الكندي (٢):
يطلُّ العذارى يرتمين بلحمها وشحم كهداب اليمقس المقتل
قال بشامة بن الغدير المري (٣):
فلين ظفرتهم بالخصام ليمولكم فكان كشحمة القلع
قال تأبط شرًا (٤):
أولئك أعطى للولائد خلفه وأدعى إلى شحم السديف المرعبل
قال جنوب الهذلية (٥):
أطعمت فيها على جوع ومسغبة شحم العشار إذا ما قام باغيها
قال حارثة بن مرة الكلبي (٦):
لم يدع الدهر لنا ذخيرة
قال حبيب الأعمى الهذلي (٧):
زعمت حناز بأن برمتنا تغلي بلحم غير ذي شحم
قال زهير بن أبي سلمى (٨):
من لا يذاب له شحم النصيب إذا زار الشتاء وعزت أثنى البدن

-
- (١) شعر قريش في الجاهلية، مختار الغوث ١٢٧.
(٢) ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ١١.
(٣) ديوانه، تحقيق عبد القادر عبد الجليل ٢٢١.
(٤) ديوانه، جمع وتحقيق وشرح علي ذو الفقار شاعر ١٧٢.
(٥) ديوان الهذليين، دار الكتب المصرية ١٢٦/٣.
(٦) ديوان شعراء بني كلب بن وبرة أخبارهم وأشعارهم في الجاهلية والإسلام، صنعة محمد شفيق البيطار ١٥٣/١.
(٧) شرح أشعار الهذليين، الحسن بن الحسين السكري، تحقيق عبد الستار الفراج ٣٢٤/١.
(٨) ديوانه، صنعة أبي العباس ثعلب، تحقيق فخر الدين قباوة ١٠٠.

قال طُقَيْلِ الْعَنَوِي (١):

وَحَمَلْتُ كُورِي خَلْفَ نَاجِيَةٍ يَقْتَاتُ شَحْمَ سَنَامِهَا الرَّحْلُ
١٣. (شوي): لَحْمٌ مَشْوِيٌّ: مُنْضَجٌ بَوْضَعَهُ عَلَى النَّارِ، وَقَدْ شَوِيْتُ اللَّحْمَ أَشْوِيَهُ شِيًّا
فَانشَوَى.

قال حاتم الطائي (٢):

فَأَطْعَمْتُهُ مِنْ كَبْدِهَا وَسَنَامِهَا شِوَاءً وَخَيْرُ الْخَيْرِ مَا كَانَ عَاجِلُهُ
قال السَّمَوَال (٣):

إِذَا مَا فَاتَنِي لَحْمٌ غَرِيضٌ ضَرَبْتُ ذِرَاعَ بَكْرِي فَاشْتَوَيْتُ

قال لقيط بن زُرارة التميمي (٤):

إِنَّ الشِّوَاءَ وَالنَّشِيلَ وَالرُّعْفَ وَالْقَيْنَةَ الْحَسَنَاءَ وَالكَأْسَ الْأَنْفَ

قال سُلَيْمِي بن ربيعة (٥):

إِنَّ شِوَاءَ وَنَشِوَةَ وَحَبَبَ الْبَازِلِ الْأُمُونِ

قال أعشى باهلة (٦):

تَكْفِيهِ فَلَذَةُ لَحْمٍ إِنْ أَلِمَّ بِهَا مِنَ الشِّوَاءِ وَيُرْوَى شُرْبُهُ الْعُمُرُ

قال حاتم الطائي (٧):

فَظَلَّ عُنْفَانِي مُكْرَمِينَ وَطَائِحِي فَرِيقَانِ:

(١) ديوانه، حسن فلاح أوغلي ١٣٧.

(٢) ديوان شعر حاتم بن عبد الله الطائي وأخباره، تحقيق د. عادل سليمان جمال ٢٨٧.

(٣) ديوان السموال، تحقيق د. واضح الصمد ١٢١، وينسب لعمرو بن قعاس المرادي في منتهى

الطلب من أشعار العرب، محمد بن المبارك بن محمد بن ميمون ٢٤٥/٨.

(٤) شعر لقيط بن زرارة التميمي جمع وتحقيق ودراسة، عبد العظيم فيصل صالح ٢٢٧.

(٥) شعر ضبة وأخبارها في الجاهلية والإسلام، صنعة د. حسن بن عيسى أبو ياسين ١٢٠.

(٦) مرثية أعشى باهلة الرائية، عبد الكريم محمد حسين ٨٧٤، وينسب للدعجاء بنت وهب

الباهلية في رياض الأدب في مرثي شواعر العرب، لويس شيخو ١٢٥.

(٧) ديوان شعر حاتم بن عبد الله الطائي وأخباره، تحقيق د. عادل سليمان جمال ١٨٩.

منهم بين شاوٍ وقادرٍ
قال عمرو بن قميئة (١):
فَقَالَ لَنَا أَلَا هَلْ مِنْ شِوَاءٍ بِتَعْرِيزٍ وَلَمْ يَكْمِيهِ عَيْنَا
قال زهير بن أبي سلمى (٢):
فَلَا تَحْسَبَنَّيَا بِنَ أَرْزَمَ شَحْمَةً تَعَجَّلَهَا طَاهٍ بِشَيْءٍ مُلْهَوِّجٍ
قال عارق الطائي (٣):
له إبلٌ لعامٍ المحلٍ منها شِوَاءُ الضَّيْفِ وَالرِّزْقِ الْعَظِيمِ
قال المرقش الأكبر (٤):
نَبَدْتُ إِلَيْهِ حُرَّةً مِنْ شِوَائِنَا حَيَاءً وَمَا فُحْشِي عَلَى مَنْ أُجَالِسُ
قال عمرو بن خويلد (الصَّعِق) (٥):
نَبَدْتُ إِلَيْهِ حُرَّةً مِنْ شِوَائِنَا فَآبَ وَمَا يُحْشَى عَلَى مَنْ يُجَالِسُ
قال امرؤ القيس بن حجر الكندي (٦):
نَمَشُ بِأَعْرَافِ الْجِيَادِ أَكْفُنَا إِذَا نَحْنُ قُمْنَا عَنْ شِوَاءٍ مُضَهَّبِ
قال علقمة (الفحل) بن عبدة التميمي (٧):
وَأَخِي مُحَافَظَةٌ طَلِيقٌ وَجْهُهُ هَشٌّ جَرَّتْ لَهُ الشِّوَاءُ بِمِسْعَرِ
قال امرؤ القيس بن حجر الكندي (٨):

-
- (١) ديوانه، تحقيق حسن كامل الصيرفي ١٣٢.
 - (٢) ديوانه، صنعة أبي العباس ثعلب، تحقيق فخر الدين قباوة ٢٣٨.
 - (٣) شعر طيبي وأخبارها في الجاهلية والإسلام، وفاء فهمي السنديوني ٤١٩.
 - (٤) ديوان المرقشين، تحقيق كارين صادر ٥٨.
 - (٥) مجموع أشعار اليمن في الجاهلية والإسلام، عثمان الراوي ٣١، ويبدو أن قائل البيتين واحد، وأن التصحيف أصاب أحدهما.
 - (٦) ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ٥٤.
 - (٧) ديوان علقمة الفحل بشرح الأعلام الشنتمري، تحقيق لطفي الصقال ودرة الخطيب ١٠٧.
 - (٨) ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ١٧٥.

وْظَلَّ صِحَابِي يَشْتَوُونَ بِنِعْمَةٍ يَصُفُّونَ غَارًا بِاللَّكِيكِ الْمَوْشَقِ
قال امرؤ القيس بن حجر الكندي (١):
وْظَلَّ طُهَاهُ اللَّحْمِ مِنْ بَيْنِ مُنْضِجِ صَفِيْفٍ شِوَاءٍ أَوْ قَدِيرٍ مُعَجَّلِ
قال عوف بن الأحوص الكلبي (٢):
وقد شجيت أن استمسكتُ منها كما يشجى بمسعره الشِّوَاءُ
قال المرقش الأكبر (٣):
ولما أضأنا النَّارَ عِنْدَ شِوَائِنَا عَرَانَا عَلَيْهَا أَطْلَسُ اللَّوْنِ بَائِسُ
قال زهير بن أبي سلمى (٤):
يَشْوُونَ لِلْضَيْفِ وَالْعَفَاةِ وَيُوفُونَ قَضَاءً إِذَا هُمْ نَدَرُوا
قال وَعلة الجرمي (٥):
فما بالعار ما عيرتُمونا شِوَاءَ النَّاهِضَاتِ مَعَ الْخَبِيصِ
قالت أم الضحاك المحاربية (٦):
حديثٌ لَوْ أَنَّ اللَّحْمَ يُشْوَى بِحَرِّهِ طَرِيًّا أَتَى أَصْحَابَهُ وَهُوَ مُنْضَجٌ
١٤. (عبط): لحم عبيط: طري غير ناضج.
قال امرؤ القيس بن حجر الكندي (٧):
تُدار علينا بالسديفِ صحافنا ويؤتى إلينا بالعبيطِ المثلِّلِ
قال وائل بن ربيعة (كُليب) (٨):

-
- (١) ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ٢٢.
(٢) منتهى الطلب من أشعار العرب، محمد بن المبارك بن محمد بن ميمون ٣/٣٨٦.
(٣) ديوان المرقشين، تحقيق كارين صادر ٥٧.
(٤) ديوانه، صنعة أبي العباس ثعلب، تحقيق فخر الدين قباوة ٢٣١.
(٥) شعر قضاة حتى منتصف القرن الثاني الهجري، عبد العزيز بن محمد بن هديب ١٠٩.
(٦) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، بشير يموت ٦٥.
(٧) ديوان امرئ القيس، صنعة حسن السندوي، المطبعة الرحمانية ٩٦.
(٨) شعر تغلب في الجاهلية، أيمن محمد ميدان ١٨١.

وَتُضْحِي بَعْدَهُمْ لَحْمًا عَبِيطًا يُقْسِمُهُ الْمُقْسِمُ بِالْقِدَاحِ
١٥. (عرض): المعرّض: اللحم الذي لم يبلغ نضجه.
قال الحادرة (١):

وَمُعْرَضٍ تَعْلِي الْمَرَاجِلُ تَحْتَهُ عَجَلْتُ طَبَخْتَهُ لِرَهْطِ جُوعٍ
١٦. (فأد): الفئيد: ما شوي وحيز على النار.
قال مرضاوي بن سعوة المهري (٢):

كذاك وأفلاذ الفئيد وما ارتمت به بين جاليها الوثيئة ملوذر
١٧. (فصد): الفصيد: دم كان يوضع في معى، ويشوى.
قال تبة الأقرن الحميري (٣):

فلقد أحتم اللحم فيها برهةً وحنذتُ لَمَّا أن أصلَ فصيدا
قال عارق الطائي (٤):

وقد يترك الغدر الفتى وطعائه إذا هو أمسى حله من دم الفصيد
قال حاتم الطائي (٥):

كَذَلِكَ فَصْدِي إِنْ سَأَلْتُ مَطِيَّتِي دَمَ الْجَوْفِ إِذْ كُلُّ الْفَصَادِ وَخِيمٍ
قال لقيط بن زُرارة التميمي (٦):

أَكْفُ فَضُولَ سَابِغَةٍ دِلَاصٍ كِبَارٍ مَعْرَسٍ وَقَدْتُ لِفَصْدِ
قال أبو دواد الإيادي (٧):

(١) ديوان شعر الحادرة، إملاء محمد بن العباس البيزدي عن الأصمعي، تحقيق د. ناصر الدين الأسد ٣١٧.

(٢) شعر قضاة حتى منتصف القرن الثاني الهجري، عبد العزيز بن محمد بن هديب ١٤٢.

(٣) شعراء حمير، أخبارهم وأشعارهم في الجاهلية والإسلام، صنعة د. مقبل التام عامر الأحدي ٧٢/٣.

(٤) شعر طيبي وأخبارها في الجاهلية والإسلام، وفاء فهمي السنديوني ٤١٥.

(٥) ديوان شعر حاتم بن عبد الله الطائي وأخباره، تحقيق د. عادل سليمان جمال ٢٧٥.

(٦) شعر لقيط بن زُرارة التميمي جمع وتحقيق ودراسة، عبد العظيم فيصل صالح ٢٢٣.

(٧) ديوانه، تحقيق غوستاف فون غرنباوم ٣١٢.

وكلَّ يومٍ ترى في صاعٍ جَوْجُوهًا تَطْلِيهِ أَيْدٍ كَأَيْدِيِ الْمَعْشَرِ الْفَصْدَه
١٨. (فلذ): الفلذ: كبد البعير، والفلذة: القطعة من الكبد واللحم.

قال مرضاوي بن سعوة المهري (١):

كذاك وأفلاذ الفئيد وما ارتمت به بين جاليتها الوثية ملوذر

قالت الدعجاء بنت وهب الباهلية (١):

تكفيه فلذة لحمٍ إن أمَّ بها من الشواء ويروي شربه العُمُر

١٩. (قتر): القنار: رائحة اللحم إذا شوي.

قال طرفة بن العبد (٢):

حينَ قالَ الناسُ في مجلسِهِم أَقْتارُ ذاكَ أم رِيحُ قُطْر

قال أبو دواد الإيادي (٤):

ففريقٌ يفلج اللحم نيمًا وفريقٌ لطابخيه قنار

قال علباء بن أرقم البكري (٥):

وقدرٍ يُهاهي بالكِلابِ قنارُها إذا حَفَّ أيسارُ المساميحِ واللحمِ

٢٠. (قدر): القدير: ما طبخ من اللحم بتوابل.

قال حاتم الطائي (٦):

فَظَلَّ عَفانِي مُكْرَمِينَ وطابخيَ فَرِيقانِ: مِنْهُمْ بَيْنَ شَاوٍ وَقادِرِ

قال امرؤ القيس بن حجر الكندي (٧):

(١) شعر قضاة حتى منتصف القرن الثاني الهجري، عبد العزيز بن محمد بن هديب ١٤٢.

(٢) رياض الأدب في مرثي شواعر العرب، لويس شيخو ١٢٥، وينسب لأعشى باهلة في مرثية

أعشى باهلة الرائية، عبد الكريم محمد حسين ٨٧٤.

(٣) ديوانه، تحقيق: درية الخطيب ولطفي الصقال ٧٤.

(٤) ديوانه، تحقيق غوستاف فون غرناوم ٣٢٠.

(٥) ديوان بني بكر في الجاهلية، عبد العزيز نبوي ٦٨١.

(٦) ديوان شعر حاتم بن عبد الله الطائي وأخباره، تحقيق د. عادل سليمان جمال ١٨٩.

(٧) ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ٢٢.

وَوَظَلَّ طُهَاهُ اللَّحْمِ مِنْ بَيْنِ مُنْضَجِ صَفِيفِ شِوَاءٍ أَوْ قَدِيرٍ مُعَجَّلٍ
٢١. (لحم): اللحم من جسم الحيوان والطيور: الجزء العضلي الرخو بين الجلد والعظم.
قال السَّمَوَال (١):

إِذَا مَا فَاتَنِي لَحْمٌ غَرِيضٌ ضَرَبْتُ ذِرَاعَ بَكْرِي فَاشْتَوَيْتُ
قَالَ أَعَشَى بَاهِلَةَ (٢):

تَكْفِيهِ فَلَدَّةُ لَحْمٍ إِنْ أَلَمَ بِهَا مِنَ الشِّوَاءِ وَيَرُوي شُرْبَةُ الْعُمَرُ
قَالَ السُّلَيْكُ بْنُ السُّلَيْكَةِ (٣):

سَبَّكَفِيكَ فَقَدَ الْحَيَّ لَحْمٌ مَعْرُضٌ وَمَاءٌ قُدُورٍ فِي الْجِفَانِ مَشُوبٌ
قَالَ وَهَبُ بْنُ عَبْدِ بْنِ قَصِي (٤):

فَأَوْسَعَ أَهْلَ مَكَّةَ مِنْ هَشِيمٍ وَشَابَ الْخُبْرَ بِاللَّحْمِ الْغَرِيضِ
قَالَ أَبُو دُوَادِ الْإِيَادِي (٥):

فَفَرِيْقٌ يَفْلِحُ اللَّحْمَ نَيْئًا وَفَرِيْقٌ لَطَابِخِيهِ قُتَارٌ
قَالَ الْأَسُودُ بْنُ يَعْفَرَ النَّهْشَلِي (٦):

مَنْ لَا يَشِيعُهُ عَجْزٌ وَلَا بَجَلٌ وَلَا يَبِيْتُ لَدَيْهِ اللَّحْمُ مَوْشُوقًا
قَالَ شُتَيْمُ بْنُ حُوَيْلِدِ الْفَزَارِي (٧):

هُمُ الْمُطْعَمُونَ سَدِيفَ الْعِشَارِ وَاللَّحْمَ فِي اللَّيْلَةِ الْبَارِدَةِ

-
- (١) ديوان السموال، تحقيق د. واضح الصمد ١٢١، وينسب لعمرو بن قعاس المرادي في منتهى
الطلب من أشعار العرب، محمد بن المبارك بن محمد بن ميمون ٢٤٥/٨.
(٢) مرثية أعشى باهلة الرائية، عبد الكريم محمد حسين ٨٧٤، وينسب للدعجاء بنت وهب
الباهلية في رياض الأدب في مرثي شواعر العرب، لويس شيخو ١٢٥.
(٣) ديوان السليك بن السلوك، جمع وتحقيق حميد ثويني وكامل عواد ٤٥.
(٤) شعر بني كنانة في الجاهلية وصدر الإسلام جمعًا وتحقيقًا ودراسة، إبراهيم النعانة ٥٨٤.
(٥) ديوانه، تحقيق غوستاف فون غرنباوم ٣٢٠.
(٦) ديوانه، صنعة نوري حمودي القيسي ٥٢.
(٧) شعر قبيلة ذبيان في الجاهلية جمع وتحقيق ودراسة، سلامة السويدي ٣٨٩.

قال الأسود بن يعفر النهشلي (١):
وجفنة كنضيح البئر متأفة ترى جوانبها باللحم مفتوقا
قال مالك بن حريم الهمداني (٢):
وَرَابِعَةٌ أَنْ لَا أُحْجَلَ قَدَرْنَا عَلَى لَحْمِهَا حِينَ الشِّتَاءِ لِنَشْبَعَا
قال زيد اللات بن حصين الصَّيِّي (٣):
وَبِئْسَ بِمَدِّكَ مَاءَ اللَّحْمِ تَقْسِمُهُ وَأَكْثَرَ الشُّوبِ إِنْ لَمْ يَكْثُرِ اللَّبْنُ
قال سبرة بن عمرو الفقعسي (٤):
وَعَيْرَتْنَا أَلْبَاهَا وَحُومَهَا وَذَلِكَ عَارٌ يَا بْنَ رَيْطَةَ ظَاهِرٌ
قال علقمة (الفحل) بن عبدة التميمي (٥):
وَقَدْ أَصَاحِبُ فِتْيَانًا طَعَامُهُمْ حُضْرُ الْمَزَادِ وَلَحْمٌ فِيهِ تَنْشِيمٌ
قال امرؤ القيس بن حجر الكندي (٦):
وَكُلًّا مَعِيَ مِنْ لَحْمِ رَاحِلَتِي وَمَعَ الْعَذَارَى فَاتْرَكَا عَذْلِي
قال الأسود بن يعفر النهشلي (٧):
وَنَالَتْ عِشَاءً مِنْ هَبِيدٍ وَبِرْوَقٍ وَنَالَتْ طَعَامًا مِنْ ثَلَاثَةِ أَلْحَمِ
قالت سبيعة بنت الأحم (٨):
وَيَظَلُّ يُطْعَمُ أَهْلَهَا لَحْمَ الْمَهَارَى وَالْجُرُوزِ

(١) ديوانه، صنعة نوري حمودي القيسي ٥٢.

(٢) ديوانه، مهدي عبيد جاسم ١٦٩.

(٣) شعر ضبة وأخبارها في الجاهلية والإسلام، صنعة د. حسن بن عيسى أبو ياسين ١١٤.

(٤) ديوان بني أسد، محمد علي دقة ٦٦/٢.

(٥) ديوان علقمة الفحل بشرح الأعلام الشنتمري، تحقيق لطفي الصقال ودريّة الخطيب ٧٧.

(٦) ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ٢٦٤.

(٧) ديوانه، صنعة نوري حمودي القيسي ٦٢.

(٨) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، بشير يموت ١١٠.

قال نجاد الخيري (١):

يَأْكُلُ لَحْمًا بَائِتًا قَدْ تُعْطَا

قال امرؤ القيس بن حجر الكندي (٢):

يَظْلُ العَدَارَى يَرْتَمِينَ بِلَحْمِهَا وَشَحْمِ كَهْدَابِ الدِمَقْسِ الْمُفْتَلِ

قال عروة بن الورد العبسي (٣):

يَنْوُونَ بِالْأَيْدِي وَأَفْضَلُ زَاهِمِ بَقِيَّةِ لَحْمٍ مِنْ جَزْوَرٍ مُمْلِحٍ

٢٢. (لكك): اللكك: اللحم الكثير الثخين.

قال امرؤ القيس بن حجر الكندي (٤):

وَظَلَّ صِحَابِي يَشْتَوُونَ بِنِعْمَةٍ يَصْفُونَ غَارًا بِاللَّكِيكِ الْمُوشَّقِ

قال عبيد بن الأبرص (٥):

مَقْدُوفَةٌ بِاللَّكِيكِ اللَّحْمِ عَنْ عُضِّ كَمْفَرِدٍ وَحَدِّ بِالْجَوِّ ذِيَالٍ

٢٣. (نشل): النشيل: لحم يُطبخ بلا توابل.

قال لقيط بن زُرارة التميمي (٦):

إِنَّ الشَّوَاءَ وَالنَّشِيلَ وَالرُّعْفَ وَالْقَيْنَةَ الْحَسَنَاءَ وَالكَأْسَ الْأَنْفَ

قال أحيحة بن الجلاح (٧):

وَلَوْ أَنِّي أَشَاءُ نَعِمْتُ حَالًا وَبَاكَرَنِي صَبُوحٌ أَوْ نَشِيلٌ

٢٤. (نون): النون: الحوت، أو السمك عامة.

(١) شعر قبيلة بكر بن وائل في الجاهلية وصدر الإسلام جمع وتحقيق ودراسة، عبد الله جبريل مقداد

(٢) ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ١١.

(٣) ديوانه، شرح ابن السكيت، تحقيق عبد المعين الملوحي ٤١.

(٤) ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ١٧٥.

(٥) ديوانه، تحقيق حسين نصار ١٠٢.

(٦) شعر لقيط بن زُرارة التميمي جمع وتحقيق ودراسة، عبد العظيم فيصل صالح ٢٢٧.

(٧) ديوان أحيحة بن الجلاح، تحقيق حسن محمد باجودة ٧٣.

قال أبو الطمحان الطائي (١):

يا أم إني أكلت التُّونَ بعدكم فهل لنا بشرابٍ هاضم التُّونِ؟
٢٥. (وشق): الموشَّق: اللحم يُطبخ بماء وملح ثم يجفف ويحملة القوم معهم.

قال الأسود بن يعفر النهشلي (٢):

من لا يشيعه عجز ولا بخل ولا يبيت لديه اللحم موشوقا

قال امرؤ القيس بن حجر الكندي (٣):

وظَلَّ صحابي يَشْتَوُونَ بِنِعْمَةٍ يَصُفُّونَ غَارًا بِاللَّكِيكِ المَوْشَّقِ

٢- القمح ومشتقاته (٧ ألفاظ):

١. (برر): البرُّ: القَمْحُ، الواحدُ بَرَّةٌ.

قال أبو الصلت بن أبي ربيعة الثقفي (٤):

إلى زُجْحٍ من الشَّيزِي مِلاءٍ لُبَابِ البرِّ يُلَبِّكُ بالشَّهادِ

قال المتلمس الضبعي (٥):

لا دَرَّ دَرِّي إن أطعمتُ رائدهم قَرْفَ الحَتِّيِّ وعندي البرُّ مكنوزُ

قال أبو الطمحان الطائي (٦):

جاءت براية صفراء حامضة وجردي من حصاد البرِّ معجون

قال وهب بن عبد بن قصي (٧):

أتاهم بالعرائر متآفاتٍ من ارضِ الشَّامِ بالبرِّ النفيضِ

(١) شعر طيبي وأخبارها في الجاهلية والإسلام، وفاء فهمي السنديوني ٤٠٩.

(٢) ديوانه، صنعة نوري حمودي القيسي ٥٢.

(٣) ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ١٧٥.

(٤) مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني ١٢٧/٢.

(٥) ديوانه، تحقيق حسن كامل الصبري في ٢٩١، وينسب للمتخجل الهذلي في ديوان الهذليين، دار

الكتب المصرية ١٥/٢.

(٦) شعر طيبي وأخبارها في الجاهلية والإسلام، وفاء فهمي السنديوني ٤٠٩.

(٧) شعر بني كنانة في الجاهلية وصدر الإسلام جمعًا وتحقيقًا ودراسة، إبراهيم النعانة ٥٨٤.

٢. (ثرد): الثريد: الخبز يُفْتُ ثم يُبَلُّ، وقد ثَرَدَ الخبزُ ثَرْدًا فهو ثَرِيدٌ ومثروءٌ.

قال مطرود بن كعب الخزاعي (١):

عمرو العلاء هشمَ الثريدَ لقومه قومٌ بمكةً مُسْتَنِينَ عِجَافٍ

قال مسافر بن أبي عمرو (٢):

عَمْرُو الْعَلَاءِ هَشَمَ الثَّرِيدَ لِقَوْمِهِ وَقُرَيْشُ فِي سَنَةٍ فِي إِعْجَافٍ

قال مَقَّاسُ الْعَائِذِيِّ (٣):

فِدَى لِنَاسٍ ذَكَّرُوهُمْ مَعِيشَةً تَرَى لِلثَّرِيدِ الْوَرْدَ فِيهَا نَوَاحِرًا

٣. (جردق): الجردق والجردقة، وبالذال: الرغيف (٤) الغليظ (٥)، أو الخبز الغليظ،

مُعَرَّبٌ كَرَدَه (٦).

قال أبو الطمحان الطائي (٧):

جاءت برايبية صفراءَ حامضةٍ وجردقٍ من حصادِ البرِّ معجونٍ

٤. (خبز): الخبز: اسم لما يصنع من الدقيق المعجون المنضج بالنار.

قال حاتم الطائي (٨):

إذا كانَ نَفْضُ الْخَبْزِ مَسْحًا بِحَرْقَةٍ وَأُخْمِدُ دُونَ الطَّارِقِ الْمُنْتَوِّرِ

قال يزيد بن الصَّعِقِ (٩):

بُخْبِزٍ أَوْ بَسْمَنِ أَوْ بَزَيْتٍ أَوْ الشَّيْءِ الْمَلْفَفِ فِي الْبِجَادِ

(١) مطرود بن كعب الخزاعي حياته وما تبقى من شعره، محمد نايف الدليمي، مجلة البلاغ العراقية ١٨.

(٢) التاريخ الكبير، محمد بن إسماعيل البخاري ٢٠٩/١.

(٣) مقاس العائذي سيرته وما بقي من شعره، عبد اللطيف حمودي الطائي، مجلة كلية المعلمين ٢١٨.

(٤) قصد السبيل ٣٧٩/١.

(٥) شفاء الغليل ٦٦.

(٦) المعرب للجواليقي ص ١٤٣.

(٧) شعر طيبي وأخبارها في الجاهلية والإسلام، وفاء فهمي السنديوني ٤٠٩.

(٨) ديوان شعر حاتم بن عبد الله الطائي وأخباره، تحقيق د. عادل سليمان جمال ٢٥٨.

(٩) أشعار العامريين الجاهليين، عبد الكريم يعقوب ٥٨، وينسب لربيعة بن حوط في شعر قبيلة

أسد وأخبارها في الجاهلية والإسلام، وفاء فهمي السنديوني ٢٧٤.

- قال وهب بن عبد بن قصي (١):
فأوسع أهل مكة من هشيمٍ وشاب الخُبز باللحم الغريضي
قال حاتم الطائي (٢):
فما زادها فينا السبأ مدلةً ولا كلفت حُبزًا ولا طبخت قدرا
قالت جمعة بنت الخس (٣):
وآخر مأفون يلوك لسانه ويعجن بالكوعين نُوكًا ويخبز
قال رزاح بن ربيعة النهدي (٤):
تُخبزُهُم بِصَلَابِ النُسُورِ حَبَزَ القَوِيِّ العَزِيْرِ الذَّلِيلَا
٥. (رغف): الرَّغْفُ: جَمْعُكَ العَجِينِ أَوِ الطَّيْنِ تُكْتَلُّ بِيدِكَ، ومنه: الرَّغِيفُ.
قال بشر بن أبي خازم (٥):
فقد أراي ببنائقياء مُتَكَمِّئًا يَسْعَى وليدانِ بالحيتانِ والرُّغْفِ
قال لقيط بن زُرارة التميمي (٦):
إن الشواءَ والنشيلَ والرُّغْفُ
٦. (عصدا): العَصِيدَةُ: دَقِيقٌ يُلْتُّ بالسمنِ ويُطبخُ.
قال أبو سواج الضبي (٧):
صردَ بن جمره هل لقيت رثيةً لبنًا وعصدا
٧. (نقي): النَّقِيُّ: خبز الحواري.

- (١) شعر بني كنانة في الجاهلية وصدر الإسلام جمعًا وتحقيقًا ودراسة، إبراهيم النعانة ٥٨٤.
(٢) ديوان شعر حاتم بن عبد الله الطائي وأخباره، تحقيق د. عادل سليمان جمال ٢٨٣.
(٣) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، بشير يموت ٧٧.
(٤) الشعراء الجاهليون الأوائل، عادل الفريجات ٢٩٢.
(٥) ديوانه، تحقيق عزة حسن ١٥٩.
(٦) شعر لقيط بن زُرارة التميمي جمع وتحقيق ودراسة، عبد العظيم فيصل صالح ٢٢٧.
(٧) شعر ضبة وأخبارها في الجاهلية والإسلام، صنعة حسن بن عيسى أبو ياسين ١٢٣.

قال طرفة بن العبد البكري (١):
يُطْعِمُ النَّاسَ إِذَا أُحْمِلُوا مِنْ نَقِيٍّ فَوْقَهُ أُدْمَةٌ
٣- التمر (٥ ألفاظ):

١. (أبل): الأُبْلَةُ: تمر يُرَضُّ بين حجرين ويُحلب عليه، والكتلة من التمر.
قال أبو المتلمم الهذلي (٢):
فِيأَكُلُ مَا رُضَّ مِنْ تَمْرِهَا وَيَأْبَى الأُبْلَةَ لَمْ تُرَضَّ
٢. (تمر): التَّمْرُ: تَمْرُ النَّخْلِ.
قال أبو المتلمم الهذلي (٣):
فِيأَكُلُ مَا رُضَّ مِنْ تَمْرِهَا وَيَأْبَى الأُبْلَةَ لَمْ تُرَضَّ
قال زَبَّانُ بْنُ سَيَّارِ الْفَزَارِيِّ (٤):
وَإِنِّي لِأَخْشَى أَنْ يَكُونَ مُحَامِلًا بِحَيْبَرٍ مَيَّارًا حَرِيصًا عَلَى التَّمْرِ
قال سَلَمَةُ بْنُ عَمْرٍو الْخَرَشَبِيُّ بْنُ نَصْرِ الْأَنْمَارِيِّ (٥):
وَمَا أَتَتْهَا الْعَيْرُ قَالَتْ أَبَارِدٌ مِنَ التَّمْرِ أَمْ هَذَا حَدِيدٌ وَجَنْدَلُ
قال الْجَمِيحُ الْأَسَدِيُّ (٦):
وَيَأْكُلُ التَّمْرَ وَلَا يُلْقِي النَّوَى
قال أَوْسُ بْنُ حَجْرٍ (٧):
وَعَيْرَتَنَا تَمْرُ الْعِرَاقِ وَبُرَّةٌ وَزَادَكَ أَيْرُ الْكَلْبِ شَوَاطِئُ الْجَمْرِ

(١) ديوانه، تحقيق درية الخطيب ولطفي الصقال ١٨٣. النَّقِيُّ: خبز الخُوَارِي.
(٢) شرح أشعار الهذليين، الحسن بن الحسين السكري، تحقيق عبد الستار الفراج ٣٠٦/١.
(٣) شرح أشعار الهذليين، الحسن بن الحسين السكري، تحقيق عبد الستار الفراج ٣٠٦/١.
(٤) زَبَّانُ بْنُ سَيَّارِ الْفَزَارِيِّ، نوري حمودي القيسي، مجلة المجمع العلمي العراقي ١٤٢.
(٥) شعر غطفان من الجاهلية إلى نهاية العصر الأموي جمع وتحقيق ودراسة، إبراهيم المغربي ٢٤٨.
(٦) الجميح بن الطماح جمع وتحقيق ودراسة، أحمد هاشم السامرائي، مجلة سر من رأى ٥٣.
(٧) ديوان أوس بن حجر، تحقيق محمد يوسف نجم ٣٨.

قال راشد اليشكري (١):

على أن قيسًا قال قيسُ بن خالدٍ ليشكرُ أحلى إن لقينا من التمرِ
قال النابغة الذبياني (٢):

صغارِ النوى مكنوزةٍ ليس قشرُها إذا طارَ قشرُ التمرِ عنها بطائرٍ
قال شماس بن الأسود الطهوي (٣):

فأدِّ إلى قيسِ بن حسانَ ذوده وما نيلَ منك التمرُ أو هو أطيَّبُ
قالت هند بنت معبد الأسدية (٤):

أحلى من التمرِ وأحلى من الجمرِ وأبى عند جدِّ الإبا

٣. (حيس): الحيس: تمرٌ يُنزعُ نواهٌ ويُدقُّ معَ أقطٍ ويُعجنانِ بالسمن، ثمَّ يُدلكُ
باليَدِ.

قال همام بن مرة البكري (٥):

وإذا تكونُ كريهةً أدعى لها وإذا يُحاسُ الحيسُ يُدعى جُنْدُبُ

٤. (رضض): المرصّة: تمرٌ يُنقعُ في اللبنِ فتُصبحُ الجاريةُ فتشربُه وهو الكدِّيراءُ.

قال عمرو بن جنادة الخزاعي (٦):

(١) ديوان بني بكر في الجاهلية، عبد العزيز نبوي ٦٤٥.

(٢) ديوانه، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ٩٩.

(٣) شعر بني تميم في العصر الجاهلي جمع وتحقيق، عبد الحميد المعيني ٤٣٢.

(٤) ديوان بني أسد، محمد علي دقة ١١٤/٢.

(٥) شعر قبيلة بكر بن وائل في الجاهلية و صدر الإسلام جمع وتحقيق ودراسة، عبد الله جبريل مقداد

٤٤٩، وينسب لضمرة بن ضمرة النهشلي في ضمرة بن ضمرة النهشلي، أخباره وما بقي من

شعره، هاشم طه شلاش، مجلة المورد العراقية ١١٣، وينسب لعمرو بن الغوث بن طيبي في

شعر طيبي وأخبارها في الجاهلية والإسلام، وفاء فهمي السنديوني ٤٤٩، وينسب لهني بن

أحمر الكناني في شعر بني كنانة في الجاهلية و صدر الإسلام جمعًا وتحقيقًا ودراسة، إبراهيم

النعانة ٢٥٧.

(٦) مجموع أشعار اليمن في الجاهلية والإسلام، عثمان الراوي ٤٣، وينسب لعمرو بن هُميل الهذلي

البحراني في منتهى الطلب من أشعار العرب، محمد بن المبارك بن محمد بن ميمون ٣٣٨/٩.

إذا شرب المرصّة قال أوكي على ما في سقائك قد رويث
٥. (صبح): الصّيحانيُّ: تَمَّرَ مَعْرُوفٌ بِالْمَدِينَةِ.

قال الكميت بن ثعلبة الأسدي (١):
أَصِيْحَائِيَّةٌ أَدِمَتْ بِسَمْنٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَمْ أَيْرُ الْحِمَارِ
٤ - الحليب ومشتقاته (٤ ألفاظ):

١. (أقط): الأقط: طعام يُتَّخَذُ مِنَ اللَّبَنِ الْمَخِيضِ يُطْبَخُ ثُمَّ يُتْرَكُ حَتَّى يَمْضُلَ.
قال امرؤ القيس بن حجر الكندي (٢):

فَتَوَسَّعَ أَهْلُهَا أَقْطًا وَسَمْنَا وَحَسْبُكَ مِنْ غِنَى شَبْعٍ وَرِيٍّ
قال حبيب الأعمى الهذلي (٣):

وَيَحْسِبُ نَفْسَهُ مَلِكًا إِذَا مَا تَوَسَّدَ طَبِيَّةَ الْأَقِطِ الْجَلَالِ
٢. (ثور): الثور: القطعة العظيمة من الأقط، ج أثوار.

قال أبو دواد الإيادي (٤):

رب ثورٍ رأيت في حجر نمل وقطاةٍ تُحْمَلُ الْأَنْقَالَا

٣. (رغغ): الرغغ: ما على الزبد وهو ما يسأل من اللبن مثل الرغوة.

قال أوس بن حجر (٥):

فَكَيْفَ وَجَدْتُمْ وَقَدْ دُقْتُمْ رَغِغَتَكُمْ بَيْنَ حُلُوٍّ وَمُرٍّ

٤. (سمن): السمن: سلاء الزبد، وهو ما يُذاب ويخلص منه بعد إغلائه.

قال الكميت بن ثعلبة الأسدي (٦):

(١) شعر قبيلة أسد وأخبارها في الجاهلية والإسلام، وفاء فهمي السنديوني ٢٣٣.

(٢) ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ١٣٧.

(٣) ديوان الهذليين، دار الكتب المصرية ٨٣/٢.

(٤) ديوانه، تحقيق غوستاف فون غرنباوم ٣٣٢.

(٥) ديوان أوس بن حجر، تحقيق محمد يوسف نجم ٢٩.

(٦) شعر قبيلة أسد وأخبارها في الجاهلية والإسلام، وفاء فهمي السنديوني ٢٣٣.

أَصِيحَايَتُهُ أَدِمَتْ بِسَمْنٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَمْ أَيْرُ الْحِمَارِ
قال يزيد بن الصَّعِق (١):

بُخْبِرٌ أَوْ بِسَمْنٍ أَوْ بِزَيْتٍ أَوْ الشَّيْءِ الْمَلْفَفِ فِي الْبِجَادِ
قال امرؤ القيس بن حجر الكندي (٢):

فَتَوَسَّعَ أَهْلَهَا أَقْطًا وَسَمْنَا وَحَسْبُكَ مِنْ غِنَى شِبَعٍ وَرِيٌّ
قال عروة بن الورد العبسي (٣):

وَفَضْلَةَ سَمْنَةٍ ذَهَبَتْ إِلَيْهِ وَأَكْثَرَ حَقِّهِ مَا لَا يَفُوتُ
قال خدّاش بن زهير العامري (٤):

يَأْخُذُونَ الْأَرَشَ فِي إِخْوَتِهِمْ فَرَقَ السَّمْنِ وَشَاءَ فِي الْعَنَمِ
٥ - الخضراوات والفواكه (٤ ألفاظ):

١. (بقل): الباقلاء: نبات عشبي حولي، والبقل: نبات عشبي يغتذي الإنسان به.

قال زهير بن أبي سلمى (٥):

وَيَرِجُهَا إِذَا نَحْنُ انْقَلَبْنَا نَسِيفُ الْبَقْلِ وَاللَّبَنُ الْحَقِيقُ

قال أبو دواد الإيادي (٦):

أَعَاشَنِي بَعْدَكَ وَاِدِّ مَبْقَلُ

قال امرؤ القيس بن حجر الكندي (٧):

أَقْبُ رِبَاعٌ مِنْ حَمِيرٍ عَمَايَةَ يَمْجُجُ لُعَاعَ الْبَقْلِ فِي كَلِّ مَشْرَبٍ

(١) أشعار العامريين الجاهليين، عبد الكريم يعقوب ٥٨، وينسب لربيعة بن حوط في شعر قبيلة

أسد وأخبارها في الجاهلية والإسلام، وفاء فهمي السنديوني ٢٧٤.

(٢) ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ١٣٧.

(٣) ديوانه، شرح ابن السكيت، تحقيق عبد المعين الملوحي ٣٣.

(٤) شعر خدّاش بن زهير العامري، صنعة يحيى الجبوري ٩٩.

(٥) ديوانه، صنعة أبي العباس ثعلب، تحقيق فخر الدين قباوة ١٤٢.

(٦) ديوانه، تحقيق غوستاف فون غرناوم ٣٣٠.

(٧) ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ٤٥.

قال حميضة بن قيس الكناني (بلعاء) (١):
إلى روضٍ به نَقْلٌ وبقْلٌ يُعَيِّي في أسْرَتِهِ الدُّبَابُ
قال أوس بن حَجْر (٢):
خُوَارَ المطافيلِ المِلْمَعَةِ الشوى وأطلائِهَا صادَفَنَ عِرْنَانَ مُبِقِلًا
قال زُهَيْر بن أَبِي سُلمى (٣):
رَأَيْتُ دَوِي الحَاجَاتِ حَوْلَ بُيُوتِهِمْ قَطِينًا لَهُمْ حَتَّى إِذَا أَنْبَتَ البَقْلُ
قال سالم بن قحفان العنبري (٤):
فإِنِّي لَا تَبْكِي عَلَيَّ إِفَالهَا إِذَا شَبِعَتْ مِنْ رَوْضِ أوطَانِهَا بَقْلًا
قال امرؤ القيس بن حجر الكندي (٥):
فظللتُ في روضاتِ مَحْنِيَّةٍ بَيْنَ العِضَاءِ وَسَامِقِ البَقْلِ
قال عامر بن جُوَيْن الطائي (٦):
فلا مُرْنَةٌ وَدَقْتُ وَدَقَّهَا وَلَا أَرْضَ أَبْقَلٍ إِبقَالِهَا
قال سَلَامَةُ بن جَنْدَل (٧):
له بَقْرَانِ الصَّلْبِ بَقْلٌ يَلْسُهُ وَإِنْ يَتَقَدَّمَ بالدَكَادِكِ يَأْتِقُ
قال أبو دَوَاد الإيادي (٨):
مِثْلَ عَيْرِ الفَلَاةِ صَعْلَكُهُ البَقْلُ مَشِيخٌ بِأَرْبَعِ عَشْرَاتِ
قَالَت خَالِدَةُ بِنْتُ هَاشِمِ بنِ عَبْدِ مَنَافٍ (٩):

- (١) بحث منشور لأحمد بن محمد علي الهنداسي في مجلة العرب ٧٦.
- (٢) ديوان أوس بن حَجْر، تحقيق محمد يوسف نجم ٩٠.
- (٣) ديوانه، صنعة أبي العباس ثعلب، تحقيق فخر الدين قباوة ٩٢.
- (٤) الأُمالي، أبو علي القالي ٤/٢.
- (٥) ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ٢٦٣.
- (٦) عامر بن جوين الطائي وما بقي من شعره، محمود محمد العامودي ١٦٨.
- (٧) ديوانه، تحقيق فخر الدين قباوة ١٥٥.
- (٨) ديوانه، تحقيق غوستاف فون غرنباوم ٢٩٨.
- (٩) أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، الفاكهي ١٠٩/٤.

نابتة فوق سقائها بقلّة

قال النابغة الذبياني (١):

كَمَزَنَ الْبَقْلُ بِالْقَيْعَانِ حَتَّى تَغَالَى النَّبْتُ وَالتَّقَّتِ الْبُطُونُ

قال الفند الرّمّاني (٢):

وَأَحْمِي الثَّغَرَ لَا يُخْشَى بَغْيِرِي زَمَنَ الْبَقْلِ

قال جابر بن حنيّ التّغلي (٣):

وَآخِرُ عَهْدٍ لَهَا مَوْنِقٌ عَدِيْرٌ وَجَزَعٌ لَهَا مُبِقِلٌ

قال حُرّاشة بن عمرو العبّسي (٤):

وَأَطْوَلُ فِي دَارِ الْحِفَاظِ إِقَامَةٌ وَأَرْبَطُ أَحْلَامًا إِذَا الْبَقْلُ أَجْهَلَا

قال قُشَيْر بن عطّي العبدي القشيري (٥):

وَإِنْ أَمْرَعَتْ قُرْيَانُ نَجْدٍ وَنَوَّرَتْ مِنَ الْبَقْلِ لَمْ أَنْظِرْ بَعِيْنِي فِي نَجْدٍ

قال الأسود بن يعفر النهشلي (٦):

وَجَارٌ غَرِيْبٌ حَلٌّ فِينَا فَلَمْ نَكُنْ لَهُ غَيْرَ غَيْثٍ يَنْبِتُ الْبَقْلَ وَادِقٌ

قال زيد بن عمرو بن نُفَيْل (٧):

وَقَوْلًا لَهُ مِنْ يُنْبِتُ الْحَبَّ فِي الثَّرَى فَيَصْبِحُ مِنْهُ الْبَقْلُ يَهْتَرُّ رَابِيَا

قال المسيب بن علس (٨):

(١) ديوانه، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ٢٢١.

(٢) ديوانه، تحقيق حاتم صالح الضامن ٢٣.

(٣) شعر تغلب في الجاهلية، أمّين محمد ميدان ١٤٦.

(٤) شعر بني عبس في الجاهلية والإسلام حتى آخر العصر الأموي، عبد العزيز الفيصل ٣٨/٢.

(٥) شعر بني عامر من الجاهلية حتى آخر العصر الأموي جمع وتحقيق ودراسة، عبد الرحمن

الوصيفي ١٣٧.

(٦) ديوانه، صنعة نوري حمودي القيسي ٥٤.

(٧) زيد بن عمرو بن نفيل حياته وما تبقى من شعره، أيهم عباس القيسي ٩٢.

(٨) شعر المسيب بن علس، تحقيق عبد الرحمن الوصيفي ١١٧.

يَهَبُ الْجِيَادَ كَأَنَّهَا عُسْبٌ جُرْدًا أَطَارَ نَسِيلَهَا بَقْلُ
قال عمرو بن قميئة (١):

يَهَبُ الْمَخَاضَ عَلَى غَوَارِيهَا زَيْدُ الْفُحُولِ مَعَاثُهَا يَقْلُ
قال الربيع بن زياد الحارثي (٢):

ترعى الروائم أحرار البقول بها لا مثل رعيكم ملحًا وغسويلا
قال المسيب بن علس (٣):

لَسَسَنَ بَقُولَ الصَّيْفِ حَتَّى كَأَنَّهَا بِأَفْوَاهِهَا مِنْ لَسِّ حُلْبِهَا الصَّقْرُ
٢. (تفاح): التفاح: ثمر شجر معروف، وهو بأرض العرب كثير، وهو عربي (٤).
قال عبید بن الأبرص (٥):

نَخَالُ رِيقَ ثَنَائِيهَا إِذَا ابْتَسَمَتْ كَمِزَجِ شُهْدٍ بِأُتْرُجٍ وَتُفَاحِ
قال امرؤ القيس بن حجر الكندي (٦):

كَأَنَّ عَلَى أَسْنَانِهَا بَعْدَ هَجْعَةٍ سَفْرَجَلٍ أَوْ تَفَاحٍ فِي الْقَنْدِ وَالْعَسَلِ
قال أوس بن حجر (٧):

أَوْ مِنْ مُعْتَقَةٍ وَرَهَاءَ نَشْوُئِهَا أَوْ مِنْ أَنْابِيبِ زَمَانٍ وَتُفَاحِ
قال حجر بن عقبة الفزاري (٨):

بِنَاتٍ أَعْوَجَ تَرْدِي فِي أَعِنَّتِهَا خَيْرٌ خَرَاجًا مِنَ التَّفَاحِ وَالتَّيْنِ

-
- (١) ديوانه، تحقيق حسن كامل الصيرفي ١٠٠.
 - (٢) الربيع بن زياد دراسة في الشعر والشاعر، سعاد أبو شال ٢٩.
 - (٣) شعر المسيب بن علس، تحقيق عبد الرحمن الوصيفي ٧٥، وينسب للمتلّمس الضبّعي في ديوانه، تحقيق حسن كامل الصيرفي ٢٥٨.
 - (٤) المصباح المنير ٧٦/١.
 - (٥) ديوانه، تحقيق حسين نصار ٤٠.
 - (٦) ديوان امرئ القيس، المطبعة الرحمانية ١٣٠.
 - (٧) ديوان أوس بن حجر، تحقيق محمد يوسف نجم ١٤.
 - (٨) شعر غطفان من الجاهلية إلى نهاية العصر الأموي جمع وتحقيق ودراسة، إبراهيم المغربي ١٣٧.

- قال عدي بن زيد العبادي (١):
عَدْبًا كَمَا ذُقْتُ الْجَنِّيَّ مِنَ التَّفَاحِ مَسْقِيًّا بِبَرْدِ الطَّلِّ
قال لقيط بن زُرارة التميمي (٢):
تَمْنَانِي لَيْلِقَانِي شُرَيْخُ أَبِي التَّفَاحِ أَيْ غَيْرُ مَهْدٍ
٣. (سفرجل): السَّفَرَجَلُ: شجر مثمر معروف، وَهُوَ كَثِيرٌ فِي بِلَادِ الْعَرَبِ (٣).
قال امرؤ القيس بن حجر الكندي (٤):
كَأَنَّ عَلَى أَسْنَانِهَا بَعْدَ هَجْعَةِ سَفَرَجَلٍ أَوْ تَفَاحٍ فِي الْقَنْدِ وَالْعَسَلِ
قال امرؤ القيس بن حجر الكندي (٥):
وَطَعَمَ السَّفَرَجَلِ وَالزَّنْجَبِيلِ عُلٌّ بِهِ وَبِصَافِي الْعَسَلِ
٤. (عنقد): الْعَنْقُودُ وَالْعِنْقَادُ مِنَ النَّخْلِ وَالْعَنْبِ وَالْأَرَاكِ: مَا تَعْقَدُ وَتَرَكَمَ مِنْ ثَمَرِهِ
فِي أَصْلِ وَاحِدٍ.
قال تَابِطٌ شَرًّا (٦):
وَقَدْ هَوَتْ بِمَصْقُولِ عَوَارِضُهَا بَكْرٍ تُنَازِعُنِي كَأَسَا وَعِنْقَادَا
قال صيفي الأسلت (٧):
وقد لاح في الصبح الثريا كما ترى كعنقودٍ مُلاحيةٍ حين نَوَّرَا
قال المرقش الأصغر (٨):

-
- (١) ديوانه، تحقيق محمد جبار المعبيد ١٥٧.
(٢) شعر لقيط بن زُرارة التميمي جمع وتحقيق ودراسة، عبد العظيم فيصل صالح ٢٢٣.
(٣) المحكم ٥٩٩/٧.
(٤) ديوان امرؤ القيس، صنعة حسن السندوبي، المطبعة الرحمانية ١٣٠.
(٥) ديوان امرؤ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ٢٩٨.
(٦) ديوانه، جمع وتحقيق وشرح علي ذو الفقار شاعر ٧٧.
(٧) ديوانه، تحقيق حسن محمد باجودة ٧٣، وينسب لأحوية بن الجلاح في الشعراء الجاهليون
الأوائل، عادل الفريجات ٤٥٥.
(٨) ديوانه، تحقيق كارين صادر ١٠٣.

في الشرق كأس وفي الغرب عنقودٌ وفي وسط السماء قدم

٦- التوابل (٣ ألقاظ):

(سنت): السُّنُوتُ: الكُمُونُ، بمانِيَّة. وقيلَ هو نبتٌ شبيهٌ بالكُمُون (١). لَيْسَ

من نَبَاتِ بِلَادِ الْعَرَبِ (٢).

قال زُهَيْرُ بْنُ أَبِي سُلَيْمٍ (٣):

فما شتَمي بِسُنُوتٍ بَزِيدٍ ولا عَسَلٍ تُصَفِّقُهُ بِرَاحٍ

١. (فحو): الأَفْحَاءُ: التوابل، واحدها فِحا.

قال حاتم الطائي (٤):

إِذَا كُنْتَ ذَا مَالٍ كَثِيرٍ مُوَجَّهًا تُدَقُّ لَكَ الْأَفْحَاءُ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ

٢. (ملح): المِلْحُ: المادَّة التي تجعل ماء البحر طعمه الخاص.

قال عُروَةُ بْنُ الْوَرْدِ الْعَبْسِيُّ (٥):

يَنْوَعُونَ بِالْأَيْدِي وَأَفْضَلُ زَادِهِمْ بَقِيَّةُ لَحْمٍ مِنْ جَزْوَرٍ مُمْلِحٍ

قال طَفِيلُ الْعَنْوِيِّ (٦):

كَأَنَّ يَبِيْسَ الْمَاءِ فَوْقَ مُتَوْنِهَا أَشَارِيرٌ مِلْحٌ فِي مَبَاءَةِ مُجْرِبٍ

٧- الطبخ والإدام (لفظ واحد):

١. (أدم): الإِدَامُ: مَا يُؤْكَلُ بِالْحَبْزِ أَيَّ شَيْءٍ كَانَ، جُ أَدْم.

قال النابغة الذبياني (٧):

(١) المحكم ٤٦٨/٨.

(٢) المخصص ١٨٧/٣.

(٣) المستدرک علی دواوین شعراء العرب المطبوعة، رضوان محمد حسین النجار ٢٥٥.

(٤) ديوان شعر حاتم بن عبد الله الطائي وأخباره، تحقيق د. عادل سليمان جمال ١٧٢.

(٥) ديوانه، شرح ابن السكيت، تحقيق عبد المعين الملوحي ٤١.

(٦) ديوانه، حسن فلاح أوغلي ٣٣.

(٧) ديوانه، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ٦٣.

ألفاظ الأطعمة في الشعر الجاهلي - دراسة لغوية ومعجم، د. ياسر الدرويش

إِنِّي أُنَمِّمُ أَيْسَارِي وَأَمْنَحُهُمْ مَثْنَى الْيَادِي وَأَكْسُو الْجَفَنَةَ الْأُدْمَا

قال طرفة بن العبد البكري (١):

يُطْعِمُ النَّاسَ إِذَا أُحْلُوا مِنْ نَقِيٍّ فَوْقَهُ أُدْمَةٌ

٨- الحلويات (لفظ واحد):

١. (خبص): الخبيص: الحلواء المخبوصة، والخبيصة أخص منه.

قال وعلة الجرمي (٢):

فَمَا بِالْعَارِ مَا عَيْرْتُمُونَا شِوَاءَ النَّاهِضَاتِ مَعَ الْخَبِيصِ

قال امرؤ القيس بن حجر الكندي (٣):

فَتَقُولُ بِلِ سِوَاكِ سَلْهَبَةٍ جِرْدَاءٍ مِثْلَ خَبِيصَةِ الْبِرْسِ

٩- أخرى (لفظ واحد):

١. (خرس): الخرسة والخرس: طعام الولادة، وخرست النفساء: أطعمتها الخرسة.

قال حبيب الأعمى الهذلي (٤):

إِذَا النَّفْسَاءُ لَمْ تُخْرَسْ بِيَكْرَهَا غَلَامًا وَلَمْ يُسَكَّتْ بِحَثْرِ فَطِيمِهَا

(١) ديوانه، تحقيق درية الخطيب ولطفي الصقال ١٨٣. التقي: خبز الخوارى.

(٢) شعر قضاة حتى منتصف القرن الثاني الهجري، عبد العزيز بن محمد بن هديب ١٠٩.

(٣) ديوان امرؤ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ٢٤٥.

(٤) شرح أشعار الهذليين، الحسن بن الحسين السكري، تحقيق عبد الستار الفراج ٣٢٧/١. الحتر:

الشيء القليل.

وهذا جدول تفصيلي يوضح تكرار كل حقل دلالي، وعدد ألفاظ الأطعمة فيه، والشواهد الشعرية التي تضمنتها.

النوع	اللحم والدم	القمح ومشتقاته	التمر	الحليب ومشتقاته	الحضراوات والفواكه	التوابل	الطبخ والإدام	الحلويات	أخرى	المجموع
عدد الألفاظ	٢٦	٧	٥	٤	٤	٣	١	١	١	٥٢
عدد الشواهد الشعرية	١١٩	١٨	١٣	٩	٣٤	٤	٢	٢	١	٢٠٢

-قراءة في الأرقام:

يُلاحظ في هذه الحقول الدلالية أن أكثر الأطعمة ورودًا في الشعر الجاهلي ما يتعلق باللحم والدم وما يتفرع منهما، سواء من ناحية عدد المفردات، أو عدد الأبيات الشعرية التي حملت إلينا هذه المفردات، فقد بلغ عدد هذه الألفاظ ستة وعشرين لفظًا، وبلغت الأبيات الشعرية التي تحدثت عن اللحم ومشتقاته مئة وتسعة عشر بيتًا، وهذا رقم كبير يفوق شواهد بقية ألفاظ الحقول الدلالية لألفاظ الأطعمة مجتمعةً، وهو ما يعطي انطباعًا عن طبيعة حياة العرب قبل الإسلام، وأنواع الأطعمة التي كانت سائدة، فقد كان العربي يعيش في صحراء مهلكة، وبوادي ممتدة، يقل فيها الماء، وتنحسر فيها المساحات الخضراء، فلا فواكه ولا حضراوات، ولكنه الصيد، بما تناله أيديهم، وبما يُعلمون من جوارح، وما يُربون من أنعام.

وجاءت ثانيًا في الترتيب الألفاظ الدالة على الخبز ومشتقاته، بسبعة ألفاظ، وثمانية عشر بيتًا، ولا غرابة؛ فالخبز عنصر مهم وأساسي في أي مائدة، وفي كل عصر. وحلّ ثالثًا بعدهما التمر، بخمسة ألفاظ، وثلاثة عشر بيتًا، والتمر ذلك الغذاء المتكامل الذي تحمله شجرة النخل، وهي شجرة تكثر في جزيرة العرب، فمنها طعامهم،

وبيوتُ مَنْ أراد القرار وترك حياة الصحراء والبداءة منهم، ومنها سقوف بيوتهم، وعلى جريد نخيلها يكتب من تعلم الكتابة منهم.

ثم اللبن الحليب ومشتقاته بأربعة ألفاظ في تسعة أبيات، وإلى هنا يبدو الأمر منطقيًا في تسلسل الأطعمة وتكرارها عند الشاعر الجاهلي، فاللحم يحل أولاً، ثم الخبز، ثم التمر، ثم الحليب، لكن تُفجأ عندما تصل إلى الخضراوات والفواكه، ففيها أربعة ألفاظ حملتها أربعة وثلاثون بيتاً، وهذا لافت للنظر، مسترعٍ للانتباه، أن تُذكر الخضراوات والفواكه في الشعر الجاهلي أربعاً وثلاثين مرة، لكنك إذا فدقت في الرقم وجدت أن واحداً منها يأخذ حصة الأسد، وهو (البقل) الذي ذُكر في الشعر الجاهلي ثلاثاً وعشرين مرة، وبقية الخضراوات والفواكه في أحد عشر بيتاً.

ويُلاحظ كذلك قلة ذكر الحلويات أو نُدرته في الشعر الجاهلي، فلم يُذكر شيء من الحلو إلا الخبيص، ولعل مردّ ذلك إلى طبيعة حياتهم، وحرصهم على ما يسدُّ الجوع، وعدم التفاتهم إلى الحلويات التي تُعد من الكماليات اليوم، فما ظنك بها في تلك الأيام والظروف؟!

عروبة ألفاظ الأطعمة عند عرب الجاهلية من خلال شعرهم:

عُني العلماء العرب بالمعرب والدخيل، ودرسوا ما يدور في كلامهم، وميزوا العربي من المعرب والمولد والدخيل، وألفت كتب مختصة بهذا الفن، منها:
الألفاظ الفارسية المعربة لأدي شير، وشفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل لشهاب الدين الخفاجي، والطراز المذهب في الدخيل المعرب لمحمد بن يوسف النهالي الحلبي، وقصد السبيل فيما في اللغة العربية من الدخيل للمحبي، ولف القمط على تصحيح ما استعملته العامة من المعرب والدخيل والمولد والأغلاط للقنوجي، والمعرب للجواليقي...

وقد كثرت الألفاظ الأعجمية التي دخلت العربية في عصور ما بعد الإسلام؛ بسبب الفتوح، ودخول أهل البلاد المفتوحة في الإسلام، فنقلوا معهم معارفهم ولغة حضارتهم، وتطعمت الحضارة العربية الإسلامية الناشئة بمئات وربما آلاف من الألفاظ التي تحمل أسماء لمعاني أو لأشياء لم يكن لعرب الجزيرة عهد بها، وهذا ما يحدث اليوم،

إذ تدخل العربية باستمرار كلماتٍ أعجمية مترافقة مع الأشياء والمخترعات التي تدل عليها.

وباب الأطعمة واسعٌ عريض، تختلط فيه ثقافات الأمم، ويتبارى في ميادين المهرة الحذقة من الطهاة والطاهيات، وأرباب الصنعة، فتجد الأكلة الواحدة قد أصبحت أكثر من عشرين نوعاً، باختلاف طرائق صنعها وتديورها، وكان المتوقع أن يكون جزء لا بأس به من ألفاظ الأطعمة معرباً منتقلاً من الأمم الأخرى، ولحاجة العرب إلى التنوع في المأكل والمشرب؛ لاقتصار طعامهم على ما يصيدون ويزرعون، ولكون معظم أرضهم صحراء لا تُمسك ماء، ولا تُنبت خضراء؛ إلا أن الظن يخيب حين تجد أن ألفاظ الطعام الواردة في الشعر الجاهلي ثلاث وخمسون كلمة، ليس منها إلا كلمة معربة، هي (الجرّدق) لرغيف الخبز التخين، وهي معربة من الفارسية (كردّة).

ولعل السبب يرجع في تقديري إلى أن عرب الجزيرة قبل الإسلام لم يكن لهم كبير اختلاط بالأمم الأخرى، إلا ما كان من حالات فردية لشعراء عُرفوا بكثرة الأسفار، ودخول بلاط الغساسنة والمناذرة، كالنابغة الذبياني، وعدي بن زيد العبادي، وامرئ القيس بن حُجر الكندي في رحلته المشهورة، وهي رحلته الأخيرة على كل حال. وبهذا يتبين أن معظم ألفاظ الشعر الجاهلي كانت عربية الأرومة.

هذا عن عروبة اللسان مما يتعلق بألفاظ الأطعمة الواردة في الشعر الجاهلي، وأما عروبة المكان الذي وُجدت فيه المسميات فبالنظر إليها تجد أن أكثرها عربي البلد كذلك، فاللحم ومشتقاته مما يصيده العربي من حيوانات الصحراء التي أكثروا من ذكرها، كالناقة والشاة والمهاة والثور الوحشي... لكن يُلاحظ هنا أن هذا الحقل الدلالي فيه ست وعشرون لفظة، حملها إلينا مئة وتسعة عشر بيتاً من الشعر، ليس منها إلا لفظ واحد يدل على السمك، وهو لفظ (حوت)، ولم ترد لفظة (سمك) أو (أسماك)، وربما يُفسر هذا ببعدها عن شواطئ البحار الملحّة، وانتجاعهم موارد الماء العذب، ووحدات الصحراء، وهي قليلة قلة سببت حروباً طاحنة دامت سنواتٍ عديدةً.

وأما القمح والخبز ومشتقاتهما ففما ينبت في أرض العرب، والتمر كذلك يكثر شجره في أرضهم، واللبن متعلق بحيواناتهم التي يتغذون عليها لبناً حياً، ولحمًا مذبوحةً.

ألفاظ الأطعمة في الشعر الجاهلي - دراسة لغوية ومعجم، د. ياسر الدرويش

ولعل الحقل الوحيد الذي يمكن أن تجد فيه ما لا ينبت في أرضهم هو باب الخضراوات والفواكه، فالتفاح والسفرجل - وإن قال أبو حنيفة الدينوري إنه كثير في بلاد العرب - ليس في متناول العرب كلهم، إلا من كان يسكن في منابته على أطراف بلادهم. والتوابل تُحمل إليهم حملاً عن طريق التجار، وقد نصت المعاجم على أن السَّنُوتُ: الكُمُونُ، لَيْسَ من نَبَاتِ بِلَادِ الْعَرَبِ (١).

(١) المخصص ١٨٧/٣.

القسم الثاني: المعجم:

- (أبل): الأُبْلَةُ: تمر يُرَضُّ بين حجرين ويُجلب عليه، والكتلة من التمر.
- (أدم): الإِدام: ما يؤكل مع الخبز، ج أَدَم.
- (أقط): الأَقِطُ والأَقِطُ والإِقِطُ: طعام يُتَّخَذُ مِنَ اللَّبَنِ الْمَخِيضِ يُطَبَّحُ ثُمَّ يُتْرَكُ حَتَّى يَمْتَصِلَ.
- (أهل): الإِهالة: الشَّحْمُ وَالزَّيْتُ وكل ما أُوتِدَم بِهِ. واستأهل: أخذ الإِهالة وائتمم بها.
- (برر): البُرُّ: القَمْحُ، الوَاحِدَةُ بُرَّةٌ.
- (بقل): الباقلاء: نَبات عَشْبِي حَوْلِي تُؤْكَلُ قَرُونَهُ مَطْبُوخَةً وَكَذَلِكَ بَدْوَرُهُ، والبقل: نَبات عَشْبِي يَغْتَدِي الْإِنْسَانَ بِهِ أَوْ يَجْزُهُ مِنْهُ دُونَ، ج بُقُولٌ.
- (تفح): التَّفَاحُ: ثَمَرُ شَجَرٍ مِنَ الْفَصِيلَةِ الْوَرْدِيَّةِ لَهُ ضُرُوبٌ كَثِيرَةٌ، واحدته تفاحة، والمتفحة: بُسْتَانُ التَّفَاحِ، ج مَتَفِحٌ.
- (تمر): التَّمْرُ: ثَمَرُ النَّخْلِ، ج تَمُورٌ وَتَمْرَانٌ، وَتَمْرُ الرُّطْبِ: صَارَ تَمْرًا، وَالنَّخْلَةُ: صَارَ مَا عَلَيْهَا تَمْرًا، وَفُلَانٌ كَثَرَ تَمْرُهُ، وَفُلَانًا أَطْعَمَهُ التَّمْرَ.
- (ثرد): الثَّرِيدُ: الْخَبِزُ يُفْتُ ثُمَّ يُبَلُّ، وَقَدْ تَرَدَ الْخَبِزُ تَرْدًا فَهُوَ تَرِيدٌ وَمَثْرُودٌ.
- (ثور): الثَّورُ: الْقِطْعَةُ الْعَظِيمَةُ مِنَ الْأَقِطِ، ج أَثْوَارٌ.
- (جردق): الْجَرْدَقُ: الْخَبِزُ الْغَلِيظُ، مُعَرَّبٌ كَرْدَهُ.
- (جمل): الْجَمِيلُ: الشَّحْمُ الْمَذَابُ، وَقَدْ اجْتَمَلَ الشَّحْمُ إِذَا أَكَلَهُ.
- (حنب): الْحَنْبُ: الشِّوَاءُ الَّذِي لَمْ يَنْضَجْ ثُمَّ أُعِيدَ فَتَدَخَّنَ فَفَسَدَ.
- (حند): شَاةٌ حَنِيدٌ: مَشْوِيَةٌ عَلَى حِجَارَةٍ مُحْمَاةٍ، وَقَدْ حَنَدَهَا يَحْنِدُهَا حَنْدًا وَتَحْنَادًا.
- (حوت): الْحَوْتُ: السَّمَكَةُ، صَغِيرَةٌ كَانَتْ أَوْ كَبِيرَةٌ، وَجِنْسٌ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ الثَّدْيِيَّةِ مِنْ رُتْبَةِ الْحَيْتَانِ، ج حَيْتَانٌ وَأَحْوَاتٌ.
- (حور): الْحَائِرُ: الدِّسْمُ، وَمَرْقَةٌ مَتَحِيرَةٌ إِذَا كَانَتْ كَثِيرَةَ الدِّسْمِ.

(حيس): الحَيْسُ: تَمْرٌ يُنْزَعُ نَوَاهُ وَيُدْقُ مَعَ أَقِطٍ وَيُعْجَنَانِ بِالسَّمَنِ، ثُمَّ يُدْلَكُ بِالْيَدِ حَتَّى يَبْقَى كَالثَّرِيدِ، وَرُبَّمَا جُعِلَ مَعَهُ سَوِيقٌ.

(خبز): الخَبْزُ: اسْمٌ لِمَا يَصْنَعُ مِنَ الدَّقِيقِ المَعْجُونِ المَنْضَجِ بِالنَّارِ، وَقَدْ خَبَزَ الخَبْزَ يَخْبِزُهُ: إِذَا صَنَعَهُ.

(خبص): الخَبْصُ: فِعْلُكَ الخَبِيسِ فِي الطَّنَجِيرِ، وَقَدْ خَبَصَ خَبْصًا، وَخَبَّصَ خَبِيسًا، فَهُوَ خَبِيسٌ وَخَبَّصٌ وَخَبُوصٌ. وَيُقَالُ: اخْتَبَصَ فُلَانٌ إِذَا اتَّخَذَ لِنَفْسِهِ خَبِيسًا. وَالخَبِيسُ: الخُلُوءُ المِخْبُوصَةُ، وَالخَبِيسَةُ أَخْصُ مِنْهُ. وَخَبَّصَ الخُلُوءَ يَخْبِصُهَا خَبْصًا وَخَبَّصَهَا: خَلَطَهَا وَعَمَلَهَا. وَالمِخْبِيسَةُ: الَّتِي يُقَلَّبُ فِيهَا الخَبِيسُ، وَقِيلَ: المِخْبِيسَةُ كالمَلْعَقَةِ يُعْمَلُ بِهَا الخَبِيسُ.

(خرس): الخَرْسَةُ وَالخَرْسُ وَالخِرَاسُ: طَعَامُ الوِلَادَةِ، وَخَرَسْتُ النَّفْسَاءَ: أَطْعَمْتُهَا الخَرْسَةَ.

(خزر): الخَزِيرَةُ وَالخَزِيرُ: لَحْمٌ يُقَطَعُ قِطْعًا صِغَارًا، ثُمَّ يَطْبَخُ بِمَاءٍ كَثِيرٍ وَمِلْحٍ، فَإِذَا اكْتَمَلَ نَضِجَهُ ذُرٌّ عَلَيْهِ الدَّقِيقُ وَعُصِدَ بِهِ، ثُمَّ أُدْمَ بِإِدَامٍ.

(دسم): الدَّسَمُ: دُهْنُ اللَّحْمِ، وَالشَّحْمُ، وَاللَّحْمُ، وَدَسَمَ الطَّعَامَ: جَعَلَ فِيهِ الدَّسَمَ، وَتَدَسَّمُ: أَكَلَ الدَّسَمَ.

(رضض): المَرِضَةُ: تَمْرٌ يُنْفَعُ فِي اللَّبَنِ فَتُصْبِحُ الجَارِيَةُ فَتَشْرِبُهُ وَهُوَ الكُدَيْرَاءُ. وَالمَرِضَةُ: الأَكْلَةُ أَوْ الشَّرْبَةُ الَّتِي تُرَضُّ العَرَقُ، أَي: تُسِيلُهُ إِذَا أَكَلْتَهَا أَوْ شَرِبْتَهَا. وَالمَرِضَةُ: اللَّبَنُ الحَامِضُ الخَائِرُ، ج مَرَاضٌ.

(رغغ): الرِّغِغَةُ: مَا عَلَى الزَّبَدِ وَهُوَ مَا يَسْلَأُ مِنَ اللَّبَنِ مِثْلَ الرِّغْوَةِ وَقِيلَ هُوَ لَبَنٌ يَغْلَى وَيَذَرُ عَلَيْهِ دَقِيقٌ يَتَّخِذُ لِلنَّفْسَاءِ.

(رغف): الرِّغْفُ: جَمْعُكَ العَجِينِ أَوْ الطِّينِ تُكْتَلَبُ بِبَيْدِكَ، وَمِنْهُ: الرِّغْفُ، ج: أَرْغَفَةٌ وَرُغْفٌ وَرُغْفٌ وَرُغْفَانٌ وَرَاغِيفٌ.

(سدف): السَّدْفُ: السَّنَامُ.

(سفرجل): السَّفَرَجَلُ: شَجَرٌ مِثْمَرٌ مِنَ الفَصِيلَةِ الوَرْدِيَّةِ، ج سَفَرَجِجٍ.

(سلو): السَّلْوَى: طَائِرٌ نَحْوُ الحَمَامَةِ، وَهُوَ أَطْوَلُ سَاقًا وَعُنُقًا مِنْهَا، وَلَوْنُهُ شَبِيهُ بِلُونِ السُّمَانِيِّ، سَرِيعُ الحَرَكَةِ.

- (سمحق): السَّمْحِيُّقُ: شحم رقيق يكون على ثرب الشاة.
- (سمن): السَّمْنُ: سلاء الزُّبْدِ، وَهُوَ مَا يُذَاب وَيُخْلَص مِنْهُ بَعْدَ إِغْلَائِهِ.
- بُخْبِزٍ أَوْ بِسْمَنِ أَوْ بِزَيْتٍ أَوْ الشَّيْءِ الْمَلْفَفِ فِي الْبِحَادِ
- (سنت): السَّنْتُوُ وَالسَّنْتُوُتُ: الكُمُونُ، وَالزُّبْدُ، وَالْجُبْنُ، وَالْعَسَلُ، وَضَرْبٌ مِنَ التَّمْرِ، وَالرُّبُّ، وَالشَّبْتُ.
- (سمن): السَّنَامُ: كُتْلٌ مِنَ الشَّحْمِ مَحْدَبَةٌ عَلَى ظَهْرِ الْبَعِيرِ وَالنَّاقَةِ، جِ اسْنَمَةٌ.
- (شحم): الشَّحْمُ مِنْ جِسْمِ الْحَيَوَانِ: الْأَبْيَضُ الدَّهْنِيُّ، كَسَنَامِ الْبَعِيرِ، وَمَادَةٌ دُهْنِيَّةٌ تُسْتَخْرَجُ مِنَ الْحَيَوَانِ وَغَيْرِهِ، جِ شُحُومٌ، وَشَحْمٌ شَحَامَةٌ: كَثُرَ شَحْمُ جَسَدِهِ فَهُوَ شَحِيمٌ.
- (شوي): لَحْمٌ مَشْوِيٌّ: مُنْضَجٌ بَوْضَعَهُ عَلَى النَّارِ، وَقَدْ شَوِيْتُ اللَّحْمَ أَشْوِيهِ شَيْئًا فَنَشْوَى. وَالشَّوَاءُ فِعَالٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ مِثْلُ كِتَابٍ وَبِسَاطٍ بِمَعْنَى مَكْتُوبٍ وَمَبْسُوطٍ، وَأَشْوَيْتُ الْقَوْمَ بِالْأَلْفِ أَطَعَمْتُهُمُ الشَّوَاءَ.
- (صيح): الصَّيْحَانِيُّ: تَمْرٌ مَعْرُوفٌ بِالْمَدِينَةِ.
- (عبط): الْعَبِيطُ مِنَ اللَّحْمِ: مَا كَانَ سَلِيمًا مِنَ الْأَفَاتِ إِلَّا الْكَسْرَ، وَلَحْمٌ عَبِيطٌ: طَرِي غَيْرُ نَاضِجٍ، وَدَمٌ عَبِيطٌ: طَرِي، وَزَعْفَرَانٌ عَبِيطٌ طَرِي خَالِصٌ.
- (عرض): الْمَعْرَضُ: اللَّحْمُ الَّذِي لَمْ يَبْلُغْ نَضْجَهُ.
- (عصد): الْعَصِيدَةُ: دَقِيقٌ يُلْتَمَسُ بِالسَّمَنِ وَيُطْبَخُ، جِ عَصَائِدٌ. وَعَصَدَ الْعَصِيدَةَ عَصَدًا: عَمَلَهَا، وَالشَّيْءُ: لَوْاهُ فَهُوَ مَعْصُودٌ وَعَصِيدٌ.
- (عنقد): الْعُنُقُودُ وَالْعِنْقَادُ مِنَ النَّحْلِ وَالْعَنْبِ وَالْأَرَاكِ: مَا تَعَقَدَ وَتَرَكَمَ مِنْ ثَمَرِهِ فِي أَصْلِ وَاحِدٍ.
- (فأد): الْفَيْيْدُ: مَا شُوِيَ وَخُبِزَ عَلَى النَّارِ، وَإِذَا شُوِيَ اللَّحْمُ فَوْقَ الْجَمْرِ فَهُوَ مُفَادٌ وَفَيْيْدٌ. وَفَادَ اللَّحْمَ فِي النَّارِ يَفَادُهُ فَادًا وَافْتَادَهُ فِيهِ: شَوَاهُ.
- (فحو): الْأَفْحَاءُ: التَّوَابِلُ، وَاحِدُهَا فِحَا.

(فصد): الفَصِيدُ: دَمٌ كَانَ يُوَضَعُ فِي مِعَى، وَيُشْوَى، وَقَدْ فَصَدَ يَفْصِدُ فَصْدًا وَفِصَادًا، وَافْتَصَدَ: شَقَّ الْعِرْقَ، وَهُوَ مَفْصُودٌ وَفَصِيدٌ، وَالْفَصِيدَةُ: تَمْرٌ يُعْجَنُ وَيُشَابُ بِدَمٍ.

(فلذ): الْفَلَذُ: كَبِدُ الْبَعِيرِ، وَالْفَلْدَةُ: الْقِطْعَةُ مِنَ الْكَبِدِ وَاللَّحْمِ. وَقَلَدَ الشَّيْءَ فَلْدًا: قَطَعَهُ، وَالْفَلْدُ: كَبِدُ الْبَعِيرِ، جَ أَفْلَادٌ، وَالْفَلْدَةُ: الْقِطْعَةُ مِنَ الْكَبِدِ وَاللَّحْمِ وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، جَ فَلْدٌ وَأَفْلَادٌ.

(قتر): الْفُتَارُ: رَائِحَةُ اللَّحْمِ إِذَا شُوِيَ.
(قدر): الْقَدِيرُ: مَا طَبَخَ مِنَ اللَّحْمِ بِتَوَابِلٍ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَا تَوَابِلٍ فَهُوَ طَبِيخٌ. وَاقْتَدَرَ الْقَوْمُ: طَبَخُوا فِي قَدَرٍ.

(لحم): اللَّحْمُ مِنْ جِسْمِ الْحَيَوَانَ وَالطَّيْرِ: الْجُزْءُ الْعِضْلِيُّ الرَّخْوُ بَيْنَ الْجِلْدِ وَالْعِظْمِ، وَلَحْمٌ كُلُّ شَيْءٍ: لُبُّهُ، جَ أَحْمٌ وَحُومٌ.
(لكك): الْلَكِيكُ: اللَّحْمُ الْكَثِيرُ الثَّخِينُ.

(ملح): الْمَلْحُ: الْمَادَّةُ الَّتِي تَجْعَلُ لِمَاءَ الْبَحْرِ طَعْمَهُ الْخَاصَّ، وَيُمْكِنُ الْحُصُولُ عَلَيْهِ مِنْ طَبَقَاتِ الْأَرْضِ الْمَلْحِيَةِ، أَوْ مِنَ الْمَلَّاحَاتِ الْبَحْرِيَةِ الَّتِي تَتَكُونُ بَعْدَ تَبَخُّرِ الْمَاءِ، وَيُسْتَعْمَدُ الْمَلْحُ بِوَجْهِ خَاصٍّ فِي تَطْيِيبِ الطَّعَامِ وَحِفْظِهِ، جَ أَمْلَاحٌ.

(نشل): النَّشِيلُ: لَحْمٌ يُطْبَخُ بِلَا تَوَابِلٍ.
(نقي): النَّقِيُّ: خَبْزُ الْحَوَّارِيِّ.

(نون): النَّوْنُ: الْحَوْتُ، أَوْ السَّمَكُ عَامَةً، جَ أَنْوَانٌ وَنَيْنَانٌ.
(وشق): الْمَوْشَقُ: اللَّحْمُ يُطْبَخُ بِمَاءٍ وَمَلْحٍ ثُمَّ يَجْفَفُ وَيَحْمَلُهُ الْقَوْمُ مَعَهُمْ.

خاتمة المطاف:

بعد مناقشة موضوع البحث المتعلق بألفاظ الأطعمة في الشعر الجاهلي وجدنا أن هذه الألفاظ تتوزع في عدة حقول دلالية، وكان أكبرها ما كان متعلقاً باللحم والدسم وما يرتبط بهما، فقد ورد في هذا الحقل الدلالي مئة وتسعة عشر بيتاً شعرياً، تتضمن ستة وعشرين لفظاً، وأرجعنا السبب في ذلك إلى طبيعة حياة العربي وشطف عيشه، وما يحتاج إليه من طعام يمدّه بالطاقة التي يوفرها اللحم، أو بالمصطلح الطبي الحديث (البروتين).

وجاء بعده حقل دلالي دال على القمح والخبز وما يتفرع منهما بثمانية عشرة بيتاً، تتضمن سبعة ألفاظ، ومردّد ذلك إلى كون الخبز قوام حياة الإنسان، وأكثرها اعتماداً عليه عند كثير من شعوب الأرض.

ثم وجدنا التمر حلّ ثالثاً في ألفاظ الأطعمة التي وردت في الشعر جاهلي، إذ وردت فيه خمسة ألفاظ دالة على التمر، وتكررت في ثلاثة عشر بيتاً شعرياً. والنخلة عمة العرب، وعليها اعتمادهم في غذائهم، زرعوها ورعّوها وأحسنوا صحبتها فأحسنّت صحبتهم، وعرفوا أسماءها وأنواعها، وأتقنوا حرفتها، فأمدّتهم بغذاء خفيف الحمل، كثير الفائدة، فتكررت في أشعارهم.

وكان طبيعياً أن تقلّ الألفاظ الدالة على الحلويات، فلم نجد منها إلا الخبيص، ذُكر في بيت واحد، ولعلّ مردّد ذلك إلى طبيعة حياة العرب، وحرصهم على ما يسدّ الجوع، وعدم التفاتهم إلى الحلويات التي تُعدّ من الكماليات، وربما بسبب عدم معرفتهم بطرائق صنعها، أو قلة وجود موادها التي تُصنع منها.

ثم وجدنا أن أكثر ألفاظ الأطعمة عربي فصيح؛ لاقتصار العرب في طعامهم على ما يصيدون ويزرعون، فلم نجد إلا كلمة معرّبة واحدة، هي (الجردق) لرغيف الخبز الثخين، وهي معرّبة من الفارسية (كزّده)، وعزونا السبب إلى أن عرب الجزيرة قبل الإسلام لم يكن لهم كبير اختلاط بالأمم الأخرى، إلا ما كان من حالات فردية لشعراء

ألفاظ الأطعمة في الشعر الجاهلي - دراسة لغوية ومعجم، د. ياسر الدرويش

عُرفوا بكثرة الأسفار، ودخول بلاط الغساسنة والمناذرة، كالنابغة الذبياني، وعدي بن زيد العبادي، وامرئ القيس بن حُجر الكندي في رحلته المشهورة. وكذلك وجدنا أن أكثر ألفاظ الأطعمة عربي الأرض كذلك، فاللحم ومشتقاته مما يصيده العربي من حيوانات الصحراء التي أكثرها من ذكرها، كالناقة والشاة والمهابة والثور الوحشي، مما ورد في مطالع قصائدهم من وصف للفرس والناقة، ومشاهد صيد الحمر الوحشية والبقر الوحشي والظباء، وكان هذا كله من طعامهم الذي ألفوه، وأغناهم عن التطلع إلى ما عند الأمم الأخرى، ممن كان يسكن بجوار جزيرتهم.

المصادر والمراجع

- إبراهيم، محمد أبو الفضل (١٩٥٨). ديوان امرئ القيس، القاهرة، دار المعارف.
- إبراهيم، محمد أبو الفضل. ديوان النابغة الذبياني، القاهرة، دار المعارف.
- أبو سويلم، أنور (١٩٩٤). شعر المسيب بن علس، جامعة مؤتة.
- أبو شال، سعاد (٢٠١٧). الربيع بن زياد دراسة في الشعر والشاعر، جامعة القاهرة، مجلة دراسات عربية.
- أبو ياسين، حسن بن عيسى (١٩٨٣). شعر همدان وأخبارها في الجاهلية والإسلام، الرياض، دار العلوم.
- أبو ياسين، حسن بن عيسى (١٩٩٥). شعر ضبة وأخبارها في الجاهلية والإسلام، الرياض، جامعة الملك سعود.
- الأحمدي، مقبل التام (٢٠١٥). شعراء حمير أخبارهم وأشعارهم في الجاهلية والإسلام، صنعاء، مطبوعات مجمع العربية السعيدة.
- الأزهري، محمد بن أحمد (٢٠٠١). تهذيب اللغة، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
- الأسد، ناصر الدين (١٩٦٩). ديوان الحادرة، مجلة معهد المخطوطات العربية.
- الأندلسي، علي بن إسماعيل بن سيده (١٩٩٦). المخصص، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
- الأندلسي، علي بن إسماعيل بن سيده (٢٠٠٠). المحكم والمحيط الأعظم، بيروت، دار الكتب العلمية.
- الأنصاري، ابن منظور. لسان العرب، القاهرة، دار المعارف.
- باجودة، حسن محمد. ديوان أحيحة بن الجلاح، الطائف، مطبوعات نادي الطائف الأدبي.
- البخاري، محمد بن إسماعيل (٢٠١٩)، التاريخ الكبير، الرياض، الناشر المتميز للطباعة والنشر والتوزيع.

ألفاظ الأطعمة في الشعر الجاهلي - دراسة لغوية ومعجم، د. ياسر الدرويش

البيطار، محمد شفيق (٢٠٠٢). ديوان شعراء بني كلب بن وبرة أخبارهم وأشعارهم في الجاهلية والإسلام، بيروت، دار صادر.

ثويني، حميد وعواد كامل (١٩٨٤). ديوان السليك بن السلكة، بغداد، مطبعة العاني.
جاسم، مهدي عبيد (١٩٨٩). ديوان مالك بن حريم الهمداني، بغداد، مجلة المورد العراقية.

الجبر، خالد عبد الرؤوف (٢٠٠٤). شرح شعر الشنفرى الأزدي، عمان، دار الينابيع.
الجبوري، توفيق (٢٠١٢). أشعار الشعراء الجاهليين من غير أصحاب الدواوين في كتاب الأغاني للأصبهاني، جامعة كركوك.

الجبوري، يحيى (١٩٨٦). شعر خدّاش بن زهير العامري، دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربية.

جمال، عادل سليمان (١٩٩٠). ديوان حاتم بن عبد الله الطائي وأخباره، القاهرة، مكتبة الخانجي.

الجواليقي، موهوب بن أحمد (١٩٩٠). المعرّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، دمشق، دار القلم.

حسن، عزة (١٩٦٠). ديوان بشر بن أبي خازم، دمشق، وزارة الثقافة السورية.
الخطيب، درية والصقال لظفي (١٩٦٩). ديوان علقمة الفحل بشرح الأعلام الشنتمري، حلب، دار الكتاب العربي.

الخطيب، درية والصقال لظفي (٢٠٠٠). ديوان طرفة بن العبد، البحرين، دائرة الثقافة والفنون.

الخفاجي، شهاب الدين (١٣٨٢هـ). شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، مصر، المطبعة الوهبية.

دار الكتب المصرية (١٩٩٥). ديوان الهذليين، القاهرة، دار الكتب المصرية.
دقة، محمد علي (١٩٩٩). ديوان بني أسد أشعار الجاهليين والمخضرمين، بيروت، دار صادر.

- الدليمي، محمد نايف (١٩٧٧). مطرود بن كعب الخزاعي حياته وما تبقى من شعره، بغداد، مجلة البلاغ العراقية.
- دوزي، رينهارت (١٩٧٩-٢٠٠٠). تكملة المعاجم العربية، بغداد، وزارة الثقافة والإعلام العراقية.
- الراوي، عثمان (٢٠١١). مجموع أشعار اليمن في الجاهلية والإسلام، مجلة جامعة الأنبار للغات والآداب.
- الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني. تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية.
- السامرائي، أحمد هاشم (٢٠١٠). الجميح بن الطماح جمع وتحقيق ودراسة، سامراء، مجلة سر من رأى.
- السكري، الحسن بن الحسين. شرح أشعار الهذليين، القاهرة، مكتبة دار العروبة.
- السندوي، حسن (١٩٣٠). ديوان امرئ القيس، مصر، المطبعة الرحمانية.
- السنديوني، وفاء فهمي (١٩٨٣). شعر طيء وأخبارها في الجاهلية والإسلام، الرياض، دار العلوم للطباعة والنشر.
- السنديوني، وفاء فهمي (٢٠٠٠). شعر قبيلة أسد وأخبارها في الجاهلية والإسلام، الرياض، جامعة الملك سعود.
- السويدي، سلامة (١٩٨٧). شعر قبيلة ذبيان في الجاهلية، قطر، مطبوعات جامعة قطر.
- شاكراً، علي ذو الفقار (١٩٩٩). ديوان تأبط شرًا، بيروت، دار الغرب الإسلامي.
- شلاش، هاشم طه (١٩٨١). ديوان ضمرة النهشلي، بغداد، مجلة المورد العراقية.
- شيخو، لويس (١٨٩٧). رياض الأدب في مرآة شواعر العرب، بيروت، المطبعة الكاثوليكية.
- صادر، كارين (١٩٩٨). ديوان المرقشين، بيروت، دار صادر.
- صالح، عبد العظيم فيصل (٢٠١٧). شعر لقيط بن زرارة التميمي، جامعة سامراء، مجلة سر من رأى.

ألفاظ الأطعمة في الشعر الجاهلي - دراسة لغوية ومعجم، د. ياسر الدرويش

- هوسن، آذلف هلز (١٩٢٧). الصبح المنير في شعر أبي بصير، بيانة.
الصمد، واضح (١٩٩٦). ديوان السموأل، بيروت، دار الجيل.
الصيرفي، حسن كامل (١٩٦٥). ديوان عمرو بن قميئة، القاهرة، معهد المخطوطات.
الصيرفي، حسن كامل (١٩٧٠). ديوان المتلمس الضبعي، معهد المخطوطات العربية.
الضامن، حاتم (١٩٨٦). ديوان الفند الزماني، مجلة المجمع العلمي العراقي.
الطائي، عبد اللطيف حمودي (٢٠٠٢). مقاس العائذي سيرته وما بقي من شعره،
الجامعة المستنصرية، مجلة كلية المعلمين.
الطائي، عبد اللطيف حمودي (٢٠٠٩). قبيلة ضبة أخبارها وأشعارها في الجاهلية
وصدر الإسلام، بيروت، دار الكتب العلمية.
الطيمي، ناصر (٢٠١٠). الشعر الجاهلي في أرض العجم جمع وتوثيق ودراسة،
جامعة الخليل.
غزنيوم، غوستاف (١٩٥٩). ديوان أبي دواد الإيادي، بيروت، دار مكتبة الحياة.
الغوث، مختار (٢٠١٥). شعر قريش في الجاهلية، جامعة الكويت، حوليات كلية
الآداب والعلوم الاجتماعية.
الفاكهي، محمد بن إسحاق (١٩٩٤). أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه،
بيروت، دار خضر.
الفرح، محمد حسين (٢٠٠٤). شعر وشعراء اليمن في الجاهلية، صنعاء، وزارة
الثقافة اليمنية.
الفريجات، عادل (١٩٩٤). الشعراء الجاهليون الأوائل، بيروت، دار المشرق.
الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب (٢٠٠٥). القاموس المحيط، بيروت، مؤسسة الرسالة.
الفيصل، عبد العزيز (١٤١١هـ). شعر بني عبس في الجاهلية والإسلام حتى آخر العصر
الأموي، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود.
الفيومي، أحمد بن محمد بن علي. المصباح المنير، بيروت، المكتبة العصرية.
القيالي، إسماعيل بن القاسم. الأمالي، بيروت، دار الكتاب العربي.
قباوة، فخر الدين (٢٠٠٨). ديوان زهير بن أبي سلمى، دمشق، مكتبة هارون الرشيد.

- القيسي، أيهم عباس (٢٠٠١). زيد بن عمرو بن نفيل حياته وما تبقى من شعره، بغداد، مجلة المورد العراقية.
- القيسي، نوري حمودي (١٩٦٨). ديوان الأسود بن يعفر النهشلي، بغداد، وزارة الثقافة العراقية.
- القيسي، نوري حمودي (١٩٨٩). ديوان زيان بن سيار الفزاري، بغداد، مجلة الجمع العلمي العراقي.
- مجمع اللغة العربية. المعجم الوسيط، القاهرة، دار الدعوة.
- الحبي، محمد الأمين بن فضل الله (١٩٨٢). قصد السبيل فيما في اللغة العربية من الدخيل، مكة، جامعة أم القرى.
- المعيد، محمد جبار (١٩٦٥). ديوان عدي بن زيد، بغداد، وزارة الثقافة العراقية.
- المعيني، عبد الحميد (١٩٨٢). شعر بني تميم في العصر الجاهلي، نادي القصيم الأدبي.
- المعيني، عبد الحميد (١٩٩٤). شعر الزبير بن عبد المطلب جمع وتحقيق ودراسة، عمان، مجلة اللقاء للبحوث والدراسات.
- المغربي، إبراهيم (١٩٩٩). شعر غطفان من الجاهلية إلى نهاية العصر الأموي، الأردن، جامعة اليرموك.
- مقداد، عبد الله جبريل (١٩٨٩). شعر قبيلة بكر بن وائل في الجاهلية وصدر الإسلام جمع وتحقيق ودراسة، جامعة تونس.
- مقداد، عبد الله جبريل. شعر يهود في الجاهلية وصدر الإسلام جمع وتحقيق ودراسة، عمان، دار عمار.
- الملوحي، عبد المعين (١٩٦٦). ديوان عروة بن الورد، دمشق، وزارة الثقافة.
- مولوي، محمد سعيد (١٩٧٠). ديوان عنتر بن شداد، القاهرة، المكتب الإسلامي.
- ميدان، أيمن (١٩٩٥). شعر تغلب في الجاهلية، القاهرة، معهد المخطوطات العربية.
- الميداني، أحمد بن محمد. مجمع الأمثال، بيروت، دار المعرفة.
- ميمون، محمد بن المبارك بن محمد (١٩٩٩). منتهى الطلب من أشعار العرب، بيروت، دار صادر.

ألفاظ الأطلعة في الشعر الجاهلي - دراسة لغوية ومعجم، د. ياسر الدرويش

نبوي، عبد العزيز (١٩٨٩). ديوان بني بكر في الجاهلية، القاهرة، دار الزهراء.
النجار، رضوان محمد حسين (١٩٨٧). المستدرك على دواوين شعراء العرب المطبوعة،
مجلة معهد المخطوطات العربية.

نجم، محمد يوسف (١٩٧٩). ديوان أوس بن حجر، بيروت، دار صادر.

نصار، حسين (١٩٧٥). ديوان عبيد بن الأبرص، القاهرة، عيسى البابي الحلبي.
النعانة، إبراهيم (١٩٩٩). شعر غطفان في الجاهلية وصدر الإسلام جمعًا وتحقيقًا
ودراسة، الخرطوم، جامعة النيلين.

النعانة، إبراهيم (٢٠٠٧). شعر بني كنانة في الجاهلية وصدر الإسلام جمعًا وتحقيقًا
ودراسة، عمان، دار جرير.

النّهالي، محمد بن يوسف (١٩٩١). الطراز المذهب في الدخيل والمغرب، مكة،
جامعة أم القرى.

هديب، عبد العزيز بن محمد (١٤٣٤هـ). شعر قضاة حتى منتصف القرن الثاني
الهجري، الرياض، جامعة الإمام.

الوصيفي، عبد الرحمن (١٤١٥هـ). شعر بني عامر من الجاهلية حتى آخر العصر الأموي
جمع وتحقيق ودراسة، نادي المدينة المنورة الأدبي.

الوصيفي، عبد الرحمن (٢٠٠٣). شعر المسيب بن علس، القاهرة، مكتبة الآداب.

يعقوب، عبد الكريم (١٩٨٢). أشعار العامريين الجاهليين، اللاذقية، دار الحوار.

يموت، بشير (١٩٣٤). شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، بيروت.

Bibliography

- Abo- Shal, Soaad (2017). Ar-Rabie Bin Ziyad, Gaamieat Al- Qahirah.
- Abo- Swailem, Anwar (1994). Shier Al-Mosayab Bin Alas, Gaamieat Mota.
- Abo-Yasin, Hasan Bin Eisa (1983). Shier Hamdan, Riyadh, Dar Al-Olom.
- Abo-Yasin, Hasan Bin Eisa (1995). Shier Dhabbah, Riyadh, Gaamieat Al- Malik Suad.
- Adh-Dhaamen, Hatem (1986). Diwan Al- Fin Az- Zimmani, Magallat Al- Magmaa Al- Ilmi Al- Iraqi.
- Al- Faisal, Abd Al- Azeez (1411). Shier Bani Abs Fi Al- Gahiliyyah, Riyadh, Gaamieat Al- Imaam.
- Al- Fakihi, Mohammad Ibn Ishaq (1949). Akhbar Makkah, Beirut, Dar Khodhr.
- Al- Farah, Mohammad Hosain (2004). Shier Wa Shoaraa Al- Yaman Fi Al- Gahiliyyah, Sanaa.
- Al- Fayyoomi, Ahmad Ibn Ali. Al- Misbaah Al- Moneer, Beirut, Al- Maktabah Al- Asriyyah.
- Al- Freegaat, Adel (1994). As- Shoaraa Al- Gahiliyyoon Al- Awaaeil, Beirut, Dar Al- Mashriq.
- Al- Gabr, Khaled (2004). Sharh Shier As- Shanfara, Amman, Dar Al- Yanabiie.
- Al- Gawaliqi, Mawhoob (1990). Al- Moarrab Min Al- Kalaam Al- Aagami, Damascus, Dar Al – Qalam.
- Al- Ghawth, Mokhtar (2015). Shier Qoraish Fi Al- Gahiliyyah, Gaamieat Al- Kuwait.
- Al- Khafagi, Shihab Ad-Deen (1382). Shifaa Al- Ghalil, Egypt, Al- Wahabiyyah.
- Al- Khateeb, Dorriyyah (1969). Diwan Alqamah Al – Fahl, Aleppo, Dar Al- Kitab Al – Arabi.
- Al- Khateeb, Dorriyyah (20000). Diwan Tarafa Ibn Al- Abd, Bahrein.
- Al- Maghribi, Ibraheem (1999). Shier Ghatafaan, Jordan, Gaamieat Al- Yarmook.
- Al- Mallohi, Abd Al- Moein (1966). Diwan Orwa Ibn Al- Ward, Damascus, Wazarat Al- Thaqaafah.
- Al- Moeibed, Abd Al- Gabbar (1965). Diwan Adi Ibn Zayd, Baghdad, Wazarat Al- Thaqaafah.
- Al- Moeini, Abd Al- Hameed (1982). Shier Bani Tameem, Nadi Al- Qaseem Al-Adabi.
- Al- Moeini, Abd Al- Hameed (1994). Shier Az-Zobair Ibn Abd Al- Mottaleb, Amman Magallat Al- Balqaa.

- Al- Mohebbi, Mohammad Al- Ameen (1982). Qasd As- Sabeel, Makkah, Gaamieat Um Al- Qora.
- Al- Najjar, Ridhwaan (1987). Al- Mostadrak Ala Dwaween Shoaraa Al- Arab, Maahad Al-Makhtotat.
- Al- Qaali, Ismaeil. Al- Amaali, Beirut, Dar Al- Kitaab Al- Arabi.
- Al- Qaisi, Ayham (2001). Zaid Ibn Amr Ibn Nofail, Baghdad, Magallat Al- Mawred.
- Al- Qaisi, Noori (1968). Diwan Al- Aswad Ibn Yaafor, Baghdad, Wazarat Al- Thaqaafah.
- Al- Qaisi, Noori (1989). Diwan Zabban Ibn Sayyar Al- Fazari, Baghdad, Magallat Al- Magmaa Al- Ilmi Al- Iraqi.
- Al- Wasifi, Abd Ar- Rahmaan (1415). Shier Bani Aamer, Nadi Al- Madeenah Al- Monawwarah Al-Adabi.
- Al- Wasifi, Abd Ar- Rahmaan (2003). Shier Al- Mosayyab Ibn Alas, Al- Qahirah, Maktabat Al- Aadaab.
- Al-Ahmadi, Moqbil (2015). Shoaraa Himyar, Sanaa, Magmaa Al- Arabiyya As-Saeida.
- Al-Andalusi, Ibn Seedah (1996). Al-Mokhassas, Beirut, Dar Ihiaa Al-Torath.
- Al-Andalusi, Ibn Seedah (2000). Al-Mohkam, Beirut, Dar Al-Kotob Al-Ilmiyyah.
- Al-Asad, Naser Ad-Din (1969). Diwan Al-Haderah, Magallat Maahad Al-Makhtotat.
- Al-Azhari (2001). Tahdhib Al-Loghah, Beirut, Dar Ihiaa Al-Torath.
- Al-Bokhari, Mohammad Ibn Ismaeil (2019). At- Tariikh Al- Kabeer. Riyadh, An- Nasher Al- Motamayyis.
- Al-Fayrooz Abadi (2005). Al- Qamoos Al-Mohit". Beirut, Moassasat Ar-Risalah.
- Al-Goboori, Tawfiq (2012). Ashaar As-Shoaraa Al-Gahiliyyin fi Kitab Al-Aghani Lil-Asfahani, Gaamieat Karkook.
- Al-Goboori, Yahya (1986). Shier Khidash Ibn Zohair, Damascus, Magmaa Al- Logha Al- Arabiyyah.
- An- Naaanaa, Ibrahim (1999). Shier Ghatafaan Fi Al- Gahiliyyah Wa Sadr Al- Islam, khortoom.
- An- Naaanaa, Ibrahim (2007). Shier Bani Kinanah Fi Al- Gahiliyyah Wa Sadr Al- Islam, Amman, Dar Gareer.
- An- Nihali, Mohammad Ibn Yosef (1991). Al- Tiraaz Al- Mozahhab Fi Al- Dakheel Wa Al- Moarrab, Makkah, Gaamieat Um Al- Qora.
- As-Sairafi, Hasan (1965). Diwan Amr Ibn Qamiaa, Al- Qahirah, Maahad Al- Makhtotat.
- As-Sairafi, Hasan (1970). Diwan Al- Motalammes, Al- Qahirah, Maahad Al- Makhtotat.
- As-Samad, Wadheh (1996). Diwan As-Samwaal, Beirut, Dar Al- Geel.

- At- Taei, Abd Al- Lateef (2002). Maqqas Al- Aaeidhi, Al- Gaamiea Al- Mostansiriyyah, Magallat Kolliyyat Al- Moallimeen.
- At- Taei, Abd Al- Lateef (2009). Qabeelat Dhabbah Akhbarohq Wa Asharoha, Beirut, Dar Al Kotob Al- Ilmiyyah.
- Azzabidi. Tag Al- Aroos. Dar Al- Hidayah.
- Ba- Goodah, Hasan. Diwan Ohaihah Ibn Al-Golah. Taeif, Nadi At- Taeif Al-Adabi.
- Baytaar, Mohammad Shafiiq (2002). Diwan Shoaraa Bani Kalb, Beirut, Dar Saader.
- Daqqah, Mohammad Ali (1999). Diwan Bani Asad, Beirut, Dar Saader.
- Dar Al-Kotob Al-Misriyyah (1995). Diwan Al- Hodhaliyyeen.
- Dolaymi, Mohammad Nayif (1977). Diwan Matrood Ibn Kaab, Baghdad, Magallat Al- Balaagh.
- Doozi, Renhart (1979-2000). Takmilat Al- Maagim Al-Arabiyya, Baghdad.
- Gaasem Mahdi (1989). Diwan Malik Ibn Hareem, Baghdad, Magallat Al- Mawred.
- Gamaal, Aadel (1990). Diwan Hatem At- Taaei, Al- Qahirah Maktabat Al- Khanghi.
- Grunebaum, Gustave (1959). Diwan Abi Doaad Al- Iyaadi, Beirut, Dar Maktabat Al- Hayat.
- Hasan, Azzah (1960). Diwan Bishr Ibn Abi Khaazem, Damascus.
- Hodaib, Abd Al- Azeez Ibn Mohammad (1434). Shier Qodhaeah, Riyadh, Gaamieat Al- Imaam.
- Hosen, Adholf (1927). As-Sobh Al- Monir Fi Shier Abi Baseer, Byanna.
- Ibn Manzour, Muhammad ibn Mukram. Lisan Al-Arab, Al- Qahirah, Dar Al-Maarif.
- Ibrahim, Mohammad Abol-fadhl (1958). Diwan Imroa- Alqais, Al- Qahirah, Dar Al-Maarif.
- Ibrahim, Mohammad Abol-fadhl. Diwan An-Nabigha Adh-dhobiani, Al- Qahirah, Dar Al-Maarif.
- Magmaa Al- Logha Al- Arabiyyah. Almogam Al- Waseet, Al- Qahirah, Dar Ad- Daawah.
- Maidaan, Ayman (1995). Shier Taghleeb Fi Al- Gahiliyyah, Al- Qahirah, Maahad Al-Makhtotat.
- Maidaani, Ahmad Ibn Mohammad. Magmaa Al- Amthaal, Beirut, Dar Al- Maarifah.
- Mawlawi, Mohammad Saeid (1970). Diwan Antarah Ibn Shaddad, Al- Qahirah, Al- Maktab Al- Islami.
- Maymoon, Mohammad Ibn Al- Mobaarak (1999). Montaha At- Talab Min Ashaar Al- Arab, Beirut, Dar Saader.
- Miqdaad,• Abd Allah (1989). Shier Qabeelat Bakr Ibn Waaeil, Gaamieat tunis.

- Miqdaad, Abd Allah. Shier Yahood Fi Al- Gahiliyyah, Amman, Dar Ammar.
- Nabawi, Abd Al- Azeez (1989). Diwan Bani Bakr Fi Al- Gahiliyyah, Al- Qahirah, Dar Al- Zahraa.
- Nagm, Mohammad Yosef (1979). Diwan Aws Ibn Hagar, Beirut, Dar Saader.
- Nassar, Hosain (1975). Diwan Abeed Ibn Al- Abras, Al- Qahirah, Eisa Al- Baabi Al- Halabi.
- Qabaawah, Fakh Ad- Deen (2008). Diwan Zohair Ibn Abi Solma, Damascus, Maktabat Haroon Ar- Rasheed.
- Raawi, Othman (2011). Magmooa Ashaar Al- Yaman, Al- Anbar, Magallat Al- Loghaat.
- Saader, Karin (1998). Diwan Al- Moraqqishain, Beirut, Dar Saader.
- Salih, Abd Al-Adhim (2017). Shier Laqit Ibn Zorarah, Samerra, Magallat Sorra Man Raa.
- Samerraei, Ahmad (2010). Al- Gomaih Ibn Al- Tammah, Samerra, Magallat Sorra Man Raa.
- Sandayooni, Wafaa (1983). Shier Tayyie Wa Akhbaaroha, Riyadh, Dar Al-Olom.
- Sandayooni, Wafaa (2000). Shier Asad Wa Akhbaaroha, Riyadh, Gaamieat Al- Malik Suad.
- Sandoobi, Hasan (1930). Diwan Imroa- Alqais, Al- Qahirah, Ar- Rahmaniyyah.
- Shaker. Ali (1999). Diwan Tabbat Sharran, Beirut, Dar Al- Gharb Al- Islami.
- Sheikho, Loeis (1897). Riyadh Al- Adab Fi Marathi Shawheir Al- Arab, Beirut.
- Shlaash, Haashim (1981). Diwan Dhamrah Ibn Dhamrah An- Nahshali, Baghdad, Magallat Al- Mawred.
- Sokkari, Hasan Ibn Hosain. Sharh Ashaar Al- Hodhaliyyin, Al- Qahirah, Maktabat Dar Al- Oroobah.
- Sowadi, Salaamah (1987). Shier Dhobiaan, Qatar, Gaamieat Qatar.
- Thowaini, Hameed & Kaamel Awwad (1984). Diwan As-Solaik Ibn As- Solakah, Baghdad, Al- Aani.
- Tomaizee, Naser (2010). Al- Shier Al- Gahili Fi Ardh Al- Agam, Gaamieat Al- Khaleel.
- Yakoob, Abd Al- Kareem (1982). Ashaar Al- Aamiriyyeen Al- Gahiliyyeen, Laziqiyyah, Dar Al- Hiwaar.
- Yamot. Basheer (1934). Shaeiraat Al- Arab Fi Al- Gahiliyyah Wa Al- Islam, Beirut.

**وجوه الإعجاز البياني عند "الماوردي"
ورده الشبه المحتملة فيها في كتابه "أعلام النبوة"**

The Aspects of Rhetorical inimitability from
Al-Mawardi's viewpoint
and refuting the possible suspicions in his book
(A'lām al-Nubuwwah)

د. علي بن محمد آل نومة القحطاني

أستاذ البلاغة والنقد المساعد بقسم اللغة العربية وآدابها - كلية العلوم

الإنسانية بجامعة الملك خالد

البريد الإلكتروني: alnomah@kku.edu.sa

المستخلص

يتناول هذا البحث وجوه الإعجاز البياني عند "الماوردي" في كتابه "أعلام النبوة"، وقد عني البحث ببيان شمول الوجوه البيانية - التي ذكرها - لجوانب بلاغة النظم التي هي مناط النظر بدءاً بالمفردة وانتهاءً بحسن النظم، كما عني بإبراز جوانب المنهج الذي تفرد به "الماوردي" في تناوله لهذه الوجوه؛ إذ هو قد عمد إلى تقسيم الوجوه إلى عشرين وجهاً، اختص بالإعجاز البياني منها خمسة عشر وجهاً، مرتباً إياها ترتيباً متسلسلاً، ثم جعل لكل وجه من الوجوه شبهة محتملة ثم يتولى الرد عليها بعمق فكر ودقة نظر، معتمداً على أنواع عدة من أساليب الاحتجاج ووسائل الإقناع المتنوعة.

وقد اقتضى النظر أن يتشكل البحث من مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث أرى أنها تجمع وجوه الإعجاز عند "الماوردي" وإليها ترجع، وقد جاءت موزعة على النحو الآتي: التمهيد وفيه مطلبان: المطلب الأول: نبذة عن المؤلف والكتاب. المطلب الثاني: مناهج علماء الإعجاز في عرض وجوه إعجاز القرآن الكريم في عصر المؤلف ومقارنتها بطريقة الماوردي. المبحث الأول بعنوان: فصاحة اللفظ، والمبحث الثاني بعنوان: استيفاء المعاني وحسن النظم، والمبحث الثالث بعنوان: تفرد لفظه ومعناه ونظمه، والمبحث الرابع بعنوان: العجز عن معارضته، ثم الخاتمة وفيها خلص البحث إلى نتائج من أهمها: شمول نظره للجانب البياني، واتفاق هذا النظر مع ما عني به علماء البلاغة عند النظر لبلاغة البيان وفصاحته، وتنوع آليات الاحتجاج عنده؛ فتارة يعمد إلى الاحتجاج بالقياس والموازنة، وتارة إلى الاستشهاد، وثالثة إلى الاحتجاج بما هو ثابت بالعقل، إلى غير ذلك من أساليب الاحتجاج.

الكلمات المفتاحية: الماوردي، وجوه الإعجاز، البياني، شبهة، فصاحة اللفظ،

حسن النظم، الصرفة.

Abstract

The present research investigates the aspects of rhetorical inimitability from al-Māwardi's viewpoint in his book *A'lām al-nubuwwah* "Signs of Prophet hood". The research was concerned with explaining the comprehensiveness of the rhetorical aspects, which he mentioned, aspects of the rhetoric of context, which are the focus of consideration from single word to the well-built context.

The research also highlighted the aspects of the uniqueness of Al-Māwardi in the methodology, that he has divided the aspects into twenty, specializing in figurative linguistic miracle of fifteen aspects, collocating them in sequential order, then making each of the aspects a possible suspicion, and then refuting it with depth of thought and precision, relying on several types of reasoning methods and various means of persuasion.

It required that the research consist of an introduction, a preface and four topics that combine aspects of rhetorical inimitability from Al-Māwardi's viewpoint, and divided as follows: the preface gave a brief introduction of the author, the book and the methodology of I'jāz scholars in presenting the I'jāz aspects of the Noble Quran in the era of the author and comparing them with Māwardi's approach. The first topic: eloquence of enunciation, the second topic: completion of meanings and well-built context, and the third topic: the uniqueness of its enunciation, meaning and context, and the fourth topic: the inability to match it up, and then the conclusion, in which the research mentioned the most important findings, namely: the comprehensiveness of its view of the rhetorical aspect, and the compatibility of this viewpoint with what rhetoric scholars meant upon contemplating the rhetoric and eloquence of the sentence, and the diversity of the mechanisms of matching up with it; he sometimes depends on reasoning by means of analogy and comparison, and other times depends on citation, and sometimes reasoning by what is established by the mind, and other types of reasoning.

Keywords: al-Māwardi, Aspects of rhetorical inimitability, suspicion, eloquence, well-built context, al-Şarfah

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فقد تباينت أقوال العلماء في تحديد وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، ومن يتتبع هذه الوجوه التي ذكرها العلماء - قديماً وحديثاً - يجد كثيراً منها متداخلة أو متشابهة، ويمكنه بعد الاستقراء والتحقق أن يجمع بين كثير منها. ويلحظ أن وجوهاً كثيرة تدور حول الإعجاز البياني وأسلوب القرآن الكريم المتميز في ذلك، ووجوهاً تتعلق بالإخبار عن الغيوب، وأخرى بالتشريع والتنظيم، ومنها ما اشتمل على إشارات وإيحاءات إلى سنن الله في الكون والطبيعة والحياة التي خلقها الله سبحانه وتعالى.

وقد عني "الماوردي" في كتابه "أعلام النبوة" بذكر عشرين وجهاً لإعجاز القرآن الكريم في الباب السابع من كتابه، في معرض كونها مما اختص بإثبات نبوة نبينا محمد ﷺ كانت جلّ عنايته بالجانب البياني لإعجاز القرآن الكريم؛ حيث خصه بخمسة عشر وجهاً من إجمال العشرين التي ذكرها.

ومما يلفت النظر في تناوله: عمق فهمه لفصاحة اللفظ وحسن النظم؛ إذ يلحظ أن كلامه في النظم يلتقي مع ما تقرّر عند عبد القاهر الجرجاني بعده؛ من جهة تناول النظم والوقوف على مستوياته ومنزلته في الإعجاز؛ لا سيما في كون وجه الإعجاز يكمن في النظم ويتجلى في ميزته وحسنه، وقد كانت جلّ عناية "الماوردي" موجهة إلى حسن النظم وغزارة المعنى كما سيتضح في هذا البحث الذي عنون به "وجوه الإعجاز البياني عند "الماوردي" وردده الشبه المحتملة فيها في كتابه "أعلام النبوة".

وتنبع أهمية هذا البحث - وإن كثرت الدراسات في الكشف عن وجوه الإعجاز في القرآن ولا سيما إعجازه البياني - من جهات أربع:

أولها: جودة الدراسة؛ فما ذكره "الماوردي" في كتابه "أعلام النبوة" من وجوه لإعجاز القرآن - الذي ألفه في إثبات النبوة وما يختلف من أقسامها وأحكامها، ولم يؤلفه لبيان وجوه إعجاز القرآن - لم يتناوله الباحثون بالدراسة والتحليل في حدود علمي، كما أنّ الذين ألفوا بعد ذلك في جهود العلماء وعنايتهم بوجوه الإعجاز لم يوردوا لها ذكراً.

ثانيها: تميز منهجه في عرضه لهذه الوجوه، بدقة نظر وحسن تقسيم وترتيب وتعليل، وما شابه ذلك مما هو جدير بالعناية به وإبرازه في حقول البحث الإعجازي.

ثالثها: عنايته الظاهرة بالجانب البياني في إعجاز القرآن؛ بل إن جُل ما ذكر من الوجوه ركز فيها على جانب بلاغة القرآن وفصاحته؛ حيث أورد عشرين وجهاً لإعجاز القرآن كان منها خمسة عشر وجهاً تعلقت ببلاغة القرآن وفصاحة لفظه وحسن نظمه. رابعها: عنايته بعرض ما يحتمل من شبهات ترد على هذه الوجوه، ودحضها بنظر ثاقب وحجج قاطعة.

ومن هنا تظهر أهمية هذه الدراسة، وتتضح أسباب الاختيار لموضوع هذا البحث.

وهو في الوقت ذاته يهدف إلى العناية بإخراج نظر "الماوردي" في وجوه الإعجاز، والكشف عن عنايته بالإعجاز البياني، وعرضه لمواطن تفرد القرآن، وطريقته في الرد على الشبهات.

وقد اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي منهجاً لدراسة وتحليل نظر "الماوردي" في وجه الإعجاز البياني في القرآن الكريم، والكشف عن جوانب دقة النظر عنده في تعليل جهة الإعجاز، وبيان مواطن تفرد نظم لفظ القرآن ومعناه، والرد على الشبهات، ومن ثم اقتضت أهداف البحث أن يتشكل البحث من مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث أرى أنها تجمع وجوه الإعجاز عند "الماوردي" وإليها ترجع، ويعقبها خاتمة تحوي أهم نتائج البحث والتوصيات، وثبتت بمصادر والمراجع، على النحو الآتي:

التمهيد، وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: نبذة عن المؤلف والكتاب.
 - المطلب الثاني: مناهج علماء الإعجاز في عرض وجوه إعجاز القرآن الكريم في عصر المؤلف ومقارنتها بطريقة الماوردي
 - المبحث الأول: فصاحة اللفظ.
 - المبحث الثاني: استيفاء المعاني وحسن النظم.
 - المبحث الثالث: تفرد لفظه ومعناه ونظمه.
 - المبحث الرابع: العجز عن معارضته.
- والله المسؤول أن تكون هذه الدراسة قد وفقت في تقديم ما تهدف إليه على النحو المرضي والهدف المرجو، وهو سبحانه أكرم مسؤول.
- والله الموفق والهادي.

التمهيد:

المطلب الأول: نبذة عن المؤلف والكتاب

مؤلف كتاب "أعلام النبوة" هو أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري، المعروف بـ"الماوردي"، الفقيه الشافعي؛ كان من وجوه الفقهاء الشافعية ومن كبارهم، أخذ الفقه عن أبي القاسم الصيمري بالبصرة، ثم عن الشيخ أبي حامد الأسفراييني ببغداد، وكان حافظاً للمذهب وله فيه كتاب "الحاوي" الذي قيل عنه: لم يطالعه أحد إلا شهد له بالتبحر والمعرفة التامة بالمذهب. فَوُضَّ إليه القضاء ببلدان كثيرة، واستوطن بغداد في درب الزعفراني وروى عنه الخطيب أبو صاحب "تاريخ بغداد" وقال: كان ثقة^(١).

قال أبو الفضل بن خيرون: "كان رجلاً عظيماً القدر، متقدماً عند السلطان، أحد الأئمة، له التصانيف الحسان في كل فن، وقال أبو عمرو بن الصلاح: هو متهم بالاعتزال، وكنت أتأول له، وأعتذر عنه، حتى وجدته يختار في بعض الأوقات أقوالهم، قال في تفسيره: لا يشاء عبادة الأوثان، وقال في: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾ [الأنعام: ١١٢]: معناه: حكمنا بأنهم أعداء، أو تركناهم على العداوة، فلم نمنعهم منها، فتفسيره عظيم الضرر، وكان لا يتظاهر بالانتساب إلى المعتزلة، بل يتكتم، ولكنه لا يوافقهم في خلق القرآن، ويوافقهم في القدر"^(٢)، قال ابن السبكي: "والصحيح أنه ليس معتزلياً؛ لكنه يقول بالقدر، وهي البلية التي غلبت على أهل البصرة - مات في ربيع الأول سنة خمسين وأربعمائة عن ست وثمانين"^(٣).

وله من التصانيف غير "الحاوي": "تفسير القرآن الكريم" و "النكت والعيون" و

(١) أحمد بن محمد بن خلكان، "وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان". تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: دار صادر)، ٣: ٢٨٢.

(٢) محمد بن أحمد الذهبي، "سير أعلام النبلاء". تحقيق شعيب الأرنؤوط، (ط٣، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م)، ١٨: ٦٧.

(٣) عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، "طبقات المفسرين العشرين". تحقيق: علي محمد عمر، (ط١، مكتبة وهبة - القاهرة، ١٣٩٦هـ)، ١: ٧١.

وجوه الإعجاز البياني عند "الماوردي" وردة الشبه المحتملة فيها في كتابه "أعلام النبوة"، د. علي بن محمد آل نومة القحطاني

"أدب الدين والدنيا" و"الأحكام السلطانية" و"قانون الوزارة" و"سياسة الملك" و"الإقناع" في المذهب، وهو مختصر، وصنف في أصول الفقه والأدب وانتفع الناس به. وقيل: إنه لم يظهر شيئاً من تصانيفه في حياته، وإنما جمعها كلها في موضع، فلما دنت وفاته قال لشخص يثق إليه: "الكتب التي في المكان الفلاني كلها تصنيفي، وإنما لم أظهرها لأني لم أجد نية خالصة لله تعالى لم يشبها كدر... وأوكل إليه إخراجها من بعده" (١).

كتاب "أعلام النبوة":

يعد هذا المصنف أحد تصانيف "الماوردي" الكثيرة التي اشتهرت وعُلمت أكثر من غيرها من المصنفات الأخرى، وقد صرح "الماوردي" بهدف تأليفه لكتاب "أعلام النبوة" وذلك بقوله: "فوجب أن يُوضَّح في إثبات النبوات ما ينتفي عنه ارتياب مغرور وشبهة معاند، وقد جعلت كتابي هذا مقصوداً على ما أفضى ودل عليه؛ ليكون عن الحق موضحاً، وللسرائر مصلحاً، وعلى صحة النبوة دليلاً، ولشبه المستريب مزيباً" (٢). وقد جعل كتابه مشتملاً على أمرين:

- أحدهما: ما اختص بإثبات النبوة، وجعل وجوه إعجاز القرآن الذي بلغه النبي عليه الصلاة والسلام من أعلام نبوته.
- والثاني: فيما يختلف من أقسامها وأحكامها؛ ليكون الجمع بينهما أنفى للشبهة وأبلغ في الإبانة.

وقد قسم كتابه واحد وعشرين باباً، اختص الباب السابع منها بما يتضمنه القرآن من أنواع إعجازه، وهو الباب الذي تولى البحث تفصيله وبيان وجوه الإعجاز البياني التي نص عليها في كتابه.

ويُلاحظ جلياً سيطرة المنهج الجدلي المنطقي في عرض المؤلف لوجوه الإعجاز؛ إذ اطرده عند احتمال شبهات قد ترد على كل وجه من وجوه الإعجاز؛ فيعرضها ثم يتولى

(١) ينظر: ابن خلكان، "وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان"، ٣: ٢٨٢.

(٢) الماوردي، علي بن محمد، "أعلام النبوة". (ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ-

١٩٨٦م): ٣.

الرد عليها، بدقة نظر وسعة فكر، متبعا أسلوب الحجاج الحواري، ومنوعا لأدلته الحجاجية؛ مما يدل على فكره المنطقي الممنهج في كتابه.

المطلب الثاني: مناهج علماء الإعجاز في عرض وجوه إعجاز القرآن الكريم في

عصر المؤلف ومقارنتها بطريقة الماوردي

اهتم العلماء بوجوه إعجاز القرآن وعنوا بذكرها في مؤلفاتهم، ومن أهم تلك المؤلفات في القرنين الرابع والخامس الهجريين: رسالة الرماني (النكت في إعجاز القرآن) ورسالة الخطابي (بيان إعجاز القرآن) وكتاب الباقلائي (إعجاز القرآن)، وخصت هذه المؤلفات بالذكر لكونها أشهر ما كتب في هذين القرنين، ومما يمكن أن يقال بأنها أثرت في منهج "الماوردي" في عرضه وجوه الإعجاز؛ لكونها تقدمته في التأليف أو عاصرته؛ ومن خلال النظر إلى هذه المؤلفات: يتضح تفرد منهج "الماوردي" في عرضه لوجوه الإعجاز؛ إذ عمد إلى الأسلوب الجدلي الحجاجي في عرض هذه الوجوه، كما سيتضح في صفحات البحث؛ حيث اطرده عنده عرض كل وجه واحتمال ما يرد عليه من الشبه؛ ثم نجده يتولى الرد عليها بدقة نظر وسعة فكر في التفصيل والتعليل.

في حين نرى أن رسالة الرماني (النكت في إعجاز القرآن) اعتمدت سبعة أوجه عددها بقوله: "وجوه إعجاز القرآن تظهر من سبع جهات: ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة، والتحدي للكافة، والصرفة، والبلاغة والأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلية، ونقض العادة، وقياسه بكل معجزة"، ثم نهج للتعريف بكل وجه، وذكر أقسامه إن كانت له أقسام، والاعتماد على الموازنة بين القرآن الكريم والشعر العربي في جهة وقوعها، ثم التعليل لوجه تفرد نظم القرآن فيها^(١).

(١) علي بن عيسى الرماني المعتزلي، "النكت في إعجاز القرآن". تحقيق: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام، (مطبوع ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ط ٣، مصر: دار المعارف، ١٩٧٦م).

وجوه الإعجاز البياني عند "الماوردي" وردة الشبه المحتملة فيها في كتابه "أعلام النبوة"، د. علي بن محمد آل نومة القحطاني

ونجد في رسالة الخطابي (بيان إعجاز القرآن) الاعتماد على الاحتجاج الحوارية الذي يقرب منه أسلوب "الماوردي" في عرضه وجوه الإعجاز؛ حيث بدأ بافتراض السؤال وردة من خلال عرضه لقضية الصرفة، وأين تكمن بلاغة القرآن الكريم^(١). وبالرغم من هذا الاتفاق في المنهج الحوارية، إلا أن منهج "الماوردي" مختلف عن منهج الخطابي باطراد الخطاب الحجاجية في عرضه لجميع الوجوه، واطراد احتمال الشبهات وتولي الرد عليها عنده، في حين اعتمد الخطابي الحوار دون أن يطرد عنده الجدل والاحتجاج كما كان عند "الماوردي".

أما كتاب إعجاز القرآن للباقلاني (إعجاز القرآن) فعمد إلى وصف وجوه إعجاز القرآن وصفا مباشرا، ولا تراه يعتمد مخاطبة القارئ والحوار معه إلا لمما، كما أنه لم يعتمد في ذكره لوجوه الإعجاز على الخطاب الاحتجاجية والجدلية، وإن ورد له في موضع أو موضعين سؤال عن وجه الرد عليه، غير أن ذلك ليس مطردا عنده كما اطرده عند "الماوردي"^(٢).

ويظهر للمتأمل أن عرض هؤلاء العلماء لوجوه الإعجاز تتقارب، بل تتفق في بعض الوجوه التي ذكرها "الماوردي"؛ لاسيما فيما تعلق بوجه الإعجاز البياني، غير أن "الماوردي" بقي متفردا في أسلوب عرضه لهذه الوجوه، ويظهر تفرد من جهات ثلاث: أولها: تقسيم وجوه الإعجاز البياني وتفصيلها، فما ورد عنده مذكورا في عدة وجوه، نجده عند غيره مجملا في وجه واحد.

ثانيها: التدرج المنطقي في ذكر الوجوه؛ إذ يلحظ المتأمل أنه بدأ بما يختص باللفظ،

(١) حمد بن محمد الخطابي، "بيان إعجاز القرآن". تحقيق: حمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام، (مطبوع ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن [سلسلة: ذخائر العرب (١٦)]: ط ٣، مصر: دار المعارف، ١٩٧٦م).

(٢) محمد بن الطيب الباقلاني، "إعجاز القرآن". تحقيق: السيد أحمد صقر، (ط ٥، مصر: دار المعارف، ١٩٩٧م).

وذكر بعده ما يتعلق بالمعنى وحسن النظم، حتى انتهى لوجه العجز عن معارضته، وعرض قضية الصرفة التي قال بها المعتزلة وتابعهم فيها غيرهم.

ثالثها: اطراد احتمال الشبهات على كل وجه يعرضه، والتصدي للرد عليه بتفصيل ودقة، وهذا لم يرد عند غيره من علماء الإعجاز الذين عنوا بذكر وجوه الإعجاز، فقد ترد عندهم شبهة محتملة مع الرد عليها في وجه أو مسألة من غير أن يطرد ذلك عندهم.

المبحث الأول: فصاحة اللفظ

عني "الماوردي" بفصاحة لفظ القرآن الكريم، وصدر بها وجوه إعجازه التي ذكرها، وإن المتأمل في عرض "الماوردي" لصفات فصاحة اللفظ ليرى دقة نظره وحسن تفسيره وتفصيله؛ كما أنه عني بتعليل وتفسير جهة الإعجاز في كل وصف للألفاظ، ثم احتمال ورود شبهة واعتراض قد يرد في كل وجه ثم يتولى الرد عليها، وقد كان سمت الاحتجاج الحوارية ميزة لعرض تلك الشبه الواردة على وجوه الإعجاز؛ إذ يصدر الشبه المحتملة بقوله: "فإن قيل" ثم يعنى النظر فيها ويتولى الرد عليها بسعة فكر ودقة نظر، وتنوع في استعمال آلات الحجاج؛ فتارة يعمد إلى القياس والموازنة، وتارة إلى الاستشهاد، وثالثة إلى ما هو ثابت بالعقل، إلى غير ذلك من الآلات والأساليب، وهكذا اطرد منهجه في كل وجه يعرضه.

وقد تجلّى نظره لوجوه إعجاز اللفظ من خلال المعالم الآتية:

١- جزالة لفظ القرآن الكريم:

وهذا أول وجه أورده "الماوردي" لوجوه إعجاز اللفظ في القرآن الكريم إذ قال: "فأما بلاغة ألفاظه فتكون من وجهين: أحدهما: جزالتها حتى لا تلين، والثاني: انطباعها حتى لا تحبو"^(١)؛ فجعل بلاغة اللفظ القرآني من جهة جزالته، فألفاظ القرآن لا تلين ولا تبذل بكثرة الاستعمال أو التكرار والرد، وقد روي عن رسول الله ﷺ قوله عن القرآن: «لا تلتبس به الألسن، ولا يخلق على كثرة الردّ، ولا تنقضي عجائبه»^(٢).

وقد ذكر ابن فارس أن المعنى اللغوي للجزالة يدور على أصلين: "أحدهما عظم الشيء من الأشياء، والثاني القطع، فالأول الجزل، وهو ما عظم من الحطب، ثم استعير،

(١) الماوردي، "أعلام النبوة": ٥٤.

(٢) سنن الترمذي، برقم (٢٩٠٦).

فقبيل: أجزَلَ في العطاء. ومنه الرَّأْيُ الجَزَلُ"^(١)، ويقول صاحب الكليات: "الجزالة إذا أطلقت على اللفظ يراد بها نقيض الرقة، وإذا أطلقت على غيره يراد بها نقيض القلة"^(٢)؛ وهذا يجعل الجزالة في إطار الفصاحة، ويمكن حمل البلاغة في استعمال "الماوردي" على معنى الفصاحة؛ لكون التفريق بينهما جاء متأخراً عند علماء البلاغة الذين يؤكدون أن اللفظ لا يوصف بالبلاغة، وإنما يوصف بالفصاحة؛ لأن البلاغة عندهم مختصة بالكلام والمتكلم دون اللفظ، أما الفصاحة فيوصف بها اللفظ والكلام والمتكلم، هذا في إطار النظر إلى اللفظ ذاته، من غير تركيب، أما في سياق النظم فإن اللفظ يوصف بالبلاغة في دقة دلالاته ومناسبته لسياقه وحسن اختياره.

٢- انطباع لفظ القرآن حتى لا يخبو:

وهذا هو الوجه الثاني لإعجاز اللفظ عنده؛ بأنه منطبع مركز في النفوس، لا يخبو مع اختلاف الزمن أو تغير اللهجات وتطورها كما هو الحال في كثير من ألفاظ البشر التي تدرس أو يعرض لها التصحيف أو التحريف أو غير ذلك. وقد احتمل "الماوردي" شبهة لهذا الوجه؛ بأن يقول قائل: "إن كلام البشر قد يجتمع فيه ما يستكمل هذه الشروط - الجزالة وانطباعه في النفوس حتى لا يخبو - فبطل به الإعجاز"^(٣).

ثم تولى الرد عليها من وجهين، "أحدهما: أن أسلوب نظمه على هذه الشروط معدوم في غيره فافترقا، والثاني: أن لنظم ألفاظه بحجة لا توجد في غيره فاختلفا؛ لأنك إذا جمعت بين قول الله تعالى: ﴿وَلَكُمُ فِي الْفَصَاصِ حَيَوةٌ يَأْتُلِي الْأَلْبَابَ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٤) [البقرة: ١٧٩] وبين قولهم [القتل أنفى للقتل] وجدت بينهما فروقا في اللفظ والمعنى"^(٤).

(١) أحمد بن فارس بن زكريا، "معجم مقاييس اللغة". تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (ط ١)، بيروت: دار الفكر، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م، ١: ٤٥٣. مادة (جزل).

(٢) أيوب بن موسى الكفوي، "الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية". تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، (ط ١)، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٩ م: ٣٥٣.

(٣) الماوردي، "أعلام النبوة": ٥٤.

(٤) الماوردي، "أعلام النبوة": ٥٤.

وجوه الإعجاز البياني عند "الماوردي" وردده الشبه المحتملة فيها في كتابه "أعلام النبوة"، د. علي بن محمد آل نومة القحطاني

ونلاحظ في جوابه أنه شمل جوانب اللفظ والأسلوب، كما اعتمد على الدوران بين التعليل وعدمه؛ فلما كان أسلوب نظمه على هذه الشروط معدوماً في غيره من النظم، وكان افتراقه عن غيره أمراً مركزاً في الطبع؛ لم يعلل جوابه؛ تنزيلاً لهذا المنكر منزلة غير المنكر؛ لظهور أكبر شاهد لو تأمله لزال عنه الإنكار؛ وهذه هي الجهة التي ردّ بها عبد القاهر الجرجاني على القاضي عبد الجبار في بيان جهة إعجاز لفظ القرآن، حيث يقول: "قلنا: أعجزتم مزايا ظهرت لهم في نظمه، وخصائص صادفوها في سياق لفظه، وبدائع راعتهم من مبادئ آية ومقاطعها، ومجاري ألفاظها ومواقعها، وفي مضرب كل مثل، ومساق كل خبر، وصورة كل عظة وتنبية، وإعلام وتذكير وترغيب وترهيب، ومع كل حجة وبرهان، وصفة وتبيان. وبهرهم أنهم تأملوه سورة سورة، وعشراً عشراً، وآية آية، فلم يجدوا في الجميع كلمة ينبو بها مكانها، ولفظة ينكر شأنها، ويرى أن غيرها أصلح هناك أو أشبه، أو أخرى وأخلق، بل وجدوا اتساقاً بمر العقول، وأعجز الجمهور، ونظاماً والتثاماً وإتقاناً وإحكاماً..."^(١).

في حين علل "الماوردي" ما كان من جانب بهجة اللفظ؛ بأنه يمكن أن تحوي ألفاظ البشر بهجة، لكنها ليست كبهجة ألفاظ القرآن؛ ولذا اعتمد أسلوب الموازنة والقياس في احتجاجة بين لفظ القرآن في قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَأْتُوا لِيَأَلِّبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٩] وبين قولهم:

[القتل أنفى للقتل]؛ مؤكداً أن ثمة فروقا بين اللفظ والمعنى، ولعله لم يفصل القول فيها لتقدم تفصيل الرماني لها في رسالته (النكت في إعجاز القرآن)^(٢).

٣- دوران ألفاظ القرآن بين الجزل المستغرب والسهل المستقرب:

وهذا هو الوجه الثالث لإعجاز اللفظ عنده؛ فألفاظ القرآن تدور بين الجزالة المستغربة والسهولة المستقربة، ويحكم ذلك السياق الذي ترد فيه، وقد سلف تفسير

(١) عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، "دلائل الإعجاز". تحقيق: محمود محمد شاكر، (ط ٣)،

القاهرة: مطبعة المدني - جدة: دار المدني، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م): ٣٩.

(٢) الرماني، "النكت في إعجاز القرآن": ٧٨.

الجزالة ودوران معانيها حول قوته ومتانته. وكونه مستغربا ليس المقصود به وحشيته أو وعورته؛ فهذا ما ليس في ألفاظ القرآن، إنما القصد أن يكون عزيزا على السمع قويا في جرسه كما قوي معناه، وهذا عكس السهل المستقرب: الذي يعبر عنه بركة اللفظ وسهولته. ودوران الألفاظ بين الجزالة المستغربة والسهولة المستقربة يقع في كلام البشر، ولكن وقوعه في القرآن الكريم له جهات إعجاز اختص دون غيره، وقد فصلها "الماوردي" في قوله: "ألفاظ القرآن قد تشتمل على الجزل المستغرب والسهل المستقرب، فلا يتوعر جزله ولا يستزدل سهله، ويكونان إذا اجتمعا مطبوعين غير متنافرين، ولا نجد ذلك في غيره من كلام البشر؛ لأن جزله يتوعر، وسهله يستزدل، والجميع بينهما يتنافر؛ فصار من هذا الوجه مباينا وفي الإعجاز داخلا"^(١)؛ فوجه ذلك التفرد أمران:

أولهما: أنه لا يتوعر جزله ولا يستزدل سهله أبدا؛ وذلك لأنها تأتي مناسبة لسياقها وغرضها، وهذا ما نص عليه ابن الأثير بقوله: "الألفاظ تنقسم في الاستعمال إلى جزلة ورقيقة، ولكل منهما موضع يحسن استعماله فيه...ولست أعنى بالجزل من الألفاظ أن يكون وحشياً متوعراً عليه غنجهية البداوة، بل أعنى بالجزل أن يكون متيناً على عذوبته في الفم ولذاته في السمع، وكذلك لست أعنى بالرقيق أن يكون ركيكاً سفسفاً، وإنما هو اللطيف الرقيق الحاشية الناعم الملمس... وسأضرب لك مثلاً للجزل من الألفاظ والرقيق فأقول: انظر إلى قوارع القرآن عند ذكر الحساب والعذاب والميزان والصراط، وعند ذكر الموت ومفارقة الدنيا، وما جرى هذا المجرى فإنك لا ترى شيئاً من ذلك وحشي الألفاظ، ولا متوعراً، ثم انظر إلى ذكر الرحمة والرأفة والمغفرة والملاطفات في خطاب الأنبياء وخطاب المنيبين والتائبين من العباد، وما جرى هذا المجرى؛ فإنك لا ترى شيئاً من ذلك ضعيف الألفاظ ولا سفسفاً... واعلم أن الألفاظ تجري من السمع مجرى الأشخاص من البصر؛ فالألفاظ الجزلة تتخيل في السمع كأشخاص عليها مهابة ووقار، والألفاظ الرقيقة تتخيل كأشخاص ذي دماثة ولين أخلاق ولطافة مزاج..."^(٢).

(١) الماوردي، "أعلام النبوة": ٦٠.

(٢) نصر الله بن محمد ابن الأثير، "المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر". تحقيق: أحمد الحوفي،

بدوي طبانة. (ط١، القاهرة: دار تحضة مصر، ١٩٨٨م): ١٠٠-١٠٢.

وجوه الإعجاز البياني عند "الماوردي وردة الشبه المحتملة فيها في كتابه "أعلام النبوة، د. علي بن محمد آل نومة القحطاني

وثانيهما: أن اجتماع جزل ألفاظ القرآن بسهله يكون مطبوعا سلسا لا تكلف فيه، ولا تنافر بينهما وإن كانا متضادين جزالة وسهولة، وهذا وجه آخر تختص به ألفاظ القرآن الكريم؛ بأن اجتماع جزلها بسهله لا تكلف فيه ولا تنافر، بل يأتي سلسا يلذ للأسماع وتلين له القلوب، وهذا لا يكون في كلام البشر البتة: "لأن جزله يتوعر وسهله يسترذل والجميع بينهما يتنافر؛ فصار من هذا الوجه مبينا وفي الإعجاز داخلا"^(١). ثم احتمل "الماوردي" شبهة لهذا الوجه؛ بأن يقول قائل: "إنما كان القرآن كذلك؛ لأنه قد تواطأ بكثرة التلاوة؛ فاستلذته الأسماع واستحلته الألسن ولولاه لتباين واختلف"^(٢).

ثم تولى الرد عليها من وجهين: "أحدهما: أن صفته عند أول سماعه لو كانت لما دُكر من العلة لاختلف في مبادئه وغاياته، والثاني: أن غيره من الكلام المختلف لا يتواطأ بكثرة ذكره؛ فبطلت العلة"^(٣)، ونلاحظ اعتماد "الماوردي" في رده الشبهة على الاحتجاج العقلي بالقياس؛ فإن جزله لا يتوعر وسهله لا يسترذل والجمع بينهما لا تكلف فيه ولا تنافر، وهو سمت ثابت له منذ مبدئه وغاياته، ومن ثم لم تتولد هذه الصفة من كثرة التلاوة؛ وإلا لاختلف أثر نظمه على النفوس مبتدأ وغاية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى أن ذلك لو كان لكثرة التلاوة لتحقق لغيره من الكلام، ولكن ذلك لم يكن؛ فبطلت هذه الشبهة.

٤- أنه منزل بألفاظه ومعانيه لا كسائر الكتب الدينية:

وهذا هو الوجه الرابع لإعجاز اللفظ عنده؛ وهو تفرد لفظ القرآن عن سائر كتب الله بأنه نزل بلفظه؛ يقول "الماوردي": "من إعجازه أنه منقول بألفاظ منزلة ومعان مستودعة، وبلغه الملك بلفظه وعلى نظمه، وأداه الرسول إلى الأمة بمثله؛ فلم ينخرم فيه لفظ، ولا اختل فيه معنى، ولا تغير له ترتيب؛ حتى صار من الزلل مضبوطا، ومن التبديل محفوظا، تستمر به الأعصار على شاكلته، وتتداوله الألسن مع اختلاف اللغات على

(١) الماوردي، "أعلام النبوة": ٦١.

(٢) السابق نفسه.

(٣) السابق نفسه.

نظمه وصفته، لا يختلف بتعاقب الأزمنة، ولا يختل بتباعد الأمكنة، ولا يتغير باختلاف الألسنة وغيره من الكتب مقصورة على حفظ معانيها وإن غويرت ألفاظها^(١). ومفاد هذا الوجه عند "الماوردي" أن لفظ القرآن تفرد عن سائر ألفاظ الكتب السماوية؛ بأنه نزل بلفظه؛ وهذا مما يجعل لفظ القرآن معجزاً. وقوله هذا مما لا يُختلف فيه؛ فهو نزل بلفظه حقيقة؛ ولكن مما يجب تدقيقه بعض العبارات الموهمة فيما أورده؛ كإطلاقه التنزيل في قوله: "بألفاظ منزلة"؛ وهو بذلك يثبت حفظ الله له وعصمته لألفاظه في التنزيل من السماء والتأدية من الرسول ﷺ؛ وهذا مما لا يختلف فيه أيضاً؛ ولكن ما يخالف "الماوردي" فيه هو إطلاق تنزيل اللفظ من غير نسبة اللفظ إلى الله، وهذا الإطلاق جعل الكلام محتملاً لأن يكون اللفظ من الملك أو يكون اللفظ من الله تعالى، وهي من المسائل الدقيقة المتعلقة بالقضية العقديّة الكبرى التي هي قضية خلق القرآن، وهي أعظم المسائل في تاريخ المذاهب.

وقد احتمل "الماوردي" شبهة لهذا الوجه؛ بأن يقول قائل: "فحفظ الكلام على صيغة لفظه واشتمال معانيه لا يكون معجزاً، كأشعار الجاهلية القدماء وأمثال من سلف من الحكماء"^(٢)؛ فالشبهة قائمة على قياس حال الشعر بحال القرآن، في أن حفظ الكلام بلفظه ومعناه موجود في أشعار الجاهلية؛ ومن ثم لا يكون القرآن معجزاً بهذا الوجه.

ثم تولى الرد عليها من وجهين ردّ فيهما صحة هذا القياس، وذلك بالاحتجاج عليهم بما هو ثابت في واقع الشعر من جهة الحفظ ومن جهة الضبط؛ حيث قال: "فعنه جوابان: أحدهما: أن في هذا محولاً ومتروكاً فلم ينحفظ، والثاني: أنه لا يعلم حاله فلم ينضبط، والقرآن مخالف لهما في حفظه وضبطه"^(٣) فالشعر فيه المحول وفيه المنحول، وهذا خلل في حفظه، وكذلك لا يعلم حال كثير من الشعر فلم ينضبط، وهذا أمر ثابت ذكره الرواة الثقة للشعر ودوّنّه من بعدهم، كما أن في الشعر ما هو متروك لم

(١) الماوردي، "أعلام النبوة": ٦١.

(٢) السابق: ٦٢.

(٣) الماوردي، "أعلام النبوة": ٦١.

وجوه الإعجاز البياني عند اللوردي وردة الشبه المحتملة فيها في كتابه "أعلام النبوة، د. علي بن محمد آل نومة القحطاني

نعرفه ولم يصل إلينا؛ يقول ابن سلام الجمحي: "وفي الشعر مصنوعٌ مفتعل موضوع كثير لا خير فيه، ولا حجة في عربية، ولا أدب يستفاد، ولا معنى يستخرج، ولا مثل يضرب، ولا مديح رائع، ولا هجاء مقذع، ولا فخر معجب، ولا نسيب مستطرف، وقد تداوله قوم من كتاب إلى كتاب، لم يأخذوه عن أهل البادية ولم يعرضوه على العلماء، وليس لأحد إذا أجمع أهل العلم والرواية الصحيحة على إبطال شيء منه أن يقبل من صحيفة ولا يروى عن صحفي، وقد اختلف العلماء بعد في بعض الشعر كما اختلفت في سائر الأشياء، فأما ما اتفقوا عليه فليس لأحد أن يخرج منه"^(١).

وهذا كله لم يكن في القرآن؛ فلفظه ومعناه وسنده محفوظ من التحويل والترك، قطعي الثبوت عند الأمة كلها، وحاله معلوم منضبط لا يختلف فيه؛ وذلك مما يبطل هذه الشبهة ويردها.

(١) محمد بن سلام الجمحي، "طبقات فحول الشعراء". تحقيق: محمود محمد شاكر. (جدة: دار المدني)، ١ : ٤.

المبحث الثاني: استيفاء المعاني وحسن النظم

وللماوردي نظر دقيق في جانب إعجاز القرآن من جهة معانيه وحسن نظمه، فلم يقف به النظر على فصاحة اللفظ دون نظر إلى روح تلك الألفاظ وهو المعنى وحسن النظم؛ فدقق النظر وفصل في جهة إعجاز معناه ونظمه، وبتحرير هذا النظر وتقليبه يتجلى تعليله لهذا الوجه من معالم أربعة:

أولها: أن يكون المعنى لائحاً في مبادئ ألفاظه غير مفتقر إلى مقاطعه^(١):

وهذه ميزة عزيزة وخاصة فريدة؛ أن ينبئك المعنى عن نفسه ويلوح لك في مبادئه دون أن تنتظر الوصول إلى مقاطعه، وهذه الجهة من جهات الإعجاز ذكرها عبد القاهر الجرجاني في بيانه للجهة التي أعجز بها نظم القرآن العرب: "أعجزتهم مزايا ظهرت لهم في نظمه.... وبدائع راعتهم من مبادئ آيه ومقاطعها، ومجاري ألفاظها ومواقعها"^(٢)؛ فجعل مبادئ أي القرآن ومقاطعها من جهات الإعجاز التي راعت العرب وأعجزتهم، ومزايا النظم تكمن في أسراره معانيه الإضافية، التي تتجدد من طرق خاصة في النظم. وإعجاز مبادئ الآيات يكون من جهة بروز المعنى وسبقه إلى القلب من أول وهلة، ومن خلال ارتباط صدر الآية بما قبلها على ضروب شتى، ثم في دلالة بداية الآية على نهايتها من غير افتقار إلى الوصول إلى تلك النهاية، وهو ما سماه البلاغيون بالإرصاد^(٣).

(١) الماوردي، "أعلام النبوة": ٥٤.

(٢) الجرجاني، "دلائل الإعجاز": ٣٩.

(٣) محمد إبراهيم شادي، "شرح دلائل الإعجاز". (ط ١، المنصورة: دار اليقين، ١٤٢٨ هـ): ٩١.

وجوه الإعجاز البياني عند "الماوردي" وردده الشبه المحتملة فيها في كتابه "أعلام النبوة"، د. علي بن محمد آل نومة القحطاني

ثاني المعالم: أن يكون المعنى مطابقاً لألفاظه، فلا يزيد عليها ولا يقصر عنها، فإن زاد كان الاختلال في اللفظ وإن نقص كان الاختلال في المعنى^(١):

فمن معالم استيفاء المعنى الذي جعله "الماوردي" من جهات الإعجاز: التلاؤم بين المعنى واللفظ؛ بالتطابق من حيث القصر والطول في اللفظ المعبر عن المعنى، بلا زيادة ولا نقصان، وإنما بدوران المعنى مع الفائدة حيث دارت، ومطابقتها حيث صارت؛ وهذا ما يُعبر عنه ببلاغة الإيجاز والإطناب، التي تحدث عنها علماء البلاغة، وذكرها علماء الإعجاز حين جمعوا وجوه إعجاز القرآن، ومن ذلك قول الرماني: "الإيجاز تقليل الكلام من غير إخلال بالمعنى، وإذا كان المعنى يمكن أن يعبر عنه بألفاظ كثيرة ويمكن أن يعبر عنه بألفاظ قليلة؛ فالألفاظ القليلة إيجاز... والإيجاز بلاغة، والتقصير عيٌّ، كما أن الإطناب بلاغة والتطويل عيٌّ، والإيجاز لا إخلال فيه بالمعنى المدلول عليه، وليس كذلك التقصير؛ لأنه لا بد فيه من الإخلال؛ فأما الإطناب فإنما يكون في تفصيل المعنى وما يتعلق به في المواضع التي يحسن فيها ذكر التفصيل؛ فإن لكل واحد من الإيجاز والإطناب موضعاً يكون به أولى من الآخر؛ لأن الحاجة إليه أشد، والاهتمام به أعظم"^(٢).

ثالث المعالم: غزارة المعاني وكثرتها:

وهذا ما أشار إليه "الماوردي" في وجهين من وجوه الإعجاز نص عليهما بقوله: "والوجه الثاني من إعجازه: إيجازه عن هذا الإكثار، واستيفاء معانيه في قليل الكلام كقوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَسْمَأْ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ٤٤]"^(٣)، وقوله: "والوجه الرابع من إعجازه: كثرة معانيه التي لا يجمعها كلام البشر، وذلك من وجهين: "أحدهما: ما يجمعه قليل الكلام من كثير المعاني، كقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا

(١) الماوردي، "أعلام النبوة": ٥٤.

(٢) الرماني، "النكت في إعجاز القرآن": ٧٦.

(٣) الماوردي، "أعلام النبوة": ٥٥.

إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيَّهُ فِإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَحَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ [القصص: ٧]، فجمع في آية واحدة بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين، والثاني: أن ألفاظه تحمل معاني متغايرة تحار فيها العقول وتذهل فيها الخواطر و تكل فيها القرائح، ثم لا تبلغ أقصاه و لا تدرك منتهاه؛ حتى اختلف فيه الوجوه وتقابلت فيه النظائر^(١)؛ فإعجاز غزارة معاني القرآن عند "الماوردي" له جهتان:

أولاهما: ما يجمعه قليل الكلام من كثير المعاني؛ فهو موجز عن الإكثار

مستوف معانيه في قليل الكلام

وذكر لهذا الوجه شاهدين هما: ما جاء في قوله تعالى: "وقيل يا أرض ابلعي ماءك"؛ حيث إن كثرة معانيه لم تطلب كثرة لفظ وطول كلام، كما هو حال البشر، بل كان لفظ القرآن الموجز وافيا بكل معانيه.

وقد عني علماء الإعجاز ببيان استيفاء المعاني وإيجازها، وإعجاز ترتيبها ودقة تخير ألفاظها في آية: "وقيل يا أرض...". فقال الرماني في إعجاز إيجازها: "وقد جمعت هذه الآية من عجب البلاغة أشياء منها: أن الكلام خرج مخرج الأمر على جهة التعظيم لفاعله من نحو: كن فيكون، من غير معاناة ولا لغوب، ومنها: حسن تقابل المعاني، ومنها: حسن ائتلاف الألفاظ، ومنها: حسن البيان في تقدير الحال، ومنها: الإيجاز من غير إخلال، ومنها: تقبل الفهم على أتم الكمال، إلى غير ذلك من المعاني اللطيفة، وقد رأيت في معنى هذه الآية في نصف سفر من أسفار التوراة، وأنت تراها هاهنا في غاية الإيجاز والاختصار والبيان"^(٢)، وقال عبد القاهر الجرجاني في دقة تخير ألفاظها والتمام آيها وإعجاز نسقها وارتباط بعضها ببعض: "وهل تشكُّ إذا فكَّرت في قوله تعالى ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَسْمَأْ أَلْبَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَىٰ الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [هود: ٤٤]، فتجلَّى لك

(١) الماوردي، "أعلام النبوة": ٥٧.

(٢) الرماني، "النكت في إعجاز القرآن": ٨٠.

وجوه الإعجاز البياني عند "الماوردي" وردده الشبه المحتملة فيها في كتابه "أعلام النبوة"، د. علي بن محمد آل نومة القحطاني

منها الإعجاز، وبهرك الذي ترى وتسمع، أنك لم تجد ما وجدت من المزية الظاهرة، والفضيلة القاهرة، إلا لأمر يرجع إلى ارتباط هذه الكلم بعضها ببعض، وأن لم يعرض لها الحس والشرف إلا من حيث لاقت الأولى بالثانية، والثالثة بالرابعة، وهكذا، إلى أن تستقرها إلى آخرها وأن الفضل تنتاج ما بينها، وحصل من مجموعها"^(١).

والشاهد الآخر ما جاء في خبر أم موسى عليهما السلام؛ حيث جمع في هذه الآية بين أمرين (أرضيه) و(ألقيه) ونهين (لا تخافي) و(لا تحزني) وخبرين (وأوحينا إلى أم موسى) ومضمون الخبر في (إذا خفت عليه) وبشارتين (إنا رادوه إليك) (وجاعلوه من المرسلين)، وكما تقدم فالإيجاز باب عظيم صدرت به وجوه الإعجاز لكل من ذكرها من العلماء، كما عدّه البلاغيون أساسا في البلاغة، بل هنالك من عرف البلاغة بأنها الإيجاز"^(٢).

وقد احتمل "الماوردي" شبهة لهذا الوجه؛ بأن يقول قائل: "ليس جميعه وجيزا مختصرا، وفيه المبسوط والمكرر، وبعضه أفصح من بعض ولو كان من عند الله لتمائل ولم يتفاضل؛ لأن التفاضل في كلام من يكلّ خاطره وتضعف قريحته"^(٣).

ثم تولى الرد عليها من وجهين: "أحدهما: أن اختلافه في البسط والإيجاز ليس للعجز عن تمائله، ولكن لاختلاف الناس في تصورهم وفهمهم وتفاضله في الفصاحة، بحسب تفاضل معانيه، لا للعجز عن تساويه. والثاني: أنه خالف بين مبسوطه ومختصره، وبين أفصحه وأسهله؛ ليكون العجز عن أسهله وأبسطة أبلغ في الإعجاز من العجز عن أفصحه وأخصره؛ ولذلك فاضل بين خلقه ليعرف به فرق ما بين الفاضل والمفضول، وقد حكى أبو عبيدة أن أعرابيا سمع رجلا يقرأ: ﴿فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ

(١) الجرجاني، "دلائل الإعجاز": ٤٥.

(٢) عرفها بذلك صحرار العبد في جوابه لمعاوية حين سأله: ما تعدون البلاغة فيكم؟ فقال صحرار: الإيجاز، قال معاوية: وما الإيجاز؟ فأجاب: أن تجيب فلا تبطن وتقول فلا تخطئ" ينظر: عمرو بن بحر الجاحظ، "البيان والتبيين". (ط١، بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٤٢٣هـ)، ١: ٩٨.

(٣) الماوردي، "أعلام النبوة": ٥٥.

الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ [الحجر: ٩٤] فسجد وقال: سجدت لفصاحة هذا الكلام، فأما تكرار قصصه وتكرار وعده وعيده فلأسباب مستفادة، منها: أنها في التكرار تؤكد و في المبالغة تزيد ومنها: أنها تتغاير ألفاظها فتكون إلى القبول أسرع وفي الإعجاز أبلغ، ومنها: أنها إن أخل بالوقوف عليها في موضع أدركها في غيره فلم يخل من رغب ورهب" (١).

وقد اعتمد في رده وحججه على التعليل المنطقي بما عرف من اختلاف أحوال الناس وأفهامهم من وجه؛ حيث أثبت العجز عن أسهله وأبسطه؛ فهذا أبلغ في ظهور عجزهم؛ فالعجز عن الأيسر أدل على العجز عما هو أجلّ وأفصح، كما اعتمد على التمثيل بحكاية شواهد من واقع المجتمع العربي الفصيح دالة على إدراكهم فصاحة لفظه مبسوطا كان أو موجزا، واعتمد على الاحتجاج اللغوي في بيان وجه إعجاز تكرار قصصه بكونها أكد وفي المبالغة أزيد، كما أن ذلك أدعى لقبولها، ومراعاة لحال المخاطب بها؛ فما لا يدرك فهمه في موضع يدركه في موضع آخر.

وثمة وجه لم يتطرق إليه المؤلف في الإعجاز بتكرار القصص القرآني، وهو تلاؤمه مع سياقه الذي يرد فيه والمقصد العام للسورة الوارد فيها (٢).

ثانيهما: "أن ألفاظه تحتل معاني متغايرة تحار فيها العقول، وتذهل فيها الخواطر، وتكل فيها القرائح، ثم لا تبلغ أقصاه، ولا تدرك منتهاه؛ حتى اختلف فيه الوجوه وتقابلت فيه النظائر".

ومعنى ذلك أن اللفظ الواحد في القرآن متسع المعاني؛ كلما قلبت فيه النظر وجدت فيه درة من المعاني؛ وذلك أن القرآن نزل بلسان عربي مبين، وطبيعة اللسان العربي تملي هذا الاختلاف؛ إذ في اللغة المشترك اللفظي الذي تتعدد معانيه ووجوهه، وفيها المترادف الذي يتعدد اسمه مع اتحاد مسماه، واحتمال ألفاظ القرآن الكريم للمعاني

(١) الماوردي، "أعلام النبوة": ٥٥.

(٢) محمود سعد توفيق. "المعنى القرآني: معالم الطريق إلى فقهه في سياق السورة؛ رؤية منهجية ومقارنة تأويلية". (ط١، القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م): ١٠٨.

وجوه الإعجاز البياني عند "الماوردي" ورده الشبه المحتملة فيها في كتابه "أعلام النبوة"، د. علي بن محمد آل نومة القحطاني

الكثيرة والوجوه المتعددة من أنواع الإعجاز؛ حيث كانت الكلمة الواحدة تنصرف إلى عشرين وجهاً وأكثر وأقل، ولا يوجد ذلك في كلام البشر؛ فالقرآن يستخدم اللفظ الواحد في مواضع متعددة، وكل موضع يراد به معنى غير الذي أُريد به في الموضع الآخر، ومن ذلك كلمة "هَدَى" وما اشتق منها، فقد ورد هذا اللفظ في سبعة عشر موضعاً مراداً به سبعة عشر معنى كذلك^(١).

وقد احتل "الماوردي" شبهة لهذا الوجه؛ بأن يقول قائل: "فهذا إلغاز ورمز هو بالذم منه أولى بالحمد"^(٢).

ثم تولى الرد عليها من وجهين: "أحدهما: أن الإلغاز وإن دُم فالرمز ليس بمذموم، وليس فيه لغز إن كان فيه رمز. والثاني: أن ما اختلفت معانيه يخرج عن اللغز والرمز؛ لأن اللغز ما أُريد به غير معناه والرمز ما خفي معناه"^(٣)؛ فدحض هذه الشبهة متخذاً أسلوب الاحتجاج اللغوي وبيان الفرق بين المصطلحات للرد على هذه الشبهة، مترقياً في ذلك، مفرقاً بين الإلغاز والرمز؛ فالأول مذموم، والثاني ليس بمذموم؛ فلا يمكن أن يشتمل اللفظ القرآني على صفة مذمومة كالإلغاز فيه، ثم ترقى في نفي الشبهة بإخراج اللفظ القرآني عن اللغز المذموم والرمز غير المذموم "لأنَّ اللغز ما أُريد به غير معناه، والرمز ما خفي معناه"، وفي هذا تحرير لمناط الشبهة وكشف للثام عن المفاهيم التي تتقارب صورها وتختلف معانيها.

رابع المعالم لإعجاز معناه وحسن نظمه: ارتباط معانيه المتغايرة:

وهذا ما صرح به "الماوردي" في قوله: "اقتران معانيه المتغايرة، واقتران نظائرها في السور المختلفة؛ فيخرج في السورة من وعد إلى وعيد، ومن ترغيب إلى ترهيب، ومن ماض إلى مستقبل، ومن قصص إلى مثل، ومن حكم إلى جدل، فلا ينبو ولا يتنافر، وهي في غيره من الكلام متنافرة، فتتجانس معانيها، وكذلك هي في غيره من الكتب

(١) عبد العظيم إبراهيم المطعني، "خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية". (ط ١، القاهرة: مكتبة

وهبة، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م)، ١: ٢٦٩.

(٢) الماوردي، "أعلام النبوة": ٥٧.

(٣) السابق: ٥٧، ٥٨.

المنزلة مفصلة لكل نوع وسفر...^(١).

وفسّر جهة الإعجاز في ارتباط معاني القرآن المتغايرة بأمرين، "أحدهما: أن لا يختص قارئه بأحدها فيعدل عن غيره، والثاني: أن يستوعب إذا أراد جميعها قراءة جميعه فيستكمل فوائده ويستجزل ثوابه"^(٢).

وقد احتمل "الماوردي" شبهة لهذا الوجه، بأن يقول قائل: "فالتفصيل أبلغ في البيان من الامتزاج"^(٣).

ثم تولى الرد عليها بما تقدم من وجهين في تميز القرآن بجمع المعاني المتغايرة؛ حيث نظر إلى ترابط معانيها قراءة من وجه، وفهماً للمعاني واستكمال الفوائد واستجزال الثواب من وجه آخر؛ فمعاني القرآن مترابطة وإن أتى بعد الترغيب ترهيب، أو بعد المضى استقبال وهكذا، فلا تنشغل قراءة القارئ بمعنى وتعدل عن غيره، فكل معنى موصل لأخيه وإن تضادا وتغايرا؛ فبعضها يجز بعضه ويؤاخيته، وهذا التأخي سببا في الوجه الثاني؛ حيث إن هذا التغاير بين للأفهام المتدبرة مستوعبا من وجه، كما إن فيه استكمالا للفوائد من وجوهه المختلفة.

وأما نظر "الماوردي" في حسن نظم القرآن فيلحظ فيه شموله للشكل والمعنى، وعدم المفاضلة بينهما وتقديم أحدهما على الآخر، على الرغم من أنه كان في عصر كثير فيه الصراع والاختلاف بأي الأمرين كان القرآن أعجز، وأيهما مقدم على الآخر، وقد علل لوجه إعجاز حسن نظم القرآن بوجهين اثنين، حيث يقول: "وأما حسن نظمه فيكون من وجهين: أحدهما أن يكون الكلام متناسبا لا يتنافر، والثاني أن يكون الوزن معتدلا لا يتباين"^(٤). فعلى جهة حسن نظم المعاني بكونه متناسبا لا تنافر فيه، وإن قال قائل لعله يقصد بالتناسب هنا تناسب اللفظ لا المعنى فيمكن الجواب عنه بأن قصده المعنى وليس اللفظ؛ فقد جعله وجهاً قابله بوجه ثان ذكر فيه إعجازه من حيث اعتدال

(١) الماوردي، "أعلام النبوة": ٦٣.

(٢) السابق نفسه.

(٣) السابق نفسه.

(٤) الماوردي، "أعلام النبوة": ٥٤.

وجوه الإعجاز البياني عند "الموردي" وردده الشبه المحتملة فيها في كتابه "أعلام النبوة"، د. علي بن محمد آل نومة القحطاني

الوزن وعدم تباينه، وهذا دليل على قصده المعنى لا اللفظ، وبذا يتضح رأيه في هذه القضية الذي وافقه بعد ذلك نظر عبد القاهر الجرجاني في قوله: "وهل تجد أحداً يقول: هذه اللفظة فصيحة، إلا وهو يعتبر مكانها من النظم وحسن ملائمة معناها لمعنى جاراتها، وفضل مؤانستها لأخواتها. وهل قالوا: لفظة متمكنة ومقبولة وفي خلافه: قلقة ونايبة ومستكرهة، إلا وغرضهم أن يعبروا بالتمكن عن حسن الاتفاق بين هذه وتلك من جهة معناها، وبالقلق والنبو عن سوء التلاؤم، وأن الأولى لم تلق بالثانية في معناها، وأن السابقة لم تصلح أن تكون لفقاً للتالية في مؤداها"^(١).

(١) الجرجاني، "دلائل الإعجاز": ٤٤.

المبحث الثالث: تفرد لفظاً ومعنى ونظماً

أما تفرد اللفظ فيعني به أن لفظ القرآن لا يقبل أي زيادة من غير لفظه، بل هو ممتنع عن ذلك غاية الامتناع، ولو أمكنت الزيادة لالتبس واشتبه؛ فمن هنا عده "الماوردي" وجهاً من وجوه الإعجاز التي تفرد بها، ونص على ذلك بقوله: "الزيادة فيه ممتازة، وتغيير ألفاظه منه مفتضحة، ولو كان في القدرة لالتبس، ولو أمكن لاشتبه"^(١)؛ فالزيادة على لفظ القرآن بلفظ ليس منه متميزة؛ لكونها ليست من جنسه، ولم ترد من قائله جلّ شأنه، كما أن تبديل أي لفظ من ألفاظه بغيره مفتضحة، ظاهر عوارها.

وقد احتمل "الماوردي" شبهة لهذا الوجه؛ بأن يقول قائل: "فقد زيد فيه فالتبس واشتبه، وهو أن النبي لما نزلت عليه سورة النجم بمكة قرأها في المسجد الحرام حتى بلغ إلى قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٦﴾ وَمَنْوَةَ الْغَابِغَةِ الْأُخْرَىٰ ﴿١٧﴾﴾ [النجم: ١٩-٢٠] ألقى الشيطان على لسانه: (تلك الغرائق العلى، و إن شفاعتهن لترتجى)، ثم تمم السورة وسجد؛ فسجد معه المسلمون وفرح المشركون فسجدوا معه، ورضيت كفار قريش به، وسمع به من هاجر إلى أرض الحبشة؛ فعادوا، إلى أن أنكر عليه جبريل؛ فشق عليه، ونزل فيه قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَعَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِرُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾﴾ [الحج: ٥٢] قالوا: ومعلوم أن هذه الزيادة هي في مثل أسلوب السورة، وليست من الله تعالى وقد اشتبهت فلم لا كان ما سواها بمثابةها"^(٢).

ثم تولى الرد عليها من وجهين: أحدهما: أن هذه زيادة لا تبلغ قدر التحدي؛ فخرجت عن حكمه، والثاني: أنه أنزل فيهم [التي عندهم] (أيها الغرائق العلى وإن شفاعتهن لترتجى) فاشتبه على قريش وحذفوا منه قوله [التي عندهم]؛ فنسخ الله تعالى لهذا الاشتباه تلاوةً هذه الزيادة.

ف"الماوردي" أجاب أنّ الزيادة لا تبلغ قدر التحدي، الذي أقله السورة وإن

(١) الماوردي، "أعلام النبوة": ٦٥.

(٢) السابق نفسه.

وجوه الإعجاز البياني عند الماوردي وردة الشبه المحتملة فيها في كتابه "أعلام النبوة، د. علي بن محمد آل نومة القحطاني

قصرت؛ لأنها أقل المتحدى به في القرآن الكريم؛ يقول الرماني: "فإن قال قائل: فلعل السور القصار ممكن للناس؟ قيل له: لا يجوز ذلك؛ من قبل أن التحدي قد وقع بها؛ فظهر العجز عنها في قوله تعالى:

﴿قُلْ فَأَنزِلُوا سُورَةَ﴾ [يونس: ٣٨] فلم يخص بذلك الطوال دون القصار"^(١)؛ بل ذهب بعضهم إلى أنه معجز بالآيات دون السورة، إذا بلغت آيات وحروفاً قدر أقصر سورة من القرآن، وهي سورة الكوثر، وقد ذهب إليه الماوردي كما سيأتي قريباً. وأما الجواب الثاني: فهو أن هذه الزيادة قد نسخت تلاوة لإزالة الاشتباه.

وهذا جواب في غاية المتانة؛ غير أن قصة الغرائق لم تثبت أصلاً، كما ذكر علماء الحديث، وأثبتوا بطلانها من سبعة أوجه، ونصّوا على أن هذه القصة باطلة سندا ومتناً^(٢)، ولو افترضت صحتها فالجواب عليها بكلام "الماوردي" كاف لدحض الشبهة وإماتها.

وأما تفرد معناه ونظمه: فعددتها في أوجه:

فأول الأوجه: تفرد نظم أسلوبه وصفة الاعتدال أخرجه عن موافقة طرائق

كلام العرب، ويتجلى ذلك في قوله: "والوجه الثالث من إعجازه: أن نظم أسلوبه ووصف اعتداله يخرج عن منظوم الكلام ومنثوره، ولا يدخل في شعر ولا رجز ولا سجع ولا خطبة، حتى تجاوز محصور أقسامه، وباين سائر أنواعه بأسلوب لا يشاكل ونظم لا يماثل؛ فصار وإن كان من حروف الكلام خارجاً عن أقسام الكلام؛ فقد قال أنيس الغفاري - وهو أخو أبي ذر الغفاري - وكان من الموصوفين بالتقدم في البلاغة والفصاحة: عرضت القرآن على السجع والشعر والنظم والنثر فلم يوافق شيئاً من طرق كلام العرب"^(٣).

(١) الرماني، "النكت في إعجاز القرآن": ١١١.

(٢) تراجع المسألة وما ورد فيها من روايات والرد عليها فيما ذكره الألباني في رسالته "نصب المجانيق لنسف قصة الغرائق"، محمد ناصر الدين الألباني. (ط٣)، المكتب الإسلامي، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م): ٣٥-٣٧.

(٣) الماوردي، "أعلام النبوة": ٥٥، ٥٦.

وليس المقصود أنه يخالف العربية حرفاً ولفظاً؛ فهذا مما لا جدال حوله، وقد أشار "الماوردي" إلى ذلك بقوله (وإن كان من حروف الكلام) وإنما المقصود أن القرآن وإن كانت حروفه وألفاظه هي ذاتها حروف العرب وألفاظها؛ إلا أنه خارج في نظمه عن أقسام كلام العرب لا خارج في جنسه؛ يقول الرماني: "وأما نقض العادة: فإن العادة كانت جارية بضروب من أنواع الكلام معروفة: منها الشعر، ومنها السجع، ومنها الخطب، ومنها الرسائل، ومنها المنثور الذي يدور بين الناس في الحديث؛ فأتى القرآن بطريقة مفردة خارجة عن العادة لها منزلة في الحسن، تفوق كل طريقة"^(١)، ويقول الباقلاني: "إنه نظم خارج عن جميع وجوه النظم المعتاد في كلامهم، ومباين لأساليب خطابهم"^(٢)؛ فكان التفرد من جهة نظمه وطرائقه الممتازة عن نظومهم، وخصائص لفظه المميزة له عن ألفاظهم، وتفرده عن جنسه من كلام العرب كله؛ وهذا هو الذي جعله معجزاً مبيناً للغة العربية التي نزل بها؛ فالإعجاز ليس في اللغة العربية ذاتها وإن بلغت في البيان ما جعلها مضرب المثل فيه وما جعل القرآن ينزل بها ويتحدى أربابها وأساطين البيان فيها، وإنما كان الإعجاز في البيان الذي نزل به القرآن متفرداً في طرائقه وأساليبه؛ حتى بهرت العرب أساليبه وطرائقه، وقد سلف قول عبد القاهر الجرجاني: "أعجزتهم مزايا ظهرت لهم في نظمه، وخصائص صادفوها في سياق لفظه ... وبهرهم أنهم تأملوه سورة سورة، وعشراً عشراً وآية آية، فلم يجدوا في الجميع كلمة ينبو بها مكانها، ولفظة ينكر شأنها، ويرى أن غيرها أصلح هناك أو أشبه، أو أخرى وأخلق، بل وجدوا اتساقاً بمر العقول، وأعجز الجمهور، ونظاماً والتتماماً وإتقاناً وإحكاماً..."^(٣).

وقد احتمل "الماوردي" شبهة لهذا الوجه؛ بأن يقول قائل: "لو كان لنظم القرآن أسلوب معجز لما طلب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه عند جمع القرآن من يأتيه بالآية والآيتين شهوداً أنه سمعه من رسول الله ﷺ ولاكتفى بأسلوب نظمه عن بينة

(١) الرماني، "النكت في إعجاز القرآن": ١١١.

(٢) "إعجاز القرآن"، ٥٠.

(٣) الجرجاني، "دلائل الإعجاز": ٣٩.

وجوه الإعجاز البياني عند "الموردي" وردده الشبه المحتملة فيها في كتابه "أعلام النبوة"، د. علي بن محمد آل نومة القحطاني

تشهد به، ولكان لا يشتبه على ابن مسعود في المعوذتين حين أخرجهما من القرآن، ولا على أبي بن كعب في القنوت حين أدخله في القرآن، ولا على امرأة ابن رواحة في شعره حتى توهمته من القرآن" (١).

ثم تولى الرد عليها من وجهين: "أحدهما: أن عمر التمس الشهادة في الآية والآيتين، مما لا يكون بانفراده معجزاً؛ لأن الإعجاز مختص بما وقع به التحدي، وأقل ما يقع به التحدي، كأقصر سورة في القرآن آيات وحروفا وهي سورة الكوثر، وما قصر عنه لا إعجاز فيه؛ فكان طلبه للشهادة متوجهاً إليه، والثاني: "أنه طلب الشهادة على محلها من أي سورة هي، وفي أي موضع منها توضع، وإن كان معلوم الأسلوب بالمبينة؛ لأن الله تعالى كان يأمر بوضع ما أنزله فيما يراه من السور لقوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ [القيامة: ١٧]، فأما ابن مسعود فلم يشكل عليه أسلوب المعوذتين أنهما من القرآن، إنما حكمهما من مصحفه؛ لأنه ظن أن تلاوتهما قد نسخت، و أما أبي بن كعب فظن أن تلاوة القنوت باقية، لم يعلم أنها قد نسخت، وأما امرأة ابن رواحة فلم تكن من ذوي الفصاحة والبلاغة فتفرق بين الشعر وأسلوب القرآن؛ فلم يكن لوهما تأثير" (٢).

ويلحظ اعتماد "الموردي" على التعليل بالاستشهاد بواقع ما حدث، وبما يفرضه العقل في رده للشبهة، وهذا تنوع بيّن لدى "الموردي" في الرد على الشبهات؛ فتراه هنا يعتمد على الواقع في رد الشبهة؛ حيث إن الفاروق لم يلتمس الشهادة في السورة والسور بل في الآية والآيتين، وهما لا يكون بهما الإعجاز لكونهما لم يجز بهما التحدي؛ فكان طلب الشهادة مقتصراً على ما لا يكون بانفراده معجزاً، كما أن طلب الشهادة فيها لم يكن لإثبات كونها من القرآن - فيكون ذلك مدخلاً لهذه الشبهة - وأنه إن كان الأمر كذلك فأين حسن النظم المعجز الذي يبين نظم القرآن عن سواه، فإن دعت الحاجة للشهادة على كونه من القرآن قائمة، فحسن نظمه إذن غير مميز له عن غيره من النظم،

(١) الموردي، "أعلام النبوة": ٥٦.

(٢) السابق: ٥٧.

بل إنَّ طلب الشهادة - إضافة لما تقدم بأنه في الآية والآيتين التي بانفرادها لا يكون إعجازاً - كان لمعرفة موقع ترتيبها مع أخواتها؛ لأن ترتيب آيات القرآن توقيفياً من الله سبحانه وتعالى. أما التباسه على امرأة ابن رواحة فليس بحجة؛ إذ هي ليست من أهل الفصاحة والبلاغة، فمقتضى نظر العقل أن لا يعتد بوجهها؛ ومن ثم فالشبهة مردودة من كل وجه، والإعجاز بهذا الوجه قائم لا شبهة فيه.

ولما ذكر أنَّ من إعجاز القرآن خروجه عن أقسام كلام العرب، سمي هذه الأقسام وبين مناط تفرد نظم القرآن وعلو منزلته عنها بقوله: "الكلام يترتب ثلاث مراتب: منشور يدخل في قدرة الخلق، وشعر هو أعلى منه يقدر عليه فريق ويعجز عنه فريق، وقرآن هو أعلى من جميعها وأفضل من سائرهما تجاوز رتبة النوعين فخرج عن قدرة الفريقين"^(١)، ومعناه أن القرآن ليس من المنشور الداخل في قدرة الخلق، كما أنه ليس من الشعر الذي يقدر عليه فريق ويعجز عنه فريق، بل هو أعلى من جميعها وأفضل من سائرهما؛ فقد تجاوز رتبة النوعين فخرج عن قدرة الفريقين.

ولسنا بصدد البحث في قضية دخول القرآن في النثر أو خروجه عنه؛ بأن يكون نوعاً من النثر أو يكون قسماً ثالثاً للكلام؛ فيكون الشعر قسماً، والنثر قسماً، والقرآن قسماً، كما ذهب إليه غير واحد من المتقدمين والمحدثين، ومن ذلك قول الباقلاني: "إنه نظم خارج عن جميع وجوه النظم المعتاد في كلامهم، ومباين لأساليب خطابهم، ومن ادعى ذلك لم يكن له بد من أن يصحح أنه ليس من قبيل الشعر، ولا من قبيل السجع، ولا الكلام الموزون غير المقفى، لأن قوماً من كفار قريش ادعوا أنه شعر، ومن الملحدة من يزعم أن فيه شعراً، ومن أهل الملة من يقول: إنه كلام مسجع، إلا أنه أفصح مما قد اعتادوه من أسجاعهم، ومنهم من يدعي أنه كلام موزون. فلا يخرج بذلك عما يتعارفونه من الخطاب"^(٢)، ثم أخذ يبرهن على أن القرآن مخالف لكل واحد من هذه الأنواع، بل نراه يقول في بعض كلامه: "ولو كان القرآن سجعاً لكان غير خارج عن أساليب

(١) الماوردي، "أعلام النبوة": ٦٤.

(٢) "إعجاز القرآن"، ٥٠.

وجوه الإعجاز البياني عند "الماوردي" وردده الشبه المحتملة فيها في كتابه "أعلام النبوة"، د. علي بن محمد آل نومة القحطاني

كلامهم، ولو كان داخلاً فيها لم يقع بذلك إعجاز" (١)، وفي موضع ثالث يقول: "فاستدللنا بتحريمهم في أمر القرآن على خروجه عن عادة كلامهم، ووقوعه موقعا يخرق العادة، وهذه سبيل المعجزات" (٢).

وممن قال بذلك في عصرنا الحديث، طه حسين، حيث قال في معرض حديثه عن النثر الفني: "ولكنكم تعلمون أن القرآن ليس نثراً، كما أنه ليس شعراً، إنما هو قرآن، ولا يمكن أن يُسمى بغير هذا الاسم، ليس شعراً، وهذا واضح، فهو لم يتقيد بقيود الشعر، وليس نثراً لأنه مقيد بقيود خاصة به لا توجد في غيره، وهي هذه القيود التي يتصل بعضها بأواخر الآيات... فهو ليس شعراً ولا نثراً، ولكنه: ﴿كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ وَتُفْصِلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾، فلسنا نستطيع أن نقول: إنه نثر، كما نص على أنه ليس شعراً. كان وحيداً في باب، لم يكن قبله، ولم يكن بعده مثله، ولم يحاول أحد أن يأتي بمثله، وتحدى الناس أن يحاكيه، وأنذرهم أن لن يجدوا إلى ذلك سبيلاً" (٣). وأيد العماري ما قاله طه حسين وزاد عليه بقوله: "ونستطيع أن نزيد على ما قاله الدكتور طه حسين (الجو الخاص) الذي تتسم به كل سورة على حدة، حتى إن المتذوق للقرآن يدرك بحسه أن لكل سورة روحاً خاصة، وطابعاً خاصاً، وطعماً خاصاً - إن صح هذا التعبير - وهو يستطيع أن يدرك حتى ولو كان نسي ما حفظ من القرآن أن هذه الآية من هذه السورة أو ليست منها" (٤).

ويظهر من كلام "الماوردي" أنه يرى القرآن داخلاً في المنشور غير المقدر عليه، وبعبارة أخرى: من النثر الذي لا يقولونه؛ فهو عنده طبقة خاصة من النثر، ولعل في قول الرماني الذي سلف ذكره قريباً وهو قوله في بيان ضروب كلام العرب: "ومنها: المنشور الذي يدور بين الناس في الحديث، فأتى القرآن بطريقة مفردة خارجة عن العادة

(١) السابق: ٥١-٥٢.

(٢) السابق: ٦٤.

(٣) طه حسين، "حديث الشعر والنثر، الأعمال الكاملة". (القاهرة: الشركة العالمية للكتاب)، ٥: ٥٧٧.

(٤) علي حسن العماري، "حول إعجاز القرآن الكريم الابتداء بالأسلوب". مجلة الجامعة الإسلامية

٢٤. (ربيع الثاني، ١٤٢٣هـ): ٧-٨٤.

لها منزلة في الحسن تفوق به كل طريقة"^(١) إشارة إلى خصوصية نثرهم عن نثر القرآن. وقد احتمل "الماوردي" لهذا التفرد شبهة؛ بأن يقول قائل: "لو كان القرآن برهانا معجزاً لخرج كثيره وقليله عن القدرة، وقليله مقدور عليه، وهو أن يجمع بين ثلاث كلمات منه أو أربع، فكذلك كثيره؛ لأنَّ الشيء إذا دخلت أوائله في جنس الممكن خرجت أواخره من جنس الممتنع"^(٢).

ثم تولى الرد عليها من وجهين: "أحدهما: أن قليله وكثيره خارج عن القدرة إذا انتظم إعجازه، وهو كأقصر سورة منه؛ فبطل هذا الاعتراض، والثاني: أنه ليس القدرة على الكلمة والكلمتين منه قدرة على استكمال ما يقع من التحدي، كالمفحم في الشعر لا تكون قدرته على الكلمة والكلمتين من بيت من الشعر قدرة على نظم بيت كامل من الشعر"^(٣)؛ فمدار الشبهة على أن الإتيان بالقليل من الألفاظ التي كألفاظ القرآن مقدور عليه؛ ومن ثم فإذا كان القليل مقدورا فالكثير غير ممتنع؛ ولذا عمد "الماوردي" إلى نفي الشبهة من أصلها بأسلوب الشرط "إذا" في قوله: "إذا انتظم إعجازه؛ فشرط الإعجاز في انتظام الكلام قليلا كان أو كثيرا، وليس في جمع كلمات دون مسلك خاص في النظم؛ وهذا ما أبهر العرب إعجازه وأقروا به، وأكد جهته علماء البلاغة، كما سلف ذكره لدى عبد القاهر الجرجاني وغيره؛ هذا من وجه، ومن وجه آخر: أن من اقتدر على الإتيان بكلمة أو كلمتين معجزة لا يمكنه استكمال هذه القدرة بنظم سورة أو حتى آية مترابطة حسنه النظم؛ كالمفحم في الشعر لا تكون قدرته على الكلمة والكلمتين من بيت من الشعر قدرة على نظم بيت كامل من الشعر، وقد اعتمد "الماوردي" في نفي هذا الوجه على قياسه بما هو معلوم لدى الناس في حال من لا يستطيع نظم الشعر ولا موهبة له فيه؛ فإن اقتدر على كلمة أو كلمتين عجز عن نظم بيت كامل، وهو في حيز طرائق العرب وأساليبها؛ فكيف بنظم القرآن الذي خرج عن الطرائق المألوفة والأساليب المعروفة!؟

(١) الرماني، "النكت في إعجاز القرآن": ١١١.

(٢) الماوردي، "أعلام النبوة": ٦٤.

(٣) السابق: ٦٥.

وجوه الإعجاز البياني عند الماوردي ورده الشبه المحتملة فيها في كتابه "أعلام النبوة"، د. علي بن محمد آل نومة القحطاني

وأما ثاني أوجه التفرد في المعاني والنظم: فما ذكر من: "أن اختلاف آياته في
الطول والقصر لا يخرج عن أسلوبه ولا يزول عن اعتداله، وغيره من نظم الكلام
ونثره إذا تفصلت أجزاؤه زال عن وزن منظومه واعتدال منثوره؛ فصار ذلك من
إعجازه"^(١).

وذلك لتمام مبانيه وانسجام معانيه، طالت آياته أم قصرت؛ وهذا من أوجه
تفرد القرآن التي كان بها معجزاً.
وقد احتمل "الماوردي" شبهة لهذا الوجه؛ بأن يقول قائل: "زيادة طوله هذر،
ونقصان قصره حصر؛ فكيف يكون معجزاً إذا تردد بين هذر وحصر؟"^(٢).
ثم تولى الرد عليها من وجهين: "أحدهما: أن الزيادة تكون هذرا إذا لم تفد،
والنقصان يكون حصرا إذا لم يقنع، والزيادة من طوله والنقصان من قصره مقنع؛ فخرج
عن الهذر والحصر، والثاني: أن الطويل لو انفرد لم يكن هذرا، والقصير لو انفرد لم يكن
حصرا؛ فلم يكن اجتماعهما موجبا لهذر وحصر، كاختلاف السور في القصر والطول؛
فإن أقصر السور (سورة الكوثر) وتشتمل مع قصرها على أربعة معان: إخبار بنعمة،
وأمر بعبادة، وبشرى بمسرة، وأسلوب هو معجز؛ فلم تخرج إذا قورنت بما هو أطول أن
تكون معجزة"^(٣). فالسر يكمن في ثبات الفائدة في الزيادة وفي طول السور؛ فلا الزيادة
مخلّة مع ثبات الفائدة، ولا القصر مخلّ مع ثبات الإقناع؛ فخرج بذلك عما ورد في
الشبهة من صفتي الهذر أو الحصر، ثم يترقى في تأكيد صحة رده للشبهة؛ بأن زيادة
القرآن أو قصره لفائدة وإقناع ثابت في حال انفرد موضع كل منهما، ومن ثم فاجتماع
الطول مع القصر لا يمكن أن يكون موجبا للهذر أو الحصر؛ بل إن مقتضى العقل
يوجب تأكيد الفائدة والإقناع لا العكس، كما أنه اعتمد في احتجاجه على الشبهة
بأسلوب آخر يعضد القياس، إذ عمد إلى الاستشهاد على صحة ما ذكره بأقصر سورة

(١) الماوردي، "أعلام النبوة": ٦٣.

(٢) السابق: ٦٤.

(٣) السابق نفسه.

القرآن "الكوثر"، فلم يعدمها قصرها الفائدة بل إنها كانت معجزة في اشتغالها على معان عدة، هي: الإخبار بالنعمة ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١] والأمر بعبادة ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢] وبشرى بمسرة ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣]، ثم ورود هذه المعاني في أسلوب معجز "فلم تخرج إذا قورنت بما هو أطول أن تكون معجزة" (١).

وثالث أوجه التفرد: اختصاص تلاوته ببواعث ليست لغيره تُيسر تلاوته

وحفظه:

وهذا الوجه متعلق بالتلاوة؛ فعند "الماوردي" أن من وجوه إعجاز القرآن التي تفرّد بها يسر تلاوته واستعداد نطقه، وقد علل هذا التفرد بخمسة بواعث لا توجد في غيره؛ فقال: "أحدها: هشاشة مخرجه، والثاني: بهجة رونقه، والثالث: سلاطة نظمه، والرابع: حسن قبوله، والخامس: أن قارئه لا يكل وسامعه لا يمل، وهذا في غيره من الكلام معدوم" (٢).

وقد احتمل "الماوردي" شبهة لهذا الوجه؛ بأن يقول قائل: "إنما وقع في النفوس هذا الموقع للتدين بالتزامه والتخصيص بإعظامه".

ثم تولى الرد عليها من وجهين: "أحدهما: أن هذا موجود في غيره من كتب الله تعالى كالتوراة والإنجيل والزبور، وليس يوجد ذلك فيها مع وجود هذا التعليل؛ ولذلك ما استعان أهلها على استحلاء تلاوتها بما وضعوه لها من الألحان، واستعذبوه لها من الأصوات، والقرآن مستغن عن هذا بصيغة لفظه؛ فلذلك ما راع وهيج الطباع. والثاني: التدين لا يسلب العقول تمييزها، ولا يفسد عليها تصورها، وهو بأن يزيد بصيرة، أولى من أن ينقصها، ولو كان لهذه العلة لجحده من كفر كما اعترف به من آمن وقول الجميع فيه سواء" (٣).

(١) الماوردي، "أعلام النبوة": ٦٤.

(٢) السابق: ٦١.

(٣) الماوردي، "أعلام النبوة": ٦١.

وجوه الإعجاز البياني عند "الماوردي" وردده الشبه المحتملة فيها في كتابه "أعلام النبوة"، د. علي بن محمد آل نومة القحطاني

ونلاحظ اعتماد "الماوردي" في دحض هذه الشبهة على القياس؛ فقياس ذلك على الكتب الأخرى، التي وضعوا لها ألحانا وأصواتا لاستعذاب تلاوتها؛ فما استحلوها وما استعذبوها، ثم اطرده على القياس على التدين الذي كان موجودا في تلك الكتب، ومع وجود قسيسين لها ورهبانا إلا أنه لم يتوفر لها ما توفر للقرآن من حسن تلاوة واستعذاب النطق، فبطلت الشبهة من هذا الوجه.

ثم عمد إلى رد الشبهة بالاعتماد على عرضها على ما يقبله العقل؛ فالتدين لا يسلب العقول تمييزها، بل إنه يزيد بصيرتها، ولو أن التدين هو علة استعذاب تلاوة القرآن لحجده من كفر ولم يعترف به، كما اعترف به من آمن، بل كان قول الجميع فيه سواء، فقد اعترف الكفار بحلاوة نظمه واستيقنوا ذلك، ومن ذلك قول الوليد بن المغيرة حين سمع آيات من القرآن: "والله إن لقوله الذي يقول لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليحطم ما تحته، وإنه ليعلو وما يعلى عليه"^(١)، وكما تفرد القرآن باستعذاب تلاوته، تفرد أيضا بتيسير حفظه: "حتى حفظه الأعجمي الأبكم ودار به لسان القبطي الأكن، ولا يحفظ غيره من الكتب كحفظه، ولا تجري به ألسنة البكم كجريها به، وما ذاك إلا بخصائص إلهية فضله بما على سائر كتبه".

وقد احتمل "الماوردي" شبهة لهذا الوجه؛ بأن يقال: "فقد يحفظ الشعر كحفظه، والعلة فيه اعتدال وزنه، هذا يدل على كون بلاغته في نظمه الذي يحفظ بعضه بعضا، فلم يكن ذلك معجزاً"^(٢).

ثم تولى الرد عليها من وجهين: "أحدهما: أن ما اندرس من الشعر أكثر مما حفظ، وهذا محفوظ لم يندرس فاختلفا، والثاني: ما لم تستعذبه الأفواه متروك، والقرآن مستعذب غير متروك فافترقا"^(٣).

فقياسه على الشعر الذي هو أفضل كلام العرب وزنا واعتدالا غير مستقيم؛ لأن

(١) محمد بن جرير الطبري. "جامع البيان في تأويل القرآن". تحقيق: عبد الله التركي. (ط ١): ٤٣٠،

وأحمد بن الحسين البيهقي. "الاعتقاد". تحقيق: أحمد عصام. (بيروت: دار الآفاق): ٢٦٨.

(٢) الماوردي، "أعلام النبوة": ٦٤.

(٣) السابق نفسه.

ذلك لم يحقق له الحفظ، بل هو ما بين مندرس لعدم حفظه، ومتروك لعدم استعدابه، بل الدارس منه والمتروك أكثر مما حفظ ونقل إلينا، في حين أنّ القرآن محفوظ في القلوب وتردده الألسن العربية والأعجمية، وقد سلفت الإشارة إلى ذلك، مع نقل كلام ابن سلام الجمحي في هذه القضية؛ ومن هنا يتفارق القرآن والشعر في هذا الوجه؛ فبطلت الحجة.

رابع أوجه التفرد: إعجاز ما تضمنه من الحجج والبراهين على التوحيد والرجعة وعلى الدهرية والثنوية؛ حتى قطع بحججه كل محتج وخصم بجده له كل خصم ألد:

فمن وجوه تفرد القرآن التي عدها "الماوردي": الإعجاز في الدلائل والبراهين، وما تضمن من أساليب احتجاج القرآن على قضايا العقيدة والرجعة وهي البعث، والدهرية المنكرين للمعاد كمثل مشركي العرب والفلاسفة، والثنوية المجوس القائلين باعتقاد أن العالم له إلهين اثنين هما إله النور وإله الظلمة، وهي القضايا التي عظم فيها كفر من جحد وأشرك وألحد، وقد أجمهم القرآن بالأدلة الساطعة والبراهين القاطعة العقلية والحسية والسمعية، ودحض حججهم وأبطلها من أصلها. وقد احتمل "الماوردي" شبهة لهذا الوجه؛ بأن يقول قائل: "فدلائل التوحيد مستفادة بالعقول فلم يكن فيها إعجاز من وجهين: أحدهما: وجودها من ذاته، والثاني: مشاركته فيها لغيره" (١).

ثم تولى الرد عليها من وجهين: "أحدهما: أنه لم يكن من أهل الجدل فيقطع كل مجادل، والثاني: أنه احتج للرجعة بما زاد على قضايا العقول فخصم كل عاقل" (٢).

(١) الماوردي، "أعلام النبوة": ٥٨.

(٢) السابق نفسه.

المبحث الرابع: العجز عن معارضته

ختم "الماوردي" وجوه إعجاز القرآن بوجه العجز عن معارضته، وعرض في هذا الوجه لمسائل ثلاث إجمالاً في الآتي:

المسألة الأولى: وجه الصرفة عن معارضة القرآن الكريم وكيفية وقوعها على

العرب:

وقد شغلت قضية الصرفة المتقدمين ممن تكلموا في وجه إعجاز القرآن، كما شغلت المتأخرين الذين اشتغلوا بجمع الآراء والأقوال حول هذه المسألة والرد عليها. ونلاحظ أن المؤلف ركز في عرضه لهذه القضية على محور دقيق - وإن كان لم يبين رأيه ولم يتصد للرد على أي منهما - إذ شغل بالسؤال عن وجه وقوعها حيث ذكر: "أن القائلين بالصرفة اختلفوا في وجه وقوعها على قولين: أحدهما: أنهم صرفوا عن القدرة ولو قدروا لعارضوا. والقول الثاني: أنهم صرفوا عن المعارضة مع دخوله في مقدورهم"^(١)؛ فركيزة السؤال: هل صرفوا عن القدرة على معارضته؟ أم صرفت همهم عن معارضته مع دخوله في مقدورهم؟

وقد احتمل "الماوردي" شبهة لهذا الوجه، كما هو نجه في عرضه لوجوه الإعجاز الأخرى؛ وذلك "بأن يقول قائل: فإن عجزوا عن معارضته بمثله لم يعجزوا عن معارضته بما تقاربه وإن نقص عن رتبته، والمعجز ما لم يمكن مقارنته كما لا يمكن مماثلته"^(٢). ثم تولى الرد عليها من وجهين: "أحدهما: أن مقارنته تكون بما في مثل أسلوبه إذا قصر عن كماله والأسلوب ممتنع فبطلت المقاربة وثبت الإعجاز. والثاني: أن المقاربة تمنع من المماثلة، والتحدي إنما كان بالمثل دون المقاربة"^(٣)؛ فأبطل الشبهة بنفي التحدي بالمقاربة؛ فلا يمكن أن يقاربوا القرآن بمثل أسلوبه؛ فهذا متعذر عليهم؛ والوجه الثاني لرد الشبهة: بأن المقاربة أنقص منزلة من المماثلة، وهي مع نزول منزلتها عن المماثلة إلا أنها

(١) الماوردي، "أعلام النبوة": ٦٧.

(٢) السابق: ٦٨.

(٣) السابق نفسه.

متعذرة أيضا.

هذا ما تناول به "الماوردي" هذه القضية غير أنه لم يصرح بموقفه منها، ولم يحدد ما يرتضيه من المفهومين: أهى صرفة عن المعارضة مع دخولها في قدرتهم لو خلي بينهم وبينها، أم هي صرفة أساسها سلبهم القدرة على المعارضة فلا يستطيعون لو خلي بينهم وبين المعارضة؟ ويمكن مناقشة هذه القضية بأن "الماوردي" لو قال بالأولى، فكيف تكون وجوه الإعجاز التي ذكرها؛ فإن أكثرها منسول من القول بنظمه المعجز الخارق للعادة، وهذا لا يتلاقى معه القول بالصرفة عن معارضة لما يُقْتَدَر عليه عند التخلية، وإن قال بالثاني، فكيف تكون الصرفة عما هم عاجزون بأنفسهم عنه لما هو قائم به من أسباب الإعجاز الذاتية؟ إلا إن قال إنه توكيد لما فيه من إعجاز ذاتي متمثل في كمال بلاغته، والأظهر أن "الماوردي" يذهب إلى أنهم كانوا عاجزين إذا حُلُو، ذلك أن الوجه التاسع عشر من وجوه الإعجاز عنده يفيد أنهم لم يكونوا قادرين على معارضته لما تحدوا إليه^(١). وهذه المسألة مناط اختلاف واسع منذ ظهور هذه القضية وقد اختلفت الآراء حول ذلك، وليس اشتغال البحث على بيان مسألة الصرفة؛ لكن من دواعي البحث الإشارة إلى اتجاهات هذه القضية بذكر خلاصة الأقوال حولها ونسبتها لقائلها، ولا يخفى أن جمهور أهل السنة على إبطال هذه الشبهة من أصلها، وقد أجملها القرطبي بقوله: "إن بعض أصحاب الصَّرْفَةِ زعموا أن العرب صرفوا عن القدرة على القرآن ولو تعرضوا له لعجزوا عنه، والبعض الآخر زعموا أن العرب صرفوا عن التعرض للقرآن مع كونه في مقدورهم، ولو تعرضوا له لجاز أن يقدروا عليه، بمعنى أنهم لم يأتوا بمثله سابقا، غير أنه لا يخرج عن حدود قدرتهم، لولا أنه حيل بينهم وبين ممارسة ذلك الاقتدار"^(٢). وجعل الزرقاني هذه الأقوال في وجوه ثلاثة^(٣) وافق في وجهين منهما ما ذكره

(١) محمود توفيق محمد سعد. "إعجاز القرآن الكريم بالصرفة دراسة ناقدة". بحث منشور في وقفية

الأمير غازي للفكر القرآني: ٧٢-٧٣

(٢) محمد بن أحمد القرطبي، "الجامع لأحكام القرآن". تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم، (ط٢،

القاهرة: الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م)، ١: ٧٦.

(٣) الوجه الأول: أن بواعث هذه المعارضة ودواعيها لم تتوافر لديهم.

وجوه الإعجاز البياني عند "الماوردي" وردده الشبه المحتملة فيها في كتابه "أعلام النبوة"، د. علي بن محمد آل نومة القحطاني

"الماوردي" وإن اختلف نصه في عرضها؛ إذ جعل القول الثاني: أن صارفا إليها زهدهم في المعارضة؛ فلم تتعلق بما إرادتهم ولم تنبعث إليها عزائمهم؛ فكسلوا وقعدوا على رغم توافر البواعث والدواعي. وهذا ما عرضه "الماوردي" بقوله: "أم صرفت همهم عن معارضته مع دخوله في مقدورهم"^(١).

أما القول الثالث: "بأن عارضا مفاجئا عطل مواهبهم البيانية وعاق قدرهم البلاغية وسلبهم أسبابهم العادية إلى المعارضة على رغم تعلق إرادتهم بها وتوجه همهم إليها"^(٢) وهذا الوجه نص عليه صاحب جنى الخرفة في القول الثالث من أقوال القائلين بالصرفة بقوله: "إن الله سبحانه سلبهم العلوم التي كانت العرب مالكة لها ومتجهزة بها، وكانت كافية للإتيان بما يشاكل القرآن، ولولا هذا السلب لأتوا بمثله"^(٣)، وهذا القول داخل في قول من يرى أنهم صرفوا عن القدرة، ولو لم يسلبوا القدرة لعارضوا، أي أن الصرفة كانت بصرف قدرة العرب عن معارضة القرآن؛ فإجمال القول في الصرفة يكمن في ثلاث اتجاهات:

الصورة الأولى: أنهم صرفوا عن القدرة عن الإتيان بمثل هذا القرآن بصارف

ومانع أعجزهم:

ويعد التَّظَام أول من نُسب له هذا الرأي، وهذه صرفته؛ إذ نقل عنه قوله: "الآية والأعجوبة في القرآن ما فيه من الإخبار عن الغيوب، فأما تأليفه والنظم فقد كان يجوز أن يقدر عليه العباد لولا أن الله منعهم بمنع وعجز أحدثهما فيهم"^(٤)؛ فقوله: "أن الله

(١) الماوردي، "أعلام النبوة": ٦٧.

(٢) محمد عبد العظيم الزرقاني، "مناهل العرفان في علوم القرآن". (ط٣، دمشق: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٨٩م)، ٢: ٤١٤.

(٣) عرفة بن طنطاوي، "جنى الخرفة في إبطال القول بالصرفة". مجلة البحوث الإسلامية ٦٠، (صفر ١٤٤٢هـ): ٩٣.

(٤) أبو الحسن الأشعري، علي بن إسماعيل، "مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين". عني بتصحيحه: هلموت ريتز، (ط٣، ألمانيا: دار فرانز شتايز، بمدينة فيسبادن ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م)، ١: ٢٩٦.

منعهم بمنع وعجز أحدثهما فيهم" نص على أن العجز والصرف هنا للقدرة وليس للهمة عن المعارضة، وهذا موافق للوجه الأول الذي ذكره "الماوردي" أنهم صرفوا عن القدرة و لو قدروا لعارضوا"، ونص عليه القرطبي بعده بقوله: "إن بعض أصحاب الصِّرفَة زعموا أن العرب صرفوا عن القدرة على القرآن ولو تعرضوا له لعجزوا عنه"^(١).

الصورة الثانية: أن الله سبحانه سلبهم العلوم التي كانت العرب مالكة لها ومتجهزة بها، وكانت كافية للإتيان بما يشاكل القرآن، ولولا هذا السلب لأتوا بمثله:

أي بسلب مواهب البيان وتعطيلها لدى العرب، وكان أول من قال بذلك الشريف المرتضى في كتابه "الموضح عن وجه إعجاز القرآن" حيث قال: "بل معنى الصرفة أن الله سلبهم العلوم التي يحتاج إليها في المعارضة ليحيثوا بمثل القرآن"^(٢)، ووافقه على ذلك ابن سنان الخفاجي بقوله: "وجه إعجاز القرآن صرف العرب عن معارضته؛ بأن سلبوا العلوم التي كانوا يتمكنون من المعارضة وقت مرامهم ذلك"^(٣)، وهذا ما نص عليه الشريف المرتضى سوى أن ابن سنان وضع قيده بقوله: "وقت مرامهم ذلك"، بمعنى أن سلب العلوم ليس قائما فيهم دائما مما يجعلهم مجردين من تلك العلوم، بل هي مسخرة لهم إذا لم تنزعهم نفوسهم إلى المعارضة.

الصورة الثالثة: أن همم العرب انصرفت عن المعارضة مع دخول المعارضة في

مقدورهم:

وهو الوجه الثاني الذي ذكره "الماوردي" بقوله: "أنهم صرفوا عن المعارضة مع دخوله في مقدورهم"^(٤)، ونص عليه القرطبي بقوله: "وأن البعض الآخر زعموا أن العرب صرفوا عن التعرض للقرآن مع كونه في مقدورهم، ولو تعرضوا له لجاز أن يقدروا عليه"^(٥)،

(١) القرطبي، "الجامع لأحكام القرآن"، ١: ٧٦.

(٢) الزرقاني، "مناهل العرفان"، ٢: ٤١٥.

(٣) عبد الله بن محمد بن سعيد الخفاجي، "سر الفصاحة". (بيروت: الكتب العلمية، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م): ١٠٠.

(٤) الماوردي، "أعلام النبوة": ٦٧.

(٥) القرطبي، "الجامع لأحكام القرآن"، ١: ٧٧.

ويمكن تقسيم هذه الصورة إلى قسمين:

أولهما: أن الله صرف همم الناس عن معارضة القرآن مع قدرتهم لو خلي بينهم وبين ذلك لعارضوا، وهذه الصرفة التي قال بها الجاحظ، وقد نص عليها بقوله: "ومثل ذلك ما وقع من أوهام العرب وصرف نفوسهم عن المعارضة للقرآن بعد أن تحداهم بنظمه، ولذلك لم نجد أحدا طمع فيه، ولو طمع فيه لتكلفه"^(١)، وتابعه في ذلك الرماني بقوله: "وأما الصرفة فهي صرف الهمم عن المعارضة، وعلى ذلك كان يعتمد بعض أهل العلم في أنّ القرآن الكريم معجز من جهة صرف الهمم عن المعارضة، وذلك خارج عن العادة، كخروج سائر المعجزات التي دلت على النبوة، وهذا عندنا أحد وجوه الإعجاز التي يظهر فيها للعقول"^(٢)؛ فوجه الصرفة على ما تقدم من قولي الجاحظ والرماني هو صرف همم العرب عن الإتيان بمثل هذا القرآن، وهذه الصرفة لهممهم ليست من ذوات أنفسهم وإنما هي إجبار من الله، وفيه منزع من مذهب الجهم بن صفوان^(٣)، القائل بالجبر في أفعال العباد.

ثانيهما: أن الصرفة كانت بانصراف هممهم من ذوات أنفسهم؛ حين أدركوا تعذر الإتيان بمثل القرآن، وأنهم لا يستطيعونه، فكانت على هذا الوجه انصرافا منهم لا صرفة لهم، وهذا ما قال به القاضي عبدالجبار ونص عليه بقوله: "أن دواعيهم انصرفت عن المعارضة، لعلمهم بأنها غير ممكنة، على ما دللنا عليه، ولولا علمهم

(١) عمرو بن بحر الجاحظ، "الحيوان". تحقيق: عبد السلام هارون، (ط٢)، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ).

(٢) الرماني، "النكت في إعجاز القرآن": ١١١.

(٣) هو جهم بن صفوان الراسبي، الكاتب المتكلم، رأس الجهمية، كان صاحب ذكاء وجدل، كتب للأمير حارث بن سريج التميمي، وكان ينكر الصفات ويعطلها، ويقول بالجبر؛ أي بأن العباد مجبورون على فعلهم لا مشيئة لهم، ويقول بخلق القرآن، ويقول بالحلل: أي بأن الله في الأمكنة كلها، تعالى الله، ويقول بالإرجاء: أي بأن الإيمان عقد بالقلب، وإن تلفظ بالكفر. قيل: إن سلم بن أحور قتله؛ لإنكاره أن الله كلم موسى - عليه السلام - ينظر: الذهبي، "سير أعلام النبلاء"، ١١: ٢٦.

بذلك لم تكن لتصرف دواعيهم، لأننا نجعل انصراف دواعيهم تابعا لمعرفةهم بأنها متعذرة^(١)؛ فانصراف همم العرب عن المعارضة لم تكن عنده إجبار من الله ولا صرفة منه، وإنما هو انصراف من عند أنفسهم لمعرفةهم أنه متعذر؛ ولعل إرجاع الصرفة لذواتهم فيه نزعة اعتزالية؛ فالقاضي عبدالجبار يؤسس في أصول المعتزلة الخمسة: بأن العباد يخلقون أفعال أنفسهم، ومن ثم لم يرد مخالفة هذا الأصل بأنه يجعل الصرفة من الله، بل عزاها إلى العباد أنفسهم.

المسألة الثانية: من المعتبر بعجز العرب؛ أيعتبرون عجز العرب العاربة عنه

دون المولدين أو عجز الجميع؟

وقد ذكر "الماوردي" أن في هذه المسألة خلافا بين أهل العلم على وجهين: "أحدهما: أن المعتبر فيه عجز الجميع ليكون أعم، والوجه الثاني: أن المعتبر فيه عجز العرب العاربة دون المولدين؛ ليكون معتبرا بمن يلجأ إلى طبعه ولا يعول على تكلفه وتعلمه"^(٢). وكذا اختلفوا هل يعتبر فيه عجز أهل عصره أو في جميع دهره على وجهين: "أحدهما: يعتبر فيه عجز أهل العصر؛ لأنهم حجة على أهل كل عصر، والوجه الثاني: أنه يعتبر عجز أهل عصر لعموم التحدي فيه لأهل كل عصر"^(٣).

وكان رد هذه المسألة ظاهرا فيما عرض في الوجهين، وكلاهما مكمل للآخر ولا مشاحة فيهما؛ لذا نرى "الماوردي" لم يتعرض للرد عليهما؛ لظهور الجواب في الوجهين؛ ففي التحدي لأهل عصره تحد لكل العصور؛ فهم الحجة وعجزهم عنه دليل على عجز غيرهم من باب أولى؛ فهم أعلى العرب بيانا وأفصحهم لسانا، وأشدهم لدا وأعتاهم خصومة، كما قال تعالى فيهم: ﴿وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾ [مريم: ٩٧].

وقول "الماوردي": "لعموم التحدي فيه لأهل كل عصر" هو الشائع عند علماء الإعجاز، وهذا الإطلاق فيه نظر، فلعل الصواب أن يقال في هذه المسألة: إن ثمة فرقا

(١) عبد الجبار بن أحمد الهمداني الأسد أبادي، "المغني في أبواب التوحيد والعدل". (ط ١، القاهرة: دار المصطفى)، ١٦: ٢١٨.

(٢) الماوردي، "أعلام النبوة": ٦٨.

(٣) السابق نفسه.

وجوه الإعجاز البياني عند "الماوردي" وردده الشبه المحتملة فيها في كتابه "أعلام النبوة"، د. علي بن محمد آل نومة القحطاني

بين خطاب التحدي وقيام التحدي؛ فخطاب التحدي كان للعرب الخالص، بمعنى أنه موجه إليهم، وأما قيامه فلغير العرب الخالص وللعجم، ولا يجد بعرق ولا زمن؛ فمن دخل في التحدي من هؤلاء فالتحدي قائم لا ينتهي، ومن لم يدخل منهم في التحدي فهو غير موجه إليه؛ ووجه هذا التفريق أن التحدي يدور مع القدرة، وأهل الاقتدار هم العرب الخالص، فأما من دونهم فليس في مقدورهم أصالة، فالتحدي قائم لهم إن رغبوا لا موجه إليهم، ولو قيل بتوجيه الخطاب لغير العرب لكان طلبا لما ليس في مقدورهم وتحديا عليه، وهو في الحقيقة وجه آخر من وجوه الصرفة، فلا فرق بين من يقول: إنهم سلبوا القدرة على المعارضة، وبين من يقول إن التحدي وجه لغير القادرين على البيان من العرب غير الخالص ومن العجم كذلك، وكان أيضا من التكليف بما لا يطاق، وهو منتف عن الله سبحانه وتعالى، وقد قال: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] فتقررت ضرورة التفريق بين خطاب التحدي وقيام التحدي، على التفصيل المتقدم.

المسألة الثالثة: أن يقول قائل: بأنه يجوز أن تكون الشياطين قد أعانت عليه

حتى خرج عن مقدور الإنس كما أعانت سليمان على ما عجز عنه الإنس:

وقد أجاب "الماوردي" عن ذلك بجوابين: "أحدها: إن هذ يتوجه على موسى في فلق البحر، وعلى عيسى في إحياء الموتى، ويقدر في جميع النبوات؛ فلم يجز لمن أثبتها أن يخص به بعض المعجزات"^(١).

وهذا قياس دقيق منه يرد الشبهة من أصلها، فإن جاز ذلك في القرآن فهو متوجه إلى كل معجزات الأنبياء، وهو قدح في النبوات جميعها، وهذا يوضح بطلان الشبهة من هذا الوجه، وقد ثبت بالعقل والسمع أنه لم يكن للشياطين مدخلا في معجزة موسى عليه السلام؛ وإلا لاقتدر السحرة على ما قدر عليه، لاسيما أن السحر قائم على الاستعانة بالشياطين المردة، وكذلك في معجزة عيسى عليه السلام؛ فالقول بالاستعانة بالشياطين قاذح في معجزات الأنبياء ولاشك.

"والجواب الثاني: أن الشياطين لم يعرفوا إلا من الرسل، ولولاهم لما علم الناس أن في

(١) الماوردي، "أعلام النبوة": ٦٩.

الدنيا شيطاناً ولا جناً، وقد جهر الرسل بلعنهم ودَعُوا إلى معصيتهم، ولو كانوا أعواناً لدعوا إلى طاعتهم وموالاتهم؛ لأن معونة من أطيع وولي أحق من معونة من عصى وعودي" (١)؛ فأبطل "الماوردي" هذه الشبهة، ورد عليها بالقياس بما هو ثابت في الواقع وما هو ثابت بالسمع، وبما هو معلوم في المنطق الصحيح والعقل السليم، وأنهم أعداء للرسل كما قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢] ولا فرق بين من يقول بإعانة الشياطين للرسل ومن قال الله فيهم ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءَ ظُلْمًا وَزُورًا﴾ [الفرقان: ٤].

(١) السابق نفسه.

الخاتمة:

وبعد تتبع وجوه الإعجاز لدى "الماوردي" خرجت الدراسة بنتائج عدة أجمل أهمها في الآتي:

١- عناية الإمام الماوردي في كتاب "أعلام النبوة" بالجانب البياني من إعجاز القرآن الكريم؛ حيث ذكر عشرين وجهاً لإعجاز القرآن، اختص خمسة عشر وجهاً بإعجازه البياني.

٢- شمول نظره للجانب البياني، واتفاق هذا النظر مع ما عني به علماء البلاغة عند النظر لبلاغة البيان وفصاحته، حيث شمل نظره لوجه إعجاز القرآن في اللفظ والمعنى وحسن النظم.

٣- اتفاق نظره العام لوجوه إعجاز القرآن مع نظر من تقدمه من علماء الإعجاز مع ظهور تفرد طرحه ودقة تفصيله وبديع تعليقه، بالرغم أن مؤلفه الذي أورد فيه هذه الوجوه لم يكن في إعجاز القرآن الكريم، بل في كون وجوه إعجاز القرآن دليلاً على ثبوت نبوة النبي ﷺ.

٤- أسلوبه الخاص ومنزعه المتفرد في عرض وجوه الإعجاز التي ذكرها، ويتجلى ذلك في الآتي:

- العناية بترتيب الوجوه ترتيباً علمياً منطقياً حاول البحث إبرازها وإن لم ينص "الماوردي" على هذا الترتيب، وإنما ذكر الوجوه بطريقة سردية متتابعة؛ غير أنها كانت مرتبة ترتيباً منطقياً لمن تأملها؛ فقد بدأ الوجوه بوجه إعجاز فصاحة اللفظ، واتبعه بما يعنى ببلاغة المعاني وحسن النظم، حتى انتهى إلى وجه عجز معارضة العرب له.

- اطراد الاحتجاج الحوارية في طرحه لجميع وجوه الإعجاز؛ إذ اعتمد على ذكر كل وجه واحتمل له شبهة يصدرها بقوله: "فإن قيل" متخيراً الشرط (إن) وكأنه يقول بندرة أن يقال بذلك، فوجوه هذا الإعجاز بينة، ثم يعن النظر فيها ويتولى الرد عليها ودحضها، ويكون الرد مطرداً من وجهين، وهذا المسلك

يدل على دقته ومنهجيته.

- تنوع آليات الاحتجاج عنده، فتارة يعمد إلى الاحتجاج بالقياس والموازنة، وتارة أخرى إلى الاستشهاد، وثالثة إلى الاحتجاج بما هو ثابت بالعقل إلى غير ذلك من أساليب الاحتجاج.

٥- تجلت موافقة نظر عبد القاهر الجرجاني لنظر "الماوردي" في جهة إعجاز بيان القرآن وكونها في طريقة نظمه ومسلكه المتفرد، وإن كانت حروف وكلماته هي كلمات العرب.

٦- عدم بيان موقفه في مسألة الصرفة حيث أورد الشبهة من خلال سؤالين: هل صرفوا عن القدرة على معارضته؟ أم صرفت همهم عن معارضته مع دخوله في مقدورهم؟ ولم يعلق على المسألة برأي أو موقف.

٧- ظهور رأيه في بعض قضايا الإعجاز، ومنها: رأيه في القدر المعجز من القرآن، وهو عدم قصره على سورة كاملة؛ بل يكون آيات كأقصر سورة من القرآن، ومنها: ما يفهم من أن القرآن طبقة خاصة من طبقات النثر.

كما يمكن تسجيل بعض التوصيات في ختم هذه الدراسة، وأهمها توصيتان: أولاهما: حث الباحثين على دراسة أسلوب "الماوردي" ومنطقية حججه، فأسلوبه وحججه تظهر فيهما القوة والجزالة ومتانة العبارة ودقة النظر.

ثانيهما: توصي الدراسة بأهمية الموازنة بين فكر "الماوردي" في قضية الإعجاز وفكر علماء الإعجاز كالرمانى والباقلاني والخطابي وعبد القاهر، والخروج بمواطن الالتقاء والاختلاف وأوجه التأثير والتأثير في الرأي والمنطلقات؛ فهي وإن أشارت هذه الدراسة إلى بعضها إلا أن الحاجة ما زالت ماسة لبحثها واستقصائها.

والحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

- ابن الأثير، نصر الله بن محمد. "المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر". تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة. (ط ١، القاهرة: دار نهضة مصر، ١٩٨٨م).
- أبو بكر الباقلاني، محمد بن الطيب. "إعجاز القرآن". تحقيق: السيد أحمد صقر. (ط ٥، مصر: دار المعارف، ١٩٩٧م).
- أبو الحسن الأشعري، علي بن إسماعيل. "مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين". عنى بتصحيحه: هلموت ريتز. (ط ٣، فيسبادن- ألمانيا: دار فرانز شتاينز، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م).
- الأسد أبادي، عبد الجبار بن أحمد الهمداني. "المغني في أبواب التوحيد والعدل". (ط ١، القاهرة: دار المصطفى).
- الألباني، محمد ناصر الدين. "نصب المجانيق لنسف قصة الغرائق". (ط ٣، المكتب الإسلامي، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م).
- البيهقي، أحمد بن الحسين. "الاعتقاد". تحقيق: أحمد عصام. (بيروت: دار الآفاق).
- الجاحظ، عمرو بن بحر. "البيان والتبيين". (ط ١، بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٤٢٣هـ).
- الجاحظ، عمرو بن بحر. "الحيوان". تحقيق: عبد السلام هارون، (ط ٢، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ).
- الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن. "دلائل الإعجاز". تحقيق: محمود محمد شاكر. (ط ٣، القاهرة: مطبعة المدني- جدة: دار المدني، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م).
- الجمحي، محمد بن سلام. "طبقات فحول الشعراء". تحقيق: محمود محمد شاكر. (جدة: دار المدني).
- حسين، طه. "حديث الشعر والنثر، الأعمال الكاملة". (القاهرة: الشركة العالمية للكتاب).
- الخطابي، حمد بن محمد. "بيان إعجاز القرآن" مطبوع ضمن ثلاث رسائل في إعجاز

- القرآن [سلسلة: ذخائر العرب (١٦)] تحقيق: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام. (ط٣، مصر: دار المعارف، ١٩٧٦م).
- الخفاجي، عبد الله بن محمد. "سر الفصاحة". (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م).
- ابن خلكان، أحمد بن محمد. "وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان". تحقيق: إحسان عباس. (بيروت: دار صادر).
- الذهبي، محمد بن أحمد. "سير أعلام النبلاء". تحقيق: شعيب الأرنؤوط. (ط٣، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م).
- الروائي، علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن المعتزلي. "النكت في إعجاز القرآن". مطبوع ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن. تحقيق: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام. (ط٣، دمشق: دار المعارف، ١٩٧٦م).
- الزرقاني، محمد عبد العظيم. "مناهل العرفان في علوم القرآن". (ط٣، دمشق: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٨٩م).
- سعد، محمود توفيق. "إعجاز القرآن الكريم بالصرف دراسة ناقدة". بحث منشور في *وقفة الأمير غازي للفكر القرآني*.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. "طبقات المفسرين". تحقيق: علي محمد عمر. (ط١، القاهرة: مكتبة وهبة).
- شادي، محمد إبراهيم، "شرح دلائل الإعجاز". (ط١، المنصورة: دار اليقين، ١٤٢٨هـ).
- الطبري، محمد بن جرير. "جامع البيان عن تأويل القرآن". تحقيق: عبد الله التركي، (ط١، بيروت: دار الآفاق).
- طنطاوي، عرفة. "جنى الخرفة في إبطال القول بالصرف". *مجلة البحوث الإسلامية* ٦٠، (صفر ١٤٤٢هـ).
- العماري، علي حسن. "حول إعجاز القرآن الكريم الابتداء بالأسلوب". *مجلة الجامعة الإسلامية* ٢٤، (ربيع الثاني، ١٤٢٣هـ).
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد. "معجم مقاييس اللغة". تحقيق: عبد السلام محمد هارون.

وجوه الإعجاز البياني عند "الماوردي وردة الشبه المحتملة فيها في كتابه "أعلام النبوة، د. علي بن محمد آل نومة القحطاني

- (ط ١، بيروت: دار الفكر، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م).
- القرطبي، محمد بن أحمد. "الجامع لأحكام القرآن". تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم.
(ط ٢، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م).
- الكفوي، أيوب بن موسى. "الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية". تحقيق:
عدنان درويش - محمد المصري. (ط ١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٩ م).
- الماوردي، علي بن محمد. "أعلام النبوة". (ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية،
١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م).
- المطعني، عبد العظيم إبراهيم. "خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية". (ط ١، القاهرة:
مكتبة وهبة، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م).

Bibliography

- Ibn al-Athīr, Naṣr Allāh ibn Muḥammad. "al-mathal al-sā'ir fī adab al-Kātib wa-al-shā'ir". investigated by: Aḥmad al-Ḥūfī and Badawi Ṭabānah. (1st ed., Cairo: Dār Nahḍat Miṣr, 1988).
- Abū Bakr al-Bāqillānī, Muḥammad ibn al-Ṭayyib. "I'jāz al-Qur'ān". investigated by: al-Sayyid Aḥmad Ṣaqr. (5th ed., Egypt: Dār al-Ma'ārif, 1997).
- Abū al-Ḥasan al-Ash'arī, 'Alī ibn Ismā'īl. "maqālāt al-Islāmīyīn wa-ikhtilāf al-muṣallīn". Reviewed by: Hellmut Ritter. (3rd ed., Fribaden-Germany: Dār Frānz shtāyz, 1400 AH-1980).
- al-Asad Abādī, 'Abd al-Jabbār ibn Aḥmad al-Hamadhānī. "al-Mughnī fī abwāb al-tawḥīd wa-al-'adl". (1st ed., Cairo: Dār al-Muṣṭafā).
- al-Albānī, Muḥammad Nāṣir al-Dīn. "Naṣb al-majānīq li-nasf qiṣṣat al-gharānīq". (3rd ed., al-Maktab al-Islāmī, 1417-1996).
- al-Bayhaqī, Aḥmad ibn al-Ḥusayn. "al-i'tiqād". investigated by: Aḥmad 'Iṣām. (Beirut: Dār al-Āfāq).
- al-Jāhīz, 'Amr ibn Baḥr. "al-Bayān wa-al-tabyīn". (1st ed., Beirut: Dār wa-Maktabat al-Hilāl, 1423 AH).
- al-Jāhīz, 'Amr ibn Baḥr. "al-Bayān wa-al-tabyīn". (1st ed., Beirut: Dār wa-Maktabat al-Hilāl, 1423 AH).
- al-Jāhīz, 'Amr ibn Baḥr. "al-ḥayawān". investigated by: 'Abd al-Salām Ḥārūn, (2nd ed., Beirut: Dār al-Kutub al-'Ilmīyah, 1424 AH).
- al-Jurjānī, 'Abd al-Qāhir ibn 'Abd al-Raḥmān. "Dalā'il al-i'jāz". investigated by: Maḥmūd Muḥammad Shākīr. (3rd ed., Cairo: Maṭba'at al-Madani-Jeddah: Dār al-Madani, 1413 AH-1992).
- al-Jumāhī, Muḥammad ibn Sallām. "Ṭabaqāt fuḥūl al-shu'arā'". investigated by: Maḥmūd Muḥammad Shākīr. (Jeddah: Dār al-madani).
- Ḥusayn, Ṭāhā. "Ḥadīth al-shi'r wa-al-nathr, al-A'māl al-kāmilah". (Cairo: al-Sharikah al-'Ālamīyah lil-Kitāb).
- al-Khattābī, Ḥamad ibn Muḥammad. "Bayān I'jāz al-Qur'ān" maṭbū' ḍimna thalāth Rasā'il fī I'jāz al-Qur'ān [Silsilat: Dhakhā'ir al-'Arab (16)] investigated by: Muḥammad Khalaf Allāh, Dr. Muḥammad Zaghlūl Sallām. (3rd ed., Egypt: Dār al-Ma'ārif, 1976).
- al-Khafājī, 'Abdullāh ibn Muḥammad. "Sīr al-faṣāḥah". (1st ed., Beirut: Dār al-Kutub al-'Ilmīyah, 1402 AH-1982).
- Ibn Khillikān, Aḥmad ibn Muḥammad. "wafayāt al-a'yān wa Anbā' abnā' al-Zamān". investigated by: Iḥsān 'Abbās. (Beirut: Dār Ṣādir).
- al-Dhahabī, Muḥammad ibn Aḥmad. "Siyar A'lām al-nubalā'". investigated by: Shu'ayb al-Arnā'ūṭ. (3rd ed., Beirut : Mu'assasat al-Risālah, 1405 AH-1985).
- al-Rummānī, 'Alī ibn 'Isā ibn 'Alī ibn 'Abdillāh, Abū al-Ḥasan al-Mu'tazilī. "al-Nukat fī I'jāz al-Qur'ān". maṭbū' ḍimna thalāth

- Rasā'il fī I'jāz al-Qur'ān. investigated by: Muḥammad Khalaf Allāh, D. Muḥammad Zaghlūl Sallām. (3rd ed., Damascus: Dār al-Ma'ārif, 1976).
- Al-Zurqāny, Muḥammad 'Abd al-'Azīm. "Manāhil al-'Irfān fī 'ulūm al-Qur'ān". (3rd ed., Dimashq : Maṭba'at 'Īsā al-Bābī al-Ḥalabī wa-Shurakāh, 1989).
- Sa'd, Maḥmūd Tawfiq. "I'jāz al-Qur'ān al-Karīm be-al-Ṣarfah dirāsah nāqidah". A published researched at Waqfiyat al-Amīr Ghāzī lil-Fikr al-Qur'ānī.
- al-Suyūfī, 'Abd al-Raḥmān ibn Abī Bakr. "Ṭabaqāt al-mufassirīn". investigated by: 'Alī Muḥammad 'Umar. (1st ed., Cairo: Maktabat Wahbah).
- Shādī, Muḥammad Ibrāhīm, "Sharḥ Dalā'il al-i'jāz". (1st ed., Mansoura: Dār al-Yaqīn, 1428).
- al-Ṭabarī, Muḥammad ibn Jarīr. "Jāmi' al-Bayān 'an Ta'wīl al-Qur'ān". investigated by: 'Abdullāh al-Turkī, (1st ed., Beirut: Dār al-Āfāq).
- Ṭanṭāwī, 'Arafah. "Janā al-Khīrfah fī Ibtāl al-Qawl be-al-Ṣarfah". Majallat al-Buḥūth al-Islāmīyah 60, (Ṣafar 1442 AH).
- al-'Ammārī, 'Alī Ḥasan. "ḥawla I'jāz al-Qur'ān al-Karīm al-ibtidā' be-al-Usloub". Islamic University Journal 24, (Rabī' al-Thānī, 1423 AH).
- Ibn Fāris, Abū al-Ḥusayn Aḥmad. "Mu'jam Maqāyīs al-lughah". investigated by: 'Abd al-Salām Muḥammad Hārūn. (1st ed., Beirut: Dār al-Fikr, 1399 AH-1979).
- al-Qurṭubī, Muḥammad ibn Aḥmad. "al-Jāmi' li-aḥkām al-Qur'ān". investigated by: Aḥmad al-Baraddūnī and Ibrāhīm. (2nd ed., Cairo: Dār al-Kutub al-Miṣrīyah, 1384 AH-1964).
- al-Kaffawī, Ayyūb ibn Mūsā. "al-Kulliyāt Mu'jam fī al-muṣṭalaḥāt wa-al-furūq al-lughawīyah". investigated by: 'Adnān Darwish-Muḥammad al-Miṣrī. (1st ed., Beirut: Mu'assasat al-Risālah, 1989).
- al-Māwardī, 'Alī ibn Muḥammad. "A'lām al-Nubūwwah". (1st ed., Beirut: Dār al-Kutub al-'Ilmīyah, 1406 AH-1986).
- al-Maṭ'anī, 'Abd al-'Azīm Ibrāhīm. "Khaṣā'iṣ al-ta'bīr al-Qur'ānī wa-simātuh al-balāghīyah". (1st ed., Cairo: Maktabat Wahbah, 1413 AH-1992).

تجليات السياق القرآني للحظة الموت الإنسانية الفارقة

Manifestations of the Quranic Context
on the Distinguishing Human Death Moment

د. أناهيد عبد الحميد جمال حريري

أستاذ الأدب والنقد المشارك بجامعة جدة

البريد الإلكتروني: aahariri@uj.edu.sa

المستخلص

تدور هذه الدراسة حول نظرية السياق ودورها البارز في تجلية الدلالة فيما يتصل بموضوع لحظة الموت الإنسانية الفارقة في النص القرآني في أربعة وعشرين موضعا من السور القرآنية ابتداء من سورة البقرة وحتى سورة الفجر، على تصنيف المتشابه منها ما يجعل تلك السياقات تندرج تحت سبعة تصنيفات رئيسية، هي: سياق مقدمات الموت، وذكر الموت صريحا، وحوار الملائكة مع الميت، وخروج روح الكافر، وخروج روح المؤمن، وقبض ملك الموت للروح، وحتمية الموت، حيث درست تلك السياقات من خلال نوعين من السياقات، هما: المقالي والمقامي، وهدفت الدراسة للكشف عن جماليات السياقات المقالية المتصلة بالجوانب اللغوية المتعددة في السياقات القرآنية، والوقوف على السياقات المقامية المتصلة بجوانب السياق غير اللغوي الخارجي للسورة بعامة والخطابات الموجهة فيها، من خلال المنهج الوصفي وأداته التحليلية، وتم الوصول لعدد من النتائج الأمر الذي يظهر اللحمة الواحدة لتلك السياقات القرآنية في موضوع الموت على اختلاف مواضعها في القرآن الكريم لآتحاها في التعبيرات الدالة على كل سياق من تلك السياقات السبعة الرئيسية التي تم تصنيفها موضوعيا، ومناسبة المقامات في تلك السياقات السبعة أيضا للخطابات الموجهة فيها ولسياق السورة العام الذي تندرج تحته تلك السياقات؛ ما يحقق التأثير المطلوب في المتلقين، ويدفع الإنسان المسلم للاستعداد، فالموت أولى منازل الآخرة، وتوصي الدراسة بمتابعة دراسة السياقات القرآنية الخاصة بالحياة الأخروية على تعددها واختلاف أماكن وجودها في القرآن الكريم عبر الثلاثين جزءا.

الكلمات المفتاحية: السياق، لحظة الموت الإنسانية الفارقة، السياق

المقالي(اللغوي)، السياق المقامي (غير اللغوي).

Abstract

This study revolves around the theory of context and its prominent role in the manifestation of the significance related to the subject of the defining moment of human death in the Qur'anic text, in twenty-four places of the Qur'anic chapters, starting from Surat Al-Baqarah until Surat Al-Fajr, according to the classification of similar ones, which makes these contexts fall under seven classifications. The main ones are: the context of the preludes to death, the explicit mention of death, the angels' dialogue with the dead, the exit of the infidel's soul, the exit of the believer's soul, the angel of death's capture of the soul, and the inevitability of death. These contexts were studied through two types of contexts: internal context and external context. To reveal the aesthetics of the internal contexts related to the multiple linguistic aspects in the Qur'anic contexts, and to find out the external contexts related to the aspects of the external non-linguistic context and the discourses addressed in them, through the descriptive approach and its analytical tool, and a number of results were reached, which shows the one meat of these Qur'anic contexts on the subject of death. Despite their different positions in the Glorious Qur'an due to their union in the expressions that denote each of those seven main contexts that have been classified objectively, and the appropriateness of the positions in those contexts. The seven are also for the speeches addressed in them and for the general context of the surah under which those contexts fall; What achieves the desired effect on the recipients, and prompts the Muslim to prepare, for death is the first stage of the afterlife, and the study recommends continuing the study of the Qur'anic contexts related to the afterlife, despite their multiplicity and different places in the Glorious Qur'an through the thirty parts.

Key words: Context, distinguishing human death moment, internal context (Linguistic context), external context (non-linguistic context).

المقدمة

قال تعالى: { وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا هُوَ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ } (العنكبوت: ٦٤).

إن مدار الأمر في حياة الإنسان على ما تكون عليه آخرته التي ستكون مستقره ومستودعه، تلك الحياة الحقيقية التي سيحيى فيه حياة خالدة بلا موت ولا فناء، وإن الحياة الأخروية تبنى بلا شك على ما يدخره الإنسان من إيمان وعمل صالح في حياته الدنيوية القصيرة التي لم يتحدث عنها القرآن الكريم مطلقاً في قوله تعالى: { وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سَلَالَةٍ مِّن طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۖ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١٤) ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ (١٥) } (المؤمنون ١٢ - ١٥) منها الإنسان بهذا المرور السريع على قصرها وحقارة شأنها عند الله تعالى الذي لم يشر لها في معرض الحديث عن المراحل التي تذكر خلق الإنسان حتى تشكل بالهيئة الأخيرة التي قدر تعالى أن يكون عليها، وانتهاء بالموت والانتقال لما بعد ذلك من حياة أخروية باقية، ولما كان السياق مدار الأمر في تحديد جمال التعبير القرآني عن لحظة الموت الإنسانية الفارقة جاءت الدراسة بعنوان: تجليات السياق القرآني للحظة الموت الإنسانية الفارقة.

وتبرز أهمية هذه الدراسة في توضيح تجليات السياقات المقالية المتصلة بالجوانب اللغوية المتعددة في السياقات القرآنية المتصلة بلحظة الموت الإنسانية الفارقة، والوقوف على تجليات السياقات المقامية المتصلة بجوانب السياق القرآني غير اللغوي المتصل باللحظة نفسها في السياق العام للسورة.

إن المنهج الذي ستسير عليه الدراسة هو المنهج الوصفي التحليلي للسياقات القرآنية فيما يتصل بالآيات المتناولة الحديث عن لحظة الموت الإنسانية الفارقة في القرآن الكريم.

تقع الآيات التي تتناول الحديث عن لحظة الموت الإنسانية الفارقة في أربعة وعشرين موضعاً بالقرآن الكريم ابتداءً من سورة البقرة وحتى سورة الفجر، على تصنيف المتشابه منها ما يجعل تلك السياقات تندرج تحت سبعة سياقات، هي التي توزعت عليها مطالب الدراسة، وذلك على النحو الآتي:

- سياق مقدمات الموت.
- سياق ذكر الموت صريحاً.
- سياق حوار الملائكة مع الميت.
- سياق خروج روح الكافر.
- سياق خروج روح المؤمن.
- سياق قبض ملك الموت للروح.
- سياق حتمية الموت.

وهناك عدد من الدراسات السابقة في هذا الصدد، لعل من أبرزها الآتي:

- نظرية السياق عند اللغويين والبلاغيين رسالة دكتوراه مقدمة في جامعة وهران بالجزائر بين عامي ٢٠٠٦ - ٢٠٠٧ م من إعداد: عبد القادر بوزبوجة، وإشراف أ.د. عبد الملك مرتاض، حيث عرضت الدراسة مقدمة وخاتمة ومدخل وثلاثة فصول، هي: اللغويون والسياق، والنحويون والسياق، والبلاغيون والسياق، وأصلت الدراسة لنظرية السياق من خلال المراجع العلمية الثلاثة في تراثنا العربي الفذ.
- الدلالات السياقية للقصص القرآني - قصة النبي موسى عليه السلام أنموذجاً رسالة ماجستير في جامعة فرحات عباس سطيف بالجزائر بين عامي ٢٠٢٠ - ٢٠١١ م من إعداد: رحمون بوزيد وإشراف: أ.د. النوارى سعودي، حيث عرضت الدراسة مقدمة وخاتمة و ثلاثة فصول، هي: السياق والقصص القرآني، والفترة المصرية، والفترة الإسرائيلية، وتضمن الفصل الأول خمسة مباحث، هي: السياق لغة واصطلاحاً، وأركان السياق، ودلالة السياق وأنواعه، وتأصيل

تجليات السياق القرآني للحظة الموت الإنسانية الفارقة، د. أناهيد عبد الحميد جمال حريري

النظرية السياقية في التراث العربي، وحول القصص القرآني، وجاء الفصل الثاني
مكونا من عدة سور قرآنية بلغت ثماني سور، كما جاء الفصل الثالث مكونا
أيضا من عدة سور قرآنية بلغت ثلاث سور.

ويمكن القول إن الدراسات في نظرية السياق متعددة وفي مجال السياق القرآني
متنوعة أيضا، إلا أن البحث مناط الدراسة هو تطبيقي على موضوع السياق القرآني
تحديدا في موضوع لحظة الموت الإنسانية الفارقة خلال أربعة وعشرين موضعا في القرآن
الكريم من خلال نمطين من السياق: المقالي الداخلي للسياق اللغوي في النص، والمقامي
الخارجي للسياق غير اللغوي في النص من خلال تصنيف تلك السياقات إلى سبعة
مطالب انبثق عنها التصنيف الموضوعي، وهي مناط التطبيق لنظرية السياق.

المدخل: النظرية السياقية في ضوء التراث والمعاصرة

إن الإطار النظري لهذه الدراسة يتجلى في دراسة نظرية السياق من حيث مفهومها اللغوي والاصطلاحي، وتأصيلها في الدرس التراثي بعامة والقرآني بخاصة، وتطورها في المدرسة الغربية الحديثة.

السياق لغة: جاءت مفردة السياق في معجم العين وتهذيب اللغة لتدل على نزع الموت^١، وفي مقاييس اللغة لتدل على حدو الشيء، من سوق الدواب^٢، وفي الصحاح لتدل على التتابع الواحد تلو الآخر في قولهم: ولدت فلانة ثلاثة بنين على ساق واحد، أي: دون وجود فاصل من ولادة جارية بينهم^٣، وفي أساس البلاغة: وردت بدلالة مجازية هي: ساق الله إليه خيرا، وأردت هذه الدار بثمن فساقها الله إليك بلا ثمن من دلالة التتابع والتوالي^٤، وفي لسان العرب ذكر أن السوق معروف من سوق الإبل و ما ذكر من سوق المهر للمرأة فهو من سوق العرب الإبل لها حال الخطبة؛ لأن الإبل والغنم كانت الغالب على أموال العرب^٥، وفي المعجم الوسيط سياق الحديث: الأسلوب الذي

١ ينظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٤ - ٢٠٠٣)، مادة: (سوق)، الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد، (بيروت: دار المعرفة، ط ١، ١٤٢٢ - ٢٠٠١)، مادة: (سوق).

٢ ينظر: ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس الرازي، (بيروت: دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٤٢٩ - ٢٠٠٨)، مادة: (سوق).

٣ ينظر: الجوهري، إسماعيل بن حماد، (جدة: على نفقة السيد حسن شربتلي، ط ٢، ١٤٠٢ - ١٩٨٢) مادة: (سوق).

٤ ينظر: الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر، (بيروت: دار المعرفة، د. ط، د. ت) مادة: (سوق).

٥ ينظر: ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، ط ٢، ١٤١٧ - ١٩٩٧م)، مادة: (سوق).

تجليات السياق القرآني للحظة الموت الإنسانية الفارقة، د. أناهيد عبد الحميد جمال حريري

يجري عليه^١، وفي معجم اللسانيات نجد السياق بمعنى ما يسبق العنصر اللغوي أو ما يليه^٢، فالسياق اللغوي بمعنى التابع والتوالي.

السياق اصطلاحاً: هو البيئة اللغوية المحيطة بالوحدة الصوتية أو البنية اللغوية الصغرى أو بالكلمة أو بالجملة، بمعنى السابق واللاحق للوحدات اللغوية، ويشمل السياق أيضاً العوامل الاجتماعية التي يمكن أن تؤخذ بعين الاعتبار لدراسة العلاقات الموجودة بين السلوك الاجتماعي والسلوك اللغوي^٣، ويعرف السياق بأنه علاقة البناء الكلي للكلام بأي جزء من أجزائه^٤، وعرفت د. يمنى العيد السياق بأنه التابع والترابط بين الأجزاء بما يحمله من معنى يؤديه النص من خلال هذا التابع والترابط بين جزئيات النص.^٥

فالمعنى لا يتضح إلا من خلال وضع الوحدة اللغوية في سياقات مختلفة ما كان منها لغوياً وما كان غير لغوي، وتم تحديد السياقات بأربعة، هي: اللغوي، العاطفي، الموقف، الثقافي^٦، وقيل السياق قسماً:

▪ **السياق المقالي: (اللغوي)** من السوابق واللواحق.

١ ينظر: مصطفى، إبراهيم وآخرون، (القاهرة دار المعارف، د.ط، ١٤٠٠ - ١٩٨٠)، مادة: (سوق).

٢ RAMZI MUNIR BAAL BAKI, DICTIONNAIRE OF LINGUISTIC, TERMS, ٢ DAR EL- ILM LILMALAYIN, BIERUT, 1990, P119.

٣ ينظر: مبارك، د. مبارك، معجم المصطلحات الألسنية، (بيروت: دار الفكر اللبناني، ط١، ١٩٩٥)، ص ٦١.

٤ ينظر: الخولي، محمد علي، مدخل إلى علم اللغة، (عمان: دار الفلاح، د.ط، ٢٠٠٠)، ص ١٣٢، ١٤٣.

٥ ينظر: تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنوي، (بيروت: دار الفارابي، ط٢، ١٩٩٩)، ص ١٨٦.

٦ ينظر: عمر، أحمد مختار، علم الدلالة، (القاهرة: عالم الكتب، ط٦، ١٤٢٧ - ٢٠٠٦)، ص ٦٨، ٦٩.

▪ **السياق المقامي (غير اللغوي)** ويختص بالحيط العام الاجتماعي لسياق الكلام^١، فالسياق اصطلاحاً هو دراسة لغة النص الداخلي والعوامل المحيطة به والموجهة لدلالته.

النظرية السياقية في ضوء التراث: إن نظرية السياق من النظريات التي حظيت باهتمام العديد من المرجعيات التراثية لارتباطها بالسياق اللغوي ما يجعلها نظرية مشتركة بين عدد من العلوم منها: علم التفسير والأصول وعلم اللغة والبلاغة.

برز الاهتمام بالسياق ابتداءً من الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ) كما أشار لذلك تلميذه سيبويه في عدد من المواضع منها، قولنا لرجل سدد سهمًا: القرطاس، أي: أصبته، فمع عدم التصريح بالفعل إلا أن دلالة الحال دلت عليه.^٢

وتحقق الشافعي (ت ٢٠٤هـ) من دور السياق الفعال في إدراك مقاصد النصوص القرآنية حتى لقد عقد باباً وسمه بـ (باب الصنف الذي يبين سياقه معناه) مستخدماً مصطلح السياق ومصطلح القرينة؛ فالسياق لديه قرينة قاطعة في ترجيح المعاني القرآنية^٣، وقد عالج أمور الاستدلال على الدلالة من السياقات الداخلية والخارجية للوصول للمعنى المراد بعد استقصاء دقيق له.

وضح الخطابي (ت ٣٨٨هـ) دقة المفردات القرآنية في الدلالة على مقاصد الشارع الحكيم، مبيناً أنه لا يمكن استبدال أي منها بنظيراتها، وأن الفيصل في ذلك هو السياق الواردة فيه، فهو الذي يكسبها دلالتها المتفردة بها.^٤

١ ينظر: القاضي، محمد وآخرون، معجم السرديات، (تونس: دار محمد علي للنشر، لبنان: دار الفارابي، الجزائر: دار تالة، مصر: دار العين، المغرب: دار الملتقى، ط ١، ٢٠١٠)، ص ٢٥٥.

٢ ينظر: الكتاب - كتاب سيبويه (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط ٣، ١٤٠٨ - ١٩٨٨)، ج ١، ص ٢٥٧.

٣ ينظر: الرسالة، (د.ن، د.ط، د.ت)، ص ٢٦-٦٤.

٤ ينظر: شرح رسالة بيان إعجاز القرآن، (دمشق - بيروت، دار المأمون للتراث، ط ١، ١٤١٦ - ١٩٩٥)، ص ١٥٠ - ١٥١.

تجليات السياق القرآني للحظة الموت الإنسانية الفارقة، د. أناهيد عبد الحميد جمال حريري

وعرض ابن جني (ت ٣٩٢هـ) لأهمية السياق بقوله: (فالغائب ما كانت الجماعة من علمائنا تشاهده من أحوال العرب ووجوهها، وتضطر إلى معرفته من أغراضها وقصودها...).^١

وحدد الباقلاني (ت ٤٠٣هـ) دلالة المفردة القرآنية من منطلق موقعها داخل السياق، مؤكداً أن الفروق الدلالية للمفردات تتضح من خلال سياقها.^٢ وبوضع عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) لنظريته: النظم المعتمدة على وضع الكلام الوضع الذي يرتضيه النحو أكد على أهمية ربط الكلمة بسياقها والنسق الذي ترد فيه منبهاً على أن الألفاظ لا تتفاضل فيما بينها من حيث هي كلم مفردة بل من حيث هي مرتبطة بعلائق بعضها بعضاً.^٣

واعتنى الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) بالسياق في الكشف عن دلالات الآيات القرآنية بنوعيه: اللغوي وغير اللغوي، وكان السياق هو مرجعيته في ترجيح أو تحديد أو تقييد أو تفصيل أو تخصيص أو تعميم الدلالة، وتجلت قرينة السياق لديه بوضوح في التفريق بين معاني المشترك اللفظي ومعاني المترادفات، واعتنى بالسياق القرآني الكلي في الربط بين الآيات والسور، واعتنى أيضاً بأسباب النزول كسياقات خارجية توضح دلالات النصوص القرآنية؛ ما يكشف عن نضج في إدراكه لأهمية السياق اللغوي وغير اللغوي. ورأى أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) أن علم التفسير هو الذي يبحث في الدلالات من خلال السياقات التركيبية للنصوص القرآنية.^٤

١ ينظر: الخصائص، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ط٢، ١٣٧١-١٩٥٢)، ج ١، ٢٤٥.

٢ ينظر: إعجاز القرآن، (القاهرة: دار المعارف، د.ط، د.ت)، ص ٣١٨.

٣ ينظر: دلائل الإعجاز في علم المعاني، (بيروت: دار المعرفة، ط٢، ١٤١٩-١٩٩٨)، ص ٧٠.

٤ ينظر: عبد القادر، دايد، أثر السياق في ترجيح دلالة النص لدى الزمخشري، الكشاف أتمودجا، (رسالة ماجستير بجامعة وهران، ٢٠١٧-٢٠١٨)، ص ٢١٣-٢١٦.

٥ ينظر: تفسير البحر المحيط، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣-١٩٩٣)، ج ١، ص

وصدر الزركشي (ت ٧٩٤هـ) عنوانا بارزا وسمه بـ (دلالة السياق) في كتابه، وعرض الحديث فيه عن إنكار بعضهم له من باب الجهل، ورأى الاتفاق عليه عند عدد من العلماء في سياقات كلام الله العزيز.^١

كما يتحقق الاهتمام بالسياق عند عدد من الأساتذة الأعلام في الدراسات النصية القرآنية حديثا، منهم: الشيخ السعدي^٢، ومحمد رشيد رضا^٣، و د. عبد الله دراز^٤، والطاهر بن عاشور^٥، ود. عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ^٦.

النظرية السياقية المعاصرة: ما قبل فيرث: تحدث أفلاطون في كتابه (فيدروس) عن مراعاة المتحدث لمقتضى الحال في فن الخطابة، وتحدث تلميذه أرسطو في كتابه (فن الشعر) عن مراعاة المتحدث للموقف الذي يلائمه في حديثه^٧، وكان (F.DE. SAUSSURE) رائدا للدراسات اللغوية الحديثة التي تؤكد على أهمية السياق في تحديد معاني الكلمات، ومفهوم السياق عنده لا يقوم على الكلمات المفردة بل مجموعات من الكلمات مهما بلغت من الطول والتنوع مشبها العلاقات بين الكلمات داخل السياق بلعبة الشطرنج^٨، وحدد (R.JAKOBSON) وظائف اللغة بست وظائف وفق خطاطة

١ ينظر: البحر المحييط في أصول الفقه، (الغردقة - القاهرة: دار الصفوة، ط٢، ١٤١٣ - ١٩٩٢)،

ج ٦، ص ٥٢.

٢ ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، ط٢، ١٤٢١ - ٢٠٠١)، ص ٢١، ٢٢.

٣ ينظر: تفسير القرآن الحكيم، (القاهرة: منشى المنار، ط٢، ١٣٦٦ - ١٩٤٧)، ج ١، ص ٢٢.

٤ ينظر: النبأ العظيم. نظرات جديدة في القرآن، (قطر: إدارة إحياء التراث الإسلامي، د.ط، ١٤٠٥ - ١٩٨٥)، ص ١٥٨، ١٥٩.

٥ ينظر: التحرير والتنوير، (بيروت: مؤسسة التاريخ، ط١، ١٤٢٠ - ٢٠٠٠)، ج ١، ص ١٠٩.

٦ ينظر: القرآن والتفسير العصري، (القاهرة: دار المعارف، ط٣، ١٣٩٠ - ١٩٧٠)، ص ٥٣، ٥٤.

٧ ينظر: هلال، د. محمد غنيمي، المواقف الأدبية، (القاهرة: نخضة مصر، د.ط، د.ت)، ص ١٦.

٨ ينظر: محاضرات في علم اللسان العام، (أفريقيا الشرق، د.ط، ١٩٨٧)، ص ١١٤.

تجليات السياق القرآني للحظة الموت الإنسانية الفارقة، د. أناهيد عبد الحميد جمال حريري

الاتصال محددًا السياق كوظيفة مرجعية للغة^١، وكان (L.BLOOMFIEHD) قد ربط المعنى المنطوق به بما تثيره في نفس السامع فيما يعرف بالمشير والاستجابة في علم النفس السلوكي^٢، وأكد (B.MALINOWSKY) على أن الكلمات يجب ألا تنتزع من سياق حالها فإنها لن تؤدي الدلالات التي يريدها منتجها^٣، وتنبه الفرنسي (J.VENDRYES) إلى أن السياق هو الذي يحدد معنى الكلمة، ويجعل لها دلالة مختلفة، إلا أنه لم يربطه بالسياق الاجتماعي أو السياق غير اللغوي المرتبط به أيضًا.^٤

فيرث: يعد (JOHN ROBERT FIRTH) مؤسس النظرية السياقية في العصر الحديث متأثرًا بدراسات (B. MALINOWSKY) حيث قدم فيرث السياق على أنه إطار منهجي يمكن تطبيقه على الأحداث اللغوية، ومفهوم المعنى عنده ليس شيئًا في الذهن وليس علاقة متبادلة بن اللفظ والمعنى كصورة ذهنية بل هو مركب من مجموعة من الوظائف اللغوية التي لا نستطيع التعرف عليها إلا من خلال إطارها المحدد بما يسمى بالسياق الموجودة فيه تلك الكلمات^٥، وقد وضع فيرث نوعين من السياق في دراسته لنظريته، هما:

▪ **السياق اللغوي الداخلي أو سياق النص:** العلاقات بين الوحدات اللغوية المتتابعة في سياق واحد سواء أكانت علاقات صوتية أم صرفية أم نحوية.

١ ينظر: قضايا الشعرية، (الدار البيضاء: دار لو بقال للنشر، ط ١٩٨٨، ١)، ص ٢٧.
٢ ينظر: خرما، د. نايف، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، (الكويت: عالم المعرفة، د. ط، ١٩٧٨)، ص ٢٦٠، ٢٥٩.
٣ ينظر: بالمر، أف. آر، علم الدلالة، (بغداد: الجامعة المستنصرية، د. ط، ١٩٨٥)، ص ٧٢، ٧٣.
٤ ينظر: اللغة، (القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، د. ط، ٢٠١٤)، ص ٢٣١.
٥ ينظر: حسان، د. تمام، مناهج البحث في اللغة، (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، د. ط، ١٩٩٠)، ص ٢٥١، ٢٥٢.

- **السياق غير اللغوي الخارجي أو سياق الموقف:** العلاقات بين الوحدات اللغوية ومكونات المواقف غير اللغوية من الظروف المحيطة بالسياقات اللغوية.^١ وقد اقترح فيرث تقسيم المعنى إلى مجموعة من الوظائف اللغوية، هي السياقات الآتية: الصوتي، والمعجمي، والصرفي، والتركيبي، والموقف، والثقافي.^٢
- **ما بعد فيرث:** كان لنظرية فيرث أكبر الأثر على الدرس اللغوي العربي حديثاً، حيث تأثر بها عدد من اللغويين منهم:
- د. تمام حسان الذي حدد مصطلح السياق وبين وظائفه^٣، وقد طبق نظرية فيرث السياقية في كتابه اللغة العربية معناها ومبناها، ووضح أن المعنى الدلالي هو الخلاصة النهائية لنوعين من المعنى:
- **المعنى المقالي أو ما يعرف بالدلالة اللغوية داخل النص:** الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية.
- **والمعنى المقامي أو ما يعرف بالدلالة غير اللغوية:** الخارجية.
- د. كمال بشر الذي تحدث عن المقام أو ما أطلق عليه المسرح اللغوي، ودعا لتطبيق النظرية السياقية.^٤
- د. محمود السعران الذي أوضح جهود العالم اللغوي فيرث في دراسته للنظرية السياقية وفق الترتيب الآتي: أن يحلل النص وفقاً للمستويات اللغوية، أن يوضح

١ ينظر: مؤمن، أحمد، اللسانيات، النشأة والتطور، (قسنطينة: ديوان المطبوعات الجامعية، ط ٢٠١٥، ص ١٧٧-١٨١).

٢ ينظر: الطلحي، د. ردة الله، دلالة السياق، (مكة المكرمة: رسالة دكتوراه، ١٤٢٤)، ص ١٩٦.

٣ ينظر: حسان، مرجع سابق، ص ١٣١.

٤ ينظر: دراسات في علم اللغة، (القاهرة: دار غريب د.ط، ١٩٩٨)، ص ٦٥.

تجليات السياق القرآني للحظة الموت الإنسانية الفارقة، د. أناهيد عبد الحميد جمال حريري

سياق الحال في النص، أن يبين وظيفة الكلام في النص المدروس، أن يشرح الأثر على المتلقين^١

وقد اعتمد أتباع النظرية السياقية تقسيم السياق الكلامي إلى أربعة أقسام، هي: السياق اللغوي، والسياق العاطفي، وسياق الموقف الزماني والمكاني، والسياق الثقافي^٢.

وعليه سيتم دراسة المطالب السبعة في السياقات القرآنية للحظة الموت الإنسانية الفارقة وفق توجه أغلب الدارسين لنظرية السياق من خلال: السياق المقالي والمقصود به: (السياق اللغوي الداخلي)، والسياق المقامي والمقصود به: (السياق غير اللغوي الخارجي من سياق الخطاب في الآيات وموضوع السورة التي ورد بها السياق القرآني عموماً)، حيث يتعاقد هذان السياقان (اللغوي وغير اللغوي) في تجلية المقصود بموضوع الدراسة.

١ ينظر: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، (القاهرة: دار الفكر العربي، ط ١، د.ت)، ص ٣١٢.
٢ ينظر: إحميدات، أحمد، نظرية فيرث السياقية بين الأصالة والتجديد، (مجلة الضاد، ٢٠١٥)،

الرابط: <https://ejournal.um.edu.my/index.php/aldaad/article/view/20952>

المطلب الأول: سياق مقدمات الموت، ويتضمن أربعة مواضع، هي:

الأول	
البقرة / ١٨٠	كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ <u>إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ</u> بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ
الثاني	
النساء / ١٨	وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ <u>حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي</u> <u>تُبتُّ الآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمْوَتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا</u>
الثالث	
الأنعام / ٦١ - ٦٢	وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً <u>حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ</u> <u>رُسُلْنَا وَهُمْ لَا يُفْرَطُونَ (٦١) ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ</u> <u>الْحَاسِبِينَ (٦٢)</u>
الرابع	
ق / ١٩	وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ <u>ذَلِكَ مَا كُنْتُمْ مِنْهُ تَجِدُ</u>

السياق المقالي في الآيات: جاء التعبير بـ (حضر) في سياق سورتي البقرة والنساء، والحضور هو المشاهدة والمعاناة للموت، فهو في حكم الحاضر عنده^١، ومعنى الحضور في سياق سورة البقرة حضور مقدماته وأسبابه والعلل أو الأمراض المؤدية له،

^١ ينظر: الأصفهاني، الراغب، المفردات في غريب القرآن، (بيروت: دار المعرفة، ط ٢، ١٤٢٠ - ١٩٩٩)، مادة: (حضر).

تجليات السياق القرآني للحظة الموت الإنسانية الفارقة، د. أناهيد عبد الحميد جمال حريري

فالعرب تطلق الموت مجازاً على أسبابه^١، وما يؤكد الدلالة المجازية في الحضور سياق الآية حيث يأمر تعالى من يحس بدنو الموت من عباده المؤمنين بكتابة الوصية في حال كان له مال وفير^٢، فالخير في الآية مقصوده ودليله، ومعنى الحضور في سياق سورة النساء حضور المعاينة والمشاهدة، ويؤكد ذلك سياق الآية المتحدث عن طلب المحتضر التوبة من الله عن أعماله السيئة، فبين السياق أن وقت الاحتضار لا تقبل فيه التوبة^٣، روى أبو أيوب عن النبي ﷺ قوله: ((إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغ))^٤، فالحضور في السياق الأول مجازي طلباً للاستعداد للموت، وفي السياق الثاني على الحقيقة بما يقطع طريق للتوبة أو العمل الصالح.

بينما جاء التعبير بـ (جاء) في سياقي سورتي الأنعام وق، والمجيء هو كالإتيان إلا أنه بسهولة ويسر، على اعتبار الحصول والوقوع^٥، ومعنى المجيء في سياق سورة الأنعام هو مجيء قبض الروح من الملائكة الموكلين بذلك من الله تعالى، وهم أعوان ملك الموت، حيث يجيئون للإنسان في الوقت المقدر له لقبض روحه فيقبضونها وهم لا يفرطون^٦، ومعنى المجيء في سياق سورة ق هو مجيء سكرة الموت المصاحبة لوقوع الموت، والسكرات مشتقة من السكر وهو الغلق للعقل ومنه جاء وصف السكران الذي يذهب عنه عقله بفعل المسكر، وتعلق (بالحق) إما بالسكر وإما بالموت، فتعلقه بالأولى

-
- ١ ينظر: أبو حيان، مرجع سابق، ج ٢، ص ١٩، ابن عاشور، مرجع سابق، ج ٢، ص ١٤٥.
٢ ينظر: الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، (بيروت: دار الكتاب العربي، د. ط، ١٣٦٦، ١٩٤٧)، ج ١، ص ٢٢٣.
٣ ينظر: المرجع نفسه، ج ١، ص ٤٨٩، الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، (بيروت - صيدا: المكتبة العصرية والدار النموذجية، ط ١٤١٨، ١٩٩٧)، ج ١، ص ٥٥٤.
٤ الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة، سنن الترمذي، (بيروت، صيدا: المكتبة العصرية، ط ١٤٢٦، ١، ٢٠٠٦)، ص ١٠٥٣.
٥ ينظر: الأصفهاني، مرجع سابق، مادة: (جاء).
٦ ينظر: ابن عاشور، مرجع سابق، ج ٦، ص ١٤٣.

بمعنى تحقق وقوعها ملايسة للموت، وتعلقها بالثانية بمعنى تحقق وقوعه حقا على بني آدم، وقوله: {ذلك ما كنت منه تحيد} أي: نفر؛ لكرهية الموت بتجنب أسبابه المؤدية له، والكفار يفرقون من الموت، والمؤمنون يخافونه لألفهم الحياة وهو ألف لا يبلغ حدّ الجزع منه^١، فالجاء في السياق الأول مجيء الملائكة المكلفون بقبض الروح، وفي السياق الثاني مجيء السكرة المصاحبة للموت والدالة على أحواله.

وقد بدأ سياق سورة البقرة بالفعل: (كُتِبَ) متعلقا به الجار والمجرور الدال على الاستعلاء، فالله كتب الحقوق في الوصية وحددها بأنصبة تشريعا يبطل ما كان سائدا من عادات جاهلية جائرة^٢، والوصية حق لمن ترك مالا وفيرا عبّر عنه بـ (خيرا) التي جاءت منكرا ما يفيد وفرة المال، والجمهور على أن الوصية حق مشروع على كل مسلم في ماله قل أو كثر^٣، وقد ورد نائب الفاعل (الوصية) متأخرة تركيزا لما كتب الله على المسلم حين حضور الموت، وربطاً بأنها مستحقة لمن قدّم القرآن ذكرهم (للوالدين والأقربين)؛ توجيهها لعباده المسلمين الملتزمين بشرائعه، فالسياق اللغوي يبرز الحقوق الواجب على المؤمنين اتباعها قبل حضور الموت طاعة لأمر الله تعالى الذي كتب التشريع بالوصية وقره .

وبدأ سياق سورة النساء بنفي استحقاق التوبة للمتصفين بارتكاب السيئات المعبر عنهم بالاسم الموصول (للذين) والمستمرين دون توبة إلى مولاهم بدليل (حتى) الدالة على انتهاء الغاية ووصولهم لحضور الموت عندئذ يتذكرون التوبة ويقولون: (إني تبت الآن)، وربط بالعطف عليه مع تكرار النفي تأكيدا على عدم قبول التوبة للمعرفين بـ(الذين يموتون وهو كفار)، وتوحد الجزاء على هذه الأصناف المذكورة المجموعة بـ(أولئك) بأن يكون لهم (عَدَابًا أَلِيمًا) مسبقا بـ(أعدنا) الدالة على الإحصاء والجمع

١ ينظر: المرجع نفسه، ج ٢٦، ص ٢٥٤، ٢٥٥.

٢ ينظر: المرجع نفسه، ج ٢، ص ١٤٥، ١٤٤.

٣ ينظر: ابن عاشور، مرجع سابق، ج ٢، ص ١٤٠.

تجليات السياق القرآني للحظة الموت الإنسانية الفارقة، د. أناهيد عبد الحميد جمال حريري

والتهيئة^١، وفي إسناد الفعل لضمير الفاعلين المقصود به الحق تعالى تخويف من النهاية الوخيمة، كما وقع العذاب الأليم منكرًا للتفخيم من كون هذا العذاب أليماً، فالسياق اللغوي يؤكد نفي التوبة عند حضور الموت للكافرين والعاصين المصرين على ارتكاب الذنوب ويظهر ما سيلاقونه من العذاب الأليم.

وبدأ سياق سورة الأنعام بصفة الله: (القاهر) وهو من الأسماء الدالة على القدرة المطلقة، فالله هو القاهر لجميع الكائنات^٢، مؤكداً ذلك بظرف المكان (فوق) وشاملاً (عباده) بالتنكير الدال على التعميم، وعطف على صفة قدرته تعالى: (وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً) ما يوضح عظيم قهره بأن أرسل حفظته من الملائكة الموكلين بإحصاء أعمال العباد حتى لا يفارقوهم إلى انتهاء غايتهم في الدنيا المعبر عنها بـ (حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ) توفته ملائكة آخرون الموصوفون بـ (رسلنا) المرسلين من الله العزيز، وحالهم (وَهُمْ لَا يُفْقَرُونَ) لا في الوقت ولا في قبض الروح وإنهاء المهمة المرسلين بها من الحق، ويكون حينها مرد العباد (إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقُّ) ليكون جزاؤهم عنده فهو (أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ)، فالمراد بالملائكة الحفظة المحصين بدقة وضبط لأعمال العباد، وهم الملائكة المتعاقبون على البشر نزولاً بالليل وبالنهاري في الحديث الشريف^٤، وتقديم (عليكم) على (حفظة)

١ ينظر: ابن منظور، مرجع سابق، مادة (عدد).

٢ ينظر: الألوسي، شهاب الدين السيد محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (بيروت: دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، ط ١، ١٤٢٠ - ١٩٩٩)، ج ٣، ص ٦١٠.

٣ ينظر: القحطاني، د. سعيد علي، شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة، (الرياض. ضمن سلسلة مؤلفات سعيد علي وهف القحطاني، د. ط، د. ت)، ص ١٢٨، ١٢٩.

٤ ينظر: ابن عاشور، مرجع سابق، ج ٢، ص ١٤٢، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة العصر وصلاة الفجر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون)) الإمام البخاري، الحافظ أبي عبد الله محمد بن

دلالة على العناية بشأن الإنسان وأن وجود الحفظة أمر متحقق^١، وفي التعبير بـ(مولاهم) مع إسناد الولاية للضمير العائد على العباد مزيد تल्पف منه تعالى بعباده العائدين إليه، فالسياق اللغوي يبين إحاطة الملائكة بالإنسان ليلاً ونهاراً ومجيء ملائكة الموت للإنسان في الوقت المحدد له هو لقيامهم بمهامهم المنوطة بهم دون تفريط.

وبدأ سياق سورة ق بمجيء سكرة الموت معلقاً الجار والمجرور (بالحق) بما للتأكيد على الحقيقة المؤكدة التي لا ريب فيها بمصير الإنسان الأزلي الذي (مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ)، فالسياق اللغوي يكشف عن ارتباط الموت بالسكرة حقاً مكتوباً على كل نفس حال ذوقها الموت.

السياق المقامي في الآيات: يعرض سياق سورة البقرة المدنية العام عدداً من الموضوعات التشريعية شأنها شأن سائر السور المدنية^٢، ومن ضمن تلك التشريعات الوصية الشرعية وتحديد أنصبة كل مستحقيها من الأقارب وفق النظام الإسلامي، وعليه كان الخطاب في سياق ذكر حضور الموت للمتقين الطائعين لله تعالى في الاستجابة لشرائعه لما أمرهم به من الوصية الشرعية وفق الضوابط المحددة، التي عبر عنها الفعل المبني للمجهول كتب الذي بدأ به سياق الآية، وحرف الجر (على) الدال على الاستعلاء.

وتناولت سورة النساء المدنية عدداً من التشريعات الداخلية والخارجية للمسلمين والتي تعنى في عدد منها بشؤون المرأة والأسرة والمجتمع والدولة، وإن كانت معظم تلك الأحكام التشريعية تدور حول موضوع النساء الذي سميت السورة باسمه^٣، حيث عرض

إسماعيل، صحيح البخاري، (الرياض: بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، د. ط، ١٤١٩ - ١٩٩٨)، ص ١٤٢٨.

١ ينظر: الشوكاني، مرجع سابق، ج ٢، ص ١٥٦.

٢ ينظر: الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، (بيروت: دار القرآن الكريم، ط ٣، ١٤٠٢ - ١٩٨١)، ج ١، ص ٢٩.

٣ ينظر: المرجع نفسه، ج ١، ص ٢٥٦، السيوطي جلال الدين، تناسق الدرر في تناسب السور، (بيروت: عالم الكتب، ١٩٨٧)، ص ٥٥.

تجليات السياق القرآني للحظة الموت الإنسانية الفارقة، د. أناهيد عبد الحميد جمال حريري

سياق الآيات الحديث عن حدود فاحشة الزنا، وتتابع السياق للحديث عن التوبة ومحدداتها الواردة قبل حضور الموت للإنسان، وعليه كان الخطاب في سياق مقدمات الموت للعاصين المعرضين عن أوامر الله تعالى والكافرين حتى مجيء الموت لهم، يؤكد الفاعلين المضارعين عند بدء الآية وعند ختامها (يعملون السيئات، يموتون وهم كفار) الدالين على الإصرار على الكفر والمعاصي دون توبة.

في حين تناولت سورة الأنعام المكية القضايا الكبرى الأساسية لأصول العقيدة والإيمان، وهي قضية الألوهية، والوحي، والبعث والجزاء^١، حيث سبق سياق ذكر مقدمات الموت ما أقامه الله تعالى من الأدلة والبراهين على وجوده ووحدانيته، وأعقبه ذكر الأدلة على صفاته القدسية من صفات الجلال والجمال، وقدرته على الموت ومن ثم الرجوع إليه للجزاء على الأعمال^٢، حيث ذكر سياق مقدمات الموت مجيء الملائكة المكلفون بقبض الأرواح في الوقت المحدد دون تفريط، وعليه فالخطاب للكافرين المكذبين بالبعث والنشور أو لعموم المخاطبين، وهو ما يلفت له الفعل (ردوا) المتصل بواو الجماعة، والضمير الدال على الجماعة في (مولاهم).

وتناولت سورة ق المكية مواضيع أصول العقيدة الإسلامية خاصة ما يتصل بموضوع البعث والنشور الذي أنكره المشركون من كفار قريش وتعجبوا منه غاية العجب^٣، حيث ذكر سياق مقدمات الموت الحديث عن مبدأ البعث والنشور وهو سكرة الموت، فالخطاب في سياق سورة ق للإنسان عموماً المكتوب عليه الموت قدراً محتوماً على كل نفس، قال تعالى: ﴿ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾ (ق: ١٦)، وقيل: الخطاب للمشركين فهم أشد كراهية للموت وهم أكثر طلباً لطول الحياة راغبين في الفرار من الموت الذي يسوقهم للجزاء

١ ينظر: المرجع نفسه، ج ١، ص ٣٧٦، جماعة من علماء التفسير، المختصر في تفسير القرآن الكريم،

(الرياض: مركز تفسير للدراسات القرآنية، ١٤٣٦)، ص ١٢٨.

٢ ينظر: المرجع نفسه، ج ١، ص ٣٩٤.

٣ ينظر: المرجع نفسه، ج ٣، ص ٢٤٠، السيوطي، مرجع سابق، ص ١٢٣.

على ما كان لهم من أعمال خاسرة في الحياة الدنيا، قال تعالى: ﴿ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة...﴾ (البقرة: ٩٦)، والعطف بالواو صدر الآية يربطها بالسياق السابق المتحدث عن إحصاء الأعمال على الإنسان وبالتالي توفيقته عليها بالجزاء المناسب لعمله.

تجليات السياق القرآني للحظة الموت الإنسانية الفارقة، د. أناهيد عبد الحميد جمال حريري

المطلب الثاني: سياق ذكر الموت صريحا، ويتضمن خمسة مواضع، هي:

الأول	
آل عمران/ ١٨٥	كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُؤْفَقُونَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُزُورِ
الثاني	
الدخان/ ٥٦-٥٧	لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٥٦) فَضَلًّا مِنْ رَبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ الْعُقُورُ الْعَظِيمُ (٥٧)
الثالث	
الواقعة/ ٨٣-٨٧	فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْخُلُوفَ (٨٣) وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ (٨٤) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ (٨٥) فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (٨٦) تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٨٧)
الرابع	
القيامة/ ٢٦-٣٥	كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ (٢٦) وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ (٢٧) وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ (٢٨) وَالتَّتَقَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ (٢٩) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقِ (٣٠)
الخامس	
النازعات/ ١-٥	وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا (١) وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا (٢) وَالسَّاجِحَاتِ سَبْحًا (٣) فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا (٤) فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا (٥)

السياق المقالي في الآيات: جاء التعبير بـ(الذوق) في سياق سورتي آل عمران والدخان عند ذكر الموت صريحا لحظة قبض الروح، والذوق أصله وجود طعم ما يتذوق

في الفم، ووردت اللفظة في القرآن إما مع العذاب أو مع الرحمة^١، ومعنى الذوق في آل عمران إيذان بحصول الموت^٢، ويتحدد في الدخان بإيذان حصول الموتة الأولى للمتقين الذين صدرت الآيات السابقة بوصفهم: {إن المتقين في مقام أمين} (الدخان: ٥١)، وانتفاء تحققه لهم بعد دخولهم الجنة، وعليه فالذوق هو تحقق حصول الموت، إذ لا يقال ذاق الموت إلا لمن مات حقاً.

وجاء التعبير ب(البلوغ) في سياق سورتي الواقعة والقيامة عند الحديث عن مراحل خروج الروح من الجسد، والبلوغ الانتهاء إلى أقصى الغاية والمقصد^٣، فمعناه في الواقعة وصول الروح لمنطقة الحلقوم واستحالة إرجاعها للجسد عند بلوغها هذا الموضع^٤، ومعناه في القيامة وصول الروح للتراقي، وهي العظام المكتنفة لثغرة النحر، حيث يتحقق مع ذلك وقوع الموت^٥، فالسياق القرآني يصف مراحل ارتقاء الروح من الجسد عند ذكر الموت صريحاً من التراقي الواردة في سورة القيامة للحلقوم في سورة الواقعة.

وجاء التعبير ب(النزع والنشط) في سياق النازعات عند الحديث عن عمل الملائكة الموكلين بقبض الأرواح، والنزع هو الجذب من الموضع بقوة، والنشط هو الجذب بسهولة^٦، فالسياق القرآني يفرق في الفعل نفسه لاختلاف الجذوبة روحه فهو إما كافر أو مؤمن.

بدأ سياق سورة آل عمران بتقرير حقيقة حتمية الموت لكل نفس بتنكير (كل) وإضافتها لنكرة ما يفيد العموم، وأكد ب(إنما) التالية أن الجزاء على الأعمال في الحياة الدنيا المعبر عنه ب(توفون) والمقصود به: نيل الجزاء وافياً كاملاً سيكون يوم القيامة^٧،

١ ينظر: الأصفهاني، مرجع سابق، مادة (ذوق).

٢ ينظر: ابن عاشور، مرجع سابق، ج ٣، ص ٣٠١.

٣ ينظر: الأصفهاني مرجع سابق مادة (بلغ).

٤ ينظر: الزمخشري، مرجع سابق، ج ٤، ص ٤٧١، الألوسي، مرجع سابق، ج ٢٧، ص ٢٢٤.

٥ ينظر: الزمخشري، مرجع سابق، ج ٤، ص ٦٦٣.

٦ ينظر: الأصفهاني، مرجع سابق، مادتي (نزع) و (نشط).

٧ ينظر: المرجع نفسه، مادة (وفي).

تجليات السياق القرآني للحظة الموت الإنسانية الفارقة، د. أناهيد عبد الحميد جمال حريري

وما كان قبل ذلك من نعيم أو عذاب في القبر فإنه بعض الأجر، فكلمة التوفية تزيل كل وهم في هذا الباب^١، وجاء التعبير بـ (أجوركم) على جمع الكثرة للدلالة على مباركة الله لأعمال هذه الأمة المرحومة بقصر آجالها ومضاعفة أعمالها، وخص ذكر الأجر؛ لغلبة استعمال الأجر مع الطاعة وفي ذلك إشارة لمغفرة الله لأمة نبيه محمد ﷺ يوم القيامة^٢، ثم جاء السياق الشرطي لمخاطبة الله عباده المؤمنين المصدر بـ(من) الشرطية؛ لتوضيح حقيقة جوهرية مرتبطة بأخرى أن من زحج منهم عن النار وأدخل الجنة فقد فاز، والتعبير بـ(زحج) فيه دلالة الإبعاد والتنحية^٣؛ إشعاراً برحمة الله وفضله على عباده المؤمنين، وبناء الفعل (أدخل) للمجهول للعلم بالفاعل العظيم الرحمة، ومجيء جواب الشرط متصلاً بـ(الفاء) و(قد) وبعده الفعل الماضي (فاز) وعد من الله متحقق الوقوع وإن كانت الأحداث ستقع يوم القيامة، وقد جمع بن (زحج عن النار) و(أدخل الجنة) مع أن في الثاني معنى الأول؛ للدلالة على أن دخول الجنة يشتمل على نعمتين عظيمتين، هما: النجاة من النار، والتنعم بالجنة^٤، وختم السياق القرآني في الآية بحقيقة أخرى مصدرية بـ(ما) النافية صدر الجملة الاسمية مفادها أن ليست الحياة الدنيا إلا متاع الغرور، وأصله من زاد الراعي القليل الذي يتزود به، ما يعني أن متاع الدنيا قليل لا يكفي من تمتع به، وقيل الكلام على حذف مضاف، أي: ما نفع الحياة الدنيا إلا نفع الغرور^٥، وقيل المقصود بالغرور في الآية: الشيطان^٦، فالسياق اللغوي يؤكد تحقق وقوع الموت لكل نفس إيذاناً بالجزاء على ما قدمت من عمل في حياتها الدنيا.

١ ينظر: الزمخشري، مرجع سابق، ج ١، ص ٤٤٩.

٢ ينظر: أبو حيان، مرجع سابق، ج ٣، ص ١٣٩.

٣ ينظر: ابن منظور، مرجع سابق، مادة (زحج).

٤ ينظر: ابن عاشور، مرجع سابق، ج ٣، ص ٣٠١.

٥ ينظر: أبو حيان، مرجع سابق، ج ٣، ص ١٤٠.

٦ ينظر: الشوكاني، مرجع سابق، ج ١، ص ٥١٣.

وبدأ سياق سورة الدخان بـ(لا) النافية الداخلة على الفعل المضارع (يدوقون) لتخلصه للاستقبال^١ المقصود به: لا يدوقون في الدار الآخرة إلا الموتة التي ذاقوها في الدنيا، وعاطفا ما يؤكد عظيم فضله على عباده المؤمنين بأنه (وقاهم عذاب الجحيم)، والوقاية هي الحفظ من كل ما يؤذي ويتخوف منه^٢، ولا شك أن وقاية الله تعالى لعباده المؤمنين من عذاب الآخرة هو من أعظم النعم، وفي التعبير بلفظ (الجحيم) الدالة على شدة التأجج لنار العذاب^٣ تأكيد على عظيم النعمة في وقاية المؤمنين منها، والاستثناء هنا منقطع، أي: لا يموتون فيها إلا الموتة التي ذاقوها في الدنيا^٤، وقيل: الاستثناء تأكيد الشيء بما يشبه ضده لزيادة تحقيق انتفاء الموت في الجنة، فكأن المقصود: لا يدوقون في الجنة الموت البتة^٥، ووضح تعالى هذه النعمة في السياق التالي: (فضلا من ربك) مقدا المفعول المطلق المحذوف فعله وفاعله للعلم به، ووضحه تعلق (من ربك)، وفي الإضافة خطاب للنبي محمد ﷺ ومزيد فضل له لإسناد الرب إليه، ومن بعده لعباده المؤمنين، وذيلت الآيات بقوله: (ذلك) في مزيد لفت لذلك الفضل من الله على عباده، وأتبعه ضمير الفصل (هو) لتخصيص الفوز بالفضل المشار إليه، وهو قصر لإفادة معنى الكمال كأنه لا فوز غيره^٦، فالسياق اللغوي ينفي أن يدوق المتقون في الجنة إلا الموتة الأولى تأكيدا على تنعمهم فضلا وكرما من ربهم.

وبدأ سياق سورة الواقعة بـ(فلولا) وهي حرف تحضيض بمعنى: هلا ترجعون الروح للجسد بعد أن بلغت الخلقوم، والعامل في (إذا) الفعل (ترجعونها)^٧، أي: والحال أنكم

١ ينظر: المرادي، الحسن بن قاسم، الجنى الداني في حروف المعاني، (بيروت: دار الكتب العلمية،

ط١، ١٤١٣ - ١٩٩٢)، ص ٢٩٦.

٢ ينظر: الأصفهاني، مرجع سابق، مادة (وقى).

٣ ينظر: المرجع نفسه، مادة (جحم).

٤ ينظر: أبو حيان، مرجع سابق، ج ٨، ص ٤١.

٥ ينظر: ابن عاشور، مرجع سابق، ج ٢٥، ص ٣٢٤.

٦ ينظر: المرجع نفسه، ج ٢٥، ص ٣٤٣.

٧ ينظر: الشوكاني، مرجع سابق، ج ٥، ص ٢٠١.

تجليات السياق القرآني للحظة الموت الإنسانية الفارقة، د. أناهيد عبد الحميد جمال حريري

أيها المخاطبون تنظرون خروج الروح من الجسد، والحال الآخر (ونحن أقرب إليه منكم)؛ وهي أحوال تؤكد القدرة الإلهية العظيمة، ثم يأتي الاستدراك بـ(لكن) وبعدها (لا) النافية؛ لإثبات نفي أنكم تبصرون ذلك، ويأتي بعده العطف وتأکید التحضيض بـ(فلولا) الثانية ثم (إن) الشرطية لإقرار حقيقة الجزاء بعد الموت، ما يبطل زعم من زعم أن الإنسان غير مملوك لخالقه^١، فالقادر على الموت قادر على البعث تحقيقاً للغاية التي خلق الخلق من أجلها، وجاء التعبير بـ(تنظرون) مقابل (لا تبصرون)؛ للإشارة إلى أن النظر لمن يعاني سكرات الموت لا يعني إِبصار ما هو عليه من قرب ملائكة الموت منه^٢، فالسياق اللغوي تصوير لقرب ملائكة قبض الروح حين بلوغها الحلقوم قرباً لا يكاد يتصوره من هم حول هذا الميت.

وبدأ سياق سورة القيامة بـ(كلا) الدالة على الردع والزجر من الإقبال عن الدنيا لاقتضاء السياق السابق ذلك، وتلاها(إذا) الظرف لما يستقبل من الزمان الدال على وقت بلوغ الروح للترقي، أي: الموضع الذي تترقى منه الروح^٣، ثم عطف بالواو قول من هم حول الإنسان المعاني لسكرات الموت: (من راق)، أي: من يرقيه مما هو فيه، وذهب ابن عباس إلى أنه قول الملائكة من الذي يرقى به ملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب؟^٤، وتلاه عطف آخر بالواو في تتابع حكاية السياق لذكر الموت إشارة إلى التيقن بوقوعه، ف(ظن) هنا من أفعال اليقين، وتلاه عطف آخر بالواو حكاية لحال الميت الذي تلتف ساقه بساقه لما يناله من شدة الموت^٥، وقدم الجار والمجرور (إلى ربك) على المبتدأ (المساق)؛ لمزيد لفت المخاطبين إلى المرجع الحقيقي للإنسان، فالسياق اللغوي يصور شدة مقاساة الإنسان للموت حين بلوغ روحه التراقي دون أن يشعر به أحد حتى أقرب الناس له.

١ ينظر: المرجع نفسه.

٢ ينظر: ابن عاشور، مرجع سابق، ج ٢٧، ص ٣١٣، ٣١٤.

٣ ينظر: الأصفهاني، مرجع سابق، مادة (رقي).

٤ ينظر: المرجع نفسه.

٥ ينظر: الزمخشري، مرجع سابق، ج ٤، ص ٦٦٣.

وبدأ سياق سورة النازعات بالقسم بأصناف الملائكة التي تقبض الأرواح، فهي (النازعات) و(الناشطات)، الأولى تختص بالكافرين والثانية بالمؤمنين^١، وجاء المصدر (غرفا) دالا على قوة نزع أرواح الكافرين، في مقابل (نشطا) الدال على خفة قبض أرواح المؤمنين^٢، ثم تتابع القسم بالملائكة السابحات فالسابقات فالمدبرات، والجواب: لتبعثن^٣، إذ الموت هو أول منازل الآخرة^٤، فالسياق اللغوي يصور اختلاف حال الملائكة عند قبض الأرواح ما بين النزع للكافرين والنشط للمؤمنين.

السياق المقامي في الآيات: يعرض سياق سورة آل عمران المدنية لموضوعين مهمين، هما: العقيدة وإقامة البراهين على وحدانية الله، والتشريع فيما يتصل بالجهاد، وعرضت لشبهات أهل الكتاب في عقائدهم الفاسدة^٥، ومن تلك الشبهات تكذيب اليهود لأنبيائهم وادعاءات الكذب على الله تعالى، وتكذيبهم بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم وبدعوته، وعرض سياق ذكر الموت صريحا من بعد جزاء المؤمنين المتقين عند ربهم في الآخرة على إيمانهم وعلى أعمالهم الصالحة في حياتهم الدنيا، فالخطاب موجه للمؤمنين المجاهدين الصابرين على أذى الكافرين من أهل الكتاب خاصة الذين صرح السياق بذكرهم فيما أعقب ذلك من الآيات: { لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا ۗ وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ } (آل عمران: ١٨٦)، وهو ما دل عليه التعبير بالفعل المضارع (توفون)، والفعل الماضي الدال على تحقق الوقوع (فاز).

وتناولت سورة الدخان المكية موضوعات التوحيد والرسالة والبعث^٥، وعرضت إنكار عدد من الأقوام السابقة للبعث كما فعل مشركو العرب، وكانت خاتمة السورة

١ ينظر: الشوكاني، مرجع سابق، ج ٥، ص ٤٦٥.

٢ ينظر: ابن عاشور، مرجع سابق، ج ٣٠، ص ٥٦، ٥٧.

٣ ينظر: الشوكاني، مرجع سابق، ج ٥، ص ٤٦٦، ٤٦٧.

٤ ينظر: الصابوني، مرجع سابق، ج ١، ص ١٨٢، السيوطي، مرجع سابق، ص ٣٨.

٥ ينظر: المرجع نفسه، ج ٣، ص ١٦٩.

تجليات السياق القرآني للحظة الموت الإنسانية الفارقة، د. أناهيد عبد الحميد جمال حريري

تقريراً لمصير كل من الفجار والأبرار ترهيباً وترغيباً، فالخطاب موجه في سياق ذكر الموت صريحاً للمؤمنين من عباد الله تعالى، وهو ما دل عليه الفعل الماضي المتحقق الوقوع (ووقاهم)، والمصدر (فضلاً) المؤكد لجزائهم من ربهم.

وعرضت سورة الواقعة المكية انقسام الناس لثلاث طوائف، هم: أصحاب اليمين وأصحاب الشمال والسابقون، وعاقبة كل منهم ابتداء من الموت^١، فالخطاب موجه للمكذبين بالبعث والجزاء، وهو ما دل عليه الأسلوب الشرطي: (ترجعونها إن كنتم صادقين) بتقديم الجواب على الشرط كونه موطن الشاهد.

وعاجلت سورة القيامة المكية موضوع البعث والجزاء وما يعرض للإنسان من شدائد اليوم الآخر ابتداء من لحظة الاحتضار^٢، وعليه فالخطاب موجه لمنكرين للبعث والجزاء، وهو ما لفت له الجار والمجرور (إلى ربك) المقدم على مبتدئه (المساق)؛ تأكيداً للعودة لله تعالى ومن ثم الجزاء.

واقتربت سورة النازعات المكية من سابقتها في الحديث عن القيامة وأهوالها ابتداء من ذكر طوائف الملائكة الموكلة بقبض الأرواح^٣، فالخطاب موجه للكافرين والمؤمنين، مع تنبيه السياق على جزاء المكذبين، وهو ما دلت عليه تعبيرات النزع والغرق والنشط وصفا لقبض الأرواح.

١ ينظر: لجنة القرآن والسنة بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة، المنتخب في تفسير القرآن الكريم، (الدوحة: دار الثقافة)، ص ٧٩٧.

٢ ينظر: الصابوني، مرجع سابق، ج ٣، ص ٤٨٢، السيوطي، مرجع سابق، ص ١٤٩.

٣ ينظر: جماعة من علماء التفسير، مرجع سابق، ص ٥٨٣.

المطلب الثالث: سياق حوار الملائكة مع الميت، ويتضمن أربعة مواضع، هي:

الأول	
النساء / ٩٧-٩٩	<p>إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (٩٧) إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ لَا سَبِيلًا (٩٨) فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا غَفُورًا (٩٩)</p>
الثاني	
النحل / ٢٨-٣٢	<p>الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٨) فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (٢٩) وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرٌ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ (٣٠) جَنَّاتٍ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ (٣١) الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٣٢)</p>
الثالث	
المؤمنون / ٩٩-١٠٠	<p>حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٠٠)</p>
الرابع	
المنافقون / ١٠-١١	<p>وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠) وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١١)</p>

السياق المقالي في الآيات: تكرر فعل (القول) في السياقات القرآنية الواردة في حوار الملائكة مع الميت، فهي في سياق سورتي النساء والنحل متكررة ٣م في كل منهما، وهي واردة في سورة المؤمنون والمنافقون مرة واحدة في كل منهما، فقد تكرر القول في سياق سورة النساء لبيان حوار الملائكة مع الكافرين المستضعفين، في مقابل حوارهم مع الجبارين من الكافرين في سورة النحل، ويرد فعل القول في سورتي المؤمنون والمنافقون مرة واحدة للدلالة في الأولى على طلب الكافر من الله تعالى الرجوع للدنيا حتى يؤمن ويعمل صالحا، وللدلالة في الثانية على حث المسلمين على العمل الصالح ومنه الصدقة لما يرونه من أجرها وثوابها عند الله تعالى.

بدأ سياق سورة النساء بتقرير حقيقة مؤكدة مصدرة ب(إنَّ) في الحديث عن مشهد (الذين تتوفاهم الملائكة) وهم ظالمين لأنفسهم، ولا أدل على ظلم أنفسهم من كفرهم بالله الخالق المنعم، إذ إن الكفر موجب للعذاب، ويبدأ الحوار الكلامي بين الملائكة وبين هؤلاء بفعل القول المتبوع بالاستفهام (قالوا فيم كنتم)، أي: من العمل في دنياكم، وهو خطاب توبيخ لهم^١، وجاء الجواب منهم (قالوا كنا مستضعفين في الأرض) في جواب تبريري لما كانوا عليه من الكفر، فجاء رد الملائكة مضحدا لتبريرهم: (قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها)، أي: فارين بدينكم من الجبارين، فجواب الملائكة تبكيت لهم ورد لما اعتذروا به، والمقصود: لستم مستضعفين^٢، والأمثلة في القرآن كثيرة على النماذج الفارة بدينها من مثل فتية أصحاب الكهف، فجاء الحكم عليهم ب(مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا)، ثم جاء الاستثناء القرآني لثلاث فئات من هذا المصير الخاسر، وهم: المستضعفون من الرجال، والنساء، والولدان، الذين لا يستطيعون حيلة لشدة ضعفهم ولا يهتدون سبيلا لشدة فاقتهم، فأولئك جعل الله أمرهم إليه بأن (عسى) أن يعفو عنهم كرما منه، والتعبير ب(عسى) رجاء بتحقيق العفو وإن لم يجزم به السياق؛ لثلا

١ ينظر: الزمخشري، مرجع سابق، ج ١، ٥٥٥.

٢ ينظر: أبو حيان، مرجع سابق، ج ٣، ص ٣٤٨.

يتساهل في أمر الإيمان^١، وختم السياق بـ(وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا) ما يرجح دلالة العفو، فالسياق اللغوي يصور حوار الملائكة مع الكافرين المستضعفين عند موتهم كاشفاً ضعف تبريراتهم ووهن اعتذاراتهم.

وبدأ سياق سورة النحل الحواري بوصف المنكرين لربهم ولرسالاته ولليوم الآخر - إذ السياق السابق عليه قوله تعالى: { إِنْ هُمْ إِلَّا لَكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ۖ فَأَلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ } (النحل: ٢٢) - حال وصولهم للحظة الوفاة وهم ظالمون لأنفسهم فإذا بهم يحبون وينكرون أعمامهم السيئة وأفعالهم القبيحة، ويقولون كذبا: (مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ)^٢، فتجيبهم الملائكة: (بلى)، أي: صدر منكم ما تبرأتم منه، وذيّلوا قولهم: (إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) فالله خير الشاهدين، وكان عقابهم دخول جهنم، وجاء التعبير بأبوابها على السعة لكثرة تلك الأبواب، قال تعالى: { لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ } (الحجر: ٤٤)، مع تحقق خلودهم فيها، في مقابل ذلك كان قول الملائكة للمتقين ربهم في حياتهم الدنيا: (ماذا أنزل ربكم)، أي: من الآيات والتكاليف، فكان جوابهم: (خيرا)، فتحقق لهم جزاء حسنا في الدنيا والآخرة، ويعود المشهد ليحكى حال الملائكة مع هؤلاء المتقين عند وفاتهم، إذ تتوفاهم الملائكة وحالهم طيبين، ويبادهم الملائكة بالسلام، ويبشرونهم بدخول الجنة جزاء على أعمالهم، ويلاحظ الفرق بين التعبير بـ(ألقوا السلم) المستعار من الذل في لحظات الموت التي يقاسيها الظالمون^٣، والتعبير بـ(طيبين) عن المؤمنين الطاهرين من الشرك، أو في أفعالهم وأقوالهم، أو طيبى الأنفس بما يلقونه من ثواب الله لهم، أو طيبة نفوسهم برجوعهم لربهم، أو طيبين في وفاتهم من حيث سهولة الموت عليهم^٤، فالسياق اللغوي يكشف حال الكافرين

١ ينظر: ابن عاشور، مرجع سابق، ج ٤، ص ٢٣٤.

٢ ينظر: الزمخشري، مرجع سابق، ج ٢، ص ٦٠٢.

٣ ينظر: ابن عاشور، مرجع سابق، ج ١٣، ص ١١٢.

٤ ينظر: الشوكاني، مرجع سابق، ج ٣، ص ١٩٩.

تجليات السياق القرآني للحظة الموت الإنسانية الفارقة، د. أناهيد عبد الحميد جمال حريري

الجبارين لحظة الموت وما هم فيه من الذلة والعذاب في مقابل راحة ونعيم المتقين عند موتهم.

وبدأ سياق سورة المؤمنون عرض طلب الكافرين من الله الرجوع للعالم عند مجيء الموت لهم؛ لرؤيتهم ما حاق بهم من الخسران، وهنا يأتي الجواب الرادع الزاجر (كلا)؛ إذ حال البرزخ بينهم حتى يحين يوم البعث، وما يعقبه من الجزاء لكل عامل على ما عمل، والتعبير بقوله: (إلى يوم يبعثون) إقنات لهم من الرجوع للعالم، فالسياق اللغوي يبين يقين الكافر بخسرانه الأبدي لحظة موته وتمنيه العودة للعالم.

وبدأ سياق سورة المنافقون بالحث على الإنفاق من رزق الله قبل الموت، إذ إن أول ما يندم عليه الإنسان: الصدقة لما يراه من عظم ثوابها، وجاء الجواب بالنفي القاطع عن تأجيل وقت الأجل المقدر، وقدم المفعول به على الفاعل (يأتي أحدكم الموت)؛ للاهتمام به^٢، وتذييل السياق بقوله: (والله خبير بما تعملون) إيدان بعلمه تعالى بكل شيء^٤، فالسياق اللغوي يبرز حث المؤمنين على العمل الصالح خاصة الصدقة حتى لا يندموا على التفريط لحظة موتهم.

السياق المقامي في الآيات: تناولت سورة النساء المدنية عددا من التشريعات الداخلية والخارجية للمسلمين وما يتصل بموضوع المرأة، وتناولت الحديث أيضا عن موضوع الجهاد وما يتصل به من التشريعات^٥، وجاء سياق الآيات متحدثا عن أنواع المجاهدين، ورغب في الهجرة إلى أرض الإيمان^٦، فالخطاب للكافرين المستضعفين في الأرض حين حوار الملائكة معهم، وذكر ابن عباس أن الآية نزلت

١ ينظر: الزخشري، مرجع سابق، ج ٣، ص ٢٠٣.

٢ ينظر: ابن عاشور، مرجع سابق، ج ١٨، ص ١٠١٠.

٣ ينظر: الشوكاني، مرجع سابق، ج ٥، ص ٢٨٩.

٤ ينظر: ابن عاشور، مرجع سابق، ج ٢٨، ص ٢٢٩.

٥ ينظر: الصابوني، مرجع سابق، ج ١، ص ٢٥٧، السيوطي، مرجع سابق، ص ٥٥.

٦ ينظر: لجنة القرآن والسنة بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة، مرجع سابق، ص ١٢٧.

في قوم بمكة أسلموا وكرهوا أن يهاجروا أو خافوا من أذى المشركين عند هجرتهم^١، دل عليه تكرار لفظ (مستضعفين) المكرر في السياق، وتذييل السياق بما يرجى معه العفو والمغفرة لفئات منهم.

وعرضت سورة النحل المكية موضوعات الألوهية والوحي والبعث والنشور^٢، ووضح سياق الآيات كفر المكذبين للبعث وجزائهم في الآخرة، والخطاب موجه للكافرين الظالمين في الأرض حين حوار الملائكة معهم لحظة موتهم، ودلت المقارنة بين حال الظالمين وحال المؤمنين على سوء عاقبة الظالمين يؤكد تعبيرات الأفعال: (فادخلوا، فلبئس)، ودلالات الجموع: (ظالمي أنفسهم، أبواب جهنم، المتكبرين).

وعالجت سورة المؤمنون المكية الإيمان وحقيقته وثماره وأشادت بالمؤمنين الذين سميت السورة باسمهم^٣، وذكرت جزاء استحقاقهم لميراث الفردوس، وجاء سياق حوار الملائكة مع الميت من الكفار وأمنياتهم في العودة للعالمين في الأعمال الصالحة لما يرونه من جزاء المؤمنين، وهو ما يؤكد النداء الذي يعقبه أمر طلي: (قال رب ارجعون)، وجاء الجواب رادعا زاجرا ب (كلا).

وتحدثت سورة المنافقون المدنية عن موضوعات تشريعية، وأسهمت في الحديث عن النفاق والمنافقون، وختمت بتحذير المؤمنين من الانشغال بزينة الدنيا شأن المنافقين^٤، وجاء سياق الآيات في حوار الملائكة مع المسلمين الراجين تأخير الأجل لما يرونه من أجر الصدقة والعمل الصالح في الآخرة فيتمنون الاستزادة، وهو ما حث عليه فعل الأمر صدر الآية (أنفقوا)، ودلالة ظرف الزمان في السياق: (من قبل أن يأتي أحدكم الموت).

١ ينظر: السيوطي، جلال الدين، لباب النقول في أسباب النزول، (بيروت: المكتبة العصرية، ١٩٩٩)، ص ١٠١.

٢ ينظر: الصابوني، مرجع سابق، ج ٢، ص ١١٨، السيوطي، مرجع سابق، ص ٨٧.

٣ ينظر: جماعة من علماء التفسير، مرجع سابق، ٣٤٢.

٤ ينظر: الصابوني، مرجع سابق، ج ٣، ص ٣٨٣.

المطلب الرابع: سياق خروج روح الكافر، ويتضمن ستة مواضع، هي:

الأول	
الأنعام/ ٩٣ - ٩٤	<p>وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنْفُسَهُمْ الْيَوْمَ تُجْرَوْنَ عَذَابَ الهُوْنِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ (٩٣) وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءَ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (٩٤)</p>
الثاني	
الأنفال/ ٥٠ - ٥١	<p>وَلَوْ تَرَى إِذِ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (٥٠) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (٥١)</p>
الثالث	
يونس/ ٩٠ - ٩٢	<p>وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرْقُ قَالَ أَمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتَ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩٠) الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٩١)</p>
الرابع	
الأحزاب/ ١٩	<p>أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يُنْظَرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَفُوكُمْ بِاللِّسَانِ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَخْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (١٩)</p>
الخامس	

محمد/ ٢٧-٢٨	فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأُذْبَارَهُمْ (٢٧) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْحَطَ اللَّهُ وَكَرَهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ (٢٨)
السادس	
النازعات/ ١- ٥	وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا (١)

السياق المقالي في الآيات: تعددت التعبيرات الدالة على خروج روح الكافر، ومع تعدد تلك التعبيرات إلا أنها جميعها قوية، منها: التعبير ب(غمرات الموت) في سورة الأنعام في وصف حال خروج أرواح الظالمين الذين افتروا على الله الكذب، حيث جاءت مرتبطة بالفعل (ترى)؛ ما يشير لفضاعة ما يلقاه هؤلاء الظالمون من العذاب عند الموت^١، وأصل الغمر إزالة أثر الشيء، ومنه قيل لما يغطيه الماء ويزيل أثره غمر وغامر^٢؛ ما يشير للعنف وتشديد الإرهاق من غير تنفيس أو إهمال في إخراج أرواح المكذبين^٣، والتعبير ب(يتوفى) و(توفتهم) في سورتي الأنفال ومحمد عند الحديث عن خروج روح الكافر والمنافق؛ دلالة على توفية الملائكة قبض أرواحهم مع تعذيبهم بالضرب على وجوههم وأدبارهم، والتعبير ب(أدركه الغرق) في سورة يونس دلالة على إحاطة الغرق به بعدما أتبع بني إسرائيل، والتعبير في سورة الأحزاب ب(يغشى عليه من الموت) تصويراً لهلع المنافقين وفزعهم من القتال والموت، والتعبير ب(الزرع - الغرق) في النازعات تصويراً لجذب روح الكافر بقوة وقسوة^٤.

١ ينظر: الألوسي، مرجع سابق، ج٧، ص ٢٩٢.

٢ ينظر: الأصفهاني، مرجع سابق، مادة (غمر).

٣ ينظر: الزمخشري، مرجع سابق، ج ٢، ص ٤٦.

٤ ينظر: الأصفهاني، مرجع سابق، مادة(زرع).

تجليات السياق القرآني للحظة الموت الإنسانية الفارقة، د. أناهيد عبد الحميد جمال حريري

بدأ سياق سورة الأنعام باستفهام إنكاري يفيد النفي أن يكون أحد أظلم ممن افترى على الله الكذب^١، وصور السياق مشهد هؤلاء الظالمون وهم في غمرات الموت والملائكة يطلبونهم إخراج روحهم، ويبشرونهم بما سيلاقونه من عذاب الهون، والتعبير بـ (افترى) يشير لدلالة الاختلاق والكذب على الله^٢ المعبر عنها في السياق (بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون)^٣، وقد أضيف العذاب لكلمة الهون؛ لإفادة ما تقتضيه الإضافة من الاختصاص والملك؛ فعذاب الهون مرتبط بالكافرين غير المنفك عنهم^٤، ثم يأتي الخطاب للكافرين الظالمين بأنهم جاؤوا فرادى كما ابتدأ تعالى خلقهم أول مرة تاركين شفعاءهم وأنصارهم الذين اتخذوهم أولياء من دونه تعالى، إذ لم يغنوا عنهم شيئاً، وجاء التعبير بـ (لقد تقطع بينكم)، وذيلت الآية (وضل عنكم ما كنتم تزعمون) وفي ذلك تحكم وتأيس لما آلوا إليه من المصير^٥، فالسياق اللغوي يؤكد عذاب الكافرين المكذبين من لحظة خروج أرواحهم وما ينالونه من الهوان والذل دون أن يجدوا لهم أولياء أو شفعاء.

وبدأ سياق سورة الأنفال بـ (ولو ترى) في تشابه مع السياق السابق من سورة الأنعام حين قوله: (وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ) وهو أسلوب شرط جوابه مقدر، أي: لرأيت هولاً من شدة ما يلقاه الكافرون الظالمون عند موتهم، كما يصور السياق الملائكة وهم يضربون وجوه الكافرين وأدبارهم، ويبشرونهم بأنهم سيذوقون عذاب الحريق؛ جزاء على أعمالهم الخبيثة، وذيلت الآية: (وأن الله ليس بظلام للعبيد)، وتخصيص الضرب للوجوه والأدبار دلالة على التنكيل بهم^٦، فالسياق اللغوي يؤكد نكال الملائكة بالكافرين لحظة الموت وما ينالونه من العذاب الأليم.

١ ينظر: أبو حيان، مرجع سابق، ج ٤، ص ١٨٥.

٢ ينظر: ابن عاشور، مرجع سابق، ج ٦، ص ٢٢٠.

٣ ينظر: الشوكاني، مرجع سابق، ج ٢، ص ١٧٥.

٤ ينظر: ابن عاشور، مرجع سابق، ج ٦، ص ٢٢٤.

٥ ينظر: المرجع نفسه، ج ٦، ص ٢٢٨، ٢٢٩.

٦ ينظر: الألوسي، مرجع سابق، ج ١٠، ص ٢٩٨.

وبدأ سياق سورة يونس بالحديث عن المعجزة الإلهية العظيمة التي امتن الله بها على بني إسرائيل إذ أنجاهم من فرعون وجاوز بهم البحر بعد أن فلقه لهم، فما كان من فرعون وجنوده إلا أن أتبعوهم بغيا دون اتعاظ بالمعجزة الإلهية، حتى إذا أدركه الموت قال: آمنت أنه (لا إله إلا الذي آمننت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين)، فجاء الجواب (الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين)، وجاء قوله: (أنه لا إله إلا الذي آمننت به بنو إسرائيل) دون قوله: (آمنت برب العالمين)؛ استكبارا وإصرارا على كفره^١، فالسياق اللغوي يصور لحظة موت نموذج طاغ مستكبر حرم الإيمان بالله تعالى وحق به كفره وتجبره.

وبدأ سياق سورة الأحزاب وصف المنافقين بالشح على المؤمنين في الخير، ووصف خوفهم من الأحزاب إذ كانت تدور أعينهم حال من يغشى الموت، فلما اطمأنوا على أنفسهم برز أذاهم للمؤمنين، وفي ذلك ذم لهم ولألسنتهم الذرية في الباطل، فمن غشيه الموت يذهل ويذهب عقله ويشخص بصره فلا يطرف فكذلك كان حال المنافقون تشخص أبصارهم من الخوف^٢، وجاء جزاؤهم (فأحبط الله أعمالهم) كونهم لم يؤمنوا، وفي ذلك تهديد وتخويف لهم^٣، فالسياق اللغوي صور هلع المنافقين من القتال خوفا على أنفسهم من الموت.

وبدأ سياق سورة محمد بالاستفهام التقريري المصور لحال المنافقين عند الموت وحال الملائكة معهم أنهم يضربون وجوههم وأدبارهم جزاء لما اقترفوه فقد أحبط الله أعمالهم^٤، فالسياق اللغوي يبرز جزاء المنافقين الذي يبدأ من لحظة موتهم ويصور ما ينالونه من العذاب الأليم.

١ ينظر: الشوكاني، مرجع سابق، ج ٢، ص ٥٨٣.

٢ ينظر: المرجع نفسه، ج ٤، ص ٣٣٤، ٣٣٥.

٣ ينظر: الألوسي، مرجع سابق، ج ٢١، ص ٢٢١، ٢٢٢.

٤ ينظر: ابن عاشور، مرجع سابق، ج ٢٦، ١٠٠، ١٠١.

تجليات السياق القرآني للحظة الموت الإنسانية الفارقة، د. أناهيد عبد الحميد جمال حريري

وبدأ سياق سورة النازعات بالحديث عن نزع الملائكة أرواح الكافرين نزعا قويا مبالغة في إخراج تلك النفوس الخبيثة التي كفرت بالله تعالى وبأنعمه العظيمة^١، فالسياق اللغوي يصور عذاب الكافرين عند جذب الملائكة لأرواحهم بقوة لحظة الموت.

السياق المقامي في الآيات: تناولت سورة الأنعام المكية القضايا الكبرى الأساسية لأصول العقيدة والإيمان ومنها: البعث والجزاء^٢، وقيل نزلت الآية في عبد الله بن أبي السرح لادعائه نزول الوحي عليه^٣، وجاء الخطاب في سياق الآيات للكافرين الظالمين المفترين على الله الكذب، حيث دل الفعل (ترى) على فظاعة ما يلقاه هؤلاء الظالمون من العذاب ابتداء من لحظة الموت، ودلالة الأمر في (أخرجوا) الدال على عجزهم، والفعل المضارع (تجزون) الموضح لمصيرهم الأبدي الخاسر.

وعالجت سورة الأنفال المدنية التشريعات خاصة المتصلة بالجهاد بعد غزوة بدر فاتحة الغزوات في تاريخ الإسلام^٤، وتسجيل هذا الانتصار التاريخي للمسلمين المستضعفين على الكفار المستكبرين بطرا وعمطا للحق، فالخطاب للكافرين، ودل الفعل (ترى) أيضا على فظاعة ما يلقاه الكافرون المستكبرون عند الموت، وتابعت الأفعال دلالة عذابهم وخسرتهم: (يضربون وجوههم وأدبارهم، ذوقوا عذاب الحريق).

وعرضت سورة يونس المكية لموضوعات أصول العقيدة وضربت نماذج من قصص الأنبياء عليهم السلام مع أقوامهم لبيان سنة الله تعالى في نصره عباده المؤمنين على الكافرين الطاغين^٥، منها قصة النبي موسى عليه السلام مع فرعون مدعي الألوهية، والخطاب في سياق آيات خروج روح الكافر هي لفرعون الطاغية تحديدا، وجاءت الظروف (الآن، قبل) إنكارا لطغيانه، وتثبيتا لكفره بالأفعال الماضية المتحققة الوقوع: (عصيت، كنت من المفسدين).

١ ينظر: المرجع نفسه، ج ٢٠، ص ٥٦، ٥٧.

٢ ينظر: الصابوني، مرجع سابق، ج ١، ص ٣٧٦، السيوطي، مرجع سابق، ٦٤.

٣ ينظر: السيوطي، مرجع سابق، ص ١٣٥.

٤ ينظر: لجنة القرآن والسنة بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة، مرجع سابق، ص ٢٤١.

٥ ينظر: الصابوني، مرجع سابق، ج ١، ص ٥٧١، السيوطي، مرجع سابق، ٧٩.

وتحدثت سورة الأحزاب المدنية عن عدد من التشريعات الإسلامية، وعن غزوتي الأحزاب وبنو قريظة^١، وجاء سياق ذكر خروج روح الكافر عند الحديث عن هلع المنافقين من القتال في سبيل الله، واعتذارهم من النبي ﷺ عن المشاركة في القتال خوفا من الموت، وانقلاب حالهم لأذية المؤمنين بعد زوال الخوف عنهم وجلاء موقف القتال، يؤكد التعبير المجازي الذي صور حال المنافقين قبل وبعد القتال، حيث صور الخوف بالمجيء والذهاب (فإذا جاء الخوف، فإذا ذهب الخوف)، وتشبيه خوفهم ب(كالذي يغشى عليه من الموت)، وتصوير انقلاب حالهم بعد الخوف (سلقوكم بألسنة حداد) على التعبير المجازي في سلقوكم .

وتناولت سورة محمد المدنية التشريعات فيما يتصل بالقتال، وأسهمت في الحديث عن المنافقين^٢، وعرض سياق الآيات حال المنافقين مع النبي ﷺ والمؤمنين حين يدعون إلى القتال، ووضحت الآيات جزاءهم عند خروج أرواحهم جزاء لهم على إبطانهم الكفر والعداء للإسلام والمسلمين، وهو ما صرحت به الآية السابقة للسياق { ... وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ } (محمد: ٢٦)، فالخطاب في السياق للمنافقين، ودل الفعل المضارع (يضربون وجوههم وأدبارهم) على خسارتهم الأبدية وعدابهم من لحظة موتهم جزاء وفاقا. وجاءت سورة النازعات المكية للحديث عن القيامة وأهوالها ابتداء من الحديث عن طوائف الملائكة الموكلة بقبض الأرواح^٣، وابتدأت بذكر قبض أرواح الكافرين نزعا ترهيبا من أهوال القيامة، وهو ما أكده الأسلوب القسيمي الذي بدء به السياق.

١ ينظر: المرجع نفسه، ج ٢، ص ٥٠٩.

٢ ينظر: جماعة من علماء التفسير، مرجع سابق، ٥٠٧، ٥٠٨.

٣ ينظر: المرجع نفسه، ٥٨٣.

تجليات السياق القرآني للحظة الموت الإنسانية الفارقة، د. أناهيد عبد الحميد جمال حريري

المطلب الخامس: سياق خروج روح المؤمن، ويتضمن أربعة مواضع، هي:

الأول	
إبراهيم/ ٢٧	يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ (٢٧)
الثاني	
فصلت/ ٣٠-٣١	إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ (٣١) نُزُلًا مِنْ غَمُورٍ رَّحِيمٍ (٣٢)
الثالث	
النازعات/ ٢	وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا (٢)
الرابع	
الفجر/ ٢٧-٣٠	يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي (٣٠)

السياق المقالي في الآيات: ورد في سياقات خروج روح المؤمن تثبيت الله تعالى لعباده المؤمنين لحظة خروج أرواحهم في سورة إبراهيم، وبشارة الملائكة لهم ألا يخافوا ولا يحزنوا وبدخولهم الجنة في فصلت، وصور السياق في النازعات نشط الملائكة لأرواح المؤمنين بسهولة ويسر، وصور سياق الفجر أرواحهم بأنها مطمئنة راضية ومرضية داخلة في عباد الله وداخلة دار رضوانه.

بدأ سياق سورة إبراهيم بتثبيت الله للذين آمنوا في الدارين: الدنيا بالحجة الواضحة وهي كلمة الشهادة^١، والآخرة فلا يزيغوا عن الحق الذي ثبتوا عليه في الدنيا،

١ ينظر: الشوكاني، مرجع سابق، ج ٣، ص ١٣٢.

فالسباق اللغوي يؤكد التثبيت لعباد الله المؤمنين ابتداء من لحظة موتهم.

وبدأ سياق سورة فصلت بتأكيد حقيقة تنزل الملائكة عند الموت على الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا على طريقه^١؛ لتبشرهم بثوابهم عند ربهم وتطمئنهم بعدم الخوف أو الحزن، وقيل: يبشروهم بملازمتهم لهم في الآخرة كما كانوا في الدنيا، وقيل: يشفعون لهم ولا يفارقونهم حتى يدخلوهم الجنة^٢، وقيل: إن الآية (٣١) هي من كلام الله تعالى لعباده المؤمنين^٣؛ ثوابا لهم فهو الذي يغفر لهم ويتجاوز عنهم برحمته^٤، فالسياق اللغوي يصور ثواب المؤمنين الكبير من ربهم لحظة خروج أرواحهم من أجسادهم.

وجاء سياق سورة النازعات متحدثا عن نشط الملائكة لأرواح المؤمنين نشطا سهلا من نشط الدلو الماء من البئر^٥، أو من نشط العقد إذا حللته، أو من نشط الحبل إذا مددته^٦، فالسياق اللغوي يصور ثواب المؤمنين من نشط الملائكة لأرواحهم نشطا سهلا عند الموت.

وبدأ سياق سورة الفجر بمناداة روح المؤمن ووصفها بالمطمئنة التي لا يلحقها خوف ولا حزن، أو التي كانت مطمئنة للحق لم يخالطها شك^٧؛ لترجع لربها راضية مرضية ولتدخل في عباده المؤمنين ولتدخل جنته، وتكرار فعل الدخول للاهتمام بالدخول في زمرة المتقين وإلى الجنة دار الفوز بالنعيم المقيم^٨، فالسياق اللغوي يؤكد ثواب الله تعالى لعباده المؤمنين من لحظة خروج أرواحهم المطمئنة بالإيمان بربها وخالقها.

السياق المقامي في الآيات: تناولت سورة إبراهيم الحكيمة موضوعات العقيدة،

١ ينظر: الزمخشري، مرجع سابق، ج ٤، ص ١٩٩.

٢ ينظر: الشوكاني، مرجع سابق، ج ٤، ص ٦٣٨.

٣ ينظر: الألوسي، مرجع سابق، ج ٢٣ - ٢٤، ص ٥١٠.

٤ ينظر: ابن عاشور، مرجع سابق، ج ٢٥، ص ٥٣.

٥ ينظر: الزمخشري، مرجع سابق، ج ٥، ص ٦٩٣.

٦ ينظر: أبو حيان، مرجع سابق، ج ٨، ص ٤٠٩ - ٤١٠.

٧ ينظر: المرجع نفسه، ج ٨، ص ٤٦٧.

٨ ينظر: ابن عاشور، مرجع سابق، ج ٣٠، ص ٣٠٤.

تجليات السياق القرآني للحظة الموت الإنسانية الفارقة، د. أناهيد عبد الحميد جمال حريري

وعرضت دعوة الرسل لأقوامهم بعبادة الله تعالى وحده في مقابل عناد أقوامهم وكفرهم بالله تعالى^١، ووضحت ثواب المؤمنين لحظة خروج أرواحهم، وهو ما دل عليه تكرار التثبيت مرة بالفعل ومرة بالاسم (يثبت، القول الثابت)، وتكرار حرف الجر للجزاء في الدارين (في الحياة الدنيا وفي الآخرة).

وعرضت سورة فصلت المكية جوانب من العقيدة وأركان الإيمان^٢، وضربت الأمثلة عن أحوال الأمم السابقة وذكرت حال مشركين قريش في كفرهم وعنادهم، في مقابل حال المؤمنين المتقين الذين استقاموا على شريعة الله تعالى فأكرمهم بالثواب الجزيل، فالخطاب في سياق الآيات للمؤمنين بشارة من الملائكة لهم بالثواب الحسن، بدلالة الأفعال المسبوقه بالنفي (ألا تخافوا ولا تحزنوا) ودلالة الأمر (أبشروا بالجنة) والماضي المتحقق الوقوع (كنتم توعدون).

وتكرر الحديث عن موضوع سورة النازعات المكية وسياق الآيات يتحدث عن خروج أرواح المؤمنين عند الموت بسهولة ويسر، دل عليه تكرار النشط مرة بالاسم ومرة بالمصدر (والناشطات نشطا).

وعالجت سورة الفجر المكية قصص بعض الأمم المكذبة لرسولهم، وذكرت سنة الابتلاء في الدنيا بالخير والشر، وعرضت لأهوال القيامة ومآل الناس فيها ما بين شقي وسعيد^٣، وقيل: نزلت الآية في حمزة بن عبد المطلب^٤، والخطاب في خاتمة هذه السورة لأرواح المؤمنين المطمئنة حال خروجها من أجسادهم لما لها من الرضا والرضوان من رب العالمين ثوابا على إيمانهم وأعمالهم الصالحة، وهو ما دل عليه متعلق الجار والمجرور والإضافة في: (ارجعي إلى ربك)، وتكرار الرضا مرة بصيغة الفاعل ومرة بصيغة المفعول (راضية مرضية)، والإضافة الدالة على التشريف في كل من: (عبادي) و(جنتي).

١ ينظر: السيوطي، مرجع سابق، ص ٨٤.

٢ ينظر: الصابوني، مرجع سابق، ج ٣، ص ١١٤.

٣ ينظر: لجنة القرآن والسنة بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة، مرجع سابق، ص ٩٠٥.

٤ ينظر: السيوطي، مرجع سابق، ص ٣٥٨.

المطلب السادس: سياق قبض ملك الموت للروح، ويتضمن موضعاً واحداً هو:

الأول	
السجدة/١١-١٢	قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (١١) وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ (١٢)

السياق المقالي في الآية: يتحدث السياق عن الملك الموكل بقبض أرواح العباد، وجاء التعبير بلفظ (يتوفى) الدال على إتمام ملك الموت لمهمته المنوط به^١، وجاء السياق مصوراً حال المجرمين بعد رجوعهم لربهم بأنهم ناكسو رؤوسهم ذلاً وهواناً مطالبين أن يرجعوا للدنيا، فقد أبصروا الحقيقة وأيقنوا بما يقينا قطعياً، إلا أنه لا رجوع، ولا نفع لهذا اليقين حينئذ، وقيل المقصود: لك الحجة يا ربنا علينا فقد أبصرنا رسلك وسمعنا كلامهم، وفي هذا اعتراف منهم بالكفر والتكذيب مع علمهم وإدراكهم^٢، وسمي الملك الموكل بقبض أرواح العباد بـ(ملك الموت) في إسناد الموت لاسمه؛ لاختصاصه بهذا الأمر من الله، وأطلق وصف (المجرمون) على منكري البعث؛ لعظم جرم التكذيب بالله وبالبعث، وقد تكررت أفعال الرؤية والبصر (ترى)، (أبصرنا) وما يترتب عليها من اليقين (إننا موقنون)؛ لتأكيد تحقق الجزاء بعد البعث، فالسياق اللغوي يؤكد إتمام ملك الموت لمهمته ورجوع العباد لربهم للجزاء على أعمالهم.

السياق المقامي: عرضت سورة السجدة المكية لمواضيع أصول العقيدة، ومنها: البعث والجزاء^٣، الذي يبدأ من قبض ملك الموت للأرواح، في تأكيد لتحقيق وقوع الموت لكل نفس، وتحقيق وقوع بعثها يوم القيامة للجزاء على ما عملت في الدنيا من أعمال،

١ ينظر: الأصفهاني، مرجع سابق، مادة (وفي).

٢ ينظر: أبو حيان، مرجع سابق، ج ٧، ص ١٩٦.

٣ ينظر: لجنة القرآن والسنة بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة، مرجع سابق، ص ٦١٨.

تجليات السياق القرآني للحظة الموت الإنسانية الفارقة، د. أناهيد عبد الحميد جمال حريري

فالخطاب لمنكري البعث والنشور بعد الموت، وقيل: الخطاب للنبي محمد ﷺ ولأمته
حكاية لما سيقع لهؤلاء المنكرين من العذاب^١، ودلالة الفعل المضارع (يتوفاكم) تأكيد
لتوفية ملك الموت عمله المنوط به من الله تعالى، ودلالة الفعل (ولو ترى) تأكيد على
خسران المجرمين الأبدى نتيجة لكفرهم.

١ ينظر: الشوكاني، مرجع سابق، ج ٤، ص ٣١٢، ٣١٣.

المطلب السابع: سياق حتمية الموت، ويتضمن موضعاً واحداً هو:

الأول	
الجمعة / ٨	قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٨)

السياق المقالي في الآية: يتحدث عن حتمية وقوع الموت، وما يترتب عليه من الجزاء، والتعبير بالفعل المضارع (تفرون) يشير لاستمرار الهروب من الموت، وجاء الخبر التأكيدي بعده (فإنه ملاقيكم) لتثبيت لقاء الإنسان بالموت أينما وكيفما فر منه، والتعبير بلفظ (اللقاء) متناسب مع التعبير بلفظ (الفرار) في السياق، فمهما تعددت وجهات الفرار فإن اللقاء بالموت متحقق، فهو نهاية المطاف لا محالة وعدا وحقا، والتعبير بلفظ (تردون) إشارة للرجوع من جديد لله تعالى، فهو أصل النشأة وإليه المرجع، وربط الجواب بـ(إنّ) المؤكدة المتصلة بـ(الفاء) لإفادة أن الفرار هو سبب لملاقاة الموت مبالغة في الذكر وتعكيسا للحال، والتعبير عن الله بـ(عالم الغيب والشهادة) تأكيد على أن الجزاء له تعالى لعلمه بالخفايا والبواطن، والتعبير بلفظ (فينبئكم) فيه مزيد تأكيد لعلمه تعالى، فالسياق اللغوي يؤكد حتمية لقاء الموت مهما تعددت صور الفرار منه ومن ثم الجزاء على الأعمال.

السياق المقامي في الآية: عاجلت سورة الجمعة المدنية جوانب التشريع، وأحكام صلاة الجمعة عيد المسلمين الأسبوعي، وذكرت بعثة النبي محمد ﷺ الخاتم الذي أنقذ الله به البشر من ظلام الكفر والضلال، وتحدثت عن انحراف اليهود عن شريعة الله تعالى^١، وادعائهم كذبا أنهم أحبابه^٢، وسياق الآيات السابق يدعوهم لتمني الموت إن

١ ينظر: الصابوني، مرجع سابق، ج ٣، ص ٣٧٧.

٢ ينظر: أبو حيان، مرجع سابق، ج ٨، ص ٢٦٤، السيوطي، مرجع سابق، ١٣٥.

تجليات السياق القرآني للحظة الموت الإنسانية الفارقة، د. أناهيد عبد الحميد جمال حريري

كانوا صادقين، ويقرر حتمية الموت لكل نفس مهما فرت منه، فكيف بهم وهم ظالمون قد غضب الله عليهم، فالخطاب في سياق حتمية الموت لليهود الزاعمين أنهم أولياء الله من دون الناس، ودلالة الجملة الاسمية المؤكدة (فإنه ملائكم) تثبت لتلك الحقيقة الحتمية، والتعبير بالفعلين المضارعين (تردون، فينبئكم) تصوير لحقيقتي البعث والجزاء المتحققة الوقوع.

الخاتمة والتوصيات

أسفرت الدراسة في موضوع تجليات السياق القرآني للحظة الموت الإنسانية الفارقة إلى تقسيمها لسبعة مطالب تفرع عن كل منها سياقات وفقا لتناسب تلك السياقات موضوعيا، من خلال دراسة تلك السياقات وفق نمطين، هما: **السياق المقالي** الذي يدرس السياق اللغوي الداخلي، و**السياق المقامي** الذي يدرس السياق غير اللغوي الخارجي الخاص بموضوع السورة عموما والخطاب فيه، ويمكن إجمال أبرز النتائج في الآتي:

- توزعت السياقات القرآنية في موضوع لحظة الموت الإنسانية الفارقة على أربعة وعشرين موضعا في القرآن الكريم ابتداء من سورة البقرة وحتى سورة الفجر.
- **جاء سياق مقدمات الموت المقالي** معبرا عنه بفعل الحضور سواء لمقدمات الموت ما يشي بضرورة إعداد الوصية، أو له نفسه مشاهدة ومعاينة ما يدفع الميت الكافر لطلب التوبة، أو بفعل المجيء المتحقق لملائكة الموت أو لسكرته، و**جاء سياق مقدمات الموت المقامي** في السورتين المدنيتين لإقرار تشريعات الوصية ووقت التوبة، في حين جاء سياق السورتين المكيتين لتقرير تحقق البعث والجزاء على الأعمال.
- **جاء سياق ذكر الموت صريحا المقالي** معبرا عنه بفعل الذوق إيذانا بمحصول الموت للمؤمنين، وتحديد له بالموتة الأولى في الدنيا، أو بفعل البلوغ للروح منطقتي التراقي والحلقوم؛ ما يشير لتحقيق خروج الروح من الجسد، أو بلفظي النزع والنشط للتعبير عن حالة الملائكة في جذب روح الكافرين ونشط روح المؤمنين، و**جاء سياق ذكر الموت صريحا المقامي** في سورتي آل عمران المدنية والدخان المكيتين للإشارة إلى جزاء المؤمنين المجاهدين الصابرين عند لقاء الموت، وجاء في سور الواقعة والقيامة والنازعات المكية للإشارة إلى جزاء الكافرين المنكرين للبعث والنشور.

- **جاء سياق حوار الملائكة مع الميت المقالي** معبرا عنه بفعل القول المتكرر في كل سياقات الآيات الواردة لذكر حوار الملائكة مع الميتين، وهم: كافرون مستضعفون، كافرون متجبرون طاغون، كافرون راغبون في العودة للعالم، مسلمون راغبون في تأخير الموت لزيادة أعمالهم الصالحة، **وجاء سياق حوار الملائكة مع الميت المقامي** يشرع في سورة النساء المدنية المهجرة للمستضعفين حتى لا يظلموا أنفسهم بالكفر المؤدي للخسران، ويبين في سورتي النحل والمؤمنون المكيتين عاقبة الكافرين المتجبرين ورفض الله تعالى عودتهم للعالم بعد تيقنهم من خسارتهم الأبدية، وحث سياق سورة المنافقون المدنية المؤمنين على اغتنام الحياة الدنيا بالأعمال الصالحة ، إذ لا عودة بعد الموت.
- **جاء سياق خروج روح الكافر المقالي** بتعبيرات قوية كالتعبير بغمرات الموت، وإدراك الغرق، والنزع غرقا، والتوفية لأرواح الكافرين مرتبطة بضرب الوجوه والأدبار، **وجاء سياق خروج روح الكافر المقامي** لتوضيح جزاء الكفرة المفترين للكذب على الله تعالى في سورة الأنعام المكية، وللكافرين المتجبرين على المسلمين المستضعفين في سورة الأنفال المدنية، ولفرعون مدعي الألوهية نموذجاً مبرزا لعقابه القوي، ومن ثم لتوضيح حال المنافقين عند مواجهتهم للقتال وجزاءهم عند موتهم في سورتي الأحزاب ومحمد، وعذاب الكافرين حين خروج أرواحهم بالنزع غرقا في النازعات.
- **جاء سياق خروج روح المؤمن المقالي** بتعبيرات تشير لكرامة المؤمنين حال خروج أرواحهم بتثبيت الملائكة لهم، وبشارتهم لهم، ونشط أرواحهم بسهولة، حتى تكون تلك الأرواح مطمئنة راضية مرضية، مستحقة لرضوان الله تعالى ولجنته، **وجاء سياق خروج روح المؤمن المقامي** لكل السور المكية الواردة لبيان ثواب المؤمنين المتقين عند ربهم من لحظة خروج أرواحهم ما يشي بعظم ثوابهم عنده تعالى في الآخرة.

- **جاء سياق قبض الملك الموكل للروح المقالي** معبرا بفعل التوفية للروح ما يؤكد أداء ملك الموت لمهمته التي كلف بها، **وجاء السياق المقامي** لهذه السورة المكية تأكيدا على أن الموت هو أول منازل الآخرة، وأن الجزاء على الأعمال متحقق لا محالة.
- **جاء سياق حتمية الموت المقالي** معبرا عنه بفعل الفرار تصويرا لحال الكافرين مع الموت خوفا منه وجزعا، **وجاء السياق المقامي** للسورة المدنية واصفا حال اليهود - الزاعمين ولاية الله لهم - عند حضور الموت بالفرار منه إلا أنه واقع لكل نفس كتابا مؤجلا.
- **التوصية:** توصي الدراسة بدراسة بقية مراحل حياة الإنسان في الدار الآخرة في السياق القرآني من خلال الوقوف على الدراسات المقالية اللغوية المتعددة للسياق الداخلي للنصوص، والدراسات المقامية غير اللغوية وأنواع الخطابات الموجهة فيها في السياق الخارجي للنصوص.
- وفي الختام أسأل الله تعالى التوفيق والسداد فيما قدم من عمل فهو وحده حسبي ونعم الوكيل وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- إحميدات، أحمد، نظرية فيرث السياقية بين الأصالة والتجديد، مجلة الضاد، العدد ٢٠١٥م، الرابط:
- <https://ejournal.um.edu.my/index.php/aldaad/article/view/20952>
- الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، تحقيق: د. رياض قاسم، بيروت: دار المعرفة، ط١، ١٤٢٢ - ٢٠٠١.
- الأصفهاني، الراغب، المفردات في غريب القرآن، ضبطه وراجعته: محمد خليل عيتاني، بيروت: دار المعرفة، ط٢، ١٤٢٠ - ١٩٩٩.
- الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، قابلها على الطبعة المنيرية: محمد أحمد الأمد وعمر عبد السلام السلامي، بيروت: دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، ط١، ١٤٢٠ - ١٩٩٩.
- الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب، إعجاز القرآن، تحقيق: السيد أحمد صقر، القاهرة: دار المعارف، د.ط، د.ت.
- بالم، أف. آر، علم الدلالة، ترجمة: مجيد الماشطة، بغداد: وزارة التعليم والبحث العلمي، الجامعة المستنصرية، ١٩٨٥.
- الإمام البخاري، الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، الرياض: بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، د. ط، ١٤١٩ - ١٩٩٨.
- بشر، د. كمال، دراسات في علم اللغة، القاهرة: دار غريب، د.ط، ١٩٩٨.
- الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة، سنن الترمذي، بيروت - صيدا: المكتبة العصرية، ط١، ١٤٢٦ - ٢٠٠٦.
- جاكسون، رومان، قضايا الشعرية، ترجمة محمد الولي ومبارك حنون، الدار البيضاء: دار لوبقال للنشر، ط١، ١٩٨٨.

الجرجاني، الإمام عبد القاهر، دلائل الإعجاز في علم المعاني، صحح أصله الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية والأستاذ اللغوي المحدث الشيخ محمد محمود الركزي الشنقيطي، علق عليه: السيد محمد رشيد رضا، بيروت: دار المعرفة، ط٢، ١٤١٩ - ١٩٩٨.

جماعة من علماء التفسير، المختصر في تفسير القرآن الكريم، الرياض: مركز تفسير للدراسات القرآنية، ١٤٣٦.

ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط٢، ١٣٧١ - ١٩٥٢.

الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، جدة: علي نفقة السيد حسن عباس شربتلي، ط٢، ١٤٠٢ - ١٩٨٢.

حسان، د. تمام، مناهج البحث في اللغة، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، د.ط، ١٩٩٠.

أبو حيان، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي ت ٧٤٥ هـ، تفسير البحر المحيط، دراسة وتحقيق وتعليق: الشيخ عادل عبد الموجود والشيخ علي معوض، قرظته: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٣ - ١٩٩٣.

خرما، د. نايف، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، الكويت: عالم المعرفة، ١٩٧٨.

الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم، شرح رسالة بيان إعجاز القرآن، رواية أبي الحسن بن علي بن الحسن الفقيه السجزي، تأليف: د. عمر محمد باحاذق، دمشق، بيروت: دار المأمون للتراث، ط١، ١٤١٦ - ١٩٩٥.

الخولي، محمد علي، مدخل إلى علم اللغة، عمان: دار الفلاح، د.ط، ٢٠٠٠.
دراز، د. عبد الله، النبأ العظيم. نظرات جديدة في القرآن، قطر: إدارة إحياء التراث الإسلامي، د.ط، ١٤٠٥ - ١٩٨٥.

- تجليات السياق القرآني للحظة الموت الإنسانية الفارقة، د. أناهيد عبد الحميد جمال حريري
- دي سوسير، فرديناند، في علم اللسان العام، ترجمة: عبد القادر قنيني، مراجعة: أحمد حبيبي، أفريقيا الشرق، د.ط، ١٩٨٧.
- رضا، محمد رشيد، تفسير القرآن الحكيم المشتهر بتفسير المنار، القاهرة: منشى المنار، ط٢، ١٣٦٦-١٩٤٧.
- الزركشي، بدر الدين محمد بن بهادر بن أبي عبد الله الشافعي، البحر المحيط في أصول الفقه، قام بتحريه: د. عبد الستار أبو غدة، راجعه: الشيخ عبد القادر العاني، الغردقة- القاهرة: دار الصفوة، ط١٤١٣، ٢-١٩٩٢.
- الزخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر، أساس البلاغة، تحقيق: عبد الرحيم محمود، د.ط، بيروت: دار المعرفة، د.ت.
- الزخشري، محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، رتبه وضبطه وصححه: مصطفى حسين أحمد، بيروت: دار الكتاب العربي، د.ط، ١٣٦٦-١٩٤٧.
- السعدي، أبو عبد الله عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، اعتنى بها: د. محمد المرعشلي، قدم لها: فضيلة القاضي عبد الله عبد العزيز بن عقيل وفضيلة الشيخ محمد الصالح العثيمين والأستاذ عبد الرحمن بن معلا اللويحق، بيروت: دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، ط٢، ١٤٢١-٢٠٠١.
- السعران، د. محمود، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، القاهرة: دار الفكر العربي، ط١، د.ت.
- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط١٤٠٨، ٣-١٩٨٨.
- السيوطي، جلال الدين:
- تناسق الدرر في تناسب السور، تحقيق: عبد الله الدرويش، بيروت: عالم الكتب، م١٩٨٧.
- لباب النقول في أسباب النزول، بيروت: المكتبة العصرية، م١٩٩٩.

الشافعي، محمد بن إدريس الشافعي المطلبي، الرسالة، بخط الربيع بن سلمان، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، د.ن، د.ط، د.ت.

الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، راجعه وعلق عليه: الشيخ هشام البخاري والشيخ خضر عكاري، بيروت - صيدا: المكتبة العصرية والدار النموذجية، ط ١، ١٤١٨ - ١٩٩٧.

الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، بيروت: دار القرآن الكريم، ط ٣، ١٤٠٢ - ١٩٨١.

الطلحي، د. ردة الله بن ردة، دلالة السياق، رسالة دكتوراه، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ١٤٢٤..

ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر، التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور التونسي، بيروت: مؤسسة التاريخ، ط ١، ١٤٢٠ - ٢٠٠٠.

عبد الرحمن، د. عائشة، القرآن والتفسير العصري (هذا بلاغ للناس)، القاهرة: دار المعارف، ط ٣، ١٣٩٠ - ١٩٧٠.

عبد القادر، دايد، أثر السياق في ترجيح دلالة النص لدى الزمخشري، الكشاف أتمودجا، إشراف: أ.د. محمد ملياني، رسالة ماجستير بجامعة وهران، الجزائر، ٢٠١٧ - ٢٠١٨.

عمر، أحمد مختار، علم الدلالة، القاهرة: عالم الكتب، ط ٦، ١٤٢٧ - ٢٠٠٦. العيد، د. يعنى، تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي، بيروت: دار الفارابي، ط ٢، ١٩٩٩.

ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي، مقاييس اللغة، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٤٢٩ - ٢٠٠٨.

الفراهيدي، الخليل بن أحمد، معجم العين، ترتيب وتحقيق: عبد الحميد هندراوي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٤ - ٢٠٠٣.

فندرس، ج، اللغة، ترجمة: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، تقديم: فاطمة خليل، القاهرة: طبع بالهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ط ١، ٢٠١٤.

- تجليات السياق القرآني للحظة الموت الإنسانية الفارقة، د. أناهيد عبد الحميد جمال حريري
- القاضي، محمد، الخبو، محمد، السماوي، أحمد، الحمامي، محمد، عبيد، علي، منجوه، نور الدين، النصري، فتحي، ميهوب، محمد، معجم السرديات، تونس: دار محمد علي للنشر، لبنان: دار الفارابي - مؤسسة الانتشار العربي، الجزائر: دار تالة، مصر: دار العين، المغرب: دار الملتقى، ط ١٠، ٢٠١٠.
- القحطاني، د. سعيد علي وهف، شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة، راجعه الشيخ د. عبد الله الجبرين، ضمن سلسلة مؤلفات سعيد علي وهف القحطاني، د. ط، د. ت.
- لجنة القرآن والسنة في المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة، المنتخب في تفسير القرآن الكريم، الدوحة: دار الثقافة.
- مؤمن، أحمد، اللسانيات - النشأة والتطور، قسنطينة: ديوان المطبوعات الجامعية، ط ٥، ٢٠١٥.
- مبارك، د. مبارك، معجم المصطلحات الألسنية، بيروت: دار الفكر اللبناني، ط ١، ١٩٩٥.
- المرادي، الحسن بن قاسم، الجنى الداني في حروف المعاني، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١٤١٣، ١٩٩٢.
- مصطفى، إبراهيم، الزياد، أحمد حسن، عبد القادر، حامد، النجار، محمد علي، المعجم الوسيط، دار المعارف، القاهرة، د. ط، ١٤٠٠ - ١٩٨٠.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين بن منظور الأنصاري الرويفعي الأفريقي، لسان العرب، اعتنى بالطبعة وصححها: أمين عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي ط ٢، ١٤١٧ - ١٩٩٧.
- هلال، د. محمد غنيمي، المواقف الأدبية، القاهرة: نهضة مصر، د. ط، د. ت.

Bibliography

- The Glorious Quran.
- Ehmeidat, Ehmeed, Firth's Contextual Theory between Authenticity and Renewal, Al-Dad Magazine, Issue 2015, link: <https://ejournal.um.edu.my/index.php/aldaad/article/view/20952>.
- Al-Azhari, Abu Mansour Muhammad bin Ahmed, Tahdheeb Al-Lugha, investigation: d. Riyadh Kassem, Beirut: Dar Al-Maarifa, 1st edition, 1422 AH - 2001 AD.
- Al-Isfahani, Al-Raghib, Vocabulary in Gharib Al-Qur'an, tuning and reviewing it: Muhammad Khalil Itani, Beirut: Dar Al-Maarifa, 2nd edition, 1420 AH - 1999 AD.
- Al-Alusi, Abu al-Fadl Shihab al-Din al-Sayyid Mahmoud al-Alusi al-Baghdadi, The Spirit of Meanings in the Interpretation of the Great Qur'an and the Seven Muthani, met with it on the Muniriya edition: Muhammad Ahmad al-Amd and Omar Abd al-Salam al-Salami, Beirut: The Arab Heritage Revival House and the Arab History Foundation, 1st edition, 1420 AH - 1999 AD.
- Al-Baqlani, Abu Bakr Muhammad ibn al-Tayyib, The Miracle of the Qur'an, investigation: Al-Sayyid Ahmed Saqr, Cairo: Dar Al-Ma'arif, Dr. I, Dr. T.
- Palmer, F. R, Semantics, translated by: Mujbad Al-Mashata, Baghdad: Ministry of Education and Scientific Research, Al-Mustansiriya University, 1985 AD.
- Imam Al-Bukhari, Al-Hafiz Abi Abdullah Muhammad Bin Ismail, Sahih Al-Bukhari, Riyadh: House of International Ideas for Publishing and Distribution, d. I, 1419 AH - 1998 AD.
- Besher, d. Kamal, Studies in Linguistics, Cairo: Dar Gharib, Dr. I, 1998.
- Al-Tirmidhi, Muhammad bin Issa bin Surah, Sunan Al-Tirmidhi, Beirut - Saida: Al-Makatbah Al-Asriyyah, 1st edition, 1426 AH, 2006 AD.
- Jacobson, Roman, Cases of Poetry, translated by Muhammad Al-Wali and Mubarak Hanoun, Casablanca: Dar Lubqal Publishing, 1st edition, 1988 AD.
- Al-Jurjani, Imam Abd al-Qaher, Evidence of Miracles in the Science of Meanings, corrected by the Imam, Sheikh Muhammad Abduh, the Mufti of Egypt, and the modern linguist, Sheikh Muhammad Mahmoud al-Rakzi al-Shanqeeti, commented on by: Sayyid Muhammad Rashid Reda, Beirut: Dar al-Ma'rifah, 2nd edition, 1419 AH - 1998 AD.
- A group of scholars of interpretation, the summary of the interpretation of the Noble Qur'an, Riyadh: Interpretation Center for Qur'anic Studies, 1436 AH.

- Ibn Jinni, Abul-Fath Othman bin Jinni Al-Mawsili, Al-Khasa'is, investigation: Muhammad Ali Al-Najjar, Cairo: The Egyptian Book House, 2nd Edition, 1371 AH - 1952 A.
- Al-Gohary, Ismail bin Hammad, Al-Sihah, investigation: Ahmed Abdel Ghafour Attar, Jeddah: at the expense of Mr. Hassan Abbas Sharbatly, 2nd edition, 1402 AH - 1982 AD.
- Hassan, Dr. Tammam, Research Methods in Language, Cairo: The Anglo Egyptian Bookshop, Dr. I, 1990 AD.
- Abu Hayyan, Muhammad ibn Yusuf, famous for Abu Hayyan al-Andalusi, 745 AH, Tafsir al-Bahr al-Muhit, study, investigation and commentary: Sheikh Adel Abdul Mawjud and Sheikh Ali Moawad, Qardah: Professor Dr., 1993 AD.
- Kharna, Dr. Nayef, Lights on Contemporary Linguistic Studies, Kuwait: The World of Knowledge, 1978.
- Al-Khattabi, Abu Suleiman Hamad bin Muhammad bin Ibrahim, explaining the message of the statement of the miraculousness of the Qur'an, narrated by Abi al-Hasan bin Ali bin al-Hasan al-Faqih al-Sijzi, authored by: Dr. Omar Muhammad Bahazek, Damascus, Beirut: Dar - Al-Ma'moun for Heritage, 1st edition, 1416 AH - 1995 AD.
- Al-Khouli, Muhammad Ali, Introduction to Linguistics, Amman: Dar Al-Falah, Dr. I, 2000 AD.
- Daraz, Dr. Abdullah, great news. New Looks in the Qur'an, Qatar: Department of Revival of Islamic Heritage, Dr. I, 1405 AH - 1985 AD.
- De Saussure, Ferdinand, in General Linguistics, translated by: Abdel Qader Qenini, reviewed by: Ahmed Habibi, East Africa, Dr. I, 1987 AD.
- Reda, Muhammad Rashid, Interpretation of the Holy Qur'an, which is famous for the interpretation of Al-Manar, Cairo: Manshe Al-Manar, 2nd edition, 1366 AH - 1947 AD.
- Al-Zarkashi, Badr al-Din Muhammad ibn Bahadur ibn Abi Abdullah al-Shafi'i, Al-Bahr al-Muhit fi Usul al-Fiqh, edited by: Dr. Abdul Sattar Abu Ghuddah, reviewed by: Sheikh Abdul Qadir Al-Ani, Hurghada - Cairo: Dar Al-Safwa, 2nd edition, 1413 AH - 1992 AD.
- Al-Zamakhshari, Jarallah Abu Al-Qasim Mahmoud bin Omar, Basis of Eloquence, investigation: Abdel-Rahim Mahmoud, d.i., Beirut: Dar al-Ma'rifah, d.t.
- Al-Zamakhshari, Mahmoud bin Omar, The Scout for the Realities of the Obscure Revelation and the Eyes of Sayings in the Faces of Interpretation, arranged, controlled and corrected by: Mustafa Hussein Ahmed, Beirut: Dar Al-Kitab Al-Arabi, Dr. I, 1366 AH, 1947 AD.
- Al-Saadi, Abu Abdullah Abd al-Rahman bin Nasser bin Abdullah bin Nasser, Tayseer al-Karim al-Rahman in the interpretation of the words of al-Manan, taken care of by: Dr. Muhammad Al-Mar'aashli, presented to it by: His Eminence Judge Abdullah

- Abdul Aziz Bin Aqeel, His Eminence Sheikh Muhammad Al-Saleh Al-Othaymeen, and Professor Abdul Rahman Bin Mualla Al-Luwehaq, Beirut: Dar Revival of Arab Heritage, Arab History Foundation, 2nd edition, 1421 AH - 2001 AD.
- Al-Saran, Dr. Mahmoud, Linguistics Introduction to the Arab Reader, Cairo: Dar Al-Fikr Al-Arabi, 1st Edition, Dr.T.
- Sibawayh, Abu Bishr Amr bin Othman bin Qanbar, the book, investigation and explanation: Abd al-Salam Harun, Cairo: Al-Khanji Library, 3rd edition, 1408 AH - 1988 AD.
- Al-Suyuti, Jalal Al-Din: Harmony of Pearls in the Compatibility of Surahs, investigation: Abd AH Al-Darwish, Beirut: World of Books, 1987 AD.
- Bab al-Naqul fi Asbab al-Nuzul, Beirut: The Modern Library, 1999 AD.
- Al-Shafi'i, Muhammad bin Idris Al-Shafi'i Al-Muttalibi, Al-Risala, - Al-Risala on the origin of Al-Rabee bin Salman's, investigation and explanation: Ahmed Muhammad Shaker, d.n., d.i., d. T.
- Al-Shawkani, Muhammad bin Ali bin Muhammad, Fath al-Qadeer, the mosque between the art of narration and know-how from the science of interpretation, reviewed and commented on by: Sheikh Hisham Al-Bukhari and Sheikh Khader Akkari, Beirut - Sidon: The Modern Library and the Model House, 1st edition, 1418 AH - 1997 AD.
- Al-Sabouni, Durat Ali, Safwat Al-Tafseer, Beirut: Dar Al-Qur'an Al-Kareem, 3rd edition, 1402 AH - 1981 AD.
- Al-Talhi, Dr. Rada Allah Bin Rada, Significance of the Context, PhD thesis, Makkah Al-Mukarramah: Umm Al-Qura University, 1424 AH.
- Ibn Ashour, Muhammad al-Tahir bin Muhammad bin Muhammad al-Taher, Tahrir wa al-Tanweer, known as the interpretation of Ibn Ashour al-Tunisi, Beirut: Foundation for History, 1420 AH - 2000 CE.
- Abdul Rahman, Dr. Aisha, The Qur'an and Modern Interpretation (This is a message to the people), Cairo: Dar Al-Ma'arif, 3rd edition, 1390AH-1970AD.
- Abdel-Qader, Daed, The Impact of the Context on Preferring the Significance of the Text according to Al-Zamakhshari, Al-Kashshaf as a model, supervised by: Prof. Dr. Mohamed Meliani, MA Thesis, University of Oran, Algeria, 2017-2018.
- Omar, Ahmed Mukhtar, Semantics, Cairo: World of Books, 6th edition, 1427 AH - 2006 AD.
- Eid, d. Youmna, Narrative Techniques in Light of the Structural Approach, Beirut: Dar Al-Farabi, 2nd edition, 1999 AD.
- Ibn Faris, Abu al-Hussein Ahmad bin Faris bin Zakariya al-Razi, Standards of Language, footnotes: Ibrahim Shams al-Din, Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 2nd edition, 1429 AH-2008 CE.

- Al-Farahidi, Al-Khalil bin Ahmed, Al-Ain Dictionary, arranged and verified by: Abdul Hamid Hindawi, Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiya, 1st edition, 1424 AH - 2003 AD.
- Wendros, C, Language, translated by: Abdel Hamid Al-Dawakhli and Muhammad Al-Qassas, presented by: Fatima Khalil, Cairo: printed by the General Authority for Amiri Press Affairs, 1st edition, 2014 AD.
- Al-Qadi, Muhammad, Al-Khabu, Muhammad, Al-Samawi, Ahmed, Al-Hamami, Muhammad, Ubaid, Ali, Manjuh, Nouredine, Al-Nasri, Fathi, Mihoub, Muhammad, The Dictionary of Narratives, Tunisia: Dar Muhammad Ali for Publishing, Lebanon: Dar Al-Farabi - Foundation the Arab Expansion, Algeria: Dar Tala, Egypt: Dar Al-Ain, Morocco: Dar Al-Multaqa, 1st edition, 2010 AD.
- Al-Qahtani, Dr. Saeed Ali Wahf, Explanation of the Most Beautiful Names of God in the Light of the Book and the Sunnah, reviewed by Sheikh Dr. Abdullah Al-Jibreen, within the series of books by Saeed Ali Wahf Al-Qahtani, Dr. I, Dr. T.
- The Committee of the Qur'an and Sunnah in the Supreme Council for Islamic Affairs in Cairo, elected in the interpretation of the Holy Qur'an, Doha: House of Culture.
- Moamen, Ahmed, Linguistics - Emergence and Development, Constantine: University Press Office, 5th edition, 2015 AD.
- Mubarak, Dr. Mubarak, A Dictionary of Linguistic Terms, Beirut: The Lebanese House of Thought, 1st edition, 1995 AD.
- Al-Moradi, Al-Hassan bin Qasim, Al-Jana Al-Dani in the letters of meanings, Beirut: Dar Al-Kutub Al-Alami, 1st edition, 1413 AH - 1992 AD.
- Mustafa, Ibrahim, Al-Zayyat, Ahmed Hassan, Abdel-Qader, Hamed, Al-Najjar, Muhammad Ali, Al-Mojam Al-Waseet, Dar Al-Maarif, Cairo, Dr. I, 1400 AH - 1980 AD.
- Ibn Manzoor, Muhammad bin Makram bin Ali Abu al-Fadl Jamal al-Din bin Manzoor al-Ansari al-Ruwaifi'i al-Afriqi, Lisan al-Arab, took care of the edition and corrected it: Amin Abd al-Wahhab and Muhammad al-Sadiq al-Ubaidi, Beirut: Dar Revival of Arab Heritage, Foundation for Arab History, 2nd edition, 1417 AH - 1997 AD.
- Hilal, Dr. Muhammad Ghoneimi, Literary Positions, Cairo: The Renaissance of Egypt, Dr. I, Dr. T.
- Ramzi Munir Baal Baki, Dictionary of linguistic, terms, Dar El- Ilm Lilmalayin, Bierut, 1990, P119.

إيجاز الإطناب

(مناقدة بلاغية ومحاكمة عقلية)

Brevity of Redundancy (*EIJAZ AL-ETNAB*)
A rational trial and rhetorical criticism.

د. هاني بن عبيد الله الصاعدي

أستاذ مساعد بقسم البلاغة والنقد بجامعة أم القرى

البريد الإلكتروني: haniaaadi@gmail.com

المستخلص

تقوم هذه الدراسة على إعادة النظر في مقرر من مقررات البلاغيين، وهو تقسيم الكلام إلى إيجاز ومساواة وإطناب، وتقويمه من خلال (إيجاز الإطناب)، النوع الذي نبت مبكراً في المدونة البلاغية لدى أوائل البلاغيين الذين كانوا على مقربة من النصوص الأدبية في تأسيسهم للأصول البلاغية، ولكنه خفت ضوؤه وذاب أثره منذ أن سطع التقسيم الثلاثي المشهور في الدرس البلاغي، اللهم إلا من أفراد من البلاغيين المحدثين الذين أعادوا كرة الانطلاق من النصوص في التأسيس والتحليل والتقويم، فوصل بعضهم إلى هذا النوع دون أن يستحضر مقولات تراثية أو يركز على رؤية مسبقة، وهذا مما يؤهل هذا النوع للوقف المتأمل المتأنية، برصد مقولاته وتحديد معالمه، ومحكمته محكمة عقلية، ومناقدته مناقدة بلاغية، وتحليل بعض شواهد تحليلياً يستجلي مكان الإيجاز في الإطناب.

Abstract

This study focused on reconsidering one of the syllabus of the rhetoricians, which is the division of speech into brevity, equality and redundancy, its evaluation through (brevity of redundancy), the type that early grew in the rhetorical code of the early rhetoricians that were close to literary texts in their foundation of rhetorical principles, however, its light has been dimmed and its effect has been melted since the famous triple division in the rhetorical lesson became visible, except for some of the modern rhetoricians who repeated the starting ball of the texts in foundation, analysis and evaluation. Some of them reached this type without invoking traditional sayings or based on a prior vision, this qualifies this type for a careful contemplative stance, by monitoring its statements and defining its features, judging it a rational trial, criticizing it with rhetorical criticism, analyzing some of its evidence in an analysis that reveals the sources of brevity in exaggeration. What qualifies this type for a contemplative and careful pause, by monitoring his statements, defining his features, trying him a rational trial, criticizing him rhetorically, and analyzing some of his evidence in an analysis that reveals the reasons for brevity in redundancy.

المقدمة

الحمد لله منشئ الأكوان على أكمل نظام، منزل القرآن على طريقة الإيجاز والتبيان، والصلاة والسلام على أفضل إمام، من أعطي جوامع الكلام، وأوتي الحكمة والحجة والبرهان، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان.

وبعد؛ فالشذرة من التراث قد يمضي عليها قرون تقرأ وتنسخ وتنقل دون أن تُستنطق، أو يقفَ معها الفكر متسائلاً، وقد تتعاقب العقول على تقليب ما حولها مما قُرب منها أو بَعُد، لمجرد أن السلف - رحمهم الله - أطنبوا القول فيها، وأداروا فيها وجوه النظر، تاركةً تلك الشذرات على إيجازها، أو متغافلة عنها، ظناً أن ليس من ورائها كبيرٌ معنى، أو لعوامل أخرى يدركها قراء التراث ودارسوه، وقد يكون من نفاسة بعض تلك الشذرات أنك ترى لها صدى ما في تحريرات جهابذة المتأخرين، ولا تعلم على وجه اليقين أهى من قبيل الاستلهام والامتداد؟ أم هي من وقع الحافر على الحافر؟

ذلك ما ينطبق على "إيجاز الإطناب" في مساريه التاريخي والعلمي، فكانت هذه الدراسة التي تحاول أن تسقي تلك البذرة لتكون شجرة وارفة الظلال، وتُعيد النظر من خلالها في بناء (باب الإيجاز والمساواة والإطناب)، ولها هدفان تسعى في تحقيقهما:

الأول: إبراز "إيجاز الإطناب"، وتحديد معالمه، من مقولاته التأسيسية في كلام أوائل البلاغيين، ومقولاته التعزيزية في كلام من خلفهم من متأخري البلاغيين، والمحررين من المعاصرين.

الثاني: محاكمة "إيجاز الإطناب" محاكمة عقلية، ومناقدته مناقدة بلاغية، استناداً إلى النصوص البيانية، والمقولات التراثية، والشواهد البليغة.

وتُدار الدراسة في معالجتها على أربعة مطالب:

المطلب الأول: مقولات التأسيس.

المطلب الثاني: مقولات التعزيز.

المطلب الثالث: محاكمة عقلية ومناقدة بلاغية.

المطلب الرابع: شواهد بليغة.

وتتبع الدراسة المنهج الاستقرائي في جمع المادة، والوصفي التحليلي في تحليل المقولات والشواهد.

وقد آثرتُ تسمية الدراسة باسم المطلب الثالث؛ لأنَّه منار الدراسة وخلاصتها، وفوق ذلك اقتداءً بالكتاب العظيم في تسمية سُوره ببعض موضوعاتها. ومن الله أستمد العون، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه ومن تبعه.

المطلب الأول: مقولات التأسيس

لدى واحد من أوائل من قنن الإيجاز، وحدد أقسامه، وأكثر من ذكر شواهد ومزايه، وكان لمقرراته ولفتاته صدى واسع في التراث البلاغي، وهو أبو الحسن علي بن عيسى الرّماني (٣٨٦هـ)، انبثقت أول إشارة مؤسّسة - فيما نعلم - إلى (إيجاز الإطناب)، فقد ختم باب (الإيجاز) بقوله: "وإذا كان الإطناب لا منزلة إلا ويحسن أكثر منها فالإطناب حينئذ إيجاز، كصفة ما يستحقه الله تعالى من الشكر على نعمه، فإطناب فيه إيجاز"^(١).

جاءت هذه العبارة متممة لمسألة عدم التعالق بين طول الكلام وفوات الإيجاز، فقد يكون الكلام طويلاً ويكون مع ذلك في غاية الإيجاز، فليس الإيجاز عند الرماني ملازماً لقصر الكلام وقلة عدد ألفاظه، والعبارة بما وراء كل لفظة وكل عبارة من معانٍ ودلالات، كما أن العبارة بمطابقة ذلك لغرض الكلام وما يمليه المقام، وهذا ما قرّره الجاحظ قبل الرّماني، يقول: "والإيجاز ليس يُعنى به قلّة عدد الحروف واللفظ، وقد يكونُ البابُ من الكلام مَنْ أتى عليه فيما يسعُ بطن طومارٍ فقد أوجز"^(٢).

وهذا مبنيٌّ على أن المعيار في تحديد الإيجاز ليس هي القلّة كما نصّ عليه تعريف الرماني للإيجاز، حيث عرّفه بأنه: تقليل الكلام من غير إخلال بالمعنى، وأعقبه بتأكيد أنه إذا كان المعنى يمكن أن يعبر عنه بألفاظٍ كثيرة، ويمكن أن يعبر عنه بألفاظ قليلة، فالألفاظ القليلة إيجاز^(٣)، فهذه عبارة صريحة بأنّ قلة الألفاظ شرطٌ في تحقيق الإيجاز، وهو ما يأتي على كلام الرماني في (إطناب الإيجاز) بالنقض، فكيف يكون الإطناب الذي هو على حدّ تعريف الرماني: تفصيل المعنى وما يتعلق به^(٤)،

(١) النكت في إعجاز القرآن، ص ٨٠.

(٢) الحيوان، ١ / ٩١. والطومار والطامور: الصحيفة، جمعه طوامير.

(٣) النكت في إعجاز القرآن، ص ٧٦.

(٤) السابق، ص ٧٩.

وإطالة الكلام في البيان عن المعاني المختلفة، والكلام الذي كلما أطنبت فيه زاده الإطناب حسناً، يكون كل ذلك مشتملاً على إيجاز؟
والإجابة عن هذا أن الإيجاز لدى الرّماني، وكذلك لدى الجاحظ، وفي الوعي البياني التراثي هو جوهر البلاغة ومناطق الاستحسان، وهو الذي يستوعب نواحي الحسن وجهات الاستحسان كلّها، فالبيان يمدح باختزاله للمعاني الكثيرة، ويمدح بإحكامه مع كثرة إشاراتِهِ وخصوبته وثراء دلالاته، ولذلك قالوا: البلاغة الإيجاز^(١)، فالإيجاز بهذا المفهوم لا يفارق الكلام العالي، سواء في مواضع اختصاره وتركيزه أو في مواضع إجماله وتفصيله، ومن ثمّ لا تضادّ بين الإيجاز والإطناب، يمكن أن يمتدّ الكلام ويُطنب وهو في غاية الإيجاز إذا نُظر إليه من جهة ارتباطه بسياقه، ووفائه بغرضه، لا من جهة مقداره طولاً وقصراً بالنسبة لغيره، فهذا معيار يُفرض على النصّ من خارجه.

وهذا التأويل هو مدخل الإيجاز في الإطناب عند الرّماني، فإنه جعل الإيجاز ضمن أقسام البلاغة التي يظهر من خلالها الإعجاز، ولم يذكر الإطناب إلا على سبيل المقابلة الموضّحة للإيجاز، ذكرها في أثناء حديثه عن الإيجاز، ثم ربط الإيجاز بدلالته على المعاني الكثيرة، ثم لفت إلى بلاغة الإطناب في موضعه، فقال: "فإنّ لكل واحد من الإيجاز والإطناب موضعاً يكون به أولى من الآخر"^(٢)، ثم ختم بعدما أشار إلى أن الإيجاز هو: "البيان عن المعنى بأقلّ ما يمكن من الألفاظ"، وأنه "إظهار المعنى الكثير باللفظ اليسير"، فأشار إلى أنه "قد يطول الكلام في البيان عن المعاني المختلفة وهو مع ذلك في نهاية الإيجاز"، و"قد" في هذا النصّ تُفيد التقليل، مما يشير إلى هذا النوع عزيز وصعب، ونصّه على "المعاني المختلفة" لأنه يرى أن الإيجاز والإكثار إنما يكونان في المعنى الواحد؛ ولهذا وذاك لا يبعد أن يكون مقصوده بذلك القرآن. يضاف إلى كلّ ذلك أن الرّماني مثل على "إيجاز الإطناب" بصفة ما يستحقّه

(١) ينظر: الصناعتين، ص ١٥٧.

(٢) النكت في إعجاز القرآن، ص ٧٩.

إيجاز الإطناب (مناقدة بلاغية ومحكمة عقلية)، د. هاني بن عبيد الله الصاعدي

الله سبحانه من الشكر على نعمه، فمهما أطنب البليغ في هذا الغرض قصّر عن الوفاء بسعة معانيه، وحقّ أن يوصف كلامه بالإطناب المتضمن للإيجاز، واستشهاده بهذا الغرض لتمثّل هذا النوع فيه تمثلاً صريحاً ومُطَرِّداً، فمهما امتدّ الكلام البليغ في مضماره قصّر عن الوفاء بسعة معانيه أو الوصول إلى سواحلها.

وعبارة الرماني: "إطنابٌ فيه إيجاز" تشير إلى أنّ صورته الظاهرية صورة

الإطناب، ونظامه الداخلي نظام الإيجاز.

ويمكن أن تستخلص معالم "إيجاز الإطناب" عند الرماني في:

الأول: يكتسب هذا النوع قيمته من قيمة الإيجاز، والذي هو من أبرز أقسام

البلاغة التي يظهر من خلالها الإعجاز.

الثاني: يبرز هذا النوع من اعتبار أغراض الكلام ومقاماته، وليس بشيء خارج

عن ذلك.

الثالث: اقتصار هذا النوع على التعبير عن المعاني المختلفة، وامتدادتها في الكلام

البليغ.

وبعد الرماني تلقى أبا هلال العسكري (٣٩٥هـ) في كتابه (الصناعتين)، فوجد

عنده ما تنطبق عليه حقيقة (إيجاز الإطناب)^(١)، حيث يقول: "والإطناب إذا لم يكن

منه بدٌّ إيجاز، وهو في المواعظ خاصّة محمود، كما أن الإيجاز في الإفهام محمود ممدوح"

(١) بنيتُ العبارة على العندية التي تدلّ على نسبة القول للكتاب، سواء كان من مقول مؤلّفه أو

من منقوله؛ إذ لا نستطيع التمييز بين هذا وذاك، ورغم أن الدكتور إحسان عباس يؤكّد أن

كتاب (الصناعتين) ليس لأبي هلال فيه إلا تنسيق المادة وترتيبها في فصول والاستكثار من

الأمثلة، ويذكر أن من يعرف مصادر النقد الأدبي معرفة وثيقة يستطيع أن يردّ كل رأي في

هذا الكتاب إلى مصدر سابق. ينظر: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص ٣٤٧ - ٣٤٨.

ولا يضير في هذا المقام عدم التحقق من صحة نسبة القول لصاحبه ما دام أنه يتنسب

لمصادر النقد في ذلك العصر المؤسّس لكثير من قضايا النقد وقواعد البلاغة.

(١)، ويقول: "وَوَجَدْنَا النَّاسَ إِذَا خَطَبُوا فِي الصُّلْحِ بَيْنَ الْعَشَائِرِ أَطَالُوا، وَإِذَا أَنْشَدُوا الشُّعْرَ بَيْنَ السِّمَاطَيْنِ فِي مَدِيحِ الْمَلُوكِ أَطْنَبُوا، وَالْإِطَالَةُ وَالْإِطْنَابُ فِي هَذِهِ الْمَوَاضِعِ إِيجَازٌ" (٢).

وأول ما نلاحظه أن أبا هلال العسكري أفرد فصلين، فصلًا للإيجاز وفصلًا للإطناب، وأورد فيهما ما لكلٍ من مزايا ومقامات وشواهد بليغة، وأن هاتين المقولتين وردتا في سياق حديثه عن الإطناب، مما يدل أن أساس هذا النوع عنده وظاهر صورته هو الإطناب، وهو بيّن أيضاً من صياغة العبارتين، وهذا بخلاف سياقه عند الرُّماني. والمقولة الأولى جاءت عقب نقلٍ للخليل بن أحمد يقول فيه: يختصر الكتاب ليحفظ، ويبسط ليفهم، وقولٍ لأبي عمرو عندما سُئل: هل كانت العرب تطيل؟ قال: نعم؛ كانت تُطيل ليُسمع منها، وتُوجز ليحفظ عنها (٣).

فسياقها سياق الاختيار بين التطويل والإيجاز، وأن لكلٍ واحد منهما مقاصده ومقتضياته عند العرب، وكأنَّ سؤالاً انقذ في ذهن القارئ: إذا تعدّر الإيجاز ولم يكن لأداء المعنى إلا التطويل والإطناب، فماذا يسمى هذا النوع؟ فتأتي الإجابة: "والإطناب إذا لم يكن منه بُدُّ إيجاز".

وهذا هو أول ملامح "إيجاز الإطناب" عند أبي هلال، وهو أنه إذا يكن لأداء المعنى بتمامه وكماله، وعلى بلاغة وافية إلا طريق الإطناب فالإطناب حينئذٍ إيجاز، حتى مع وجود ملامح الإطناب الخالصة كالتكرير مثلاً، وإلى هذا أشار أبو هلال بشاهده الذي ساقه في غرض الموعظة، وهو قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿١٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ (الأعراف: ٩٧ - ٩٩)، علّق

(١) الصناعتين، ص ١٧٢.

(٢) السابق، ص ١٧٣.

(٣) ينظر: السابق، ص ١٧٢.

إيجاز الإطناب (مناقدة بلاغية ومحكمة عقلية)، د. هاني بن عبيد الله الصاعدي

عليه بقوله: "فتكرير ما كرّر من الألفاظ هاهنا في غاية حسن الموقع"^(١).
وكأن للإطناب مستويين: مستوى يقتضيه المقام ويحسن به المعنى ويدعو إليه الغرض، فإذا انتحي بالعبارة في هذا المستوى إلى الإيجاز ظلّ المعنى وقصّر عن أداء الغرض، فليست إمكانية الإيجاز هاهنا بمؤهلة له لحيازة البلاغة، وهذا هو الإطناب الحسن، والخالص، والمقابل للإيجاز، والذي يفسر به أبو هلال مقولات البلغاء في استحسانه، فيقول: "فهذا يدلُّك على أن الإطناب في موضعه عندهم مُستحسن، كما أن الإيجاز في مكانه مستحب"^(٢).

ومستوى آخر أرفع، وهو عندما يتعذر الإتيان بطريق الإيجاز، ويكون طريق الإطناب هو السبيل الوحيد لأداء المعنى بالنسبة للبلّغ، وفي هذا المستوى يلتقي الإطناب مع الإيجاز في حسن مواجهة الألفاظ للمعاني، وتكرير الألفاظ حينئذٍ. وهو أبرز معالم الإطناب. يحمل دلالة أساسية في الكلام، والاستغناء عنه لا ينقص من بلاغة الكلام، وإنما يفوت غرضه، ويسقطه من منزلة البلاغة، وربما قيل هذا في كلّ إطناب وافقت زيادته في الألفاظ معاني من صلب الغرض، وذلك خاصّة في المقامات التي تقتضي إطناباً، كمقام خطبة الصُّلح، ومقام مديح الملوك، وهذا ما يشير إليه أبو هلال بقوله: "ووجدنا الناس إذا خطبوا في الصُّلح بين العشائر أطالوا، وإذا أنشدوا الشُّعر بين السِّمّاطين في مديح الملوك أطنّبوا، والإطالة والإطناب في هذه المواضع إيجاز"^(٣).

ومما يفهم من هذه العبارة أن الإطناب في هذه المقامات يكتسب خصوصية الإيجاز، ليس في أن كل لفظة يظنُّ أنها زائدة تحمل وراءها معنى، كما هو الإطناب في أصله وحقيقته، وإنما في أن وراء كل لفظة معنى أساسياً يصبُّ في مصبِّ الغرض

(١) السابق، ص ١٧٢.

(٢) السابق، ص ١٧٥.

(٣) السابق، ص ١٧٣. هذه العبارة دون آخرها هي للجاحظ في كتابه (الحيوان) كما سيأتي نقله

في المحور الثالث.

رأساً، وهذه هي طبيعة الإيجاز في أصله وجوهره، خصوصاً ما يسمى إيجاز القصر .
ومما سبق يتبين أن معالم إيجاز الإطناب عند أبي هلال تتمحور حول:
الأول: أن "إيجاز الإطناب" يكتسب خصوصيته من مزية الإطناب، في استحالة معانيه الزائدة معاني أساسية تخدم الغرض رأساً.
الثاني: يستمد "إيجاز الإطناب" وجوده من تعدد بناء الكلام على الإيجاز الخالص في بعض المقامات.

الثالث: تميّز هذا النوع لمقامات معينة، تكون البلاغة فيها حيث يكون الإطناب مشوباً بالإيجاز، والإيجاز مشوباً بالإطناب.

المطلب الثاني: مقولات التعزيز

لم تلق تلك الإشارات المؤسسة صدى في التراث البلاغي والنقدي، وتجاوزتها المصادر الأساسية، إلى أن استقرّ التقسيم الثلاثي في الدرس البلاغي، وأخذ به دون ما تعلّق به من تلك الإشارات التي أتت على سواحل هذا التقسيم، وبوحي من النصوص الرفيعة، فاختلف في هذا النوع عند السكاكي وأصحابه، وبُنيت مقرراتهم على أنّ الكلام إما إيجاز وإما مساواة وإما إطناب، أخذاً من كلام سلفهم بما يخضع للتقعيد، ويستجيب للمقتضى العقلي، ولكن السكاكي (٦٢٦هـ) بدقته في متابعة الأساليب لمسّ لمسّة داعمة على ما يصحّ أن يُعدّ أساس المزية في "إيجاز الإطناب"، عند مناقشته لأسلوب نعم وبئس، فقد فسح للناظر أن يُعدّ باب "نعم وبئس" موضوعاً على الإطناب، مع أنّ فيه حذفاً ظاهراً، قال: "ولك أن تعدّ باب "نعم وبئس" موضوعاً على الإطناب، إذ لو أريد الاختصار لكفى: نعم زيد، وبئس عمرو، وأن تجعل الحكمة في ذلك توخي تقرير المدح والذم، لاقتضائهما مزيد التقرير، لكونهما للمدح والذم العام الشائعين في كل خصلة محمودة ومذمومة المستبعد تحققهما، وهو أن يشيع كون الحمود محموداً في خصال الحمد، وكون المذموم مذموماً في خلافها، وتعمل وجه التقرير الجمع بين طرفي الإجمال والتفصيل، ألا تراك إذا قلت: نعم الرجل، مريداً باللام الجنس دون العهد، كيف تُوجّه المدح إلى زيد أولاً، على سبيل الإجمال، لكونه من أفراد ذلك الجنس، وإذا قلت: نعم رجلاً، فأضمرته من غير

إيجاز الإطناب (مناقدة بلاغية ومحكمة عقلية)، د. هاني بن عبيد الله الصاعدي

ذكر له سابق وفسرته باسم جنسه، ثم إذا قلت: زيد، كيف توجهه إليه ثانياً على سبيل التفصيل" (١).

ومحلّ الشاهد من هذا الكلام أنّ أسلوب "نعم وبئس" في العربية مبنيّ على الجمع بين الإجمال والتفصيل، الإجمال في ذكر العام "الرجل" أو "رجلاً"، ثم التفصيل والإيضاح بذكر مميّزه وفاعله في المعنى "زيد"، فيكون الممدوح قد مُدح مرتين، مرة بإجمال مع أفراد جنسه، ومرة بتفصيل مع تخصيصه، ولذلك يسمى المخصوص بالمدح، وهذا وجه الإطناب فيه.

وهذا مراد السكاكي بعدّ هذا الأسلوب محمولاً على الإطناب، خصوصاً أنّ الفعل لم يباشر الفاعل الحقيقي، فتقول: نعم زيد، ولو كان كذلك لكان من قبيل الاختصار، ولكن الاختصار جاءه من جهة أخرى كما يقول السكاكي: "وفيه اختصارٌ من جهة، وهو ترك المبتدأ في الجواب، ولا يخفى حُسن موقعه ولو لم يكن فيه شيء سوى أنه يُبرز الكلام في معرض الاعتدال نظراً إلى إطنابه من وجه، وإلى اختصاره من آخر، أو إبهامه الجمع بين المتنافيين، مثله في جمعه بين الإجمال والتفصيل، فمبنى السّحر الكلامي الذي يقرع سمعك على أمثال ذلك، لكفى" (٢).

فحذف المبتدأ من جملة المخصوص، جعلت العبارة مبنية على الإيجاز من جهة آخرها كما هي مبنية على الإطناب من جهة أولها، وهذه مزيةٌ أن ترى العبارة في معرض الاعتدال بين أسلوبين متقابلين، مما يجعل له أثر السّحر الذي يخاتل الحسّ ويؤثر في النفس، بما له من بداعة وغرابة في إيهام الجمع بين المتنافيين، "ولا شك أنّ إيهام الجمع بين المتنافيين من الأمور المستغربة التي تستلذُّ بها النفس" (٣).

فهذه إشارة إلى مزية يتال منها "إيجاز الإطناب" أوفر نصيب، بغضّ النظر عن دخول الأسلوب المشار في "إيجاز الإطناب" من عدمه، فالسكاكي وأصحابه تغافلوا

(١) مفتاح العلوم، ص ٢٨٣.

(٢) السابق، ص ٢٨٤.

(٣) مختصر المعاني، ص ٢٣٤ - ٢٣٥.

عن هذا النوع، وربما هذه هي الإشارة الوحيدة التي يمكن الاعتداد بها في سياق الدلالة على أنهم تغافلوا عنه ولم يغفلوا عنه، اكتفاءً بما اتضحت فيه الرؤية، وقارب جهة التحقيق والتقنين.

ثم نأتي إلى العصر الحديث ويشرع محمد عبد الله دراز في مراجعة تقسيم الكلام إلى إيجاز وإطناب ومساواة، من خلال ما رآه ماثلاً في بلاغة القرآن، من أنه إيجاز كلاً، " يستوي فيها مواضع إجماله التي يسميها الناس مقام الإيجاز، ومواضع تفصيله التي يسمونها مقام الإطناب"^(١).

وهذا رأي لم يسبق أن صرح به أحد فيما نعلم، فالشائع بحسب مقاييس البلاغة المستقرة أن القرآن يحوي الأقسام الثلاثة، فيه إيجاز، وفيه إطناب، وفيه مساواة، وكثر استشهاد البلاغيين بالقرآن على ذلك، ولكن دراز يرى غير ذلك، يرى أن القرآن "يستثمر دائماً برفق أقل ما يمكن من اللفظ في توليد أكثر ما يمكن من المعاني"^(٢)، وهذه الفكرة فكرة أساسية لدى دراز في رؤيته للإعجاز، فهي تشمل القرآن كلاً، وبعبارة: "ظاهرة بارزة فيه كلاً"^(٣).

والذي دلّ دراز على هذا الرأي هو تدبر القرآن نفسه، قال: "نُسميه إيجازاً كله، لأننا نراه في كلا المقامين لا يجاوز سبيل القصد، ولا يميل إلى الإسراف ميلاً ما، ونرى أن مراميه في كلا المقامين لا يمكن تأديتها كاملة العناصر والحلى بأقل من ألفاظه، ولا بما يساويها، فليس فيه كلمة إلا هي مفتاح لفائدة جليلة، وليس فيه حرف إلا جاء لمعنى"^(٤).

فنصّ على الرؤية مرتين، وأتى بها فعلاً بصيغة الجمع تأكيداً وتعريضاً، والعالم المحرر إذا قال نرى في المسألة كذا.. دلّ بهذه الفخامة على جدارة الرأي وقوة أدلته

(١) النبأ العظيم، ص ١٥٨ - ١٥٩.

(٢) السابق، ص ١٥٨.

(٣) السابق، ص ١٥٨.

(٤) السابق، ص ١٥٩.

إيجاز الإطناب (مناقدة بلاغية ومحكمة عقلية)، د. هاني بن عبيد الله الصاعدي

لديه، وأنه قيّد رؤيته، وقد أتى دراز ببرهانها وشواهدا من قبل ومن بعد، وهي شواهد قرآنية لم يسبق أن وقف معها أحد قبل دراز بمثل ما وقف معها أو قريب منه. ولم يكتف بما رآه قادحاً من الشاهد البياني في صحة التقسيم البلاغي، بل أتبع ذلك بمناقشة مفصلة لهذا التقسيم في حاشية مطولة، وبين بطلانه بالشاهد والبرهان، وسناقش ذلك في موضعه إن شاء الله، وما يهمننا هاهنا علاقة هذا الرأي بـ "إيجاز الإطناب"، ومحله من النصوص المؤسسة السابقة.

والحق أن "إيجاز الإطناب" من اسمه ونصوصه السابقة يعترف ضمناً بصحة تقسيم الكلام إلى إيجاز وإطناب، وأنها فضيلتان في الكلام، وأما رأي دراز فلا يرى فضيلة في الكلام إلا فضيلة واحدة هي الإيجاز، سواء أُجمل الكلام أم فُصّل، قُصر أم طال، قال دراز: "فالكلام الطويل إن حوى كل جزء منه فائدة تمس إليها الحاجة في الموضوع، ولا يسهل أداء تلك الفائدة بأقل منه كان هو عين الإيجاز المطلوب"^(١).

وهذا هو عين ما استظهرناه من حدّ "إيجاز الإطناب" في نصوص السابقين، وهو الكلام المطابق لما ذكره الجاحظ من أن الإيجاز ليس يعني به قلة عدد الحروف والألفاظ، فالكلام إذا طال أخذ ظاهره صورة الإطناب، فإذا حوى كل جزء منه فائدة تمس إليها الحاجة، ويتطلبها الغرض تطلباً ضرورياً، انطبق عليه حقيقة الإيجاز، فهو إذن من هذه الجهة "إيجاز الإطناب"، كما هو عند الرماني تماماً.

وإذا أردنا أن نُدير رأي دراز على الإطناب القرآني فسنجده كلّه يدخل عنده في الإيجاز، وسيكون مردّه إلى "إيجاز الإطناب"، إيجاز من حيث أصليّة كل جزء من أجزاء الكلام، وإطناب من حيث انطباق مقاييس البلاغيين عليه، من حيث طريقة الأسلوب، ومن حيث امتداده وطوله.

فرأي دراز من هذه الجهة رأي معزّز لوجود هذا النوع في الكلام، وإن كان هذا الرأي بتمامه رأياً جديداً مؤسساً.

يضاف إلى ذلك أنه يمنح الناظر بنقضه للتقسيم الثلاثي فرصة في النظر في

(١) السابق، ص ١٦١.

تداخل هذه الأقسام بعضها في بعض، وصعوبة التمييز بينها على حدّ فاصل، مما يُتيح لولادة أنواع أخرى، فيها من هذا ومن ذلك، كـ "إيجاز الإطناب" مثلاً، وهذا تعزيزٌ من وجه آخر.

وقد عزّز رأي دراز الدكتور محمد أبو موسى، مع تسليمه بوجود الأقسام الثلاثة في القرآن بحسب مقاييس السكاكي والخطيب، قال: "كان الشيخ محمد بن عبد الله دراز على الحقّ المبين حين أنكر وجود المساواة والإطناب في القرآن الكريم، وشاهده على ذلك هو قراءة القرآن لا غير، ومع هذا فإنه من الواجب أن نُسلّم بأن في القرآن إطناباً بالمعنى الذي حدّده السكاكي والخطيب، وجرى عليه القول بعدهما، وأعني به: البيان بعد الإبهام، والتذييل، والتميم، والاحتراس، والتكميل، والاعتراض، لأنّ القرآن الكريم فيه ذلك كلّهُ، وما دام الاصطلاح جرى على أن يُسمى هذا إطناباً، فلا بأس من القول به، لأنه لا مشاحة في الاصطلاح"^(١).

وكلمة "على الحقّ المبين" في النص السابق تكتسب معنى أكثر من التعزيز، وكأن الدكتور أبو موسى رأى رأي العين ما رآه دراز، بيد أنه قَبِل أن يؤخذ تقسيم السكاكي على أنه اصطلاح، وليس حقيقة ماثلة لا يجوز الحيدة عنها، ويترتب عليه أنّ أقسام الإطناب وصوره كالتميم والتكميل والاعتراض والاحتراس هي طرائق وأساليب يجوز عليها الإيجاز، وإن كانت تميل إلى الإطناب في غالب شأنها.

وبنفس هذا الوجه في التعزيز يأتي رأي الدكتور محمد شادي، قال: "وإذا وُجد في القرآن ما نسميه إطناباً حسب مقاييسنا، فهو أيضاً من الإيجاز، لأنّ المعول عليه في الحكم على كلام الله هو قياس التعبير إلى مراد الله سبحانه من كلامه، ولا يمكن لبشر أن يدّعي الإحاطة بمراد الله تعالى من كلامه، فلا مفرّ من التسليم بأنّ القرآن كلّهُ إيجاز، ولكن تتفاوت مستويات الإيجاز فيه حسب المقامات"^(٢).

إذا كان من شرط الإيجاز هو وفرة المعاني وغزارة اللطائف وكثرة المزايا فإنّ

(١) دلالات التراكيب، ص (و).

(٢) غرائب الإعجاز والنكات في مقامات أسباب النزول، ص ٩٧.

إيجاز الإطناب (مناقدة بلاغية ومحكمة عقلية)، د. هاني بن عبيد الله الصاعدي

ذلك في القرآن لا يحدّ ولا يُستطاع استقصاؤه، في أيّ موضع من مواضعه، ومن ثمّ لا وجود في القرآن لشيء غير الإيجاز، ويتفق هذا الرأي مع الرأيين السابقين، وهو معرّز لـ "إيجاز الإطناب" في صيغته التأسيسية التراثية، وإن لم يستحضر تلك الآراء المؤسسة فيحتجّ بها أو يعتمد عليها، ومعنى التعزيز فيه آتٍ من انبثاقه المتأخر في السياق التاريخي.

المطلب الثالث: محاكمة عقلية ومناقدة بلاغية

لم يكن تقسيم الكلام إلى إيجاز ومساواة وإطناب من ابتكار السكاكي وأصحابه، وإنما وُلد مبكراً في التراث النقدي والبلاغي، وكان صدى لإشارات قديمة في كلام العرب الأتقح، من مثل قول الشاعر القديم^(١):

يَرْمُونَ بِالْحُطْبِ الطَّوَالَ وَتَارَةً وَحَيِّ الْمَلَا حِظِ حَشِيَّةِ الرُّقْبَاءِ

وفيما يبدو أنه لم يكن للمساواة حضورٌ في مثل هذه الإشارات، ثم أخذت من قول القائل: "كأنَّ ألفاظه قوالب معانيه"، أي: لا يزيد بعضها على بعض، كما ذكر ذلك أبو هلال، وعدّها المذهب المتوسط بين الإيجاز والإطناب، ومما له دلالة أنه قبل ذلك أدرجها في الإيجاز^(٢).

وقد جاء ذلك عند ابن سنان الخفاجي (٤٦٦ هـ)، وأبقى المساواة على اسمها، وسَمَّى الإطناب بالتذليل، والإيجاز بالإشارة، وفضّل المساواة والإيجاز، قال: "والذي عندي في هذا الذي ذكرته، وهو أنَّ المختار في الفصاحة والدالّ على البلاغة، هو أن يكون المعنى مساوياً للفظ أو زائداً عليه"^(٣).

والباقلائي (٤٠٣ هـ) قبل ابن سنان قد أشار إلى هذا التقسيم دون اصطلاح، قال: "وفي جملة الكلام ما تقصّر عباراته وتفضّل معانيه، وفيه ما تقصّر معانيه وتفضّل العبارات، وفيه ما يقع كل واحد منهما وفقاً للآخر"^(٤).

(١) البيت رواه الجاحظ، ينظر: البيان والتبيين، ١/ ٤٤. قال المحقق: البيت منسوب إلى أبي داود

بن حريز، وهو بهذه النسبة في زهر الآداب، ١/ ٩٦. اهـ

(٢) ينظر: الصناعتين، ص ١٦٢. وينظر أيضاً: نقد الشعر، ص ١٥٠.

(٣) سر الفصاحة، ص ١٩٨.

(٤) إعجاز القرآن، ص ١١٩. وقد عدّ الدكتور محمد أبو موسى هذا النص هو أقرب النصوص

القديمة إلى هذا التقسيم الثلاثي، ينظر: دلالات التراكيب، ص (ج). والحق أن نصوص أبي

هلال العسكري كانت أقرب من نصوص الباقلاني، والمرجح أنها كانت أقدم، فأبو هلال

مات قبل الباقلاني بسبع سنين.

ومحصل هذه الأقوال أنّ التقسيم الثلاثي لم يكن وليد النظر العقلي الذي انطلقت منه مدرسة السكاكي في التقنين والتقسيم، وأنه نشأ في المصادر النقدية الأولى التي كانت قريبة من النصوص البيانية في تسجيلها للظواهر البلاغية، وإن كنا نستظهر أن التقسيم كان ثنائياً في الغالب، كما هو عند قدامة بن جعفر (٣٣٧هـ) الذي كان منهجه قائماً على تقنين قضايا النقد، وكان متوقفاً ألا تمرّ هذه القضية المتداولة بلا قانون، وقد ذكر من أنواع ائتلاف اللفظ مع المعنى المساواة، وهو أن يكون اللفظ مساوياً للمعنى، حتى لا يزيد عليه ولا ينقص، وجعلها فضيلةً تقابل فضلية "الإشارة" الذي هو الإيجاز، فحدّه عنده: أن يكون اللفظ القليل مشتملاً على معانٍ كثيرة بإيماء إليها أو لمحة تدلّ عليها^(١)، وغاب عنده الإطناب، وإن كان قد ظهرت بعض صورته في أنواع أخرى من نعوت المعاني كالتميم والمبالغة^(٢).

وكما يُستظهر من عبارات الجاحظ (٢٥٥هـ) كقوله: "ووجدنا الناس إذا خطبوا في صلح بين العشائر أطالوا، وإذا أنشدوا الشعر بين السّماطين في مديح الملوك أطالوا، وللإطالة موضعٌ وليس ذلك بخطل، وللإقلال موضعٌ وليس ذلك من عجز"^(٣)، وكقوله: "ورأينا الله تبارك وتعالى إذا خاطب العرب والأعراب، أخرج الكلام مخرج الإشارة والوحي والحذف، وإذا خاطب بني إسرائيل أو حكى عنهم، جعله مبسوطاً، وزاد في الكلام"^(٤).

السياق التاريخي من النصوص السابقة يدلّ على أن القسمين الظاهرين لدى أوائل النقاد هما طرفا التقسيم، وأنّ المساواة ظهرت فيما بعد، ولم تكن قسماً مستقلاً، بل إنه أدخلت في الإيجاز مرة، وجعلت قرينته في الحسن مرة أخرى، وقول القائل في

(١) ينظر: نقد الشعر، ص ١٥٠ - ١٥٢.

(٢) ينظر: السابق، ص ١٣٧ و ص ١٤١.

(٣) الحيوان، ١ / ٩٢ - ٩٣.

(٤) السابق، ١ / ٩٤.

وصف بليغ: "كانت ألفاظه قوالب معانيه" يمكن أن تُقول إلى الإيجاز^(١). ولعلَّ السبب في أنّ تحديد المساواة أعسر من تحديد الإيجاز والإطناب، فجهر نقاد ذلك العصر بما رأوه ماثلاً لهم، ووقفوا عند ذلك، ومن باب أولى أنهم أدركوا على العموم صعوبة تمييز هذه الأقسام بعضها من بعض، ولذلك ترى الباقلاني بعدما يُورد مقولته التي أوردناها سابقاً يقول: "والأمر في ذلك صعبٌ شديدٌ، والفصل فيه شأؤٌ بعيدٌ، وقد قلَّ من يُميّز أصناف الكلام"^(٢). وقد أنكر المساواة بعض المتأخرين، وقرر أنّ المساواة لا تكاد تُوجد، خصوصاً في القرآن، وتعبّ الشواهد التي ذكروها فأعادها إلى الإيجاز^(٣). ولما جاء السكاكي وأصحابه لتحديد الأقسام الثلاثة بأصل مقيس، اختلفوا اختلافاً كبيراً، فجعل السكاكي متعارف أوساط الناس هو الأصل، "فالإيجاز هو أداء المقصود من الكلام بأقلّ من عبارات متعارف الأوساط، والإطناب: هو أدائه بأكثر من عباراتهم"^(٤)، ورفض الخطيب القزويني هذا المعيار، وذكر بأنه ردٌّ على جهالة، وقال: "الأقرب أن يقال: المقبول من طرق الأداء تأدية أصله بلفظٍ مساوٍ له، أو ناقصٍ عنه وافٍ، أو زائدٍ عليه لفائدة"^(٥)، فجعل أصل المراد هو الأصل المقيس. وظاهر عبارات السكاكي والخطيب أنهما متفقان على ثبوت الوساطة بين الإيجاز والإطناب، إلا أن السكاكي يجعل المساواة أبداً غير مقبولة، والخطيب يجعل المساواة تنقسم إلى: مقبول وغيره^(٦). فالمساواة لم تُتصور لدى أوائل النقاد، ثم انبثقت في سياق الحديث عن الإيجاز

(١) ينظر: الإتقان في علوم القرآن، ص ٥٨٨.

(٢) إعجاز القرآن، ص ١١٩. ١٢٠.

(٣) ينظر: الإتقان في علوم القرآن، ص ٥٨٧.

(٤) مفتاح العلوم، ص ٢٧٧.

(٥) التلخيص في علوم البلاغة، ص ٥٤.

(٦) ينظر: عروس الأفراح، ٣/ ٩٧.

إيجاز الإطناب (مناقدة بلاغية ومحاكمة عقلية)، د. هاني بن عبيد الله الصاعدي

بصورة مبهمة، ثم كانت أصلاً مقيساً غير مُعترف بفضله، ثم قسّمت إلى مقبولة وغير مقبولة، دون تحديد واضح لمعيار القبول من عدمه.

وما ننتهي إليه هو أن المساواة قسّم أقرب للتخيّل المفروض منه للواقع المتصور، ومما يؤكّد على هذا أن ليس لها أقسام محددة، أو شواهد كثيرة، كما للإيجاز والإطناب، فوق أن شواهدا القليلة لم تسلم من التعقيب والاستدراك، فإذا كان الأمر كذلك لم تصلح المساواة معياراً ضابطاً للإيجاز والإطناب، حتى عند من أثبتتها كالخطيب القزويني، لأنّ فيه رداً على جهالة، كما هو ردّ الخطيب على معيار السكاكي، كما يرى ذلك الدكتور محمد أبو موسى^(١).

ولو كان هناك مساواة لكانت هي المرتبة الحسنى، بناء على قاعدة الفضائل التي تكون فيها الفضيلة دائماً وسطاً بين طرفين، كما يقرر دراز^(٢)، ولا أحد ممن أثبتها يرى ذلك، بل الاستحسان يميل عنها إلى الإطناب كثيراً، وإلى الإيجاز أكثر.

وأصل تعذر رؤية المساواة هو انبناء التقسيم برمته على الإيمان بأنّ الكلام يقوم على ساقين هما اللفظ والمعنى، ومن المعلوم أن غالب الإشكالات النقدية والبلاغية نابع من إشكالية اللفظ والمعنى، وتزداد الإشكالية تعقيداً وتتغطى بالضبابية كلّما اقتربت من قضية اللفظ والمعنى، ولا نرى مقررّاً من مقررات البلاغيين أقرب إليهما من باب (الإيجاز والإطناب والمساواة)، ولا نرى باباً من أبواب البلاغيين أحف تحقيقاً وأكثر تسامحاً في تحريره وتقسميه من هذا الباب، وقد استشعر السكاكي ذلك من بداية الأمر فذكر أن الكلام لا يتيسر في الإيجاز والإطناب "إلا بترك التحقيق والبناء على شيء عربي"^(٣).

وإذا كان شيء يمكن أن يُرى من ائتلاف اللفظ بالمعنى، وضبابية العلاقة المعقودة بينهما، فإن ذلك يكون بانحسار اللفظ عن المعنى، وانحسار المعنى عن اللفظ،

(١) ينظر: دلالات التراكيب، ص (ط).

(٢) ينظر: النبأ العظيم، ص ١٦٠.

(٣) مفتاح العلوم، ص ٢٧٦.

وهذان هما الإيجاز والإطناب، ولذلك وَضَحَ أمرهما لدى جماهير السلف والخلف، وكثرت أقسامهما وتنوعت، وتكاثرت شواهدهما، وكان النصُّ على النقصان بالحذف والقصر في الإيجاز، والنصُّ على الزيادة والفائدة في الإطناب، أمراً متاحاً وشائعاً له مبرراته العلمية، وبراهينه النصّية.

ولأجل ذلك كلّه نرتضي تركيز النظر على هذين القطبين، وإعادة تقويمهما بحسب ما تملّيه الأسس العقلية والبراهين البلاغية، وأول ما يلقانا هو ترتّب الإيجاز قمة الخصائص البلاغية، فهو الذي عُرِّفت به البلاغة ابتداءً، وهو الممدوح بكل لسان، وقد أعطيه النبي - صلى الله عليه وسلم - منحة ربانية، قال - صلى الله عليه وسلم -: "أعطيْتُ جوامع الكلم"^(١).

والعربية في أصلها طُبعت على الإيجاز، "وإذا كانت الوجازة أصلاً في بلاغات اللغات، فإنها في بلاغة العربية أصلٌ وروحٌ وطَبَعٌ"^(٢)، ولذا جاء عليها أسلوب المثني وأسلوب الجمع، فبدلاً من قولك: حضر زيد وزيد، تقول: حضر الزيدان، وكذلك الشأن في الجموع، وامتازت عن اللغات الأخرى بأنَّ المرونة في ترتيب تراكيبها يعطي معانٍ إضافية في الكلام، كما في مزايا التقديم في علم البلاغة، وكلُّ سُنَّة من سُننها تحمل قيمة دلالية توسّع مدارك الكلام، وتغزّر معناه.

وإذا كان البلاغة لا يحسن أسلوب من أساليبها إلا بخصوبة الكلام، وثناء معانيه، وغرازتها، واتساعها، فإن ذلك هو مؤدى الإيجاز، وسمته الكبرى، ووفق هذا المبدأ فالإيجاز هو البلاغة، كما كانت البلاغة هي الإيجاز، ومن ثمَّ لا ينفك الإيجاز عن البلاغة في أيِّ من مواردّها، فلا يصحّ في نظرنا وصف كلام بأنه بليغ وغير موجز!

وأما الإطناب فهو أسلوب من جملة الأساليب البيانية، التي رصدت قوالبه، وأحصيت أنواعه، ولا يمكن أن يقوم على أساسه كلام برمته، فهو يحضر في أثناء

(١) أخرجه البخاري، رقم (٧٠١٣).

(٢) دفاع عن البلاغة، ص ٦٧.

إيجاز الإطناب (مناقدة بلاغية ومحكمة عقلية)، د. هاني بن عبيد الله الصاعدي

الكلام الواحد ويغيب، فليس له صفة الاستمرارية كالإيجاز، ثم أساليبه لا تخلو من الإيجاز بوجه من الوجوه، فلهذا لا يصحّ مقابلته بالإيجاز.

ووفق هذه المحكمة العقلية والمناقدة البلاغية علينا أن نعيد النظر في البناء القائم الذي استقرّ في الدرس البلاغي، ونقترح بناءً جديداً أوفق بالمقررات العلمية، وأقرب للنصوص البيانية، والمقولات التراثية، فنقول:

أمامنا وجهتان للنظر والتقسيم والبناء:

الوجهة الأولى: وجهة كميّة: وهي تقدير الكلام من حيث قصره وطوله، وينقسم من الكلام من ناحيتها إلى قسمين:

(أ) اختصار: وهو الكلام قليل عدد الألفاظ، ويوصف أيضاً بقصر الكلام.

(ب) تطويل: وهو الكلام كثير عدد الألفاظ، ويوصف أيضاً بالكلام المبسوط.

ولا يحمد الكلام من هذه الجهة إلا بربطه بمقامه، كما نأخذه من تقرير السكاكي القائل: "وذكرت أيضاً للاختصار والتطويل مقاماتٍ قد أرشدتُ بها إلى مناسباتها، فما صادف من ذلك موقعه حمداً، وإلا ذمّاً"^(١)، ويتحصل أنّ هاهنا:

اختصار محمود واختصار مذموم . - وتطويل محمود وتطويل مذموم

ثم إنّ الاختصار المحمود والتطويل المحمود داخلٌ كلّه في حقيقة الإيجاز العربي المحمود الذي قامت عليه لغته، ودار حوله بلاغته، والذي مداره حول: توفية المعنى بلا زيادة محلة، سواء كان الكلام طويلاً أم كان قصيراً، وعليه يكون الاختصار المحمود والتطويل المحمود هما المقصودان من قول الشاعر:

يَرمونَ بالخُطبِ الطّوالِ وتارةً وحيّ الملاحظِ حَشيةَ الرُّقباءِ

وعلى هذا التقسيم أيضاً ينزل قول الخليل: يُختصر الكتاب ليُحفظ، ويُيسر

ليُفهم^(٢).

وعلى هذا أيضاً ينزل المقولات التأسيسية والتعزيرية لـ "إيجاز الإطناب".

(١) مفتاح العلوم، ص ٢٧٧.

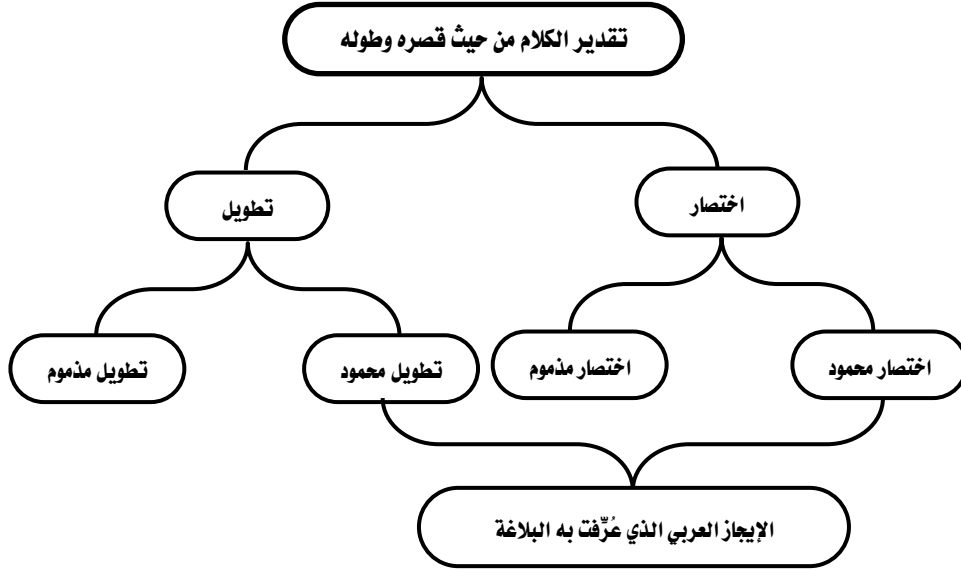
(٢) ينظر: الصناعتين، ص ١٧٢.

وقد بيّن النبي - صلى الله عليه وسلم - أن من فقه الخطيب طول صلاته وقصر خطبته، قال: "إِنَّ طُولَ صَلَاةِ الرَّجُلِ وَقِصْرَ خُطْبَتِهِ مِئِنَّةٌ مِنْ فَقْهِهِ، فَأَطِيلُوا الصَّلَاةَ، وَأَقْصِرُوا الْخُطْبَةَ، وَإِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا"^(١)، فقابل بين القِصْر والطُّول، مما يفيد أن الحكم يتوجه للقدر المطلوب، وهو تقصير الخطبة وتطويل الصلاة، وأفاد بقوله: "وإنَّ من البيان لسحراً" إلى القدر الزائد، وهو بلاغة البيان، الذي يكون بتحقيق الإيجاز، ولا يتهيأ لكلِّ أحد.

(١) أخرجه مسلم، رقم (١٦٩).

إيجاز الإطناب (مناقدة بلاغية ومحكمة عقلية)، د. هاني بن عبيد الله الصاعدي

الوجهة الأولى في تقسيم الكلام الوجهة الكمية



الوجهة الثانية: وجهة نوعيّة: وهي تقويم الكلام من حيث مناسبة ألفاظه لمعانيه، ومناسبة ألفاظه ومعانيه لغرضه ومقامه، وينقسم الكلام من هذه الوجهة إلى قسمين:

(أ) الإيجاز: وهو توفية الكلام معناه واكتماله واكتنازه، وينقسم بحسب مفهوم البلاغيين إلى قسمين:

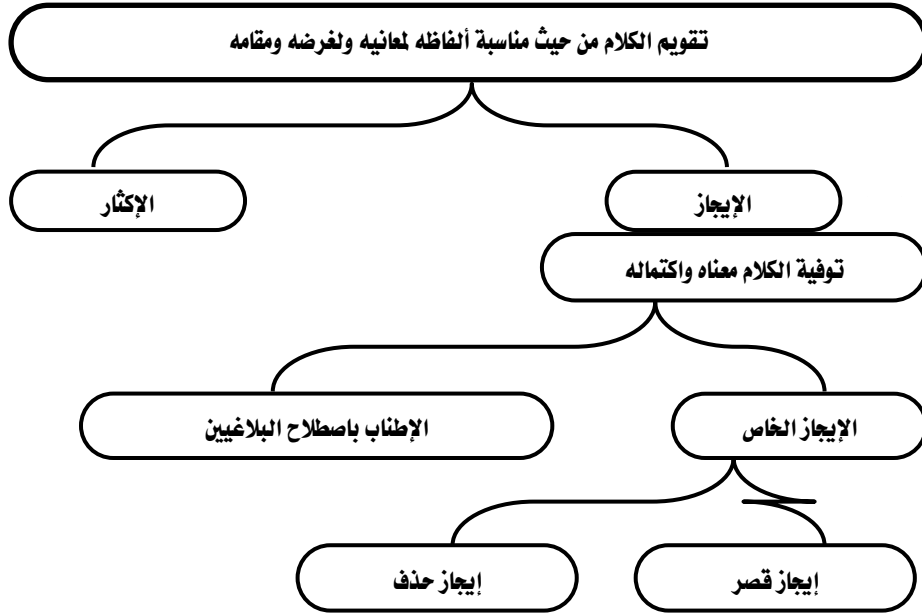
(١) إيجاز: وهو إيجاز خاصّ، يخصّ المسمى بـ "إيجاز القصر" و "إيجاز الحذف"، على نحو ما فصلته مصادر البلاغة.

(٢) إطناب: وهو الإطناب المعروف لدى البلاغيين، والمحدّد بأساليب معينة نحو: الإيضاح بعد الإبهام، وذكر الخاصّ بعد العام، والتكرير، والإيغال، والتذييل، والتكميل، والتميم.

(ب) الإكثار: وهو الهذر واللغو والحشو الذي قال فيه الجاحظ: "فما قُضِلَ عن

المقدار فهو الخطل" (١)، وضابطه وراء كل زيادة محلة ولو كانت بقدر حرف واحد.

الوجهة الثانية في تقسيم الكلام
[الوجهة النوعية]



وبهذا التقسيم يكون للإيجاز إطلاقان: إطلاق عام يدخل تحته كل الكلام المحمود، وإطلاق خاص، وهو المقابل للإطناب في اصطلاح البلاغيين. وبهذا أيضاً يصح إضافة الإيجاز بإطلاقه العام إلى الإطناب بإطلاقه الخاص، فنقول: "إيجاز الإطناب"، وننتهي من خلاله إلى أن كل إطناب محمود ينطوي على إيجاز محمود.

وبما أن هذا التقسيم جديداً فمن حق الناظر أن يتساءل عن جدوى هذا التقسيم وما أخذه ومكاسبه، وسنورد أولاً ما يأتي عليه من ما أخذ تهجس في فؤاد اللبيب، ثم نثني بما اتضح أنها محاسن تأخذ بعقل الأريب. ماخذ هذا التقسيم:

(١) الحيوان، ١ / ٩١.

(١) التفريق بين الإيجاز والاختصار، وهما واحد في السياق البلاغي والنقدي عند كثير من النُّظار، قال السُّبكي: "ولا فرق عند السكاكي بين الإيجاز والاختصار"^(١)، واقترن ذكرهما معاً كثيراً دون تفريق، كما في سياقهما عند ابن سنان الخفاجي^(٢)، بل قد عرّف الجاحظ الإيجاز بأنه الاختصار، قال: "ولو أن قاتلاً قال لبعضنا: ما الإيجاز؟ لظننتُ أنه يقول: الاختصار"^(٣)، بل قد ورد على لسان الصحابة . رضوان الله عليهم . في مناسبة الحديث الذي اعتضدنا به في تقسيمنا الجديد، حديث: "إِنَّ طُولَ صَلَاةِ الرَّجُلِ وَقِصْرَ خُطْبَتِهِ مِثْنَةٌ مِنْ فَهْمِهِ، فَأَطِيلُوا الصَّلَاةَ، وَأَقْصِرُوا الْخُطْبَةَ، وَإِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا"، جاء في الحديث: "خَطَبْنَا عِمَارَ فَأَوْجَزَ وَأَبْلَغَ، فَلَمَّا نَزَلَ قَلْنَا: يَا أَبَا الْيَقْظَانَ، لَقَدْ أَبْلَغْتَ وَأَوْجَزْتَ، فَلَوْ كُنْتَ تَنْفَسْتَ، فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ....." وذكر الحديث، فعبروا عن ذلك بالإيجاز.

والإجابة عن هذا:

أننا لا ننكر أن يكون التعبير قد ورد بهما في سياق واحد، لكنّ سياق التفريق بين المفاهيم المتقاربة أن يُصطفى لكلّ منهما ما هو أقرب للمراد، وأعلق بحقيقته، وقد رأينا أن الإيجاز محمود بكلّ حال، فحصرناه في المحمود من الكلام، ولم نر الاختصار كذلك، فتركناه على عرفه اللغوي، وإلى اليوم يقول الناس: كلام مختصر، وقد يريدون به الإيجاز المحمود، وقد يريدون به الكلام القصير سواء كان بليغاً أو غير ذلك، بيد أنهم لا يقولون: كلام موجز إلا ويريدون مدحه من جهة البلاغة، وهذا صدى من أصداء ما تقرّر ضمناً في المدونة النقدية والبلاغية من مدح الإيجاز على كلّ حال. ثم إن الحديث يدلّ على هذا من طرف خفي، فوصف الصحابة . رضوان الله عليهم . لعمّار . رضي الله عنه . بأنه أوجز يدلّ على أن اختصاره أصاب الإيجاز

(١) عروس الأفراح، ٣ / ٩٦ .

(٢) ينظر: سر الفصاحة، ص ١٩٧، و ص ٢٠٨ .

(٣) الحيوان، ١ / ٩١ .

البلاغي، ولذلك قرنها بالبلاغة، فقالوا مرةً: أوجز وأبلغ، وقالوا أخرى: لقد أبلغت وأوجزت، فجاء التقرير النبوي حائماً على قصر الخطبة وطول الصلاة، وليس على إنجازها، لأنّ تقصير الخطبة في حدود المتاح لكلّ خطيب، وليس كذلك إنجازها، والأوامر الشرعية مبنية على التيسير ورفع الحرج عما يعسر على أكثر الناس.

وأما تعريف الجاحظ للإيجاز بأنه الاختصار، فهو تعريف تقريبي لا يعني المطابقة بينهما كما تدلّ عليه صياغة الجاحظ لسؤاله وجوابه، كما يدلّ على أن الاختصار عنده أوضح من الإيجاز، فلذلك عرفه به، وهذا مؤدى تقسيمنا أن الاختصار أوضح لأنه يتعلق بالكمّ، والإيجاز أخفى لأنه يتعلق بالكيف.

وأما ما جاء بعد ذلك من إطلاقهما على شيء واحد، واقتراضهما في سياق واحد، فأظهر دلالاته الاشتراك والتقارب، والتقسيم أعلاه لا يلغي هذا الاشتراك وذلك التقارب، بل يُعزّزه، والجديد فيه أنه يفتح كوة التفارق بينهما، باعتبار مفهومٍ يجاوز النظر المصطلحي المستقرّ.

(٢) أن فيه ترديداً للإيجاز، فهناك إيجاز عامّ وإيجاز خاصّ، وذلك ما لا يتناسب مع طبيعة تمايز المفاهيم الذي تتمايز على إثرها المصطلحات.

والإجابة عن هذا:

أن ذلك عرفٌ جرى في علم البلاغة وفي سائر العلوم، يطلق الاسم على مفهوم عام، ثم يطلق على مفهوم خاصّ، لزيادة في انطباق ذلك الاسم عليه، كمصطلح "البيان" أطلق على علوم البلاغة، وهو إطلاق عامّ، ثم أطلق إطلاقاً خاصاً على العلم المتعلق بمباحث التشبيه والمجاز والكنائية، وكان في كلا الإطّاقين محققاً للمراد منهما بأنصع ما يكون.

محاسن هذا التقسيم:

(١) أولى محاسنه أنه يستند على النصوص البيانية والمقولات التراثية والمقررات العقلية، فليس به من تقسيم ولا إطلاق إلا له ما يعضده من السياق البلاغي والنقدي، فوق أنه يستمد وجوده من البيان الرفيع، الذي تؤسس عليه القواعد البلاغية، وتبنى عليه الظواهر البيانية.

إيجاز الإطناب (مناقدة بلاغية ومحكمة عقلية)، د. هاني بن عبيد الله الصاعدي

(٢) أنه لا يُلغى التقسيم المستقرّ، وإنما يَستوعبه في إطار معرّز، وسياقٍ أرحب من سياقه، فمن البين أنّ التقسيم الثلاثي المشهور لُمح من الظواهر الجزئية في الكلام، كما تدلّ عليه شواهد وأمثله، أما هذا التقسيم فيستوعب الكلام في جملة، سواء كان قصيدة أو قطعة نثرية أو سورة قرآنية، ويحتكم إلى التقسيم البلاغي في ضوء مساحته التي تُخصّص لها، باستثناء إسقاط المساواة، وهذا كلّه بخلاف ما اقترحه محمد عبد الله دراز الذي ألغى التقسيم المشهور برمته، وحصر المزية في الإيجاز، وكان منظوره إلى الإعجاز القرآني فحسب^(١).

(٣) قرئُهُ من التّصور، ومرونته في التطبيق، وذلك لتلائمه مع مقررات عبد القاهر الجرجاني في النظم ووجوهه ومزاياه، كما سيتضح من تحليل شواهد البليغة في المحور القادم.

(١) ينظر: النبا العظيم، ص ١٥٩ وما بعدها.

المطلب الرابع: شواهد بليغة

اتضح لدينا من سياقات المقولات التأسيسية والمقولات التعزيزية أن شواهد "إيجاز الإطناب" مع قلتها لم تلقَ تحليلاً مفصلاً، باستثناء محمد دراز الذي وقف وقفة متأنية مع شواهد قرآنية عدة، أثبت من خلالها ترسخ سمة الإيجاز في سياقات القرآن المختلفة، ولم تكن شواهد مما يتضح فيها إطنابٌ بالمعنى الذي عُرف عند البلاغيين حتى تكون مما نروم إثباته في هذا السياق، وكانت النتيجة التي يلحُ دراز في استظهارها، وهي "عظمة الثروة المعنوية في أسلوب القرآن على وجازة لفظه"^(١)، هي النتيجة التي تلتقي معنا في "إيجاز الإطناب".

وقد رأينا مقارنة تلك النتيجة من خلال الشواهد المعروفة لصور الإطناب لدى البلاغيين، وبها نستدلّ على غيرها مما هو أكد في الدلالة على سمة الإيجاز الملازمة لكل كلام بليغ.

وتدور صور الإطناب عند البلاغيين حول التعبير عن المعنى بزيادة لفظية حسنة، سواء كانت الزيادة على متعارف الأوساط كما يرى السكاكي، أو كانت زيادة على أصل المراد كما عند الخطيب القزويني، ولا يهمننا في هذا السياق التحقيق في هذه المسألة المشكّلة من أساسها، وإنما نبتغي تسليط الضوء على ما ينظر إليه أنه زيادة في صور الإطناب، والتأكيد بأنها من أصل المراد، ومن صلب الغرض، وأنّ الإطناب يؤخذ من ظاهر صورة التعبير اللفظية، في الوقت الذي يلمح فيه الإيجاز من باطن التعبير وعلاقاته السياقية، والأصل في ذلك ربط الكلام بمقامه وغرضه، ومن ثم ينطبق عليها حدّ الإيجاز من جهة، كما تنطبق عليها رسوم الإطناب من جهة أخرى، وإنّ كان في بعض مصطلحات تلك الصُّور ما يتعارض مع هذا الحكم، كمصطلح التذليل ومصطلح التكميل ومصطلح التتميم، لكن هذا اصطلاح جرى واستقرّ وشاع، ومن الواجب البحثي أن نجاوز النظر عن هذه المصطلحات إلى النظر في

(١) النبأ العظيم، ص ١٨٠.

إيجاز الإطناب (مناقدة بلاغية ومحكمة عقلية)، د. هاني بن عبيد الله الصاعدي

شواهدا، وكيف أنّ فيها جهاتٍ مجهولة أو مغفولة عنها، ونبرهن على ما اقترحتة هذه الدراسة الوجيزة من إعادة بناء هذا الباب بناءً جديداً، كما فعلته في المحور السابق.

الشاهد الأول:

من شواهد البلاغيين في (الإيضاح بعد الإبهام) قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ۖ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ۖ ﴾ (طه: ٢٥ - ٢٦) ، وقد ذكروا أن قوله: "اشرح لي" يفيد طلب شرح لشيء ما له، وقوله: "صدري" يفيد تفسيره وبيانه، وكذلك قوله: "ويسّر لي أمري" ، والمقام مقتضى للتأكيد، للإرسال المؤذن بتلقي المكاره والشدائد، فالغرض من الإطناب تفخيم الأمر وتعظيمه^(١).

وذلك فيما يبدو بناءً على أن التعبير الموجز، أو أصل المراد: "رب اشرح صدري"، و"يسّر أمري"، وأنّ "لي" زيادة حسنة في الموضوعين، وفيها معنى تأكيد هذا الدعاء وتفخيمه وتعظيمه، وهذا كله في أساسه راجعٌ إلى تصوّر أنّ التركيب إذا صحّ لغة بإفادته فائدةً يحسن الشكوت عليها كان ما يزيد على ذلك غير داخل في أصل الغرض، وهذا غير صحيح، إذ لو كانت الجملة تستقيم في أصل معناها بعُمد الكلام، لكان الحال في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَمْسَسْ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۗ ﴾ (الإسراء: ٣٧) زائداً على أصل الغرض، ولا قائلٌ بذلك، بل إنّ النهي مسلط على الفعل بقيده، فالمشي من حيث هو مأثورٌ به كما قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۗ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ۗ ﴾ (الملك: ١٥)، ولكنّ النهي إنما كان عن المشي بطراً وتكبراً، ف"مرحاً" دعامة من دعائم المعنى، وأساس ينتقض الغرض بفواته.

وكذلك يقال في كلمة "لي" في دعاء موسى عليه السلام في الآيتين الكرّيمتين، فهي دعامة من أساس المعنى، إذ المقام مقام دعاء وإلحاح وتذلل، ومن أدب الداعي أن يظهر ما يدلّ على ذلك كلّ بين يدي مولاه، ويقدمه بين يدي دعائه، وهذا هو الفرق الشفيف بين الدعاء والطلب، فالجملتان القرآنيتان أوفقٌ بالدعاء المتضرّع،

(١) الإيضاح، ص ٢١٣.

وقولك: ربّ اشرح صدري، ويسر أمري، أوفق بالطلب المجرد، ولنتذكر أن موسى عليه السلام في هذا المقام يقف وحيداً في تحمّل أعباء دعوته قبل انضمام أخيه هارون إليه، فـ "لي" في مواضع دعائه تُشفي بمعاني الافتقار إلى عون ربه، هذا من جهة تعلقها بغرضها، وأما من جهة تعلقها بمتعلقها، وهو شرح الصّدر وتيسر الأمر، فيبين ذلك من اشتراكهما في كونهما عاملين ذاتيين خاصّين بالداعي؛ ولذلك لم تأت "لي" مع قوله: ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي﴾ (طه: ٢٧)، "لأنّ ذلك سُؤال يرجع إلى رسالة الله إلى فرعون، فليست فائدتها راجعةً إليه حتى يأتي لها بلام التبيين"^(١).

ونظير ذلك قوله تعالى على لسان إبراهيم . عليه السلام . : ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خِطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ (الشعراء: ٨٢) ، فجملة الدّعاء تتم بها الفائدة النحوية بدون "لي" ، ولكنّ النّظم القرآني آثر ذكرها للسبب المذكور أعلاه في دعاء موسى . عليه السلام . .

وهذه المزية المذكورة تتأسس على تأكيد أصلية "لي" في أداء غرض الكلام، وإذا أضفنا إليها ما يقوله البلاغيون والمفسرون في مزايا زيادة wa "لي" بحسب تعبيرهم، فسيؤدي بنا تغازر هذه المزايا إلى القول بإيجازها، ويكفيها الاستشهاد على هذه الغزارة بشاهدين، شاهد من البلاغيين، وهو سعد الدين التفتازاني، وشاهد من المفسرين، وهو أبو السعود العمادي.

يقول سعد الدين التفتازاني: " [نحو: { رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي } فإن اشرح لي يفيد طلب شرح لشيء ما له] أي: للطالب، [وصدري يفيد تفسيره] أي: تفسير ذلك الشيء وإيضاحه، وهذا الإيضاح بعد الإبهام يحتمل أن يكون للأغراض الثلاثة

(١) التحرير والتنوير، ١ / ٢١٢ . وابن عاشور متابع قول البلاغيين في عدّ ذلك الإطناب، وفي ذكر مزيته، يقول: "وزيادة "لي" بعد " اشرح" وبعد" يسر" إطناب، كما أشار إليه صاحب المفتاح؛ لأن الكلام مفيد بدون، ولكن سلك الإطناب لما تفيده اللام من معنى العلة، أي: اشرح صدري لأجلي ويسر أمري لأجلي، وهي اللام الملقبة لام التبيين التي تفيد تقوية البيان".

إيجاز الإطناب (مناقدة بلاغية ومحكمة عقلية)، د. هاني بن عبيد الله الصاعدي

المذكورة^(١).

يقصد بالأغراض الثلاثة ما ذكره الخطيب القزويني في بداية حديثه عن هذا النوع، وهي:

الأول: أن يرى المعنى في صورتين مختلفتين، إحداهما مبهمة، والثانية موضحة.

الثاني: ليتمكن من النفس فضل تمكن.

الثالث: اكتمال لذة العلم بالمعنى.

وكما يلاحظ فهذه المزايا تنحاز إلى مزية الأسلوب بالنسبة لمتلقيها أكثر من كونها تكشف عن علاقة خصائص نظمها بحال قائلها ومقامها المكتنف لحال صاحبها. ويقول أبو السعود العمادي: "وفي زيادة "لي" مع انتظام الكلام بدونها تأكيدٌ لطلب الشرح والميسر أولاً، وتفسيرهما ثانياً، وفي تقديمها وتكريرها مزيدٌ اعتناء بشأن كلٍّ من المطلوبين، وفضلٌ اهتمام باستدعاء حصولهما له، واختصاصهما به"^(٢).

ومما يُبرهن على أصلية "لي" أنه ورد في القرآن نفس المعنى بطريق الاستفهام وفي غرض الإنعام، في قوله تعالى مخاطباً نبيه الأكرم -ﷺ-: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ قَلْبًا﴾ (الشرح: ١)، فبرغم اختلاف السياق واختلاف الأسلوب دُعِمَ المعنى بـ "لك" التي تُوسم بأنها جاءت زائدة لغرض التأكيد، ولو كانت كذلك لسقطت باختلاف السياق والأسلوب، ولكنَّ نَسَبَهَا بهذا المعنى أصيلٌ، حيثما حلَّ حلت، هذا إن تكن هي دعامة الأولى التي يُبنى عليها المعنى، ويتأسس عليها الغرض.

الشاهد الثاني:

ومن شواهد البلاغيين في (ذكر الخاص بعد العام) قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ٩٨)، وذلك يكوّنُ للتنبيه على فَضْلِ الخاصِّ، حتى كأنَّه ليس من جنسه؛ تنزيلاً للتغاير في

(١) المطول، ص ٩٢. وما بين الأقواس الكبيرة هو متن التلخيص للخطيب.

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ٤/ ٦٠٣ - ٦٠٤.

الوصف منزلةً التغيرات في الذات^(١).

وكأنّ هذا النظر يُصحح "الزيادة" ولا يُرجحها، كما هو نظرٌ خارجيٌّ غير مرتبط بسياق الآية سباقها ولحاقها، ولا يستحضر مزية لتخصيص جبريل وميكال سوى تفضليهما على سائر الملائكة، هكذا بالإطلاق، أخذاً من الآية نفسها، ففيه ما يسمى الدُّور المنطقي، إن قلت: ما دليلكم على تفضيل جبريل وميكال؟ قالوا: لتخصيصه في الآية بالذكر بعد ذكر عموم جنسهما، وإن قلت: فما فائدة تخصيصهما بالذكر بعد ذكر عموم جنسهما؟ قالوا: لفضلهما وشرفهما!

وعند العودة إلى سياق الآية وسبب نزولها ندرك شيئاً من أن ذكر جبريل وميكال في هذا السياق هو جوهر المعنى ونواته الأساسية، وأن الاكتفاء بذكر جنس الملائكة لا يُغني بتاتاً لأداء المعنى والقطع على المخاطب بهذه الآية.

وقد ذكر ابن جرير الطبري إجماع أهل العلم بالتأويل على أنّ الآية التي قبل هذه الآية، وهي قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَرَكَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (البقرة: ٩٧) نزلت جواباً لليهود من بني إسرائيل؛ إذ زعموا أن جبريل عدوُّ لهم، وأن ميكائيل وليُّ لهم، ثم عدّد الروايات في حكاية المناظرة بين اليهود والنبي . صلى الله عليه وسلم . أو عمر بن الخطاب . رضي الله عنه . ، والتي كُشفَ فيها اليهود عن كُرههم لجبريل . عليه السلام . ، وصرّحوا بعداوتهم له^(٢).

وعلاقة الآية باليهود مما هو على مقربة من المتدبر لسباق هاتين الآيتين، فما زالت الآيات تعدد تعلّلات اليهود واعتذاراتهم عن الإيمان برسالة النبي . صلى الله عليه وسلم . ، فالسبب الذي كشفتته الروايات قد يُدرك المستبصر جملته من قرائن أحوال النظم وحركة المعنى، فكيف غاب ذلك عن البلاغيين، ونظروا إلى الآية مجردة من سياقها الكاشف؟

(١) ينظر: الإيضاح، ص ٢١٤ - ٢١٥ .

(٢) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ١ / ٥٦٦ .

إنما المهم أن الآية التي استشهد بها البلاغيون على ذكر الخاص بعد العام، هي امتدادٌ وثيق بما قبلها، فإذا كانت الآية السابقة قد ردت على مقالة اليهود في كرههم لجبريل . عليه السلام . بذكر فضله في أنه نزل القرآن على قلبك . يا محمد . مصداقاً لما يديه وهدى وبشرى للمؤمنين، وهذا يفيد الثناء على جبريل بأنه صادق في تبليغه، وأنه مهتدٍ، وأنه مبشر للمؤمنين، فعلاَم يكرهه اليهود وهو قد أوكل بإنزال هذه الصفات الجليلة؟ وهذا المنحى في الردّ يشير من وجه آخر إلى سبب العداوة، وأنه الحسد الذي نشأ بسبب أن الله نزلَه بالقرآن على قلبك يا محمد مصداقاً لما بين يديه . ثم جاءت الآية الثانية لتضع القضية في إطارها العام، وأن من يعادي الله وملائكته ورسله وجبريل وميكايل فإنه كافرٌ والله عدوٌ للكافرين، فهذا حكم عامٌ جيء به في أسلوب الشرط كي يعمّ، وقد نصّت الآية على جبريل وميكايل مع أنّهما يدخلان في عموم الملائكة لما ذكره ابن جرير الطبري من أنه قطعاً على تلبيس اليهود، وحسماً على تمويههم، ودحضاً لافتراءهم، قال: "فإن قال قائل: أو ليس جبريل وميكايل من الملائكة؟ قيل: بلى. فإن قال: معنى ذكرهما بأسمائهما، أن اليهود لما قالت: "جبريل عدونا، وميكايل وليّنا"، وزعمت أنّها كفرت بمحمد . صلى الله عليه وسلم .؛ من أجل أنّ جبريل صاحب محمد . صلى الله عليه وسلم .، أعلمهم الله أن من كان لجبريل عدواً، فإن الله له عدو ، وأنه من الكافرين، فنصّ عليه باسمه، وعلى ميكايل باسمه، لئلا يقول منهم قائل: إنما قال الله: من كان عدواً لله وملائكته ورسله، ولسنا لله ولا لملائكته ورسله أعداء؛ لأن الملائكة اسم عام محتمل خاصاً، وجبريل وميكايل غير داخلين فيه، وكذلك قوله: "رسله"، فلست يا محمد داخلًا فيهم، فنصّ الله تعالى على أسماء من زعموا أنّهم أعداؤه بأعيانهم؛ ليقطع بذلك تلبيسهم على أهل الضعف منهم، ويحسم تمويههم أمورهم على المنافقين" (١).

فالآية في أساسها جاءت في الردّ على من عادى جبريل -عليه السلام- فالنصّ عليه كان مما اقتضاه النظم، وأوجبه الردّ، وألحق به ميكايل؛ تنبيهاً على أن من عادى

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ١/ ٥٧٧.

جبريل فقد عادى ميكال، وكذب زعمه في حبه، ومن باب أولى من عادى جبريل فقد عادى الله وملائكته ورسله، وهذا التلازم هو ما يتأسس عليه غرض الآية في الردّ والتنديد والوعيد، وقد قاله عمر بن الخطاب . رضي الله عنه . في مجادلته لليهود قبل نزول الآية، وجاء نظم الآية عليه^(١)، ولو لم يذكر جبريل وميكال لفقد المعنى حلقته الأمّ في التلازم بين هذه العداوات، ولقد الاتصال الوثيق بين الآيتين، آية الثناء على جبريل، وآية الحكم على من عاداه، فذكر جبريل وميكال أحكم السبك، وجعل الآيتين أختين من أمّ وأب.

وهناك إلماحة فيها قدرٌ كبيرٌ من الإفحام والإلزام والتوعيد لليهود، وهي الإشارة إلى أنّ من عادى محمد . صلى الله عليه وسلم . فقد عادى موسى . عليه السلام . ، قياساً على أنّ من عادى جبريل فقد عادى ميكال، فهم يقولون ميكال وليّنا كما يقولون موسى نبينا، ويعادون جبريل كما يعادون محمداً . صلى الله عليه وسلم . . ومحصل معنى الآية أنهم أعداء الله وأعداء جميع ملائكته وأعداء جميع رسله، ومن يعادي الله أو واحداً من ملائكته، أو واحداً من رسله، فقد كفر، والله عدوه؛ إذ الله عدو الكافرين.

هذا وقد عدّ الشيخ محمد عبده هذه الآية فيما نقله عنه تلميذ محمد رشيد رضا من ضروب إيجاز القرآن التي انفرد بها^(٢).

الشاهد الثالث:

ومن شواهد البلاغيين في (الإيغال)، وهو: ختم البيت بما يفيد نكتةً يتمّ المعنى بدونها، قولُ الخنساء:

وإنَّ صَخْرًا لَتَأْتُمُّ الْهُدَاةُ بِهِ كَأَنَّهُ عَلَمٌ فِي رَأْسِهِ نَارٌ

قال الخطيب: "لم ترضَ أن تُشَبِّهه بِالْعَلَمِ الَّذِي هُوَ الْجَبَلُ الْمُرْتَفِعُ الْمَعْرُوفُ

(١) ينظر: السابق، ١ / ٥٧٠ .

(٢) ينظر: تفسير القرآن الحكيم المشهور بـ (تفسير المنار) ، ١ / ٣٢١ .

إيجاز الإطناب (مناقدة بلاغية ومحكمة عقلية)، د. هاني بن عبيد الله الصاعدي

بالهداية، حتى جعلت في رأسه ناراً" (١).

وما نراه ابتداءً أن جملة "في رأسه نار" قيدٌ رئيسي في المشبه به، وجزءٌ أساسي من الصورة البيانية، لا يتم معنى التشبيه بدونها، وذلك متوقفٌ على معنى الشطر الأول من البيت، ومراجعة صدى البيت في أبيات القصيدة، وفي قصائد الخنساء عموماً. وهذا المعنى من معان متكاثرة رثت بها الخنساء أخاه صخرًا، وقد استوعبت تلك المعاني كل ما يتمدح به العرب من معاني الكرم والشجاعة والنبيل والمروءة والسؤدد والوفاء والصفح وحسن الأرومة، وطيب الخلق، ورشاد الرأي، ووضاعة الوجه، وقوام الجسم، وقد جاء قبل هذا البيت قول الخنساء (٢):

وإنَّ صَخْرًا لَكَافِينَا وَسَيِّدَنَا وَإِنَّ صَخْرًا إِذَا نَشْتُوا لِنَحَّارُ

وإنَّ صَخْرًا لِمَقْدَامٍ إِذَا رَكَبُوا وَإِنَّ صَخْرًا إِذَا جَاعُوا لِعَقَّارُ

فأثنت عليه بما ترى من رجاحة وسؤود وكرم وشجاعة وعطف، ثم جاء شاهدنا

برواية أخرى في إحدى روايتي:

أَغْرُ أَبْلُجُ تَأْتُمُّ الْهُدَاةُ بِهِ كَأَنَّهُ عَلَّمَ فِي رَأْسِهِ نَارُ

والأغرّ: المشهور، والأبلج: الأبيض الوجه، والعلم: الجبل، والهداة: الأدلاء الذين يهتدى بهم في الأمور والشرف، والمعنى أن صخرًا دليل الأدلاء، وقائد الرؤساء (٣)، وتحتل أن يكون المقصود بها هداة الطريق، أي: المسافرين، أو هداة المعالي، الذين يرون فيه قدوة لهم.

ومعنى اقتداء الهداة بصخر تردّد في شعر الخنساء، حيث تقول في قصيدة

أخرى (٤):

دَلَّ عَلَى مَعْرُوفِهِ وَجْهُهُ بُورِكَ هَذَا هَادِيًا مِنْ دَلِيلِ

(١) الإيضاح، ص ٢١٦.

(٢) ديوان الخنساء بشرح ثعلب، ص ٣٨٧.

(٣) ينظر: السابق، ص ٣٨٧ - ٣٨٨.

(٤) السابق، ص ٣٠٨.

ويكاد يكون هذا البيت شارحاً لمعنى اقتداء الهداة بصخر، بأخصر من شاهدنا، وبعبارة شعرية مجازية، تتوسل بالمجاز العقلي، وتعضد المعنى ببيان بركة هذا الهادي، وقد يكون المعنى دعاءً له ببركة الاهتداء.

وتواصل الخنساء رثاء صخر، فتقول:

لا يَقْصُرُ الْفَضْلَ عَلَى نَفْسِهِ بل عِنْدَهُ مَنْ نَابَهُ فِي فُضُولٍ
قَدْ عَرَفَ النَّاسُ لَهُ أَنَّهُ بالمنزلِ الأثْلَعِ غَيْرِ الضَّئِيلِ

وهذا معنى آخر من معاني الاهتداء بصخر، فبالإضافة إلى وجهه الذي يدلّ رائيه على جوده وكرمه، هناك منزله بالمكان المرتفع الذي يراه كلّ الناس، ويهتدي إليه الطارقون بالليل، والمنقطعون عن الزاد في الأسفار، فهو الهادي لمن ضلّ هاديه، وهذا المعنى صرّحت به الخنساء في آخر قصيدة شاهدنا، حيث قالت:

ليبيكهِ مقترُّ أفنى حريبتَهُ دهرٌ وحالفهُ بُؤسٌ وإقتارٌ
ورفقةٌ حارَ هادِيهم بِمَهْلِكَةٍ كأنَّ ظَلَمَتَهَا فِي الطُّخِيَةِ القَارِ

فإذاً لا يمكن إخلاء معنى الهداية من هداية المنقطعين في سفرهم، والمدلجين في رحلتهم، إلى محلّه المرتفع، الذي يهتدون به في زادهم وسفرهم كما يهتدون بالنجوم في دلالته على وجهتهم، ومن هنا يبين الموقع الأساسي الذي تأخذه "في رأسه نار" من التشبيه، فالتشبيه بالجبل لا يدلّ على الاهتداء إلا في النهار، كما أنه تشبيه مجمل لا يُدرى إلى أيّ معنى في الجبل يتوجه التشبيه، فلما قيل "في رأسه نار" تعيّن أنّ المقصود الاهتداء بالمكان المرتفع المضىء ما فوقه، وهذه أعلى درجات الاهتداء، وفيها ما فيها من معنى الرفعة والشهرة واستمرار الكرم والعطاء في أحوج الأوقات إلى الكرم والعطاء، ففرق بين جبل أصمّ ليس به حياة وإن كان شامخاً، وجبل آخر تشتعل النار في رأسه دالة على عطائه الحيّ الذي يراه الجميع.

فـ"في رأسه نار" تؤدي هذه المعاني فوق انتقالها بالتشبيه من الإجمال إلى

إيجاز الإطناب (مناقدة بلاغية ومحكمة عقلية)، د. هاني بن عبيد الله الصاعدي

التفصيل، ودلالاتها على الغرض الأساسي بأقصر لفظ وأقصر عبارة، ففيها إيجاز متغازز المعاني، وقد أحسن البلاغيون إذ سمّوا ذلك إيغالاً، لكنهم لم يُحسنوا إذ وصّفوا هذه الجملة بأنها زائدة يتمّ المعنى بدونها.

وبعد هذه الشواهد عوداً على بدءٍ لتذكّر مقولة من المقولات المؤسّسة لـ "إيجاز

الإطناب"، وهي مقولة أبي هلال العسكري: "والإطناب إذا لم يكن منه بدُّ إيجاز".

الخاتمة

الحمد لله أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً، وبعونه وفضله وصلت الدراسة إلى إيجاز إطنابها، واطمأنت على ربوات نتائجها، وها هي على التبيان والإيجاز: أولاً: تبين أن الإطناب ليس ضدّاً للإيجاز، حتى لا يجانس ولا يداخله، بل الإيجاز هو رأس الهرم في الخصائص البلاغية، وكل خصيصة نظمية تستمد بلاغتها منه، ومنها الإطناب، وكان هدف الدراسة الأساسي هو الكشف عن حقيقة (إيجاز الإطناب)، لنستدل بذلك على ما هو أكد في الدلالة على شمول الإيجاز لكل الأساليب البليغة.

ثانياً: قال ب (إيجاز الإطناب) من كان قريباً من النصوص الأدبية، وخفت ضوؤه لدى المسار التقعيدي الذي يُجَرِّد قواعد البلاغة من مرجعياتها البيانية، ولم يكن له اتصال مباشر بمنبع تلك القواعد وأساسها، وكان أول مَنْ فَتَحَ القَوْلَ فيه الرُّمَّاني بإشارة سريعة ختم بها حديثه عن الإيجاز وأثره في إعجاز القرآن. ثالثاً: ينبري هذا النوع حين تتأكد "الزيادة"، وتستحيل أصلية تصب في الغرض رأساً، ولا تكون من قبيل المتتمات أو المكملات؛ ولذلك كان محمد بن عبد الله دراز محقّقاً لما وصف القرآن بأنه إيجاز كله، سواء مواضع إجماله أم مواضع تفصيله، ومن ثمّ تكون مواضع تفصيله التي تنطبق عليها مقاييس الإطناب من قبيل (إيجاز الإطناب).

رابعاً: من اللافت أنّ هذا النوع يتأكد حضوره في القرآن، وقد ارتبط نشوء هذا النوع في مقولاته التأسيسية والتعزيفية من السياق الإعجازي، وقد أجمع العلماء على أنّ القرآن معجز بإيجازه، صرّح بذلك الرُّمَّاني من الأولين، ودراز من الآخرين.

خامساً: لم يكن دراز متفرداً برأيه في أن القرآن كله إيجاز، بل كان العمل على الإقرار بهذه الخصيصة في بلاغة القرآن وإعجازه لدى أكثر العلماء والمفسّرين، وإن لم يصرّح بها أحد كما فعل دراز.

إيجاز الإطناب (مناقدة بلاغية ومحكمة عقلية)، د. هاني بن عبيد الله الصاعدي

سادساً: الإطناب ليس مزية بحد ذاته، وحُسنه يعود في جانب من جوانبه إلى ملاحظة إيجاز ما في أسلوبه؛ وذلك لأن الإيجاز هو جوهر الحسن، وقد عرّف العربُ البلاغة بالإيجاز، ولم يعرفوها بالإطناب، فهو كالفرع عنه، ثم إنّ العربية في ذاتها مبنية على هذه الميزة الكبرى، فكل أسلوب من أساليبها ينال من الحسن بقدر إصابته من الإيجاز؛ ولذلك وقفنا مع "إيجاز الإطناب" لنكشف عنه فيما يظنّ أنه لا يجتمع معه.

سابعاً: ربط الأساليب بمقاماتها هو الأصل في تقويم الكلام، وهو أصلُ بلاغة كل الأساليب البيانية.

ثامناً: المساواة قسم أقرب للتخييل المفروض منه للتصور الواقع؛ ولذلك جاءت بدون أقسام، ولم يخلُ شاهد من شواهدا من النقص والتعقيب.

تاسعاً: إيجاز الإطناب يطلق إطلاقين: إطلاق على نوع عام يكون الكلام فيه طويلاً، وكل كلمة فيه تؤدي معنى أساسياً، وهذا يكون في الكلام من حيث جملة، وإطلاق على نوع خاص، وهو ما يعرف بصور الإطناب لدى البلاغيين المتأخرين، فلأجل ما فيها من إيجاز يصحّ عدّ شواهدا البليغة من (إيجاز الإطناب).

ومن توصيات الدراسة إضافة الإيجاز لكل أسلوب من أساليب العربية، ودراستها في ضوءه: إيجاز التقديم، إيجاز التشبيه، إيجاز المجاز، إيجاز الاستعارة، إيجاز الكناية، إيجاز فنون البديع، وهكذا، إذ دراستنا هذه أثبتت تضمّن الإطناب للإيجاز وهو أبعد أسلوب فيما يظنّ عن الإيجاز، بل هو مقابله لدى البلاغيين، فمن باب أولى تضمّن تلك الأساليب لخاصية الإيجاز الكبرى، إذ العربية في أصلها قد طبعت عليه.

وصلّى وسلّم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه ومن تبعه.

والحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

- ابن جعفر، قدامة. نقد الشعر. تحقيق: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي - القاهرة، الطبعة الثالثة ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
- ابن عاشور، الطاهر. التحرير والتنوير. دار سحنون - تونس، بدون تحديد الطبعة ولا تاريخها.
- أبو موسى، محمد محمد. دلالات التراكيب. مكتبة وهبة - القاهرة، الطبعة الرابعة ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب. إعجاز القرآن. تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف - القاهرة، الطبعة الخامسة، بدون تاريخ.
- البخاري، محمد بن إسماعيل. الجامع الصحيح المسند المختصر من أمور رسول الله . صلى الله عليه وسلم . وسننه وأيامه، المعروف بـ (صحيح البخاري). أشرف على تحقيقه: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ - ٢٠١٣م.
- التفتازاني، سعد الدين. المطول. تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- التفتازاني، سعد الدين. مختصر المعاني شرح تلخيص المفتاح. حققه وضبطه وجمع حواشيه: ماهر محمد عدنان عثمان، دار تحقيق الكتاب - لبنان، الطبعة الأولى ٢٠١٨م.
- الجاحظ، أبو عثمان بحر بن عمرو. البيان والتبيين. تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل - بيروت، بدون تحديد الطبعة وتاريخها.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر. الحيوان. تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل - بيروت ودار الفكر، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- الخفاجي، ابن سنان. سر الفصاحة. اعتنى به وخرج شعره وعمل فهارسه: د. داود غطاشة الشوابكة، دار الفكر - عمان، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

إيجاز الإطناب (مناقدة بلاغية ومحكمة عقلية)، د. هاني بن عبيد الله الصاعدي

الخنساء، تَمَاضِرُ بنتِ عُمَرُو بنِ الحَارِثِ السَّلَمِيَّةِ. ديوان الخنساء. شرحه: ثعلب أبو العباس أحمد بن يحيى، حققه: د. أنور أبو سليم، دار عمار - الأردن، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م.

دراز، محمد عبد الله. النبأ العظيم. نظرات جديدة في القرآن. اعتنى به وخرّج أحاديثه: عبد الحميد الدخاخي، دار طيبة - الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

رضا، السيد الإمام محمد رشيد. تفسير القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار. خرج آياته وأحاديثه وشرح غريبه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

الروماني، أبو الحسن. النكت في إعجاز القرآن. ضمن (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، حققها وعلق عليها: محمد خلف الله أحمد ود. محمد زغلول سلام، دار المعارف - القاهرة، الطبعة الرابعة، بدون تاريخ. الزيات، أحمد بن حسن. دفاع عن البلاغة. دار الصحوة - القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م.

السبكي، بهاء الدين. عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح. تحقيق: خليل إبراهيم خليل، دار الكتب العلمية. بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م. السكاكي، أبو يعقوب. مفتاح العلوم. ضبطه وكتب هوامشه وعلّق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٣ م. السيوطي، جلال الدين. الإتيقان في علوم القرآن. حققه وعلق عليه وخرّج أحاديثه: فواز أحمد زمري، دار الكتب العربي. بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

شادي، محمد إبراهيم. غرائب الإعجاز والنكات في مقامات أسباب النزول. دار اليقين - المنصورة، الطبعة الأولى ٢٠٠٧ م.

- الطبري، ابن جرير. **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**. اعتنى بتصحيحه وفهرسته: مكتب التحقيق والإعداد العلمي في دار الأعلام، دار ابن حزم - بيروت / دار الأعلام. عمان، الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.
- عباس، إحسان. **تاريخ النقد الأدبي عند العرب**. دار الشروق - عمان، الطبعة العربية الأولى: الإصدار الخامس ٢٠١١ م.
- العسكري، أبو هلال. **الصناعتين**. تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية - بيروت، بدون تحديد الطبعة، ٢٠١٣ م - ١٤٣٤ هـ.
- العمادي، أبو السعود. **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**. خرج أحاديثه وعلّق عليه وضبط نصه ووضع فهارسه: الشيخ محمد صبحي حلاق، دار الفكر - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
- القزويني، الخطيب. **الإيضاح في علوم البلاغة**. شرح وتعليق: أ.د. محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع - الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٦ م.
- القزويني، الخطيب. **التلخيص في علوم البلاغة**. حققه: د. عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
- النيسابوري، مسلم بن الحجاج القشيري. **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله**. صلى الله عليه وسلم. المعروف بـ (صحيح مسلم). تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، بدون تحديد الطبعة ولا تاريخها.

Bibliography

- Ibn Jaafar, Qudamah. **Naqd Al-Sheār**. Investigated by: Kamal Mustafa, Al-Khanji Library - Cairo, 3rd ed. 1398H -1978G.
- Ibn Ashour, **Al-Tahrīr Wa Al-Tanwīr**. Dar Sahnoun - Tunisia, without specifying the edition or date.
- Abu Musa, Muhammad Muhammad. **Dalālāt Al-Trākīb**. Wahba Library - Cairo, fourth edition 1429H - 2008G.
- Al-Baqlani, Abu Bakr Muhammad Ibn Al-Tayyib. **Eajāz Al-Qūran**. Investigated by: Elsayed Ahmed Saqr, Dar Al Maaref - Cairo, 5th ed. undated.
- Al-Bukhari, Muhammad bin Ismail. **Al-Jāmi' Al-Sahīh Al-Mūsnad Al-Mūkhtasar Min Umoūr Rasul Allāh Sallā Allāh Alaih Wa Sallam, wa sūnanih wa ayyāmeḥ (Sahih Al-Bukhārī)** Supervised and investigated by: Shuaib Al-Arnaout and Adel Murshid, Dar Al-Resala Al-Alameya, 1st ed, 1432H -2013G.
- Al-Taftazani, Saad Eddin. **Al-Mūtawwal**. Investigation: Dr. Abdul Hamid Hindawi, Scientific Books House - Beirut, first edition, 1422H -2001G.
- Al Taftazani, Saad Eddin. **Mūkhtasar Al-Maānī Sharh Talkhīs Al-Meftāh**. Edited and collected by: Maher Muhammad Adnan Othman, Dar Al-Kitab Investigation - Lebanon, 1st ed. 2018G.
- Al-Jahiz, Abu Othman Bahr bin Amr. **Al-Bayān Wa Al-Tabīen**. Investigated by: Abdel Salam Haroun, Dar Al-Jeel - Beirut, without specifying the edition and date.
- Al-Jahiz, Abu Othman Amr bin Bahr. **Al-Haiawān**. Investigated and explained by: Abdel Salam Muhammad Haroun, Dar Al-Jeel - Beirut and Dar al-Fikr, 1408H - 1988G.
- Al-Khafaji, Ibn Sinan. **Sirr Al-Fasāha**. Cared, edited and indexed by: Dr. Daoud Ghatasha Al-Shawabkeh, Dar Al Fikr - Amman, 1st ed. 1427H-2006G.
- Al-Khansa, Tamadur Bint Amr Bin Al-Harith Al-Salamiah. **Dīwān Al-Khansā**. Explained by: Tha'lab Abu Al-Abbas Ahmed Bin Yahya, verified by: Dr. Anwar Abu Salim, Dar Ammar - Jordan, 1st ed. 1409H -1988G.
- Diraz, Muhammad Abdullah. **Al-Nabaa Al-Azīm. Nazarāt Jadīdah Fī Al-Qūran**. Edited and investigated by: Abd Al-Hamid Al-Dakhkhni, Dar Taiba - Riyadh, 1st ed. 1417H - 1997G.

- Reda, Sayyed Imam Muhammad Rashid. **Tafsīr Al-Qurān Al-Hakīm Al-Mashhoūr Bī Tafsīr Al-Manār**. Hadiths and strange explanations investigated by: Ibrahim Shams Al-Din, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya - Beirut, 2nd ed. 1426H - 2005G.
- Al-Ramani, Abu Al-Hassan. **Al-Nūkat Fī Eajāz Al-Qūrān**. Within (Three theses on the Miracle of the Qur'an), verified and commented by: Muhammad Khalaf Allah Ahmad and Dr. Muhammad Zaghloul Salam, Dar Al Maaref - Cairo, 4th ed. undated.
- Al-Zayyat, Ahmed bin Hassan. **Defāa an Al-Balāghah**. Dar Al-Sahwa - Cairo, 1st ed. 1438H - 2017G.
- Al-Subki, Bahaa El-Din. **Aroūs Al-Afrāh Fī Sharh Talkhīs Al-Meftāh**. Investigated by: Khalil Ibrahim Khalil, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya - Beirut, 1st ed. 1422H - 2001G.
- Al-Sakaki, Abu Yaqoub. **Miftāh Al-Ūloūm**. Investigated and commented by: Naim Zarzour, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyah, Beirut, 2nd ed. 1407H-1983G.
- Al-Suyuti, Jalal Al-Din. **Al-Itqān Fī Ūloūm Al-Qūrān**. Edited, commented by: Fawaz Ahmed Zamrli, Dar Al-Kutub Al-Arabi - Beirut, 1st ed. 1424H - 2003G.
- Shady, Mohamed Ibrahim. **Gharāeb Al-Eajāz Wa Al-Nekāt Fī Maqāmāt Asbāb Al-Nuzoūl**. Dar Al-Yaqin - Mansoura, 1st ed. 2007G.
- Al-Tabari, Ibn Jarir. **Jāmea Al-Bayān An Tawil Aī Al-Qūrān**. Corrected and indexed by: Bureau of Investigation and Scientific Preparation in Dar Al-Alam, Dar Ibn Hazm - Beirut / Dar Al-Alam - Amman, 1st ed. 1423H - 2002G.
- Abbas, Ehsan. **Tārīkh Al-Naqd Al-Adabī End Al-Arab**. Dar Al-Shorouk - Amman, 1st Arabic issue: 5th ed. 2011G.
- Al-Askari, Abu Hilal. **Al-Senaātāin**. Investigated by: Ali Muhammad Al-Bajawi and Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, Al-Asriya Library - Beirut, without specifying the edition, 2013G- 1434H.
- Al-Emadi, Abu Al Saud. **Irshād Al-Aql Al-Saleīm Elā Mazāyā Al-Kitāb Al-Karīm**. Corrected, investigated and indexed by: Sheikh Muhammad Subhi Hallaq, Dar Al-Fikr - Beirut, 1st ed. 1421H - 2001G.
- Al-Qazwini, Al-Khatib. **Al-Eīdāh Fī Ūloūm Al-Balāghah**. Explained and commented by: Prof. Muhammad Abdul-Moneim Khafaji,

إيجاز الإطناب (مناقدة بلاغية ومحكمة عقلية)، د. هاني بن عبيد الله الصاعدي

Al-Maaref Library for Publishing and Distribution - Riyadh, 1st ed., 1426H - 2006G.

Al-Qazwini, Al-Khatib. **Al-Talkhīs Fī Ūloūm Al-Balāghah.**
Investigated by: Dr. Abdul Hamid Hindawi, Scientific Books House - Beirut, first edition 1418H- 1997G.

Al-Nisaburi, **Mūsliḥ Bin Al-Hajjāj Al-Qūshayrī. Al-Mūsnaḍ Al-Saḥīḥ Al-Mūkhtasar Bi Naql Al-Adl An Al-Adl Elā Rasūl Allāh Sallā Allāh Alaih Wa Sallam (Saḥīḥ Mūsliḥ).**
Investigated by: Muhammad Fouad Abdel-Baqi, House of Revival of Arab Heritage - Beirut, without specifying the edition or date.

مظاهر الحركة والسكون في ديوان

"واشتعل النبض شعراً"

دراسة فنيّة دلاليّة

Manifestations of Movement
and in the Collection of the Poet Yousuf al-Ṣā'idī
"And the Pulse Burned in Poetry"
An Aesthetic Semantic Approach

د. عبد الرحمن بن دخيل ربه المطرفي

الأستاذ المشارك في قسم الأدب والبلاغة بالجامعة الإسلامية

البريد الإلكتروني: Alofi1431@gmail.com

المستخلص:

رصد هذا البحث مظاهر الحركة والسكون وتمثّلاتهما في ديوان الشاعر يوسف الصاعدي "واشتعل النبض شعراً" وصنّفها إلى أنواع، وتتبع ملابساتها، وحاول التفتيش في دلالاتها.

نحا البحث منحى جمالياً في تتبع مظاهر الحركة والسكون لدى الشاعر، انتهاء بالكشف عن دلالاتها العميقة، واستعان البحث بأداتي الاستقراء والإحصاء. وتبيّن أنّ الشاعر يحتفي بمظاهر الحركة كلّها، ويرى فيها وجه شعره، وأنّها اللاتقة بمقامه في الحياة، وفي المقابل ينفر الشاعر من السكون بجميع مظاهره، ويعده سلوكاً سلبياً في الأدب والحياة.

الكلمات المفتاحية: الحركة، السكون، الشعر، الدلالة، يوسف الصاعدي.

Abstract

This research monitored the manifestations of movement and stillness and their representations in the collection of the poet Yousuf al-Sā'idi " And the Pulse Burned in Poetry" and classified them into types, traced their circumstances, and tried to investigate their implications.

The research took an aesthetic approach in tracing the poet's manifestations of movement and stillness, ending with revealing its deep implications, and the research used the tools of induction and statistics.

It turns out that the poet celebrates all aspects of movement, and sees in them the face of his poetry, and that they are appropriate for his position in life, and on the other hand, the poet is alienated from stillness in all its manifestations, and considers it a negative behavior in literature and life.

Keywords: Movement, Stillness, Poetry, Meanings, Youssef Al-Sā'idi.

المقدمة:

الحمد لله، والصلاة والسلام على خير خلق الله.
الحياة كلّها مبنية على عديد من الثنائيات المتقابلة أو المتضادة؛ كالموت والحياة،
والخير والشرّ، والليل والنهار، والحزّ والقرّ، والصغير والكبير، والحركة والسكون...
والأدب هو انعكاس للحياة ومظاهرها في نفوس الأدباء يأتي ملوّناً بألوان الحياة،
وثنائياتها المتنوّعة حيناً، والمتخالفة حيناً آخر. ولكنّ الأدب له منطقته الخاصّ في التعبير
عن تلك الثنائيات، أو التعبير بها عن المواقف والرؤى والانفعالات؛ فكثيراً ما يجعلها
الأدباء رموزاً وأقنعة لمآربهم وغاياتهم المتدبّرة بالمجاز والخيال.
وكنت أتصّحّ ديوان الشاعر المدني (يوسف الصّاعدي)^(١) فلفت نظري بروز
ظاهرة الحركة والسكون في ديوانه "واشتعل النبض شعراً" وتنوّع مظاهرها فيه، وبدا أنّ
الشاعر يتبنّى الحركة وما يتّصل بها، وينفر من السكون وما إليه.
استقرت مواضع الحركة والسكون في ديوانه هذا، ووجدتها من الوفرة والتنوع ما
يجعل منها مادّة صالحة للبحث، والكشف عن تمثّلاتها لدى الشاعر، وسبر دالاتها في
مخياله الشعري.
سرت مع الشاعر في حركاته وسكناته؛ واصفاً ومحللاً ومعلّلاً حيناً، وغائصاً على
الدلالات العميقة لديه حيناً آخر.

وبدا لي أن أمهد للبحث بنظرة في مفهومي الحركة والسكون؛ دون توسّع.
ثمّ وقفت أمام مظاهر الحركة لدى الشاعر، وجعلتها في قسمين: الحركة العنيفة،
والحركة الهادئة، ثمّ انتقلت إلى مظاهر السكون، وجعلتها في قسمين أيضاً: السكون

(١) هو الدكتور يوسف بن محمد ناصر الصاعدي، من مواليد عام ١٣٨٥هـ، تخرج في كلية التربية
بالمدينة المنورة عام ١٤١٠هـ عُيّن معلّماً، ثمّ مشرفاً تربوياً، ثمّ خبير تطوير مهني في وزارة التعليم،
مدرب معتمد في مهارات التفكير، له العديد من المؤلفات، منها: "العلاج النفسي بالعبادات
في الإسلام"، وديوان "واشتعل النبض شعراً" أحيا أمسيات شعرية عديدة. له عناية خاصة
بالشعر المتعلّق بالمدينة المنورة ومعالمها. [المصدر: رسالة شخصية من الشاعر بتاريخ
١٤٤٤/٤/١هـ].

مظاهر الحركة والسكون في ديوان "واشتعل النَّبِضُ شعراً" -دراسة فنيّة دلاليّة، د. عبد الرحمن بن دخيل ربّه المطرفي

الحقيقي، والسكون المجازي. وانتهيت إلى مبحث قصير لممت فيه أطراف القضية، ونظرتُ فيها من منظار الثنائيّة الضديّة في تجربة الشاعر. ودونتُ ما ظهر لي من نتائج في خاتمة البحث.

وارتأيت ألاّ أرهن في هذا البحث لمنهج معيّن، ولكن بتضافر أكثر من منهج وأداة: بدأت البحث بالاستقراء والإحصاء، وسرت في مباحثه سيراً جمالياً فنياً ينظر في الألفاظ والصيغ، وحرصت على الانتهاء بتحديد الدلالات العميقة التي تشير إليها علامات الحركة والسكون في ديوان الشاعر.

وإني لأرجو أن أكون قد قدّمتُ ببحتي هذا دراسةً تطبيقيةً نقديةً نافعة، وأن أكون قدّمتُ شيئاً مما يجب لشعرنا وشعرائنا في مملكتنا الغالية. والله أسأل التوفيق والسداد، له الحمد أولاً وآخراً.

التمهيد:

أولاً: مصطلحات الدراسة.

جاء في لسان العرب: " الحركة ضدّ السكون، حَرَكٌ يَحْرُكُ حركةً وحَرَكًا، وحَرَكَه فتحْرَكٌ"^(١). وتدور الحركة في الاصطلاح على معنيين: الانتقال والتغيّر. وقد أطال الجرجاني في تعريف الحركة وذكر أنواعها؛ كالحركة الكميّة، والكيفيّة، والوضعيّة، والآتيّة، والعرضيّة وغيرها، وممّا جاء في تعريفات الحركة لديه: أنّها الخروج من القوّة إلى الفعل، والانتقال من حيّز إلى آخر^(٢). وجاء في المعجم الفلسفي: " الحركة: تغيير متّصل ذو سرعة معيّنة لوضع الشيء في المكان، وهي للدلالة على الزمان. وتُطلق الكلمة مجازاً على حركات النفس والدّهن والحركات الاجتماعيّة"^(٣).

أمّا السكون فقد عرّفته المعاجم بأنّه: ضدّ الحركة، سَكَنَ الشيءُ يَسْكُنُ سَكُونًا إذا ذهب حركته، وأسكنه هو وسكّنه. وسكن المطرُ أي توقّف، وسكن الرّجلُ: سكت، أو هدأ غضبه^(٤). وفي الاصطلاح: السكون "هو عدم الحركة عمّا من شأنه أن يتحرّك"^(٥)، والسكون حالة من التوازن، وتساوي القوى المؤثّرة على الجسم^(٦). واختلفت الفلاسفة: أيّ المظهرين أسبق: حركة الأجسام أم سكونها؟ فقالوا: إنّ مقتضى العقل أنّ السكون أسبق من الحركة، ومقتضى الواقع والحسّ: أنّ السكون أسبق^(٧).

واستقرّ العرف على أنّ الحركة - بالمحمل - أشرف من السكون؛ لأنّ الحركة مؤشّر

(١) ابن منظور، لسان العرب (حرك).

(٢) الجرجاني، التعريفات: ٨٤، ٨٥.

(٣) مجمع اللغة بالقاهرة، المعجم الفلسفي، ص ٧٠.

(٤) لسان العرب: سكن.

(٥) التعريفات، ص: ١٢٠.

(٦) جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ص ٦٦١.

(٧) أبو حيان التوحيدي، المقابسات، ص ٤٥.

مظاهر الحركة والسكون في ديوان "واشتعل النّبض شعراً" -دراسة فنّية دلالية، د. عبد الرحمن بن دخيل ربّه المطرفي

على الحياة، والقدرة، والنّماء، والنشاط، أمّا السّكون فهو علامة الموت، والعجز، والكسل، والتوقّف.

ثانياً: نظرة إحصائية.

باستقراء مظاهر الحركة والسكون في ديوان الشاعر أمكنني أن أحصيها وأصنّفها

في الجدول هذا.

التكرار	الأفعال	النوع	الحركة / السكون
١٣	الاشتعال	الحركة العنيفة	الحركة
١٢	الثوران/ الانفجار		
١٠	النزف		
٧	الركض/السباق /إسراج الخيل		
٦	الرحيل / المضي/ العبور / الإبحار		
٢	القتل/ الاغتيال		
١	الصفع		
١	الاجتياح		
١	التمزيق		
١	الانفعال		
١	التحطيم		
١	التهتك		
١١	العزف		
١٠	النبض		
٩	اللحن		
٦	الهمس		
٣	الغناء		

٢	الشدو		
٢	التغريد		
١	حرّك ساكني	ثنائية الحركة والسكون	الحركة / السكون
١	توقّد ساكني		
١	بدأت الصمت بوحاً		
١	في جزرها مدّ		
١	أطوي الدروب وساكني متغابي		
١	الهمس يستيق السكون		
٧	السكون		
٧	الصمت		
٤	الموت		
٢	المكوث		
١	البقاء		
٤	الجليد/ الشتاء	السكون المجازي	
١	الهجر		
١	الخبوّ		
١	الغياب		

يتبيّن من الجدول أنّ مظاهر الحركة تبلغ لدى الشاعر (٢٦) مظهراً، في مقابل (١٠) مظاهر للسكون.

وستبيّن أنّ الشاعر ينحاز إلى مظاهر الحركة ويتبنّاها في تجربته الشعريّة ومشاعره نحو الحياة والأحياء. وأنّه ينفر من السكون بأنواعه، ويؤري على من يتّصف بشيء من تلك الأنواع.

وفي المباحث التالية تفصيل وتحليل وتعليل.

المبحث الأول: مظاهر الحركة

تعددت مظاهر الحركة في تجربة الشاعر، ويمكننا أن نجعلها في مظهرين: الحركة العنيفة، والحركة الهادئة.

١. الحركة العنيفة:

للحركة العنيفة تجليات كثيرة في ديوان الشاعر؛ بدءاً من عتبة عنوانه حتّى عتبة غلافه الأخير!

وهي تمثّل حقلاً دلاليّاً واضحاً، ترى فيه (الاشتعال، والثوران، والانفجار، والاجتياح، والانفعال، والصفع، والركض، والتحطيم، والتّمزيق، والتّزف).

١-١ : الاشتعال.

تنفدح النار من شرارة صغيرة ثمّ تكبر وتظهر للناس، وكذلك الشعر هو كامنٌ في نفس صاحبه، لا يكاد يبين، حتّى تكون لحظة احتكاكٍ وتفاعلٍ ما بين قريحة الشاعر والأحداث والمثيرات، فتشتعل جذوة الشعر في نفسه، وسرعان ما تخرج لنا على هيئة أبياتٍ أو قصائد.

وقد عبّر الشاعر عن ولادة أشعاره بالاشتعال؛ منذ عنوان الديوان "اشتعل النبض شعراً" وهذا العنوان الجميل - إضافة إلى تناصّه مع القرآن الكريم - يشير إلى دلالات كثيرة قصدها الشاعر:

. القوة

. سرعة الحركة

. الانتشار

. الظهور

. التّخويف.

إنّه الانتقال من حركة الضّعف والخفاء (التّبض) إلى حركة الظّهور القويّ (اشتعال

الشعر)!

وهذا الانتقال هو قضية الشاعر في ديوانه من مبتدئه إلى منتهاه.

تراه في بعض العناوين الداخليّة، نحو (وكتبتها وهجاً)^(١) وتراه مبعوثاً في كثير من صفحات الديوان، نحو قوله:

. وأشعل الحرف.^(٢)

. فقد أشعلتُ شوقي.^(٣)

. " وجرى انبعاث النار في ألباني"^(٤).

. أشعلتُ جذوة خطوتي بعذابي!^(٥)

. " أريد برقاً يضيء الكون، يشعله، يكون شعراً ربيعياً يرويني!"^(٦)

. أشعلتُ من عزف الحروف قصائدي.^(٧)

. أسرج الشعر أحلاماً فأشعلها.^(٨)

وهذا الاشتعال الشعريّ يأتي على رأس المظاهر القويّة؛ التي يؤمّل الشاعر أن يكون شعره متمثلاً بها؛ أي أنّه يظلّ متوقّداً قوياً، يحتفي به المتلقون دوماً.

٢.١: الثوران والانفجار:

وهي حركة عنيفة عمادها المفاجأة والسرعة والتخويف؛ مثلما ينفجر البركان أو البارود ونحوهما.

والشاعر يؤثر أن يعبر عن انبثاق شعره بالثوران حيناً، ويرغب من محبوبته أن تقابله بشغف وحبّ كثوران شعره وحبّه.

(١) الديوان ٤٧

(٢) الديوان ٢٣

(٣) الديوان ٥٠

(٤) الديوان ٥١

(٥) الديوان ٥٥

(٦) الديوان ٦٠

(٧) الديوان ٦٩

(٨) الديوان ٧٢

. قال يعاتب محبوبته في مقابلتها إياه بالجفاء^(١):

إياك أعني.. واسمعي يا لهفتي

ليل التجاني عبرةً وتباكي

أنا لن.. وأطلقُ زفرةً مسجونةً

وأثورُ فيضاً.. والدجى إياك!

والعابرون على الجنون أحبتي

والتائرون على المدى.. إدراكي!

. قال في بوحه لطائفٍ من الشعر^(٢):

قلبي تمرّس.. والسؤال مهمهم

وتثور لأواء الصدى من ذاتي.

. وقال يصف ولادة قصيدة مشبوبة^(٣):

وتفجرتُ إطلالةً التّيار!

- وبالمثل يصف الشاعر ثورة الشعر المتألق بين جنبهيه قائلاً^(٤):

بالأمس أتلو النجم كي يجتاحني

واليوم ثار النجم في أركاني!

أنا شاعرٌ قد أستفزُّ قصائدي

أو أشربُ التاريخ في فنجاني!

. وترى شاعرنا يرغب دوماً من محبوبته (المرأة / القصيدة) أن تقابله بجملة وشوق

يوازي شوقه إليها^(٥):

(١) الديوان ٢٥، ٢٦

(٢) الديوان ٤٣

(٣) الديوان ٤٨

(٤) الديوان ٥٣

(٥) الديوان ٦٦

وجئتُ إليك مرَّهنا
أفجرُّ كلَّ ما كُمنَّا
وسرُّ الدربِ في شغفٍ
لأسكب لَهفتي ثمنا
تعالِي نَشعل الليل الـ
بهيّ.. ونقتلُ الزمنا!
ويقول^(١):
أنا تائبٌ
لا ذنبَ إلَّا لهفتي
ما الشوقُ إلَّا وردة الآهاتِ
ثوري بعنفٍ
واصفعي متمردِي
قد نطلبُ الغفرانَ
بالآياتِ
صُبِّي عليَّ الحقدَ
لا تترفقي..
فالليل أرهقَ شاعري
ورواتي.

ومن هذه الشواهد وأمثالها يتضح أن الشاعر يتخذ فعل الثوران هذا رمزاً لقوّة شاعريّته، ورمزاً للرغبة في (التغيير) تغيير موقفه وموقف الأشياء من حوله إلى ما يشتهيّه من الشهرة ولفت الأنظار إليه.

٣.١: الركض:

وهو شدّة العدو، وهو دليل على الفتوّة والقوّة والرغبة في سرعة الانطلاق والتحوّل.

(١) الديوان ٥٧

وهذا الرّكض قد يكون لدى شاعرنا على هيئة سباق، وكثيراً ما يقترن بالخيّل، وكثيراً ما يكون في أمداءٍ فسيحة.

- **السباق**: وهو في الأصل فعل جماعيّ تشاركيّ نحو هدف معيّن. ولكنه أتى لدى الشاعر سباقاً من نوع خاص، ففي قصيدته الموسومة (وانطلق السباق) يعاتب الشاعر محبوبته التي أتعبه فتورها تجاهه، ويحذّرها بأنّه قد حلّ أوان السباق: فإمّا بقاء مع الحبّ والتقدير والشوق، وإمّا رحيل في الدروب والمتاهات! فهو - إذأ - سباق بين قوى متصارعة في وجدان الشاعر^(١):

حوّاءُ.. وانطلق السباقُ فما غداً

إلّا الغروبُ.. وأنت يا حوّاءُ!

وخلوتُ ما للشوق إدراك وما

للوجد إلّا الجهد والإعياءُ

حوّاءُ.. أتعبني البقاء فما أنا

إلّا سؤال حائرٍ.. وعناءُ!

والشعراء لا يعجبهم من الحياة الفتور والخمول، إنهم يريدونها دائماً مقبلة عليهم تضعهم في دائرة الشهرة والأضواء والتقدير.

- **إسراج الخيّل**: تكرر لدى الشاعر فعل (إسراج الخيّل) أكثر من مرّة. والخيّل هو رفيق الإنسان منذ العصور السحيقة في أسفاره وحروبه وأمجاده. وإسراج الخيّل - أي وضع السروج على ظهورها - كناية عن الاستعداد للسفر والركض والرحيل. واتّخذ الشاعر رمزاً لتدفّق شعره نحو قوله^(٢):

أنا شاعر أسرجتُ خيّل قصيدي

عزفاً يفيض بساحة الأشجانِ

وفي موطن آخر يقول^(٣):

(١) الديوان ١٦، ١٧.

(٢) الديوان ١٠٧.

(٣) الديوان ٢٨.

أسرجتُ خيلي...
فكان (النزفُ) أوردتي...
حمى الحروف...
وأضنتني العناقيد...
وكثيراً ما يرتبط ركض الشاعر بالمدى، ذلك الفضاء الواسع الذي لا يكاد يحده
حدّ، يركض فيه أو تركض فيه جياذ شعره؛ كلّما عنّ له ذلك^(١):
أسرجتُ خيلي كلّما جاد المدى
عبقاً.. وأشعلتُ التّمادي كلّما.
تكرّر ورود (المدى) لدى الشاعر أكثر من (١٢) مرّة؛ مقترناً بالركض والسفر،
متّخذاً إيّاه مجاله الرّحب للتنقّس والقول والرؤى والأفكار.
يقول ذات مرّة في نجوى بينه وبين محبوبته^(٢):
عتبتُ عليّ.. وفي العتاب توّدّد
والهمسُ سحرٌ.. والمدى نجواها!
لو ترزغ الكلمات في صوتي غدت
من همسها كلُّ الحروف مداها!
وفي ليلة موشومة بالشعر يقول^(٣):
إنيّ.. وحرّفي.. وشعري..
دهشةٌ وصلتُ..
ليل الحيارى..
ألا ليت المدى.. بيداً!

(١) الديوان ٢٠

(٢) الديوان ١٥، ١٤.

(٣) الديوان ٢٩

ويرى الشاعر أنّه لا مفرّ له من الرّكض في المدى في المنشط والمكروه^(١):
وكتبُها وهجاً يفوح قصيدةً
أنفاسها لحنٌ على أوتاري
وأروح للأشواق صبّاً هائماً
أشكو للهبّ إذا المدى أسفاري.

ويقطع الشاعر على نفسه عهداً أنّه سيظلّ يركض إلى أبعد مدى^(٢) :
سأظلُّ أركضُ حيثُ تنسابُ (السّهى)
وتؤوب حنجرتي إلى الأذهان!
وفي سمّو الشعرّي يقول^(٣):
أسمو إذا ما الحرف غرّد شاعراً
وأؤوب إن ردّ المدى أفكاري.

إذاً الشاعر مشغول بهذه المعادلة: ركضه الطويل البعيد، وقربه من الأذهان والقلوب!

٤.١: الرحيل:

ارتبط الرحيل في مخيال الشاعر العربي بالفراق والوداع؛ إمّا لظروف الحياة والمعيشة، وإمّا عن قلى وخلاف وأسّى.
وبتتبع المواطن التي وردت في ديوان الشاعر للرحيل ومقارباته. نحو النزوح والمضيّ والعبور والإبحار. نجد أنّ الشاعر ينحو بها نحو التعبير عن غضبه وتململه من وضع السكون والبرود الذي قد يقابله في الحياة. إنّه يريد الانعتاق والتغيير نحو قوله^(٤):
أنوي الرّحيل..

(١) الديوان ٤٧

(٢) الديوان ٧٣

(٣) الديوان ٧٧

(٤) الديوان ١٨

وقوله صراحةً^(١):

أنا لا أطيق الصبر إني راحل!

إنه لا يطيق البقاء والمكوث والسكوت، فتلك حالة (يموت فيها المدى) بحسب
تعبير الشاعر، ولا بد من الانعتاق منها؛ وإن برحيلٍ إلى المتاهات والمجهول^(٢):

ودعوتُ لون الصبح.. لا يا أحرني

مات المدى.. فتماثلتُ أشياء!

إني رغبْتُ.. وفي العبور متاهةٌ

حتميةٌ ومن الدروب فضاء!

وفي حالة الغياب هذه يحلو للشاعر النزوح والوداع والعتاب^(٣) :

أخذ النزوح مطيبي وشبابي

فكتبْتُ أبياتَ الوداع بنشوةٍ

موشومةٍ (بتعيبِ الأصحاب).

ويبلغ الانفعال من الشاعر مبلغه فيعلن أنه من الثائرين على (المكوث والتجاهل)
وأنه سيكون في جملة الراحلين العابرين برّاً أو بحراً!^(٤):

والعابرون على الجنون أحبتي

والتأثرون على المدى.. إدراكي

أبحرتُ ليلاً.. والمكوث تمزّقي

والرمل سجع.. والسؤال عراكي!

وهكذا نرى في رحيل الشاعر رغبته العارمة في رفض الخمول وفتور العواطف!

(١) الديوان ٣٦

(٢) الديوان ١٧

(٣) الديوان ٤١، ٤٠.

(٤) الديوان ٢٧، ٢٦.

٥.١: النَّزْفُ:

النَّزْفُ في الأصل هو خروج السائل حتّى الانتهاء، نحو نزفِ ماء البئر، ونزفِ الدم من البدن^(١).

وشاعرنا يستعمل (النزف) للفناء شيئاً فشيئاً.

فتراه في نصّه الأوّل الذي عنوانه "صوتي غروب" يصرّح بمخاوفه ألاّ يكون في دائرة الضّوء والاهتمام؛ قائلاً^(٢):

قد أسرّجُ الأضواء

إلاّ أني فلقّ

وتلك (فتيلتي) تُغتالُ

خوفٌ.. ذهولٌ.. انفعالٌ..

دهشةٌ عبقيةٌ..

فإذا الوجوهُ مألُ

نزفٌ هنا..

يطوي المساءُ تواجدي فأموثُ..

قد نسج الدرّوبَ خيالاً!

وفي قصيدة موسومة بـ (مقطوعات) جعلها الشاعر ستّ لوحات . نجد أنّ فعل النَّزْفُ يتكرّر فيها (٤) مرّات^(٣) : (فكان النَّزْفُ أوردتي / إنّ نَزْفَ الزمانُ أحبّتي / من أحرّفي نَزْفُ / كأسه لحي ونَزْفُ الكبرياء). والشاعر يجعل الشعر المناسب من وجدانه كأثّه نزف الدم من أوردته، كما أنّه قلق على تناقص أحبّته يوماً بعد يوم.

ويؤكّد الشاعر معاناته في شعره في أكثر من موطن، ويصوّر ذلك الصراع قائلاً^(٤):

وصراعُ أبياتي .. يخرّ قصيدةً

(١) القاموس (نزف).

(٢) الديوان ٩، ٧.

(٣) الديوان ٢٨-٣٤.

(٤) الديوان ٢٤.

نزفت.. فكان الحرفُ من آهاتي!

وهكذا يبدو جلياً أنّ الشاعر يرى في الشعر عملاً ممزوجاً بالمعاناة، كنزف الدم من الوريد، فينبغي أن يقابل بالحفاوة والتقدير.

٦.١: مظاهر أخرى:

هناك مظاهرٌ أخرى من الحركة العنيفة، يمكن إجمالها في الأفعال الإنجازية التالية (القتل / الاغتيال / التخطيم / التمزيق / الصفع / الاجتياح / الهتك) تناثرت على صفحات الديوان. وهي تمثّل - مع ما سبق - إشارات على شدة انفعال الشاعر وشعوره بالغربة والعزلة، ورغبته في التغيير إلى الأفضل.

نحو قوله^(١) :

قد أزرع الأنواء

إلاّ أني زمن

وقافية النهار قتالُ

قد أسرج الأضواء

إلاّ أني قلقُ

وتلك (فتيلتي) تُغتنالُ!

ويقول متبرماً من عدم فهم (حواء) له بعد أن أعطهاها كلّ شيء ولم يجد لديها ما

كان يؤمّله^(٢):

حطّمت قيدي

واستثرت مساوئي

ولكم

أغرّ بخافقي الإطراء!

(١) الديوان ٧

(٢) الديوان ٦٢

والشاعر يرى في الشعر وسيلة كشف له ولمآربه^(١):

آهات.. حزنٌ.. وشعورٌ

وقصيدَةٌ شعرٍ

تبعثني

وتمزّقُ نَزْفَ الأعذارِ.

ولنا أن نتساءل . بعد الحديث عن مظاهر الحركة العنيفة . لماذا كثرت هذه المظاهر

في ديوان الشاعر؟

أيمكن التعليل لذلك بشدّة انفعال الشاعر بالموقف الشعريّ فحسب؟

أو أنّ الشاعر يواجه نوعاً من التحدّي في إقبال محبوبته (المرأة/ القصيدة) إليه

أحياناً؟

أو أنّ الشاعر يتوجّس خوفاً ألاّ ينال شعره ما يستحقّ من حفاوة القراء؟

كلّ ذلك محتمل.

٢ : الحركة الهادئة.

في المبحث السابق تحدّثت عن مظاهر الحركة العنيفة . افتراضياً . لدى الشاعر، وأنها كانت شائعة على صفحات ديوانه؛ ما يوحي بشدّة انفعاله ورغبته في الانطلاق في عالم التميّز والشّهرة.

وفي هذا المبحث سألقّي الضوء على مظاهر حركيّة أقلّ صخباً من المظاهر السابقة، ولكنها تعضدها وتشايعها في تصوير مشاعر الشاعر وآماله وآلامه. وهذا النوع من الحركة يتركز - إجمالاً - على مظاهر الحركة الصوتيّة المحبّبة للشاعر؛ كالعزف ونحوه.

١.٢ : العزف ومقارباته:

العزف هو التطريب والتلحين . سواء أكان بآلة أو بدون آلة . والشعر لون من

(١) الديوان ٧٦

هذا التلحين والتطريب؛ لأنّ مبناه على الأوزان والألحان وتناظر الأجزاء.
ورد العزف في ديوان الشاعر (١١) مرّة، كما وردت ألفاظ تقاربه نحو: التغريد
واللحن والشدو والغناء والترتم.

قال الشاعر في ظرف حبِّ وشفاء^(١):

تتهادى فوق عرشي لهفة

لغة الحبِّ وعزف الذكريات

جنّتي حرفٌ، وعزفٌ، ومدى

أنفثُ الشعرَ.. فتصبو الأغنيات

ويقول^(٢):

وكتبتها وهجاً.. يفوح قصيدةً

أنفاسها لحن على أوتاري.

ويقول من قصيدة (عناق أحرف)^(٣):

ولي من ذكريات الليل عزفٌ

أناغمه على رمق السحابِ

ويقول في قصيدة بعنوان (لا تعتي)^(٤):

لا تعتي

إنّ الرّوى سوداء

الليل سهد

والنهار هباءٌ

وهي التي أشدو بها

(١) الديوان ١١، ١٠

(٢) الديوان ٤٧

(٣) الديوان ٤٩

(٤) الديوان ٦١.

مترنماً..

نُزِفُ القريضُ

وضرّج الإيحاء!

ومن قصيدة (وجئت إليك) يترنم الشاعر هزجاً مفعماً بالفرح^(١) :

تعالِي.. فالحروف هنا

وعزفُ الشعرُ قد هتنا

تعالِي نشعل الليل الـ

ببهي.. ونقتل الزمنا

ليرقص لحن أغنيتي

ونغرس أرضنا سكنا

ونسكب عزفنا لغة

ونبني حبنا مُدناً.

وبهذا العزف الشعري تشتعل قصائد الشاعر ويبنى عالمه الساحر^(٢):

أشعلت من عزف الحروف قصائدي

ومن السراب تودداً وعناقا

وفي قصيدة بعنوان (أسمو.. بيان شاعر) يكشف الشاعر عن جانب من مغامرته

الشعرية قائلاً^(٣):

أسمو إذا ما الحرف غرّد شاعراً

وأؤوب إن ردّ المدى أفكاري

أنا شاعر أخفي جراحاتي هنا

وغوايتي عزفٌ من الأشعار

(١) الديوان ٦٧، ٦٦.

(٢) الديوان ٦٩.

(٣) الديوان ٧٧.

ومن نصّ يحمل عنوان (شجون يسجد السهوا) يقول^(١) :
هنا عزف انفعالات
هنا غاياتنا تروى
أريدك لحن أخيلتي
ثمودياً.. فلا يُطوى.

ومن قصيدة ألقاها الشاعر في أحد الأعياد بالمدينة المنورة:
غَنَيْتُ في طبع الكرام قصيدةً
غَلَفْتَهَا بالورد والكِبَادِ
وَشَدَوْتُ من لغة التبسّم رغبي
أبديّةً.. فجريةُ الإنشادِ
من أين أبدأ؟ والقصيد مواقف
من زهرة؟ من غصنها الميادِ؟
أم من صدى الموال سجع حمائي
أم من بداياتي.. وفيض فؤادي؟

وبهذه الأمثلة - وغيرها - يبدو جلياً شغف الشاعر بكلّ ما يتّصل بالعزف والغناء؛
لأنّ ذلك هو مادّة الشعر وميدانه الساحر الجميل.

٢-٢: الهمس:

وهو الصوت الخفيف، وهو يحيل . في الأغلب . على حالات السرّ والمناجاة
وحديث العشاق .

وقد ورد هذا الصوت عند الشاعر (٦) مرّات، كلّها في مقام التودّد، نحو قوله في
قصيدة عنونها (عتابها.. همس!)^(٢):
عتبتُ عليّ وفي العتاب تودّدٌ

(١) الديوان ٨٣، ٨٤.

(٢) الديوان ١٥، ١٤.

والهمس سحرٌ.. والمدى نجواها
لو ترزغ الكلمات في صوتي غدث
من همسها كل الحروف مداها

فهذا العتاب الرقيق الهامس استطابه الشاعر من محبوبته؛ لما فيه من القرب
والنجوى والفتنة الساحرة.

وعلى هذا النحو يصوّر الشاعر همس محبوبته برذاذ المطر يمتع القلب وينعش
الروح^(١):

لا هجر.. أنت تعابيري وقافيتي
فهل يجود لنا همس من المطر؟!

ومرّة أخرى نجد الشاعر يحيل بالهمس إلى الماء الذي يطفئ سؤرة الظمأ؛ إذ
يقول^(٢):

ظمئت مواردنا.. فماء شجوننا
همس.. وضوء عناقنا يستعجب!

وعلى هذا فالهمس لدى الشاعر فعل محبوب؛ لأنّه قرين للقرب والحبّ والتودّد،
بالرغم من أنّ الشاعر يبدو . في أغلب أحواله . ثائراً صاحباً!

٢-٣: النَّبِضُ:

وهو حركة الدم داخل القلب والأوعية الدموية داخل جسد الإنسان الحيّ. وهو
دليل الحياة.

وقد ورد النبض في ديوان الشاعر (١٠) مرّات، استعمله بمعنى انبجاس الشعر،
وبمعنى العشق والمحبة، وبمعناه الحقيقي.

أولاً. النَّبِضُ الشّعري:

استعار الشاعر النَّبِضُ للدلالة على فيض الشّعْر ابتداء من عتبه ديوانه الأولى "

(١) الديوان ١٣

(٢) الديوان ٨٦.

واشتعل النَّبْضُ شعراً" معلناً أنّ فيض الشعر الذي يملأ نفسه قد انبجس وظهر للناس بقوة تشبه الاشتعال. ويؤكد الشاعر هذا الأمر في عتبة ديوانه الأخيرة (الغلاف الأخير) قائلاً^(١):

أنا شاعرٌ.. مارستُ نبضَ قصيدي شغفاً.. فتار الحزن في أجفاني!
ويصرّح الشاعر أنّ محبوبته هي ملهمته نبض الشعر^(٢):
بعثتِ نبضي.. كما أهواه.. مرتجلاً
شعري.. فأنت هنا نبضي.. هنا قمري.

ثانياً. النبض الوجداني:

مثلما أنّ الرّوح تجعل الجسد ينبض بالحياة؛ كذلك الحبّ يجعل النفس تنبض بالسعادة والآنس بالمحجوب. على حدّ قول شاعرنا^(٣):

أخبرني كلّ ما رقّ الهوى
أشربُ الفجرَ وأذكي الأمنيات
وارتعي.. فالشوق نبض مسكّر
والأمانيّ شحونُ الكلمات
وقوله^(٤) :

سأكون وجداناً يعانق نبضها
طوعاً.. وما فاض الهوى لولاها.
وقال من قصيدة في المدينة حيث الأحبة يطيفون به:
وتلوت قرآني.. ونبض أحبتي
يجتاحني وسرورهم يحويني

(١) الديوان: الغلاف الأخير.

(٢) الديوان ١٢

(٣) الديوان ١٠

(٤) الديوان ١٥

ويرى الشاعر أنّه لا معنى للحياة بلا عشق وحب نابض:

هل ينبض العشق أم تنأى مسافاتي؟^(١)

ومن قصيدة (من أنت؟) يقول^(٢):

ننأى عن البوح - سيباً - يا مخيلتي

لا يصدح النبض إلّا بات يُشقيني

ثالثاً. التّبض الحيوي:

قال من قصيدة وطنية بعنوان (هي السعودية الأعلى)^(٣):

أحبّها كيف لا.. وهي التي نبضت

قلباً.. فصار لنبض البدو والحضر.

فشاعرنا يرى أنّ توحيد المملكة على المحبة والأخوة والنماء والأمن هو الذي

أعطى معنى لحياة الناس على أرضها.

(١) الديوان ٢٤

(٢) الديوان ٥٩

(٣) الديوان: ٨٩

المبحث الثاني: مظاهر السكون

السكون هو الخلوّ من الحركة. وقد يكون السكون توقّفاً بعد حركة ونشاط، أو صمتاً عن كلام، أو موتاً بعد حياة، أو غياباً بعد حضور، أو اختفاءً بعد ظهور... وليس شرطاً أن يكون السكون سلبياً دائماً، بل قد يكون سلوكاً جميلاً محموداً؛ كضبط النفس والإحجام عن الفتن، وكالصّمت عن الشرّ، ونحو ذلك. وقد يكون السكون باعثاً على الحركة، كما قال مؤيّن الإسكندر: " لقد حرّكنا سكونك!"^(١).

وقد ترى الإنسان ساكناً صامتاً ولكنّ نفسه تمور بالهواجس والأفكار! وقد ورد السكون عند شاعرنا بمظاهر متنوّعة، يمكن أن نسلّكها في حقلين: السكون الحقيقي، والسكون المجازي. وكلاهما يتجافى عنه الشاعر ولا يرغب فيه.

٢-١: السكون الحقيقي:

ورد السكون بلفظه عند الشاعر (٨) مرات، ووردت ألفاظ تحيل إلى معنى السكون؛ مثل الصّمت (٧) مرّات، والموت (٤) مرّات، والمكوث (٢) مرتين، والبقاء والثواء (١) مرّة مرّة.

وأغلب هذه المظاهر غير مرغوب فيه لدى الشاعر. السكون حالة سلبية لدى الشاعر؛ تعني له الخمول وفقدان الشّغف. نحو قوله^(٢):

الشعر حرّك ساكني.. متعلّلاً

بعزيف أوتاري.. ولمّ شتاتي

فالشّعر في نظر الشاعر هو حرّكته ولمّ شتاته وأنسه، بخلاف سكونه فإنّه شتات

وعدم!

(١) حسن التنبّه، للغزي، ٤٦٤/٨.

(٢) الديوان ٥

مظاهر الحركة والسكون في ديوان "واشتعل النَّبِضُ شعراً" -دراسة فنيّة دلاليّة، د. عبد الرحمن بن دخيل ربّه المطرفي

ويعيد هذا المعنى في منتصف الديوان من قصيدة يستعطف فيها محبوبته؛ أن تعود
لسالف شغفها به، لاسيّما وأنّ موسم العيد قد أظلمهم، فتراه يقول:

أسرفت..

يا عتبَ الظنون

مؤملاً..

العيد ضجّ ساكني

وشتاتي!

فالشاعر يرى أنّ العيد فرصة لعودة الأشواق الدافئة بعد الشتات والسكون القاتل!

وأكثر ما يؤلم الشاعر هو سكون المشاعر وهمودها ما بينه وبين معشوقته:

ليلي شعور مستكين حالك!!

أطوي الدروب.. وساكني متغابي!!

ويحدّر الشاعر فانتته حواء أنّها إن لم تُجاره في ثورة أشواقه وحبّه فإنّها لن تجد منه

إلاّ سكوتَ شعره الغرّيد، أو رحيله عن عالمها بعيداً^(١):

حواء.. وانطلق السباق.. فما غدا

إلاّ الغروب.. وأنتِ يا حواء

وسكون شدوي وانبعث مدائني

وجه.. وبعض مواسمي أهواء

حواء.. أتعبني البقاء فما أنا

إلاّ سؤال حائر.. وعناء!

والصّمت لدى شاعرنا سكون قاتل، إنّه يعنى الإهمال، وبرود المشاعر، وهو ظرف

لا يرضى الشاعر أن يكون رهينة له.

وفي ذلك يقول الشاعر من قصيدة (صوتي غروب)^(٢) :

(١) الديوان ١٧، ١٦

(٢) الديوان ٨

يا رغبة التعليل جئتك شاعراً
في لهفتي ..
بعض الرؤى تختالُ
فلبست صمتاً ..
والعواصف ومضة ..
والريخ لوناً .. والتبسّم آل!
يصور الشاعر صدمته إذ ووجه ببرود؛ مما دعاه للصمت، وقد كان متحفزاً للتّعني
والشعر.
وبالمثل يحذّر معشوقته في قصيدة (إياك أعني) أنّها إن لم تدع التجاني فإن شاعرها
المغرد سيلوذ بالصمت^(١) :
متدنّراً بمساحة .. وسيلها
نحو الرّوى (صمت) من الإدراك!
ويطلب الشاعر صراحة من محبوبته أن تكون محفّزاً دائماً لشعره وألحانه وأشجانه؛
كي يظلّ مشتعلاً بالشعر والغناء^(٢) :
كوني شجوناً يستقرّ بداخلي
فلقد سئمت الصّمت والأوراقا
كوني حروفاً تستبين سجيّتي
فلكم أتيتُ بأحرفي مشتاقا
أشعلتُ من عزف الحروف قصائدي
ومن السراب تودّداً وعناقا
أنا سيّد الأبيات .. فيض صبابتي
حرف يمازج لهفتي أخلاقا

(١) الديوان ٢٥

(٢) الديوان ٦٨، ٦٩

مظاهر الحركة والسكون في ديوان "اشتعل النّيبض شعراً" - دراسة فنّية دلالية، د. عبد الرحمن بن دخيل ربّه المطرفي

إنّ معركة الشاعر مع الصّمت محدمة دائماً، وقد صوّر ذلك أتمّ تصوير في قصيدة اختار لها عنوان (وصراع أبياتي) وهو صراع مستمر مع الصمت والزمن؛ على حدّ قوله فيها^(١):

يا ليلة أرقتها.. فكأنني
صخبٌ.. وهذا الليل من أبياتي
فاوضتها.. والوقت بدء من دمي
حسبي سكبت الليل ملء جهاتي
حسبي بدأت الصمت بوحاً.. ربّما
ذكرى الشجون تّؤوب في خلواتي.

وعلى غرار الصّمت هذا يأتي (الموت) لدى الشاعر؛ فهو موت المشاعر وموت الشجن وموت الشّعر والشّغف.

ويتمثّل ذلك كلّه في عتبة نصّه الأوّل (صوتي غروب) بما يشير إليه من الصّمت بعد الكلام، أو الاختفاء والفناء بعد الظهور! وفيه يُظهر الشاعر مخاوفه قائلاً ومحدّراً^(٢):
نزفٌ هنا..

يطوي المساء تواجدي فأموتُ..
قد نسجَ الدروبَ خيالُ
صوتي غروبٌ..
والقوافل قصّة..
(ولكلّ عصرٍ.. دولة ورجال).

ولا يقلق الشاعر مثل موت الشغف؛ الذي يطلق خيول رؤاه وأشعاره. يعبر عن

(١) الديوان ٢٤.

(٢) الديوان ٩.

ذلك بموت المدى^(١) حيناً، وموت العطر^(٢) حيناً آخر.
ومن مظاهر السكون التي يتبرّم منها الشاعر ويرفضها: المكوث والبقاء والثّواء.
يرى الشاعر أنّ المكوث . تحت أي ظرف . نوعٌ من التمرّق^(٣) وإهدار الكرامة
والشاعريّة، فلا بدّ من الرحيل والرّكض والتمرّد على تلك الحالة البائسة^(٤):
إن كان يذكرني المكوث.. أنا هنا
رغم التمرد لكنني وجوايي
فكتبْتُ أبيات الوداع بنشوةٍ
موشومةٍ (بتغيّب الأصحاب).
والشاعر لا يطيق البقاء وطول الثّواء؛ على حدّ قوله^(٥):
حواء.. أتعيني البقاء فما أنا
إلاّ سؤال حائر.. وعناء
ويصرّح في موطن آخر أنّ طول الثّواء^(٦) داعية إلى الملالة والرحيل.

٢-٣: السكون المجازي:

وردت لدى الشاعر ألفاظ كثيرة تحيل إلى نوع من السكون؛ يمكن أن نطلق عليه
السكون المجازي. وذلك نحو: المهجر، والغياب، والخبوّ، والجليد، والثّناء.
وهي مظاهر مؤذية في نظر الشاعر وغير مرغوب فيها؛ لأنّها . مثل السكون
الحقيقي . تحيل إلى التوقّف والانطفاء.
خصّص الشاعر نصّاً في ديوانه بعنوان (لا هَجْرَ: خارطة طريق) يحاور فيه

(١) الديوان ١٧

(٢) الديوان ٨٢

(٣) الديوان ٢٧

(٤) الديوان ٤١

(٥) الديوان ١٧

(٦) الديوان ٦٤.

مظاهر الحركة والسكون في ديوان "واشتعل النَّبِضُ شعراً" -دراسة فنيّة دلاليّة، د. عبد الرحمن بن دخيل ربّه المطرفي

معشوقته؛ مبيّناً لها أنّ حياتهما ينبغي أن تكون شركةً من الحبّ والوصال والعناق والشغف. إذ لا غنى لأحدهما عن صاحبه، وفي ذلك يقول^(١):

لا هجرَ.. أنتِ مياديني إلى السّحرِ

الشّعْر أنتِ.. وما أرجوه من سفري

لا هجرَ.. أنتِ تعابيري وقافيتي

فهل يوجد لنا همس من المطر؟!

وهذا الهجر يشبه الغياب لدى الشاعر؛ إنّ البعد عن الحياة والأحياء، ومن أجل

ذلك حقّ للشاعر أن يحتفل بعودته بعد طول غياب؛ قائلاً^(٢):

أعانقُ.. والمداد من الرُّضابِ

وأكتب عودتي بعد الغيابِ

إنّما عودة إلى الوهج والسعادة وأغاني الشّعْر.

وما يفسد الفرح بهذه المباهج لدى الشاعر كثرة العتاب، إنّها تجعله يذبل ويخبو

شيئاً فشيئاً^(٣):

تتساقط الكلمات دون مشاعري

أخبو عتاباً.. والوصول بعيدُ

وكذلك مما يغيب الشاعر كثيراً تبدّل المشاعر نحوه، أو تلكّؤ الشعر في لحظة ما

عليه، فذلك نوع من البرود القاتل يشبه برودة (الشتاء)^(٤) القارس، أو برودة (الجليد)^(٥).

(١) الديوان ١٣، ١٢.

(٢) الديوان: ٤٩

(٣) الديوان ٨٧

(٤) الديوان ٣٥-٣٩

(٥) الديوان ٨٧

المبحث الثالث: ثنائية الحركة والسكون

بدا لنا واضحاً أنّ الشاعر يسير في تجربته الشعرية في جدلية ما بين مظاهر الحركة . قويّة أو هادئة . وما بين مظاهر السكون الحقيقي منه والمجازي .

والشعر هو كلمة السرّ في حياة الشاعر .

فمنذ أن أعلن في عتبة الديوان الأولى عن (اشتعال نبضه بالشعر) وهو يحاول أن تبقى شعلته متوهجة متوثبة، لا يتهددها شيء من عوامل الانطفاء والتوقف والغياب . وفي عتبة الإهداء ينبّهنا الشاعر إلى قضيتته قائلاً^(١):

الشعر حرّك ساكني!

هذا الشعر يريد شاعرنا شعلة برق تضيء الكون كله^(٢):

أريد برقاً يضيء الكون يشعله

يكون شعراً ربيعياً يرويني!

أو يكون خيولاً مسرجة تركض في سباق لا ينقضي^(٣) :

أنا شاعرٌ أسرجتُ خيل قصيدي

عزفاً يفيض بساحة الأشجانِ

ويقول^(٤) :

سأظلّ أركض حيث تنساب (السهى)

وتؤوب حنجرتي إلى الأذهانِ

ولا سيّما أنّه قد شعره من العدم^(٥):

صنعتُ مشاعري شوقاً

(١) الديوان ٥

(٢) الديوان ٦٠

(٣) الديوان ١٠٧

(٤) الديوان ٧٣

(٥) الديوان ٧٩

وقد كانت من العدم!

ويظلّ شاعرنا في نصوصه داعياً إلى مجاراته في سباقه هذا، ويحذّر أشدّ تحذير من الفتور والغفلة والتراخي.

فأكثر ما يغيظه ألاّ يُواكب في الاحتفاء بموهبته وتوهّجه وفعاليّته؛ نحو قوله أسيفاً^(١):

أطوي الدروب.. وساكني متغابي!!

حالة السكون والقرار تلك لا يطيقها الشاعر أبداً، فتراه يفترّ منها راحلاً^(٢):

أبحرْتُ ليلاً.. والمكوث تمزّقي..

أنا لا أطيق الصّبر.. إني راحلٌ..

ويعلن الشاعر . في مواقف كثيرة . أنه لا يعيش إلاّ في ظرف التوهّج شعراً^(٣):

أسمو إذا ما الحرف غرّد شاعراً

وأؤوب إن ردّ المدى أفكاري

ويقول^(٤):

جنّتي حرفٌ وعزفٌ ومدى

أنفثُ الشّعْر.. فتصبو الأغنيات!

وكأنيّ بالشاعر قد رسم بهذا البيت (قضيتّه الكبرى) في ديوانه هذا.

وخلاصة القول أنّ الشاعر . على امتداد ديوانه . ظلّ يفترّ من مظاهر السكون

والسكوت والغياب؛ إذ يراها ظرفاً سلبياً لا تليق بشاعريّته ولا بمشاعره الحارّة.

وفي المقابل تراه محتفياً بمظاهر الحركة . ولو كانت عنيفة . ويرى أنّها هي اللاتئة

بموهبته الشعريّة المتوثّبة، وبشعوره المرهف نحو جمال الحياة.

(١) الديوان ٥٤

(٢) الديوان ٢٧، ٣٦

(٣) الديوان ٧٧

(٤) الديوان ١١

الحركة تعني الحياة والحيوية والإيجابية في نظر الشاعر.
أمّا السكون فموت وغيبة وسلبية.
وشاعرنا ليس بدعاً بين الشعراء؛ في تطلّبه للمجد والشّهرة وأن يكون في دائرة
الاهتمام دائماً، بل تلك سنّة الشعراء ورغبتهم في كلّ عصر؛ وإن اختلفت طرقهم
ووسائلهم في التعبير عنها، والتوسّل إليها.

الخاتمة:

بعد هذه المسيرة الجميلة مع الشاعر في حركاته وسكناته في ديوانه هذا؛ يمكننا أن نسجّل النتائج التالية:

١. سيطرت مظاهر الحركة على نصوص الديوان؛ بما في ذلك عتباته الموازية.
 ٢. اتّخذ الشاعر مظاهر الحركة رموزاً لشاعريّته ومشاعره المتوقّدة.
 ٣. بدا جليّاً نفور الشاعر من السكون ومظاهره المتنوّعة؛ فهي في نظره سلبية قاتلة.
 ٤. الشعر في نظر الشاعر سلوك بطولي؛ ومن أجل ذلك رمز إليه بحركات البطولة كثيراً (إسراج الخيول، الركض، العبور، الرّحيل، تحطيم القيود...).
 ٥. يمكن أن نفسّر شيوع مظاهر الحركة العنيفة في ديوان الشاعر بتوجّس الشاعر وخوفه ألاّ يجد شعره التّجّاح الذي يرغبه ويؤمّله.
 ٦. أتى توظيف الشاعر للحركة بمظاهرها المتنوّعة تعبيراً عما يرغبه من الشّهرة والظهور. أتى وفقاً لتوقّع القارئ؛ إذ الحركة هي المؤشّر الطبيعي على الحياة والنّماء.
 ٧. بدت أطروحة الشاعر في نظره إلى الحركة والسكون متماسكة متساوقة؛ لم يخلخلها شيء من التناقض أو الاضطراب.
- والحمد لله في البدء والختام.

المصادر والمراجع:

التوحيدي؛ أبو حيان، المقابسات، تحقيق وشرح حسن السندوي، الكويت، دار سعاد الصباح. د.ت.

الرجاني؛ الشريف، كتاب التعريفات، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٦ هـ.
الصاعدي؛ يوسف بن محمد ناصر، واشتعل النبض شعراً، نادي المدينة المنورة الأدبي، ١٤٣٤ هـ.

صليبا؛ جميل، المعجم الفلسفي، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٢ م.
الغزي؛ نجم الدين، حسن التنبيه لما ورد في التشبيه، سوريا، دار النوادر، ط ١، ١٤١٦ هـ.
مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي، القاهرة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٤٠٣ هـ.

ابن منظور، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ١٤٠٥ هـ.

Bibliography

- al-Tawhīdī ; Abū Ḥayyān, al-Muqābasāt, investigated and commentary by: Ḥasan al-Sandūbī, Kuwait: Dār Su‘ād al-Ṣabāḥ. al-Jurjānī ; al-Sharīf, Kitāb al-Ta‘rīfāt, Bayrūt, Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, 1416 AH.
- al-Ṣā‘idī ; Yūsuf ibn Muḥammad Nāṣir, wāshat‘l al-nabḍ shi‘ran, Nādī al-Madīnah al-Munawwarah al-Adabī, 1434 AH.
- Ṣalībā ; Jamīl, al-Mu‘jam al-Falsafī, Bayrūt, Dār al-Kitāb al-Lubnānī, 1982.
- al-Ghazzī ; Najm al-Dīn, Ḥasan altnbh li-mā Ward fī altshbbh, Sūriyā, Dār al-Nawādir, 11, 1416h.
- Majma‘ al-lughah al-‘Arabīyah, al-Mu‘jam al-falsafī, Cairo, al-Hay‘ah al-‘Āmmah li-Ṣhu‘ūn al-Maṭābi‘ al-Amīriyah, 1403 AH.
- Ibn Manzūr, Lisān al-‘Arab, Beirut, Dār Ṣādir, 1405 AH.

تأنيث إيقاع قصيدة التفعيلة عند عبدالله الغذامي

The feminization of blank verse in the work of
Abdullah Alghathami

راشد فهد عايض القثامي

أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية بالكلية الجامعية بترية بجامعة الطائف

البريد الإلكتروني: Rfad2009@hotmail.com

المستخلص

شُغِلَ النُّقَّادُ المعاصرون بالإيقاع الشعري ذلك بعد ظهور قصيدة التفعيلة لذا يعالج بحثنا هذا الكيفيَّةَ الَّتِي من خلالها تلقى الناقد السعودي عبد الله الغدامي قصيدة التفعيلة، ويتجلى ذلك في مبحثين أساسيين وهما: الأول تأنيث قصيدة التفعيلة وفي هذا المبحث ندرس كسر عناصر شعر الفحوليين المرتبطة بنظريَّة عمود الشعر، ويستحضر هذا المبحث الجانب التاريخي لظهور قصيدة التفعيلة.

أمَّا المبحث الثاني فيدرس تأنيث إيقاع قصيدة التفعيلة ذلك من خلال دراسة عناصر الإيقاع كالعروض والقافية وبعض التقنيات النصيَّة الأخرى، ولا تغيب المعالجة الثقافية عن المبحثين السابقين، وهذا كله يحدث في سياق قرائي يتركز على تفسير الظاهرة الأدبية تفسيرًا ثقافيًا لذلك قام بحثنا هذا على منهج التلقي إذ اعتمدنا على قراءة الناقد الغدامي للتحوّل الموسيقي في بنية القصيدة العربية في النصف الثاني من القرن العشرين، ولقد قمنا في هذا البحث بتحليل بعض المواضيع والقضايا المتصلة بالإيقاع الشعري لقصيدة التفعيلة.

وبعد ذلك نصل إلى أهم النتائج المستخلصة الَّتِي تُبيِّن أهم التقنيات الإيقاعية الموضحة لملاحم التأنيث بحسب وجهة نظر الناقد كالزيادة والنقصان والتقلُّص والامتداد ويُضاف إلى ذلك التعديلات الَّتِي حدثت على عناصر الاتصال اللغوية، ومن ثم ينتهي البحث بأهم التوصيات ومنها: العناية بالمنجز النقدي السعودي الَّذِي تفاعل مع الشعرية العربية.

الكلمات المفتاحية: قصيدة، تفعيلة، تأنيث، إيقاع، نازك الملائكة.

Abstract

Contemporary critics have shown a great interest in poetic rhythm after the emergence of blank-verse poetry. Therefore, this research examines the mechanism through which the Saudi critic Abdullah Alghathami has received the blank-verse poetry. The current paper has two main sections.

The first section deals with the feminization of blank-verse poetry. It studies the breaking down of the poetry components that have been dominated by male poets which is related to the vertical poetry theory. This section touches on the historical side in the emergence of blank-verse poetry. The second section studies the feminization of the blank-verse poetry through the study of rhythm components, such as rhythm and rhyme and some textual techniques.

The cultural aspect is fundamental to both sections. This takes place in a reading context which focuses on explaining the literary phenomenon culturally. Thus, the methodology followed in this research is based on the reception method. It mainly focuses on the Alghathami's reading of the musical transformation in the Arabic poem in second half of the twentieth century. This involves the analysis of some of the issues and topics pertaining to poetic rhythm in blank verse.

The current research concludes by showing the most important rhythmic techniques used in the feminization of blank verse according to Alghathami, such as addition, reduction, shortening and extending, as well as the modifications that happened to the linguistic communication. The research ends with a recommendation to further study the Saudi critical literature that have studied poetic rhythm.

تقديم:

يشتمل هذا البحث على مبحثين وهما تأنيث قصيدة التفعيلة وتأنيث إيقاع قصيدة التفعيلة، وجاء المبحث الأول؛ للتأصيل للقصيدة المؤنثة بحسب وجهة نظر الناقد عبد الله الغدامي وغيره من النقاد المعاصرين، ولا تنفصل قضايا المبحث الأول عن الثاني؛ فالقصيدة العربية بشئى طرائقها لا تخلو من إيقاعٍ وجرسٍ موسيقي سواءً أكان هذا الإيقاع ظاهراً أم عميقاً يرتبط بالبعد الدلالي والصوتي للجملة وأجزائها.

المبحث الأول: تأنيث قصيدة التفعيلة

تطوّر الشعر العربي في القرن العشرين تطوّراً ساهم في إيجاد حركة نقدية كبيرة، وجاءت هذه الحركة مُواكبةً للتجديد الشعري، وما زال النقاد، والأدباء مستمرين في إعادة بناء النص الأدبي، والفكر النقدي، ونحن من هذا المنطلق مشغولون بقراءة ما هو مُختلف في المنتج النقدي والأدبي، ولو قمنا بمطالعة كتاب "تأنيث القصيدة والقارئ المختلف" لعبد الله الغدامي لوجدناه يجزم جزماً قاطعاً بأولية نازك الملائكة في صناعة شعر التفعيلة في قصيدتها الكوليرا، وهذا الجزم جاء في سياق انتصار لرأي يتشبّه بأنثوية قصيدة التفعيلة، والتشبّه يفترض حدوث صراع، والصراع يُوجد في هذا السياق بين الرجل، والمرأة.

الإعلاء من شأن الأنوثة بوصفها ذات تأثيرٍ في تحديث المنتج الأدبي ظهر في سياق معارضة أقوال القدماء الذين ربطوا الإبداع بمصطلح الفحولة، وهذا الربط يُوجد في موضع تضاد مع الأنوثة، ولعلّ إلحاق تجديد الموسيقى الشعرية بالمرأة الشاعرة يدلُّ على هذا، ولا يقف الأمر عند ذلك بل قام الناقد بتسمية الشاعر المعاصر رجل^(١)، وهذه المعالجة النقدية لم تنظر لتاريخية الشعر العربي منذ القدم، وخصوصاً في العصر العباسي الذي شهد محاولات شتى؛ لتجديد بنية القصيدة، والخروج بأوزان جديدة

(١) تأنيث القصيدة والقارئ المختلف - عبدالله محمد الغدامي - لبنان بيروت - المركز الثقافي العربي -

تختلف عن الأوزان الخليلية، وهذا التطور التاريخي المصاحب للشعرية العربية لا ينفك عن بعضه، ولذا فقد ربط محمد جواد البدراني بين ظهور الشعر الحر وتاريخية التجديد الشعري^(١)، وأرى أنّ التركيز على لحظة انبثاق قصيدة التفعيلة لم يكن لولا وجود دور كبير للشاعرة، وهذا التعاطي النقدي المختلف يدخلنا في تأويلات جديدة للحدث الشعري الذي تغيرت فيه نمطية البيت الثابتة كميًا، ولا يفهم من هذا العرض إقصاء الشاعرة نازك الملائكة من فئة الشعراء المجدّدين الذين برزوا في القرن العشرين، ولكن نازك تفاعلت مع شعريّة الرجل، وقامت بتلقيها تلقيًا يجمع بين التذوق والمعالجة النقدية، ويظهر ذلك جليًا في تفاعلها مع شعريّة زميلها الشاعر الرجل في دراساتها النقدية، ومثّل بدراستها عن شاعريّة الشاعر علي محمود طه، ولم تكتفِ بذلك فحسب، بل قرّرت نازك فصل جوهر الشاعرية، والأدب عن أيّ عوامل خارجيّة لا علاقة لها بالإبداع الإنساني^(٢)، ويبدو أنّ بنية الشعر تتكوّن داخل حساسيّة الشاعر الموجّهة للمتلقّي، ونحن لا نقول: إنّ العلاقة ثابتة، ودائمة بين القصيدة والجمهور، وكذلك تفاعل المبدع مع شعره، ولكن لا نستطيع القطع بالطبيعة الأثوية لقصيدة التفعيلة وهذا يعود إلى طبيعة التحوّلات الجمالية والثقافية الحاصلة أثناء ظهور هذا اللون الشعري الجديد، وبعيدًا عن محاولة فهم هذه التحوّلات المتداخلة بين الجمالي والثقافي والاجتماعي فأكثر ما يشغلنا طبيعة القصيدة وإيقاعها، وهذه الطبيعة وُصفت بالتأنيث في سياق هذه الدراسة.

وما يدعونا للتأمل في هذا السياق تبرّير الدكتور الغدامي لتفاعل نازك مع شعرية الرجل، إذ يرى فيه محاولة؛ لتجنّب غضبة الفحوليين، ويعتبر أنّ هذه حيلة تقوم بها؛

(١) الحركة النقدية حول السياح . محمد جواد حبيب البدراني . لبنان بيروت . الدار العربية للموسوعات . ٢٠١٣م . ١٤٣٤هـ . ط ١ . ص ١٤ .

(٢) الصومعة والشرفة الحمراء . نازك الملائكة . لبنان بيروت . دار العلم للملايين . ١٣٩٩هـ . ١٩٧٩م . ط ٢ . ص ٢٦ .

تأنيث إيقاع قصيدة التفعيلة عند عبدالله الغدامي، راشد فهد عايض القنامي

لتعمل على تطوير عمود الشعر، ومواجهة الفحول الشعرية^(١)، والأمر الملاحظ في هذا الرأي: وجود مواجهة قائمة بين الشاعرة الأنثى، والشاعر الرجل الممثل لفحولة الشعر، وبناءً على هذا الفهم يجب علينا تجاوز النظرة السطحية بُحاه التحديث في عروض الشعر العربي، ونفهم من خلال هذه القراءة النقدية للتحوُّل الذي حدث على بنية الإيقاع الشعري أننا أمام معركة أدبية.

وهذه المعركة المفترضة من وجهة نظر النقد الثقافي واجهت فيها المرأة الرجل، والمواجهة هنا فيها استعانة بالضوابط الفقهيّة التي تقول: إنّ ميراث المرأة يساوي نصف ميراث الرجل، وهذا نتج عنه استظهار نازك لثمانية بحور من البحور البسيطة، وهذه الثمانية تساوي نصف البحور الخليلية الستة عشر، وكلُّ هذا التعاطي النقدي الذي يحمل إعلاناً لتحطيم فحولة عمود الشعر، وذكرته حصل توجيهه توجيهاً مباشراً؛ لكشف أنثوية قصيدة التفعيلة، وهذه المعالجة تجمع بين فهم شخصية نازك، وفحوى اللغة الشعرية، ولا تُريد تعميق العلاقة بين البنية الشعرية، وتاريخيتها، والتفسير الثقافي؛ لأننا مشغولون بالبحث في أنثوية الشعر الحديث التي رُبطت بطبيعته الممتدة، والضيق داخل حدود البيت العروضية عند القدماء في عددٍ مُعين من التفعيلات، وبحسب هذا الفهم فإنّ ظهور قصيدة التفعيلة لا يرتبط بالابتكار الموسيقي، بل يتعلّق بأنوثة نازك، التي رفضت أنثويتها الشعرية الفحولة، وعمود الشعر، ويظهر أنّ إيجاد مواجهة بين أنوثة الشاعرة، ومصطلح كالفحولة الذي أُستجلب من البيئة الطبيعية عند القدماء قد وضع الصراع الشعري حول الابتكار والتجديد في دائرة المرأة الحديثة، والسياق الأدبي القديم، والمقصود به العصر الجاهلي على وجه التحديد، وذلك؛ لأنّ المصطلح النقدي تجدد في عصورٍ شعريّة لاحقة^(٢).

الشاعر الفحل عند القدماء يُريد أن تكون له مزية على غيره من الشعراء، وهذه

(١) مرجع سابق: تأنيث القصيدة والقارئ المختلف . عبدالله محمد الغدامي . ص ١٦ .
(٢) مصطلحات النقد العربي . الشاهد البوشيخي . الأردن إربد . عالم الكتب الحديث . جدارا
للكتاب العالمي . ط ١ . ١٤٣٠ هـ . ٢٠٠٩ م . ص ٧٩ .

المزية تشبه مزية الفحل من الإبل على بقیة الحقائق^(١)، والسؤال الوارد في هذا السياق: هل توجد إشارة للتمايز بين شعر الرجل وشعر المرأة في هذا التصور؟ ويبدو أن ثنائية التذكير والتأنيث لم تبرز بشكل واضح إلا في تشبيه تفضيل الشاعر بحالة البعير المتميز على غيره التي بدأت تكبر؛ لتكون مهيأة لحمل المتاع، والركوب وغير ذلك، وموضع الفهم يدور حول اللغة التي تُظهر لنا هذا التمايز المعالج من منظور ثقافي يتماس مع شعرية القصيدة الموضوعية تحت جدلية الذكر والأنثى، ولقد تراوحت الدراسة وفق هذا الاتجاه بين النصي، وما بعد النصي، وهذا يظهر في الإفادة من صورة الفحل في النقد القديم؛ لفهم شعرية نازك، ولو تفكرنا في هذا التصور النقدي للاحظنا وجود ربط بين رؤية الناقد القديم وتفسير الناقد الحديث الذي أدخل بعض الأفكار النقدية الأدبية في سياق المعالجة الثقافية، ونكتشف مما تقدم أن الصراع حول تحديد الموسيقى الشعرية يختلف بحسب نظرة الناقد المعاصر لهذا الحدث الأدبي، ويرى مصطفى السحري أن التجديد الموسيقي جاء نتيجة لظهور جيل شعري كامل انطلاقاً من الحركة الرومانسية وصولاً لشعراء قصيدة التفعيلة^(٢)، ويبدو أن هذا الرأي يركز على الصراع بين الأجيال الشعرية العربية الحديثة والقديمة، وهذه الوجهة النقدية تنظر للحركة الشعرية بشكل واسع يتجاوز مسألة الفحولة، والأنوثة، وهذه النظرة الواسعة تُقدم تفسيراً عاماً لا يُحتزل في جزئيات بسيطة كثنائية الذكر والأنثى، ولا شك في أن إيقاع قصيدة التفعيلة تأرجح بين النظرة التاريخية والنظرة الفنية التي يحاول أصحابها عزل القافية الموحدة عن شعرية القصيدة، وفي مسار هذا البحث تحدث الدراسة من خلال بُعد ثقافي مختلف إلى حد ما، وهذا يتجلى في نقل المنطق النقدي، وضوابطه الجامدة إلى مجال يتحتم فيه الإيمان بالنسائية بوصفها العالم المستقل المنفرد، والنائي بنفسه عن

(١) الموشح مأخذ العلماء على الشعراء في عدة أنواع من صناعة الشعر للمرزباني - تحقيق: على

محمد البجاوي - مصر القاهرة - دار الفكر العربي - ص ٦٢.

(٢) الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث - مصطفى عبداللطيف السحري - المملكة العربية

السعودية جدة - تهامة للنشر - ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م - ط ٢ - ص ١١٦.

تأنيث إيقاع قصيدة التفعيلة عند عبدالله الغدامي، راشد فهد عايض القنامي

شمولية الإنسانيات كالشعر، والنقد، قد برزَ في سياق علمي يتعد عن تاريخية الأدب بشكلها السطحي البسيط؛ ليجد المتلقي نفسه في مواجهة قراءة تتركز على البعد الثقافي، ولذلك فهناك معنى ثقافي للتأنيث لا علاقة له بالمعنى الطبيعي^(١)، والحسي للأنثى، ويرى الغدامي أنَّ الفحوليين ينظرون للأنوثة بوصفها أمرًا ماديًا وهذه القراءة انعكست على قصيدة التفعيلة التي ظهرت ظهورًا أنثويًا على يد امرأة، ونحن وفق هذه المعالجة تجاوزنا النظرة الاعتيادية للأدب بشكل عام، والشعرية بشكل خاص،

ولا يوجد في هذا الطرح النقدي إشارة إلى طبيعة الأدب الذي بُني على العاطفة، والخيال، والصدق الفني، حتى وإن سلّمنا بحصول تمييز بين الرجل، والمرأة في الشعرية العربية، فهذا التمييز أساسه الكم؛ أي أنَّ إنتاج الرجل الشعري يفوق إنتاج المرأة بمراحل، وتاريخنا الأدبي لم يتجاهل الخنساء السلمية، والخرنق بنت بدر صاحبة أقدم ديوان شعري مطبوع لشاعرة جاهلية^(٢)، ويظهر أنَّ غياب أخبار الشواعر في العصر الجاهلي يُشبه غياب أخبار الشعراء الرجال، والإشكالية هنا تُوجد في الرواية والتدوين؛ أي أنه لا تُوجد نصوص تدلُّ على التهميش الثقافي بحسب وجهة نظر الناقد الثقافي.

إشكالية حضور شعر المرأة في أدبنا العربي تعود إلى كميّة وجوده، ولا يُمكن أن نُلغي تمامًا المشكلات الاجتماعية، والثقافية، ولكن نريد التعامل مع النص الشعري، وتاريخيّته بشكلٍ مباشر نبتعد فيه عن هذه التفسيرات التي تخضع إلى قراءات مُتعدّدة يرتبط فيها النص بالمعرفة، والثقافة كما يُلاحَظ في هذه المعالجة^(٣)، والسؤال الذي يتبادر إلينا: هل تنوّع القراءات سيضع الباحث في عمق الواقعة التاريخية لقصيدة

(١) ثقافة الوهم. عبدالله الغدامي. المغرب الدار البيضاء لبنان بيروت. المركز الثقافي العربي. ٢٠٢٠م. ط٦. ص٥٢.

(٢) ديوان شعر الخرنق بنت بدر بن هفان. تحقيق: حسين نصار. مصر القاهرة. مطبعة دار الكتب والوثائق القومية. ١٤٣٠هـ. ٢٠٠٩م. ص٣.

(٣) في ذاكرة القراءة النقدية العربية. قاسم مومني. الأردن عمان لبنان بيروت. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. ٢٠١٤م. ط١. ص١٦٨.

التفعيلية، ولحظة انبثاقها، وأظنُّ أنَّ صناعة أي تصوُّر عن تاريخ الحداثة الشعرية يستدعي كُلاًّ الأطروحات المتفاوتة، ومنها رُبُّظ ظهور شعر التفعيلية بأنوثة نازك الملائكة، وهذا الربط المرتكز على المعالجة الثقافية لا يمكنُ فصله عن جوهر التجديد الحاصل في لغة الشعر، والجديد في هذه الدراسة القائمة على أنثوية القصيدة الحديثة تجاوزها مرحلة المعارضين لهذا الشكل، والمؤيدين.

وتجاوز الانقسام حول التجديد الموسيقي الشعري يرتكز على نظرةٍ عاقمة تُجاه الشعرية العربية، وهذه النظرة لا تنفصل عن البحث في الأنساق الثقافية المضمرة^(١)، ويجب أن نقوم باستخلاص هذه القضية الأدبية من أعماق الدراسة الثقافية المتصلة بالتحوُّل الحاصل في الشعر العربي، ولن يحصل ذلك إلا إذا قمنا باستيعاب التوظيف المختلف للمصطلحات والمفاهيم كالفحولة، وعمود الشعر.

إلحاق عمود الشعر بالذكرورة يشير إلى القراءة المختلفة. فالعمود عبارة عن: جزالة ألفاظٍ، وإصابة في المعنى، وتلاحم أجزاء وغيره من أركان شعرية استخلصها النقاد من استقراءهم للشعر الجاهلي^(٢)، وبنبغي على الشاعر أن يُطبِّق هذه الأصول في شعره، والنقاد كالمرزوقي، والآمدي لم يجعلوا هذه الأركان محصورة على الرجل فقط، وإنما سعوا لصناعة قواعد بنيوية ثابتة تحكم بناء القصيدة، وهم عندما عادوا للشعر القديم، فعودتهم ليست إلا بحثًا عن نموذج شعري يُحتذى به، والشاعر المجدِّد قام بتجاوز النماذج الشعرية القديمة وقواعد عمود الشعر في نفس الوقت، ولسنا في صدد دراسة علاقة الشاعر بنظريات النقاد، ولكننا نحاول الكشف عن واقع الشعراء المعاصرين الذين تبنا قصيدة التفعيلية.

المقابلة بين بنيوية عمود الشعر، والتفسير الثقافي لظهور قصيدة التفعيلية تُحتم

(١) النقد الثقافي - عبدالله الغدامي - المغرب الدار البيضاء - المركز الثقافي العربي - ٢٠٠٨ م - ط ٤ - ص ١١٨.

(٢) عمود الشعر العربي - محمد بن مريسي الحارثي - المملكة العربية السعودية مكة المكرمة - نادي مكة الثقافي الأدبي - ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م - ط ١ - ص ١٧٧.

تأنيث إيقاع قصيدة التفعيلة عند عبدالله الغدامي، راشد فهد عايض القنامي

علينا البحث في كَيْفِيَّةَ الربط بين التحوُّل في شكل القصيدة والوضع الاجتماعي، والإنساني للشاعرة نازك الملائكة التي يرى الناقد الغدامي أنَّها قامت بتحطيم عمود الشعر^(١)، وهذا الربط المرتكز على الأبعاد الثقافية جاء وفقاً لصراع قائم بين أصول نقدية نصية قديمة والشاعرة نازك، ويظهر أنَّ انبثاق قصيدة التفعيلة تسبَّب في وجود تفسيرات مُتعدِّدة، وكذلك فوضى في المصطلحات المتعلِّقة بهذا الشكل الشعري الجديد^(٢)، ومن ذلك: رؤية الناقد الغدامي التي اتَّصلت فيها الثقافة بالنص الشعري.

لقد سبقت مرحلة التحديث الشعري في القرن العشرين محاولات عديدة للخروج على ضوابط العروض العربي الصارمة، ومُتمِّل في هذا السياق ببعض الابتكارات الموسيقية التي أحدثها الشعراء العرب في القرن التاسع عشر، ويرى محمد أبو الأنوار أنَّ هذه الجهود رُبطت بتاريخ الشعر العربي، وخصوصاً ما جرى في الأندلس من موشَّحات وغيره، ويُضاف إلى ذلك: الرغبة في التجديد، والانتقال إلى تجربة مُغايرة عمَّا سبق^(٣)، ووُجِدَت هذه الرغبة بعد انفتاح الشعراء العرب المعاصرين على الآداب الغربية، ومن هؤلاء علي أحمد باكثير الذي جمع بين كتابة الشعر، والمسرح، والرواية، وبمكُنَّا القول: إنَّ الجمع بين كتابات نثرية وافدة، وممارسة الكتابة الشعرية قد ساهمت في العمل على تطوير شكل القصيدة العربية^(٤)، وهذه النظرة النقدية المعتمدة على تاريخ الشعر تختلف عن أيِّ قراءة ثقافية، ولو تدبَّرنا التركيز على أنثوية الشعرية الجديدة عند نازك الملائكة لوجدنا أنَّ هناك استبعاد لمسار الزمن الشعري السابق، واللاحق، وذلك؛ لكي يُبرز هذا الدارس أنثوية قصيدة التفعيلة،

(١) مرجع سابق: تأنيث القصيدة والقارئ المختلف - عبدالله محمد الغدامي - ص ١٢.

(٢) الشعر الحديث بين التقليد والتجديد - أحمد سليمان الأحمد - ليبيا طرابلس - تونس - الدار العربية للكتاب - ١٩٨٣ - ص ١٤٥.

(٣) الحوار الأدبي حول الشعر - محمد أبو الأنوار - مصر القاهرة - مكتبة الآداب - ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م - ط ١ - ص ٥٥٨.

(٤) علي أحمد باكثير ناقداً أدبياً - أحمد هادي باحارثة - الجمهورية اليمنية عدن - دار الوفاق - ١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م - ط ١ - ص ٣٧.

وشعريتها التي تعاني الإقصاء من لدن الشاعر الرجل الممثل للفحولة الشعرية، والتاريخ في هذا السياق يرتكز للثقافة ولا يرتكز لتاريخية التجارب الشعرية، وهذا يتجلى في تحوّل الشاعرة نازك لأنثى ثقافية تواجه تاريخاً ثقافياً الحدث الأبرز فيه: تمهيش المرأة وتغييبها من الشعرية العربية، وعلى هذا الأساس بُنيت محاولة الفهم لولادة قصيدة التفعيلة، ومع ذلك لم تُنكر نازك دور بدر شاكر في استظهار الشعر الحر ولكنها نسبت البداية إليها^(١)، وهذه النسبة من لدن الشاعرة لم تُقدّم في سياق صراع مع الفحوليين، والشعراء الرجال، وإنما تحدّثت عن رفض الجمهور العربي للشعر الحر في بداياته، ومُفردة جمهور تُشير إلى الجنسين: النساء والرجال^(٢)، ونفهم من خلال ما تقدّم أنّ العائق الذي وقف دون ظهور قصيدة التفعيلة هو: رفض المتلقي العربي، وهذا الرأي يختلف عن رأي الغدامي الذي يضع انبثاق قصيدة التفعيلة في سياق صراع بين الرجل والمرأة، وذلك يبرز بشكل أكبر عندما يرى أنّ السياب أنّج شعره للأنوثة الشعرية، وهو يقصد بالأنوثة الشعرية قصيدة التفعيلة، ومعنى ذلك أنّ القصيدة العمودية ذكر، وقصيدة التفعيلة أنثى، ولكنه لم يذكر أنّ القدماء أخذوا مصطلحات القصيدة من بيئتهم التي كانوا يعيشون فيها، كالبيت، والجمل، والناقعة، وغير ذلك، فعلى سبيل المثال عندما ربط كلمة فحول بالرجال لم يُشير إلى معنى الكلمة في المعاجم، ويقول الفيروز أبادي: "الفحل الذكر من كلّ حيوان"^(٣)، وفحولة الشعراء جاءت من فحولة الإبل.

فحولة الجمل عند العربي هي فحولة مُنتجة تجعل الناقعة تدرّ حليبها، ولكنّ السعي لربط الفحولة بالمعنى السلبي، والمبني على صراع بين الرجل والمرأة غير هذه

(١) قضايا الشعر المعاصر: نازك الملائكة - لبنان بيروت - دار العلم للملايين - ٢٠٠٠م - ط ١١ - ص ٣٦.

(٢) مرجع سابق: قضايا الشعر المعاصر: نازك الملائكة - ص ٣٨.

(٣) القاموس المحيط: الفيروز ابادي - لبنان بيروت - الناشر بيت الافكار الدولية - ٢٠٠٤م - ص ١٢٩٩.

تأنيث إيقاع قصيدة التفعيلة عند عبدالله الغدامي، راشد فهد عايض القنامي

العلاقة المبنية على الاستفحال الفَعَال الذي يُساهم في ديمومة الكائن البشري، ونستخلص ممَّا تقدَّم أننا أمام اجتزاء لقضية أدبية مُرتبطة بواقع فكري يقوم على الصراع بين الأصيل، والحديث، ومأزق هذا الاجتزاء أنه اختزل التجديد الشعري في تجاذب الأنوثة، والذكورة، وهذا التجاذب القائم بين التذكير والتأنيث لم يقترب من عمق التجربة الشعرية الحديثة من ناحيةٍ فنيَّة، وهذه القراءة تُشير إلى الاتِّساع القرائي أثناء ظهور الشعر الحر حتى الجيل الذي ظهر فيه الغدامي، ولو عدنا إلى نازك الملائكة للاحظنا أنَّها تحدّثت عن أمورٍ لا تتصل بالجوانب الفنية مثل القلق الذي يشعر به الشاعر المعاصر^(١)، وأرى أنَّ الجدل المكثَّف حول الشعرية العربية الحديثة طبيعي، وجاء مُتسِّقًا مع ثقافة الشاعر المغايرة عن الشعراء القدماء، وذلك من جهة تنوُّع اهتمامات إنسان هذا العصر وامتدادها لمجالات اجتماعية وفلسفية وغير ذلك. والتجديد الشعري المتجدِّد في أعماق الفكر قام الغدامي بتأطيره تأطيرًا يخضع لثنائية الذكورة، والأنوثة، ويوجد تبريرٌ علمي لحبس التجديد في داخل عالم التذكير، والتأنيث، وهو: الإيمان بمسألة النقد الثقافي المرتكز على صراع الانساق، وأظنُّ أنَّ الانطلاق من الدراسة الثقافية يعود لمحاولة إيجاد قراءة مختلفة لا تعتمد على القراءات التاريخية المعتادة^(٢)،

والابتعاد عن القراءات المكررة حول ظهور قصيدة التفعيلة ينقلنا من مرحلة البحث الأدبي إلى البحث الثقافي.

وإنَّ هذه النظرة تجاه قصيدة التفعيلة لم تتعامل مع تطوُّر بنية النص الشعري بل جعلتنا أمام حدثٍ ثقافي انتصرت فيه الأنثى الشاعرة على الفحوليين، ولو عدنا إلى المعنى النقدي للفحولة لوجدنا أنَّ المقصود من وجوده هو: إجراء مُفاضلة بين الشعراء

(١) النظرية الشعرية عند إليوت وأدونيس . عاطف فضول . ترجمة أسامة إسبر . سوريا دمشق . دار التكوين . ٢٠١٣م . ط ١ . ص ٣٤ .

(٢) مرجع سابق: تأنيث القصيدة والقارئ المختلف . عبدالله محمد الغدامي . ص ٣١ .

القدماء^(١)، وترتبط الفحولة بجودة شعر الشاعر، ونخصُّ بالذكر شعراء العصر الجاهلي، ولو عدنا إلى تصنيف الفحولة النقدية للمنتج الشعري، وأصحابه لوجدنا أنَّ هناك من الشعراء لا يدخلون في دائرة الفحولة^(٢)، ولا بُدَّ أن نعرف الفرق بين الفحولتين: الفحولة النقدية، والفحولة الثقافية التي أُختزل المنجز الأدبي الذكوري في موضوعها.

يُلاحظ أنَّ المعنى النقدي للفحولة جرى عليه تحوُّل؛ ليُصبح متساوقاً مع مرحلة خروج قصيدة التفعيلة، ونكتشف ممَّا سبق أنَّ الموسيقى المتطوِّرة في هذا النمط الشعري وُضِعَت في الطبيعة الأثوية بحسب هذه القراءة.

ولا تتعد هذه القراءة المختلفة عن فضاء الحداثة الأدبية التي يؤمن منظورها بقوة العلاقة بين الفرد واللغة، ويُضاف إلى ذلك: الحرِّيَّة، الموجودة في ثنايا هذه اللغة الصادرة من ذاتية الأديب^(٣)، ولكن يجب علينا الوقوف عند أثنوية قصيدة التفعيلة؛ لتتعرَّف على هذه القراءة المتفردَّة، ومدى ارتباطها بالشاعرة نازك، وجيلها الشعري الذي سلَّم بالموسيقى الشعرية الجديدة، والمبتكرة، والتي تتساوق مع عصرنا الحالي.

يُشير إبراهيم أنيس إلى العلاقة القائمة بين روح العصر الجديد، ورغبة الشاعر الحديث في الانطلاق، وتطوير الشكل والمضمون في بنية القصيدة^(٤)، وهذا الرأي الذي يربط التجديد الشعري بحداثة المرحلة الزمنية يبدو أكثر اتِّساعاً من اختزال ظهور قصيدة التفعيلة في أثنوية نازك، ومع ذلك فيمكننا أن نربط أثنوية القصيدة

(١) مقالات في النقد الأدبي. داود سلوم. لبنان بيروت. عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية.

ط ٢. ١٤٠٧. ١٩٨٧ م. ص ٢٢٤.

(٢) المصطلح في التراث النقدي. رجاء عيد. مصر الإسكندرية. منشأة المعارف جلال حزي

وشركاه. ٢٠٠٠ م. ص ٣٥.

(٣) ميتافيزيقا اللغة. لطفي عبد البديع. مصر القاهرة. الهيئة المصرية العامة للكتاب. ١٩٩٧ م.

ص ٢١٩.

(٤) موسيقى الشعر. إبراهيم أنيس. مصر القاهرة. مكتبة الأنجلو المصرية. ط ٤. ص ٣٣٦.

تأنيث إيقاع قصيدة التفعيلة عند عبدالله الغدامي، راشد فهد عايض القنامي

الجديدة بحدثة أدب هذه المرحلة، وليس القصد إجراء موازنة بين آراء النقاد، بل نهدف إلى فهم طبيعة هذا الشكل الشعري المبتكر. وطبيعة الابتكار تحتوي على كُليّ هذه التفسيرات، ولا تُبعدها، وليس قصدنا التسليم بهذا، وتجاوز أنوثة الشعر الحديث، وإقصاء الفحولة التي كانت معياراً لجودة القصيدة التقليدية، وإنما نريد الوصول إلى فهم للقراءات المتباينة بُحاه التجديد الموسيقي في الشعر الحديث.

المبحث الثاني: تأنيث إيقاع قصيدة التفعيلة

اهتمَّ النقاد في العصر الحديث بالجانب الإيقاعي، وذلك عند حديثهم عن بنية القصيدة، وقبل أن تُعالج تأنيث الإيقاعية سنبدأ بالشقِّ العروضي، والعروض أهم عنصرٍ من عناصر الإيقاع الشعري، الذي يتعلَّق باللُّغة، وطبيعتها الأدبية، وعندما نتحدَّث عن تأنيث العروض فإنَّنا بالضرورة نتحدَّث عن تأنيث الإيقاع، وتأنيث اللُّغة، وذلك؛ لأنَّ هذه العناصر لا تنفصل عن بعضها داخل بنية القصيدة، وقبل أن نوضِّح هذا يجب أن نورد العلاقة القائمة بين لُغة الأدب، والمرحلة الزمنية التي يعيش فيها الشعراء والكتَّاب^(١)، ولا شكَّ في أنَّ الفهم لحالة اللُّغة وسياقها الخارجي سيعيننا على استيعاب الكيفية التي من خلالها جرى تأنيث اللُّغة، والعروض.

أنوثة اللُّغة تأتي تحت المعالجة الثقافية التي تستنكر التذكير الموجود في عالم النسق الثقافي المضمَّر، ولكن بنية الإيقاع القائمة على النظام، والتوالي، وتتابع الحركات والسكنات لا يُعطينا مؤشِّرًا واضحًا بالأنوثة، والذكورة، وهذا ما نهدف إلى استكشافه من خلال الرؤى النقدية التي استعانت بالتفسير الثقافي؛ لفهم واقعنا الأدبي بشكلٍ عامٍ، وواقعنا الشعري بشكلٍ خاصٍ.

إنَّ أنثويَّة العروض تنبني على مُغامرة نازك الملائكة الجريئة، والتي قامت من خلالها بمواجهة عمود الشعر، ونظامه الذكوري، ذلك بحسب رأي شوقي بزيع^(٢)، وهذا الرأي الذي ينتصر لنازك يجعل الشكل الشعري القديم مُرتبطًا بالرتابة، والتقليدية الموجودة في واقعنا المعاش مثل هندسة بيوت بغداد التقليدية^(٣)، ونكتشف ممَّا تقدَّم مكنم التلازم بين اللُّغة والحياة إذ يتعلَّق ذلك بالإنسان المتطلِّع للتجديد مثل نازك

(١) الشعر وقضية الهوية - صلاح رزق - مصر القاهرة - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ٢٠١٤م - ص ١٤٨.

(٢) مسارات الحدائث - شوقي بزيع - العراق بغداد - مسكيلباني للنشر - ط ١ - ٢٠١٢م - ص ٩٦.

(٣) مرجع سابق: مسارات الحدائث - شوقي بزيع - ص ٩٩.

تأنيث إيقاع قصيدة التفعيلة عند عبدالله الغدامي، راشد فهد عايض القنامي

التي دجت بين ثقافتها، ومعارفها المكتسبة مع مُنتجها الشعري.

جاءت أنثوية العروض في سياق تطوير الأشكال الشعرية في شعرنا المعاصر، وظهر ذلك في الآراء المنحازة لأسبقية نازك، ولكن لو قمنا بمراجعة المدونة النقدية للاحظنا وجود وجهات نظر لا تعزل هذا التطوير الموسيقي الشعري عن مسار التحديث الشعري عند الشعراء الرجال، والشواعر النساء، ولعلَّ مقارنة الطاهر أحمد مكي بين الشاعر الإسباني لوركا، والشاعرة نازك تُبيِّن هذا، والتطوير في كلتا الحالتين يعودُ إلى طبيعة الحركة الأدبية التي تتَّجه إلى اختراع أشكال موسيقية شعرية مُبتكرة^(١)، ويمكن أن نقول: إنَّ أصحاب التفسير الثقافي لا يتفقون مع هذا التصوُّر الذي يربط التحديث الإيقاعي بالواقع الأدبي.

البناء العروضي جزء أصيل في لغة الشعر العربي، ووصفه بالتأنيث يعود لتصور الناقد حول طبيعة هذه اللغة، ولذا فإنَّ القاضي الجرجاني يصف الركافة الموجودة في القصائد بالتخنُّث^(٢)، ويُقابل هذا الشعر البدوي، والفخم، والبعيد عن الليونة، والناقد القديم الصق هذه الأحكام النقدية بطبيعة القصيدة، وأسلوبها، ولم ينظر للعوامل الخارجية إلاَّ فيما ندر، ويبدو ذلك في وصف للشاعر الحضري، والشاعر الموجود في البادية إذ اكتسب منها الفخامة، والجزالة، ودقة المعنى وغيره من أحكام توارثها النقاد، من سابقهم، الذين عايشوا هذه البيئة الشعرية، ومُتمِّل في هذا السياق باللُغويين الأوائل، والرواة وغيرهم من مَنْ قاموا بتدوين الشعر الجاهلي، وشعر صدر الإسلام، وشعر عصر بني أمية، ويظهر أنَّ بناء مُصطلح نقدي حول الشعر قد أُخذ من واقع العرب كمصطلح الفحولة، ولا نريد من خلال هكذا بحث تجاوز مسألة شعر المرأة ووجوده، بل نسعى لإبراز ماهية النقد الذي ربط الشعر بالجزالة والفخامة، وربط الشعر الضعيف

(١) في الأدب المقارن . الطاهر احمد مكي . مصر القاهرة . دار المعارف . ١٤١٨ هـ ١٩٩٧ م . ط ٣ . ص ٣٨ .

(٢) الوساطة بين المتنبي وخصومه . القاضي علي عبد العزيز الجرجاني . تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وجلي محمد البجاوي . الناشر عيسى الباي الحلبي .

باليونة والأنوثة، وغير ذلك من سمات تكشف مدى الضعف الشعري. وتعود هذه الأحكام إلى التعامل النقدي مع لغة الشعر، ولا يُمكننا تغييب تأثير البيئة على مصطلحات النقاد، وأحكامهم التي قدّموها، ويرى عبدالله الغدامي أنّه لا يُمكننا تطوير النقد الأدبي وخصوصاً القديم إلا إذا انتقلنا به للنقد الثقافي^(١)، وهنا تكمن النظرة المغايرة للعروض وأجزائه المختلفة والكثيرة، ولا نستطيع تحقيق هذه النقلة في ظلّ تراحم باي العروض والقافية بالمصطلحات المستمدّة من البيئة البدوية القديمة، وإن حدث ذلك فنحن بحاجة إلى تغيير جميع المصطلحات والمفاهيم التي أوجدها الخليل ومن جاء بعده.

هذه النقلة الكبيرة في البناء العروضي تصادمت فيها شروط الفحولة باحتياجات الأنوثة عند الشعراء المجدّدين^(٢)، وبرز ذلك في تسمية الشعر الحديث إذ شهد اختلافات شتّى في التسمية، مثل الشعر الحديث، وقصيدة التفعيلة، والشعر الحر، والشعر المنطلق، ولكن هل هذه الاختلافات أوجدت مواجهة بين الفحولة الشعرية وإبداع الأنتى؟ والإجابة على هذا السؤال توجد في التصوّر الخاص بالناقد الذي رأى أنّ الحل ينبثق من عوالم النقد الثقافي.

والناقد الثقافي قسّم الشعر العربي إلى قسمين وهما: القديم الممثل للفحولة الشعرية، والحديث الذي يُصارع الفحولة باستخدامه تقنيات عروضية تُجسّد الطبع الأنتوي بحسب هذه الوجهة^(٣)، ولكن كيف حصلت المشابّهة بين الأنماط الوزنية لشعر التفعيلة، وهيئة الأنتى وطبعها؟ ولقد جاء هذا الربط مُتسبّقاً مع دخول الشاعرة نازك الملائكة في مُعترك التجديد، والانتقال من القصيدة العمودية الى شعر التفعيلة، ولا نستطيع استكشاف هذا الأمر إلا إذا درسنا هذه الأشكال والأوزان العروضية،

(١) نقد ثقافي أم نقد أدبي . عبدالله محمد الغدامي وعبد النبي اصطيف . سوريا دمشق . دار الفكر . ٢٠٠٤م . ١٤٢٥هـ . ط ١ . ص ٢٤ .

(٢) مرجع سابق: تأنيث القصيدة والقارئ المختلف . عبدالله محمد الغدامي . ص ٢٠ .

(٣) مرجع سابق: تأنيث القصيدة والقارئ المختلف . عبدالله محمد الغدامي . ص ٢٤ .

تأنيث إيقاع قصيدة التفعيلة عند عبدالله الغدامي، راشد فهد عايض القنّامي

التي رُبِّطت بالأنوثة.

تُوجد صفات أنثوية في البحور الصافية كالتتمُّد والتقلُّص^(١)، وبحسب هذه الوُجهة فإنَّ البحور ذوات التفعيلة الواحدة تنطوي على أنوثةٍ ما، وينطبق هذا على بحر الرجز، والكامل، والوافر، والمتقارب، والمتدارك، والرمل، والهزج، والسؤال الوارد في هذا السياق: هل طبيعة الحرّية التي تمنحنا إياها التفعيلة الواحدة تُشير إلى الأنثى؟ والذي يبدو أنَّ هذا التصوُّر النقدي يتجاوز الشكل العروضي، ويربط التجديد بالذات المبدعة كما حدث مع نازك الملائكة.

التقلُّص والتتمُّد صفتان ترتبطان بالبيت الشعري الحر الذي تخلُّص من العدد الثابت للتفعيلات، والقافية الواحدة، والغدامي من النقاد الذين استعملوا مُصطلح الجملة الشعرية؛ ليُشير إلى البيت الشعري الموجود في قصيدة التفعيلة، وهو يرى أنَّ الجُمْل الشعرية تتصل مع بعضها، وهذا الارتباط يكون وحدة النص^(٢)، وهذه الوحدة لا تتنافى مع التقلُّص والتتمُّد الموجودين في قصيدة التفعيلة، والأنثى في ارتباط أعضاء جسدها لا تختلف عن الرجل، وشبه القدماء وحدة القصيدة بتكامل أعضاء الجسد وبنيتها، ويظهر أنَّ التأصيل لأنثوية الإيقاع لم يكتمل وذلك في حالة وقوفنا عند هذا التوجُّه الذي يربط الضيق والاتساع في البيت الحر بالأنوثة، ولا نستطيع فصل هذه المعالجة عن البناء اللغوي للنص الأدبي.

الاتجاه باللُغة الشعرية بوجه عام، والبنية العروضية بشكلٍ خاص إلى التفسير القائم على الخارج النصي هو الذي استدعى السؤال الثقافي، ولو عدنا إلى نازك لوجدناها تربط ذاتيتها بالأسلوب الشعري^(٣)، وهذا الربط رُبَّما نجد فيه مؤشراً لأنثوية الأوزان عند الشاعرة التي لم تتجاهل دور الرجل وهو زوجها في معاونتتها على تطوير

(١) مرجع سابق: تأنيث القصيدة والقارئ المختلف - عبدالله محمد الغدامي - ص ١٧.

(٢) تشريح النص - عبدالله الغدامي - المغرب الدار البيضاء لبنان بيروت - المركز الثقافي العربي - ٢٠٠٦ م - ط ٢ - ص ٦١.

(٣) الأعمال الشعرية الكاملة - نازك الملائكة - لبنان بيروت - المجلد الأول - دار العودة - ٢٠١٤ م - ط ٥ - ص ١٢.

أوزانها، وأساليبها الشعرية^(١)، ولا يمكن الجزم بأنثوية العروض بناءً على ما تقدّم، ولكننا نريد إعادة فهم القراءات النقدية القائلة بأنثوية شعر التفعيلة. وأنثوية شعر التفعيلة تبدأ في أساسها الأوّل من التسمية، فمفردة قصيدة، ومفردة تفعيلة تُشيران إلى الأنثوية، ولا نريد تحليل المسمّى وأيّما نهدف إلى معرفة اقتران العروض الحر بالتأنيث، ويرى الغدامي أنّ دور نازك يُعدُّ دورًا يحمل في طيّاته رمزية ترمز إلى اختراق الشاعرة القصيدة العمودية الممثلة للذكورة^(٢)، وينتمي هذا الاختراق إلى عوالم التأنيث، ونحن لا نستطيع الاتكاء على دراسة النسق المضمّر وتجاهل طبيعة اللّغة والصوت للبناء العروضي، ولو عدنا إلى نازك الناقدة لوجدناها تُلحِق الموسيقى الشعرية بالأسلوب^(٣)، ولذلك تتحدّث عن أسلوب الشطرين المتماثلين في القصيدة العمودية.

هذه العلاقة القائمة بين البناء العروضي واللّغة لا تخرج عن هيمنة الذكورة، وذلك يحدث في العروض التقليدي، ودعاة تأنيث اللّغة، والأوزان يقطعون بعدم اكتمال مشروع تأنيث القصيدة؛ جراء سلّطة النسق المضمّر الذكوري المسيطر^(٤)، وهذه القراءة لم تُركّز على بنية القصيدة التي تجاوزت شفهيّة الشعر القديم وصارت مُرتبطة بالكتابة والتشكيل البصري، ويتبيّن ممّا تقدّم أنّ البحث الثقافي في أنثوية الوزن الشعري لم يُعمّق القراءة في شعرية هذه الأشكال الجديدة كما فعل الدارسون الأوائل^(٥)، ولا نعني بحديثنا هذا إلغاء دور الأسئلة الثقافية، ولكننا لا نستطيع إبعاد التلقي الشعري المتّصل بالشعرية البنيوية لقصيدة التفعيلة، وأوزانها الصافية.

-
- (١) مرجع سابق. الأعمال الشعرية الكاملة. نازك الملائكة. الجزء الأول. ص ١٣.
 - (٢) مرجع سابق: تأنيث القصيدة والقارئ المختلف. عبدالله محمد الغدامي. ص ٣٤.
 - (٣) مرجع سابق: الصومعة والشرفة الحمراء. نازك الملائكة. ص ١٨٧.
 - (٤) مرجع سابق: تأنيث القصيدة والقارئ المختلف. عبدالله محمد الغدامي. ص ٤٤.
 - (٥) الشعر الحديث بين التقليد والتجديد. أحمد سليمان الأحمد. ليبيا طرابلس. الدار العربية للكتاب. ١٩٨٣ م. ص ٢٤٤.

تأنيث إيقاع قصيدة التفعيلة عند عبدالله الغدامي، راشد فهد عايض القنّامي

والأمر الملاحظ أنّ البناء الإيقاعي انقسم إلى نوعين وهما: نوع ذكوري يتّسم بالقوة، والشدة، والتسلط على المبدع، وهذا يُوجد في القصيدة العمودية، ونوع أنثوي اتّصف باللبونة، والمرونة، وإعطاء المبدع مساحة كبيرة؛ لصناعة معناه، وهذا نجده في قصيدة التفعيلة^(١)، والواضح أنّ التقسيم هنا افتراض أنّ لمفهوم الفحولة الشعرية مفهومًا مُضادًا، ويجب أن يظهر بعد تبني نازك الملائكة هذه الأشكال الوزنية المخترعة من جهة إلغاء القافية، والعدد الثابت للأشطر.

الأشكال العروضية القديمة تُمثّل الذكورة، والأشكال العروضية الحديثة تُمثّل الأنثوية، وهذه المعالجة التي تجمع بين القراءة التاريخية، والقراءة النصية جعلتنا أمام تصنيف يقسم الشكل العروضي إلى قسمين يعودان للنوع الإنساني، ويبدو أنّ هذا التأطير يرجع في أساسه للمفهوم الشعري الذي يجعل الوزن ركنًا أصيلًا في بنية القصيدة، ولا نريد تجاوز جميع هذه المعالجات النقدية؛ لأنّ تأنيث قصيدة التفعيلة يقوم على افتراض مفاده قرب الأشكال الشعرية الحديثة من طبيعة الأنثى.

والتشابه بين الشكل الشعري الحديث وطبيعة الأنثى جعل النص كالجسد عند الغدامي^(٢)، وهذا التفسير النقدي لا يتجاوز التقنيات الشعرية الجديدة التي تنتمي للنص المؤنث والمقصود به قصيدة التفعيلة، ويظهر أنّ محاولة تأنيث العروض تركز على بعد فني ثقافي، ولا يمكن للمتلقي أن يقطع بهذا؛ لأنّ ما ذُكر من تقلص الشطر وتمدده يُعطينا مؤشرًا يستأنس به الباحث الثقافي؛ ليثبت أنثوية الوزن الخليلي الذي حصل استخدامه في أعمال نازك الملائكة، وبدر شاكر السياب.

تتحول الأنوثة إلى قيمة شعرية في قصيدة التفعيلة^(٣)، وذلك يحدث من خلال تشارك الإيقاع والحكاية والأسطورة في بناء الشعرية لهذا الشكل الجديد، ويُلاحظ أنّنا انتقلنا من تأنيث العروض إلى تأنيث الإيقاع، ولا بُدّ أن نعلم الكيفية الفنية المساهمة

(١) مرجع سابق: تأنيث القصيدة والقارئ المختلف . عبدالله محمد الغدامي . ص ٤٥ .

(٢) مرجع سابق: تأنيث القصيدة والقارئ المختلف . عبدالله محمد الغدامي . ص ٤٨ .

(٣) مرجع سابق: تأنيث القصيدة والقارئ المختلف . عبدالله محمد الغدامي . ص ٥٠ .

في تشكُّل الأنوثة.

تتحقق هذه الكيفية من خلال قوَّة الحكاية، وقوَّة وجودها الدال على الأنوثة في قصيدة التفعيلة، ويبدو أنَّ الإشكالية في هذا السياق تتَّصل بمدى تبلور الأنثوية في داخل التقنيات الخاصَّة بإيقاع الشعر الجديد، ويجب أن نعلم أنَّ أهم ركنين في إيقاع الشعر العربي: العروض والقافية اللذين استمرا في الاستقرار، والثبات من جهة المصطلحات، والمفاهيم، والمعالجة حتَّى ظهرت قصيدة التفعيلة كبديل للقصيدة العمودية، ويمكن أن نقول: إنَّ تأنيث العروض والإيقاع يُعدُّ محاولة؛ لصناعة موضوع نقدي يتركز على موضوع اجتماعي تختصُّ به المرأة، وكما وضَّحنا من قبل فإنَّه يستوجب أن نُسلِّط الضوء على البعد الفني، ولذلك فإنَّ أنوثة الإيقاع تقوم على التمرد على القافية، والحكاية، والأسطورة.

السؤال الوارد في هذا السياق: هل المكوّنات السابقة تقتصر على قصيدة التفعيلة فقط؟ ولو قمنا بمطالعة الشعر القديم لوجدنا أنَّه يشتمل على حكاية وأسطورة، ولعل الغدامي يريد استبدال أركان العمود الشعري الممثلة للفحولة، وإيجاد ما يُشبه عناصر للأنوثة الشعرية، ولقد ظهر ذلك في معالجته للحكاية في شعر بدر شاكر السياب التي تصارع الفحولة الشعرية وعناصرها^(١)، وهذا الطرح النقدي لا تُوجد له مرجعية نقدية كما هو الحال في بحث عمود الشعر الذي تطوَّر على أيدي أجيالٍ مُتعاقة من النقاد الأوائل، وغياب المرجعية النقدية لا يعني تهميش تأنيث قصيدة التفعيلة، وهذا يعود لتفسيرٍ وجيهٍ يعتمد على البحث الثقافي.

التمرد على القافية هو: الأساس الأوَّل الذي أتاح البعد الفني للأسطورة والحكاية، ويحصل ذلك في الاتِّساق الحاصل بين امتداد الشطر الشعري ودلالته، ولو حاولنا إيجاد مُقارَنة بين الحكيم والموسيقى الشعرية لوجدنا أنَّ النظام والتدرُّج يجمع بينهما، ومع ذلك فنظام الإيقاع يقوم على التوالي الصوتي، ونظام الحكاية يعتمد على

(١) مرجع سابق: تأنيث القصيدة والقارئ المختلف . عبدالله محمد الغدامي . ص ٥٣ .

تأنيث إيقاع قصيدة التفعيلة عند عبدالله الغدامي، راشد فهد عايض القنامي

تتابع الأحداث، والقاسم المشترك بين توالي الأصوات وتتابع الأحداث هو: وجود الزمن اللساني الذي يتشكّل داخل اللّغة، والزمن يُعدُّ من أبرز عناصر الإيقاع. نكتشف مما تقدم أنّ أنوثة الإيقاع والعروض بُنيت على هكذا تصوّر يمزج الشعاعية بالسردية، وهذا المزج الحاصل بين الشعري والحكائي جعل موضوع الحزن يظهر متوازياً مع انكسار الوزن وانكسار الدلالة، وذلك يُؤدّي إلى انكسار النسق الفحولي^(١)، ويظهر أنّ الاشتغال على البعد الدلالي لم يكن لولا محاولة تأنيث الإيقاع، التي هي امتداد لتأنيث العروض، والانكسارات تنافي القوة والجزالة وغيرها من صفات موجودة في أشعار الفحوليين، ولا نريد ربط الحزن والانكسارات بالأنوثة؛ لأنّ الأمر فيما يبدو يتعلّق بقراءة ثقافية يسعى صاحبها لإيجاد تفسير لظاهرة التمرد على التفعيلة، ولا ريب فإنّ المعالجة النقدية بحاجة لهذه الأسئلة الثقافية؛ لبيان معانٍ مختلفة وحديثة للإيقاع الشعري.

والإيقاع بطبيعته ينتمي للغة النص الشعري، وهذا الانتماء يجعله أكثر قرباً من مباحث اللسانيات، والغدامي يرى أنّ النقد الثقافي مُنبثقٌ من النظريات اللسانية^(٢)، ونحن لا يهمنا المنطلق الأساسي للقراءات الثقافية، ولكننا نبحث عن المعنى الثقافي للإيقاع المؤنث، وهو الإيقاع الذي يسمح للشاعر بالانطلاق، وعدم التقيّد بالقواعد التقليدية الصارمة للعناصر الموسيقية في القصيدة العربية.

هذه النظرة الشكلية تجاه أنثوية الإيقاع الشعري الجديد لا تكفي لتحديد ماهية التأنيث لذا استثمر الناقد ظاهرة الحزن في الشعر الحر، وجعلها تُقرّبنا إلى الأنثوية^(٣)، وهنا يجعل الشاعر الباكي مُقابلاً للشاعر الفحل القديم، ويرى عز الدين إسماعيل أنّ تعميق الحزن يرجع لرؤية الشاعر الحديث إذ تُقابلها رؤية الشاعر القديم الموجودة في

(١) مرجع سابق: تأنيث القصيدة والقارئ المختلف . عبدالله محمد الغدامي . ص ٥٤ .

(٢) الجنوسة النسقية . عبدالله الغدامي . المغرب الدار البيضاء لبنان بيروت . المركز الثقافي العربي .

٢٠١٧م . ط ١ . ص ١٠١ .

(٣) مرجع سابق: تأنيث القصيدة والقارئ المختلف . عبدالله محمد الغدامي . ص ٥٧ .

الطرب، والرتاء، والفخر^(١)، ويلاحظ أنّ الأمر لم يتّصل بالفحولة والأنوثة بل كان يقترب من نظرة الشاعر، ويظهر أنّ إلحاق الحزن بالموسيقية الشعرية، وتشكلاتها المختلفة لم يكن لولا محاولة الناقد التي تُفتّش عن معانٍ عميقة للإيقاع المؤنث. والحزن يأتي في مسار حكائي يقوم الشاعر فيه بتوضيح كنهه المأساة، والحكاية الشعرية بطبيعتها تخضع لتنظيم زمني داخل القصيدة كما يذكر إسماعيل شكري^(٢)، ولا شكّ في أنّ هذا التنظيم موجود في الإيقاع، والعروض، وبنية الجملة، ولكن كيف استطاع الناقد إدماج هذه العناصر داخل موضوع الفحولة والأنوثة؟ ولعلّ هذه المعالجات التي ترهن للمعالجة الثقافية تُبيّن لنا كيفية هذا الطرح النقدي. استثمر الناقد الإمكانيات الكبيرة التي أُتيحَت للشاعر المعاصر؛ ليُقرب الإيقاع الجديد من الأنوثة، ومن ذلك كما قدّمنا من قبل: اتّساق الشعري مع الحكائي، أو تأثر الشعر الحديث بمضامين في الرواية والمسرح كما يقول عز الدين إسماعيل^(٣)، وعلى إيّ حالٍ فإنّ ماهية الإيقاع ستأثّر بعلاقة الشعر مع الفنون الأدبية الأخرى، ويُضاف إلى ذلك حساسية الشاعر، لذا يجب أن نوضّح مفهوم الإيقاع، وعناصره على هذا الأساس.

والإيقاع يتكوّن بتضافر الحكاية والأسطورة والقصيدة في وقتٍ واحد، وهذا كما أطلق عليه الغدامي وسماه: القصيدة الأم^(٤)، وهي تأتي مُضادّةً للقصيدة القديمة المتّصّفة بالأبوة والفحولة، والتنظيم الإيقاعي هنا تجاوز توالي المتحرّكات والسواكن، والتلوينات البديعية، وصار يرهن لانكسارين حدثًا مع ظهور شعر التفعيلة وهما:

(١) الشعر العربي المعاصر - عزالدين إسماعيل - مصر القاهرة - المكتبة الأكاديمية - ط ٦ - ٢٠٠٣ م - ص ٣٠٤.

(٢) في معرفة الخطاب الشعري - إسماعيل شكري - المغرب الدار البيضاء - دار توبقال للنشر - ٢٠٠٩ م - ط ١ - ص ١٤٣.

(٣) مرجع سابق: الشعر العربي المعاصر - عزالدين إسماعيل - ص ٣٠٦.

(٤) مرجع سابق: تأنيث القصيدة والقارئ المختلف - عبدالله محمد الغدامي - ص ٦٠.

تأنيث إيقاع قصيدة التفعيلة عند عبدالله الغدامي، راشد فهد عايض القنّامي

انكسار عمود القصيدة وعمود الدلالة، ونكتشف أنّ مفهوم الإيقاع في هذه الحالة يرتكز على البعد الدلالي أكثر من البعد اللغوي الخالص.

يستشهد الغدامي بقصيدة أنشودة المطر لبدر شاكر السياب، وهذا الاستشهاد يريد من خلاله إثبات الطبيعة الأنثوية لبنية النص الشعري، وتظهر هذه الطبيعة في الطفولة والبحث عن الأمومة، يقول السياب:

عينك غابتنا نَحِيل ساعة السحر،
أو شرفتان راح ينأى عنهما القمر.
عينك حين تبسمان تورق الكروم
وترقص الأضواء... كالأقمار في نَهْر
يرجُه المجداف وهنا ساعة السحر
كأنما تنبض في غورَيْهما، النجوم...
وتغرقان في ضبابٍ من أسى شفيف
كالبحر سرح اليدين فوقه المساء،
دفع الشتاء فيه وارتعاشة الخريف،
والموت، والميلاد، والظلام، والضياء،
فتستفيق ملء روعي، رعشة البكاء
ونشوة وحشية تعانق السماء
كنشوة الطفل إذا خاف من القمر
كأن أقواس السحاب تشرب الغيوم
وقطرةً فقطرةً تذوب في المطر...
وكركر الأطفال في عرائش الكروم،^(١)

(١) بدر شاكر السياب الأعمال الشعرية الكاملة . تحقيق: علي محمود خضير . تقديم: أدونيس .
الجزء الأول . لبنان بيروت . الكويت الرافدين للنشر . منشورات تكوين نبوءات . ٢٠٢١م .
ط٢ ص ٣٨١ .

القصيدة جاءت على بحر الرجز وسمي بذلك تشبيهاً له بالناقدة التي ترتعش فخذها^(١)، ولعلّ كثرة الرُحَص الموجودة في بحر الرجز تُشير إلى أصل تسميته، ويبدو أنّ انتقال هذا الوزن العروضي من الشعر العمودي إلى قصيدة التفعيلة بما فيها من مرونة جعل الإيقاع أقرب للتأنيث بحسب وجهة نظر الغدامي الذي لم يكتفِ بذلك بل جعل موضع أنثوية القصيدة في تبدُّل صورة الشاعر الفحل إلى صورة شاعر طفل يبحث عن أمٍ فقدتها، ويُضافُ إلى هذا فعل الحكيم الذي يتنقّل بالمتلقي بين الأحداث، ومن هنا تتكوّن أنوثة الإيقاع المبني على الوزن دون الالتزام بعدد مُعيّن للأشطر والقافية، وتكون الحكاية أساسيةً في هذا البناء^(٢)، ويرى أحد الباحثين أنّ استخدام السياب للأسطورة، والحكاية يأتي؛ لاعتبارات اجتماعية، وفكرية حدثت في محيط الشاعر^(٣)، ويظهر أنّ أنوثة الإيقاع بشكلٍ عام تلتصق بالتنظيم السردى والدلالي أكثر من التنظيم الوزني، ولذلك يُوجد تضادٌ بين عناصر التذكير وعناصر التأنيث في قصيدة التفعيلة عند السياب^(٤)، ويبرز هذا في الشخصيات الأسطورية ذات الطابع الذكوري وذات الطابع الأنثوي، والإيقاع لا يقوم على الانفاق بين التراكيب فقط بل للتراكيب المتضادّة دورٌ في البناء الإيقاعي، ولم يعتمد الغدامي هذا التفسير بشكلٍ نهائي، وإنّما أشار إلى إعادة تأنيث اللّغة الشعرية عند شعراء التفعيلة^(٥)، ولا شكّ في أنّ تأنيث اللّغة يؤدّي إلى تأنيث الإيقاع.

(١) العيون الغامرة على الخبايا الرامزة - الدماميني بدرالدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر - تحقيق: الحساني حسن عبدالله - مصر القاهرة مكتبة الخانجي - ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م - ط ١ - ص ١٨٢.

(٢) مرجع سابق: تأنيث القصيدة والقارئ المختلف - عبدالله محمد الغدامي - ص ٦٢.

(٣) بدر شاكر السياب - علي حداد - الأردن عمان دار أسامة للنشر - ١٩٩٨ م - ط ١ - ص ٥٦.

(٤) مرجع سابق: تأنيث القصيدة والقارئ المختلف - عبدالله محمد الغدامي - ص ٦٣.

(٥) مرجع سابق: تأنيث القصيدة والقارئ المختلف - عبدالله محمد الغدامي - ص ٦٤.

تأنيث إيقاع قصيدة التفعيلة عند عبدالله الغدامي، راشد فهد عايض القنامي

التأنيث نسق ثقافي إبداعي لا تُشترطُ نسبته إلى النساء^(١)، وهذا النسق ظهر بشكلٍ جلي بعد مرحلةٍ طويلة من الشعر الذكوري، ويُمكن أن تُقدّم هذه الفكرة من خلال وجهة نظرٍ نقديةٍ أخرى مُختلفة إذ يرى إبراهيم أنيس أن تمييز نازك الملائكة بين البحور يعود إلى أذنها الموسيقية، وحساسيتها الشعرية^(٢)، وهذا يعني أنّ التلقي لا يعود لمبدأ التأنيث والتذكير بل يعود للذائقة الشخصية التي لم تُعدّ تتناسب مع الأشكال الشعرية القديمة، وإبراهيم أنيس لا يستبعد الدور الاجتماعي في التغيير الذي حدث في بنية البيت^(٣)، ونستخلص ممّا سبق أنّ محاولة الإبانة عن إيقاعية قصيدة التفعيلة تأرجحت بين الشكلية الخالصة، وارتباط اللغة بالذات التي أتضح من خلال بعض الأطروحات النقدية تأثيرها على طبيعة النص كتأثير الأنوثة على البيت الشعري غير المقيّد، وهذا يُدرّك من خلال تهشيم عمود الفحولة المتسامي، والمتعالى؛ ليظهر لنا خطاب التأنيث عبر الانكسار الحاصل في بنية القصيدة^(٤)، ونلاحظ أنّ الانكسار الذي يُقابل العلو الفحولي قد كوّن خطاباً مؤنثاً، وينسحب ذلك على الإيقاع إذ يكون في شعر الفحوليين مُلتزماً بتنظيم ثابت، وأمّا في قصيدة التفعيلة فلا يلتزم بثباتٍ مُحدّد.

يُميّز الغدامي بين أنوثتين: الأولى تلك التي تُعدّ موضوعاً للشعر، والثانية تلك التي تُعتبر سمةً فنيةً للخطاب الشعري^(٥)، وفي هذه الأنثوية يتشكل تأنيث العروض، وتأنيث الإيقاع لذا أشار الناقد لعذرية القوافي عند القدماء، والتمييز السابق بين الموضوعي والخطابي يضعنا أمام علاقة اللغة بالذهن، وهو ما سُمّي نسقاً، والإشكالية التي تواجهنا في هذه الدراسة هي: محاولة استبدال مباحث الشعرية بالقراءة الثقافية، ومهما يكن فإنّ هذه المساعي الجديدة لن تُلغي التقنيات الشعرية، ومنها الإيقاع

(١) مرجع سابق: تأنيث القصيدة والقارئ المختلف . عبدالله محمد الغدامي . ص ٧٢ .

(٢) مرجع سابق: موسيقى الشعر . إبراهيم أنيس ص ٣٣٧ .

(٣) مرجع سابق: موسيقى الشعر . إبراهيم أنيس ص ٣٤٢ .

(٤) مرجع سابق: تأنيث القصيدة والقارئ المختلف . عبدالله محمد الغدامي . ص ٧٤ .

(٥) مرجع سابق: تأنيث القصيدة والقارئ المختلف . عبدالله محمد الغدامي . ص ٧٥ .

الَّذِي حصل تأنيته؛ لتوفّر عدّة عوامل، كالانكسار، والحكي، والأسطورة، ولا يُشترط أن تُمثّل هذه العوامل أنثوية الإيقاع تمثيلاً نهائياً وحتمياً، ويظهر أنّ إشكالية التأنيث تأرجحت بين طبيعة اللّغة، والمآزق التاريخي والنسقي المتعلّق بالثقافة^(١)، وعلى أيّ حال فإنّ اتصاف عناصر الخطاب الشعري بالأنثوية يجب أن يعود بنا إلى طبيعة هذا الخطاب وكيفيّته.

الفحولة تظهرُ بشكلٍ جليّ في القصيدة العمودية القديمة كما أنّ الأنوثة تُعتبر هي السمة الأبرز في قصيدة التفعيلة وإيقاعها^(٢)، ونحن لا نريد التوقّف عند هذا الوصف فحسب، بل يهمنّا اكتشاف ملامح تأنيث الإيقاع، وإذا قمنا بتجاوز هذا البحث الثقافي الذي لا يُفتش في عمق اللّغة فإنّه يجب أن نقوم باستظهار قواعد الأنثوية داخل موسيقى الشعر المعاصر.

ويبدو أنّ إيجاد تقارُب بين النظام الثابت للقصيدة العربية وفكرة الفحولة يأتي مُعاكساً له التقارُب الحاصل بين قصيدة التفعيلة وفكرة الأنوثة، ويتبيّن أنّ عملية التغيير لم تكن شكلية بحسب التصوّر الثقافي بل هي ثقافية شكلية في نفس الوقت، ونحن نؤكّد على ذلك؛ لكي نتجنّب الابتعاد عن الشعرية المبنثقة من عناصر بناء القصيدة، وهذا يقودنا مُجدداً للبحث عن شكل الإيقاع المؤنّث من ناحية ثقافية.

يربط سمير سحيمي بين بناء العروض وصناعة شعريّة النص، وهذا الربط لا ينفك عن قصديّة الشاعر التي تظهر في اختياراته الصوتية، والعروضية، والمعجمية^(٣)، ونحن عندما نستحضر القصيدة فإنّنا نبحث في ملامح تأنيث القصيدة وعناصرها في شعرنا المعاصر، وخصوصاً عند الشاعرة نازك الملائكة التي يرى الناقد الغدّامي أنّ

(١) مرجع سابق: تأنيث القصيدة والقارئ المختلف - عبدالله محمد الغدّامي - ص ٧٨.

(٢) مرجع سابق: تأنيث القصيدة والقارئ المختلف - عبدالله محمد الغدّامي - ص ٨٨.

(٣) أجراس الشعر وإيقاع الذات - سمير سحيمي - تونس - الشركة التونسية للنشر والتنمية فنون

الرسم - ٢٠١٨ م - ط ١ - ص ٢٦٢.

تأنيث إيقاع قصيدة التفعيلة عند عبدالله الغدامي، راشد فهد عايض القنامي

ظهورها ارتبط بولادة شعر التفعيلة^(١)، ومن هذا المنطلق يجب أن نُحدّد الأنوثة الإيقاعية في اختيارات نازك، وطريقة بنائها لقصائدها، ومنجزها النقدي. وفقّ التصوّر النقدي السابق انتقلنا من الجمود العروضي، واختزال الإيقاع في البعد الشكلي إلى فضاءٍ أكثر رحابة، وذلك؛ لأنّ الناقد أعمل ذاتيته أثناء فهمه لولادة شعر التفعيلة، ويُشير عالي القرشي إلى أهميّة الذاتية في قراءة النصوص الحديثة عند النقاد المعاصرين ومنهم الغدامي^(٢)، ومع ذلك فلا نستطيع الابتعاد عن الملامح العامّة للإيقاع الشعري الموجود في اللّغة، ويبدو أنّ أنوثة الإيقاع والعروض وُجدت بين التقعيد من جهة والذاتية من جهةٍ أخرى، فعلى سبيل المثال يكون الخروج على القافية، ووجود الحكاية، وعدوبة الأسلوب وظاهرة الحزن إشارات تدلّ على الأنثوية، وهذا التنميط لا ينفكّ عن ذاتية الناقد التي لم تصل لهذا إلا من خلال قراءة مُغايرة لقصيدة التفعيلة.

ترى نازك الملائكة أنّ الحقيقة الشعرية تختلف عن الحقيقة القصصية في النص الشعري، وهذا الاختلاف يكمن في العمق الموجود في شعرية القصيدة^(٣)، ويعني أنّ نازك تعتمد على البعد الشعري الخالص، وتُلاحظ ممّا تقدّم عدم حضور الحكوي أو القص في الوجهة النقدية حول الشعر لنازك.

تقول نازك الملائكة:

سكن الليلُ

أصغ إلى وقع صدَى الأناث

في عمق الظلمة، تحت الصمت، على الأموات

صرخاتُ تملو، تضطربُ

(١) مرجع سابق: تأنيث القصيدة والقارئ المختلف . عبدالله محمد الغدامي . ص ١٣ .

(٢) تحولات النقد وحركية النص . عالي سرحان القرشي . المملكة العربية السعودية لبنان بيروت .

النادي الادبي بجائل والانتشار العربي . ٢٠٠٩ م . ط ١ . ص ٣٠٥ .

(٣) مرجع سابق . الأعمال الشعرية الكاملة . نازك الملائكة . الجزء الأول . ص ١٤ .

حزناً يتدفق، يلتهب
يتعثر فيه صدى الآهات
في كل فؤاد غلياناً
في الكوخ الساكن أحزاناً
في كل مكانٍ روحٌ تصرخُ في الظلمات
في كل مكانٍ يبكي صوتاً
هذا ما قد مرّقه الموت
الموتُ الموتُ الموتُ
ياحزناً النيل الصارخ مما فعل الموت

جاءت القصيدة السابقة على بحر المتدارك، وتحمل قوافيها تنوعاً في الروي بين حروف "التاء، والباء، والنون"، ويضاف إلى ذلك الجنس الحاصل بين مجموعة من الكلمات مثل كلمتي موت، وصوت، ويبدو أنّ الاختلاف في الروي، والتتابع السريع لأجزاء البحر قد ساهم في بناء المشاهد داخل المثال السابق، وهذه المشاهد التي تعتمد على الوصف غايتها تعميق البعد الإنساني الذي اتّسمت به الشاعرة في قصائدها، والسؤال الوارد في هذا السياق: هل تفعيلة المتدارك، والتنويعات الصوتية، وتساقق ذلك مع المشاهد جعل الإيقاع أقرب للأثوية؟

ولو عدنا إلى وزن القصيدة للاحظنا أنّه يُوجد تتابع سريع بين المتحرك والساكن، وهذا الطابع الموجود في الوزن المستخدم يُقرّبنا من روح الإنشاد والتغني والتراقص، ولعلّ تلك المزايا لا تُناسب معاني الحزن الموجودة في النص الشعري، ويرى عز الدين إسماعيل أنّ قصائد نازك الملائكة لا تُمثّل الموقف الحزين^(١)، والفرق بين الموقف الحزين وظاهرة الحزن يكمن في الدلالة التي تربط الحزن بمأساة الوجود بشكل عام؛ أي لا يتعلّق الأمر بالشاعر نفسه.

(١) مرجع سابق: الشعر العربي المعاصر. عز الدين إسماعيل. ص ٣٠٨.

تأنيث إيقاع قصيدة التفعيلة عند عبدالله الغدامي، راشد فهد عايض القنّامي

تأنيث قصيدة التفعيلة وإيقاعها لا يخرج عن تأنيث اللّغة بشكلٍ عامٍ عند الغدامي^(١)، ولا تُريد التوسّع في مُعالجة الجانب الثقافي المتعلّق باللّغة، وإنّما نذكر ذلك؛ لربط المعالجة النقدية بالأساس اللّغوي الذي تقوم عليه شعرية القصيدة بشكلٍ عامٍ، ويظهر أنّ الرغبة في إعادة اكتشاف طبيعة إيقاع قصيدة التفعيلة أوجدت كميّة كبيرة من التصرّوات النقدية المختلفة، ولذلك يعتقد عليّ عشريّ زايد أنّ إيقاع قصيدة التفعيلة يقوم بتطوير استجابة المتلقي^(٢)، وهكذا تصوّر يجمع بين التكرارية والتوقّع من جانب المتلقي كان أقرب لتفعيل دور الجمهور في العملية الشعرية، ولا نسعى لإيجاد موازنة بين هذه الاجتهادات النقدية، وإنّما نحاول إيضاح البُعد البنيوي لتأنيث قصيدة التفعيلة حتى وإن كان هناك ربط مع الأبعاد الثقافية، وتوجد البنيوية في التمرد على القافية، وتنظيم عناصر الحكي، ودلالات الحزن.

تكوّن العناصر السابقة أنوثة الإيقاع، ويذكر الغدامي أنّ القصيدة أنتى في شكلها اللفظي، والكتابي، وكذلك في مضمونها^(٣)، ولكنّ اعتراضه يكمن في فحولة الشعر العربيّ عمومًا، ويظهر من خلال الرأى السابق أنّ الشعرية العربية قد حدث تفحيلها، وهذا يبرز في صناعة طبقات من فحول الشعراء، والأمر هنا لا يتعلّق بنمطية الشكل الشعري، وثباته، بل يتعلّق بالذهنية الثقافية التي تقوم بتوجيه الشكل الشعري، وهذه الذهنية عامّة تتجاوز ثنائية المؤلّف والمتلقي، وتكون أكثر اتّصالاً بجوهر الثقافة المتّصلة بالانساق المضمّرة.

والأمر الملاحظ من خلال ما تقدّم غياب المعالجة المعمّقة لخصائص الإيقاع، والعروض، بل توقّفنا عند مسألة التأنيث دون اللّوج إلى الجزئيّات الخاصّة بالتفعيلة، ومصطلحاتها، وذلك يعود لهيمنة الجانب الثقافي على هذا النوع من الدراسات،

(١) المرأة واللّغة . عبدالله الغدامي . المغرب الدار البيضاء لبنان بيروت . المركز الثقافي العربي .

٢٠١٥م . ط ٥ . ص ١٩١ .

(٢) عن بناء القصيدة العربية الحديثة . عليّ عشريّ زايد . مصر القاهرة . مكتبة ابن سينا .

١٤٢٣هـ . ٢٠٠٢م . ط ٤ . ص ١٦٧ .

(٣) مرجع سابق: ثقافة الوهم . عبدالله الغدامي . ص ١٥٦ .

والتأنيث الثقافي للقصيدة وإيقاعها لا يكون مُبرِّراً لغياب الخصائص الشكلية للإيقاع المؤنث، والمصطلحات المتصلة به، وإن كُنَّا قد قدَّمنا من قبل بعض الملامح الخاصَّة بأنثوية القصيدة وأجزائها فهذا لا يُعفينا من بناء نظريَّة مُتكاملة في هذا الاتجاه، ولكن فيما يبدو أنَّ الأمر يتعلَّق بنظرة الغدامي للنص الأدبي بشكلٍ عامٍ، والنص الشعري بشكلٍ خاصٍ إذ يُفرِّق بين النص الشعري القائم على انفعال المتلقي، والنص الإقناعي القائم على الاستقبال الذهني، وبعد ذلك يُضيف النص الشعري الَّذي يجمع بين الحالتين؛ أي يُوجد فيه إقناع وانفعال في وقتٍ واحدٍ^(١)، ولعلَّ هذه النظرة التوفيقية المستعملة من لدن الناقد ساهمت في تأسيس القصيدة المؤنثة، وإيقاعها.

ولا يُمكننا تجاوز اللُّغة عند فهم تأنيث القصيدة وإيقاعها، ولكنَّ اللُّغة في هذا السياق لا تتعلَّق بنمطية الشكل الشعري بل يُوجد دمج لمجموعة أنماط شكلية، وطرائق جديدة للتلقي، وهذا قد تبيَّن في حالة تساوي الخطاب المتخيَّل، والخطاب الإقناعي في الشعر، وكذلك البُعد الوجداني، والبعد العقلي^(٢)، وترتكز هذه الممارسة النقدية على الوجود الأساسي للقارئ وذاكرته، ولعلَّ هذا المبتلِّق هو الَّذي صنع الأصل الثقافي للُّغة الأدب بشكلٍ عامٍ، ويظهر أنَّ تأنيث إيقاع قصيدة التفعيلة لم ينفك عن استقراء كامل لذاكرة المتلقي العربي الَّذي تلقَّى الشكل العمودي مُدَّة زمنية طويلة، وكان هذا يندرج تحت الفحولة، وأركان عمود الشعر المعتبرة عند النقاد القدماء.

يعرض عمر السيف نصوصاً نقدية لبعض النقاد القدماء ترتبط فيها فحولة الشاعر باشمال تجربته الشعرية على أوزان وقوافي مُنوعَة^(٣)، والتنوُّع يُوجد في مجمل قصائده إذ تكون كل قصيدة ذات وزن وقافية وموضوع تتفرَّد به عن القصيدة الأخرى، وهنا تتجاوز الفحولة المدلول الثقافي، وتُصبح مُرتبطة بالبُعد النقدي الخالص، ويظهر أنَّ

(١) مرجع سابق: تشريح النص - عبدالله الغدامي - ص ٥٤.

(٢) مرجع سابق: تشريح النص - عبدالله الغدامي - ص ٥٨.

(٣) الرجل في شعر المرأة - عمر بن عبدالعزيز السيف - المملكة العربية السعودية الرياض - حقوق

الطبع محفوظة للمؤلف . ١٤٣٣ هـ ٢٠١٢ م . ط ٢ . ص ١٢٣ .

تأنيث إيقاع قصيدة التفعيلة عند عبدالله الغدامي، راشد فهد عايض القنامي

مجازية الفحولة أكثر وضوحًا في الجانب النقدي المتعلّق بالأدب، ولعلّ المعالجة الثقافية قرّبتنا للمعنى المادي المفردة فحل، ونكتشف ممّا تقدّم أنّ الشاعر القديم الفحل كان معنيًا بأهم ركنين في الإيقاع، وهما: العروض والقافية، وأيضًا كان معنيًا بتنوّع الأغراض وتعدّدها، والشاعر الفحل لم يمتلك هذه الأدوات الفنيّة إلاّ بفضل طبيعة تجربته الفنية المرتبطة بالقوة، لذا فإنّ الأنتى سيكون في قوافيها وأوزانها الضعف كما ينقل عمر السيف عن النقاد القدماء^(١)، وإذا عدنا إلى قصيدة التفعيلة فإنّ منطلق الأقدمين النقدي سيعتبرها ضعيفة، وتحتوي على سمة الأنوثة، وليونها، ويقرر عبد الله باقازي أنّ قصائد التفعيلة عند السياب، ونازك يُوجد في إيقاعها توظيفٌ لأبعادٍ نبوية تظهر من خلال التكرار، وأبعاد بلاغية تظهر من خلال التنجيس والتقسيم على سبيل المثال^(٢)، ولو أُجرّيت موازنة بين علاقة العروض والقوافي بالفحولة عند القدماء، والتفكير النقدي المرتبط بداخل اللّغة عند نقاد قصيدة التفعيلة لوجدنا أنّ هناك تجاوزًا لثنائية الفحل والأنتى، ورّمًا أنّ هذا يعود لاشتراك الشاعر والشاعرة في مقدرتهم على صياغة تجربة شعرية واحدة لا تحتكم للتنميط النوعي والاجتماعي.

ويظهر أنّ محاولة الابتعاد بالتقنيات الشعرية، والخروج بها إلى الوضع الاجتماعي جعلتنا قريبين من دمج البناء الشعري مع أعراف المجتمع العربي، ولكن هذا لا ينطبق على الشعر الحديث، وعوامله المختلفة، ولا يُقال هذا لإبعاد التفسير الثقافي، وإمّا نسعى إلى كشف ماهية القصيدة المؤنّثة، وإيقاعها، والسؤال الوارد في هذا السياق: هل القدماء أرادوا تجاوز الأنوثة في الشعر بمصطلحاتهم الشهيرة كالجزالة والفخامة والرصانة؟ وبطبيعة الحال فإنّ هذا مُلاحظ عندهم، وفي نفس الوقت ما كان عيبًا في القصيدة وإيقاعها وعروضها عند الشعراء الأقدمين فهو ليس عيبًا في الشعر الحديث

(١) مرجع سابق: الرجل في شعر المرأة - عمر بن عبدالعزيز السيف - ص ١٢٧.

(٢) نهاية القصيدة في شعر التفعيلة - عبدالله بن أحمد باقازي - المملكة العربية السعودية مكة

المكرمة - مطابع الصفا - ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م - ص ٦٨.

كما تذكر الباحثة إنصاف بخاري في دراستها عن العروض في الأدب السعودي^(١)، ولا شك في أنّ هذا القول لم يُذكر إلا من خلال استيعاب للشعر العربي، وبيئاته القديمة والحديثة.

الإيقاع جزء من البناء الفني للقصيدة، ولا ينفصل هذا عن الذات الشاعرة، ويرى إحسان عباس أنّ نازك الملائكة طوّرت من قصائدها، وكان التطوير ينصبّ على الجانب الفني^(٢)، وهو يربط ذلك بإحساس نازك وشعورها، وار تباطؤ الإحساس بعناصر القصيدة لا يعني أنّ هناك استحضاراً لثنائية التذكير والتأنيث، بل اكتفى الناقد بدمج النمو الفني مع الشعور والأحاسيس، وليس القصد إلغاء الأنوثة وانفعالها الشعري، بل نريد استعراض رأي لا يُفترق بين الشعراء المعاصرين، وعلى أيّ حال فإنّ أثوية الشاعرة ستنعكس على شعورها أثناء إنشاء القصيدة، وسوف يظهر ذلك في التصوير والموسيقى الشعرية وعناصر شعرية أخرى، والبحث في صلة الأنثى بالشعرية يوجب علينا معرفة تجليات التأنيث المؤثّر على التجديد والابتكار الأدبي، وهذا الكلام تُعنى به الأنثى وذاتها الشاعرة، ولهذا يُشير إحسان عباس إلى دور نازك الملائكة في توجيه قصيدتها، وما يدور في عوالمها^(٣)، ونحن وفق هذا التصوّر نتعامل مع ذات شاعرة، ولا نتعامل مع تأنيث ثقافي كما يري عبد الله الغدامي^(٤)، وتأنيث إيقاع قصيدة التفعيلة ظهر نتيجة الأنوثة الثقافية هذا إذا احتكمتنا لرأي الغدامي الذي يحاول الابتعاد عن ذات الأنثى الشاعرة، وإبراز المؤنث الثقافي، الذي ظهر في مواجهة

(١) البناء العروضي الجديد - إنصاف علي ذاکر بخاري - المملكة العربية السعودية مكة المكرمة .

كلية اللغة العربية جامعة أم القرى . ١٤٣٨ هـ . ٢٠١٦ م . ط ١ . ص ١٣١ .

(٢) محاولات في النقد والدراسات الأدبية - إحسان عباس - لبنان بيروت . المجلد الثالث . دار الغرب الإسلامي . ٢٠٠٠ م . ط ١ . ص ٥٠٣ .

(٣) مرجع سابق: محاولات في النقد والدراسات الأدبية - إحسان عباس - لبنان بيروت . المجلد الثالث . ص ٥١١ .

(٤) مرجع سابق: ثقافة الوهم - عبدالله الغدامي . ص ٥٩ .

تأنيث إيقاع قصيدة التفعيلة عند عبد الله الغدامي، راشد فهد عايض القنّامي

مع قواعد الفحولة الشعرية، وهذه المواجهة بين الأنثى الثقافية المجدّدة وعمود الشعر تسبّبت في وجود التجديد الإيقاعي، ويرى إحسان عباس رأيًا مُختلفًا ذلك حينما وصف ابتكار نازك بالعميق، وموضع العمق عنده يكمن في مزاجية الشاعرة بين النغمة الموسيقية والفكرة، ويُضاف إلى ذلك تركيزها على القوافي المنتجة للمعنى وتجنبها للقافية المعتمدة على البُعد الصوتي فقط^(١)، ونُلاحظ في هذه المعالجة النقدية الابتعاد عن لحظة الصراع بين القديم والجديد، إذ انصرف الناقد لتفسير الحالة الشعرية الراهنة، ويبدو أنّ السياق العام للأدب العربي في مرحلة ظهور شعراء التفعيلة يستدعي ذلك، ولو عدنا إلى عبد الله الغدامي لوجدنا أنّه يربط العمق عند النساء الشواعر بعلاقتهم باللُغة التي أصبحت وثيقةً في القرن العشرين^(٢)، ولا تستند هذه العلاقة على البُعد الشفهي فقط بل للكتابة أهميّة كُبرى في أدب المرأة المعاصرة، ويبدو أنّ تقنيات الكتابة الأدبية ومنها الإيقاع الشعري تتّصل بكنهه الأنثى، ولا تتّصل بالفكرة الأدبية كما قدّمنا، وليس معنى ذلك غياب الاهتمام بالأفكار الأدبية أثناء مُعالجة تأنيث قصيدة التفعيلة وإيقاعها.

جاء تأنيث اللُغة الأدبية وتقنياتها من مُنطلق فصل الأدبي عن الأدبية أو خلخلة العلاقة القائمة بين الشعري والشعرية، وهذا لن يحدث إلّا إذا أسقطنا الشرط الجمالي للنصوص الأدبية^(٣)، ونجد من خلال ما تقدّم عودة الغدامي إلى الأساس النقدي الشكلي الذي بدأ في مطلع القرن العشرين، وهذه العودة تسعى لإعادة ترتيب رؤى البنيويين؛ لإعطاء هذه الآراء مشروعية علمية، والغاية من ذلك استخدام الثقافة لتفسير الظاهرة الأدبية.

ولقد أجرى الغدامي إضافةً على عناصر الاتّصال عند رومان جاكسون والتي

(١) مرجع سابق: محاولات في النقد والدراسات الأدبية. إحسان عباس. لبنان بيروت. المجلد الثالث. ص ٥١٦.

(٢) مرجع سابق: المرأة واللغة. عبد الله الغدامي. ص ١٢٨.

(٣) مرجع سابق: النقد الثقافي. عبد الله الغدامي. المغرب الدار البيضاء. ص ٥٩.

جاءت على النحو التالي: مُرسل ومُرسل إليه ورسالة وسياق وقناة الاتصال وسُنن، ولكلِّ عنصرٍ من هذه العناصر وظيفة تختصُّ به، فالمرسل وظيفته الانفعالية والمرسل إليه وظيفته الإفهام، والرسالة وظيفتها الشعرية، ووظيفة السياق المرجعية وأما السُنن فوظيفتها لسانية وأخيراً فإنَّ وظيفة قناة الاتصال الانتباهية، وتُوجد بالإضافة في اقتراح عنصر سابع وهو: العنصر النسقي ووظيفته النسقية^(١)، ويبدو أنَّ الرسالة المنوطة بالشعرية لا تحتكم لهذا الأساس الوظيفي فقط، بل يُمكن دمجها في العنصر النسقي والنسقية، ولا شكَّ في أنَّ هذا التعديل يسعى لصناعة تفسير ثقافي يُحوِّل لغة الأدب إلى مجالٍ لفهم بعض الأمور الثقافية الظاهرة والمضمرة ومنها: التغيُّر الإيقاعي الذي حوَّل القصيدة العمودية إلى قصيدة تفعيلة، فإذا كانت شعرية التفعيلة تتمركز في امتداد البيت الشعري فإنَّ هذا التفسير الجمالي لا يتساوق مع التعديل الحاصل على عناصر الاتِّصال، ولا نستعرض هذه الإضافة؛ لنُسلِّمَ بها تسليماً مُطلقاً بل نحاول فهم كافيَّة الأبعاد الدائرة حول تأنيث الشعر المعاصر، ولو قمنا بالموازنة بين رأي الغدامي الثقافي ورأيه الأدبي في ظهور التفعيلة لوجدنا أنه يُوجد تباينٌ بين الرأيين؛ ففي الرأي المعني بالتفسير التاريخي والفني لا نجدُه مُتحمِّساً لأسبقية نازك الملائكة في استظهار قصيدة التفعيلة^(٢)، والأمر الملاحظ في هذه الدراسة التحوُّل الحاصل بُجَاه تفسير ظهور هذا الشكل الإيقاعي الذي صار مؤنَّثاً بفضل القراءة الجديدة وهي القراءة الثقافية التي سعت؛ لخلخلة العلاقة بين الأدبي والأدبية، وقبل هذا التحوُّل كانت علاقة نازك الملائكة بالشعراء العرب لا تخرج عن المسار الأدبي^(٣)، ويظهر أنَّ نوعيَّة القراءة المُقدَّمة قد فرضت نظرة جديدة تُوجد فروقاً بين علاقة الشاعرة بالشعراء من ناحيةٍ فنيَّة وعلاقتها بهم من ناحيةٍ ثقافية، والثقافة تستدعي الصراع بين الأنتى والشعراء

(١) مرجع سابق: النقد الثقافي - عبدالله الغدامي - المغرب الدار البيضاء - ص ٦٤.

(٢) الصوت القديم الجديد - عبد الله محمد الغدامي - مصر القاهرة - الهيئة المصرية العامة للكتاب -

١٩٨٧ م - ص ٢٠.

(٣) مرجع سابق: الصوت القديم الجديد - عبد الله محمد الغدامي - ص ٢٩.

تأنيث إيقاع قصيدة التفعيلة عند عبدالله الغدامي، راشد فهد عايض القنامي

الفحوليين الذين لا ينفصلون عن الفحوليين القدماء.

يُوجد نمطان لشخصية الشاعرة نازك الملائكة: نمط شعري تأثرت فيه الشاعرة في ابتكارها الموسيقي بالشاعر علي أحمد باكثير وغيره من الشعراء المهجريين^(١)، ونمط ثقافي يُصوّر الذات الشاعرة الأنثوية تصويرًا يتسم بالتمرد على الشعراء الفحوليين، وعلى هذا الأساس فإنّ التأثر بعلي أحمد باكثير سيّجّه إلى وجهة مُعاكسة حيث يُصبح الشاعِرُ خصمًا فحوليًا ينطوي تحت نسقٍ مُضمَرٍ رافق تاريخية الأدب العربي، ويبدو أنّ هذه التباينات تخضع لنوعية القراءة النقدية التي استعان بها الناقد عبد الله الغدامي؛ لفهم المنعطفات المؤثرة في الشعر العربي المعاصر الذي اختلف عن العصور الشعريّة السابقة ذلك من جهة كثرة التجارب الشعريّة المبتكرة والجديدة، وتأتي تجربة الشاعرة نازك ضمن هذه التجارب إلا أنّها صارت وفق المعالجة الثقافية أنثى صنعت إيقاع التفعيلة المؤنّث، وهذا الطرح النقدي يأتي مُعاكسًا له الطرح الذي يربط التطوير الشعري بتاريخية طويلة تصل إلى شعر الموشحات^(٢)، ويبدو أنّ التفاوت بين القراءة التاريخية والقراءة الثقافية أوجد شاعرتين داخل شخصية نازك الملائكة: شاعرة انتصرت على الفحوليين وشاعرة ليست مُجدّدة.

والأولى ليست لها حتمًا كما يرى الغدامي في سياق ربط ظهور التفعيلة بإحساس الشاعر واحتياجاته الفنيّة^(٣)، ومن هذه الاحتياجات: ترجمته لنصوصٍ شعريّة من آداب عالمية، والأمر الملاحظ أنّ إحساس الشاعر الذي طوّر الأشكال الموسيقيّة الحديثة سوف يتحوّل إلى شيءٍ سلمي يتعلّق بالأنانية وفي هذه الوجهة النقدية الريادة كانت لنازك^(٤)، وينبغي أن نذكر أنّ الشاعرة ظهرت كعلامة ثقافية تأتي ضمن نسقٍ مُضمَرٍ يخضع لشرط ثقافي وذهني^(٥)، ونكتشف ممّا تقدّم مدى الفرق بين

(١) مرجع سابق: الصوت القديم الجديد. عبد الله محمد الغدامي - ص ٣٢.

(٢) مرجع سابق: الصوت القديم الجديد. عبد الله محمد الغدامي - ص ٣٨.

(٣) مرجع سابق: الصوت القديم الجديد. عبد الله محمد الغدامي - ص ٤٠.

(٤) مرجع سابق: النقد الثقافي. عبدالله الغدامي - ص ٢٤٥.

(٥) مرجع سابق: النقد الثقافي. عبدالله الغدامي - ص ٢٤٦.

الحساسية الفنية المرتبطة بالشاعر والعلامة الثقافية التي تُعيد الشاعر إلى أنساق ثقافية. إنَّ شخصية نازك الملائكة الثقافية لا تتعلَّق بالشعر فقط بل هي ناقدة ومُنظِّرة صنعت حدثًا ثقافيًا لم يكن عاديًا، ومن نتائج هذا الحدث اكتشافها للبحور الصافية ذوات التفعيلة الواحدة^(١)، وهذه البحور بما تكتسبه من مرونة وبساطة لا تُوجد في البحور المركَّبة ذوات التفعيلتين تُمَثِّل الأنوثة، وأمَّا ما يخص موقع الناقدة نازك في القراءة التاريخية الفنية فهي مُتأثِّرة بعلي أحمد باكثير^(٢)، ويبدو أننا بين قراءتين متفاوتتين: الأولى جعلت نقد نازك وتنظيرها في مواجهة مع الفحوليين لذا فقد استخلصت من أبحاثها نظرية التفعيلة الواحدة غير مُحدَّدة العدد في الشطر الشعري، والثانية ربطت الأمر بتاريخ التجارب الشعرية في القرن العشرين، ولا نسعى إلى إيجاد تفاضل بين هذه القراءات وإمَّا نسعى إلى فهم كل قراءة على حدة، وربط ذلك بآراء الناقد في إيقاع الشعر العربي المعاصر.

إنَّ البحور ذوات التفعيلة الواحدة كالمقارِب والمندارك والرمل تُشير إلى الأنثوية من خلال العناصر التالية: "التمدد والتقلُّص والزيادة والنقصان"، وأمَّا البحور المركَّبة ذوات التفعيلتين كالطويل والبسيط فهي بحور الفحوليين الذكورين إذ لا تقبل العناصر المذكورة آنفًا^(٣)، وهذه الملحوظة المستندة على النقد الثقافي مُختلفة عن قراءة الناقد الفنية الذي يصف آراء نازك بالتناقض ذلك حين أشارت إلى الرتبة الموجودة في البحور الصافية وفي موضع آخر تحدَّثت عن التدفُّق الذي تمنحنا إياها التفعيلة الواحدة^(٤)، وتشتترط نازك أن يكون عدد التفعيلات في الشطر الواحد يتوافق مع الذوق العربي^(٥)،

(١) مرجع سابق: تأنيث القصيدة والقارئ المختلف . عبدالله محمد الغدامي . ص ١٥ .

(٢) مرجع سابق: الصوت القديم الجديد . عبد الله محمد الغدامي . ص ٤٤ .

(٣) مرجع سابق: تأنيث القصيدة والقارئ المختلف . عبدالله محمد الغدامي . ص ١٨ .

(٤) مرجع سابق: الصوت القديم الجديد . عبد الله محمد الغدامي . ص ٤٧ .

(٥) رجع سابق: قضايا الشعر المعاصر: نازك الملائكة . ص ٤٤ .

تأنيث إيقاع قصيدة التفعيلة عند عبدالله الغدامي، راشد فهد عايض القنامي

ويبدو أنّ ضبط تفعيلات الأشرط في الشعر الحر بالذائقة العربية يُعيدنا إلى مبادئ الإيقاع الشعري الأساسية وهي: الانتظام والكم والتساوي وتتابع الحركات والسكنات والوقف والقافية^(١)، ولقد أشار الغدامي إلى ربطها بين انتشار الأخطاء العروضية ورفض الجمهور لهذه الأخطاء^(٢)، ولم يغيب عنه في قراءته الفنية الحوار النقدي حول إيقاع التفعيلة وقد حدث ذلك بين نازك والنقاد العرب كمحمد النويهي.

إنّ قواعد قصيدة التفعيلة عند نازك لم تخرج عن سنن القدماء وذلك في التزامها بالنظام الشطري الذي يمنع من استخدام خمس تفعيلات أو تسع تفعيلات، وهذا الالتزام المعتمد على تأطير الشطر يندرج تحت جهود العروضيين لذا فهناك اعتراض على الناقدة في تسميتها للبيت الحر بالشطر؛ لأنّ الشطر نصف الشيء كما يقول الغدامي^(٣)، ويظهر أنّ التلقي هنا لا يفترض وجود أيّ خصومة بين الفحولة الشعرية ومقام الأنوثة المرتبط بنشأة قصيدة التفعيلة^(٤)؛ وهذا التحول في المعالجة قد تجاوز التقعيد المحض للعروض والإيقاع.

والغدامي يذكر أهمية السؤال الثقافي في تفسير ظهور هذا التحول الإيقاعي وهو في نفس الوقت يُشير إلى أهمية تجاوز السؤال الأدبي^(٥)، ولا بُدّ للباحث أن يستحضر المنحى الثقافي والمنحى الأدبي؛ لأنّ التجديد الإيقاعي يتماس مع الأسس اللغوية بشكلٍ مباشر، وهذا التماس يعني صعوبة الاعتماد على البعد الثقافي، والصعوبة تكمن في المنظومة الاصطلاحية لعناصر الإيقاع ويُضاف إلى ذلك عدم وضوح

(١) مرجع سابق: قضايا الشعر المعاصر: نازك الملائكة . ص ٨٥.

(٢) مرجع سابق: الصوت القديم الجديد . عبد الله محمد الغدامي . ص ٥٦.

(٣) مرجع سابق: الصوت القديم الجديد . عبد الله محمد الغدامي . ص ٦٥.

(٤) مرجع سابق: تأنيث القصيدة والقارئ المختلف . عبدالله محمد الغدامي . ص ٢١.

(٥) مرجع سابق: تأنيث القصيدة والقارئ المختلف . عبدالله محمد الغدامي . ص ٣٠.

الجانب التطبيقي الذي يُعطينا مؤشرات عن كيف نُحلّل أجزاء الإيقاع تحليلاً ثقافياً، والمسألة الثقافية هنا تتعلّق بنظرة الناقد للنص؛ فالإيقاع في تحليله لشعر حمزة شحاتة حصلت دراسته دراسة نصية مُغلّقة لا تستدعي أيّ اعتبارات خارجية^(١)، ونُدرك ممّا تقدّم أنّ السؤال الثقافي لا يتحقّق إلاّ إذا توفّرت جميع أطراف العملية الإبداعية كالمبدع والنص والمتلقي والسياق الثقافي المحيط بهذه الأركان.

(١) عبدالله الغدامي - الخطيئة والتكفير - المغرب الدار البيضاء لبنان بيروت - المركز الثقافي العربي - ٢٠٠٦ م . ط ٦ - ص ٢٧٢ .

الخاتمة

بعد أن قُمنَا باستعراض موضوع البحث في مبحثين عاجلنا في الأول تأنيث قصيدة التفعيلة وعالجنا في الثاني تأنيث الإيقاع سنحاول في هذه الخاتمة ذكر النتائج التي توصلت إليها الدراسة المعتمدة على اكتشاف الظاهرة الأدبية من خلال البحث الثقافي، ولقد لاحظنا التدرُّج الموجود في البحث إذ انطلق من خلخلة المفاهيم الأساسية الموجودة في الشعر العربي، وهذا التدرُّج لم يكن لولا مدوِّنة عبد الله الغدامي التي تطوَّرت تطوُّراً بدأ من النقد الأدبي وانتهى بالنقد الثقافي، ولا يعني هذا التطوُّر إلغاء النقد الأدبي إلغاءً كاملاً بل يعني إيجاد تفسير جديد للظواهر الأدبية والتحوُّلات الكبرى الحاصلة في تاريخ الأدب العربي.

يخضع هذا التفسير الجديد لطريقة القراءة التي ابتعد صاحبها عن البحث التقليدي المختزل في تاريخية الشعر العربي الحديث والنظرة الاعتيادية للأشكال الموسيقية في بنية القصيدة، وما من شك في أن هناك علاقة وطيدة بين معالجة الموضوع وطريقة القراءة، وقد أتضح ذلك في إعادة دراسة عمود الشعر والفحولة، ويُربط ذلك بالتغيير العروضي على بنية البيت الشعري، ولم تنفصل هذه القراءة عن محاولة بحثية تركز على اكتشاف دور المرأة الشعري في الشعر العربي القديم، ولقد تعاملنا مع هذه القراءة تعاملاً لا يعزلها عن القراءة الاعتيادية لولادة شعر التفعيلة، ومعنى ذلك قيامنا بالموازنة بين عدَّة آراء للناقد، والموازنة بين هذه الآراء المختلفة وضَّحت السِّعة التي رافقت أدبنا الحديث وذلك من جهة المبدعين والنُّقاد.

تحكم آليَّة القراءة مسار الدراسة وهذا ظهر بشكل أكبر في تحوُّل التاريخ الأدبي والفني إلى تاريخ ثقافي لا تنفصل فيه العصور الأدبية العربية عن بعضها؛ فالفحولة المستعملة من لدن النُّقاد القدماء حملت في باطنها أشياء مُضمرة ومخفية لا تنكشف إلَّا إذا قمنا بدراسة النسق الثقافي، ويتربَّب على ذلك: وجود أحكامٍ مختلفة أثناء

فهمنا لأي ظاهرة أدبية، ولذا فقد بيّنت هذه الدراسة العلاقة الوطيدة بين نتائج العمل النقدي وكيفية القراءة، وهذا التبيين والإيضاح لا يمكن الوصول إليه إلا إذا فُحصت كُلُّ قراءة على حدة؛ لكي نبتعد عن التداخل بين القراءات المختلفة ومناهجها المتباينة.

وفيما يلي أهم النتائج المستخلصة من هذا البحث:

١. الأوليّة في ظهور شعر التفعيلة للشاعرة نازك الملائكة، والأولية تتعلّق هنا بالمعنى الثقافي؛ لأنّ الشاعرة ساهمت في انطلاق قصيدة التفعيلة؛ لتقوم بمواجهة الشعراء الرجال.
٢. تحقّقت أوليّة نازك الملائكة من خلال وجودها الثقافي وهذا معناه أنّها لم تكن مجرد شاعرة فحسب بل هي علامة ثقافية قامت بتغيير مسار الشعرية العربية من عمودية الفحوليين إلى فضاءات التأنيث.
٣. التأنيث سمة مميّزة لقصيدة التفعيلة وهذا يعني أنّ الأثوية الشعرية لم تقتصر على شعر المرأة؛ فالشعراء الرجال ظهرت قصائدهم الحرة مؤنّثة فيها كُسرت ضوابط الفحوليين القدماء وهذا يُوجد في الجانب الفني والدلالي على حدٍ سواء.
٤. كسر الشاعرة نازك الملائكة لشروط النسق الثقافي قد تسبّب في انبثاق قصيدة التفعيلة وهذا الاختراق والكسر لم يكن فنياً فحسب بل يمتد إلى نظرة المجتمع للمرأة الشاعرة التي لم تبرز كشاعرة ومُنظرة إلا في القرن العشرين.
٥. لقد أعمل الناقد عبد الله الغدامي ذاتيته في دراسته عن أنثوية الإيقاع وهذا يعني أنّه لا تُوجد مرجعية نقدية عربية عُنيّت بفهم علاقة الإيقاع بأشياءٍ مُحيطة بالنص كالمجتمع والأنثى وغير ذلك، ويتّضح أنّ ذاتية الناقد قامت باستحضار المخزون الذهني والنسق المضمّر؛ لتتشكّل بعد ذلك

تأنيث إيقاع قصيدة التفعيلة عند عبدالله الغدامي، راشد فهد عايض القنامي

هذه الآراء النقد الثقافية.

٦. الاعتماد على ذاتية الناقد في تأنيث قصيدة التفعيلة وإيقاعها لا يعني هدم القراءة الفنية وتجاوزها بكليتها بل أراد الناقد تأسيس تفسير جديد لظهور قصيدة التفعيلة وهذا لن يحدث إلا إذا ارتكزت المعالجة الثقافية على النقد الفني وتبين ذلك في الحديث عن ربط طول الأسطر وقصرها بطبيعة الأثني.
٧. قام الناقد بالتعديل على عناصر الاتصال عند رومان جاكسون ذلك عندما أضاف العنصر السابع وهو النسقي ووظيفته النسقية، وهو يبحث عن الدلالة النسقية ومنها: تأنيث قصيدة التفعيلة، ويبدو أن عودته إلى عناصر الاتصال اللغوية التي انبثقت منها المناهج النصية في النقد الأدبي لم يكن لولا أهمية ارتباطه بالمسار النقدي الحديث، ومع وجود هذا الارتباط إلا أن ذاتية الناقد حاضرة حضوراً ملفتاً يبرز في نقده للذاكرة الثقافية المعنية بفحولة الشعراء.
٨. يقوم تأنيث إيقاع قصيدة التفعيلة على ثلاثة أركان أساسية وهي: التمرّد على القافية والأسطورة والحكاية، وهذه الأركان تأتي كبديل لعمود الشعر عند الفحوليين القدماء والبحث عن بديل نقدي يرتبط بالتأنيث يتصل بظهور قصيدة التفعيلة المؤنث.
٩. تأنيث قصيدة التفعيلة وإيقاعها ظهر نتاجاً للعلاقة الوثيقة بين المرأة واللغة في القرن العشرين، والعلاقة هنا تتعلق بإنتاج النص الأدبي بشكل عام والنص الشعري بشكل خاص.
١٠. يُعدُّ تأنيث قصيدة التفعيلة من ضمن الفرضيات العديدة التي قدّمها النقاد المعاصرون، ومع اختلاف هذه الفرضيات وتنوعها لا يمكن التسليم بها؛ لأنّ اللغة لا تختصُّ بالمرأة دون الرجل وكذلك لا تختصُّ بالرجل دون المرأة.

أهم التوصيات:

يوصي هذا البحث الذي عُني بتفسير الظواهر الأدبية من خلال المعالجة الثقافية

بتوصيات منها:

١. دراسة تفاعل النقاد السعوديين مع التجديد الحاصل في أدبنا العربي، وتكمن أهميّة ذلك في محاولة تأسيس مدوّنة نقدية تختص بها الحركة النقدية في المملكة العربية السعودية.
٢. استخدام مناهج ثقافية جديدة؛ لتعرّف على وجهة نظر مُغايرة حول أبرز التحولات في بنية الشعر العربي وخصوصًا في الأدب العربي الحديث.
٣. الابتعاد بالإيقاع وعناصره عن القراءات النصية الجامدة التي تُركّز على بنية النص الداخلية دون ربطها بالمحيط الخارجي.

المصادر والمراجع:

- الغدامي عبدالله محمد . تأنيث القصيدة والقارئ المختلف - (لبنان بيروت . المركز الثقافي العربي . ٢٠٠٥م) ص١٧ .
- الملائكة نازك . الصومعة والشرفة الحمراء . . (لبنان بيروت . دار العلم للملايين . ١٣٩٩هـ . ١٩٧٩م . ط٢) . ص٢٦ .
- السحرتي مصطفى عبد اللطيف . الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث - (المملكة العربية السعودية جدة . تهامة للنشر . ١٤٠٤هـ . ١٩٨٤م . ط٢) . ص١١٦ .
- الغدامي عبدالله . ثقافة الوهم - (المغرب الدار البيضاء لبنان بيروت . المركز الثقافي العربي . ٢٠٢٠م . ط٦) ص٥٢ .
- مومني قاسم . في ذاكرة القراءة النقدية العربية (الأردن عمان لبنان بيروت . المؤسسة العربية للدراسات والنشر . ٢٠١٤م . ط١) . ص١٦٨ .
- الحارثي محمد بن مريسي . عمود الشعر العربي - (المملكة العربية السعودية مكة المكرمة . نادي مكة الثقافي الأدبي . ١٤١٧هـ . ١٩٩٦م . ط١) . ص١٧٧ .
- الأحمد أحمد سليمان . الشعر الحديث بين التقليد والتجديد - (ليبيا طرابلس . تونس . دار العربية للكتاب . ١٩٨٣م) . ص١٤٥ .
- أبو الانوار محمد . الحوار الأدبي حول الشعر - (مصر القاهرة . مكتبة الآداب . ١٤٢٨هـ . ٢٠٠٧م . ط١) ص٥٥٧ .
- الملائكة نازك . قضايا الشعر المعاصر - (لبنان بيروت . دار العلم للملايين . ٢٠٠٠م . ط١١) . ص٣٦ .
- ابادي الفيروز . القاموس المحيط: . (لبنان بيروت . الناشر بيت الافكار الدولية . ٢٠٠٤م) . ص١٢٩٩ .
- زكريا فؤاد . التفكير العلمي: . (الكويت . منشورات ذات السلاسل . ١٤٠٩هـ . ١٩٨٨م . ط٣) . ص٢٩٣ .

- السيوطي جلال الدين . نزهة الجلساء في أشعار النساء - تحقيق: عبداللطيف عاشور .
(مصر القاهرة . مكتبة القرآن . ١٩٨٦م) . ص ٢٣ .
- الغذامي عبدالله . القبيلة والقبائلية أو هويات ما بعد الحداثة . (المغرب الدار البيضاء
ولبنان بيروت . المركز الثقافي العربي . ٢٠١١م . ط ٣) . ص ٩٦ .
- سلوم داود . مقالات في النقد الأدبي . (لبنان بيروت . عالم الكتب ومكتبة النهضة
العربية . ط ٢ . ١٤٠٧ . ١٩٨٧م) . ص ٢٢٤ .
- البدراي محمد جواد حبيب . الحركة النقدية حول السياب . (لبنان بيروت . الدار العربية
للموسوعات . ٢٠١٣م . ١٤٣٤هـ . ط ١) . ص ١٤ .
- عبد البديع لطفي . ميتافيزيقا اللغة - (مصر القاهرة . الهيئة المصرية العامة للكتاب .
١٩٩٧م) . ص ٢١٩ .
- أنيس إبراهيم . موسيقى الشعر - (مصر القاهرة . مكتبة الأنجلو المصرية . ط ٤)
ص ٣٣٦ .
- عيد رجاء . المصطلح في التراث النقدي - (مصر الإسكندرية . منشأة المعارف جلال
حزى وشركاه . ٢٠٠٠م) ص ٣٥ .
- رزق صلاح . الشعر وقضية الهوية - (مصر القاهرة . الهيئة المصرية العامة للكتاب .
٢٠١٤م) . ص ١٤٨ .
- بزيع شوقي . مسارات الحداثة - (العراق بغداد . مسكيلياني للنشر . ط ١ . ٢٠١٢م) .
ص ٩٦ .
- مكي الطاهر احمد . في الأدب المقارن - (مصر القاهرة . دار المعارف . ١٤١٨هـ
١٩٩٧م . ط ٣) . ص ٣٨ .
- المرزباني أبو عبيد الله بن محمد بن عمران بن موسى . الموشح مأخذ العلماء على الشعراء
في عدة أنواع من صناعة الشعر . تحقيق: علي محمد البجاوي . (مصر القاهرة .
دار الفكر العربي) . ص ٦٢ .

تأنيث إيقاع قصيدة التفعيلة عند عبدالله الغدامي، راشد فهد عايض القنّامي

- الغدامي عبدالله محمد و اصطفى عبد النبي . نقد ثقافي أم نقد أدبي - (سوريا دمشق . دار الفكر . ٢٠٠٤م . ١٤٢٥هـ . ط١) . ص٢٤ .
- الغدامي عبدالله . النقد الثقافي - (المغرب الدار البيضاء . المركز الثقافي العربي . ٢٠٠٨م . ط٤) . ص١١٨ .
- الملائكة نازك . الأعمال الشعرية الكاملة - (لبنان بيروت . المجلد الأول . دار العودة . ٢٠١٤م . ط٥) . ص١٢ .
- الأحمد أحمد سليمان . الشعر الحديث بين التقليد والتجديد - (ليبيا طرابلس . الدار العربية للكتاب . ١٩٨٣م) . ص٢٤٤ .
- الغدامي عبدالله . الجنوسة النسقية - (المغرب الدار البيضاء لبنان بيروت . المركز الثقافي العربي . ٢٠١٧م . ط١) . ص١٠١ .
- إسماعيل عزالدين . الشعر العربي المعاصر - (مصر القاهرة . المكتبة الأكاديمية . ط٦ . ٢٠٠٣م) . ص٣٠٤ .
- شكري إسماعيل . في معرفة الخطاب الشعري - (المغرب الدار البيضاء . دار توبقال للنشر . ٢٠٠٩م . ط١) . ص١٤٣ .
- السياب بدر شاكر . الأعمال الشعرية الكاملة . تحقيق: علي محمود خضير . تقديم: أدونيس . (الجزء الأول . لبنان بيروت . الكويت الرافدين للنشر . منشورات تكوين نبوءات . ٢٠٢١م . ط٢) . ص٣٨١ .
- الدماميني بدرالدين أبوعبدالله محمد بن أبي بكر . العيون الغامرة على الخبايا الرامزة - تحقيق: الحساني حسن عبدالله . (مصر القاهرة مكتبة الخانجي . ١٤١٥هـ . ١٩٩٤م . ط١) . ص١٨٢ .
- حداد علي . بدر شاكر السياب - (الأردن عمان دار أسامة للنشر . ١٩٩٨م . ط١) . ص٥٦ .
- سحيمي سمير . أجراس الشعر وإيقاع الذات - (تونس . الشركة التونسية للنشر والتنمية فنون الرسم . ٢٠١٨م . ط١) . ص٢٦٢ .

- القرشي عالي سرحان . تحولات النقد وحركية النص - (المملكة العربية السعودية لبنان بيروت . النادي الادبي بحائل والانتشار العربي . ٢٠٠٩ م . ط ١) ص ٣٠٥ .
- الغذامي عبدالله . المرأة واللغة - (المغرب الدار البيضاء لبنان بيروت . المركز الثقافي العربي . ٢٠١٥ م . ط ٥) ص ١٩١ .
- زايد علي عشري . عن بناء القصيدة العربية الحديثة - (مصر القاهرة . مكتبة ابن سينا . ١٤٢٣ هـ . ٢٠٠٢ م . ط ٤) ص ١٦٧ .
- الغذامي عبدالله ، تشريح النص - (المغرب الدار البيضاء لبنان بيروت . المركز الثقافي العربي . ٢٠٠٦ م . ط ٢) . ص ٥٤ .
- باحارثة أحمد هادي . علي أحمد باكثير ناقدًا أدبيًا - (الجمهورية اليمنية عدن . دار الوفاق . ١٤٣٥ هـ . ٢٠١٤ م . ط ١) ص ٣٧ .
- السيف عمر بن عبدالعزيز . الرجل في شعر المرأة - (المملكة العربية السعودية الرياض . حقوق الطبع محفوظة للمؤلف . ١٤٣٣ هـ . ٢٠١٢ م . ط ٢) ص ١٢٣ .
- باقازي عبدالله بن أحمد نهاية القصيدة في شعر التفعيلة - (المملكة العربية السعودية مكة المكرمة . مطابع الصفا . ١٤٣٢ هـ . ٢٠١١ م) ص ٦٨ .
- بخاري إنصاف علي ذاك . البناء العروضي الجديد - (المملكة العربية السعودية مكة المكرمة . كلية اللغة العربية جامعة أم القرى . ١٤٣٨ هـ . ٢٠١٦ م . ط ١) ص ١٣١ .
- عباس إحسان . محاولات في النقد والدراسات الأدبية - (لبنان بيروت . المجلد الثالث . دار الغرب الإسلامي . ٢٠٠٠ م . ط ١) . ص ٥٠٣ .
- فضول عاطف . النظرية الشعرية عند إليوت وأدونيس - ترجمة أسامة إسبر . (سوريا دمشق . دار التكوين . ٢٠١٣ م . ط ١) . ص ٣٤ .
- الغذامي عبد الله محمداصوت القديم الجديد - (مصر القاهرة . الهيئة المصرية العامة للكتاب . ١٩٨٧ م .) ص ٢٠ .

تأنيث إيقاع قصيدة التفعيلة عند عبدالله الغدامي، راشد فهد عايض القنّامي

هفان الخرنق بنت بدر - ديوان شعر - تحقيق: حسين نصار - (مصر القاهرة - مطبعة
دار الكتب والوثائق القومية - ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م) ص ٣.
الغدامي عبدالله - الخطيئة والتكفير - (المغرب الدار البيضاء لبنان بيروت - المركز الثقافي
العربي - ٢٠٠٦ م - ط٦) ص ٢٧٢.

Bibliography:

- Al-Ghadami Abdullah Muhammad - Femininity of the Poem and the Different Reader - (Lebanon Beirut - Arab Cultural Center - 2005 AD) p. 17.
- Angels Nazik Al-Sawma'a wa Al-Shurfa Al-Hamraa - (Lebanon Beirut - Dar Al-Ilm lil Malayeen - 1399 AH - 1979 AD - 2nd edition) - p. 26.
- Al-Saharti Mustafa Abdel-Latif - Contemporary Poetry in the Light of Modern Criticism - (Saudi Arabia, Jeddah - Tihama Publishing - 1404 AH - 1984 AD - i 2) p. 116.
- Al-Ghadami Abdullah. The Culture of Illusion - (Morocco, Casablanca, Lebanon, Beirut - Arab Cultural Center - 2020 AD - 6th edition) p. 52.
- Momani Qassem - In the Arab Critical Reading Memory (Jordan Amman Lebanon Beirut - Arab Institute for Studies and Publishing - 2014 AD - i 1) - p. 168.
- Al-Harithi Muhammad bin Marisi - Pillar of Arabic Poetry - (Kingdom of Saudi Arabia, Makkah Al-Mukarramah - Makkah Literary Cultural Club - 1417 AH - 1996 AD - i 1) - p. 177.
- Al-Ahmad Ahmed Suleiman - Modern Poetry between Tradition and Renewal - (Libya, Tripoli - Tunisia - Arab Book House - 1983 AD) p. 145.
- Abu Al-Anwar Muhammad - Literary Dialogue on Poetry - (Egypt Cairo - Al-Adab Library - 1428 AH - 2007 AD - i 1) p. 557.
- Angels Nazik - Issues of Contemporary Poetry - (Lebanon Beirut - Dar Al-Ilm for Millions - 2000 AD - 11th edition) - p. 36.
- Abadi Al-Fayrouz - Al-Qaamuus Al-Muheet: - (Lebanon Beirut - Publisher House of International Ideas - 2004 AD) - p. 1299.
- Zakaria Fouad - Scientific Thinking: (Kuwait - That Al-Silsil Publications - 1409 AH - 1988 AD - 3rd Edition) p. 293.
- Al-Suyuti Jalal Al-Din - Nuzha Al-Jalasa in the Poetry of Women - Investigated by: Abdul Latif Ashour - (Egypt Cairo - Quran Library - 1986 AD) - p. 23.
- Al-Ghadami Abdullah - Tribe and Tribes or Postmodern Identities - (Morocco, Casablanca and Lebanon Beirut - Arab Cultural Center - 2011 AD - 3rd Edition -) p. 96.
- Salloum Daoud - Articles in Literary Criticism (Lebanon Beirut - The World of Books and the Arab Renaissance Library - 2nd Edition 1407 - 1987 AD) p. 224.

- Al-Badrany Muhammad Jawad Habib - The Critical Movement around Al-Sayyab - (Lebanon Beirut - Arab House of Encyclopedias - 2013 AD - 1434 AH - i 1) p. 14.
- Abdel-Badi' Lotfi - The Metaphysics of Language - (Egypt Cairo - The Egyptian General Book Authority - 1997 AD) - p. 219.
- Anis Ibrahim - Music of Poetry - (Egypt Cairo - Anglo-Egyptian Library - 4th edition) p. 336.
- The Feast of Hope - The Term in the Critical Heritage - (Egypt Alexandria - Mansha'at al-Maaref Galal Hazzi and Partners - 200 AD -) p. 35.
- Rizk Salah - Poetry and the Identity Issue - (Egypt Cairo - Egyptian General Book Organization - 2014 AD) - p. 148.
- Bazi' Shawqi - Paths of Modernity - (Iraq, Baghdad - Maskiliani Publishing - 1st Edition - 2021AD -) p. 96.
- Makki Al-Taher Ahmed - In Comparative Literature - (Egypt Cairo - Dar Al-Maaref - 1418 AH 1997 AD - 3rd edition) p. 38.
- Al-Marzbani Abu Obaidullah bin Muhammad bin Imran bin Musa - Al-Muwashah, the scholars' opinions on poets in several types of poetry industry - Investigation: Ali Muhammad Al-Bajawi - (Egypt Cairo - Arab Thought House) - p. 62.
- Al-Ghadami Abdullah Muhammad and Astif Abdul-Nabi - Cultural Criticism or Literary Criticism - (Syria Damascus - Dar Al-Fikr - 2004 AD - 1425 AH - i.d.) p. 24.
- Al-Ghadami Abdullah - Cultural Criticism - (Morocco, Casablanca - Arab Cultural Center - 2008 AD - i 4 -) p. 118.
- The Angels Nazik - The Complete Poetic Works - (Lebanon Beirut - Volume One - Dar Al-Awda - 2014 AD - 5th Edition) - p. 12.
- Al-Ahmad Ahmed Suleiman - Modern Poetry between Tradition and Renewal - (Libya, Tripoli - Arab Book House - 1983 AD -) p. 244.
- Al-Ghadami Abdullah - Systematic Gender - (Morocco, Casablanca, Lebanon, Beirut - Arab Cultural Center - 2017 AD - i 1 -) p. 101.
- Ismail Ezzedine - Contemporary Arabic Poetry - (Egypt Cairo - Academic Library - Edition 6 - 2003 AD) - p. 304.
- Shukri Ismail - On Knowing the Poetic Discourse - (Morocco, Casablanca - Dar Toubkal Publishing - 2009 AD - 1st Edition) p. 143.
- Al-Sayyab Badr Shaker - Complete Poetic Works - Investigation: Ali Mahmoud Khudair - Presented by: Adonis (- Part One - Lebanon

- Beirut - Kuwait Al Rafidain Publishing - Genesis Prophecies Publications - 2021 AD - 2nd Edition) p. 381.
- Al-Damamini Badr Al-Din Abu Abdullah Muhammad bin Abi Bakr - Al-Ayoun Al-Ghamza on the symbolic secrets - investigation: Al-Hassani Hassan Abdullah (Egypt, Al-Khanji Library, 1415 AH - 1994 AD - i.d.) p. 182.
- Haddad Ali - Bader Shaker Al-Sayyab - (Jordan Amman Dar Osama Publishing - 1998 AD - 1st Edition) p. 56.
- Suhaimi Samir - Bells of Poetry and the Rhythm of the Self - (Tunisia - Tunisian Company for Publishing and Development of Graphic Arts - 2018 AD - 1st Edition) p. 262.
- Al-Qurashi Ali Sarhan - Criticism Shifts and Text Dynamics - (Kingdom of Saudi Arabia, Lebanon, Beirut - The Literary Club of Hail and the Arab Spread - 2009 AD - 1st Edition) p. 305.
- Al-Ghadami Abdullah - Women and Language - (Morocco, Casablanca, Lebanon, Beirut - Arab Cultural Center - 2015 AD - i 5 -) p. 191.
- Zayed Ali Ashry - On the Construction of the Modern Arabic Poem - (Egypt Cairo - Ibn Sina Library - 1423 AH - 2002 AD - 4th floor) p.167.
- Al-Ghadami Abdullah - Anatomy of the Text - (Morocco, Casablanca, Lebanon, Beirut - Arab Cultural Center - 2006 AD - 2nd Edition) p. 54.
- Baharitha Ahmed Hadi - Ali Ahmed Bakathir, literary critic - (Republic of Yemen, Aden - Dar Al-Wefaq - 1435 AH - 2014 AD - 1st edition) p. 37.
- Al-Saif Omar bin Abdul Aziz - The Man in Women's Poetry - (Kingdom of Saudi Arabia, Riyadh - copyright reserved to the author - 1433 AH 2012 AD - 2nd edition) p. 123.
- Baqazi Abdullah bin Ahmed - The end of the poem in the poetry of the fifeh - (Kingdom of Saudi Arabia, Makkah Al-Mukarramah - Al-Safa Press - 1432 AH - 2011 AD -) p. 68.
- Bukhari Insaf Ali Zakir - The New Al-Adari Building - (Kingdom of Saudi Arabia, Makkah Al-Mukarramah - College of Arabic Language, Umm Al-Qura University - 1438 AH - 2016 AD - i 1 -) p. 131.
- Abbas Ihsan - Attempts in Criticism and Literary Studies - (Lebanon Beirut - Volume Three - Dar al-Gharb al-Islami - 2000 AD - i 1) p. 503.

تأنيث إيقاع قصيدة التفعيلة عند عبدالله الغدامي، راشد فهد عايض القنّامي

Faddoul Atef - Elliott and Adonis's Poetic Theory - Translated by Osama Esper - (Syria Damascus - Dar al-Takween - 2013 AD - i1) p. 34.

Al-Ghadami Abdullah Muhammad - The New Old Voice - (Egypt Cairo - The Egyptian General Book Organization - 1987 AD) p. 20.

Hafan Al-Kharnaq Bint Badr - Diwan of Poetry - Investigated by: Hussein Nassar - (Egypt, Cairo - National Books and Documents House Press - 1430 AH - 2009 AD) p. 3.

Al-Ghadami Abdullah - Sin and Atonement - (Morocco, Casablanca, Lebanon, Beirut - Arab Cultural Center - 2006 AD - i 6 -) p. 272.

أفق الانتظار والمسافة الجمالية

(قراءة في ديوان أجنحة بلاريش لحسين سرحان^(١))

Horizon of Expectation and Aesthetic Distance
(A Reading in the Divan of Ajniha Bila Rish by Hussein Sarhan)

د. ذيب بن مقعد العصيمي

أستاذ البلاغة والنقد المشارك بقسم اللغة العربية - كلية التربية بجامعة المجمعة

البريد الإلكتروني: theebb930@gmail.com

(١) هو حسين بن علي بن مويلى بن سرحان من قبيلة (الروسان) من (عتيبة) ولد عام ١٣٣٢ هـ بمكة، وأدخله والد أشهر الكتاتيب الموجودة في (المعابدة) وهما كتاب (باخيس) ثم كتاب (الشيخ عوض)، وبعد أن حفظ بعض أجزاء القرآن أحقه والده بمدرسة الفلاح، وكان مدمناً للقراءة في دواوين الشعراء، وما يصل إلى الحجاج من الصحف والمجلات المصرية، اتصل سرحان اتصالاً وثيقاً بالصحافة: شاعراً، وكاتب مقال، وقاصاً، فنشر إنتاجه في معظم الصحف والمجلات السعودية مثل: أم القرى، وصوت الحجاز، والبلاد السعودية، والمنهل، وعكاظ، والرياض. وقد عُرف في الأوساط الأدبية في السعودية شاعراً في المقام الأول، على أن ذلك لا ينفي شهرته في النثر، وبخاصة في لون المقالة؛ ولذلك يمكن وصفه بأنه من رجال الصناعة. ج وفي سنة ١٤١٣ هـ. انظر: إبراهيم الفوزان الأدب، الحجازي بين التقليد والتجديد. (ط، الأولى، القاهرة. مكتبة الخانجي) ١٩٨١. ج ٢. ص ٤٩٦. ومحمد صالح الشنطي، في الأدب العربي السعودي.. دار الأندلس. ط الرابعة ١٤٢٧. ص ٩٦. وعبد الله الحيدري، آثار حسين سرحان النثرية.. نادي الرياض الأدبي. ١٤٢٦. ص ٣٣.

المستخلص

يتناول هذا البحث أفق الانتظار والمسافة الجمالية لدى القارئ لشعر حسين سرحان، في ديوانه (أجنحة بلا ريش)؛ فالبحث يهدف إلى تفعيل دور القاري في محاورة النص الشعري، سواء أكان رسدا تاريخيا من خلال تلقي القراء لشعر الشاعر، أم من خلال القراءة المتجددة التي يمارسها القارئ لفهم دلالات وأبعاد التجربة الشعرية، ومن هنا يبرز منهج الدراسة القائم على نظرية القراءة والتلقي، التي تقوم على سبر دور القارئ في محاورة النص الشعري، ومحاولة فهمه. واتضح من خلال البحث أهمية محاورة النص الشعري، من خلال مكوناته اللغوية القائمة على عملية الانزياح والاختيار، حيث ترفع مستوى الخبرة الجمالية لدى القارئ، ولذا وجدنا شعر حسين سرحان يخيب أفق القارئ، من خلال معجمه الشعري ومن خلال صوره الفنية الجديدة، كما تميزت فترة الشاعر بالنقلة الشعرية التي أحدثها الشعر الحديث، من حيث تناوله الجديد للغة، ومن خلال تعقد الصورة وتعانقها مع معطيات غير لغوية اجتماعية ونفسية.

الكلمات المفتاحية: أفق الانتظار، المسافة الجمالية، المعجم الشعري، الصور،

الشعرية.

Abstract

This research covers the horizon of expectation and the aesthetic distance of a reader of Hussein Sarhan's poetry in his Divan (Ajniha Bila Rish). The research seeks to activate the reader's role in discussing the poetic text, whether it is a historical record through readers' Studying of poet's poetry or through a renewed reading practiced by readers to understand the implications and aspects of the poetic experience. Hence, the study approach, which is based on the theory of reading and reception, which is based on exploring the reader's role in discussing the poetic text and its attempt to understand it. The research demonstrates the importance of discussing the poetic text through its linguistic components, which are based on the process of deviation and selection, which raises the level of aesthetic experience of the reader. Consequently, we found that Hussain Sarhan's poetry disappointed the reader, both through his poetic dictionary and through his new artistic imagery. The period of the poet was also characterized by the poetic shift that modern poetry created, in terms of its using the new in language and through the complexity of the imagery and its embrace of non-linguistic, social, and psychological data.

Key Words: Horizon of Expectation, the Aesthetic Distance, Poetic Dictionary,

المقدمة:

يقدم لنا النص الأدبي رؤية كلية للوجود والحياة، ممتزجة بكيان المبدع وخياله، الذي يتجاوز الزمان والمكان، ومن هنا تبرز أهمية محاورة النصوص عبر العصور، لأنها - لا سيما الراقية منها - لا تستنفد طاقتها الإبداعية بسهولة، بل تظل تعطي من خلال تفاعل القارئ معها، فمادتها اللغوية القائمة على المجاز والخيال تتجاوز الدلالة المباشرة، إلى دلالة يكشفها السياق القرائي، ومن هنا جاء هذا البحث محاولاً تحليلية جانب من تلقي القارئ لشعر حسين سرحان، الذي عايش فترة انتقال الشعر في المملكة العربية السعودية من ركود التقليد والاجترار إلى آفاق التحديد والإبداع، ويحاول البحث الجمع بين التلقي التاريخي العمودي، والتلقي الدلالي الأفقي، من خلال رصد أفق الانتظار لدى القارئ كما تحدده نظرية القراءة والتلقي، ولم أجد من الدراسات والبحوث ما حاول الكشف عن هذا الجانب، فالدراسات عن شعر حسين سرحان دائرة بين الدراسة التاريخية الأدبية، وبين الدراسة الفنية الجزئية ومنها: شعر حسين سرحان دراسة نقدية للباحث: أحمد المحسن، و حسين سرحان .. طائر بلا أجنحة. من إصدارات نادي مكة الثقافي الأدبي بمناسبة الاحتفال بتكريمه. اختيار وترتيب علي يحيى الزهراني، والذات في شعر حسين سرحان. ندى بنت محمد الحازمي، والنص المتناص قراءة في ديوان (أجنحة بلا ريش) للشاعر حسين سرحان. د: عبد الرحمن بن حميد المالكي. وهي بحوث ودراسات لم تتطرق لأفق الانتظار لدى القارئ لشعر حسين سرحان، لا سيما ديوان (أجنحة بلا ريش) مدونة هذا البحث. وقد قسم البحث إلى مدخل وقسمين: المدخل: وفيه توضيح لمصطلح أفق الانتظار والمسافة الجمالية، وعلاقتها بنظرية القراءة والتلقي.

القسم الأول: وقد حاولت فيه تجلية التلقي الخارجي لشعر حسين سرحان، وتحت عنوانان: الأول: القصيدة الحديثة وإشكالية التلقي. والثاني: شعر حسين سرحان وآفاق التلقي.

القسم الثاني: خصص لأفق الانتظار الداخلي للديوان، وفيه شكل وهيكل القصيدة في الديوان، وبناء القصيدة الداخلي في الديوان، وذيل البحث بخاتمة تكشف نتائجه، وعرض لأهم المصادر والمراجع.

مدخل:

يمتلك النص الأدبي قوة إبداعية تجعله يتجاوز الزمان والمكان، من خلال أبعاده الدلالية، وتعدد أوجه القراءة فيه، ومنذ أن فتحت نظرية القراءة والتلقي المجال للمتلقي^(١) بما يمتلك من قدرة لغوية، وتجارب جمالية أصبح النص الأدبي يتعانق وعدد من القراءات، بعضها تتسق مع أفق القارئ، وبعضها الآخر يجيب أفقه أو يعدله، كل ذلك منبثق من رحم التلقي للعمل الأدبي؛ ولذا يرى (ياوس) أن جمالية التلقي "ترتكز على التمييز بين أفق الأثر المتضمن في العمل الأدبي، وأفق تلقيه الراهن؛ ذلك أن من الواجب القيام بهذا التمييز إذا كنا نريد فهم شبكة البنيات التي تشترط أثر هذا العمل، والمعايير الجمالية التي اعتمدها مؤولوه في مراحل مختلفة من تاريخ الأدب"^(٢)، وتتجاوز عملية التأويل هذه القراءات المباشرة للعمل الأدبي إلى عمقه الدلالي، من خلال النسق السوسيوولوجي والتاريخي، ونستطيع فهم موقف القارئ من خلال تفاعله مع النص الأدبي بما يحمله من توقعات تكونها علاقات أيولوجية، وتفاعلات مع أعمال أدبية سابقة كونت ما يسمى بـ المسافة الجمالية لدى القارئ.

- (١) كما يقول د: صلاح فضل فإن: " مقال الناقد الألماني الشهير (ياوس) في نهاية الستينات المعنون بـ (التغير في نموذج الثقافة الأدبية) المنطلق الحقيقي لهذا التوجه برمته" صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر. أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي. القاهرة ط. الرابعة ٢٠٠٥. ص ٩٧. فقد "فكر ياوس في تجاوز كل التيارات النقدية التي حادت في نظره عن الجانب الأساسي في الأدب وهو وضعيته التاريخية وشروط تلقيه، وقد تبين له أن تقويم الأدب من قبل القراء يعد المؤشر الرئيسي على الدور التاريخي الذي يقوم به في الواقع العملي لحياة المجتمعات المتعاقبة" حميد حميداني، الفكر النقدي الأدبي المعاصر. مطبعة أنفو- يرانت - فاس. ط الثالثة ٢٠٠٩. ص ١٦٥. وانظر: سعيد علوش، معجم مصطلحات النقد الأدبي المعاصر. مراجعة: د: كيان أحمد حازم يحيى. د: حسن الطالب. دار الكتاب الجديد المتحدة. بيروت - لبنان. ط الأولى ٢٠١٩ م. ص ٥٢٨.
- (٢) هانس روبرت ياوس، جمالية التلقي من أجل تأويل جديد للنص الأدبي. تقديم وترجمة: رشيد بنحدو. منشورات الاختلاف - الجزائر. ط الأولى ٢٠١٦. ص ١١٠.

ونعود إلى (ياوس) مرة أخرى لنجده يؤكد أن "سنن المعايير الجمالية الخاصة بجمهور أدبي محدد، كما سيعاد تشكيله يمكن وينبغي تعديله سوسولوجيا بحسب التوقعات النوعية للفئات والطبقات، وربطه كذلك بمصالح الوضع التاريخي والاجتماعي، وحاجاته التي تحدد هذه التوقعات"^(١) و(ياوس) - كما يذكر أحد الباحثين^(٢) - يتحدث عن التلقي في صورته العمودية، حيث آفاق الماضي وعلاقتها بالآفاق الحاضر؛ فالعلاقة متنامية عبر تاريخ النصوص وتلقيها في زمن حاضر، أما (آيزر) فيتحدث عن التلقي الأفقي بمعنى " طبيعة القراءة بغض النظر عن تاريخها، وهي طبيعة تفاعلية ذات طرفين: القارئ والنص، والأولوية ليست لأحدهما، بل للآخرين معا"^(٣) وهذا التفاعل هو الذي يمنح للنص الأدبي حيويته ونشاطه، وديناميته المستمرة عبر العصر والفئات الاجتماعية، التي تجدد في النص قراءة جديدة، وتأويلا جديدا، يعيد للنص تشكيله وحياته الجديدة؛ فالنص الأدبي " توليد وتحويل لقلب لغوي في زمان وفضاء، مهما كان مستواهما بكيفيتين أساسيتين هما جوهر أي نص وسر حياته وتعيينه، سواء أكان ذلك التوليد والتحويل لقوالب خارجية أم داخلية"^(٤). ومن خلال إقامة التفاعل بين النص والقارئ يبرز أفق الانتظار أو أفق التوقع والمسافة الجمالية، التي تتولد من رحم أفق التوقع المعتمد على مخزون المتلقي الثقافي وذخيرته المعرفية، وعندما يتعانق مع النص بتلك الخبرة الجمالية فإما أن يتماهى النص معه فتكون المسافة الجمالية قصيرة، لا تسمح للمتلقي بالمتعة والمفاجأة، وقد يخيب النص أفق التوقع ويعدله، وهنا تكون المسافة الجمالية أطول، ويحصل المتلقي على المفاجأة التي تجعله يعيد تجربته الجمالية ويطورها؛ "فالمسافة الجمالية : هي الطريقة

(١) السابق. ص ١٤٤.

(٢) انظر: علي حسن هذيلي، التلقي بين ياوس وآيزر. دواة/ مجلة فصلية محكمة تعنى بالبحوث والدراسات اللغوية والتربوية. كلية الآداب / جامعة ذي قار.. ص ١٥٥.

(٣) السابق. الصفحة نفسها.

(٤) محمد مفتاح، دينامية النص، المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء - المغرب. ط الثالثة

٢٠٠٦. ص ٥٢.

أفق الانتظار والمسافة الجمالية (قراءة في ديوان أجنحة بلا ريش لحسين سرحان)، د. ذيب بن مقعد العصيمي

التي يتلقى بها العمل الأدبي للحكم على قيمته، هي التي ستشكل معيار الفنية. فإذا استجاب أفق النص لأفق القارئ، كان النص عاديا، ولا يقدم حساسية فنية جديدة، بل يعيد استنساخ المعايير الجمالية السائدة وتكريسها، في حين أنه إذا كان محنيا لأفق انتظار القارئ، ومنزاحا عن معايير شكل عملا فنياً ذا قيمة عالية"^(١).

وإذا استصحبنا جزئيات التلقي لا سيما مفهوم الفجوات عند أيزر فإن المتلقي يظل متفاعلا مع النص الأدبي فتلك الفجوات "تتطلب من القارئ القيام ببعض الإجراءات لأجل ملئها، وتحقيق التفاعل الجمالي مع النص، وهذه الإجراءات لا تحيل المتلقي إلى مراجع خارجة عن النص، وإنما تعيده إلى مقارنة التفاعل بين بنية النص وبنية الفهم عنده"^(٢)، وبهذا يظل التفاعل قائما بين النصوص القوية والقراء عبر الزمن، واختلاف القراءات، كل ذلك من خلال البنية النصية للأعمال الأدبية .

أفق الانتظار والمسافة الجمالية في ديوان (أجنحة بلا ريش)

القسم الأول: أفق الانتظار الخارجي:

أولا: القصيدة الحديثة وإشكالية التلقي: عملية التجديد في العمل الأدبي لا تمر بسلام على المتلقي، بل غالبا ما تخبب أفق انتظاره، لا سيما في فضائها الزماني والمكاني؛ ذلك أن العمل الفني الجيد فيه من التطلعات ما يتجاوز سدم الزمان والمكان، محترقا التقاليد الفنية السائدة، سواء أكانت شكلية خارجية، أم دلالية داخلية، ومن هنا تبدأ عملية الصراع بين أفق سائد يمثله المتلقي، وأفق فني جديد يمثله النص، لاسيما النص الشعري.

والشعر العربي المعاصر عايش ذلك الصراع يقول الدكتور علي عشري زايد : " نتيجة لطبيعة الرؤية الشعرية في القصيدة الحديثة من ناحية، ولتنوع الأدوات الفنية التي يستخدمها الشاعر في تجسيد هذه الرؤية، وطريقة استخدامه لها من ناحية ثانية، ولميل

(١) علي حسن هذيلي، التلقي بين ياوس وآيزر. ص ١٥٧.

(٢) سميرة حدادي، جمالية التلقي، افتراضات ياوس وآيزر. مجلة الآداب، المجلد ٧١، العدد ٧،

ديسمبر، ٠ جامعة محمد لمين دباغين - سطيف - الجزائر. ص ١٣٩.

القصيدة الحديثة إلى أن تكون كيانا منفردا خاصا من ناحية أخيرة أصبح بناء هذه القصيدة على قدر من التركيب والتعقيد، يقتضي من قارئها نوعا من الثقافة الأدبية والفنية الواسعة التي لا تقف عند حدود الإمام بالتقاليد الشعرية الموروثة^(١)؛ فالقصيدة الحديثة نتاج ثقافات متنوعة ورؤى مختلفة، ومعاناة خاصة تشكلت من خلال بناء لغوي خاص؛ مما ولد مسافة جمالية تأبى الانقياد لقراءة واحدة، مما يخيب أفق الانتظار لدى القارئ، ويدعو إلى مجموعة من القراءات ودرجات من التأويل؛ فالعلاقة بين النص والقارئ " تشتغل بحسب نموذج الأنظمة المنظمة من ذاتها Systemes autoregles أي أن النص يتجه نحو إخبار المتلقي، والمتلقي يفهم محتوى الإخبار في ضوء إدخال معطيات جديدة تساعد عملية التأويل واتساع دائرة الفهم، وذلك باتفاق متوافق بين عوامل الإثارة الكامنة في النص، ومجموع الأفعال الارتجاعية التي لا يمكن أن تنبثق في ذهن القارئ إلا على أساس ردة فعل بإزاء ما يثيره النص من إحساس جمالي"^(٢)، وهذا الإحساس الجمالي كامن في أفق الانتظار الذي لا يحققه النص المتعالي، لا سيما الشعر المعاصر، وبذلك يخيب الشعر أفق انتظار القارئ، ويضطره إلى قراءة جديدة؛ فيرتقي القارئ إلى أفق النص، ومن هنا تصنع الأعمال الشعرية القوية نوعية جديدة من القراء الذين يمتلكون خبرة جمالية متجددة .

وهذا التخيب - إن صح التعبير - يبدأ من الشكل والهيكلي الخارجي للشعر الحديث، حيث تقف تلك النماذج الشكلية الجديدة أمام القارئ الذي تعود شكلا معيناً فتخيب أفق انتظاره، كما نجد ذلك في شعر التفعيلة، ويبدو أن حركة التاريخ، وطبيعة التطور الاجتماعي يلعبان دورهما في موقف القارئ، تقول نازك الملائكة موضحة ذلك الموقف " فحركات التجديد كلها محاولات لإحداث توازن جديد في

(١) علي عشري زايد، عن بناء القصيدة العربية الحديثة. مكتبة الرشد. المملكة العربية السعودية.

ط الأولى ٢٠٠٣. ص ٩.

(٢) إدريس بلمليح، القراءة التفاعلية دراسات لنصوص شعرية حديثة.. دار توبقال للنشر -

الدار البيضاء. ط الأولى ٢٠٠٠. ص ٩.

أفق الانتظار والمسافة الجمالية (قراءة في ديوان أجنحة بلا ريش لحسين سرحان)، د. ذيب بن مقعد العصيمي

موقف الفرد والأمة، بعد أن تتخلخل بعض جهاته وتميل، وسرعان ما يصبح التجديد حاجة ملزمة تفرض نفسها فرضاً، فلا تملك الأمة إلا أن تلي طائعة وتستسلم لهذا الزائر الذي يطرق الباب ملحاً^(١)، ونظرية التلقي تعد هذا الرفض نوعاً من القراءة، بل هذا التجديد خيب أفق الانتظار فأوجد الرفض، ومن هنا يبقى التجديد منتظراً قراءة جديدة تعيد كيانه وتبعث حياته .

ومرحلة الرفض ما هي إلا مرحلة القارئ المعاند الراض المؤدية إلى القارئ الضمني^(٢) المتفاعل مع النصوص الشعرية بآليات جديدة؛ فالقراءة الراضة للشعر المعاصر هي مرحلة أولى وقراءة أولية، تتجاوزها قراءات أخرى؛ لأن النص الأدبي الجيد يرفض التماهي مع قراءة واحدة، بل يظل مفتوحاً على قراءات متعددة. ويضرب الباحث محمود الضبع مثلاً لتلقي الشعر من الناحية الشكلية بنصين هما:

ضجر وأسئلة يلاحقني

عتب علي وقتي مضى

لمرأى الجهول يسبقني

وتلك قصائدي في الصدر أخزنها

لطول الانتظار توجعت

(١) نازك الملائكة، قضايا الشعر المعاصر. دار العلم للملايين. بيروت - لبنان. ط. الأولى

١٩٨٩. ص ٥٠.

(٢) القارئ الضمني هو: " جمهور يفترض النص وجوده كذات قارئ حقيقي، يتماهى مع كتابه

الضمني ثقافياً وانفعالياً وأخلاقياً، مع أن القارئ الحقيقي يقرأ نصوصاً متعددة تفترض عدداً من القراء يتشكلون على وفق رأي عام وحسن مشترك " معجم مصطلحات النقد الأدبي

المعاصر. ص ٣٥٢. ويتعدد القراء حسب تقبل النص الأدبي، فهناك القارئ التاريخي،

والنموذجي والمعاند والمجرد... انظر: دلال بنت بندر المالكي، القارئ المقاوم. تعارض القيم

الجمالية والأيدولوجية بين النص والمتلقي.. الانتشار العربي. بيروت - لبنان. ط. الأولى

٢٠١٦. ص ٢٥.

يا ليل قل لي: كيف أعلنها

والنص الثاني عمودي:

أغيب في الحرف حين السر يتبعه سر وحرف سعى فيه تضرعه

وأستعير من الرؤيا نوافذها فيستوي في شغاف النور مطلعته

فالشكل العمودي هو المتسق مع أفق انتظار المتلقي، أما الأول فيخيب أفق انتظاره ويمنعه من الولوج داخل النص ومحاورته، يعلق الباحث على هذا بقوله: "لم تعجز القصيدة التي اتخذت شكل الموزون المقفى عن بناء صورها في إطار آليات الشعرية المعاصرة من مفارقة وانحراف دلالي وتوسع لبنية المجاز وغيرها من آليات؛ وكذلك لم تعجز القصيدة التي اعتمدت السطر الشعري والبناء التفعيلي في أن تخلق فضاءها الجمالي، بالاعتماد على المجاز ورسم الصورة، والبناء اللغوي المعتمد على كسر أفق التوقع في علاقاته وما ينتج عنها. وكلاهما كانت له سماته اللغوية التي ترتبط على نحو ما بالمتلقي، بتحديد سماتها الجمالية"^(١)، فلا بد أن يتجاوز المتلقي ذلك الكسر، ويخلق أفقا جديدا يتماهى مع النص الشعري، ولا يقف عند حدود الشكل الذي خيبت أفق انتظاره.

ولم يكن الرفض لهيكل الشعر المعاصر هو الموقف الوحيد من القارئ لعملية التجديد، بل تجاوز ذلك إلى مكونات الشعر اللغوية، وبنية الشعرية التي كانت تحيب أفق الانتظار، وتدعو القارئ إلى نوع جديد من التلقي، ليس قائما على التسليم والتماهي، إنما على التأويل وإعادة البناء؛ ففي الشعر المعاصر من العلاقات والرؤية المختلفة ما أراد منه الشاعر أن "يهز قارئه ويقلقه، وأن يدعو إلى رؤية الوجود من زاوية أخرى غير تلك التي ألف أن يراه منها باستمرار، وأن يقوده إلى مشاركته لذة الارتياح والكشف والمغامرة، هذه اللذة التي تتضاعف وتعمق بمقدار ما فيها من جهد

(١) محمود الضبع، الشعر المعاصر وآليات التلقي. المجلة العربية للعلوم الإنسانية. جامعة الكويت

- مجلس النشر العلمي. العدد ١١٣. سنة ٢٥. شتاء ٢٠١١. ص ٢١.

أفق الانتظار والمسافة الجمالية (قراءة في ديوان أجنحة بلا ريش لحسين سرحان)، د. ذيب بن مقعد العصيمي

ومعاناة^(١)، وهو جهد ومعاناة لا بد أن يقوم القارئ بجزء منه من خلال القراءة المقولة، والوصول إلى فهم جديد، بل بناء جديد للنص الإبداعي، ومن هنا أخذ الشعر المعاصر في استخدام علاقات جديدة داخل بنيته النصية من علاقات استعارية جديدة، وصور فنية غير مألوفة، فالصورة تتشكل في الشعر المعاصر - كما يقول د. عشري زايد - : " عن طريق المزج بين العناصر المختلفة لإنتاج مركب مختلف في طبيعته وخواصه من العناصر الأولية التي يتألف منها"^(٢)، ولا شك أن هذه العلاقات تخيب أفق انتظار القارئ، لأن الشعر قائم على علاقات لغوية منتظمة على نحو خاص، وعلى مستوى التلقي، يحتاج دوماً إلى مرجع يفسر ذلك الانتظام، ولكن عندما يجيب المرجع اللغوي الواضح والعلاقات التراتبية للبنية النصية يصدم ذلك أفق الانتظار لدى المتلقي، وهنا يتعالى النص على القراءة الأولى، وتحصل الدهشة الجمالية، ويحتاج المتلقي إلى نوع من الإعادة والقراءة الثانية وهي التي أسماها إدريس بلمليح بالقراءة الاستيعادية^(٣) التي تفسر تلك الدهشة وتكون بداية للقراءة التفاعلية.

ثانياً: شعر حسين سرحان وآفاق التلقي: إن حركة التجديد في الشعر

السعودي الحديث متأثرة بتلك التي في العالم العربي، فقد أحس الشعراء السعوديون منذ وقت مبكر بضرورة التجديد، ولكنهم مع ذلك يستلهمون استجابة المتلقي؛ ولذا جاء تجديدهم متدرجاً، وعلى نوع من الترقب، يشير د. مسعد العطوي إلى ذلك بقوله: " فقد كتب أحدهم تحت اسم مستعار (صاحبكم) مقالا نقدياً في محرم ١٣٥١ يشير فيه إلى أن النهضة بدأت قبل ثلاثين عاماً"^(٤)، إن هذا الاختفاء ما هو إلا تحسباً للقراءة الراضية التي ينتظرها التجديد، وهذا يؤثر على درجة الإبداع

(١) عن بناء القصيدة العربية الحديثة. ص ١٦.

(٢) السابق. ص ٧٥. وليس من هدف البحث استقصاء ذلك، ولزيد من سمات القصيدة العربية الحديثة يراجع السابق ففيه تحليل وكشف لتلك السمات.

(٣) انظر: القراءة التفاعلية دراسات لنصوص شعرية حديثة. ص ١٩.

(٤) مسعد العطوي، الفكر والشكل في الشعر السعودي المعاصر.. عالم الكتب الحديث. ط

الأولى. ٢٠٠٦ ص ١١٥.

والتجديد؛ فقد جاء غير متماه مع أفق انتظار القارئ، الذي يعيش في هذه المرحلة صراعا بين تقبل التجديد الذي لا يجد فيه آليات التلقي الجمالية لديه، وبين ما يحسه من مسافة جمالية تربطه بالنص؛ ولذا يشير د: العطوي إلى قول أحد النقاد الذي يحمل هذا النوع من الصراع وهو قوله: "فظهرت آثار التجديد في تخيلات الأدباء وكتابتهم، وفي صوغ معانيهم، وفي إبراز أفكارهم، وفي جودة تعابيرهم، وافتنوا في جودة المعنى كما يجب، وتشعبت المواضيع فتفننوا في تصويرها... وتهافتوا على تقييد الخواطر والملاحظات، وتسطير الأفكار والخطرات بأساليب شتى بين الجودة والسخف والنضح والفجاجة"^(١)، فهذا الكلام كما هو واضح يمثل درجة من التلقي ترفض الجديد، محاولة تجاوزه إلى قراءة تفاعلية، فللعمل الفني - كما يشير آيزر - قطبان: قطب فني يمثله النص الذي أبدعه المؤلف، وقطب جمالي يمثله إدراك المتلقي^(٢)، ومن خلال القراءة التفاعلية التي يمارسها القارئ على النص تظهر قيمة الجمالية، ولكن عندما يتوقف القارئ خارج النص فلا تبرز قيم النص الجمالية، إنما تبرز قيم القارئ التي يحتفظ بها، ومن هنا ظهرت في الشعر السعودي مرحلة بين التجديد والتقليد أسماها د: الفوزان الجمع بين الاتباعية والابتداعية^(٣)، وهي مرحلة أثر فيها استصحاب المتلقي، وعدم انطلاق المبدع في رؤيته الشعرية وتجربته الشعرية؛ ولذا وجدنا المحافظة على الشكل العام للقصيد العربية هو السائد في الشعر التجديدي، أما التجديد فاقتصر على المعاني والمضامين^(٤)، وعموما فإن الشعر السعودي الحديث وكونه جاء تبعا للتجديد في الشعر العربي فلم نجد له تلك الضجة التي وجدت في العالم العربي، بمعنى آخر كانت القراءة الراضية قد فقدت جزءا من قوتها، ومن هنا تمثلت القراءة للشعر السعودي الحديث في نوع من التلقي يمكننا تسميته بالتلقي التاريخي، ومحاولة

(١) السابق. ص ١١٦.

(٢) انظر: جين ب تومبكنز، نقد استجابة القارئ.. ترجمة. حسن ناظم وعلي حاكم صالح. دار

الكتاب الجديد المتحدة. بيروت - لبنان. ط. الثانية ٢٠١٦. ص ١٠٧.

(٣) انظر: الأدب الحجازي بين التقليد والتجديد. ج ٢. ص ٤٦٣.

(٤) انظر: الأدب الحجازي بين التقليد والتجديد. ج ١. ص ٣٦٠.

سيره من خلال السيرورة التاريخية، فلم تبرز دراسات تحليلية بنوية أو شكلائية إلا في وقت متأخر.

وإذا أردنا وضع شعر حسين سرحان في موضعه من التجديد فهو كما يقول د: الفوزان: "يأتي بعد الغزوي في الاتباعية في الأشكال دون المعاني"^(١)، فالمعاني أو البناء الداخلي للشعر عند حسين سرحان هو الذي يخيب أفق انتظار القارئ، ومنهم د: الفوزان الذي يعلق على شعره بحكم عام فيقول: "وأكثر شعره وجداني، يصف خلجات نفسه، ويسود أفكاره الحزن والإحساس بالكبت، وينقم على كل من يسلك هذا الاتجاه وهو في نعيم الحياة"^(٢)، فهذه قراءة لا تتماهى مع أفق الانتظار، فالنص يخيب القارئ، فيحاول الربط بين النص وصاحبه بشكل آلي، فالنص هو الذي ينبغي الاهتمام به، ودراسته من الداخل؛ لأنه كائن جديد، له سماته اللغوية التي تحمل رؤية جديدة، هي أس الإبداع والخلود، يقول ريفاتير: "ليست الظاهرة الشعرية كونها ظاهرة لسانية مجرد رسالة، ولا القصيدة فقط، بل هي فعل التواصل بأسره، ومع ذلك فإنه فعل خاص جدا؛ لأن المتكلم - أي الشاعر - ليس حاضرا، وأي محاولة للتذكير به لا يحدث عنها سوى تداخل؛ لأن ما نعرفه عنه إنما نعرفه من خلال التاريخ، وهي معرفة خارجة على الرسالة، أو أننا نكتشف هذه المعرفة من خلال عقلنة الرسالة وتشويهها"^(٣)، فخلال دراسة النصوص يكون الحوار بين القارئ والنص ومكوناته اللغوية وأبعاده الجمالية.

إن مثول المبدع أمام القارئ وهو يحاور النص يصرفه عن جمالياته، ويجعله يهتم بالذات مصدرا عليها أحكاما أيولوجية، فالنص الأدبي ليس وثيقة تاريخية، بل هو إبداع يتجاوز الزمان والمكان، ورؤية خاصة تعطي ثمارها مع كل قراءة، دون الحاجة إلى استدعاء المبدع للحكم عليه؛ فحسين سرحان في إحدى القراءات متأثر "بالفلسفة اليونانية القديمة، وبرائديها أفلاطون الذي سلم بوجود المثال والمادة، وأرسطو

(١) السابق. ج ٢. ٤٩٦.

(٢) السابق. ج ٢. ص ٤٩٧ الحاشية.

(٣) نقد استجابة القارئ. ص ٩٢.

الذي قال بالمادة (واهيولي) والصورة، وأن كل منهما لا ينفصل عن الآخر، إلا أن الشاعر خالفهما في أنه فصل بين الروح والمادة، مثلما فصل ديكرت في العصور الحديثة بين المادة والروح على أساس المادة قابلة للفناء في حين تبقى الروح^(١)، إن هذه القراءة مشغولة بالشاعر والحكم عليه، بعيدة عن النص واستنطاقه، وهي قراءة يستعين فيها القارئ بآلياته الجمالية الذاتية، مغفلة الآليات الجمالية المتوفرة في النص. وإذا كان حضور المؤلف ومقصديته في النص الأدبي لا يمكن إغفاله إلا أن تحديد " ما أراده ليس بالأمر البسيط ولا السهل بحيث يمكن القبض عليه مباشرة؛ ذلك أن النص بوصفه تجسيدا لغويا يتميز عن أنماط التعبير الأخرى بتعقيده الشديد الذي يعود أساسا إلى كونه نسيجاً من غير المقول، أي من ذلك الذي ليس ظاهراً في سطح التعبير"^(٢)، وهذا يجعل مقارنه الشاعر وإبداعه بالفيلسوف وطرحه نوعاً من إغفال الاختلاف بين التعبير الفني الجمالي، والآخر الفلسفي المنطقي.

إن هذا النوع من القراءة يرتد من النص إلى الذات، بمعنى الاتجاه إلى الوراثة تاريخياً في استحضار صرخة الحياة المبدع، وجعلها الضوء المسلط على النص؛ ليكون النص حبيساً للتاريخ؛ فالباحث (المحسن) عند حديثه عن مفردات الأماني في شعر حسين سرحان يؤكد أن "إيرادها بهذه الصفة في أشعار الحب رمز ليأس الشاعر وإحباطه، جراء إخفاقاته المتكررة في حياته العامة، ودلالة على ضياع طموحه منه وتلاشيه"^(٣)، فهذه القراءة تحبس النص في الذات المبدعة، وتجعله انعكاس لها، وإخفاقاتها الاجتماعية، فلا تعطي للنص حريته، وحيويته، فهو يحمل رؤية عامة تكشف الكثير من التجارب البشرية، وما الذات المبدعة سوى جزء يسير من تلك الرؤية، فالأثر الفني " يرتبط بالملتقي أكثر من ارتباطه بالمصدر . وذلك لأنه يخضع

(١) أحمد المحسن، شعر حسين سرحان: دراسة نقدية، د- ط، النادي الأدبي بجدة ١٤١١ هـ. ص ١١٥.

(٢) إدريس مقبول و: يحيى رمضان، النص بين القراءة والتأويل. عالم الكتب الحديث. إربد - الأردن. ط. الأولى ٢٠١٣. ص ٢٥.

(٣) شعر حسين سرحان: دراسة نقدية. ص ٨٨.

أفق الانتظار والمسافة الجمالية (قراءة في ديوان أجنحة بلا ريش لحسين سرحان)، د. ذيب بن مقعد العصيمي

لأنواع من التأويل التي تعتبر تحقيقات لتبادل التجربة الجمالية، وإقامة الحوار الحيوي بين الأجيال" (١)، وهذا الحوار تقتله القراءة الواحدة التي تساويه بالفرد المبدع، فلا ينطلق إلى آفاق التأويل وتعدد القراءات.

ويتابع الباحث (المحسن) تسليط الضوء على صاحب النص، والحكم عليه متناسيا المكون اللغوي الذي تكشفه القراءة النقدية المباشرة؛ فحسين سرحان لديه إيمان بتفوقه الفكري على معاصريه، ورغبته في تحقيق طموحات وأدها جهل المجتمع وقلة وعيه

وكنت كطير عاش في غير سريره فأمضى أويقات الزمان مغردا

يخفف عنه الشدو أثقال همه ويطرد عنه بثه والتوجد (٢)

هذه القراء تنخر في كيان المبدع تاركة النص الذي رسم لنا صورة لحياة الاغتراب، ليس للشاعر فقط، إنما هي رؤية عامة لذلك الشعور الذي يحياه كل مغترب حسا ومعنى، صورة حيوية نابضة بالحركة، لا تحمل سوى الإبداع من خلال تغريد الطير، ومصارعته للحياة بأجمل ما فيها وهو الشدو والغناء، إنه رمز لبناء مفارقة في هذه الحياة ومجابهة الصعاب بالشدو والشعور بالراحة، وربما تحمل تلك الصورة صدق التوكل والصفاء، المتمثل في صورة الطائر وغير ذلك من المعاني والقراءات، التي يخفيها البناء اللغوي الجمالي لهذين البيتين، دون الرجوع إلى حياة الشاعر والربط الآلي بينها وبين النص.

إن القارئ قد يظل حبيس آليته الجمالية التي يصطحبها في كل قراءة، ومن ثم فإن هذه الآلية هي التي تتحكم في القراءة وعدمها لا النص وجودته، ويظهر هذا الموقف جليا في المقدمة التي كتبها الأستاذ: حمد الجاسر لديوان (أجنحة بلا ريش)، فهو يؤكد هذه الإشكالية بقوله: "أنا لا أجد نفسي ميالا لقراءة كثير مما ينشر من الشعر الحديث، وليس العيب عيب ذلك الشعر، ولكنه عيب أنا فقد كانت الطريقة

(١) القراءة التفاعلية دراسات لنصوص شعرية حديثة. ص ١١.

(٢) انظر: شعر حسين سرحان: دراسة نقدية. ص ٦٠.

التي سرت عليها في حياتي، أو سيرتني تلك الحياة أكثر الأثر في اتجاه تفكيري، وتوجيه رغباتي، وميولي النفسية"^(١) إن القارئ هنا يعترف بذلك البعد بينه وبين النص الحديث، وما السر في ذلك إلا تحكيم مجموعة من المفاهيم الجمالية، والآلات الفنية المتحكمة في القارئ.

ومعلوم أن النظرية النقدية تدعو إلى صناعة الذات الناقدة المتطورة، من خلال النصوص ذاتها، وهذا هو سر النصوص الراقية التي تصنع القراء وتصنع الآليات النقدية.

القسم الثاني: أفق الانتظار الداخلي:

أولاً: شكل القصيدة وهيكلها في الديوان:

١ - البحر الشعري : يعد بناء القصيدة العربية العمودي مألوفاً لدى القارئ؛ فهو في إطار أفق انتظاره، وهو يحمل قيمة مهمة في الجذب والتماهي مع النص؛ فالشكل العمودي أو بناء القصيدة حسب أوزان الخليل يمثل مفتاح التلاقي مع النص والتفاعل معه؛ لما يحمله من نسق إيقاعي متسق، اختص به الشعر دون سواه، وقد أشار أرسطو إلى أن "الدافع الأساسي للشعر يرجع إلى علتين : أولاهما غريزة المحاكاة أو التقليد، والثانية غريزة الموسيقى أو الإحساس بالنغم"^(٢) ، وهذا النمط الموسيقي يصنع مع الزمن ويتأصل في الذات القارئة، التي ترى فيه المدخل الطبيعي لمحاورة النص، وإن تغيير هذا النمط يؤثر على النص وعلى المتلقي؛ فالموسيقى أو النمط الإيقاعي يظل عبر التاريخ أحد مكونات الشعر، وكما يقول جان كوهين : " ينبغي

(١) حسين سرحان، ديوان أجنحة بلا ريش.. مطبوعات نادي الطائف الأدبي. ط. الثانية

١٣٩٧. ص ٧.

(٢) إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر.. مكتبة الأنجلو المصرية _ القاهرة. ط. السادسة. ص ١٤.

أفق الانتظار والمسافة الجمالية (قراءة في ديوان أجنحة بلا ريش لحسين سرحان)، د. ذيب بن مقعد العصيمي

الاعتراف بأن النظم - الإيقاع - أداة فعالة في الشعر^(١)، وتغيير هذه الأداة أو التقليل منها يذهب قدرا من التأثير والتفاعل.

ولذلك نجد حسين سرحان يلتزم في ديوانه (أجنحة بلا ريش) النمط السائد العامودي للقصيدة العربية، فيضعه د: بكري شيخ أمين مع مجموعة الشعراء الذين تميل طريقتهم إلى النظم الرزين المحافظ مع التفاعل مع الأفكار والمعاني الجديدة^(٢)، حيث يحتوي الديوان على ١٠٨ قصيدة أو مقطوعة شعرية، وكلها على نسق البحر العروضي المعروف، وهذا يتماهى مع أفق الانتظار للقارئ، وهو ذو دلالة تفاعلية في جذب القارئ إلى فضاء النص والدخول إليه؛ فلم يرد حسين سرحان كسر ذلك الأفق للقارئ؛ لما فيه من الحساسية الفنية، فإن الشعر الذي يفقد ذلك كما يقول كوهن: "٣) يبدو دائما كما لو كان شعرا أبت" كما في قصيدة النشر.

واللافت للنظر هو اشتغال الديوان على مجموعة من المقطوعات القصيرة، بل والقصيرة جدا، ذات اللغة المكثفة واللمحة الخاطفة^(٤)، فهي مقطوعات لا تزيد عن خمسة الأبيات، بل بعضها يتكون من بيتين كما في توبة، وهذا الشكل يخالف أفق انتظار القارئ الذي ترسخ في ذهنه عدد السبعة أبيات للقصيدة، وهذا الشكل يتجاوز الزمان والمكان، وربما نلحقه اليوم بوسائل التواصل من (الواتس، وتويتر) التي تنحو إلى اللغة المكثفة والنص القصير، بل والقصير جدا، بما يسمى بالأدب الرقمي.

(١) جان كوهن، بنية اللغة الشعرية. ترجمة: محمد الولي ومحمد العمري. دار توبقال للنشر. الدار

البيضاء - المغرب. ط. الأولى ١٩٨٦. ص ٥١.

(٢) انظر: بكري شيخ أمين، الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية.. دار العلم للملايين.

بيروت - لبنان. ط. الخامسة ١٩٨٦. ص ٣٨٤-٣٨٥.

(٣) بنية اللغة الشعرية. ص ٥٢.

(٤) انظر: ثغر رفاف، توبة، خطرة، هل حافظ، عن نفسه، أرجوزة...

وإذا كان تعريف الأدب الرقمي هو " ذلك الأدب السردي أو الشعري أو الدرامي الذي يستخدم الإعلاميات في الكتابة والإبداع"^(١) فإن ذلك يمر بمراحل كما يقول د: حمداوي، وأولها الوسيط اللغوي الذي يكون مناسباً للإفراغ في تلك القوالب الرقمية، ومن ذلك ما يسمى بالقصيدة الومضة^(٢)، وهو ما يصدق على تلك المقطوعات الشعرية في ديوان (أجنحة بلا ريش)، وذلك يعني أن هذا الشكل من القصيدة يخرق أفق انتظار القارئ، ويجعله متسائلاً، هل تستحق هذه المقطوعة هذا المكان من الديوان؟ وعندما يستشعر القارئ وسائل الاتصال الحديثة يجد نفسه متماهياً مع هذا الشكل، بمعنى أن النص يرفع من آليات القارئ الجمالية ويتجاوز الزمان والمكان.

ويدخل ضمن هذا دمج القصيدة بالصورة البصرية؛ مما يؤثر في تلقي القارئ للديوان، فقد ذيلت بعض القصائد بصور بصرية موحية^(٣)، موسعة فضاء النص، ولتغطي القارئ مجالا وأفقا أوسع في التلقي، فتتعاقد صورة العصفور على الجذع مع العنوان (أماي عذاب)^(٤) لتؤلف إطاراً من الترابط الخارجي للنص، وصورة الوجه مع القصيدة في (ثغر رفاف)^(٥)، وصورة السيارة مع العنوان (السيارة وراكبوها)^(٦)، كل ذلك يدفع بأفق الانتظار لدى القارئ إلى مجال أوسع للقراءة التفاعلية، كما نجد في الديوان نصاً مكوناً من بيت من الشعر وصورة بصرية^(٧)، وهذا دمج بين مؤثرات لغوية وبصرية، تجعل المتلقي يعيد قراءة النص ويتفاعل معه، باحثاً عن الروابط بين

(١) جميل حمداوي، الأدب الرقمي بين النظرية والتطبيق.. شبكة الألوكة الرقمية. ط.

الأولى ٢٠١٦. ص ١٥.

(٢) انظر السابق. ص ٥٨.

(٣) انظر الديوان. ص ٢٤، ٣٤، ٤١، ٤٩، ٩٧، ١٢٩....

(٤) ص ٤١.

(٥) ص ٦١.

(٦) ص ٩٠.

(٧) ص ٤٩، ٩٧، ١٢٩.

تلك المؤثرات، بمعنى آخر أن النص يجيب أفق الانتظار، ويتجاوز النص التقليدي إلى نص مزدوج الآليات والمؤثرات؛ فيتحتم أمامه هذا السؤال: "كيف يقرأ القصيدة وكيف يقرأ الصورة؟! لا شك في أن القراءات تتعدد بتعدد القراء، وربما اختلفت عند القارئ □ الواحد من لحظة إلى أخرى، ومن مرحلة من العمر إلى مرحلة، وفي كل مرة يكتشف طبقة من طبقات النص كانت خافية عليه... وستسعه قراءاته السابقة بطبيعة الحال. وربما أعانته تجاربه الأدبية والفنية التي اكتسبها من خبرته بالترات الأدبي والفني على الغوص في تلك الأعماق. وعلى قدر العمق الذي بلغته هذه الخبرة الحية يكون عمق القراءة. ومن الأمور المتفق عليها اليوم أن قراءة الشعر نوع من الخلق والإبداع"^(١)، وهي قراءات تتعدد فيها الآليات لغوية وغير لغوية ليكون النص أقدر على تحريك القارئ ورفع مستوى الخبرة الجمالية لديه.

٢ - العنوان: يطالعنا في الديوان نوع آخر من التأثير، وتخييب أفق الانتظار، ذلك هو القصائد المعنونة، وهي استراتيجية شعرية حديثة تخيب أفق انتظار القارئ العربي، الذي ملأت أغراض الشعر العربي ذاكرته، وارتبطت بخبرته الجمالية، فلا يكاد يرى نصا شعريا حتى يدور في خلده الغرض الذي يرتبط به فهو "وثيق الصلة بالقبول الذي يجده لدى القارئ، وتدل كلمة (قارئ) عامة على حلقة من الأشخاص غير محددة بدقة، ويكون الكاتب نفسه في أغلب الأحوال على غير معرفة دقيقة بها. إن صورة القارئ تكون حاضرة باستمرار في وعي الكاتب حتى ولو كانت مجردة"^(٢)، وهو الحضور الذي يعطي للنص مسافته الجمالية، ولذا ترسخت لدي الشاعر والقارئ الأغراض الشعرية، واتخذت بناء هرميا، يضم أصول الأغراض والفروع عنها^(٣)، وهذا

(١) عبدالغفار مكاي، قصيدة وصورة. عالم المعرفة. سلسلة كتب ثقافية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون - الكويت. صدرت السلسلة في يناير ١٩٧٨ بإشراف أحمد مشاري العدواني ١٩٢٣. ص ٢٣.

(٢) رشيد يحياوي، الشعرية العربية الأنواع والأغراض.. أفريقيا الشرق - الدار البيضاء - المغرب. ط. ١٩٩٠. ص ٥٨.

(٣) انظر: السابق. ص ٦٤ وما بعدها.

البناء يجعل الأغراض متأصلة لدى القارئ والخروج عنها تخيب لأفق انتظاره، وبناء مسافة جمالية جدية، ولهذا انتقلت القصيدة الحديثة إلى العنوان بدلا من الأغراض^(١)، ولا شك في أهمية العنوان في النص الشعري بالنسبة للقارئ؛ فالعنوان يمثل الوسيط بين العمل والمتلقي "حتى لا يكاد يتمكن هذا المتلقي من الوصول إلى العمل إلا عبر فعاليته الخاصة في تلقي العنوان، الذي يحمل بشكل من الأشكال خصوصية عمله داخل بنيته النصية: خصوصيته الدلالية والجنسية على السواء، بهذه وتلك يدخل المتلقي إلى العمل مزودا بأحد أهم مفاتيح الشفرة الرمزية "Symbolical Cod"^(٢)، ومن هنا فإن أغلب قصائد الديوان (أجنحة بلا ريش) معنونة، وهي تتراوح بين عناوين كاشفة للنص كما في (لا أبتغي إلا الفتاتا)^(٣)، وفكرة^(٤)، هل حافظ^(٥)، ماذا ترى العينان...^(٦)، وأخرى تحمل طاقة رمزية كما في (مصارع)^(٧)، ولكن...^(٨)، إيجار الدار^(٩)، تركت روضي^(١٠)، وهي تمثل قيمة العنوان من خلال قيمة المراوغة

(١) يذكر د: عبد الله الرشيد مجموعة من الأسباب لهذا التحول منها: بروز الصحافة وثقافة القراءة، وتعاقد الثقافات، إضافة إلى الوحدة العضوية في القصيدة الحديثة. انظر: عبد الله بن سليم الرشيد، مدخل إلى دراسة العنوان في الشعر السعودي.. مطبوعات نادي القصيم الأدبي ز ط. الأولى ٢٠٠٨. ص ١١-١٢.

(٢) محمد فكري الجزار، العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي. دراسات أدبية. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٨. ص ٦٨.

(٣) ص ١٥.

(٤) ص ١٧.

(٥) ص ٦٩.

(٦) ص ٨٨.

(٧) ص ١٢٥.

(٨) ص ١٢٨.

(٩) ص ١٣١.

(١٠) ص ١٥٠.

أفق الانتظار والمسافة الجمالية (قراءة في ديوان أجنحة بلا ريش لحسين سرحان)، د. ذيب بن مقعد العصيمي

الشعرية - كما يسميها د: الجزار^(١) - التي تعني الحركة الدلالية في السياق والتي تكشفها القراءة التفاعلية.

إن ما يمكن ملاحظته في عناوين القصائد في الديوان أنها تمزج بين دلالات مختلفة، فقد يكون هو المطلع^(٢)، أو الرمز، أو الصورة، وإن كان الأول أقل إبداعاً كما يقول د: الرشيد^(٣) إلا أنه يكشف جزءاً من كيان القصيدة فهو بمثابة المفتاح لها، وتبقى الدلالة الرمزية ودلالة الصورة الأهم في الديوان، فيمكن التمثيل لها برمزية عنوان الديوان نفسه: (أجنحة بلا ريش) الذي يحمل رمزية الضعف والانكسار، وما تلك الأجنحة إلا جزءاً من ذات الشاعر الذي يقف محاولاً الهروب من زمانه ومكانه، ولكن ذلك غير ممكن، ويمكننا سبر رمز موغل في الثقافة، حيث اللاوعي الجمعي الذي يرتد إلى عمق الجزيرة العربية وما يكتنفها من الفقر وقلة ذات اليد حسياً ومعنوياً. وهذا العنوان يجعل الديوان " كتلة واحدة بالرغم من التنوع الظاهر في عناوين القصائد؛ فهو يعبر عن تجربته الإنسانية في الحياة"^(٤)، وكأن هذا العنوان البنية المحركة لجزئياته من القصائد، فهو كما يقول أحد الباحثين: " عتبة من عتبات النص، (أجنحة بلا ريش) فكيف تطير؟ بالطبع ستحاول ولكنها لن تجد ما يعينها على التحليق في الفضاءات المختلفة، ومهما حاولت ستفشل وتعود إلى منطقة انطلاقها، ومن يقرأ قصائد الديوان سياتأكد من هذا المعنى، ومن ثم كان العنوان موفقاً في التعبير عن المضمون"^(٥)؛ فهو عنوان يلاحق القارئ، بل سيبحث عنه القارئ في كل

(١) انظر: العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي. ص ٦٩.

(٢) كما في: لو كنت شيخاً، لم أهنأ بلقياك أبي، لا تتهمني، أنا لو شئت، تورطت.

(٣) انظر: مدخل إلى دراسة العنوان في الشعر السعودي. ص ٢٩.

(٤) عبد الرحمن بن حميد المالكي، النص المتناص قراءة في ديوان (أجنحة بلا ريش) للشاعر

حسين سرحان.. مجلد الدراسات العربية، كلية دار العلوم - جامعة المنيا. عدد ٢٥. مجلد

١ ٢٠١٢. ص ٤٧٣.

(٥) السابق. ص ٤٧٤.

جزئيات الديوان، ومن ثم يظل مشدودا إليه حتى النهاية، وهنا ينجح النص في رفع خبرة القارئ الجمالية، والدفع بانتظاره قدما أثناء القراءة.

وإذا انتقلنا إلى عناوين قصائد الديوان وجدنا قصيدة (إلى النجم البعيد^(١)) عنوان يتجاوز الدلالة الحسية إلى دلالة معنوية تزاومت من خلال ذلك النجم البعيد، فقد يكون هو الحلم البعيد المنال، أو المنزلة الاجتماعية المتهاوية، أو نوعا من الطموح المنغرس في كيان الشاعر، أو ربما هو نوع من الحنين والعشق المنتظر كما يكشفه البيت الأخير:

وقال أصيحاوي: لقد فاتك الهوى ألا رب شيء عاد بعد فوات

وكذلك (كان هذا التراب^(٢)) التي تغرق في الرمزية والتأمل، وهو "نوع عال من العنونة متنسق مع لغة الشعر"^(٣)؛ لما فيه من تخيب أفق انتظار القارئ، ودفعه إلى العديد من القراءات التي تزيد من درجة خبرته الجمالية، ويمثل العنوان الصورة في مثل قصائد: (دمية الجن، الأفعى، محترق بالنار) وتدخل هذه العناوين في "إطار الرؤية الحديثة التي تتنجح إلى وبناء علاقات جديدة تكون غير منطقية أحيانا؛ لكنها تظل ملمحة إلى مقدار التوتر الشعري"^(٤)، وهو مؤذن بتوتر القارئ الذي يشارك الذات المبدعة في بناء فجوات النص؛ ولذا فإن مثل هذه الرؤية هي التي تخيب أفق الانتظار وتمد الجسور القرائية عبر القراء.

ومن تخيب أفق انتظار القارئ في هيكله الديوان ما نجده من فراغات طباعية بعد بعض عناوين القصائد: (مزاج العم^(٥) ... هل حافظ^(٦) ...،

(١) الديوان. ص ٦٤.

(٢) السابق ص ١٤١.

(٣) السابق. ص ٤٣.

(٤) مدخل إلى دراسة العنوان في الشعر السعودي. ص ٥٠.

(٥) الديوان. ص ٣٠.

(٦) ص ٦٩.

أفق الانتظار والمسافة الجمالية (قراءة في ديوان أجنحة بلا ريش لحسين سرحان)، د. ذيب بن مقعد العصيمي

الراح^(١)... كيف... كيف^(٢)، هوان الكريم^(٣)... ولكن^(٤)...، ويسميه د: الرشيد بالعنوان الصامت^(٥)، وهي تسمية لا توحى بما يثيره الفراغ من توتر وإثارة القارئ؛ فهو كما يذكر (دريدا) يغري قارئه المفترض محدثا تشويشا لديه^(٦) ويدفع القارئ الضمني " إلى القراءة المنتجة باللجوء إلى أفق التوقعات، والكشف عن شفرة النص وفكها عن طريق ردم الفراغات ومواقع اللا تحديد"^(٧)، إنها فراغات يحدد القارئ ملاءها، إما بالنص بعد قراءته وتماهيه مع تلك القراءة، وإما من خلال ما يقترحه هو، مستمدا ذلك من نصوص أخرى، أو تجارب جمالية سابقة. وفي كلا الحالتين النص يراوغ القارئ ولا يجعله يمسك بالدلالة من أول لقاء، ومن أول محاورة.

وفي قصيدة: (العيش بين الجن)^(٨)، نجدها لا تنهي بخاتمة؛ بل يظل النص مفتوحا، من خلال البيت الأخير منها والنقط الطباعية بعد ذلك :

وإذا أتى الزوار ظلوا برهة يتلفتون تلفت الهباب

ثم ماذا؟ النص يتوقف هنا تاركا الباقي فراغا يملأه القارئ، حسب خبرته الجمالية وفضائه الاجتماعي، وهو يختلف من قارئ لآخر، كما أن أسلوب القصة

(١) ص ٧٠.

(٢) ٧٤.

(٣) ص ١٢٦.

(٤) ١٢٨.

(٥) انظر: مدخل إلى دراسة العنوان في الشعر السعودي. ص ٥٣.

(٦) انظر: عبد الحق بلعابد، عتبات جيران جنيت من النص إلى المناص، منشورات الاختلاف - الجزائر. ط. الأولى ٢٠٠٨. ص ٨٨.

(٧) خالد علي مصطفى. م. ربي عبد الرضا عبد الرزاق مفهومات نظرية القراءة والتلقي.. مجلة ديالي. العدد ٦٩. ٢٠١٦. ص ١٧٥.

(٨) ص ١٦١.

والحوار في النص يجعل المتلقي في هُفة لحاقمة لا يجدها، فلا بد له أن يكملها. وهنا جماليات النص القرائية ومجالات التأويل المحتملة، والتي تبقى متجاوزة المكان والزمان.

ثانياً: بناء القصيدة الداخلي في الديوان:

١ - المعجم الشعري^(١): إن تفاعل القارئ مع النص يبدأ من لبناته الصغرى المكونة له، فيبرز المعجم الشعر متماهيا مع أفق انتظاره، ومخزونه اللغوي، أو مخيلا له، ولا شك في اختلاف الشعراء في سمات المعجم الشعري، وخضوعه للسياقات المختلفة المؤثرة في النص، من فضاءات تاريخية واجتماعية ونفسية؛ فالشاعر حين يستخدم اللغة في بناء قصيدته " فهو أبعد ما يكون عن استخدام اللغة أداة، وقد اختار طريق اختيار لا رجعة فيه، وهو طريق فرضه عليه مسلكه الشعري في اعتبار الكلمات أشياء في ذاتها، وليست بعلامات مجردة لمعان"^(٢)؛ وإذا كان شعر حسين سرحان - كما اتضح سابقا- يمثل ممارسة حديثة للشعر العربي فإن القارئ لديوانه (أجنحة بلا ريش) يتفاجأ من تسلل المعجم الشعري إلى أعماق التراث العربي؛ فينقل القارئ إلى ذلك التراث بمفرداته، وهي ظاهرة جعلت الأستاذ حمد الجاسر يعبر عنها بقوله: " وحافر ثالث أجده في شعر حسين يشدني إلى ذلك الشعر، ويدفعني لكي أسير معه

(١) إن الحديث عن المعجم الشعري لدى حسين سرحان يقتضي الإشارة إلى أن من شعره ما يحمل سمة الشعر الحديث من رقة الألفاظ وسلاسة الأسلوب. ولكن ذلك لا يجيب أفق الانتظار لدى القارئ الذي تنزع خبرته الجمالية إلى ذلك " ومما يتميز به شعر حسين سرحان أن " اللفظة الشعرية عنده ذات حركية واضحة، وقاموسها الشعري وفير، والجملة الشعرية عنده غير مكررة إذ استطاع التخلص منها، وأن يخرج من الصور البسيطة إلى صيغ فيها ألوان من تصور الماضي والحاضر والمستقبل، ساعده على ذلك سلطان الذاكرة واستشراف المستقبل " علي يحيى الزهراني، حسين سرحان .. طائر بلا أجنحة. من إصدارات نادي مكة الثقافي الأدبي بمناسبة الاحتفال بتكريمه.. ص ٣٥.

(٢) العبيدي، سلمان علوان، البناء الفني في القصيدة الحديثة، عالم الكتب الحديث، إريد - الأردن. ط. الأولى ٢٠١١. ص ٢٥

أفق الانتظار والمسافة الجمالية (قراءة في ديوان أجنحة بلا ريش لحسين سرحان)، د. ذيب بن مقعد العصيمي

هو أني لا أحس فيما أقرأ من شعر شعرائنا ما هو أقرب إلى ما أثر لشعراء العرب المتقدمين أسلوباً وجزالة... من شعر حسين^(١)، إنه أفق الانتظار المتنامي مع شعر حسين سرحان؛ لأنه يدفع القارئ - كما يعبر - الجاسر إلى عمق التراث العربي، فيأخذ منه المعجم الشعري الذي يغلب عليه الجزالة ومتانة العبارة^(٢)، ومع هذا النزوع إلى القديم إلا أنها ليس صورة مكررة أو تجربة مستعارة، بل استقلالية وإبداع، إنه ينزع إلى فضاء غير فضاء عصره^(٣)؛ ولذا يقول د: بكري شيخ أمين: "وكان حسين سرحان في ديوانه (أجنحة بلا ريش) متبدياً في خياله ومعانيه وألفاظه... تسمع شعره فيخيل إليك أنك تسمع شاعراً عربياً قديماً عاش في العصر الأموي أو العباسي، بل ويذكرك أحياناً بشعراء عصر الجاهلية في متانة نسجه وإحكام قوافيه"^(٤)، إن شعراً بهذا المنزع يجيب أفق انتظار القارئ، الباحث عن ألفاظ ومفردات الشعر الحديث، التي يغلب عليها السهولة والوضوح، ومن ثم هو يعتمد إعادة القارئ إلى عمق التراث اللغوي، ففي قصيدة (ذكريات الهوى)^(٥) تطلعننا المفردات المنزوعة من معجم تراثي أصيل:

عشنا إلى أن رأينا (لأم فراج) فاسلم بجلدك ، ما المأسور كالناجي

(١) الديوان. ص ٩.

(٢) انظر: حسن الهويمل، النزعة الإسلامية في الشعر السعودي المعاصر. إصدارات المهرجان الوطني للثقافة والفنون ٨٩. ١٤١٢. ص ٣٨٦.

(٣) "قال أبو عبد الرحمن: وأما لغته فلم يأخذها من تجواله في الصحراء بين البادية مشافهة دون دراسة أو التقاط من المعجمات، كما يزعم شيخنا أستاذ الجيل حمد الجاسر. ذلك أن لغة البادية قد فسدت منذ آماذ وآباد، ولا يجوز لأديب عالم كالأستاذ سرحان أن يأخذ عامية البادية مشافهة دون دراسة أو التقاط من المعجمات، والبادية عاجزة عن إعطاء حسين سرحان لغة فصيحة كالتى نجدتها في شعره ونثره" حسين سرحان.. طائر بلا أجنحة. ص ٦-٧.

(٤) الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية. ص ٣٩٢.

(٥) الديوان. ص ٤٨.

يا ويحها لو تراءت قبل عاشرة أو خمس عشرة في دل وإبهاج
إذن لكان لها مني هوى أنف يسقي بعبرة دامي الجفن نشاج
لكنت أصبت نداء غير منتظر فلا تريدن بعد اليوم إحراجي
وثبت وثبة كدرري على قلل من الجبال طوال فوق أثباج
وقد تركت كليل العزم مطرحا مصعدا في ظلام الحرقه الداجي
يئن من حبه مستشعرا قلقا مشتتا بين تسهاد وإزعاج
يا خافق القلب برحا لاعجا وجوى أقصر، فلسنت إلى حب بمحتاج

إن كثيرا من مفردات هذا النص موعلة في التراث، بعيدة المنال في إدراك الدلالة، تخيب أفق انتظار القارئ، بل ترفع من مستوى خبرته الجمالية، إنه التجديد الواعي الذي يخرج من فضاء النص اللغوي إلى فضاء التراث، وهي استراتيجية فعلها الشعراء الذين أعادوا الحيوية والإبداع إلى الشعر الحديث كسامي البارودي وغيره؛ فكللمات: (أنف - نشاج - كدرري - أثباج - جوى - الداجي) كلها من التراث اللغوي متسامية عن فضاء عصر حسين سرحا الممتد إلى اليوم، ويكشف الباحث د: القحطاني جانبا من موقف القراء حيال المعجم الشعري في الديوان، وكيف خيب أفق انتظارهم بقوله: " وحياته هذه جعلت بعض الدارسين أو القارئين يحكم على لغته بالغرابة، أو البداوة، وهذا الحكم لا يخلو من إسراف؛ لأن اللغة العربية في أصلها عاشت في أحضان البادية ومن البادية؛ غير أن تحول الإنسان إلى المدينة جعله يهجر ألفاظاً أصبحت غريبة في عصر من العصور، وحين تناولها حسن سرحان لم يحس فيها بغرابة؛ لأنه يسمعها - أو قريبا منها - من أفواه قومه، بالإضافة إلى قراءاته التي حددها ميله واستعداده"^(١)، ويزداد أفق الانتظار تخيبا إذا أخذنا بالرأي القائل بفساد

(١) حسين سرحان.. طائر بلا أجنحة. ص ٣١.

أفق الانتظار والمسافة الجمالية (قراءة في ديوان أجنحة بلا ريش لحسين سرحان)، د. ذيب بن مقعد العصيمي

لغة القوم حينئذ^(١)؛ لخروج المعجم الشعري من فضاء التلقي اللغوي والاستعمال اليومي إلى عمق التاريخ والتراث.

وفي قصيدة (بيع الشعر في سوق الكساد^(٢)):

مضى راغبا بالشعر يحسب أنه يسوق الدراري أو يقود العرمرما

بمؤتلق المعنى مدل بحسنه ترى القد منه يستفرك توأما

تعارضه مدا فيأتر ديمة وتعرضه حدا فيهتر مخذما

وعاد ولكن ليس لله دره أيجسوه بعد المري صابا معلقما!!

ألا ليت شعر (الشعر) ما بال حلبه سرايا وقدا يخلب الماء والدماء

نجد النص يتعمد حشد المفردات التراثية، ويحاول مراوغة القارئ من خلال المعجم الشعري بعيد المنال، وهو بذلك يرتفع بالقارئ إلى نوع من التلقي، يعتمد اللغة التراثية والمنزع إلى الجزالة والقوة، بل إن عنوان القصيدة يوحي بهذا الغرض، فسوق الكساد يتسع ليشمل النص القريب المأخذ، المطاوع للقارئ المستسلم لخبرته الجمالية البسيطة؛ فالنص بهذا المعجم الشعري يدفع القراءة إلى التعالي ليرتفع القارئ إلى نوع جديد من الممارسة النقدية، القائمة على بعث التراث والتعاقب معه؛ فالشاعر حسين سرحان كما يذكر أحد الباحثين^(٣) يتعمد تمثل القديم والتماهي معه.

ويتجاوز الشاعر حسين سرحان بشعره فضاء المعجم الشعري إلى فضاء الأسلوب؛ ليعيد القارئ إلى عمق التراث، في استحضار لنماذج راقية من الشعر في

(١) انظر السابق. ص ٧.

(٢) الديوان. ص ٣٨.

(٣) انظر: إبراهيم بن عبد الرحمن المطوع، معالم السيرة الشعرية لدى الشاعر حسين سرحان.. الجمعية المصرية للدراسات السردية. عدد ١١. مارس. ٢٠١٤. ص ٢٥٩.

عصور ازدهاره، فيدفعنا إلى معلقة الأعشى^(١) من خلال قصيدة (ودع هواك)^(٢):

ودع هواك فقد ودعت أياما حفيلة بالمني تخضل أحلاما

إنها تتماهى مع معلقة الأعشى مطلعاً ووزناً، وكأنها تترمي في أحضان الشعر الجاهلي، وهو أمر يتعمده الشاعر ليخرق أفق انتظار القارئ، الباحث عن أسلوب الشعر الحديث، "فاللغة جزء أساسي من عقل جيل حسين سرحان الذي كان يرى التجديد قديماً من بعض الوجوه، ولم تكن جودة اللغة عنده متميزة تميزاً حاداً من قدمها، فقديمتها يبدو حديثاً، وهذه مسألة شديدة الأهمية، أن تظل اللغة الموروثة حية لا تموت، فلم تكن الجودة هي استعمال ألفاظ تنافس اللفظ أو استعمال تراكيب حديثة، لقد كانت الجودة عنده هي إحياء العرابة، فالعرابة هي الحاسة الأصيلة التي يهتم بها هذا الشعر"^(٣). وهذه الظاهرة متعمدة لدى الشاعر يكررها حتى في داخل القصيدة "فتصغير (أصحاب) في قوله:

وقال أصبحاي: لقد فاتك الهوى ألا رب شيء عاد بعد فوات

يذكرنا بعبارة أبي نواس: "وقال أصبحاي الفرار أو الردى"^(٤)، إن مثل هذا المعجم الشعري الذي يترسم خطا التراث يترك القارئ أمام خيارين: إما أن يكون ذا خبرة جمالية تراثية تتعاقب مع هذا المعجم، فيدرك مقدرة الشاعر وسلوكه الشعري الذي يتعالى عن معجم عصره، وإما أن تضعف خبرته عن ذلك الحضور فيجبره النص على البحث والارتقاء.

(١) ودع هريرة إن الركب مرتحل وهل تطيق وداعاً أيها الرجل. ديوان الأعشى الكبير ميمون بن

قيس. تحقيق: د. محمد حسين. مكتبة الآداب بالجماميز. د - ط. ص ٥٥.

(٢) الديوان. ص ٩١.

(٣) حسين سرحان.. طائر بلا أجنحة. ص ٣٧.

(٤) الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية. ص ٣٩٥.

٢- بناء الصورة الشعرية^(١): تبرز الصورة الشعرية في ديوان (أجنحة بلا ريش)

ذات سمات معينة، صورة غير مكررة مما يجعلها تخيب أفق الانتظار للقارئ، فهي صورة قائمة يغلب عليها السواد والألم، ولا يعني ذلك القبح ففيها كما يقول د: السريحي: "جماليات القبح حيث يتناثر من أبياته الدود، وترتفع المقابر، وتحلل جثث الموتى ويتسرب العفن"^(٢)، وهذه المفارقة هي التي تخيب أفق انتظار القارئ، فلا يجد في هذه القنامة والسواد سوى نوع من الجمال - إن صح التعبير - أو نوع من التأمل ومواجهة الذات، ففي قصيدة: (الدودة الأخيرة)^(٣) ترسم صور متتالية، تبدأ من صورة الجثة وازدحام الدود عليها، وهي صورة تجمع بين القبح والتأمل؛ فهي كانت بعيدة عن هذا الشكل المخيف المؤلم، ويتصاعد المشهد بشكل سريع من خلال زوال الجثة

(١) "الصورة تمثيل بصري لموضوع ما، وتعد المعارضة بين الصورة والمفهوم عند باشلار أساسية، لأنها تسمح بفهم تنظيم الانعكاس عبر وجهين. فالصورة إنتاج للخيال المحض، وهي بذلك تبعد اللغة وتعارض المجاز الذي يخرج اللغة عن دورها الاستعمالي. ... " معجم مصطلحات النقد الأدبي المعاصر. ص ٣٤٨. ومن الصعب كما تقول د: بشرى صالح: " لإيجاد تحديد نهائي مستقر للصورة إن لم يكن ذلك من المحال؛ لارتباط الصورة بالإبداع الشعري ذاته، وفشل المساعي التي تحاول تقنينه أو تحديده دوما؛ لخضوعه لطبيعة متغيرة تنتمي إلى الفردية والذاتية وحدود الطاقة الداعية داعية المعبر عنها بالموهبة " بشرى موسى صالح، الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث.. المركز الثقافي العربي - الدار البيضاء. ط الأولى ١٩٩٤. ص ١٩. ولكن يمكننا تحديد مفهوم الصورة في الشعر خاص بأنها: " الشكل الفني الذي تتخذه الألفاظ والعبارات بعد أن ينظمها الشاعر في سياق بياني خاص ليعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكاملة في القصيدة مستخدما طاقات اللغة وإمكاناتها في الدلالة والتركيب والإيقاع والحقيقة والمجاز.. وغيرها من وسائل التعبير الفني، والألفاظ والعبارات هما مادة الشاعر الأولى التي يصوغ منها ذلك الشكل الفني أو يرسم بها صورة شعرية" محمد الولي، الصورة الشعرية في الخطاب النقدي والبلاغي.. المركز الثقافي العربي - الدار البيضاء. ط. الأولى ١٩٩٠. ص ١٩.

(٢) حسين سرحان.. طائر بلا أجنحة. ص ١٢٠.

(٣) الديوان. ص ٢٠.

وبقاء الدود وحده، ليبدأ فصل جديد هو صراع الدود مع بعضه، فيأكل بعضه بعضاً لتبقى الدودة الأخيرة التي يصيبها ما كان يسيطر على المشهد من البداية الموت، "وهو أسلوب فلسفي تأملي ليس على منهج أبي العلاء المعري في فلسفته التأملية المختصرة في بيت أو بيتين، بل إنه اتخذ من قصة الدودتين ملحمة فلسفية"^(١)، ونستطيع أن نقول إن هذه القصة استعارة كبرى لفلسفة الحياة والموت، والاتجاه إلى الفناء المكتوب على الأحياء، فهي صورة ترفع من الخبرة الجمالية لما تثيره من تساؤلات جدلية حول هذا الصراع، كما أن فيها ما يمكن تسميته بمقابلة الذات والحوار معها، حيث اتساع الرمزية لتشمل أحداث الحياة والموت؛ فهي صورة غير صامتة، وغير قبيحة، بل موحية وخلاقة. إن تأثير هذه الصورة يأتي من طبيعة الصورة الشعرية لأنها تفرض علينا نوعاً من الانتباه للمعنى الذي تعرضه، وتأثير به. إنها لا تشغل الانتباه بذاتها إلا لأنها تريد أن تلفت انتباهنا إلى المعنى الذي تعرضه، ثم تفجؤنا بطريقتها في تقديمه"^(٢)، كل ذلك يجيب أفق انتظار القارئ، ويمد خيوط تقبل النص لمزيد من القراءات الكاشفة.

وتتكرر صورة الموت في قصيدة (دمية الحسن)^(٣):

يا دمية الحسن في أفياء وارفة	من الخمائل يجري حولها الماء
ما كنت أحسب أن الموت مرتقب	فيك الأوان إلى أن مسك الداء
وأنت صامتة لا النفس جازعة	وإن تأفف من بلواك أعضاء
ولا فؤادك خفاق ولا بدرت	منه العواطف تزجيهن ضراء
وهذه عينك الشهلاء ساجية	يزينها في محال النزع إغضاء

هل كان عشق حسين سرحان للجمال جعله يحول هذا المنظر الحزين إلى

(١) حسين سرحان.. طائر بلا أجنحة. ص ٢٥.

(٢) جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي البلاغي عند العرب. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء. ط. الأولى ١٩٩٢. ص ٣٢٨.

(٣) الديوان. ص ٥٨.

أفق الانتظار والمسافة الجمالية (قراءة في ديوان أجنحة بلا ريش لحسين سرحان)، د. ذيب بن مقعد العصيمي

الجمال؟!، إنه بناء مفارقةي يخيب أفق الانتظار لدى القاري، عندما تتحول صورة النزع والموت إلى نوع من الإغضاء الجميل، إنها صورة لا تتسق وخيوط الموقف المعتادة، وتصعد الصورة إلى أفق الجمال والحلم تاركة الموت وحسرتة:

كأنها عين مسبوت رأي حلما روق فارتسمت في الوجه سراء
ولكن الصورة تترمي إلى الواقع الحزين:

وصاح كل حبيب شاكيا ولها وأنت أذنك عن شكواه صماء
ولكن المفارقة والجمع بين الحياة والموت يستمر يلزم الصورة:

واستضحكت شفتها ثم قصلها جفاف ثغر له من قبل إرواء

إن القارئ يقف حائرا أمام هذه الصورة، التي تجمع بين عمق المأساة والموت، وفرح الحياة وجمالها، فتتعانق كلمات: الموت، الجزع، البلوى، الضراء، التأسى مع كلمات: الماء، الوارفة، الحسن، إغضاء، لتمتج صورة تكاد القراءة الأولى لا تستطيع فك رموزها والجمع بين خيوطها.

ويستخدم الشاعر الاستعارة^(١) التي تتباعد خيوطها ليباعد المسافة الجمالية لدى القارئ، محنيا أفق انتظاره؛ فالقلب يتحول إلى وعاء للأطلال البالية، وهي صورة خيوطها من التراث وحياتها جديدة، تجعل القارئ في حيرة في تأملها؛ فكيف يضم القلب أطلالا بالية، بل هي تزول شيئا فشيئا، فهل يعني ذلك النسيان؟ أم أنه البقاء بكل تفاصيل التحول:

(١) الاستعارة كما يفهم من كلام البلاغيين هي المجاز المركب، مما يدل على وجود صورة متخيلة من خلال مقارنة المشبه والمشبه به. انظر: سعد الدين التفتازاني، المطول شرح تلخيص المفتاح.. تحقيق: د. عبد الحميد هندراوي. دار الكتب العلمية. بيروت - لبنان. ط. الثانية ٢٠٠٧.. ص ٦٠٤. وهذا يدلنا على قيمتها الحجاجية من خلال تجاوز المعنى المجرد إلى نوع من التصوير المدرك بالذهن. ويرى د: محمد الولي أن الاستعارة والتشبيه ما هما إلا نوع من التصوير، وإبراز الصورة الشعرية، سواء أكانت الصورة متقاربة العناصر أو متباعدة. انظر: الصورة الشعرية في الخطاب النقدي والبلاغي. ص ١٦٩.

في جوف قلبي طلل دارس عفى عليه الدهر حتى محاه^(١)

والقلب ظلُّ يأوي الحبيب إليه، ولكنه صار يعثو فيه لاعبا:

فتحت له قلبي ليؤويه طله فلما أوى في طله عاث لا عبا^(٢)

إن جعل القلب ظلا استعارة، تتجاوز المعهود من السكن والحرقة إلى نوع جديد يجيب أفق الانتظار؛ فالاستعارة يترتب عليها الانفصال عن الآلية المولدة لها فنكون " بإزاء اختيارين اثنين يحددان مسار التلقي الذي سنخضع له: الأول اختيار صلب ورافض وسلي، لم يستطع أن يكيف رد فعله بحسب الفعل الكامن في الاستعارة، والثاني اختيار مرن يتعامل على أساس أنها منتمية إلى لغة ليست هي اللغة الطبيعية على كل حال؛ فيندesh بإزائها، ثم يحاول فهمها؛ ليبرر هذه الدهشة، أي أنه يحيا من خلالها متعة جمالية ناشئة من تفاعله معها، ويعمل بعد ذلك على تفسير مبررات هذه المتعة . وهو اختيار لا يمكن أن يوفق في محاولته التأويلية إلا إذا تبني قراءة استعارية، يكشف من خلالها عن أسباب موضوعية قد تمكنه من استيعاب الفعل الكامن في الاستعارة استيعابا إدراكيا وعلميا"^(٣)، فكيف يتحول القلب إلى عذب؟:

يسرني يا حبيبي بعض منزلة في قلبك العذب، أو في روحك السامي

إنها استعارة جديد، تتباعد فيها الروابط بين جزئياتها، فما العلاقة بين العذوبة والقلب؟ لا بد حين البحث عن هذه العلاقة من تجاوز الدلالة اللغوية المباشرة، أو التجاوز لمفهوم المفردات المباشر للوصول إلى الحواس المتعلقة بها؛ فمن خلال العذوبة تتحكم حاسة الذوق المسيطرة على معنى الحب، إنها استعارة تصل بنا إلى غاية المتعة واللذة، التي أرادها الشاعر، وهي دلالة لا تجلبها الاستعارة القريبية (القلب الطيب، الدافئ، الحاني، العاشق)، إذن الاستعارة تنقلنا إلى درجة عالية من الدلالة، وهذا

(١) قصيدة طلل في جوف قلب. ص ٥٦.

(٢) قصيدة هوى حبيب. ص ٦٠.

(٣) القراءة التفاعلية. ص ٦٣.

أفق الانتظار والمسافة الجمالية (قراءة في ديوان أجنحة بلا ريش لحسين سرحان)، د. ذيب بن مقعد العصيمي

المعنى لا يصل إليه القارئ إلا من خلال ممارسة جديدة للقراءة، فهي تحيب أفق الانتظار ليرتفع القارئ إليها.

والهم عند الشاعر متعة، بل متعة نادرة تفيض كماء السحاب:

الهم؟ ما الهم سوى متعة نادرة تسكب فيض الغمام^(١)

إن علاقة الهم بالمتعة لا يمكن تمريرها من خلال القراءة الأولى، فيحتاج القارئ إلى نوع جديد من الربط بين جزئيات متباعدة، وهذا النوع من الصورة تكثر في الشعر الرومانسي؛ ولذا يرى بعض الباحثين أن حسين سرحان شاعر رومانتيكي^(٢)، وبناء مثل هذه العلاقات من سمات القصيدة الحديثة التي - كما يقول د: عشري زايد -: "تمزج فيها المتناقضات في كيان واحد يعانق في إطاره الشيء نقبضه، ويمتزج به مستمداً منه بعض خصائصه، ومضفياً عليه بعض سماته، تعبيراً عن الحالات النفسية والأحاسيس الغامضة المبهمة، التي تتعانق فيها المشاعر المتضادة وتتفاعل"^(٣)، كل ذلك يصعب على القارئ من أول قراءة إدراكه، بل ويحتاج إلى نوع خاص من التجربة الجمالية التي تراعي تعانق النص الأدبي مع كافة العلوم الإنسانية؛ ليخرج بتفسير أقرب إلى طبيعة النص ومؤثراته المختلفة.

ونتوقف أخيراً عند صورة يرسمها الشاعر لذاته، وهي صورة غريبة، لا نكان نجد لها تفسيراً من القراءة الأولى، إنها صورة الطيف المتلاشي الذي لا يكاد يمسك به أحد:

أعيش كالطيف في ليل بلا حلم يغشى العيون... غريباً أينما ضرباً

يتيه في ظلمات نام سامرها نوم الخليلين لم يألوا الكرى طلباً

(١) قصيدة كأس الهم. ص ١١٠.

(٢) حسين سرحان.. طائر بلا أجنحة. ص ٢٦.

(٣) عن بناء القصيدة العربية الحديثة. ص ٨٠.

يظل يعتسف الآفاق مدججا لا يستقر ولا يقضي له أربا
مشردا لو أوى في مقلة حلمت أو هومت ... أذنت بالصحو فانقلبا
كأنه وهو مطرود بلا ترة عصاه في كفه تستشعر الحربا
شيء عدته أداة الجذب وارتفعت عنه ولو علقت الأرض لانجديبا

إن صورة الطيف قد علقت في الذهن مساوية للحب والمحبوب، فهل ذات الشاعر تحمل هذا المعنى؟ ثم ما علاقة الذات بأن تتحول إلى طيف يطارد؟ يشير أحد الباحثين إلى نوع من صراع الواقع والحلم حيث "ضياع آماله وأحلامه ومعاناته الدائمة نتيجة لذلك، وقد استكان الشاعر لهذا التناقض الدائم بينهما، فنظر نظرة سلبية - غالبا - للحياة وللمجتمع المحيط به، وصور واقعه أسود قائماً، تتبدد فيه أمانيه وتتلاشى آماله وأحلامه التي عاش يرقب تحققها. وهذا التناقض بني الواقع والحلم، أجح اغرابه، وأراه ذاته تائهة- باستمرار- في ظلام، دون أن تحقق مآربها وغاياتها"^(١)، وهذا التفسير الذي تذكره الباحثة لا يفسر اختيار صورة الطيف، فهي صورة لا تعني خيبة الأمل بقدر ما توحى بالمتعة والجمال، ويبدو أن الشاعر حسين سرحان مشغول بجماليات الصورة، يحاول التجديد في رسم خيوطها مما يجيب أفق انتظار القارئ، ويحوله إلى باحث عن فك تلك الخيوط وتفسيرها، ولعل د السريحي قد أصاب عندما أشار إلى خاصية الصورة عند الشاعر بجمعها بين القبح والجمال^(٢)، وهو جمع بين متناقضات، ترفع قيمة الصورة فنيا وجماليا، فهي تمثل الذات الإنسانية المتناقضة والمنشغلة بقضاياها الأعمق في الوجود، تلك القضايا التي تنبع من تأملاتها في عناصر الحياة المختلفة، وتستفز فعل الخلق الإبداعي لديها. فالإبداع الأدبي يتبلور استجابة

(١)- ندى بنت محمد الحازمي، الذات في شعر حسين سرحان. نادي مكة الثقافي الأدبي. ط

الأولى ٢٠١٥. ص ٦١.

(٢) انظر: حسين سرحان.. طائر بلا أجنحة. ص ١٢٠.

أفق الانتظار والمسافة الجمالية (قراءة في ديوان أجنحة بلا ريش لحسين سرحان)، د. ذيب بن مقعد العصيمي

لقوى نفسية، ودوافع داخلية، تعج بها ذات المبدع المنصهرة في إبداعه؛ وهي حينما تفعل ذلك فإمّا توطد بالآخر/المتلقي، وترسم له حدود علاقتها بالكون والحياة^(١)، وهي علاقة ليست سطحية مباشرة، بل معقدة تعقد الحياة ذاتها، والمشاعر الإنسانية المنعكسة على صفحة الإبداع.

(١) ندى بنت محمد الحازمي، الذات في شعر حسين سرحان. ص ٦.

الخاتمة:

- لقد تناول البحث ديوان (أجنحة بلا ريش) للشاعر حسين سرحان، وحاول تجلية تلقي القارئ له، من حيث تماهي الشعر مع أفق الانتظار، أو تخيبيه له، واتضح في نهاية البحث النتائج التالية:
- أهمية ممارسة القارئ دوره في محاوره النصوص، التي تكشف مدى خبرته الجمالية، وترفع من مستوى تلك الخبرة، لاسيما النصوص الراقية التي لا تسلم قيادها لكل أحد.
 - أهمية الفترة الزمانية التي تعيش فيها النصوص نوعا من النقلة من التقليد والسكون إلى الحيوية والإبداع؛ فهي تولد نوعا من الإبداع الذي يراوغ القارئ، ويرفع من مستوى خبرته الجمالية.
 - تميز شعر حسين سرحان في هذا الديوان بسمات بارزة، لم تكن سوى تجارب شعرية صادقة، صاغها الشاعر في أسلوب يستغل إمكانات اللغة التعبيرية والفنية.
 - لم يكن تخييب أفق الانتظار متوقفا على خلق نوع من التجربة واللغة الجديدة، التي تسبق زمانها ومكانها، فقد اتضح أن الرجوع إلى التراث يمثل أحيانا نوعا من تخييب ذلك الأفق الناظر إلى الأمام، لاسيما في الاستقلالية والإبداع.
 - أهمية متابعة القراءة تاريخيا للكشف عن تطور القراءة للنص الشعري، فالقراءة مغامرة استكشافية عبر النص الشعري.
 - دور الصورة الشعرية في رفع إطالة المسافة الجمالية وتخيب أفق الانتظار من خلال بناء علاقات جديدة.

المصادر والمراجع:

المصادر:

سرحان، حسين، ديوان أجنحة بلا ريش، مطبوعات نادي الطائف الأدبي. ط. الثانية ١٣٩٧.

المراجع:

- أمين، بكري شيخ. الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية. دار العلم للملايين. بيروت - لبنان. ط. الخامسة ١٩٨٦.
- أنيس، إبراهيم، موسيقى الشعر. مكتبة الأنجلو المصرية _ القاهرة. ط. السادسة. بلعابد، عبد الحق، عتبات جيران جنيت من النص إلى المناس، منشورات الاختلاف - الجزائر. ط. الأولى ٢٠٠٨.
- بلمليح، إدريس، القراءة التفاعلية دراسات لنصوص شعرية حديثة. دار توبقال للنشر - الدار البيضاء. ط الأولى ٢٠٠٠.
- التفتازاني، سعد الدين، المطول شرح تلخيص المفتاح.. تحقيق: د. عبد الحميد هندراوي. دار الكتب العلمية. بيروت - لبنان. ط. الثانية ٢٠٠٧.
- الجزار، محمد فكري، العنوان وسيموطيقا الاتصال الأدبي. دراسات أدبية. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٨.
- حدادي، سميرة جمالية التلقي، افتراضات ياوس وآيزر-. مجلة الآداب، المجلد ٧١، العدد ٧، ديسمبر، ٠ جامعة محمد لمين دباغين - سطيف - الجزائر.
- الحازمي، ندى بنت محمد، الذات في شعر حسين سرحان.. نادي مكة الثقافي الأدبي. ط الأولى ٢٠١٥.
- حسين، محمد، ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس. تحقيق: مكتبة الآداب بالجماميز. د - ط.

- حمداوي، جميل، الأدب الرقمي بين النظرية والتطبيق.. شبكة الألوكة الرقمية. ط. الأولى ٢٠١٦.
- الحيدري، عبد الله، وآثار حسين سرحان النثرية. نادي الرياض الأدبي. ١٤٢٦.
- الرشيد، عبد الله بن سليم، مدخل إلى دراسة العنوان في الشعر السعودي. مطبوعات نادي القصيم الأدبي، ط. الأولى ٢٠٠٨.
- الزهراني، علي يحيى، طائر بلا أجنحة. من إصدارات نادي مكة الثقافي الأدبي بمناسبة الاحتفال بتكريمه.
- زايد، علي عشري، عن بناء القصيدة العربية الحديثة.. مكتبة الرشد. المملكة العربية السعودية. ط الأولى ٢٠٠٣.
- الشنطي، محمد صالح، في الأدب العربي السعودي، دار الأندلس. ط الرابعة ١٤٢٧.
- صالح، بشرى موسى، الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث المركز الثقافي العربي - الدار البيضاء. ط الأولى ١٩٩٤.
- العبيدي، سلمان علوان، البناء الفني في القصيدة الحديثة، عالم الكتب الحديث، إربد - الأردن. ط. الأولى ٢٠١١.
- العطوي، مسعد، الفكر والشكل في الشعر السعودي المعاصر.. عالم الكتب الحديث. ط الأولى ٢٠٠٦.
- عصفور، جابر، الصورة الفنية في التراث النقدي البلاغي عند العرب. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء. الأولى ١٩٩٢
- علوش، سعيد، معجم مصطلحات النقد الأدبي المعاصر.. مراجعة: د: كيان أحمد حازم يحيى. د: حسن الطالب. دار الكتاب الجديد المتحدة. بيروت - لبنان. ط الأولى ٢٠١٩ م.
- فضل، صلاح، مناهج النقد المعاصر.. أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي. القاهرة ط. الرابعة ٢٠٠٥. ٢ - الفكر النقدي الأدبي المعاصر. د: حميد حميداني. مطبعة أنفو - يرانت - فاس. ط الثالثة ٢٠٠٩.

أفق الانتظار والمسافة الجمالية (قراءة في ديوان أجنحة بلا ريش لحسين سرحان)، د. ذيب بن مقعد العصيمي

الفوزان، إبراهيم، الأدب الحجازي بين التقليد والتجديد.. مكتبة الخانجي. القاهرة..
ط. الأولى ١٩٨١.

المحسن، أحمد، شعر حسين سرحان: دراسة نقدية، د- ط، النادي الأدبي بجدة
١٤١١ هـ.

مفتاح، محمد دينامية النص، المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء - المغرب. ط الثالثة
٢٠٠٦.

مقبول، إدريس ود: يحيى رمضان، النص بين القراءة والتأويل.. عالم الكتب الحديث.
إربد - الأردن. ط. الأولى ٢٠١٣.

مكاوي، عبدالغفار، قصيدة وصورة. عالم المعرفة. سلسلة كتب ثقافية يصدرها المجلس
الوطني للثقافة والفنون - الكويت. صدرت السلسلة في يناير ١٩٧٨ بإشراف
أحمد مشاري العدواني ١٩٢٣ -

الملائكة، نازك، قضايا الشعر المعاصر، دار العلم للملايين. بيروت - لبنان. ط.
الأولى ١٩٨٩. ص ٥٠.

المالكي، دلال بنت بندر. القارئ المقاوم. تعارض القيم الجمالية والأيدولوجية بين
النص والمتلقي. الانتشار العربي. بيروت - لبنان. ط. الأولى ٢٠١٦.

الهوبل، حسن، النزعة الإسلامية في الشعر السعودي المعاصر. إصدارات المهرجان
الوطني للثقافة والفنون ٨٩. ١٤١٢..

الولي، محمد، الصورة الشعرية في الخطاب النقدي والبلاغي.. المركز الثقافي العربي -
الدار البيضاء. ط. الأولى ١٩٩٠.

يحياوي، رشيد، الشعرية العربية الأنواع والأغراض.. أفريقيا الشرق - الدار البيضاء -
المغرب. ط. ١٩٩٠.

الكتب المترجمة:

- تومبكنز، جين ب، نقد استجابة القارئ من الشكلانية إلى ما بعد البنيوية. ترجمة. حسن ناظم وعلي حاكم صالح. دار الكتاب الجديد المتحدة. بيروت - لبنان. ط. الثانية ٢٠١٦.
- كوهن، جان. بنية اللغة الشعرية. ترجمة: محمد الولي ومحمد العمري. دار توبقال للنشر. الدار البيضاء - المغرب. ط. الأولى ١٩٨٦..
- ياوس، هانس روبرت، جمالية التلقي من أجل تأويل جديد للنص الأدبي.. تقديم وترجمة: رشيد بنحدو. منشورات الاختلاف - الجزائر. ط الأولى ٢٠١٦.

المجلات والدوريات:

- الضبع، محمود، الشعر المعاصر وآليات التلقي. المجلة العربية للعلوم الإنسانية. جامعة الكويت - مجلس النشر العلمي. العدد ١١٣. سنة ٢٥. شتاء ٢٠١١.
- مصطفى، خالد علي وربي عبد الرضا عبد الرزاق، مفهومات نظرية القراءة والتلقي.. مجلة ديالي. العدد ٦٩. ٢٠١٦.
- المطوع، إبراهيم بن عبد الرحمن، انظر ك معالم السيرة الشعرية لدى الشاعر حسين سرحان. الجمعية المصرية للدراسات السردية. عدد ١١. مارس. ٢٠١٤.
- المالكي، عبد الرحمن بن حميد، النص المتناص قراءة في ديوان (أجنحة بلا ريش) للشاعر حسين سرحان. مجلد الدراسات العربية، كلية دار العلوم - جامعة المنيا. عدد ٢٥ (مجلد ١) ٢٠١٢،
- هذيلي، علي حسن التلقي بين ياوس وآيزر، دواة/ مجلة فصلية محكمة تعنى بالبحوث والدراسات اللغوية والتربوية. كلية الآداب / جامعة ذي قار.

Bibliography

Sources:

Hussein Sarhan, Divan of Ajniha Bila Rish, Publications of the Taif Literary Club, second edition 1397.

References:

- Amin, Bakri Sheikh. Alharakat Al'adabiat Fi Almamlaka Alearabia Alsaudia, Dar El Ilm Lilmalayin. Beirut, Lebanon. Fifth Edition 1986.
- 'Anis, 'Ibrahim , Musiqaa Alshier . The Anglo Egyptian Bookshop_ Cairo. Sixth Edition.
- Bileabid , Abd Alhaq , Atabat Jirar Janit Min Alnas 'Ila Almanas , Manshurat Al Ikhtilaf - Algeria. First Edition 2008.
- Bilmalih , 'Idris , Alqira'at Altafaeuliah Dirasat Linusus Shieriah Haditha . Les Edition Toubkal - Casablanca. First Edition 2000.
- Al-Taftazani, Saad Al-Din, Almutawal Sharh Talkhis Almiftah .. Investigation: Dr. Abdul Hamid Hindawi. Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah. Beirut, Lebanon, Second Edition 2007.
- Al-Jazzar, Muhammad Fikri, Aleunwan Wasimyutiqa Alaitisal Al'adabi. Literary Studies. General Egyptian Book Organization 1998.
- Hiddadi, Samira Jamaliat Altalaqiy , Aiftiradat Yaus Wa Ezer- Al-Adab Journal, Volume 71, Issue 7, December, 0 Mohamed Lamine Debaghine University - Setif - Algeria.
- Al-Hazmi, Nada Muhammad, Aldhaat Fi Shier Hussein Sarhan. Mecca Club Literary and Cultural. First Edition 2015.
- Hussein, Muhammad, Diwan Al-Asha Al-Kabeer Maymoon bin Qais. Investigation :. Library of Arts at Aljamamiz. No Edition.
- Hamdawi, Jamil, Al'adab Alraqmi Bayn Alnazariat Waltatbiq.. Alukah Digital Network. First Edition. 2016.
- Al-Haidari, Abdullah, Athar Hussein Sarhan Alnathria. Riyadh's Literary Club .1426 AH. (2005 -2006 AD)
- Al-Rasheed, Abdullah Salim, Madkhal 'Ilaa Dirasat Aleunwan Fi Alshier Alsaudi. Publications of Al-Qassim Literary Club, First Edition .2008.
- Al-Zahrani, Ali Yahya, T'air Bila 'Ajaniha. Published by the . Mecca Club Literary and Cultural on the occasion of the celebration of its honor.
- Zayed, Ali Ashri, An Bina' Alqasida Alearabia Alhaditha.. Al-Rushd Library. Kingdom Saudi Arabia . First Edition 2003.
- Al-Shanti, Muhammad Salih, Fi Al'adab Alarabi Alsaudi,, Dar Al-Andalus, Forth Edition 1427 AH. (2006 -2007 AD)

- Saleh, Bushra Moussa, Alsuwrat Alshieria Fi Alnaqd Alarabii Alhadith, The Arabian Cultural Center - Casablanca. First Edition 1994.
- Al-Obaidi, Salman Alwan, Albina' Alfaniy Fi Alqasida Alhaditha, Modern Book's World, Irbid - Jordan. First Edition 2011
- Al-Atwi, Massad, Alfikr Walshakl Fi Alshier Alsaudii Almuasir.... Modern Book's World. First Edition.2006.
- Asfour, Jaber, Alsuwra Alfaniya Fi Alturath Alnaqdii Albalaghii Eind Al Arabi.. The Arabian Cultural Center. Casablanca. First Edition 1992
- Alloush, Saeed, Muejm Mustalahat Alnaqd Al'adabii Almuasir.. Reviewed by: Dr: Kayan Ahmed Hazem Yahya. Dr: Hassan Al-Talib. Dar Alkitab Aljadeed. Beirut, Lebanon . First Edition 2019 AD.
- Fadl, Salah, Manahij Alnaqd Almuasir.. Atlas Publishing House And Media Production. Cairo Fourth Edition 2005. 2 - Alfikr Alnaqdii Al'adabii Almuasir. Dr: Hamid Hamidani. 'Anfu- Yrant - Fes Press. third edition 2009
- Al-Fawzan, Ibrahim, Al'adab Alhijazi Bayn Altaqlid Waltajdid.. Al-Khanji Library. Cairo. First Edition 1981.
- Al-Mohsen, Ahmad, Shir Hussein Sarhan: Dirasa Naqdia, No Edition, Jeddah Literary Club, 1411 AH.(1990 - 1991 AD).
- Muftah, Muhammad, Dinamiet Alnas, the Arabian Cultural Center. Casablanca - Morocco. Third edition 2006.
- Maqbool, Idris and Dr. Yahya Ramadan, Alnas byn Alquraa' wa Alltaawil.. Book's World, Irbid - Jordan. First Edition 2013
- Mekawi, Abdul Ghaffar, Qasida Wa Sura. ALAM Al -Marifa. A series of cultural books issued by the National Council for Culture Arts and Letters - Kuwait. The series was issued in January 1978 under the supervision of Ahmed Mashari Al-Adwani 1923.
- Almlyika, Nazik, Qadaya Alshier Almuasir,, , Dar El Ilm Lilmalayin. Beirut, Lebanon. First Edition 1989. Page 50.
- Al-Maliki, Dalal Bandr. Alqari' Almuqawim . Taarud Alqiam Aljamalia Wa Al'aydiulujia Byn Alnas Wa Almutalaqi. Alintishar Alarabi. Beirut, Lebanon. First Edition 2016.
- Al-Huaymel, Hassan, Alnaza Al'iislamiaa Fi Alshir Alsaudii. Publications of the National Festival of Arts and Culture 89. 1412. AH (1991-1992 AD)
- Al-Wali, Muhammad, Alsuwra Alshieria Fi Alkhitab Alnaqdii Wa Albalaghii.. The Arabian Cultural Center - Casablanca. First Edition 1990.
- Yahyaoui, Rasheed, Alshieria Alearabiaa Alanwae Wa Alaghrad..

Afriqia Alsharq - Casablanca - Morocco. Edition. 1990.

Translated Books:

Tompkins, Jane P., Naqd Istijabit Alqari' Min Alshaklania 'Tilaa Ma Baed Albinywia. Translated by: Hassan Nazim and Ali Hakim Saleh. Dar Alkitab Aljadeed. Beirut, Lebanon . Second Edition 2016.

Cohen, Jean. Binyat Allugha Alshieria. Translated by: Muhammad Al-Wali and Muhammad Al-Omari. Les Edition Toubkal. Casablanca - Morocco. First Edition 1986.

Jauss, Hans Robert, Jamaliat Altalaqi Min 'Ajl T'awil Jadid Li Alnas Al'adabii.. Presented and translated by: Rasheed Benhaddou. Manshurat Al Ikhtilaf - Algeria. First Edition 2016.

Magazines & Periodicals:

Aldabe, Mahmoud, Alshier Almuasir Wa Aliaat Altalqi. The Arab Journal for the Humanities. Kuwait University - Academic Publication Council. Issue 113. Year 25. Winter of 2011.

Mustafa, Khaled Ali and Ruba Abdel Reda Abdel Razzaq, Mafhumat Nazariat Alqira' Wa Altalaqi .. Diyala Journal. Issue 69. 2016.

Al-Mutawa, Ibrahim Abdul Rahman, Anzur K Maealim Alsayra Alshieria Ladaa Alshaeir Hussein Sarhan. Egyptian Society for Studies narrative.. Issue 11. March. 2014.

Al-Maliki, Abdul Rahman Humaid. Alns Almutanas: A Reading in the Divan of Ajniha Bila Rish by the Poet Hussein Sarhan. Journal of Arab Studies, Faculty of Dar Al-Uloom - Minia University. Issue. 25 (Volume 1) 2012,

Hudhali, Ali Hassan, Al-Talqi byn Yaws and Izer, DAWAT Journal /a quarterly Peer-reviewed journal concerned with studies and researches in the fields of linguistic and literature. College of Arts / Thi Qar University

المهارات الإملائية في اللغة العربية
مقارنة بين أداء الطلاب المتحدثين الأصليين بالعربية وغير الناطقين بها

Spelling Skills in Arabic
A Comparison of the Performance of Native and Non-
Native Arabic Speaking Students

د. صلاح بن ملهي السحيمي

الأستاذ المشارك بمعهد تعليم اللغة العربية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

البريد الإلكتروني: s139568@hotmail.com

المستخلص

هدف هذا البحث إلى التعرف على المهارات الإملائية للمتحدثين الأصليين بالعربية وغير الناطقين بها، والتعرف على مدى اختلاف الأداء الإملائي للمتحدثين الأصليين بالعربية وغير الناطقين بها، ولتحقيق هدي البحث استخدم الباحث المنهج الوصفي، وتكونت عينة البحث من (٤٠) طالبًا من طلاب المستوى الأول في كلية الشريعة عشرون منهم من المتحدثين الأصليين بالعربية وعشرون من غير الناطقين بها، وقد قام الباحث بإعداد قائمة بالمهارات الإملائية للمتحدثين الأصليين بالعربية وغير الناطقين بها، واختبار مهارات الإملاء للمتحدثين الأصليين بالعربية وغير الناطقين بها، ومن أهم نتائج البحث: تم التوصل إلى قائمة بالمهارات الإملائية اللازمة للمتحدثين الأصليين بالعربية وغير الناطقين بها تضمنت (١٠) مهارات، ووجود فروق ذات دلالة إحصائية في مهارة الهمزة في آخر الكلمة ($Z = -2,624$ ، مستوى الدلالة = $0,006$)، ومهارة الألف المتطرفة ($Z = -2,728$ ، مستوى الدلالة = $0,009$)، وفي باقي المهارات الإملائية لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية، وفي ضوء هذه النتائج قدّم الباحث مجموعة من التوصيات والمقترحات.

الكلمات المفتاحية: المهارات الإملائية، متعلّمو اللغة العربية.

Abstract

The aim of this research is to identify the spelling skills of native Arabic speakers and non-native speakers, and to identify the difference in the spelling performance of native and non-native Arabic speakers. To achieve the research objective, the researcher used the descriptive method, and the research sample consisted of (40) first-level students in the College of Sharia, twenty of whom are native speakers of Arabic and twenty are non-native speakers, and the researcher prepared a list of spelling skills for native Arabic speakers and non-native speakers, and a test of dictation skills for native and non-native Arabic speakers. And the most important results of the research: A list of the spelling skills necessary for native and non-native Arabic speakers was reached, which included (10) skills, and there were statistically significant differences in the skill of the Hamza at the end of the word. ($Z = -2.624$, significance level = 0.009), and in the skill of the Alif at the end of the word ($Z = -2.728$, significance level = 0.006) in favor of the sample of native Arabic speaking students. In the rest of the spelling skills, there are no statistically significant differences, and in light of these results, the researcher presented a set of recommendations and suggestions.

Keywords: spelling skills, learners of the Arabic language.

المقدمة

تُعَدُّ الكتابة مفخرة من مفاخر العقل الإنساني، بل إنها من أعظم ما أنتجه هذا العقل، فعندما اخترع الإنسان الكتابة بدأ تاريخه الحقيقي، وسجّل بها نشأته، وحركته، ومسيرته، وغايته، وهي التي حفظت لنا الحضارات الإنسانية السابقة من الضياع^(١). وقد اهتمت العربية بالكتابة اهتمامًا كبيرًا، وحرصت على وضع القواعد اللازمة لها، تلك القواعد التي تحفظ للحروف والكلمات رسمها وجمالها، وقد تناقل الناس ذلك جيلًا عن جيل،^(٢) وتقوم الكتابة العربية على عدّة مهارات منها مهارة الخط الذي تتناول الحروف ورسمها، وعلم الإملاء الذي يضع القواعد المتعلقة بما يكتب وما لا يكتب، وما يوصل وما لا يوصل من الحروف، وغير ذلك ما يتعلق بالجانب الإملائي للحروف والكلمات والجمل.

ومن هنا تأتي أهمية المهارات الإملائية في كونها وسيلة أساسية في رسم الحروف رسمًا صحيحًا خاليًا من الأخطاء وفقًا للقواعد الصحيحة والحدود المتعارف عليها في الكتابة، وبهذا يتحقّق الفهم والإفهام بمستوى مقروئية المادة المكتوبة، ومن مهاراتها الفرعية التي ينبغي للمتعلمين معرفتها وإتقانها أدائيًا كتابة همزي الوصل والقطع والحروف التي تنطق ولا تُكتب، والتاء المفتوحة والمربوطة، والألف الممدودة، والألف المقصورة وغيرها من المهارات^(٣).

ويقصد بالإملاء: عملية إتقان الحروف والكلمات عند كتابتها لتصبح مهارةً يكتسبها المتعلم بالتدريب والمران، وتحتاج إلى عمليات عقلية أدائية تُسهم فيها البيئة

(١) محمود كامل الناقية، "تعليم اللغة العربية في التعليم العام مداخله وفنياته". (القاهرة: جامعة عين شمس)، ٢: ٧.

(٢) خالد محمود عرفان، "قواعد الخط والكتابة وتطبيقاتهما". (الرياض: دار النشر والتوزيع، ٢٠٠٨م): ٥.

(٣) مختار الطاهر حسين، "تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في ضوء المناهج الحديثة". (القاهرة: الدار العالمية للنشر والتوزيع، ٢٠١١م): ٣٨٥.

المدرسية و الثقافية^(١)

و قد استهدفت دراسات كثيرة الصعوبات الإملائية لدى الناطقين بغير العربية، مثل: دراسة حسن^(٢)؛ التي توصلت إلى العديد من الصعوبات الإملائية لديهم، كما قامت بعض الدراسات بتحليل الأخطاء الإملائية لدى الناطقين بغير العربية، كدراسة العوفي^(٣)، ودراسة الصاعدي^(٤)؛ حيث هدفنا إلى تحليل الأخطاء الإملائية لدى الناطقين بغير العربية، وتوصلت إلى درجات عالية في ضعف الناطقين بغير العربية في المهارات الإملائية، كما قامت بعض الدراسات بتنمية المهارات الإملائية لدى الناطقين بغير العربية، كدراسة الحربي^(٥)، ودراسة حافظ الدين^(٦) حيث هدفنا إلى

(١) عبد الرحمن الهاشمي، "تعلم النحو والإملاء والترقيم". (عمان: دار المناهج للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨م): ٢٣١.

(٢) حسين حسن. "الصعوبات الإملائية لدى الطلاب الناطقين بغير العربية في ولاية كوفي النيجيرية"، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، (٢٠١٥م).

(٣) ياسر عوض العوفي. "الأخطاء الإملائية في الألف المتطرفة والحروف التي تكتب ولا تنطق والتي تنطق ولا تكتب لدى طلاب معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة"، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة (٢٠١٤م).

(٤) عبد المحسن بن عيد الصاعدي. "تحليل الأخطاء الإملائية في الهمزة لدى طلاب المستوى الرابع في معهد تعليم اللغة العربية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة"، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة (٢٠١٤م).

(٥) محمد غازي الحربي. "تنمية مهارات الإملاء لدى طلاب المستوى الثاني في معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها من وجهة نظر المعلمين في معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة"، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة (٢٠١٤م).

(٦) محمد دوتم حافظ الدين. "أثر برنامج قائم على الأنشطة اللغوية في تنمية مهارات الإملاء لدى طلاب المستوى الثاني في معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها"، رسالة ماجستير غير منشورة. الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، (٢٠١٨م).

تنمية مهارات الإملاء لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغاتٍ أخرى؛ غير أنّ تعليم الإملاء للناطقين بغير العربية مازال يواجه مشكلاتٍ أعمق من التي يواجهها المتحدثون الأصليون للغة العربية، مما دفعنا في هذا البحث إلى تسليط الضوء على الأداء الإملائي للناطقين بغير العربية ومقارنة أدائهم الإملائي بالمتحدثين الأصليين للغة العربية.

مشكلة البحث:

يختلف رسم بعض الحروف في الكتابة العربية باختلاف البيئات الناطقة بهذه اللغة، وباختلاف المصادر والمراجع التي نقلت عنها أشكال الرسم لهذه الحروف، ويبدو ذلك الاختلاف واضحاً في بعض المهارات الإملائية، كرسوم الهمزات وارتباطها ببعض الأفعال، إلا أنه مع هذا التنوع اختلط الرسم الإملائي أمام المتعلمين وخاصة من الناطقين بغير العربية مما سبب إرباكاً، فأئها يأخذ به المتعلم وأئها يترك، إضافةً إلى ما يُعانيه غير الناطقين بالعربية من صعوبات في الكتابة، وهذا ما تؤكده دراسة حسن^(١)؛ التي كان من نتائجها أنّ مجموع الأخطاء كان بدرجة كبيرة لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغاتٍ أخرى في نيجيريا وكان أكثر هذه الأخطاء شيوعاً الهمزات والتاء المربوطة، ودراسة أديشيعن^(٢) التي توصلت إلى أنّ الأخطاء الإملائية كانت بدرجة عالية لدى عينة الدراسة؛ ودراسة السحيمات^(٣) التي توصلت إلى أن هناك تفاوتاً واضحاً في مدى إتقان الطلبة للمهارات الإملائية لدى المتحدثين

(١) حسن، "الصعوبات الإملائية لدى الطلاب الناطقين بغير العربية في ولاية كوغي النيجيرية"

(٢) ضياء الدين أكنسا أديشيعن، "تحليل الأخطاء الإملائية لدى طلاب المرحلة الثانوي في مدرسة مركز التعليم العربي الإسلامي بمدينة ساكيتي في جمهورية بنين"، رسالة ماجستير غير منشورة. الجامعة الإسلامية بالمدينة المنور، (٢٠١٣م).

(٣) سهام عبدالرحيم السحيمات، "مدى تمكن طلبة الصف الرابع الأساسي من إتقان بعض مهارات الكتابة الإملائية الأساسية في مبحث لغتنا الأولى"، مجلة كلية التربية، جامعة كفر الشيخ، (٢٠٢١م): ٢١٨٠ - ٢٥٣٥.

الأصليين بالعربية، ولذا سيركز البحث الحالي على مقارنة الأداء الإملائي للمتحدثين الأصليين بالعربية وغير الناطقين بها.

أسئلة البحث:

وللتغلب على مشكلة البحث يمكن طرح السؤالين التاليين:

١. ما المهارات الإملائية اللازمة للمتحدثين الأصليين بالعربية وغير الناطقين بها؟
٢. إلى أي مدى يختلف الأداء الإملائي للمتحدثين الأصليين بالعربية غير الناطقين بها؟

أهداف البحث:

هدف البحث الحالي إلى ما يلي:

١. إعداد قائمة بالمهارات الإملائية اللازمة للمتحدثين الأصليين بالعربية وغير الناطقين بها.
٢. التعرف على مدى اختلاف الأداء الإملائي للمتحدثين الأصليين بالعربية وغير الناطقين بها.

أهمية البحث:

تبيّن أهمية البحث الحالي من خلال ما يأتي:

١. تقديم نتائج واقعية عن الأداء الإملائي لدى المتحدثين الأصليين بالعربية وغير الناطقين بها؛ مما يُمكن المسؤولين عن معاهد تعليم اللغة من اتخاذ الإجراء اللازمة لتنمية المهارات الإملائية، وتنميتها وتطوير برامجها واستراتيجياتها.
٢. يفيد هذا البحث معلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى وواضعي المناهج الوقوف على الصعوبات الإملائية من أجل وضع برامج لتنمية المهارات الإملائية، وخاصةً بعد معرفة الحاجة إليها، وافتقار المجال إلى العديد من الدراسات والبحوث المنظمة في مجال تنمية مهارات الإملاء لدى متعلمي اللغة العربية غير الناطقين بها.

٣. يعتبر هذا البحث ضمن المساهمات البحثية العلمية التي تهدف إلى تحسين العملية التعليمية في مجال تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، وكذلك تطوير معاهد تعليم اللغة العربية ودفّع باحثين آخرين للقيام بأبحاث ودراسات في تنمية مهارات الإملاء وإدراجها في برامج نوعية تُخدم مجال تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها.

حدود البحث:

يقتصر البحث الحدود الأتية:

الحدود الموضوعية: مهارة الإملاء وهي: (الهمزة في أول الكلمة، الهمزة في وسط الكلمة، الهمزة في آخر الكلمة، الهمزة الممدودة، الألف المتطرفة، التاء المفتوحة، التاء المربوطة، الهاء المتطرفة، اللام القمرية، اللام الشمسية)

الحدود المكانية: كلية الشريعة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

الحدود البشرية: طلاب المستوى الأول بكلية الشريعة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

الحدود الزمانية: الفصل الدراسي الثاني من العام الجامعي ١٤٤٣ هـ

مصطلحات البحث:

المهارات الإملائية:

رسم الكلمات والحروف رسماً صحيحاً على حسب الأصول المتفق عليها^(١).

ويعرفها البحث إجرائياً بأنها:

رسم الحروف والكلمات والجمل بما يتناسب مع اللغة المنطوقة، ووفقاً للقواعد المتفق عليها عند أهل اللغة، بما يحقق الفهم والإفهام.

(١) إبراهيم محمد عطا. "المرجع في تدريس اللغة العربية" (ط٢)، القاهرة: مركز الكتاب للنشر،

٢٠٠٦م): ٢٣١.

الإطار النظري للبحث:

تناول هذا الجزء من البحث مهارات الإملاء والدراسات السابقة، وفيما يأتي توضيح العناصر السابقة:

المحور الأول: مهارات الإملاء

أولاً: مفهوم الإملاء:

١. الإملاء لغة:

تشير مادة (مَلَّلَ) كما وردت في لسان العرب لابن منظور إلى: "أملَّ الشيء: قاله فكتَّب، وأملاه: كأملَّه"^(١). وفي المصباح المنير: "وأملت له في الأمر: أخرت"^(٢)، وأورد ابن فارس - في معجم مقاييس اللغة - تحت جذر (ملو): أن الميم، واللام، والحرف المعتل أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على امتداد في شيء زمانٍ وغيره، وقال: "ومن الباب: إملاء الكتاب"^(٣).

٢. الإملاء اصطلاحاً:

يُعرَّف الإملاء بأنه: تحويل الأصوات المسموعة المفهومة إلى رموز مكتوبة، على أن توضع هذه الحروف في مواضعها الصحيحة من الكلمة، وذلك لاستقامة اللفظ، وظهور المعنى المراد^(٤).

(١) جمال الدين محمد بن مكرم بن علي ابن منظور، "لسان العرب". (ط٣، بيروت: دار صادر، ١٩٩٣م)، ٦٣١: ١١.

(٢) أحمد بن محمد بن علي الفيومي، "المصباح المنير". (ط٥، القاهرة، المطبعة الأميرية. ج٢، ١٩٢٢م): ٧٩٧.

(٣) أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن فارس، "معجم مقاييس اللغة". تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (بيروت: دار الفكر، ١٩٧٩م)، ٥: ٣٥٢.

(٤) عبد الفتاح حسن البجة، "أساليب تدريس مهارات اللغة العربية وآدابها". (دار الكتاب الجامعي، ٢٠٠٥م): ١٦١.

ويعرّف أيضاً بأنه: فنُّ رسم الكلمات في العربية عن طريق التصوير الخطّي للأصوات المنطوقة، برموز تتيح للقارئ أن يعيد نطقها طبقاً لصورتها الأولى، وذلك على وفق قواعد مرعيّة وضعها علماء العربيّة^(١).

وقد يُعرّف أيضاً على أنه نظام لغويّ موضوعه: الكلمات التي يجب فصلها، والتي يجب وصلها، والحروف التي تزداد، والحروف التي تُحذف، والألف اللينة، وهاء التأنيث وتاءه، وعلامات الترقيم، والتنوين بأنواعه، والمد بأنواعه، وقلب الحركات الثلاث وإبدال الحروف، واللام الشمسية، والقمرية^(٢).

وبناءً على التعريفات السابقة يعرف الباحث الإملاء إجرائياً بأنه: رسم الحروف والكلمات والجمل بما يتناسب مع اللغة المنطوقة، ووفقاً للقواعد المتفق عليها عند أهل اللغة، بما يحقق الفهم والإفهام.

ثانياً: أهمية مهارات الإملاء:

تحتلّ مهارات الإملاء منزلة كبيرة بين مهارات اللّغة، فهي من الأسس المهمة للتعبير الكتابي، فإذا كانت قواعد النحو والصرف وسيلة لصحة الكتابة نحوياً واشتقاقياً، فالإملاء وسيلة لها من حيث الصورة الخطيّة^(٣).

وهي الأداة الرئيسة لنقل الفكرة من الكاتب إلى القارئ نقلاً سليماً؛ بحيث إذا صاغها الكاتب صياغة لغويّة، وراعى فيها جانب التركيب والأسلوب، ثم كتبها بالطريقة التي اتفق عليها أبناء هذه اللغة لكان نقل الفكرة أميناً وشاملاً^(٤).

(١) عبد الفتاح حسن البجة، "أصول تدريس العربية بين النظرية والممارسة (المرحلة الأساسية الدنيا)". (عمان: دار الفكر للطباعة والنشر، ٢٠٠٠م): ٤٣١.

(٢) حسن شحاتة، "تعليم اللغة العربية بين النظرية والتطبيق". (القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٢م): ٣٢٧.

(٣) حسن شحاتة، ومروان السمان، "المرجع في تعليم اللغة العربية وتعلمها". (القاهرة: مكتبة الدار العربية للكتاب، ٢٠١٢م): ٢٩٣.

وهي وسيلة الاتصال بالتراث المكتوب، وإذا كان الاتصال الشفهي يؤدي دوراً مهماً في نقل هذا التراث عن طريق الكلمة المنطوقة، فإنه من المؤكّد: أنّ نقل التراث والاتصال به عن طريق الكلمة المكتوبة أقوى وأصدق^(٢).

وهي عملية مُهمّة، وعنصر أساسي من عناصر الثقافة، وضرورة اجتماعية لنقل الأفكار، والتعبير عنها والإمام بها^(٣).

والإملاء يُعوّد الطالب على الاتّصاف بصفات تربويّة نافعة، حيث يعوّده على التمعّن ودقة الملاحظة، ويُعوّده على الصبر والنظام، وسرعة النقد، والسيطرة على حركات اليد، والتحكّم في الكتابة، والسرعة في الفهم، والتطبيق اليقظ للقواعد المختلفة^(٤).

ثالثاً: أهداف مهارات الإملاء:

تهدف مهارات الإملاء إلى:

١. التدريب على رسم الكلمات والحروف رسماً صحيحاً مطابقاً للأحوال التي تضبط نظم الكتابة حروفاً وكلمات^(٥).
٢. رسم الكلمات بحُطّ مقروء، ويشمل ذلك: أحوال الحروف، وأشكالها، وحركتها، ووضع النقاط عليها^(٦).

(١) نجلاء محمد علي أحمد، "فن تدريس اللغة العربية للمبتدئين". (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية للنشر والتوزيع، ٢٠١١م): ١٤١.

(٢) أحمد، "فن تدريس اللغة العربية للمبتدئين"، ١٤٢.

(٣) راتب قاسم محمد الحوامدة عاشور، "أساليب تدريس العربية بين النظرية والتطبيق". (ط٣، عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع، ٢٠١٠م): ١٣١.

(٤) شحاتة، "تعليم اللغة العربية بين النظرية والتطبيق"، ٢٩٤.

(٥) البجة، "أساليب تدريس مهارات اللغة العربية وآدابها"، ١٦٢.

(٦) البجة، "أساليب تدريس مهارات اللغة العربية وآدابها"، ١٦٣.

٣. يجب أن يحقق الإملاء جانباً من الوظيفة الأساسية للغة، وهي الفهم والإفهام^(١).
٤. الإملاء وسيلة لتنمية دقة الملاحظة والانتباه، وتعويد الطلاب على النظافة، والترتيب، والوضوح^(٢).
٥. استخدام علامات التقييم استخداماً صحيحاً^(٣).
٦. صحة أداء الرسم الكتابي بسرعة ودقة^(٤).
٧. زيادة المهارات الحركية الخاصة بالعين واليد، وسرعة ممارسة هذه المهارات^(٥).
٨. تنمية الثروة اللغوية، وتوسيع دائرة خبرات ومعلومات الدارسين^(٦).

رابعاً مهارات الإملاء:

هناك مجموعة من مهارات الإملاء، ويمكن تحديد أهمها فيما يأتي^(٧):

١. الهمزة:

وهي حرفٌ من حروف الهجاء يقبلُ الحركة، بخلاف الألف التي لا تقبل الحركات، والهمزة حرف كغيره من حروف العربية قد يأتي في أول الكلمة، أو وسطها، أو آخرها، وهي على النحو التالي:

- (١) أحمد، "فن تدريس اللغة العربية للمبتدئين"، ١٢٤.
- (٢) الناقة، "تعليم اللغة العربية في التعليم العام مداخله وفتياته"، ٢: ٥٠.
- (٣) عاشور، "أساليب تدريس العربية بين النظرية والتطبيق"، ١٣٢.
- (٤) عاشور، "أساليب تدريس العربية بين النظرية والتطبيق"، ١٣٢.
- (٥) البجة، "أساليب تدريس مهارات اللغة العربية وآدابها"، ١٦٣.
- (٦) البجة، "أساليب تدريس مهارات اللغة العربية وآدابها"، ١٦٤.
- (٧) محمود شاكر سعيد، "المرشد في الإملاء". (ط٣)، عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع، (١٩٩٨م): ١٤-٣٤؛ عبد السلام محمد هارون، "قواعد الإملاء وعلامات التقييم". (القاهرة، دار الطلائع، ٢٠٠٥م): ٧-٢٦؛ ومكتب التربية العربي لدول الخليج: ٢٠٠٩م، "دليل توحيد ضوابط الرسم الإملائي للكتابة العربية". (ط٢)، الكويت: المركز العربي للبحوث التربوية لدول الخليج، ٢٠٠٩م): ١٥-١٨.

أ. الهمزة في أول الكلمة، وصورتها:

أن ترسم ألفاً قائمة دائماً، وأنواعها:

- همزة القطع:

وهي همزة تنطق في بدء الكلام ووصله، وترسم بحسب حركتها، هكذا (أ، أُ، إ).

- همزة الوصل:

وهي همزة تنطق في بدء الكلام، لا في وصله، وترسم ألفاً قائمة، هكذا: (ا).

ب. الهمزة المتوسطة:

هي همزة تتوسط الكلمة، توسطاً أصلياً أو عارضاً، وينظر عند كتابتها إلى حركتها، وحركة ما قبلها. وتكتب الهمزة على ما يناسب أقوى الحركتين، وأقوى الحركات: الكسرة، وتناسبها الياء، ثم الضمة وتناسبها الواو، ثم الفتحة وتناسبها الألف، أما الهمزة فينظر لحركة ما قبلها.

ج. الهمزة آخر الكلمة:

هي الهمزة الواقعة آخر الكلمة رسماً، وتكتب على حرف يناسب حركة ما قبلها فإن سُبقت بكسرة كُتبت على ياء، وإن سُبقت بضممة كُتبت على واو، وإن سُبقت بفتحة كُتبت على ألف، وإن سُبقت بحرف ساكن (صحيح أو حرف مدّ) فإنها تُكتب على السطر.

د. الهمزة الممدودة:

هي همزة تنشأ من اجتماع همزة مفتوحة بعدها همزة ساكنة، أو ألف، وتكتب هكذا (أ).

١. الألف المتطرفة:

وهي ألف ساكنة مفتوح ما قبلها، تلحق آخر الأسماء، والأفعال، والحروف.

٢. الناء آخر الكلمة، ولها نوعان:

أ. الناء المفتوحة:

وهي التاء التي تُكتبُ آخر الكلمة على صورتها في حروف الهجاء. وعلامتها أنها تنطقُ تاءً إذا وُقف عليها.

ب. التاء المربوطة:

وهي التاء التي تُكتبُ آخر الكلمة على صورة الهاء المتطرفة.

٤. الهاء المتطرفة:

هي الهاء التي تأتي آخر الكلمة دون نقط، وعلامتها أنها تنطقُ هاءً في حالتي الوقف والوصل.

٥. (ال) التعريف، (الشمسية والقمرية):

وهي الزائدة على بنية الاسم.

وتعرف علامة (ال) الشمسية بأنها تُكتب ولا ينطق بها، ويكون الحرف الذي يليها مشدداً، أما علامة (ال) القمرية أنها تُكتب وينطقُ بها، ولا يكون الحرف الذي يليها مشدداً.

تضمن هذا المبحث الحديث عن المهارات الإملائية فتم الحديث بدءاً عن الإملاء مفهوماً و الأهمية والأهداف وأهم المهارات الإملائية لدى المتحدثين الأصليين بالعربية وغير الناطقين بها ويمكن القول بأن المهارات الإملائية التي تم اختيارها كالهزمة في أول الكلمة، الهزمة في وسط الكلمة، الهزمة في آخر الكلمة، الهزمة الممدودة، الألف المتطرفة، التاء المفتوحة، التاء المربوطة، الهاء المتطرفة، اللام القمرية، اللام الشمسية هي من أهم المهارات الأساسية للمتحدثين الأصليين بالعربية وغير الناطقين بها وتعتبر من أكثر الصعوبات التي يجدها جميع المتعلمين. وتم الاستفادة من هذا المبحث في بناء أدوات البحث لدى عينة الدراسة من المتحدثين الأصليين بالعربية وغير الناطقين بها.

المحور الثاني: الدراسات السابقة:

دراسة: حسين (٢٠١٥م)^(١):

هدفت الدراسة إلى الكشف عن الصعوبات الإملائية لدى دارسي اللغة العربية في مدرسة الهداية الأكاديمية الإسلامية في أنكبا ولاية كوفي نيجيريا، واستخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي الذي يعتمد على تحليل الأخطاء، وتوصلت الدراسة إلى النتائج التالية: أنّ مجموع تكرار الأخطاء بشكل عام بين أفراد عينة الدراسة كان بدرجة كبيرة، بلغت (٣٢٤٣) وبنسبة مئوية (٦٨٪)، وكانت أكثر هذه الأخطاء شيوعاً: كتابة الهمزات، والتاء المربوطة والتاء المفتوحة.

دراسة الأحمدي (٢٠١٥م)^(٢):

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على الأخطاء الكتابية لدى الطلاب الصينيين بمعهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، ومن أهمّ النتائج التي توصلت إليها الدراسة:

١. بلغ عدد الأخطاء الكتابية التي وقع فيها الطلاب الصينيون (١٧٧٣) خطأً، وبمتوسط (٤٣،٢٧) خطأ لكل طالب.
٢. جاءت الأخطاء مرتبة تنازلياً على النحو التالي: أخطاء الهمزات بمتوسط (١١،١٧) خطأً. أخطاء التاء المفتوحة والتاء المربوطة بمتوسط (٣،٢٥). أخطاء الألف المتطرفة بمتوسط (٢،١٠)، أخطاء (ال) الشمسة و(ال) القمرية بمتوسط (٢،٠٥) خطأً

(١) حسين، "الصعوبات الإملائية لدى الطلاب الناطقين بغير العربية في ولاية كوفي النيجيرية"، ٨.
(٢) عبدالله عواد الأحمدي، "الأخطاء الكتابية لدى الطلاب الصينيين بمعهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة"، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة (٢٠١٥م).

دراسة سهارى (٢٠١٦م)^(١):

هدفت هذه الدراسة إلى تحليل أخطاء الكتابة الإملائية الشائعة لدى الطلاب الناطقين بالأردنية بمعهد تعليم اللغة العربية بالجامعة الإسلامية بالمنورة، واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، وتكونت عينة الدراسة من (٢٥) طالبًا، من طلاب المستوى الرابع بمعهد تعليم اللغة العربية بالجامعة الإسلامية بالمنورة، وقد أظهرت نتائج الدراسة ما يلي:

أنّ كلا من: (الأخطاء في الهمزة المتوسطة والهمزة المتطرفة، والأخطاء في التاء المفتوحة والتاء والمربوطة، والأخطاء في اللام الشمسية واللام القمرية، والأخطاء في التنوين، والأخطاء في علامات الترقيم) تعتبر من الأخطاء الإملائية الشائعة لدى الطلاب الناطقين بالأردنية في معهد تعليم اللغة العربية في الجامعة الإسلامية بالمنورة، و أن شيوع الأخطاء الإملائية لدى الناطقين بالأردنية بمعهد تعليم اللغة العربية بالجامعة الإسلامية كان متوسطا وبنسبة (١٠,٥٠٪)، وكانت أكثر الأخطاء في الهمزة وبنسبة (٥٤٪)، والأخطاء في التاء وبنسبة (٣٨٪)، والأخطاء في اللام وبنسبة (٢٦٪)، وأنّ شيوع الأخطاء في الهمزة لدى الناطقين بالأردنية بمعهد تعليم اللغة العربية بالجامعة الإسلامية كان متوسطا وبنسبة (٥٤٪).

دراسة الهتاري، (٢٠٢١)^(٢):

هدفت الدراسة إلى إعداد قائمة بأهم المهارات الإملائية التي ينبغي أن يتقنها طلبة الجامعة، والكشف عن مدى إتقان طلبة كلية التربية والعلوم التطبيقية بريمة لتلك

(١) ماجد محمد سهارى، "تحليل أخطاء الكتابة الإملائية الشائعة لدى الطلاب الناطقين بالأردنية بمعهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها"، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية بالمنورة، (٢٠١٦م).

(٢) عبده علي محمد الهتاري، مدى تمكن طلبة الجامعات من المهارات الإملائية بكلية التربية والعلوم التطبيقية بريمة أنموذجا، السودان، مجلة الدراسات التربوية، جامعة إفريقيا، ٩، (٢٠٢١م): ٩٢-١١٣.

المهارات، ووضع الحلول والمقترحات في ضوء ماستسفر عنه النتائج، واستخدم الباحث المنهج الوصفي. ولتحقيق هدف الدراسة تم إعداد اختباراً للمهارات الإملائية. وتوصل الباحث إلى النتائج التالية: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في إتقان المهارات الإملائية تعزى لمتغير الجنس، وعدم وجود فروق ذات دلالة في إتقان المهارات الإملائية تعزى لمتغير التخصص، وأن تمكن طلبة كلية التربية والعلوم التطبيقية برمه من تلك المهارات ونسبة الاجتياز (٢٦٪) ضعيف.

دراسة السحيمات. (٢٠٢١)^(١):

تهدف الدراسة إلى الكشف عن مدى إتقان طلبة الصف الرابع الأساسي للمهارات الإملائية في اللغة العربية في ضوء متغيري النوع الاجتماعي والصفوف المختلطة، وتكونت عينة الدراسة من (٥١٥) من الطلبة، واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي والتجريبي، ولتحقيق هدف الدراسة تمّ بناء اختبار للمهارات الإملائية، وأظهرت نتائج الدراسة أنّ هناك تفاوتاً واضحاً في مدى إتقان الطلبة للمهارات الإملائية، كما أظهرت النتائج ووجود فروق دالة إحصائية عند مستوى الدلالة (٠.٠٥) في مستوى الأداء الكلي عن المهارات الإملائية، وفي مهارات (كتابة التاء، والهاء، والتميز بين همزي الوصل والقطع، التمييز بين النون الساكنة والتنوين، التمييز بين اللام الشمسية والقمرية) تعزى لمتغير النوع الاجتماعي لصالح الطالبات، وعدم وجود فروق دالة إحصائية في مهارة كتابة الألف المقصورة تعزى لمتغير النوع الاجتماعي. كما أظهرت النتائج أنه توجد فروق دالة إحصائية عند مستوى الدلالة (٠.٠٥) على مستوى الأداء الكلي في إتقان المهارات الإملائية تعزى لمتغير نوع الصف (مختلط، غير مختلط) لصالح الصفوف المختلطة.

(١) السحيمات، "مدى تمكن طلبة الصف الرابع الأساسي من إتقان بعض مهارات الكتابة الإملائية الأساسية في مبحث لغتنا الأولى".

التعقيب على الدراسات السابقة:

اتفقت جميع الدراسات السابقة مع الدراسة الحالية في الهدف العام، وهو تناول المهارات الإملائية ، كما اتفقت في تناول الصعوبات الإملائية ، والوقوف على الأخطاء الإملائية كدراسة حسين (٢٠١٥) ، ودراسة الأحمدى (٢٠١٥) لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى ، ودراسة الهتاري (٢٠٢١) في مجال الناطقين بالعربية ، واتفقت أيضا مع تلك الدراسات في المنهج المستخدم وهو المنهج الوصفي ، على حين اختلفت مع دراسة السحيمات في المنهج التجريبي واتفقت في المنهج الوصفي، وما يميز الدراسة الحالية أنها أجريت على المتحدثين الأصليين للغة العربية ، والناطقين بغيرها، ولندرة الدراسات التي تناولت المقارنة بين واقع المهارات الإملائية لدى الفئتين فقد جاءت الدراسة الحالية لتسلط الضوء على المهارات الإملائية لدى المتحدثين الأصليين بالعربية ، والناطقين بغيرها . ورغم ذلك فقد استفاد الباحث من الدراسات السابقة في جوانب عدة منها: إعداد الاختبار الذي تم تطبيقه على عينة الدراسة، إضافة إلى الاستفادة من نتائج تلك الدراسات في مناقشة الدراسة الحالية وتفسيرها.

إجراءات البحث

يشتمل هذا المبحث إجراءات البحث؛ وذلك من خلال وصف الخطوات التي سار عليها البحث الحالي، والتي تمثلت في تحديد منهج البحث، ومجتمع البحث وعينته وإعداد أدواته والخطوات التي تم اتباعها في بناء أدوات البحث وتحكيمها، وصدقها وثباتها، وتطبيقها بصورتها النهائية على عينة البحث، وكذلك الأساليب الإحصائية المستخدمة في تحليل البيانات، واستخراج النتائج:

أولاً: منهج البحث:

اتبع هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي؛ كونه يهتم بالمهارات الإملائية لدى المتحدثين الأصليين بالعربية وغير الناطقين بها. ويعرف العساف^(١) المنهج الوصفي التحليلي بأنه: "المنهج الذي يتم بواسطته استجواب جميع أفراد مجتمع البحث أو عينة كبيرة منهم، وذلك بهدف وصف الظاهرة المدروسة.

ثانياً: مجتمع البحث:

تمثل مجتمع البحث من طلاب المستوى الأول في كلية الشريعة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وذلك في الفصل الدراسي الثاني للعام الجامعي ١٤٤٣هـ، وقد بلغ عددهم (٣٤٦) طالباً.

ثالثاً: عينة البحث:

بلغ عدد عينة البحث (٤٠) طالباً، حيث تم اختيارهم عشوائياً من إحدى قاعات طلاب السنة الأولى في كلية الشريعة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وكان توزيعهم كالتالي: عشرون طالباً منهم من متحدثي العربية الأصليين السعوديين (٨)،

(١) صالح حمد العساف، المدخل الى البحث في العلوم السلوكية، الرياض، شركة العبيكان للطباعة والنشر. (٢٠٠٣).

المهارات الإملائية في اللغة العربية-مقارنة بين أداء الطلاب المتحدثين الأصليين بالعربية وغير الناطقين بها، د. صلاح بن ملهي السحيمي

الكويت (٣)، البحرين (٢)، الإمارات (٢)، اليمن (٤)، الجزائر (١)، وقد تراوحت أعمارهم من ١٨ إلى ٢٤.

أما بالنسبة لغير الناطقين بها فقد كانت خلفياتهم اللغوية متنوعة جداً، حيث جاءوا من عدة دول، وهي: فرنسا (٢)، هولندا (١)، بلجيكا (٢) مقدونيا (٢)، تركيا (١)، أوزباكستان (١) إثيوبيا (١)، رواندا (١)، بوركينا فاسو (٢)، ليسوتو (١)، تايلاند (١)، إندونيسيا (٣) الهند (٢)، وقد تراوحت أعمارهم بين ٢٠ إلى ٢٦ وقد صنفوا من ناحية الكفاية اللغوية كمتعلمين متقدمين؛ وذلك وفقاً لمستواهم الدراسي، وجميعهم خريجوا معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

رابعاً: أدوات البحث:

فيما يأتي توضيح للخطوات التي تمّ اتباعها لإعداد أدوات البحث ومواده، وفيما يأتي توضيح ذلك:

الأداة الأولى: إعداد قائمة بالمهارات الإملائية اللازمة للمتحدثين الأصليين بالعربية وغير الناطقين بها.

مرّ إعداد هذه القائمة بالخطوات الآتية:

تحديد الهدف من القائمة:

هدفت هذه القائمة إلى تحديد إعداد قائمة بالمهارات الإملائية اللازمة للمتحدثين الأصليين بالعربية وغير الناطقين بها.

مصادر إعداد القائمة:

تمّ إعداد القائمة من خلال الرجوع إلى المصادر الآتية:

الأدبيات التي تناولت موضوع المهارات الإملائية: مثل: (سعيد)^(١)، و(هارون)^(١).

(١) سعيد، "المرشد في الإملاء".

الدراسات السابقة التي تناولت المهارات الإملائية مثل: (دراسة حسين) (٢)، و(دراسة السحيمات) (٣).

وبناءً على ذلك تم إعداد صورة أولية لقائمة المهارات الإملائية اللازمة للمتحدثين الأصليين بالعربية وغير الناطقين بها.

بناء القائمة في صورتها الأولية:

تم إعداد القائمة في صورتها الأولية: تضمنت (١٠) مهارات إملائية، كما يتضح من الجدول الآتي:

جدول (١)

المهارات الإملائية

م	المهارات الإملائية
١	الهمزة أول الكلمة
٢	الهمزة في وسط الكلمة
٣	الهمزة آخر الكلمة
٤	الهمزة الممدودة
٥	الألف المنطرفة
٦	الناء المفتوحة
٧	الناء المربوطة
٨	هاء المنطرفة
٩	اللام القمرية
١٠	اللام الشمسية
المجموع	١٠

تحكيم القائمة:

تم عرض القائمة في صورتها الأولية على (٧) محكمين ملحق (١) لإبداء

(١) هارون، "قواعد الإملاء وعلامات الترقيم".

(٢) حسين، "الصعوبات الإملائية لدى الطلاب الناطقين بغير العربية في ولاية كوفي النيجيرية".

(٣) السحيمات، "مدى تمكن طلبة الصف الرابع الأساسي من إتقان بعض مهارات الكتابة الإملائية الأساسية في مبحث لغتنا الأولية".

المهارات الإملائية في اللغة العربية-مقارنة بين أداء الطلاب المتحدثين الأصليين بالعربية وغير الناطقين بها، د. صلاح بن ملهي السحيمي

آرائهم في قائمة المهارات الإملائية اللازمة للمتحدثين الأصليين بالعربية وغير الناطقين بها، وقد أشار المحكمون جميعاً إلى مناسبة قائمة المهارات الإملائية اللازمة للمتحدثين الأصليين بالعربية وغير الناطقين بها، وأنها قابلة للقياس مع تعديل صياغة بعض الفقرات، وبهذا يكون تمّ التأكد من صدق محتوى هذه القائمة من خلال آراء المحكمين.

صياغة قائمة نهائية:

بالمهارات الإملائية اللازمة للمتحدثين الأصليين بالعربية وغير الناطقين بها. بعد تعديل صياغة بعض الفقرات التي أشار المحكمون إلى تعديلها أصبحت قائمة المهارات الإملائية اللازمة للمتحدثين الأصليين بالعربية وغير الناطقين بها. الأداة الثانية: اختبار المهارات الإملائية للمتحدثين الأصليين بالعربية وغير الناطقين بها.

تمّ إعداد اختبار المهارات الإملائية وفقاً للخطوات الآتية:

إعداد صورة أولية للاختبار:

تحديد الهدف من الاختبار:

هدف هذا الاختبار إلى قياس مدى توافر المهارات الإملائية لدى المتحدثين الأصليين بالعربية وغير الناطقين بها.

تحديد مهارات الاختبار:

في ضوء قائمة المهارات الإملائية التي تمّ التوصل إليها، تمّ تحديد (١٠) مهارات إملائية لدى المتحدثين الأصليين بالعربية وغير الناطقين بها.

صياغة تعليمات الاختبار:

كُتبت تعليمات لعينة البحث في بداية الاختبار، كما أتاح الباحث الفرصة للإجابة عن أيّ استفسار قد يطرحه أفراد عينة البحث.

صياغة مفردات الاختبار:

صيغت مفردات الاختبار، بحيث تغطّي المهارات التي تمّ التوصل إليها من استطلاع آراء المحكمين حول المهارات الإملائية، وجاءت الصّورة المبدئية للاختبار من (١٠) أسئلة تطبيقية، ولكلّ سؤال (٣) فقرات، وُروعي أن تكون جميع الأسئلة موزعةً على المهارات التي تمّ التوصل إليها، بحيث يُقاس كلّ سؤال مهارةً من مهارات الإملاء.

عرض الاختبار بصورته الأولى على المحكمين:

تمّ عرض الاختبار في صورته الأولى على مجموعة من المحكمين، عددهم (٧) محكمين، ملحق رقم (٣)؛ بهدف إجراء التعديلات المناسبة وفق ما يروونه صواباً من حيث:

- مناسبة الاختبار للطلاب ومستواهم اللغوي.
- قياس كلّ مفردة من مفردات الاختبار لما وضعت لقياسه.
- صحة التعليمات
- إضافة ما يروونه مناسباً.

تعديل الاختبار وفقاً لنتائج التحكيم:

أبدى المحكمون موافقتهم على جميع مفردات الاختبار، ورأوا مناسبة لمتحدثي العربية الأصليين والناطقين بغيرها.

تطبيق الاختبار على مجموعة استطلاعية:

تمّ إجراء التجربة الاستطلاعية للاختبار في صورته النهائية على مجموعة من الطلاب المتحدثين الأصليين بالعربية وغير الناطقين بها من طلاب المستوى الأول بكلية الشريعة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وعددهم (١٠) طلاب، وبعد انتهاء الطلاب من الإجابة عن مفردات الاختبار وُرعت النتائج بهدف حساب ثبات وصدق، وزمن الاختبار، وذلك على النحو التالي:

ثبات الاختبار:

تمّ حساب ثبات اختبار المهارات الإملائية من خلال معادلة الفا كرونباخ، وذلك باستخدام برنامج الحزم الإحصائية للعلوم الإجتماعية (spss) الإصدار الخامس والعشرون (٧.٢٥)، وتمّ التوصل إلى أنّ قيمة معامل ثبات الاستبانة بلغت (٠,٧١١) وهي قيمة مقبولة تدلّ على ثبات الاختبار.

صدق الاختبار:

تمّ حساب صدق اختبار المهارات الإملائية؛ وفقاً لما يأتي:

- صدق المحكمين:

تمّ التأكد من أنّ مفردات الاختبار صادقة بعد عرضها على المحكمين. بلغ عددهم (٧) محكمين، ملحق رقم (٣)، وإجراء التعديلات اللازمة بناء على آرائهم، حيث أشار المحكمون إلى أنّ عبارات الاختبار واضحة، وتقيس ما وضعت لقياسه.

- الصدق الإحصائي:

وهو عبارة عن الجذر التربيعي لمعامل الثبات، ومن ثمّ فإنّ صدق اختبار المهارات الإملائية يساوي (٠,٨٤٣) وهي قيمة مرتفعة تدلّ على أنّ الاختبار يقيس ما وضع لقياسه بصورة دقيقة جداً.

معامل الصعوبة والسهولة:

تمّ حساب معامل الصعوبة والسهولة، حيث إنّ معامل الصعوبة لكلّ سؤال يمثّل النسبة المئوية لعدد الطلاب الذين أجابوا إجابةً صحيحة إلى عدد الطلاب الكلي، وهو الذي يتمثّل في المعادلة الآتية:

مجموع درجات الطلاب على السؤال

معامل صعوبة السؤال

عدد الطلاب × درجة السؤال

معامل السهولة = ١ - معامل الصعوبة.

وقد تراوحت قيم معاملات الصعوبة بين (٠,٤-٠,٧٦) أما معاملات السهولة فقد تراوحت بين (٠,٦-٠,٢٣)، وهي معاملات تشير إلى التدرج في مستوى صعوبة وسهولة فقرات الاختبار، وإنّما ذات مستوى مناسب. ويعتبر السؤال (المفردة) مقبولاً

ومعتدل الصعوبة؛ إذ تراوحت قيمة معامل الصعوبة له بين (٢٠٪ - ٨٠٪) (خشيم وراشد، ٢٠١٦: ١٢٥).

الصورة النهائية للاختبار:

بعد عرض الاختبار على المحكمين، وبعد تطبيق التجربة الاستطلاعية التي أجريت لتحديد صدق الاختبار، وثباته، وزمنه، صيغ الاختبار في صورته النهائية استعداداً للتطبيق على مجموعة البحث ملحق رقم (٢).

تصحيح الاختبار:

يتكون الاختبار من (١٠) أسئلة تطبيقية، لكل سؤال (٣) فقرات ومجموع الدرجات (٣٠) درجة، ويُطلب من الطالب رسم الكلمات المطلوبة، ويعطى كل طالب درجة واحدة لكل إجابة صحيحة، وبعد ذلك قام الباحث بحساب درجة كل طالب على محاور الاختبار العشرة على حدة، وعلى الاختبار إجمالاً.

إجراءات تطبيق البحث

اتَّبَعَ الباحث الإجراءات التالية في تطبيقه للبحث وفقاً للخطوات الآتية:

أولاً: اختيار عينة البحث:

تكونت عينة البحث الحالي من (٤٠) طالباً من المتحدثين الأصليين بالعربية وغير الناطقين بها من طلاب المستوى الأول بكلية الشريعة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

ثانياً. تطبيق اختبار المهارات الإملائية:

بعد إجراء الترتيبات اللازمة لتطبيق تجربة البحث، تم تطبيق اختبار المهارات الإملائية للطلاب المتحدثين الأصليين بالعربية وغير الناطقين بها، على طلاب المستوى الأول بكلية الشريعة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. ومقارنة مستويات أدائهم.

نتائج البحث

يشتمل هذا المبحث على عرض النتائج التي تم التوصل إليها من خلال أدوات البحث، ومن خلال تطبيق اختبار المهارات الإملائية للمتحدثين الأصليين بالعربية وغير الناطقين بها، وسيعرض الباحث نتائج أسئلة البحث، ويمكن توضيح ذلك فيما يلي:

للإجابة على السؤال الأول من أسئلة البحث والذي نصه: " ما المهارات الإملائية اللازمة للمتحدثين الأصليين باللغة العربية وغير الناطقين بها "؟

توصّل الباحث إلى قائمة بالمهارات الإملائية اللازمة للمتحدثين الأصليين باللغة العربية وغير الناطقين بها تضمّنت (١٠) مهارات، ويمكن تحديدها فيما يأتي:

١. كتابة الهمزة في أول الكلمة كتابة صحيحة.
٢. كتابة الهمزة في وسط الكلمة كتابة صحيحة.
٣. كتابة الهمزة في آخر الكلمة كتابة صحيحة.
٤. كتابة الهمزة الممدودة كتابة صحيحة.
٥. كتابة الألف المتطرفة كتابة صحيحة.
٦. كتابة التاء المفتوحة كتابة صحيحة.
٧. كتابة التاء المربوطة كتابة صحيحة.
٨. كتابة الهاء المتطرفة كتابة صحيحة.
٩. كتابة اللام القمرية كتابة صحيحة.
١٠. كتابة اللام الشمسية كتابة صحيحة.

للإجابة على السؤال الثاني من أسئلة البحث والذي نصه " إلى أي مدى يختلف الأداء الإملائي للمتحدثين الأصليين باللغة العربية وغير الناطقين بها "؟

الهدف الأساس لهذا السؤال هو التعرف على مدى اختلاف الأداء الإملائي للمتحدثين الأصليين بالعربية وغير الناطقين بها، ومن أجل ذلك قام الباحث بقياس المهارات الإملائية لدى المتحدثين الأصليين باللغة وغير الناطقين بها من خلال الدرجات المحصلة لاختبارات المهارات الإملائية لديهم، حيث تمّ استخدام التحليل

الوصفي، كالأوساط الحسابية والانحرافات المعيارية لدرجات المهارات العشرة وعلى المستوى الكلي، إضافةً إلى اختبار مان ويتني للكشف عن دلالة الفروق في درجات المتحدثين الأصليين باللغة العربية وغير الناطقين بها في اختبار المهارات الإملائية (لأنّ درجات الطلاب لا تتبع التوزيع الطبيعي حسب اختبار شايبرو-ويلك)، وللحكم بصورة كيفية على الأداء الإملائي، تمّ الرجوع إلى لائحة الجامعة الإسلامية لمعرفة كيفية حساب التقديرات والتي تحول الدرجات الكمية إلى تقدير كميّ، وذلك كما يأتي:

١. ممتاز من ٩٠ فأكثر.
 ٢. جيد جداً من ٨٠ إلى أقل من ٩٠.
 ٣. جيد من ٧٠ إلى أقل من ٨٠.
 ٤. مقبول من ٦٠ إلى أقل من ٧٠.
 ٥. راسب أو ضعيف أقل من ٦٠.
- والجدول الآتي يوضح الإحصاءات الوصفية واختبار مان ويتني للكشف عن دلالة الفروق في درجات الطلاب المتحدثين الأصليين باللغة العربية وغير الناطقين بها في اختبار المهارات الإملائية:

المهارات الإملائية في اللغة العربية-مقارنة بين أداء الطلاب المتحدثين الأصليين بالعربية وغير الناطقين بها، د. صلاح بن ملهي السحيمي

جدول (٢)

الإحصاءات الوصفية واختبار مان ويتني للكشف عن دلالة الفروق في درجات الطلاب المتحدثين الأصليين باللغة العربية وغير الناطقين بها في اختبار المهارات الإملائية.

مستوى الدلالة	Z	غير الناطقين بها (ن=١٥)			المتحدثين الأصليين بالعربية (ن=١٥)			المهارة		
		نسبة التوافر	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	متوسط الرتب	نسبة التوافر	الانحراف المعياري		المتوسط الحسابي	
٠,٩٦٣	٠,٤٦-	%٧٧,٧	٠,٩٠٠	٢,٣٣	١٥,٤	%٨٠,٠	٠,٧٣٧	٢,٤٠	١٥,٦	مهارة ١
٠,٣٠٣	١,٠٣١-	%٦٤,٣	٠,٨٨٤	١,٩٣	١٤,٠	%٧٥,٧	٠,٥٩٤	٢,٢٧	١٧,٠	مهارة ٢
٠,٠٠٩	٢,٦٢٤-	%٤٠,٠	٠,٦٥١	١,٢٠	١١,٧	%٦٠,٠	٠,٥٦١	١,٨٠	١٩,٣	مهارة ٣
٠,٧١٠	٠,٣٧٢-	%٤٤,٣	٠,٤٨٨	١,٣٣	١٥,٠	%٤٦,٧	٠,٥٠٧	١,٤٠	١٦,٠	مهارة ٤
٠,٠٠٦	٢,٧٢٨-	%٦٦,٧	٠,٩٢٦	٢,٠٠	١١,٦	%٩٣,٣	٠,٤١٤	٢,٨٠	١٩,٤	مهارة ٥
٠,١٥٠	١,٤٣٩-	%٩٥,٧	٠,٣٥٢	٢,٨٧	١٤,٥	%١٠٠,٠	٠,٠٠٠	٣,٠٠	١٦,٥	مهارة ٦
٠,٠٨٢	١,٧٣٨-	%٧٣,٣	١,٠٨٢	٢,٢٠	١٣,٣	%٩٣,٣	٠,٥٦١	٢,٨٠	١٧,٧	مهارة ٧
٠,٣٣٤	٠,٩٦٥-	%٨٤,٣	٠,٧٤٣	٢,٥٣	١٤,٣	%٩٣,٣	٠,٤١٤	٢,٨٠	١٦,٧	مهارة ٨
٠,٠٧٣	١,٧٩٣-	%٨٩,٠	٠,٨١٦	٢,٦٧	١٤,٠	%١٠٠,٠	٠,٠٠٠	٣,٠٠	١٧,٠	مهارة ٩
١,٠٠٠	٠,٠٠٠	%١٠٠,٠	٠,٠٠٠	٣,٠٠	١٥,٥	%١٠٠,٠	٠,٠٠٠	٣,٠٠	١٥,٥	مهارة ١٠
٠,٠٠٢	٣,٠٣٠-	%٧٣,٧	٣,٦٥٤	٢٢,١	١٠,٧	%٨٤,٣	٢,٠٥٢	٢٥,٣	٢٠,٣	المجموع

يتضح من الجدول السابق ما يأتي:

١. المتحدثين الأصليين باللغة العربية:

جاء المتوسط الحسابي للنتيجة الإجمالية للاختبار (٢٥,٣) من الدرجة الكلية للاختبار بنسبة توافر جيدة جداً (%٨٤,٣)، وكشفت النتائج أن كلاً من المهارة الخامسة (الألف المتطرفة)، والمهارة السادسة (التاء المفتوحة)، والمهارة السابعة (التاء المربوطة)، والمهارة الثامنة (هاء المتطرفة)، والمهارة التاسعة (اللام القمرية)، والمهارة العاشرة (اللام الشمسية) جاءت عند مستوى توافر ممتاز، بينما جاءت المهارة الأولى (الهمزة في أول الكلمة) عند مستوى توافر جيد جداً، وأقل من ذلك، وأما المهارة الثانية (الهمزة في وسط الكلمة) فقد جاءت عند مستوى توافر جيد، والمهارة الثالثة (الهمزة في آخر الكلمة) جاءت عند مستوى توافر مقبول، وأخيراً المهارة الرابعة (الهمزة الممدودة) جاءت عند مستوى توافر ضعيف. (أنظر الجدول ٦).

جاء المتوسط الحسابي للنتيجة الإجمالية للاختبار (٢٥,٣) من ٣٠ الدرجة الكلية للاختبار بنسبة توافر جيدة جداً (٨٤,٣٪) ، وكشفت النتائج أن كلاً من المهارة الخامسة (الألف المتطرفة)، والمهارة السادسة (التاء المفتوحة)، والمهارة السابعة (التاء المربوطة)، والمهارة الثامنة (هاء المتطرفة) ، والمهارة التاسعة (اللام القمرية) ، والمهارة العاشرة (اللام الشمسية) جاءت عند مستوى توافر ممتاز، بينما جاءت المهارة الأولى (الهمزة في أول الكلمة) عند مستوى توافر جيد جداً، وأقل من ذلك، وأما المهارة الثانية المهارة (الهمزة في وسط الكلمة) فقد جاءت عند مستوى توافر جيد، و المهارة الثالثة (الهمزة في آخر الكلمة) جاءت عند مستوى توافر مقبول، وأخيراً المهارة الرابعة (الهمزة الممدودة) جاءت عند مستوى توافر ضعيف. (أنظر الجدول السابق)

٢. غير الناطقين بها:

جاء المتوسط الحسابي للنتيجة الإجمالية للاختبار (٢٢,١) من ٣٠ الدرجة الكلية للاختبار بنسبة توافر جيدة (٧٣,٧) وكشفت النتائج أن المهارة العاشرة (اللام الشمسية) جاءت عند مستوى توافر ممتاز، بينما جاءت المهارات السادسة (التاء المفتوحة)، والثامنة (هاء المتطرفة)، والتاسعة (اللام القمرية) عند مستوى توافر جيد جداً، وجاءت المهارة الأولى والسابعة (الهمزة في أول الكلمة)، (التاء المربوطة) عند مستوى توافر جيد، ثم المهارة الثانية والخامسة (الهمزة في وسط الكلمة)، (الألف المتطرفة) عند مستوى توافر مقبول، وجاءت في المرتبة الأخيرة المهارة الثالثة والرابعة (الهمزة في آخر الكلمة)، (الهمزة الممدودة) عند مستوى توافر ضعيف.

كما يبيّن الجدول السابق نتائج اختبار مان ويتني عن وجود فروق ذات دلالة إحصائية فقط في المهارة (٣) الهمزة في آخر الكلمة ($Z = -2,624$ ، مستوى الدلالة = ٠,٠٠٩)، والمهارة (٥) الألف المتطرفة ($Z = -2,728$ ، مستوى الدلالة = ٠,٠٠٦) لصالح عينة الطلاب المتحدثين الأصليين بالعربية، أي أنّ هناك اختلاف في مهاراتي - الهمزة آخر الكلمة - و-الألف المتطرفة-. بينما لم تبيّن نتائج

اختبارات عن أيّ فروق ذات دلالة إحصائية في باقي المهارات الإملائية

الناقشة:

ركزت هذه الدراسة على مقارنة الأداء الإملائي بين المتحدثين الأصليين باللغة العربية، وغير الناطقين بها، وجاءت النتائج بنسبة مرتفعة للمتحدثين الأصليين باللغة العربية بنسبة (٢٥,٣)، وجاءت نتيجة غير الناطقين بها بنسبة (٢٢,١)، كما أبان التحليل الكيفي عن وجود فروقات واضحة بين أداء المتحدثين الأصليين باللغة العربية وغير الناطقين بها في مهارة الهمزة آخر الكلمة والألف المتطرفة، بينما لا يوجد فروق ذات دلالة إحصائية في باقي المهارات، وفيما يتعلق بالهمزة الممدودة فقد تبين أنّ هناك ضعفاً لدى المتحدثين الأصليين بالعربية، وغير الناطقين بها، وتأتي هذه النتيجة داعمة لنتائج أغلب الدراسات السابقة، مثل: دراسة حسين^(١)، ودراسة الأحمدى^(٢) ودراسة سهارى^(٣)، وجاءت الهمزة في وسط الكلمة وآخر الكلمة في المراحل ما قبل الأخيرة لدى المتحدثين الأصليين باللغة العربية وغير الناطقين بها، وتأتي هذه النتيجة متماشية مع دراسة حسين^(٤) والأحمدى^(٥).

وجاء أداء المتحدثين الأصليين باللغة العربية وغير الناطقين بها متوافقاً في المهارة العاشرة (اللام الشمسية) وبتقدير مرتفع (ممتاز) وهذه النتيجة تأتي مغايرة لما توصلت

(١) حسين، "الصعوبات الإملائية لدى الطلاب الناطقين بغير العربية في ولاية كوفي النيجيرية".

(٢) الأحمدى، "الأخطاء الكتابية لدى الطلاب الصينيين بمعهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة".

(٣) سهارى، "تحليل أخطاء الكتابة الإملائية الشائعة لدى الطلاب بالأردنية بمعهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها".

(٤) حسين، "الصعوبات الإملائية لدى الطلاب الناطقين بغير العربية في ولاية كوفي النيجيرية".

(٥) الأحمدى، "الأخطاء الكتابية لدى الطلاب الصينيين بمعهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة".

إليه دراسة سهارى^(١) التي وجدت أنّ متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغاتٍ أخرى لا يُتقنون مهارة اللام الشمسية، ومن أبرز ما توصلت إليه هذه الدراسة: المنهجية البحثية، إذ إنّ الاعتماد على التحليل الكمي لوحده قد يؤدي أحياناً إلى نتائج غير دقيقة، لذا فإنّ هذه الدراسة تدعم توجه بعض الباحثين نحو تبني منهجية أكثر شمولية، لتعطي المهتمين في هذا المجال تصوراً واضحاً عن المهارة الإملائية لدى المتحدثين الأصليين للغة العربية وغير الناطقين بها.

التوصيات والمقترحات:

في ضوء النتائج التي تم التوصل إليها يوصي الباحث بما يلي:

- ١- تطوير برامج المهارات الكتابية وخاصة المهارات الإملائية الأساسية (كالمهزمة والالف والتاء المربوطة والتاء المفتوحة والهاء واللام بنوعيهما الشمسية والقمرية) من أجل **تنمية مهاراتنا** تنميتها والتغلب على معوقاتها.
- ٢- تحفيز متعلمي اللغة العربية غير الناطقين بها من خلال دعم البرامج المتعلقة بتنمية المهارات الإملائية من خلال الأنشطة الإثرائية، وإقامة المسابقات، وغيرها.
- ٣- إنشاء أندية للمهارات الكتابية في معاهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، وتكون بيئة تعليمية جاذبة وتحقق ممارسات واقعية لهذه المهارة.
- ٤- سعت الدراسة الحالية لتوضيح بعض **الجوانب الصعوبات الإملائية التي يقع بها المتعلمين** والنقاط التي يجب أن توضع في الاعتبار في التعامل المستقبلي مع المهارات الإملائية، ولتحقيق ذلك لابد من وضع استراتيجية متكاملة بناء على دراسات وصفية دقيقة للواقع، وتحديد مطالبها مادياً وزمناً وبشرياً. ثم العمل على تنفيذها مع تقويم مرحل العمل.

(١) سهارى، "تحليل أخطاء الكتابة الإملائية الشائعة لدى الطلاب بالأردنية بمعهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها".

المقترحات:

يقترح الباحث إجراء الدراسات التالية:

- ١-دراسات وصفية لواقع المهارات الإملائية في كليات أخرى بالجامعة الإسلامية، وفي معاهد تعليم اللغة العربية الأخرى في المملكة العربية السعودية.
- ٢-دراسة تحليلية لمحتوى مناهج تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها من حيث انسجامه مع المهارات الإملائية.
- ٣-دراسات تقوم على تصميم مناهج لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها من خلال استراتيجيات حديثة تعمل على تحقيق أهداف المهارات الإملائية.

المصادر والمراجع

- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، "معجم مقاييس اللغة". تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (بيروت: دار الفكر، ١٩٧٩م).
- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم بن علي، "لسان العرب". (ط ٣، بيروت: دار صادر، ١٩٩٣م).
- أحمد، نجلاء محمد علي "فن تدريس اللغة العربية للمبتدئين". (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية للنشر والتوزيع، ٢٠١١م).
- الأحمدي، عبدالله عواد "الأخطاء الكتابية لدى الطلاب الصينيين بمعهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة"، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة (٢٠١٥م).
- أديشيعن، ضياء الدين أكنسا، "تحليل الأخطاء الإملائية لدى طلاب المرحلة الثانوي في مدرسة مركز التعليم العربي الإسلامي بمدينة ساكيتي في جمهورية بنين"، رسالة ماجستير غير منشورة. الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، (٢٠١٣م).
- البجة، عبد الفتاح حسن، "أساليب تدريس مهارات اللغة العربية وآدابها". (دار الكتاب الجامعي، ٢٠٠٥م).
- البجة، عبد الفتاح حسن، "أصول تدريس العربية بين النظرية والممارسة (المرحلة الأساسية الدنيا)". (عمان: دار الفكر للطباعة والنشر، ٢٠٠٠م).
- حافظ الدين، محمد دوتم، "أثر برنامج قائم على الأنشطة اللغوية في تنمية مهارات الإملاء لدى طلاب المستوى الثاني في معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها"، رسالة ماجستير غير منشورة. الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، (٢٠١٨م).
- الحري، محمد غازي "تنمية مهارات الإملاء لدى طلاب المستوى الثاني في معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها من وجهة نظر المعلمين في معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة"، رسالة ماجستير غير

- منشورة، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة (٢٠١٤م).
- حسن، حسين، "الصعوبات الإملائية لدى الطلاب الناطقين بغير العربية في ولاية كوفي النيجيرية"، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، (٢٠١٥م).
- حسن، مختار الطاهر، "تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في ضوء المناهج الحديثة". (القاهرة: الدار العالمية للنشر والتوزيع، ٢٠١١م).
- السحيمات، سهام عبدالرحيم "مدى تمكن طلبة الصف الرابع الأساسي من إتقان بعض مهارات الكتابة الإملائية الأساسية في مبحث لغتنا الأولى"، مجلة كلية التربية، جامعة كفر الشيخ، (٢٠٢١م).
- سعيد، محمود شاکر "المرشد في الإملاء". (ط٣، عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع، ١٩٩٨م).
- سھاري، ماجد محمد "تحليل أخطاء الكتابة الإملائية الشائعة لدى الطلاب الناطقين بالأردية بمعهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها"، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، (٢٠١٦م).
- شحاتة، حسن "تعليم اللغة العربية بين النظرية والتطبيق". (القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٢م).
- شحاتة، حسن، والسمان، ومروان "المرجع في تعليم اللغة العربية وتعلمها". (القاهرة: مكتبة الدار العربية للكتاب، ٢٠١٢م).
- الصاعدي، عبد المحسن بن عيد "تحليل الأخطاء الإملائية في الهمزة لدى طلاب المستوى الرابع في معهد تعليم اللغة العربية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة"، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة (٢٠١٤م).
- عاشور، راتب قاسم محمد الحوامدة، "أساليب تدريس العربية بين النظرية والتطبيق". (ط٣، عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع، ٢٠١٠م).
- عرفان، خالد محمود، "قواعد الخط والكتابة وتطبيقاتهما". (الرياض: دار النشر والتوزيع، ٢٠٠٨م).

العساف، صالح حمد، "المدخل الى البحث في العلوم السلوكية"، الرياض، شركة العبيكان للطباعة والنشر. (٢٠٠٣).

عطا، إبراهيم محمد، "المرجع في تدريس اللغة العربية" (ط٢)، القاهرة: مركز الكتاب للنشر، (٢٠٠٦م).

العوفي، ياسر عوض، "الأخطاء الاملائية في الالف المتطرفة والحروف التي تكتب ولا تنطق والتي تنطق ولا تكتب لدى طلاب معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة"، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة (٢٠١٤م).

الفيومي، أحمد بن محمد بن علي، "المصباح المنير". (ط٥)، القاهرة، المطبعة الأميرية. ج٢، ١٩٢٢م).

مكتب التربية العربي لدول الخليج: ٢٠٠٩م، "دليل توحيد ضوابط الرسم الإملائي للكتابة العربية". (ط٢)، الكويت: المركز العربي للبحوث التربوية لدول الخليج، (٢٠٠٩م).

الناقبة، محمود كامل، "تعليم اللغة العربية في التعليم العام مداخله وفنائه". (القاهرة: جامعة عين شمس).

هارون، عبد السلام محمد "قواعد الإملاء وعلامات الترقيم". (القاهرة، دار الطلائع، ٢٠٠٥م).

الهاشمي، عبد الرحمن، "تعلم النحو والإملاء والترقيم". (عمان: دار المناهج للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨م).

العتاري، عبده علي محمد، "مدى تمكن طلبة الجامعات من المهارات الإملائية بكلية التربية والعلوم التطبيقية برمة أمودجا"، السودان، مجلة الدراسات التربوية، جامعة إفريقيا، ٩، (٢٠٢١م).

Bibliography

- Ibn Faris, Abu Al-Hussein Ahmed Bin Faris Bin Zakaria, "A Dictionary of Language Measures". Investigation: Abd al-Salam Muhammad Haroun, (Beirut: Dar al-Fikr, 1979).
- Ibn Manzoor, Jamal al-Din Muhammad bin Mukrim bin Ali, "Lisan al-Arab". (3rd Edition, Beirut: Dar Sader, 1993 AD).
- Ahmed, Naglaa Muhammad Ali "The Art of Teaching Arabic for Beginners". (Alexandria: University Knowledge House for Publishing and Distribution, 2011).
- Al-Ahmadi, Abdullah Awad, "Writing errors among Chinese students at the Institute of Teaching Arabic to Non-Native Speakers at the Islamic University of Madinah", an unpublished master's thesis, the Islamic University of Madinah(2015)
- Adishin, Dia El-Din Aknesa, "Analysis of spelling errors among secondary school students in the School of the Arab-Islamic Education Center in the city of Sakiti in the Republic of Benin", an unpublished master's thesis. The Islamic University of Madinah Al-Munawar, 2013.
- Al-Beja, Abdel-Fattah Hassan, "Methods of Teaching Arabic Language Skills and Literature". (University Book House, 2005 AD).
- Al-Beja, Abdel-Fattah Hassan, "The Fundamentals of Teaching Arabic between Theory and Practice (The Lower Basic Stage)." (Oman: Dar Al-Fikr for Printing and Publishing, 2000 AD).
- Hafez El-Din, Muhammad Dotum, "The effect of a program based on language activities in developing the dictation skills of second-level students at the Institute for Teaching Arabic to Non-Native Speakers", unpublished master's thesis. The Islamic University of Madinah, (2018 AD).
- Al-Harbi, Muhammad Ghazi, "Developing the dictation skills of second-level students at the Institute for Teaching Arabic to Non-Native Speakers from the Point of View of Teachers at the Institute for Teaching Arabic to Non-Native Speakers at the Islamic University of Madinah", an unpublished master's thesis, the Islamic University of Madinah (2014 AD).
- Shehata, Hassan "Teaching the Arabic language between theory and practice". (Cairo: The Egyptian Lebanese House, 2002).
- Shehata, Hassan, and Al-Samman, Marwan "The Reference in Teaching and Learning the Arabic Language". (Cairo: Arab Book House, 2012).
- Hassan, Hussein, "Spelling difficulties of non-Arabic speaking students in Nigeria's Kogi State", unpublished master's thesis, Islamic University of Madinah, (2015).

- Hussein, Mukhtar Al-Taher, "Teaching Arabic to Non-Native Speakers in the Light of Modern Curricula". (Cairo: International House for Publishing and Distribution, 2011).
- Al-Suhaymat, Siham Abdel Rahim, "The extent to which fourth-grade students are able to master some basic spelling skills in the subject of our primary language", Journal of the College of Education, Kafr El-Sheikh University, (2021AD).
- Saeed, Mahmoud Shaker, "The Guide in Dictation". (3rd Edition, Amman: Dar Al-Shorouk for Publishing and Distribution, 1998).
- Sahari, Majed Muhammad, "Analysis of common spelling errors among Urdu-speaking students at the Institute for Teaching Arabic to Non-Native Speakers", unpublished Master's thesis, Islamic University of Madinah. (2016)
- Al-Sa'edi, Abdul Mohsen bin Eid, "Analysis of spelling errors in the Hamza among fourth-level students at the Institute of Arabic Language Teaching at the Islamic University of Madinah", an unpublished master's thesis, the Islamic University of Madinah (2014 AD).
- Ashour, Ratib Qassem Muhammad Al-Hawamdeh, "Methods of Teaching Arabic between Theory and Practice". (3rd Edition, Omman: Dar Al Masirah for Publishing and Distribution, 2010).
- Irfan, Khaled Mahmoud, "The rules of calligraphy and writing and their applications." (Riyadh: Publishing and Distribution House, 2008).
- Atta, Ibrahim Muhammad, "The Reference in Teaching Arabic" (2nd Edition, Cairo: Al-Kitab Center for Publishing, 2006).
- Al-Awfi, Yasser Awad, "Spelling errors in the alif in last word and the letters that are written and not pronounced and which are pronounced and not written among students of the Institute for Teaching Arabic to Non-Native Speakers at the Islamic University of Madinah", unpublished master's thesis, The Islamic University of Madinah (2014 AD).
- Al-Fayoumi, Ahmed bin Muhammad bin Ali, "The Lighting Lamp". (5th floor, Cairo, the Amiri Press. Volume 2, 1922 AD).
- The Arab Bureau of Education for the Gulf States, "Guide to Standardizing the Spelling Regulations for Arabic Writing". (2nd Edition, Kuwait: The Arab Center for Educational Research for the Gulf States, 2009).
- El Naqa, Mahmoud Kamel, "Teaching Arabic in public education, its interventions and techniques." (Cairo: Ain Shams University).
- Haroun, Abd al-Salam Muhammad "Rules of spelling and punctuation". (Cairo, Dar Al-Tala'i, 2005 AD).

Al-Hashimi, Abdul Rahman, "Learning Grammar, Spelling and Punctuation". (Amman: Dar Al-Manahij for Publishing and Distribution, 2008).

Al-Hattari, Abdo Ali Muhammad, "The extent to which university students master the spelling skills in the College of Education and Applied Sciences Prima as a model", Sudan, Journal of Educational Studies, University of Africa, 9, (2021 AD).





جامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
ISLAMIC UNIVERSITY OF MADINAH

Journal of

Arabic Language and Literature

Vol : 6

Part : 2

Sep - Dec 2022